



الجمهورية العربية السورية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام بن عبد الوهاب الإسلامية
الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم القرآن وعلومه

أبحاث التفسير في القرن الرابع عشر الهجري

رسالة لنيل درجة الدكتوراه

إعداد

فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي

إشراف

الدكتور / مصطفى مسام محمد

أستاذ مشارك في كلية أصول الدين

(الجزء الأول)



العام الجامعي

١٤٠٤هـ - ١٤٠٥هـ

دليل المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١
التمهيد	٢١
الباب الأول : الاتجاه العقائدي في التفسير	٤٥
الفصل الأول : منهج أهل السنة والجماعة	٤٩
التعريف بهم	٤٩
نشأتهم	٥٠
مجمل عقيدة أهل السنة والجماعة	٥٢
بيان بعض عقائدهم	٥٨
اسس تفسير اهل السنة والجماعة	٨٣
نماذج من تفسير أهل السنة والجماعة	
في العصر الحديث	٩٢
نماذج من المؤلفات فيه	١٢٢
١ - تفسير أضواء البيان	١٢٢
٢ - تيسير الكريم الرحمن	١٤٩
٣ - محاسن التأويل	١٦٢
رأبي في هذا المنهج	١٨٣
الفصل الثاني : منهج الشيعة في تفسير	
القرآن الكريم	١٨٥
التعريف بهم	١٨٦
بداية ظهور التشيع	١٨٨
فرق الشيعة	١٩٠

- ١٩١ الامامية
- ١٩٢ الاثني عشرية
- ١٩٢ اصولهم
- ١٩٦ منهجهم في التفسير
- ٢٠٥ نماذج من تفسيرهم
- ٢٤٢ أهم كتب التفسير المعاصرة عندهم
- ٢٤٤ الميزان في تفسير القرآن
- ٢٥٤ رأيي في هذا التفسير
- ٢٥٦ رأيي في هذا المنهج
- ٢٦٠ الاسماعيلية
- ٢٦٤ الجمهوريون
- ٢٧١ نماذج من تفسيرهم
- ٢٨٦ الزيدية
- ٢٨٩ منهجهم في التفسير
- ٢٩١ الفصل الثالث : منهج الأباضية في التفسير
- ٢٩٢ التعريف بهم
- ٢٩٣ عقائدهم
- ٣١٤ التفسير الأباضي
- هميان الزاد، إلى دار المعاد
- ٣١٦ تيسير التفسير
- ٣١٦ المؤلف
- ٣٢٠ منهجه في التفسير
- ٣٧٣ رأيي في هذا التفسير

٣٧٧	الفصل الرابع : منهج الصوفية في التفسير
٣٧٨	التعريف بهم
٣٧٩	المراد بالتصوف
٣٨١	نشأة التصوف وتطوره
٣٨٤	عقائد التصوف
٣٨٦	من شروط التصوف
٣٨٦	طبيعة التصوف
٣٨٨	أقسام التصوف
٣٨٩	التفسير الصوفي النظري
٣٩٠	التفسير الفيضي الإشاري
٣٩١	موقف العلماء من هذا اللون في التفسير
٣٩٨	شروط قبول التفسير الارشادي
٣٩٩	أهم المؤلفات في التفسير الإشاري
٤٠١	أولا : بيان السعادة في مقامات العبادة
	ثانيا : ضياء الأكوان في تفسير
٤٢١	القرآن
٤٣٤	رأى في التفسير الصوفي الحديث
	الباب الثاني : الاتجاهات العلمية في التفسير
٤٤١	الفصل الأول : المنهج الفقهي في التفسير
٤٤٨	أولا : فقه اهل السنة والجماعة
٤٦٥	تفاسير آيات الأحكام
٤٦٦	أولا : نيل المرام في تفسير آيات الأحكام

- ٤٧٦ ثانيا : روائع البيان
- ٤٩٠٤ ثالثا : تفسير آيات الأحكام
- ٥٠٢ رابعا : تفسير آيات الأحكام
- ٥١١ خامسا : قبس من التفسير الفقهي
- سادسا : دراسات في تفسير بعض آيات
الأحكام
- ٥١٥
- ٥٢٠ ثانيا : فقه الشيعة الاماميه (الاثني عشرية)
- ٥٥١ ثالثا : فقه الأباضية
- ٥٥٦ الفصل الثاني : المنهج الأثرى في التفسير ...
- ٥٥٧ المراد بـ _____
- ٥٨٩ تعريفه قط
- موقف العلماء السابقين من التفسير العلمي
- ٥٩٢ التجريبي
- ٥٩٣ رأى المؤيديين
- ٦٠٣ رأى المعارضين
- موقف العلماء المعاصرين من التفسير
- ٦٠٨ العلمي التجريبي
- ٦٠٩ آراء القائلين به
- ٦٢٦ أقوال المعارضين
- ٦٥٩ أهم المؤلفات فيه
- نماذج للتفسير العلمي التجريبي في القرن
- ٦٧٠ الرابع عشر

أمثلة من المؤلفات في التفسير العلمي التجريبي

٦٩٧ في القرن الرابع عشر

أولا : الجواهر في تفسير القرآن

٦٩٧ الكريم
٧٥٠ رأي في هذا النص

٧٥٢ ثانيا : كشف الأسرار النورانية

٧٦٣ رأي في هذا التفسير

٧٦٦ ثالثا : الكون والاعجاز العلمي

٧٦٨ رابعا : مع الطب في القرآن الكريم

خامسا : الإعجاز العددي في القرآن

٧٧١ الكريم

٧٧٦ رأي في هذه المؤلفات

١ باب الثالث : منهج المدرسة العقلية الاجتماعية الحديثة

٧٧٧ في التفسير

٧٧٨ تمهيد

٧٧٩ المراد به

٧٧٩ العقل في القرآن

٧٨٣ مكانة العقل في الاسلام

نشأة المدرسة العقلية الاجتماعية

٧٩٠ الحديثة

منهج المدرسة العقلية الاجتماعية الحديثة

٧٩٢ في التفسير

أهم مؤلفات المدرسة العقلية الاجتماعية

٨٨٤ الحديثة في التفسير .. .

- ٨٨٩ أولاً : تفسير القرآن الحكيم
- ٩٤٢ ثانياً : تفسير جزء تبارك
- ٩٤٩ رأيي في هذا المنهج
- ٩٥٥ الباب الرابع : الاتجاه الأدبي في التفسير
- ٩٥٦ تمهيد
- الفصل الأول : المنهج البياني في
- ٩٦٢ التفسير
- ٩٨٠ قصة تأصيل هذا المنهج
- ٩٨٥ مراحل ومعالمه
- ١٠٠٣ الدراسات التطبيقية
- ١٠٠٣ أمين الخولي
- ١٠٣١ عائشة عبد الرحمن
- ١٠٧١ محمد أحمد خلف الله
- ١٠٨٩ رأيي في هذا المنهج
- الفصل الثاني : منهج التذوق الأدبي
- ١١٠٢ في التفسير
- ١١٠٣ المراد به
- في ظلال القرآن . . سيد
- ١١٠٩ قطب
- ١١٠٩ المؤلف
- ١١٢٠ منهجه في التفسير
- ١١٨٨ ملاحظات على هذا التفسير

١١٩٣	الباب الخامس: الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم
١١٩٤	تمهيد
١٢٠٣	الفصل الأول : المنهج الإلحادي في تفسير القرآن الكريم
١٢١٥	الهداية والعرفان في تفسير القرآن
١٢٤٩	الفصل الثاني : منهج القاصرين في تفسير القرآن الكريم
١٢٥٠	تمهيد
١٢٥١	نماذج من هذا اللون في التفسير
١٢٦٣	القرآن محاولة لفهم عصرى
١٢٩٣	الفصل الثالث : اللون اللامنهجي في تفسير القرآن الكريم
١٢٩٤	تمهيد
١٢٩٧	رسالة الفتح
١٣٠٧	الخاتمة
١٣٢٧	دليل المحتويات
	دليل الآيات القرآنية
	دليل الاحاديث النبوية
	دليل الأعلام
	المراجع والمصادر

وهذه الأربعة في (ملحق) خاص إن شاء به تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله جعل القرآن ربيع قلوبنا وبهجة نفوسنا ونور عقولنا
وهادى علومنا ومدبر أمورنا ومرجع خلافنا وموئل شقاقتنا وحكم ما بيننا
ونظام دولتنا ومنهج أمتنا ومحار فكرنا وملجأ تائبنا وهادي ضالنا وشفاء
لما فى صدورنا .

الحمد لله أنزل الفرقان وخلق الانسان علمه البيان ومنحه عقلا
يميز به بين الحق والضلال على هدى القرآن .

الحمد لله أرسل الينا أفضل رسله من صفوه خلقه ليبين لنا
خير كتبه فأخرجنا من أحلك ظلمه الى أوضح سبيل . ووضح لنا معالم
دينه وسط لنا شرعه فهدى الى صراط مستقيم .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم بلغ الرساله
وأدى الامانه وجاهد فى الله حق جهاده فكان خير قدوة ومنار الهدى .
ورضى الله عن صحبه الكرام وأرضاهم ذادوا عن حياض الاسلام وباعوا
المهج والارواح فى سبيله كانوا جنود الاسلام حقا وجذوره الاولى فكانوا
خير القرون .

وكيف لا يكونوا خير القرون وفيهم رسوله وبينهم كتابه . . . وهم هم ..؟!
اذا أشكل عليهم معنى أو غمض عليهم مرمى جاءوا اليه عليه الصلاة والسلام
فوضحه لهم وبينه وجلا غموضه فحيوا به حياة طيبة وتحركوا ، وأبصروا به
السبيل وأدركوا . وتهذبوا به وتخلقوا وتمذهبوا به وتأدبوا ، وصلوا به
وأخبتوا به حاربوا وسالموا وبه قاموا ونهضوا وان شئت فقل ترقوا وتمدنوا
وبلغوا ما بلغوا فكانوا بحق جيلا قرانيا فريدا .

وكيف لا يكونوا كذلك وهم يستقون من نبع القرآن الصافي ومن معينة العذب . . وكيف لا يكونوا كذلك وهم اذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل إدارا كما منهم أنهم انما يتلقون أوامر الله سبحانه وتعالى لهم بالعمل فور سماعه ومن ثم لم يكن أحدهم ليستكثر منه في الجلسة الواحدة لأنه كان يحس أنه انما يستكثر من واجبات وتكاليف يجعلها على عاتقه (١)

ذلكم الاحساس كان يفتح لهم آفاق القرآن ويفتح لهم أبواب العلم والمعرفة ومع هذا فقد كانوا - رضى الله عنهم - لا يجدون في بسيط الأرض على سعتها ومد يد السماء على عرضها ملجأ إن هم قالوا فى القرآن بغير علم أو بما لا يعلمون .

على هذا المنهج الصافي والمورد العذب والنبع النقي كانت سيرة خير القرون . . وقدوة المسلمين وعلى قدر صفائه ونقاؤه كان صفاء ونقاء قلوبهم وعلى قدر مضاءه كان مضاء سيوفهم فحملوا الكلمة والسيف يحميها ووصلوا في سنوات معدودة ما حسبوه أقصى الأرض ولو علموا أحداً خلف ما وصلوا لخاضوا البحر اليه أداءاً للأمانة وعرفاناً للحق .

سار هذا المنهج يشق له طريقاً فى مسار التاريخ محافظاً على صفائه ونقاؤه تماماً كما يجرى النهر العذب على سطح الارض يسقيها فينبت الزرع ويروى العطش وتمعن للناظرين .

هذا المنهج كهذا النهر شق له طريقاً فى أرض التاريخ ينبوعه القرآن الكريم ومصبه رضوان رب العالمين من سلكه نجا وفاز فوزاً عظيماً ومن حاد عنه هلك وخسر خسرانا مبيئاً .

(١) معالم في الطريق : سيد قطب ص ٢٠

وكل سبيل وكل طريق تحف به الدروب والطرق متقاطعته متخالفه كان هذا المنهج فنشأت بجانبه مناهج أخرى وطرق شتى واتجاهات عده . . ومنها ما سلك هذا النهر واختلفت به المراكب ، ومنها ما حاد عنه وزاغ ، ومنها ما وقف على شاطئه يلقي فيه بالأذى والحجاره يحسب نفسه تستطيع له سداً أو منعاً . وما درى ذلك المسكين أنه يجني على نفسه ، وأنه لن يبلغ شأواً ولن يقوم له أثر .

وما زالت هذه المناهج تزداد وتتنوع وتتسع وتضيق وتتجدد وتدرس . منها ما هو في دائرة المقبول ومنها ما هو في دائرة المرفوض ومنها وما يحوم بين الدائرتين يضرب هنا وهناك .

ولعل بزوغ شمس القرن الرابع عشر الهجرى نفث في روح هذه المناهج الحياة من جديد - بعد أن فترت حيناً من الدهر - بما جاء به من وسائل مدنيه وأدوات حضارية تعين على الاطلاع وتساعد على الانتشار .

فأشرقت بشروقها شمس المناهج التفسيرية للقرآن الكريم بما فيها من حق وما فيها من باطل .

وغربت شمس منذ بضع سنين وغلقت أبوابه بما فيها من مناهج قديمه وجديده لكن المؤلفات فيه نفذت منه الى القرن الجديد وما زالت تبين أيدينا نطلوها ونقرؤها ونطبعها وننشرها .

فكان حقاً واجباً أن تقدم دراسة وافيه للمناهج في هذا القرن يبين فيها الاصيل والدخيل والصحيح والسقيم والمقبول والمردود علناً نتدارك في قرنا الجديد مساويء سابقه وتأخذ منه محاسنه فنكون بذلك قد خطونا خطوات عزيزه ونكون بذلك قد استفدنا ممن قبلنا ونفيد من بعدنا في تنقيه التفسير ومناهجه مما أصابه من الشوائب عبر القرون الماضيه منذ أن كان صافيا نقيا الى يومنا هذا فنعود به كما كان ويصلح آخر هذه الأمه بما صلح به أولها .

وإذ كان الأمر كذلك فقد اخترت لنفسى أن أكتب هذه الدراسة
لكتب التفسير في القرن الرابع عشر الهجري وان كنت أدرك من نفسي
قصورها ومن الموضوع سعته لكنى أعلم أن كل نفس مكلفه بما تستطيع فما
وجدت لي عذرا أن أتركه ولم أجد أحدا قد سده .

فأخترت " اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري " عنوانا
لموضوع رسالتي لنيل درجة الدكتوراه ، لأسباب عديده سبقت الاشارة
اليها ومجملها خمسة أمور :

أولها : أنا نعيش بعد القرن الرابع عشر الهجرى مباشرة وما زالت الكتابة
فيه بكرا . وما تزال الاتجاهات فيه واضحة المعالم بينة السبل
المستقيم منها والمنحرف .

ثانيها: ان في الامكان توجيه الازهان الى الحق منها وسلوكه والتحذير
من المنحرف وطمسه وتقويم المعوج وتعديله فما تزال الجادّه فيه رطبه
وما زالت الاغصان منه لينه .

الثالثها: ما اختص به هذا القرن من بين القرون السالفه كلها من سهولة
نشر المؤلفات وعرضها على الناس في وقت قصير مما كان له الاثر في
كثرة المؤلفات وسرعة انتشارها بين الناس فكانت دراسة هذه المناهج
وعرضها أولى من غيرها نظرا للحاجة الى ذلك .

رابعها : ما جدّ في هذا القرن من مناهج في التفسير بعضها
له جذور في القرون الماضية وبعضها جديد كل الجده
ما يوجب درسه ونقده وبيان ماله وما عليه .

خامسها : ان وسائل التفسير لم تكن فيه كما كانت من قبل عبر الكتابة والتدوين
بل جد فيها وسائل الاعلام الحديثة كالاذاعه والصحافة والرائسى

والندوات والمؤتمرات وغير ذلك فكانت الحاجة ماسة لوضع المقاييس الصحيحة
فى أيدى الناس يزنون بها ما يسمعون وينقدون بها ما يقرأون .
والاسباب غير ذلك كثيرة لا أظن أحداً يجهلها ، ولعل فيما ذكرت منها
الكفاية .

ويلمس الحاجة الماسة الى ذلك كل من جلس مجلساً ضم أشخاصاً
اختلفت درجاتهم وتنوعت وطرح فيه للحديث موضوع التفسير وحدوده سيدرك
لأول وهله أن منهم من تلبس عليه السبل وتختلط عليه المناهج فلا يدرك
ادراكاً صحيحاً أبعاد التفسير المقبول وحدوده ولا معالم التفسير المرذود .
فقد يرد الصحيح ويقبل الخاطيء لا لشيء إلا لقصور فى مقاييسه أو لانه
سمعه من فلان أو علان .

وقد تلمس الحاجة الماسة عند من هم أعلى درجة من أولئك حين
ترى كثيراً من طلبة العلم وأهله يسألون بين حين وآخر عن ذلك التفسير
أو ذلك المفسر ما منهجه وما طريقته ويسألون عن الحق فى تفسيره
وسواه . وقد تجد هذا واضحاً فى رجوعهم الكثير للكتب التى تختص
بدراسة التفسير والمفسرين . ذلكم - مثلاً - كتاب " التفسير والمفسرون "
للشيخ محمد حسين الذهبى رحمه الله تعالى درس فيه اتجاهات
التفسير من العهد النبوى الى العصر الحديث ودراسته هذه وان كانت
دراسة سريعة عجلت إلا أنها قد سدت فراغاً كبيراً فى الدراسات القرآنية
يظهر هذا فى أنه قل أن تجد باحثاً فى هذا المجال إلا ويرجع الى هذا
الكتاب ويستفيد منه .

وقد تلمس الحاجة لِمسا سريعاً حين يوجه اليك أحد هم - وكثيراً
ما يحدث هذا - سؤالاً يطلب منك فيه أن تدله على كتاب فى التفسير
يقرؤه . يسأل هذا ليس لعدم معرفته لتفسير القرآن ولكن لأنه يعترف
كثيراً منها فأختلط عليه الحابل بالنابل وأصبح لا يفرق بين غشها وسمينها

فهو هنا بحاجة الى من يميز له بين هذا وذاك فوجه اليك سؤاله .
لست أريد هنا أن أقرر الحاجة الى مثل هذا البحث لكنى أردت أن
أبسط الواقع الذي يعيشه الناس في عصرنا هذا مع هذا الفيض من
المؤلفات في التفسير .

الدراسات السابقة :

وقد عثرت على بعض المؤلفات التي لها صلة في موضوعي هذا
وان كان بينها وبينه فارق الا أنى أحب أن أشير اليها سريعا فمنها :
١ - اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث . للدكتور عفت محمد
الشرقاوى ، ومن عنوانه يظهر اقتصره على بلد واحد من بلدان
العالم الاسلامي وان كانت هذه البلاد من أوفى البلاد الاسلامية
وأكثرها الا أن هناك اتجاهات ظهرت في مناطق أخرى ولا وجود
لها في مصر زد على هذا أنه بحث فيه ثلاثة اتجاهات هي :

١ - الاتجاه الاجتماعي في التفسير الحديث

٢ - الاتجاه الادبي في التفسير الحديث

٣ - الاتجاه العلمي في التفسير الحديث

وليست هذه - كما سيظهر ان شاء الله في هذه الدراسة هي
كل اتجاهات التفسير في العصر الحديث . ولعل لهذا أثره في تغيير
اسم الكتاب لما طبعه صاحبه مرة أخرى فسماه " الفكر الديني في مواجهة
العصر "

٢ - اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر

للدكتور محمد ابراهيم شريف ، ومع أن هذه الدراسة قيمة وجادة الا
أن تقيدها بكلمتي " التجديد " و " في مصر " قصر الدراسة عن الهدف
الذي أريده زد على هذا اختلاف منهج الدراسة وطريقتها : اختلافا كلياً .

ولا يقلل هذا من شأن هذا الكتاب فله عندى مكانة رفيعة فى موضوعه .
لكنى أردت بيان الفاصل بين موضوع بحثه وموضوع بحثى .

٣ - اتجاه التفسير فى العصر الحديث منذ عهد الامام محمد عبده
الى مشروع التفسير الوسيط للشيخ مصطفى محمد الحديدي الطير .
وهو بحث ألقاه المؤلف فى المؤتمر السادس لمجمع البحوث الاسلاميه
والغرض الذى كتب له هذا البحث لا يوجب الاستيفاء والشمول فكان فيه
إجمال لمناهج كثيره أو عدم تعرض لها على الاطلاق .

٤ - اتجاهات التفسير فى العصر الراهن

للدكتور عبد المجيد عبد السلام المحتسب .

وقد صدر هذا الكتاب بعد تسجيلى لرسالة الدكتوراه بفترة قصيره
وقد بادرت للحصول على نسخه منه وكنت أظنه كمسماه ولكنه لم يكن كذلك فقد
صدر الجزء الاول منه وفيه اتجاهات ثلاثة :

١ - اتجاه سلفى

٢ - اتجاه عقلى

٣ - اتجاه علمى

ووعده بعد ور الجزء الثانى وفيه مناهج أخرى ولم يصدر هذا الجزء
حتى ساعتنا هذه - فيما أعلم - زد على هذا أن دراسته لهذه الاتجاهات
الثلاثة بحاجة الى اعادة النظر :

فقد اتخذ بعناوين بعض التفاسير فهو يصنف مثلا تفسير " التفسير

القرآنى للقرآن " للاستاذ عبد الكريم الخطيب تحت الاتجاه السلفى لالشيء
الا لعنوان التفسير ولست بهذا أعظم تفسير الخطيب ولكنى أراه ذا اتجاه
آخر أضف الى هذا أنه يعنى بكتاب التفسير أكثر من عنايته بالمنهج
الذى ينتمى اليه هذا التفسير فهو أشبه ما يكون فى جزئه الاول بدراسة

لكتب في التفسير أكثر منه دراسة لاتجاهات التفسير وبينهما فرق لا يخفى .
أما ما عدا ذلك من الدراسات التي اطلعت عليها فهي دراسات
غير منهجية أو دراسات خاصة بمنهج واحد من مناهج عديده .
لهذا فقد عزمت بتوفيق الله سبحانه على الكتابه في موضوعي هذا
" اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري "

مخطط البحث :

وبعد دراسة لهذا القرن الرابع عشر والمؤلفات التفسيرية فيه
وبعد سؤال أهل الذكر ومشورتهم قرّرت على أن تكون خطة البحث
في مقدمه وتمهيد وخمسة أبواب وخاتمه كالآتي :-

١. المقدمة

٢. التمهيد : تحدثت فيه عن نشأة التفسير في عصر الرسول
صلى الله عليه وسلم ثم المراحل التي مر بها عبر العصور
الاسلامية ثم تحدثت عن مناهج المفسرين السابقين وأهم
المؤلفات في كل منهج قصدت بهذا أن أضع قاعدة ترتكز عليها
مناهج واتجاهات المفسرين في العصر الحديث لنعرف ما كانت
جذوره من الجديد ضاربة في القديم وراسخه وما كان منها
جديدا يزيدها جمالا وبها^{١٤} وما كان نشازا منحرفا ثم تحدثت
عن فترة الركود في العالم الاسلامي . حتى عصر النهضة الاسلامية
الحديثه ونهضة المؤلفات التفسيرية خاصة والمناهج التي قامت
مع قيامها اجمالا .

٣. الباب الاول

تحدثت فيه عن الاتجاه العقائدي في التفسير . وعנית فيه
بالتفاسير الحديثة التي تعنى بابرار جوانب العقيدة وبيان

دقائقها والرد على الخصوم بحيث يظهر فيها طابع الاهتمام ببسط العقيدة التي يعتقد ها صاحب التفسير وان كان لا يهمل اهمالا تاما الجوانب الاخرى .

وتطلب هذا منى أن أنظر في العقائد الاسلامية المعاصرة الحق منها والباطل وأن أنظر في النتاج العلمي لهذه الفرق عامه وفي التفسير خاصه .

أما الفرق فكثيره وعديده منها ما هو اسلامي حقا ومنها ما شطح وانحرف ومنها ما خرج عنه وابتعد ، ولو كانت دراستي هنا دراسة ملل ونحل للزماني الحديث عن كل واحده منها ومادام الأمر غير ذلك فإنى تحدثت عن الفرق التي لها نتاج في التفسير منشور ومن هنا فانى تحدثت عن أربع فرق .

أولها أهل السنه والجماعه وثانيها الشيعة وثالثها الأباضية ورابعها الصوفيه وما عدا هذه الفرق فلم أتحدث عنه إما لأنه إندثر وبأد أو لأنه لا نتاج لهم في التفسير أو لأنهم خارجون عن الاسلام بالإجماع كالبهائيه والقاديانيه وغيرهم .

وعلى هذا فقد جاء الباب الأول في أربعة فصول

الفصل الاول : منهج أهل السنه والجماعه في التفسير .

الفصل الثاني : منهج الشيعة في التفسير

الفصل الثالث : منهج الأباضية في التفسير

الفصل الرابع : منهج الصوفية في التفسير

ولا أكتكم حديثا أني عانيت في هذا الباب والباب الاخير - كما سيأتى

بيانه ان شاء الله - كثيرا في جمع المادة العلمية أولا ثم قرآتها ثانيا

واستخراج منهاجها ثالثا ولا تخفى صعوبة العثور على مؤلفات أرباب الفرق

المعاصرة خاصة اذا علمنا أن بعض هؤلاء لا يحرصون على نشر كتبهم ولا على اطلاع غيرهم عليها بل ولا يسمحون أحيانا لأصحابهم بالاطلاع وقد حدثنا أصغر فيضى مثلا في مقدمته لتحقيق كتاب " دعائم الاسلام " وهو من كتب الاسماعيليه مالا قاه من صعوبة فى جمع المخطوطات حتى أن صاحب احدى النسخ لم يسمح له بالاطلاع على نسخته الا لمدة ساعة واحدة ولم يتركه ينفرد بها بل أقام ابنه على رأسه حتى انتهت الساعة فأخذها منه هذا مع أصحاب مذهبهم فكيف بالآخرين .

وأضرب مثلا لمعاناتى ما حدث لى فى الحصول على تفسير لاحد المذاهب المعاصرة مع أن أتباعه ينكرون التقيه ويرفضونها ومع هذا فقد التقيت بأحد علمائهم وشرحت له مهمتى فرفض أن يعيرنى أو يقدم لى شيئا من كتبهم واتصلت بالمكتب الثقافى الذى يقوم بطبع مؤلفاتهم ولم أجد أى مساعده واتصلت بسفارتهم هناك وكان الصدود المقصود .

وعدت الى الرياض هنا وكتبت الى سفارة بلادهم والى وزارة التراث القومى عندهم والى مفتي بلادهم وفى كل حاله لا أجد الا الصمت المطبق ثم ومن حيث لا أحتسب هيا الله لى الحصول على ما أردت .

ولم ينته الأمر الى هنا أولم أشأ أن ينتهى اليه فأردت أن أصل معهم الى أقصى خطوه فكتبت الى أحد علمائهم البارزين والمختصين بنشر تراثهم أعرض عليه أن أرسل اليه بصوره لما كتبتة عن مذهبهم ليبدى رأيه فيما كتبت أو إن كنت قد قلت عنهم حرفا ليس من بطون مؤلفاتهم أو ان كنت نسبت اليهم عقيدة أو قولا ليس فى عقائدهم . ومع هذا فقد كان الجواب الصمت ..

كنت أظن الأمر غير مقصود أول مرة وثانيها وثالثها أما بعد ذلك فقد حسبتة غير ذلك لا تسألونى عن السبب فما زلت أبحث عنه .



عذرا لحكاية حادثة مادعاني لذكرها هنا الا انها ليست حادثة شخصية بل هي حادثة علمية من حق أهل العلم علي أن أنشرها وأن يعلموا بها .

أولئك نفر وذلك موضع واحد من المواضع التي جهدت في الحصول على بعض مؤلفاتهم حتى حصلت والحمد لله .

أما من لم أحصل على كتبهم فيرجع سبب ذلك الى أحد أربعة أسباب :

أولها : أن كتبهم سرية لا يطلع عليها أحد سواهم . . كالفرق الباطنية .

ثانيها : أن كتبهم مصادره أولم يؤذن لها بالنشر .

ثالثها : أنهم لم يؤلفوا في التفسير أولم يطبعوا ما تم تأليفه لأسباب خاصة كالزيدية مثلا .

رابعها : قصوري الشخصي الذي لا يمكنني من الاطلاع على كل المؤلفات في التفسير .

هذا ما أردت بيانه في المقدمة فيما يتعلق بالبواب الاول ومعدرة

ان كان فيه إطاله فما قصدت الا البيان .

∴ الباب الثاني

وتحدثت فيه عن الاتجاهات العلمية في التفسير وقسمته الى ثلاثة

فصول

الفصل الاول : تحدثت فيه عن المنهج الفقهي في التفسير وتناولت

كتب تفسير آيات الأحكام .

وفي الفصل الثاني : تحدثت عن المنهج الأثري في التفسير ونعني

به كتب التفسير بالمأثور .

وان كانت كتب التفسير عامه تكاد لا تخلو من تفسير آيات الاحكام كما
أن بعضها يوجد فيه تفسير بالمأثور . لكنى عنيت المؤلفات التي اقتصرت
على تفسير آيات الاحكام ولم تتناول غيرها في الفصل الأول أو المؤلفات
التي أبرزت التفسير بالمأثور وأولته مزيد اهتمام وتتبعته حتى أصبح
طابعها العام في الفصل الثاني .

أما الفصل لثالث : فتحدثت فيه عن المنهج العلمي التجريبي في
التفسير وهو منهج وان ضربت جذوره في عصور مبكره في تاريخ الاسلام والآن أنه
اتسع في العصر الحديث اتساعا كبيرا حتى كاد أن يصبح من سمات التفسير
في هذا العصر أو كأنه ولد في هذا العصر وقد بينت أصوله التي يضرب
اليها في العصور السابقه ثم نهضته في العصر الحديث والحدود التي وصل
اليها وما لهذا المنهج وما عليه أو المقبول منه والمردود .

∴ الباب الثالث :

وتحدثت فيه عن " الاتجاه العقلي الاجتماعي في التفسير ، وانما
مزجت فيه بين صفتين (العقلية والاجتماعية) لأنه قد اشتهرت بهما
في العصر الحديث مدرسة واحدة في التفسير هي مدرسة الاستاذ الامام
محمد عبده ولا يعنى هذا أن لا يكون قد شاركها أحد في التفسير الاجتماعي
الذى يعنى باصلاح المجتمع وتشخيص عيوبه ثم علاجها على ضوء القرآن
وانما يعنى أن هذه المدرسه قد أولت هذا الجانب من التفسير اهتماما
خاصا وأنزلته منزله كبيره حتى اشتهرت به وعرفت بل ولقبت به فصار بعضهم
يسمونها المدرسه العقلية وآخرون يسمونها المدرسه الاجتماعيه ولذا رأيت
أن أهزج بين الصفتين في اتجاه واحد .

٠. الباب الرابع

وتحدثت فيه عن الاتجاه الأدبي في التفسير وفيه فصلان :-

الفصل الاول : المنهج البياني في التفسير ، وتحدثت فيه عن مدرسة أمين الخولي التي اهتمت بهذا اللون من التفسير حتى أصبح سمة لتفاسيرهم وقام به من بعده تلاميذه حتى كان له أسسه وقواعده .

وفي الفصل الثاني : تحدثت عن منهج التذوق الأدبي للقرآن الكريم ومع ندرة المؤلفات في هذا المنهج فان ما أحدثه تفسير سيد قطب رحمه الله تعالى من أثر في العصر الحديث ومن تلقى الأمانة له بالقبول والرضا يرسم خطوطا واضحة لمنهج في التفسير جديد حتى وان لم يسلكه حتى الآن الا مفسر واحد لأن السالك هنا هو سيد قطب وحسبك به .

٠. الباب الخامس

" الاتجاه المنحرف في التفسير " وهذا المنهج وان كانت ولادته بدأت منذ العصور الاولى في صدر الاسلام الا أنه في العصر الحديث اتخذ أشكالا وألوانا أخرى ولهذا فقد قسمت الحديث فيه الى ثلاثة فصول .

الفصل الاول : المنهج الاحادي في التفسير .

وقصرت الحديث فيه على التفاسير المنحرفة لعلماء متخصصين توفرت فيهم أكثر شروط المفسر ومع هذا جاء تفسيرهم منحرفا ملحدا وينبغي أن ينبه هنا الى أمرين هاميين جدا في هذا المنهج بالذات .

أولهما : أنه يجب التفريق بين التفسير الملحد والمفسر الملحد فقد يكون أحدهم ملحدا وتفسيره مقبولا لان الاحاد جاء في غير هذا الموضع وقد يكون الامر عكس هذا فنعرض تفسيراً ملحداً وصاحبه غير ذلك لأنه قال بهذا التفسير من غير أن يعلم ما يوقعه فيه أو ما يلزمه وحين نبه الى خطئه وضلال تفسيره تاب وأناب وبقي تفسيره ملحداً .

قصدت من هذا أن أبين أن من الاعلام الذين ذكرتهم من استقام وقد يكون فيهم من رجع عن تفسيره وقد يكون منهم غير ذلك .

ثانيهما : أنى تحدثت أولا عن المنهج عامة فأجمع فيه الشوارد من هنا وهناك وقد لا يكون لصاحب التفسير الذى أتيت به غير هذا التفسير وبهذا فلا يكون من أصحاب المنهج ولا من ملتزميه .

وأضرب لذلك مثلا حين أورد تفسيراً ملحداً لآيه قرآنية أو لايتين لأحمد حسن الباقوري فان هذا لا يعنى أن الباقوري صاحب منهج ولا يعنى أنه من ملتزميه بقدر ما يعنى أن هذا التفسير لهذه الآيه أولهما تفسير ملحد يدخل في هذا المنهج من غير أن يدخل صاحبه معه في المنهجية والالتزام .

ثم انى تحدثت ثانياً عن أمثله خاصة للمنهج فذكرت تفاسير الترمذى والمنهج الاحادى في التفسير التزاماً حقيقياً ليس في آيه أو آيات بل في قدر من الآيات تظهر فيه أسس متكامله للمنهج الاحادى وحتى صار طابعها فأصبحت جزءاً منه .

هذان أمران أحببت التنبيه اليهما حتى لا يقول قائل وضعت فلاناً مع الملحدين وهو ليس كذلك أو يقول آخر جعلت لفلان منهجاً في التفسير وهو الذى لم يفسر من القرآن الا آيه أو آيتين ولعل ما أردت بيانه قد بان .

وفى الفصل الثانى :

تحدثت عن منهج المقصرين فى التفسير وأعنى بهم طائفة لم يدرکوا شروط المفسر ولم يمنعهم هذا من أن يقولوا فى القرآن بغير علم ، وانما سميته بهذا الاسم لأن أصحابه قصروا عن استيفاء شروط المفسر فكانوا كالقاصر فى التصرفات .

وفى الفصل الثالث :

تحدثت عن اللون اللامنهجى فى التفسير وهم قوم ليسوا من هؤلاء
ولا من أولئك حيث جاءوا بتفاسير لا تقوم على سند شرعى ولا على سند
علمي آخر بل جاءوا بها خبط عشواء فلا تناسق ولا تناسب فيما بينها
فهم لا يسيرون على منهج ولا يسلكون دربا واحدا بل يذهبون يمنة
ويعودون من حيث لا يشعرون يسره عافانا الله واياكم من الزيغ والضلال .

∴ الخاتمة

وفى الخاتمة تحدثت عما توصلت اليه من نتائج وبينت المنهج السليم
فى تفسير القرآن الكريم ، وعن أسس المنهج الذى يطلبه ابناء العصر
الحديث والذى يجب - فيما أرى - أن يوليه أصحاب العلم والمعرفة من
ذوى الاختصاص عنايتهم وأن يوجهوا اليه همتهم .

وينبغى أن أشير الى أمور أرى ضرورة التنبيه اليها هنا فى المقدمه :
منها أنى جانب - ما استطعت - الاستطراد فى الابحاث وكان بأمكنه
مادامت أرض البحث مترامية الاطراف أن أستطرد فى أبحاثه وأتوسع الا أنى
خشيت أن يكون الاستطراد على حساب المادة العلمية الأصيله ولذا فانى
اقتصرت فى أكثر الابحاث والمناهج على تقديم موجز لتأريخها والدراسات
السابقه لها ان كان لها سابق - ثم ذكر أصولها وقواعدها وذكر أهم
المؤلفات فحسب ثم اثبات ذلك بذكر نصوص متفرقه من هذه المؤلفات جميعا
حسب اسس المنهج ثم دراسة لتفسير واحد أو لتفسيرين أظهر بها توفّر
هذه الاسس مجتمعه فى كل واحد منهما وهذا أثبت أسس المنهج أولا ثم
الترام بعض المؤلفات له ثانيا وأرى ما نقص عن هذا قصورا حاولت تجنبه
وما زاد عليه اطنابا حاولت تلافيه ولعلي وفققت فى ذلك ان شاء الله .

ومما يلزم التنبيه اليه أيضا أنى قدمت الاتجاه العقائدى فى التفسير وقد مت فيه منهج أهل السنه والجماعه فيه ليكون فى أول الدراسه ميزانا يزن به القارىء ما يراه بعد من آراء . ونورا يتبين به معالم الطريق . . ومعولا يهدم به صوامع الضلال والانحراف . ولهذا فانسى لم أقف كثيرا فى الرد على بعض التفاسير الخاطئة اذ لو فعلت لجاء البحث بأضعاف حجمه وكان فيه من التكرار ما يبعث الملل ويفقد المنهجية فاكثفت بتقديم بيان المنهج الحق فى التفسير وحاولت جهدى أن أبين فيه الحكم الصحيح والتفسير الحق للمواضع التى تعد أصولا لمنهج آخر كرد متقدم على تفسير أو تفاسير خاطئة متأخره .

فأذكر مثلا موقف أهل السنه والجماعه من الصحابه رضى الله عنهم وأرضاهم وبه يرد على ما يتلوه من مناهج يقلل أصحابها مكانة الصحابه رضوان الله عليهم أو من مكانة بعضهم .

وأذكر مثلا موقف أهل السنه من عقيدة البداءة والتقيه والعصمه ونكاح المتعه وان كانت هذه الابحاث لا تعد من أصول عقائد أهل السنه أو من أسس منهجهم - كرد على من صرفوا آيات القرآن لتوافق ما جاءوا به . وأظن الأمر بعد هذا قد أصبح واضحا .

ومن الملاحظات التى أنبه اليها أنى لا أنقل عقائد مذهب وأصوله الا من مؤلفات اتباعه فلم أنقل عقائد الشيعة مثلا الا من مؤلفاتهم ولا الاباضية الا من كتبهم وهذا أمر واجب فى مثل هذه الابحاث فألزمته به نفسى فالتزمته والحمد لله .

ومنها أنى قد أذكر تفسيراً فى منهج وأذكره فى منهج آخر لا يكون متعارضا مع المنهج الاول . فقد يكون مثلا تفسير " أضواء البيان " للشيخ محمد الامين الشنقيطى رحمه الله تعالى مثلا لمنهج أهل السنه

والجماعه في التفسير ولا يمنع هذا أن يكون مثالا للتفسير بالمأثور . لاشتماله على المنهجين وعدم التعارض بينهما . وحين أفعل ذلك فقد يكون الباعث له أحد أمرين :- اما قلة التفاسير في منهج فأضطر الى ذكر تفسير سبق التمثيل به لمنهج آخر ، واما لكون هذا التفسير التزم المنهجين التزاما بينا حتى ظهرا فيه ظهورا أوضح من غيره . فأذكره هنا وأذكره هناك .

ومن ذلك أيضا أنه لم يكن من شأنى بطبيعة الحال أن أتحدث عن المفسرين جميعا أو التفاسير كلها . كلاً منها أو منهم على حده فهذا عمل تقصر عنه طاقتى ويعجز عنه جهدى ويضيق عنه مجال البحث . لذلك ذكرت في كل منهج ما يثبت وجوده في فترة البحث ومجاله ، ودرست أبرز التفاسير في ذلك وعנית بالجانب التطبيقي لاثبات ما أقول حتى لا يكون فيما أسوقه مظنه وقد سُبِّحَتْ الى هذه الطريقة (١)

ولذلك قد لا أذكر في كتابى هذا تفسيراً بعينه وان كان كبيراً مادمت أشرت الى غيره مثالا لمنهجه .

ولقد أشار التزام هذه الطريقة كما أثار على غيرى ممن نهجوا هذا النهج صعوبات كثيرة لعل أولها أنى لأكاد أنس الى طريقة مفسر واسلوسه حتى تنقلني طبيعة البحث الى مفسر آخر له اسلوسه الخاص وطريقته الخاصه بل ومذهبه الخاص وعقائده الخاصه وتلك صعوبه قد لا يعانيتها الا من يكابدها .

وألفت الانتباه أيضا الى أنى أذكر التاريخ حيناً ولا أضع حرف الهاء علامة للهجرى لأنه الاصل ، واذا ما ذكرت التاريخ الآخر فانى أذكر حرف الميم .

(١) انظر مثلا : الاتجاهات الفكرية في التفسير : د / الشحات السيد زغلول ص ٢ وقد تناول في دراسته التفاسير حتى نهاية القرن الخامس الهجرى .

وأخيرا أحب أن أوضح أمرا هاما كان حقه التقديم الا أن المسائل زاحمته فزحمته مع أنه قد يثور مع أول كلمة يواجهها قارىء هذا البحث حين يقرأ عنوانه " اتجاهات التفسير فى القرن الرابع عشر الهجري " فالمراد بالاتجاه ؟ وما المراد بالمنهج ؟ وما المراد بالطريقة ؟
والحقيقه أن تلكم الكلمات الثلاث اصطلاحات حديثة لم أجد لها - فيما قرأت - ذكرا عند أصحاب الدراسات القرآنية الأوائل ، وحتى أصحابها فى العصر الحديث لا تكاد تجد اتفاقا على معنى واحد لكل منها ولهذا ترى كثيرا منهم يعبر بهذه الكلمة مره وبالأخرى مرة عن مدلول واحد وترى آخرين منهم يذكرون تعريفا لكل مصطلح منها ويذكر غيرهم غيره .

وعلى كل حال مادامت هذه المصطلحات لم يقر قرارها فان من حقى أن أذكر هنا ما أردت بكل واحد منها .

وإذا كان الأمر كذلك فان الاتجاه - عندى - هو الهدف الذى يتجه اليه المفسرون فى تفاسيرهم ويجعلونه نصب أعينهم وهم يكتبون ما يكتبون أما المنهج فهو السبيل التى تؤدى الى هذا الهدف المرسوم ، وأما الطريقه فهى الاسلوب الذى يطرقه المفسر عند سلوكه للمنهج المؤدى الى الهدف أوالاتجاه .

أضرب لذلك مثلا جماعة يريدون السفر الى مدينه واحده ، فانطلقوا واتجاههم تلكم المدينه لكنهم سلكوا مناهج مختلفه منهم من سلك المنهج الجرى الاول ومنهم من سلك المنهج الثانى ومنهم من سافر جوا ومنهم من سافر بحرا وغير ذلك وهذه كلها مناهج لاتجاه واحد . أما الطريقه فتظهر حيث أن أحد هؤلاء اتجه اتجاهها مباشرة الى الهدف وجعل آخرون سفرهم سياحه فلا يمرزن فى استراحه الا واستراحوا فيها ولا يمرزن بمدينه

أوبقرية الا ويتجولون فيها ولا يمرون بروضة أو حديقة الا ويقضون سحابة يومهم فيها ولا يمرون بواد أو بجبل الا ويملأون النظر من تأمله . يفعلون هذا وهم سائرون على المنهج لا يخرجون عنه بعيدا ولا يسلكون منهجا آخر بعيدا عن الهدف .

ذلكم في رأي هو مثل الطرق الخاصة للمفسرين وان شئت تطبيقه على اتجاهات ومناهج وطرق المفسرين فاليك البيان .

قد يكون الهدف (الاتجاه) هو مسائل العقيدة وتقريرها وبسيط معالمها والذود عنها وما يتعلق بهذا ويظهر هذا الهدف على مجموعة من التفاسير فيكون الاتجاه لهذه التفاسير " الاتجاه العقدي " .

ويسلك كل واحد من هؤلاء المفسرين سبيلا خاصا لتقرير العقيدة فيسلك أحد هم أصول عقيدة أهل السنة والجماعة فيكون منهجه " منهج أهل السنة والجماعة " ويسلك آخر أصول عقيدة الشيعة فيكون منهجه " منهج الشيعة " ويسلك ثالث أصول عقيدة الإباضية فيكون منهجه " منهج الإباضية " وهكذا .

وقد تختلف طرق هؤلاء في التفسير بل قد تختلف طرق أصحاب المنهج الواحد . فيبدأ أحد هم بالنص أولا ثم بيان المفردات ثم المعنى الاجمالي للآيات ثم يستخرج أحكامها ويختلف آخر فيذكر النص أولا ويمزج بين المفردات والمعنى الاجمالي ويتوسع في هذا المقام فييسط الحديث عند كل قضية ويرد على الشبه أثناء ذلك ويختلف ثالث فيذكر بعد النص بيان المفردات ويخلطها بشيء من المعنى الاجمالي ثم يعقد الابحاث المطوله بعد ذلك للقضايا التي تناولتها الآيات وقد يفسر الآيات مرتبه كما هي في المصحف وقد يختار سورا محدده وقد يختار موضوعا خاصا يجمع أطرافه من مختلف السور وهذا كله هو ما نقصده بطريقة المفسر .

ولعلني بهذا قد وضحت ما أردت من الاتجاه والمنهج والطريقه
وان كنت قد خالفت فيه غيري فلا مشاحه في الاصطلاحات .
وقد كتبت ما كتبت فان كان صوابا فمن الله ، وان كان غير ذلك
فممني وغفر الله لي .

وجزى الله عني خير الجزاء استاذي الدكتور مصطفى مسلم محمد
المشرف على هذه الرساله الذي وجدت فيه خير معين بعد الله فقد
كان وفقه الله دقيق الملاحظه حسن التوجيه ولا نزكي على الله أحدا ،
فجزاه الله عني خير الجزاء وأجزل له المشويه .

وجزى الله عني خير الجزاء كل من ساعد على اظهار هذه الدراسة
بمساعدي عند سفرهم لبعض البلد ان بالبحث عن كتب معينه واحضارها لي
أو إعارتي إياها أو إرشادي إليها ولئن كانت كثرتهم بارك الله فيهم
تمنعني من ذكرهم جميعا فانها لاتمنعني من أذكر شيخا جليلا
وقورا قدم لي كثيرا من الابحاث والتقارير عن بعض المؤلفات غير المنشوره أو
المصادره وهو البالغ من الكبر عتياً ذلكم الشيخ مصطفى محمد الحديدي
الطير جزاه الله خيرا .

كما لا يفوتني أن أدعولوالدي ان يجزيهم الله عني من الخير أجزله
ومن الثواب أعظمه جزاء ما أولياني اياه من حسن رعايه من غير سابق فضل
ومن غير كلل ولا ملل فلهما مني الدعاء أن يحفظهما ويمتد بحياتهما ويجعل
الجنه ثوابهما وسائر المسلمين .

وختام شكري وخالصه من قبل ومن بعد لله رب العالمين وصلى الله
وسلم على خير خلقه محمد وصحبه الى يوم الدين .

فهد بن عبد الرحمن الرومي

الرياض

يوم السبت ١٢ / ٥ / ١٤٠٥

التمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

نشأة التفسير :

حين من الدهر أتى على البشرية وهي تائهة ضالة على بسيط الأرض تعيش في بحار من الظلام وتسير في غمرة من الأوهام ، ثم شاء الله أن يبعث فيهم رسولا منهم يخرجهم من الظلمات الى النور .

فدب فيها دبيب الصحة والعافية في جسد أنهكه المرض ، وان شئت فقل أشرق فيهم نوره كما تشرق الشمس بعد ليل بهيم ، فاذا بالنور يضيء أرجاء الأرض لا يستطيع له عد و منعا ولا يستطيع له دفعا ، واذا به يغشى أبصار الذين كفروا واذا به يحرق أبصار أولئك ألقوا الظلمة وأعتادوا الضلال حتى صار جزءا من حياتهم فكانوا له محاربين وكانوا له معاندين ومكذبين ، ولم يكن هؤلاء ولا أمثالهم بالذى يزعزع من كيان هذا النور أو يؤثر في سيره في الكون .

لم يكن ذلكم النور الا دين الاسلام وعماده وأساسه القرآن الكريم الذى تداعى المسلمون لقراءته وحفظه والعمل به فلم يتجاوزوا عشر آيات وتعلموا ما فيها من العلم والعمل .

والعمل لا يكون الا بعد علم وبعد فهم وتدبر لمعانى القرآن الكريم وهكذا كان القوم رضى الله عنهم وألفهم والتدبر لا يكون الا بعد الكشف عن مرامى القرآن الكريم وبيان معانيه وحل الفاظه وجلاء دلالاته وهذه المعانى هى ما يجمعها مصطلح التفسير .

والقوم كانوا خالصي العروبه والقرآن الكريم نزل بلسان عربى مبين فلا عجب أن يدركوا جل ذلك بهذه الخاصة اذ راكا لا تعكره عجمه ولا يشوهه قبح ابتداع ولا يكدر صفوه عقيدته زائفه .

وكان عليه الصلاة والسلام يشرح لهم ما صعب عليهم فهمه بعد ذلك مما لا يعود فهمه الى اللغة ويجلس لهم ما عجزوا عن اذراكه امثالا لأمر به

" وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون " (١)
وكان هذا الفهم المرتكز أساسا على مدلول اللغز وبيان الرسول صلى الله عليه وسلم هو النواة الاولى للتفسير ، وهذا المنهج الصافي النقي كانت طريقة الصحابه رضی الله عنهم في فهم القرآن وان شئت أن ترى أثره فيهم فانظر الى أثرهم في مجتمعهم بل وخارج مجتمعهم .

كانوا في مجتمعهم مثلا شامخا للمجتمع الاسلامي الذي بعث من أجله محمد صلى الله عليه وسلم حتى جعلهم خير القرون وجعلهم القدوة لمن سيأتي بعدهم من المسلمين .

وكانوا خارج مجتمعهم جنودا للدعوة الى الاسلام بالكلمه الصالحه وبالنفس والنفيس حتى ارتفعت راية الاسلام في شرق الارض وغربها في بضعة سنين وحتى دانت لهم أرجاء المعموره .

كيف لا والقرآن الكريم احتوى جميع ما تحتاج اليه البشرية في أمور دينها ودنياها ما ضيها وحاضرها ومستقبلها في عقائدها وفي أخلاقها في عباداتها وفي معاملاتها في اقتصادها وفي سياستها الداخلية والخارجية في سلمها وفي حربها .

كيف لا وتفسير القرآن الكريم هو الجسر الموصل لهذه المبادئ والمفاتيح لهذه الكنوز .

لذلك فلا عجب ان يحرض المسلمون في ذلك الوقت على تلقي علوم التفسير وان يحضروا ذلك في مجالس الصحابه رضوان الله عليهم للتلقى عنهم مباشرة أو عن تلاميذهم من بعدهم .

واتسعت رقعة البلاد الاسلامية أرضا فدخلت فيه بلدانا أخرى واتسعت رقعته لسانا فدخلت فيه أمم أعجميه شتى بمختلف الألسنه ومختلف المذاهب والعقائد دخل فيه بعد المشركين الذين يعبدون الأوثان أمم مجوسيه ، وأهل كتاب وملل ونحل أخرى وكان لهذا أثره في مسار التفسير .

فكدرته من بعد العجمه وخالطة قبح الابتداع وتحكمت فيه عقائد فاسده زائفه جعلها بعض ذوى الملل والنحل أصلا يصرفون اليها التفسير ويلوونه اليها ليّا .

فتعددت من ثمّ مشارب التفسير وتنوعت من بعد مناهجه وطرقه فجذّب فيه مصادره محدثه وطرق مبتدعه وأهواء منكره ، وبقيت طائفه على المنهج الصافى الذى لا تكدره الأهواء ولا تبلبل أفكاره زائف العقائد تحكي مثال التزام المنهج الحق فى تفسير القرآن .
ولم يكن الفاصل بين تلك المرحلتين وجيزا أو قصيرا بل كان بينهما مراحل أخرى نحسبها مجتمعه هى مراحل التفسير التى مرّ بها من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم الى عصرنا الحاضر .

مراحل التفسير :

المرحلة الاولى : عصر الصحابه رضى الله عنهم وهو الذى سبقت الاشاره اليه ، وقد كانوا ان غمض عليهم معنى أو دق عليهم مرمى رجعوا اليه عليه الصلاة والسلام فجلاه لهم وبينه أحسن وأصدق بيان .

وقد كان التفاوت بينهم بينا فيما يحتاج الى اجتهاد شأن التفاوت فى عقول سائر البشر فكان بعضهم يرجع الى من قد يكون أكثر منه فهما لمعنى او اذ راكا لرمز ، وقد يكون أعلم فيما أحاط بالآيه عند نزولها من أحداث لها التأثير فى فهم مدلولها .

ونضرب لذلك مثلا ما رواه البخارى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال : كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر فكان بعضهم وجد فى نفسه فقال لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله فقال عمر أنه من حيث علمتم فدعاه ذات يوم فأدخله معهم فما رؤيت أنه دعانى يومئذ الا ليربهم قال ما تقولون فى

قول الله تعالى : اذا جاء نصر الله والفتح فقال بعضهم أمرنا
نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئا .
فقال لي أذاك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت لا قال فما تقول ؟ قلت
هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له قال اذا جاء نصر الله
والفتح وذلك علامة أجلك فسيح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا
فقال عمر ما أعلم منها الا ما تقول " (١)

هذا مثل واحد من أمثله كثيرة على تفاوتهم رضى الله عنهم اجمعين
في ادراك معانى القرآن الكريم و اشاراته .

ومع هذا فقد كان كثير منهم رضى الله عنهم يمتنع - متحرجا - فى
تفسير القرآن الكريم خشية من أن لا يوافق الحقّ قوله فهذا أبو بكر
الصديق رضى الله عنه وأرضاه وهو مثال الورع والايمان يقول
" أى سماء تظلمنى وأى أرض تقلنى اذا قلت فى القرآن برأىي أو بما لأعلم"
وروى عن غيره كثير من الصحابة نحو ذلك فى التحرج من القول فى التفسير
من غير علم ولم يكن هذا التخوف ليمنعهم عن القول فيما لهم به علم .
ولم يكن ذلك الجيل الفريد من المسلمين يتناول الاسرائيليات فى تفسيره
فقد كان عليه الصلاة والسلام حريصا على أن لا يستقوا من غير نبع الاسلام
الصافى ولذا فقد غضب عليه الصلاة والسلام حين رأى فى يد عمر رضى الله
عنه قطعه من التوراة .

وبطبيعة حالهم الذى أوتوه من المعرفة بدقائق اللغة فقد كانوا
لا يحتاجون الى الوقوف عند كل آية يتناولونها بالتفسير حيث يعرفون معناها
بالسليقة التى أوتوها ولذا لم يكن تفسيرهم شاملا للقرآن كله كما هو حال من
جاء من بعدهم .

ومن خصائص هذه المرحلة أيضا أنهم لا يتكلفون في التفسير ولا يتعمقون ذلك التعمق المذموم فاكتفوا من الآيات بمعناها العام ولم يلتزموا تفصيلا ما لافائدة كبيرة في تفصيله ، فيكتفون مثلا بمعرفة أن المراد بقوله تعالى " وفاكهه وأبا^(١) أنه تعداد لنعم الله تعالى على عباده^(٢) .

ومن خصائصه قلة التدوين فقد كانوا في غالبهم أميين ولا تتوفر وسائل وأدوات الكتابه ثم بعد هذا كله فقد نهاهم عليه الصلاة والسلام أن يكتبوا عنه شيئا غير القرآن خشية أن يلتبس عليهم كلامه بالآيات ثم أذن لهم بالكتابه بعد أن أمن عليهم من اللبس .

فكتب عبد الله بن عمرو بن العاص " الصحيفة الصادقة " كما سماها صاحبها حيث قال " هذه الصادقة فيها ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بيني وبينه فيها أحد " ^(٣) .

المرحلة الثانية : عهد التابعين

انتشر عدد من الصحابه في أرجاء العالم الاسلامي يلقون عن كاهلهم عبء الأمانة ويؤدون الرسالة ففتحوا مدارس التفسير في أنحاء البلاد . فأقامها عبد الله بن عباس رضي الله عنه في مكة المكرمة وكان من تلاميذه أئمة في التفسير منهم سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة مولى ابن عباس وطاوس بن كيسان وعطاء بن أبي رباح . وأقامها أبي بن كعب رضي الله عنه في المدينة وكان من تلاميذه زيد بن أسلم وأبو العالیه ومحمد بن كعب القرظي .

-
- ١ - سورة عبس : الآيه ٣١
 - ٢ - مجموع الفتاوى لابن تيميه : جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد ج ١٣ ص ٣٧٢
 - ٣ - الطبقات الكبرى : ابن سعد ص ١٨٩ قسم ٢ ج ٧ وتقييد العلم للخطيب البغدادي تحقيق يوسف العشي ص ٨٤ ، وهي موجودة في مسند الامام أحمد من ص ٢٣٥ ج ٩ والجزئين العاشر والحادي عشر بكاملهما وج ١٢ الى ص ٥١ .

وأقامها عبد الله بن مسعود رضى الله عنه في العراق وكان من تلاميذه
علقمه بن قيس ومسروق والأسود بن يزيد وعامر الشعبي والحسن البصرى
وقتاده بن دعامة السدوسي .

ولم يكن هناك من فارق كبير فيذكر بين منهج الصحابة ومنهج التابعين
لكونهم انما تلقوا التفسير عن الصحابة ، وورثوا عنهم أيضا الورع عن القول
في القرآن الكريم بغير علم فهذا سعيد بن المسيب كان اذا سئل تفسير آية
من القرآن سكت كأنه لم يسمع وهذا الشعبي يقول والله ما من آية
الا وقد سألت عنها ولكنها الرواية عن الله ، وهذا - كما قلنا عن
الصحابة رضى الله عنهم - محمول على تخرجهم عن الكلام في التفسير بما
لا علم لهم به فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعا فلا حرج عليه (١)
وثمة فروق بين المنهجين هي ثمرة اتساع انتشار العلم ودخول أمم
شتى ذات أفكار ومنازع متعددة كان له أثر في التفسير .

فاتسعت رواية الاسرائيليات لدخول كثير من أهل الكتاب في الاسلام
وكان عندهم علم من الكتاب لا قى نفوسا متفتحة لسماع تفاصيل أخبار القرآن
وقصصه فزجت طائفه منهم في التفسير بكثير من تلك الأخبار دون تحرر
لصحة أو تحقق لخبر .

وكثر الاختلافات والأقوال في التفسير للآية الواحدة بل للكلمة
الواحدة ، ومن جهة أخرى اتساع نطاق التفسير فشمّل آيات لم يشملها في
الفترة السابقة وذلك لدخول أمم اعجمية وأشخاص لم يعاصروا نزول الآيات
وأسبابها فكانت حاجة هؤلاء وأولئك ماسه لأن يبين لهم ما لم يبين من قبل
فاتسع بهذا مجال التفسير عمقا ومساحة .

وإزداد التدوين للتفسير في هذه الفترة فقد كثر عدد الكتاب وتوفرت
وسائل كتابه ونسخ المنع لكتابته شيء غير القرآن أو انتهى أمده لكنه لم

يكن مبوبا فكانت الاحاديث فيه غير مرتبه فحديث عن الزكاه يتلوه تفسير آيه عن الخمر مثلا ثم يتلوه حديث عن البيع ونحو ذلك ، ومما تم تدوينه في هذه المرحلة الصحيفة الصحيحة وهي التي املاها ابو هريره رضي الله عنه على همام بن منبه وهي موجوده في مسند الامام أحمد بكاملها ونقل الامام البخارى رحمه الله تعالى منها عددا كثيرا .

هذه بعض الفوارق بين منهج الصحابه رضي الله عنهم ومنهج التابعين..

المرحلة الثالثه : عصر التدوين

ونقصد بهذه المرحلة تدوين الحديث النبوى مبوبا ، وكون التفسير بابا من ابوابه حيث نشط في عهد الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى .

وكان لهم عناية خاصة بالاسناد . ولم تكن التفسيرات كلها مرفوعه الى النبي صلى الله عليه وسلم بل ضم اليها تفاسير الصحابه رضي الله عنهم وتفسير التابعين رحمهم الله تعالى .

ودخل في التفسير في تلك المرحلة الكثير من الاسرائيليات وزادت كثيرا عن المرحلة السابقه .

واتسع التفسير بالرأى فهذا مجاهد بن جبر يفسر قوله تعالى " ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين" (١) بقوله " مسخت قلوبهم ولم يمسخوا قرده وانما هو مثل ضربه الله لهم كمثله الحمار يحمل أسفارا " وقد رد عليه تفسيره هذا ابن جرير الطبرى رحمه الله تعالى وعقب عليه بما ابطله (٢) وهذا الحسن البصرى رحمه الله تعالى يفسر القرآن على اثبات القدر ردا على من ينكره ، وهذا قتاده بن دعامة السدوسى كان يقول بشىء من القدر (٣) .

١ - سورة البقرة . الايه : ٦٥
٢ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن : تفسير الطبرى ت . محمود وأحمد شاكر ج ٢ ص ١٧٣
٣ - الطبقات الكبرى : ابن سعد ج ٧ ص ٢٢٩

وهذا ولا شك كان نواة لظهور المذاهب الفكرية ونشأة التفسير بالرأى بعد ذلك .

المرحلة الرابعة : مرحلة "التصنيف"

ونعنى بها كتابة التفسير بالمأثور مستقلا عن الحديث شاملا لآيات القرآن مرتبا حسب ترتيب المصحف ومن المؤلفات في تلك المرحلة نسخة كبيره جمعها أبو العاليه . في التفسير عن أبي بن كعب ^(١) رضى الله عنه ، وكتب عمرو بن عبيد شيخ المعتزله تفسير للقرآن عن الحسن البصرى ^(٢) رحمه الله تعالى وكان عند زيد بن أسلم كتابا في التفسير ^(٣) . وألف اسماعيل بن عبد الرحمن السدى تفسيرا للقرآن ^(٤) بل ومن أشهرها تفسير الطبرى رحمه الله تعالى .

ومن خصائص تلك المرحلة :

- ١ - ان مادون فيها كان التفسير بالمأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه وتابعيهم . وكان مشوبا بالرأى وتأييد بعض المذاهب
- ٢ - انهم اعتنوا بالاسناد المتصل الى صاحب التفسير المرورى .
- ٣ - لم تكن لهم عناية بالنقد وتحري الصحه فى رواية الأحاديث في التفسير اكتفاء منهم بذكر السند بل كان بعضهم يذكر كل ما روى في الآيه من صحيح وسقيم ولم يتحرر الصحه بل لم يقصد ها كابن جريج مثلا ^(٥) .
- ٤ - اتسعت الروايه بالاسرائيليات في تلك الفترة ، اتساعا كبيرا ودون كثير منها في التفسير .

-
- ١ - التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبى ج ١ ص ١١٥
 - ٢ - وفيات الاعيان : ابن خلكان ج ٣ ص ١٢٢
 - ٣ - تذكرة الحفاظ : شمس الدين الذهبى ج ١ ص ١٣٣
 - ٤ - الاتقان : السيوطي ج ٢ ص ١٨٨ . تفسير الطبرى ج ١ ص ١٥٦ - ١٦٠
 - ٥ - التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبى ج ١ ص ١٥٥

المرحلة الخامسة :

وهي من أهم مراحل التفسير وأخطرها وكأنما كان كل ما شاب التفسير في المراحل السابقة من كدر انما هو تمهيد وتوطئه لتلك المرحلة . حيث وجدت فيها طائفة من أعداء الاسلام فرصة لبث أفكارهم وشبهاتهم ودرس أكاذيبهم عبرها .

وكان من خصائص تلك المرحلة أنهم اختصروا فيها الأسانيد ونقلوا الآثار المروية عن السلف دون أن ينسبوا لقائلها (١) . مما سهل لأعداء هذا الدين وممن يريد الكيد له أن يبث سمومه بهذه الطريقة فتلتبس على كثير من المسلمين .

ومن خصائصها أن ازداد القول في التفسير بالرأى واتسع مجاله المذموم منه والمحمود ، وتجروا على القول في القرآن من غير علم وحرص بعضهم على الاكثار من ايراد الأقوال في تفسير الآية الواحدة ، فصار كل من يسنح له قول يورده ومن يخطر بباله شيء يعتمد عليه فيأتي من بعده فيظنه صحيحا أو أن له أصلا .

أما عن الاسرائيليات وغزوها للتفسير في هذه المرحلة فحدث ولا حرج فهو عصرها الذهبي واشتغلوا بها عن البحث الجاد الأسمى في أمور الدين .

المرحلة السادسة :

وهي نتيجة حتمية للمرحلة السابقة حيث انفتح الباب على مصراعيه فدخل منه الغث والسمين الصحيح والعليل ولم يزل الباب مفتوحا الى عصرنا هذا .

فدخل في التفسير من هوليس من أهله ، وقول مسار التفسير التي أن يعتنى أرباب العلوم بما يوافق مذاهبهم وعلومهم فكان كل من برع في علم

١ - الاتقان في علوم القرآن : السيوطي ج ٢ ص ١٩٠

من العلوم غلب ذلك على تفسيره . فالفقيه يكاد يسرد فيه الفقه ولا شيء سواه وربما استطرد الى اقامة أدلة الفروع والرد على المخالفين .. كالقرطبي والخصاص والاخبارى ليس له هم الا سرد القصص واستيفائها كالشعلبي والنحوى ليس له هم الا الاعراب وتكثير الأوجه المحتمله فيه . . كالزجاج والواحدى وأبى حيان وصاحب العلوم العقلية ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة وشبههم والرد عليها كالفخر الرازى حتى قال فيه بعضهم " فيه كل شيء الا التفسير " (١) .

ونشأت كثير من الفرق والمذاهب المنحرفة وكلها يستدل بآيات من القرآن يدعم بها أصول مذهبه وان لم توافقها انحرف بمعانيها انحرفا يلحد بها اليها .

وظهر التعصب المذهبي بأسوأ أحواله فتشعبت الآراء والمذاهب الفلسفية وتعددت مسائل الكلام .

ذلكم موجز المراحل التى مرّ بها التفسير في العصور السالفة مراحل بعضها لا يحتوى الا على منهج واحد في التفسير وتعددت المناهج بتقدم المراحل فجاءت المرحلة الأخيرة شاملة لمناهج فى التفسير عديدة .

مناهج التفسير عند السابقين :

يحدثنا التاريخ الاسلامي عن نكبات كبرى مرّ بها العالم الاسلامي من أعداء المتربصين به الذين أفرغوا جام غضبهم على تراث المسلمين كيف لا وهو نتاج فكرهم فأحرقوا ما أحرقوا وسرقوا ما سرقوا وألقوا فى النهر ما ألقوا ولذا فإنه ليس من السهل أن نجزم - جزما - بحصر اتجاهات التفسير عند السابقين . وانما هو التحرى المستطاع أو بعضه .

وقد تعددت مناهج التفسير وتنوعت فان أردنا أن نعرض لذكرها هنا فانما هو ذكر الاشارة والا تداخلت الأبحاث وتشعبت والحق أن كل عصر من

العصور السالفه بحاجة لدراسة اتجاهات التفسير فيه حتى تظهر لنا جلية سلسلة التفسير بمناهجه واتجاهاته وحتى يكتمل العقد .

وبهذا الطريق - طريق الاشارة - نعرض سريعا لتعداد مناهج واتجاهات التفسير عند السابقين وأمثلة للمؤلفات فى كل منهج .

الاتجاهات العقائدية :

وهو من الاتجاهات التى تأثرت بمرور السنين حيث اندثرت بعض المذاهب التى كان لها صولة وكان لها جولة فلم نجد لها فى العصر الحديث من أثر يذكر .

وضعت مذاهب أخرى واندثرت أكثر فرقة الخوارج مثلا حتى لم يبق الا فرقة واحدة هى فرقة الأباضية وهى فى صراع مع خصومها الذين يلصقونها بالخوارج وهى تنكرهم وترفضهم .

ولم يعد للفرق الباطنية من نشاط فى التفسير كسابق عهدهم بل اكتفى أتباعهم وغيرهم بنشر كتبهم القديمة .

ولم تعد فرقة الزيدية ولا الصوفية تولي التفسير عناية كتلك العناية لسلفهم فلم يؤلفوا تلك المؤلفات العديدة والتفاسير المطولة .

وفى جانب آخر نشأت المدرسة العقلية الحديثة متأثرة بعض التأثر بمدسة الاعتزال ، والمدرسة العقلية القديمة . وجد فى هذا الاتجاه مناهج الحادية ليست هى بالباطنية التى يقولون بتفسير القرآن بالباطن أو الذين يظهرون خلاف ما يبطنون ، وليست بالتى تسلك التفسير الصحيح بل تعلن التفسير الملحد وتعلن اعتقادها له وتعلن أنه التفسير الصحيح للقرآن .

المؤلفات فى منهج أهل السنة :

ونحمد الله أن تفاسير أهل السنة فى الفترة السابقة كثيرة تحفظ للمسلمين النبع الصافى للعقيدة الاسلامية الصحيحة وقد أجمل ابن تيميه رحمه الله تعالى

ت ٣٢٢ تفسيره " جامع التأويل لمحكم التنزيل " ويقع في أربعة عشر مجلداً (١) وعبد السلام بن محمد القزويني له تفسير في ثلاث مئة مجلد منها سبع مجلدات في الفاتحة كذا قال السيوطي (٢) .

ومن أهم مؤلفاتهم المطبوعة والموجودة في العصر الحاضر تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار وهو في مجلد واحد فسر فيه الآيات المتشابهة .

ومنها وهو أهمها تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل . تأليف محمود بن عمر الزمخشري ويقع تفسيره في أربعة مجلدات كبار وقد نال هذا التفسير اهتمام كثير من العلماء فكتبوا التعليقات والحواشي وأخرجوا اعتزالياته وخرجوا أحاديثه .

ومنها غرر الفوائد ودرر القلائد المعروف بـ " أمالي المرتضى " ومؤلفه علي بن الطاهر الملقب بـ " الشريف المرتضى " وهو كتفسير القاضي عبد الجبار لا يشمل تفسير القرآن كله بل آيات تدور حول العقائد .

المؤلفات في منهج الشيعة :

وهم كما هو معلوم فرق شتى غالى بعضهم حتى خرج عن ربة الاسلام كالاسماعيلية وغيرها من الباطنية واعتدل بعضهم حتى كاد أن يكون من أهل السنة والجماعة كالزيدية . وعلى ضوء هذا الميزان فانا نشير لاهم مؤلفاتهم في هذه المواقع الثلاثة الباطنية ، والزيدية والمتوسطين بين هؤلاء وهؤلاء أعنى الامامية الاثنى عشرية .

مؤلفات الباطنية :

نحمد الله أن هذه الطائفة لم تجمع تفسيراً كاملاً للقرآن الكريم

١ - الفهرست : ابن النديم ص ٥١ ، وطبقات المفسرين : الداودي ج ٢

ص ١٠٦ والتفسير والمفسرين : الذهبي ج ٣ ص ٣٨٨

٢ - طبقات المفسرين : السيوطي : ص ٦٧

وقد علل الشيخ محمد حسين الذهبي رحمه الله تعالى ذلك بقوله
" أنهم لم يستطيعوا أن يتمشوا بعقائد هم مع القرآن آية آية ولو أنهم حاولوا
ذلك لاصطدموا بعقبات وصعاب لا يستطيعون تذليلها ولا يقدر روع على
التخلص منها " (١).

وقد بحثت كثيرا فلم أجد تفسيراً مستقلاً كما ذكر الذهبي رحمه الله
ووجدت ابن النديم في كتابه الفهرست يعد من الاسماعيلية الحسين ابن
منصور الحلاج ، الزنديق المتصوف والذي يتبرأ بعض الصوفية من نسبته
اليهم (٢) وقد عدّ ابن النديم والداودي في طبقات المفسرين من كتبه
كتاب " تفسير قل هو الله " (٣).

أما ما عدا ذلك فمدسوس في ثنايا كتبهم .

مؤلفات الامامية الاثني عشرية :

وهذه الطائفة تعد أكثر فرق الشيعة تأليفاً في التفسير ويشهد لذلك
تلك المؤلفات الكثيرة عدداً وحجماً على أصول مذهبهم الشيعي ومن هذه
المؤلفات .

تفسير الحسن العسكري ت ٢٥٤ طبع في مجلد واحد وتفسير العياشي
من علماء القرن الثالث الهجري وتفسير ابراهيم ابن محمد بن هلال ت ٣٨٣ ،
وتفسير علي بن ابراهيم القمي من القرن الثالث وأوائل الرابع وطبع في مجلد
واحد كبير وتفسير أبي عبد الله محمد بن عمر الواقدي المسمى الرغيب في
علوم القرآن وتفسير أبو الفتوح الرازي الحسين توفى في القرن السادس وتفسير
الصافي لمحمد بن مرتضى الشهير بملا محسن الكاشي وتفسير الأصفهاني
للمؤلف السابق اختصره من الصافي وطبع في مجلد واحد والبرهان لهاشم

(١) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبي ج ٢ ص ٢٢٩

(٢) طبقات المفسرين : الداودي ج ١ ص ١٥٩

(٣) المرجع السابق : ج ١ ص ١٦٠ والفهرست لابن النديم

البحراني ت ١١٠٧ وطبع في مجلدين كبيرين ومرآة الأنوار ومشكاة الاسرار للمولى عبد اللطيف الكازراني وتفسير " المؤلف " لمحمد مرتضى الحسيني من علماء القرن الثاني عشر وهو مخطوط في مجلد واحد صغير بدار الكتب المصرية . وتفسير المولى السيد عبد الله بن محمد رضا العلوي ت ١٢٤٢ ويقع في مجلد كبير وتفسير التبيان : لابي جعفر محمد بن الحسن ابن علي الطوسي ت ٤٦٠ ، وتفسير مجمع البيان في تفسير القرآن لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي من علماء القرن السادس وهو تفسير كبير يقع في عدة مجلدات وتفسير نور الثقلين لمؤلفه عبد علي ! ابن جمعه العروسي الحويزي من علماء القرن الحادي عشر ويقع في خمسة مجلدات كبار. (١)
هذه أهم مؤلفات الاثنى عشرية في التفسير .

مؤلفات الزهديه :

وهم أيضا من المقلين في التأليف في التفسير وأشهر مؤلفاتهم في تفسير المشهور فتح القدير للعلامة محمد بن علي الشوكاني وهو في خمسة مجلدات كبار وجمع فيه رحمه الله تعالى بين الرواية والدراية وهناك تفسير آخر هو شرح آيات الأحكام واسمه " الثمرات اليانعة والأحكام الواضحة القاطعة " لمؤلفه شمس الدين يوسف بن أحمد بن محمد الثلاثي في ثلاثة أجزاء كبار .

وقد نقب الشيخ محمد حسين الذهبي رحمه الله تعالى عن مؤلفاتهم فلم يعثر على غير ما ذكرنا لكنه وجد ذكرا لمؤلفات أخرى لهم في التفسير لكنها غير موجودة الآن وذكر منها .

كتاب التفسير الكبير ، وكتاب نوادر التفسير وكلاهما لمقاتل بن سليمان والتفسير الكبير والتفسير الصغير وهما للمرادي . وتفسير غريب القرآن للإمام زيد بن علي جمعه ابن يزيد وتفسير البستي وتفسير التهذيب لابن كرامه المعتزلي ثم الزيدي وتفسير عطيه النجراني ت ٦٦٥

والتيسير في التفسير للحسن النحوي ت ٧٩١ وتفسير ابن الأَقمم وشرح
الخمسة معه آيه (تفسير آيات الاحكام) لحسين بن أحمد النجری من
علماء القرن الثامن ومنتهى المرام شرح آيات الاحكام لمحمد بن الحسين
ابن القاسم من القرن الحادى عشر وتفسير القاضى عبد الرحمن بن مجاهد
من علماء القرن الثالث عشر (١).

المؤلفات فى منهج الخواج :

والخواج - أيضا - من المقلين فى التفسير فى القديم والحديث
ولعل ما ذكره ابن النديم فى الفهرست عن كتبهم بأنها " مستورة محفوظة" (٢)
يكشف قلة مؤلفاتهم وقلة انتشارها ولا أدرى ان كان من أثره ما عانته فى
الحصول على بعض مؤلفاتهم ومطبوعاتهم فى العصر الحديث .

وقد سأل الشيخ محمد حسين الذهبى رحمه الله تعالى أحـد
علمائهم المعاصرين وهو الشيخ ابراهيم اطفيش عن أهم مؤلفاتهم فى
التفسير فذكر له ستة مؤلفات ثلاثة منها قديمه وهى :-

- ١ - تفسير عبد الرحمن بن رستم الفارسي من أهل القرن الثالث الهجرى .
- ٢ - تفسير هود بن محكم الهوارى من أهل القرن الثالث الهجرى مخطوط
فى أربعة مجلدات .
- ٣ - تفسير ابي يعقوب يوسف بن ابراهيم الورجلاني . . من أهل القرن
السادس الهجرى " (٣).

وقد بحثت كثيرا عن ذكر لهذه المؤلفات فى كتب التفسير وطبقات
المفسرين فلم أعثر لها على أثر الا أنى وجدت الزركلى ذكر ان لعبد الرحمن
ابن رستم تفسيرا ولم يذكر ليوسف بن ابراهيم الورجلاني شيئا فى التفسير

١ - التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبى ج ٢ ص ٢٨١ - ٢٨٤
٢ - الفهرست : النديم ص ٢٥٨
٣ - التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبى ج ٢ ص ٣١٥

وكذا عمر كحاله في معجمه للمؤلفين ، أما هود بن محكم فلم يترجما له
الا أن الأستاذ فؤاد سزكين ذكر له ترجمه وأشار الى أن له تفسيراً
للقرآن ووصل اليها وتوجد منه نسخه مخطوطه في الجزائر .^(١)

وعلى هذا فلا يوجد شيء من مؤلفات الخواجه في التفسير الا تفسير
هود بن محكم الذي يقع في أربعة مجلدات وهو متداول بين الاباضيه في
بلاد المغرب ويوجد عند الأستاذ ابراهيم اطفيش المذكور آنفاً جزآن
مخطوطان هما الأول والرابع منه .^(٢)

المؤلفات في منهج الصوفيه :

ومنه المؤلفات الصوفيه في التفسير ، تفسير بشير لنجم دايمه^(٣)
ومنها تفسير القرآن العظيم لسهل بن عبد الله التستري وهو مطبوع في
مجلد صغير ومنها " حقائق التفسير " لابن عبد الرحمن السلمى وهو في
مجلد واحد كبير ، مخطوط ، ومنها عرائس البيان في حقائق القرآن
لابن محمد الشيرازى وهو مطبوع في جزئين . ومنها التأويلات النجميه
لنجم الدين دايمه وأتمه علاء الدوله السمناني وهو مخطوط في خمسة
مجلدات كبار . وأهم هذه المؤلفات وأخطرها التفسير المسمى " تفسير
القرآن الكريم " والمنسوب لأبي بكر محي الدين محمد بن علي المعروف
بابن عربي وانما قلت المنسوب لأن هناك من يشكك في نسبه لابن عربي
وليس المقام هنا مقام تحقيق ذلك .

هذه أهم المؤلفات في التفسير لأهم الفرق والمذاهب قد يما وكلها
تحت الاتجاه العقائدي في التفسير .

-
- ١ - تاريخ التراث العربي : فؤاد سزكين المجلد الاول ج ١ ص ٩٦
 - ٢ - التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبي ج ٢ ص ٣١٦
 - ٣ - مفتاح السعادة ومصباح السياه : طاسن كبرى زاده ج ٢

الاتجاه العلمي في التفسير :

وهو اتجاه يتسع فيشمل فيما نرى مناهج ثلاثه :-

١ - منهج التفسير بالمأثور .

٢ - منهج التفسير الفقهي .

٣ - منهج التفسير العلمي التجريبي .

وسنذكر هنا بعض المؤلفات لكل من :-

منهج التفسير بالمأثور :

ولا شك أن أهم المؤلفات في هذا اللون في التفسير هو جامع البيان عن تأويل آي القرآن والمعروف بتفسير الطبري وقد طبع عدة مرات آخرها بتحقيق وتعليق الشيخ محمود محمد شاكر وراجعته وخرج أحاديثه الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله تعالى وصدر منه ستة عشر مجلدا حتى الآن وتوقف عند الآية ٢٨ من سورة ابراهيم أما الطبعة التي لم تحقق فكامله .

ومن المؤلفات في ذلك الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي وهو مطبوع في ستة مجلدات كبيره .

ومنها تفسير القرآن العظيم لابن كثير الدمشقي في أربعة مجلدات وطبع عدة مرات وحظي هذا التفسير باهتمام العلماء به فخرجوا أحاديثه وعلقوا عليه ، واختصروه .

منهج التفسير الفقهي :

وهي مؤلفات كثيره جدا

ففي الفقه الحنفي ألف أبو بكر الرازي المعروف بالجصاص تفسيره أحكام القرآن وطبع عدة مرات في ثلاثة مجلدات .

وفي الفقه المالكي ألف أبو بكر بن العربي كتابه أحكام القرآن المطبوع في أربعة مجلدات ، وألف أبو عبد الله القرطبي تفسيره الجامع لأحكام القرآن المطبوع في عشرة مجلدات كبار .

وفي الفقه الشافعي ألف أبو الحسن الطبري المعروف بـ الكيا الهراسي كتابه أحكام القرآن وألف السيوطي كتابه الاكليل في استنباط التنزيل وطبع في مجلد كبير .

وفي الفقه الحنبلي تفسير الخرقى لابي القاسم عمر بن أبي علي الحسين الخرقى (١) .

وفي الفقه الزيدى ألف مقاتل بن سليمان كتاب " تفسير الخمس مائه آيه" (٢) وكذا ألف حسين بن احمد النجری " شرح الخمسمائه آيه " وألف محمد بن الحسين بن القاسم من علماء القرن الحادى عشر كتاب " منتهي المرام شرح آيات الأحكام" (٣) .

وفي الفقه الجعفرى الف مقدار السيورى " كنز العرفان فى فقه القرآن" (٣) .

منهج التفسير العلمى التجريبى :

وأشهر المؤلفات فيه التى أصبحت علما فى هذا تفسير " مفاتيح الغيب فى تفسير القرآن " أو التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمير المعروف بالفخر الرازى وقد أطنب فيه مؤلفه فى أبحاث عديدة واستطرد الى العلوم الرياضيه والطبيعية والعلوم الفلكية وغير ذلك حتى قيل عنه فيه كل شيء الا التفسير .

وبعد تلكم هى أبرز الاتجاهات والمناهج فى تفسير القرآن الكريم عند العلماء السابقين لم نقصد استيفاء لها ولا استقصاء وانما رسم هيكل عام من زواياها ننظر الى اتجاهات التفسير فى العصر الحديث ومناهجه فنعرف ماجد منها وما اندثر وما بقي على المناهج السابقه .

(١) مفتاح السعاده : طاش كبرى زاده ج ٢ ص ١٠٦

(٢) الفهرست : النديم ص ٢٥٤

(٣) التفسير والمفسرون : محمد الذهبى ج ٣ ص ١٠٣

وقد جدت في العالم الاسلامي بعد ذلك أحداث ووقعت الوقائع فـ أصبح المسلمون بعد أن كانوا يجوبون الآفاق بجيوشهم لنشر الاسلام يغزون في عقود ادهم وبعد أن كانت الأرض الاسلامية في حالة تمدد اوضحت في حاله تقلص وانكماش .

بدأت الحروب الصليبيه الواحدة بعد الأخرى وكان العالم الاسلامي في حالة ضعف وتفكك فكان لهذه الحروب أثرها حيث نقلت الحضاره الاسلاميه الى بلاد الافرنج متمثله بالكتب والمؤلفات في شتى العلوم والمعارف وحتى تدرك أبعاد هذا الأثر يكفي أن تعلم أن نقل هذه العلوم بث الحياة العلمية وأوقد نارها فكثرت طلابها وكثرت النظريات والاكتشافات العلمية ووقع الصدام بين العلم والكنيسه ولم يزل الى أن قامت الثورة على الكنيسه بعد ذلك .

أما أثر هذه الحروب داخل العالم الاسلامي فقد اشغلته عن العلم وطلبه لأن الحرب في أرضه وفي دياره خلاف الافرنج الذين كانت ديارهم بعيدة عن أتون الحرب وسعارها .

أضف الى ذلك ان شنت الحروب التي عاناها العالم الاسلامي بعد ذلك من هجمات المغول وسقوط الدولة العباسية والمذابح التي ارتكبت والمجازر التي انتشرت زد على هذا القضاء على الفكر باحراق الكتب واغراقها في نهر دجله حتى صارت جسرا يعبر عليه المعتدون .

هذه ولاشك أمور لها أثرها في انهاك الشعوب الاسلاميه والشعوب كالأفراد يصيبها ما يصيبهم والفرد اذا انهكت قواه ركن الى الاستسلام وطلب الراحة وقد يستغرق في نوم عميق . وقد كانت هذه حال العالم الاسلامي .

وكما يدخل اللصوص الدار اذا نام صاحبها دخل المستعمرون العالم الاسلامي وهو يقط في نومه هذه ، فسلبوا خيرات البلاد الاسلاميه وسخروا أهلها وهم نيام لتحقيق مآربهم واهد افهم وبثوا أفكارهم وسومهم حتى ألفت

١ - الاتجاه العقائدى فى التفسير :

وتحتة مناهج

- ١ - منهج أهل السنه والجماعه .
- ٢ - منهج الشيعة ويشمل :
 - ١ - المذهب الامامى الاثنا عشرى
 - ٢ - المذهب الزيدى .
 - ٣ - مذهب الاماميه السبعية أو " الاسماعيليه "
- ٣ - منهج الأباضيه
- ٤ - منهج الصوفييه

٢ - الاتجاه العلمى فى التفسير :

وتحتة أيضا مناهج

- ١ - منهج التفسير بالمأثور
 - ٢ - منهج التفسير الفقهى " تفسير آيات الأحكام "
 - ٣ - منهج التفسير العلمى التجريبي
- ولعلي ألمح سؤالا يوحى باعتراض على هذا التقسيم أحب أن أجيب عليه مادام رطبا ، يقول السؤال فيما أحسبه ، لم فصلت الاتجاه العقائدى عن الاتجاه العلمى ولم تجعل الأول منها من مناهج الاتجاه الثانى ؟ !
- أقول لهذا المعترض لقد رأيت فى الاتجاه الأول " العقائدى " ما يوجب فصله عن الاتجاه الثانى واستقلاله باتجاه خاص ذلكم ان العقيدة أصل تنبثق منها العلوم الأخرى وليست فرعا صغيرا منه .
- وبعبارة أوضح أن التفسير السنّى وهو منهج من مناهج الاتجاه العقائدى قد تكون وسيلته . . التفسير بالمأثور وقد يصطبغ بالمنهج العلمى التجريبي وقد يكون فقها وهو باق متربع فى منهج أهل السنه والجماعه . لكنه لا يكون بحال من الأحوال متأثرا بالمذهب الشيعى أو الأباضى فبينهما فاصل كبير .

وكذا المذهب الشيعى وهو فرع من فروع الاتجاه الأول " العقائدى " قد يكون بالمأثور عن أئمتهم . . وقد يكون فقهيا وقد يكون مصطبغا بالصبغه العلمية التجريبيه لكنه لا يكون سنيا ولهذا فأنى رأيت فصل الاتجاه العقائدى بمناهجه عن الاتجاه العلمى بمناهجه .

٣ - الاتجاه العقلى الاجتماعى

وانا أفردته كذلك لأن أصحابه لم يتأثروا كل التأثر بالمدرسه العقليه القديمه " المعتزله " والا لاعتبرتها امتدادا لمدرسه الاعتزال وأدخلتها ضمن الاتجاه الاول " العقائدى " لكن الفاصل بينهم بيد وكبيرا حيث لم يلتزموا أصولهم الخمسه التى لا يصح الاعتزال بدونها كما يعترف بذلك أئمة المعتزله ، وانما كان نصيبهم التأثر بتحكيم العقل تأثرا بينا ، بقى أن أقول أنى لم أدخلهم أيضا فى الاتجاه الأول " العقائدى " كفرقة مستقلة لأنهم لم يأتوا بما يجعلهم ذوى عقيدة مستقلة تنفصل انفصالا كاملا عن أهل السنه والجماعه وان أنوا بما يميز فكرهم بعض التمييز ويجعل لهم اتجاها خاصا فى سبيل الوصول الى المعرفه .

أضف الى هذا تلك الصبغه الاجتماعيه التى يحلون بها تفسيرهم من العناية بالقضايا الاجتماعيه وتطبيق الآيات القرآنيه مباشرة على تلك القضايا والمجتمع الذى يعيشون فيه مما كان له الاثر فى احداث الوعي بين مختلف الطبقات فكان حقا ان يستقلوا باتجاه خاص من سماته العقلانيه الاجتماعيه ، بغض النظر عن اصابة الحق أو الحيدة عنه .

٤ - الاتجاه الأدبى :

وتحتته

١ - المنهج البيانى

٢ - منهج التذوق الأدبى للقرآن الكريم

وهذا الاتجاه كالاتجاه الذى قبله جديد من سمات هذا القرن الرابع عشر وسنعرض ان شاء الله لبيان ذلك فى موضعه .

٥ - الاتجاه المنحرف

وتحتة مناهج

١ - المنهج الاجدادى

٢ - منهج المقصريين

٣ - اللون اللامنهجي

وهذا الاتجاه فيه أوجه اتفاق وأوجه تجديد - وان كان تجديدا الي الأسوأ- مع المناهج القديمه . ذلكم أن الالحاد موجود فى القديم من التفاسير لكنه كان يسير على مبادئ واحد تجميعها عقيدة واحد وان كانت ضاله ، أما الالحاد فى العصر الحديث فهو أضل ذلكم أنه لا يلتزم أصلا حتى وان كان باطلا يقوم عليه وانما نزعات نفسه متأثره بمطالب أو أهواء ورغبات خاصه تعرض لبعض المفسرين فتظهر آثارها جليه فى تفاسيرهم . وانما قسمت الالحاد الى هذه الأقسام أو المناهج الثلاثه لأمور سيأتى الحديث عنها فى موضعه ان شاء الله .

وعلى هذا فالمنهج الأول الالحادى موجود فى القديم والحديث مع الاختلاف فى القاعدة التى يقوم عليها . أما المنهج الثانى واللون الثالث فأحسبها مناهج جديدة من السمات السيئه لهذا العصر .

تلكم - فيما أرى - اتجاهات التفسير ومناهجه فى القرن الرابع عشر وهذا وان الحديث عنها مفصله ، والله المستعان .

الباب الأول

الاتجاه العقائدي في التفسير

وتحتة مناهج

- أولا : منهج أهل السنة والجماعة في تفسير القرآن الكريم
- ثانيا : منهج الشيعة في تفسير القرآن الكريم
- ثالثا : منهج الأباضية في تفسير القرآن الكريم
- رابعا : منهج الصوفية في تفسير القرآن الكريم

نشأة الفرق الاسلامية :

جاء الرسول صلى الله عليه وسلم والناس في جاهليه جهلاء وضلالة عمياء فنشر عليه الصلاة والسلام العقيدة الصحيحة ونفى زغل الجاهلييه وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم والعقيدة السليمة الطاهرة النقيية هي السائدة بين المسلمين .

الى أن دخل في الاسلام من ليس الحق هدفهم ولا الوصول الييه مرادهم فعملوا على تزييف الحقائق ونشر العقائد الضاله والمنحرفه ونشأت المذاهب الاسلامية المتعددة وافتقرت أمة محمد الى فرق عديدة كلها في النار الا من هم على ما عليه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم ودافع علماء كل فرقة عن مذاهبهم وعقائدهم بكل وسيله .

وحمل التعصب المذهبي بعض أرباب هذه المذاهب والفرق الى تأييدها بتفسير الآيات القرآنية الكريمة بما يتناسب مع أصول مذاهبهم وقواعدهم ولو بطريق اخضاع النصوص القرآنية لذلك وصرفها عن معارضته وانكار جميع التفاسير الأخرى اذا لم توافق آراءهم .

وتعددت مذاهب التفسير بتعدد المذاهب في العقيدة وكان لهاصوله وكان لها جولة ثم خبا سعيها وأصبح لا يرى في رمادها الا وميض نار ونام العالم الاسلامي نومته .

الى أن جاء بعض المجددين ونبهوا المسلمين الى دينهم وأيقظوهم من نومهم وأفاق المسلمون وعاد الكثير منهم الى الاسلام عودة حميدا واشتعل وميض النار من خلال الرماد فنشطت أيضا بعض الفرق الاسلامية وأصبح كل منهم يدعو الى مذهبه والى فرقته .

وإذا ما نظرنا الى الفرق القائمة الآن وأردنا أن تدرس تفاسير المعاصرين منهم في القرن الرابع عشر فأننا نجد أن الفرق القائمة الآن هي

١ - أهل السنه والجماعه .

٢ - الشيعة .

٣ - الأباضيه .

٤ - الصوفيه .

ولو كان بحثنا هذا بحث عقيدته لكان لزاما علينا أن ندرس بتفصيل نشأة هذه الفرق ، أما وقد كان مرادنا عرض مناهج هذه الفرق في التفسير فقد اكتفينا بالاشارة السريعه لنشأة كل فرقه والاتجاه بعد ذلك لبيان منهجهم في التفسير .

وانما قد منا منهج أهل السنه والجماعه على المناهج الاخرى ليكون ميزانا بيد القارىء يزن به ما يرد من عقائد للفرق الأخرى ، وليكن أيضا مرجعا يرجع اليه اذا ما التبس عليه رأى أو أراد الحقيقه في حكم أو قضيه .

ومن ثم فلا تثريب عليّ اذا ما أوجزت في شرح مذهب أهل السنه في أمر متفق عليه ، أو اذا ما اطنبت في أمر خالفتم فيه فرقة من الفرق . ولا تثريب عليّ أيضا اذا لم أرد على كثير من الآراء لبعض الفرق خشية تكرار ما سبق وان كتبتة في منهج أهل السنه .

ولنبدا بعد هذا بمرادنا .

الباب الاول : الاتجاه العقائدى في التفسير

الفصل الاول

منهج أهل السنه والجماعه

فى

تفسير القرآن الكريم

منهج أهل السنة والجماعة في التفسير :

التعريف بهم :

أما السنة فهي الطريقة وتطلق شرعا على عده معان فعند المحدثين هي ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من أقواله وأفعاله وتقريره وما هم بفعله^(١) وأما في عرف أهل الفقه والأصول فأنهم يطلقونها على المنسوب وهو ما يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه .

وليس هذا ولا ذاك هو المقصود في مباحث العقائد إذ هي عندهم عبارة عما سلم من الشبهات في الاعتقادات خاصة في مسائل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وكذلك مسائل القدر وفضائل الصحابه وصنفوا في هذا العلم تصانيف وسموها كتب السنة وإنما خصوا هذا العلم باسم السنة لأن خطره عظيم والمخالف فيه على شفا هلكه^(٢).

ولا ريب في أن أهل النقل والأثر المتبعين آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثار أصحابه هم أهل السنة - كما يقول ابن الجوزي وغيره - لأنهم على تلك الطريق التي لم يحدث فيها حادث وإنما وقعت الحوادث والبدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه^(٣).

وإنما سمو بأهل السنة لالتزامهم قول الرسول صلى الله عليه وسلم "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى"^(٤) الحديث ونحوه .

ويسمون أيضا بأهل الكتاب والسنة لأنهم "يعلمون أن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ويؤثرون كلام الله

(١) فتح الباري : ابن حجر العسقلاني ج ١٣ ص ٢٤٥

(٢) كشف الكربة : ابن رجب ص ١١-١٢

(٣) نقد العلم والعلماء أو تلبيس إبليس : لابن الجوزي ص ١٠١

(٤) رواه الامام أحمد في مسنده ج ٤ ص ١٢٦ - ١٢٧ ، الترمذى ج ٥

ص ٤٤ وسنن أبي داود ج ٤ ص ٢٠١ وابن ماجه ج ١ ص ١٩ - ٢٠

والدارمي ج ١ ص ٤٤ - ٤٥

على كلام غيره من كلام أصناف الناس ويقدمون هدى محمد صلى الله عليه وسلم على هدى كل أحد وبهذا سمو أهل الكتاب والسنه^(١) .

ويسمون أيضا بالجماعه فيقال أهل السنه والجماعه وعلل ابن تيميه رحمه الله تعالى هذه التسمية بقوله " وسموا أهل الجماعه لأن الجماعه هي الاجتماع وضدها الفرقة وان كان لفظ الجماعه قد صار اسما لنفس القوم المجتمعين " والاجماع " هو الاصل الثالث الذى يعتمد عليه فى العلم والدين^(٢) " وزاد هذا الأمر توضيحا فى مكان آخر فقال " فمن قال بالكتاب والسنه والاجماع كان من أهل السنه والجماعه^(٣) " .

نشأتهم :

لم يكن فى عهد ه عليه الصلاة والسلام فرقة بين المسلمين أى فرقه وانما ظهر الافتراق بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فكل ما افتردت فرقه ظهر لها اسم خاص بها وبقي السالمون من الافتراق والخروج هم أهل السنه والجماعه لأنهم الأصل فبقوا على أصلهم هذا ولذا لما سئل مالك رحمه الله تعالى عن أهل السنه قال أهل السنه الذين ليس لهم لقب يعرفون به لا جهمي ولا قدرى ولا رافضي^(٤) ولذا - أيضا - قال ابن تيميه رحمه الله تعالى " ومذهب أهل السنه والجماعه مذهب قديم معروف قبل أن يخلق الله أباه حنيفه ومالكا والشافعي وأحمد فإنه مذهب الصحابه الذين تلقوه عن نبيهم^(٥) " .

إذا فالسؤال عن نشأتهم انما هو سؤال عن نشأة الاسلام فإن قلت انما أسأل عن نشأة تسميتهم بأهل السنه والجماعه وانفرادهم بهذا اللقب دون غيرهم وهو لقب شرفهم الله بحمله وهو عنوان عقيدتهم ويتضمن

(١) مجموع فتاوى ابن تيميه ج ٣ ص ١٥٧

(٢) المرجع السابق ج ٣ ص ١٥٧

(٣) المرجع السابق ج ٣ ص ٣٤٦

(٤) الانتقاء : ابن عبد البر ص ٣٥

(٥) منهاج السنه : ابن تيميه ج ٢ ص ٤٨٢

الشهادة بسلامتها أعمى الله أرباب الفرق الأخرى فسلموا لهم بهذا اللقب واعترفوا لأنفسهم باللقاب لا تحمل من الاسلام ما يربطها به أو يدل من قريب أو بعيد على انتمائهم اليه . فهي عقيدة ترفع ويرفع معها خصومها حجتها فوق رأسها وهل هناك أسمى من اعتراف الخصم بأن عقيدتك هي السنه وهي عقيدة الجماعه جماعة المسلمين .

عودة الى التساؤل عن تاريخ اطلاق هذه التسميه وهو تساؤل أحسب أنه ليس بذى كبير فائدة خاصة أن اصول التاريخ الاسلامي لم تبين بالتحديد تاريخ هذه التسمية اذ لا يوجد يوم أو شهر أو سنه بارزه ظهرت فيها هذه التسمية وانما كانت تبرز هذه التسمية فى مقابلته أهل البدع فيقول مثلا ابن سيرين رحمه الله تعالى وهو من أهل القرن الأول الهجرى " لم يكونوا يسألون عن الاسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سمو لنا رجالكم فينظر الى أهل السنه فيؤخذ حديثهم وينظر الى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم . (١)

الخلاصه ان نشأة أهل السنه مع نشأة الاسلام وان اطلاق هذا الوصف عليهم كان معروفا فى القرن الأول الهجرى .

عقيدة أهل السنه والجماعه :

مرادى فى هذا البحث ان اذكر من عقائد أهل السنه الأصول التى خالفهم فيها أهل الفرق والمذاهب التى سأعرضها فى مناهج التفسير العقدى . أما ما وافقت هذه الفرق فيه أهل السنه فلا أرى موجبا لذكره اللهم الا ضمن مجمل عقائد أهل السنه .

ولذا سيكون تناولى لعقيدة أهل السنه والجماعه على سبيل الاجمال ثم على سبيل التفصيل لبعض الأصول .

مجمل عقيدة أهل السنة والجماعة :

أفرد هذه العقيدة عدد من العلماء رحمهم الله تعالى منهم
ابن تيمية رحمه الله تعالى في العقيدة الواسطية ومنهم أبو جعفر
الطحاوي رحمه الله تعالى بشرح ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى
وغيرهما كثير .

ونذكر هنا مجمل عقيدة أهل السنة ملخصا من أولها أعنى العقيدة
الواسطية حيث بدأه رحمه الله تعالى بقوله : أما بعد فهذا اعتقاد
الفرقة الناجية المنصورة الى قيام الساعة - أهل السنة والجماعة وهو
الايمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والبعث بعد الموت
والايمان بالقدر خيره وشره .

الايمان بالله : ومن الايمان بالله بما وصف به نفسه في كتابه وبما
وصفه به رسوله محمد صلي الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن
غير تكييف ولا تمثيل بل يؤمنون بأن الله سبحانه : (ليس كمثله شيء)
وهو السميع البصير (١) .

فمن الكتاب :

ما وصف به نفسه في سورة الاخلاص ، وآيه الكرسي ، وقوله سبحانه
" هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم " (٢) وقوله " نبأني
العليم الخبير " . . . وقوله " ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين " (٤)
وقوله " ليس كمثله شيء " وهو السميع البصير (١) وقوله " ولولا اذ دخلت
جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله " (٥) وقوله " ان الله يحكم ما يريد " (٦)
وقوله " وأحسنوا ان الله يحب المحسنين " (٧) وقوله " وهو الغفور الودود " (٨)

-
- (١) سورة الشورى : الايه ١١
 - (٢) سورة الحديد : الايه ٣
 - (٣) سورة التحريم : الايه ٣
 - (٤) سورة الذاريات : الايه ٥٨
 - (٥) سورة الكهف : الايه ٣٩
 - (٦) سورة المائدة : الايه ١
 - (٧) سورة البقرة : الايه ١٩٥
 - (٨) سورة البرج : الايه ١٤

- وقوله " بسم الله الرحمن الرحيم " (١) وقوله " رضى الله عنهم ورضوا عنه " (٢)
وقوله " ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه " (٣)
وقوله " ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم " (٤) وقوله " كلا اذا دككت
الارض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا " (٥) وقوله " ويبقى وجه ربك
ذو الجلال والاكرام " (٦) وقوله " واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا " (٧) وقوله
" اننى معكما أسمع وأرى " (٨) وقوله " انهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا " (٩)
وقوله " الرحمن على العرش استوى " (١٠) وقوله " يا عيسى انى متوفيك
ورافعك الي " (١١) وقوله " لاتحزن ان الله معنا " (١٢) وقوله " ومن
أصدق من الله حديثا " (١٣) وقوله " وكلم الله موسى تكليما " (١٤) وقوله
" وهذا كتاب أنزلناه مبارك " (١٥) وقوله " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها
ناظرة " (١٦) وهذا الباب فى كتاب الله تعالى كثير من تدبر القرآن
طالباً للهدى منه تبين له طريق الحق .

(١)	سورة النمل	: الآيه ٣٠
(٢)	سورة البينه	: الآيه ٨
(٣)	سورة النساء	: الآيه ٩٣
(٤)	سورة التوبه	: الآيه ٤٦
(٥)	سورة الفجر	: الآيتين ٢١ - ٢٢
(٦)	سورة الرحمن	: الآيه ٢٧
(٧)	سورة الطور	: الآيه ٤٨
(٨)	سورة طه	: الآيه ٤٦
(٩)	سورة الطارق	: الآيتين ١٥ - ١٦
(١٠)	سورة طه	: الآيه ٥
(١١)	سورة آل عمران	: الآيه ٥٥
(١٢)	سورة التوبه	: الآيه ٤٠
(١٣)	سورة النساء	: الآيه ٨٧
(١٤)	سورة النساء	: الآيه ١٦٤
(١٥)	سورة الانعام	: الآيه ١٥٥
(١٦)	سورة القيامه	: الآيتين ٢٢ - ٢٣

ومن السنه :

وأهل السنه يؤمنون بما وصف الرسول صلى الله عليه وسلم به ربه عز وجل فى الأحاديث الصحاح التى تلقاها أهل المعرفة بالقبول .

مثل : قوله صلى الله عليه وسلم " ينزل ربنا الى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقي ثلث الليل الآخر الحديث متفق عليه ^(١) ، وقوله " الله أشد فرحا بتوبه عبده من أحدكم براحلته الحديث ^(٢) متفق عليه وقوله " يضحك الله الى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة " متفق عليه ^(٣) وقوله " لاتزال جهنم يلقي فيها وهي تقول هل من مزيد ؟ حتى يضع رب العزة فيها رجله - وفى روايه : عليها قدمه - فينزوي بعضها الى بعض وتقول : قط قط متفق عليه ^(٤) . وقوله " يقول الله تعالى يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادى بصوت : ان الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا الى النار " رواه البخارى ^(٥) وقوله للجارية أين الله ؟ قالت فى السماء قال من أنا ؟ قالت أنت رسول الله قال اعتقها فانها مؤمنة رواه مسلم ^(٦) وقوله " انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون فى رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا " متفق عليه ^(٧) .

الى أمثال هذه الاحاديث التى يخبر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه بما يخبر به .

فان الفرقه الناجية أهل السنه والجماعه - يؤمنون بذلك كما يؤمنون بما أخبر الله به فى كتابه العزيز من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل .

-
- (١) صحيح البخارى ج ٢ ص ٤٧ باب التهجد ، مسلم صلاة المسافرين ج ١ ص ٥٢١-٢٢٢
(٢) " " ج ٧ ص ١٤٦ كتاب الدعوات ، مسلم كتاب التوبه ج ٤ ص ٢١٠
(٣) " " ج ٣ ص ٢١٠ كتاب الجهاد ، مسلم كتاب الاماره ج ٣ ص ١٥٠-١٥٥
(٤) " " ج ٧ ص ٢٢٥ كتاب الايمان ، مسلم كتاب الجنة ج ٤ ص ٢١٨
(٥) " " كتاب التفسير ج ٥ ص ٢٤١
(٦) " " كتاب المساحد ج ١ ص ٣٨٢
(٧) " " كتاب المواقيت ج ١ ص ١٣٩ صحيح مسلم كتاب المساجد ج ١ ص ٤٣٩

الايمان بكتبه :

ومن الايمان بالله ويكتبه الايمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وأاليه يعود وأن الله تعالى تكلم به حقيقه وأن هذا القرآن الذى أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم هو كلام الله حقيقه لا كلام غيره .

الايمان باليوم الآخر :-

ومن الايمان باليوم الاخر الايمان بكل ما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت فيؤمنون بفتنة القبر ويعذاب القبر وينعيمه وبالبعث وبالموازين والدواوين - وهى صحائف الأعمال - فأخذ كتابه بيمينه وأخذ كتابه بشماله . وبالحساب وبالعرض والحوض والصراط وهو الجسر الذى بين الجنة والنار يمر الناس عليه على قدر أعمالهم فمنهم من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس الجواد ومنهم من يمر كركاب الأبل ومنهم من يعد واعدوا ومنهم من يمشي مشيا ومنهم يزحف زحفا ومنهم من يخطف فيلقى في جهنم ، ويؤمنون بالشفاعة ، ويؤمنون بأصناف ما تضمنته الدار الآخرة من الحساب والثواب والعقاب والجنة والنار وتفصيل ذلك مذكورة فى الكتب المنزلة من السماء والآثار من العلم المأثور عن الأنبياء وفى العلم الموروث عن محمد صلى الله عليه وسلم من ذلك ما يشفى ويكفى .

الايمان بالقدر :

وتؤمن بالفرقة الناجية - أهل السنة والجماعة - بالقدر خيره وشره والايمان بالقدر على درجتين .
الاولى : الايمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذى هو موصوف به أزلا وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والارزاق والآجال .

الثانية : مشيئة الله النافذة وقد رته الشامله وهو الايمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأنه ما في السموات والأرض من حركه ولا سكون الا بمشيئة الله سبحانه لا يكون في ملكه الا ما يريد وأنه سبحانه وتعالى على كل شىء قدير من الموجودات والمعدومات . والعباد فاعلون حقيقه والله خالق أفعالهم والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلي والصائم وللعباد قدره على أفعالهم ولهم اراده والله خالقهم وخالق قدرتهم وارانتهم كما قال تعالى (لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤون الا أن يشاء الله رب العالمين * (١))

ومن أصول أهل السنة ان الايمان قول وعمل قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان . ولا يكفرون أحدا من أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر بل الاخوة الايمانيه ثابتة مع المعاصي كما قال سبحانه وتعالى في آيه القصص " فمن عفي له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف " (٢) ولا يسلبون الفاسق الملبى اسم الايمان بالكليه ولا يخلدونه في النار ويقولون هو مؤمن ناقص الايمان أو مؤمن بايمانه فاسق بكبيرته .

ومن أصول أهل السنة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وصفهم الله به في قوله سبحانه " والذين جاءوا من بعدهم يقولون : ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم " (٣) وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم في قوله " لاتسبوا أصحابي فوالذى نفسي بيده

(١) سورة التكوير : الايتين ٢٨ - ٢٩

(٢) سورة البقرة : الآية ١٧٨

(٣) سورة الحشر : الآية ١٠

لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أخذهم ولا نصيفه^(١) " ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والاجماع من فضائلهم ومراتبهم ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعن غيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ، ويثلاثون بعثمان ويربعون بعلي رضي الله عنهم كما دلت عليه الآثار واختلف بعض أهل السنة في عثمان وعلي رضي الله عنهما وإن كانت مسألتهم ليست في الأصول التي يضل فيها المخالف عند جمهور أهل السنة والجماعة لكن المسألة التي يضل المخالف فيها هي مسألة الخلافة وذلك أنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء الأئمة فهو أضل من حمار أهله .

ومن عقائد أهل السنة أنهم يحبون أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال يوم عدير خم أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي . ويتولون أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ويمسكون عما شجر بين الصحابة رضوان الله عليهم وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الآثام وصغائره بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة ولهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم وقد ثبت بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم خير القرون وأن المد من أحدهم إذا تصدق به أفضل من جبل أحد ذهباً ممن بعدهم .

ثم القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نزر في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصره والعلم النافع والعمل الصالح .

(١) صحيح البخاري كتاب الفضائل ج٤ ص١٩٥ مسلم الفضائل ج٤ ص١٩٦٢

ومن اصول أهل السنة والجماعة التصديق بكرامات الأولياء وما يجرى
الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات كالمأثور
عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها وعن صدر هذه الأمة من الصحابة
والتابعين وسائر قرون الأمة الى يوم القيامة .

ومن أصولهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجهه الشريعة
ويرون اقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء أحرارا كانوا
أو فجارا ويحافظون على الجماعات ، ويدينون بالنصيحة للأمة ويأمرون بالصبر
عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمر القضاء ، وينديون الى أن تصل
من قطعك وتعطى من حرمك وتعفوا عن من ظلمك ويأمرون ببر الوالدين
وصلة الأرحام وحسن الجوار والاحسان الى اليتامى والمساكين وابن السبيل
والرفق بالملوك وينهون عن الفخر والخيلاء والبغى والاستطالة على الخلق
بحق أو بغير حق ويأمرون بمعالي الأخلاق وينهون عن سفاسفها وكل
ما يقولونه أو يفعلونه من هذا أو غيره فانما هم فيه متبعون للكتاب
والسنة وطريقتهم هي دين الاسلام الذي بعث الله به محمد صلى الله
عليه وسلم (١) .

ذلكم مجمل عقيدة أهل السنة والجماعة أما تفصيل ما وعدت بتفصيله
مما كان موضع خلاف بين أهل السنة والجماعة وما عداهم من الفرق فأنني
مورده هنا بتفصيل مناسب لأبحاث في التفسير لأبحاث في العقيدة .
تزييه الله عن البداء :

البداء في لغة العرب على معنيين

أولهما : الظهور بعد الخفاء وورد هذا المعنى في القرآن الكريم
في عدة مواضع منها قوله سبحانه " ويدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون " (٢)

(١) هذا مجمل عقيدة أهل السنة والجماعة لخصته من العقيدة الواسطية
لابن تميمية رحمه الله تعالى انظر مجموع الفتاوى ج ٣ من ص ٩١ الى ص ١٥٩
(٢) سورة الزمر الآية ٤٧

وقوله سبحانه "وبدا لهم سيئات ما عملوا"^(١) وقوله عز وجل " وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله"^(٢)

ثانيهما : نشأة الرأى الجديد ومنه فى القرآن الكريم قوله تعالى " ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين"^(٣) .

والبداء بهذين المعنيين لا يجوز نسبتها الى الله سبحانه وتعالى لما يلزمهما من سبق الجهل وحدوث العلم بعده وكلاهما تنزه الله عنه لانهما صفتا نقص والأدلة كثيرة من الكتاب والسنة كقوله تعالى " ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير"^(٤) وقوله سبحانه " وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين"^(٥) وغير ذلك من الآيات وكقول الرسول صلى الله عليه وسلم " قدر الله تعالى مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وكان عرشه على الماء"^(٦)

وكما أن أهل السنة والجماعة وسط فى فرق الأمة كما أن الأمة هى الوسط فى الأمم^(٧) فأنهم هنا أيضا فى هذا المعتقد يتربعون على عرش الوسطية مرتفعين عن اليهود والرافضة حيث افكر اليهود النسخ لأنه يستلزم البداء على الله بزعمهم وقالت الرافضة بالنسخ وأثبتوا لازمه بزعمهم وهو البداء ، وتوسط أهل السنة والجماعة فأخذوا بأدلة الكتاب والسنة وقالوا بالنسخ وأنكروا البداء وقالوا أنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون

(١) سورة الجاثية الاية ٣٣

(٢) سورة البقرة الاية ٢٨٤

(٣) سورة يوسف الاية ٣٥

(٤) سورة الحديد : الاية ٢٢

(٥) سورة الانعام : ٥٩

(٦) قال الالبانى فى هذا الحديث صحيح وأخرجه أيضا أحمد ١٦٩/٢

والترمذى وصححه دون قوله " وكان عرشه " وهو رواية لمسلم ورواه البيهقى

فى الأسماء ٢٦٩ شرح الطحاوية ص ١٤٠

(٧) مجموع الفتاوى : لابن تيمية ج ٣ ص ١٤١

وما لم يكن ان لو كان كيف يكون كما قال تعالى (ولوردوا لما نهوا عنه)^(١)
وان كان يعلم أنهم لا يردون ولكن أخيراً لو ردوا كما قال تعالى
(ولو علم الله فيهم خيراً لاسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون)^(٢)
وقالوا على العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه في كل كائن من خلقه
فقد رذل ذلك تقديراً محكماً مبرماً ليس فيه ناقص ولا معقب ولا مزيل ولا مغير
ولا ناقص ولا زائد من خلقه في سماواته وأرضه^(٣) وسيأتي تفسير الآيات
المتعلقة بهذا البحث في موضعه ان شاء الله .

اثبات الرؤية :

ويعتقد أهل السنة أن أهل الجنة يرون ربهم يوم القيامة بغير احاطة
ولا كيفية كما نطق به كتاب ربنا " وجوه يومئذ ناظره الى ربها ناظره "^(٤)
وتفسيره على ما أراد الله تعالى وعلمه وكل ما جاء في ذلك من الحديث
الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كما قال ومعناه على
ما أراد لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا فإنه
ما سلم في دينه الا من سلم لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم
ورد علم ما اشتبه عليه الى عالمه - وهي عندهم أعني الرؤية - من أشرف
مسائل أصول الدين وأجلها وهي الغاية التي شعر اليها المشمرون وتنافس
المتنافسون .^(٥)

واستدلوا لاثبات الرؤية بعده أدله من الكتاب فمن الكتاب قوله
تعالى " وجوه يومئذ ناظره الى ربها ناظره "^(٦) وقوله سبحانه على لسان

(١) الانعام : الآيه ٢٨

(٢) الانفال : الآيه ٢٣

(٣) شرح الطحاوية : علي بن أبي العز الحنفى ص ١٥٢ (الشرح)

(٤) شرح الطحاوية : علي بن أبي العز الحنفى ص ٣٠٢ (المتن)

(٥) سورة القيامة : الآيتين ٢٢ - ٢٣

(٦) شرح الطحاوية : ص ٢٠٣ - ٢٠٤

موسى عليه السلام " رب أرنى انظر اليك " (١) ولا يجوز ان يسأل موسى عليه السلام ربه ما يستحيل عليه فاذا لم يجر ذلك على موسى عليه السلام علمنا انه لم يسأل ربه مستحيلا وأن الرؤيه جائزه على ربنا تعالى (٢) واستدلوا بقوله سبحانه جوابا لموسى عليه السلام " فان استقر مكانه فسوف تراني " (١) قالوا لما كان الله تعالى قادرا على أن يجعل الجبل مستقرا كان قادرا على الأمر الذى لو فعله لراه موسى صلى الله عليه وسلم فدل ذلك على أن الله تعالى قادر أن يرى عباده نفسه وانه جائز رؤيته (٣) .

واستدلوا بقوله سبحانه " للذين احسنوا الحسنى وزيادة " (٤) قالوا أن الزيادة هي النظر الى الله عز وجل ولم ينعم الله تعالى على أهل الجنة بأفضل من نظرهم اليه ورؤيتهم له وقال تعالى " ولدنا مزيدا " قيل النظر الى الله عز وجل وقال تعالى " تحيتهم يوم يلقونه سلاما " واذا لقيه المؤمنون رأوه وقال تعالى " كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون " فحجبهم عن رؤيته ولا يحجب عنها المؤمن

ومن السنن :

وقد تواترت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم الداله على الرؤيه رواها أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن ومنها " حديث

-
- ١ - سورة الاعراف : من الآيه ١٤٣
 - ٢ - انظر الابانه عن أصول الديانه : لأبى الحسن الأشعري ص ٤١
 - ٣ - المرجع السابق : ص ٤٣
 - ٤ - سورة يونس : من الآيه ٢٦
 - ٥ - سورة ق : من الآيه ٣٥
 - ٦ - سورة الاحزاب : من الآيه ٤٤
 - ٧ - سورة المطففين : الآيه ١٥
 - ٨ - الابانه عن اصول الديانه لابى موسى الاشعري ص ٤٥ - ٤٦
 - ٩ - شرح الطحاويه ص ٢٠٩

ابى هريره رضى الله عنه " أن ناسا قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ؟ قالوا لا يارسول الله قال هل تضارون في الشمس ليس دونها سحب ؟ قالوا لا قال فأنكم ترونه كذلك الحديث . (١)

وحديث جرير بن عبد الله البجلي رضى الله عنه قال كنا جلوسا مع النبي صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة أربع عشرة فقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا لاتضامون فى رؤيته . (٢)

وما رواه صهيب رضى الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة " (٣) قال " اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون ما هو ؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار فيكشف الحجاب فينظرون اليه فما أعطاهم شيئا أحب اليهم من النظر اليه وهى الزيادة " (٤) .
وقد روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابيا . (٥)

الأسماء والصفات ؛

أما على سبيل الاجمال فقد سلف بيان عقيدة أهل السنة فى ذلك وأما على التفصيل فسأعرض لبعضها بشيء من ذلك وهو ما كان موضع خلاف بين أهل السنة والفرق التاليفة فى هذه الدراسة .

-
- ١ - البخارى ك الأذان ج ١ ص ١٩٥ ومسلم ك الايمان ج ١ ص ١٦٣ مسند الامام احمد ج ٣ ص ١٦ وغيرهم .
 - ٢ - صحيح البخارى : المواقيت ج ١ ص ١٣٩ ، صحيح مسلم المساجد ج ١ ص ٤٣٩
 - ٣ - سورة يونس : الآيه ٢٦
 - ٤ - صحيح مسلم كتاب الايمان ج ١ ص ١٦٣ مسند أحمد ج ٤ ص ٣٣٣ سنن الترمذى كتاب التفسير ج ٥ ص ٢٨٦ وسنن ابن ماجه المقدمه ج ١ ص ٨١
 - ٥ - شرح الطحاويه : ص ٢١٠

الجهه :

قلنا ان أهل السنه يصفون الله سبحانه بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل ، ومعلوم أنه ليس في النص اثبات لفظ الجهه ولا نفيه .^(١) وأحسن من اطلعت على قوله في هذا ابن تيميه رحمه الله تعالى حيث وضع ذلك توضيحا شافيا في مثل هذا اللفظ ونحوه من الألفاظ حيث قال رحمه الله تعالى : -

وبالجملة فمعلوم ان الألفاظ " نوعان " : -

لفظ ورد في الكتاب والسنه أو الاجماع ، فهذا اللفظ يجب القول بموجبه سواء فهمنا معناه أو لم نفهمه لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يقول الا حقا والأمة لا تجتمع على ضلاله .

(والثاني) لفظ لم يرد به دليل شرعي كهذه الألفاظ التي تنازع فيها أهل الكلام والفلسفه هذا يقول : هو متحيز وهذا يقول : ليس بمتحيز ، وهذا يقول هو في جهه وهذا يقول ليس هو في جهه وهذا يقول : هو جسم أو جوهر وهذا يقول ليس بجسم ولا جوهر فهذه الألفاظ ليس علي أحد أن يقول فيها بنفي ولا اثبات حتى يستفسر المتكلم بذلك فان بين أنه أثبت حقا اثبته وان أثبت باطلا رده وان نفى باطلا نفاه وان نفى حقا لم ينفه وكثير من هؤلاء يجمعون من هذه الأسماء بين الحق والباطل في النفي والاثبات " .^(٢)

ثم طبق رحمه الله تعالى هذا القول على من قال بالجهه فقال عنه " فمن قال انه في جهه وأراد بذلك أنه داخل محصور في شيء من المخلوقات - كائنا من كان - لم يسلم اليه هذا الاثبات وهذا قول الحلوليه

١ - مجموع الفتاوى : ابن تيميه ج ٣ ص ٤١

٢ - مجموع الفتاوى : ابن تيميه ج ٥ ص ٢٩٨ - ٢٩٩

وان قال أنه مباين للمخلوقات فوقها لم يمانع في هذا الاثبات بل هذا
ضد قول الحلوية ، ومن قال ليس في جهة فان أراد أنه ليس مبايناً للعالم
ولا قوقه لم يسلم له هذا النفي ^(١) .
وبهذا يتضح مذهب أهل السنة في نحو هذه الألفاظ أعني الجهة
والجسم والجوهر والحيز ونحوها .

الاستواء :

ورد لفظ الاستواء في القرآن الكريم سبع مرات ومنها قوله تعالى
" ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على
العرش " ^(٢) ومنها قوله سبحانه " الرحمن على العرش استوى " ^(٣) .
وأهل السنة والجماعة يؤمنون باستواء الله على عرشه بالكيفية
التي يعلمها سبحانه ويقولون كما قال ربيعة بن عبد الرحمن الاستواء غير
مجهول والكيف غير معقول ومن الله رساله وعلى الرسول البلاغ المبين
وعلينا التصديق وكما قال تلميذه مالك بن أنس حسين جاءه رجل فقال
يا أبا عبد الله (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى ؟ فأطرق مالك
برأسه حتى علاه الرخضاء ^(٤) ! ثم قال : الاستواء غير مجهول والكيف
غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعه وما أراك الا مبتدعا ثم
أمر به أن يخرج .

قال ابن تيمية " فقول ربيعة ومالك الاستواء غير مجهول والكيف غير
معقول والايمان به واجب موافق لقول الباقيين أمروها كما جاءت بلا
كيف فانما نفوا علم الكيفيه ولم ينفوا حقيقة الصفه " ^(٥) .

-
- ١ - مجموع الفتاوى : ج ٥ ص ٢٩٩
 - ٢ - سورة الاعراف من الآيه ٥٤ وسوره يونس من الآيه ٣
 - ٣ - سورة طه الآيه ٥
 - ٤ - قال في القاموس الرخضاء عرق يغسل الجلد كثره ج ٢ ص ٣٣١
 - ٥ - مجموع الفتاوى : ابن تيميه ج ٥ ص ٤٠ - ٤١

بيمين الرحمن :

والحديث عن يمين الرحمن حديث عن يدي الله سبحانه وتعالى وعقيدة أهل السنة في ذلك أن لله تعالى يدين مختصتين به ذاتيتين له كما يليق بجلاله وأنه سبحانه خلق آدم بيده وأنه يقبض الأرض ويطوى السموات بيده اليمنى وأن يديه مبسوطتان ومعنى بسطهما بذل الجود وسعة العطاء^(١) ، وقد أثبت أهل السنة اليدين لله تعالى لنصوص القرآن الكريم الكثيره ومنها قوله تعالى " وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء"^(٢) وقال سبحانه ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي^(٣) وقال عز وجل " وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه"^(٤) وقال سبحانه " أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون"^(٥).

وقد تواتر في السنة مجيء اليد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم .^(١)

هذه بعض الأبحاث الداخلة تحت عقيدة الايمان بالله عند أهل السنة وانما خصصناها بالذكر لورود بعض التفاسير المخالفة لها عند بعض أرباب الفرق فيما سيأتى من أبحاث . أما العقيدة في القرآن الكريم فهي :-

القرآن كلام الله منزل غير مخلوق :

يعتقد أهل السنة والجماعة أن القرآن كلام الله منه بدا بلا كيفية

١ - مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ٦ ص ٣٦٣

٢ - سورة المائدة : من الآيه ٦٤

٣ - سورة ص : من الآيه ٧٥

٤ - سورة الزمر : من الآيه ٧٧

٥ - سورة يس : من الآيه ٧١

قولا ، وأنزله على رسوله وحيا ، وصدق المؤمنون على ذلك حقا ،
وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقه ليس بمخلوق ككلام البريه فمن
سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر وقد ذمه الله وأوعده بسقـر
حيث قال تعالى سأصليه سقر^(١) فلما أوعد الله بسقر لمن قال (ان
هذا الا قول البشر)^(١) علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر ولا يشبهه
قول البشر^(٢) .

تلكم عقيدته أهل السنة والجماعة في القرآن الكريم قال عنها شارح
الطحاويه " هذه قاعده شريفه وأصل كبير من أصول الدين ضل فيه
طوائف كثيره من الناس وهذا الذي حكاه الطحاوي رحمه الله هو الحق
الذي دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة لمن تدبرهما وشهدت به
القطرة السليمه التي لم تغير بالشبهات والشكوك والآراء الباطله^(٣) .

سلامة القرآن من التحريف :

قال تعالى : إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون^(٤) وقال
سبحانه " وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد^(٥) .

ولذا ولغيره من النصوص أجمع أهل السنة على سلامة القرآن من
التحريف أو التغيير أو التبديل أو الزيادة أو النقص ومن اعتقد
أن القرآن الكريم غير محفوظ فقد خرج عن ريقه الاسلام .

١ - سورة المدثر : الايتين ٢٥ - ٢٦

٢ - شرح الطحاويه : ص ١٢٩

٣ - شرح الطحاويه : ص ١٢٩

٤ - سورة الحجر : الايه ٩

٥ - سورة فصلت : من الآيتين ٤١ - ٤٢

ونصوص علماء أهل السنه في ذلك كثيره ومنها قول القاضي عياض رحمه الله تعالى قد أجمع المسلمون أن القرآن المتلوف في جميع أقطار الأرض المكتوب في المصحف بأيدي المسلمين مما جمعه الفتان من أول الحمد لله رب العالمين الى آخر قل أعوذ برب الناس أنه كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأن جميع ما فيه حق وأن من نقص منه حرفا قاصدا لذلك أو بدله بحرف آخر مكانه أو زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع الاجماع عليه واجمع على أنه ليس من القرآن عامدا لكل هذا أنه كافر ولهذا رأى مالك قتل من سب عائشه رضي الله عنها بالفريه لأنه خالف القرآن ومن خالف القرآن قتل أي لأنه كذب بما فيه وقال ابن القاسم من قال ان الله تعالي لم يكلم موسى تكليما يقتل وقاله عبد الرحمن بن المهدي وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان ليستا من كتاب الله يضرب عنقه الا أن يتوب وكذلك كل من كذب بحرف منه . . . وقال أبو عثمان الحداد جميع من ينتحل التوحيد متفقون أن الجحد لحرف من التنزيل كفر وكان أبو العاليه اذا قرأ عنده رجل لم يقل له ليس كما قرأت ويقول أنا فأقرأ كذا فبلغ ذلك ابراهيم فقال أراه سمع أنه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله وقال عبد الله بن مسعود من كفر بآيه من القرآن فقد كفر به كله . . . (١)

وقال ابن قدامه " ولا خلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن سورة أو آيه أو كلمه أو حرفا متفقا عليه أنه كافر " (٢)

وكذا قال البغدادي " وأكفروا - أي أهل السنه - من زعم من الراضه أن لاجه اليوم في القرآن والسنه لدعواه أن الصحابه غيروا بعض القرآن وحرفوا بعضه " (٣)

١ - الشفا : القاضي عياض ج ٢ ص ٢٦٤ - ٢٦٥
٢ - لمعه الاعتقاد : موفق الدين عبد الله بن احمد بن محمد بن قدامه المقدسي ص ١٦ - ١٧
٣ - الفرق بين الفرق : عبد القاهر البغدادي ص ٣١٥

وقال ابن حزم "القول بأن بين اللوحين تبديلا كفر صريح
وتكذيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم" (١).

وها أنت ترى حكم علماء أهل السنة والجماعة فيمن أنكر حرفا واحدا
من القرآن الكريم فكيف بمن ادعى أكثر من ذلك والعياذ بالله .
وما كنت لأزيد عن الإشارة لعقيدة أهل السنة في مثل هذا لولا أن نابته
من علماء الشيعة في العصر الحديث كادت ومكرت في سبيل تقرير هذه
العقيدة إذ لم يثبتوها بطريق مألوف مباشر بل أنكروا قولهم بالتحريف
وزعموا أنها عقيدة أهل السنة وذهبوا يستدلون لافتراءهم هذا بأدله
لا اشك في اعتقادهم وهنأها وضعفها دلالة أو ثبوتها وإنما أورد ههنا
خداعا وتمويهها وما عدا ذلك فاستدلوا بقول أهل السنة بالناسخ والمنسوخ
وباختلاف القراءات وشبهه لهم أن قول أهل السنة بهذا قول بالتحريف
قلبوا الحقيقة فقول أهل السنة بهذا دليل على الحفظ لأعلى ضده
إذا أنهم لم يفتهم من القرآن حتى ما نسخ وحتى القراءات المتعددة للكلمة
فاذا كان لم يفتهم شيء من هذا ولا ذاك بل دونوه وميزوا بين الناسخ
والمنسوخ وبين ما يقرأ به وما لا يقرأ به وهذا لعمرى من أقوى الأدلة علي
حفظ هذا القرآن الكريم إلا عند صاحب هوى وبدعه .

وان المسلم ليعجب الحماس الشيعة في إيراد الأدلة عند أهل السنة
والتكلف لإثباتها وتقرير دلالتها وهم يزعمون إنكار التحريف ويعجب لهذا
الحرص على تصحيحهم لهذه الأدلة ولا يدري سببا لم ينكرون - بزعمهم -
القول بالتحريف إذا كانوا يعتقدون صحة هذه الأقوال .

ويبطل عجب المسلم اللبيب إذا عرف أنهم ينكرون القول بالتحريف
تقيسه وكيدا ومكرا ويعوضون هذا الإنكار بإيراد الأدلة والشبه وحشود هن
القارىء بها ونسبت ذلك إلى عقيدة أهل السنة حتى إذا ما قبل القارئ

دلالة هذه الأدلة وقبلها قال بتحريف القرآن فوافق معتقد هم حقيقة وان رفضها وأنكرها فانما أنكر أدلة أهل السنة ورفض رأى أهل السنه وخرجوا منه أبرياء . . . وهذا لعمري كيد أى كيد ومكرأى مكر .

وأمر آخر ذللكم أن كل من خالف من أهل الفرق فإنه أول آيات القرآن وحرف معانيها وحرف مدلولاتها عن حقيقتها الى ما يؤيد مذهبه ولم يجروا أحد من أصحاب المذاهب والفرق الى القول بالزيادة أو النقصان فى القرآن الا فرقة واحدة فرقة الشيعة إذ لم يجدوا من النصوص القرآنية ما يؤيد عقيدتهم ولم يستطيعوا تأويلها وصرف معانيها عن حقيقتها صرفا يوازى انحراف عقيدتهم فلم يجدوا موازيا لهذا الانحراف الا القول بتحريف القرآن وبغيره لا يستطيعون اثبات عقائد هم .

وما كان نهجي أن أعرض للرأى المخالف وأنا أسوق عقائد أهل السنه لولا أن المخالف هنا متعين أولا ، والحاجه ماسه الى بيان اسلوبه ومكره فى هذا ثانيا .

ظاهر القرآن وباطنه :

وجل ما يعتمد عليه أصحاب القول بأن للقرآن ظهرا وباطنا وحدا ومطلعا ماروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل حرف منها ظهروطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع والحديث الذى سئل عنه ابن تيمية " للقرآن باطن وللباطن باطن الى سبعة أبطن " فكان جوابه رحمه الله تعالى " أما الحديث المذكور فمن الأحاديث المختلقه التى لم يروها أحد من أهل العلم ولا يوجد فى شىء من كتب الحديث ولكن يروى عن الحسن البصرى موقوفا أو مرسلا " أن لكل آية ظهرا وباطنا وحدا ومطلعا " (١) .

وأما حديث ابن مسعود رضى الله عنه فقد أورده الامام الطبرى رحمه الله تعالى بسندين قال عنهما الشيخ احمد شاکر " هو حديث واحد باسنادين ضعيفين أما أحدهما فلانقطاعه بجهاله راويه عن ذكره عن أبى الأحوص ، وأما الآخر فمن أجل ابراهيم الهجرى راويه عن أبى الأحوص " ثم قال " والحديث بهذا اللفظ الذى هنا ذكره السيوطى فى الجامع الصغير رقم ٢٧٢٧ ونسبه للطبرانى فى المعجم الكبير ورمز له بعلامة الحسن ولا ندرى اسناده عند الطبرانى " (١)

ومع وصف ابن تيميه رحمه الله تعالى لنحو هذه الأحاديث بالاختلاق وتضعيف أحمد شاکر لهما فان أهل السنه بينوا المراد بالظاهر والباطن فيهما .

بين ذلك الامام الطبرى رحمه الله تعالى فقال " وقوله صلى الله عليه وسلم " وان لكل حرف منها ظهرا ويطنا " فظهره الظاهر فى التلاوة ويطنه ما بطن من تأويله " وعلق على هذا الشيخ أحمد شاکر رحمه الله تعالى بقوله " الظاهر ما تعرفه العرب من كلامها وما لا يعذر أحد بجهالته من حلال وحرام والباطن : هو التفسير الذى يعلمه العلماء بالاستنباط والفقهاء لم يرد الطبرى ما تفعله طائفة الصوفيه وأشباههم فى التلاعب بكتاب الله وسنة رسوله والعبث بدلالات الفاظ القرآن وادعائهم أن لالفاظه " ظاهرا " هو الذى يعلمه علماء المسلمين و " باطنا " يعلمه أهل الحقيقه ، فيما يزعمون " .

وبين ذلك ابن تيميه رحمه الله تعالى حيث قسم الباطن الى قسمين " أحدهما : باطن يخالف العلم الظاهر و " الثانى " لا يخالفه فأما الأول فباطل : فمن ادعى علما باطنا أو علما بباطن وذلك يخالف العلم

(١) تفسير الطبرى : تخريج أحمد محمد شاکر ج ١ ص ٢٢-٢٣

(٢) المرجع السابق : ج ١ ص ٧٢

الظاهر كان مخطئا اما ملحدا زنديقا واما جاهلا ضالا ، وأما الثاني فهو بمنزلة الكلام فى العلم الظاهر قد يكون حقا وقد يكون باطلا . . . فان علم أنه حق قبل وان علم أنه باطل رد والا أمسك عنه ، وأما الباطن المخالف للظاهر المعلوم فيمثل ما يدعيه الباطنية القرامطة من الاسماعيلية والنصيرين وأمثالهم . ممن وافقتهم من الفلاسفة وغلاة المتصوفه والمتكلمين^(١) ووضح هذا من موضع آخر فقال " وجماع القول فى ذلك أن هذا الباب نوعان :

" احدهما " أن يكون المعنى المذكور باطلا لكونه مخالفا لما علم فهذا هو فى نفسه باطل فلا يكون الدليل عليه الا باطلا لأن الباطل لا يكون عليه دليل يقتضى أنه حق .

و " الثاني " ما كان فى نفسه حقا لكن يستدلون عليه من القرآن والحديث بألفاظ لم يرد بها ذلك فهذا الذى يسمونه " اشارات " و " حقائق التفسير " لأبي عبد الرحمن فيه من هذا الباب شىء كثير وأما النوع الأول " فيوجد كثيرا فى كلام القرامطة والفلاسفة المخالفين للمسلمين فى أصول دينهم . . . وأما النوع الثاني " فهو الذى يشتبه كثيرا على بعض الناس فان المعنى يكون صحيحا لدلالة الكتاب والسنة عليه ، ولكن الشأن فى كون اللفظ الذى يذكرونه دل عليه وهذان قسمان :-

" أحدهما " ان يقال أن ذلك المعنى مراد باللفظ فهذا افتراء على الله فمن قال المراد بقوله " تذبحوا بقره " هي النفس ويقول " اذهب الي فرعون " هو القلب (والذين معه) أبوبكر (اشداء على الكفار) عمر (رحما بينهم) عثمان (تراهم ركعا سجدا) علي ، فقد كذب على الله اما متعمدا واما مخطئا .

(١) مجموع الفتاوى ج ١٣ ص ٢٣٥ - ٢٣٦

" القسم الثاني " أن يجعل ذلك من باب الاعتبار والقياس لا من باب دلالة اللفظ فهذا من نوع القياس فالذى تسميه الفقهاء قياسا هو الذى تسميه الصوفيه اشارة وهذا ينقسم الى صحيح وباطل كانقسام القياس الى ذلك " (١) .

ثم قال " وقد تبين من ذلك أن من فسر القرآن أو الحديث وتأوله علي غير التفسير المعروف عن الصحابه والتابعين فهو مفتر على الله ملحد في آيات الله محرف للكلم عن مواضعه وهذا فتح لباب الزندقه والاحاد وهو معلوم البطلان بالاضطرار من دين الاسلام ، وأما ما يروى عن بعضهم من الكلام المجمل مثل قول بعضهم : لو شئت لأوقرت من تفسير فاتحة الكتاب الخ (٢) فهذا اذا صح عن نقل عنه كعلي وغيره لم يكن فيه دلالة على الباطن المخالف للظاهر بل يكون هذا من الباطن الصحيح الموافق للظاهر الصحيح .

وقد تقدم أن الباطن اذا أريد به ما لا يخالف الظاهر المعلوم فقد يكون حقا وقد يكون باطلا ولكن ينبغي أن يعرف أنه قد كذب على علي وأهل بيته لاسيما على جعفر الصادق ما لم يكذب على غيره من الصحابه (٣) وعذرا اذا ما استطردت بعض الاستطراد في بيان هذا ان كثيرا من الفرق يقوم انحرافها على التأويلات الباطنية . فلزم أن أفضل مذهب أهل السنه فى ذلك .

الامامه :

ان الامامه فرض واجب على الأمة لأجل إقامة الإمام ، ينصب لهم القضاء والأبناء ويضبط ثغورهم ويغزى جيوشهم ويقسم الفى بينهم

(١) مجموع فتاوى بن تيمية : ج ١٣ ص ٢٤٠ - ٢٤٢

(٢) بقية الاثر كما ورد في السؤال الموجه الى بن تيمية " كذا وكذا حمل جمل " .

(٣) مجموع فتاوى بن تيمية ج ١٣ ص ٢٤٣ - ٢٤٤

وينتصف لمظلومهم من ظالمهم وبالجملة^(١) يقيم شأن الدولة بجميع مرافقها .

ويرون أن طريق عقد الإمامة للإمام في هذه الأمة الاختيار بالاجتهاد . وقالوا ليس من النبي صلى الله عليه وسلم نص على إمامة واحد بعينه^(٢) نصوص صريحة ويثبتون الخلافه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا لأبي بكر الصديق رضى الله عنه تفضيلا له وتقديما على جميع الأمة ثم لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ثم لعثمان رضى الله عنه ثم لعلي بن أبي طالب رضى الله عنه وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون^(٣) .

وقالوا لانزى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا ، وان جازوا ولا ندعوا عليهم ولا نمنع يدا من طاعتهم ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة ، مالم يأمرؤا بمعصية وندعوا لهم بالصلاح والمعافاه ، والحق والجهاد ماضيان مع أولى الأمر من المسلمين برهم وفاجرهم الى قيام الساعة لا يبطلها شىء ولا ينقصها^(٤) ، والرافضه أخسر الناس صفقة في هذه المسألة لأنهم جعلوا الامام المعصوم هو الإمام العدوم الذى لم ينفعهم فى دين ولا دنيا ؛ فانهم يدعون أنه الامام المنتظر محمد بن الحسن العسكرى^(٥) .

هذا مجمل عقيدتهم في الامامه .

العصمة :

ويعتقدون أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه وتعالى وفى تبليغ رسالاته باتفاق الأمة بخلاف غير الأنبياء فانهم ليسوا معصومين كما عصم الأنبياء ولو كانوا أولياء لله^(٦) .

(١) الفرق بين الفرق : عبد القاهر البغدادي ص ٣٤٠

(٢) المرجع السابق ص ٣٤٠

(٣) العقيدة الطحاوية : ص ٥٧

(٤) العقيدة الطحاوية : ص ٤٧ - ٤٨

(٥) شرح الطحاوية : تجماعه من العلماء ص ٤٣٧

(٦) مجموع فتاوى ابن تيمية : جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد ج ١٠ ص ٢٨٩ - ٢٩٠

وقد سئل ابن تيمية رحمه الله تعالى عن ادعى العصمة لغير نبي فقال " فان الرفضه ادعت ذلك فيمن لاشك في ايمانه وتقواه بل فيمن لا يشك أنه من أهل الجنة كعلي والحسن والحسين رضى الله عنهم ومع هذا فقد اتفق أهل العلم والإيمان على أن هذا القول من أفسد الأقوال وأنه من أقوال أهل الإفك والبهتان فإن العصمة في ذلك ليست لغير الأنبياء وعليهم السلام . . ثم قال " والمقصود أن من ادعى عصمة هؤلاء السادة المشهود لهم بالإيمان والتقوى والجنة هو في غاية الضلال والجهالة ولم يقل هذا القول من له في الأمة لسان صدق بل ولا من له عقل محمود " (١) .

المهدى :

والمهدى حق قال السيوطى رحمه الله تعالى " قال أبو الحسن محمد بن الحسين بن ابراهيم بن عاصم السحرى قد توارثت الاخبار واستفاضت بكثرة روايتها عن المصطفى صلى الله عليه وسلم بمجىء المهدى وأنه من أهل بيته وأنه سيملك سبع سنين وأنه يملاء الأرض عدلا وأنه يخرج مع عيسى عليه السلام فيساعده على قتل الدجال بباب لُد بأرض فلسطين وأنه يؤم هذه الأمة وعيسى يصلي خلفه (٢) وحكى التواتر أيضا محمد بن رسول الحسينى فى كتابه الإشاعه لإشراط الساعه (٣) وحكاه ابن قيم الجوزيه فى المنار المنيف فى الصحيح والضعيف (٤) .

قال الشيخ الذهبى رحمه الله تعالى " لم نر من المسلمين من ذهب مذهب الاماميه من تعيين المهدى ودعواهم أنه الإمام الثانى عشر الذى اختفى حيا وسيعود فى آخر الزمان " (٥) .

-
- (١) مجموع الفتاوى ابن تيمية ج ٣٥ ص ١٢٠ و ١٢٦
 - (٢) الحاوى للفتاوى : الامام السيوطى ج ٢ ص ١٦٥ - ١٦٦
 - (٣) الاشاعه لإشراط الساعه : محمد بن رسول الحسينى ص ١١٢
 - (٤) المنار المنيف فى الصحيح والضعيف : ابن قيم الجوزيه ص ١٤٢
 - (٥) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبى ج ٢ ص ٨

انكار الرجعة :

ومن عقائد أهل السنة انكار رجعة أحد من الأموات قبل قيام الساعة
فلا يرجع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من أصحابه إلا يوم
القيامة إذا رجع الله المؤمنين والكافرين للحساب والجزاء هذا إجماع
أهل الإسلام قبل حديث الروافض^(١)

وقد نص القرآن الكريم نصاً صريحاً على أن لا رجعة قال تعالى
" حتى اذا جاء أحد هم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت
كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون"^(٢) وقال سبحانه
" ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم أبصرنا وسمعنا فأرجعنا
نعمل صالحاً إنا موقنون"^(٣)

الميزان والصراف حسين :

ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما جاء في الكتاب وبكل ما أخبر
به رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت .

فيؤمنون بنصب الموازين لوزن أعمال العباد قال تعالى " ونضع
الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من
خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين"^(٤) والذي دلت عليه السنة أن ميزان
الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان^(٥) قال شارح الطحاوية " فلا يلتفت
الى ملحد معاند يقول الأعمال إعراض لا تقبل الوزن وإنما يقبل الوزن
الاجسام ! فان الله يقلب الأعراض أجساماً"^(٥) وقال فعلياً
الإيمان بالغيب كما أخبرنا به الصادق صلى الله عليه وسلم من غير
زياده ولا نقصان^(٦)

(١) المحلي : ابن حزم ص ٢٤ ج والمعتد في أصول الدين :

محمد بن الحسين بن الغراء ص ٢٥٥

(٢) سورة المؤمنون : الآيتين ٩٩ - ١٠٠

(٣) سورة السجده : الآية : ١٢ (٤) الانبياء : الآية ٤٧

(٥) شرح الطحاوية : علي بن أبي العزص ٤٧٢ ، ٤٧٤

(٦) شرح الطحاوية : علي بن أبي العزص ٤٧٥

ونؤ من بالصراط وهو جسر على جهنم يمر الناس عليه على قدر أعمالهم
فمنهم من يمر كالمح البصر ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالريح ومنهم
من يمشي مشيا ومنهم من يزحف زحفا ومنهم من يخطف فيلقي في جهنم
فان الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم فمن مر على الصراط دخل
الجنة . (١)

أهل الكافر يوم القيامة :

ثار جدل طويل بين الفرق والمذاهب الإسلامية هل يسمى مرتكب
الكبيرة مؤمنا أو غير مؤمن ، وهل يخلد في النار أو يخرج منها ، وهل
يشفع له أولا يشفع له .

وأصل النزاع بين هذه الفرق يتعلق بأصل الإيمان هل يكون شيئاً
واحداً إذا زال جميعه وإذا ثبت ثبت كله أم لا .

أما المرجئه والجهمية والخوارج والمعتزلة فجماع شبهتهم أن الحقيقه
المركبه تزول بزوال بعض أجزائها . وانقسم هؤلاء الى قسمين
المرجئه قالوا كل فاسق فهو كامل الإيمان وإيمان الخلق متماثل
لا متفاضل والتفاضل في غير الإيمان من الأعمال والأعمال ليست من
الإيمان .

وقالت الجهمية والخوارج والمعتزلة لا يكون مع الفاسق إيمان ثم
انقسموا الى قسمين الخوارج قالت هو كافر والمعتزلة قالت هو فاسق
منزله بين المنزلتين ، ثم اتفقوا في الحكم فقالوا هو خالد في النار لا يخرج
منها بشفاعه ولا غيرها .

وكما أن الاسلام وسط بين الأديان فان أهل السنة استقروا في
وسط الوسط بين الفرق والمذاهب وتوسطهم في هذه المسأله أنهم قالوا
ان الإيمان يتبعض فيذهب بعضه ويبقى بعضه كما في قوله عليه الصلاة

(١) مجموع فتاوى بن تيميه ج ٣ ص ١٤٦ - ١٤٧

والسلام " يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان " ولهذا مذهبهم أن الإيمان يتفاضل ويتبعض وهذا كما قال ابن تيمية - مذهب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم .^(١)

ولهذا فإنهم لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي كما قال سبحانه وتعالى في آية القصص " فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف " ^(٢) وقال سبحانه " وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلتوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم " ^(٣)

ويقولون هو مؤمن ناقص الإيمان ، أو مؤمن بايمانه فاسق بكبيرته فلا يعطى الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الاسم ^(٤) .

وقالوا ان أهل الكبائر لا يخلدون في النار كما قال تعالى " ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها " ^(٥) قال ابن تيمية رحمه الله تعالى وقوله " جنات عدن يدخلونها " مما يستدل به أهل السنة على أنه لا يخلد في النار أحد من أهل التوحيد وأما دخول كثير من أهل الكبائر النار فهذا مما تواترت به السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم كما تواترت بخروجهم من النار " ^(٦) .

(١) مجموع الفتاوى ج ١٨ ص ٢٧٠

(٢) سورة البقرة من الآية : ١٧٨

(٣) سورة الحجرات : من الآيتين ٩ ، ١٠

(٤) مجموع الفتاوى : ابن تيمية ج ٣ ص ١٥١ - ١٥٢

(٥) سورة فاطر : من الآيتين ٣٢ ، ٣٣

(٦) مجموع الفتاوى : ابن تيمية ج ١١ ص ١٨٤

وما داموا لا يخلدون في النار فأنهم يخرجون منها فالصحابه والتابعون لهم باحسان وسائر الأئمة الأربعة وغيرهم يقرون بما تواترت به الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله يخرج من النار قوما بعد أن يعذبهم الله ما شاء أن يعذبهم يخرجهم بشفاعته محمد صلي الله عليه وسلم ويخرج آخرين بشفاعته غيره ويخرج قوما بلا شفاعته (١) ذلكم رأى أهل السنة في إيمان أهل الكبائر وعدم خلودهم في النار والشفاعة لهم .

الولاء والبراء :

ومذهب أهل السنة محبة أهل العدل والأمانه وبغض أهل الجور والخيانه وهذا من كمال الإيمان وتمام العبودية فإن العبادة تتضمن كمال المحبه ونهايتها ، وكمال الذل ونهايته ، فمحبة رسل الله وأنبيائه وعباده المؤمنين من محبة الله وإن كانت المحبه التي لله لا يستحقها غيره فغير الله يحب في الله لامع الله فإن المحب يحب ما يحب محبوبه ويبغض ما يبغض ويوالي من يواليه ويعادي من يعاديه ويرضي لرضائه ويبغض لبغضه ويأمر بما يأمر به وينهي عما ينهي عنه فهو موافق لمحبوبه في كل حال ، وقد يجتمع في العبد سبب الولايه وسبب العداوه والحب والبغض فيكون محبوبا من وجه ومبغوضا من وجه والحكم للغالب . (٢)

محبة الصحابه :

وخلاصة عقيدة أهل السنة في محبة الصحابه رضوان الله عليهم ما عبر عنه الطحاوي رحمه الله بقوله " ونحب أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم ولا نفرط في حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم ونبغض

(١) مجموع الفتاوى : ابن تيميه ج ١ ص ١٤٩

(٢) انظر شرح الطحاوي : ابن ابي العز ص ٤٣٢ - ٤٣٣

من يبغضهم ويغير الخير يذكرهم ولا نذكرهم إلا بخير وحبهم دين وإيمان وإحسان ويغضهم كفر ونفاق وطغيان" (١)

وما قاله ابن تيمية رحمه الله تعالى : " ومن أصول أهل السنه والجماعه سلام قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وصفهم الله به فى قوله تعالى " والذين جاءوا من بعدهم يقولون : ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم " (٢) وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله " لا تسبوا أصحابي فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه" (٣) ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة وإلجام من فضائلهم ومراتبهم" (٤)

محبة أهل البيت :

وأهل السنه والجماعه يحبون أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال يوم غدير خم أذكركم الله فى أهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى " . (٥)

ويتولون أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين ويؤمنون بأنهن أزواجه فى الآخرة . (٦)

وهم مع هذا لا يشهدون لهم بعصمه ولا يتعالون فى أوصافهم ولا يعتقدون سقوط التكليف عنهم روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال

-
- (١) شرح الطحاوية : ص ٥٢٨
 - (٢) سورة الحشر : الايه ١٠
 - (٣) صحيح البخارى : فضائل الصحابه ج ٤ ص ١٩٥ صحيح مسلم فضائل الصحابه ج ٤ ص ١٩٦٧
 - (٤) مجموع الفتاوى : ابن تيمية ج ٣ ص ١٥٢
 - (٥) رواه مسلم فى فضائل على رضى الله عنه ج ٤ ص ١٨٧٣
 - (٦) مجموع الفتاوى : ابن تيمية ج ٣ ص ١٥٤

قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله " وأنذر عشيرتـك الأقربين " (١) قال يا معشر قريش أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً يا بنى عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً وياصفية عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أغني عنك من الله شيئاً ويافاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً" (٢).

التقية :

التبس الأمر على طائفة من الناس جلاءً هذا اللبس ونبراس هذه القضية يكمن في التفريق بين كلمتي الإكراه ، والخوف ، وبالتفريق بينهما تتضح جوانب القضية وتضيء زواياها .

فالخوف هو توقع خلول مكروه أو فوت محبوب (٣) أما الإكراه فهو من الكره وهو فعل المضطر (٤) ولا يكون الاضطرار إلا بعد خوف ، إذا فالإكراه خوف زياده .

والخوف ليس عذراً في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإذا لو كان عذراً لما نهض أحد بتكاليف الإسلام بل لما بلغ الأنبياء رسالاتهم التي أرسلوا بها إلا إذا ارتقى الخوف من درجه " التوقع " إلى درجة " اليقين " فحينئذ يكون بمنزلة الإكراه .

وهل للمكره أن يقول أو يفعل ما يخالف عقيدته الإسلامية تقيه ممن ألزمه بذلك .

(١) سورة الشعراء : الآيه : ٢١٤

(٢) رواه البخارى : كتاب التفسير سورة الشعراء ج ٦ ص ١٧

(٣) المعجم الوسيط : ج ١ ص ٢٦١

(٤) تاج العروس : محمد مرتضى الزبيدى ج ٩ ص ٤٠٨

نصوص القرآن صريحة في جواز لا وجوب - قول ما يخلص المؤمن من إكراه الكفار له قال تعالى : " لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير " (١) وقال سبحانه " من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان " (٢) قال القرطبي رحمه الله تعالى " والقضية لا تحل إلا مع خوف القتل أو القطع أو الأيذاء العظيم ومن أكره على الكفر فالصحيح أن له أن يتصلب ولا يجيب السي التلفظ بكلمة الكفر بل يجوز له ذلك " (٣) بل قال حكى الإجماع فقال " أجمع العلماء على أن من أكره على الكفر فاختر القتل أنه أعظم عند الله ممن اختار الرخصه واختلفوا فيمن أكره على غير القتل من فعل ما لا يحل له " (٤)

بل روى عن معاذ بن جبل ومجاهد رضى الله عنهما : كانت التقيه في جدّة الإسلام قبل قوة المسلمين فأما اليوم فقد أعز الله الاسلام أن يتقوا من عدوهم " (٥)

هذا اذا كانت التقيه مع الكفار والاكراه بالقتل ، فانها تكون رخصه وأجمعوا على أن تركها أفضل فكيف بمن اتخذها مطيه للكذب المطلق بالقول والفعل بلا حدود ولا قيود مع المسلمين وزعم أنها من أصول الدين بل إنها تسعة أعشار الدين وأن لادين لمن لا تقيه له ، (٦) إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون (٧)

-
- (١) سورة آل عمران : الآيه ٢٨
(٢) سورة النحل : الآيه ١٠٦
(٣) تفسير القرطبي : ج ٤ ص ٥٧
(٤) تفسير القرطبي : ج ١٠ ص ١٨٨
(٥) تفسير القرطبي : ج ٤ ص ٥٧
(٦) الكافي : الكليني ج ٢ ص ٢١٧
(٧) سورة الأعراف آية ١٣٩

الإيمان بالقدر خيره وشره :

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى " وتؤمن الفرقه الناحيه - اهل السنه والجماعة - بالقدر خيره وشره والايمان بالقدر على درجتين كل درجه تتضمن شيئين :-

فالدرة الأولى : الايمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أذلا وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والارزاق والآجال .

ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق فأول ما خلق الله القلم قال له : اكتب قال : ما أكتب ؟ قال أكتب ما هو كائن الى يوم القيامة " (١) فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه جفت الأقلام وطويت الصحف كما قال سبحانه وتعالى " ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير " (٢) وقال " ما أصاب من مصيبه في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير " (٣) . . . فهذا القدر قد كان ينكره غلاة القدرية قد بما ومنكره اليوم قليل .

وأما الدرجة الثانية : فهومشيئة الله النافذه وقدرته الشامله وهو الايمان بأن ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأنه ما في السموات والأرض من حركه ولا سكون الا بمشيئة الله سبحانه لا يكون في ملكه الا ما يريد وأنه سبحانه وتعالى على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات . فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه .

(١) رواه أبو داود كتاب السنه ج ٤ ص ٢٢٥ - ٢٢٦

(٢) سورة الحج : الآيه ٧٠

(٣) سورة الحديد : الآيه ٢٢

ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاقه رسله ونهاهم عن معصيته ،
وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين والمقسطين ويرضى عن الذين آمنوا
وعملوا الصالحات ولا يحب الكافرين ولا يرضى عن القوم الفاسقين ولا يأمر
بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر ولا يحب الفساد .

والعباد فاعلون حقيقة ، والله خالق أفعالهم والعبد هو المؤمن
والكافر والبر والفاجر والمصلي والصائم ، وللعباد قدرة على أعمالهم
ولهم ارادة والله خالقهم وخالق قدرتهم وارادتهم كما قال تعالى " لمن
شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤون الا أن يشاء الله رب العالمين " (١)
وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامه القدرية الذين سماهم
النبي صلى الله عليه وسلم مجوس هذه الأمة ويغلو فيها قوم من أهل
الاثبات حتى سلبوا العبد قدرته واختياره ، ويخرجون عن أفعال الله
وأحكامه حكمها ومصلحتها " (٢) .

ذلكم تفصيل ما أردت تفصيله من عقيدة أهل السنة والجماعة وانما
خصت بعضها به لأنه موضع خلاف بين أهل السنة ومن عداهم من
المذاهب فيما يلي من أبحاث فكان لزاماً أن أذكره تفصيلاً هنا حتى
إذا ما تناولته في مواضع تالية لعقائد منحرفه أكون قد قدمت الرأى
الحق لمن أرادته وتبرأ ذمتى من عرض آراء ضاله من غير تبين الصراط
السوى . .

أسس تفسير أهل السنة :

يقوم منهج أهل السنة والجماعة فى التفسير على أسس واضحة
بينه أهمها :

(١) سورة التكويد : الآيتين ٢٨ ، ٢٩

(٢) مجموع الفتاوى : ابن تيميه ج ٣ ص ١٤٨ - ١٥٠ باختصار .

أولا : تفسير القرآن بالقرآن

وهو أصح طرق التفسير فما أجمل في مكان فأن قد فسر في موضع آخر وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر .

ثانيا : تفسير القرآن بالنسنة

فانها شارحه للقرآن وموضحه له بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن قال الله تعالى " إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما " (١) وقال تعالى (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلمهم يتفكرون) (٢) وقال تعالى (وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) (٣) ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " الا أنى أوتيت القرآن ومثله معه " (٤) يعنى السنه . (٥)

وقال - أيضا - الامام الشافعي رحمه الله تعالى " وسنن رسول الله مع كتاب الله وجهان : أحدهما نص كتاب فاتبعه رسول الله كما أنزل الله والآخر جملة بين رسول الله فيه عن الله معنى ما أراد بالجملة وأوضح كيف فرضها هاما أو خاصا وكيف أراد أن يأتي به العباد وكلاهما اتبع فيه كتاب الله " (٦) .

وقال الطبرى رحمه الله تعالى " إن مما أنزل الله من القرآن علي نبيه صلى الله عليه وسلم ما لا يوصل الى علم تأويله الا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك تأويل جميع ما فيه من وجوه أمره واجبه وسننه ،

-
- (١) سورة النساء فى الايه ١٠٥
 - (٢) سورة النحل من الايه ٤٤
 - (٣) سورة النحل من الايه ٦٤
 - (٤) رواه أحمد ج ٤ ص ١٣١ وأبو داود فى السنه وسنده صحيح ج ٤ ص ٢٠٠
 - (٥) مجموع الفتاوى ج ١٣ ص ٣٦٣ - ٣٦٤
 - (٦) الرساله : للامام الشافعي تحقيق أحمد محمد شاكر ص ٩١

وإرشاده ، وصنوف نهيه ، ووظائف حقوقه وحدوده ومبالغ فرائضه ومقادير
اللازم بعض خلقه لبعض وما أشبه ذلك من أحكام آية التي لم يدرك علمها
الابيان رسول الله صلى الله عليه وسلم لأئمة وهذا وجه لا يجوز لأحد
القول فيه الا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم تأويله بنص منه عليه
أو بدلالة قد نصبها دالة أئمة على تأويله . (١)

وقال الامام الشاطبي رحمه الله تعالى : ان السنة توضح المجمع
وتقيد المطلق وتخصص العموم فتخرج كثيرا من الصيغ القرآنية عن ظاهر
مفهومها في أصل اللغة وتعلم بذلك أن بيان السنة هو مراد الله تعالى
من تلك الصيغ فاذا طرحت واتبع ظاهر الصيغ بمجرد الهوى صار صاحب
هذا النظر ضالا في نظره جاهلا بالكتاب خابطا في عمياء لا يهتدى الي
الصواب فيها ، إذ ليس للعقول من ادراك المنافع والمضار في التصرفات
الدنيوية الا النزر اليسير وهي في الأخرى أبعد على الجملة
والتفصل . (٢)

هذا بعض ما قاله علماء السنة في تفسير القرآن بالسنة ومنه يعرف منزله
هذا النوع من التفسير بل إنهم لا يقبلون سواه إذا صح عندهم قال ابن تيمية
رحمه الله تعالى " ومما ينبغى أن يعلم أن القرآن والحديث إذا عرف
تفسيره من جهة النبي صلى الله عليه وسلم لم يحتج في ذلك إلى أقوال
أهل اللغة فإنه قد عرفت تفسيره " (٣) وقال أيضا " ولم يكن السلف يقبلون
معارض الآيه الا بآيه أخرى تفسرها وتنسخها أو بسنة الرسول صلى الله
عليه وسلم تفسرها فان سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تبين القرآن
وتدل عليه وتعبر عنه " (٣)

(١) تفسير الطبري تحقيق محمود شاكرج ١ ص ٧٤

(٢) الموافقات : الشاطبي ج ٤ ص ٢١

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية : جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد

ج ١٣ ص ٢٧ - ٢٩

ثالثا : تفسير القرآن بأقوال الصحابه :

فأنهم أدري بذلك لما شاهدوه من القرآن والأحوال التي اختصوا بها كمعرفة أوضاع اللغة وأسرارها ، ومعرفة عادات العرب وقت نزول القرآن ومعرفة عادات اليهود والنصارى حينذاك وقوة الفهم وسعة الإدراك ومعرفة أسباب النزول وما أحاطت بآيات القرآن من أحداث وقت نزولها ، لذا ولغيره تبوأ تفسيرهم هذه المنزلة من المقبول عند علماء أهل السنة والجماعة لاسيما علماء الصحابه وكبرائهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين كابن مسعود وابن عباس .

رابعا : اعتبار أقوال التابعين :

لأنهم تلقفوا علم الصحابه ووعوه ودارسوهم القرآن الكريم وسألوهم عنه كما قال مجاهد بن جبر رحمه الله تعالى عرضت المصحف على بن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها وقال قتاده مافى القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئا .
وانما قلت اعتبار أقوال التابعين لان بعض علماء أهل السنة والجماعة اعتبر أقوالهم حجة ملزمة وبعضهم لم يعتبرها كذلك إلا أنه يأخذ بها ويميزها عن أقوال من جاء بعدهم .

خامسا : تفسير القرآن بعموم لغة العرب :

لان القرآن الكريم نزل (بلسان عربي مبين)^(١) ويتوقف فهمه علي شرح امفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع ، والمعاني تختلِف باختلاف اعرابها ومن هنا مست الحاجة الى اعتبار علم النحو والتصريف الذي تعرف به الأبنية والكلمه المبهمه يتضح معناها بمصادرها ومشتقاتها^(٢)

(١) سورة الشعراء : من الآيه ٥٩

(٢) مباحث في علوم القرآن : مناع القطان ص ٣٣١

ونقل عن بعض علماء السلف تأكيد مثل هذا فقال مجاهد لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب" (١) وروى البيهقي في شعب الإيمان عن مالك بن أنس قال لا أوتي برجل غير عالم بلغات العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالا" (٢) بل قال الشاطبي " كل معنى مستنبط من القرآن غير جار على اللسان العربي فليس من علوم القرآن في شيء لا مما يستفاد منه ولا مما يستفاد به ومن ادعى فيه ذلك فهو في دعواه مبطل" (٣)

سادسا : التحذير من التفسير بالرأى المجرد

وأهل السنه حين جعلوا هذه الدرجات الخمس السابقة للتفسير حسب ترتيبها السالف حذروا بعد هذا من التفسير بمجرد الرأى لقوله تعالى " ولا تقف ما ليس لك به علم" (٤) وقوله " وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون" (٥) وقوله " لتبين للناس ما نزل اليهم" (٦) فأضاف البيان اليه وعليه حملوا قوله صلى الله عليه وسلم " من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار" رواه البيهقي من طرق من حديث ابن عباس وقوله صلى الله عليه وسلم " من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ" أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وقال غريب من حديث ابن جنيد وقال البيهقي في " شعب الإيمان " هذا ان صح فانما أراد - والله أعلم - الرأى الذى يغلب من غير دليل قام عليه فمثل هذا الذى لا يجوز الحكم به فى النوازل وكذلك لا يجوز تفسير القرآن به" (٧)

-
- (١) الاتقان : السيوطى ج ٢ ص ١٨٠
 - (٢) البرهان فى علوم القرآن : الزركشى ج ٢ ص ١٦٠
 - (٣) الموافقات : الشاطبى ج ٣ ص ٣٩١
 - (٤) سورة الاسراء : من الآيه ٣٦
 - (٥) سورة البقرة : من الآيه ١٦٩
 - (٦) سورة النحل : من الآيه ٤٤
 - (٧) البرهان : بدر الدين الزركشى ج ٢ ص ١٦١-١٦٢

ولهذا تخرج بعض الصحابة رضى الله عنهم من نحو هذا فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى، إن أنا قلت فى كتاب الله ما لأعلم وغير ذلك كثير حكى ابن تيميه رحمه الله تعالى طائفه منها ثم قال " فهذه الآثار الصحيحه وما شاكلها عن أئمة السلف محموله على تخرجهم عن الكلام فى التفسير بما لا علم لهم به فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعا فلا حرج عليه ولهذا روى عن هؤلاء وغيرهم أقوال فى التفسير ولا منافاة لأنهم تكلموا فيما علموه وسكتوا عما جهلوه وهذا هو الواجب على كل أحد " (١).

سابعا : الشمول فى القرآن الكريم :-

والشمول متفرع من الشمول فى الرسالة الاسلاميه فهى عامه لكل الناس قال تعالى " قل يأيتها الناس انى رسول الله اليكم جميعا " (٢) " وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا " (٣) وما دامت الشريعة الاسلاميه ليست لطائفه د ون أخرى بل هى للناس كافة فى كل زمان ومكان فلا عجب أن يكون كتابها القرآن الكريم شاملا واما " ان هو الا ذكر للعالمين " (٤) " وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ " (٥).

لهذا بنى أهل السنة قاعدة ساروا عليها فى تناول آيات القرآن بشمول آيات القرآن الكريم ومنع اختصاصها بسبب نزولها .

قال ابن تيميه رحمه الله تعالى " . . قولهم - إن هذه الآيه نزلت فى فلان وفلان . . لا يريدون به أنها آيه مختصه به كآيه اللعان وآيه القذف وآيه المحاربه ونحو ذلك لا يقول مسلم أنها مختصه بمن كان نزولها

(١) مجموع الفتاوى : ابن تيميه ج ١٣ ص ٣٧٤

(٢) سورة الاعراف : من الآيه : ١٥٨

(٣) سورة سبأ : من الآيه : ٢٨

(٤) سورة يونس : الآيه : ١٠٤

(٥) سورة الانعام : الآيه : ١٩

بسببه . . ثم قال " فلا يقول مسلم أن آية الظهار لم يدخل فيها إلا أوس
ابن الصامت وآية اللعان لم يدخل فيها إلا عاصم بن عدى أو هلال
بن أمية وأن ذم الكفار لم يدخل فيه إلا كفار قريش ونحو ذلك مما لا يقوله
مسلم ولا عاقل .

فان محمدا صلى الله عليه وسلم قد عرف بالاضطرار من دينه أنه
مبعوث الى جميع الانس والجن والله تعالى خاطب بالقرآن جميع الثقيلين^(١) .
حتى ما خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم فانهم شملوا به أمته
ما لم يقد دليل على التخصيص وجعلوا هذا هو الاصل في الخطاب
فقال ابن تيمية " ان الأصل فيما خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم
في كل أمر به ونهي عنه وأبيح له سار في حق أمته كمشاركة أمته له في
الأحكام وغيرها حتى يقوم دليل التخصيص فما ثبت في حقه من الأحكام ثبت
في حق الأمة اذا لم يخص ، هذا مذهب السلف والفقهاء " .^(٢)
وقال أيضا " ان قصر عمومات القرآن على أسباب نزولها باطل " ^(٣) وهذا
ما عبر عنه علماء السلف بالقاعدة الشرعية " العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب " .

ثامنا : ترك الاطناب فيما أبهم من القرآن :

قال تعالى " ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل
اولئك كان عنه مستغلا " ^(٤) وفي قوله تعالى " وما أوتيتم من العلم الا قليلا " ^(٥)
لمحة ترشدنا الى أن في خلق الله أسرار لا تدرك للعباد فان في الصلاة
من جهه اعداد ركعاتها وأوقاتها وفي انصبه الزكاة ومقادير الكفارات لمحات
أخرى واضحة جلية في أن لله سبحانه في تكاليفه ما يعجز البشر عن

(١) مجموع الفتاوى : ابن تيمية ج ١٦ ص ١٤٨

(٢) مجموع الفتاوى : ابن تيمية ج ١٥ ص ٨٢

(٣) المرجع السابق : ج ١٥ ص ٣٦٤

(٤) سورة الاسراء : الآية : ٣٨

(٥) سورة الاسراء : من الآية : ٨٥

ادراك اسراره وما عليهم الا أن يؤمنوا ويمثلوا فتصدق فيهم العبودية
ويخلص منهم الايمان (١) .

والقرآن الكريم فيه مما نعجز نحن البشر عن ادراك حقائقه وأمرنا
أن نقول عنه " آمنا به كل من عند ربنا " (٢) .

وهذا لا يطرد فيما وضحت دلالاته العربية وثبتت عن الرسول صلي
الله عليه وسلم بيانه بل الواجب أن نفهم منه ما بين فيه في موضع آخر
أو بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أحد أصحابه أو وضحت
دلالاته العربية .

وما سوى ذلك نكل علمه الى الله سبحانه وتعالى فلو كان في ذكره
فائدة لنا دنيا أو أخرى لذكره سبحانه وهو أعلم بصلاح أمورنا وما يستقيم
عليه ديننا ولهذا لما سعد عمر بن الخطاب رضى الله عنه المنبر وقرأ
" وفاكهة وأبا " (٣) فقال ما الأب ؟ ثم قال ان هذا لهو التكلف فما عليك
أن لا تدريه وسأل رجل ابن عباس رضى الله عنهما عن " يوم كان مقداره
الف سنة " (٤) فقال له ابن عباس فما " يوم كان مقداره خمسين الف سنة " (٥)
فقال الرجل إنما سألتك لتحديثي فقال ابن عباس هما يومان ذكرهما الله
في كتابه الله أعلم بهما (٦) .

والفرق بين هذا الأساس في التفسير والاساس السادس الخاص بالتحذير
من التفسير بالرأى المجرد أن الاساس السابق خاص في الآيات التي للرأى
مجال فيها اذا لم يكن مجردا أما هذا النوع - أعني المبهمات - مرجعه
النقل المحض ولا مجال للرأى فيه - كما قال السيوطي (٧) والله أعلم .

-
- (١) تفسير القرآن الكريم : محمود شلتوت ص ٥٧
(٢) سورة آل عمران : من الآية ٧
(٣) سورة عبس : الآية ٣١
(٤) سورة السجده : من الآية ٥
(٥) سورة المعارج : من الآية ٤
(٦) مجموع الفتاوى : ج ١٣ ص ٣٧٢ - ٣٧٣
(٧) الاتقان : السيوطي ج ٢ ص ١٤٥

تاسعا : التقليل من شأن الاسرائيليات :

وخلصه موقف أهل السنة والجماعة من الاسرائيليات أنهم يقسمونها

الى أقسام ثلاثة

أولها : ما وافق شريعتنا فتجوز روايته للاستشهاد للاعتقاد .

ثانيها : أن ما خالف شريعتنا لاتصح روايته .

ثالثها : أن ما ليس في شريعتنا ما يوافقه ولا ما يخالفه فلا بأس بحكايته

من غير تصديق ولا تكذيب .

قال ابن كثير رحمه الله فأما ما شهد له شرعنا بالصدق فلا حاجة لنا

اليه استعناء بما عندنا ، وما شهد له شرعنا منها بالبطلان فذاك مردود

لا يجوز حكايته الا على سبيل الانكار والابطال (١) .

أما النوع الثالث فقال عنه " وما ليس فيه موافقة ولا مخالفة لان صدقه

ولا نكذبه بل نجعله وقفا ، وما كان من هذا الضرب منها فقد رخص كثير

من السلف في روايته وكثير من ذلك مما لافائدة فيه ولا حاصل له مما ينتفع

به في الدين ولو كانت فائدته تعود على المكلفين في دينهم لبينته

هذه الشريعة الكاملة الشاملة " (٢) .

وقال ابن تيميه رحمه الله تعالى عن هذا النوع " وغالب ذلك مما

لا فائدة فيه تعود الى أمر ديني " وضرب لذلك مثلا بما ذكر عن أسماء أصحاب

الكهف ولون كلبهم وعدتهم وعضا موسى من أى الشجر كانت وأسماء الطيور

التي أحياها الله لابراهيم ، وتعيين البعض الذى ضرب به القليل من

البقره ، (٣) وغير ذلك .

(١) البداية والنهاية : ابن كثير ج ١ ص ٦ - ٧

(٢) تفسير ابن كثير : ج ٣ ص ١٩٢

(٣) مجموع الفتاوى : ابن تيميه ج ١٣ ص ٣٦٧

نماذج من تفسير أهل السنة والجماعة في العصر الحديث :-

تزخر المكتبة الاسلامية بعدد كبير من تفاسير أهل السنة والجماعة والحمد لله ، وحين نتناول هذه التفاسير بالدراسة هنا فإن هـذا لا يعنى سلامتها كلها من أى شائبه أو خطأ لكنه يعنى أنها فى الجملة على هذا المنهج وان كان فى بعضها ما يؤخذ منها وما يرد .

تنزيه الله عن البداء :-

قال الشيخ عبدالرحمن الدوسرى ^(١) فى تفسيره لقوله تعالى (ما ننسخ من آيه أو ننسها نأتى بخير منها أو مثلها) ^(٢) - " لقد أقام اليهود عليهم لعائن الله - حملات عنيفه مركزه ضد الاسلام والمسلمين متخذين من نسخ بعض الآيات والأحكام ذريعه للطعن فى ذات الله زاعمين أن النسخ مناف لعلم الله مستلزم للبداء" ^(٣) ثم رد رحمه الله على هذا الزعم وأبطله .
ورفض الاستاذ محمد حمزه الزعم ^(٤) بأن القول بالنسخ يلزم منه وصف الله بالبداء . رفض هذا وأنكره ورد عليه بأدلة العقل والنقل قال

(١) هو الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن خلف الدوسرى ولد فى البحرين عام ١٣٣٢ ونشأ فى الكويت وتعلم فى المدرسة المباركية واشتغل بالأعمال الحره ، وكان له نشاط كبير فى الدعوة وفى الصحافه ومنابر المساجد فى الداخل والخارج وأنفق من ماله بسخاء فى سبيل ذلك ، وله عدد من المؤلفات منها تفسير صفوة الآثار والمفاهيم فى تفسير القرآن العظيم " وأذيع أكثره على شكل حلقات من إذاعة المملكة العربية السعوديه ثم بدأت مؤخرًا طباعته فصدر منه حتى الان ثلاثة مجلدات وله غيره كثير من المؤلفات " رحمه الله تعالى "

(٢) سورة البقرة : الآيه ١٠٦

(٣) صفوة الآثار والمفاهيم : عبدالرحمن بن محمد الدوسرى

ج ٢ ص ٢٩١

(٤) لم أجد له ترجمه .

" وأما النقل . فإن الآيات التي تدل على احاطة علم الله سبحانه وتعالى بجميع المعلومات أكثر من أن تذكر . قال الله تعالى (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو . ويعلم ما في البحر والبر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين) (١) وقال سبحانه " والله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شئ عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال " (٢) وقال جل شأنه " قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله " (٣) نعلم من هذا ان البداء لا يجوز ان يتصف به الرب سبحانه وقد خسى الروافض والمختاريه اذا أجازوا على الله سبحانه أن يتصف بالبداء فهذا ميزان العقل والشرع بين أيدينا ولكن شتان ما بين البداء والنسخ فالبداء تجدد وحدوث في العلم والنسخ تجدد فى المعلوم لافى العلم فالعلم واحد . فانه لم ينكشف لله تعالى ما كان جاهلا به حتى أمر بنقيض ما كان أمرا بل علم الله سبحانه أنه يأمر عباده بأمر مطلق معلوم النهايه لديه مستور على خلقه لحكمة يعلمها ثم يقطع ذلك التكليف فى الوقت المعلوم عنده للحكمه التي أرادها . فلا جهل ولا بقاء . ولكن حكمه واختبار" (٤)

أما الدكتور أحمد الكومي والدكتور محمد طنطاوى فأكدوا فى تفسيرهما لقوله تعالى " وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البحر والبر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين " (٥) أكدوا إحاطة علم الله سبحانه وتعالى بكل شئ وأنه يعلم الكليات والجزئيات فقالوا " ان علم الله تعالى محيط

(١) سورة الانعام : الآيه : ٥٩

(٢) سورة الزعد : الآيه : ٨ - ٩

(٣) سورة النمل : الآيه : ٦٥

(٤) دراسات الاحكام والنسخ فى القرآن الكريم : محمد حمزه ص ٦٠ - ٦١

(٥) سورة الانعام : الآيه : ٥٩

بالكليات والجزئيات وكل شيء في هذا الكون وبذلك يتبين بطلان رأى بعض الفلاسفة الذين قالوا بأن الله يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات " (١) ومادام علمه سبحانه في الكليات والجزئيات فإنه منزه عن البداءة .

اثبات الرؤية :

وقد أثبت مفسروا أهل السنة والجماعة رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة مستدلين بآيات من القرآن الكريم وأحاديث من السنة النبوية .
ففي تفسير قوله تعالى " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " (٢)
قال الشيخ محمد العثمان القاضي (٣) : - " أى وجوه يومئذ حسنه مشرقه تعرف فيها نضرة النعيم ، تنظر الى وجه ربها عيانا بلا حجاب وقد تواترت بها أحاديث سنة رسول الله وهي من المتواتر " (٤) .
وقال الاستاذ على رفاعي محمد (٥) في تفسيرها بعد أن أورد بعض أحاديث الرؤية " هذه الأحاديث وغيرها كثير تدل دلالة قاطعه على أن المؤمنين يوم القيامة ينظرون الى ربهم فى عرصات القيامة وفى الجنات ومن تأول (ناظرة) بأنها تنتظر الثواب فقد بعد عن الحق والصواب ولم يفهم قوله تعالى فى حق الكفار " كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون " .

-
- (١) تفسير سورة الانعام : د أحمد السيد الكومي د محمد سيد طنطاوى ص ١٦٣
(٢) سورة القيامة : الآيتين ٢٢ - ٢٣
(٣) هو الشيخ محمد بن عثمان بن صالح بن عثمان القاضي من قبيلة آل تميم من الوهبة ، قرأ على والده وعلى الشيخ عبدالرحمن بن سعدى ثم على الشيخ محمد الصالح العثيمين وعلى غيرهم من العلماء . وله عدد من المؤلفات منها مقتطفات العلوم الفائقة ، والحديقه اليانعة ، وهذا الكتاب فى التفسير " منار السبيل فى الأضواء على التنزيل " ويقع فى أربعة أجزاء فى مجلدين .
(٤) منار السبيل فى الأضواء على التنزيل : محمد العثمان القاضي ج٤ ص ٢٨٦
(٥) على رفاعي محمد من علماء الأزهر الشريف ومدرس الدعوه الى الله بالدراسات العليا بجامعة الأزهر .
(٦) سورة المطففين آيه ١٥

فقد قال الامام الشافعي : ما حجب الفجار الا وقد علم أن الأبرار بيرونه عز وجل وقد تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما دلت عليه الآيه الكريمه ^(١) .

وقال به الشيخ محمد عبد الله الجزار ^(٢) فقال في تفسيرها " في هذا اليوم نرى وجوه أهل الايمان الخالص مشرقه مبتهجه ممتعه بالنظر الي ربها الكريم فتراه سبحانه بلا كيف ولا إحاطه فيكون ذلك كمال لذتها وتمام سرورها وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وأسألك لذة النظر الى وجهك والشوق الى لقاءك وفي معنى الحديث الآخر انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليله البدر ، ولما كانت رؤية المؤمنين لربهم سبحانه في الآخرة تكميلا لسرورهم فان الله تعالى حرم الكفار من ذلك ^(٣) انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ومن عقائد أهل السنه ان المؤمنين بيرون الله تعالى في الآخرة ونعوذ بالله من طريقه من يلحد في آيات الله كالمعتزله الذين يقولون تحريفا لمعنى الآيه منتظره نعم ربها فنحن نقول حقيقة وجوه المؤمنين ناظره الى ربها ورائيه له وهم يقولون منتظره الخ ونعوذ بالله من اتباع غير سبيل المؤمنين ^(٤) .

وقد رجح الدكتوران أحمد السيد الكومي ، ومحمد سيد طنطاوى في تفسيرهما لسورتي الأنعام والأعراف مذهب أهل السنه والجماعه في ذلك فقالا في تفسير قوله تعالى " لا تدركه الأبصار وهو يدرك الابصار " ^(٥) " والذى نراه ان رأى أهل السنه أقوى لأن ظواهر النصوص تؤيد هـم ولا مجال هنا لبسط حجج كل فريق فقد تكفلت بذلك كتب علم الكلام ^(٦) .

-
- (١) بشائر الرضوان في تفسير القرآن : على رفاعى محمد ج ٢٩ ص ١٣٢
(٢) لم أجده ترجمه . (٣) سورة المطففين : الآيه ١٥
(٤) الذخيره في تفسير اجزاء قرآنيه : محمد عبد الله الجزار ص ٥١٦-٥١٧
(٥) سورة الانعام : الآيه : ١٠٣
(٦) تفسير سورة الانعام : الدكتور احمد الكومي والدكتور محمد طنطاوى

وقال في تفسير قوله تعالى حكاية لقول موسى " رب أرني انظر اليك " (١)
" والذي نراه أن رؤيه الله في الآخرة ممكنه كما قال أهل السنه لورود
الآيات القرآنيه والأحاديث النبويه الصحيحه التي تشهد بذلك " (٢)
وقال الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي (٣) في تفسيرها : - " وفي هذا
دليل على أن رؤيته تعالى جائزه في الجملة لان طلب المستحيل من
الأنبياء محال " قال " له " لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر
مكانه فسوف تراني " هذا كلام على سبيل الاستدراك يريد أن يبين به أنه
لا يطبق الرؤيه ، وفي تعليق الرؤيه على الاستقرار دليل على جوازها
لان استقرار الجبل عند التجلي ممكن بأن يجعل الله تعالى له قـوة
على ذلك " (٤)

وقال الشيخ حسنين مخلوف في تفسير الزيادة في قوله تعالى
" للذين احسنوا الحسنى وزيادة " هي النظر الى وجه الله الكريم
وهي المغفره والرضوان " (٦)

ض وقال في تفسير قوله تعالى " قال رب أرني انظر اليك " : - " وأما في
النشأة الأخرى فقد ثبت في الحديث الصحيح أن المؤمنين يرون ربهم
في عرصات يوم القيامة وفي روضات الجنات ويدل عليه قوله تعالى : -
" وجوه يومئذ ناضره الى ربها ناظره " (٧) وفي الآيه دلالة على امكان
الرؤيه في ذاتها لأنه تعالى علقها على استقرار الجبل وهو ممكن

-
- (١) سورة الاعراف : من الآيه ١٤٣
(٢) تفسير سورة الاعراف : الدكتور احمد الكومي والدكتور محمد طنطاوى ص ١٨١
(٣) لم أجد له ترجمه

- (٤) تفسير القرآن الحكيم : محمد عبدالمنعم خفاجي ج ٩ ص ٧٢
(٥) حسنين محمد مخلوف ولد سنة ١٨٩٠م في القاهرة ولما أكمل الدراسة في
الازهر التحق بالقسم العالي بمدسة القضاء الشرعي ونال شهادتها
في سنة ١٩١٤ ، عضو في هيئة كبار العلماء وتولي رئاسة محكمة طنطا
ومنصب مفتي مصر وعضو لمجمع البحوث الاسلاميه بالازهر ونال سنة ١٤٠٣ هـ
جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الاسلام ، ومن مؤلفاته صفوة البيان
لمعاني القرآن في مجلدين وكلمات القرآن تفسير وبيان .
(٦) صفوة البيان : حسنين مخلوف ج ١ ص ٣٤٥
(٧) سورة القيامة الايتان ٢٢ - ٢٣

وتعليق الشيء بما هو ممكن يدل على امكانه واليه ذهب أهل السنة^(١)
وفسر الأستاذ عبد الله كَنُون^(٢) النظر في قوله تعالى " ان الأبرار
لفي نعيم على الأرائك ينظرون "^(٣) بقوله " ينظرون ما اعطاهم الله من
عظيم الكرامه وجيل النعمه وأفضلها النظر الى وجهه الكريم فهذا في
مقابل ما عومل به الفجار من جحبهم عن الله عز وجل "^(٤) .
وفسر قوله تعالى " كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون "^(٥) بقوله :-
" فلا يرونه كما يراه المؤمنون قال الشافعي لما حجب الله قوما بالسخط
دل على أن قوما يرونه بالرضى "^(٦) .

الاستواء :-

وقد قال مفسرو أهل السنة والجماعة في القرن الرابع عشر الهجرى
في آيات الصفات كما قال سلفهم .

فسر الاستاذ عبد الله كَنُون الاستواء فى قوله تعالى " ثم استوى
على العرش "^(٧) بقوله " استواءا يليق به كما هو مذهب السلف وقد سئل عنه
مالك رحمه الله فقال " الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عن هذا بدعه "^(٨)

-
- (١) صفوة البيان لمعاني القرآن : حسنين مخلوف ج ١ ص ٢٧٨
(٢) عبد الله عبد الصمد كَنُون من مواليد فاس بالمغرب سنة ١٣٢٦ نال
شهادة العالمية من جامعة القرويين سنة ١٣٤٩ ، ونال بعض
المناصب منها ، الأمين العام لرابطة علماء المغرب ، عضو مجمع
اللغة العربية بمصر وعضو بمجمع البحوث الاسلامية بمصر وعضو المجمع
العلمي بدمشق . ومن مؤلفاته مفاهيم اسلامية - اسلام رائد ،
على درب الاسلام - تحركات اسلاميه ، وغيرها .
(٣) سورة المطففين : الآيتين ٢٢ - ٢٣
(٤) تفسير سور المفصل من القرآن الكريم : عبد الله كَنُون ص ٣٣٨
(٥) سورة المطففين : الآية ١٥
(٦) تفسير سور المفصل : عبد الله كَنُون ص ٣٣٧
(٧) سورة الحديد من الآية ٤
(٨) تفسير سور المفصل من القرآن الكريم : عبد الله
كَنُون ص ١١٠

وفسره بهذا الأستاذ على رفاعي محمد فقال " استوى على العرش استواءاً يليق بجلاله والله وحده هو الذي يعلم حقيقته معنى استوائه على العرش " (١) .

وفسره بهذا الأستاذ حسنين محمد مخلوف فقال " أى استواء يليق بكماله تعالى بلاكيف ولا تشبيه ولا تمثيل " (٢) .

أما السيد عبدالقادر ملا حويسن آل غازي العاني فرفض تفسير الاستواء في قوله تعالى " الرحمن على العرش استوى " (٣) بالاستيلاء لان الاستيلاء معناه حصول الغلبه بعد العجز وهو محال في حقه تعالى ولأنه لا يقال استولى على كذا الا اذا كان له منازع فيه ، وهذا في حقه تعالى محال ايضاً وانما يقال استولى اذا كان المستولى عليه موجوداً قبل والعرش انما حدث بتخليقه تعالى وتكوينه له وايضاً الاستيلاء واحد بالنسبه الى كل المخلوقات فلا يبقى الى تخصيص العرش بالذكر فائده لذلك فالأولسي ان يفسر بما فسرناه هنا من أنه استواء يليق بذاته كما هو الحال في آيات الصفات من المجيء واليد والقبضه وغيرها لأن القانون الصحيح وجوب حمل كل لفظ ورد في القرآن العظيم على ظاهرة الا اذا قامت الأدلته القطعيه على وجوب الانصراف عن الظاهر ولاداعي للتأويل بما قد يوجب الوقوع في الخطأ وزلة القدم وانظر ما قاله السلف الصالح في هذا الباب (٤) ثم اورد عدداً من أقوال علماء السلف رحمهم الله تعالى في الاستواء .

أما الشيخ محمد العثمان القاضي فاكتفي في تفسير قوله تعالى " ثم استوى على العرش " (٥) بالاستشهاد بتفسير ابن كثير رحمه الله تعالى

(١) بشائر الرضوان في تفسير القرآن : على رفاعي محمد ج ٢٢ ص ١٠٨

(٢) صفوة البيان لمعاني القرآن : حسنين محمد مخلوف ج ٢ ص ١٤

(٣) سورة طه : الآيه : هـ

(٤) بيان المعاني : عبدالقادر العاني ج ٢ ص ١٨٤

(٥) سورة الاعراف : من الآيه ٥٤

لذلك ، ثم أورد قول مالك رحمه الله تعالى ورد بعد هذا تفسير
المعتزلة للاستواء بالاستيلاء قائلاً " ورد هذا القول بأن العرب لا تعرف
استوى بمعنى استولى وإنما يقال استولى فلان على كذا وإذا لم يكن في
ملكه ثم ملكه والله تعالى لم يزل مالكا للأشياء كلها ومستوليا عليها فأى
تخصيص للعرش هنا دون غيره من المخلوقات " (١) .

يمين الرحمن :

قال الشيخ محمد العثمان القاضى فى تفسير قوله تعالى " والسموات
مطويات بيمينه " (٢) قال " كثير من المفسرين فسرها بالقدرة وهذا
صرف للفظ عن ظاهرة وقد روى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقبض الله الأرض ويطوى
السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض ؟ والسلف الصالح
يثبتون الصفات ولا يتعرضون للكيفية قال سفيان بن عيينه كل ما وصف الله
به نفسه فى كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عن كفيته " (٤) .

وقال الشيخ فيصل بن عبد العزيز المبارك (٥) فى تفسير قوله تعالى : " بل
يداه مبسوطتان " (٦) قال ابن جرير واختلف أهل الجدل فى تأويل قوله

(١) مفار السبيل فى الأضواء على التنزيل : محمد العثمان القاضى

ج ١ ص ١٤١

(٢) سورة الزمر : من الآيه ٦٧

(٣) صحيح البخارى : كتاب الرقاق ج ٧ ص ١٩٤

(٤) منار السبيل : محمد العثمان القاضى ج ٤ ص ٤٠

(٥) ولد فى حريملاء سنة ١٣١٣ وأخذ العلم عن علماء الرياض وقطر
وتولى القضاء بالجوف وله عدد من المؤلفات منها توفيق الرحمن
فى دروس القرآن فى أربعة أجزاء وخلاصة الكلام شرح عمدة
الاحكام فى مجلد واحد وستان الأحبار مختصر نيل الاوطار
فى جزئين كبيرين ولذة القارى مختصر - فتح البارى ،
فى ثمانية أجزاء وغير ذلك فى الفقه والفرائض والنحو .

(٦) سورة المائدة من الآيه : ٦٤

بل يدها مبسوطتان فقال بعضهم عنى بذلك نعمتان وقال آخرون منهم
عنى بذلك القوة وقال آخرون منهم بل يد الله صفة من صفاته هي
يد غير أنها ليست بجارحه كجوارح آدم وبذلك تظاهرت الأخبار عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال به العلماء وأهل التأويل . انتهى
ملخصا . قال البغوي ويد الله صفة من صفات ذاته كالسمع والبصر
والوجه وقال جل ذكره " لما خلقت بيدي ^(١) " وقال النبي صلى الله
عليه وسلم كلتا يديه يمين والله أعلم بصفاته فعلى العباد فيها الايمان
والتسليم وقال أئمة السلف من أهل السنة في هذه الصفات أمرها كما
جاءت بلا كيف " ^(٢) .

القرآن كلام الله منزل غير مخلوق :

قال الأستاذ محمد رشدي حمادي ^(٣) في تفسير قوله تعالى :
" ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه " الآية : ^(٤)
احتج كثير من المعتزلة به ^(٥) على نفي الصفات وعلى أن القرآن مخلوق
أما الثاني فلأن القرآن شيء فيدخل تحت العموم وأما الاول
فلأن الصفات لو كانت موجودة له تعالى لزم أن تكون مخلوقه له .
وأجيب بأنكم تخصون هذا العام بحسب ذاته ضرورة أنه يمتنع
أن يكون خالقا لنفسه ، وبحسب أفعال العباد ، فنحن أيضا نخصه
بحسب الصفات وبحسب القرآن ونظرا لأن كثيرا من آراء المعتزلة تطلل
برؤوسها عند كل آية من القرآن الكريم يشتمون من لفظها الظاهري أنها
يصح أن تكون دليلا على خلق القرآن فسدا لهذه الذرائع وردا عليهم
فيما يختص بقضيه خلق القرآن فاني أحيلهم الى كتاب " لكى تكون . . . من
قادة الفكر " تأليف صاحب هذا التفسير " ^(٦) .

-
- (١) سورة ص من الآية رقم ٧٥
(٢) توفيق الرحمن في دروس القرآن : فيصل المبارك ج ٢ ص ٤٤
(٣) لم أجد له ترجمه . (٤) سورة الأنعام : من الآية ١٠٢
(٥) أى عموم الآية .
(٦) الموجز في تفسير القرآن الكريم : محمد رشدي حمادي ج ٢ ص ٤٩٣

ثم نقل في تفسيره بعض الأقوال لعلماء السلف وجاء فيها والقول المحفوظ عن جمهور السلف هو ترك الخوض في ذلك والتعمق فيه والاقتصار على القول بأن القرآن كلام الله وأنه غير مخلوق " (١) .

سلامة القرآن من التحريف :

وقد نص على حفظ القرآن قوله تعالى " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون " (٢) قال الشيخ فيصل المبارك في تفسيرها " وقال في آية أخرى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه " (٣) فأنزله الله ثم حفظه فلا يستطيع ابليس أن يزيد فيه باطلا ولا ينقص منه حقا حفظه الله من ذلك وقال ابن كثير ثم قرر تعالى أنه هو الذي أنزل عليه الذكر وهو القرآن وهو الحافظ له من التغيير والتبديل قلت والحكمة في حفظ الله تعالى للقرآن دون سائر كتبه أنه آخرها وأن الذي جاء به خاتم الأنبياء فأبقاه الله محفوظا حجه على خلقه " (٤) .

وقال الشيخ محمد العثمان القاضي في تفسيرها " الضمير في قوله له راجع الى الذكر يعنى : وإنا للذكر الذى أنزلناه على محمد لحافظون يعنى من الزيادة فيه والنقص منه والتغيير والتبديل والتحريف فالقرآن العظيم محفوظ من هذه الأشياء كلها ، لا يقدر أحد من جميع الخلق من الجن والانس أن يزيد فيه أو ينقص منه حرفا واحدا أو كلمة واحدة وهذا مختص بالقرآن العظيم بخلاف سائر الكتب المنزلة فإنه قد دخل في بعضها التحريف والتبديل والزيادة والنقصان .

(١) المرجع السابق : ج ٢ ص ٤٩٥

(٢) سورة الحجر : الآية ٩

(٣) سورة فصلت من الآيات ٤٢

(٤) توفيق الرحمن في دروس القرآن : فيصل المبارك ج ٢

ولما تولي الله عز وجل حفظ هذا الكتاب بقي مصوناً على الأبد
محروساً من الزيادة والنقصان " (١).

وكذا الشيخ حسنين مخلوف في تفسيرها قال " وانا له لحافظون
أى من كل ما يقدر فيه كالتحريف والتبديل والزيادة والنقصان " (٢).

العصمة :

وعند تفسير قوله تعالى " وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباها ربه
فتاب عليه وهدى " (٣) عقد السيد عبدالقادر ملا العاني مطلباً في
عصمة الأنبياء جاء فيه " واعلم أن خبط القول فيها على ما قاله الامام
فخر الدين الرازي يرجع الى أربعة أقسام : الأول ما يقع في باب الاعتقاد
وهو اعتقاد الكفر والضلال فان ذلك غير جائز في حقهم البتة ، الثاني
ما يقع بالتبليغ فكذلك ممتنع في حقهم حتى الخطأ والنسيان فضلاً عن التعمد
على الصحيح لأن الأمة (٤) أجمعت على عصمتهم من الكذب ومواظبتهم
على التبليغ والتحريض والا لا ترفع الوثوق بالأداء وتفوقوا على أن ذلك
لا يجوز وقوعه منهم عمداً ولا سهواً ولا خطأً ولا نسياناً ومن الناس من يجوز
سهواً لأن الاحتراز منه غير ممكن وليس بشيء ، ولا غبرة ولا قيمة له ،
الثالث ما يقع بالفتيا فقد أجمعوا أيضاً على أنه لا يجوز قطعاً خطؤهم
فيها ونسيانهم وسهوهم سواء ، فعدم جواز العمد من باب أولى . وما
أجازه بعضهم على طريق السهولة لصحة له ، لأن الفتيا من قسم التبليغ
بالنسبة اليهم اذ لا فرق في وجوب اتباعهم في أفعالهم وأقوالهم .

-
- (١) منار السبيل : محمد العثمان القاضي ج ٢ ص ٩٦
(٢) صفوة البيان لبعاني القرآن : محمد حسنين محمد مخلوف ج ١ ص ٤١٨
(٣) سورة طه : من الآيتين ١٢١ - ١٢٢
(٤) الذي ورد في النص هو " لأن الآية " وكذلك وردت في الاصل الذي
نقل منه هذا النص ، وقد تتبعنا النص فلم نجد فيه ذكر الآية
وظهر لي أنه تصحيف لـ " لأن الأمة " وبه تستقيم العبارة
فأثبتته .

الرابع ما يقع من أفعالهم قال الامام الفخروالمختار عندنا أهل السنه والجماعه أنه لم يصدر منهم ذنب ولا صغيره ولا كبيرة من حين تنبئهم لأن الذنب لو صدر عنهم لكانوا أقل درجه من أحد الأمة .
ولأن معنى النبوة والرسالة أن يشهد على الله أنه شرع هذا الحكم مثلا وهو يوم القيامة شاهد على الكل راجع الآية . ٤ من سورة النساء ..
والآيه ٨٩ من سورة النحل . . . وهذا ما عليه اجماع أهل السنه والجماعه .

واجتمعت الأمة على أن الأنبياء كانوا يأمرن الناس بطاعة الله فلو لم يطيعوه هم لدخلوا تحت قوله تعالى " أتأمرن الناس بالبر وتنسبون أنفسكم " (١) وقد قال تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام " وما أريد أن اخالفكم الى ما آناهكم عنه " (٢) وقال تعالى " انهم كانوا يسارعون في الخيرات " (٣) - " (٤)

لارجعه لأحد قبل يوم القيامة :

وقال بهذا أهل السنة والجماعة مستدلين بالكتاب والسنة ، وقد سلف ايراد الأدله .

وفسر الشيخ محمد على الصابوني (٥) قوله تعالى " ولو ترى اذ وقفوا على النار فلقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل

- (١) سورة البقره : من الآيه ٤٤
- (٢) سورة هود : من الآيه ٨٨
- (٣) سورة الانبياء : من الآيه ٩٠
- (٤) بيان المعاني : عبد القادر ملا حويش العاني ج ٢ ص ٢٢٥-٢٢٧ ملخصا
- (٥) هو الشيخ محمد علي بن جميل الصابوني ولد في حلب سنة ١٩٢٨ م
أم دراسته الثانوية في سوريا ثم التحق بالأزهر فنال العالمية ١٩٥٢ م
والمجستير تخصص القضاء الشرعي ١٩٥٤ م ثم عاد الى سوريا فدرس
ثمانى سنوات ثم انتدب للتدريس بكلية الشريعة بمكة المكرمة ولا يزال بها
وله عدد من المؤلفات منها النبوه والانبياء روائع البيان في تفسير
آيات الاحكام في القرآن ، وصفوة التفاسير ومختصر تفسير ابن كثير
وغير ذلك .

بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون" (١) قال : - " أى لو ردوا على سبيل الفرض لأنسه لارجعة الي الدنيا بعد الموت لعادوا الي الكفر والاضلال وانهم لكاذبون في وعدهم بالايمان " . (٢)

الميزان :

قال الشيخ محمد العثمان القاضى في تفسير قوله تعالى
" والوزن يومئذ الحق " (٣) : - أى وزن الأعمال والتمييز بين راجحها
وخفيفها ، واختلف في كيفية الوزن ف قيل توزن صحف الاعمال
بميزان له لسان وكفتان تنظر اليه الخلائق تأكيداً للحججه
واظهاراً للنصفه وقطعا للمعذره وقيل توزن الأعمال قال
تعالى " فمن يعمل مثال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا
يره " (٤) " ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس
شيئا " الآيه (٥)

وقيل يوزن الأشخاص دليله حديث يؤتى بالرجل العظيم السممين
يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضه (٦) وقول النبي صلى الله عليه وسلم

-
- (١) سورة الانعام : الآيتين ٢٧ - ٢٨
 - (٢) صفوة التفاسير : محمد على الصابوني ج ١ ص ٣٨٥
 - (٣) سورة الأعراف : من الآيه ٨
 - (٤) سورة الزلزلة : الآيتين ٧ ، ٨
 - (٥) سورة الانبياء : في الآيه ٤٧
 - (٦) صحيح البخارى كتاب التفسير ج ٥ ص ٢٣٦ ، صحيح مسلم كتاب صفات المنافقين ج ٤ ص ٢١٤٧

لعبد الله بن مسعود ألا تعجبون من دقة ساقيه ! لهما عند الله
أعظم من جبل أحد " (١) (٢)

وقال الشيخ حسنين مخلوف في تفسيرها " أي والوزن الحق - أي العدل
الذي لا ظلم فيه لصحائف الأعمال - كائن يوم يسأل الله الامم ورسلمهم ،
وانما توزن الصحائف يومئذ بميزان لاظهار العدل الالهي على
رؤس الاشهاد " (٣)

أما الشيخ محمد على الصابوني فأورد في تفسيرها رأى ابن كثير
رحمه الله تعالى ثم قال " أقول لا غرابة في وزن الأعمال ووزن الحسنات
والسيئات بالذات ، فإذا كان العلم الحديث قد كشف لنا عن موازين
للحر والبرد واتجاه الرياح والأمطار أفيعجز القادر على كل شيء
عن وضع موازين لأعمال البشر " (٤)

(١) رواه الامام أحمد في مسنده ج ١ ص ١١٤ بلفظ ، عن أم موسى
قالت سمعت عليا رضى الله عنه يقول أمر النبي صلى الله عليه
وسلم ابن مسعود فصعد على شجرة أمره أن يأتيه منها بشيء
فنظر أصحابه الى ساق عبد الله بن مسعود حين صعد الشجرة
فضحكوا من حموشة ساقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما تضحكون لرجل عبد الله أثقل في الميزان يوم القيامة من أحد " .
ج ١ ص ١١٤ : قال الأستاذ عبد القادر عطا والدكتور محمد
عاشور : أخرجه الهيثمي ٢٨٨/٩ وعزاه الى أبي يعلى
الطبراني وقال رجاله رجال الصحيح غير أم موسى وهى ثقة ، ورواه
الحاكم عن معاوية بن قره عن أبيه ، بمعناه : ٣١٧/٣ والحموشة :-
الدقه . ا. هـ المسند للامام أحمد ت عبد القادر عطا ومحمد

عاشور ج ١ ص ٣٩٥

(٢) منار السبيل : محمد العثمان القاضى ج ١ ص ١٣٧ - ١٣٨

(٣) صفوة البيان : حسنين مخلوف ج ١ ص ٢٥٢

(٤) صفوة التفاسير : محمد على الصابوني ج ١ ص ٤٣٧

أهل الكبائر :-

قال تعالى " وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا " (١) قال الشيخ محمد العثمان القاضى فى تفسيرها " ثم ننجى الذين اتقوا " الشرك وهم المؤمنون " ونذر الظالمين فيها جثيا " جاثين على الركب . قالت المعتزلة : فى هذه الآيه حجه على مذهبنا وهو تخليد أهل الكبائر والفساق فى النار ، بدليل أن الله بين أن الكل يرد ونها ثم بين صفة من ينجو منها وهم المتقون . والفساق لا يكون متقيا ، فيبقى مخلدا فى النار ، وهذا احتجاج باطل . فالمتقى هنا هو الذى يتقى الشرك بقوله : (لا اله الا الله) فصاحب الكبره متق للشرك لانه مؤمن بالله ورسوله . ومن آمن بذلك صح أن يقال : أنه متق للشرك . فصارت الآية التى توهموها حجة لهم هى عليهم لاسيما والنص شاهد بذلك ، فقد روى البخارى فى صحيحه عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يخرج من النار من قال لا اله الا الله ، وفى قلبه وزن شعيره من خير ، ويخرج من النار من قال لا اله الا الله ، وفى قلبه وزن بره من خير . ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفى قلبه وزن ذره من خير وفى لفظ : من ايمان . وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة الطويل : ان الناس قالوا : يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فذكر الحديث الى قوله : ويحك يا بن آدم ما أغدرك : الحديث بالفاظه . فصاحب الكبره قد يعاقب بقدر ذنبه ثم ينجو والنصوص الصحيحة تؤيد هذا قطعاً (٢)

(١) سورة مريم : الآيتين ٢١ - ٢٢

(٢) منار السبيل : محمد العثمان القاضى ج ٣ ص ٢٥

أما السيد عبد القادر ملاحويش فقال في تفسير هاتين الآيتين " ولا دليل في هذه الآيه لمن يقول ان الفاسق صاحب الكبيره يخلد في النار ، لأن المراد بالتقي المستثنى من الورود من اتقى الشرك لأن من آمن بالله ورسوله يصح أن يقال له متق الشرك ولو كان مقترفا الكبائر من غير استحلال لأن المستحل لها كافر ، ومن صدق عليه أنه متق الشرك صح عنه أنه متق ، لأن التقي جزء من التقي من الشرك (١) ومن صدق عليه المركب صدق عليه المفرد فثبت أن صاحب الكبيره والفاسق متق ، وإذا ثبت لك هذا وجب أن لا يخلد في النار وأنه يخرج منها لعموم هذه الآيه ، وعليه اجماع الأمة من علماء التوحيد " (٢) ثم استدل بالحديث السالف الذي رواه البخاري ثم قال " فدلّت الآية الأولى على أن الكل دخلوا النار ، ودلت الثانية والأحاديث على أن الله أخرج منها المتقين والموحدين وترك فيها الظالمين المشركين فقط " (٢) وقال " هذا . وان مذهب أهل السنه والجماعه هو أن صاحب الكبيره قد يعاقب بقدر ذنبه ثم ينجو لامحاله ، ويجوز أن يعفو الله عنه ، وهذه الطريقة يجب التمسك بها والجنوح اليها فكل قول يخالف هذا باطل لا قيمة له اذ لا مستند له على الآيات الصريحه والأحاديث الصحيحه أما أقوال المخالفين فهي كيفية لاعبرة بها " (٢) ثم ذكر أقوال المخالفين وأبطلها .

الولا والبراء :

قال تعالى " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض . ومن يتولهم منكم فإنه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين " (٣) فسرّها الأستاذ محمد سيد طنطاوي وقال " والخطاب في

(١) الصحيح أن التقي من الشرك جزء من التقي ، وليس العكس ولعله سبق قلم من المؤلف .

(٢) بيان المعاني : عبد القادر ملاحويش ج ٢ ص ١٧٠-١٧٣ بتلخيص .

(٣) سورة المائدة : الآيه ٥١

قوله عز وجل " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ" للمؤمنين جميعا فى كل زمان ومكان اذ العبره بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . والأولياء جمع ولي . ويطلق بمعنى النصير والصديق والحبيب.. والمراد بالولاية هنا : مضافة أعداء الاسلام والاستنصار بهم والتحالف معهم دون المسلمين . أى يا أيها الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . . . لا يتخذ أحد منكم أحدا من اليهود والنصارى وليا ولا نصيرا أى : لا تصافوهم مضافة الأحاب ولا تستنصروا بهم فانهم جميعا يد واحدہ عليكم ، ييغونكم الغوائل ويتريصون بكم الدوائر . فكيف يتوهم بينكم وبينهم موالاة ؟ " (١) .

وأما المراد بالذين آمنوا من قوله تعالى " انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون " (٢) فقال فى بيانه " وما ورد من آثار تفيد أن المراد بالذين آمنوا شخصا معينا وهو على بن أبى طالب - رضى الله عنه - لا يعتمد عليها لأنها كما يقول ابن كثير " لم يصح شىء منها بالكلية لضعف أسانيدها وجهالة رجالها " وقد توسع الامام الرازى فى الرد على الشيعة الذين وضعوا هذه الآثار فارجع اليه ان شئت " (٣) .

وأكد الدكتور طنطاوى هذه المعاني عند تفسيره لقوله تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَأَخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ " (٤) بتحريم موالاة الكافرين مهما بلغت درجة قرابتهم واعتبار هذه الموالاة من الكبائر لوصف فاعلها بالظلم " (٥)

(١) تفسير سورة المائدة : الدكتور محمد سيد طنطاوى ص ٢٤٩

(٢) سورة المائدة : الآيه ٥٥

(٣) تفسير سورة المائدة : الدكتور محمد سيد طنطاوى ص ٢٦٥

(٤) سورة التوبه : الآيه ٢٣

(٥) تفسير سورة التوبه : الدكتور محمد سيد طنطاوى ص ٨٦

أما الأستاذ محمد رشدي حمادي فبين المراد بالولاية ، في آية سورة المائدة السابقة فقال : المراد بالولاية التناصر والمخالفة - وقيده بعضهم بكونها على المؤمنين ، وليس المقصود استعمالهم في الوظائف غير القيادية والشئون العامة التي لاتمس عزة المؤمنين ^(١) ثم قال " وهذا الحكم " في قطع الموالاة " باق الى يوم القيامة " ^(١)

أما الشيخ محمد العثمان القاضي فبين معنى الولاية في الآيه المشار اليها بقوله " والمراد من النهي عدم معاملتهم ومعاشرتهم ومناصرتهم فلا يجوز وصفهم بالأخوه كما نسمع في بعض الاذاعات واللغة يقول " فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين " ^(٢) والمفهوم نفي الأخوه عنهم اذا لم يتوبوا ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة . ويقول " ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم " ^(٣) وليت المسلمين طبقوا أحكام شريعتهم وسلوكوا ما كان عليه سلفهم الصالح " ^(٤) لكنه قال " وأما مبايعتهم فلا بأس بها فقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهون عند يهودى " ^(٤)

محبة الصحابه وسائر المؤمنين :

وقد ورد الأمر بذلك في قوله تعالى " والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم " ^(٥) قال الشيخ محمد العثمان القاضي " وفي قوله سبحانه " سبقونا بالايمان " دليل على المشاركة فيه . وانهم تابعون للصحابه في عقائد الايمان وأصوله ، وهم أهل السنه والجماعه ، الذين لا يصدق هذا الوصف التام الا عليهم ووصفهم بالاقرار

(١) الموجز في تفسير القرآن الكريم : محمد رشدي حمادي ج ٢ ص ٣٢٤-٣٢٥

(٢) سورة التوبة : آيه ١١

(٣) سورة آل عمران : آيه ٧٣

(٤) منار السبيل : محمد العثمان القاضي ج ١ ص ٩٩ - ١٠٠

(٥) سورة الحشر : الآيه ١٠

بالذنوب والاستغفار منها ، واستغفار بعضهم لبعض ، واجتهادهم في إزالة الغل والحقد عن اخوانهم المؤمنين ، وأن يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه وأن يكونوا كالعضو الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمي - ثم قال وفي ذلك حث على وجوب محبة من تقدم من المؤمنين ومراعاة حقوقهم علينا في السبق ، وصفاء القلوب من بغض أحد منهم ، عن ابن عمر أنه سمع رجلا يتناول بعض المهاجرين بالسب ، فقرأ عليه " للفقراء المهاجرين " (١) الآية ثم قال هؤلاء المهاجرون ، أفمنهم أنت ؟ قال : لا ثم قرأ عليه " والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم " (١) الآية ثم قال : هؤلاء الانصار ، أفأنت منهم ؟ قال لا . ثم قرأ عليه " والذين جاءوا من بعدهم " (١) الآية ثم قال أفمن هؤلاء أنت ؟ قال أرجو أن أكون منهم . قال : ليس من هؤلاء والله من سيهم " (٢)

وقال الأستاذ علي رفاعي محمد في الآية السابقة " وترشد الآية الى الترغيب في الدعاء للصحابة ولكل مؤمن ، وثمرة ذلك تصفية القلوب وتطهيرها من الحقد والعداوة ، وفي الآية تحذير من بغض أحد من الصحابة أخرج ابن مردويه عن ابن عمر رضی الله عنهما " (٣) ثم ساق الحديث السابق " .

محبة أهل البيت :

قال تعالى " قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى " (٤) قال الشيخ محمد القاضي في تفسيرها " أي لا اسألكم على تبليغ الرسالة جعلاً " الا المودة في القربى "

(١) الحشر الآية ٨ - ١٠

(٢) منار السبيل : محمد العثمان القاضي ج ٤ ص ٢٠٠ - ٢٠١

(٣) بشائر الرضوان في تفسير القرآن : علي رفاعي محمد ج ٢٨ ص ٤٠

(٤) سورة الشورى : من الآية : ٢٣

قال الزجاج : استثناء ليس من الاول أى الا أن تؤد وا قرابتي فتحفظوها .
والخطاب لقريش خاصة . قاله ابن عباس وعكرمه ومجاهد . والمعنى : الا أن
تود وني في قرابتي منكم ، أى تراعوا ما بينى وبينكم فتصد قونى . فالقريبي
ها هنا قرابة الرحم . كأنه قال : اتبعونى للقرابه ان لم تتبعونى
للنبوه . وقيل القريبي : قرابة الرسول صلى الله عليه وسلم أى لأسالكم
أجرا الا أن تؤد وا لقرابتي حقهم وهم أهل البيت ، للحديث الصحيح :
اذكركم اللهفى أهل بيتي .

وقد وردت أحاديث صحيحة فيها الأمر باكرام أهل بيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقرابته . . . فواجب على الانسان مودتهم ، وحب
قرابته وآله من حبه " (١) .

ووضح الأستاذ أبو الأعلى المودودى (٢) المراد بأهل البيت فى
تفسيره لقوله تعالى " انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
ويطهركم تطهيرا " (٣) فقال " يظهر من السياق الذى وردت فيه هذه الآيه
أن المراد بأهل البيت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم الطاهرات لأن
الخطاب بدأ بقوله " يانساء النبى " وهن بعينهن المخاطبات فيما قبل
الآيه التى بين يدينا وما بعدها . كما أن لفظ " أهل البيت " -
علاوة على هذا - يستخدم فى اللغة العربية فى نفس المعنى الذى نستخدم
نحن فيه لفظ أصحاب البيت ويدخل بالطبع فى هذا المعنى زوجة الرجل
وأولاده ولا يستطيع أحد أن يطلق لفظ " أهل البيت " مستثنا منه
الزوجه بل ان هذا اللفظ جاء فى موضعين آخرين من القرآن الكريم نفسه

(١) منار السبيل : محمد العثمان القاضى ج ٤ ص ٦٦
(٢) ولد سنة ١٩٠٣م فى حيد رآباد ، وبدأ نشاطه فى الصحافة ، وأسس
الجماعه الاسلاميه بلاهور ١٩٤١م وانتخب رئيسا لها سجن عدة مرات وحكم عليه
بالاعدام ثم خفف الى التأييد واطلق سراحه ١٩٥٥م واستمر فى الدعوة
الى ان نال جائزه الملك فيصل العالميه لخدمة الاسلام سنة ١٩٩٩ هـ
وتوفى رحمه الله سنة ١٩٧٩م وله عدد من المؤلفات منها تفهيم القرآن ،
تفسير سورة النور ، تفسير سورة الاحزاب ، ماهى القاديانية ، الحجاب ،
الجهاد وغير ذلك .
(٣) سورة الاحزاب : من الاية ٣٣ . (٤) التفسير فى أصله مؤلف بالاوردية ثم ترجم
الى العربيه .

بمعنى يشمل "الزوجه" في داخله ان لم تكن مقدمه فيه على غيرها ،
فقد جاء في سورة هود حين بشرت الملائكة ابراهيم عليه السلام بولده
اسحاق وتعجبت زوجته حين سمعت ذلك وقالت "يا ويلتى ألد وأنا عجوز
وهذا بعلى شيئا ان هذا لشيء عجيب" فردت عليها الملائكة " اتعجبين
من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت " (آيات ٧٢ - ٧٣)
وجاء في سورة القصص حين وصل موسى عليه السلام الى بيت فرعون وهو رضيع
وكانت امرأة فرعون تبحث عن مرضعه لترضع موسى فقالت أخته " هل
أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم " (آيه ١٢) فاستخدام أهل اللغه
اذن واستخدام القرآن نفسه لهذا اللفظ وسياق الآيه ذاتها كل ذلك يدل
دلالة قاطعه على أن زوجات النبي المطهرات يدخلن كذلك في أهل بيته
صلى الله عليه وسلم كما يدخل أولاده . بل الأصح أن الخطاب في الآيه
اليهن أصلا أما أولاده فيدخلون فيه ضمنا وعلى هذا الأساس قال ابن عباس
وعروه بن الزبير وعكرمه أن المراد بأهل البيت في هذه الآيه أزواج النبي
صلى الله عليه وسلم " . (١)

ثم قال " وهناك فرقة لم تكتف في تفسير هذه الآيه بارتكاب ظلم اخراج
نساء النبي من زمرة أهل البيت وقصر اللفظ على سيدنا علي وفاطمه وأولادهما
بل بلغت في الظلم والعسف قدرا أكبر وأعظم اذ استنتجت من قوله تعالى
" انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطيرا " (٢) ان عليا
وفاطمه وأولادهما رضى الله عنهم معصومون كعصمة الأنبياء عليهم وعلى
نبينا الصلاة والسلام فهم يقولون ان المراد بالرجس الخطأ والذنب وقد طهر
أهل البيت منه بنص هذه الآيه غير أن لفظ الآيه لا يقول أن الله قد
اذهبا عنكم الرجس وطهركم تماما بل ان الله يريد اذهاب الرجس عنكم

(١) تفسير سورة الاحزاب : أبو الاعلى الموردي . ترجمة أحمد ادريس

وتطهيركم وسياق الآيه وما يتصل بها من قبل ومن بعد لا يفصح عن أن المقصود هنا ذكر مناقب أهل البيت انما الموضوع هنا هو نصح أهل البيت ان افعلوا كذا ولا تفعلوا كذا لأن الله يريد أن يطهركم . وبألفاظ آخر يعنى انكم اذا اخترتم كذا وكذا من السلوك فسوف تنالكم نعمة الطهر والنظافه والا فلا . ذلكم اننا لوفهمنا من قوله تعالى " انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ويطهركم تطهيرا " أنه قد عصمهم فليس هناك ما يمنعنا من التسليم بأن كل المسلمين المتوضئين والمغتسلين والمتميمين معصومون كذلك لأن الله تعالى قال فيهم " ولكن يريد ليطهركم وليستم نعمته عليكم " المائده - ٦ - (١)

وقد بين المراد بأهل البيت وبالتطهير فى الآيه السابقه آية الاحزاب الدكتور مصطفى زيد فقال فى المراد بأهل البيت " ان نساء النبي هن سبب نزول هذه الآيات ، فدخولهن فى أهل البيت موضع اتفاق بين جميع المفسرين اما وحدهن على قول ، واما مع غيرهن على قول آخر هو الصحيح (٢) ثم ذهب يستدل لما رجحه من القولين وأورد بعد هذا ما زعمه ابن المطهر الحلي من الشيعة يقوله " وفى هذه الآيه دلالة على العصمة مع التأكيد بلفظ (انما) وادخال اللام فى الخبر والاختصاص فى الخطاب بقوله " ويطهركم تطهيرا " وغيرهم ليس بمعصوم الخ " وعلق الدكتور مصطفى زيد على هذا الزعم بأنه لا اعتبار له وساق بعد هذا نصا لابن تيميه رحمه الله تعالى فى كتابه منهاج السنه فى الرد على ما زعمه ابن المطهر وهو طويل لكن فيه البيان كل البيان فليرجع اليه من شاء ، وقد عقب الدكتور مصطفى عليه بقوله " وقد آثرنا أن ننقل عن ابن تيميه

(١) تفسير سورة الاحزاب : أبو الأعلى المودودى ص ٦٨ - ٦٩

(٢) سورة الاحزاب عرض وتفسير : الدكتور مصطفى زيد ص ١٠٤

هذا النص كاملا بالرغم من طوله لأن مسأله الاستدلال بالآيه على الامامه والعصمه مسألة بالغة الخطر ، فان فيها تحميلا للآيه مالا تحتمله بحال ولا تدل عليه من قريب ولا بعيد وفيها فوق هذا خروج على مبدأ مقرر ينبغي ألا يكون موضع رأى ، وألا يكون محلا لاجتهاد قد يخطئ وقد يصيب وهذا المبدأ هو الوقوف بالآيات عند ما تدل عليه ، دون تكلف ، ولا انحراف بها عما أنزلت لتقرره . وأنه اذا كان فريق من المفسرين يقصر ما تدل عليه الآيه على سبب نزولها - فلا أقل من أن يعتبر سبب النزول داخلا دخولا أوليا فيما تدل الآية عليه وهو ما يقرره ويؤكداه جمهور المفسرين الذين يرون العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب أما ان يهمل سبب النزول ولا تعتبر الآيه داله عليه مما يوحي بأن له حكما آخر غير الحكم الذى تقرره الآيه - فهذا مما يستنكره المفسرون بجملتهم ولا يفترون فى الحكم عليه !

لاتدل الآيه اذن على حصر اهل البيت فى على وفاطمه وابنيهما الحسن والحسين فان سياقها صريح فى الفص على دخول نساء النبي فيهم . ومن ثم تقرر بحق ان الآيه لم تتعرض للامامه من قريب أو بعيد . كذلك لا تدل الآيه على عصمة اهل بيت الرسول من الخطأ ، والافقيم كان دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم بعد نزول الآيه ؟ وفيما كانت الأوامر والنواهي التى وجهت فى الآيات الى نساء النبي وهن من اهل البيت ؟ وفيما كان الوعيد لهن بمضاعفة العذاب ، ثم الوعد بالأجر المضاعف ، حين يأتين بفاحشه وحين يقنتن ؟ وأخيرا . . . فيم كان تذكيرهن بما يتلى فى بيوتهن من آيات الله والحكمه ؟ وما السر فى ان هذا التذكير لم يجىء فى الآيات الا بعد تقرير أن الله يريد لهن أن يذهب الرجس عنهن ، وان يطهرهن تطهيرا ؟ (١) .

(١) سورة الاحزاب عرض وتفسير : الدكتور مصطفى زيد ص ١١٤-١١٥

أما الشيخ الغزالي خليل عيد^(١) رحمه الله تعالى فقد بين المراد بأهل البيت عند تفسير الآيه بقوله : " وقد اختلف في أهل البيت فقيل هم زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هم علي وفاطمة والحسن والحسين خاصة ، وقيل : وهو الأولى : هم كل من يكون من الزمام النبي صلى الله عليه وسلم من الرجال والنساء والازواج والاماء والأقارب وكلما كان الواحد منهم أقرب وبالنبي صلى الله عليه وسلم ألزم وأخص كان أجدر وأحق بالدخول تحت هذا اللقب فيكون أخرى بارادة الله أن يذهب عنه الرجس " ^(٢) .

أما الشيخ حسنين مخلوف فقد أكتفي بتفسير المراد بأهل البيت بقوله " هم نساؤه صلى الله عليه وسلم بقريضة السياق " ^(٣) .
وانما أطلت - بعض الاطاله - في بيان هذا لأنه أصل ضلت فيه طائفة الشيعة وتطرفوا في تقريره حتى كان هو أصل ضلالهم ومبدأ انحرافهم نسأل الله لنا ولهم الهدايه .

التقيه والاكراه :

قال تعالى " لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير " ^(٤) وقال سبحانه " من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم " ^(٥) .

(١) ولد شيخنا الغزالي خليل عيد سنة ١٩١١م وتخرج من كلية اصول الدين بالازهر سنة ١٩٣٩م ودرس في المعاهد الدينيه ثم شيخا لمعهد بنى سويف سنة ١٩٦٩م ثم عمل مدرسا في كلية الشريعة بالرياض ثم في كلية اصول الدين بها الى أن توفي رحمه الله تعالى أواخر سنة ١٤٠٢ وممن مؤلفاته تفسير لاربعة عشرة سورة من المفصل ، الضياء في احكام الضعفاء الثلاثة من سورة النساء ، تفسير سورة الاحزاب ، تفسير سورة الانفال .

(٢) تفسير سورة الاحزاب ج:١ - الغزالي خليل عيد ص ٦٨

(٣) صفوة البيان لمعاني القرآن : حسنين مخلوف ج ٢ ص ١٨٣

(٤) سورة آل عمران : الآيه ٢٨ . (٥) سورة النحل : الآيه ١٠٦

قال الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي في تفسير الآيه الأولى "الا أن تتقوا منهم ثقة أى الا أن تخافوا منهم مخافة فلکم مولاتهم باللسان دون القلب.... وهذا قبل عزة الاسلام ويجرى في بلد ليس قويا فيها قال معاذ بن جبل : كانت التقيه فى بدء الاسلام قبل استحكام الدين وقوة المسلمين ، وأما اليوم فقد أعز الله الاسلام فليس ينبغى لأهل الاسلام ان يتقوا من عدوهم" (١) وقال " هذا وتدل هذه الآيه على أن للمسلم أن يتقني ما يتقي من مضرة الكافرين ، وقصارى ما تدل عليه آية سورة النحل . . . ان ذلك من باب الرخص لأجل الضرورات العارضة لا من أصل الدين المتبعه دائما (٢) ولذلك كان من مسائل الاجماع وجوب الهجرة على المسلم من المكان الذى يخاف فيه من اظهار دينه ويضطر فيه الى التقيه ، ومن علامة المؤمن الكامل أن لا يخاف فى الله لومة لائم قال تعالى " فلا تخشوهم واخشوني " (٣) وقال " فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين " (٤) وكان النبي وأصحابه يتحملون الأذى في ذات الله ويصبرون ، وأما المدارة فيما لا يهدم حقا ولا يبني باطلا فهي كياسة مستحبه يتقضيها أدب المجالسه ما لم تنته الى حد النفاق والدهان والاختلاق ، وتكون مؤكداه في خطاب السفهاء تصونامن سفههم واتقاء لفحشهم " (٥)

وقد فسرنا بنحو هذا الشيخ حسنين مخلوف فقال " الا أن تتقوا منهم ثقة أى الا أن تخافوا منهم مخافة أو تخافوا من جهتهم أمرا يجب اتقائه من الضرر في النفس أو المال أو العرض وذلك اذا كان الكفار غالبين ظاهرين أو كنتم في قوم كفار فيرخص لكم في مداراتهم باللسان على أن لا تنطوى

(١) تفسير القرآن الحكيم : محمد عبد المنعم خفاجي ج ٣ ص ١٨٦

(٢) كما تزعم الشيعة .

(٣) سورة البقرة من الآيه (١٥٠)

(٤) سورة آل عمران الآيه - ١٧٥ -

(٥) تفسير القرآن الحكيم : محمد خفاجي ج ٣ ص ١٨٨ - ١٨٩

قلوبكم على شئ في مودتهم ، بل تدارونهم وانتم لهم كارهون وألا تعملوا ما هو محرم كشرب الخمر ، واطلاعهم على عورات المسلمين والانحياز اليهم في مجافاة بعض المسلمين فلا رخصة الا في المداراة باللسان وعن معاذ ومجاهد أن هذا الحكم قد نسخ بعد قوة الاسلام وعن الحسن جواز التقية في كل وقت ، لدفع الضرر بقدر الامكان (١) .

أما الأستاذ محمد رشدي حمادي فقال في تفسيرها " الا أن تتقوا منهم تقاة " أي من خاف في بعض البلدان والأوقات من شرهم فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته . قال ابن عباس : ليس التقيه بالعمل انما التقيه باللسان . ويؤيد ما قال ابن عباس قوله تعالى " من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان الآيه . وقال البخاري - قال الحسن : التقيه الى يوم القيامة . وللتقيه أحكام منها اذا كان الرجل في قوم كفار يخاف منهم على نفسه جاز له أن يظهر المحبه والموالاه ولكن بشرط أن يضمن خلافه ويعرض في كل ما يقول ما أمكن فان التقيه تأثيرها في الظاهر لا في أحوال القلب . ومنها : أنها رخصة فلو تركها كان أفضل لما روى الحسن " أنه أخذ مسيلم الكذاب رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لأحدهما اتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال نعم قال أتشهد أني رسول الله ؟ قال نعم وكان مسيلم يزعم أنه رسول بنى حنيفه ومحمد رسول قريش فتركه ودعا الآخر وقال أتشهد أن محمداً رسول الله فقال : نعم نعم فقال أتشهد أني رسول الله ؟ فقال اني أصم ثلاثا فقد مه وقتله - فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أما هذا المقتول فمضى على يقينه وصدقه فهنيئاً له ، وأما الآخر فقبل رخصة الله فلا تبعه عليه " ونظير هذه الآيه " الا من اكره

(١) صفوة البيان لمعاني القرآن : حسنين محمد مخلوف ج ١ ص ١٠٣-١٠٤

وقلبه مطمئن بالايمان " (١) .

ومنها : انما تجوز فيما يتعلق باظهار الموالاة والمعادة . وقد يجوز
أن تكون أيضا فيما يتعلق باظهار الدين فأما الذي يرجع ضرره الى الغير
كالقتل والزنا وغصب الأموال وشهادة الزور وقذف المحصنات واطلاع الكفار
على عورات المسلمين فذلك غير جائز البته " (٢) .

وها أنت ترى أن التقيه عند مفسرى أهل السنة والجماعة لا تكون
الا عند تحقق الخوف من الكفار وأنها مع هذا رخصه تركها أفضل ، وبشرط
أن لا يرجع ضررها الى غير صاحبها وأنها باللسان لا بالعمل ولا بالقلب .

القضاء والقدر :

وقد وضع الأستاذ محمد عبد الله الجزار عقيدة أهل السنة والجماعة
في الايمان بالقضاء والقدر عند تفسيره لقوله تعالى " وما تشاءون الا أن يشاء
الله ان الله كان حكيما " (٣) فقال " ان عقيدة القضاء والقدر من
الدين وأنها لا تنافي اختيار الانسان وتمكنه من سلوك سبيل السعادة ففي
قوله فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا اثبات ان للعبد مشيئة واختيارا وذلك
يقتضى الاجتهاد والسعى واثبات الأسباب والمسببات وذلك شرع الله .
وفي قوله " وما تشاءون الا أن يشاء الله اثبات قدر الله وعموم مشيئته
وأنه لا يقع في ملكه شئ قهرا عنه بل ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن
وذلك يقتضى الالتجاء الى الله مع العمل والاستعانة به والتوكل عليه
وعدم غرور النفس بقوتها ولا يعلمها فان ذلك من ظلمها وجهلها جعلنا
الله واياكم ممن يتخذ الى ربه سبيلا وممن يدخلهم سبحانه في رحمته
آمين " (٤) .

(١) سورة النحل : من الآيه ١٠٦

(٢) موجز تفسير القرآن : محمد رشدي حمادى ج ١ ص ٣٦٢ - ٣٦٣

(٣) سورة الانسان : الآيه ٣٠

(٤) الذخير الدينيه فى تفسير أجزاء قرآنيه : محمد عبد الله الجزار ص ٥٣٩

أما الأستاذ محمد رشدي حمادي فقال في تفسير قوله تعالى " سيقول
الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء " كذلك
كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا
ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون قل فليله الحجة البالغة
فلو شاء لهداكم أجمعين " (١) قال " . . . ومثل هذه الآيه قوله تعالى
من هذه السورة ٦ : ١٠٦ - ولو شاء الله ما أشركوا " وقوله منها أيضا "
" ٣٦ - ولو شاء الله لجمعهم على الهدى " وأيضا " ٣٩ - من يشأ الله
يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم " وقوله " ٥ : ٥١ - ولو شاء الله
لجعلكم أمة واحدة " وقوله " ١١ : ١١٨ - ولو شاء ربك لجعل الناس
أمة واحدة ، ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم " وقوله
" ١٠ : ٩٩ - ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا أفأنت تكفره
الناس حتى يكونوا مؤمنين " فالآيات في هذا المعنى كلها بيان لسنه
الله في خلق الانسان - وهي حجة على المجبره والقدره جميعا
لا لهما . وقد تمارى المعتزلة والأشعرية في تطبيق هذه الآيات علي
مذاهبهما " ثم قال " . . . وقد احتج السلف بالآيه على منكري القدر
قبل حدوث مذهبى المعتزلة والأشعرية - فقد روى أكثر مدونى التفسير
المأثور وأبو الشيخ والحاكم وصححه والبيهقي فى الأسماء والصفات
عن ابن عباس أنه قيل له أن أناسا يقولون ان الشر ليس بقدر فقال
ابن عباس : بيننا وبين أهل القدر هذه الآيه " سيقول الذين أشركوا
لو شاء الله ما أشركنا - الى قوله - فليله الحجة البالغة ولو شاء لهداكم
أجمعين " وأخرج أبو الشيخ عن علي ابن زيد قال : انقطعت حجة
القدرية عن هذه الآيه . وقال الحافظ ابن كثير في قوله تعالى في

(١) سورة الانعام : الايتين ١٤٨ - ١٤٩

رد الآيه على شبهتهم . أى بهذه الشبهه ضل من ضل قبل هؤلاء
وهي حجة داحضة باطله لأنها لو كانت صحيحة لما أذاقهم الله بأسه
ودمر عليهم وأدال عليهم الرسل الكرام وأذاق المشركين من ألم الانتقام
ا . هـ وقد جرى أحمد بن المنير صاحب الكشاف على جعل شبهة
المشركين عين شبهة المجبره ثم جعل الآيتين مبطلتين لمذهبي المعتزله
والمجبره جميعا " ثم نقل نص أحمد بن المنير وجاء فيه " . . . وجماع
الرد على المجبره . . . فى قوله تعالى " سيقول الذين اشركو - الى قوله
تعالى - قل فله الحجه البالغه " وتتمه الآيه ردّ صراح على طائفة
الاعتزال القائلين بأن الله تعالى شاء الهداية منهم أجمعين فلم تقع
من أكثرهم ووجه الرد أن " لو " اذا دخلت على فعل مثبت نفته فيقتضي
ذلك أن الله تعالى لما قال " فلو شاء " لم يكن الواقع أنه شاء هدايتهم
ولو شاءها لوقعت فهذا تصريح ببطلان زعمهم ومحل عقد هم فاذا ثبتت
اشتمال الآيه على رد عقيدة الطائفتين المذكورتين المجبره في أولها
والمعتزله في آخرها فأعلم أنها جامعة لعقيدة السنه منطبقه عليها فأن
أولها كما بينا يثبت للعبد اختيارا وقدرة على وجه يقطع حجته وعذره في
المخالفة والعصيان وآخرها يثبت نفوذ مشيئة الله فى العبد وأن جميع
أفعاله على وفق المشيئة الالهيه خيرا أو غيره وذلك عين عقيدتهم فأنهم
كما يثبتون للعبد مشيئة وقدرة يسلبون تأثيرهما ويعتقدون أن ثبوتهما قاطع
لحجته ملزم له بالطاعة على وفق اختياره ويثبتون نفوذ مشيئة الله أيضا
وقدرته فى أفعال عباد ه فهم كما رأيت تبع للكتاب العزيز يثبتون ما أثبت
وينفون ما نفى مؤيدون بالعقل والنقل والله الموفق ا . هـ " (١)

(١) الموجز فى تفسير القرآن الكريم : محمد رشدى حمادى ج ٢
ص ٥٤٧ - ٥٥٠ باختصار .

هذه :

أمثلة تطبيقية لتفسير أهل السنة والجماعة حسب أصول عقائد هم ليس قصدنا من إيرادها إثبات مذهب كل مفسر استشهدنا له بتفسير أو إنكار سلامة سواه ، بل قصدنا إثبات القول بأصول أهل السنة وتفسيرهم في العصر الحديث .

أما القصد الآخر فيثبته إيراد نماذج من مفسري أهل السنة والجماعة وتحقيق ذلك في تفاسيرهم وتطبيقه .

ولقد اخترت من تفاسيرهم تفاسير ثلاثة ، راعيت فيها أن يكون كل منها شاملاً لآيات القرآن الكريم كلها ، وأن يكون صاحبها ممن اشتهر بغزير علمه ، وسعة اطلاعه ، واستقامة أمره ، وصلاح سيرته ، وصحة مذهبه .

ومع هذا فأني وقد اخترت هذه التفاسير لأنكر فضل سواها ولا أغمط حق غيرها ومالنا عذراً إلا أن المقام مقام تمثيل وليس مقام استيفاء وشمول والله الموفق .

نماذج من مفسري أهل السنة :

وهؤلاء الذين وقع عليهم الاختيار

١ - محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي

وتفسيره " أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن "

٢ - عبد الرحمن السعدي

وتفسيره " تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان "

٣ - محمد جمال الدين القاسمي

وتفسيره " محاسن التأويل "

وسنبدأ بترجمة موجزه لكل منهم يعقبها تطبيق لتفسيره على أصول

وعقيدة أهل السنة والجماعة .

أولاً : تفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن :

صاحب التفسير :

هو : محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي

مولده : ولد رحمه الله سنة ١٣٢٥ في (تنبه) من أعمال

مديرييه " كيفا " في شنقيط وهي دولة موريتانيا الاسلامية الآن .

نشأته :

توفى والده وهو صغير يقرأ في جز عم وترك له ثروة من الحيوان والمال

فسكن مع أمه عند أخواله وحفظ القرآن على خاله وعمره عشر سنوات وتعلم

رسم المصحف العثماني على ابن خاله ، ودرس الأدب بدراسة واسعة واسعته على

زوجة خاله قال : أخذت عنها مبادئ النحو كالأجرومييه وتمرينات

ودروس واسعته في أنساب العرب وأيامهم والسيره النبويه ونظم الغزوات

وشروحه . . (١) فكان بيت أخواله المدرسه الأولى له .

(١) ترجمة للشيخ رحمه الله : محاضره القاها تلميذه عطيه محمد سالم

ملحقه في آخر الجزء التاسع من التفسير ص ٢٣ منها .

ثم درس الفقه المالكي وألغيه ابن مالك ثم أخذ بقية الفنون علي مشايخ متعددة في فنون مختلفه وكلهم من الجكنيين الى أن برع فيها .

رحلة الحج :

أزمع رحمه الله تعالى على الحج عن طريق البر وعلى نية العوده بعد الحج وكان كثيره في نفسه شيء غير قليل من رواسب الشبهات الملققه بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وما أن وصل الى البلاد حتى اتصل ببعض علمائها وقرأ بعض كتب الدعوه من مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيميه وتلميذه ابن القيم وبعض رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله جميعا ، وكان هذا كافيا لتنقية عقله وفكره مما شابه من تديس الخصوم وجلاء الحقيقة أمام ناظره ، وانقلب ثم عزمه على العوده الى رغبة في البقاء .

تدريسه في المسجد النبوي :

كان رحمه الله يقول " ليس من عمل أعظم من تفسير كتاب الله في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم " وتم له ذلك بأمر من جلالته الملك عبد العزيز رحمه الله " (١) فبعد أن كان مقتصرا على المذهب المالكي ولما عزم على البقاء وبدأ التدريس في المسجد النبوي وخالط العامه والخاصه وجد من يمثل المذاهب الأربعة ومن يناقش فيها وقد ظهر ذلك في منهجه في تفسيره أضواء البيان حينما يعرض لآيات الاحكام فيستوفي أقوال العلماء ويرجح ما يظهر له بمقتضى الدليل .

تدريسه في الرياض :

سنة ١٣٧١ افتتح في الرياض معهد علمي اعقبه افتتاح كليتي الشريعة واللغه العربية وقد اختير رحمه الله لتدريس التفسير والأصول الى سنة ١٣٨١ حين افتتحت الجامعة الاسلاميه بالمدينه المنوره .

(١) ترجمه الشيخ ملحقه بالجزء التاسع من التفسير : كتبها تلميذه عطيه محمد سالم ص ٣٧

عودته الى المدينة المنورة :

عاد رحمه الله تعالى الى المدينة المنورة للتدريس في الجامعة الإسلامية ، وفي سنة ١٣٨٦ هـ افتتح في الرياض المعهد العالي للقضاء فكان رحمه الله استاذاً زائراً للتفسير والأصول .

وفي سنة ١٣٩١ صدر تشكيل لهيئة كبار العلماء وكان رحمه الله أحد أعضائها (١) .

وفي رابطة العالم الإسلامي كان عضو المجلس التأسيسي فيه ، وكان له فيه خدمات جليله .

وفاته :

توفي رحمه الله تعالى ضحى يوم الخميس ١٧ / ١٢ / ١٣٩٣ هـ بمكة المكرمة مرجعه من الحج ودفن بمقبرة المعلاة وصلي علي جثمانه في الحرم المكي ، وفي ليلة الاحد أقيمت عليه صلاة الغائب بالمسجد النبوي .

مؤلفاته :

من أهم مؤلفاته رحمه الله تعالى :

١ - منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والأعجاز .

وغرضه فيه ، نفي ادعاء المجاز في أسماء الله تعالى وصفاته ، واجراءها على طريقة السلف بلا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ، وزاد هذا المعنى ايضاحاً في كتابه آداب البحث والمناظرة .

٢ - دفع ايهام الاضطراب عن آي الكتاب .

أبان فيه مواضع قد يبد وتعارضها عند بعض الناس ، وأزال هذه الشبهه بما يجلو هذا العارض .

(١) مشاهير علماء نجد وغيرهم : عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ

- ٣ - مذكرة الاصول على روضة الناظر .
جمع فيها بين أصول الحنابلة والمالكية والشافعية والفه لطلبة كليتي
الشريعة والدعوة بالجامعة الاسلاميه .
٤ - اداب البحث والمناظره
بين فيه آداب البحث من ايراد المسائل وبيان الدليل ونحو ذلك
ويقع في جزئين وهو أيضا مقرر في الجامعة .
٥ - " أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن " ونفرده بالدراسة هنا .^(١)

التفسير :

" أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن "

تعريف عام :-

- وصل المؤلف رحمه الله تعالى في تفسيره هذا الى قوله تعالى
أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون " آخر سورة المجاد له
واستغرق هذا سبعة مجلدات .
صدر المجلد الأول في غرة ذى القعدة سنة ١٣٨٦ في حياة المؤلف .
" ، ، الثاني ، ، ذى الحجة سنة ١٣٨٦ في حياة المؤلف .
صدر المجلد الثالث في غرة ربيع الأول سنة ١٣٨٣ في حياة المؤلف .
صدر المجلد الرابع في غرة ذى القعدة سنة ١٣٨٤ في حياة المؤلف .
صدر المجلد الخامس في غرة ربيع الأول سنة ١٣٩٠ في حياة المؤلف .
صدر المجلد السادس في غرة محرم سنة ١٣٩٢ في حياة المؤلف .
صدر المجلد السابع في شهر شوال سنة ١٣٩٦ بعد وفاة المؤلف
رحمه الله ثم أكمل التفسير من بعده تلميذه عطيه محمد سالم في مجلدين كبيرين .

(١) اقتبسنا هذه الترجمة من : ١ - الترجمة التي الحقها تلميذه عطيه

محمد سالم بالجزء التاسع من التفسير .

٢ - علماء ومفكرون عرفتهم : الاستاذ محمد المجزوب .

صدر المجلد الثامن وهو الاول من التتمه في شهر رمضان سنة ١٣٩٧ هـ
صدر المجلد التاسع وهو الثاني بدون تاريخ وفيه تفسير جزء عم ، وضم
معه بعض مؤلفات الشيخ رحمه الله وهي رساله في الناسخ والمنسوخ
ثم رساله منع جواز المجاز عن المنزل للتعبد والاعجاز ، ثم دفع ايها
الاصطراب عن أي الكتاب ثم محاضره لتلميذه الشيخ عطيه محمد سالم وهي
ترجمة لحياة الشيخ رحمه الله تعالى :-

منهجه :

بين المؤلف رحمه الله تعالى غرضه من تأليف هذا التفسير بقوله :-
" واعلم أن من أهم المقصود بتأليفه أمران :
أحدهما : بيان القرآن بالقرآن لاجماع العلماء على أن اشرف أنواع التفسير
وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله . إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله
جل وعلا من الله جل وعلا ، وقد التزمنا أن لا نبين القرآن الا بقراءة
سبعيه سواء كانت قراءة أخرى في الآيه المبينه نفسها ، أو آية أخرى
غيرها . ولا نعتمد على البيان بالقراءات الشاذه وربما ذكرنا القراءه
الشاذه استشهادا للبيان بقراءة سبعيه ، وقراءة أبي جعفر ويعقوب
وخلف ليست من الشاذّ عندنا ولا عند المحققين من أهل العلم بالقراءات .
والثاني : بيان الاحكام الفقهية في جميع الآيات المبينه بالفتح في هذا
الكتاب ، فاننا نبين ما فيها من الاحكام وأدلتها من السنة وأقوال العلماء
في ذلك ونرجح ما ظهرلنا أنه الراجح بالدليل من غير تعصب لمذهب
معين ولا لقول قائل معين لاننا ننظر الى ذات القول لا الى قائله
لأن كل كلام فيه مقبول ومردود الا كلامه صلى الله عليه وسلم ومعلوم
أن الحق حق ولو كان قائله حقيرا . .

وقد تضمن هذا الكتاب أمورا زائده على ذلك كتحقيق بعض المسائل
اللغوية وما يحتاج اليه من صرف واعراب والاستشهاد بشعر العرب وتحقيق

ما يحتاج اليه فيه من المسائل الأصولية والكلام على أسانيد الأحاديث كما ستراه ان شاء الله تعالى " (١)

وقال أيضا في بيان منهجه رحمه الله تعالى " واعلم أن مما التزمنا في هذا الكتاب المبارك أنه ان كان للآيه الكريمه مبين من القرآن غير واف بالمقصود من تمام البيان فانا نتمم البيان من السنه من حيث انها تفسير للمبين باسم الفاعل " (٢)

وقال أيضا " وربما كان في الآيه الكريمه أقوال كلها حق وكل واحد منها يشهد له قرآن فانا نذكرها ونذكر القرآن ، الدال عليها من غير تعرض لترجيح بعضها لأن كل واحد منها صحيح " (٣)

وقد التزم رحمه الله تعالى بهذا فالتزم تفسير القرآن بالقرآن معتمدا على القراءات السبع متبعدا عن القراءات الشاذة ومستندا الى السنه النبوية الطاهرة معتبرا لأقوال العلماء الثقات ، لا يتعصب لرأى ، ولا يحقر قولا بل ينظر الى ذات القول لا الى قائله ، يستوفى الأقوال ويرجح بالدليل والبرهان ، ان كنت أصوليا وجدت في تفسيره دقائقه ، وان كنت من علماء الحديث وجدت فيه بدائعه ، وان كنت فقيها وجدت فيه وفاءه ، وان كنت من علماء العقيدة وجدت فيه صفاءها ونقاها بل عقيدة أهمل السنه والجماعة التي لا تشوبها شائبه ، وان كنت من علماء كل هذا وجدت فيه رواءك وشفائك .

(١) أضواء البيان فى ايضاح القرآن : محمد الامين الشنقيطي

ج ١ ص ٣ - ٤

(٢) المرجع السابق : ج ١ ص ٢٤

(٣) المرجع السابق : ج ١ ص ٢٠

نماذج من تفسيره :

الاسماء والصفات :

أفرد المؤلف رحمه الله تعالى آيات الأسماء والصفات برسالة خاصه بين فيها أن كثرة الخوض والتعمق فى البحث فى آيات الصفات وكثرة الاسئلة فى ذلك الموضوع من البدع التى يكرهها السلف . (١)

ثم أجمل الحديث عن آيات الصفات فقال عنها : دل القرآن العظيم أنه - أى مبحث آيات الصفات - يتركز على ثلاثة أسس من جاء بها كلها فقد وافق الصواب وكان على الاعتقاد الذى كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه والسلف الصالح ومن أدخل بواحد من تلك الأسس الثلاثة فقد ضل :- وكل هذه الأسس الثلاثة يدل عليها قرآن عظيم .

أحد هذه الاسس الثلاثة هو تزويه الله عز وجل وعلا عن أن يشبهه شىء من صفاته شيئاً من صفات المخلوقين وهذا الأصل يدل عليه قوله تعالى (ليس كمثله شىء) (٢) (ولم يكن له كفواً أحد) (٣) (فلا تضربوا لله الامثال) (٤) .

الثاني من هذه الاسس : هو الايمان بما وصف الله به نفسه لانه لا يصف الله أعلم بالله من الله (أنتم اعلم أم الله) (٥) والايمان بما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لأنه لا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قال فى حقه : (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى) (٦) (٧)

-
- (١) منهج ودراسات لآيات الاسماء والصفات : ص ٥ تأليف محمد الأمين الشنقيطي
 - (٢) سورة الشورى : من آياته ١١
 - (٣) سورة الاخلاص : الآيه ٤
 - (٤) سورة النحل : من الآيه ٧٤
 - (٥) سورة البقره : من الآيه ١٤٠
 - (٦) سورة النجم : الآيتين ٣ و ٤
 - (٧) منهج ودراسات لآيات الاسماء والصفات : محمد الامين الشنقيطي ص ٥

ولم يذكر رحمه الله تعالى الأساس الثالث هنا لكنه في آخر بحثه قال " هذه الأسس الثلاثة التي ركزنا عليها البحث وهي :-

١ - تنزيه الله عن مشابهة الخلق .

٢ - الايمان بالصفات الثابتة بالكتاب والسنة وعدم التعرض لنفيها .

٣ - قطع الطمع عن ادراك الكيفيه " (١)

ذلكم مجمل موقفه رحمه الله تعالى من آيات الصفات .

اثبات الرؤيه :

أبطل رحمه الله تعالى مذهب المعتزله في رؤية الله تعالى يوم القيامة واستدل لهم بقوله تعالى " قال رب أرني انظر اليك قال لن تراني " (٢) فقال " استدل المعتزله النافون لرؤية الله بالأبصار يوم القيامة بهذه الآيه على مذهبهم الباطل ، وقد جاءت آيات تدل على أن نفى الرؤيه المذكوره ، انما هو في الدنيا ، وأما في الآخرة فان المؤمنين يرونه جل وعلا بأبصارهم كما صرح الكفار " (٣) " كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون " (٤) فانه يفهم من مفهوم مخالفته أن المؤمنين ليسوا محجوبين عنه جل وعلا . وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في قوله تعالى : " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة " (٥) الحسنى : الجنة والزيادة : النظر الى وجه الله الكريم ، وذلك هو أحد القولين في قوله تعالى " ولدينا مزيد " (٦) وقد تواترت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم :

(١) المرجع السابق : ص ٢٧ - ٢٨ وانظر تفسيره اضواء البيان ج ٢ ص —

٢٧٢ - ٢٨٨ فقيه البيان الوافي .

(٢) سورة الاعراف : من الآيه ١٤٣

(٣) هكذا وردت ولعل العبارة " كما صرح بحجب الكفار " .

(٤) سورة المطففين : الآيه ١٥

(٥) سورة يونس : من الآيه ٢٦

(٦) سورة ق : من الآيه ٣٥

أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة بأبصارهم ، وتحقيق المقام في المسألة :
أن رؤية الله جل وعلا بالأبصار : جائزه عقلا في الدنيا والآخرة ،
ومن أعظم الأدلة على جوازها عقلا في دار الدنيا : قول موسى " رب أرني
أنظر اليك " لأن موسى لا يخفي عليه الجائز والمستحيل في حق الله
تعالى وأما شرعا فهي جائزه وواقعة في الآخرة كما دلت عليه الآيات
المذكورة ، وتواترت به الأحاديث الصحاح وأما في الدنيا فممنوعة شرعا
كما تدل عليه آية الاعراف هذه ، وحديث " انكم لن تروا ربكم حتى
تموتو " كما أوضحناه في كتابنا (دفع ايهام الاضطراب عن آيات
الكتاب) (١) .

الاستواء :

قدم رحمه الله تعالى لحديثه عن الاستواء بمقدمه وافية كافيته
عن صفات الله تعالى عموما ثم قال وأمثال هذا من الصفات الجامعه كثيره
في القرآن . ومعلوم أنه جل وعلا متصف بهذه الصفات المذكورة حقيقة
على الوجه اللائق بكماله وجلاله ، وأن ما وصف به المخلوق منها مخالف
لما وصف به الخالق ، كمخالفة ذات الخالق جل وعلا لذوات الحوادث
ولا اشكال في شيء من ذلك . . الى أن قال . . فاذا حققت كل ذلك
علمت أنه جل وعلا وصف نفسه بالاستواء على العرش ، ووصف غيره بالاستواء
على بعض المخلوقات فتمدح جل وعلا في سبع آيات من كتابه باستوائه على
عرشه ولم يذكر صفة الاستواء الا مقرونه بغيرها من صفات الكمال والجلال
القاضي به عظمته وجلاله جل وعلا وأنه الرب وحده المستحق لأن يعبد
وحده ثم ذكر رحمه الله تعالى الآيات السبع عن الاستواء في
الاعراف وفي سورة يونس وفي سورة الرعد وفي سورة طه وفي سورة الفرقان

(١) أضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطي ج ٢ ص ٢٩٧ - ٢٩٨

وفى سورة السجده وسورة الحديد ، ثم قال " وقال جل وعلا فى وصف الحادث بالاستواء على بعض المخلوقات " لتستوا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه " (١) " فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك " (٢) الآيه " واستوت على الجودى " (٣) الآيه ونحو ذلك من الآيات وقد علمت مما تقدم أنه لا اشكال فى ذلك وأن للخالق جل وعلا استواء لائقا بكماله وجلاله وللمخلوق أيضا استواء مناسب لحاله ، وبين استواء الخالق والمخلوق من المنافاة ما بين ذات الخالق والمخلوق . على نحو " ليس كمثله شىء وهو السميع البصير " (٤) كما تقدم ايضاحه (٥) .

يد الله تعالى :

قال رحمه الله تعالى " كل لفظ دل على صفة الخالق ظاهره المتبادر منه أن يكون لائقا بالخالق منزها عن مشابهة صفات الخلق ، وكذلك اللفظ الدال على صفة المخلوق لا يعقل أن تدخل فيه صفة الخالق ، فالظاهر المتبادر من لفظ اليد بالنسبة للمخلوق هو كونها جارحه وهي عظم ولحم ودم ، وهذا هو الذى يتبادر الى الذهن فى نحو قوله تعالى (فاقطعوا ايديها " (٦) والظاهر المتبادر من اليد بالنسبة للخالق فى نحو قوله تعالى " ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي " (٧) انها صفة كمال وجلال ، لائقة بالله جل وعلا ثابتة له على الوجه اللائق بكماله وجلاله ولا يصح هنا تأويل اليد بالقدره البتة لاجماع أهل الحق

-
- (١) سورة الزخرف : من الآيه ١٣
(٢) سورة المؤمنون : من الآيه ٢٨
(٣) سورة هود : من الآيه ٤٤
(٤) سورة الشورى : من الآيه ١١
(٥) اضواء البيان : محمد الامين الشنقيطى ج ٢ ص ٢٨٢ - ٢٨٥ بتلخيص
(٦) سورة المائدة : من الآيه ٣٨
(٧) سورة ص : من الآيه ٧٥

والباطل كلهم على أنه لا يجوز تثنية قدره . ولا يخطر في ذهن المسلم
المراجع عقله دخول الجارحة التي هي عظم ولحم ودم في معنى هذا
اللفظ الدال على هذه الصفة العظيمة من صفات خالق السموات والارض
فأعلم أيها المدعي أن ظاهر لفظ اليد في الآيه المذكورة وأمثالها
لا يليق بالله لأن ظاهرها التشبيه بجارحة الانسان وأنها يجب صرفها
عن هذا الظاهر الخبيث ، ولم تكتف بهذا حتى ادعيت الاجماع على
صرفها عن ظاهرها أن قولك هذا كله افتراء عظيم على الله تعالى وعلى
كتابه العظيم ، وأنت بسببه كنت أعظم المشبهين والمجسمين وقد جـرك
شؤم هذا التشبيه الى ورطه التعطيل ، فنفيت الوصف الذي أثبتته الله
في كتابه لنفسه بدعوى أنه لا يليق به وأولته بمعنى آخر من تلقاء نفسك
بلا مستند من كتاب ولا سنة ولا اجماع ولا قول أحد من السلف . ومناذا
عليك لو صدقت الله وآمنت بما مدح به نفسه على الوجه اللائق بكماله
وجلاله من غير كيف ولا تشبيه ولا تعطيل ؟ وبأى موجب سوغت لذهنك
أن يخطر فيه صفة المخلوق عند ذكر صفة الخالق ؟ هل تلتبس صفة الخالق
بصفة المخلوق عن أحد^(١) ؟ حتى يفهم صفة المخلوق من اللفظ الدال
على صفة الخالق ؟ فاخش الله يا انسان واحذر من القول على الله
بلا علم ، وآمن بما جاء في كتاب الله مع تنزيه الله عن مشابهة خلقه
واعلم أن الله الذي أحاط علمه بكل شيء لا يخفى عليه الفرق بين الوصف
اللائق به والوصف غير اللائق به حتى يأتي انسان فيتحكم في ذلك فيقول
هذا الذي وصفت به نفسك غير لائق بك وأنا أنفيه عنك بلا مستند منك ولا من
رسولك وآتيك بدله بالوصف اللائق بك . فاليد مثلا التي وصفت بها نفسك

(١) هكذا وردت ولعلها (عند أحد) .

لا تليق بك لدالتها على التشبيه بالجرحه ، وأنا أنفيها عنك نفيًا باتًا ،
وأبدلها لك بوصف لائق بك وهو النعمه أو القدره مثلا أو الجود ﴿ سبحانك
هذا بهتان عظيم ﴾ (١)

وقال أيضا " فان قيل : ان هذا القرآن العظيم نزل بلسان عربي
مبين والعرب لا تعرف في لغتها كيفية اليد مثلا الا كيفية المعاني
المعروفة عندها كالجرحه وغيرها من معاني اليد المعروفة في اللغه
فبينوا لنا كيفية اليد ملائمة لما ذكرتم فالجواب من وجهين :-

الوجه الأول : أن العرب لا تترك كيفيات صفات الله من لغتها ،
لشدة منافاة صفة الله لصفة الخلق ، والعرب لا تعرف عقولهم كيفيات
الا لصفات الخلق فلا تعرف العرب كيفية للسمع والبصر الا هذه المشاهدة
في حاسة الأذن والعين ، أما سمع لا يقوم بأذن ، وبصر لا يقوم بحدقه ،
فهذا لا يعرفون له كيفية البتة ، فلا فرق بين السمع والبصر ، وبين اليد
والاستواء ، فالذي تعرف كيفيته العرب من لغتها من جميع ذلك هو
المشاهد في المخلوقات . وأما الذي اتصف الله به من ذلك فلا تعرف له
العرب كيفية ، ولا حدا لمخالفة صفاته لصفات الخلق الا أنهم يعرفون
من لغتهم أصل المعنى ، كما قال الامام مالك رحمه الله : الاستواء غير
مجهول والكيف غير معقول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعه ،
كما يعرفون من لغتهم أن بين الخالق والمخلوق والرزق والمرزوق والمحيي
والمحيا ، والمميت والممات فوارق عظيمه لاحد لها ، تستلزم المخالفة التامة
بين صفقات الخالق والمخلوق .

الوجه الثاني : أن نقول لمن قال : بينوا لنا كيفية لليد ملائمة
لما ذكرتم من كونها صفة كمال وجلال منزهه عن مشابهه جارحه المخلوق :

(١) أضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطي ج ٧ ص ٤٤٤ - ٤٤٦
بتلخيص .

هل عرفت كيفية الذات المقدسة المتصفه باليد ، فلا بد أن يقول : لا . فان قال ذلك قلنا : معرفة كيفية الصفات تتوقف على معرفة كيفية الذات فالذات والصفات من باب واحد ، فكما أن ذاته جل وعلا تخالف جميع الذوات فان صفاته تخالف جميع الصفات ، ومعلوم أن الصفات تختلف وتتباين باختلاف موصوفاتها ، ألا ترى مثلا أن لفظ رأس كلمة واحدة ؟ ان أضفتها الى الانسان فقلت رأس الانسان ، والى الوادى فقلت رأس الوادى ، والى المال فقلت رأس المال ، والى الجبل فقلت رأس الجبل . فان كلمت رأس اختلفت معانيها وتباينت تباينا شديدا بحسب اختلاف اضافتها مع أنها في مخلوقات حقيره . فما بالك بما أضيف من الصفات الى الله وما أضيف منها الى خلقه فانه يتباين كتباين الخالق والمخلوق ، كما لا يخفى " (١) .

سلامة القرآن من التحريف :

قال رحمه الله تعالى فى تفسير قوله تعالى " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " (٢)

" بين تعالى فى هذه الآيه الكريمة أنه هو الذى نزل القرآن العظيم وأنه حافظ له من أن يزداد فيه أو ينقص أو يتغير منه شىء أو يبدل ، وبين هذا المعنى فى مواضع آخر كقوله " وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد " (٣) وقوله " لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه " الى قوله " ثم ان علينا بيانه " (٤) وهذا هو الصحيح فى معنى هذه الآيه أن الضمير فى قوله " وانا له لحافظون " راجع الى الذكر

(١) اضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطى ج ٧ ص ٤٤٩ - ٤٥١

(٢) سورة الحجر : الآيه ٩

(٣) سورة فصلت : الآيه ٤٢

(٤) سورة القيامه : الآيات ١٦ - ١٩

الذى هو القرآن وقيل الضمير راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم كقوله
" والله يعصمك من الناس " (١) والأول هو الحق كما يتبادر من ظاهر
السياق . (٢)

ظاهر القرآن :

عند قوله تعالى " أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها " (٣) رد رحمه
الله تعالى على الذين يصرفون آيات القرآن الكريم عن ظاهرها حتى زعم
أحد هم أن العلماء قالوا أن الاخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر،
رد رحمه الله تعالى على هذا الزعم ونحوه فقال " من هم العلماء الذين
قالوا ان الاخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر ؟ سموهم لنا ،
وبينوا لنا من هم ؟ والحق الذى لا شك فيه أن هذا القول لا يقوله عالم ،
ولا متعلم لأن ظواهر الكتاب والسنة هي نور الله الذى أنزل له على رسوله
ليستضاء به فى أرضه وتقام به حدوده ، وتنفذ به أوامره ، وينصف به بين
عباده فى أرضه ، والنصوص القطعية التى لا احتمال فيها قليلة جداً
لا يكاد يوجد منها الا أمثلة قليلة جداً كقوله تعالى " فصيام ثلاثة أيام فى
الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة " (٤) والغالب الذى هو الأكثر
هو كون نصوص الكتاب والسنة ظواهر ، وقد أجمع جميع المسلمين على
أن العمل بالظاهر واجب حتى يرد دليل شرعى صارف عنه ، الى المحتمل
المرجوح ، وعلى هذا كل من تكلم فى الأصول . فتتغير الناس وابعادها
عن كتاب الله وسنة رسوله بدعوى أن الاخذ بظواهرهما من أصول الكفر هو
من أشنع الباطل وأعظمه كما ترى وأصول الكفر يجب على كل مسلم أن يحذر
منها كل الحذر ويتباعد منها كل التباعد ويتجنب أسبابها كل الاجتناب

(١) سورة المائدة : من الآيه ٦٧

(٢) اصواء البيان : محمد الأمين الشنقيطى ج ٣ ص ١٠٧

(٣) سورة محمد : الآيه ٢٤

(٤) سورة البقره : من الآيه ١٩٦

فيلزم على هذا القول المنكر الشنيع وجوب التباعد من الأخذ بظواهره
الوحى " (١).

وفى تفسير قوله تعالى " وما يعلم تأويله الا الله " (٢) قال " وحاصل
تحرير مسألة التأويل عند أهل الاصول أنه لا يخلو من واحده من ثلاث
حالات بالتقسيم الصحيح .

الاولى : أن يكون صرف اللفظ عن ظاهره بدليل صحيح فى نفس الأمر
يدل على ذلك ، وهذا هو التأويل المسمى عند هم بالتأويل الصحيح والتأويل
القريب ثم ضرب له مثالا .

الحالة الثانية : أن يكون صرف اللفظ عن ظاهره لأمر يظنه الصارف
دليلا وليس بدليل فى نفس الأمر وهذا هو المسمى عند هم بالتأويل
الفاسد والتأويل البعيد ثم ضرب لها مثالا .

الحالة الثالثة : أن يكون صرف اللفظ عن ظاهره لادليل له أصلا ،
وهذا يسمى فى اصطلاح الأصوليين لعبا كقول بعض الشيعة " ان الله يأمركم
أن تذبحوا بقرة " (٣) يعنى عائشه رضى الله عنها " . (٤)

الامامة :

فى تفسير قوله تعالى " واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض
خليفه " (٥) قال (قال مقيداه) عفا الله عنه) من الواضح المعلوم من
ضرورة الدين أن المسلمين يجب عليهم نصب امام تجتمع به الكلمة وتنفذ به
أحكام الله فى أرضه . ولم يخالف فى هذا الا من لا يعتد به وأكثر
العلماء على أن وجوب الامامة الكبرى بطريق الشرع كما دلت عليه الآيه

-
- (١) أضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطي ج ٧ ص ٤٤٢ - ٤٤٣
 - (٢) سورة آل عمران : من الآيه ٧
 - (٣) سورة البقرة : من الآيه ٦٧
 - (٤) أضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطي ج ١ ص ٢٣٤ - ٢٣٥
 - (٥) سورة البقرة : من الآيه ٣٠

المتقدمه وأشباهاها واجماع الصحابه رضى الله عنهم ، ولأن الله قد يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن وكما قال تعالى " ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس" (١) لأن قوله " وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد " فيه اشارة الى أعمال السيف عند الاباء بعد اقامة الحجج وأعلم أن ما تتقوله الاماميه من المفتريات على أبي بكر وعمر وأمثالهم من الصحابه ، وما تتقوله في الاثني عشر اماما ، وفي الامام المنتظر المعصوم ونحو ذلك من خرافاتهم وأكاذيبهم الباطله كله باطل لا أصل له ، واذ ا أردت الوقوف على تحقيق ذلك فعليك بكتاب " منهاج السنه النبويه فسي نقص كلام الشيعه والقدرية " للعلامه الوحيد الشيخ تقى الدين أبي العباس بن تيميه - تغمده الله برحمته - فانه جاء فيه بما لا مزيد عليه من الادلة القاطعه والبراهين الساطعه على ابطال جميع تلك الخرافات المختلفه " (٢) .

لا رجعة قبل يوم القيامة :

قال رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى " يوم يأتي تأويله بقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل " (٣) بين تعالى في هذه الآيه الكريمة أن الكفار اذا عاينوا الحقيقه يوم القيامه يقرون بأن الرسل جاءت بالحق ويتمنون أحد أمرين أن يشفع لهم شفعاء فينقذوهم ، أو يردوا الى الدنيا ليصدقوا الرسل ويعملوا بما يرضى الله ، ولم يبين هنا هل يشفع لهم أحد ؟ وهل يردون ؟ وماذا يفعلون لو ردوا ؟ وهل اعترفهم ذلك بصدق الرسل ينفعهم ؟ ولكنه تعالى بين ذلك كله في مواضع آخر ،

(١) سورة الحديد : من الآيه ٢٥

(٢) أضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطي ج ١ ص ٥٠ - ٥١

(٣) سورة الاعراف : من الآيه ٥٣

فبين أنهم لا يشفع لهم أحد بقوله " فما لنا من شافعين " (١) الآيه ،
 وقوله " فما تنفعهم شفاعة الشافعين " (٢) وقوله " ولا يشفعون الا لمن
 ارتضى " (٣) مع قوله " ولا يرضى لعباده الكفر " (٤) وقوله " فان الله
 لا يرضى عن القوم الفاسقين " (٥) . وبين أنهم لا يريدون في مواضع
 متعددة كقوله " ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ، ربنا
 ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون . ولو شئنا لآتينا كل
 نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس
 اجمعين " (٦) فقوله " ولكن حق القول مني لأملأن جهنم " الآيه .
 دليل على أن النار وجبت لهم فلا يريدون ولا يعذرون وقوله " وهم
 يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل أولم نعمركم
 ما يتذكر فيه من تذكر ، وجاءكم النذير " (٧) فصرح بأنه قطع عذرهم في
 الدنيا بالامهال مدة يتذكرون فيها وانذار الرسل ، وهو دليل على عدم
 ردهم الى الدنيا مرة أخرى وأشار الى ذلك بقوله " أولم تكونوا أقسمتم من
 قبل ما لكم من زوال " (٨) جوابا لقولهم " أخرنا الى أجل قريب نجيب دعوتك
 ونتبع الرسل " وقوله " ذلكم بأنه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك
 به تؤمنوا " (٩) بعد قوله تعالى عنهم " فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج
 من سبيل " (١٠) وقوله " وتراهم يعرضون علينا خاشعين من الذل ينظرون
 من طرف خفي " (١١) الآيه . بعد قوله " وترى النظامين لما رأوا العذاب

-
- (١) سورة الشعراء : من الآيه ١٠٠
 (٢) سورة المدثر : الآيه ٤٨
 (٣) سورة الانبياء : من الآيه ٢٨
 (٤) سورة الزمر : من الآيه ٧
 (٥) سورة التوبة : من الآيه ٩٦
 (٦) سورة السجده : من الآيه ١٢
 (٧) سورة فاطر : من الآيه ٣٧
 (٨) سورة ابراهيم : من الآيه ٤٤
 (٩) سورة غافر : من الآيه ١٢
 (١٠) سورة غافر : من الآيه ١١
 (١١) سورة الشورى : من الآيه ٤٥

يقولون هل الى مرد من سبيل " وقوله هنا " قد خسروا أنفسهم " الآيه بعد قوله فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد " الآيه فكل ذلك يدل علي عدم الرد الى الدنيا وعلى وجوب العذاب ، وأنه لا محيص لهم عنه " (١) .

الميزان :

قرر رحمه الله تعالى أن ظاهر القرآن الكريم يدل على تعدد الموازين لكل شخص فقال " وقوله في هذه الآيه الكريمة " ونضع الموازين^(٢) جمع ميزان وظاهر القرآن تعدد الموازين لكل شخص لقوله " فمن ثقلت موازينه " (٣) وقوله " ومن خفت موازينه " (٣) فظاهر القرآن يدل على أن للعامل الواحد موازين يوزن بكل واحد منها صنف من أعماله كما قال الشاعر :

ملك تقوم الحادثات لعدله فلكل حادثة لها ميزان

والقاعدة المقرره في الأصول أن ظاهر القرآن لا يجوز العدول عنه الا بدليل يجب الرجوع اليه وقال ابن كثير في تفسير هذه الآيه الكريمة : الأكثر علي أنه انما هو ميزان واحد وانما جمع باعتبار تعدد الأعمال الموزونة في^(٤)

الموالة والمعاداة :

قال رحمه الله تعالى عند قوله تعالى " لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم " (٥) وما تضمنته هذه الآيه الكريمة من النهي والزجر العظيم عن موالة أعداء الله جاء موضحا في آيات أخر كقوله تعالى " قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم

(١) أضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطي ج ٢ ص ٢٧٠ - ٢٧١

(٢) سورة الانبياء : من الآيه ٤٧

(٣) سورة القارعه : الآيتين ٦ ، ٨

(٤) أضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطي ج ٤ ص ٥٨٤ - ٥٨٥

(٥) سورة المجادلة : من الآيه ٢٢

انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم
العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده" (١) وقوله تعالى :-
" محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم" (٢)
وقوله تعالى " فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين
أعزة على الكافرين" (٣) وقوله تعالى " وليجدوا فيكم غلظة" (٤) الآية وقوله
تعالى " يأبىها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم" (٥) الى غير
ذلك من الآيات" (٦).

وقال رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى " ومن يتولهم منكم فإنه
منهم" (٧) ذكر في هذه الآية الكريمة أن من تولى اليهود والنصارى من
المسلمين فإنه يكون منهم بتوليه اياهم وبين في موضع آخر أن توليهم موجب
لسخط الله والخلود في عذابه وأن متوليتهم لو كان مؤمنا ما تولاهم ،
وهو قوله تعالى " ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم
أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ، ولو كانوا يؤمنون
بالله والنبي وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون" (٨)
ونهى في موضع آخر عن توليتهم مبينا سبب التنفير منه وهو قوله " يا أيها
الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس
الكفار من أصحاب القبور" (٩).

الى أن قال رحمه الله تعالى " ويفهم من ظواهر هذه الآيات أن من
تولى الكفار عمدا اختيارا رغبة فيهم أنه كافر مثلهم" (١٠).

-
- (١) الممتحنه : من الآيه ٤
(٢) سورة الفتح : من الآيه ٢٩
(٣) سورة المائدة : من الآيه ٥٤
(٤) سورة التوبه : من الآيه ١٢٣
(٥) سورة التوبه : من الآيه ٧٣
(٦) اضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطي ج ٧ ص ٨٢٤ - ٨٢٥
(٧) سورة المائدة : من الآيه ٥١ (٨) سورة المائدة : من الآيه ٨٠-٨١
(٩) سورة الممتحنه : من الآيه ١٣
(١٠) اضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطي : ج ٢ ص ٩٨ - ٩٩

محبة الصحابه :

قال رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى " والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه " الآيه (١٠) ولا يخفى أنه تعالى صرح في هذه الآيه الكريمه أنه قد رضى عن السابقين الأولين من المهاجرين والانصار ، والذين اتبعوهم باحسان وهو دليل قرآني صريح في أن من يسبهم ويغضهم أنه ضال مخالف لله جل وعلا ، حيث أبغض من رضى الله عنه ، ولا شك أن من أبغض من رضى الله عنه مضاد له جل وعلا ، وتمرد وطغيان " . (٢)

أهل البيت :

رد رحمه الله تعالى على بعض العلماء الذين قالوا ان أزواجه صلى الله عليه وسلم لا يدخلن في أهل بيته في قوله تعالى : " انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا " (٣) بأن قرينه السياق صريحه في دخولهن لأن الله تعالى قال " قل لأزواجك ان كنتن تردن " ثم قال في نفس خطابه لهن " انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت " ثم قال بعده " واذكرن ما يتلى في بيوتكن " الآيه وقد أجمع جمهور علماء الأصول على أن صورة سبب النزول قطعيه الدخول فلا يصح اخراجها بمخصص

والتحقيق ان شاء الله أنهم داخلات في الآيه وان كانت الآيه تتناول غيرهن من أهل البيت " (٤) .

وبين المراد باذهب الرجس عنهم فقال " يعنى أنه يذهب الرجس عنهم ويطهرهم بما يأمر به من طاعه الله وينهى عنه من معصيته ، لأن من اطاع

(١) سورة التوبه : من الآيه ١٠٠

(٢) أضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطى ج ٢ ص ٤٢٤

(٣) سورة الاحزاب : من الآيه ٣٣

(٤) أضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطى ج ٧ ص ٥٧٧

الله أذ هب عنه الرجس وطهره من الذنوب تطهيرا " (١) .
أما المراد بالمودة في القربى من قوله تعالى " قل لأسألكم عليه أجرا الا
المودة في القربى " (٢) فقال " والتحقيق ان شاء الله أن معنى الآية
هو القول الأول (الا المودة في القربى أى الا أن تود وني في قرابتي
فيكم وتحفظوني فيها فتكفوا عني أذاكم وتمنعوني من أذى الناس كما
هو شأن أهل القربات (٣) .

القضاء والقدر ؛

قال رحمه الله تعالى ان في قوله تعالى " وقالوا لو شاء الرحمن
ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون " (٤) وفي قوله سبحانه
" سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا والآباءنا ولا حرمنا من
شيء " (٥) وفي قوله سبحانه " وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا
من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا " (٦) ، اشكال ، ووجه الاشكال أن الله
صرح بكذبهم في هذه الدعوى التي ظاهرها حق . وأجاب عن هذا بأن
مراد الكفار بقولهم " لو شاء الرحمن ما عبدناهم " وقولهم " لو شاء الله
ما أشركنا " مرادهم به أن الله لما كان قادرا على منعهم من الشرك
وهدايتهم الى الايمان ولم يمنعهم من الشرك دل ذلك على أنه راض منهم
بالشرك في زعمهم قالوا لأنه لو لم يكن راضيا به لصرفنا عنه فتكذيب الله
لهم في الآيات المذكورة منصب على دعواهم أنه راض به والله جل وعلا
يكذب هذه الدعوى في الآيات المذكورة وفي قوله " ولا يرضى لعباده
الكفر " (٧) فالكفار زعموا أن الارادة الكونية القدرية تستلزم الرضى وهو

(١) المرجع السابق : ج ٧ ص ٥٧٩

(٢) سورة الشورى : من الآية : ٢٣

(٣) أضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطي ج ٧ ص ١٩٢

(٤) سورة الزخرف : الآية ٢٠

(٥) سورة الانعام : من الآية ١٤٨

(٦) سورة النحل : من الآية ٣٥

(٧) سورة الزمر : من الآية ٧

زعم باطل وهو الذي كذبهم الله فيه في الايات المذكوره . (١)
الى أن قال رحمه الله تعالى " وحاصل هذا أن الله تبارك وتعالى
قد رمق اير الخلق قبل أن يخلق الخلق ، وعلم أن قوما صائرون الى
الشقاء وقوما صائرون الى السعادة ، فريق في الجنة وفريق في السعير .
وأقام الحجة على الجميع ، ببعث الرسل وتأيدهم بالمعجزات التي
لا تترك في الحق لبسا فقامت عليهم حجة الله في أرضه لذلك ، ثم انه
تعالى وفق من شاء توفيقه ، ولم يوفق من سبق لهم في علمه الشقاء
الأزلي (٢) ، وخلق لكل واحد منهم قدرة وإرادة يقدر بها على تحصيل
الخير والشر وصرف قدرهم وإرادتهم بقدرته وإرادته الى ما سبق لهم في
علمه من أعمال الخير المستوجبه للسعادة ، وأعمال الشر المستوجبه
للشقاء فأتوا كل ما أتوا وفعلوا كل ما فعلوا ، طائعين مختارين غير مجبورين
ولا مقهورين " وما تشاءون الا أن يشاء الله " (٣) " قل فله الحجة
البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين " (٤) .
وإدعاء أن العبد مجبور لإرادة له ضروري السقوط عند عامة العقلاء ،
ومن أعظم الضروريات الداله عليه أن كل عاقل يعلم أن بين الحركه
الاختيارية والحركه الاضطرارية كحركة المرتعش فرقا ضروريا لا ينكره عاقل
أنك لو ضربت من يدعي أن الخلق مجبورون ، وفقأت عينه مثلا ، وقتلت
ولده واعتذرت له بالجبر فقلت له : أنا مجبور ولا إرادة لي في هذا السوء
الذي فعلته بك ، بل هو فعل الله ، وأنا لا ادخل لي فيه فانه لا يقبل
منك هذه الدعوى بلا شك بل يبالغ في إرادة الانتقام منك قائلا : ان هذا
بارادتك ومشيتك .

(١) أضواء البيان : محمد الامين الشنقيطي ج ٧ ص ٢٢١ ، ٢٢٢ باختصار

(٢) كذا ولعلها " في علمه الازلي . الشقاء .

(٣) سورة الانسان : الآيه ٣٠

(٤) سورة الانعام : من الآيه ١٤٩

ومن أعظم الأدلة القطعية الداله على بطلان مذهب القدرية ، وأن العبد لا يستقل بأفعاله دون قدرة الله ومشيئته ، أنه لا يمكن لأحد أن ينكر علم الله بكل شيء ، قبل وقوعه والآيات والأحاديث الداله علي هذا لا ينكرها الا مكابر ، وسبق علم الله بما يقع من العبد قبل وقوعه برهان قاطع على بطلان تلك الدعوى ، وايضاح ذلك أنك لو قلت للقدرى اذا كان علم الله في سابق أزله تعلق بأنك تقع منك السرقة أو الزنا فسي محل كذا في وقت كذا ، وأردت أنت بارادتك المستقلة في زعمك دون ارادة الله ألا تفعل تلك السرقة أو الزنا الذى سبق بعلم الله وقوعه ، فهل يمكنك أن تستقل بذلك ؟ وتصير علم الله جهلا ، بحيث لا يقع ما سبق في علمه وقوعه في وقته المحدد له ؟ والجواب بلا شك هو أن ذلك لا يمكن بحال كما قال تعالى " وما تشاؤون الا أن يشاء الله " (١)

انكار البداء على الله جل وعلا :

وفي قوله تعالى " واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون " (٢) قال رحمه الله تعالى " ومازعمه المشركون واليهود من أن النسخ مستحيل على الله لأنه يلزمه البداء وهو الرأى المتجدد - ظاهر السقوط واضح البطلان لكل عاقل لأن النسخ لا يلزمه البداء البتة ، بل الله جل وعلا يشرع الحكم وهو عالم بأن مصلحته ستنقضي في الوقت المعين ، وأنه عند ذلك الوقت ينسخ ذلك الحكم ويبدله بالحكم الجديد الذى فيه المصلحة فاذا جاء ذلك الوقت المعين أنجز جل وعلا ما كان في علمه السابق من نسخ ذلك الحكم الذى زالت مصلحته بذلك الحكم الجديد الذى فيه المصلحة كما أن حدوث المرض بعد الصحة وعكسه ، وحدث الغنى بعد الفقر وعكسه ، ونحو ذلك لا يلزم

(١) أضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطى ج ٧ ص ٢٢٣ - ٢٢٥

(٢) سورة النحل : الآية ١٠١

فيه البداء لأن الله عالم بأن حكمته الالهيه تقتضى ذلك التغيير فسي
وقته المعين له على وفق ما سبق فى العلم الأزلي كما هو واضح .
وقد أشار جل وعلا الى علمه بزوال المصلحه من المنسوخ وتمحضها
فى الناسخ بقوله هنا " والله أعلم بما ينزل " وقوله " نأت بخير منها
أو مثلها لم تعلم أن الله على كل شىء قدير " ^(١) وقوله " سنقرئك
فلا تنسى الا ما شاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى " ^(٢) فقوله " انه يعلم
الجهر وما يخفى " بعد قوله " الا ما شاء الله " يدل على أنه أعلم
بما ينزل ، فهو عالم بمصلحة الانساء ومصلحة تبديل الجديد من الأول
المنسى " ^(١) .

الشفاعة :

فى قوله تعالى " واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها
شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون " ^(٤) قال رحمه الله تعالى
" ظاهر هذه الآيه عدم قبول الشفاعة مطلقا يوم القيامة . ولكنه بين
فى مواضع أخر أن الشفاعة المنفيه هي الشفاعة للكفار والشفاعة لغيرهم
بدون اذن رب السموات والأرض ، أما الشفاعة للمؤمنين باذنه فهى ثابتة
بالكتاب ، والسنة ، والاجماع فنص على عدم الشفاعة للكفار بقوله
" ولا يشفعون الا لمن ارتضى " ^(٥) وقد قال " ولا يرضى لعباده الكفر " ^(٦) .
الى أن قال " هذا الذى قررنا من أن الشفاعة للكفار مستحيلة شرعا مطلقا
يستثنى منه شفاعته صلى الله عليه وسلم لعنه أبي طالب فى نقله من محل
من النار الى محل آخر منها . كما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم فى الصحيح
فهذه الصورة التى ذكرنا من تخصيص الكتاب بالسنة " ^(٧) .

(١) البقرة الآية ١٠٦ . (٢) الاعلى الآية ٦ ، ٧

(٣) أضواء البيان : محمد الامين الشنقيطى ج ٣ ص ٣٢٨

(٤) سورة البقره : الآية ٤٨

(٥) سورة الانبياء : من الآية ٢٨ (٦) سورة الزمر : من الآية ٧

(٧) أضواء البيان : محمد الامين الشنقيطى ج ١ ص ٦٤ - ٦٥

دقته في استخراج الأحكام :

الى جانب التزامه رحمه الله تعالى منهج أهل السنة والجماعة في التفسير فان الله قد آتاه قسطا وافرا من فهم العميق وعميق الفهم يدرك به مدلول الاشاره ، ويغوص به في دقائق الأمور فيجلوها ويوضح ما لا يظن اليه الا مثله ، ولهذا نضرب مثلا :

أينا يفهم من قوله تعالى "اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم (سورة الفاتحة آية ٥) "أينا يفهم دلالتها على صحة امامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولنقرأ له رحمه الله تعالى تقرير ذلك حيث قال " يؤخذ من هذه الآية صحة امامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه لأنه داخل فيمن أمرنا الله في السبع المثاني والقرآن العظيم - أعنى الفاتحة - بأن نسأله أن يهدينا صراطهم . فدل ذلك على أن صراطهم هو الصراط المستقيم وذلك في قوله " اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم " وقد بين الذين أنعم عليهم فعد منهم الصديقين (١) . وقد بين صلى الله عليه وسلم أن أبا بكر رضي الله عنه من الصديقين فاتضح أنه داخل في الذين أنعم الله عليهم الذين أمرنا الله أن نسأله الهداية الى صراطهم فلم يبق لبس في أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه على الصراط المستقيم وأن امامته حق " . (٢)

وهاك مثلا آخر في استنباطه الفقهي فمن قول هارون لأخيه موسى عليهما السلام " بينوم لا تأخذ بلحيتي " (٣) استنبط رحمه الله تعالى لزوم اعفاء اللحية واليك البيان " هذه الآية الكريمة بضميمة آية

(١) وذلك في قوله تعالى " ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا " ٦٩ النساء .

(٢) اضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطي ج ١ ص ٣٦

(٣) سورة طه : من الآية ٩٤

الانعام اليها تدل على لزوم اعفاء اللحيه فهى دليل قرآني على اعفاء اللحيه وعدم حلقها وآية الأنعام المذكوره هي قوله تعالى " ومن ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهارون " الآيه ثم انه تعالى قال بعد أن عد الأنبياء الكرام المذكورين " أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده " (١) فدل ذلك على أن هارون من الأنبياء الذين أمر نبينا صلى الله عليه وسلم بالاعتداء بهم ، وأمره صلى الله عليه وسلم بذلك أمر لنا لأن أمر القدوه أمر لاتباعه كما بينا ايضاحه بالادله القرآنيه فى هذا الكتاب المبارك فى سورة المائد

فاذا علمت بذلك أن هارون من الأنبياء الذين أمر نبينا صلى الله عليه وسلم بالاعتداء بهم فى سورة الانعام وعلمت أن أمره أمر لنا فيه الاسوه الحسنه وعلمت أن هارون كان موفرا شعر لحيته بدليل قوله لأخيه " لا تأخذ بلحيتي " لأنه لو كان حالقا لما أراد أخوه الأخذ بلحيته تبين لك من ذلك بايضاح أن اعفاء اللحيه من السمات الذى أمرنا به فى القرآن العظيم وأنه كان سمت الرسل الكرام صلوات الله وسلامه عليهم " (٢) . ومثل هذا عنده كثير .

هذان مثالان فيهما بيان دقتة فى الاستنباط وهو قصدنا ، ولمن أراد مزيد علم فليرجع الى تفسيره رحمه الله تعالى ففيه بغيته .

وبعد

ذلكم تفسير أضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن ما رأيت تفسيراً قديماً أو حديثاً فسر القرآن بالقرآن مثله لا يكاد يتناول آيه قرآنيه الا وبين ما تدل عليه ومالاتدل عليه ثم أورد الآيات التى تكشف ما لم تدل عليه الآية الأولى فأصبحت الآيات مجتمعه كالسبيكه الواحده تجلو كل ابهام وتوضح كل غامض .

(١) سورة الانعام : من الآيه ٩٠

(٢) أضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطى ج ٤ ص ٥٠٦ - ٥٠٧

ولا يعدل عن ظاهر القرآن الكريم الا بدليل وقد رد ود ا طويله
على أولئك الذين يصرفون آيات القرآن عن ظاهرها لالشيء الا لشيء
توهموه في صد ورهم كبعض الصفات مثلا ، أو لدليل حسبوه يعارض الظاهر
فأذا به يجلو هذا الاشتباه فاذا بالتعارض قد زال بل ذاب كما يذوب الملح
في الماء .

وفصل رحمه الله تعالى آيات الأحكام تفصيلا موسعا كدت أقول لا مزيد
عليه فيه بغيه كل باحث ومراد كل فقيه .

أما أصول الفقه فهو الخبير فيه ، لا تكاد تمر آية قرآنية فيها لاهل
الاصول معترك الا ودخل فيها وخرج وألنظار ترمقه هممت ان أذكر مثالا
فاذا بالأمثله تصطرع ولم استطع الحكم لأحدها فلينزل من أراد وردة الى
الحد يقه وليقتطف منها ما شاء .

أما مباحث اللغة والبلاغة والبيان ففيه منها ما يوقفك متربعا على
عرش الاقتناع .

ليس ما قلته وما لم أقله أيضا مصدره عين الرضا التي تكل عن كل عيب
ولكنه عين ما رأيتة حقا فوجب قوله ورأيت في ذكر المحاسن الأخرى اطاله
فسكت عنها ولو كان لي من الأمر شيء لقررتة في كلياتنا الشرعية منها
ليدرك به طلبه العلم الشرعي راحة علماء السلف في استقامتهم وفي سعة
أفقههم وأنها لاتزال قريبه منهم فيشمروا عن سواعد الجد والطلب وما ذلك
على الله بعزير .

رحم الله الشيخ ووفق الله طلبه العلم لخدمة هذا التفسير الجليل اذ
لا يزال بحاجة ما سة الى الترقيم والفهرسة ونحوها والله الموفق .

ثانيا : تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان

صاحب التفسير :

هو الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدى الناصرى التميمى الحنبلى . ولد فى مدينة عنيزة بالقصيم سنة ١٣٠٧ توفيت والدته وهو فى الرابعة ثم والده وهو فى الثانية عشره فكفلته زوجة والده وعطفت عليه أكثر من عطفها على أولادها وادخلته مدرسة تحفيظ القرآن فحفظه فى الرابعة عشرة من عمره .

ثم اشتغل بطلب علم التوحيد والتفسير والحديث والفقه وأصوله والنحو فقرأ الكتب وحفظ المتون ، الى أن بلغ الثالثة والعشرين من عمره فجلس للتدريس فكان يعلم ويتعلم واشتهر بعلمه وارتفع قدره فأقبل طلبة العلم عليه وتلقى العلوم والمعارف عنه واشتهر عدد من تلاميذه .

وفاته :

توفي رحمه الله تعالى قبل فجر الخميس ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٦ بسبب نزيف فى المخ أصابه يوم الأربعاء وقد أرسل الملك فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى طائرة تحمل الأطباء لعلاجيه ولسوء الأحوال الجوية ذلك اليوم لم تستطع الطائرة الهبوط على أرض المطار .

مؤلفاته :

ترك رحمه الله تعالى عددا كبيرا من المؤلفات العلمية طبع أكثرها على نفقته ووزعها مجانا وما زال بعضها مخطوطا لم يطبع ، ومن أهم مؤلفاته :

- ١ - تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان ، وهو موضوع بحثنا هنا وسنفرده بالدراسة .
- ٢ - تيسير اللطيف المنان فى خلاصة تفسير القرآن ، وهو خلاصة التفسير المطول السابق .

- ٣ - فوائد قرآنيه . لخصها بعض الباحثين من خلاصة التفسير السابق
- ٤ - القواعد الحسان لتفسير القرآن ، ذكر فيه سبعين قاعدة تعين علي فهم كلام الله والاهتداء به ، وتفتح له من طرق التفسير ومنهاج الفهم عن الله ما يغني عن كثير من التفاسير الخاليه من هذه البحوث النافعه ، طبع الكتاب بمطبعة أنصار السنة المحمديه ، بتصحيح محمد حامد الفقى سنة ١٣٦٦ هـ .
- ٥ - المواهب الربانيه من الآيات القرآنيه وهي فوائد فتح الله عليه بها فى شهر رمضان سنة ١٣٤٧ هـ فقيدها طبع طبعة جديدة سنة ١٤٠٢ .
- ٦ - فوائد مستنبطه من قصة يوسف . وافق الفراغ من تأليفها شهر صفر سنة ١٣٧٥ وطبعت فى نفس السنه .
- ٧ - الدلائل القرآنيه فى أن العلوم والأعمال النافعه العصرية داخله فى الدين الاسلامي . وهي رساله صغيره فى حجمها تقع فى خمسين صفحه من القطع الصغير كتبها فى محرم سنة ١٣٧٥ وطبعت بمطابع الرياض سنة ١٣٧٦ .
- ٨ - التنبيهات اللطيفه فيما احتوت عليه الواسطيه من المباحث المنيفه وعليها منتخبات من تقارير الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، ثم الفراغ منها فى جماد الأول سنة ١٣٦٩ طبعت بدون تاريخ .
- ٩ - الفواكه الشهيه فى الخطب المنبريه . طبعت سنة ١٣٧٢ هـ .
- ١٠ - ارشاد أولي البصائر والألباب لنيل الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب بطريق مرتب على السؤال والجواب . طبع الطبعة الأولى سنة ١٣٦٥ والطبعه الثانيه سنة ١٤٠٠ هـ .

١١ - الفتاوى السعديه

وهي مجموعه فتاوى وكتابات وأسئله وأجوبه كتبها رحمه الله تعالى بيده جمعها بعض محبيه وطبعت الطبعة الاولى سنة ١٣٨٨ والثانيه سنة ١٤٠٢ هـ .

هذه بعض مؤلفاته رحمه الله تعالى التي تجاوزت الثلاثين مؤلفا ، نفع الله بها وعفّر له انه سميع مجيب . (١)

التفسير :

يقع تفسيره " تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان " في سبعة مجلدات ، وقد فرغ رحمه الله تعالى من تأليفه سنة ١٣٤٤ وصدرت طبعته الاولى سنة ١٣٦٥ بمطبعة الترقى بدمشق ووزع مجانا على نفقة المؤلف .

ثم صدرت طبعته الثانية بالمطبعة السلفية بالقاهرة .
وصدرت طبعته الثالثة بالرياض بدون تاريخ ولكن فيها ما يستدل به على أن طبعتها كان سنة ١٩٧٦ م وسنة ١٩٧٧ م .

وهذا التفسير وهو وان كان شاملا لآيات القرآن الكريم كلها الا أنه ليس من التفاسير المطولة وتحدث رحمه الله تعالى عن ذلك فقال : -

" كثرت تفاسير الأئمة رحمهم الله لكتاب الله فمن مطول خارج في أكثر بحوثه عن المقصود، ومن مقتصر يقتصر على حل بعض الألفاظ اللغوية بقطع النظر عن المراد ، وكان الذي ينبغي في ذلك أن يجعل المعنى هو المقصود ، واللفظ وسيلة اليه فينظر في سياق الكلام وما سيق لأجله ويقابل بينه وبين نظيره في موضع آخر ، ويعرف أنه سبق لهداية الخلق كلهم ، عالمهم وجاهلهم حضريهم وبدويهم ، فالنظر لسياق الآيات مع العلم بأحوال

(١) لخصنا هذه الترجمة من كتاب مشاهير علماء نجد وغيرهم . تأليف عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ومن قرأه في الخاصه لمؤلفاته . وانظر ترجمته في الاعلام : للزركلي ومعجم المؤلفين ، عمر رضا كحاله .

الرسول وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله من أعظم ما يعين على ما يعين على معرفته وفهم المراد منه خصوصا اذا انضم الى ذلك معرفة علوم العربية على اختلاف أنواعها .

فمن وفق لذلك لم يبق عليه الا الاقبال على تدبره وتفهمه وكثرة التفكير في ألفاظه ومعانيه ولوازمها وما تتضمنه وما تدل عليه منطوقا ومفهوما ، فاذا بذل وسعه في ذلك فالرب أكرم من عبده ، فلا بد أن يفتح عليه من علومه أمورا لا تدخل تحت كسبه .

ولما منَّ الباري على وعلى اخواني بالاشتغال بكتابه العزيز بحسب الحال اللائقة بنا ، أحببت أن أرسم من تفسير كتاب الله ما تيسر ، وما من به الله علينا ليكون تذكرة للمحصلين وآلة للمستبصرين ، ومعونة للسالكين ، ولأقيدته خوف الضياع ، ولم يكن قصدى في ذلك الا أن يكون المعنى هو المقصود ، ولم أشتغل في حل الألفاظ والعقود ، للمعنى الذى ذكرت . ولأن المفسرين قد كفوا من بعدهم فجزامهم الله عن المسلمين خيرا " (١)

قلت وجزاء الله أيضا خيرا ومع التزامه بما قال من الاكتفاء بأقوال المفسرين السابقين عن الاطناب في حل ألفاظ القرآن الكريم وتفسيره فان تفسيره يقع في سبعة مجلدات وذلك بسبب طريقه أحسبها خاصة به نبيه بنفسه عليها فى مقدمته فقال أعلم أن طريقتى فى هذا التفسير أنى أذكر عند كل آية ما يحضرني من معانيها ، ولا أكتفى بذكرى ما تعلق بالمواضع السابقه عن ذكر ما تعلق بالمواضع اللاحقه لأن الله وصف هذا الكتاب أنه " مثاني " تشنى فيه الأخبار والقصص والأحكام وجميع المواضيع النافعه لحكم عظيمه ، وأمر بتدبره جميعه لما فى ذلك من زيادة العلوم والمعارف وصلاح الظاهر والباطن واصلح الأمور كلها " (٢)

(١) تيسير الكريم الرحمن : عبد الرحمن بن ناصر السعدى ج ١ ص ١٢-١٤

(٢) المرجع السابق : ج ١ ص ٢

وقد التزم رحمه الله تعالى بما رسم لنفسه من منهج فجاء تفسيره
وسطا بين طويل التفاسير ومختصره .

نماذج من تفسيره :

رؤية الله :

قال رحمه الله تعالى مثبتا لرؤية الله يوم القيامة عند تفسير قوله
تعالى " ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب انظر اليك قال
لن تراني " (١) الآية قال : -

أى لن تقدر الآن على رؤيتي فان الله تبارك وتعالى أنشأ الخلق فى
هذه الدار على نشأة لا يقدرون بها ولا يثبتون لرؤية الله ، وليس فى
هذا ، دليل على أنهم لا يرونه فى الجنة ، فإنه قد دلت النصوص القرآنية
والأحاديث النبوية على أن أهل الجنة يرون ربهم تبارك وتعالى ، ويتمتعون
بالنظر الى وجهه الكريم وأنه ينشئهم نشأه كامله يقدرون معها على
رؤية الله تعالى " (٢) . وبين فى موضع آخر أنهم ينظرون الى ربهم
حسب مراتبهم فقال فى تفسير قوله تعالى " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها
ناظرة " (٣) أى ينظرون الى ربهم على حسب مراتبهم ومنهم من ينظره كل
يوم بكرة وعشيا ، ومنهم من ينظر كل جمعة مرة واحدة " (٤) .

وفسر الزيادة فى قوله تعالى " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة " (٥)
بالنظر الى وجهه الكريم فقال " وهي النظر الى وجه الله الكريم ، وسماع
كلامه والفوز برضاه والبهجة بقربه فهذا حصل أعلى ما يتمناه المتمنون ،
ويسأله السائلون " (٦) .

(١) سورة الاعراف : من الآية ١٤٣

(٢) تيسير الكريم الرحمن : عبد الرحمن السعدى ج ٣ ص : ٨٧

(٣) سورة القيامة : الآيتين ٢٢ - ٢٣

(٤) تيسير الكريم الرحمن : عبد الرحمن السعدى ج ٧ ص ٥٢٦

(٥) سورة يونس : من الآية ٢٦

(٦) تيسير الكريم الرحمن : عبد الرحمن السعدى ج ٣ ص ٣٤٥

الاستواء :

فى قوله تعالى " ثم استوى على العرش " (١) قال " استوى استواءاً يليق بجلاله ، وعظمته وسلطانه (٢) وقال فى موضع آخر " استواءاً يليق بجلاله فوق جميع خلقه . (٣)

العرش :

قال عنه رحمه الله تعالى " العرش الذى هو سقف المخلوقات وأعلاها وأوسعها وأجملها (٤) وقال فى موضع آخر العرش العظيم الذى يسع السموات والأرض وما فىهما وما بينهما . (٥)

سلامة القرآن الكريم من التحريف :

فى تفسير قوله تعالى " لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد " (٦) قال أى لا يقربه شيطان من شياطين الانس والجن لا بسرقة ولا بادلخال ماليس منه به ، ولا بزياده ولا نقص فهو محفوظ فى تنزيله ، محفوظه الفاظه ومعانيه ، قد تكفل من أنزله بحفظه كما قال تعالى " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " (٧) (٨) وقال فى تفسير هذه الآيه الأخيره " وانا له لحافظون أى فى حال انزاله وبعد انزاله ، فى حال انزاله حافظون له من استراق كل شيطان رجيم ، وبعد انزاله أودعه الله فى قلب رسوله واستودعه فى قلوب أمته وحفظ الله

(١) سورة الاعراف : من الآيه ٥٤

(٢) المرجع السابق : ج ٣ ص ٣٨

(٣) المرجع السابق : ج ٧ ص ٢٨٣

(٤) المرجع السابق : ج ٥ ص ٤٨٩

(٥) المرجع السابق : ج ٣ ص ٣٨

(٦) سورة فصلت : الآيه ٤٢

(٧) سورة الحجر : الآيه ٩

(٨) المرجع السابق : ج ٦ ص ٥٨٢

الفاظه من التغيير فيها والزيادة والنقص ومعانيه من التبديل ، فلا يحرف محرف معنى من معانيه الا وقيض الله له من بين الحق المبين ، وهذا من أعظم آيات الله ونعمه على عباده المؤمنين ، ومن حفظه أن الله يحفظ أهله من أعدائهم ولا يسلط عدوا يجتاحهم " (١) .

كلام الله في مخلوق :

في تفسير قوله تعالى " واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفه " الايات (٢) قال رحمه الله تعالى " وفى هذه الآيات من العبر والآيات اثبات الكلام لله تعالى وأنه لم يزل متكلمًا يقول ما شاء ويتكلم بما شاء وانه عليم حكيم " (٣) وفى قوله تعالى " وكلم الله موسى تكليماً " (٤) قال أى مشافهه منه اليه لا بواسطة حتى اشتهر بهذا عند العالمين فيقال موسى كليم الرحمن (٥) وقال في موضع آخر " وأما كلام الله فانه من جملة صفاته ، وصفاته غير مخلوقه ، ولا لها حد ولا منتهى " (٦) .

لا رجعة لاحد قبل يوم القيامة :

قال رحمه الله تعالى فى تفسير قوله تعالى " حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت " (٧) يخبر تعالى عن حال من حضره الموت من المفرطين الظالمين أنه يندم في تلك الحال اذا رأى مآله وشاهد قبح أعماله فيطلب الرجعة الى الدنيا لالتمتع بلذاتها واقتطاف شهواتها وإنما ذلك ليقول (لعلى أعمل صالحا فيما تركت) من العمل وفرطت في جنب الله (كلا) أى لا رجعة له ولا امهال قد قضى الله أنهم اليها لا يرجعون " (٨) .

-
- (١) المرجع السابق : ج ٤ ص ١٥٨
(٢) سورة البقرة : الآيات ٣٠ - ٣٤
(٣) المرجع السابق : ج ١ ص ٧٣
(٤) سورة النساء : من الآية ١٦٤
(٥) المرجع السابق : ج ٢ ص ٢١٨ (٦) المرجع السابق : ج ٥ ص ٨٦
(٧) سورة المؤمنون : الآيتين ٩٩ - ١٠٠
(٨) المرجع السابق : ج ٥ ص ٣٧٩

وقال فى تفسير قوله تعالى " وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل " (١) أى هل لنا طريق أو حيله الى رجوعنا الى الدنيا لنعمل غير الذى كنا نعمل ، وهذا طلب للأمر المحال الذى لا يمكن " . (٢)

أصحاب الكبائر :

فى الوعيد لمن قتل مؤمنا متعمدا المنصوص عليه بقوله تعالى " ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما " (٣) قال رحمه الله تعالى " وهذا الوعيد له حكم أمثاله من نصوص الوعيد على بعض الكبائر والمعاصى بالخلود فى النار أو حرمان الجنة ، وقد اختلف الائمة رحمهم الله فى تأويلها ، مع اتفاقهم على بطلان قول الخواج والمعتزلة الذين يخلد ونهم فى النار ، ولو كانوا موحديين " (٤) ثم نقل قول لابن القيم رحمه الله تعالى بسين فيه موقف أهل السنة والجماعة المعروف من أصحاب الكبائر .

أما فى تفسير قوله تعالى " بلى من كسب سيئه وأحاطت به خطيئته فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون " (٥) فقال رحمه الله تعالى فيها " وقد احتج بها الخواج على كفر صاحب المعصية وهى حجة عليهم كما ترى فانها ظاهرة فى الشرك وهكذا كل مبطل يحتج بآيه أو حديث صحيح على قوله الباطل فلا بد أن يكون فيما احتج به حجة عليه " . (٦)

-
- (١) سورة الشورى : من الآيه ٤٤
 - (٢) المرجع السابق : ج ٦ ص ٦٢٦
 - (٣) سورة النساء : من الآيه ٩٣
 - (٤) المرجع السابق : ج ٢ ص ١٢٩
 - (٥) سورة البقره : من الآيه ٨١
 - (٦) تيسير الكريم الرحمن : عبد الرحمن السعدى ج ١ ص ١٠٣

أما الوعيد لمن عاد الى أكل الربا فى قوله تعالى " ومن عاد فأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون " (١) فقال عنه " فى هذا أن الربا موجب لدخول النار والخلود فيها وذلك لشناعته مالم يمنع من الخلود مانع الايمان وهذا من جملة الاحكام التى تتوقف على وجود شروطها ، وانتفاء موانعها وليس فيها حجة للخوارج كغيرها من آيات الوعيد ، فالواجب أن تصدق جميع نصوص الكتاب والسنة فيؤ من العبد بما تواترت به النصوص من خروج من فى قلبه أدنى مثقال حبه خردل من الايمان ، من النار ومن استحقاق هذه الموبقات لدخول النار ان لم يتب منها " (٢)

الموالة والمعاداة ،

فى تفسير قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان " (٣) الآية بين رحمة الله تعالى أصل الولاية فقال " وأصل الولاية : المحبة والنصره وذلك ان اتخاذهم أولياء موجب لتقديم طاعتهم على طاعة الله ومحبتهم على محبة الله ورسوله ولهذا ذكر السبب الموجب لذلك وهو أن محبة الله ورسوله يتعين تقديمها على محبة كل شىء وجعل جميع الاشياء تابعة لهما " (٤)

وفى قوله تعالى " بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما ، الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين " (٥) الآية قال " وفى هذه الآية التهيب العظيم من موالة الكافرين وترك موالة المؤمنين وأن ذلك من صفات المنافقين وأن الايمان يقتضى محبة المؤمنين وموالاتهم ، وبغض الكافرين وعداوتهم " (٦)

(١) سورة البقرة : من الآية ٢٧٥

(٢) المرجع السابق : ج ١ ص ٣٣٨ - ٣٣٩

(٣) سورة التوبة : من الآية ٢٣

(٤) المرجع السابق : ج ٣ ص ٢١٢ - ٢١٣

(٥) سورة النساء : من الآيتين ١٣٨ - ١٣٩

(٦) تيسير الكريم الرحمن : عبد الرحمن السعدى ج ٢ ص ١٩٧

وفى موضع آخر بين رحمه الله تعالى الولاية الواجبه على المؤمنين وما تترك به وفائدتها وما يوجبها على المؤمنين فقال رحمه الله تعالى فى تفسير قوله تعالى " انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون " (١) فقال : - " لما نهى عن ولاية الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم وذكر مآل توليهم أنه الخسران المبين أخبر تعالى من يجب ويتعين توليه . وذكر فائدة ذلك ومصلحته فقال " انما وليكم الله ورسوله " فولاية الله تترك بالايمن والتقوى فكل من كان مؤمنا تقيا كان لله وليا ومن كان لله وليا فهو ولي لرسوله ، ومن تولى الله ورسوله كان تمام ذلك تولى من تولاه وهم المؤمنون الذين قاموا بالايمن ظاهرا وباطنا وأخلصوا للمعبود باقامتهم الصلاة بشروطها وفروضها ومكملاتها وأحسنوا للخلق وبذلوا الزكاة من أموالهم لمستحقيها منهم وقوله " وهم راكعون " أى خاضعون لله ذليلون فأداة الحصر فى قوله انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا تدل على أنه يجب قصر الولاية على المذكورين والتجربى من ولاية غيرهم . ثم ذكر فائدة هذه الولاية فقال " ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون ، أى فإنه من الحزب المضافين الى الله اضافة عبوديه وولاية وحزبه الغالبون ، الذين لهم العاقبة فى الدنيا والآخرة كما قال تعالى " وان جنودنا لهم الغالبون " وهذه اشارة عظيمه لمن قام بأمر الله وصار من حزبه وجنوده ان له الغلبه وان أدبيل عليه فى بعض الاحيان لحكمة يريد ها الله تعالى فأخر أمره الغلبه والانتصار ومن أصدق من الله قيلا " (٢)

(١) سورة المائدة : الآيتين ٥٥ - ٥٦

(٢) تيسير الكريم الرحمن : عبد الرحمن السعدى ج ٢ ص ٣١٠ - ٣١١

محبة الصحابه :

في تفسير قوله تعالى " للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم الآيات (١) تحدث رحمه الله تعالى عن المهاجرين ثم عن الأنصار ثم قال " فهذان الصنفان الفاضلان الزكيان هم الصحابة الكرام والأئمة الأعلام الذين حازوا من السوابق والفضائل والمناقب ما سبقوا به من بعدهم ، وأدركوا به من قبلهم فصاروا أعيان المؤمنين وسادات المسلمين وقادات المتقين وحسب من بعدهم من الفضل أن يسير خلفهم ويأتهم بهداهم " (٢)

القضاء والقدر :

فصل رحمه الله تعالى الحديث عن القضاء والقدر عند تفسيره لقوله تعالى " سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون . قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين " (٣) فقال رحمه الله تعالى " هذا اخبار من الله أن المشركين سيحتجون على شركهم وتحريمهم ما أحل الله بالقضاء والقدر ، ويجعلون مشيئة الله الشاملة لكل شيء من الخير والشر حجة لهم في دفع اللوم عنهم ، وقد قالوا ما أخبر الله أنهم سيقولون كما قال في الآيه الأخرى " وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء " (٤) الايه فأخبر تعالى أن هذه الحجة لم تنزل الأمم المكذبه تدفع بها عنهم دعوة الرسل ويحتجون بها فلم تجد فيهم شيئاً ، ولم تنفعهم ، فلم يزل هذا دأبهم حتى أهلكهم الله وأذاقهم بأسه ، فلو كانت حجة صحيحة لدفعت

(١) سورة الحشر : الآيات ٨ ، ٩ ، ١٠

(٢) تيسير الكريم الرحمن : عبد الرحمن السعدى ج ٢ ص ٣٣٦

(٣) سورة الانعام : الآيتين ١٤٨ - ١٤٩

(٤) سورة النحل : من الآيه ٣٥

عنهم العقاب و، ولما أحل الله بهم العذاب ، لأنه لا يحل بأسه
الا بمن استحقه فعلم أنها حجة فاسدة وشبهة كاسدة من عدة أوجه :-
منها : ما ذكر الله من أنها لو كانت صحيحة لم تحل بهم العقوبة .
ومنها : ان الحجة لا بد أن تكون حجة مستنده الى العلم والبرهان فأما
اذا كانت مستنده الى مجرد الظن والخرص الذي لا يغنى من الحق شيئا
فأنها باطله ولهذا قال " قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا " فلو كان لهم
علم وهم خصوم الداء - لأخرجوه فلما لم يخرجوه علم أنه لا علم عندهم
" ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون " ومن بنى حجه على الخرص
والظن فهو مبطل خاسر فكيف اذا بناها على البغي والعناد والشـرر
والفساد ؟ ...

ومنها أن الله تعالى أعطى كل مخلوق قدره وارادة يتمكن بها من فعل
ما كلف به ، فما أوجب الله على أحد ما لا يقدر على فعله ولا حرم على أحد
ما لا يتمكن من تركه ، فالاحتجاج - بعد هذا - بالقضاء والقدر ظلم محض
وعناد صرف .

ومنها : أن الله تعالى لم يجبر العباد على أفعالهم بل جعل أفعالهم
تبعاً لاختيارهم فان شاءوا فعلوا وان شاءوا كفوا . وهذا أمر مشاهد لا ينكره
الا من كابر ، وأنكر المحسوسات فان كل أحد يفرق بين الحركة الاختياريه
والحركة القسريه ، وان كان الجميع داخلين في مشيئة الله ومندرجا تحت
ارادته .

ومنها : ان المحتجين على المعاصي بالقضاء والقدر يتناقضون في ذلك
فانهم لا يمكنهم أن يطردوا ذلك بل لو أساء اليهم مسيء بضرب أو أخذ
مال أو نحو ذلك واحتج بالقضاء والقدر لما قبلوا منه هذا الاحتجاج ولغضبوا
من ذلك أشد الغضب ، فيا عجباً كيف يحتجون به على معاصي الله
ومساخطه ولا يرضون من أحد أن يحتج به في مقابلة مساخطهم ؟ !

ومنها أن احتجاجهم بالقضاء والقدر ليس مقصودا ويعلمون أنه ليس بحجه ،
وانما المقصود منه ، دفع الحق ، ويرون أن الحق بمنزلة الصائل منهم
يدفعونه بكل ما يخطر ببالهم من الكلام المصيب عندهم والمخطيء (١) .

وقال رحمه الله تعالى في قوله تعالى " وما تشاؤون الا أن يشاء الله
رب العالمين " (٢) " وفي هذه الآيه وأمثالها رد على فرقتي القدرية
النفاه والقدرية المجبره " (٣) .

هذه امثله من تفسير ابن سعدى رحمه الله تعالى سلك فيها منهج
أهل السنة والجماعة اكتفى في بيانه بوجيز العبارة من غير اطناب ممل
ولا ايجاز مخل وهو وان لم يعرض الكثير من آراء أهل السنة والجماعة بالشرح
والبيان لا اعتقاده - كما قرر في مقدمته - أن المفسرين قد كفوا من بعدهم ،
ومع هذا فان تفسيره رحمه الله تعالى قد جاء وسطا بين حاجة العلماء
وحاجة من دونهم ليس بالصعب الذى لا ترتقى اليه أفهام هؤلاء ولا بالسهل
الذى لا يجد فيه أولئك بغيتهم بل جمع هذا وذاك وأحسبه لم يفصل
الحديث في العقائد لأنه انما كان يخاطب طائفة من أهل السنة والجماعة
لم يكن بينهم من منازع أو خصم فكان يكتفى بوجيز العبارة ودقيق الاشارة .
نفع الله به وعلومه انه سميع مجيب .

(١) تيسير الكريم الرحمن : عبد الرحمن السعدى ج ٢ ص ٤٩٥ - ٤٩٧

(٢) سورة التكويسر : الآيه ٢٩

(٣) تيسير الكريم الرحمن : عبد الرحمن السعدى ج ٧ ص ٥٨١

ثالثا : محاسن التأويل

صاحب التفسير :

اسمه : محمد جمال الدين أبو الفرج بن محمد سعيد بن قاسم ، وقاسم هذا فقيه الشام في عصره الشيخ قاسم بن صالح بن اسماعيل بن أبي بكر المعروف بالحلاق والى هذا الفقيه ينسب حفيده فيسمى جمال الدين القاسمي .

ولادته : ولد رحمه الله تعالى يوم الاثنين ٨ / ٥ / ١٢٨٣ الموافق ١٧ أيلول ١٨٦٦ من الميلاد ، في دمشق .

نشأته :

تعلم رحمه الله تعالى القرآن أولا ثم تعلم الكتابه ثم انتقل الى مكتب في المدرسه الظاهريه فأخذ مبادئ التوحيد والصرف والنحو والمنطق والبيان والعروض وغيرها ثم جود القرآن على شيخ القراء الشيخ أحمد الحلواني وقرأ على الشيخ سليم العطار والشيخ بكرى العطار وأجازه كثير من علماء عصره .

تدريسه :

بدأ في التعليم بسن مبكره ، وانتدبته الحكومه أربع سنوات من سنة ١٣٠٨ الى سنة ١٣١٢ لالقاء دروس عامه خلال شهر رمضان في وادي العجم والنبك وبعلبك وقام مقام أبيه في درس العام وامامة الجامع والقاء الدروس فيه بعد وفاة والده سنة ١٣١٧ واستمر فيه الى وفاته رحمه الله تعالى .

نشاطه :

اتهم بعد عودته من الانتداب سنة ١٣١٣ بزيارته لمصر وللمدينه بتأسيس مذهب فقهي خامس هو " المذهب الجمالي " فقبضت عليه الحكومه ليلة واحده ثم أخلى سبيله في الصباح واعتذر له والى دمشق .

وانقطع بعدها للتأليف واللقاء الدروس الخاصة والعامه ، وفي سنة ١٣٢٦ حدث له حادثه أخرى حيث فتشت كتبه وصور بعضها وأعيدت له بعد شهرين .

وحادثه ثالثة حيث استدعى أمام قاضى التحقيق بدمشق حيث اتهم أن جمعية النهضة السورية لم تنشأ الا بتشويقه هو والشيخ عبد الرزاق البيطار وأنها من أركانها وأنها فرع لجمعيات فى البلاد كاليمين ونجد وأن لهم مكاتبات مع أمراء نجد ومواصلات . . . وما مذهب الوهابيه وكم عدة الوهابيين فى الشام . . . الى نحو ذلك .

اسلوبه فى الدعوه :

عرف عنه رحمه الله تعالى أنه كان عف اللسان والقلم لم يتعرض بالأذى لأحد من خصومه سواء أكان ذلك فى دروسه الخاصة أو العامة فى مجالسه أو ندواته ، وانما كان يناقش بالبرهان والدليل من الكتاب والسنة . ولم تتضمن كتبه على كثرتها مع أن بعضها انما وضع للرد على المخالفين لم تتضمن لفظا نابيا أو كلمه جارحه وانما اعتصم بالنقاش العلمى الأدبى ولم يكن رحمه الله تعالى يريد من الرد على مخالفيه افحامهم أو تصغير أقدارهم أو الحط من شأنهم وانما كان هدفه الهدى والرشاد الى صراط مستقيم .

وفاته :

توفى رحمه الله تعالى فى دمشق مساء السبت ٢٣ / ٥ / ١٣٣٢ ودفن فى مقبرة الباب الصغير بدمشق وله من العمر ٤٩ عاما .

مؤلفاته :

ترك رحمه الله تعالى عددا كبيرا من المؤلفات تقارب المئه عددا وقد اطلع الزركلى على اثنين وسبعين مصنفا له . . وأهم مؤلفاته :

١ - محاسن التأويل وهو التفسير الذى سنفرده بالحديث ان شاء الله .

٢ - قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث . في مجلد ، — بين
يدى طبعه دار احياء الكتب العربية الطبعه الثانية سنة ١٣٨٠ بتحقيق
وتعليق محمد بهجت البيطار أما الطبعة الأولى ففي شهر شوال سنة
١٣٥٣ هـ .

٣ - اصلاح المساجد من البدع والعوائد ،
في مجلد واحد تبلغ صفحاته قرابة ٢٨٠ صفحة صدرت طبعته الأولى
في القاهره سنة ١٣٤١ ، وبين يدى الطبعه الرابعه سنة ١٣٩٩ في
بيروت خرج أحاديثها وعلق على بعض مواطن الاشكال فيها الشيخ محمد
ناصر الدين الألباني .

٤ - تاريخ الجهميه والمعتزله
صدرت آخر طبعاته من مؤسسة الرساله ببيروت سنة ١٣٩٩

٥ - تعطير المشام في مآثر دمشق الشام
مخطوط في أربعة مجلدات ذكره الزركلي في أعلامه .

٦ - موعظة المؤمن من احياء علوم الدين
وغير ذلك من المؤلفات رحمه الله رحمة واسعه ونفع بعلمه انه سميع
مجيب . (١)

التفسير :

(محاسن التأويل)

ويعرف هذا التفسير بـ " تفسير القاسمي " طبع في سبعة عشر مجلدا ويقع
في ٦٣١٦ صفحة بدون المجلد الأول الذي جعله مقدمة لتفسيره وصدرت
الطبعة الاولى بين عامي ١٣٧٦ - ١٣٧٧ من دار احياء الكتب العربية ،

(١) اعتمدت في ترجمته رحمه الله تعالى على ماورد في ترجمته في كتابه
" قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ، وعلى ماورد في الاعلام
للزركلي ، ومعجم المؤلفين عمر رضا كحاله ، وفي كتاب الادب العربي
المعاصر في سورية للاستاذ سامي الكيالي .

ووقف على طبعه وتصحيحه ورقمه وخرج آياته وأحاديثه وعلق عليه الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي وأصدرت دار الفكر ببيروت الطبعة الثانية سنة ١٣٩٨ م مصوره عن الطبعة الأولى .

طريقته في التفسير :

بين رحمه الله تعالى في مقدمه تفسيره أنه اطلع على ما قدر له من تفاسير السابقين وتعرف ما تخللها من الغث والسمين ثم بعد أن صرف في الكشف عن حقائق التفسير شطرا من عمره ووقف على فحص دقائقه قد را من دهرى قال " أردت أن انخرط في سلك مفسريه الأكابر قبل أن تبلى السرائر وتفنى العناصر وأكون بخدمته موسوما وفي جملته منظوما فشحذت كليل العزم وأيقظت نائم الهم واستخرت الله تعالى في تقرير قواعده وتفسير مقاصده في كتاب اسمه بعون الله الجليل " محاسن التأويل " أودعه ما صفا من التحقيقات وأوشحه بمباحث هي المهمات وأوضح فيه خزائن الأسرار وأنقد فيه نتائج الافكار وأسوق اليه فوائد التقطتها من تفاسير السلف وفرائد عثرت عليها في غضون الدفاتر وزوائد استنبطتها بفكرى القاصر مما قادنى الدليل اليه ، وقوى اعتمادي عليه وسيحمد السابح في لججه والسانح في حججه ما أودعته من نفاثسه الغريبه البرهان وأوردته من أحاديثه الصحاح والحسان وبدائعه الباهره للأذهان فانها لباب اللباب ومهتدى أولى الألباب ولم أطل ذيل الأبحاث بغرائب التدقيقات بل اخترت حسن الايجاز في حل المشكلات اللهم الا اذا قابلت فرسان مضمار الحق جولة الباطلات ، فهناك تصوب أسنة الجاهلين نحو نحور الشبهات " (١)

وقد جعل رحمه الله تعالى الجزء الأول مقدمة لتفسيره قال عنها : وهي قواعد فائده وفوائد شائقة جعلتها مفتاحا لمغلق بابيه . ومسلكا لتسهيل خوض عبابه تعين المفسر على حقائقه وتطلعه على بعض أسراره ودقائقه " (١)

(١) محاسن التأويل : ج ١ ص ٥ - ٦

ومفسرنا رحمه الله تعالى كثيرا ما ينقل نقولا طويله عن علماء السلف فينقل عن أحمد ابن حنبل وابن تيميه وابن القيم وابن كثير وابن جرير الطبري والشاطبي والعزبن عبد السلام وابن حزم والرازي والزمخشري والراغب والقرطبي والبقاعي وغيرهم رحمهم الله أجمعين .

وكثيرا ما يستشهد رحمه الله - وهو من علماء الحديث - بالاحاديث النبويه من الصحاح والسنن والمسانيد .

وفى اللغة يرجع الى كتب اللغة كالقاموس والصحاح وغيرهما . وقد عاب بعض النقاد عليه رحمه الله تعالى كثرة نقله من الكتب وزعموا ان الرجل لم يكن له رأى شخصى وأنه انما كان يعتمد فى تأليفه على نقل آراء غيره فرد عليهم الاستاذ سامى الكيالى فقال عنهم " أخطأوا من ناحيتين :

١ - لأن النقل بحد ذاته رأى وقد يما قيل " اختيار المرء قطعه من عقله " فما كانت الآثار والآراء والأقوال التى ينقلها الا آراء ، ولو ارتأى أن يكتبها بنفسه ، لكتب مثلها أو خيرا منها ، ولكنه آثر أن يكتبها بقلم غيره للسبب الذى أشرت اليه .

٢ - لأن بعض تأليفه التى وضعها فى أخريات أيامه لم يكن فيها النقل الا عرضا ولتأييد فكرته بقول غيره وقد كان ذلك فى الوقت الذى لم يعد فيه يبالي بالخصوم وأصبح اسمه علما ضخما فى العالم الاسلامى " (١) .

أما السبب الذى أشار اليه الاستاذ سامى الكيالى فهو حسب اعتقاده أن الشيخ القاسمى لمارأى البدع قد تفشت وأن الخرافات قد استولت على الازهان أدرك أن أقواله سوف لا يكون لها من القيمه مالأقوال الأئمه السابقين فكان يرتب الافكار التى تجب معالجتها وينقل عن الغزالي وابن تيميه وابن حزم وابن الجوزى وابن القيم والشافعى وأبى حنيفه وأحمد ومالك

(١) الادب العربى المعاصر فى سوريه : سامى الكيالى ص ١٥٥ - ١٥٦

وأمثالهم الاقوال الصحيحة التي تؤيد فكرته ولهذا ظهر قسم من مؤلفاته وليس فيه الا المقدمه وبعض الأقوال القليله النادره ولم يكن ذلك عن عجز عن الكتابه وانما كان مقصودا لنشر الفكرة الاصلاحية التي يسعى اليها وليحمل الخصوم على قبولها والقناعة بها من أقوال أئمة لا يستطيعون أن يردوا عليها " (١) .

والحقيق أن الشيخ القاسمي رحمه الله تعالى كثيرا ما يعتمد على النقل نضرب لذلك مثلا في بيان المحكم والمتشابه في الآيه السابعه من آل عمران اكتفى رحمه الله تعالى بنقل نص لابن تيميه رحمه الله تعالى في ٣٢ صفحه ثم ينص لابن المرتضى اليماني صاحب كتاب ايثار الحق على الخلق في ١٢ صفحه ولم يكن له الا الربط بين النصين ولا يعد هذا عيبا اذ لم يكن هدفه رحمه الله تعالى التأليف بل كان هدفه الاصلاح ونشر الحق بين الناس وازالة البدع والمنكرات وتحت ظلال هذه الاهداف فإن الأمر سيان بين أن يأتي بكلام من عنده ، أو بكلام غيره مادام يعتقد حقا ويعتقده صوابا بل الثاني أولى لما ذكره الأستاذ سامي .

نماذج من تفسيره :

الأسماء والصفات :

أفرد القاسمي رحمه الله تعالى في المجلد الأول بيانا في أن الصواب في آيات الصفات هو مذهب السلف أورد فيه نقولا لبعض العلماء في اثبات ذلك فنقل الباب الثاني في اقامه البرهان على أن الحق مذهب السلف من كتاب الجامع العوام عن علم الكلام للامام الغزالي ثم نقل ما وصفه بالقول الشامل في هذا الباب ما قاله الامام أحمد رضي الله عنه ثم نقل عن الأوزاعي من كتابي الأسماء والصفات للبيهقي والسنه لأبي بكر الخلال ثم نقل شرح ابن القيم لحديث " فرح الله بتوبة عبده " من كتابه طريق الهجرتين .

(١) الادب العربي المعاصر في سوريه : سامي الكيالي ص ١٥٥ - ١٥٦

ولئن كان رحمه الله ينقل هذه النصوص نقل المستشهد المؤيد فانسى لم أعتبرها رأيا له مع أن من يفعل فعله فينقل نقل المستشهد المؤيد انما عبر عن رأيه بلفظ غيره فهي ان لم تكن رأيا له فهي حتما دليل عليه . وانما لم أعتبرها رأيا له دفعا للحجه وقطعا للمنازع ، وسأعتمد في هذا وفي سواه على ألفاظه رحمه الله تعالى .

فمن ذلك تفسيره لقوله تعالى " ليس كمثله شئ " وهو السميع البصير" (١) قال " كما أن صدر الآيه فيه رد على المشبهه فكذا تتمتها وهو قوله تعالى " وهو السميع البصير " رد على المعطله ولذا كان أعدل المذاهب مذ هب السلف فانهم اثبتوا النصوص بالتنزيه من غير تعطيل ولا تشبيه وذلك أن المعطلين لم يفهموا من أسماء الله تعالى وصفاته الا ما هو اللائق بالمخلوق ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات فجمعوا بين التمثيل والتعطيل فمثلوا أولا وعطلوا آخره فهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته تعالى بالمفهوم من أسماء حلقه وصفاتهم فعطلوا ما يستحقه سبحانه وتعالى من الأسماء والصفات اللائقه به عز وجل بخلاف سلف الأمه واجلاء الأئمه فانهم يصفون الله سبحانه وتعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به نبيه صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تشبيه قال تعالى " ليس كمثله شئ " وهو السميع البصير " فرد على المشبهه بنفي المثلثه ورد على المعطله بقوليه " وهو السميع البصير " (٢)

اثبات الرؤيه :

قال رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى " وجوه يومئذ ناضره الى ربها ناظره " (٣) " أى مشاهده اياه ترى جمال ذاته العليه ونور وجهه الكريم كما وردت بذلك الأخبار والآثار عن رسول الله صلوات الله عليه وسلامه " . (٤)

(١) سورى الشورى : من الآيه ١١
(٢) محاسن التأويل : ج ١٤ ص ٥٢٢٧ (٣) سورة القيامة : الايتين ٢٢-٢٣
(٤) محاسن التأويل : ج ١٧ ص ٥٩٩٦

وكذا فى قوله تعالى " ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني
أنظر اليك قال لن تراني " الآيه (١) قال رحمه الله تعالى " نبه تعالى
على أن الجبل مع شدته وصلابته اذا لم يستقر فالآدمي مع ضعف بنيته
أولى بأن لا يستقر ، وفيه تسكين لفؤاد موسى بأن المانع من الانكشاف
الاشفاق عليه وأما أن المانع محالية الرؤيه فليس فى القرآن اشارة اليه" (٢)
ثم رد على المعتزله فقال " وأما زعم المعتزله أن الرؤيه مجاز عن العلم
الضرورى فمعنى قوله " أرني " أى اجعلنى عالما بك علما ضروريا - خلاف
الظاهر فان النظر الموصول بـ " الى " نص فى الرؤيه البصرية فلا يترك
بالاحتمال مع أن طلب العلم الضرورى لمن يخاطبه ويناجيه غير معقول وكذا
زعمهم أن موسى عليه السلام كان سألها لقومه حيث قالوا " لن تؤمن لك
حتى نرى الله جهره " (٣) فسأل ليعلموا امتناعها - فانه خلاف الظاهر
وتكلف يذهب رونق النظم فترده ألقاظ الآيه ، وقد ثبت وقوع رؤيته تعالى
فى الآخره بالكتاب والسنة أما الكتاب فلقوله تعالى " وجوه يومئذ ناضره الي
ربها ناظره " وأما السنة فلا تحصى أحاديثها ولكن اذا أصيب أحد بـ
المكابرة فى الحق الصراح عسرا قناعه مهما قوى الدليل وعظمت الحجة " (٤)
وأكد هذه العقيدة عند تفسيره لقوله تعالى " للذين أحسنوا الحسنى
وزياده " (٥) فسر الزيادة بالفضل كما قال تعالى " ويزيدهم من فضله " وأعظم
أنواعه النظر الى وجهه تعالى الكريم ، ولذا تواتر تفسيرها بالرؤيه عن غير
واحد من الصحابه والتابعين ورفعها ابن جرير الى النبى صلوات الله
عليه عن أبى موسى وكعب بن عجره وأبى وكذا ابن أبى حاتم وروى الامام
أحمد عن صهيب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) سورة الاعراف : من الآيه ١٤٣

(٢) محاسن التأويل : ج ٧ ص ٢٨٥١

(٣) سورة البقره : من الآيه ٥٥

(٤) محاسن التأويل : ج ٧ ص ٢٨٥٢

(٥) سورة يونس : من الآيه ٢٦

تلا هذه الآيه " للذين أحسنوا . . الخ وقال اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد : يا أهل الجنة ! ان لكم عند الله موعدا ، يريد أن ينجزكموه فيقولون : ما هو ؟ ألم يثقل موازيننا ، ألم يبييض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار ؟ قال فيكشف لهم الحجاب فينظرون اليه . فوالله ما أعطاهم الله شيئا أحب اليهم من النظر اليه ، ولا أقرّ لأعينهم . وهكذا رواه مسلم " (١)

الاستواء :

ما رأيت الشيخ القاسمى رحمه الله تعالى أفاض الحديث عن صفه من صفات الله تعالى كما أفاضه فى صفة الاستواء فقد كتب عن قوله تعالى " ثم استوى على العرش " من ص ٢٧٠٢ الى ص ٢٧٥٠ وليس له رحمه الله تعالى فيما كتب الا الربط بين نصوص علماء السلف فقد نقل عن البخارى والذهبي من كتابه " العلو " وعن الامام أحمد بن حنبل من كتابه الرد على الجهميه وعبد القادر الجيلاني من كتابيه " تحفة المتقين " و " الغنيه " وعن أبى اسماعيل الأنصارى من كتابه ذم الكلام وأهله وعن الكنانى من كتابه " الرد على الجهميه " وابن عرفه من كتابه " الرد على الجهميه " وعن أبى الحسن الأشعري من كتابه الابانه وعن ابن عبد البر من كتابه التمهيد وعن ابن تيميه من الرسالة المدنيه " ومن ولى الله الدهلوى من كتابه حجة الله البالغه ، وعن الألوسى من محاكمه الأحمدين ، وأكثر نقله عن ابن تيميه رحمه الله تعالى .

ثم عقب رحمه الله تعالى بعد هذه النقل بقوله " وانما أشبعنا الكلام فى هذا المقام لأنه من أصول العقائد الدينيه ومهمات المسائل التوحيديه وقد كثر فيه تعارك الآراء وتصادم الأهواء ولم يأت جمهور المتكلمين المؤولين بشىء يعلق بقلب الأذكياء بل اجتهدوا فى ايراد

(١) محاسن التأويل : ج ٩ ص ٣٣٤١

التمحلات التي تأبأها فطرة الله أشد الآباء فبقيت نفوس أنصار السنه
المحققين مائلة الى مذهب السلف الصالحين فان الأئمة منهم كان عقد هم
ما بيناه فلا تكن من الممترين ، والحمد لله رب العالمين " . (١)

كلام الله :

وفى قوله تعالى " وكلم الله موسى تكليما " (٢) قال رحمه الله تعالى
" يعنى خاطبه مخاطبة من غير واسطه لأن تأكيد " كلم " بالمصدر يدل على
تحقيق الكلام وأن موسى عليه السلام سمع كلام الله بلا شك لأن أفعال
المجاز لا تؤكد بالمصادر فلا يقال أراد الحائط يسقط ارادة ، وهذا رد على
من يقول ان الله خلق كلاما في محل فسمع موسى ذلك الكلام . قال الفراء
العرب تسمى كل ما يوصل الى الانسان كلاما بأى طريق وصل لكن لا تحققه
بالمصدر واذا حقق بالمصدر لم يكن الا حقيقة الكلام فدل قوله تعالى
" تكليما " على أن موسى قد سمع كلام الله حقيقة من غير واسطه قال بعضهم
كما أن الله تعالى خص موسى عليه السلام بالتكليم وشرفه به ولم يكن ذلك
قادحا في نبوة غيره من الأنبياء فكذلك انزال التوراة عليه جملة واحدة لم
يكن قادحا في نبوة من أنزل عليه كتابه من الانبياء كذا في اللباب (٣)
ثم قال رحمه الله تعالى " تنبيه : يحسن فى هذا المقام ايراد عقيده
السلف الكرام فى مسألة الكلام فانها من أعظم مسائل الدين ، وقد تحيرت
فيها آراء أهل الأهواء من المتقدمين والمتأخرين ، واضطربت فيها
الأقوال وكثرت بسببها الأهوال وأثارت فتنا وجلبت محنا وكم سجت اماما
وبكت أوقواما وتشعبت فيها المذاهب واختلفت فيها المشارب ولم يثبت الا قول
أهل السنة والجماعة المقتفين لأثر الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته
الكرام رضى الله عنهم فنقول " . (٤)

(١) محاسن التأويل : ج ٧ ص ٢٧٥٠ . (٢) سورة النساء : من الآيه ١٦٤

(٣) محاسن التأويل : ج ٥ ص ١٧٢٣ .

(٤) محاسن التأويل : ج ٥ ص ١٧٢٣ - ١٧٢٤

ثم نقل رحمه الله تعالى نصوص السلف في كلام الله واثباته على الوجه اللائق به جل وعلا وأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق فنقل نصوصا مطوله لابن تيميه تقع في ٢٣ صفحه ونقل بعد ذلك نصوصا لعلماء آخرين على مذهب أهل السنه والجماعه .

سلامة القرآن من التحريف :

قال رحمه الله تعالى في قوله تعالى " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " (١) " أي من كل من بغى له كيذا فلا يزال نور ذكره يسرى وبحر هداه يجرى وظلال حقيقته في علومه تمتد على الآفاق ودعائم أصوله الثابته تطاول السبع الطباق رغما عن كيد الكائدين وافساد المفسدين " يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون " وفي ايراد الجملة الثانية اسميه دلالة على دوام الحفظ" (٢) وقال في تفسير قوله تعالى " وانه لكتاب عزيز " (٣) قال " أي منيع محمي عن التغيير والتبديل وعن محاكاته بنظير " (٤)

الامامه والعصمه :

رد رحمه الله تعالى ما يستدل به المعتزله والشيعة في قوله تعالى " واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتهمن قال انى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتى قال لاينال عهدى الظالمين " (٥) فقال " وقد استدلت المعتزله بهذه الآيه على أن الظالم ليس بأهل للامامه والكشاف أوسع المقال فى ذلك ، هنا وأبدع في ايراد الشواهد ، كما أن الشيعة استدلت بها على

(١) سورة الحجر : الآيه ٩

(٢) محاسن التأويل : ج ١٠ ص ٣٧٤٨ - ٣٧٤٩

(٣) سورة فصلت : من الآيه ٤١

(٤) محاسن التأويل : ج ١٤ ص ٥٢١١

(٥) سورة البقره : الآيه ١٢٤

صحة قولهم في وجوب العصمة في الأئمة ظاهرا وباطنا على ما نقله السرازي عنهم وحاورهم - أقول - ان استدلال الفرقتين على مدعاهما وقوف مع عموم اللفظ الا أن الآيه الكريمة بمعزل عن ارادة خلافة السلطنة والملك . المراد بالعهد تلك الامامه المسئول عنها ، وهل كانت الا الامامه في الدين وهي النبوه التي حرمها الظالمون من ذريته ؟ كما قال تعالى " وباركنا عليه وعلى اسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين " (١) ولو دلت الآيه على ما ادعوا لخالفه الواقع . . فقد نال الامامة الدنيويه كثير من الظالمين فظهر أن المراد من العهد انما هو الامامة في الدين خاصه والاحتجاج بها على عدم صلاحية الظالم للولاية تمحل لأنه اعتبار لعموم اللفظ من غير نظر الى السبب ولا الى السياق أو ذهاب الى أن الخبر في معنى الأمر بعدم تولية الظالم كما قاله بعضهم وهو أشد تمحلا ومعلوم أن الامام لا بد أن يكون من أهل العدل ، والعمل بالشرع ، كما ورد ومتى زاغ عن ذلك كان ظالما " (٢) .

لا رجعه :

في قوله تعالى " ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين " (٣) قال رحمه الله تعالى " تمنوا الرجوع الى الدنيا حين لا رجوع واعددين أن لا يكذبوا بما جاءهم وأن يكونوا من المؤمنين " (٤) .

(١) سورة الصافات : من الآيه ١١٣

(٢) محاسن التأويل : ج ٢ ص ٢٤٦

(٣) سورة الانعام : الآيه ٢٧

(٤) محاسن التأويل : ج ٦ ص ٢٢٧٩

الميزان :

فى تفسير قوله تعالى * والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون * (١) قال * قال السيوطي فى الاكليل فى هذه الآيه ذكر الميزان ويجب الايمان به انتهى * ثم قال * الذى يوضع فى الميزان يوم القيامة قيل الأعمال وان كانت أعراضا الا أن الله تعالى يقلبها يوم القيامة أجساما . . ثم ذكر أدلة هذا القول . . وقيل صحائف الأعمال هي التى توزن . . . ثم استدل له . . . وقيل يوزن صاحب العمل . . . ثم استدل له ، وقال بعد هذا قال الحافظ ابن كثير وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحا فثارة توزن الأعمال وثارة يوزن محلها وثارة يوزن فاعلها والله أعلم . . ثم ذكر الحكمه فى وزن الأعمال فقال ان قلت : أليس الله عز وجل يعلم مقادير أعمال العباد ؟ فما الحكمه فى وزنها ؟ قلت فيه حكم

منها اظهار العدل وان الله عز وجل لا يظلم عباده .

ومنها : امتحان الخلق بالايمان بذلك فى الدنيا واقامة الحججه

عليهم فى العقبي .

ومنها : تعريف العباد مالهم من خير وشر وحسنه وسيئه .

ومنها : اظهار علامه السعادة والشقاوه .

ونظيره أنه تعالى أثبت أعمال العباد فى اللوح المحفوظ ثم فى

صحائف الحفظة الموكلين بينى آدم من غير جواز النسيان عليه سبحانه

وتعالى كذا فى اللباب * (٢)

الصراط :

وفى قوله تعالى عن الكافرين * ولو ترى اذ وقفوا على النار* (٣) الآيه

(١) سورة الاعراف : الآيه ٨

(٢) محاسن التأويل : ج ٧ ص ٢٦١٣ الى ص ٢٦١٨ باختصار .

(٣) سورة الانعام : من الآيه ٢٧

قال " على اما على حقيقتها أى أقيموا واقفين فوق النار على الصراط وهو جسر فوق جهنم أو هي بمعنى في أى أقيموا في جوف النار وغاصوا فيها وهي محيطه بهم وصحح معنى الاستعلاء حينئذ كون النار دركات وطبقات بعضها فوق بعض" (١).

القضاء والقدر :

فصل رحمه الله تعالى القول فى القضاء والقدر وبين عقيدة الفرقه الناجيه فقال فى تفسيره لقوله تعالى " سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شىء" (٢) الايتين . قال رحمه الله تعالى " هذه الآيه تكرر نظيرها فى التنزيل الكريم فى عدة سور وهي من الآيات الجديده بالتدبير لتمحيص الحق فى المراد منها ، فقد زعم المعتزلة أن فيها دلالة واضحه لمذهبهم من أن الله لا يشاء المعاصي والكفر كما تبجح بذلك منهم الطبرسي الشيعي فى تفسيره وقال ان فيها تكذيبا ظاهرا لمن أضاف مشيئة ذلك الى الله سبحانه ، وكذا الزمخشري فى تفسيره .

ومعلوم ان عقيدة الفرقة الناجية الايمان بأن ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأنه ما فى السموات والأرض من حركة ولا سكون الا بمشيئة الله سبحانه ، لا يكون فى ملكه الا ما يريد ، وهو خالق لأفعال العباد . وقد خالف فى ذلك عامة القدرية - الذين سماهم النبي صلى الله عليه وسلم مجوس هذه الأمه - فقالوا لا ارادة الا بمعنى المشيئة وهو لم يرد الا ما أمر به ، ولم يخلق شيئا من أفعال العباد فعندهم أكثر ما يقع من أفعال العباد على خلاف ارادته تعالى .

ولما كان قولهم هذا فى غاية الشناعه تبرأ منهم الصحابة ، وأصل بدعتهم - كما قال ابن تيميه - كانت من عجز عقولهم عن الايمان بقدر الله والايان بأمره ونهيه وسننين تحقيق ذلك بعد أن نورد شبهتهم فى هذه

(١) محاسن التأويل : ج ٦ ص ٢٢٧٨

(٢) سورة الانعام : من الآيتين ١٤٨ - ١٤٩

الآية وندفعها - بعون الله تعالى - بعدة وجوه فنقول : -
(قالوا) : ان الله تعالى حكى عن المشركين أنهم قالوا أشركنا
بارادة الله تعالى ولو أراد عدم اشراكنا لما أشركنا ولما صدر عنا تحريم
المحلات ، فقد أسندوا كفرهم وعصيانهم الى ارادته تعالى كما تزعمون
أنتم . ثم انه تعالى رد عليهم مقالتهم وبين بطلانها وذمهم عليها وأعد لهم
عليها وعيدا شديدا فلو كان يجوز اضافة المشيئة الى الله تعالى فـ
ذلك . على ما تضيفون أنتم ، لم يكن يرد ذلك عليهم ويتوعدهم !

(قلنا) ان المشيئة فى الآيه تتخرج على وجوه " ثم ذكر الشيخ
القاسمي رحمه الله تعالى سبعة وجوه فى الرد على شبهتهم نكتفي بإيراد
واحد من هذه الوجوه عن الباقي قال رحمه الله :- " ان المشيئة فى الآيه
بمعنى الأمر والدعاء الى ذلك . أى يقولون ان الله أمرهم بذلك ودعاهم
اليه كما أخبر عنهم فى سورة الاعراف بقوله " واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا
عليها آباءنا والله أمرنا بها " فرد تعالى عليهم بقوله : " قل ان الله
لا يأمر بالفحشاء " .

ثم ذكر رحمه الله تعالى بقية الوجوه فى الرد على شبهتهم ونقل بعد
هذا نصا لابن القيم الدمشقي من كتابه طريق الهجرتين ثم بحثا ضافيا
لابن تيميه وأعقب هذا كله بقوله :-

" اذن معنا قضيتان قطعيتا الثبوت .

(احداها) كون الانسان يعمل بقدرة واراده يبعثها علمه على الفعل
أو الترك والكف ، وهى بديهيه .

و (الثانيه) هى أن الله هو الخالق الذى بيده ملكوت كل شىء وهى
نظريه ويتولد من هاتين القضيتين القطعيتين مسألتان نظريتان : -

الأولى : ما الفرق بين علم الله تعالى وارادته وقدرته وبين علم

الانسان وارادته وقدرته ؟ والجواب من وجوه .

... ثم ذكر رحمه الله تعالى ثلاثة وجوه أجملها في آخرها فقال ...
وبالجمله : ان المشاركة بين صفات الله تعالى وصفات عباده انما هي في
الأسم لا في الجنس كما زعم بعضهم فيبطل زعم من قال : ان اثبات كـوـن
الأفعال التي تصدر من الانسان هي بقدرته وارادته - يقتضى أن يكون
شريكا لله تعالى سبحان ربك رب العزه عما يصفون .

المسألة الثانية : وهي عضلة العقد ومحك المنتقد - أن القضاء
عبارة عن تعلق علم الله تعالى أو ارادته في الأزل بأن الشيء يكون علي
الوجه المخصوص من الوجوه الممكنه والقدر وقوع الأشياء فيما لا يزال على وفق
ما سبق في الأزل ومن الأشياء التي يتعلق بها القضاء والقدر أفعال
العباد الاختيارية ، فاذا كان قد سبق القضاء المبرم - بأن زيدا يعيش
كافرا ويموت كافرا - فما معنى مطالبته بالايان وهو ليس في طاقته ؟
ولا يمكن في الواقع ونفس الأمر أن يصدر منه لأنه في الحقيقة مجبور على
الكفر في صورة مختار له ؟ كما قال بعضهم .

والجواب عن هذا

ان تعلق العلم والارادة بأن فلانا يفعل كذا لاينافي أن يفعله باختيار
الا اذا تعلق العلم بأن يفعله مضطرا كحركة المرتعش مثلا ، ولكن أفعال
العباد الاختيارية قد سبق في القضاء بأنها تقع اختيارية . أي بـارادة
فاعليها لا رغما عنهم وبهذا صح التكليف ولم يكن التشريع عبثا ولا لغوا .
وتم وجه آخر في الجواب ، وهو : لوكان سبق العلم أو الارادة بأن
فاعلا يفعل كذا يستلزم أن يكون ذلك الفاعل مجبورا على فعله لكان الواجب ،
تعالى وتقدس ، مجبورا على أفعاله كلها ، لان العلم الازلي قد تعلق
بذلك ، وكل ما تعلق به العلم الصحيح لايد من وقوعه .

فتبين بهذا أن الجبريه ومن تلا تلوههم قد غفلوا عن معنى الاختيار
واشتبهت عليهم الانظار فكابروا الحس والوجدان ودايروا الدليل والبرهان

وعطلوا الشرائع والأديان وتوهموا أنهم يعظمون الله ولكنهم ما قدروا الله حق قدره ولا فقهوا سر نهييه وأمره ، حيث جرؤوا الجهال على التنصل من تبعة الذنوب والأوزار ، وادعوا البراءة لأنفسهم والاحالة باللوم على القضاء والقدر ، وذلك تنزيه لانفسهم من دون الله ولا حول ولا قوة الا بالله بل ذلك اغراء للانسان بالانغماس فى الفسوق والعصيان ، فياعجبا لهم كيف جعلوا أعظم الزواجر من الاغراء وهو الاعتقاد باحاطة علم الله بالاشياء أليس من شأن من لم يفسد الجبر فطرته ويظلم الجهل بصيرته أن يكون أعظم مهذب لنفسه ومؤدب لعقله وحسه اعتقاده بأن الله عليم بما يسر ويعلم ويظهر ويبطن وأنه ناظر اليه ومطلع عليه ؟ بلى ان الاحسان هو أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وأما الذين ضلوا السبيل واتبعوا فاسد التأويل فيقولون كما قال من قبلهم وقص الله علينا ذلك بقوله عز وجل - سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا . . الآيه فانظر كيف رماهم العليم الحكيم بالجهل وجعل احتجاجهم بالقدر من أسباب وقوع البأس والبلاء بهم . وفى هذا القدر كفايه لمن لم ينطمس نور الفطرة من قلبه والله عليم حكيم " . (١)

أهل الكفار :

فى تفسير قوله تعالى " بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون " (٢) قال رحمه الله تعالى " ذهب أهل السنة والجماعة الى أن الخلود فى النار انما هو للكفار والمشركون لما ثبت فى السنه تواترا من خروج عصاة الموحدين من النار فيتعين تفسير السيئة والخطيئة فى هذه الآيه بالكفر والشرك ويؤيد ذلك كونها نازلة فى اليهود " . (٣)

(١) محاسن التأويل : ج ٦ من ص ٢٥٤٢ الى ص ٢٥٦٣ باختصار .

(٢) سورة البقرة : الآيه ٨١

(٣) محاسن التأويل : ج ٢ ص ١٧٧

وبهذا النحو فسر قوله تعالى عن آكلي الربا " ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون " (١) قال " ومن عاد أى الى تحليل الربا بعد النص فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون " لكفرهم بالنص ورد هم اياه بقياسهم الفاسد بعد ظهور فسادهم ومن أحل ما حرم الله عز وجل فهو كافر فلذا استحق الخلود وبهذا تبين أنه لا تعلق للمعتزله بهذه الآيه فى تخليد الفساق حيث بنوا على أن المتوعد عليه بالخلود العود الى فعل الربا خاصة ولا يخفي أنه لا يساعدهم على ذلك الظاهر الذى استدلووا به . فان الذى وقع العود اليه محمول على ما تقدم كأنه قال : ومن عاد الى ما سلف ذكره ، وهو فعل الربا واعتقاد جوازها واحتجاج عليه بقياسه على البيع . ولا شك أن من تعاطى فعامله الربا مستحلاً لها مكابراً فى تحريمها مسنداً احلالها الى معارضة آيات الله البينات . بما يتوهمه من الخيالات - فقد كفر ثم ازداد كفراً واذ ذاك يكون الموعود بالخلود فى الآيه من يقال أنه كافر مكذب غير مؤمن وهذا لا خلاف فيه فلا دليل اذا للمعتزله على اعتزالهم فى هذه الآيه والله الموفق أشار لذلك فى الانتصاف . قال فى فتح البيان والمصير الى هذا التأويل واجب ، للاحاديث المتواتره القاضيه بخروج الموحدين من النار " (٢)

الولاء والبراء :

فسر رحمه الله تعالى قوله سبحانه " لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من جاد الله ورسوله لو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه " (٣) الآيه بقوله :- " أى لاتجد قوما جامعين بين الايمان بالله واليوم الآخر وبين مواد أعداء الله ورسوله . والمراد بنفي الوجدان نفي المواده على معنى أنه لا ينبغي

(١) سورة البقرة : من الآيه ٢٧٥

(٢) محاسن التأويل : ج ٣ ص ٧٠٩

(٣) سورة المجادله : من الآيه ٢٢

أن يتحقق ذلك وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة في النهي عنه والزجر عن ملابسته والتوصية بالتصلب في مجانية أعداء الله ومباعدتهم والاحتراس من مخالطتهم ومعاشرتهم وزاد ذلك تأكيداً وتشديداً بقوله " ولو كانوا آباءهم " أى آباء الموادين والضمير في كانوا لمن حاد الله ورسوله والجمع باعتبار معنى (من) كما أن الافراد فيما قبله باعتبار لفظها". (١)

أهل البيت :

فى قوله تعالى " قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة فى القربى " (٢) قال رحمه الله تعالى " أى أن تود ونى فى القرابة التى بينى وبينكم ، وتصلوا الرحم التى بيننا ولا يكن غيركم يامعشر قريش أولى بحفظى ونصرتى ومودتى منكم والاستثناء منقطع ومعناه نفي الأجر أصلاً لأن ثمرة مودتهم عائده اليهم لكونها سبب نجاتهم فلا تصلح أن تكون أجراً له . وقيل المعنى أن تودوا قرابتى والذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم وقيل (القربى) التقرب الى الله تعالى أى الا أن تتوددوا الى الله فيما يقربكم اليه ، والمعنى الاول هو الذى عول عليه الاثمة ولم يرتض ابن عباس رضى الله عنه غيره ففي البخارى عنه رضى الله عنه أنه سئل عن قوله تعالى (الا المودة فى القربى) فقال سعيد بن جبير : القربى آل محمد فقال بن عباس عجلت ان ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش الا كان له فيهم قرابه فقال : الا أن تصلوا ما بينى وبينكم من القرابة " (٣) ثم لخص رحمه الله تعالى ما ورد فى تفسير بن كثير ، وأورد كلام ابن تيميه فى ذلك من كتابه منهاج السنه وفيه رد على تأويلات الشيعة فى هذه الآيه بما يبطلها ، ولولا أنى التزمت أن لا أنقل الا نصوص المؤلف وأقواله لنقلتها لابطال مزاعم الشيعة فى ذلك فليرجع اليها فى موضعها من يطلب الحق .

(١) محاسن التأويل : ج ٤٦ ص ٥٧٢٩

(٢) سورة الشورى : من الآيه ٢٣

(٣) محاسن التأويل : ج ١٤ ص ٥٢٣٧-٥٢٣٨ وانظر صحيح البخارى كتاب التفسير ج ٦ ص ٣٧

الشفاعة :

رد رحمه الله تعالى على من ينكر الشفاعة فقال في تفسير قوله تعالى
" واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعه ولا يؤخذ منها
عدل ولا هم ينصرون " (١) قال " تمسكت المعتزله بهذه الآية على أن الشفاعة
لا تقبل للعصاة لأنه نفى أن تقضى نفس عن نفس حقا أخلت به من فعل
أو ترك ، ثم نفى أن يقبل منها شفاعه شفيح فعلم أنها لا تقبل للعصاه .
والجواب : أنها خاصة بالكفار . ويؤيده أن الخطاب معهم كما قال
" ما تنفعهم شفاعة الشافعين " (٢) ، وكما قال عن أهل النار " فما لنا من
شافعين ولا صديق حميم " (٣) فمعنى الآية أنه تعالى لا يقبل فيمن كفر به
فدية ولا شفاعه ولا ينقذ أحدا من عذابه منقذ ولا يخلص منه أحد " (٤)
تلك أمثلة من تفسير محاسن التأويل لجمال الدين القاسمي رحمه الله
تعالى نهج فيها نهج أهل السنه والجماعه لا يعطل صفه ولا يشبه ولا يمثل ،
ولا يرد حديثا صحيحا ولا يطنب في بيان مبهم ولا يعنى بايراد الاسرائيليات
وهو في كل هذا لا يكاد يخطو خطوه في تفسيره الا في طريق اتضحت جادته
ورأى فيها آثار علماء السلف الصالح فبهم يفتدى ولا قوالهم يستدل .
ولا يكاد القارىء يدلج في تفسيره حتى يتضح له أن المؤلف رحمه الله
تعالى يكتفى بالنقل عن علماء السلف ، ويورد حججهم وأدلتهم ، ورد ودهم
على شبه الخصوم بما يؤكد أن المؤلف رحمه الله تعالى كان يجعل هممه
كل هممه الاصلاح ليس الا وانما يورد هذه النصوص - كما أسلفنا - ليلجم بها
الخصوم فانهم ان استطاعوا جدا لا رد أقواله ، صعب عليهم ابطال أقوال
علماء بهم يقتدون ولعلمهم يعترفون فكانت حجتهم لهم غالبه .

(١) سورة البقرة : من الآية ٤٨

(٢) سورة المدثر : من الآية ٤٨

(٣) سورة الشعراء : الآيتين ١٠٠ - ١٠١

(٤) محاسن التأويل : ج ٢ ص ١٢١

وللتزامي بأن لا أنقل الاعبارته وأن لا استدل الا بنصوصه فاني لم
أكد أجد في بعض القضايا له من لفظ الا الربط بين نصوص علماء
السلف ولذا كانت بعض العقائد هنا غفلا من ايراد تفسيره لها
رحمه الله تعالى ، ونفع بتفسيره وسائر مؤلفاته .

رأى في هذا المنهج :

لا شك أن منهج أهل السنة والجماعة في التفسير هو أسلم المناهج
كسلامة منهجهم في العقيدة وهل العقيدة الصحيحة إلا الفهم الصحيح
للقرآن الكريم وللسنة النبوية .

وان كانت من فروق بين مفسري أهل السنة والجماعة في القديم وفي العصر
الحديث فثم فروق بعضها يحسب حسنة للسابقين وبعضها فضيلة للمتأخرين .
أول هذه الفروق حسب ملاحظتي القاصره أن المفسرين السابقين
أو أكثرهم يعتنى بتفصيل عقيدة أهل السنة والجماعة فيما يمر في تفسيره من
آيات قرآنية ويرد على شبه الخصوم وعلى الملل والنحل الباطلة والتفسيرات
المنحرفة حتى اذا قضى عليها وطمس باطلها صب في أذنك القول الصحيح
والتفسير السليم فلا يبقى في ذهنك إلا مذهب السلف الحق ولم تقم لغيره
قائمة ولا تعكر صفوه شبهه .

أما المفسرون في العصر الحديث فان أكثرهم وفي أكثر المسائل الخلافية
لا يكاد يعرض لبيان تفسير باطل يرد عليه ، أو نحله منحرفه ييطلها ويكشف
زيغها ، بل يتجه اتجاهها مباشرة الى الفاظ الآيه وماتدل عليه من غير تعرض
للشبهات والتفسيرات الزائفة ومن غير تعرض أحيانا الى جلاء الحقيقه في
معركة احتدمت في هذه الآيه أو تلك فكأنه وقر في ذهنه أنه إنما يؤلف
لطائفة لا تجادل في معنى ولا تطلب دليلا لمنحى . وهذا أمر أحسب
أن تلافيه واجب وأن الحاجه ماسه الى تفسير يعنى فيه صاحبه الى بيان
عقائد أهل السنة وشرحها وبيان ما يتعلق بها وما يثار حولها من شبهات
وما يستدل به منها بعض النحل وبيان الحق الواضح والدواء الشافي بما
يجلو كل شبهه ويثبت كل حقيقه .

وان كان هذا الفارق يحسب لصالح المفسرين السابقين فان الفارق الثاني
يعد من حسنات المعاصرين من أهل السنة والجماعة ألا وهو نبذ الاسرائيليات
فلا تكاد تجد بينهم والحمد لله من يعتنى بها أو يوردها إلا ماندر .

وفي مقابل ذلك نجد بعض تفاسير علماء السلف السابقين لم يطهروا تفاسيرهم منها فأوردها بعضهم رحمهم الله تعالى وأطال فيما أورد اطالة خرجت عن حد المقبول الى حد المذموم .

وثمة فارق ثالث وهو عناية كثير من المفسرين في العصر الحديث بتطبيق التفسير على المجتمع وتوجيه الأمة الى ما ينبغي أن يكونوا عليه حسب توجيهات القرآن الكريم ، والعبور من خلال آيات القرآن الكريم الى علاج مشاكل المجتمع الاسلامي السياسي والاجتماعي والاقتصادي وهو أمر لا نظلم السابقين فننكر وجوده عندهم ولكنه لم يكن كمنزلته عند المعاصرين ولم يعتنوا به عنايتهم .

وفارق رابع برز في تفاسير المعاصرين وهو الاهتمام بالتفسير العلمي التجريبي وهو وان كنا سنفرده - ان شاء الله - يحدث الا أن وروده هنا كفارق بين القديم والحديث فقد اعتنى به المعاصرون أو أكثرهم لا أريد به ما يقع من المتطرفين ولكن تلك الاشارات واللمحات الخاطفة بين ثنايا التفسير التي تشير في غالبها اشارة تدبر وتفكر لا اشارة تفسير وربط بين النص والنظريه هذه الاشارات تجدها في تفاسير المعاصرين أكثر منها عند من سبقهم .

وفارق خامس وهو الميل الى اختصار العبارة أدى الى اختصار الابحاث ثم تولد عندهم ميل الى المختصرات فاختصوا تفاسير السابقين كابن كثير والنسفي والبيضاوي وغيرهم بل مالوا الى جمع الصفوه من التفاسير والى المختارات منها ولا أدري سبب ذلك أهو ضعف في عطاء المفسر أو ضعف في همة المتلقى . وقد اكتفى بعض المفسرين من التفسير بتفسير سورة منه أو سور معدوده ، لا أعظم بهذا حق بعضهم من أجداد وأفاد ولكني قصدت بعضهم وبعضهم قليل . والله المستعان .

الباب الاول

الاتجاه العقائدى فى التفسير

الفصل الثانى

منهج الشيعة فى تفسير القرآن الكريم

تعريف الشيعة :

شيعة الرجل بالكسر اتباعه وأنصاره ، والفرقة على حده ، ويقع على الواحد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث ^(١) ومن ذلك قوله تعالى " وان من شيعة لابراهيم " ^(٢) . وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة وكل من عاون انسانا وتحزب له فهو له شيعة . ^(٣)

قال فى القاموس وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى عليا وأهل بيته حتى صار اسما لهم خاصا " ^(١) والحق أن هذا غير صحيح لأن أهل السنة والجماعة يتولون عليهما رضى الله عنه وأهل بيته ، ولا يطلق عليهم شيعة اذا فلا بد من اطلاق آخر .

واذا ما طلبنا تعريفا لهم من كتبهم وجدنا شيخهم " المفيد " يقرر ان لفظ الشيعة يطلق على " أتباع أمير المؤمنين عليّ على سبيل السـؤال والاعتقاد لامامته بعد الرسول صلوات الله عليه وآله بلا فصل ونفي الامامه عن تقدمه فى مقام الخلافة وجعله فى الاعتقاد متبوعا لهم غير تابع لأحد منهم على وجه الاقتداء " ^(٤) .

وهو نفسه يعترف بأن هذا التعريف "لايشمل الا الاماميه والجاروديه من فرقة الزيديه أما باقى فرقة الزيديه فلا يشملهم التشيع ، وكذا لم يعتبر فى التعريف الاعتقاد بامامة أئمتهم المعروفين بعد علي رضى الله عنه مع أنه هو ومشايخهم ينكرون سمة التشيع لمن لم يؤمن بالائمة وزد على هذا العقائد الأخرى كالتقية والرجعه وغيرها فقد ربط علماءهم وصف التشيع بالايمان بها وكل هذا غير داخل فى تعريف المفيد .

(١) القاموس المحيط : الفيروز آبادى مادة شاع ج ٣ ص ٤٧

(٢) سورة الصافات : الآية ٨٣

(٣) تاج العروس : محمد مرتضى الزبيدى ج ٥ ص ٤٠٥

(٤) أوائل المقالات : أبى عبد الله العكبرى الملقب بالمفيد ص ٣٩

وهناك تعاريف أخرى كثيرة وكلها تدور حول وصف الايمان بامامة علي رضي الله عنه ولا يذكر الخصائص الأخرى التي لا يشاركون فيها أحد غيرهم ولهذا فإن بعض علمائهم يتمسك بتعريف ابن حزم للشيعة حيث قال " ومن وافق الشيعة في أن عليا رضي الله عنه أفضل الناس بعد رسول الله صلي الله عليه وسلم وأحقهم بالامامة وولده من بعده فهو شيعي وان خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون فان خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعيا" (١).

ومن هذا نرى أن ابن حزم جعل من خصائصهم الايمان بامامة علي رضي الله عنه وولده من بعده ، فهو أدق من تعريف المفيد وبين أيضا أن هذا هو الأصل في التشيع ولا أثر بعد ذلك فيما عداه من العقائد الأخرى ويقصد بها التقيه والعصمه والرجعه وغيرها .

ومع أن هذا التعريف فيما نرى هو الأقرب وهو الذي اختاره بعض كتاب الشيعة المعاصرين .

وينبغي أن نفرق بين الشيعة في أطوارهم الأولى والشيعة المتأخرين فالشيعي في الطور الأول يطلق على كل من فضل عليا وقد مه علي عثمان رضي الله عنهما ولهذا قال ليث بن أبي سليم - الذي أخرج له مسلم - أدركت الشيعة الأولى وما يفضلون علي أبي بكر وعمر أحدا" (٢) وقال أبو اسحاق السبيعي " خرجت من الكوفة وليس أحد يشك في فضل أبي بكر وعمر وتقديمهما وقد مت الآن وهم يقولون ويقولون ولا والله ما أدري ما يقولون" (٣) ولما سأل سائل شريك بن عبد الله - الذي أخرج له البخاري ومسلم وغيرهما - فقال له أيهما أفضل أبو بكر أو علي فقال له : أبو بكر فقال له السائل تقول هذا وأنت شيعي ؟ فقال له نعم ومن لم يقل هذا فليس شيعيا والله لقد رقي علي هذه

(١) الفصل في الملل والاهواء والنحل : ابن حزم ج ٢ ص ١٠٧

(٢) المنتقى من منهاج الاعتدال : أبي عبد الله الذهبي ت ٣٦٠ - ٣٦١

(٣) المرجع السابق ص ٣٦٠

الأعواد فقال ألا ان خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر فكيف نرد قوله وكيف نكذبه ؟ والله ما كان كذابا " . (١)

ولهذا لا يستغرب وجود طائفة من أعلام المحدثين وغيرهم يطلق عليهم وصف التشيع وهم من أعلام السنة ذلكم أن للتشيع في زمن السلف مفهومين آخر غير مفهومه لدى المتأخرين " (٢) ولهذا فرق الذهبي في ميزانه بين التشيع في عهد السلف والتشيع عند المتأخرين فعد الأول بدعه صغرى لا يرد معها الحديث ولو ورد لذهبت جملة من الآثار النبوية ، وعدّ الثاني بدعه كبرى كالرفض والغلو فيه والحط على أبي بكر وعمر رضى الله عنهما فهذا النوع لا يحتج بهم ولا كرامه . (٣)

وكما مر بنا فان تعريف ابن حزم الذي نقلناه آنفا لا يدخل فيه الشيعة في عصر السلف فهو مختص بمن بعدهم ولذا فأنا نراه هو الأقرب للصواب والله أعلم .

بداية ظهور التشيع :

اختلف المؤرخون في بداية ظهور التشيع :-

القول الاول :

وهو رأى الشيعة أنفسهم ان بداية ظهور التشيع كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم نفسه فقال محمد الحسين آل كاشف الغطاء :- " ان أول من وضع بذرة التشيع في حقل الاسلام هو نفس صاحب الشريعة الاسلاميه يعنى أن بذرة التشيع وضعت مع بذرة الاسلام جنباً الى جنب وسواء بسواء

(١) منهاج السنه : ابن تيمية ت محمد رشاد سالم ج ١ ص ٧ - ٨

(٢) فكرة التقريب بين أهل السنة والشيعة : رسالة ماجستير مسحوبه على الاستنسل للشيخ ناصر القفارى ج ١ ص ١١٥

(٣) ميزان الاعتدال : " لابي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي

ولم يزل غارسها يتعاهد بها بالسقى والعناية حتى نمت وأزهرت في حياته
ثم أثمرت بعد وفاته" (١) ثم استدل لذلك بأدله واهيه ليس هذا مجال
نقدها وابطالها .

القول الثانى :

ان التشيع ظهر يوم السقيفه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم حيث
دعا بعض الصحابه فى هذا اليوم الى استخلاف علي رضى الله عنه . والحق
أنه لادلالة فى هذه الحادته على بداية ظهور التشيع .

القول الثالث :

أن التشيع حدث يوم مقتل عثمان رضى الله عنه (٢) . قال ابن تيميه رحمه
الله تعالى " ففي خلافة أبي بكر وعمر وعثمان لم يكن أحد يسمى من الشيعة
ولا تضاف الشيعة الى أحد . فلما قتل عثمان تفرق المسلمون فمال قوم الى
أولياء عثمان . ومال قوم الى عليّ . وقيل حينئذ شيعة علي وشيعة
عثمان . (٣)

القول الرابع :

ان موقعة صفين . والتحكيم بين علي ومعاوية رضى الله عنهما هو بداية
ظهور التشيع . وظهور الخوارج أيضا . (٤)

القول الخامس :

(٥)
ان مقتل الحسين بن علي رضى الله عنهما يعتبر بداية لظهور التشيع
هذه مجمل الاقوال فى بداية ظهور التشيع أقربها فيما نرى القول الثالث
وليس هذا موضع تحقيق ذلك .

(١) أصل الشيعة وأصولها : محمد حسين آل كاشف الغطاء ص ٤٣

(٢) انظر المذاهب الاسلامية : محمد أبوزهره ص ٥١ - ٥٤

(٣) منهاج السنه : ابن تيميه : ج ٢ ص ٦٤

(٤) نظرية الامامة لدى الشيعة الاثنى عشرية : أحمد محمود صبحى ص ٤٠

وتاريخ الامامية : عبد الله فياض ص ٣٧

(٥) نظرية الامامة : أحمد صبحى ص ٤٧

فرق الشيعة :

ولم تتفق الشيعة في المذهب والعقيدة بل اختلفوا الى فرق شتى .
غالى بعضهم وتطرف في مذهبه حتى خرج عن ربة الاسلام . وتوسط
بعضهم حتى كاد أن يكون من أهل السنة والجماعة .
وليس من شأني هنا أن أتناول جميع فرقهم ومذاهبهم ولكني أقتصر
على بيان بل بعض بيان للفرق المعاصرة في المذهب الشيعي حيث اندثرت
أكثر الفرق .

وقد ذكر مصطفى غالب (١) " أنه لم يبق من جميع فرق الشيعة
حتى الآن الا الاماميه الجعفرية الاثني عشرية ، والزيدية ، والاسماعيلية
- الآخانيه والبهرة - والنصيرية والدرزية المتفرعة عن الاسماعيلية " (٢)
وحدد مصطفى غالب مرتكز الخلاف بين فرق الشيعة بأنه " في سق
الامامه . وفي اشخاص الائمة . فالكيسانية منهم أخرجوها عن ولد فاطمه
بعد الاعتراف بامامة علي والحسن والحسين (ع) وكذلك صنع الزيدية
فانهم لم يعترفوا بامامة الائمة من بعد الامام (الرضا) لعدم تحقق شرائط
الامامه فيهم على مذهبهم ، وأما الاسماعيلية فقد وافقوا الاماميه في
إمامة خمسة منهم واختلفوا عنهم في امامة السادس وهو عند الاماميه السابع
موسى بن جعفر الصادق الى تمام اثني عشر اماما وعند الاسماعيلية اسماعيل
بن جعفر (ع) وولده مبتدئه ب محمد بن اسماعيل ويعقبه الى يوم الناس
هذا " . (٣)

وعلى هذا يكون التقسيم التقريبي لهذه الفرق على الشكل

التالي : -

(١) أحد دعاة الاسماعيلية في العصر الحديث والمروجين لافكارهم .

(٢) الحركات الباطنية في الاسلام : مصطفى غالب ص ٥٦

(٣) المرجع السابق : ص ٥٧

- الاثنى عشرية
الآغاخانية
السبعية (الاسماعيلية) .
البيهـره
- ١ - الامامية :
٢ - الدرزيه
٣ - النصيريه
٤ - الزيديه

وندرسها على هذا الترتيب .

الامامية :

نسبة إلى الإمامة . وهم يعتقدون " أن هذا هو الأصل الذي امتازت به الامامية وافتقرت عن سائر فرق المسلمين وهو فرق جوهرى أصلي " (١)

ويعتقدون أن الإمامة كالنبوه لا تكون إلا بالنص من الله تعالى على لسان رسوله أو لسان الإمام المنصوب بالنص اذا أراد أن ينص على الإمام من بعده " . (٢)

ويعتقدون " أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على خليفته والامام في البرية من بعده . فعين ابن عمه علي بن أبي طالب أميرا للمؤمنين وأميناً للوحي واماماً للخلق " (١)

ويعتقدون أن الإمامة لعلي رضي الله عنه جاءت بطريق التلويح والتصريح والاشارة والنص (٣) وليس كما يعتقد الزيديه أنها بطريق التعريض بالوصف .

ويعتقدون أن الإمامة انتقلت من بعد علي بن أبي طالب إلى الحسن ابن علي ثم إلى أخيه الحسين بن علي ثم إلى ابنه محمد علي ابن الحسين " زين العابدين " ثم إلى ابنه محمد بن علي " الباقر " ثم إلى ابنه جعفر بن محمد " الصادق " .

(١) أصل الشيعة وأصولها : محمد الحسين آل كاشف الغطاء ص ٦٥

(٢) عقائد الامامية : محمد رضا المظفر ص : ١٠٣

(٣) أصل الشيعة وأصولها : محمد الحسين آل كاشف الغطاء ص ٦٦

ثم افترقوا بعد ذلك الى فرقتين

١ - الاماميه " الاثنى عشريه "

٢ - الاماميه " السبعيه " أو الاسماعيليه

الاماميه الاثنى عشريه :

ويرون أن الامامه انتقلت بعد جعفر الصادق الى ابنه موسى " الكاظم " ثم الى ابنه علي الرضا ثم الى ابنه محمد " الجواد " ثم الى ابنه علي " الهادي " ثم الى ابنه " الحسن " العسكري " ثم الى ابنه محمد " المهدي " المنتظر في عقيدتهم " وهذا يكون الأئمه عند هم اثنا عشر فنسبوا الى هذا . (١)

وأصول العقيدته عند هم خمسة : (٢)

الاول : التوحيد

الثاني : النبوه

الثالث : الامامه

الرابع : العدل

الخامس : المعاد

وهذه الأصول الخمسه تتضمن عقائد أخرى انفردت بها الاماميه

الاثنا عشرية ومنها :-

١ - البداء :

حيث يقسمون القضاء الالهي الى ثلاثة أقسام :

الأول قضاء الله الذي لم يطلع عليه أحد من خلقه . والعلم المخزون الذي

استأثر به لنفسه (قالوا) ولا ريب في أن البداء لا يقع في هذا القسم .

(١) أصل الشيعه وأصولها : محمد الحسين آل كاشف الغطاء ص ٥٩

(٢) المرجع السابق انظر الصفحات ٦١ - ٧٥

الثانى : قضاء الله الذى أخبر نبيه وملائكته بأنه سيقع حتما .

(قالوا) ولا ريب في أن هذا القسم أيضا لا يقع فيه البداء .

الثالث : قضاء الله الذى أخبر نبيه وملائكته بوقوعه فى الخارج الا أنه

موقوف على أن لاتتعلق مشيئة الله بخلافه (قالوا) وهذا

القسم هو الذى يقع فيه البداء . (١)

ومعنى ذلك عندهم أنه تعالى قد يظهر شيئا على لسان نبيه أو وليّه

أو فى ظاهر الحال لمصلحه تقتضى ذلك الاظهار ثم يحويه فىكون غير ما قد

ظهر أولا مع سبق علمه تعالى بذلك كما فى قصة اسماعيل لما رأى أبوه

ابراهيم أنه يذبحه . . (٢) قالوا وقريب من البداء فى هذا المعنى

نسخ أحكام الشرائع السابقه بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم . بل نسخ

بعض الاحكام التى جاء بها نبينا صلى الله عليه وسلم (٢)

٢ - الامامه والعصمه :

فقالوا " ونعتقد أن الامام كالنبي يجب أن يكون معصوما من جميع

الردائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن من سنّ الطفوله الى الموت عمدا

وسهوا كما يجب أن يكون معصوما من السهو والخطأ والنسيان " (٣)

٣ - المهديّه :

ويعتقدون أن المهدي " هو شخص معين معروف ولد سنة ٢٥٦ هجرية

ولا يزال حيا هو ابن الحسن العسكري واسمه (محمد) (٤)

(١) البيان في تفسير القرآن : ابي القاسم الموسوى الخوئي

ص ٣٨٧ - ٣٨٨

(٢) عقائد الاماميه : محمد رضا المظفر ص ٧٠

(٣) المرجع السابق : ص ٤٥

(٤) المرجع السابق : ص ١٠٨

٤ - الرجعة :

وهي مرتبطة بالعقيدة السابقة في المهدي ذلك أنهم يعتقدون " أن الله تعالى يعيد قوما من الأموات الى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها فيعز فريقا ويذل فريقا آخر ويدل المحقين من المبطلين والمظلومين منهم من الظالمين وذلك عند قيام مهدي آل محمد عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام " (١)

وقالوا " ولا يرجع الا من علت درجته في الايمان أو من بلغ الغايه من الفساد " (١)

٥ - التقيه :

ويعرفونها بأنها " كتمان الحق وستر الاعتقاد فيه ومكالمة المخالفين وترك مخالفتهم بما يعقب ضررا في الدين والدنيا " (٢)
وما زالت التقيه سمة تعرف بها الامامية دون غيرها من الطوائف والأمم " (٣)

٦ - انهم لا يقبلون من السنه الا ما صح لهم من طرق أهل البيت عن جد هم يعنى مارواه الصادق عن أبيه الباقر عن أبيه زين العابدين عن الحسين السبط عن أبيه أمير المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أما ما يرويه مثل أبي هريره وسمره بن جندب ومروان بن الحكم وعمران ابن حطان وعمرو بن العاص ونظائرهم فليس له عند الاماميه من الاعتبار مقدار بعوضه . (٤)

(١) عقائد الامامية : محمد رضا المظفر ص ١٠٩
(٢) الصلح بين التصوف والتشيع : كامل مصطفى الشيبى ص ٤٠٣
(٣) عقائد الاماميه : محمد المظفر ص ١١٤
(٤) أصل الشيعة وأصولها : محمد الحسين آل كاشف الغطاء ص ٧٩

٧ - انهم لا يعملون بالقياس وينسبون الى أئمتهم القول " ان الشريعة اذا قيست محقق الدين " . (١)

٨ - وفي الصلاة تعطل الاماميه الاثنا عشرية صلاة الجمعة لانها لا تجوز مادام الامام غائبا ولا تقام حتى يظهر الامام المستتر وقد أمر الخميني في شعبان سنة ١٤٠٠ بأداء صلاة الجمعة .

٩ - الخمس :

ويجب عندهم في سبعة أشياء :-

- ١ - غنائم دار الحرب
- ٢ - الغوص
- ٣ - الكنز
- ٤ - المعدن
- ٥ - ارباح المكاسب
- ٦ - الحلال المختلط بالحرام
- ٧ - الارض المنتقلة من المسلم الى الذمي .

ويدفع الخمس الى الامام ان كان ظاهرا والى نائبه وهو (المجتهد العادل) ان كان غائبا . وهو عندهم حق فرضه الله لآل محمد صلى الله عليه وسلم عوض الصدقة التي حرمها عليهم من زكاة الأموال والأبدان .

١٠- نكاح المتعة :

أو عقد الانقطاع والمراد به عقد الزواج الى أجل مسمى وتجب العدة على الزوجه بعده " وهي على الأقل خمسة وأربعون يوما" (٢) هذه

هي أهم سمات مذهب الامامية الاثني عشرية وما تتميز به عن سائر المذاهب الأخرى اكتفينا منها بأهمها ومن عرضها بالاشارة حتى لا يطغى على مسار البحث وهدفه .

* * * * *

(١) أصل الشريعة وأصولها : محمد الحسين آل كاشف الغطاء ص ٧٩

(٢) المرجع السابق : ص ١١٢

منهجهم في تفسير القرآن الكريم :

ولهم منهج مستقل في التفسير ساروا عليه لا يشاركونهم أحد في جميع جوانبه . وتعدد نواحي الخلاف بين منهجم ومنهج أهل السنه والجماعه .

طرق التفسير :

فأصبح طرق التفسير عند أهل السنه والجماعه - كما مر - والشيعه أيضا تفسير القرآن بالقرآن ثم بأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم . ثم اختلفوا بعد ذلك فأهل السنه يأخذون بعد هذا بأقوال الصحابه أما الاماميه الاثنا عشرية فهي " ترى أن الصحابه والتابعين كبقية المسلمين لاجبية في أقوالهم الا ما ثبت أنه حديث نبوي " (١)

أما الطريق عندهم بعد أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم فهي أقوال أئمتهم قالوا " وقد ثبت بطرق متواتره في حديث الثقلين أن أقوال العترة الطاهره من أهل بيته عليهم السلام هي تاليه لأقوال الرسول فهي حجة أيضا " (٢)

بل وتجاوزوا هذا فرفضوا ما رواه الصحابه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وردوا رواياتهم كلها الا ما صح من طرق أهل البيت حيث يقول محمد الحسين آل كاشف الغطاء عن فرقة الاماميه ومذهبيهم في قبول الروايات " انهم لا يقبلون من السنه (أعني الاحاديث النبويه) الا ما صح لهم من طرق أهل البيت " (٣)

أما القياس فقد سبق ذكر قولهم " ان الاماميه لاتعمل بالقياس وقد تواتر عن أئمتهم أن الشريعه اذا قيست محق الدين " (٣)

(١) القرآن في الاسلام : محمد حسين الطباطبائي ص ٥٩ - ٦٠

(٢) المرجع السابق : ص ٦٠

(٣) أصل الشيعه واصولها : محمد الحسين آل كاشف الغطاء ص ٧٩

أما الاجماع فليس حجه بنفسه الا اذا كان الأمام المعصوم من المجمعين ، أو كان الاجماع يعتمد على دليل معتبر ، أو كاشفا عن رأيه في المسألة . (١)

أما العقل ودليله فلا يدخل فيه عند هم القياس ، ولا المصالح ولا الاستحسان . (١)

اذا فطرق التفسير التي سلكوها هي تفسير القرآن بالقرآن وبالسننه (ويعنون بها ما ورد عن طرق أهل البيت) وبالاجماع بشرطه السابق ، وبدليل العقل بخصوصه السابق .

لذلك كان لهم آراء فقهيه انفراديا وبها بناء على هذه الأصول وجاء تفسيرهم لكثير من آيات الأحكام في القرآن الكريم متأثرا بهذه النظره كإباحة نكاح المتعه ومنع المسح على الخفين ، وان الواجب مسح الرجلين في الوضوء ون غسلهما ونحو ذلك . . . وسيأتى ان شاء الله بيان بذلك .

للقرآن ظاهر وباطن :

وللقرآن عند هم ظهر وبطن ويقصدون بهذا " أن للقرآن مراتب من المعاني المراده بحسب مراتب أهله ومفاماتهم وان الظهر والبطن أمران نسبيا فكل ظهر بطن بالنسبه الى ظهره وبالعكس " (٢) ويستدل الطباطبائي لهذا بما ورد في " تفسير العياشي عن جابر قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن شيء من تفسير القرآن فأجابني ثم سألته ثانيه فأجابني بجواب آخر فقلت جعلت فداك كنت أجبت في المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم ! فقال يا جابر ان للقرآن بطنا وللبطن بطن وظهرا وللظهر ظهر يا جابر وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن ان الآيه تكون أولها في شيء وأوسطها في شيء وآخرها في شيء وهو كلام متصل ينصرف على وجوه " . (٢)

(١) أعيان الشيعة ج ١ ص ٤٧٧ عن التفسير والمفسرون ٢٦/٢

(٢) الميزان ج ٣ ص ٧٣

وقال "وقد روى عن علي عليه السلام : ان القرآن حمال ذو وجوه" (١)
أما الراسخون الذين يعلمون تأويله فالمراد بهم عند آل محمد (٢) وبيروني
عن الصادق عليه السلام نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله . (٣)

اسلوب الجرى في القرآن عند هم :

وهو أن تطبق الآيات القرآنية على أئمتهم أو على أعدائهم قال
الطباطبائي في تفسيره " واعلم أن الجرى - وكثيرا ما نستعمله في هذا
الكتاب - اصطلاح مأخوذ من قول أئمة أهل البيت عليهم السلام " . (٤)
وقال أيضا " والروايات في تطبيق الآيات القرآنية عليهم (عليهم
السلام) أو على أعدائهم أعنى روايات الجرى كثيرة في الأبواب المختلفه
وربما تبلغ المئتين " . (٥)

وسنعرض لهذا فيما بعد .

التفسير العقلي :

ذكرنا أنفا أن من طرق تفسير القرآن عند هم التفسير بالعقل
وتفاسيرهم لمسائل علم الكلام متأثره تأثرا بينا بنظرة المعتزله ويرجع هذا
التأثر الى أن عددا كبيرا من سلف الشيعة تتلمذ لبعض مشايخ المعتزله
وهذا واضح بين في تفاسير الحسن العسكري ، والشريف المرتضى وأبي
علي الطبرسي (٦) وسيأتى ان شاء الله بيان ذلك في تفاسير المحدثين

تحريف القرآن :

لا يكاد يذكر القول بتحريف القرآن الا ويذكر مذهب الشيعة ولا تكاد
تقلب كتابا عن عقائد الشيعة الا وتجده قد أفرد القول بتحريف القرآن

(١) تفسير الميزان في تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائي ج ٣ ص ٨٢

(٢) المرجع السابق ج ٣ ص ٦٧

(٣) المرجع السابق ج ٣ ص ٦٩

(٤) المرجع السابق ج ١ ص ٤٢

(٥) المرجع السابق ج ١ ص ٤١

(٦) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبي ج ٢ ص ٢٥ - ٢٦

بمقال وهم فيما يكتبون سلكوا أحد طريقتين :-

- ١ - اما أن يثبتوا بأدلتهم تحريف القرآن الكريم .
 - ٢ - واما أن ينكروا القول بالتحريف وينكروا نسبه الى الشيعة .
- ولنتحدث عن سلك الطريق الأول .

القول بتحريف القرآن :

ذكر امامهم الخوئي في البيان في تفسير القرآن ان التحريف يراد منه عدة معان :

الاول : نقل الشيء عن موضعه وتحويله الى غيره ومنه قوله تعالى " ومن الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ٤ : ٤٦ ثم ذكر أن كل من فسر القرآن بغير حقيقته وحمله على غير معناه فقد حرفه ،

الثاني : النقص أو الزيادة في الحروف أو في الحركات مع حفظ القرآن وعدم ضياعه وان لم يكن متميزا في الخارج عن غيره .

الثالث : النقص أو الزيادة بكلمة أو كلمتين مع التحفظ على نفس القرآن المنزل .

الرابع : التحريف بالزيادة والنقص في الآيه والسوره مع التحفظ على

القرآن المنزل والتسالم على قرآءه النبي - ص - اياها "

ثم زعم أن هذه الأنواع الأربعة من التحريف واقع في القرآن قطعا .^(١)

النوع الخامس: التحريف بالزيادة بمعنى أن بعض المصاحف الذي بأيدينا

ليس من الكلام المنزل " والتحريف بهذا المعنى باطل باجماع

المسلمين بل هو مما علم بطلانه بالضرورة "^(٢) والحق أن كل من

قرأت له ممن تعرض لهذا النوع ذكر الاجماع على عدم القول بتحريف

القرآن بالزيادة فيه الا أنى اطلعت على نص عند الشيعة يقول

(١) البيان في تفسير القرآن : الخوئي ص ١٩٧ - ١٩٩

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٠

بهذا النوع وهو ما رواه ميسره عن أبي جعفر عليه السلام قال :
لولا أنه زيد في كتاب الله ونقص منه ما خفى حقنا على ذى حجبى" (١)
النوع السادس : التحريف بالنقيصه بمعنى أن المصحف الذى بأيدىنا
لا يشتمل على جميع القرآن الذى نزل من السماء فقد ضاع بعضه
من الناس "

ثم قال " والتحريف بهذا المعنى هو الذى وقع فيه الخلاف فأثبتته قوم
ونفاه آخرون " (٢) .

والقول بتحريف القرآن الكريم عند الشيعة مما اتفقوا عليه من القرون
الرابع الى القرن السادس ولم ينكر أحد منهم القول بتحريف القرآن الا أربعة
ابن بابويه القمى الملقب عند هم بالصدوق (ت ٣٨١) والمرضى (ت ٤٣٦)
والطوسى (ت ٤٥٠) والطبرسى (ت ٥٤٨) .

واعترف بهذا الاستثناء شيخ الشيعة النورى الطبرسى حيث قال " انه
لم يعرف الخلاف صريحا الا من هؤلاء الاربعه " (٣) .

واعترف به ايضا نعمة الله الجزائرى بقوله " ان الأصحاب قد اطبقوا على
صحة الأخبار المستفيضة بل المتواتره الداله بصريحها على وقوع التحريف
فى القرآن " (٤) ثم قال " نعم قد خالف فيها المرضى والصدوق والشيخ
الطبرسى وحكموا بأن ما بين دفتي هذا المصحف هو القرآن المنزل لاغير
ولم يقع فيه تحريف ولا تبديل " (٤) .

وما لنا ولعلمائهم السابقين والقول بتحريف القرآن يتشدد به طائفه
من علمائهم المعاصرين فهذا شيخهم محمد بن حيدر الخراسانى يعقود

-
- (١) تنظر تفسير العياشى ١٣ / ١ والصابى للمحسن الكاشى المقدمه السادسه
ص ١٠ والبرهان لهاشم البحرانى ٢٢ / ١ والبحار للحجلى ٣٠ / ١٩
(٢) المرجع السابق ص ٢٠٠
(٣) فصل الخطاب فى تحريف كتاب رب الأرباب : حسين الطبرسى ص ١٥
(٤) الانوار النعمانية : نعمة الله الجزائرى ج ٢ ص ٣٥٧

فصلا فى مقدمة تفسيره قال فيه " الفصل الثالث عشر فى وقوع الزيادة والنقيصه والتقديم والتأخير والتحريف والتغيير فى القرآن الذى بين أظهرنا " ثم قال " اعلم أنه قد استفاضت الأخبار عن الأئمة الأطهار (ع) بوقوع الزيادة والنقيصه والتحريف والتغيير فيه بحيث لا يكاد لا يقع شك فى صدور بعضها منهم وتأويل الجميع بأن الزيادة والنقيصه والتغيير إنما هى فى مدركاتهم من القرآن لافى لفظ القرآن كلفه " (١)

وقال فى موضع آخر عند تفسيره لقوله تعالى " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " (٢) ولا ينافى حفظه تعالى للذكر بحسب حقيقته التحريف فى صورة تدوينه فان التحريف ان وقع وقع فى الصورة المماثلة له كما قال فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هو من عند الله وما هو من الله " (٣)

ولا يكتفى شيخهم هذا بالادعاء بتحريف القرآن فيعمد الى ذكر المواضع التى زعم وقوع التحريف فيها فقد أورد فى تفسير قوله تعالى : " وان خفتن ألتقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع الاية " (٤) قال " وعن أمير المؤمنين (ع) فى جواب مسائل الزنديق الذى سأل عن اشياء أنه اسقط بين طرفي تلك الآيه أكثر من ثلث القرآن " (٥)

هذا شيخ من شيوخ المعاصرين قال بتحريف القرآن الكريم بل أن بعض علمائهم أفردوه بمؤلفات مستقلة فقد ألف شيخهم حسين بن محمد تقى الدين الطبرسى المتوفى سنة ١٣٢٠ كتابه " فصل الخطاب فى تحريف كتاب رب الارباب " وصفه صاحبه بأنه " كتاب لطيف وسفر شريف عملته فى اثبات

(١) بيان السعادة فى مقامات العباده ج ١ ص ١٢

(٢) سورة الحجر الآيه : ٩

(٣) بيان السعادة : محمد حيدر ج ١ ص ٤٠٢ وقد وقع المؤلف فى

خلط بين الآيتين ٧٩ من البقره و ٧٨ من آل عمران .

(٤) سورة النساء من الآيه ٣

(٥) بيان السعادة : محمد حيدر ج ١ ص ١٩٠

تحريف القرآن وفضائح أهل الجور والعدوان وسميته " فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الارباب " (١).

وفي الهند ألف ميرزا سلطان أحمد الدهلوي كتابا سماه " تصحيف كاتبين ونقص آيات كتاب مبين " والف محمد مجتهد اللكفوي كتابه " ضربه حيدريره " .

ولست هنا بصدد جمع أقوال أصحاب هذا الرأي وأدلتهم فهذا شأن آخر وإنما أردت اثبات ان هذا القول هو مذهب راسخ عند الشيعة حتى أفردوه في مؤلفات خاصه .

ولنذكر بعد هذا من سلك الطريق الثاني منهم فأنكر القول بتحريف القرآن ونسبته الى الشيعة .

القول بسلام القرآن من التحريف :

وقد ذهب بعض الشيعة خاصة من العصر الحديث الى انكار القول بتحريف القرآن الكريم وأنكروا نسبة ذلك الى الشيعة بل زعموا نسبه ذلك الى بعض علماء أهل السنه وعدوا القول بنسخ التلاوه قول بالتحريف متجاهلين ولا أقول جاهلين لان مثل هذا لا يخفى - ان النسخ أمر الهي والتحريف من شأن البشر فلا يعد ذاك تحريفا ولا يعد ذا نسخا .

ثم ذهب كثير منهم في عصرنا هذا يعددون الأدلة على عدم تحريف القرآن فيقول الخوئي " والحق بعد هذا كله ان التحريف بالمعنى الذى وقع النزاع فيه " غير واقع فى القرآن أصلا بالادله التالیه الدليل الاول قوله تعالى " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " ١٥ : ٩ " الدليل الثانى قوله تعالى " وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد " (٤١ : ٤٢) (٢)

وقال شيخهم محمد رضا المظفر " نعتقد ان القرآن هو الوحي الالهى

(١) فصل الخطاب : حسين الطبرسي الورقة أ

(٢) البيان فى تفسير القرآن : ابى القاسم الخوئي ص ٢٠٧ - ٢١٠

لا يعتبره التبديل والتغيير والتحريف وهذا الذى بين أيدينا نتلوه هو نفس القرآن المنزل على النبي ومن ادعى فيه غير ذلك فهو مخترق أو مغالط أو مشتبه وكلهم على غير هدى فانه كلام الله الذى " لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه " (١) .

وقال الخوئى أن القول بعدم التحريف هو المشهور بل المتسالم عليه بين علماء الشيعة ومحققهم . (٢)

وقال محمد الحسين آل كاشف الغطاء " يعتقد الشيعة الامامية أن الكتاب الموجود فى أيدي المسلمين هو الكتاب الذى أنزله الله اليه للاعجاز والتحدى ولتعليم الأحكام وتمييز الحلال من الحرام وأنه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زياده وعلى هذا اجماعهم ومن ذهب منهم أو من غيرهم من فرق المسلمين الى وجود نقص فيه أو تحريف فهو مخطئ نص الكتاب العظيم " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " والأخبار الواردة من طرفنا أو طرفهم الطاهره فى نقصه أو تحريفه ضعيفه شاذه وأخبار آحاد لا تفيد علما ولا عملا فاما أن تأول بنحو من الاعتبار أو يضرب بها الجدار " (٣)

وقال السيد محسن الأمين أن " كتب المحققين ومن يعتنى بقولهم من علماء الشيعة مجمه على عدم وقوع تحريف فى القرآن لا بزيادة ولا نقصان " (٤)

ولسنا بحاجة هنا الى أن نسوق النصوص الكثيره فى أنكارهم تحريف القرآن أو نسبة ذلك الى الشيعة وأن القارىء لتصيبه الحيره مما تقول هذه الطائفه منهم واذا ما علم أن من عقائد هم التقيه لم يجد بدا من حمل انكارهم هذا على تلك العقيده ذلك أن تواتر الروايات عندهم فى تحريف القرآن مما لا يمكن انكاره .

(١) عقائد الاماميه محمد رضا المظفر ص ٨٥

(٢) البيان : ص ٢٠٦

(٣) أصل الشيعة وأصولها، محمد حسين آل كاشف الغطاء، ص ٦٣ - ٦٤

(٤) الشيعة بين الحقائق والأوهام السيد محسن الأمين ص ١٦٠

ولنعيد هنا قولين من أقوال علمائهم لانزید علیها قال شیخهم نعمة الله الجزائرى " ان القول بصيانہ القرآن وحفظه یفض الی طرح الأخبار المستفیضه بل المتواتره الداله بصریحها علی وقوع التحریف فی القرآن . . . مع أن أصحابنا رضوان الله علیهم - قد أطبقوا علی صحتها والتصدیق بها^(١) وقال الطبرسی " ان ملاحظه السند فی تلك الأخبار الكثیره توجب سد باب التواتر المعنوی فیها بل هو أشبه بالوسواس الذی ینبغی الاستفاده منه " .^(٢)

فاذا كانت هذه الروایات وصلت عند هم الی تلك الدرجه فكیف یجـرؤ أولئك علی انكار القول بتحریف القرآن وانكار ونسبه ذلك الی عقیده الشیعه .

واذا أضفنا الی ذلك أن أولئك الذین انكروا نسبة هذا الی الشیعه وأنكروا تواتره فضلا عن صحته أنهم أقروا بأنفسهم فی مواضع أخرى وهم یتخبطون بین الانكار تقیه والاعتراف عقیده أقروا بالقطع بصحة بعض الروایات فی تحریف القرآن فقال الخوئی مثلا عن تلك الروایات " الا أن كثرة الروایات تورث القطع بصدور بعضها عن المعصومین علیهم السلام ولا أقل من الاطمئنان بذلك وفیها ما روی بطریق معتبر فلا حاجة بنا الی التکلم فی سند كل رواية بخصوصها " .^(٣)

ولا ندري لم یزعم محمد جواد فقیهه أن القول بسلامة القرآن من الزیاده والنقصان " الیوم أصبح هذا القول ضرورة من ضرورات الدین وعقیده لجميع المسلمین اذ لا قائل بالنقیصه لامن السنه ولا من الشیعه فاثارة هذا الموضوع والتعرض له فی هذا العصر لغو وعبث أو دس وطعن علی الاسلام والمسلمین^(٤)

(١) الأنوار النعمانیة : نعمة الله الجزائرى ٢ / ٣٥٧ - ٣٥٨

(٢) فصل الخطاب : ورقه ١٢٤

(٣) البیان فی تفسیر القرآن : الخوئی ص ٢٢٦

(٤) الشیعه فی المیزان : محمد جواد مغنیه ص ٥٨

ولا ندري لم يزعم هذا وهو ممن لا يخفى عليه الحق في تلك القضية لا تخفى عليه أبدا تلك المؤلفات لعلماء الشيعة في عصرنا هذا التي أفردوها لهذه القريه وهذا الزعم .
وليس لنا الا أن نسأل أوئئك الذين أنكروا القول بتحريف القرآن ونسبوا القول بذلك - بهتاننا - الى جماعة من علماء السنه والشيعة وأنكروا - زورا - وجود أحد في هذا العصر يقول بهذا القول . ليس لنا الا أن نسألهم . ما تقولون فيمن يعتقد هذا الاعتقاد ؟ فيمن يعتقد تحريف القرآن الكريم أم من هو أم كافر ؟ ان قلتم مؤ من قلنا انه ايمان فريد من نوعه لكنه حتما ليس بالايمان الذى جاء به الأنبياء والمرسلون وان قلتم هو كافر قلنا لقد حكمتكم على كثير من علماءكم . وفقى تخبطكم هذا من أى الصنفين هو الايمان أو الكفر أو هو من قبيل التقيه التي هي دينكم ودين آبائكم كما تقولون ؟ !

نماذج من تفسيرهم :-

ذكرت فيما سبق موقف الشيعة من القرآن الكريم وتفسيره . واذا أردنا أن نذكر شيئا من تفاسير الاماميه الاثنا عشرية للقرآن الكريم فانا نرى وجوب الاقتصار على تفسير الآيات التي يدعمون بها ما انفردوا به من آراء ، ويستندون اليها في اثباتها ، ونضيف الى هذا ما اشتهر عنهم في قضايا أخرى .

أولا : الاماميه :

للامامه عند الاماميه مكانه كبيره اذ هي المحور الذى تدور حوله عقائدهم وترتكز عليه مبادئهم . حتى نسبوا اليها رسموا بالاماميه .

ففي قوله تعالى خطابا لابراهيم عليه السلام : " انى جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتى قال لاينال عهدى الظالمين " (١) يفسر السيد محمد الطباطبائى (٢) ذلك بقوله " انى جاعلك للناس اماما أى مقتدى يقتدى بك

(١) سورة البقرة من الآيه : ١٢٤

(٢) سيأتى الحديث عنه ان شاء الله .

الناس ويتبعونك فى أقوالك وأفعالك" (١) ويرفض القول بأن المراد بالامامه النبوه ويصفه بأنه فى غاية السقوط" (١)

ثم يزيد تفسيره للامامه ايضا فىقول " والذى نجده فى كلامه تعالى انه كلما تعرض لمعنى الامامه تعرض معها للهداية تعرض التفسير قال تعالى فى قصص ابراهيم عليه السلام " ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا " الأنبياء - ٧٣ - وقال سبحانه " وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون " السجده / ٢٤ / فوصفها بالهداية وصف تعريف ثم قيدها بالأمر فبين أن الامامه ليست مطلق الهدايه بل هي الهدايه التى تقع بأمر الله " (٢)

وهذا هو الفارق بين الامامه والنبوه فالنبوه والرسالة ليست الامجرد ارائة الطريق اذ يقول " وبالجملة فالامام هاد يهدى بأمر ملكوتى يصاحبه فالامامه بحسب الباطن نحو ولايه للناس فى أعمالهم وهدايتها ايصالها اياهم الى المطلوب بأمر الله دون مجرد ارائة الطريق الذى هو شأن النبى والرسول وكل مؤمن يهدى الى الله سبحانه بالنصح والموعظه الحسنه " (٣)

ومن صفات الامام عند الاماميه أنه " يجب أن يكون انسانا ذا يقين مكشوفنا له عالم الملكوت - متحققا بكلمات من الله سبحانه - " (٤) وهو أيضا أى الامام " يحضر عنده ويلحق به أعمال العباد خيرا وشرها وهو المهيم على السبيلين جميعا سبيل السعادة وسبيل الشقاوة " (٤)

أما أفعال الامام فهى " خيرات يهتدى اليها لابهداية من غيره بـلـ باهتداء من نفسه بتأييد الهى وتسديد ريانى " (٥)

(١) المرجع السابق : ج ١ ص ٢٧٠

(٢) الميزان فى تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائى : ج ١ ص ٢٧٢

(٣) المرجع السابق : ج ١ ص ٢٧٢

(٤) المرجع السابق : ج ١ ص ٢٧٣

(٥) الميزان : الطباطبائى ج ١ ص ٢٧٤

أما أقواله كما يقول محمد جواد مغنبيه فى تفسيره " فأن قول الامام نبيا كان ، أو وصيا هو قول الله وهداى الله وحكمه حكم الله الذى لا ياحتمل العكس " (١).

ويدهى بعد هذا أن يكون الامام عندهم معصوما من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن من سن الطفولة الى الموت عمدا وسهوا كما يجب أن يكون معصوما من السهو والخطأ والنسيان (٢) أما مستندهم فى هذا فيقول عنه محمد جواد مغنبيه فى تفسيره " واستدل الشيعة الامامية بقوله تعالى " لا ينال عهدى الظالمين " على وجوب العصمة للنبي والوصي ووجه الدلالة ان الله قد بين صراحه أنه لا يعهد بالامامة الى ظالم ، والظالم من ارتكب معصية فى حياته مهما كان نوعها حتى ولو تاب بعدها حيث يصدق عليه هذا الاسم ولو آنا ما ، ومن صدق عليه كذلك فلن يكون اماما " (٣) وقال " ويكفى دليلا على عصمة أهل البيت (ع) شهادة الله لهم بالعصمة فى الآيه ٣٣ من الاحزاب " انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا " (٤).

وهو أيضا ما فسره بن الطباطبائي فى الميزان حيث قال فى تفسير الآيه السابقه " فمن المتعين حمل اذهاب الرجس فى الآيه على العصمة " (٥) .
وقد حاول محمد جواد مغنبيه فى تفسيره ان يعمم القول بالعصمة وأنكر اختصاص الشيعة بالقول بها فقال " وفكرة العصمة لا تختص بالشيعة وحدهم فان السنه قالوا بها ولكنهم جعلوها للأمم مستندين الى حديث لم يثبت عند الشيعة وهو " لاتجتمع أمتى على ضلاله "

-
- (١) التفسير الكاشف : محمد جواد مغنبيه ج ١ ص ١٩٢
 - (٢) عقائد الامامية : محمد رضا المظفر ص ٩٥
 - (٣) الكاشف ج ١ ص ١٩٨ والتفسير المبين : محمد جواد مغنبيه ص ٢٥
 - (٤) الكاشف ج ١ ص ١٩٨
 - (٥) الميزان ج ١٦ ص ٣١٢

والمسيحيون قالوا بعصمة البابا والشيوعيون بعصمة ماركس ولينين
وقال القوميون السوريون بعصمة انطون سعادة والاخوان المسلمون بعصمة
حسن البنا^(١) وكل من استدل بقول انسان واتخذ منه حجة دليلا
فقد قال بعصمته من حيث يريد أو لا يريد وفي الصين مئات الملايين اليوم
تؤمن بعصمة ماودتسى تونغ - نحن الآن في سنة ١٩٦٢ - ويشيدون
بتعاليمه واذا اختلف الشيوعيون فيما بينهم وكذلك غيرهم ممن ذكرنا فانهم
يختلفون في تفسير أقوال الرؤساء والمراد منها لافي وجوب العمل بها،
والولاء لها ، تماما كما يختلف المسلمون في تفسير نصوص القرآن والمسيحيون
في تفسير الانجيل . . . ومن خص العصمة بالشيعة فهو واحد من اثنين :
اما جاهل مغفل ، واما مفتر متآمر " (٢) .

وهذا كلام لا يخلو من مغالطه ذلكم أن الشيعة لا تنفرد بالقول
بالعصمة على اطلاقها فأهل السنة أيضا قالوا بالعصمة للأنبياء لكن لم يقل
أحد منهم بالعصمة للائمة من بعدهم وهو ما اختلف به الشيعة ، أما قول
المسيحيين والشيوعيين والقوميين فما لا يحتج به ولا ينظر اليه عند مناقشه
آراء الفرق الاسلاميه .

ثانيا : الهداء :

مذهب أهل السنة في تفسير قوله تعالى " يحو الله ما يشاء"
ويثبت وعنده أم الكتاب " أنه " (يحو الله ما يشاء) من الأقدار (ويثبت)
ما يشاء منها ، وهذا المحو والتغيير في غير ما سبق به علمه وكتبه قلمه
فان هذا لا يقع فيه تبديل ولا تغيير ، لأن ذلك محال على الله ،
أن يقع في علمه نقص ، أو خلل ، ولهذا قال : (وعنده أم الكتاب) أى اللوح
المحفوظ ، الذى ترجع اليه سائر الأشياء فهو أصلها وهى فروع وشعب .

(١) هذا محض افتراء وبهتان على الاخوان المسلمين .

(٢) الكاشف ج ١ ص ١٩٨ - ١٩٩

(٣) سورة الرعد ٣٩

فالتغيير والتبديل يقع فى القروع والشعب كأعمال اليوم والليله التى تكتبها الملائكه ويجعل الله لثبوتها أسبابا ، ولمحوها أسبابا ، لا تتعدى تلك الأسباب ، ما رسم فى اللوح المحفوظ .

كما جعل الله البر ، والصله ، والاحسان ، من أسباب طول العمر وسعة الرزق وكما جعل المعاصى سببا لمحوق برقة الرزق والعمر وكما جعل أسباب التجاة من المهالك والمعاطب سببا للسلامه وجعل التعرض لذلك سببا للعبط فهو الذى يدبر الأمور بحسب قدرته وارادته وما يدبره منها لا يخالف ما قد علمه وكتبه فى اللوح المحفوظ" (١)

هذا ما ذهب اليه أهل السنه فى ذلك ولم يقل أحد منهم بالبداة أما الاماميه الاثنا عشرية فلم رأى آخر فى هذه الآيه ونحوها فى تفسيرها يقول محمد حسين الطباطبائى " أقول والروايات فى البداة عنهم عليهم السلام متكاثره مستفيضه فلا يعبأ بما نقل عن بعضهم أنه واحد" (٢)

ثم يوضح ما تدل عليه الآيه بزعمه فيقول " والروايه كما ترى تنفى البداة بمعنى علمه تعالى ثانيا بما كان جاهلا به أولا ، بمعنى تغير علمه فى ذاته كما ربما يتفق فىنا تعالى عن ذلك ، وانما هو ظهور أمر منه تعالى ثانيا بعد ما كان الظاهر منه خلافه أولا ، فهو محو الأول واثبات الثانى والله سبحانه عالم بها جميعا" . (٣)

ويستدل الخوئى بهذه الآيه أيضا - على اثبات النوع الثالث من أنواع البداة وعلى وقوعه فيقول " الثالث قضاء الله الذى أخبر به نبيه وملائكته بوقوعه فى الخارج الا أنه موقوف على أن لا تتعلق مشيئة الله بخلافه وهذا القسم هو الذى يقع فيه البداة" يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب" ١٣ : ٣٩ لله الامر من قبل ومن بعد ٢٩ : ٤" (٤) وقد دلت

(١) سورة الرعد الآيه ٣٩

(٢) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كام المنان : عبد الرحمن السعدى ج٤ ص ١١٦-١١٧

(٣) الميزان ج ١١ ص ٣٨١

(٤) البيان : للخوئى ج ١ ص ٣٨٨

على ذلك روايات كثيرة منها هذه :

١ - ما فى تفسير على بن ابراهيم عن عبد الله بن مسكان عن أبى عبد الله عليه السلام قال اذا كان ليلة القدر نزلت الملائكة والروح والكتبه الى سماء الدنيا فيكتبون ما يكون من قضاء الله تعالى فى تلك السنه فاذا أراد الله أن يقدم شيئاً أو يؤخره أو ينقص شيئاً أمر الملك أن يمحوا ما يشاء ، ثم أثبت الذى أراد ه ، قلت وكل شىء هو عند الله مثبت فى كتاب ؟ قال : نعم ، قلت : فأى شىء يكون بعده ؟ قال : سبحانه الله ، ثم يحدث الله أيضاً ما يشاء وتعالى^(١) واستدل أيضاً ب : ما فى كتاب الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال " لولا آية فى كتاب الله لأخبرتكم بما كان وبما يكون وبما هو كائن الى يوم القيامة ، وهي هذه الآيه : يمحوا الله .. " (١) وقال أيضاً " أن انكار البداء يشترك بالنتيجه مع القول بأن الله غير قادر على أن يغير ما جرى عليه قلم التقدير تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً " (٢) .

أما محمد رضا المظفر فعرف البداء فى الانسان بـ " أن يبدو له رأى فى الشىء لم يكن له ذلك الرأى سابقاً بأن يتبدل عزمه فى العمل الذى كان يريد أن يصنعه اذ يحدث عنده ما يغير رأيه وعلمه به ، فيبدو له تركه بعد أن كان يريد فعله وذلك عن جهل بالمصالح وندامة على ما سبق منه .

ما المقصود من انزال هذا المعتقد هذه المنزله لو كان الأمر فيه اعتقاد كاعتقاد أهل السنه ما احتاج . ذلك الى كل هذا التوثيق والتأكيد وما احتاج الى أن يجعل أصلاً من أصول العقيدة وما احتاج الى أن يكون أكبر ما عيّد أو عظم الله به ، ولكن الأمر أكبر من ذلك .

(١) المرجع السابق ج ١ ص ٣٨٨ - ٣٨٩

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ٣٩٢ - ٣٩٣

قال سليمان بن جرير أن أئمة الرافضة وضعوا لشيعتهم مقالاتين لا يظهرن معهما من أئمتهم على كذب أبدا وهما القول بالبداة واجازة التقيه " الى أن قال فأما البداة فان أئمتهم أحلوا أنفسهم من شيعتهم محل الأنبياء من رعيتهما في العلم فيما كان ويكون والاخبار بما يكون في غد وقالوا لشيعتهم أنه سيكون في غد كذا وكذا فان جاء ذلك الشيء على ما قالوه قالوا لهم : الم نعلمكم أن هذا يكون فنحن نعلم من قبل الله عز وجل ما علمه الأنبياء وبيننا وبين الله عز وجل مثل تلك الأسباب التي علمت بها الانبياء عن الله ما علمت ، وان لم يكن ذلك الشيء الذي قالوا أنه يكون على ما قالوا ، قالوا لشيعتهم بدا لله في ذلك مكنونه " . (١)

ويؤكد هذا ما نسبوه الى أبي عبد الله وأبي جعفر وعلى بن الحسين والحسين بن علي والحسن بن علي وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم : " لولا آية في كتاب الله لحد ثناكم بما يكون الى أن تقوم الساعة : يمحو الله ما يشاء " . . . (٢)

والبداة بهذا المعنى يستحيل على الله تعالى لأنه من الجهل والنقص وذلك محال عليه تعالى ولا تقول به الاماميه " .

ثم اعترف بعد ذلك قائلًا " غير أنه وردت عن أئمتنا الأطهار عليهم السلام روايات توهم القول بصحة البداة بالمعنى المتقدم كما ورد عن الصادق عليه السلام : " ما بدا لله في شيء كما بدا له في اسماعيل ابني " ولذلك نسب بعض المؤلفين في الفرق الاسلاميه الى الطائفة الاماميه القول بالبداة طعنًا في المذهب وطريق آل البيت وجعلوا ذلك من جملة التشنيعات على الشيعة " . (٣)

(١) المقالات والفرق : سعد القمي ص ٧٨ وفرق الشيعة : النويختي

(٢) البيان في تفسير القرآن : الخوئي ص ٣٩٠

(٣) عقائد الاماميه حمد رضا المظفر ص ٦٩

وليس لنا الا أن نقول اذا كان الأمر كما تزعم فلماذا هذا التطرف والتشدد في الأخذ بهذا المبدأ من جانب الشيعة ولماذا جعلوه أصلاً من أصول مذهبهم حتى قالوا " ما عبد الله بشيء مثل البداء " (١) وقالوا " ما بعث الله نبيا قط الا بتحريم الخمر وأن يقر لله بالبداء " (٢) وقالوا " ما عظم الله عز وجل بمثل البداء " (٣) وقالوا " لو علم الناس ما في القول بالبداء من الأجر ما افتروا عن الكلام فيه " (٣)

بل ان صاحب الكافي عقد بابا في أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنهم لا يخفى عليهم الشيء " (٤) وعقد المجلس بابا في " أنهم أعلم من الأنبياء عليهم السلام " (٥)

اذا فلا بد من اللجوء الى عقيدة البداء بمعناها الباطل اذ هو المخرج اذا وقع خلاف ما نسب الى أئمتهم ، واذا ما أنكر (بعضهم) أن الاماميه يقولون بهذا فانكارهم تقيه اذ كتبهم على ما ينكرون شاهده .

ثالثا : المهدي

مرّ عند ذكر أئمة الشيعة الاثنا عشر أنهم على الترتيب على بن أبي طالب ثم الحسن ثم الحسين ثم أبو جعفر محمد بن علي (الباقر) ثم أبو عبد الله جعفر بن محمد (الصادق) ثم موسى بن جعفر (الكاظم) ثم علي بن موسى (الرضا) ثم محمد بن علي (الجواد) ثم علي بن محمد (الهادي) ثم الحسن بن علي (العسكري) .

أما الامام الثاني عشر فهو محمد بن الحسن " المهدي " وتعتقد الاماميه أنه ولد للنصف من شعبان سنة ٢٥٥ في سامراء أيام الخليفة المعتمد وتوفى والده وله من العمر خمس سنين (٦) ثم اختفى المهدي بعد ذلك

(١) الكافي كتاب التوحيد باب البداء : محمد بن يعقوب الكليني ج ١ ص ١٤٦

(٢) المصدر السابق ١٤٨/١

(٣) البيان : لخوئي ج ١ ص ٣٩٢

(٤) الكافي : الكليني ج ١ ص ٢٦٠ - ٢٦٣

(٥) البحار : المجلسي ج ٢٦ ص ١٩٤ - ٢٠٠

(٦) الشيعة في الميزان محمد جواد مغنبيه ص ٢٥٢

واختفائه عندهم مرّ بمرحلتين الأولى الغيبة الصغرى والثانية الغيبة الكبرى .

الغيبة الصغرى :

يقول محمد جواد مغنیه " ومعنى الصغرى أن الإمام كان يحتجب عن الناس الا عن الخاصه وان اتصاله بشيعته كان عن طريق السفراء فكان الشيعة يعطون الأسئلة الى السفير وهو يدور ويوصلها الى الامام وبعد الجواب عنها والتوقيع عليها يرجعها الى السائلين على يد سفيره ومن هنا سميت الغيبة الصغرى أي أنها ليست بغيبة كامله بحيث انقطع فيها عن جميع الناس وكانت مدتها ٧٤ سنة " (١).

وهم يعتقدون أن الفراء بين المهدي والناس في غيبته الصغرى أربعه " وكان السفير الأول بين الامام الغائب وشيعته رجل يدعى عثمان ابن عمر العمري الأسدي . . . ولما توفى عثمان تولى السفاره بعده ولده محمد بأمر المهدي ثم تلاها بعده الحسين بن روح النوبختي ثم على بن محمد السمرى وبعد هؤلاء السفراء الأربعه انتهت الغيبة الصغرى " (٢).

الغيبة الكبرى :

" وتبتدئ بمنتصف شعبان ٣٢٨ هـ وفيها انقطعت الاتصالات والسفارة بين الامام وشيعته " (٣).

وإذا ما سألت عن سبب اختفائه أجابك الطوسي " لعله تمنع من ظهور المهدي الا خوفه على نفسه من القتل لأنه لو كان غير ذلك لما ساغ له الاستتار " (٤).

(١) الشيعة في الميزان : محمد جواد مغنیه ج ٢٥٢

(٢) المرجع السابق ص ٢٥٣

(٣) المرجع السابق ص ٢٥٣

(٤) الغيبة : الطوسي ص ١٩٩

وهم يروون أن أبا عبد الله جعفر الصادق قال " للغلام غيبه قبل قيامه قيل ولم قال يخاف على نفسه الذبح " . (١)

ولا شك أن هذا تعليل واه فقد مر التشيع بفترات كان له الدوله وكانت له القوه ولا تزال الى أيامنا هذه لهده وكلمهم ينتظر خروجه فلم لم يظهر حتى الآن ان كان مازعموه سببا .

ورببت الاماميه الاثنا عشرية على غيبة الامام المهدي أحكاما منها تكفير من أنكر مهد يهم وزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عن منتظرهم " من أنكر القائم من ولدى فقد أنكرنى " (٢) وقال بن بابويه القمي من أنكر القائم عليه السلام فى غيبته مثل ابليس فى امتناعه من السجود لآدم " . (٣)

ومن ذلك أنهم جعلوا انتظاره أصلا من أصول الدين رووا عن أبي جعفر " والله لأعطينك ديني ودين آبائي الذي تدين الله به ، شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله . . . وانتظار قائمنا " . (٤)

ورتبوا على هذا عدم وجوب صلاة الجمعة لأنها لا تجب الا مع الامام ويقولون الجمعة والحكومه لامام المسلمين " (٥) ويقول الخميني " تجب صلاة الجمعة فى هذه الاعصار مخيرا بينها وبين صلاة الظهر والجمعه أفضل والظهر أحوط وأحوط من ذلك الجمع بينهما " (٦) وما رأيت تخبطا مثل هذا التخبط كيف تجب الجمعة ثم يخير بينها وبين الظهر ثم كيف تكون الجمعة أفضل والظهر أحوط ؟ وهل الاحتياط فى ترك الأفضل ؟ ثم كيف

(١) الكافي للكليني : ج ١ ص ٣٤٠

(٢) اكمال الدين : بن بابويه القمي ص ٣٩٠

(٣) انظر منتخب الأثر : لطف الله الصافي ص ٤٩٨

(٤) الكافي (عن منتخب الأثر ص ٤٩٩)

(٥) منهاج الكرامه : ابن المطهر الحلي ج ٢ ص ٦٩

(٦) تحرير الوسيله : الخميني ٢٣١/١

يجمع بينها وبين الظهر فهي اما صحيحه فلا يصلى معها ظهرا أو باطله
فلا يصلحها أصلا ولكنه أراد أن يقول باسقاطها بدليل اباحتها البيع بعد
الاذان مخالفا نص القرآن الكريم فيقول " لا يحرم البيع يوم الجمعة بعد الاذان
في أعضارنا مما لا تجب الجمعة فيه تعيينا " (١)

أما تعسفهم في تأويل آيات القرآن الكريم لتوافق رأيهم في مهديهم
المنتظر فكثير ذلك بل ان أحدهم وهو صادق الحسيني الشيرازي ألف
كتابا في ذلك أسماه " المهدي في القرآن " ذكر فيه الآيات الكثيره زعم
أنها في المهدي . قال في مقدمته (وعد : فهذه عشرات من الآيات
القرآنيه البينات التي نزلت - تفسيرا أو تأويلا أو تنزيلا أو تطبيقا أو تشبيها
في ثاني عشر أئمة أهل البيت ولي أمر الله الامام المهدي المنتظر عليه
السلام وعجل الله فرجه الشريف " (٢) ولقوة هذا المعتقد في
نفسه قال " وكان شروعي لجمع هذه الآيات في ليلة ميلاد الامام المهدي
المنتظر سلام الله عليه من عام ١٣٩٦ هـ حيث يمضى على ولادة الامام
(١١٤١ هـ) ولنذكر هنا أمثله مما ذهب يتعسف في تأويلها .

في تفسير قوله تعالى " هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب " (٣)
قال (أقول يعنى أن المتقين هم المؤمنون بالامام المهدي عليه السلام
ويعنى الغيب هو نفس الامام المهدي) (٤)

وفي تفسير قوله تعالى " أولئك الذين خسروا أنفسهم " (٥) يقول
(هم الشاكون في الامام المهدي عجل الله فرجه الشريف) (٦)

-
- (١) تحرير الوسيله : الخميني ٢٤٠ / ١
 - (٢) المهدي في القرآن : صادق الحسيني الشيرازي ص ٥
 - (٣) سورة البقره من الاتيين ٢ ، ٣
 - (٤) المهدي في القرآن : ص ١٠
 - (٥) سورة هود : من الايه ٢١
 - (٦) المهدي في القرآن : ص ٧٣

وان شئت شيئاً من المضحكات الميكيات فاستمع الى تفسيره لقوله تعالى
حكاية لقوله لوط عليه السلام (قال لو أن لي بكم قوة أو آوى الى ركن
شديد " (١) قال فى ذلك " أقول اذن (القوه و (الركن الشديد)
فى هذه الآيه الكريمة تأويلها الامام المهدي عليه السلام وأصحابه " . (٢)
حتى قوله تعالى " فلا أقسم بالخنس " (٣) لم يسلم من تعسف هذا
فى التفسير فقال فى ذلك " أقول الخنس بمعنى الاختفاء وتفسير الآيه
وارد فى النجوم التى يختفي بعضها فى وقت اختفائها وتأويلها وارد فى
الامام المهدي عليه السلام لأنه يختفي حيث يأمره الله بالاختفاء
ويظهر - كالشهاب الثاقب - حيث يأمره الله بالظهور " . (٤)
أما فى قوله تعالى (ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا
يخدرون " (٥) فقد أورد روايه تقول " ان فرعون وهامان هنا شخصان
من جبابره قريش يحييهما الله تعالى عند قيام القائم من آل محمد فى آخر
الزمان فينتقم منهما بما أسلفا " وقد علق على هذا قائلاً " أقول اذن تكون
هذه الآيه الكريمة محققه فى عصر الامام المهدي عليه السلام ومن علامات
ذلك العصر وسمات ذاك الزمان " . (٦)
وزعم ولبئس ما زعم أن المهدي سيتحقق على يديه ما لم يتحقق على أيدي
الأنبياء من قبله بل عجزوا عنه حيث قال فى تفسير قوله تعالى " أفغير دين
الله يبيغون وله أسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون " (٧)

-
- (١) سورة هود من الآيه : ٨٠
 - (٢) المهدي فى القرآن : ص ٧٥
 - (٣) سورة التكويد : ١٥
 - (٤) المهدي فى القرآن ص ٢٥٣
 - (٥) سورة القصص من الآيه ٦
 - (٦) المهدي فى القرآن : ص ١٤٤
 - (٧) سورة آل عمران : الآيه ٨٣

قال المؤلف " روى الحافظ القندوزي (الحنفي) . . . عن جعفر الصادق (رضى الله عنه) فى قوله تعالى " وله اسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها " يقول اذا أقام (القائم المهدي) لا يبقى أرض الا نودى فيها شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله (أقول) يعنى أن هذه الآيه الكريمة اشارة الى عهد (المهدي) المنتظر عليه السلام اذ فى زمانه الكلمه كلها لله على وجه الارض كلها لان كل من فى الارض يسلم ويخضع لله تعالى ولم يتم هذا حتى اليوم لافى عهد الانبياء السابقين عليهم السلام ولا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا فى عهد بعده أن يكون كل من على وجه الارض مسلما لله خاضعا لدين الله (طوعا وكرها) " (١)

ولم ينفرد بهذا الزعم الباطل فقد ذهب اليه الخميني فى كلمه وجهها فى ١٥ شعبان ١٤٠٠ هـ من اذاعته فى طهران (٢) وقد استنكرت بعض الصحف الاسلاميه ذلك وأصدرت رابطته العالم الاسلامى بيانا بهذا الصدد (٣) وذهب الى هذا الباطل أيضا محمد الصادق فى تفسيره حيث قال فى قوله تعالى " هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون " (٤) قال " فلا يبقى دين الا دين الاسلام ، وكما وعدناه فى دولة القائم المهدي محمد بن الحسن العسكرى عليه السلام الذى به يملأ الله الأرض قسطا وعدلا بعد ما ملئت ظلما وجورا .

ان جذور ومؤهلات هذه الغايه متواجده فى شريعة الاسلام مهما لم تتحقق زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وآله وسلم وخلفائه حتى الان ظهورا على الاديان ولكنها سوف تتحقق فى الدولة المحمدية الاخيرى التى يتبدء بها

-
- (١) المهدي فى القرآن : ص ٢١
 - (٢) جريدة الراى العام الكويتيه ١٧ شعبان ١٤٠٠
 - (٣) جريدة المدينه المنوره ٤ رمضان ١٤٠٠
 - (٤) سورة الصف : الآيه ٩

مؤسسا لها حفيده المهدي المنتظر عليه السلام" (١) ويقول " ان الديانات الأخرى ، من حق وباطل ليست لها مؤهلات الغلبه الشامله وتأسيس دوله موحده عاليه لا في ذواتها ، ولا في زعاماتها ، ولكننا الاسلام يملك هذه الأهليه فيها معا فدستوره العالمي هو قرآنه الكامل ، الحافل لكافة متطلبات الحياه وقيادته العالميه هي الظاهره في رسوله وأوصيائه والباهره أخيرا (!!) في القائم المهدي عليه السلام" (٢)

ومن عجائب تفسيرهم تفسير محمد الصادق لقلوبه تعالى " والفجر وليال عشر" (٣) حيث يقول : - فما هو الفجر هنا ؟ انه هو كل فجر من كل ليله ، وفجر شمس الرساله المحمديه وفجر قيام المهدي عليه السلام من ولده ، وفجر العقول عن ظلمات الأهواء وفجر العيون والانهار؟" ثم نقل روايه " عن الصادق (ع) قال : - والفجر هو القائم . والليالي العشر الأئمه من الحسن الى الحسن والشفع أمير المؤمنين وفاطمه ، والوتر هو الله وحده لا شريك له والليل اذا يسر هي دولة حبتر" (٤) فهي تسرى الى دولة القائم" (٤) .

-
- (١) الفرقان في تفسير القرآن : محمد الصادق ج ٢٨ ص ٣١٦
 - (٢) الفرقان في تفسير القرآن : محمد الصادق ج ٢٨ ص ٣١٦
 - (٣) سورة الفجر : الآيتين : ٢ - ٤
 - (٤) الفرقان في تفسير القرآن : محمد الصادق ج ٣٠ ص ٣٠٥ - ٣٠٦
 - (٥) قال في القاموس ج ٢ ص ٣ الحبتر كجعفر الثعلب ، والقصير . ويريد به الشيعة أبا بكر أو عمر - رضي الله عنهما - على خلاف بينهم . وفي تفسير العياشي أحد أئمتهم لقلوبه تعالى " لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم " ٤٤ الحجر قال : " عن أبي بصير عن جعفر بن محمد عليه السلام قال " تؤتى بجهنم لها سبعة أبواب بابها الأول للظالم وهو زريق (يريد أبا بكر رضي الله عنه) وبابها الثاني لحبتر (يريد عمر رضي الله عنه) والباب الثالث للثالث (يريد عثمان رضي الله عنه) والرابع لمعاوية (رضي الله عنه) والباب الخامس لعبد الملك والباب السادس لعسكر بن هوسر (كناية عن بعض خلفاء بني أميه أو بني العباس - كذا قال المجلسي) والباب السابع لأبي سلامه (كناية عن أبي جعفر الدوانيقي) فهم أبواب لمن اتبعهم" تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٤٣ قال المجلسي في بحار الأنوار ج ٤ ص ٣٧٨ " يحتمل أن يكون عسكر كناية عن عائشه وسائر أهل الجمل اذ كان اسم جمل عائشه عسكرا وروي أنه كان شيطانا" بقى أن أقول أن المجلسي والعياشي من أئمة الشيعة .

ويعلق - الصادقي - على هذا التفسير قائلاً :- " أقول وهذا تأويل لطيف (! !) لا ينافي تفسيره بغيره فالليالي العشر هم الائمة العشرة اعتبارا بما ظلموا وأظلمت عليهم حياتهم ولكن عليا (ع) مهما ظلم - فقد حكم ردحا من الزمن ثم القائم المهدي هو فجر الاسلام حيث يحيى ويتسع في زمنه " (١)

رابعاً : الرجعه :

وترتبط بالعقيدة السابقة

ويريدون بالرجعه " أن الله تعالى يعيد قوما من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها فيعزف فريقا ويذل فريقا آخر ويدل المحقين من المبطلين والمظلومين منهم من الظالمين " (٢)

أما زمن ذلك فقالوا " وذلك عند قيام مهدي آل محمد عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام " (٢)

أما من يرجع فقالوا " ولا يرجع الا من علت درجته في الايمان أو من بلغ الغايه من الفساد ثم يصيرون بعد ذلك إلى الموت ومن بعده إلى النشور وما يستحقونه من الثواب أو العقاب " (٢)

أما موقفهم من تلك العقيدة فقالوا " والاماميه بأجمعها عليه : الاقليون (٢) ونذكر من تأويلهم للآيات في ذلك .

تفسير سلطان بن حيدر لقوله تعالى " واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقه وأنتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون " (٣) قال " وهذه الآيه تدل على جواز الرجعه كما

ورد الأخبار بها وصارت كالضروري في هذه الأمه وقد احتج أمير المؤمنين عليه السلام بها على ابن الكوافي انكاره الرجعه " (٤)

(١) الفرقان : محمد الصادقي ج ٣٠ ص ٣٠٦

(٢) عقائد الاماميه محمد رضا المظفر ص ١٠٩ - ١١٠

(٣) سورة البقره : الآيه ٥٥

(٤) بيان السعادة في مقامات العباده : سلطان محمد بن حيدر الجنازدي

وفى تفسير قوله تعالى "ويوم نحشر من كل أمة فوجا" قال محمد حسين الطباطبائي "وظاهر الآيه أن هذا الحشر فى غير يوم القيامة لانه حشر للبعض من كل أمة لا لجميعهم وقد قال الله تعالى فى صفة الحشر يوم القيامة : (وحشرناهم فلم يغادر منهم أحدا) (الكهف: ٤٧) (١)

ثم قال " فقد بان أن الآيه ظاهره فى كون هذا الحشر المذكور فيها قبل يوم القيامة وان لم تكن نصا لا يقبل التأويل " (١) ثم ذكر روايه عن حماد عن أبي عبد الله عليه السلام قال ما يقول الناس فى هذه الآيه (يوم نحشر من كل أمة فوجا) ؟ قلت : يقولون انه فى القيامة قال ليس كما يقولون انها فى الرجعه أيحشر الله فى القيامة من كل أمة فوجا ويدع الباقيين ؟ انما آية القيامة (وحشرناهم فلم يغادر منهم أحدا) (٢)

ثم علق قائلا " أقول : وأخبار الرجعه من فرق الشيعة كثيره جدا " (٢)

وفى تفسير قوله تعالى " كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون " (٣)

قال محمد الصادق فى تفسيره " علمان متتابعان يفوق بعضهما البعض بعد الجهل المتمادى - العامد - يوم الدنيا : كلا سوف تعلمون : عند سكرات الموت وهو بداية العلم ، وفى الكره (٤) : يوم قيامه القائم (ع) بعد (الموت) ثم كلا سوف تعلمون فى المحشر " (٥)

وقال أيضا " أقول الكرة هنا هي الرجعه فى دولة الامام المهدي (ع) وليست للكل وقد يقال بما أن المخاطبين هنا هم الكفرة الذين محضوا الكفر محضا فهم كلهم حسب الروايات يرجعون ثم أقول لا مانع من كون المره الأولى للعلم شامله للكره ولسكرات الموت وما بعد الموت ، وبذلك يجمع بين

(١) الميزان فى تفسير القرآن : ج ١٥ ص ٣٩٧ - ٣٩٨

(٢) المرجع السابق ج ١٥ ص ٤٠٦

(٣) سورة التكاثر الآيتين ٣ و ٤

(٤) الكره والرجعه بمعنى واحد .

(٥) الفرقان : محمد الصادق ج ٣٠ ص ٤٣٤

الروايات . الا أن العلم بعد النكوه - اذا - تحصيل للحاصل قبل الكره بعد الموت اذا فما العلم هنا الا عند الموت وبعده " (١) .

خامسا : التقيه :

ويريدون بها كما يقول أحد علماءهم المعاصرين " أن تقول أو تغفل غير ما تعتقد لتدفع الضرر عن نفسك أو مالك أو لتحتفظ بكرامتك " (٢)
وأدلتهم كما يقول " الآيه ٢٨ من سورة آل عمران " لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا أن تتقوا منهم تقاة " فالآيه صريحه في النهي عن اتخاذ الكافرين أولياء الا في حال الخوف واتقاء الضرر والأذى واستدلوا بالآيه ١٠٦ من سورة النحل " من كفر بالله بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان . . . واستدلوا أيضا بالآيه ٢٨ من سورة غافر " وقال رجل مؤمن من آل فرعون بكمتم ايمانه " فكمتم الايمان واضهار خلافه ليس نفاقا ورياء كما زعم من نعت التقيه بالنفاق والرياء وبالآيه ١٩٥ من سورة البقره " ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكه " (٣) .

أما منزلة التقيه عندهم فبينها أحد معاصريهم فقال " روى عن صادق آل البيت عليه السلام في الأثر الصحيح " التقيه ديني ودين آبائي " و " من لا تقيه له لا دين له " وكذلك هي لقد كانت شعارا لآل البيت عليهم السلام دفعا للضرر عنهم وعن أتباعهم وحقنا لدمائهم واستصلاحا لحال المسلمين وجمعا لكلمتهم ، ولما لشيعتهم " (٤) .

وفي التفسير لقوله تعالى " الا أن تتقوا منهم تقاة " (٥) قال الطباطبائي " وفي الآيه دلالة ظاهرة على الرخصه في التقيه على ما روى عن أئمة أهل البيت عليهم السلام . . . وبالجملة الكتاب والسنة متطابقان في جوازها

(١) الفرقان : محمد الصادق ج ٣٠ ص ٤٣٤
(٢) الشيعه في الميزان : محمد جواد مغنيه ص ٤٨
(٣) الشيعه في الميزان : محمد جواد مغنيه ص ٥٠
(٤) عقائد الاماميه : محمد رضا المظفر ص ١١٤
(٥) آل عمران : من الآيه ٢٨

فى الجملة والاعتبار العقلى يؤكده" (١) - يقول " أقول : والأخبار فى مشروعية التقية من طرق أئمة أهل البيت كثيره جدا ربما بلغت حدود التواتر" (٢) .

ونقل فى تفسيره ما ورد فى الصافى (عن كتاب الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام فى حديث : وأمر أن تستعمل التقية فى دينك فان الله يقول (١١١) واياك ثم اياك أن تتعرض للهلاك وأن تترك التقية التى أمرتك بها فانك شائط بدمك ودماء اخوانك . . " (٣)

وللتقيه عند هم حد ود يبين بعضها الخمينى فى قوله " فى روايته سابقه عن الامام الصادق (ع) ترون أن الامام بالرغم من ظروف التقية المحيطة به وفقد انه للسلطه يبين للمسلمين أو يعين لهم الحاكم والقاضى ويأمرهم بالرجوع والتحاكم اليه" (٤) .

ويقول " فرض الائمة عليهم السلام على الفقهاء فرائض مهمه جدا والزموهم أداء الأمانه وحفظها فلا ينبغى التمسك بالتقيه فى كل صغيره وكبيره فقد شرعت التقية للحفاظ على النفس أو الغير من الضرر فى مجال فروع الاحكام أما اذا كان الاسلام كله فى خطر فليس فى ذلك متسع للتقيه والسكوت" (٥) .

وللتقيه فيهم آثار خطيره على الاسلام والمسلمين ولولا أن المقام هنا مقام عرض للتفسير واثبات لعقائد هم فيه مجر اثبات لولا ذلك لذكرنا من آثار تلك العقيدة الكثير الكثير مما يحز فى نفس المسلم ولا يخطر له ببال

(١) الميزان فى تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائى ج ٣ ص ١٥٣

(٢) المرجع السابق : ج ٣ ص ١٦٣

(٣) المرجع السابق : ج ٣ ص ١٦٢ - ١٦٣

(٤) الحكومة لاسلاميه : الخمينى ص ١٢٩

(٥) المرجع السابق : ص ١٤٢

ان يصدر هذا عن فرقه أى فرقه تعلن انتمائها للاسلام .

سادسا : فى القرآن الكريم :

١ - للقرآن ظهر ووطن

ويريدون بذلك كما أسلفنا " أن للقرآن مراتب من المعانى المراده بحسب مراتب أهله ومقاماتهم وان الظهر والبطن أمران نسبيا فكل ظهر بطن بالنسبه الى ظهره وبالعكس " (١)

ويوضح الطباطبائى هذا فيقول " يقول الله تعالى فى كلامه المجيد " واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا " (٢) ظاهر هذه الآية الكريمه انها تنهى عن عبادته الأصنام كما جاء فى قوله تعالى " فاجتنبوا الرجس من الاوثان " (٣) ولكن بعد التأمل والتحليل يظهر أن العله فى المنع من عبادته الاصنام أنها خضوع لغير الله تعالى وهذا لا يختص بعبادة الاصنام بل عبر عن شأنه عن اطاعة الشيطان أيضا بالعباده حيث قال : " ألم أعهد اليكم يا بنى آدم ان لا تعبدوا الشيطان " (٤) الى أن قال الطباطبائى : " نرى بالنظره البدائيه فى قوله " ولا تشركوا به شيئا " أنه تعالى ينهى عن عبادته الاصنام وعند ما تتوسع بعض التوسع نرى النهى عن عبادته غير الله من دون أذنه ولو توسعنا أكثر من هذا لنرى النهى عن عبادته الانسان نفسه باتباع شهواتها أما لو ذهبنا الى توسع أكثر فنرى النهى عن الغفله عن الله والتوجه الى غيره .

(١) تفسير الميزان ج ٣ ص ٧٣

(٢) سورة النساء : ٣٦

(٣) سورة الحج : ٣٠

(٤) سورة يس : ٢٣

ان هذا التدرج - ونعني به ظهور معنى بدائى من الآيه ثم ظهور معنى أوسع وهكذا - جاء فى كل من الآيات الكريمة بلا استثناء" (١).

" هذا الذى ذكره الطباطبائى هنا مثلا للتفسير الباطن تجسده يستند الى آيات أخرى فى بيان الآيه الأولى اضافة الى هذا فان هذا التفسير تربطه بالآيه "روابط قوية من حيث المعنى فى الآيات جميعا ومن حيث العموم والخصوص .

ولكن هل قول الشيعة بأن للقرآن ظهرا ويطنا على هذا النحو؟ الحق أن الكثير والكثير من تفسير الشيعة من التفسير الباطنى وان أغلبه من النوع الذى لا تربطه بالآيه رابطه وكان القرآن طلسم من الطلاسم أو ضرب من المعميات والالغاز .

ويكفى أن نذكر هنا مثلا أو مثالين لولا خشينا أن يقال هذان قولان شاذان لا عبره بهما لذا فسأستطرد بعض الإسطراد فى الأمثله حتى يزيد المؤمن ايمانا ويزول شك من فى قلبه كبير شك قبل هذا .

فى تفسير قوله تعالى " والله يدعوا الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم" (٢) يورد الطباطبائى فى ميزانه عن ابن شهر آشوب عن على بن عبد الله بن عباس عن أبيه وزيد بن على بن الحسين عليه السلام . . . " ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم " يعنى ولايئة على بن أبى طالب " ويعلق على هذا قائلا " أقول ان كانت الروايه موقوفه فهى من الجرى أو من الباطن من معنى القرآن ، وفى معناها روايات أخر" (٣).

(١) القرآن فى الاسلام : محمد حسن الطباطبائى ص ٢٧ - ٢٨

(٢) سورة يونس الآيه : ٢٥

(٣) الميزان فى تفسير القرآن : ج ١٠ ص ٤١

وفى قوله تعالى " اهدنا الصراط المستقيم " (١) يقول " فى الفقيه
وتفسير العياشى عن الصادق عليه السلام قال " الصراط المستقيم أمير
المؤمنين عليه السلام " . (٢)

وهذا عن الحسين شرف الدين الموسوى يقول فى مراجعته " عن
أئمتهم " اليسوا حبل الله الذى قال : واعتصموا بحبل الله
جميعا ولا تفرقوا " الصادقين الذين قال " وكونوا مع الصادقين وصراط
الله الذى قال " ان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه " وسبيله الذى قال
" لا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله الى أن قال " وأشار
فى السبع المثانى والقرآن العظيم اليهم فقال اهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين أنعمت عليهم . . . ألم يجعل المغفرة لمن تاب وآمن وعمل
صالحا مشروطه بالاهتداء الى ولايتهم اذ يقول " وانى لغفار لمن تاب
وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى " ألم تكن ولايتهم من الأمانه التى قال
الله تعالى " انا عرضنا الأمانه على السموات والأرض والجبال فأبين
أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ألم تكن
من السلم الذى أمر الله بالدخول فيه فقال " يا ايها الذين آمنوا
ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان " اليست هى النعيم
الذى قال تعالى " لتسألن يومئذ عن النعيم " . (٣)

بقى أن أقول ان هذه السفسطه لم ترد فى مؤلف مستور بل فى
أحد مؤلفاتهم الحديثه المنشوره والموجهه لاهل السنه لاقتناعهم بمذهب
الشيعة ؟ !

(١) الفاتحه : الآيه السابعه

(٢) الميزان : ج ١ ص ٤١

(٣) المراجعات : عن الحسين شرف الدين الموسوى ص ٥٤ - ٥٧

فعلى أى أساس ذهب الى هذه الاقوال وأى رابطه بين الآيـه
وما فسرهما به .

وهذا الدكتور محمد الصادق يفسر قوله تعالى : -
"مرج البحرين يلتقيان ، بينهما برزخ لا يبغيان" (١) بقوله " أقول
فقد اتصل بحر النبوه بفاطمه الصديقه بنت النبي صلى الله عليه
وسلم ، ببحر الامامه على (ع) بحران ملتئمان متلاقيان ، بينهما
برزخ الرسالة القدسية المحمدية ، اذ اتصل بحر الامامة والنبوه روحانيا
مسبقا ، أن تربى على فى حجر النبي وفى جو الوحي والتنزيل ، ثم
اكتمل الاتصال الروحانى بوصله جسمانيه فى زواج على بفاطمه والنبي
هو البرزخ بين البحرين إذ جمع الولاية والنبوه ، وعلى له الولاية دون
النبوه والوحي ، وفاطمه هى بصفة النبوه ، دون الرسالة والامامـه
والخارج منهما اللؤلؤ والمرجان : الحسنان هما مجمع الولاية روحانيا
والنبوه نسبا" (٢) .

وقال الطباطبائى (وفى الدر المنثور أخرج ابن مردويه عن ابن عباس فى
قوله " مرج البحرين يلتقيان" قال علي وفاطمه "بينهما برزخ لا يبغيان" قال النبي (ص)
" يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان" قال الحسن والحسين . (أقول) ورواه أيضا عن ابن
مردويه عن انس بن مالك مثله ، ورواه فى مجمع البيان عن سلمان الفارسي وسعيد بن جبیر
وسفیان الثوري . وهو من البطن" (٣)
وقال بهذا أيضا من المعاصرين محمد حسين الكاشف الغطاء حيث
قال فى تفسيرها " على بحر نور الامامه وفاطمه بحر نور النبوه والكرامه" (٤)
وقال محمد الصادق فى تفسير قوله تعالى " ويبقى وجه ربك" (٥)
" ما يتوجه به الى الله : ذوات قدسية ربانية ، منهم باقون ، لانهم منه

-
- (١) سورة الرحمن : الآيتين ١٩ - ٢٠
(٢) الفرقان فى تفسير القرآن محمد الصادق ج ٢٧ ص ٣٢
(٣) الميزان ج ١٠ ص ١٠٣
(٤) حياة الامام الحسن بن على : يأقر شريف القرشى تقديم محمد حسين
آل كاشف الغطاء .
(٥) الرحمن : ٢٧

(! !) وهم عند الله " وما عند الله باق " (١) فهو هنا انصرف عن
المعنى المتبادر الظاهر " لوجه " الى معنى التوجه ويستدل لذلك
بما ورد فى تفسير القمي عن على بن الحسين (ع) نحن الوجه
الذى يؤتى الله منه " (١) .

ويزيد الطباطبائى فيقول فى تفسيره " وفى مناقب ابن شهر آشوب
" قوله " ويبقى وجه ربك " قال الصادق عليه السلام : نحن وجه الله . (٢)

ب - اسلوب الجرى فى القرآن :

وهو نوع من أنواع التفسير الباطنى للقرآن الا أنه مخصوص بتطبيق
الآيات القرآنية على أئمتهم أو على اعدائهم كما قال الطباطبائى فى تفسيره
" واعلم أن الجرى - وكثيرا ما نستعمله فى هذا الكتاب - اصطلاح مأخوذ
من قول أئمة أهل البيت عليهم السلام " وقال " والروايات فى تطبيق
الآيات القرآنية عليهم السلام وعلى اعدائهم أعنى روايات الجرى كثيره فى
الابواب المختلفه " (٣)

وهو كما قال فى كثير من تفاسيرهم وما ورد من رواياتهم ومن العجب
انهم يحرصون على ايراد القول به فى تفسير الآيه ولكنهم لا يعدونه
تفسيرا بل ينصون على أنه من الجرى وسنذكر هنا أمثله لذلك .

فى تفسير قوله تعالى " الذين يؤمنون بالغيب " (٤) يقول محمد
حسين الطباطبائى " وفى المعانى عن الصادق عليه السلام فى قوله تعالى :
الذين يؤمنون بالغيب قال : من آمن بقيام القائم عليه السلام انه حقيق
أقول وهذا المعنى مروى فى غير هذه الروايه وهو من الجرى " (٥)

(١) الفرقان فى تفسير القرآن : محمد الصادق ج ٢٧ ص ٣٥ - ٣٦

(٢) الميزان ج ١٩ ص ١٠٣

(٣) المرجع السابق ج ١ ص ٤١ - ٤٢

(٤) سورة البقرة : من الآيه ٣

(٥) الميزان ج ١ ص ٤٦

وفى موضع آخر يضرب مثالا للاخبار الواردة فى جري القرآن وانطباقه
فيقول " كما ورد فى قوله (وسيعلم الذين ظلموا آل محمد حقهم)
وما ورد من قوله : (ومن يطع الله ورسوله فى ولايه على والائمه من بعده
فقد فاز فوزا عظيما " وهي كثيره جدا " . (١)

ويعلق على ماورد فى تفسير العياشى عن المفضل قال : سألت
الصادق عليه السلام عن قوله " اجعل بينكم وبينهم ردما " قال التقيه
. . . الخ فيقول " أقول الروايتان من الجرى وليستا بتفسير " (٢)

وفى تفسير قوله تعالى " الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا
لا يستطيعون سمعا " (٣) يقول " أقول وفى العيون عن الرضا عليه السلام
تطبيق الآيه على منكرى الولايه وهو من الجرى " (٢)

وعلى ما فى تفسير القمى فى قوله تعالى " من جاء بالحسنة فله
خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئه فكبت وجوههم
فى النار قال الحسنه والله ولايه أمير المؤمنين عليه السلام والله
عداوته " علق الطباطبائى على هذا بقوله " أقول وهو من الجرى وليس
بتفسير " (٤)

أما المدعوصادق الحسينى الشيرازى فيقول فى تفسير قوله تعالى
" بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين . . .) هود : ٨٦ أخرج
العالم (الشافعي) السيد المؤمن الشبلنجى فى (نور
الأبصار) قال عن أبى جعفر رضى الله عنه (قال فى حديث طويل
ذكره وفيه فاذا خرج (يعنى المهدي) استند ظهره الى الكعبه واجتمع
اليه ٣١٣ رجلا من أتباعه فأول ما ينطق به هذه الآيه

(١) الميزان ج ١٢ ص ١١٣

(٢) الميزان ج ١٣ ص ٣٧٧

(٣) سورة الكهف : الآيه ١٠١

(٤) الميزان ج ١٥ ص ٤٠٦

" بقيه الله خير لكم ان كنتم مؤمنين " ثم يقول أنا بقيه الله وخليفته
وحجته عليكم . . (أقول) ولا ينافى هذا التأويل نزول الآية فعلا
عن النبي شعيب عليه السلام لأن التنزيل والتأويل شيان والقرآن له
ظاهر وله باطن فلا ينافى قصد أحدهما كون المراد في الآية الآخر
أيضا " . (١)

وفى تفسير قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن
دينه فسوف يأتي الله بقوم . . . الآية " (٢) قال الشيرازي (لا منافاة
بين ورود تأويل هذه الآية تارة من الامام أمير المؤمنين علي بن أبي
طالب (عليهما) كذا (السلام) وتارة في أصحاب الامام المهدي
المنتظر (عليه السلام) وذلك لأن عليا - القائم مع أصحابه كلاهما
مصدقان لهذه الآية وكم لمثل ذلك من نظائر في القرآن فالقرآن
ظاهر وباطن وتنزيل وتأويل ، وتفسير ومعنى " . (٣)

وهذا الدكتور محمد الصادق يقول في تفسير قوله تعالى " والشفع
والوتر " (٤) " والوتر بين الأوصياء الأوفياء هو علي عليه السلام والشفع
الحسان عليهما السلام " ويقول " أقول وقد وردت روايات أخرى في
تأويل الشفع والوتر كلها من باب التطبيق ، تشملها الآية الكريمة " . (٥)

أما الليالي العشرة عنده فيورد ما جاء في البرهان عن الصادق (ع)
قال : والفجر هو القائم والليالي العشر الأئمة من الحسن الى الحسين
والشفع أمير المؤمنين وفاطمه والوتر هو الله وحده لا شريك له والليل
إذا يسر هي دولة حبر فهي تسرى الى دولة القائم ثم يقول " أقول وهذا
تأويل لطيف لا ينافى تفسيره بغيره فالليالي العشر هم الأئمة العشرة اعتبارا
بما ظلموا واطلمت عليهم حياتهم " . (٦)

(١) المهدي في القرآن : صادق الحسيني الشيرازي ص ٧٦

(٢) سورة المائدة : من الآية ٥٤

(٣) المهدي في القرآن : صادق الشيرازي ص ٣٩ - ٤٠

(٤) سورة الفجر الآية ٣ - (٥) الفرقان : ج ٣٠ ص ٣٠٨

(٦) تفسير الفرقان : ج ٣٠ ص ٣٠٦

وفى قوله تعالى " مرج البحرين يلتقيان " وقوله سبحانه —
" يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان " يقول " ومن باب الجرى والتأويل
قد يشمل البحرين واللؤلؤ والمرجان بحرى النبوة والامامه بحرى عذب
فترات لا ملح ولا أجاج " (١)

وأخيرا فى تفسير قوله تعالى " فأمنوا بالله ورسوله والنور الذى
أنزلنا والله بما تعملون خبير " (٢) يقول " قد وردت أحاديث
أن الائمة من آل محمد هم النور وهذا من التأويل والجرى . . " (٣)
والامثله هنا كثيرة جدا وربما تبلغ المئتين كما قال محمد
حسين الطباطبائى فى تفسيره . (٤)

ولا شك أن هذا من الالحاد فى آيات الله سبحانه ولا يخفى حكم
الله على الملحدين فى آياته " ان الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون
علينا أفمن يلقى فى النار خيرا أم ممن يأتي يوم القيامة اعمالوا ما شئتم
انه بما تعملون بصير " . (٥)

قال القاسمى شملت الآيه من يضع الكلام فى الآيات على غير
مواضعه كما قسرها ابن عباس قال فى الاكليل فيها الرد على من تعاطى
تفسير القرآن بما لا يدل عليه جوهر اللفظ كما يفعله الباطنيه والاتحادية
والملاحده وغلاة المتصوفه " (٦)

ولأن القرآن الكريم انما أنزل لهداية الناس وفيما سلوكه الغاء لهذه
الهدايه وابطال لها - ولكن والحمد لله لن تبلغه أنفاسهم -

-
- (١) الفرقان ج ٢٧ ص ٣٢
(٢) سورة التغابن : الآيه ٨
(٣) الفرقان ج ٢٨ ص ٣٧٨
(٤) الميزان ج ١ ص ٤٢
(٥) سورة فصلت : الآيه ٤٠
(٦) تفسير القاسمى ج ١٤ ص ٥٢١١ وانظر الاكليل للسيوطى ص ٣٥٤

أما الغزالي رحمه الله فقد عد هذا من الطامات حيث قال " وأما الطامات فيدخلها ما ذكرناه في الشطح وأمر آخر يخصها وهو صرف الفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومه الى أمور باطنه لا يسبق منها الى الافهام فائده كدأب الباطنيه في التأويلات فهذا أيضا حرام وضرره عظيم فان الألفاظ اذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضروره تدعو اليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ وسقط به منفعه كلام الله تعالى - كلام رسوله صلى الله عليه وسلم فان ما يسبق منه الى الفهم لا يوثق به والباطن " لا ضابط له بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى وهذا أيضا من البدع الشائعه العظيمة الضرر^(١)

ومن العجب انهم لما شعروا أن باب التأويل الباطني باب واسع يستطيع كل من دخل منه أن يصل الى كل ما يدور بخلدّه ويجيش بخاطره^(٢) وأن يدخل على القرآن ما ليس منه وخشيه من أن ينافسهم في هذا الباب منافس قصروا هذا الحق على أنفسهم بل على أئمتهم فبويوا الأبواب على " أنه لا يعرف تفسير القرآن الا الأئمة " ^(٣) وقالوا " ان جميع التفاسير الوارده عن غير أهل البيت لا قيمة لها ولا يعتد بها " ^(٤)

وقد أدى بهم هذا الى التخبیط حتى فيما نسب من التفسير الى امام واحد ؟ ! أورد الطباطبائي في تفسيره كما رواه العياشي في تفسيره عن جابر قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن شيء من تفسير القرآن فأجابني ثم سألته ثانيه فأجابني بجواب آخر فقلت جعلت فداك

-
- (١) احياء علوم الدين : الغزالي ج ١ ص ٤٣
(٢) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبي ج ٢ ص ٣٢
(٣) الفصول المهمه : الحر العاملي ص ٥٧
(٤) الشيعة والرجعه : محمد رضا النجفي ص ١٩

كنت أجبت في المسأله بجواب غير هذا قبل اليوم : فقال يا جابر ان للقرآن بطناً وللبطن بطن ، وظهراً وللظهر ظهر ، يا جابر وليس شىء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن : ان الآيه تكون أولها فى شىء وأوسطها فى شىء وآخرها فى شىء وهو كلام متصل ينصرف على وجوه" (١)

أليس هذا تخبط وأليس من الطامات كما قال الغزالي رحمه الله .

ج - التفسير العقلى :

قلنا أن الشيعة تأثروا تأثراً بينا بالمعتزله فى هذا المنحى ويرجع هذا التأثير الى أن عدداً كبيراً من سلف الشيعة تتلمذ لبعض شيوخ المعتزله كما يظهر لنا جلياً أن هذا الارتباط فى التفكير شىء قديم غير جديد " (٢)

يقول محمد جواد مغنبيه فى تفسير قوله تعالى " ادع الى سبيل ربك بالحكمه والموعظة الحسنه .. " (٣) الآيه " والمراد بالحكمه والموعظة الحسنه الاعتماد على العقل فيما يستقل بادراكه كالألوهيه التى يتوصل الانسان الى معرفتها بالامعان والتأمل فى خلقه وفى خلق السموات والأرض ، وكنبوة محمد صلى الله عليه وسلم التى يعرفها الباحثون من سيرته وطبيعة رسالته أما منهج الاسلام فى معرفة ما لا يستقل العقل بادراكه من أصول العقيدة كـ بعض المغيبات فهو الاعتماد على وحى من الله الى نبيه الذى ثبت بدليل العقل نبوته وصدقه فيما أخبر به عن الله جيل وعز ، أما المنهج لاثبات الشريعة فهو الكتاب والسنة والعقل .." (٤)

(١) الميزان : : ٣ ص ٧٣

(٢) التفسير والمفسرون : الذهبى ج ٢ ص ٢٥

(٣) سورة النحل من الآيه ١٢٥

(٤) تفسير الكاشف : ج ١ ص ٥١

ومن المعلوم أن الشيعة لا توافق المعتزلة في كل ما ذهب إليه من آراء، والا لا تحدث الفرقتان وشق التمييز بينهما ولكن الوشائج - لما ذكرنا - قويه ووجوه الشبه بارزه في الآراء الكلامية .

فذلكم محمد جواد مغنیه يقول في تفسير قوله تعالى " وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها . . . " (١) " وتساءل : ظاهر الآيه يدل على أن الله سبحانه هو الذي جعل أكابر المجرمين يحرمون ويمكثون بأهل الحق مع العلم بأنه تعالى ينهى عن المكر والاجرام ، ويعاقب عليها ، فما هو التأويل ؟ الجواب أن القصد من هذه النسبه اليه جل ثناؤه هو الاشارة الى أن مشيئة الله قضت بأن تقوم السنن الاجتماعيه على أساس التناقض بين المحققين والمبطلين ، بين أرباب السلطان المعتدين وبين الناس المعتدى عليهم ، ولا مفر من هذا التناقض والصراع الا بالقضاء على المجرمين ولا بد أن يتم ذلك وتعلو كلمة الحق على أيدي دعاة العدل والصلاح مهما تضخم الباطل واستطال " (٢) .

ويظهر رأيه أكثر وضوحا عند تفسيره لقوله تعالى " فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام . . . الآيه " (٣) حيث يقول " قال الرازي (تمسك أصحابنا - يريد السنه الاشاعره - بهذه الآيه في بيان ان الضلال والهداية من الله تعالى " أما أصحابنا فيقولون : لو كان الضلال والهداية من الله لسقط التكليف وبطل الحساب والجزاء لأنه تعالى أعدل من أن يفعل الشيء ويحاسب غيره عليه كيف وهو

القائل

(١) سورة الانعام من الايه ١٢٣

(٢) تفسير الكاشف : محمد جواد مغنیه ج ٣ ص ٢٥٩

(٣) سورة الانعام من الآيه : ١٢٥

" ولا تزوروا زوره وزر أخرى " أما الآية التي نحن في صدد تفسيرها فلا تدل على دعوى الرازي وأصحابه لأنها لم ترد البيان مصدراً الضلاله والهدايه وأنه من الله أو من غيره وانما وردت لبيان أن الناس فريقان .

الفريق الأول : تتسع صدورهم للحق ويتفاعلون معه ويطمئنون اليه
الفريق الثاني : لا تتسع صدورهم للحق لجهلهم وضيق أفقهم . . (١)
ولنسلم جدلاً بما يقول في دلالة الآية ولننتقل معه الى تفسيره
بقوله تعالى " من يهد الله فهو المهتدي ومن يضل فأولئك هم المـ
الخاسرون " (٢) ولنقرأ تفسيره حيث يقول : " ليس المراد أن من
يخلق الله فيه الهدايه فهو المهتدي ومن يخلق فيه الضلال فهو
الضال . كلا ، ان هذا تأباه الفطره والبديهه . . لان الله ليس
بظلام للعبيد . . الى أن قال " والذي نراه أن المعنى المقصود
من الآية أن المهتدي حقا هو من كان عند الله مهتديا (!) ولو
كان عند الناس ضالا وليس من شك أن الانسان لا يكون من المهتدين في
الميزان الالهي الا اذا آمن وعمل صالحا " ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم - ٩ يونس " والذين جاهدوا فينا
لنهديهم سبلنا وان الله لمع المحسنين - ٦٩ - العنكبوت " وكذلك
الضال فانه من كان ضالا في حساب الله لافى حساب الناس وبكلمه
ان الآية تحدد معنى كل من المهتدي والضال بأنه من كان كذلك عند
الله تما كما قال الامام علي (ع) : الغنى والفقر بعد العرض على
الله " . (٣)

(١) تفسير الكاشف ج ٣ ص ٢٦١ - ٢٦٢

(٢) سمرة الاعراف الآية ١٧٨

(٣) تفسير الكاشف ج ٣ ص ٤٢٤

وكذا فى تفسير قوله تعالى " ومن يضل الله فلن تجد له سبيلا " (١)
يقول " ليس المراد بمن أضل الله ويضل الله خلق الاضلال فيهم
كلا وانما المراد أن من جاد عن طريق الحق والهدايه بارادته ،
وسلك طريق الباطل والضلال باختياره فان الله يعرض عنه ويدعه
وشأنه (٢) .

رؤيه الله :

وكذا فى الرؤيه نجد مفسرى الشيعة ينكرون جوازها ووقوعها ونورد
هنا آراء ثلاثة من مفسريهم فى القرن الرابع عشر .

فهذا محمد بن حيدر يقول فى تفسيره لقوله تعالى " وجوه يومئذ
ناضره الى ربها ناظره " (٣) " وجوه يومئذ ناضره جواب سؤال
عن خال الآخره : الى ربها ناظره أى الى ربها المضاف لظهور
الولايه صاحبها فى ذلك اليوم أو الى ربها المطلق لظهور آثاره
أى الى آثاره ناظره أو منتظره الى ثواب " (٤) .

وفى تفسير قوله تعالى " واذ قلتم يا موسى لن نؤمن بك حتى نرى
الله جهره " (٥) . يقول مغنيه " وحيث جاء فى الآيه الكريمة
" حتى نرى الله جهره " نشير الى النزاع القائم بين أهل المذاهب
الاسلاميه وفرقها من أن العقل : هل يجيز رؤية الله بالبصر
أو يمنعها ؟ قال الأشاعره - السنه - : ان رؤية الله بالبصر جائزه عقلا لأنه
موجود وكل موجود يمكن رؤيته ، وقال الاماميه والمعتزله : لا تجوز الرؤية
البصريه على الله بحال ، لا دينا ولا دينا ، لأنه ليس بجسم ، ولا حالا
فى جسم ولا فى جهه . وبعد أن منعوا الرؤيه عقلا حملوا الآيات

(١) سورة النساء من الايه ٨٨ . (٢) تفسير الكاشف ج ٢ ص ٤٠٠

(٣) سورة القيامه ج الاتيين ٢٢-٢٣

(٤) بيان السعادة فى مقامات العباده : محمد بن حيدر الجنايدى ج ٢ ص ٢٩٤

(٥) سورة البقره : من الايه ٥٥

الداله بظاها على جواز الرؤيه ، حملوها على الرؤيه بالعقل والبصيرة
لا بالعين والبصر ، وبحقائق الايمان ، لا بجوارح الأبدان على حد
تعبير الفيلسوف الشهير الكبير محمد بن ابراهيم الشيرازى المعروف
بالملاصدرا ، ويصدر المتألهين . وما استدل به الملاصدرا على
امتناع الرؤيه قوله " ان الاحساس بالشئء حاله وضيعه للجوهـر
الحاس ، بالقياس الى المحسوس الوضعى ، ففرض مالا وضع له أنه
محسوس ، كفرض مالا جهه له أنه فى جهه " .

ثم يستدل بقول الفيلسوف الانكليزى جون لوك فيقول " وانتقل
ذهنى وأنا أقرأ عبارة هذا العظيم - يعنى الملاصدرا - الى الفيلسوف
الانكليزى جون لوك القائل بالواقعيه النقديه ، وملخصها ان للشئء
صفات أوليه ثابتة له واقعا ، ولا تنفصل عنه اطلاقا ، سواء أوجد من
يدركها ، أم لم يوجد ، كالعناصر المقومه المكونه للشئء ... وأيضا
له صفات ثانويه نسبيه لا توجد مستقلة عن ذات تحسها وتدركها
كاللون والصوت والطعم فاللون ليس صفة للشئء ، كما يتراءى وانما
هو موجات ضوئيه خاصه بين الشئء والعين عند العلماء ، وأيضا
الصوت موجات هوائيه ، والطعم لا وجود له لولا الفم ، ومن هنا
يختلف باختلاف الذائق صحة ومرضا . . . واختصارا أنه لا لون بلا عين .
ولا صوت بلا أذن ولا طعم بلا فم ، وليس من شك أن نور الله سبحانه
يطغى على الموجات الضوئيه وغيرها ، واذا انتفت هذه الموجات انتفت
الرؤيه " (١) ؟

ولا شك أن مثل هذا الزعم يخالف الشرع والعقل أما مخالفته الشرع
فان الأدله الكثيره جاءت باثبات رؤيه المؤمنين لربهم يوم القيامه

(١) تفسير الكاشف : محمد جواد مغنيه ج ١ ص ١٠٧ - ١٠٨

وهو نفسه يعترف بهذا لكنه صرفها الى الرؤية بالعقل والبصيره مع أن
الفاظها لاتقبل أن تنصرف الى الرؤيه بالعقل والبصيره .

أما مخالفته العقل فان ذات الله تعالى لاتشبه الذات فلا يصح
أن تقاس على مخلوقاته عز شأنه ، فكيف نقيس رؤية الخالق على رؤية
المخلوق وذات الخالق على ذات المخلوق تبارك اسم ربك ذي الجلال
والاكرام .

وهذا ينطبق أيضا على تفسير محمد الصادق لقوله تعالى " وجوه
يومئذ ناضره الى ربها ناظره ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها
فاقرة " (١) حيث قال " نسبة الظن الى الوجوه الباسره والنظر الى
الرب للوجوه الناضره هذه النسبه وتلك تصرفها عن وجوه الأبصار
الى وجوه البصائر فالوجه الظاهر لا يظن ، وانما يبصر ، والبصر الظاهر
لا ينظر الى الرب ذاته اذ " لاتدركه الابصار وهو يدرك الأبصار " ٦ : ١٠٣)
وانما البصيره الباطنه هي التي تراه رؤية المعرفه دون كيفية ولا احاطه .
اضافة الى أن النظر لا يستلزم الأبصار " تراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون "
٧ : ١٩٨) وأحرى بعدم الأبصار اذا كان المنظور اليه غير مبصر ! ثم
النص - بعد ذلك كله - " الى ربها " لا إلى الله والربوبيه هي
الرحمه والثواب والنعمة وأهمها المعرفه الناتجه عن غاية الربوبيه "
الى أن قال " فرؤيته تعالى بالبصر وحتى ادراكه والحيطة به بالبصيره
انها مستحيله في كافة العوالم لكافة العالمين فلا يمكن رؤيته
بالبصر الا اذا صار مبصرا كخلقه (!!) ولا ادراكه بالبصيره الا اذا صار
خلقه مثله في الألوهيه ، (!!) استحالة مزدوجه في خرافة الرؤيه
والادراك والاحاطة اذا فالمعنى من نظر الوجوه هو نظر المعرفه (!!)
وانتظار الثواب والرحمه . . . " (٢)

(١) سورة القيامه : الآيات ٢٢ - ٢٥

(٢) الفرقان : محمد الصادق ج ٢٩ ص ٢٨٥ - ٢٨٧

ولا نستطرد بعد هذا فى بيان تأثيرهم بالمعتزله فى بعض الآراء الكلاميه ، وقد سبق الاشاره الى سببه .

سابعا ؛ فى آيات الأحكام ؛

كثيره هى مواضع الخلاف فى الفقه بين أهل السنه والشيعة وليس فى الامكان فى مثل هذا الموضع الاشارة اليها فضلا عن دراسة كل موضع وقد سبقت الاشارة الى رأيهم فى اقامة صلاة الجمعة مادام الامام غائبا ، وكذا الخمس ، وغير ذلك .

ومما لاشك فيه أن نكاح المتعه وشدوذ الشيعة فى القول به من بين سائر المذاهب ، حتى أصبح سمه من أهم سمات المذهب الشيعي لاشك أن مثل هذا يوجب علينا هنا .

الاشاره اليه كمثال لمنهج الشيعة فى تفسير آيات الأحكام وصرفها لتأييد آرائهم الفقيهيه كما صرفوا آيات العقائد لتأييد آرائهم العقائديه ونحو ذلك .

ونظرة فى تاريخ نكاح المتعه فى الاسلام تكشف لنا أنه كان قد أبيض فى فترة من الفترات فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وقد اختلف فى مدة الاباحه وزمانها حتى قالوا انها ابيحت ثلاثة أيام^(١)

عن أياس بن سلمه عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم رخص فى متعة النساء عام أو طاس ثلاثة أيام ثم نهى عنها .^(٢)

عن قتادة عن الحسن أنه قال والله ما كانت متعة النساء الا ثلاثة أيام ما كانت قبلها ولا بعدها ، زمن اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) أخرجه مسلم ج ٤ ص ١٣١ والبيهقى ج ٧ ص ٢٠٤ والدارقطنى

ج ٣ ص ٢٥٨ .

(٢) أخرجه عبد الرزاق ج ٧ ص ٥٠٥ فى مصنفه ، وأخرجه سعيد بن منصور

فى سننه ج ٢ ص ٢٠٨ من مرسل الحسن البصرى .

واختلفوا في زمانها فمن قائل عام خير أو عام الفتح أو في حجة
الوداع أو عام أوطاس ، ولم يزل الناس حينذاك بين القول بالاباحه
والقول بالتحريم .

حتى حسم ذلكم النزاع الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه بقوله
على المنبر لا أوتى برجل تزوج بنكاح المتعه الا غيبته تحت الحجاره^(١)
ثم توفي عمر رضى الله عنه وظهرت بعد ذلك فرق . . كالشيعه

والخوارج ونحوهم ، فأخذت المتعه كغيرها شائبه الطائفه حيث نهى
عنها عمر واختلفت الروايه فيها عن علي ، رضى الله عنهما فتعصب لها
الشيعة وأخذوا يدافعون عنها حتى أصبحت شعارا لهم^(١) وكثرت الروايات

الموضوعه في ذلك حتى رووا فيما رووا " أن من خرج من الدنيا ولم يتمتع
جاء يوم القيامه وهو أجدع"^(٢) ورووا " ليس منا من لم يؤمن بكرتنا
(يعني الرجعه) ويستحل متعتنا"^(٣) وزعموا فيما زعموا أن رسول الله صلى

الله عليه وسلم قال " من تمتع مرة كانت درجته كدرجة الحسين عليه
السلام ومن تمتع مرتين فدريجته كدرجة الحسن ومن تمتع ثلاث مرات
كانت درجته كدرجة علي ومن تمتع أربع مرات كانت درجته كدرجتي"^(٤)

وبلغت درجة تمسكهم بالقول بنكاح المتعه أنهم لا يقبلون فيه التقيه
فقال محمد حسين آل كاشف الغطاء " ومن طرقتنا الوثيقه عن جعفر
الصادق عليه السلام أنه كان يقول : ثلاث لا أتقي فيهن أحدا متعة الحج
ومتعة النساء ، والمسح على الخفين "^(٥)

-
- (١) نكاح المتعه عبر التاريخ : عطيه محمد سالم ص ١٦
 - (٢) تفسير منهج صادقين : الملا فتح الله كاشاني ص ٣٥٦
 - (٣) تفسير الصافي ٣٤٧/١ والوسائل للحر العاملي ج ٧ ص ٤٣٨
 - (٤) تفسير منهج صادقين : لملا فتح الله كاشاني ص ٣٥٦
 - (٥) أصل الشيعه وأصوله : محمد حسين كاشف
الغطاء ص ١٠٠

ولا عجب بعد هذا وقد بلغوا في التمسك بهذا القول هذا الحد
أن يبحثوا له عن سند في القرآن الكريم .
ففي تفسير قوله تعالى " فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن
فريضه ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضه " ان الله
كان عليما حكيمًا " (١) يقول محمد بن حيدر الجنازى من علماء القرن
الرابع عشر " وفي لفظ الاستمتاع وذكر الأجور وذكر الأجل على قرآه
الى أجل - دلالة واضحة على تحليل المتعه فريضه فرضت أو حال كونها
مفروضه عليكم بالعقد ، (ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به) من اعطاء
الزيادة على الفريضه أو اسقاطهن شيئًا من الفريضه (من بعد الفريضه)
وفيه إشعار بكون الأجر من أركان عقد التمتع كما عليه من قال به
وروى عن الباقر (ع) لا بأس بأن تزيدها وتزيدك اذا انقطع الأجل
فيما بينكما تقول استحللتك بأجل (٢) آخر برضى منهما ولا تحلل
لغيرك حتى تنقضى عدتها وعدتها حيضتان (ان الله كان عليما حكيمًا)
فحلل المتعه عن علم ولغايات منوطه بالمصالح والحكم " (٤)
وقال محمد جواد مغنيه فى تفسير الآيه نفسها " لا جناح عليكم
فيما تراضيتن به من بعد الفريضه " اذا تم الزواج المؤقت بين الرجل
والمرأة وانقضى الوقت أو أوشك ثم بدالهما أن يزيدا فى الوقت والأجره
فلا بأس فى ذلك " (٥)

-
- (١) سورة النساء من الآيه : ٢٤
(٢) هكذا وردت ولعلها أوجال كونها .
(٣) كذا وردت ولعلها بأجر آخر .
(٤) بيان السعادة فى مقامات العباداة : سلطان محمد
حيدر ج ١ ص ١٩٥
(٥) التفسير المبين : محمد جواد مغنيه ص ٨٩

وبعد

فتلكم نماذج لمنهج الشيعة في القرن الرابع عشر في تفسير القرآن الكريم ومحاولتهم تطبيق آياته على أصولهم وينطبق عليهم قول ابن تيمية رحمه الله تعالى " ان مثل هؤلاء اعتقدوا رأيا ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم باحسان ولا من أئمة المفسرين لافى رأيهم ولا في تفسيرهم " (١)

وما أصدق الشيخ محمد حسين الذهبي رحمه الله تعالى حين قال : " فغالبا ما في كتب الامامية الاثنى عشرية في تأويل الآيات وتنزيلها وفي ظهر القرآن ويطنه استخفاف بالقرآن الكريم ولعب بآيات الذكر الحكيم . . . واذا كان لهم في تأويل الآيات وتنزيلاتها أغلاط كثيرة فليس من المعقول أن تكون كلها صادرة عن جهل منهم ، بل المعقول أن بعضها قد صدر عن جهل . والكثير منها صدر عمدا عن هوى ملتزم وللشيعة - كما بينا - أهواء التزمها " . (٢)

* * * * *

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية : عبد الرحمن بن قاسم ج ١٣ ص ٣٥٨

(٢) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبي ج ٢ ص ٤١

أهم كتب التفسير عند الامامية الاثني عشرية

فى القرن الرابع عشر

للاماميه الاثني عشرية فى القرن الرابع عشر الهجرى عدد كبير من المؤلفات فى التفسير منها ما كان شاملا للقرآن الكريم كله ومنها ما اقتصر على تفسير سوره واحده أو سور محدوده . ومنها ما لم يكمل بعد فصدرت بعض أجزاءه دون الباقي .
وليس من السهل أن أذكر كل هذا وكل ما ألف فيه ، ولعلنى اكتفى هنا بذكر بعضها باختصار ثم أقدم دراسته مختصره من أهمها .
فمن المؤلفات :

١ - تفسير الميزان فى تفسير القرآن ، فى عشرين مجلدا .

تأليف علامتهم السيد محمد حسين الطباطبائى . وسنفرده بحدیث .

٢ - التفسير الكاشف ، فى سبعة مجلدات .

تأليف محمد جواد مغنيه . . صدرت طبعته الاولى فى بيروت سنة

١٩٦٨ وبين يدي الطبعه الثانية الصادره فى ١٩٧٨ م الناشر

دار العلم للملايين .

٣ - التفسير المبين :-

تأليف محمد جواد مغنيه

قال عنه صاحبه " ان هذا الكتاب تفسير وجيز لانقاش فيه ولا مقارنه

بين أقوال المفسرين ولا اسرائيليات ومطولات لان الهدف منه أن يتصورقارىء

القرآن الكريم موضوع الآيه ويتمثله ولو من بعض جوانبه " . (١)

وكان فى أول أمره يزيد أن يختصر تفسير جوامع الجامع لشيخهم الفضل

بن الحسن الطبرسي ، ثم عدل عن الاختصار وألفه تأليفا .

(١) التفسير المبين : محمد جواد مغنيه ص ٣

الكتاب نشرته دار التعارف للمطبوعات ، بيروت سنة ١٣٩٨ هـ فى
مجلد عدد صفحاته ٧٣ من القطع الكبير .

٤ - البيان فى تفسير القرآن :

لامامهم الاكبر زعيم الحوزه العلميه السيد أبو القاسم الخوئى
صدر منه المجلد الاول فى ص ٥٥٧ ويحتوى على مدخل ، وتفسير
فاتحة الكتاب .

صدرت طبعته الاولى سنة ١٩٥٧ م وبين يدي الطبعه الرابعه وقد صدرت
سنة ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م والناشر دار الزهراء ، بيروت .

٥ - الفرقان فى تفسير القرآن بالقرآن والسنة :

تأليف محمد الصادقي

صدر منه حتى الآن أربعة مجلدات هي الاجزاء ٣٠ ، ٢٩ ، ٢٧ ،

٢٨ وهما فى مجلد واحد ، ٢٦

"وعلى المؤلف بدايته بالجزء الثلاثين من القرآن بقوله " لأن السور
التي يضمها هي بداية الوحي الشامل لما يحتاجه البدائيون فى معرفة
الاسلام فلنبداً بها كلنا ، علنا ندخل المدينه من بابها " . (١)

أما هذا التفسير فهو " دراسات . . ألقيناها على طلاب علوم الدين
فى الحوزتين المباركتين (قم والنجف الاشرف) على زيادات وتنقيحات
لفظيه ومعنويه تفسيراً للقرآن بالقرآن متناً ، وبالحدِيث هامشاً " (١)

وقد صدرت طبعات الكتاب ما بين عامي ١٣٩٥ - ١٣٩٧ .

٦ - بيان السعادة فى مقامات العباده فى مجلدين كبيرين

تأليف سلطان محمد بن حيدر محمد بن سلطان محمد ، الجنابذى
الخراساني .

(١) الفرقان فى تفسير القرآن : محمد الصادقي ج ٣٠ ص ٧

انتهى مؤلفه من كتابته في ١٤/٢/١٣١١ وصدرت طبعته الاولى
والأخيره في اذ لم يطبع بعدها في ١٤/٩/١٣٠٤ هـ .

وقد كنت أقوى الحديث عنه بتفصيل لولا أن الشيخ محمد حسين
الذهبي رحمه الله قد تناوله بتفصيل لا يحتاج الى مزيد .

٧ - آلاء الرحمن في تفسير القرآن في ٣ أجزاء

محمد جواد البلاغي توفي سنة ١٣٥٢ هـ

طبع في صيدا سنة ١٩٣٣ - ١٩٣٤ م

هذا بعض ما اطلعت عليه وقرأت فيه من تفاسيرهم ولم أشأ أن أذكر
غير هذا اما لأنى لم أطلع عليه أو لانه غير مستوف للقرآن كله بل هو فى
سور أو آيات أو موضوعات دون غيرها .

وأحسب أنى لست بحاجة أيضا الى الكتابه عن كل مؤلف منها . بل
سأكتفى بذكر تفسير واحد كبيان لمنهج الشيعة فى تفسير القرآن الكريم
فى العصر الحديث فأكتفى بتفسير الميزان فى تفسير القرآن .

الميزان فى تفسير القرآن :

بعد بحث وتنقيب شديد لم أجد للمؤلف ترجمه الا أنه ولد عام ١٩١٤م (١)
أما التفسير فالنسخه التى بين يدي هي الطبعة الثانية وجاء فيها أنها
تمتاز عن غيرها بالتحقيق والتصحيح الكامل واطافات وتغييرات هامه من قبل
المؤلف . وقد صدرت هذه الطبعة بين عامي ١٣٩١ - ١٣٩٤ هـ وهى
من منشورات الاعلمي للمطبوعات ببسروت .

وتقع فى عشرين مجلدا .

وفرغ المؤلف من تأليفه كما يقول " فى ليلة القدر المباركه

الثالثه والعشرين من ليالى شهر رمضان من شهر سنة ١٣٩٢ هـ .

(١) معجم المؤلفين العراقيين ج ٣ ص ١٥٢

طريقة المؤلف :

لا شك أن هذا الكتاب يعتبر من أهم مؤلفات الاماميه الاثني عشرية فى التفسير فى القرن الرابع عشر بل أهمها على الاطلاق نظرا للشموليه التى سلكها مؤلفه فيه فلم يقتصر فيه على لون من ألوان التفسير للقرآن فحسب بل هو كما وصفه مؤلفه على غلاف كل جزء " كتاب علمي ، فنى فلسفى ، أدبى ، تاريخى ، روائى ، اجتماعى ، حديث يفسر القرآن بالقرآن " وقد حدد المؤلف فى مقدمته خطته فقال " وقد اجتنبنا فيها عن أن نركن الى حجة نظريه فلسفيه ، أو الى فرضيه علميه ، أو الى مكاشفة عرفانيه ، واحترزنا فيها عن أن نضع الانكته أدبيه يحتاج اليها فهم الأسلوب العربى أو مقدمه بديهيه أو عمليه لا يختلف (كذا) فيها الافهام " (١)

ثم قال " وأما آيات الأحكام فقد اجتنبنا تفصيل البيان فيها لرجوع ذلك الى الفقه . . . ثم وضعنا فى ذيل البيانات متفرقات من أبحاث روائيه نورد فيها ما تيسر لنا ايراده من الروايات المنقوله عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة أهل البيت سلام الله عليهم أجمعين من طرق العامه والخاصه ، وأما الروايات الواردة عن مفسرى الصحابه والتابعين ، فانها على ما فيها من الخلط والتناقض لاجحة فيها على مسلم (٢) وسيطلع الباحث المتدبر فى الروايات المنقوله عنهم عليهم السلام أن هذه الطريقة الحديثه التى بنيت عليها بيانات هذا الكتاب أقدم الطرق المأثوره فى التفسير التى سلكها معلموه سلام الله عليهم .

(١) الميزان فى تفسير القرآن : ج ١ ص ١٢ - ١٣
(٢) كذا زعم المؤلف والحق أن الصحابه والتابعين رضى الله عنهم أجمعين هم أعلم الناس بالتفسير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أما الاختلاف الواقع فى بعض أقوالهم فهو من باب اختلاف قوى الفهم والادراك والتدبر والتأمل فى آياته سبحانه ثم ان علماء المسلمين جعلوا مقاييس يعرف بها الصحيح من الضعيف والسمين من الهزيل وبها ادركنا ضعف وهزال بل وضع ما لجأ اليه المؤلف .

ثم وضعنا ابحاثا مختلفه ، فلسفيه وعلميه ، وتاريخيه —
واجتماعيه وأخلاقيه ، حسب ما تيسر لنا " (١)

وقد جرى المؤلف على هذا النحو وهذه أمثله من تفسيره :

فى تفسير قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتهمن قال انسى
جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتى قال لاينال عهدى الظالمين " (٢) ريط

المؤلف بين هذه وما بعدها فقال عنها أنها " شروع بجمل من قصص
ابراهيم عليه السلام وهو كالمقدمه والتوطئه لآيات تغيير القبله وآيات
أحكام الحج وما معها من بيان حقيقة الدين الحنيف الاسلامى " (٣) ثم

بين المراد بهذه الآيه فقال " فقوله تعالى " واذ ابتلى ابراهيم ربه
الخ اشارة الى قصة اعطائه الامامه وحيائه بها " (٣) . ثم بين

المراد بالامامه فى الآيه فقال " قوله تعالى " انى جاعلك للناس

اماما أى مقتدى يقتدى بك الناس ويتبعونك فى أقوالك وأفعالك فالامام
هو الذى يقتدى ويأتم به الناس ولذلك ذكره عدة من المفسرين ان المراد

به النبوه لأن النبى يقتدى به أمته فى دينهم قال تعالى " وما أرسلنا
من رسول الا ليطاع باذن الله " النساء ٦٣ لكنه فى غاية السقوط " (٤)

وهو يرى ان الامامه أعلى درجه من النبوه فيقول " وبالجملة فالامام

هاد يهدى بأمر ملكوتى يصاحبه فالامامه بحسب الباطن نحو ولايئة

الناس للناس فى أعمالهم وهدايتها ايصالها اياهم الى المطلوب بأمر الله

دون مجرد اراءة الطريق الذى هو شأن النبى والرسول وكل مؤمن يهدى الى

(١) تفسير الميزان : ج ١ ص ١٣ - ١٤

(٢) سورة البقره : الآيه ١٢٤

(٣) الميزان : ج ١ ص ٢٦١

(٤) الميزان : ج ١ ص ٢٧٠

الله سبحانه بالنصح والموعظه الحسنه قال تعالى " وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء " ابراهيم - ٤ وقال تعالى في مؤمن آل فرعون " وقال الذي آمن يا قوم ابتعون اهدكم سبيل الرشاد " مؤمن - ٣٨ - وقال تعالى " فلولا نفر من كل فرقه فهم طائفه ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون " التوبه - ١٢٢ - . (١)

ولا يخفى ضعف الاستدلال بالآيات المذكوره بل عدمه فيما ذهب اليه من التفريق بين الامامه والنبوه وان كان مراده الاستدلال على الجملة الأخيره " كل مؤمن يهدى الى الله سبحانه بالنصح والموعظه الحسنه " فليس هذا محل النزاع بل هو محل تسليم وانما محله ما زعمه من فرق بين الامامه والنبوه .

التقيه : وفي تفسير قوله تعالى " الا أن تتقوا منهم تقاه " (٢) قال " الاتقاء في الأصل أخذ الوقايه للخوف ثم ربما استعمل بمعنى الخوف استعمالا للمسبب في مورد السبب ولعل التقيه في المورد من هذا القبيل : والاستثناء منقطع فان التقرب من الغير خوفا باظهار آثار التولى ظاهر من غير عقدا لقلب على الحب والولايه ليس من التولى في شيء لان الخوف والحب أمران قليبان متباينان ومتنافيان أثرا في القلب فكيف يمكن اتحادهما ؟ فاستثناء الاتقاء استثناء منقطع .

وفي الآيه دلالة ظاهرة على الرخصه في التقيه على ما روى عن أئمة أهل البيت عليهم السلام كما تدل عليه الآيه النازله في قصة عمار وأبويه ياسر وسميه وهي قوله تعالى " من كفر بالله بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم

عذاب عظيم النحل ١٠٦ .

(١) الميزان ج ١ ص ٢٧٢

(٢) آل عمران من الآيه ٢٨

وبالجمله الكتاب والسنة متطابقان فى جوازها فى الجملة والاعتبار
العقلى يؤكده اذا لا بغيه للدين ولا هم لشارعه الا ظهور الحق
وحياته وربما يترتب على التقيه والمجاراه مع أعداء الدين ومخالفى الحق
من حفظ مصلحة الدين وحياة الحق ما لا يترتب على تركها وانكار ذلك
مكابره وتعسف" (١).

وقال أيضا " أقول والأخبار فى مشروعية التقيه من طرق أئمة أهل
البيت كثيره جدا ربما بلغت حد التواتر وقد عرفت دلالة الآيه عليها
دلالة غير قابله للدفع" (٢).

رؤية الله :

وفى تفسير قوله تعالى " وجوه يومئذ ناضره الى ربها ناظره" (٣)
يقول " والمراد بالنظر اليه تعالى ليس هو النظر الحسى المتعلق
بالعين الجسمانية الماديه التى قامت البراهين القاطعه على استحالة
فى حقه تعالى بل المراد النظر القلبي ورؤية القلب بحقيقه الايمان
على ما يسوق اليه البرهان ويدل عليه الأخبار المأثوره عن أهل العصمه
عليهم السلام" (٤)

الخلود فى النار :

فى تفسير قوله تعالى " وما هم بخارجين من النار" (٥) قال " ومسألة
انقطاع العذاب والخلود مما اختلف فيه انظار الباحثين من حيث النظرالعقلى
ومن جهه الظواهر اللفظيه .

-
- (١) الميزان فى تفسير القرآن : ج ٣ ص ١٥٣
(٢) المرجع السابق ص ١٦٣ ولمعرفة الحق فى هذا وغيره من العقائد
انظر ما كتبناه فى منهج أهل السنه .
(٣) سورة القيامه الايتين ٢٢ - ٢٣
(٤) الميزان ج ٢٠ ص ١١٢
(٥) سورة البقره من الآيه ١٦٢

والذى يمكن أن يقال : أما من جهة الظواهر فالكتاب نص فى الخلود قال تعالى : " وما هم بخارجين من النار الآيه " والسنة من طرق أئمة أهل البيت مستفيضة فيه وقد ورد من غير طريقهم أخبار فى الانقطاع ونفى الخلود وهى مطروحة بمخالفة الكتاب^(١) ثم ذهب يعدد بعض الاشكالات ويرد عليها .

التفسير الباطنى :

فى تفسير قوله تعالى " قل اتما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن " ^(٢) الآيه يقول " وفى تفسير العياشى عن محمد بن منصور قال سألت عبداً صالحاً عليه السلام عن قول الله " انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن " قال : ان للقرآن ظهراً وبطناً فأما ما حرم به فى الكتاب هو فى الظاهر والباطن من ذلك أئمة الجور ، وجميع ما أحل فى الكتاب هو فى الظاهر والباطن من ذلك أئمة الحق .

أقول : ورواه فى الكافي عن محمد بن منصور مسنداً وفيه فجميع ما حرم الله فى القرآن هو الظاهر والباطن من ذلك أئمة الجور ، وجميع ما أحل الله فى القرآن هو الظاهر ، والباطن من ذلك أئمة الحق .

أقول : انطباق المعاصى والمحرمات على أولئك والمحللات على هؤلاء لكون كل واحد من الطائفتين سبباً للقرب من الله أو البعد عنه ، أولكون اتباع كل سبباً لما يناسبه من الاعمال .

ومن هذا الباب ما فى التهذيب باسناده عن العلاء بن سيبه عن أبى عبد الله عليه السلام فى قوله تعالى " خذوا زينتكم عند كل مسجد " قال الغسل عند لقاء كل إمام^(٣) .

(١) تفسير الميزان ج ١ ص ٤١٢

(٢) سورة الاعراف من الآيه ٣٣

(٣) تفسير الميزان : ج ٨ ص ٩٤ - ٩٥

وفى تفسير قوله تعالى " والنجم اذا هوى " (١) قال " أقول وروى تسميته صلى الله عليه وآله وسلم بالنجم باسناده عن أبيه عن الحسين بن خالد عن الرضا عليه السلام وهو من البطن " (٢)

فرض الرجلين فى الوضوء :

وفى تفسير قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين " (٣) قال " وأما قوله وأرجلكم فقد قرئ بالجور وهو لا محالة بالعطف على رؤوسكم . . . وقرئ وأرجلكم بالنصب وأنت اذا تلقيت الكلام فخلي ذهنك غير مشوب الفهم لم يلبث دن أن تقضى أن " أرجلكم " معطوف على موضع رؤوسكم وهو النصب وفهمت من الكلام وجوب غسل الوجه واليدين ومسح الرأس والرجلين ولم يخطر ببالك أن ترد " أرجلكم " الى وجوهكم " فى أول الآيه مع انقطاع الحكم فى قوله " فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق " بحكم آخر وهو قوله " وامسحوا بوجوهكم " (٤) فان الطبع السليم يأبى عن حمل الكلام البليغ على ذلك " الى أن قال " وعلى ذلك وردت الروايات عن أئمة أهل البيت عليهم السلام ، وأما الروايات من طرق أهل السنة فانها وان كانت غير ناظرة الى تفسير لفظ الآيه وانما تحكى عمل النبى صلى الله عليه وآله وسلم وفتوى بعض الصحابه لكنها مختلفه : منها ما يوجب مسح الرجلين ومنها ما يوجب غسلها .

(١) سورة النجم الآيه الاولى .

(٢) تفسير الميزان ج ١٩ ص ٣٣

(٣) سورة المائدة من الآيه ٦

(٤) القرآن الكريم لا يتلقاه المؤمنون بخلودهن بل لابد أن يضموا اليه بيان من أرسله الله ليبين لهم ما نزل اليهم ولا يعد هذا شائبه ؟

(٥) كذا وردت وهو لا شك يقصد " وامسحوا برؤوسكم " .

وقد رجح الجمهور منهم أخبار الغسل على أخبار المسح ولا كلام لنا معهم في هذا المقام لأنه بحث فقهي راجع الى علم الفقه خارج عن (١)
صناعة التفسير " ؟ !

وهكذا لما أعيته الحيلة وعجز عن رد أدلة الجمهور المستنده التي فعل الرسول صلى الله عليه وسلم زعم أنها خارجه عن صناعة التفسير وما درى أن فعل الرسول صلى الله عليه وسلم وقوله ما هو الا التفسير الصحيح للقرآن الكريم .

إرث الأنبياء

وقال في ميراث الانبياء ما قال به المذهب الشيعي ففسر قوله تعالى " وورث سليمان داود " (٢) بقوله " أى ورثه ماله وملكه وأما قول بعضهم : المراد به وراثه النبوه والعلم ففيه أن النبوه لا تقبل الوراثه لعدم قبولها الانتقال ، والعلم وان قيل الانتقال بنوع من العناية غير أنه انما يصح في العلم الفكرى الاكتسابى . والعلم الذى يختص به الأنبياء والرسل كرامه من الله لهم وهيبى " ليس مما يكتسب بالفكر فغير النبى يرث العلم من النبى لكن النبى لا يرث علمه من نبى آخر ولا من غير نبى " (٣) وكذا فى تفسير قوله تعالى حكاية لقول عبده زكريا " فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا " (٤) نحا المؤلف فى تفسيرها هذا النحو . (٥)

(١) تفسير الميزان ج ٦ ص ٢٢٢

(٢) سورة النمل من الآية : ١٦

(٣) تفسير الميزان ج ١٥ ص ٣٤٩

(٤) سورة مريم آيه ٤ - ٥

(٥) لمعرفة الحق فى هذا انظر تفسير الشيخ الشنقيطى رحمه الله تعالى لهذه المسألة فى الفصل الأول : الاتجاه الفقهي فى التفسير من الباب الثانى . فانه أجاد وأفاد رحمه الله تعالى .

نكاح المتعه :

والطباطبائى يجزم وبلا شك فى جواز نكاح المتعه بناءً على مذهبه
وها هو يفسر قوله تعالى " فما استمتعتم به منهن فأتوهن أجورهن فريضه
ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضه ان الله كان عليماً حكيماً" (١)
فيقول : " والمراد بالاستمتاع المذكور فى الآيه نكاح المتعه بلا شك
فان الآيه مدنيه نازله فى سورة النساء فى النصف الأول من عهد النبى
صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة على ما يشهد به معظم آياتها وهذا النكاح
أعنى نكاح المتعه كانت دائرة بينهم معموله عند هم فى هذه البرهه من
الزمان من غير شك - وقد أطبقت الأخبار على تسلم ذلك - سواء كان
الاسلام هو المشرع لذلك أو لم يكن فأصل وجوده بينهم بمراى من النبى
ومسمع منه لاشك فيه ، وكان اسمه هذا الاسم ولا يعبر عنه الا بهذا اللفظ
فلا مناص من كون قوله " فما استمتعتم به منهن " محمولاً عليه مفهومًا
منه هذا المعنى كما أن سائر السنن والعادات والرسوم الدائرة بينهم
فى عهد النزول بأسمائها المعروفه المعهوده كلما نزلت آيه متعرضه
لحكم متعلق بشىء من تلك الأسماء بامضاء أو رد أو أمر أو نهى لم يكن
هد من حمل الأسماء الوارده فيها على معانيها المسماه بها من غير أن تحمل
على معانيها اللغوية الأصلية . . . فمن المتعين أن يحمل الاستمتاع
المذكور فى الآيه على نكاح المتعه لدورانه بهذا الاسم عند هم يوم نزول
الآيه سواء قلنا بنسخ نكاح المتعه بعد ذلك بكتاب أو سنه أو لم نقل
فانما هو أمر آخر .

وجملة القول أن المفهوم من الآيه حكم نكاح المتعه وهو المنقول
عن القدماء من مفسرى الصحابه والتابعين كابن عباس وابن مسعود
وأبى بن كعب وقتاده ومجاهد والسدى وابن جبير والحسن وغيرهم وهو
مذهب أئمة أهل البيت عليهم السلام " (٢)

(١) سورة النساء من الآيه ٢٤

(٢) تفسير الميزان : محمد الحسين الطباطبائى ج ٤ ص ٢٧١ - ٢٧٢

ثم أنكر أن تكون هذه الآيه منسوخة وتتبع الأقوال في نسخها وناسخها ورد عليها بمزاعم يطول ذكرها وتفنيدها ، وقال بعد أن أورد التفسير الروائي للآيه - " وأما حديث النسخ بالكتاب أو بالسنة فقد عرفت عدم رجوعه الى محصل على أن بعض الروايات يدفع البعض في جميع مضامينها الا في أن عمر بن الخطاب هو الناهي عنها المجرى للمنع المقرر حرمة العمل وحد الرجم لمن فعل " (١).

وان شئت الحق في هذه المسألة وغيرها من المسائل التي شذ بها الاماميه أو غيرهم من الفرق الضاله فعليك بما ذكرته في تفسير أهل السنة والجماعه وفي منهج التفسير الفقهي فقد جعلتهما ميزانا تزين به الأقوال الشاذة وترجع اليهما عند التباس السبيل والله الهادي .

التفسير العلمي :

نص المؤلف في مقدمة تفسيره على أنه سيجتنب في بياناته عن أن " نركن الى حجة نظرية فلسفيه أو الى فرضيه علمية أو الى مكاشفة عرفانية " (٢).

والحق أنه التزم الابتعاد عن النظريات العلمية فندر أن أجد فيما أطلعت عليه من تفسيره حديثا عن هذه النظريات لا بالنفي ولا بالاثبات ومن النادر هذا ما جاء في تفسيره لقوله تعالى " ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار " الى قوله " لآيات لقوم يعقلون " (٣) فقال فيها " ثم ان هذه الأجرام

(١) المرجع السابق : ج ٤ ص ٢٩٩

(٢) المرجع السابق : ج ١ ص ١٢

(٣) سورة البقرة : الآيه ١٦٤

الجويه المختلفه بالصغر والكبر والبعد والقرب (وقد وجد
الواحد فى الصغر على ما بلغه الفحص العلمى ما يعادل :
٣٣ من سانتيمتر مكعب
والواحد فى الكبر ما يعادل الملايين من حجم الارض وهو كره يعادل
قطرها ٩٠٠٠ ميلا تقريبا ، واكتشف من المسافه بين جرمين
علويين ما يقرب من ثلاثة ملايين سنه نوريه ، والسنيه
النوريه من المسافه تعدل :

٣٦٥ × ٢٤ × ٦٠ × ٦٠ × ٣٠٠ كيلومتر تقريبا) فانظر
الى هذه الأرقام التى تدهش اللب وتبهت الفكر وأقضى ما أنت
قاض فى غرابه الأمر وبداعته " (١) .

أقول وان هذه المعلومه العلميه التى قالها لم يذكرها
من باب التفسير القائم على ألفاظ الآيه وانما من باب الاستشهاد
وقد أحسن والحق يقال بهذا الصنيع .

رأى فى هذا التفسير :

قرأه قصيره فى هذا التفسير تدرك منها أول ما تدرك
أن هذا الكتاب لم يؤلف للعامه وانما للعلماء نظرا لما فيه من
أبحاث دقيقه عميقه ويقال فيه ما قيل فى تفسير الكشاف أنه
من أحسن التفاسير لولا ما فيه من الاعتزال أما هذا التفسير
فهو من أحسن التفاسير فى العصر الحديث لولما فيه من
التشيع المتطرف .

(١) تفسير الميزان : ج ١ ص ٣٩٦

ومن مزاياه هذه الابحاث الواسعه الشاملة التي يوردها فى تفسير بعض الآيات مستقصيا مستوفيا لأطراف القضية التى يبحثها فمن ذلك مثلا تفسيره لقوله تعالى " واذ قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله " (١) الآيات فقد جاء تفسيره لها فى ١٣٧ صفحه وجاء تفسيره لقوله تعالى " هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهاً " (٢) الآيات فى حوالى ٧٠ صفحه وتفسير قوله تعالى " واذ قال ابراهيم لابيه آزر " (٣) . . الآيات فى حوالى ٨٦ صفحه وغير هذا كثير .

وانى لأعجب حقا من هذه العقلية التى تغوص بك فى عوالم المعانى وتجلو لك غامض الحقائق أعجب منها اذا ما طفت الى السطح كيف يلتبس عليها الأمر . وكيف تختلط عليها الحقائق وتلتبس السبل ، وكيف تقبل هذه الخرافات والمهازل ؟ صحيح أن المؤلف أورد غالب هذه الأمور تحت عنوان بحث روائى ، وصحيح أن المؤلف يجعل بعضها من أسلوب الجرى الذى قال عنه :

روايات الجرى كثيره فى الأبواب المختلفه وربما تبلغ المئين . ونحن بعد هذا التنبيه العام نترك ايراد أكثرها فى الأبحاث الروائيه لخروجها عن الغرض فى الكتاب ، الا ما تعلق بها غرض فى البحث . فليذكر " (٤)

(١) سورة المائدة : الآيه ١١٦

(٢) سورة آل عمران : الآيه ٧

(٣) سورة الانعام : الآيه ٧٤

(٤) الميزان فى تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائى

ان هذا التنبيه لا يعفيه من مسئولية ايرادها ، ولا يبرئه من انحراف اعتقادها .

وليست هذه الروايات هي المأخذ عليه فحسب بل يؤخذ عليه كل ما يؤخذ على العقيدة الامامية فما تفسيره الا على مذهبها . وما منهجه الا منهجها . ولعل في هذا غنى عن استعراضها .

رأيت في هذا المنهج :

وما مثلي وأنا أريد الحديث عن منهجهم في التفسير الا كمثل رجل وقف أمام قصر منيف انهد عموده فتساقطت أركانه وانظمرت معالمه فلم يظهر الا العيوب والفجوات .

لست أقول هذا تعصبا ولست أقوله حقدا ولكني أرى منهجا أسقط من حسابه العمود الذي تقوم عليه أصول التفسير وأركانه وهم يعترضون بهذا .

فقد أرسل الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم مبينا للقرآن الكريم فقال سبحانه " وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلمهم يتفكرون " (١) وقال سبحانه " وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون " (٢) . والآيات والاحاديث في هذا كثيرة جدا .

(١) سورة النحل من الآية ٤٤

(٢) سورة النحل : الآية ٦٤

ولا يشك عاقل أن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم هم الذين تلقوا هذا البيان منه . وهم الذين نشروه بعد ذلك بين المسلمين كافة بالطريق اليه لا يكون الا عن طريقهم .

فاذا ما قامت فرقه وأعلنت أنها لا تثق بهذا المروى عن طريق الصحابه رضى الله عنهم فانما تعلن جهلها وتعلن انحرافها وقد نقلنا نص أحد علمائهم المعاصرين الذى صرح فيه بقوله : - " أنهم لا يعتبرون من السنه (أعنى الأحاديث النبويه) الا ما صح لهم من طرق أهل البيت عن جد هم يعنى مارواه الصادق عن أبيه الباقر عن أبيه زين العابدين عن الحسين عن السبط عن أبيه أمير المؤمنين عن رسول الله سلام الله عليهم جميعا . أما ما يرويه مثل أبى هريره وسمره بن جندب ومروان بن الحكم وعمران بن حطان الخارجى وعمرو بن العاص ونظائرهم فليس لهم عند الاماميه من الاعتبار مقدار بعوضه وأمرهم أشهر من أن يذكر" (١)

ولا أدرى لم خص هؤلاء بالذكر مع أنه فى أول حديثه لم يعترف الا بطرق أهل البيت ، وما عداهم فلا يصح عندهم .

ولا شك أن طرق أهل البيت لو سلمنا جدلا صحتها كلها فانه لم ترد بها كل أحكام الاسلام ولهذا النقص الكبير قامت طائفه بل طوائف بسد هذا النقص بالروايات الموضوعه والافتراءات ونسبتها زورا وبهتانا الى أهل البيت اذ كيف يقصرون الناس على طرق غير وافييه . !

(١) أصل الشيعه وأصولها : محمد الحسين آل كاشف الغطاء ص ٧٩ - ٨٠

وأحسب أن هذا الانحراف في مصادره التشريع هو سبب كل انحراف في منهجهم هذا إذا نظرنا إلى هذا المنهج نظرة من بعد تظهره بصورة كاملة . وإذا ما قرينا الصورة إلى أعيننا ظهر لنا عدد من رجال الباطنية الذين أدخلوا في هذه العقيدة ما زادها شطنا عن الحق وأهله وقد كنت أظنهم اندثروا وهلكوا فإذا بهم ما يزالون بين أظهر المسلمين يتزيون بزيهم ويأكلون معهم .

وقد كنت إلى عهد قريب من أولئك المخدوعين بهم الذين يؤرق مضاجعهم ويقلق راحتهم أن يقوم على منبر أو يكتب في كتاب رجل فيذمهم ويكشف سترهم وكنت أقول يكفي ما أصاب المسلمين من سهام الأعداء فلنتجه إليهم ولنترك خصوماتنا فيما بيننا فإذا بي والأيام تكشف لي كيدهم ومكرهم وقرأت في كتبهم الحديثه قبل القديمه مما جعلني أوقن بأنه يجب أن نعلن الدعوه إلى الاسلام بين صفوفهم في نفس الوقت الذي نعلنه عند غير المنتسبين إلى الاسلام ان لم يكن قبل ذلك . وأنه من الواجب أن نكشف خطرهم قبل أن نكشف خطر أولئك اذ هم أشد وأنكى

وليس المقام هنا مقام كشف لهذه الحقائق ولكنه ومضه قصدت فيها لفت انتباه من لم ينتبه فسيرى بعد ذلك الحقيقه .

عودة إلى منهجهم في التفسير

قلت ان عدم اعتبارهم لما رواه الصحابه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو مصدر انحراف منهجهم وسقوطه . ولذلك لجأوا إلى أمور عده يسدون بها ما نلثم :

- ١ - فرووا الروايات الموضوعه ونسبوها إلى أئمتهم .
- ٢ - اعتبروا كل روايه لأحد أئمتهم تشريعا لأنهم بزعمهم معصومون .

٣ - لم يساعد هم ظاهر القرآن الكريم على ما انتحلوه من آراء وانحرافات فقالوا بالباطن وقالوا بالجرى .

٤ - ولم تكف هذه الأمور كلها فقالوا بتحريف القرآن الكريم وهم وان انكره بعضهم فانما ينكره تقيه فكتبهم التي بها يؤمنون وبأقوالها يعتقدون مليئة بروايات التحريف .

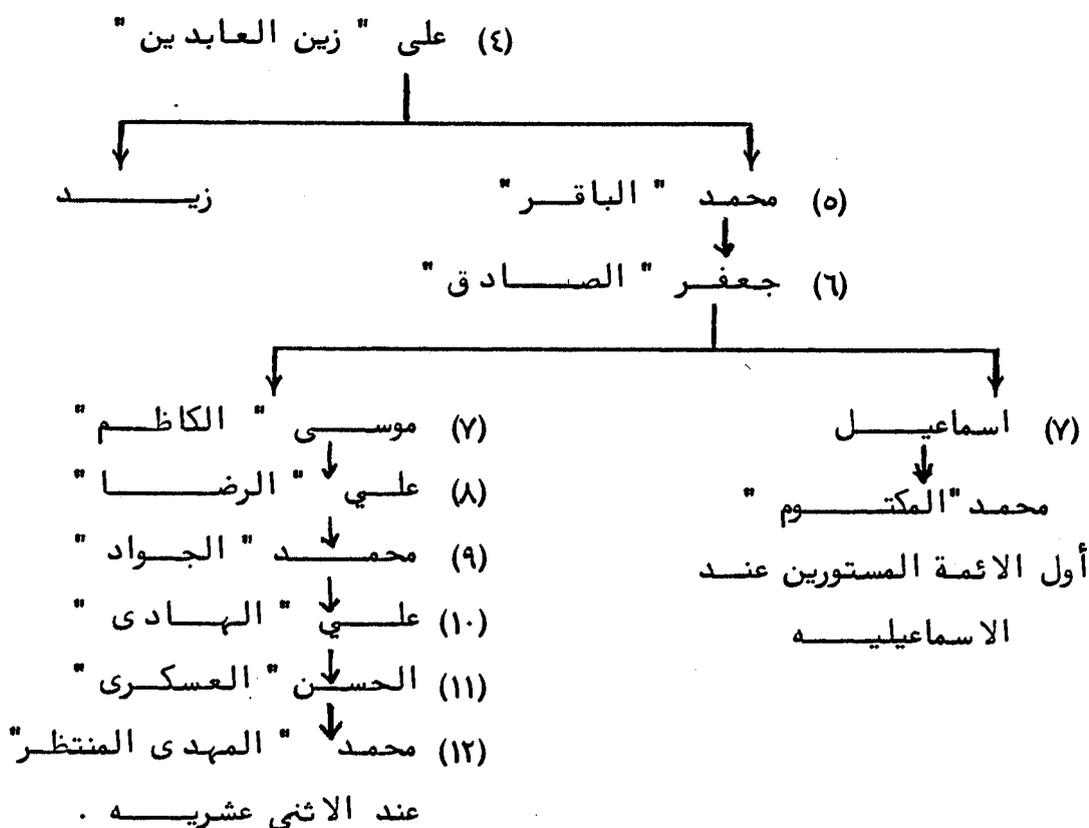
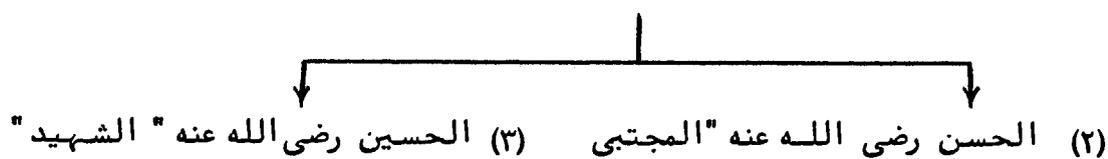
٥ - وقالوا بالتقيه والرجعه والبداء والامامه والعصمه ووالسخ مما لا يقوم على أصل ولا يستند الى كتاب ولا الى سنة صحيحه هذا كله بل بعضه يكشف زيف منهجهم وضلاله وحين يعودون الى القرآن الكريم ويعترفون - حقا - بسلامته من الزيادة أو النقصان وحين يعترفون بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي رواها أصحابه العدل والثقات حينئذ يكون الاتجاه السليم بل بدايته وحينئذ يؤخذ من تفسيرهم ويرد أما والحالة هذه فلا . ولاكرامه .

وغنى عن القول بعد هذا أن أصولهم فى التفسير بل فى العقيدة كلها لا يقوم لها أصل ولا تقوم لها قائمة ما دام عمودها منهدا وركنها الأساس ساقطا والله المستعان .

الاسماعيلية :

افترقت هذه الفرقة عن الاماميه الاثني عشرية بعد وفاة جعفر ابن محمد الصادق . فقالت الاثنا عشرية بامامة ابنه موسى الكاظم الى اثني عشر اماما فسموا بالاماميه الاثني عشرية ، وقالت الاسماعيلية بامامة ابنه اسماعيل فنسبوا اليه ، وانتهى بوفاته دور الظهور وبدأ دور الستر فكانت الأئمة عندهم سبعة فلقبوا بالسبعية ، وكان ابنه محمد المكتوم أول الأئمة المستورين عندهم . وهذا جدول لتوضيح تسلسل الامامه عند فرق الشيعة الثلاث الاثني عشرية والاسماعيلية ، والزيدية .

(١) علي بن أبي طالب رضي الله عنه "المرتضى"



وانما قال الاسماعيليه بامامة محمد بن اسماعيل بن جعفر لانهم
يعتقدون أن جعفرا قد أوصى بالامامة لابنه اسماعيل وعندما توفي
اسماعيل في حياة والده جعفر علموا أنه انما نصب ابنه اسماعيل
للدلالة على امامة ابنه محمد .

وقويت شوكة هذه الطائفة في عهد المأمون وكان على رأسهم
ميمون القداح مولى " جعفر الصادق " حيث تظاهر وصحبه
بحب آل البيت وادعوا الولاء التام والموالة لهم وعلنوا الامامة
لمحمد بن اسماعيل ابن جعفر الذي " اضطر الى ترك مسقط رأسه
المدينه المنوره وهاجر الى خوزستان (جنوب غرب ايران) ثم تركها
الى بلاد الديلم (جنوب بحر قزوين) ولم يسمع عنه شيء بعد
ذلك " (١) .

ولا نستبعد أن يكون ميمون القداح هذا هو الذي دبر هذه
الخطه ليتولى أمور الدعوه من بعده ، فقد زعم أنه ابن لمحمد بن
اسماعيل ابن جعفر هذا ، ثم انتقلت أمور الدعوه من بعده الى
ولده عبغد الله بن ميمون الذي كان يدعي علم الغيب . والأسرار
الروحانيه والعلوم الخفيه ويزعم أنها انتهت اليه من جده محمد بن
اسماعيل بن جعفر " (٢)

واتخذ من بلدة " ساباط " مركزا لدعوته ثم انتقل الى الشام
ولم تلعب الاسماعيليه دورا سياسيا الا بعد الانتقال من " دور الستر "
الى دور " الظهور " .

(١) طائفة الاسماعيليه : محمد كامل حسين ص ١٤

(٢) اخوان الصفاء : عمر الدسوقي ص ٢٠

وقد بدأ دور الستر بتولى محمد بن اسماعيل بن جعفر للإمامه وقد
اختلف في عدد الائمة وترتيبهم في هذا الدور ، واستمر دور الستر هذا
الى ظهور عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية في أواخر
القرن الثالث الهجري وبه يبدأ دور الظهور .

وانبثق عن هذه الفرقه فرق باطنية أخرى كالقرامطة والنصيرية
والدروز بل ينسب اليها فرق باطنية أخرى حدثت وما تزال تحدث
في العصور المتأخرة كالباييه والبهائيه والقاديانيه وما يسمى بالرسالة
الثانية التي عاني وما زال يعاني منها المسلمون الأذى الشديد .

وأصبحت هذه الفرق كلها تعرف باسم الحركات الباطنية وهم
جميعا كما وصفهم العلماء " ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر
المحض" .

وأمر مؤلفاتهم اشتهر حتى لا يكاد يخفى على ذي معرفة ذلكم
الستر الشديد والتكتم الذي يسد لونه على مؤلفاتهم وكتبهم وأشار
الى ذلك كل من كتب عنهم شيئا لافرق بين من يؤيدهم ومن يخالفهم
فكلاهما يلقى العناء الشديد في ذلك .

وقد اعترف أحد الدارسين عنهم وهو منهم بقوله " وأعترف أنني
أثناء دراساتي الطويلة عن الإسماعيلية لم أقابل شيئا غيره عنده
رغبة صادقه في اعارة كتبه أو تقديم يد المعونه لمن يدرس عقائد
الفاطميين وتاريخهم وفقههم " الى أن قال " ونرجو مخلصين أن تزول
التقيه والستر فقد أصبحا لا قيمة لهما الآن " (١)

(١) من مقدمه آصف بن علي أصغر فيض . لتحقيقه كتاب دعائم

وتحدث في موضع آخر عن احدى النسخ المخطوطة لكتاب يحققه
فقد مكث ثمان سنوات ونصف في البلد الذي توجد به النسخه عند
أحد أصدقائه الاسماعيليين ولم يسمح له برؤيتها الا ساعه من الزمان
برقابة ابنه في مقره الرسمي (١) .

ولست بهذا أريد دفاعا عن نفسي وتبريرا لعجزى ولكني أحكي
واقعا عاناه كبار الباحثين المتخصصين مع صلتهم وصادقتهم بأصحاب
المخطوطات وأقامتهم معهم .

وقد بحثت ونقبت كثيرا عن كتب الاسماعيليه بل الباطنيه عامه
قديما وحديثا وقد حصلت على مجموعه من مؤلفاتهم والعجيب أنني
لم أجد لهم كتابا في التفسير لاني القديم ولاني الحديث بل أن بعض
مؤلفاتهم خاصة الحديث منها تقرؤها من أولها الى آخرها فلا تجد
فيها آيه ولا حديثا والحمد لله على ذلك .

وكل من كتب عن التفسير لدى الأقدمين منهم فانما التمس
نصوصا بين ثنايا مؤلفاتهم لم يفردوها بحديث ولم يقصدوا ذلك
بل عرضت لهم عرضا فقالوا بتفسيرها حسب ما يلائم عقائد هم .

وفي البابيه والقاديانيه مثل هذه النصوص لكن أصحابها ليسوا
من أهل القرن الرابع عشر . وقد عدّ الشيخ محمد حسين الذهبي
رحمه الله تعالى تفسير البابيه مثالا للتفسير الباطني فأورد (٢) منه
جملة ميثوثه في بعض كتبهم .

ولئن أخذنا مفهوم الباطنيه هذا وجعلناه يشمل كل فرقه انحرفت
عن الاسلام وظهر الحادها وتأويلاتها الضاله مع زعمها الانتماء اليه

(١) المرجع السابق ج ١ ص ٢١

(٢) التفسير بالمفسرون : محمد حسين الذهبي ج ٢ ص ٢٦٤ - ٢٧٩

والالتزام به خاصة اذا رأينا كثيرا من العلماء والمؤرخين مجتمعين على أن فرق النصيرية والدروز والاسماعيلية كلها يجمعها " الفرقه الباطنيه " مع أن فيما بينها اختلاف كبير في اعتقادها وتباين ظاهر في معبوداتها ويضمون اليها الباطنيه والبهائية والقاديانيه وهى كذلك أيضا فانا نعتقد بوجود ضم طائفة جدت في القرن الرابع عشر ولها أتباع ومؤلفات وكادت أن تكون لها دوله لولا أن قيس الله للاسلام والمسلمين من أنقذهم من ذلك أعنى اتباع ما يسمى " ب الرسالة الثانيه " وداعيتها المتنبي المزعوم محمود طه . فان كان الأمر كذلك فاني سأشير سريعا اليه كمثال للتفسير الباطني في العصر الحديث وحسبك به من باطني .

الجمهوريون :

وهذا الاسم مما يطلقه اتباع محمود محمد طه على أنفسهم ويطلقون على أنفسهم اسم " المسلمون " وعلى دعوتهم " الرسالة الثانيه " ودجالهم محمود طه من متطرفي الباطنيه والمتصوفه الذين ينكروا أفعالهم وأقوالهم كل أحد حتى الصوفيين المعتدلون ، أظهر أفكاره ودعوتيه في السودان .

وتقوم دعواه على الزعم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم حين بعث في مکه جاء بالاسلام ، ولما تبين له أن للناس في هذا الوقت لا يطيقون تلقي الاسلام^(١) انتقل الى المدينه ودعا الى الايمان فأجابوه فالرسول صلى الله عليه وسلم - بزعمهم - انما جاء بالايمان وفصله للناس أما الاسلام فلم يقع في حقه التفصيل بل جاء به مجملا

(١) رسالة الصلاة : محمود محمد طه ص ٦٨ والرسالة الثانية من

الاسلام : محمود طه ص ١٢١

وزعم أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو طليعة المسلمين المقبلين
فكأنما جاء لأمته " المؤمنين " من المستقبل فهو المسلم الوحيد
بينهم كما أن أبا بكر طليعة المؤمنين وكان بينه وبين النبي أمدا
بعيدا .

وسمى دعوته هذه بـ الرسالة الثانية لزعمه أن الرسالة الأولى
المحمدية كانت للإيمان ، والرسالة الثانية للإسلام . ووصف الأولى
كما جاء في عنوان أحد كتبه " الرسالة الأولى لا تصلح للقرن العشرين "
فالرسالة الثانية بزعمه ناسخه للرسالة الأولى .

وقال عن الرسالة الثانية " الرسالة الثانية هي الإسلام وقد أجملها
المعصوم أجمالا ولم يقع في حقها التفصيل إلا في التشرييع - كذا -
المتداخله بين الرسالة الأولى وبينها كتشريع العبادات وتشاريع
الحدود " (١)

وينكر أن الدين قد كمل وأن الرسول صلى الله عليه وسلم
قد بين القرآن .

ويزعم أن الأمة الإسلامية لم تظهر بعد وهي مرجوه - كذا -
الظهور في مقبل أيام البشرية وسيكون يوم ظهورها يوم الحج الأكبر
وهو اليوم الذي يتم فيه الخطاب الرحماني بقوله تعالى " اليوم أكملت
لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً " وأن دخول
الإسلام مرتبة لم تتحقق في المجتمعات الماضية إلا للأنبياء حتى
هؤلاء قصر عنها بعضهم (!!) كما يحدثنا القرآن " أنا أنزلنا
التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا " الآية
(٤) (٥)

(١) الرسالة الثانية : محمود محمد طه ص ١٤٢ . (٢) سورة المائدة آية ٣
(٣) الرسالة الثانية : محمود محمد طه ص ١٤٧ - ١٤٨ . (٤) سورة المائدة آية ٤٤
(٥) رسالة الصلاة : محمود محمد طه ص ٦٩

فهذا الدجال قد فهم من قوله تعالى " الذين أسلموا " أن هناك أنبياء لم يسلموا وهذا سوء فهم وسوء معتقد لأن قوله تعالى " الذين أسلموا " وصف للنبيين يبين ما كانوا عليه ، وليس للاحتراز من أنبياء غير مسلمين فالوصف هنا للبيان لا للاحتراز . وذلك لأن الدين عند الله الاسلام " ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين " (١) فكيف يبتغ هؤلاء الانبياء غير الاسلام ديناً ومن ابتغى سواه فهو من الخاسرين .

ذلكم احوال نظرتة الى الايمان والى الاسلام ونظرتة الى موقع دعوتة المزعومة من الاسلام .

وبعد أن الزمت نفسي بقراءة كثير من كتبه والردود عليه ظهر لي رأى فيه وفي دعوتة لم أجد من أظهره وأبرزه عند الحديث عنه ولعل ما توصلت اليه يكشف جانباً من أهداف دعوتة الباطنية فلئن كان يقف خلف الباطنية الأولى اليهودى عبد الله بن سبأ فلعل ابن سبأ نصرانى يقف خلف دعوة الباطنية فى العصر الحديث وما أكثر السبائين خاصة اذا علمنا أن الافساد (٢) البريطانى كان وراء الدعوات الباطنية فى العالم الاسلامى كالقاديانية والبابية والبهائية وكل ما من شأنه نشر الاحاد والفساد فى العالم الاسلامى بل وزرع اليهود فى أرض المسلمين .

أعود فأقول اذا علم هذا فليس بمستغرب أن يقف هؤلاء أو غيرهم من " سبائيه " النصرانى خلف دعوة محمود طه . ذلكم أن الدعوة الاسلامية تقوم على الوجدانية لله سبحانه وتعالى وتختلف عنها

(١) سورة آل عمران الآية : ٨٥

(٢) ويسميه بعض الناس " الاستعمار " وما هو بذاك .

عقيدة النصارى فنقوم على عقيدة " التثليث " واذا نظرنا بتأمل الى عقيدته محمود طه هذا وجدناها تقوم على " الثنائية " فى كل شىء وكأنها تريد أن تشكك فى الوجدانية فتستعد للتثليث وجاءت الثنائيه هذه فى كثير من عقائد الجمهوريين هؤلاء .

فجاءت الثنائيه بزعم وجود الهين واحد فى السماء وآخر فى الأرض واله الخير واله الشر وان الله والرحمن الهان متحدان فى واحد وقال بوجود ذاتين ذات قديمه وذات حادثه وارادتين واحده للخير وأخرى للشر وان الله واحد وله شركاء فى نفس الوقت .^(١)

وجاءت بزعم أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو " الرسالة الاولى " وما سيأتي بأنه " الرسالة الثانية " وهو يكتب ويشرح عقائد الرسالة الثانية وكأنه النبى الذى جاء بها ؟!

وجاءت بزعم أن الاسلام اسلامان اسلام أولي هو اسلام الأعراب الذين قالوا آمنا ورد عليهم القرآن " قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم " ^(٢) ثم الايمان الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم يليه الاسلام الثانى ، وهو الذى حان وقته فى هذا العصر فالاسلام اسلامان .^(٣)

وجاءت الثنائيه بزعم أن للقرآن الكريم معنيان معنى ظاهر ومعنى باطن .

(١) جريدة المدينة العدد ٥٦٣٤ مقال " دجال السودان " بقلم

سعد حسن لطفى ص ٨ الجمعة ١١/٨/١٤٠٢ هـ

(٢) سورة الحجرات : من الآيه ١٤

(٣) رسالة الصلاة : محمود محمد طه ص ٨٣

وجاءت الثنائيه في مفهوم الصلاة فالصلاة بالمعنى القريب هـى الصلاة الشرعية ذات الحركات المعروفه (١) وهى الذى يمر بمرحلة الايمان الذى هو مرتبة الأمة الأولى فالصلاة الشرعيه فى حقه فرض له أوقات يؤدى فيها وحين يرتفع السالك الى مرتبة الأصاله ويخاطب بالاستقلال عن التقليد وينتهى ليأخذ صلاته الفرديه من ربه بلا واسطه تأسيساً بالمعصوم . . . فهو حينئذ لا تسقط عنه الصلاة وانما يسقط عنه التقليد ويرفع من بينه وبين ربه بفضل الله ثم بفضل كمال التبليغ المحمدي الحجاب الأعظم . . . الحجاب النبوي (٢)

ولتوضيح هذه العبارات أقول أن عقيدته تقوم على أن أمه المؤمنين هم أمة التقليد فهم يتلقون الأوامر الالهيه بواسطه النبي أما أمة المسلمين فهم كالأنبياء يتلقون من الله مباشرة فهم أمة التلقى فاذا انتقل الانسان من التقليد وسقط عنه ماسماه " الحجاب الاعظم " حجاب النبوه ؟! أصبح يتلقى الأوامر من ربه مباشرة وأصبح فى حدود الشريعة الفرديه وخرج من الشريعة الجماعيه " وتكون شريعتة الفرديه من الله بلا واسطه فتكون له شهادته وتكون له صلاته وصيامه وزكاته وحجه ويكون فى كل أولئك أصيلاً " (٣) وله بعد ذلك أن لا يفعل شيئاً من هذه العبادات لأنه بزعمهم يتلقى الأوامر من الله مباشرة ومن الذى يستطيع أن يحتج عليه بتشريعات أمة التقليد ؟! ولهذا عرف عن محمود طه هذا أنه لا يصلى ؟! وليس هذا بمستغرب منه .

(١) المرجع السابق : ص ٧٤
(٢) المرجع السابق : ص ٨٤ - ٨٥
(٣) المرجع السابق : ص ٧٨

وجاءت الثنائية بمفهوم العقل فالعقل عنده عقلان العقل الواعي
والعقل الباطن^(١) ، فالعلم عنده علمان : علم الظاهر وهو علم آيات
الآفاق وعلم يقين وهو علم آيات النفوس وهو لا بدآت ولكن الوقت
بطبيعة الحال طرف فيه وهو لم يجيء بعد ذلك بأن " حكم الوقت"
فيما مضى من تاريخ البشرية لم ينضح ليقتضي بمثل هذا اليقين
وانه لآيات لا ريب فيه وبمثل هذا اليقين يجيء العلم الذي هو سبب
الرزق .^(٢)

وجاءت الثنائية بمفهوم الساعة قال محمود طه " والساعة ساعتان
ساعة التعمير وساعة التخريب وفأما ساعة التعمير فهي لحظة
مجيء المسيح ليرد الأشياء الى ربها حسا ومعنى وليملأ الارض عدلا
كما ملئت جورا . . . يومئذ يظهر الاسلام على جميع الأديان
وأما ساعة التخريب فهي لحظة مجيء المسيح للمرة الثانية ليرد
الأشياء الى الله حسا وقد أبطأ المعنى وذلك " يوم نطوى
السماء كطي السجل للكتب . . . كما بدأنا أول خلق نعيده . . . وعدا
علينا . . . انا كنا فاعلين^(٣) " والساعتان منضويتان في بعضهما
في سياق القرآن فهو عندما يقول " الساعة " انما يعنى المعنى
القريب للساعة وهي ساعة التعمير والمعنى البعيد للساعة وهي
ساعة التخريب وانما يقع التمييز بينهما عند القادرين عليه بفضل
الله ثم بفضل التفريد في التوحيد .^(٤)

(١) رسالة الصلاة : محمود محمد طه ص ٣٢

(٢) الدين والتنمية الاجتماعية : محمود طه ص ١٤ - ١٥

(٣) سورة الأنبياء الآية رقم : ١٠٤

(٤) القرآن ومصطفى محمود والفهم العصري : محمود محمد طه ص ١٨٠

وجاءت الثنائيه أيضا فى الزواج وهما عنده : - الزواج فى
الحقيقة والزواج فى الشريعة وقال عامله الله بعدله عن الزواج فى
الحقيقة أنه زواج الانسان الكامل بالله ، وقال " وتكون ثمرة علاقه
بين الذات القديمة وزوجها - الانسان الكامل - المعارف اللدنيه" (١)
أما الزواج فى الشريعة فهو الزواج المعروف بين الرجل والمرأه .

وإذا ضمنا الى هذه المبادئ تقسيمه الاسلام الى قسمين " مرحلة
الايمان " الرساله الأولى " ومرحلة الاسلام " الرساله الثانيه
وقوله " فأما مرحلة الايمان - ويقصد بها دعوة الرسول صلى الله
عليه وسلم - فهى مرحلة أقرب الى بدائية اليهود ومرحلة الاسلام -
ويقصد بها دعوته - فهى أقرب الى روحانية النصرانية " (٢) .

فإذا قارنا بين عقيدة النصارى فى أن الله هو المسيح عيسى ابن
مريم واعتقاد هذا الدجال ان الله هو الحقيقه المحمدية أى الانسان
الكامل واعتقاد النصارى أن الله هو زوج مريم واعتقاد الدجال أن الله
زوج نساء البشر تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

وإذا ضمنا هذا الى ذاك فان علاقه تبدولي واضحه ان هناك
قوى نصرانيه ذات نفوذ تقف خلف هذا الدجال خاصة اذا علمنا
أن أحد العلماء صرح بأن موظفي الاذاعه والتليفزيون قالوا له أنهم
يؤيدونه ضد الدجال وأنهم يكرهونه ولكنهم موظفون ويخافون على
وظائفهم وقالوا له بصراحه أن الحكومه السودانيه أعطت الدجال حصانه
وجعلته فوق القانون فلا يحاكم ولا ينشر أو يذاع نقد لدعوته " (٣) .

(١) تطوير شريعة الأحوال الشخصية : محمود محمد طه ص ٥٩ - ٦٠
(٢) القرآن ومصطفى محمود والفهم العصرى : محمود طه ص ١٦٨
(٣) جريدة المدينه : العدد ٥٦٣٤ مقال " دجال السودان " بقلم
سعد حسن لطفى ص ٨ الجمعه ١١/٨/١٤٠٢هـ

قال هذا فى فترة من الفترات لكنه حوكم قبلها عدة مرات وخكم عليه بالرده ومع هذا فلم ينفذ شىء من هذه الاحكام . وهو الآن بحمد الله فى سجون السودان بعد اعلان تطبيق الشريعة الاسلاميه وما زلنا ننتظر تطبيقها عليه وعلى أتباعه .

نماذج من تفسيره :

ولم يعمد زعيم الجمهوريين الى تفسير القرآن الكريم آية آية ولا فى سورة كاملة منه ، انما تناول آيات تعرض له أثناء عرض الحاده فيلحد بها وفق آرائه الزائغه واتجاهه الضال .

وليس بمستغرب ذلك منه فهذه سيرة سلفه الباطنيين لا يتأتى لهم أن يفسروا القرآن كاملا وفق نظرياتهم مهما أوتوا من الجرأة على التحريف والتبديل فى معانيه وقد يجدون أنفسهم بعد هذا بحاجه الى الزعم بتحريف القرآن فيلجأون اليه . أو يعرضون عن تفسيره كاملا فيريحون ويستريحون .

وليس من السهل وقد يكون ليس فى الامكان استخراج منهج كامل لسالك هذه الطريقه فى تفسير القرآن الكريم وانما يمكن فيما أرى رسم خطوط عريضه لطريقته فى التفسير .

فإن كان الأمر كذلك فأنى أحسب الخطوط العريضه لطريقة محمود طه هذا فى تفسير القرآن الكريم لا تختلف اختلافا كبيرا عن سلفه الباطنيين .

فهو مثلا لا يلتزم تفسير القرآن الكريم بالمأثور فى شتى أنواعه من تفسير القرآن بالقرآن أو بأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم أو أقوال أصحابه رضى الله عنهم أو أقوال التابعين رحمهم الله تعالى .

ويفسر القرآن الكريم بما يخالف قواعد اللغة العربية
وأحيانا بما يتعارض معها .

ويقول بالتفسير الباطني للقرآن الكريم ويأتي من المعاني لآيات
القرآن الكريم على ضوء هذا المعنى عنده بما لا يستند الى كتاب
ولا الى سنة ولا الى لغة .

ويستشهد بأقوال غلاة الصوفية ويورد أقوالهم ويعتقد بوحدة
الوجود .

هذا كله مع الآراء والاعتقادات الجديدة التي جاء بها والتي
أراد أن يفسر بها شريعة الاسلام بما زعمه تطوير الشريعة وما أدخله
من عقائد زعمها عقائد الاسلام وما هي الا عقائد الكفر والضلال
ولعلني أذكر بعد هذا أمثلة من هذه التفاسير الضالة .

ثالثه الاله :

قلنا آنفا أنه يعتقد بالثنائية حتى في الاله الذي اتفق
المسلمون على وحدانيته فهو يعتقد أن الرحمن هو الاله الأرض وأن
الله هو الاله السماء وهما الاله واحد فقال في تفسير قوله تعالى
" وهو الذي في السماء الاله وفي الأرض الاله وهو الحكيم العليم"^(١)
: - " فاله الأرض الاله الاراده . . . واله السماء الاله الرضا . . الاله
الأرض الرحمن . واله السماء الله . . وانما هو الاله واحد "^(٢) .

(١) سورة الزخرف : الآيه ٨٤

(٢) تطوير شريعة الأحوال الشخصية : محمود طه ص ٢١

وقال " اسم الله يطلق على معنيين أيضا معنى بعيد وهو ذات الله الصرفة وهي فوق الأسماء والصفات ومعنى قريب وهو مرتبة البشر الكامل الذي أقامه الله خليفة عنه في جميع العوالم وأسبغ عليه صفاته وأسماءه حتى اسم الجلاله (!) فكلمة الله حيث قيلت تشير الى هذين المعنيين " (١) وأكد هذا القول في موضع آخر حيث قال " الله هو الانسان الكامل (!) الذي ليس بينه وبين ذات الله المطلقه أحد وهو بين الذات وبين سائر الخلق وهو الذي يتولى حسابهم نيابة عن الله وهذا الانسان الكامل المسمى الله هو المعنى في المكان الأول بقوله تعالى " هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة " (٢)

مقد فسر هذه الآيه في مواضع عديدة من كتبه ومؤلفاته فقال " هل ينظرون " الأشاره هنا الى الكافرين والمنافقين والمعنى : ما ينتظرون قوله " الا أن يأتيهم الله " يعنى " الانسان الكامل " يعنى "الحقيقه المحمديه " قوله " فى ظلل من الغمام " يعنى يأتيهم مجسدا في الدم واللحم وتلك اشارة لمجىء المسيح وقوله " والملائكه " اشارة الى أعوان المسيح . . قوله " وقضى الأمر " اشارة لسرعة مجيئه . . قوله " والى الله ترجع الأمور " اشارة الى الكمالات التى تظهر بمجىء المسيح وأعوانه . وهى الكمالات التى بها تملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا " (٣)

-
- (١) جريدة المدينة : الرسالة الثانية مستمدة من الفكر الكنسي المحرف بقلم سعد حسن لطفى العدد ٧٦٨ هـ فى الجمعه ٢٣/٣/١٤٠٣ هـ
عن كتاب رسائل ومقالات : محمود طه ص ٢٦
(٢) المقال السابق : عن كتاب رسائل ومقالات : محمود طه ص ٢٩
(٣) القرآن ومصطفى محمود : محمود طه ص ٤٥

وإذا تأملت بعد ذلك في أقواله رأيت ما هو أعجب وأعجب
فهو يقرر في أحد كتبه " كما كانت عقيدة التعدد عقيدة اسلاميه
وكلاهما قد كان مرادا . ومرضيا من الله " ^(١) ويقول " قد مرّ
وقت كانت فيه عبادة الصنم عند الله وذلك بحكم الوقت " ^(٢)!

وقال أيضا عن الطائفة المتولدة عن انفلاق الذرة " هذه القسوة
الهائلة هذه الطائفة ارادة الله . . هي الله " ^(٣) وله نصوص
أخرى كثيرة من هذا النوع . مما يدل على انحراف عقيدته
وتخبطه وضلاله .

ومن تخبطه أيضا قوله " انك ان اشركت بالله غيره فأنت ضال
وان نزهته عن الشريك فأنت ضال " ^(٤) ويقول " ان الله تبارك وتعالى
قد خلقنا على صورته " ^(٥) وقال عن الله عز وجل " فهو لا يسمى
ولا يوصف ومن ثم لا يعرف . . ولولا أنه تقييد في منزلة الاسم
" الله " لما كان اليه من سبيل " ^(٦) وقال " انه من الكفر
أن ننفي النقص عن الله لأن تصورك للنقص ذنب في حد ذاته " ^(٧)
وقال " ان اسماء الله هي قيد والله لا قيد له ولذلك فان
ذكر الأسماء لله كفر صريح " ^(٧) .

-
- (١) الدين والتنمية الاجتماعيه : محمود طه ص ٤
(٢) القرآن ومصطفى محمود والفهم العصري : محمود طه ص ١٦٨
(٣) الدين والتنمية الاجتماعيه : محمود طه ص ٧
(٤) القرآن ومصطفى محمود : محمود طه ص ٣٨
(٥) المرجع السابق : ص ٤٢
(٦) المرجع السابق : ص ٤٤
(٧) جريدة المدينة : العدد ٥٧٦٨ الجمعة ١٤٠٣/٣/٢٣
مقال الرسالة الثانية : سعد لطفى ص ١٠

الصلاة :

وله فهم جديد لكلمة موقوتا من قوله تعالى " ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا " (١) فهو يعقد بحثا عنوانه " الصلاة بين المؤمنين والمسلم " ويعنى بالمؤمن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وبالمسلم أتباعه ويقول " ماذا يكون من أمرآيه " ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا " فأسمع اذن . . المقصود هنا الصلاة الشرعية و " كتابا موقوتا " يعنى فرضا له أوقات يؤدي فيها و " على المؤمنين " مرحلة أمة البعث الأول وهي الأمة التي تعيش في أخريات (كذا) أيامها وقد نذبت لتواصل سير ترقيا وتطورها الى " أمة المسلمين " .

الى ان قال " ويصبح شأن الآيه " ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا " مع المسلم الذي يمر بمرحلة الايمان الذي هو مرتبة الأمة الأولى أن الصلاة الشرعية في حقه فرض له وأوقات يؤدي فيها ، فاذا ارتقى بحسن أدائها بتجويده تقليد المعصوم حتى ارتقى في مراقبي الايقان . . حتى بلغ حق اليقين وسكن قلبه واطمأنت نفسه فاسلمت طالعة المعنى البعيد لكلمه " موقوتا " في الآيه " ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا " وذلك المعنى في حقه هو ان الصلاة الشرعية فرض له وقت ينتهى فيه وذلك حين يرتفع السالك الى مرتبة الأصالة ويخاطب بالاستقلال عن التقليد ويتهيأ لياخذ صلاته الفرديه من ربه بلا واسطه (! !) تأسيا بالمعصوم . . . فهو حينئذ لا تسقط عنه الصلاة وانما يسقط عنه التقليد ويرفع من بينه وبين ربه بفضل الله ثم بفضل كمال التبليغ المحمدي الحجاب الاعظم الحجاب النبوي " (٢)

(١) سورة النساء : من الآيه ١٠٣

(٢) رسالة الصلاة : محمود محمد طه ص ٨٤ - ٨٥

ولا تفهم من قوله " فهو حينئذ لا تسقط عنه الصلاة " أنه لا يسقطها بل هو يسقط الصلاة المعروفه ذات الحركات والقيام والركوع والسجود عمن ارتقى من درجة الايمان الى درجة الاسلام والا فما معنى قوله ان الصلاة الشرعيه فرض له وقت ينتهي فيه وذلك حين يرتفع السالك الى مرتبة الأصاله "

فالصلاة الشرعيه صلاة المقلدين أما صلاته هو فصلاة الأصاله ولكل فرد صلاته الخاصة التي يتلقاها عن ربه مباشرة كما يزعمون وهذا ولاشك منتهى الكيد للاسلام والمسلمين كيف لا وهم يريدون هدم عموده .

الزواج :

وقد احترت في اختيار عنوان لهذا البحث ذلكم أنه تحدث فيه عن الذات الالهيه ، وأنها هي النفس الواحده ١١ وتحدث عن الزواج في الحقيقة والشرعيه وزعم زواج الله بالانسان والعياذ بالله وعن حطيئه آدم وأنها الزنا بحواء قبل أن تباح له في الشرعيه ١٢ كل هذه وغيرها مما أهد في هذا المبحث وأخترت له العنوان الذي اختاره له صاحبه لاشيء الا لتنظر تشتت الأفكار في مؤلفاته .

ففى تفسير قوله تعالى " يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء " الآية (١) قال : - " وهذه النفس الواحده هي فى أول الأمر وفى بدء التنزل نفس الله تبارك وتعالى - هي الذات القديمه التي منها تنزلت الذات الحادثه وتلك هي الانسان الكامل (الحقيقة المحمديه) والانسان الكامل هو أول قابل لتجليات أنوار الذات القديمه - الذات الالهيه - وهو من ثم زوجها . . وانما كان الانسان الكامل زوج الله لأنه انما هو فى مقام العبوديه . . ومقام العبوديه مقام انفعال فى

(١) سورة النساء : من الآية الاولى .

حين أن مقام الربوييه مقام فعل . . فالرب فاعل والعبد منفعل
ثم تنزلت من الانسان الكامل زوجته فكان مقامها منه مقامه هو من
الذات فهي منفعله وهو فاعل . . وهذا هو في الحقيقه مستوى
العلاقة " الجنسيه " بين الرجل والمرأه وحين تكون
انجاب الذريه هو نتيجة العلاقة " الجنسية (بيننا وبين نساءنا
" وبث منهما رجالا كثيرا ونساء " تكون ثمرة العلاقة بين الذات
القديمة وزوجها - الانسان الكامل - المعارف اللدنيه " (١)

ثم تحدث عن الزواج في الشريعة بعد أن أفاض الحديث عن
الزواج في الحقيقه فقال " أسلفنا القول عن الزواج في الحقيقه
وندخل الآن على الزواج في "الشريعة" ونبدأ بأن حواء قد كانت زوج آدم
في الحقيقه " يا أنها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحده
وخلق منها زوجها " ففي هذا المقام فان النفس الواحده هي نفس
آدم الانسان الكامل الذى أقيم مقام الخلافه وانما كانت حواء
زوج آدم في هذا المقام لأنها تنزل عنه " وخلق منها زوجها " فهي
انبثاق نفسه عنه خارجه . . ثم انه لما كان آدم أول رسول شريعة
من رسل التوحيد فقد أراد الله له ولزوجه أن يكونا زوجين في
الشريعة . . ومن أجل ذلك فقد نهاه أن يتصل بها قبل أن تحلل
له بالشريعة والى ذلك الاشاره بقوله " ولا تقربا هذه
الشجره فتكونا من الظالمين " وقد جاءت هذه الاشاره في
سياق هو في غاية الامتاع والروعه يقول تعالى فيه " ويا آدم اسكن
أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا
من الظالمين فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما وورى عنهما من

(١) تطوير شريعة الأحوال الشخصية : محمود محمد طه ص ٥٩ - ٦٠ باختصار

سوءاتهما وقال : مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين
أو تكونا من الخالدين وقاسمها انى لكما لمن الناصحين " (١) الآيات . . .
قوله " ويا آدم " يعنى الخليفة يعنى الانسان الكامل " اسكن أنت
وزوجك " يعنى زوجك في الحقيقه " الباطنه " والتي سيتم اقترانك
بها في شريعتك " الظاهره " فتنطبق بذلك الصنيع شريعتك وحقيقتك
وظاهرهك وباطنك . . . ولكن قبل أن يتم هذا الاقتران الشرعى يجب
أن لا تقربها وقد وردت الاشاره اللطيفه الى ذلك بقوله " ولا تقربا
هذه الشجرة " فانكما ان تفعلوا تكونا من الظالمين " المعتدين على
حدّ الشرع . . . وهذه اشاره الى أول الشرائع التي بدأ الانسان
يرتفع بها في مراقبي النفوس وجاءت منظمه للغريزه الجنسيه
" والشجرة " هنا لها درجات من المظاهر أولها وأدناها لآدم نفسه
التي بين جنبيه . . . ثم هي في تنزلها عنه شهوه نفسه هذه الى
الجنس . . . ثم هي حواء . . . ثم هي شجرة التين فان شجرة التين
انما هي رمز النفس الأماره . . . وانما نهى عنها لئلا تقوى بأكلها
نفسه الحيوانيه فتتكثف وتغلظ فلا تطيعه على التصعد باتباع
الأمر الشرعي واجتناب النهى الشرعى فشجرة التين
هي الشجرة المعنيه في الظاهر فلما وقع الخلاف بأكلها تلاحقت
حلقات السلسله حتى وقع الخلاف بالماسه فتغشى زوجه بغير
شريعته (!!!) وحلقات هذه السلسله المتلاحقه طويت في عبارة
" فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما " والاشاره بقوله " بدت لهما
سوءاتهما " انما هي للأعضاء التناسليه فقد كانت محجوبه عنها بنور
البراهه والتقى فظهرت بظلام الاثم والمخالفه قوله " وطفقا يخصفان

عليهما من ورق الجنة " اشارة الى الحجاب الذى أملاه الخزى الذى صاحب الخطيئه " (١)

ويظهر فى تفسيره هذا تخبطه فى عقيدة الايمان بالله وتفسيره الباطنى الذى يصله بأصوله فرق الباطنيه وأحسب أن أمر بطلان هذا التفسير واضح بين لا يحتاج القارىء لمثل هذا البحث الذى ايراده لان ابطاله وهدمه معلوم من الشريعة بالضرورة وتنكره الاصول قبل الفروع .

الحجاب :

وهو يزعم أن الأصل فى الاسلام السفور وليس الحجاب ويقول " الحجاب ليس أصلاً فى الاسلام والأصل فى الاسلام السفور لأن مراد الاسلام العفه وهو يريد ها عفه تقوم فى صدور النساء والرجال لاعفه مضروبه بالباب المقبول والثوب المسدول " (٢)

ويفسر قوله تعالى عن آدم وحواء عليهما السلام لما أكلا من الشجرة وبدت لهما سواتهما " وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة " بقوله الذى نقلناه آنفاً " اشارة الى الحجاب الذى أملاه الخزى الذى صاحب الخطيئه وقد تحدثنا عن ذلك فى موضعه من كتابنا " الرسالة الثانية من الاسلام " تحت عنوان الحجاب ليس أصلاً فى الاسلام " (٣)

(١) تطوير شريعة الأحوال الشخصية : محمود طه ص ٦٤ - ٦٦ باختصار .

(٢) القول الفصل فى الرد على محمود طه : حسين زكى ص ١١٦ عن الرسالة الثانية : محمود طه ص ١٢٩

(٣) تطوير شريعة الأحوال الشخصية : محمود طه ص ٦٦

وإذا رجعنا الى الموضوع الذى أشار اليه وجدناه يقول هناك : -
" فأخذا يستران عوراتهما بورق التين يومئذ بدأ الحجاب فهو
نتيجة الخطيئة وسيلازمها حتى يزول بزوالها ان شاء الله -
هكذا يقول ويتمنى - ومن ذلك قوله تعالى (يابنى آدم قد أنزلنا
عليكم لباسا يوارى سؤآتكم) وهو يعنى قد خلقناكم وفرضنا عليكم
لبس ثياب القطن والصوف وغيرهما مما يوارى عوراتكم . . وقوله
(ولباس التقوى) يعنى التوحيد والعفة والعصمة المود وعه فى
(1) قلوبكم قوله (ذلك) يعنى لباس العفة (خير) من لباس القطن"

الاباحيه المطلقه :

ويستدل بقوله تعالى " ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات
جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا و عملوا الصالحات الآيه .
(2)
على الاباحيه المطلقه فيقول : - وكلما استقامت السيره ضاقت
لذلك دائره المحرمات وانداحت دائره المباحات على قاعدة الآيه
الكريمه (ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا
عليما " (2) فاذا استمر السير بالسائر الى نهايته المرجوه وهى تمام
نقاء السيره وكمال استقامة بالسيره عادة جميع الاعيان المحسوسه
الى أصلها من الحل وانطبقت الآيه الكريمه (ليس على الذين آمنوا
و عملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا و عملوا الصالحات
(3)
ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين " .

(1) القول الفصل في الرد على محمود طه : حسين زكي ص ١١٦

(2) سورة المائدة : من الآيه ٩٣

(3) سورة النساء : من الآيه ١٤٧

واستدل لاله هذا ينسب عن جهل تام بأسباب النزول وتحريف
لآيات الله ذلكم أن هذه الآية نزلت فيمن شرب الخمر من
المؤمنين ومات قبل تحريمها فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما
" لما نزل تحريم الخمر قالوا يا رسول الله فكيف بأصحابنا الذين
ماتوا وهم يشربون الخمر ؟ فنزلت " ليس على الذين آمنوا
وعملوا الصالحات جناح " الآية " (١)

وما كنت لأرد عليه لولا أن هذه الشبهة قد تلبس على بعض
الأبصار فأردت بيان حقيقتها ، والا فقد جاء بما هو أعظم فريه وأكثر
انحرافا والحادا ولم أعمد الى الرد عليه لأن الحق فيه واضح معلوم
بالضرورة من الشريعة التي يزعم الانتساب اليها .

الظلم :

وقد ورد عن المصطفى صلى الله عليه وسلم تفسير الظلم
في قوله تعالى " الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم
الأمن وهم مهتدون " ^(٢) بأنه الشرك . ولم يرتضى محمود طه
هذا التفسير مع علمه بوروده عن الرسول صلى الله عليه وسلم
وصحته وجاء بتفسير جديد قال " ولما نزل قوله تعالى " الذين
آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون " شق
على الناس فقالوا يا رسول الله أيننا لا يظلم نفسه ؟

(١) قال الاستاذ أحمد شاكر رحمه الله تعالى (اسناده صحيح رواه أحمد
في مسنده % ٢٠٨٨ ، ٢٤٥٢ ، ٢٦٩١ مطولا ، ٢٧٧٥ ، ورواه
الترمذي في السنن (كتاب التفسير) وقال هذا حديث حسن صحيح
ورواه الحاكم في المستدرک ٤ : ١٤٣ وقال هذا حديث صحيح ولم
يخرجاه " ووافقه الذهبي وقال : " صحيح " (تفسير الطبري

ج ١٠ ص ٥٧٧]

(٢) سورة الانعام : الآية ٨٢

فقال انه ليس الذى تعنون . . . الم تسمعوا ما قال العبد الصالح
يابنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم" (١) فسرى عنهم
لانهم علموا أنهم لم يشركوا مذآمنوا . . . والحق أن المعصوم فسر
لهم الآيه فى مستوى المؤمن (!!) وهو يعلم أن تفسيرها فى
مستوى المسلم فوق طاقتهم ذلك بأن الظلم فى الآيه يعنى الشرك
الخفي على نحو ما ورد فى آيه سر السر (وعنت الوجوه للحى
القيوم وقد خاب من حمل ظلما" (٢) (٣)

ولا يخفى ما فى هذا التفسير من مخالفه لبيان الرسول صلى
الله عليه وسلم أما الزعم بأنه فسر لهم الظلم على مستوى المؤمن
ولم يفسره لهم على مستوى المؤمن فأمرباطل منكر لانه عليه
الصلاة والسلام جاء بدين واحد كامل الخطاب فيه لأول الامه
خطاب لآخرها بل جعل أصحابه هم القدوة التى يقتدى بهم ،
وما عدا ذلك فمحض افتراء .

المؤمن والمسلم :

ويقول فى تفسير قوله تعالى " وان تتولوا يستبدل قوما غيركم
ثم لا يكونوا أمثالكم" (٤) : - فيه اشارة لطيفه جدا الى أن المسلمين
الذين يجيئون بعد المؤمنين ثم يكونون خيرا منهم" (٥)

وبعد

هذه المامة سريعه لافكار محمود طه وتفسيراته الزائغه ، ولست

-
- (١) صحيح البخارى كتاب التفسير ج ٦ ص ٢٠ صحيح مسلم كتاب الايمان
ج ١ ص ١١٤ - ١١٥
(٢) سورة طه : الآيه ١١١
(٣) القول الفصل : حسين محمد زكى ص ٦٥ - ٦٦ عن الرسالة الثانية :
محمود طه ص ١٢٢
(٤) سورة محمد : الآيه ٣٨
(٥) الاسلام رسالة خاتمه لارسالتان : اعداد وزارة الشؤون الدينيه والاقاف
فى السودان عن الرسالة الثانية : محمود طه ص ١٢٦

بأول من صنفه مع الباطنية بل سبقنى الى ذلك علماء أعلام ممن رد عليه فقد قال الاستاذ سعد حسن لطفى مثلاً عن محمود طه " والدجال " محمود " من متطرفى الباطنية والمتصوفه " . (١)

وقال الأستاذ أحمد البيلى " لقد تبين لى من مجموعة الكتب والرسائل التى وضعها لشرح آرائه فوجدته يذهب مذهب الباطنيين فى تفسير الآيات على النحو الذى ادعاه من قبل البهائيه والقاديانيه وهما فرقتان خرجتا عن دائرة الاسلام وصارتا مستقلتين وان تمسح أتباعهما بالاسلام " (٢)

وفى موضع آخر قارن الاستاذ أحمد البيلى بين دعوة محمود طه وبين البابيه والبهائيه والقاديانيه ثم قال " مما سبق نرى أن الجمهوريين أخذوا من كل قرقة من هذه الفرق شيئاً وأطلقوا على هذا الخليط (الدعوة الاسلامية الجديدة) . (٣)

وغيرهما كثير ممن نسبته الى الباطنية أضف الى ذلك عقائده الباطله وتفسيراته الاحادييه وانكاره لأصول الدين وتشكيكه فى كثير مما هو معلوم من الدين بالضرورة كل هذا وغيره يدل على نهجه الذى سلكه وأمر الباطنية معلوم لا يخفى ، يلبسون لكل عصر لباسه " ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين " . (٤)

(١) جريدة المدينه : العدد ٥٦٣٤ مقال دجال السودان : سعد

حسن لطفى ص ٨

(٢) الاسلام رساله خاتمه لرسالتان : ص ٦٥

(٣) المرجع السابق : ص ٥٥

(٤) سورة الانفال : من الآيه ٣٠

وأختتم حديثي عنه بخبر نشرته جريدة المدينة المنورة عنوانه " استجابة لضغوط دينيه حظر الأنشطة العامة لدجال السودان " ونصه كما يلي :- " علمت المدينة أن السلطات الأمنية والدينيه فى السودان قد منعت الأنشطة والتجمعات العامه لجماعات - دجال السودان - محمود محمد طه الذى يسمى جماعته (بالجمهوريين) وكانت أنشطة هذا الدجال قد تواصلت بصورة مكثفه طيلة السنوات العشر الأخيره فى العاصمه السودانيه المثله وبقية المدن السودانيه الكبرى وخاصة عاصمة الاقليم الأوسط مدنى وهى مسقط رأس الدجال الذى بدأ حياته كمهندس رى بمشروع الجزيره ثم تحول الى الدجل والتحريف تحت زعم (الرسالة الثانية للاسلام) والذى قال أنه هو داعيتها الوحيد ، وكانت جهات سودانيه دينيه عديدة قد اشتكت من أنشطة هذا الدجال والذى استغل خطر السلطات السودانيه بالانشطة الحزبيه والطائفيه العامة وأخذ يجند (الشباب والشابات والصبايا والأحداث لخدمة دعوته بعهده أن يقوم بتهيئتهم وشحنهم بأفكاره التخريبيه ويدفع بهم الى الشوارع والطرقات والمقاهى والحدائق العامه ليلا ونهارا لتوزيع مطبوعاته الدجليه المنافيه للاسلام .

والمعروف أن القضاء الشرعى السودانى كان قد أصدر فى الستينات فتوى شرعيه أعلن فيها ردة الدجال محمود محمد طه عن الاسلام . هذا وقد قوبل القرار السودانى الأخير بترحيب كبير من جماهير المسلمين السودانيين كما أشاد كبار العلماء ورجال الدين بدور وجهد (جريدة المدينة) فى فضح أفكار الدجال المشبوه " (١) .

(١) جريدة المدينة المنورة العدد ٥٧٥٠ يوم الاثنين ٥/٣/١٤٠٣

بقى أن أقول أن نشاطه في السودان قديم فقد حدثنا الأستاذ محمد أمان بن علي الجامى في كتابه أضواء على طريق الدعوة الى الاسلام انه زار السودان في العطلة الصيفيه من عام ١٣٨٣ والتقى في عطبره في " دار النشاط الاسلامى " بمحمود طه هذا وكان يبيث أفكاره والحاده (١) .

أما الحكم عليه فقد حكم عليه بالرده من محكمة الخرطوم العليا الشرعيه وذلك يوم الاثنين ٢٧ شعبان ١٣٨٨ الموافق ١٨ / ١١ / ١٩٦٨ لكن المحكمه صرفت النظر عن البنود من نمرة ٢ الى نمرة ٦ من الدعوى التي أقامها ضده حسبة الاستاذ الامين داؤد محمد والاستاذ حسين محمد زكى وهى من الامور التي تتعلق وتترتب على الحكم بالرده (٢) .

ولهذا فلم يكن لهذا الحكم الاثر الذى ينتظره المسلمون ولعله ينفذ بعد أن أعلنت السودان تطبيق الشريعة الاسلاميه وفق (٣) الله العاملين المخلصين وحفظ الله الاسلام والمسلمين من كيد الأعداء ورد كيدهم فى نحورهم انه سميع مجيب .

(١) طريق الدعوة الى الاسلام : محمد أمان الجامى

ص ٨٢

(٢) انظر نص الحكم وما يتعلق به فى ملحق (الاسلام رسالة خاتمه

لارسالتان) نشر وزارة الشؤون الدينيه والاقواف - جمهورية

السودان الديمقراطيه ص ٨٣

(٣) حمدا لله كثيرا فقد تم بعد طباعة هذا البحث تنفيذ حكم الاعدام فى محمود محمد طه فى يوم الجمعة ٢٦ / ٤ / ١٤٠٥ الموافق ١٩ / ١ / ١٩٨٥ م وقد تصد ربيان رئاسة السجون عن تنفيذ حكم الاعدام فيه قوله تعالى ومن يرتد منكم عن دينه فيميت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والاخره وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون " وقول الرسول صلى الله عليه وسلم " من بدل دينه فأقتلوه " انظر جريدة الايام السودانية الصادرة يوم السبت ٢٧ / ٤ / ١٤٠٥ العدد ٤٦٠ / ١١ / السنه ٣٢ . وانظر جريدة الصحافة السودانية الصادرة يوم السبت ٢٧ / ٤ / ١٤٠٥ العدد ٦٤٤ / ٧

الزبيديه :

وهم أتباع زيد بن علي بن الحسين الملقب بـ " زين العابدين " وهو أخ لـ " محمد الباقر " الامام الخامس من الأئمة الاثنى عشر عند الشيعة .

وحين سئل زيد هذا عن أبي بكر وعمر رضى الله عنهم ما ترضى عنهما فانقسم الشيعة في زيد الى قسمين قسم رفضه فقال لهم رفضتموني ؟ فسموا رافضه ، وقسم وافقه فسموا زبيديه نسبة اليه (١) .

ثم ان الزبيديه انقسموا الى فرق ثلاث : -

- ١ - البتريه أو الصالحيه .
- ٢ - الجريريه أو السليمانيه .
- ٣ - الجارودييه .

فالبتريه :-

نسبة الى كثير النوى ، ويلقب بالأبتر ، ويسمون أيضا بالصالحيه نسبة الى الحسن بن صالح ابن حى ، واعتبرهما الشهرستاني فرقة واحدة لاتفاق مقالتهما (٢) .

وهم يعتقدون أن عليا رضى الله عنه كان أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولاهم بالامامه ، وأن بيعة أبي بكر وعمر ليست بخطأ ، لان عليا ترك ذلك لهما ، ويقفون فى عثمان وفى قتله ولا يقدمون عليه باكفار ، وينكرون رجعة الأموات الى الدنيا ولا يرون لعلى كرم الله وجهه - امامه الا حين يبيع (٣) .

(١) منهاج السنه : ابن تيميه ج ١ ص ٩ - ١٠

(٢) والملل والنحل : الشهرستاني ج ١ ص ١٦١

(٣) مقالات الاسلاميين : أبى الحسن الأشعري ج ١ ص ١٤٤

أما الجريرييه أو السليمانيه : -

فنسبة الى سليمان بن جرير الزيدى ، الذى أثبت امامة أبى بكر وعمر .
وزعم أن الامة تركت الأصلح فى البيعه لهما لأن عليا كان أولى بالامامه
منهما ، الا أن الخطأ فى بيعتهما لم يوجب كفرا ولا فسقا وأهل
السنه يكفرون سليمان بن جرير من أجل أنه كفر عثمان رضى الله عنه^(١)

أما الجارودييه :

فنسبة الى أبى الجارود . زياد بن أبى زياد ، وزعموا أن النبى
صلى الله عليه وسلم نص على امامة على بالوصف دون الاسم وزعموا أيضا
أن الصحابه كفروا بتركهم بيعة علي ، وقالوا أيضا أن الحسن بن على
كان هو الامام بعد على ثم أخوه الحسين كان اماما بعد الحسن
ثم صارت الامامه بعد الحسن والحسين شورى فى ولدى الحسن
والحسين فمن خرج منهم شاهرا سيفه داعيا الى دينه وكان عالما ورعا
فهو الامام . قال عبد القاهر البغدادى هذا قول الجارودييه ، وتكفيرهم
واجب لتكفيرهم أصحاب رسول الله عليه السلام .^(٢)

والبترية أو الصالحيه أقرب الفرق الزيديه الى مذهب أهل السنه ،
وأبعدهم عنه الفرقة الجارودييه ، حتى أن بعض علماء الشيعة يخرجوا
ما عدا الجارودييه من فرق الزيديه عن اسم التشيع .^(٣)

(١) الفرق بين الفرق : عبد القاهر البغدادى ص ٢٣ - ٢٤

(٢) المرجع السابق : ص ٢٢ - ٢٣

(٣) أوائل المقالات : محمد بن النعمان المفيـد

(من شيوخ الشيعة . ص : ٤٠)

وهآ أنت ترى أن الخلاف في مجمله بين فرق الزيدية الثلاث
انما هو في الامامه . وما يتعلق بها من أحكام ، أما ما عدا
ذلك فهم يوافقون المعتزله في الأصول لأن زيد بن علي تلقى
العلم على يد واصل ابن عطاء فاقتبس منه الاعتزال وصار أصحابه
كلهم معتزله كما يقول الشهرستاني (١) وان كان قوله هذا - فيما
أرى - تغليبا ، والا فالحق أنهم لا يوافقونهم تمام الموافقه ،
فمذهبهم مزيج من آراء أهل السنة والمعتزلة والخوارج والاثني
عشرية ، ويخالفون الشيعة الاثني عشرية في كثير من الآراء فهم
لا يتبرؤن من الشيخين ولا يكفرونهما ويجوزون امامتها (٢) وينكرون
التقيه (٣) والعصمة للأئمة والنص على الأئمة (٤) ويترضون عن
الصحابه رضی الله عنهم (٥) والذين يقولون خلاف ذلك
يخالفون امامهم زيد بن علي . وهذا هو رأى الزيدية الحقه أما
المتطرفه منهم والغاليه فهم الجاروديه كما ذكرنا ولذا فان البتريه
والسليمانيه يكفرون الجاروديه ، وكذا الجاروديه تكفر السليمانيه
والبتريه . (٦)

ومما أجمعت عليه الزيدية من آراء :

١ - قال عبد القاهر اجمعت الفرق الثلاث الذين ذكرناهم من الزيديه
على القول بأن أصحاب الكبائر من الأمه يكونون مخلدين في النار
فهم من هذا الوجه كالخوارج . (٧)

-
- (١) الملل والنحل : الشهرستاني ج ١ ص ١٥٥
(٢) المرجع السابق : ج ١ ص ١٥٥
(٣) الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم : محمد بن ابراهيم
الوزير اليماني ص ٤٩ - ٥٠
(٤) الامام زيد : محمد أبوزهره ص ١٨٨
(٥) الروض الباسم : محمد الوزير ص ٤٩ - ٥٠
(٦) الفرق بن الفرق : عبد القاهر البغدادي ص ٢٤
(٧) المرجع السابق ص ٢٥ ومقالات الاسلاميين : أبي الحسن الأشعري ج ١
ص ١٤٩

- ٢ - وأجمعوا على تصويب علي بن أبي طالب رضي الله عنه في حربه ،
وعلى تخطئه من خالفه . (١)
- ٣ - وأجمعت الزيدية على أن علياً رضي الله عنه كان مصيباً في تحكيمه
الحكمين وهما اللذان أخطأ وأصاب هو . (٢)
- ٤ - والزيدية بأجمعها ترى السيف والعرض على أئمة الجور وازالة
الظلم واقامة الحق . (٣)
- ٥ - وهي بأجمعها لا ترى الصلاة خلف الفاجر ولا تراها الا خلف
من ليس بفاسق . (٤)
- ٦ - وأجمعت على تفضيل علي على سائر أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعلى أنه ليس بعد النبي صلى الله عليه وسلم
أفضل منه . (٥)
- أما في الفروع فهم على مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى ،
الافى مسائل قليلة وافقوا فيها الشافعي رحمه الله تعالى والشيعة . (٦)

منهج الزيدية في تفسير القرآن الكريم :

ليس هناك من كبير فارق بين منهج الزيدية ومنهج أهل السنة
والجماعة الا الجارودية منهم فانهم أقرب الى الاثنى عشرية منهم الى
أهل السنة .

-
- (١) المرجع السابق : ج ١ ص ١٤٩
(٢) الملل والنحل : الشهرستاني ج ١ ص ١٥٠
(٣) (٤) (٥) مقالات الاسلاميين : أبي الحسن الأشعري
ص ١٥٠
(٦) الملل والنحل : الشهرستاني ج ١ ص ١٦٢

ولهذا فأنا - كما قال الشيخ محمد حسين الذهبي رحمه الله
الله تعالى : لانطمع بعد ذلك أن نرى للزيديه أثرا مميزا وطابعا
خاصا في التفسير كما رأينا للاماميه لأن التفسير انما يتأثر بعقيدة
مفسره ويتخذ له طابعا خاصا واتجاها معين حينما يكون
لصاحبه طابع خاص واتجاه معين ، وليست الزيديه - بصرف النظر
عن ميولهم الاعتزاليه - بمنأى بعيد عن تعاليم أهل السنه وعقائدهم
حتى يكون لهم في التفسير خلاف كبير . (١)

وإذا كان الذهبي رحمه الله تعالى لم يكذب يظفر بشيء من
تفاسيرهم الا تفسير الشوكاني رحمه الله تعالى المسمى " فتح
القدير " وتفسير آخر لآيات الأحكام اسمه " الثمرات الياضيه"
لشمس الدين يوسف بن أحمد ، وقال رحمه الله " هذا هو كل ما
عثرنا عليه للزيديه من كتب في التفسير " (٢) اذا كان الذهبي
رحمه الله تعالى قال هذا ومجاله أوسع زمنا ، وذهنه أوسع علما ،
فاني بحثت عن شيء من تفاسيرهم في القرن الرابع عشر مجال
بحثي ونقبت في بطون الكتب والأبحاث ورسألت أهل الذكر وأهل
العلم من أهل السنه والزيديه وغيرهم فلم يرشدني أحد منهم
الى كتاب في التفسير للزيديه ألف في القرن الرابع عشر الهجري .
وأرفع القلم هنا لانتظار تفسير جديد أو للاستمرار في البحث
والتنقيب علي أجد ما لم أعر عليه فيما مضى . وحينئذ أمسك
القلم كرة أخرى وبالله التوفيق .

(١) (٢) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبي

الباب الأول

الاتجاه العقائدي في التفسير

الفصل الثالث

منهج الإباضية في تفسير القرآن الكريم

الأباضية :

لا أريد أن أتحدث عن نشأة . فرقة الخوارج هنا لان انقـداح شرارتهم الاولى بعد التحكيم بين على ومعاوية رضى الله عنهما - أمر مشهور . هذا أولا ولانه لم يبق منهم فى وقتنا هذا أحد ، وهذا ثانيا . أما ثالثا فلأن الاباضية يرفضون كل الرفض وينفون كل النفسى نسبتهم الى الخوارج ويصفون " اطلاق لفظ الخوارج على الاباضية أهل الحق والاستقامة من الدعايات المغرضة التى نشأت عن التعصب السياسى أولا ثم المذهبى ثانيا لما ظهر غلاة المذاهب وقد خلطوا بين الاباضية والأزارقة والصفرية والنجدية فالاباضية أهل الحق لم يجمعهم جامع بالصفرية والازارقة ومن هنا نحوهم إلا انكار التحكيم بين على ومعاوية وهو رأى على قبل الضغط عليه بقبول التحكيم ولما كان مخالفونا لا يتورعون ولا يكلفون أنفسهم مؤونة البحث عن الحق ليقفوا عنده خلطوا بين الاباضية أهل الحق الذين لا يستبيحون مالا ولا قطرة من دم موحد وبين من استحلوا الدماء بالمعصية الكبيرة حتى قتلوا الاطفال تبعا لابائهم مع أن الفرق كبير جدا كالفرق بين المستحل والمحرم فماذا بعد الحق إلا الضلال " (١) .

لهذه الأمور نقتصر فى هذا الموضع على فرقة الاباضية وحدها وقد آثرنا ألا ننقل إلا من كتبهم أو ما طبع تحت اشرافهم أو ما لا ينكرون نسبه اليهم .

أما نسبتهم فالى عبدالله بن اباض بن تيم اللات بن ثعلبه من بنى مره بن عبيد رهط الأحنف بن قيس آل مقاعس التميمى ، كان من أهل العراق جاء الى الامام جابر بن زيد لأخذ العلم عنه وكان يناظره فى أموره وفى مهماته الدينيه وفيما يأتى منها وما يذر . (٢)

(١) الاباضيه بالجريد تأليف صالح باجيّه من مقدمة محمد حمد الحارثى

" أباضى " ص ٢

(٢) طلقات المعهد الرياضى فى حلقات المذهب الأباضى ، سالم بن حمود بن

وأما مركز المذهب الاباضي فقد كان في البصرة حيث نشأ فيها ثم
اتصل بعمان وقامت له بالمغرب دولة ، وامتد المذهب الى اليمن والى
خراسان والى مصر والى الجزيرة العربية . (١)

أما في وقتنا هذا فذكر السفير العماني في تونس أن مذهبهم الاباضي
منتشر في (المغرب والمشرق : فهم في مكة والمدينة والبصرة وخراسان
واليمن وحضرموت وعمان وافريقيه الشرقية) . (٢)

ولا أعتقد صحة انتشارهم في المناطق الست الأولى المذكورة أما
انتشارهم في افريقيه الشرفية فلعل الصحيح انهم في زنجبار وليس في كل
هذه المنطقة ، كما أنه لم يذكر لهم وجود في تونس والجزائر وليبيا
مع وجودهم في جبل نفوسه وزواره من طرابلس وجزيرة جربه من تونس
ووادي ميزاب بالجزائر . (٣)

هذا بالنسبة لنسبته ومركزه أما تاريخ ظهوره ففي القرن الأول من
الهجرة إذ أن عبد الله بن أباض كان معاصرا لعبد الملك بن مروان
(٢٦ - ٨٦ هـ) وكان بينهما مراسلات ولا يعرف لولادة أو وفاة عبد الله
ابن أباض تاريخ . (٤)

عقائدهم :

في معرفة الله :

قالوا " أن معرفة الله تبارك وتعالى واجبة بالعقل قبل ورود الشرع
فلما ورد الشرع زادها ايضاحا وأعلن ايجابها " . (٥) وقال أحد أئمتهم نظما

(١) المرجع السابق ص ٧٩ - ٨٠

(٢) الاباضيه بالجريد صالح باجيه مقدمة محمد حمد الحارثي (أباضي) .

(٣) مختصر تاريخ الاباضيه تأليف أبي ربيع سليمان الباروني ص ٢٧ (أباضي) .

(٤) المرجع السابق ص ٢٠

(٥) طلقات المعهد الرياضي في حلقات المذهب الاباضي سالمين حمود

ابن شامس السيابي ص ٩١ .

معرفة الباري من العقول .∴ فكيف بالسمع والنقول
ولا يجوز جهلها لجاهل .∴ طرفة عين عند ذى الدلائل (١)

أما فى الصفات فقالوا " لا يخفى على أهل العلم أن الله عز وجل
خاطبهم بلسانهم وحاورهم بما يجرى بمعقولهم ، فهم يفهمون الخطاب
من نفس القرائن قبل التحقق لفحوى الخطاب ، ولما تقرر فى الشريعة
أن الله عز وعلا مياين لمخلوقاته فى الذات والصفات والأفعال لم يعد
لهم وهم أوجهل فى شئ من وحى الله عز شأنه فان صفات المخلوق
تخالف صفات الخالق تبارك وتعالى فلا يرتبك الفهم العربى مهما كان
فى معرفة اللسان . فلذا لما كان الأخذ فى اللغة باليد ومراقبة الأشياء
المبصره بالعين وهكذا عبر الله تبارك وتعالى عن معانيها بمثل ما عبر
به عن نفس ما فى الانسان فقال " ولتصنع على عيني " (٢) فالعين فى
حق الله عز وعلا معروقه بأنها حفظه واليد مفهومه فى حقه قدرته
لما قدمنا من استقرار الفهم باستحالة صفة الانسان أن تكون صفة الرحمن
وهكذا بقية الصفات كالقبضه والاستواء والمجئ والجد والمكر والجنس
فان هذه عبارات يتخاطب بها البشر فيما بينهم فخاطبهم الله عز وجل
فيما بينهم واياه لاستقرار معانيها عندهم فى حق الله فلا يذهبون بها
الى غيرها وقد علموا ان الله جلت قدرته مياين لهم فى الأحوال كلها
كما وضع لهم ذلك فى قوله " ليس كمثله شئ " (٣) (٤)

(١) جوهر النظام فى علمى الأديان ج ١ ص ٦-٧ عبد اللهن حميد بن سلوم
السالمى .

(٢) سورة طه من الآيه ٣٩

(٣) سورة الشورى من الآيه ١١

(٤) طلقات المعهد الرياضى فى حلقات المذهب الأباضى سالم بن حمود

ابن شامس ص ٩٩ - ١٠٠

ثم قالوا " فمن حاد عن نهجهم فقد رمى نفسه فى لجه لا يرى خلاصه منها أبدا ، ومعنى جدّ الله عظمته وجنبه أمره كما صرح به العلماء والمكر عقوبته واستوى على العرش معناه القهر والغلبه . . ووجهه تعالى ذاته " (١) .

وقالوا " أنه موجود بغير مشاهدة ، قديم بلا بدايه أوجد منها نفسه دائم بلا نهايه ، حى قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، عالم بما كان وما يكون ، لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ولا يخفى عليه شىء فى الظلمات قادر بلا تكلف متكلم بلا لسان ، سميع بلا آذان بصير بلا حدقه ولا أجفان اله كل شىء وخالقه واليه منتهاه ، اخترع الخلق من غير مثال سبحانه من قادر حكيم يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد " . (٢)

انكار الرؤيه :

مذهبهم فى الرؤيه الانكار بشدة حيث قالوا " لا يخفى أن القول بالرؤيه يهدم التوحيد من أساسه ، ويقضى عليه من أصله فان الرؤيه توجب الحلول والله منزه عنه وتثبت التحيز ، وتقرر الظرفيه وتحقق التلون ، وتقضى بالجهه ونحو ذلك ، فهذه كلها قوادح فى صحة الألوهيه يتعالى الله عز وجل عنها ، ولم تبق صفة من الصفات الالهيه ثابتة على أساسها ولا قائمة على قواعدها ، فالذى ، يرى لا يصلح أن يكون ربا (!) فان الرؤيه للمخلوقات ، ورب الأرض والسموات منزه عنها ، والتكييف لا يليق بجلال الله وعظمته وهو من لوازمها والتمييز للذات العليه غير ممكن ، والقائل بالرؤيه مخطئ ، خطأ لا يغتفر أو يتوب الى الله ويستغفره ، وما ورد مثبتا لها

(١) طلاقات المعهد الرياضى سالم بن حمود بن شامس ص ١٠٠

(٢) المرجع السابق ص ١٠١

فقد أنكره المسلمون (١) وحكموا بوضعه ، فان أصله في دسائس اليهود لفهم الله (١) " (١) .
القرآن الكريم :

ترى الاباضيه أن القرآن مخلوق فقال أحد علمائهم المعاصرين : -
" الأباضية يقولون أن الله خالق كل شيء ، والقرآن شيء من الأشياء وقال تعالى " وخلق كل شيء فقدره تقديرا " (٢) والقرآن كما قلنا شيء من الأشياء ، وهو كلام الله خلقه الله وقدره بحسب الحوادث التي ستكون من العباد كما اقتضاها قضاؤه وقدره فان دلائل الحدوث في نفسه ظاهرة وهي شاهدة بخلقه ولو كان غير مخلوق لكان قديما ، ولو كان قديما لكان مشاركا لله في صفة القدم ، ولو شاركه في صفة القدم لتعددت القدماء ولو تعددت القدماء انتفى قدمه الخاص به الذي اتصف به فانه صار له فيه شركاء وهذا ظاهر الفساد ساقط الاعتبار ، ولو كان متكلمًا كخلقه لزم له ما يلزم لخلقه من اللسان التي هي آلة الكلام ولزم له أشداق وفم يخرج منه الكلام ، وهذا باطل عقلا ، ثم وصفه الله بأنه جاد في قوله عز وجل : (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون " (٣) ووصفه بأنه منزل من اللوح وكان حالا فيه والتنزيل صفة الحدوث ، وكونه حالا في اللوح ، فاللوح حادث ولا يحل في الحادث الا حادث عقلا وبديهي وهذه الصفات كلها تعطى معنى الحدوث ، ووصفه بأنه آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وصدورهم حادثات والحال في الحادث حادث قطعا ، لأن القديم منزّه عن الحوادث فالله

(١) طلقات المعهد الرياضي سالم بن حمود بن شامس العماني ص ١٠٧

(٢) سورة الفرقان : من الآية ٢

(٣) سورة الانبياء : الآية ٢

عز وجل لا يطرقه معنى الحدوث ولا يليق به تعالى والا لم تصح الصفات الكمالية له تعالى ، وكلام الله ليس على وتيرة كلام الخلق وان كان الكلام المعروف هو ما على المنهج المؤلف تتألف كلماته من الحروف ، فان الله جل جلاله خالق الحروف والأصوات والآلات التي بها يتكون ، والله مّزّه عن هذا كله قطعاً" (١).

مسألة الخلود :

يعتقد الأباضية أن " داخل النار من عصاة الموحدين مخلد فيها لا يخرج منها أبدا فهو في الخلود مثل داخل الجنة الا أن الموحّد أخف عذابا من غيره" (٢) وقال ناظمهم : -

ومن يمت على الكبير عذبا * وذاك في القرآن حكما وجبا

.....

لكنه في النار قطعاً يخلد * فهوبها معدّب مؤبّد

خروجهم في الذكر قد نفاه * ربّي فياويل لمن يلقاه (٣)

وقال أحد علمائهم المعاصرين : - " ان ثواب الله لعباده المؤمنين الجنة وان عقاب الله لأعدائه النار ، وان الجنة والنار لا يفنيان ، ومن اعتقد فناءهما كفر شركا ، لأن الله قال في الجنة : (خالدين فيها) وكذلك قال في النار والعياذ بالله منها في مئات من الآيات وصرح جل وعز بذلك فالثواب والعقاب أديان ، وكذلك ثبت في السنة النبوية ان قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم " اذا دخل أهل الجنة الجنة

(١) الحقيقة والمجاز : سالم بن حمود بن شامس "أباضي" ص ٢٧-٢٨
(٢) مختصر تاريخ الأباضية : ابي الربيع سليمان الباروني "أباضي" ص ٦٥
(٣) جوهر النظام في علمي الأديان والأحكام : عبد الله بن حميد بن سلوم "أباضي" ج ١ ص ١٢

وأهل النار النار جىء بالموت فيذبح بين الجنة والنار وينادى مناد يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود" (١) وعلى هذا عقيدة الأباضية متابعة القرآن وسنة المصطفى من آل عدنان صلى الله عليه وسلم ، ومن خالف هذه العقيدة متأولا فهو فاسق ضال منافق كافر نعمة ، ومن خالفها بغير تأويل فهو كافر شركا " (٢) .

مسألة الشفاعة :

ويرون أن الشفاعة لا تنال أصحاب الكبائر من الأمة المحمدية ولا ينالها الا من مات منهم على الوفاء والتوبة النصوح " (٣) .
قال أحد علمائهم نظما : (٤) -

ومن يمت على الكبير عذبا * وذاك فى القرآن حكما وجبا
ليس له شفاعه من أحد * من الورى حتى النبى أحمد

ارتكاب الكبيرة :

يطلق الأباضية على الموحد العاصى كلمة كافر ويعنون بها كافر النعمة ويجرون عليه أحكام الموحدين . فالكفر عندهم كفر نعمة ونفاق وهو هذا وكفر شرك وجحود وهو الذى يخرج الانسان من الملة الاسلامية . (٥)
فالعصاة من الموحدين عندهم " قد خرجوا من الشرك بلا اله الا الله محمد رسول الله ، وخرجوا عن المؤمنين بفعل المعاصى فان الرسول عليه الصلاة والسلام يقول " لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن (٦)

(١) صحيح البخارى كتاب التفسير ج ٥ ص ٢٣٦ وصحيح مسلم كتاب الجنة ج ٤ ص ٢١٨٩

(٢) الحقيقة والمجاز : سالم بن حمود بن شامس السيابى (أباضى معاصر ص :

(٣) مختصر تاريخ الأباضية : أبى الربيع سليمان البارونى (أباضى معاصر) ص : ٦٦

(٤) جوهر النظام فى علمى الأديان : عبد الله بن حميد بن سلوم (أباضى) ج ١ ص ١٢

(٥) مختصر تاريخ الأباضية : للبارونى "أباضى" ص ٦٦

(٦) رواه ابن ماجه فى سننه أبواب الفتن ج ٢ ص ٤٦١

الحديث ، وذلك فرع على قوله تعالى " وقالت الأعراب آما قل " لهم
يا محمد " لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم" (١)
ومعنى قولوا انا مسلمون بقولكم لا اله الا الله محمد رسول الله ، أما
الإيمان فلا لأنكم تفعلون ما لا يرضاه ، فأنتم باعترافكم بواحدانية الله حين
قلتم لا اله الا الله محمد رسول الله ، فهذا أسلمتم فحرمت دماءكم وأموالكم
الا بحقها وحسابكم على الله ، اما عفو واما عقاب " (٢)
وهم ينكرون ما قال به المعتزلة من أن مرتكب الكبيرة قد خرج من
الإيمان بكبيرته ولم يدخل الكفر لاقتراره بشهادة أن لا اله الا الله وانما
هو في منزله بين المنزلتين ينكر الأباضية هذه المنزلة حيث يقول ناظمهم
في " باب في الكفر " :

من لم يكن متقيا لله .: فهو أخوكفربلا اشتباه
لأنه ما بينهن منزله .: كذاك في القرآن ربي أنزله
وكشفه بأن تقسمنه .: للشرك والنعمة فأفهمنه (٣)

والخلاصة عندهم ان الدرجات عندهم ايمان ، كفر نعمه كفر شرك ،

الميزان والصراط :

ويرى جمهور الأباضية أن الميزان ليس بحسى والله غنى عن الافتقار
إليه وانما هو تمييز معنوى للأعمال " والوزن يومئذ الحق " (٤) كيف
والاعمال ليست بأمر محسوسه حتى توزن بميزان من نوعها والصراط أيضا
ليس بحسى وانما هو دين الله الحق وطريقه القويم فمن اتبعه فاز ونجا

(١) سورة الحجرات : الآية ١٤

(٢) جوهر النظام في علمي الأديان والاحكام : عبد اللمن حميد بن سلوم "أباضى"
ج ١ ص ١٤

(٣) طلاقات المعهد الرياضى سالم حمود بن شامس "أباضى" ص ٨٦

(٤) مختصر تاريخ الأباضية ص ٦٦ - ٦٧

ومن حاد عنه خسر وهوى ، ومن الأباضية من يجيزان يكون الميزان
والصراط حسيين . (١)

الولاية والبراءة :

تعتقد الأباضية أن كلا من الولاية والبراءة تنقسم الى قسمين
ولاية أشخاص وولاية جملة وكذا البراءة براءة الأشخاص وبراءة الجملة
قالوا " ولا يخفى ان الولاية والبراءة تجبان للأفراد كما تجبان للجماعة
ومن خصهما بالجماعة دون الافراد وقع فى قصور وتقصير . (٢)

ومن ولاية الأشخاص ولاية أم موسى وامرأة فرعون وكذلك مؤمن
آل فرعون والرجل الذى جاء من أقصى المدينة يسعى ،

وفى البراءة ما يقابل هؤلاء كالذى حاج ابراهيم فى ربه ، وكالذى
جاء فى قوله تعالى " الذى آتينا آياتنا فانسلخ منها " (٣) فهذه
أدلة واضحة كالشمس ولا توجد هذه الأحوال الا مع الأباضية " (٤)

هذا شأن الولاية والبراءة للأشخاص عندهم أما الولاية أو البراءة
للجملة ، فقالوا " لا يخفى أن وجوب الاستغفار للمؤمنين والمؤمنات موجب
لولايتهم اذ لا معنى للأمر بالاستغفار للمؤمنين والمؤمنات فى مثل هذا
المقام الا الوجوب ولا يصح الاستغفار لغير الولي " (٤) ولا يخفى أن البراءة
تجب من أهل المعاصى مطلقا سواء كانت كبائر كفر نعمه ، أو كبائر شرك
كما نص على ذلك القرآن واجماع المسلمين مطلق على ذلك ، والبراءة الشرعية
توجب البغض ، أى ان البغض ثمرة البراءة من أهل المعاصى مطلقا وكذلك
الشم اى شتم العاصى لعصيانه ولعن الكافر لكفره " (٥)

(١) مختصر تاريخ الأباضية ص ٦٦ - ٦٧

(٢) طلاقات المعهد الرياضى سالم بن حمود بن شامس ص ١١٢

(٣) سورة الاعراف من الآية ١٢٥

(٤) طلاقات المعهد الرياضى سالم بن حمود بن شامس ص ١١٨

(٥) المرجع السابق ص ١١٩

أما صورة الولاية فهي " أن يتولى المكلفون من تثبت ولايته وهو الطائع الوفي بما أمره الله فيحبونه لذلك ويستغفرون له ويساعدونه في شئونه الدنيوية من بيع وشراء وسائر المعاملات ، وأما البراءة فصورتها أن يتبرأوا من العاصي ويقطعون معاملته ويهجرونه بحيث يصير كأنه بمعزل عن العالم الى أن يتوب الى الله فاذا تاب وأقنع عن معصيته أعيدت اليه هذه الحقوق وعومل بما يعامل به سائر اخوانه " (١)

ولذلك وجد عندهم اصطلاحات الخطه والهجران والابعاد والطرده وهي " ألفاظ مترادف على معنى واحد وذلك متى أجرم واحد من أهل الطريق أو ظهرت عليه خزيه أو أتى بنقيصه في قول أو عمل فانه يهجره أهل الصلاح فلا يكلم ولا يحضر جماعه ولا يؤم ولا يؤاكل ولا يجالس وكانت خطه حالت بينه وبين أهل الخير فان تاب واستغفر قبل منه ورجع الى الجماعة وزال عنه شين ذلك الوسم ويكون بقاؤه في وحشه الهجران بقدر عظم الذنب وصغره وتوبة المجرم واصراره " (٢)

ولا يزال هذا الامر يطبق في بعض جهاتهم قال الاستاذ حافظ رمضان عن هؤلاء " لاتزال بقية هؤلاء في بلاد الجزائر وهم يعيشون على وتيره منظمه وتقاليد عريقه ولا تحكم بينهم محاكم الدوله واذا ما طلل مدين دأبته دخل المسجد وأعلن ذلك وحينئذ يقاطع الناس المدين فلا يسلمون عليه ولا يعاملونه حتى يوفى ما عليه " (٣)

وهو أيضا حال الميزابيين اليوم بالجزائر " فانهم مازالوا في تطبيق أحكام الولاية والبراءه " (٤)

(١) مختصر تاريخ الاباضيه أبو الربيع سليمان البارونى ص ٦٥

(٢) الاباضيه بالجريد : صالح باجيه ص ١٨٦

(٣) أبو الهول قال لى : حافظ رمضان ص ١٥٠

(٤) مختصر تاريخ الاباضيه : أبو الربيع سليمان البارونى

الإمامة :

قلت ان الأباضية ترفض كل الرفض انتماءها او نسبتها الى فرقة الخوارج ، مع أنهم يوافقون فرقة الخوارج في كل مواقفهم مما جرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ومع أن الخوارج لم يطلق عليهم هذا الوصف الا لمواقفهم تلك .

وعلى كل حال فالأباضية ترى أن عليا (رضي الله عنه) حين قيل بالتحكيم بينه وبين معاوية (رضي الله عنه) فانه بهذا قد خلع نفسه عن الامامة وولاها الحكمين على عهد الله وميثاقه ، ولهما أن يوليا من شاءا و يعزلا من شاءا وقد اتفق الحكمان على خلع علي واختلفا في تولية معاوية فولاه اياها عمرو بن العاص ولم يولها اياه أبو موسى الأشعري . وهم لا يرضون معاوية اماما في الدنيا فضلا عن أن يكون اماما للدين ، لذلك تسرعوا الى بيعة عبد الله بن وهب الراسبي المعروف بذي الثغنات ، ولما وقعت البيعة منهم له لزمته وحرمت تركها بغير موجب ، فاذا فعل الامام موجب فسخها لزم خلعها منها ، وان أصر عليها وجب على المسلمين قتاله ، وذلك كما اذا فسخ امامته أو جار أو ظلم أو ترك واجبا دينيا وذلك بعد تتويبه فاذا تاب قبل منه .^(١)

وهذا يتبين أن خروجهم على علي رضي الله عنه انما هو لقبول التحكيم وهم يعتبرون هذا القبول فسخا لامامته وفسخه لامامته يوجب عندهم خلعها وان أصر على الامامه وجب قتاله بعد استتابته .

ولا ريب بعد هذا أن تكون الامامه عند هؤلاء في منزلة كبرى وأصلا من أصولهم يضعون له ويبنون عليه الأحكام .

(١) الحقيقة والمجاز سالم بن حمود بن شامس ص ١٦ بتصرف .

ولذلك قالوا " وعندنا أن الامامة من الأصول لما صح عن عمر وغيره من الأمر بقتل من تعين نصبه اماما فأبى من قبولها (١) إلا أنها ليست مما يقدح تخلفه في صفة الله . فمعنى كونها من الاصول أنه لا يجوز الخلاف فيها " (١)

والامامة عندهم واجبه (ووجوب نصب الامام في الأمة معروف من الكتاب والسنة واجماع الأمة ألا ترى أن الصحابة اشتغلوا بعلاج قضية الامامة عندما تحققوا موت النبي صلى الله عليه وسلم لما يرون من لزوم أمرها فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يدفن بعد وهم في أمر الامامة وفي القرآن الأمر بالحدود في الزنى والخمر^(٢) والقذف والسرقه وقتل القاتل وقطاع الطرق وغير ذلك والمخاطب بذلك الامام ومن في معناه من سلطان وأمير وامام فان هذه القاب لا معول عليها بل المعول على العدل ولا يخفى ان الانسان لا يحكم على نفسه ، وليس له ان ينفذ حدا على غيره فضلا عن نفسه ما لم يكن اماما أو سلطانا عادلا . فان السلطان العادل ظل الله في أرضه سواء كان اماما أو أميرا أو خليفة أو سلطانا بحسب الاصطلاح قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " الحدود والجمعات والفيء والصدقات الى الأئمة " والمراد من هؤلاء كلهم العادل قال الله عز وجل لنبيه ابراهيم الخليل على الصلاة والسلام " انى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين " (٣) وكذلك الأمر في تعجيل امامه عمر رضى الله عنه لولا وجوبها كان لقائل أن يقول : ما حاجة على الامامة (كذا) وليترك الناس على ما هم عليه ولكنهم لم يتركوهم بل بايعوا بعد عمر عثمان بن عفان ثم بايعوا بعد عثمان

(١) مختصر تاريخ الاباضيه ابو الربيع سليمان البارونى (ص ٦٨) نقلا من شرح محمد ابن يوسف اطفيش للعقيدة .

(٢) ليس في القرآن حد للخمر فلعله سهو .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٢٤

على بن أبي طالب . وهكذا وبذلك اجتمعت الأمة على وجوب الامامة^(١) ولهم شروط في وجوب الامامة اذا توفرت الشروط وجبت الامامة ولهم شروط أيضا في الامام الذي تصح له البيعه .

أما شروط وجوب الامامة (فأن يكون أهل الحق^(٢) نصف عدوهم المتخوف منه أو أكثر ، ولهم ما يكفيهم من علم ومال وسلاح وكراع ، واذا عقدت الامامة لمن هو لها أهل لم يجزله تركها^(٣) ولم أجد بيان الحكم اذا كانوا أقل من نصف عدوهم .

أما شروط الامام ف (أن يكون ذكرا بالغاً عاقلاً عالماً بالأصول والفروع متمكناً من اقامة الحجج وازالة الشبه ذاً رأى وخبرة في الحروب شجاعاً ولو كان لا يباشرها بنفسه لا يلين ولا يفشل من أهوالها ولا يهاب اقامة الحدود وضرب الرقاب في سبيل الله ونصرة الحق واذا توفرت هذه الشروط في القرشي فهو أولى والا فغيره ممن رضيه أهل الحل والعقد من المسلمين ، ولا يفهم من هذه الشروط أن نصب الامام غير واجب اذا فقد شرط منها لا بل يتعين عليهم نصبه ولو كان دون هذه المنزلة اذ العبرة بالشروط الأساسية التي لا يشاد صرح الامام بدونها^(٣) .

قالوا " والقوة والعلم من ضروريات صفات الامام الذي يصلح أن يكون قائد أمة أو زعيم عامه فانه اذا كان ضعيفاً فان ضعفه يؤخره عن القيام بالواجبات التي تناط به والعلم هو الاساس الذي يجب على المسلم أن يمشى عليه ما عاش . . . وبالأخص أهل المناصب اذ تتوجه الى الامام حدود وولايه وبراءة وما اليها من جباية الزكاة وبيوت الأموال والقيام

(١) الحقيقة والمجاز بن حمود بن شامس ص ٢٣ - ٢٥ باختصار .

(٢) المراد بهم هنا الاباضيه .

(٣) مختصر تاريخ الاباضيه ص ٦٦ عن الشرح الكبير على العقيدة للشيخ محمد

ابن يوسف اطفيش .

بمصالح الأمة الى أشياء عديدة فينظر بالعلم من يقدم على العمل ومن يؤخر فان بالعلم يقوم الدين ولهذا أوجب الأباضية العلم في الامامة (١).

أما شرط القرشي فلا يقولون به بل قالوا " ان وجد المستقيم في قریش حسنت بيعته واذا بويع وجبت طاعته لا من حيث أنه قرشي بل من حيث أنه صالح فان المطلوب في الأمة الصلاح وهل لقریش مزيد فضل بدون الصلاح فان الله عز وجل أمر بالصلاح ودعا والواقع ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يول قریشا فقط وانما ولى من عدة قبائل في العرب ، وصحة الامامة أصل لصحة الولاية فانها فرع عليها ، وما جاز في الاصل جاز في الفرع ولم يجعل الله عز وعلا الأمر في أمه خاصة أو في قبيلة خاصة أو في بلد خاص " (٢).

بل يكفي ان يكون الخليفة متصفا بالفضيلة سائرا بموجب الكتاب والسنة لتصح خلافته فان انحرف عنهما أي الكتاب والسنة فقد تهور في أعماله ، ورجع القهقري ، ولا بد أن يكون تعلق بالهوى وخلع ريقه التقوى فلا يصح أن يبقى على هذا الحال اماما وليس من الحق أن نترك المنحرف عن واجب الكتاب والسنة لا عقلا ولا نقلا فيما علمنا " (٣)

وتجب طاعته ما دام على الحق والعدل شعاره فان جار في الحكم وخالف الحق ولم يتب جاز بل وجب الخروج عنه . (٤)

موقفهم من الصحابه رضوان الله عليهم :

ان الاباضيه يوالون أبابكر وعمر رضي الله عنهما ، أما الأول فقد كان " عاملا بما جاءت به النبوه تابعا لأوامرها قائما بما قامت به الأمة

(١) الحقيقة والمجاز ص ٢٢ - ٢٣
(٢) المرجع السابق ص ٢٥ - ٢٦
(٣) المرجع السابق ص ٢٦ - ٢٧
(٤) مختصر تاريخ الاباضيه ابو الربيع سليمان الباروني ص ٦٨

محافظة لسيرتها ، وذلك لم يفقد من النبي عليه الصلاة والسلام الا شخصه الكريم ونزول الوحي بعده .^(١) ومات والأمة الاسلامية كلمة واحدة راضية عنه عند موته .^(٢)

أما عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقد " سار مسيرة صاحبه وأعطى القوس باريها وأجرى الأمور مجاريها^(١) حتى مات شهيدا مبكيا عليه مأسوفا على مآثره وعلى سيرته المرضيه وأيامه الزاهيه البهيه .^(٣)

أما عثمان رضى الله عنه فليس له عندهم مثل منزلة صاحبه رضى الله عنهما ونذكر هنا ما يتعلق به رضى الله عنه من رسالة بعث بها امامهم عبد الله بن أباضى الى عبد الملك بن مروان قال فيها " قولوا عثمان فعمل ما شاء الله بما يعرف أهل الاسلام حتى بسطت له الدنيا وفتح له من خزائن الأرض ما شاء الله ثم أحدث أمورا لم يعمل بها صاحباة قبله وعهد الناس بنبيهم حديث فلما رأى المؤمنون ما أحدث أتوه فكلموه وذكروه بكتاب الله سنة من كان قبله من المؤمنون فشق عليه أن ذكروه بآيات الله () وأخذهم بالجبروت وضرب منهم من شاء وسجن ونفى^(٤) وقال أحد معاصريهم " فان كان عثمان على حق فالخارجون عليه المحاربون له ضالون بذلك تجب منهم البراءة ، فما لكم تقولون رضى الله عنهم وهم خارجون على امام الحق وان كان عثمان ظالما وخرجوا عليه لظلمه فمن الواجب القيام على الظالم حتى يرجع عن ظلمه الى أن قال " أما كون عثمان أمير المؤمنين وكل ما يفعله أمير المؤمنين من الحق والباطل مقبول عند الله وهو لذلك يجب أن يحترم . واذا كان كذلك فما بال مائة ألف سيف فى المدينة بأيدي المهاجرين والانصار الذين وصفهم الله عز وجل بالاستقامة

(١) طلقات المعهد الرياضى سالم بن حمود بن شامس ص ٧٣

(٢) مختصر تاريخ الاباضيه ص ١٥

(٣) مختصر تاريخ الاباضيه ص ١٦

(٤) المرجع السابق ص ٢١

(١) فى الدين لا تدافع عن الامام المحق فما لهؤلاء الناس لا يأتون بالحق
الذى يجب على كل مسلم أن يكون عليه " (٢)

أما على بن أبى طالب رضى الله عنه فهم يعتقدون أنه امام بالاجماع
بايعه المسلمون عن رضى به واختيار له من بين أقرانه لما يرون فيه المناسبة
لمنصب الامامه . . . وزاد على أقرانه الستة بكونه من بيت النبوة فهو العالم
العابد الزاهد الأمين الثقة التقى الذى سلم من الأهواء والتحيزات
العنصرية متجردا لله ، قائما بحقوق الله ، ثابتا على سلطان الله ، يتساوى
معه البعيد والقريب فى الحق لا تأخذه فى الله لومة لائم . وهذه هى صفة
على بن أبى طالب وهو لم يزل كذلك حتى دخل عليه داخل (٣) فى سياسته
ليضله عن طريقه وهو يعتقد فيه أنه يريد الحق ويدعو اليه وهو بطانة سوء
لعلى بن ابى طالب فلذلك أثر عليه ولا نعتقد فى على ما تعتقده
فيه الشيعة ، بل هو عيب من عباد الله وهو هكذا يقول وبسبب بطانته
السيئة وقع ما وقع . (٤)

أما خلاصة رأيهم فيه رضى الله عنه بعد ذلك فانهم يرون انه بقبوله

(١) أما وقد دعا الى الاتيان بالحق فانا نقول أن المئة ألف سيف السبي
بأيدى المهاجرين والانصار لم تغمد عبثا ولا تخليا عن عقيدة ولكنها
بعثت واحدا منها هو المغيرة بن شعبه رضى الله عنه الى عثمان وهو
محاصر تخيره بثلاثة أمور : اما أن تخرج فتقاتلهم فان معك عدا وقوة
وأنت على الحق وهم على الباطل ، واما أن تخرق لك بابا سوى الباب
الذى هم عليه فتقعد على راحلتك فتلحق بمكة فانهم لن يستحلوك وأنت
بها ، واما أن تلحق بالشام فانهم أهل الشام وفيهم معاويه . فقال عثمان
رضى الله عنه اما أن أخرج فأقاتل فلن أكون أول من خلف رسول الله صلى
الله عليه وسلم فى أمته بسفك الدماء ، واما أن أخرج الى مكة فانى سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يلحد رجل من قريش بمكة يكون عليه
نصف عذاب العالم فلن أكون أنا اياه ، واما أن ألحق بالشام فلن أفارق
دار هجرتى ومجاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم (رواه الامام احمد فى
مسنده ج ١ ص ٦٧ من مسند عثمان بن عفان رضى الله عنه . بل ان عثمان
رضى الله عنه كان ينهى أهل بيته عن تجريد السلاح ، اتمام الوفاء فى

سيرة الخلفاء محمد الخضرى ص ١٩٨
(٢) الحقيقة والهجاز سالم بن حمود بن شامس ص ٢١
(٣) يقصد : الأشعث بن قيس رضى الله عنه .
(٤) الحقيقة والمجاز ص ٢١ - ٢٢

التحكيم قد خلع نفسه عن الامامه وولاها الحكمين على عهد الله وميثاقه
أن يوليا من شاء^١ ويعزلا من شاء^١ فقد اتفقا على خلعه واختلفا فى
التولية له فولى أحدهما معاوية واجر نجم الثانى فلم يفعل شيئا
وافترقا على ذلك ، ولما رأى أولئك المؤمنون نهاية الواقع وما كانوا يرضون
معاوية اماما فى الدنيا فضلا عن أن يكون اماما للدين فلذلك تسرعوا
الى البيعة لعبد الله بن وهب الراسبى المعروف بذى الثغنات ، فلما
وقعت البيعة لزمتم وحرمت تركها بغير موجب^(١)

ولذا فهم يعتقدون أن البيعة انتقلت بعد على رضى الله عنه الى
عبد الله بن وهب الراسبى الذى بايعوه بعد التحكيم ،
" ولما بايعوه بعثوا الى أصحابهم مسرورين ببيعتهم مبتهجين برضاه
وقبوله على يقين واطمئنان أن على بن أبى طالب لا يعود يطالبهم بامامة
أو يدعيها " ^(٢)

ولكن عليا رضى الله عنه توجه الى عبد الله الراسبى وأباد جيشه
فى الفهروان وكان عبد الله من بين القتلى ، قال أحد مؤرخيهم " ولا أظنه
أمر بقتلهم ولا أشار اليهم ورأى السكوت يسعه حيث قال له القائمون بأمره
عن القوم ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم حيث نسبوا
الى أهل الحق ما نسبوا ليتوصلوا الى الباطل بما حصلوا ولا أرى عليا الا
خليا من دماء القوم ولا ألومه وهو قاصد لهم ليتفاهم معهم ويتفاوض هو
واياهم " ^(٣)

لكنهم مع هذا لا يتبرأون من عبد الرحمن بن ملجم قاتل على رضى
الله عنه .

(١) المرجع السابق ص ١٥
(٢) طلقات المعهد الرياضى سالم بن حمود بن شامس ص ٢١
(٣) الحقيقة والمجاز ص ١٧

أما معاوية رضى الله عنه فانهم يعتقدون أن دماء أولئك القائمون بالنهروان كل واحد منهم أفضل من معاوية بمسافات" (١) (كذا) وهم يعتقدون أنه " خرج على الامام محاربا له شاقا عصا المسلمين يريد أن يفرق جمعهم ويهدم بناءهم ويقلب أمورهم ظهرا لبطن ليسيطر عليهم فيكون ملكا فيهم وزعيما عليهم" (٢) وقالوا " فخرج معاوية على على وعلى المسلمين بل خرج على الدين لما كان على بن أبى طالب امام عامه ثبتت امامته باجماع خرج عليه يشق عصا المسلمين ولا يبالي بما يكون من خصام وما يكون من دماء تسفك على غير حق بل خرج على الامام يشق طريق الخصام ولا يبالي بسفك دماء المسلمين" (٣) هكذا زعموا فى معاوية رضى الله عنه أما طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعائشة رضى الله عنهم أجمعين فقالوا عنهم بعد بيعتهم لعثمان رضى الله عنه " وبايعه فيمن بايع طلحة ابن عبيد الله والزبير بن العوام ثم نكثا ما بعنقهما من البيعة واستنفرا معها أم المؤمنين عائشة بنت ابى بكر فحاربهم على وقهرهم . . . أما السيدة عائشة فقد تابت من عملها بعد ذلك وندمت أشد الندم" (٣)

موقفهم من مخالفهم :

سأكتفى هنا بايراد جزء من خطبة أبى حمزة المختار بن عوف أحد كبار أئمتهم ، التى وجهها الى أهل المدينة المنورة بعد استيلائه عليها فقال " أيها الناس نحن من الناس والناس منا الا عابد وثن وملكا جبارا ، صاحب بدعة يدعو الناس اليها ، وان امتنعوا من ذلك دعوناهم الى أن نجرى عليهم حكم الله تعالى من دفع الحقوق والخضوع لواجب الأحكام

(١) الحقيقة والمجاز ص ١٤

(٢) المرجع السابق ص ١١ - ١٢

(٣) مختصر تاريخ الاباضيه ابو الربيع سليمان البارونى ص ١٦ - ١٧

فان أذعنوا لذلك تركناهم على ما هم عليه ووجب لهم من الحقوق والأحكام ما يجب لنا وعلينا الا ما كان من الاستغفار فلا حق لهم فيه ما داموا متمادين على ما هم عليه ووسعنا واياهم العدل ولهم حقوقهم من الفئ والغنائم والصدقات على وجوهها ولهم علينا دفع الظلم عنهم كما يجب لسائر المسلمين ، والعدل فى الأحكام والدفاع عنهم وان غزوا معنا فلهم سهامهم كما لنا ، ومن امتنع منهم مما وجب عليه فى الحقوق أدبناه بما يقمعه ونرده الى سواء السبيل وان جاوزوا ذلك سفكنا دماءهم واستحللنا قتالهم وان اعترفوا بطاعتنا وانفردوا ببلادهم وأجروا فيها أحكامهم تركناهم وذلك ما لم يكن رد على آبه محكمه أو سنة قائمة ونستقضى عليهم منهم من يقوم بواجب الحقوق عليهم ولهم ونقبل قوله فى ذلك على أسلوب القضاة كلهم ولا يمنعنا من ولايتهم الا ما هم عليه ونأخذ منهم كل ما يجب عليهم من الحقوق ونردها فى فقرائهم وذوى الحاجة منهم وان اتهمناهم فى شىء أعذرنا اليهم ولا نتركهم يظهرون منكرا بين أيدينا اذا كان عندهم منكرا ديانة ومنعهم أن يحدثوا فى أيامنا ما لم يكن الا أن يكون أمرا لا مكروه تحته وان خرجوا علينا وهزمناهم فانا لا نتبع مدبرا ولا نجهاز على جريح وأموالهم مردودة عليهم الا ما كان عائدا لبيت المال فانا نأخذه ونصرفه فى وجوهه وان قدرنا عليهم قتلنا منهم كل من قتل أحدا منا بعينه قصاصا ونسرح سبيى الأسارى ولا نتبع المنهزمين ولا نعترض أحدا منهم الا من طعن فى الدين أو قتل من المسلمين أو دل عليهم فهؤلاء يقتلون اذا قدرنا عليهم الا من تاب قبل ذلك ونصلى على قتلاهم وندفنهم ونجرى المواريث بيننا وبينهم على وجوهها والأموال والحرمان على وجوهها " (١)

(١) مختصر تاريخ الأباضية أبو الربيع سليمان البارونى ص ٧٢ - ٧٣

مصادر التشريع :

مصادر التشريع عند الأباضية هي مصادره عند أهل السنة . أعنى الكتاب والسنة والاجماع والقياس لا ينكرون شيئاً منها ولا يجحدونه كما وصفهم بعض من كتب عنهم ، قال أحد علماء الأباضية " وأحكام الشريعة كلها مأخوذة من طريق واحد وأصل واحد وهو كتاب رب العالمين وهو قوله تبارك وتعالى " اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم . . . الآية " (١) ، والسنة مأخوذة من الكتاب قال الله تعالى " وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول " (٢)

والسنة علم بكتاب الله عز وجل وبه أوجب اتباعها والاجماع ايضاً علم بكتاب الله عز وجل وبالسنة التي هي من كتاب الله لأن الاجماع توقيف والتوقيف لا يكون الاً عن الرسول صلى الله عليه وسلم " (٣)

وعندهم أن ما ذكر في الكتاب أو السنة أو الاجماع فهو نص والنص أصل يقاس عليه قالوا " فما وجد في هذه الثلاثة الأصول فهو أصل وما لم يوجد فهو فرع ويقاس عليهن ما لم يذكر في احداهن (٤) وقالوا لا تقاس الأصول بعضها ببعض والاصول ما جاء من الكتاب والسنة والاجماع ويقاس ما لم يأت في الاصول على الأصول والأصول مسلمه على ما جاءت (٥)

وقال ناظمهم :

يستخرج الحكم من الكتاب * * وهكذا من سنة الأواب
كذلك الاجماع فيما اجتمعوا * * كذلك القياس فيما فرعوا (٦)

-
- (١) سورة الأعراف من الآية ٣
(٢) سورة النساء من الآية ٥٩
(٣) المصنف لابي بكر احمد بن عبد الله بن موسى الكندي السمدى النزوى (أباضى) ج ١ ص ٥٠-٥١
(٤) المصنف: لابي بكر احمد بن عبد الله بن موسى (أباضى) ج ١ ص ٥٠
(٥) المصنف: لابي بكر احمد بن عبد الله بن موسى (أباضى) ج ١ ص ٥٠-٥١
(٦) جوهر النظام في علمي الاديان والاحكام: عبد الله بن حميد السالحي ج ١ ، ص ٢١

والمراد بالكتاب القرآن الكريم لا يقولون بتحريفه لا بزيادة ولا نقصان ، أما عمادهم في السنة فهو ما جمعه أحد علمائهم وهو : " الجامع الصحيح " مسند الامام الربيع بن حبيب قال عنه أحد علماءهم المعاصرين " أعلم أن هذا المسند الشريف أصح كتب ، الحديث رواية وأعلاها سنداً " (١) وقال " فجميع ما تضمنه الكتاب صحيح باتفاق أهل الدعوة (يقصد الأباضية) وهو أصح كتاب بعد القرآن العزيز . في الرتبة الصحاح من كتب الحديث " (١) ويقصد بكتب الحديث كتب أهل السنة فهم يقدمون مسند الربيع ابن حبيب أولاً ثم صحيح البخارى ومسلم وغيرها ثانياً . فهم يقبلون ما جاء في كتب الحديث عند أهل السنة ولكن ليس بنفس درجتها عندهم بل هي تالية لمسند الربيع وعلى هذا فان وقع خلاف بين مسند الربيع مثلاً وصحيح البخارى أخذوا بما في مسند الربيع .

الآراء الفقهية :

ولا تكاد تجد كبير فارق بين أهل السنة والأباضية الا كما تجد الفارق بين المذاهب الأربعة ، ويرجع ذلك للاتفاق على أصول التشريع من الكتاب والسنة والاجماع والقياس ، زد على هذا اعترافهم بالكتب الصحاح عند أهل السنة ولا تكاد تجد لموقفهم من الصحابة رضوان الله عليهم من أثر على اتجاههم الفقهى لأنهم لا يردون رواياتهم وان ردوا فقليلاً لا يكاد يبين له أثر بخلاف الشيعة الذين لا يقبلون الا ما يرد عن أئمة أهل البيت . فكان الاختلاف بينهم وبين أهل السنة في الأصول والفروع .

ولا أرى من داع لذكر أمثله على ذلك فالفروع كثيرة . أما

(١) الجامع الصحيح : مسند الربيع بن حبيب من مقدمه عبد الله بن حميد السالمي

فى الأركان فقال أحد علمائهم " ولا أعلم بين الفريقين - يعنى الأباضية وأهل السنة - خلافا فى الصلاة ووجوبها وآدائها فى الأوقات الخمسة وعدد الركعات . ولا فى الحج وأركانه ومناسكه . ولا فى الزكاة ونصابها ومواضع صرفها . ولا فى الصوم ووجوبه وأغلب مصححاته ومفسداته " (١) .

قلت وإذا كان الاتفاق فى الأصول فإن الاختلاف فى الفروع أمر مقبول إن شاء الله مادام الاجتهاد فيها مستندا الى الكتاب والسنة والاجماع والقياس - ماداموا يرجعون الى كتب أهل السنة والجماعة .

التصوف :

أما الفرق الصوفية كالقادرية والعروسيه والرفاعية والعيساوية والساعديه والتيجانية والسنوسيه والبكطاشيه وغيرها كثير فليس لها وجود فى المذهب الأباضى وهى فى نظره من البدع المحرمة شرعا ولا يتوقف الوعظ والارشاد وتهذيب النفوس على أحداث مثل هذه الطرق والانتساب الى رجالها على النمط المعهود عندهم ومع هذا فلا ينكر الأباضيون كرامة الأولياء ووجود الصالحين من عباد الله المخلصين ولزوم احترامهم لكن لا على هذا الوجه " واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا " (٢) (٣) .

فهم كأهل السنة يؤمنون بالكرامات ووجود الصالحين من عباد الله لكن ليس على الوجه الذى يقوم به الصوفيه من التبرك بهم والطواف

(١) مختصر تاريخ الأباضية : أبو الربيع سليمان البارونى ص ٧١

(٢) سورة البقرة من الآية ٤٨

(٣) مختصر تاريخ الأباضية : ص ٧٠ - ٧١

حول قبورهم وتقديسهم ولذا لا تجد في بلاد الأباضية المزارات والقبور ونحو ذلك .

التفسير الأباضي :

ظاهرة بارزة في تأريخ الاباضية العلمى هي قلة المؤلفات ليس في العصر الحديث فحسب بل في القديم أيضا ، وتبرز هذه الظاهرة أكثر ما تبرز في انتاجهم في تفسير القرآن الكريم اذ لا يكاد يذكر لهم من تفسير سوى تفاسير ثلاثة في القديم وثلاثة في العصر الحديث .

ومن الثلاثة القديمة لا يوجد الا تفسير واحد في أربعة مجلدات ومؤلفه هود بن محكم وتداوله بين الاباضية في المغرب ، أما الباقي فمفقود .

وفي العصر الحديث لا تجد الا ثلاثة تفاسير وتعجب اذا عرفت أنها كلها لمؤلف واحد وأن المطبوع من هذه الثلاثة اثنان أما الثالث فلم يتمه مؤلفه ولم يطبع .

وظاهرة أخرى متعلقة بالظاهرة الأولى تلکم هي قلة ما يطبع من هذه المؤلفات القليلة . ثم قلة انتشار المطبوع وتوزيعه . وقد عانيت كثيرا في الحصول على بعض هذه المطبوعات وكنت أظن الأمر خاصا بسى فاذا به أعم وكنت أظنه غير مقصود . فاذا بسى أحسبه مقصودا ، واطلعت على ما حصلت عليه في مطبوعاتهم علىّ فيها تعليقات فلم أحد ما يوجب هذا العمل .

وعلى كل حال فقد حصلت والحمد لله على بغيتى وفوق هذا حصلت على الموجود من مؤلفاتهم التفسيرية في العصر الحديث وهما كما قلت آنفا ثلاثة الموجود منها اثنان وكلها للشيخ محمد بن يوسف طفيش :-

١ - تفسير داعي العمل ليوم الأمل .

وهو التفسير الذى لم يكمله مؤلفه وقد اطلع الشيخ محمد حسين الذهبى على نسخته المخطوطة لدى ابن أخ المؤلف فى القاهرة ورآها تحتوى على تفسير الأجزاء الأربعة الأخيرة من القرآن وتقع فى مجلدين . (١)

٢ - هميان الزاد الى دار المعاد .

وهو تفسير يقع فى ١٣ مجلدا .

٣ - تيسير التفسير ويقع فى مجلدات سبعة .

وهذان التفسيران هما المطبوع من تفاسير الأباضية فى العصر الحديث بل لم أجد ذكرا لغيرهما ولم يؤلف سواهما فى التفسير .

وقد وقفت عندهما حائرا هل قراءة هذين التفسيرين وهما لمؤلف واحد تعطى صورة حقيقية عن منهج الأباضية فى التفسير أو أنها يعطيان صورة عن منهج مؤلفهما فى التفسير لا منهج الأباضية .

وقد انقدح فى ذهنى أن هذا يرجع الى مدى التزام المؤلف بمذهبه فان كان ملتزما بعقيدته الأباضية التزاما كاملا فهو ان لم يعط صورة كاملة بدقائق تفصيلها عن المنهج الأباضى فانه حتما سيعطى الخطوط العريضة لمنهج الأباضية فى التفسير باعتباره ملتزما به .

ثم نظرت الى مؤلفهما فوجدته اماما من أئمتهم المعترين الذين لهم مكانتهم عند الأباضية علما والتزاما ولولم يكن متصفا بهاتين الصفتين لما حل عندهم بهذه المنزلة .

فتوكلت على الله وعزمت على اعتبار هذين التفسيرين مصدرا لمنهج

(١) التفسير والمفسرون محمد حسين الذهبى ج ٢ ص ٣١٦

الأباضية في التفسير في العصر الحديث . وكان لا بد أن أكتب
ترجمة موجزة عن مؤلفهما ، ثم تعريفا بالتفسيرين .

التعريف بالمؤلف :

اسمه ونسبه :

أما اسمه فهو : محمد بن يوسف بن عيسى بن صالح أطفيش (١) ،
أو أطفيش (٢) . وأما ألقابه فكثيرة منها ما هو نسبته الى بلده ومنها
ما هو نسبته الى مذهبه . فمن الاول " الميزابي المصعبى اليسجنى (٣)
* ومن الثانى ز الوهبى الاباضى " (٣) ومنها " الحفصى العدوى الجزائرى (٤)
مولده ونشأته :

ولد سنة ١٢٣٦ فى بلدة يسجن فى وادى ميزاب بالجزائر
ونشأ بين قومه وعرف عندهم بالزهد والورع واشتغل بالتدريس والتأليف
وهو شاب لم يتجاوز السادسة عشرة وانكب على القراءة والتأليف وله
من المؤلفات فى شتى العلوم ما يربو على الثلاث مئة مؤلف (٥)
لذا فهو علامة فى التفسير والفقه والأدب أباضى المذهب كان
له أثر بارز فى قضية بلاده السياسية (٦)

-
- (١) التفسير والمفسرون محمد حسين الذهبى ج٢ ص ٣١٩ عن ابن أخ المؤلف .
(٢) الاعلام : خير الدين الزركلى ج٧ ص ١٥٦ وقال انه لفظ بربرى مركب من
ثلاث كلمات أطف بمعنى أمسك و " أيا " بمعنى أقبيل - تعال . و " أش "
ومعناها كل ، قال يقال أن أحد أسلافه لقب به لمناداته صديقا له
يدعوه الى الطعام .
(٣) مقدمه تيسير التفسير ، لصاحب الترجمة ج١ ص ٥
(٤) الاعلام : خير الدين الزركلى ج٧ ص ١٥٦ وقال الحفصى نسبة الى أبى
حفص عمر بن الخطاب والعدوى نسبة الى عدى بن كعب القرشى
جد عمر .
(٥) التفسير والمفسرون ، محمد الذهبى عن ابن أخ المؤلف ج٢ ص ٣١٩ والاعلام
للزركلى ج٧ ص ١٥٧
(٦) الاعلام : الزركلى ج٧ ص ١٥٧

مؤلفاته :

له داعى العمل ليوم الأمل فى مجلدين ، وتفسيرهميان الزاد فى ١٣ مجلدا وتيسير التفسير فى سبعة مجلدات وشرح النيل فى ١٠ أجزاء كبيرة فى الفقه و " حى على الفلاح " ٦ أجزاء فقهه و " شامل الاصل والفرع " فى علوم الشريعة فى جزئين . و " وفاء الضمانه بأداء الأمانة " حديث ٣ أجزاء ونظم المغنى لابن هشام فى خمسة آلاف بيت ، وله مؤلفات عديدة فى النحو والصرف والبلاغه والفلك والعروض والوضع والفرائض وغيرها (١) .

وفاته :

توفى فى ٢٣ ربيع الثانى سنة ١٣٣٢ هـ وله من العمر ست وتسعون سنة .

التعريف بالتفسيرين :

أول هذين التفسيرين هو " هميان الزاد الى دار المعاد (٣) وهو التفسير الذى ألفه صاحبه فى صغره (٤) طبع فى زنجبار بالمطبعة السلطانية سنة ١٣١٤ هـ ، وأصدرت الطبعة الثانية وزارة التراث القومى والثقافة ، فى سلطنة عمان سنة ١٤٠١ هـ وبين يدي الجزء الأول من هذه الطبعة ما صدر منها حتى الآن .

-
- (١) انظر التفسير والمفسرون الذهبى ج ٢ ص ٣١٩ والاعلام: للزركلى ج ٧ ص ١٥٧ ومعجم المؤلفين : عمر رضا كحاله ج ١٢ ص ١٣٣ .
- (٢) معجم المؤلفين : عمر رضا كحاله ج ١٢ ص ١٣٣ .
- (٣) ورد هميان بياءين قبل الميم ويعد ها الا أنه فى مقدمة كتابه تيسير التفسير اشار اليه باسم " هميان " بياء واحد بعد الميم ، وأرى أن الصحيح هو بياء واحدة لانى لم أجد له معنى بياءين ، قال فى القاموس الهميان بالكسر شداد السراويل ، ووعاء للدراهم "
- (٤) تيسير التفسير : محمد بن يوسف اطفيش ج ١ ص ٧ ط ٢

وسأرجع فى دراستى هذه الى الطبعة الثانية فى الجزء الأول فقط أما بقية الأجزاء فسأرجع الى الطبعة الأولى اذ لا يوجد حتى الآن سواها .

أجزاء الكتاب :

أجزاء الكتاب :

متممممممممم

ذكر فى " التفسير والمفسرون " أن تفسير هميان الزاد الى دار المعاد يقع فى ١٣ مجلدا كبيرا ^(١) ، وذكر الزركلى أنه يقع فى ١٤ جزءا ^(٢) ، أما فى مقدمة الطبعة الثانية فذكر وزير التراث العمانى أنهم عثروا على نسخة وحيدة منه فى ١٥ جزءا . وقد حاولت التأكد من العدد الصحيح لمجلدات الكتاب فطلبت المجلد الأخير منه فى دار الكتب المصرية فناولونى المجلد الثانى عشر وآخره تفسير سـورة الحجرات واعتذروا بعدم وجود ما بعد هذا المجلد .

وقد لخص المؤلف منهجه فى هذا التفسير بقوله " وبعد فهذا تفسير رجل يسجنى اباضى وهبى ويعتمد فيه على الله سبحانه وتعالى ثم على ما يظهر لفكره بعد افراغ وسعه ولا يقلد فيه أحدا الا اذا ، حكى قولاً أو قرآءة أو حديثاً أو قصة أو أثراً لسلف ، وأما نفس تفاسير الآى والرد على بعض المفسرين والجواب فمنه ، الا ما تراه منسوبا ، وكان ينظر بفكره فى الآيه أولا ثم تارة يوافق نظر جار الله والقاضى ^(٣) وهو الغالب والحمد لله وتارة يخالفهما ، ويوافق وجهها أحسن مما أثبتاه

(١) التفسير والمفسرون ج ٢ ص ٣١٦

(٢) الاعلام : للزركلى ج ٧ ص ١٥٧

(٣) أى البيضاوى .

أو مثله . . . ويتضمن ان شاء الله الكفاية ، فى الرد على المخالفين
فيما زاغوا فيه وايضاح مذهب الاباضيه الوهبيه واعتقادهم وذلك بحجج
عقلية ونقلية . (١)

وثانى هذين التفسيرين : " تيسير التفسير للقرآن الكريم " وهو
اختصار للتفسير السابق صدرت الطبعة الأولى منه فى سبعة مجلدات
طبع بلاد المغرب ، وبالحروف المغربية " و صدرت أجزاءه بين سنتى
١٣٢٥ - ١٣٢٧ هـ ، وقد أعادت وزارة التراث القومى والثقافة فى سلطنة
عمان طبعه فصدر الجزء الأول منه بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر
الهجرى وبين يدي من هذه الطبعة الجزء الأول وهو ما صدر منها
حتى الآن . وكالتفسير السابق سأرجع الى الجزء الاول من الطبعة
الثانية ، وبقيّة الأجزاء الى الطبعة الأولى .

وذكر المؤلف فى مقدمة هذا التفسير سبب تأليفه له فقال :
" أما بعد فانه لما تقاصرت الهمم عن أن تهيم بهميان الزاد الى
دار المعاد الذى ألفتة فى صفر السن ، وتكاسلوا عن تفسيرى داعى
العمل ليوم الأمل انشطت همتى الى تفسير يغتبط ولا يمل فان شاء الله
قبله بفضلله وأتمه قبل الأجل ، وأنا مقتصر على حرف نافع ولمصحف
عثمان تابع ، وأسأل ذا الجلال أن ينعم علىّ بالقبول والاكمال " (٢) .

(١) هيميان الزاد الى دار المعاد ج ١ ص ٥

(٢) تيسير التفسير : محمد بن يوسف اطفيش ج ١ ص ٧

منهجه فى التفسير :

درج المؤلف خاصة فى تفسيره هميان الزاد على أن يقدم لكل سورة بمقدمه يذكر فيها أسماء هذه السوره والمدنى والمكى منها وعدد آياتها وكلماتها وحروفها ثم ما ورد من الأحاديث فى فضلها ويختتم ذلك ببيان فوائدها .

ذكر المؤلف فى أسماء سورة البقرة أن " خالد بن سعدان كان يسميها فسطاط القرآن ^(١) وورد فى حديث مرفوع فى مسند الفردوس ، وذلك لعظمتها ولما جمع فيها من الأحكام التى لم تجمع فى غيرها وفى حديث المستدرك تسميتها سنام القرآن ^(١) وسنام كل شىء أعلاه وفى صحيح مسلم تسميتها وآل عمران الزهراوين ^(١) .

وفى المكى والمدنى منها قال " وهى مدنيه واستثنى بعضهم منها آيتين (فاعفوا واصفحوا) (ليس عليك هداهم) ^(١) . الخ . وفى عدد آياتها وكلماتها وحروفها قال " أيها مائتان وخمسة وثمانون ، وقيل مائتان وست وثمانون ، وقيل مائتان وسبع وثمانون وكلمها ستة آلاف ومائة واحدى وعشرون وحروفها خمسة وعشرون ألفا وخمسمائة حرف " ^(١) .

ثم تحدث عن فضلها فقال : " قال أبو بردة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول " اقرؤا القرآن فانه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه . اقرؤوا الزهراوين البقرة وآل عمران فانهما يأتیان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما . اقرؤوا البقرة فان أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطله " ^(٢) . وأورد غير ذلك من الأحاديث ^(٣) .

(١) هميان الزاد ج ١ ص ١٦٣ وانظر سنن الدارمى ج ٢ ص ٤٤٦-٤٤٧
(٢) رواه الامام احمد فى مسنده ج ٥ ص ٢٤٩ ومسلم فى صحيحه ج ٦ ص ٩٠ باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة .
(٣) هميان الزاد ج ١ ص ١٦٣

ثم يختتم كل مقدمة بذكر فوائد للسورة أو التداوى بها بما يشبه الأوهام والخرافات حاشا ان أنكر ان القرآن شفاء ولكن تخصيص بعض الآيات أو بعض السور ببعض الأمراض والآفات مما لا أعرف له دليلا .

قال عن سورة البقرة " قال جعفر الصادق من كتب سورة البقرة وأمسكها عليه زالت عنه الأوجاع كلها ، وان علقها ايضا على صغير زالت عنه أوجاعه وهان عليه الفطام ، ولم يخف عليه بحول الله تعالى ، وان علقت على المصروع زال عنه الصرع " (١) .

واذكر تأكيدا ما أورده ايضا فى سورة الفاتحة حيث قال عنها :
" وقالوا واذا كتبت فى اناء طاهر وغسلت ومسح بها المريض وجهه عوفى باذن الله تعالى واذا شرب من هذا الماء من يجد خفاقانا سكن باذن الله تعالى ، واذا كتبت بمسك وزعفران فى اناء من رجاج طاهر ثم محيت بماء ورد وشرب منها البليد الذى لا يحفظ شيئا حفظ كل ما سمع وزالت بلادته واذا كتبت يوم الجمعة فى الساعة الاولى فى اناء ذهب (٢) بمسك وكافور ومحيت بماء ورد وجعل ذلك فى قارورة ومسح بها وجهه من يدخل على السلطان أو يخاف من عدو نال القبول والهيبة والمحبة من عدوه ، واذا كتبت بماء ورد ومسك فى جام زجاج ومحيت بماء كانون وسحق به كحل اصفهاني جلا البصر وصححه وحفظ صحة العين وأزال أمراضها وان أضيف الى الاثمد مرارة ديك أفرق ومرارة دجاجة سوداء واكتحل به نظر الى الأشخاص الروحانيه وخاطبهم وخاطبوه بما يريد " (٣) (! !) ثم يستمر فى ذكر هذه الخرافات ولا ينسى أن يقول انه انما يذكر فضائل السور فى أوائلها ليرغب الطالب القارىء

(١) المرجع السابق ج ١ ص ١٦٤

(٢) لا يجوز اتخاذ الاناء من ذهب .

(٣) هميان الزاد ج ١ ص ١٦ - ١٧

(١)
فى تفسيرنا هذا فى درسها وحفظها وتكرار قراءتها رجاء لنيل ثوابها"
هذا بيان للمقدمة التى التزمها الشيخ اطفيش قبل تفسيره للسورة .
ونأتى هنا الى ذكر أهم القضايا والأسس التى يقوم عليها منهجه فى
التفسير .

الاطناب :

وانما بادرت الى ذكر هذا الأساس وتقديمه على ما سواه لانه سمة
بارزة فى هذين التفسيرين . ومما لا شك فيه أن للاطناب محاسن وعيوب
ولكنه هنا أدى بالمؤلف الى اعتراف مالا ينبغى وقوعه من مفسر فى
تفسيره نذكر من ذلك أمثلة ثلاثة وقصدى الاختصار .

أولها : عدم الاكتفاء بالتفسير الصحيح الثابت .

فى قوله تعالى " فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب
الرحيم " (٢) ورد بيان الكلمات فى آية أخرى بقوله تعالى " قالا ربنا
ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين " (٣)

وهو نفسه يورد هذا التفسير الصحيح (٤) لكنه يضيف الى هذا
- اطنابا - أقوالا لا تصح أو على الأقل لا يصح ذكرها بجانب التفسير ،
القرآنى . فذكر أقوالا عديدة نذكر منها قوله " وعن ابن عباس فى
روايه : هن ما روى أن آدم عليه السلام قال يارب ألم تخلقنى بيدك ؟
قال بلى قال ألم تكن أسكنتنى الجنة ؟ قال بلى قال : فلم أخرجتنى منها ؟
قال بخطيئتك قال : يارب أنا أتيت شيئا ابتدعته من تلقاء نفسى ،
أو شيئا قدرته على قبل أن تخلقنى ؟ قال بل قدرته عليك قبل أن أخلقك
قال يارب كما قدرته على فاغفرلى وقال محمد بن كعب القرظى :

(١) هميان الزاد ج ١ ص ١٧

(٢) سورة البقرة الآية ٣٧

(٣) سورة الاعراف الآية ٢٣

(٤) هميان الزاد ج ١ ص ٤٨٥ تيسير التفسير ج ١ ص ٥٩

هى قوله سبحانه لا اله الا أنت سبحانك ويحمدك عملت سوءا وظلمت
نفسى فارحمنى انك انت أرحم الراحمين ، وقيل لا اله الا انت سبحانك
ويحمدك رب عملت سوءا وظلمت نفسى فاغفرلى فانك انت الغفور الرحيم
لا اله الا أنت سبحانك ويحمدك ربي عملت سوءا وظلمت نفسى فارحمنى
انك انت أرحم الراحمين . . . وقالت طائفة ان آدم رأى مكتوبا على ساق
العرش محمد رسول الله فتشفع به فهى الكلمات . . . وقيل ان الله تعالى
أنزل يا قوته من يا قوت الجنة ووضعها على موضع البيت على قدر الكعبة
لها بابان باب شرقى وباب غربى وفيها قناديل من نور ثم أوحى الله
تعالى اليه ان لى حرما بحيال عرشى فآته فطف به كما طاف حول عرشى
وصلّ عنده كما يصلى عند عرشى فهناك استجيب دعاك فانطلق آدم
من أرض الهند الى أرض مكة لزيارة بيت الله وقبض الله تعالى له ملكا
يرشده فكان كلما نزل موضعا وضع عليه قدمه صار عمراننا وما تعداه صار
مفاوز وقفار . فلما وقف بعرفه وكانت حواء تطلبه وقصدته من جده فالتقيا
بعرفه يوم عرفات فعرف كل منهما الآخر فسمى عرفات ، فلما انصرف الى
منى قال لآدم تمن قال أتمنى المغفرة والرحمة فسمى ذلك الموضع
منى وغفر ذنبيهما" (١) .

هذه بعض الأقوال لا كلها التى أوردتها فى بيان " الكلمات ولا شك
ان الاطناب أدى به الى ايراد ما لا يصح .

ثانيها : أدى به الاطناب الى ايراد الكثير مما ليس مجاله التفسير
بل هو الى شعوذة الدجالين أقرب ففى تفسير قوله تعالى " وبشـر
الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الانهار" (٢)

(١) هميان الزاد الى دار المعاد ج ١ ص ٤٨٥ - ٤٨٦ وانظر تيسير التفسير

ج ١ ص ٥٩

(٢) سورة البقرة الآية ٢٥

الآية قال " ومن كانت أشجاره قليلة الاثمار فليصم الخميس ويفطر
فى المغرب على هندبا ويصلى المغرب ثم يكتب هذه الآيات (ويشر
الذين آمنوا) الى (خالدون) فى قرطاس ولا يتكلم ويمضى الى
شجره تكون فى وسط البستان ويعلقها عليها فان كان فيها ثمر
فليأكل منها واحدة وان لم يكن لها ثمر فليأكل ورقه من ورقها وان
لم يكن لها ورق فليأكل من ثمر مثلها ، ويشرب عليها ثلاث جرعات من
ماء وينصرف ، فانه يرى ما يسره من حسن الثمرة والبركة ان شاء الله" (١)

وقال أيضا " ومن أراد أن يحبه أحد محبة عظيمة فليأخذ مرآة
من فضة جديدة أو عاج ويكتب فى كاغد (يكاد البرق يخطف أبصارهم)
الى قوله (قدير) (٢) الى قوله (واذا أظلم عليهم قاموا) (٢) فى يوم
الجمعه فى زيادة الهلال ويأخذ نملتين من شجرة تكون الواحدة
طالعه والأخرى هابطة ، وما فيها ثم تجتمعان ويقفان قليلا وجه
الواحدة الى وجه الأخرى " (٣) قلت ونقف بالقلم هنا فلا نهبط معه
ينقل هذه الشعوذة والدجل بل السحر ،

وأقف أيضا هنا عن نقل أمثلة كثيرة متوفرة وقد سبقت الاشارة
الى أنواع منها عند حديثنا عن ما يقدمه عند تفسيره لكل سوره من
بيان فوائد السورة وما يستطب بها لأجله .

ثالثها : أدى به ذلك الى الاطناب فيما أبهم فى القرآن الكريم
كالحروف المقطعه فى أوائل السور فانه يورد فى تفسير ذلك أقوالا عديدة

(١) هميان الزاد ج ١ ص ٣٧٩ - ٣٨٠

(٢) سورة البقرة الآية ٢٠

(٣) هميان الزاد ج ١ ص ٣٢٥

استغرقتها الصفحات من ١٦٥ الى ١٨٣ ولا أرى كبير فائدة في
ايراد هذه الاقوال أو بعضها ما دامت لا تقوم على دليل صحيح
ومع هذا فاني سأورد الرأي الذي مال اليه واكتفى بايراده عن ايراد
ما عداه قال : " وكنت أشبه المقام بمقام من أراد أن يتكلم لمن
استغرق قلبه في شيء فيقدم اليه ما يصغى به الى الكلام كأن يجيده
أو يغمز بدنه أو يقرعه بالحصى ، ومن ذلك الوادي أن تشير الي
من كان في كلام دنيوي بالبسملة تنبيهها على أن يقر ، ثم رأيت عن
الجويني ما يناسبه إذ قال : القول انها تنبيهه (١) جيد لأن القرآن
كلام عزيز ، وفوائده عزيزه ، فينبغي أن يرد على سمع متنبه فكان من
الجائز أن يكون الله قد علم في بعض الأوقات كون النبي صلى الله
عليه وسلم في عالم البشر مشغولا فأمر جبريل بأن يقول عند نزوله
آلم آلم حم ليعلم النبي صلى الله عليه وسلم صوت جبريل فيقبل عليه
ويصغى اليه ، وانما لم تستعمل الكلمات المشهورة في التنبيه كألا وأما
لأنها من الالفاظ التي تعارفها الناس في كلامهم والقرآن كلام لا يشبه
الكلام فناسب أن يؤتى فيه بالفاظ تنبيهه لم تعهد لتكون أبلغ في قرع
سمعه . انتهى " (٢)

لكني أذكر فأشكر للمؤلف أنه ذكر تفسير السلف لهذه الأحرف في
تفسيره الآخر تيسير التفسير حيث قال " ألم الله هو العالم بمعناه
ويعنى المص ، و ، المر ، ألر . . . واذكر ما قيل " (٣) ثم ذكر قولاً
واحداً .

(١) كذا وردت ولعلها " تنبيهه "

(٢) هميان الزاد ج١ ص ١٧١ - ١٧٢

(٣) تيسير التفسير ج١ ص ١٣

ومن أسس منهجه : تفسير القرآن بالقرآن :

وهذا ولا شك أصح طرق التفسير وأولاها والمؤلف كثيرا ما يذكر تفسير القرآن بالقرآن أو ما يكون شاهدا للآية المفسره لكنه كما سبقت الإشارة في الأساس الأول كثيرا ما يورد مع هذا التفسير تفاسير أخرى لا تصح وكان الأولى الاكتفاء بالتفسير القرآني وبيان معناه ونذكره من تفسيره القرآن بالقرآن ما أورده عند تفسير الكلمات في قوله تعالى " فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه " (١) حيث قال : " قال ابن عباس وسعيد بن المسيب والحسن بن علي ومجاهد وعكرمه " تلك الكلمات هي ما حكى الله سبحانه وتعالى عنه " ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين " (٢)(٣) وفي تيسير التفسير ذكر ان هذا التفسير هو الأصح (٤)

وفي تفسير قوله تعالى " غير المغضوب عليهم ولا الضالين " (٥) يذكر ما ورد من حديث مرفوع عن الرسول صلى الله عليه وسلم — تفسيرها باليهود والنصارى ثم يعقب " وذلك واضح من كتاب الله لأن ذكر غضب الله على اليهود متكرر في كتاب الله كقوله عز وعلا : (وياءوا بغضب من الله) (٦) وقوله (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله) الآيه (٧) وأما النصارى فمذكورون في الضلال كقوله تعالى " ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سوا السبيل (٨) (٩)

-
- | | |
|-----------------------------|--------------------------------|
| (١) سورة البقرة من الآية ٣٧ | (٦) سورة آل عمران من الآية ١١٢ |
| (٢) سورة الاعراف الآية ٢٣ | (٧) المائدة من الآية ٦٠ |
| (٣) هميان الزاد ج ١ ص ٤٨٥ | (٨) سورة المائدة من الآية ٧٧ |
| (٤) تيسير التفسير ج ١ ص ٥٩ | (٩) هميان الزاد ج ١ ص ١٥٥-١٥٦ |
| (٥) سورة الفاتحة الآية ٧ | |

تفسير القرآن بالسنة :

أصح طرق التفسير بعد تفسير القرآن بالقرآن هو تفسيره بالسنة والمؤلف هنا يأخذ بهذا النوع من التفسير ويورده كثيرا في تفسيره يورد منه ما هو تفسير للآية وما هو شاهد أو له وجه علاقة بها ، وهو هنا وهناك لا يلتزم الأخذ بالصحيح فيورد فيه الصحيح والضعيف بل الموضوع وكل منها كثير وكثير في تفسيره .

(١) فمن ذلك تفسيره لقوله تعالى " غير المغضوب عليهم ولا الضالين " قال " أخرج أحمد والترمذى وحسنه (٢) وابن حبان في صحيحه عن عدى بن حاتم عنه - صلى الله عليه وسلم - أن المغضوب عليهم هم اليهود وأن الضالين هم النصارى ، وأخرج ابن مردويه عن أبي ذر ، سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن المغضوب عليهم قال " اليهود " وعن الضالين قال " النصارى " وكذلك فسر ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والسدى وابن زيد والحسن (٣) .

وفي تفسير قوله تعالى عن حكاية لقول الملائكة " قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك " (٤) قال المؤلف " وروى البخارى ومسلم عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أى الكلام أفضل ؟ فقال ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده سبحانه الله ويحمده " (٥) .

-
- (١) سورة الفاتحة : الآية ٧
(٢) قال الترمذى حسن غريب لا نعرفه الا من حديث سماك بن حرب ج ٥ ص ٢٠٤
(٣) هميان الزاد ج ١ ص ١٥٥
(٤) سورة البقرة من الآية ٣٠
(٥) هميان الزاد ج ١ ص ٤٢٣-٤٢٤ ولم أجد هفى البخارى ، ورواه مسلم كتاب الذكر ج ٤ ص ٢٠٩٣

وفى تفسير قوله تعالى " حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى^(١)
روى " قال صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى
صلاة العصر ملاء الله بيوتهم ناراً " ^(٢)
وفى قوله تعالى " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على
الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا " ^(٣) . قال " وعن ابي سعيد عنه
صلى الله عليه وسلم : يجيىء النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ومعه
الرجل أو النبي ومعه الرجلان وأكثر فيدعى قومه فيقال لهم : هل بلغكم
هذا ؟ فيقولون : لا فيقال له : هل بلغت قومك ؟ فيقول نعم فيقال
له : من يشهد لك ؟ فيقول محمد وأمه فيدعى محمد وأمه فيقال لهم
هل بلغ هذا قومه ؟ فيقولون نعم فيقال وما أعلمكم ؟ فيقولون جاءنا
نبينا صلى الله عليه وسلم فأخبرنا ان الرسل قد بلغوا ، فذلك قوله
تعالى " وكذلك جعلناكم أمة وسطا . . الآية " ^(٤) ^(٥)

وكما أشرت آنفا فان المؤلف لا يلتزم بالصحيح من الحديث بل
يستدل بالموضوع منها من غير بيان لوضعه أو درجته ومن ذلك
ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى " ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى
حين " ^(٦) أورد من الموضوعات الكثير ومنها قوله " وروى سفيان
باسناده من حديث قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
" لما هبط آدم من الجنة الى الأرض بأرض الهند وعليه ذلك الورق
الذى كان لباسه من الجنة الى أرض الهند يبس وتطير فعبق منه شجر

-
- (١) سورة البقرة الآية ٢٣٨
 - (٢) تيسير التفسير ج١ ص ٣٨٠ والحديث رواه مسلم ج٥ ص ١٢٨ كتاب المساجد
 - (٣) سورة البقرة من الآية ١٤٣
 - (٤) تيسير التفسير ج١ ص ١٩٦-١٩٧
 - (٥) رواه الامام احمد ج٣ ص ٥٨
 - (٦) سورة البقرة من الآية ٣٦

الهند ففاح العود والصندل والمسك والعنبر والكافور قالوا يا رسول الله : المسك هو من الدواب ؟ قال انما هي دابه شبه الغزال رعت من ذلك الشجر فصير الله تعالى المسك من عرقها اذا رعت الربيع جعله مسكا وتساقط فينتفع به الآدميون قالوا يا رسول الله : العنبر من دابه في البحر ؟ قال أجل كانت في البر ترعى فبعث الله تعالى اليها جبريل فساقها وما معها حتى قذفها في البحر" (١) (٢)

وذكر أيضا عند تفسيره للآية السابقة حديثا " عن ابي امامه الباهلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " عليكم بلباس الصوف تجدون به قلة الأكل ، وعليكم بلباس الصوف تعرفون به الآخرة ، ان النظر في الصوف ليورث في القلب التفكير والتفكير يورث الحكمة والحكمة تجرى في الجوف مجرى الدم فمن كثرت فكره قل طعامه وكل لسانه ومن قل تفكره كثر طعامه وقسى قلبه والقلب القاسى بعيد من الله - عز وجل - بعيد من الجنة قريب من النار" (٣) (٤)

وقد يذكر المؤلف الحديث الصحيح الذى لا يوافق مذهبه بصيغة التشكيك فى صحته فمن ذلك مثلا قوله عن حديث الرؤية الثابت " انكم سترون ربكم الحديث . وحديث الرؤية ان صح فمعناه (٥)

الأخذ بالاسرائيليات :

ولا شك ان الموقف الصحيح من الاسرائيليات معروف بـ

- (١) هميان الزاد ج ١ ص ٤٧٦
- (٢) الحديث موضوع انظر تنزيه الشريعة المرفوعه عن الاخبار الشنيعة الموضوعه لابي الحسن على بن محمد بن عراق الكنانى ج ١ ص ٢٤٦
- (٣) هميان الزاد ج ١ ص ٤٧٧
- (٤) قلت ما أورده المؤلف من الحديث انما هو الزيادة واصل الحديث "عليكم بلباس الصوف تجدوا حلاوة الايمان فى قلوبكم" قال البيهقي عن هذه الزيادة ، وهذه زياده منكره " وقال ابن الجوزي فى الموضوعات لا يصح الكديمي يضع ، وشيخه لا يحتج به " وقال بهذا أيضا السيوطى فى اللالى المصنوعه فى الاحاديث الموضوعه ج ٢ ص ٢٦٤
- (٥) هميان الزاد ج ٥ ص ١٧٣

فما وافق شريعتنا تجوز روايته للاستشهاد لا للاعتقاد وما خالفها لا تصح روايته وما ليس من هذا ولا من ذاك فلا بأس بحكايته من غير تصديق ولا تكذيب ، بل قال ابن كثير رحمه الله عن هذا النوع " وكثير من ذلك مما لا فائدة فيه ولا حاصل له مما ينتفع به فى الدين ولو كانت فائدته تعود على المكلفين فى دينهم لبينته هذه الشريعة الكاملة الشاملة " (١) .

والاستشهاد بالاسرائيليات على كل حال مذموم فى التفسير للقرآن الكريم خاصة اذا كثرايراده والاستطراد فيه الى حد رواية الغرائب والعجائب التى تصرف عن التدبر فى آيات القرآن الكريم . والمؤلف أكثر من الأخذ بالاسرائيليات وأورد منها فى القصص والاخبار ما يصرف القارىء عن تدبر الآيات ومعانيها واستطرد فيه استطرادا يجعل القارىء ينسى لطول الحديث الآيات المتناولة بالتفسير .

وقد أورد فى تفسير قوله تعالى " فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه " (٢) أقوالا فى كيفية ازال الشيطان لعنه الله لآدم وحواء عليهما السلام ومن ذلك " . . . وقيل قام عند الباب فناداهما وروى أنه أراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل فى فم الحية فدخلت به وهم لا يشعرون (١١) وقيل تمثل فى صورة دابة فدخل ولم يشعروا (١١) وقيل كانت الجن تدخل الجنة وانما منع منها ابليس وحده فأرسل بعض اتباعه منهم فأزلهما فنسب الازلال - اليه لأنه أمر به ومحب له وذكر بعضهم ان الحية كانت صديقة لابليس فلما منعته الخزنة من الدخول أتاها فسألها أن تدخله الجنة فى فيها فأدخلته وهم لا يعلمون به (١١) مع أنها مرت عليهم وكان

(١) تفسير ابن كثير ج٣ ص ١٩٢

(٢) سورة البقرة من الآية ٣٦

لها أربع قوائم كقوائم البعير من أحسن الدواب وكانت من خزان الجنة قيل وسم أنيابها من مكث ابليس في فيها ومسحها الله عز وجل لذلك ورد قوائمها في بطنها وقيل كانا على باب الجنة وكانا يخرجان منها وكان ابليس عدو الله قريبا من الباب فوسوس لهما وقد دخل مع آدم الجنة لما دخل ورأى ما فيها من النعيم والكرامه وقيل ان ابليس - عدو الله - لما سمع بدخول آدم الجنة حسده وقال يا ويلاه أنا أعبد الله منذكذوا وكذا ألف سنة ولم يدخلني الله الجنة وهذا خلق خلقه الله الآن فادخله الله الجنة ؟ فاحتال في اخراج آدم عليه السلام فوقف على باب الجنة ثلاثمائة سنة حتى اشتهر بالعبادة وعرفوه بها وهو في كل ذلك ينتظر خروج خارج من الجنة فبينما هو كذلك اذ خرج الطاووس ، وكان من سادات الطيور فلما رآه ابليس قال أيها الخلق الكريم على الله من أنت وما اسمك ؟ فما رأيت من خلق الله تعالى أحسن منك ؟ قال أنا طائر من طيور الجنة اسمي طاووس فقال له ابليس أنا من الملائكة الكروبيين وجعل يبكي " (١)

وخلاصة بقية القصة التي أوردتها المؤلف كاملة أن ابليس حاول اقناع الطاووس بادخاله الجنة فأرشده الطاووس الى من يستطيع ادخاله الجنة وهي الحيه وبعد حوار معها اقتنعت وادخلت ابليس الجنة ثم اتصل ابليس بآدم وحواء فأرشدهما الى شجرة الخلد حيث أكلا منها .

حتى في تفسيره المختصر " تيسير التفسير " أشار الى هذه الأقوال ثم ذكر المواضع التي أهبطوا اليها فقال " فنزل آدم - بسرنديب من الهند على جبل يسمى نود ، وحواء بجده بضم الجيم

فى مدة أربعين عاما فيما قيل والله قادر على أقل كما ينزل جبريل وغيره فى لحظه وابليس بالأبله من أعمال البصره ، وزوجه بأصبهان أوسجستان أو نصيبين والحيه بأصبهان والطاووس بالشام" (١) . ثم يذكر ترتيب الهبوط " اهبط ابليس ثم الحيه فالطاووس ثم آدم وحواء" (١) وقال فى تفسير قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك الحجر " (٢) الذى فر بثوبك لتتبعه من مغسلك عاريا ليرى بنو اسرائيل أنه ما بك أدره ، كانوا يغتسلون عراة وموسى فى خلوه فاتهموه بانتفاخ بيضته وهو (٣) ذراع له أربعة أوجه ، وقيل كراس الرجل من رخام وقيل خفيف . . . وقيل حجر كان عند آدم وصل مع العصا الى شعيب فأعطاهما موسى . . . ويقال حجر مربع يخرج من كل وجه ثلاثة أعين لكل سبط عين وكانت من أمس الجنه طولها عشرة أذرع على طول موسى لها شعبتان تتقدان فى الظلمة نورا حيثما كان وأمامهم فى التيه فلهم عمود من نور ليلا حملها معه آدم من الجنه وتوارثها الأنبياء الى شعيب فأعطاها موسى " (٤) .

وذكر فى تفسير قوله تعالى " واذا قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقره" (٥) . . . الآية " قصة قتيل بنى اسرائيل فقال (وقد قتل لهم قتيل لا يدري قاتله . اسمه عاميل وسألوا موسى أن يدعو الله أن يبينه لهم والقتيل ذو مال قتله بنو عمه وقيل ابنا عمه

(١) تيسير التفسير ج ١ ص ٥٨

(٢) سورقالبقرة من الآية ٦٠

(٣) آى الحجر

(٤) تيسير التفسير ج ١ ص ٨٦ - ٨٧

(٥) سورة البقرة من الآية ٦٧

اثنان ، وقيل أخوه وقيل ابن أخيه ، وهم فقراء ليرثوه ، وحملوه الى باب قرية وألقوه فيه فطلبوا آثاره وادعوا القتل على رجال جاءوا بهم الى موسى عليه السلام وروى أنه قتله قريب له ليتزوج زوجته ، وقيل ليتزوج بنته وقد أبي (١) .

واستمر في سرد هذه القصة وانما أوردت أولها لبيان شدة اهتمامه بكل تفاصيل هذه الاسرائيليات واستقصائه للأقوال فيها .
وفي تفسير قوله تعالى " ان في خلق السموات والأرض " الآية (٢) .
ذهب يذكر أنواع السموات فقال " فالأولى من زبد الماء متجمدا والثانية من رخام ابيض والثالثة من حديد والرابعة من نحاس والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوت أحمر وقيل الأولى : زبد جامد والثانية من نحاس والثالثة من فضة والرابعة من ذهب والخامسة من ياقوت والسادسة من زمرد والسابعة من نور العرش " (٣) .

ويلاحظ أني أوردت أكثر ما أوردت من الامثلة من تفسيره تيسير التفسير وفيه الكثير وقصدى من هذا أنه اذا كان هذا ما أورده في المختصر ففي المطول أكثر منه وأطول - وهذا هو الواقع ، فللاسرائيليات في التفسيرين مجال رحب .

اهتمامه بالمسائل النحوية واللغوية والبلاغية :

ومن السمات البارزة أيضا في هذا التفسير اسهاب صاحبه في المسائل النحوية خاصة وفي اللغوية والبلاغية لكنها أقل من الأولى .

(١) تيسير التفسير ج ١ ص ٩٨ - ٩٩

(٢) سورة البقرة من الآية ١٦٤

(٣) تيسير التفسير ج ١ ص ٢٢٦

ومن أمثله ذلك ما ذكره في أعراب غير من قوله تعالى " غير المغضوب عليهم ولا الضالين " (١) فقال " (غير) هو بدل من (الذين) بدل مطابق نظرا الى معنى أن المغضوب عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال ، وذكر ابن هشام ان البدل بالمشتق ضعيف ، لكن لفظه (غير لست مشتقه وتأويلها بالمشتق مثل المخالف والمغاير لا يمنع ابد الها ولا يضعفه فان الاسميه غالبه عليه وتأويلها فرع ويجوز أن تكون نعتا للذين مبينا أن أريد ب (الذين) المؤمنون فقط ، ومقيدا ان أريد به كل من أنعم الله عليه بنعمته ودنيويه أو أخروييه أو بمطلق الايمان وعلى كل من الابدال والنعت بوجهيه يكون المعنى أنهم جمعوا بين النعمه المطلقه وهي نعمه الايمان وبين السلامه من غضب الله والضلال ، وان قلت (الذين) معرفه (غير) لا يتعرف باضافه فكيف تنعت المعرفه بالنكره ؟ قلت التحقيق أنها تتعرف بالاضافه اذا وقعت بين المتضادين كما هنا وذلك ان كان الضد له ضد واحد كما هنا ، فانه ليس في المكلفين الا المغضوب عليهم والمنعم عليهم وكما في قولك الحركه غير السكون وأما الضدان اللذان لهما أجزاء وأكثر فلا تتعرف بالوقوع بينهما نحو البياض غير السواد فان هناك صفه وحمره وغير ذلك ، والتعريف في ذلك والتعريف في الآيه للجنس فان المنعم عليه ليس شخصا واحدا وكذا المغضوب عليه كما نصت عليه الآيه بصيغه الجمع وأيضا اذا تقرر أن المراد بالذين الجنس جاز نعته بغير ولو قلنا أن غير أهو نكره لجواز نعت المعرفه بأل الجنسيه والموصول الجنسسي بالنكره نحو قوله

* في أنيابها السم نافع *

فنعنت السم بناقع ومقتضى الظاهر أن يقول سم نافع أو السم
الناقع وبسطت الكلام على هذه فى النحو وقد أجازوا فى الجملة
بعد ذلك أن يكون نعتا حالا " (١)

وفى اعراب " يا أيها الناس " (٢) قال " لم يقع النداء فى
القرآن بغير يا ، وهى الأصل ، فما حذف منه حرف النداء مثل :
" ربنا لاتؤاخذنا " وأية المؤمنون قد رفيه بالذكرها فى غيره
ولأصالتها " (٣)

ويناقش أحيانا المفسرين فى أعراب الآيات وما يراه فيها فمن
ذلك - اعرابه لقوله تعالى " أم تقولون ان ابراهيم واسماعيل واسحاق
ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى " (٤) فقال " وأم متصله
متعلقه بقوله أتجاجوننا ، أو منقطعة للانتقال من التوبيخ على المحاجة الى التوبيخ
على الافتراء على الانبياء ووجه الاتصال ذمهم بجمعهم بين المحاجة
فى الله والقول بأن ابراهيم ومن معه كانوا هودا أو نصارى ، مع
كون واحد منهما كافيا فى القبح ، وأبوحيان لما رأى أن الغالب
فى المتصله استدعاء وقوع احدى الجملتين والسؤال عن أحدهما
وما هنا ليس كذلك ، اقتصر على المنقطعه وهكذا عادته ، يرى
غير الغالب كأنه غير موجود فيقتصر على الغالب " (٥)

وأحيانا يستشهد لصحة الاعراب ببعض القراءات فمن ذلك أعراب
قوله تعالى " كلما أضاء لهم مشوا فيه " (٦) فقال " . . . ومفعول

(١) هميان الزاد ج ١ ص ١٥٦ - ١٥٧

(٢) سورة البقره من الآيه ٢١

(٣) تيسير التفسير ص ٣١

(٤) سورة البقره من الآيه ١٤٠

(٥) تيسير التفسير ج ١ ص ١٩١

(٦) سورة البقره من الآيه ٢٠

أضاء محذوف أى كلما أضاء لهم مومضا أو شيا شجره (كذا)
أى نوره مشوا فى مطرح نوره فالهاء عنائده الى البرق ويجوز
عودها الى الوضع الذى أضاء لهم المحذوف ويجوز كونه لازما
أى كلما ظهر لهم البرق ولمع مشوا فيه ويدل له قراءة ابن أبى عبله
كلما أضاء^(١) لهم بترك الهمزة الاولى والهاء للبرق^(٢) .

ويعتق فى تفسيره بالمسائل اللغويه والبلاغيه ويوليها اهتماما
بالغا وبيانا واضحا فقال مثلا فى تفسير قوله تعالى " صم بكم
عمي فهم لا يرجعون "^(٣) : - " والعمى عدم البصر مما فى شأنه
أن يبصر فلا يقال لغير الحيوانات أعمى ولا لملاعين له منها فمن
خلق بلا عينين لا يقال له أعمى لأنه ليس من شأنه أن ينظر بلا عين
وكذا من خلق بعين واحدة لا يقال لموضع عينه الاخرى أعمى ،
ويطلق العمى أيضا على عدم نور القلب فمن لا نور فى قلبه يميز به
الحق فلا فائده فى نظر عينيه لما لم يستعملوا آذانهم وألسنتهم
وعيونهم فيما خلقت له من الهدى سموا بأسماء من لاسمع ولا نطق
ولا بصر لهم اذ لم ينتفعوا بها ، فكانت كالعدم فهم كمن ايفت
حاسته - بكسر الهمزة واسكان الياء كييعت أى أصيبت بآفه -
قال الشعاعر :

مابال قوم صديق ثم ليس لهم * * عهد وليس لهم دين اذا أتمنوا
صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به * * وان ذكرت بسوء عندهم أذنوا

(١) كذا كتبت ولعله أراد " ضاء " بحذف الهمزة الاولى .

(٢) هميان الزاد ج ١ ص ٣١٦

(٣) سورة البقره الآيه ١٨

أى اذا سمعوا خيرا ذكرت به صاروا كمن لا يسمع فلا ينطقون به ولا ينشرونه وان ذكرت بسوء كانت لهم آذان السمع فيعونه وينشرونه أو من أذنت للشئ إذا أصغيت اليه . وقال آخر :

* أصم عما ساءه سميع *

وقال آخر :

أصم عن الشئ الذى لأريده * * واسمع خلق الله حين أريد

وعدى أصم بعن لتضمن معنى التغافل وقال آخر :-

وأصممت عمرا وأعميته * * عن الجود والفخر يوم الفخار

وكل من لفظ أصم وأبكم وأعمى صفة مشبهة لا اسم تفضيل ، والآية من باب الاستعارة التصريحية باعتبار كل واحد من لفظ صم ولفظ بكم ولفظ عمى فتلك ثلاث استعارات ، أو ذلك كله استعاره تمثيلية ، وانما قلت بأن ذلك من الاستعارة مع كون المشبه والمشبه به كليهما مجتمعين في الكلام من حيث أن المشبه به خبر للمشبه المحذوف المقدر المجعول من أجزاء الكلام فكأنه مذكور ، أى هم صم بكم عمى ، أو هؤلاء صم بكم عمى لأنه لا فرق عندى فى الاستعارة بين عدم كون المشبه من أجزاء الكلام وكونه من أجزائه مذكورا أو مقدرا ، اذا لم يقصد المتكلم التشبيه بل قصد أن المشبه هو نفس المشبه به مبالغة^(١) ثم ذهب يوجه هذا القول فى شئ من الاستطراد لا حاجة لنقله هنا .

وهو لا يسلم دائما بما يقوله علماء اللغة بل يناقشهم ويرد عليهم

فمن ذلك ما جاء فى تفسيره لقوله تعالى "

" ان الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضه فما فوقها " (٢) فقال :-

(١) هميان الزاد ج ١ ص ٢٩٧ - ٢٩٨

(٢) سورة البقره : من الآية ٢٦

" والبعضه واحد البعوض وهو البق الصغار فيما ذكره الجوهري
وليس كذلك بل هو الحيوان الذى يطير وينتشر فى الأجنة صيفا سمي
من البعض بمعنى القطع يقال بعضه وبضعه وعضبه أى قطعـه
قال الشاعر :-

لنعم البيت بيت بنى دثار * * اذا ما خاف بعض القوم بعضا
أى قطعاً * (٢)

وأحيانا يستشهد من اللغة لاسلوب القرآن فى الآيه السابقه
مثلا يقول " ومما قيل فى الاستخفاف بالبعوض قوله
اذا كان شىء لا يساوى جميعه * * جناح بعوض عند من كنت عبده
وأشغل جزء منه كلك ما الذى * * يكون على ذا الحال قدرك عنده
يعنى الدنيا وقوله

لاستخفن الفتى بعداوة * * ابدأ وان كان العد وضئلا
ان القذى يؤذى العيون قليله * * ولربما جرح البعوض الفيلا
وقوله :

لا تحقرن صغيرا فى عداوته * * ان البعوضه تدمى مقله الاسد * (٢)
وهو لا يتعصب لرأيه فى اللغة فيستدل للرأى الآخر كما يستدل لرأيه
فى تفسير الفوقيه فى قوله تعالى " فما فوقها " من الآيه السابقه
يرى أن المراد بها " مازاد على بعوضه فى صغر الجثه كجناحها كما
ضرب به المثل فى الحديث وهكذا كنت أفسر الفوقيه بالغلبه فى
الصغر والزياده فيه ورأيت بعد ذلك زكريا قال : انه مذهب المحققين

(١) هيمان الزاد ج ١ ص ٣٨٤

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ٣٨٤ - ٣٨٥

لمطابقتها البلاغه ، ولما سيق له الكلام " الى أن قال " وقيل :
معنى ما فوقها وما زاد عليها فى الكبر كالذباب والعنكبوت أى لا يستحى
أن يضرب مثلا بالبعوضه فضلا عما فوقها ويحتمل الوجهين ما روى
مسلم عن ابراهيم عن الأسود أنه دخل شباب من قريش على عائشه
وهى بمنى وهم يضحكون فقالت : ما يضحكم ؟ فقالوا فلان خـر
على طنـب فسـطاط فكادت عنقه أو عينه تذهب فقالت :-

لا تضحكوا انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " ما من
مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها
خطيئة " (١) فانه يحتمل أن يكون المراد ما جاوز الشوكه فى القله
كنخبه النمل أى عضتها فى قوله صلى الله عليه وسلم " ما أصاب
المؤمن من مكروه فهو كفاره لخطايا حتى نخبة النمله " ويحتمل
ما هو أشد من الشوكه وأوجع كالخرور على طنـب الفسطاط " (٢)

وقارى هذا التفسير يعجب لسعة معارف المؤلف اللغويــــه
خاصة اذا عرف أن لغته الاصلية هى البربرية فقد قال فى أحد
المواضع " وذلك متبين فى لغتنا البربريه " (٣) وقال فى موضع
آخر " أنا نقول فى لغتنا البربريه . . " (٤)

اهتمامه بالقراءات وتوجيه بعضها :

اعتنى المفسر فى تفسيره ببيان أوجه القراءات فيما يتناوله من
الآى مما يدل على سعة اطلاعه فى هذا المجال وهو حينما يتناول

(١) رواه مسلم كتاب البر والصله ج ٤ ص ١٩٩١

(٢) هميان الزاد ج ١ ص ٣٨٦

(٣) المرجع السابق ج ١ ص ٤٥٤

(٤) المرجع السابق ج ١ ص ٤٣٦

هذا لا يقف موقفا سلبيا بل تراه يوجه بعض القراءات ويستدل لها
ويبين معنى الآية على تلك القراءة ، قال في تفسير قوله تعالى " ولو
شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم " (١) :- " وقرأ ابن أبي عمير :
لأذهب بأسماعهم وأبصارهم فالباء فيها صلة للتأكيد ومدخولها مفعول
به والتعديه بالهمزة لا بها بخلافها في قراءة الجمهور ، فانها
للتعديه لعدم الهمزة فيها وانما جعلت حرف التعديه في قراءة ابن
أبي عمير هو الهمزة والصلة هي الباء لأن الأصل في التعديـة
الهمزة لا الباء ولأنها الكثير في التعديه والباء فيها قليلة بالشبه (٢)
وقال في تفسير قوله تعالى " ولهم فيها أزواج مطهرة " (٣) :-
" وقرأ عبيد بن عمير : مطهره بتشديد الطاء وكسر الهاء مشدده
والأصل متطهره أبدلت التاء طاء فأدغمت في الطاء بعدها قال بعض العرب
ما أحوجني الى بيت الله فأطهر به تطهرة وفي هذا الكلام دليل
على جواز لحوق التاء للمصدر الذي على وزن التفعّل ولو كان صحيح
اللام اذا أريدت الوحده مثل تعلم تعلمة ، وان قلت لم لم يقل
طاهره أو متطهره ؟ قلت لأن مطهرة أبلغ لأن معناه أن غيرهن قد
طهرهن ، وما هو الا الله - عز وجل - وأما طاهره ومتطهره فمعناها
طاهرات لا ان مطهرا طهرهن ، ومتطهره أبلغ من طاهره لان -
التفعل للكسب والعلاج فكأنهن قصدن الطهاره وبالغن فيها ، وكذا
قرأ به عبيد لكن أدغم (٤)

(١) سورة البقرة من الآية ٢٠

(٢) هميان الزاد ج ١ ص ٣٢٢ - ٣٢٣

(٣) سورة البقرة من الآية ٢٥

(٤) هميان الزاد ج ١ ص ٣٧٧ - ٣٧٨

ويستدل أحيانا لبعض الأقوال فى التفسير ببعض القراءات فمن ذلك ما جاء فى تفسيره لقوله تعالى " اهبطوا مصرا " (١) :-

" والمراد مصرا من الأمصار ، أو القاهرة أو أعمالها ، وعلى الاخيرين نون مع أنه علم القاهرة أو أعمالها لأنه ثلاثى ساكن الوسط كهند ، أو بتأويل البلد أو المحل ، ويدل لهما قراءة عدم التنوين " (٢) .

وقال فى عند قوله تعالى " فتلقى آدم من ربه كلمات " (٣) :-

" وقرأ ابن كثير بنصب آدم ، ورفع كلمات ، لأن المتلاقيين كل منهما لقى الآخر فالكلمات جئن الى آدم واستقبلنه حتى وصلنه تقول تلقيت المسافر وتلقانى . والتلقى استقبال من جاء من بعد واستعماله فى آدم على قراءة الجمهور وفى الكلمات على قراءة ابن كثير مجاز ، وما ذكرته أولى من حمل قراءة ابن كثير على القلب " (٤) .

وفى قوله تعالى " التى وقودها " (٥) قال " أى ما توقد به وأما الوقود - بضم الواو - فمصدر - بمعنى اشتعال النار ، وقرأ به عيسى بن عمر الهمداني . اما على المصدريه مبالغه بحيث نزل قوة الاشتعال منزله الناس والحجارة ، كأن نفس الناس والحجارة هى الاشتعال ، كقولك زيد صوم اذا أكثر الصوم وقولهم حياة السراج الزيت أى ما يحيا الا به ، فكأنه نفس الزيت ، وما تتقد النار الا بالناس والحجارة فكأن الاتقاد نفس الناس والحجارة . واما على المصدرية وتقدير مضاف اى متعلق وقودها الناس والحجاره ، أو محل وقودها

(١) سورة البقرة من الآية ٦١

(٢) تيسير التفسير ج١ ص ٨٩ - ٩٠

(٣) سورة البقرة من الآية ٣٧

(٤) هميان الزاد ج١ ص ٤٨٥

(٥) سورة البقرة من الآية ٢٤

الناس والحجاره ، أو وقودها احتراق الناس والحجارة ، أو اشتعال
الناس والحجارة بها ، - اما على التسميه بالمصدر بدون أن تعتبر
المبالغة ولا تقدير مضاف كقولك : زيد فخر قومه وزين بلده أى ،
والذى يفتخر قومه به ويزين بلده به وقيل : كل من الوقود بالفتح ،
والوقود بالضم يكون اسما لما تتقد به ومصدرا بمعنى الاتقاد قال
سيبويه سمعنا من يقول وقدت النار وقود عاليا ، والاسم بالضم^(١) .

ولا أدل من اهتمام المؤلف بالقراءات وتوجيهها من أنه يعقد
أحيانا فصولا استطراديه فمن ذلك مثلا الفصول التى عقدها فى
احكام الياء عند القراء ، فصل كل ياء بعدها همزة مفتوحة ، فصل
كل ياء بعدها همزة مكسوره ، فصل كل ياء بعدها همزة مضمومة ،
فصل كل ياء بعدها ألف ولام ، فصل كل ياء بعدها ألف مفرده ،
فصل أحكام الياء عند باقى حروف المعجم^(٢) .

عنايته بالأحكام الفقهية :

قلت فى الحديث عن آراء الاباضيه الفقيهيه أنه ليس بينهم وبين
أهل السنه فارق يذكر فهم يوافقونهم فى الأصول . أما فى الفروع
فخلافهم كالخلاف بين المذاهب الأربعة وقد يتجاوزونه فينفردون ،
برأى دون المذاهب الأربعة .

وصاحب التفسيرين سار فى تفسيره لآيات الأحكام وفق مذهبه
الأباضى ولا يمنعه هذا من أن يورد آراء المذاهب الفقهية الأخرى .

(١) هميان الزاد ج ١ ص ٣٥٦ - ٣٥٧

(٢) انظر الصفحات من ٥٠١ الى ٥٠٥ هميان الزاد ج ١

قال فى تفسير قوله تعالى " هو الذى خلق لكم ما فى الأرض
جميعاً " (١) :-

" استدل المعتزله والفخر بالآيه على أن الأشياء قبل ورود الشرع
على الحل ان كانت نافعه ، وعليه كثير من الشافعيه والحنفيّة
ولا تحتل الآيه أن اللام للضرر ، مثل " وان أسأت فلها " ولادليل
على أن المراد بالآيه الاباحه على شرط نزول الوحي بها ، وقيل
أنها قبل الشرع على الحظر ، وقيل بالوقف ، والأول أولى " (٢) .

وأفاض فى تفسير قوله تعالى " وأتموا الحج والعمرة لله
فان أحصرتم فما استيسر من الهدى " (٣) الآيه ، فمما قال " وأئتوا
بها تامين بشروطهما وأركانهما ولا تكدروهما بشئ ، والأمر فيهما
واجبان ذاتا وتاماً " (٤) .

ثم رد على من قال أن العمرة ليست واجبه ، أما الاحصار فى
قوله تعالى ، فان أحصرتم " فقال " أى منعمت عن الاتمام بعدو
أو مرض أو غيرهما كضياع نفقه ، " ثم قال " هذا مذهبنا ومذهب
أبى حنيفة ويدل له قوله صلى الله عليه وسلم لا احصار الا من مرض
أو عدو أو أمر حابس وهو عموم . قال عروه كل شئ حبس المحصرم
فهو احصار وروى عن بعض الصحابه من أحرم بحج أو عمره ثم حبس
عن البيت بمرض بجهد أو عدو يحبسه فعليه ذبح ما استيسر من
الهدى ، وأهل عمر بن سعيد بعمره فلسع فقال ابن مسعود ابعثوا
بالهدى واجعلوا بينكم وبينه يوم أماره فاذا كان ذلك فليحل وخص
مالك والشافعي الحكم بحصر العدو لقوله " فاذا أمنتكم " وقول

(١) سورة البقرة من الآيه : ٢٩

(٢) تيسير التفسير ج١ ص ٤٦

(٣) سورة البقرة من الآيه ١٩٦

(٤) تيسير التفسير ج١ ص ٢٨٧

ابن عباس لا حصر الا حصر العدو ويعترض بالحديث المرفوع قبل هذا ، وليس ضعيفا ، قيل لأنه روى من طرق مختلفه ، وأن شرط الحاج محلى حيث حبست فلا هدى عليه ان حبس بعد وأوغـيره لقوله صلى الله عليه وسلم لضباعه بين الزبير بن عبدالمطلب حـجى واشترطى وقولى محلى حيث حبستنى يا الله ^(١) والأصل أنه لا يختص هذا بها بل هو لها ولغيرها عند أحمد ، وأحد قولى الشافعى والحديث حجه لنا ولأبى حنيفه أن غير العدو كالعدو فى الآيه والعمرة كالحج " ^(٢)

ويرى أن المرض الذى يبيح الفطر فى رمضان لقوله تعالى " فمن كان منكم مريضا " ^(٣) الآيه : " مرضا يشق معه الصوم بعض مشقه أو يضره أو يتأخر معه برؤه أو يزيد به المرض وذلك بالتجربة أو باخبار الطبيب المسلم الحاذق لقوله تعالى " يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر " ^(٤) فاذا كان الصوم يعسر مع مرض حل الافطار ، لا كما قيل عن ابن سيرين انه أفطر لوجع أصبعه ولا كمال قال الشافعى لا يفطر حتى يجهده الجهد الذى لا يحتل وروى عن مالك أنه يفطر صاحب الرمـد الشديد أو الصداع المضر وليس به مرض يضجعه ان شاء ، واحتج من أباح الافطار بالمرض ولو لم يعسر ولم تكن فيه مشقه باطلاق الآيه " وهو رواية عن الشافعى وهو قول ابن سيرين والحسن البصرى ، وبأن السفر قد يخلوا من مشقه وحل الافطار فيه ولو بلا مشقه لأنه سبب لهما ، ويجاب بأن الرخصه

(١) البخارى : النكاح ج٦ ص ١٢٣ مسلم : الحج ج٢ ص ٨٦٨ وكلاهما بلفظ : اللهم محلى حيث حبستنى .

(٢) تيسير التفسير ج١ ص ٢٨٩ - ٢٩٠

(٣) سورة البقرة من الآيه ١٨٤

(٤) سورة البقرة من الآيه ١٨٥

لم تتعلق بنفس المرض لتنوعه الى ما يزداد بالصوم ، والى ما يخفف به ، ولا يكون مرخصا ألبته ، فجعل ما يزداد به مرخصا بخلاف السفر ، لأنه لا يعرى عن المشقه فجعل نفسه عذرا " (١) .

أما القدر المباح عند الضرورة من الميتة والدم ولحم الجزيير وما أهل لغير الله به فى قوله تعالى " فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه " (٢) " فى الأكل من ذلك بقدر ما يوصله أو يحيا به ولا يأخذ معه من ذلك ، والمذهب تحريم الزيادة على ما يمسك الرمق وكذا روى عن ابى حنيفة والشافعى وقال عبدالله بن الحسن البصرى يأكل قدر ما يدفع الجوع وقال مالك يأكل حتى يشبع ويتزود فاذا وجد الحلال طرحه " (٣) .

وغالب آراء المؤلف الفقهي بل المذهب الأباضى موافق لمذهب أبى حنيفة رحمه الله تعالى لذا كثيرا ما نرى المؤلف يقول ومذهبنا ومذهب ابى حنيفة بل قال فى أحد المواضع عن ابى حنيفة رحمه الله تعالى " وهو كثير الوفاق بينه وبيننا معاشر الاباضيه الوهبيه فى المسائل " (٤) .

وقد يختلفون برأى عن الحنفيه بل عن المذاهب الأربعة كلها فشدوا مثلا بالقول بفطر من أصبح جنبا حيث قال المؤلف فى تفسير قوله تعالى " وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الأسود من الفجر " (٥) " حتى غاية للأكل والشرب لا لهما وللجماع

(١) تيسير التفسير ج١ ص ٢٦٢

(٢) سورة البقرة من الآيه ١٧٣

(٣) تيسير التفسير ج١ ص ٢٤٣

(٤) المرجع السابق ج١ ص ٣٥٧

(٥) سورة البقرة من الآيه ١٨٧

لقوله صلى الله عليه وسلم من أصبح جنباً أصبح مفطراً ، فيجب الكف عنه اذا لم يبق ما يتطهر فيه " (١) فهو اذا يرى أن تبيين الخيط الأبيض من الخيط الاسود من الفجر انما هو غاية للأكل والشرب فقط . أما الجماع فغايته قبل هذا التبين بوقت كاف للغسل وهو خلاف مذهب الأئمة الأربعة وجمهور العلماء سلفاً وخلفاً " (٢) .

والمؤلف لا يلتزم كثيرا المذهب الأباضى فى الفقه بل يخالف أحيانا بعض أصحابه ، فهو يرى فيمن أفطر شهر رمضان كله لعذر أنه يفضى عدد أيام شهر رمضان الذى أفطره " ان كان تسعة وعشرين قضى تسعة وعشرين فقط . ولو بدأ القضاء من أول شهر وكان فيه ثلاثون فلا تهم فانما عليه قضاء شهر رمضان الذى خوطب به فاذا كان من تسعة وعشرين لم يزد والآية حجة لى وذكر بعض أصحابنا وشهروه وبعض قومنا أنه ان بدأ من أول الشهر أتمه زاد على رمضان أو نقص وبعض ان نقص أتمه " (٣) .

وكذا فى افطار المريض أيلزمه تبييت النية للافطار أم لا ؟ فقال : " أما المريض فيبييت الافطار من الليل وان أفطر بلا تبييت وخاف على نفسه أو عضوه أفطر بقدر ما يصل به الليل ، وقيل أو بما يشاء فيبييت نية الافطار فى الليل المستقبل ، وزعم بعض قومنا أن يفطر المريض بلا تبييت افطار بخلاف المسافر لقوله تعالى " أو على سفر وليس بشئ " لقوله تعالى " لا تبطلوا أعمالكم " فليتم المريض يومه ان قدر على اتمامه كالمسافر " (٤) .

(١) تيسير التفسير ج ١ ص ٢٧٣

(٢) انظر تفسير بن كثير ج ١ ص ٢٣٠

(٣) تيسير التفسير ج ١ ص ٢٦٣

(٤) تيسير التفسير ج ١ ص ٢٦٣

وأحيانا يصح بخلافه للمذهب فمن ذلك قوله " والمذهب أن
شرع من قبلنا ليس شرعا لنا ، والذي عندي أنه شرع لنا وأنه يقدم
على الاجتهاد ما لم ينافه القرآن أو الحديث أو الاجماع بدليل راجح
ولا خلاف في أنه ليس شرعا لنا اذا صرح في ذلك بخلافه ولا يصح
أن شيئا شرع لمن قبلنا الا أن ذكر عنهم في القرآن أو الحديث
أو الاجماع أو رواه ثقة أسلم منهم كعبدالله بن سلام " (١) .

الغرام المذهب الأباضي في العقيدة :

التزم المفسر في تفسيرين المذهب الأباضي في العقيدة وهو
كغيره من المفسرين أصحاب المذاهب الأخرى لا يكاد يجد آية
يوافق ظاهرها مذهبه الا جعلها دليلا عليه ولا آية تخالف مذهبه
الا أولها بما لا يكون بينها وبين مذهبه خلاف أو معارضة ، ونحن
حين نسوق تأويله لبعض الآيات من هذا وذاك نعني بالعرض أكثر
من سواه - كما هو مسلكتنا في غيره من المذاهب - فنقول :

الأسماء والصفات :

يرى المؤلف " أن أسماء الله توقيفيه ، وقيل تقاس فيما ورد فيه
لفظ الفعل أو غيره مسندا فنقول الله تائب على عباده لورود تائب
عليه وتائب عليهم ، وبإني السماء وداحي الأرض " (٢)
وينكر الجهة لله تعالى فيقول " والله ينزهه عن الجهات والامكنة
والتنقل " (٣)

أما الغضب في قوله تعالى " غير المغضوب عليهم " (٤) فقال

(١) المرجع السابق ج ١ ص ٣٢٧

(٢) تيسير التفسير ج ١ ص ٦٠

(٣) المرجع السابق ص ٦٠

(٤) سورة الفاتحة من الآية ٧

عنه " والغضب هيجان النفس اراده الانتقام ، وعبارة بعضهم تغير يحصل عند غليان دم القلب لارادة الانتقام وقيل هيجان دم القلب لارادة الانتقام وذلك كله فى حق المخلوق ، واذا كان مسندا الى الله تعالى كما هو المراد فى الآيه فالمقصود لازم ذلك ومسببه وهما الانتقام وان شئت فقل العقاب " (١)

أما الاستواء فى قوله تعالى " ثم استوى الى السماء " (٢) فقال " ومعنى استوائه تعالى الى السماء قصده اليها وتوجيه الارادة ، اليها بأن يخلقها يقال استوى زيد الى كذا كالسهم المرسل اذا قصده من غير ان يميل الى غيره فكذا خلق ما فى الارض وخلق بعده السموات بلا خلق شىء بين خلقهن وخلق ما فى الأرض ووزن استوى : افتعل بمعنى تكلف السواء وهو أصل معناه واطلق فى اللغة على الاعتدال : تسوية وضع الأجزاء ، تقول استوى زيد على الارض أى جلس عليها جلوسا مستويه اليه أعضاؤه التى جلس بها معتدلا ولا يصح حمل الآيه على ذلك لأنه من خواص الجسم والله - جل وعلا - ليس جسما ولا عرضا - لو كانت الآيه على هذا المعنى لقال : ثم استوى فى السماء أو على السماء لا استوى الى السماء لكن الله - جل وعلا - لا يوصف بهذا المعنى ولو قال فى السماء أو على السماء لكان ما ولا (٣) بالقهر والغلبه ويجوز تأويل الآيه بهما ، لكن تأويلها بالقصد والارادة أولى لأنه أقرب الى أصل الاستواء وهو تكلف السواء ولتعديته بالى وللتسويه المرتبة عليه بالغاء ، وعن ابن عباس استوى الى السماء ارتفع اليها وفى رواية سعد والمراد :

(١) هميان الزاد ج ١ ص ١٥٨

(٢) سورة البقرة من الآيه ٢٩

(٣) كذا وردت ولعلها مؤنث

ارتفاع أمره أو صعد أمره أو ارتفع اليها وصعد بقصد وإرادة قال
الطبرى : علا أمره وقدرته وسلطاته ، وقال ابن كيسان قصد الى
السماء أى بخلقه واختراعه وذلك لأنه تعالى منزه عن الانتقال
والحلول والمراد بالسماء الجهة العليا التى فيها السموات لأنه ليس
فيها حين الاستواء اليها سماء ولا سموات (١) .
وفى تفسير قوله تعالى " ثم استوى على العرش " (٢) قال
" واستوى بمعنى استولى بالملك والغلبه والقوه والتصرف فيه كيف
شاء والعرش جسم عظيم وذلك مذهبنا ومذهب المعتزلة وابى المعالى
 وغيره من حذاق المتكلمين وخص العرش بذكر الاستيلاء لعظمه ويصح
أن يكون المعنى استوى أمره ولم يكن فيه عوج فكفى عن ذلك
باستوى على العرش " (٣) .
أما يمين الرحمن فأولها بقوله " ويمين الرحمن عبارة عن المنزلة
الرفيعة والعرب تذكر يمين فى الأمر الحسن ودل لذلك قوله
" كلتا يديه يمين " (٤) - التأويل فى مثل ذلك هو الحق وأما قول
سلف الأشعريه فى مثل ذلك أنا نؤمن به ونزّهه عن صفة الخلق
ونكل معناه الى الله ونقول هو على معنى يليق وكذا طوايف من
المتكلمين فجمود وتعام عن الحق " (٥) .

(١) هميان الزاد ج١ ص ٤٠٦

(٢) سورة الاعراف من الآيه ٥٤

(٣) هميان الزاد ج٦ ص ٣٦١

(٤) من حديث " ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن
عز وجل وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وأهلهم وما ولوا . رواه
مسلم : الاماره ج٣ ص ١٤٥٨ واحمد ج٢ ص ١٦٠ والنسائى : آداب

القضاة ج٨ ص ٢٢١

(٥) هميان الزاد ج٥ ص ٣٣٩

انكار الرؤيه :

وهو ينكر امكان رؤية الله تعالى فى الدنيا والآخرة ، بل يكفر من قال بها أو أجازها . فقد طلب قوم موسى عليه السلام لرؤية الله " ارتداد منهم " (١) . وقد ذكر فى هذا الموضع عددا من الروايات عن طلب قوم موسى رؤية الله ثم ذكر رواية أن موسى عليه السلام سأل ربه أن ينظر اليه بالمجاهره ثم عقب على هذه الرواية بقوله " وهذه الروايه تقتضى أن موسى يجيز الرؤيه حتى سألها ومنعها وليست كذلك بل ان صح سياق هذه الروايه فقد سألوه الرؤيه قبل ذلك فنهاهم عن ذلك وحرمه أو سكت انتظارا للوحى فى ذلك فلما فرغ وخرج عاودوه ذكر ذلك فقال لهم قد سألته على لسانكم كما تحبون لأخبركم بالجواب الذى يقمكم لا لجواز الرؤيه فتجلى للجبل بعض آياته فصار دكا فكفروا بطلب الرؤيه لاستلزامها اللون والتركيب والتحيز والحدود والحلول والعجز عن الاستقلال واما بعد عن المحل كل العجز أو بعضه والجهل به كل الجهل أو بعضه وذلك كله يستلزم الحديث وذلك كله محال ، عن الله واذا كان ذلك مستلزما عقلا لم يختلف دنيا وآخرى فالرؤيه محال دنيا وآخرى ، ولا بالايمن والكفر والنبوه وعدمها) (٢)

والمؤلف ينكر على من علل أخذ الصاعقه لهم بسبب اشتراطهم الرؤيه للايمان " واذا قلت يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهره " (٣) وليست الصاعقه لمجرد طلبهم الرؤيه ، ينكر المؤلف هذا

(١) تيسير التفسير ج١ ص ٢٩

(٢) هميان الزاد ج٢ ص ٤٢ - ٤٣

(٣) سورة البقرة من الآيه ٥٥

القول ، حيث يقول " فأخذتهم الصاعقة بظلمهم اذ سألوا رؤية الله جل وعلا الموجبه لتشبيهه بالخلق والصاعقه نار لطيفه من السماء وقالت الاشعريه الصاعقه انما هي من أجل امتناعهم من الايمان بما وجب ايمانه ^(١) الا بشرط الرؤيه لا من أجل طلب الرؤيه وهو خلاف ظاهر الآيه مع أن الرؤيه توجب التحيز والجهات والتركيب والحلول واللون وغير ذلك من صفات الخلق ويدل لما قلته قوله تعالى " لا تدركه الابصار وهو يدرك الأبصار " ^(٢) والأشعريه لما افحموا قالوا بلا كيف وحديث الرؤيه ان صح فمعناه يزدادون يقينا بحضور ما وعد الله في الآخرة فلا تشكون في وجود الله وكمال صدقه وقدرته كما لا تشكون في البدر " ^(٣) .

وقال في قوله تعالى " واذا قلت يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهره فأخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون الآيه " ^(٤) والآيه دليل على كفر مجيز الرؤيه دنيا أو أخرى وذلك لأن اجازتها ولو في القلب اجازته لتكيفه ، وتكيفه ممتنع لأن فيه تشبيها ، وادراكه بالقلب تكيف لا يتصور بدونه فلا يصح قولهم بلا كيف وتكيفه في القلب بلا تقدير ان يكيفه لغيره هو من نفس المحذور ، فبطل قول طوائف من المبتدعة أن الصاعقة ليست لمجرد الطلب بل لعنادهم واشتراطهم واذا كان المنع للتشبيه لم يضرنا أنها نزلت لطالبها في الدنيا ^(٥)

(١) صحة العبارة بما وجب الايمان به .

(٢) سورة الانعام : من الآية ١٠٣

(٣) هميان الزاد ج٥ ص ١٧٢-١٧٣

(٤) سورة البقرة : من الآية ٥٥

(٥) تيسير التفسير ج١ ص ٨١

القول بخلق القرآن :

جرى المؤلف فى تفسيرين على مذهبه المذهب الأباضى فى القول بأن كلام الله مخلوق فقال فى تفسير قوله تعالى " واذقلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة الآيه " (١) " والقائلون هم السبعون الذين اختارهم موسى من قومه الذين لم يعبدوا العجل لميقات وقت لهم من خيارهم أمره الله أن يأتى بهم الى طور سيناء ليعتذروا ويطلبوا العفو عن عباد العجل فأتى بهم وأمرهم أن يتطهروا ويطهروا ثيابهم ويصوموا وقالوا له ادع الله أن يسمعنا كلامه فأسمعهم " الى أن قال " سمعوا كلام الله بأن خلق صوتا فى أبدانهم أو فى الهواء أو حيث شاء وفى أبدانهم واسماعهم " (٢) .

بل قال ما هو أصح من هذا فى تفسير قوله تعالى " ما ننسخ من آيه أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها " (٣) ، حيث قال : " والنسخ دليل على أن القرآن حادث مخلوق ، ولا نثبت الكلام النفسى فضلا عن أن يقال التعبير من عوارض ما يتعلق به الكلام النفسى ، وهى الافعال ، فى الأمر والنهى ، والنسب الخبرية فى الخبر ، وفى اثبات الكلام النفسى اثبات كون الله طرفا ومتحيزا وان رجع ذلك الى العلم لزم أن كل ما علمه قديم ، والقرآن هو هذه الألفاظ لا غيرها " (٤) .

(١) سورة البقرة من الآيه ٥٥

(٢) تيسير التفسير ج١ ص ٨٠

(٣) سورة البقرة من الآيه ٦٠

(٤) تيسير التفسير ج١ ص ١٥١

حقيقة الايمان :

أفاض الشيخ اطفيش الحديث فى تفسير قوله تعالى فى وصف المتقين بـ " يؤمنون بالغيب " ^(١) أفاض فى الحديث عن الايمان فكتب فيه من ص ١٩٣ الى ص ٢١٠ أى ما يقرب من ثمان عشرة صفحة ليس بوسعنا هنا نقلها بل أذكر ما يعطى صورة واضحة عن عقيدة المؤلف عن المذهب الأباضى .

بعد أن عرف الايمان لغة قال " والايمان فى الشرع يطلق تارة على التصديق بما علم بالضروره أنه من دين سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - كنفى الشركه عن الله سبحانه وتعالى واثبات النبوه والرساله والبعث والجزاء ، ومعنى كون ذلك معلوما بالضروره أنه مشهور ، حتى كأنه أمر ضرورى لا يحتاج الى كسب ، ثم ما لوحظ اجمالا كالملائكة والكتب والرسل ، كنفى ^(٢) الايمان به اجمالا وما لوحظ تفصيلا كجبريل وموسى والانجيل اشترط الايمان به تفصيلا حتى ان من لم يصدق بمعين من ذلك فهو مشرك ، كذا ذكر بعض ، الشافعيه وهو حق كما نقول معشر الأباضيه الوهبييه ، الا أن جمهورنا يوجب معرفة جبريل وآدم ، ولا يمهل المكلف الى ورود - معرفتهما عليه ، كما لا نمهله نحن ولا قومنا فى معرفة النبى محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ، ولا يشرك الانسان بانكار نبى لم يتواتر .

(١) سورة البقرة من الآية ٣

(٢) هكذا وردت ، وصحة العبارة (اشترط الايمان به اجمالا)

وبه يستقيم المعنى .

وتارة يطلق على مجموع الاعتقاد والاقرار أو العمل^(١) بمقتضى ذلك ، فمن أخل بالاعتقاد وحده أو به وبالعمل فهو مشرك من حيث الانكار منافق أيضا ، من حيث أنه أظهر ما ليس في قلبه ومن أخذ^(٢) بالاقرار وحده أو بالاقرار والعمل فهو مشرك عند جمهورنا وجمهور قومنا ، وقال القليل أنه اذا أخل بالاقرار وحده مسلم عند الله من أهل الجنة وان أخل به وبالعمل ففاسق كافر نعمه ، ونريد باسم آخر له وهو لفظ منافق وان أخل بالعمل فقط فمنافق عندنا فاسق ضال كافر كفرا دون شرك ، غير مؤمن الايمان التام ، وقالت المعتزلة خارج عن الايمان غير داخل في اسم الكفر سواء كفر الشرك ومادونه ، وروى الايمان اقرار باللسان وعمل بالاركان واعتقاد بالجنان ، وقيل هو من كلام بعض السلف واختلفوا - الخواج - وهم الذين خرجوا عن ضلاله على^(٣) ، فقالت الاباضيه الوهبييه وسائر الاباضيه فيمن أخل بواحد من الثلاثة ما تقدم : من اشراكه بترك الاعتقاد أو بترك الاقرار ، وينافق بترك العمل ، ويشبتون الصغيره وقال الباقر كذلك وأنه لا صغيرة ، ومذهب المحدثين أن انضمام العمل والاقرار الى الاعتقاد على التكميل لا على أنه ركن ، ونحن نقول : - انضمامها اليه ركن وهما جزء ما هيته ، وقيل شرط خارج عن الماهيه لا ينتفع به بدونهما ، وأن ماهيته هي التصديق بالقلب فقط وأما الاقرار فلاشهار دين الله - تبارك وتعالى - وتعظيمه والدعاء اليه ، ونفى أحكام المشركين عن نفسه ، وأما العمل فلوجوب الصدق ، فمن لم يعمل فقد كذب اعتقاده واقاراره ان أقر وخرج عن

(١) هكذا وجدت بها بالطبعتين وصحة العبارة لها والاقرار والعمل (بدون

أو ، كما يدل سياق الكلام .

(٢) هكذا وجدت بها بالطبعتين ايضا وصحتها ومن أخل باللام لا بالذال ، كما

يدل سياق الكلام .

(٣) يقصد على بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضى الله عنه .

عبادته من أقرله واعترف له وأعتقد أنه عبده ، وعلى كلا القولين من أن الاقرار والعمل شرطان ، أو شرطان لما هيه الايمان يكفى اقراره وعمله في خلوة عن حضور أحد ، وزعمت الكراميه الايمان هو التلفظ بالشهادتين سواءً طابقه الاعتقاد أم لا ، فان طابقه نجا ولو لم يعمل والا فهو مخلد في النار من غير أن يسموه مشركا ، فعندهم التلفظ ينفي اسم الشرك باطنا كما ينفيه ظاهرا ، ولا ينفي حكمه وهو الجزاء بالنار ان لم يطابقه الاعتقاد ، ويبطل قولهم ما وردت به لغة العرب والقرآن والسنة أن الايمان تصديق بالقلب واذعانه ، وقال أبو حنيفة وبعض الأشاعره : الايمان تصديق بالجنان واقرار باللسان ، لأن التصديق لما اعتبر بكل من اللسان والجنان كان كلا منهما جزءا من ما هيه الايمان ، ولكن تصديق القلب ركن لا يحتمل السقوط ، وتصديق اللسان يسقط لنحو خرس أو اكراه وهو موافق لما نقوله معشر الاباضيه الوهبيه غير أنا نقول : -

ان العمل جزء من ماهيه الايمان لكن لا يخفى أنه جزء من ماهيه الايمان التام لا من مطلق الايمان ، بدليل أنه لانحكم بالشرك على من ترك العمل ، قال ^(١) الايمان باق فيمن ترك العمل ، ولكنه لا ينفيه فمطلق الايمان تركت ما هيته عندنا بالاعتقاد والاقرار فقط ورجح بأن الله جل وعلا ذم المعاند أكثر من الجاهل المقصر ويجاب بأن الذم للانكار والعناد للمجرد عدم الاقرار ^(٢)

ثم بعد هذا كله ذكر الشيخ محمد اطفيش الرأي الذي يميل اليه بين هذه الآراء فقال " وقيل - أي الايمان - الاعتقاد فقط،

(١) صحة العبارة : فان الايمان .

(٢) هميان الزاد ج ١ ص ١٩٤ - ١٩٦

وأما الاقرار فلما مر من اشهار الدين والدعاء اليه ونفى أحكام
الشرك ونحو ذلك ، وللعبادۃ والشواب والتوكيد ويدل له اضافة
الايمان الى القلب مثل : (وقلبه مطمئن بالايمان) ^(١) ولم يؤمن
قلبه (ولما يدخل الايمان في قلوبكم) ^(٢) وعطف العمل الصالح
عليه في مواضع لا تحصى ، ونطق اللسان من العمل الصالح ، وقرنه
بالمعاصي كالاقتتال والقتل والظلم في نحو (وان طائفتان من المؤمنين
اقتتلوا) ^(٣) (كتب عليكم القصاص في القتلى) ^(٤) (الذين آمنوا
ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) ^(٥) مع ما في ذلك من قلة التغير عن معناه
اللغوي ، ومن قربه اليه ويدل لذلك تعديده بالباء يتبادر منه التصديق
ويدل له أنا اذا رأينا من أحد أمارۃ المؤمنين حكمنا بايمانه وأزلنا
عنه حكم الشرك وكذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم - فعلم
أن الايمان في القلب ، وأنه بأى علامه كشف عنه حكمنا به ، سواء
كشف عنه اللسان أو غير اللسان ، ولست في ذلك قاصدا لمخالفة
أصحابنا رحمهم الله ولكن ذكرت ما أدى اليه اجتهادى . ^(٦)

وهو بما أدى به اليه اجتهاده من القول بأن الايمان هو الاعتقاد
قد خالف جمهور الأباضية حيث يقول " غير أن جمهورنا كما علمت
الا قليلا جدا وجمهور قومنا أيضا يقولون لا ايمان بلا اقرار " . ^(٦)

(١) سورة النحل من الآيه ٦ - ١٠

(٢) سورة الحجرات من الآيه ١٤

(٣) سورة الحجرات من الآيه ٩

(٤) سورة البقرة من الآيه ١٧٨

(٥) سورة الانعام من الآيه ٨٢

(٦) هميان الزاد : ج ١ ص ١٩٦ - ١٩٧

وقد وهم الشيخ محمد حسين الذهبي رحمه الله تعالى فقد
اعتقد أن المؤلف سار على رأى الأباضية في هذا فقال في وصفه " أنه
يحاول محاولة جديده في تحقيق أن العمل جزء من الايمان ، ولا يتحقق
الايمان بدونه " (١) مع أن الذهبي نفسه نقل نصا للمؤلف خلاف
هذا .

ففي تفسير قوله تعالى " وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم
جنات تجري من تحتها الأنهار " (٢) أكد المؤلف على قيمة العمل مع
الايمان لكنه لم يجعله جزءاً منه أولاً يتحقق الايمان بدونه بل صرح بأن
عطف العمل الصالح على الايمان يدل على المغايره بين المتعاطفين
ولنسق كلام المؤلف بنصه : - " (الذين آمنوا وعملوا الصالحات)
ترى الانسان يقيد كلامه مره واحده بقيد فيحمل سائر كلامه
المطلق على هذا القيد ، فكيف يسوغ لقومنا أن يلغوا تقييد الله
عز وجل الايمان بالعمل الصالح مع أنه لا يكاد يذكر الفعل من الايمان
الا مقرونا بالعمل الصالح ، بل الايمان نفسه مفروض لعباده من يجب
الايمان به وهو الله تعالى ، اذ لا يخدم الانسان مثلاً سلطاناً لا يعتقد
بوجوده وثبوت سلطنته فالعمل الصالح كالبناء النافع المظلل المانع
للحر والبرد والمضرات والايمان أس فلا ينفخ الأس بلا بناء عليه
ولو بنى الانسان ألوماً من الأسوس ولم يبن عليها ، لهلك باللصوص
والحر والبرد وغير ذلك فاذا ذكر الايمان مفرداً قيد بالعمل الصالح
واذا ذكر العمل الصالح فما هو الا فرع الايمان ، اذ لا تعمل لمن لا تقر
بوجوده وفي عطف الأعمال الصالحات على الايمان دليل على أن كلا

(١) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبي ج ٢ ص ٢٢٢

(٢) سورة البقره من الآيه ٢٥

منهما غير الآخر لأن الاصل في العطف المغايره بين المتعاطفين ففي
عطف الأعمال الصالحات على الايمان ايدان بأن البشارة بالجنات
انما يستحقها من جمع بين الأعمال الصالحات والايمان ، لكن الاعمال
الصالحات تشمل الفرض والنفل والمشروط الفرض وأما النفل فزيادة
خير" (١)

وهذا يتبين أن الايمان عند المؤلف هو الاعتقاد فقط أما
الاعمال الصالحات والايمان فكل منهما غير الآخر ولكن الجمع بينهما
شرط لاستحقاق البشارة بالجنات .

حكم مرتكب الكبيره :

سار الشيخ اطفيش في هذا على مذهبه مذهب الأباضية الوهبييه
وهم كما سبق القول يطلقون على الموحد العاصي كلمة كافر ويعنون بها
كافر النعمه ويجرون عليه أحكام الموحدين ، ويقسمون الكفر الى قسمين
كفر نعمه ونفاق وهو هذا الذي تتحدث عنه ، وكفر شر وجحود وهو
المخرج من المله الاسلاميه .

وقد قارن الشيخ اطفيش في تفسير قوله تعالى " يؤمنون
بالغيب" (٢) بين آراء المذاهب فقال " ثم انه لا يخفى ان الحق معنا
في قولنا : ان مرتكب الكبيره كافر كفر نفاق وهو كفر نعمه موحد ايمانه
ناقص ، لا كما زعمت المرجئه أنه مؤمن كامل الايمان ولا كما زعمت
المعتزله أنه لا كافر ولا مؤمن فان أرادوا لا يؤمن ايمانا كاملا ولا كافر
كفر شرك فقد صدقوا وان ارادوا نفي اسم الكفر عنه مطلقا كذبتهم آثار

(١) هميان الزاد ج ١ ص ٣٦١ - ٣٦٢

(٢) سورة البقره من الآيه ٣

وأحاديث جمعتها في بعض ما من الله به على من التأليف . . ولا كما
قالت المالكية والشافعية والحنابلة والحنفية : انه لا يسمى باسم كافر
أصلا ، ووافقنا محققوهم على أنه يسمى به على معنى كفر النعمه ،
ولا كما زعمت الصفريه من أنه مشرك ، ولا كما زعم بعض الصفريه أنه
مشرك بالمعصيه مطلقا ولو لم تكن كبيره " (١)

ويظهر لي والله أعلم أن الخلاف في هذه الجزئيه لفظي ذلكم
أن أهل السنه يصفون مرتكب الكبيره بأنه مؤمن ناقص الايمان أما
الأباضيه - والشيخ اطفيش من أئمتهم - فيعتقد أنه يجوز نفي الايمان
عن ناقص الايمان باعتبار الكمال فهو لاء سموه ناقص الايمان ووقفوا
وهو لاء قالوا انه غير مؤمن بل كافر نعمه لا كفر شرك لا يخرج من الملئ
ولا يحكم عليه باحكام المرتدين ويعامل معاملة الموحدين ، وهذا
كلام الشيخ اطفيش في تفسير احدي الآيات حيث يقول " أنه يجوز
نفي الايمان عن ناقص الايمان باعتبار الكمال كما في قوله صلى الله
عليه وسلم " لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن " أى لا يزنى وهو
مؤمن ايمانا كاملا ، بل ناقصا ، فحينئذ يقال له آمن ولا يقال مؤمن
كما نفي عنه في الحديث اسم مؤمن لأنه يوهم كمال ايمانه الابقيد ،
فيجوز مؤمن ناقص الايمان " (٢)

إذا فالخلاف بين الفريقين لفظي هو لاء سموه ناقص الايمان وهو لاء
قالوا ان ناقص الايمان لا يسمى مؤمنا لتوهم كمال الايمان فيجوز
ناقص الايمان ، وسموه هم كافر نعمه لا كافر شرك .

لكن الخلاف الشديد بين الفريقين في عقاب مرتكب الكبيره وهو حتما -

ليس خلافا لفظيا .

(١) هميان الزاد ج ١ ص ٢٠٤

(٢) هميان الزاد ج ١ ص ٢٠٢

لا يغفر لصاحب الكبره ما لم يتب :

هذا أول خلاف بين الفريقين ذلكم أن الاباضيه يرفضون قول أهل السنه بأن صاحب الكبره تحت المشيئة ان شاء غفرله وان شاء عذبه .

فالشيخ اطفيش مثلاً في تفسير قوله تعالى " وان تبدوا بما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء" (١) يقول : - " ولا دليل فى الآيه على جواز المغفره لصاحب الكبره الميت بلا توبه منها كما زعم غيرنا لحديث هلك المصرون " (٢) وكذا قال فى تفسير قوله تعالى " ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم" (٣) " والمراد بالآيه التنبيه على أنه لا يجوز لمن عصى الله - أى عصيان كان - ان يظن أنه لا يغفر له ولا تقبل توبته ، وذلك مذهبنا معشر الأباطيه وزعم القاضى - يقصد البيضاوى - وغيره أن غير الشرك يغفر بلا توبه ، ومشهور مذهب القوم - يريد أهل السنه - ان الموحد اذا مات غير تائب يرجى له - أنه ان شاء الله عذبه بقدر ذنبه وأدخله الجنة وان شاء غفر له ، ومذهبنا أن من مات على كبره غير تائب لا يرجى له " (٤)

أما اذا صدمته بالآيه التى تنص على مغفرة الله لمن يشاء وتعذبيته لمن يشاء فى قوله سبحانه " يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء " قال " يغفر لمن يشاء الغفران له أن يوفقه للتوبه ويعذب من يشاء تعذبيته بأن لا يوفقه . . . وليس من الحكمة أن يعذب المطيع الموفى وليس منها أن يرحم العاصى المصر وقد انتفى الله من أن يكون ظالماً وعد من الظلم النقص من حسنات المحسن والزيادة فى سيئات المسمى ، وليس من الجائز عليه

(١) سورة البقرة من الآيه ٢٨٤

(٢) هميان الزاد ج ٣ ص ٤٤٣

(٣) سورة الزمر من الآيه ٥٣

(٤) هميان الزاد ج ١٢ ص ٧٣

ذلك خلافاً للاشعريه في قوله ^(١) يجوز أن يدخل الجنة جميع المشركين والنار جميع الأبرار وقد أخطوا في ذلك لا يجوز ذلك ولو شخص واحد " ^(٢)

هذا هو الخلاف الأول نحو مرتكب الكبيره فأهل السنه كما ذكرنا قالوا أنه تحت المشيئة والاباضيه قالوا لا يغفر له الا بالتوبه ، أما الخلاف الثاني ففي خلوده في النار بعد دخوله .

خلود مرتكب الكبيره في النار :

أما أهل السنه فيعتقدون أن أصحاب الكبائر في النار لا يخلدون هذا ان أدخلهم الله اياها ولم يغفر لهم قبل الدخول ، أما الاباضيه فيعتقدون خلود أصحاب الكبائر في النار لا يفنون ولا تفنى ، ففي تفسير قوله تعالى " بلى من كسب سيئه وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون " ^(٣) قال : " لا يخرجون منها المشركون والفاسقون والاصل في الخلود الدوام ، وحمله على المكث الطويل انما يصح لدليل ولا خلاف في دوام المشرك في النار ومعنى احاطة الخطيئة به أنها أهلكته اذ لم يتخلص منها بالتوبه وليس المراد أنها به معنى أنها في قلبه وجوارحه فلا دليل في الآيه على أن الخلود انما هو لمن عمته ^(٤) قلبه بالشرك لانه اذا صرنا الى معنى تعميم البدن بالمعصيه ورد علينا أن من جسد الكافر ما لم تصدر منه معصيه مثل عنقه وأعلى صدره اذا لم تصدر منهما " ^(٥)

(١) كذا بالافراد والضمير يرجع للاشعريه .

(٢) هيمان الزاد ج ٤ ص ٢٤٠ - ٢٤١

(٣) سورة البقره الآيه ٨١

(٤) اي الخطيئة .

(٥) تيسير التفسير ج ١ ص ١١٣ - ١١٤

وفسر الخلود بالدوام في قوله تعالى " اولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون " (١) حيث قال " دائمون وخلود أهل النار فيها وأهل الجنة فيها دوام " (٢)

وقال في تفسير قوله تعالى عن آكلى الربا " ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون " (٣) : - وأصحاب الكبائر من أهل التوحيد مخلدون ،

أما الخلاف الثالث في حق مرتكب الكبيرة بين أهل السنه والاباضيه ففي الشفاعة لأصحاب الكبائر إذ ينكرها الاباضيه الا للموحدين لا لأصحاب الكبائر ولا للمشركين .

الشفاعة :

أما أهل السنه فيعتقدون شفاعته صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر من أمته ويشاركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون أيضا (٤) أما الاباضيه فقال الشيخ اطفيش في تفسير قوله تعالى " واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة " (٥) : - والآيه دليل لنا وللمعتزله على أن لا شفاعة لأهل الكبائر لأن الآيه ولو كانت في المشركين لكنها في صفة يوم من شأنه أنه لا شفاعة فيه بدفع العذاب عن مستحقه ولا مقام أوزمان من مقامات الموقف وأزمنته نص فيها على ثبوتها للفساق (٦) ولا الشخص المصر . (٧)

-
- (١) سورة البقره من الآيه ٨١
(٢) تيسير التفسير ج ١ ص ١١٤
(٣) سورة البقره من الآيه ٢٧٥
(٤) انظر شرح الطحاويه ص ٢٥٨
(٥) سورة البقره من الآيه ٤٨
(٦) بل ثبت بالتواتر عند أهل السنه ثبوت الشفاعة لأهل الكبائر انظر شرح الطحاويه ص ٢٥٨
(٧) تيسير الفتسير ج ١ ص ٧١

وقال في تفسير قوله تعالى " ولا تنفعها شفاعه " (١) قال
" وذلك مخصوص بالمشرك فانه لا شفاعه له هنالك الا شفاعة القيام لدخول
النار ولا نفع له في دخول النار وانما الشفاعه للموحد التائب " (٢)
وفي تفسير قوله تعالى " ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست
منهم في شيء " (٣) قال " فالآيه نص أو كالتص في آن لاشفاعة لاهل
الكبائر أي أنت برى منهم على كل وجه " (٤)

إذا فخلاصة رأى الشيخ اطفيش في تفسيريه بل مذهبه الاباضى
ان مرتكب الكبيره كافر كفر نعمه ، لا يغفر الله له ان لم يتب ، خالد
في النار لاتغنى ولا يغنى ، ولا يشفع له فيخرج منها أو يخفف عنه ،
والله أرحم مما قالوا .

خلق أفعال العباد :

يعتقد المؤلف أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق لافعال
العباد وأن وقوع المعاصى بارادته ومشيئته مع اختيار العاصى جاء
ذلك في تفسيره لقوله تعالى " ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك
عليهم حفيظا " (٥) حيث قال " ولو شاء الله عدم اشراكهم بالله
تعالى ما أشركوا به تعالى شيئا فالآيه دليل على أن اشراكهم بارادة الله
ومشيئته ، وفيه رد على المعتزله في قولهم لم يرد معصية العاصى
وزعموا أن المعنى لو شاء الله لأكرههم على عدم الاشراك ، ولزم
عليهم أن يكون مغلوبا على أمره اذا عصى ولم يرد المعصيه ، بل

(١) سورة البقره من الآيه ١٢٣

(٢) هميان الزاد ج ٢ ص ٢٩٩

(٣) سورة الانعام من الآيه ١٥٩

(٤) هميان الزاد ج ٦ ص ٢٧٤

(٥) سورة الانعام من الآيه ١٠٧

أراد الايمان منهم ولم يقع - تعالى الله عن ذلك - والحق أن المعصية بارادته ومشيئته مع اختيار العاصي ، لاجبر ، للذم عليها والعقاب والنهي عنها " (١)

وكذا عند تفسيره لقوله تعالى " الله خالق كل شىء " (٢) قال " من ايمان وكفر وخير وشر مما هو كائين دنيا وأخرى " (٣) أما الارادة فى قوله تعالى يريد الله بكم اليسر " (٤) فقال :- " يريد الله بكم اليسر فى دينه أى بشرعه ، وهو مراد أبى حيان اذ فسر الارادة بالطلب قال ذلك خروجاً عن تبديل الارادة فان ارادة الله لا تتبدل وذلك منه خروج عن مذهب الاعتزال اذ زعمت المعتزلة أن ارادته تعالى قد يخالفها العبد وتبطل " (٥)

موقفه من الصحابة رضوان الله عليهم :

هم يوالون أبا بكر الصديق وعمر الفاروق رضى الله عنهما ويذمون عثمان وعلياً رضى الله عنهما وهذا اطفيش يقول فى تفسير قوله تعالى " وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض " (٦) فقال " قال المخالفون عن الضحاك ان الذين آمنوا هم عمر وأبو بكر وعثمان وعلي وأن استخلافهم امامتهم العظمى وسيأتى - وقد مر أيضاً - ما يدل على بطلان دخول عثمان وعلي فى ذلك " (٧)

-
- (١) هميان الزاد ج ٦ ص ٦٨
 - (٢) سورة الزمر من الآيه ٦٢
 - (٣) هميان الزاد ج ١٢ ص ٧٧
 - (٤) سورة البقره من الآيه ١٨٥
 - (٥) تيسير التفسير ج ١ ص ٢٦٧
 - (٦) سورة النور من الآيه ٥٥
 - (٧) هميان الزاد ج ١٠ ص ٢٨٠

وقال أيضا " وفي أيام أبي بكر وعمر وعثمان وعلي بعد هم كانت
الفتوح العظيمة وتمكن الدين لأهله لكن لا دليل في ذلك على إصابة
عثمان وعلي فانهما - ولو كانت خلافتهما حقا برضى الصحابه - لكن ما ماتا
الا وقد بدلا وغيرا فسحقا " (١)

أما ما قاله في عثمان رضى الله عنه وحده فمنه ما قاله في تفسير
قوله تعالى " فاولئك هم الفاسقون " من الآيه السابقة حيث قال
" وأقول والله أعلم بغيبه أن أول من كفر تلك النعمة وحجدها
عثمان بن عفان " (٢) ثم ذهب يذكر من مثالبه ما هو منه برىء أولا يصل
به رضى الله عنه الى حد الجراه على ذمه وقد حه .

وكعادته فى تأويل ما يخالف مذهبه من الآى أو الحديث
ذهب يؤول تأويلا باطلا ما ورد من الحديث فى فضل عثمان رضى الله
عنه من مثل ما قاله فيه صلى الله عليه وسلم بعد أن جهز عثمان جيش
العسره فقال عليه الصلاة والسلام " ماضر عثمان ما عمل بعد اليوم "
فقال فى تأويل ذلك مشككا فى صحة الحديث " فان صح هذا فذلك أيضا
دعاء " (٣)

وقال فى الحديث الآخر فى ذلك أيضا " لا يضر عثمان ما عمل بعدها "
قال " فأن صح ذلك فمعنى ذلك الدعاء له بالخير لا القطع بأنه من
أهل الجنه " (٤)

ولن نذهب نذكر درجة هذين الحديثين ومدى دلالتهم فى
البشاره لعثمان رضى الله عنه بالجنه ولكن نذكر حديثا رواه البخارى

(١) المرجع السابق ج ١ ص ٢٨١

(٢) هميان الزاد ج ١٠ ص ٢٨٢

(٣) المرجع السابق ج ٧ ص ٣١٣

(٤) رواه البخارى كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب مناقب
عثمان رضى الله عنه ج ٤ ص ٢٠٢

فى صحيحه قال النبى صلى الله عليه وسلم من يحفر بئر رومه فله الجنة فحفرها عثمان وقال من جهز جيش العسره فله الجنة فجهزه عثمان .
ولا ننسى الحديث الآخر الذى رواه البخارى أيضا فى صحيحه
عن النبى صلى الله عليه وسلم حين سعد أحد فرجف فقال عليه الصلاة
والسلام اسكن أحد فليس عليك الا نبى وصدىق وشهيدان . (١)

هذا من ناحية عثمان رضى الله عنه أما ما قال فى على رضى
الله عنه فمنه ما قد مرينا من وصفه للخواج بأنهم " الذين خرجوا
عن ضلالة على " (٢) وقال فى موضع آخر معرضا بعلى رضى الله عنه
وأىضا الباغى من يرى التحكيم فيما كان لله فيه حكم ، والسافك دماء
من لم يتبعه على هذه الزلته " (٣) .

وعند استدلال على رضى الله عنه بحديث سمعه من الرسول
صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من أمتى يقرأون القرآن ليس
قرأتكم الى قرآتهم ولا صلاتكم الى صلاتهم بشىء . . الخ للحديث
علق الشيخ اطفيش على هذا الاستدلال قائلا " فترى على بن أبى
طالب وهو خصم يتأول الحديث فى من خاصموه أعنى غلبوه فى الخصومه
فخصموه والحمد لله رب العالمين وهو مدع ويأتىك ما يبطل هذه
الدعوى ولا يخفى بطلانها " . (٤)

وقال فى بعض الأحاديث فى فضل آل محمد :-

" وذلك كله صحيح الروايه لكن المراد بآله ، آله الذين لم يبدلوا فخرج على
ونحوه ممن بدل فانه قتل من قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل قاتله الجنة " (٥)

(١) المرجع السابق ص ٢٠٤ ج ٤

(٢) هميان الزاد ج ١ ص ١٩٥

(٣) المرجع السابق ج ٩ ص ١٨٣ - ١٨٤

(٤) المرجع السابق ج ٤ ص ١٨٥

(٥) هميان الزاد ج ١٢ ص ٢٢٧

وهكذا بعد عثمان وعلي رضي الله عنهما سلك الأباضية في بقية الصحابة فجعلوا القياس من بعدهما التحكيم فمن رضي بالتحكيم فهو مبطل وذموه ، وصرح بهذا الشيخ اطفيش في تأويله لقوله تعالى " ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات " (١) .

فقال " ان الراضين بالتحكيم هم المبطلون " (٢)

اشادته بمذهبه

كثيرا ما يشيد الشيخ اطفيش بمذهبه الأباضي الوهبي ويحسنه ويرجح أدلته ويصفه بالحق وأهله أهل الحق وها هو في تفسير قوله تعالى " فاستقم كما أمرت ومن تاب معك " (٣) يقول " واعلم يا أخى - رحمك الله - أنى استقرت المذاهب المعتمرة كـمذهبننا معشر الأباضية ومذهب المالكية ومذهب الشافعية ومذهب الحنفية ومذهب الحنبلية بالمنقول والمفعول (٤) ولم أرى مستقيما منها فى علم التوحيد والصفات سوى مذهبنا فإنه مستقيم خال عن التشبيه والتعطيل حججه لا تقاومها حجه ولا تثبت لها والحمد لله وحده (٥) . ومن قام بالقرآن والسنة فهو الجماعة والسواد الأعظم وأهل السنة ولو كان واحدا ومن خالفهما فهو مبتدع ضال . ولذا فهو يرى أن الأباضية هم الجماعة والسواد الأعظم وهم أهل السنة أيضا ، وها هو يقول فى تفسير قوله تعالى " واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا . . الآية (٦) فقال " والآيه ما نعمة لمن قدر على الاجتهاد فى التقليد وما نعمة لمن قدر على النظر . والترجيح

(١) سورة آل عمران : من الآية : ١٠٥ .

(٢) هميان الزاد : ج٤ ص ١٨٦ .

(٣) سورة هود من الآية ١١٢ .

(٤) هكذا وردت وصحة العبارة والمعقول .

(٥) هميان الزاد ج٨ ص ٢١٢-٢١٣ .

(٦) سورة البقرة من الآية ١٧٠ .

أن يقلد قولا من الأقوال ويترك نظره وترجيح ما يظهر ترجيحه له
واتباع القرآن والسنة ليس تقليدا واعلم أن الحق هو القرآن والسنة
وما لم يخالفهما من الآثار فمن قام بذلك فهو الجماعة والسواد الأعظم
ولو كان واحدا لأنه نائب النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين
الذين اهتدوا وكل مهتد ، ومن خالف ذلك فهو مبتدع ضال ولو كان
جمهورا هذا ما يظهر لي بالاجتهاد وكنت أقرره للتلاميذ عام تسع
وسبعين ومائتين وألف فأصحابنا الأباضية الوهبيه هم الجماعة والسواد
الاعظم وهم أهل السنة ولو كانوا أقل الناس لأنهم المصيون في أمر
التوحيد وعلم الكلام والولاية والبراءة والاصول دون غيرهم وأما الفروع
فقولهم فيها أصح لادلته لكن قد يشاركونهم غيرهم في الصحة فيما خالفهم
ثم اطلعت بعد ذلك بنحو عامين على ما ذكرته ووجدته نصا للثوري
قال الشعراني كان سفيان الثوري يقول المراد بالسواد الاعظم هم
من كان من أهل السنة والجماعة ولو كان واحد والحمد لله والشاهد
في قوله ولو كان واحدا مع حقيقة قوله أهل السنة والجماعة الصادقة
على أصحابنا ولو أراد هو أهل المذاهب الأربعة وهم أهل أهواء^(١)!!
موقفه من المذاهب الأخرى :

جری المؤلف على اطلاق لقب " أصحابنا " ويريد به اتباع ،
المذهب الاباضي . أما أهل السنة والجماعة ، فيسميهم " القوم "
أو " قومنا " ويطلق عليهم غالبا التقسيم الفقهي (الحنفي والشافعي
والمالكي والحنبلي) فيقول مثلا وهو يبحث في العقيدة لا الفقه
" لا كما قالت المالكي والشافعي والحنابله والحنفي " ^(٢) يقول
هذا تهريا من اطلاق وصف أهل السنة ، أما اذا أراد أن يذكر هذا

(١) هميان الزاد ج٢ ص ٤٥٥ - ٤٥٦

(٢) هميان الزاد ج١ ص ٢٠٤

اللقب فانه يقول " ووافقنا على ذلك فحققوا المتسمين بأهل السنة^(١)
لأن أهل السنة عنده - كما مر - آفاهم الاباضيه .

وهومع هذا يخصهم بمزيه من بين المذاهب الاخرى فهو يقدم
أقوال أهل السنة بقوله " قالوا " أو " وقال " . أما بقية المذاهب
الأخرى فيقدم أقوالهم بالزعم فيقول وزعمت المرجئه ، وزعمت المعتزلة
وزعمت الشيعة وزعمت الصفرية ونحو ذلك^(٢) وهو أحيانا يتجاوز هذا
كله ، ويتعصب ضدهم بشده ويصف أهل المذاهب الأربعة بأنهم أهل
أهواء^(٣) ولكن هذا في تفسيريه قليل .

المعتزلة :

ومأثر الشيخ اطفيش بل المذهب الأباضى بالمعتزلة واضح بين
في بعض العقائد بل حرص المؤلف على النص في مقدمته القصيدة كيف
وهميان الزاد حرص على أن ينص على أنه " يوافق نظر جار الله والقاضي
وهو الغالب والحمد لله وتارة يخالفهما ويوافق وجهها أحسن مما أثبتاه
أو مثله " ^(٤) .

لذا فقد وافق المعتزلة مثلا في أنه " لو لم يبعث الله
رسلا ولا كتبنا لوجب الايمان من العقل كما قال (وفي أنفسكم أفلا
تبصرون) لما نصب من الأدلة في أنفسهم وفي غيرهم وانما الرسل
والكتب لتفصيل الأحكام والشريعة هذا تحقيق المقام ولو اشتهر في
المذهب أن حجة الله الكتب والرسل " ^(٥) .

(١) المرجع السابق ج ١ ص ٢٠٢

(٢) انظر مثلا هميان الزاد ج ١ ص ٢٠٤ وجه ص ٣٧٦

(٣) هميان الزاد ج ٢ ص ٤٥٦

(٤) هميان الزاد ج ١ ص ٥

(٥) هميان الزاد ج ١ ص ٤٩٠

ووافقهم أيضا في صفات الله تعالى وفي انكار الرؤيه وفي القول
بخلق القرآن وفي خلود أهل الكبائر في النار وانكار الشفاعة لاهل
الكبائر ، وفي التهجم على بعض الصحابه رضى الله عنهم وفي غير ذلك
وهو مع هذا فيخالفهم في بعض الأمور مثل ان مرتكب الكبيرة
كافر كفر نعمه لا كما قالت المعتزله لا كافر ولا مؤمن بل منزلة
بين المنزلتين ويخالفهم أيضا في نحو أن العبد يخلق فعله فهو
يرى - كما مر - أن الله هو خالق الأفعال من غير انكار اختيار العبد
وغير ذلك .

الصفريه :

وهي احدى فرق الخواج فان المؤلف كثيرا ما يرد أقوال هذه
الفرقه ويصفها بالزعم ويخصها بالأحاديث الواردة عن الخواج ومن
ذلك أنه أورد الحديث الذى رواه على بن أبى طالب رضى الله عنه
" أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج قوم من أمتى
يقرأون القرآن ليس قراءتكم الى قراءتهم ولا صلاتكم الى صلاتهم بشىء" (١)
فيعلق اطفيش على هذا الحديث بقوله " فلعل الحديث فيمن رضى
بالتحكيم بعد زمان على من المخالفين الفايقين فى العباداه المصوبين
للتحكيم الذى أخذوا به وفى الصفريه ونحوهم " (٢) ثم أضاف
حديثا آخر خصهم به فقال " ومن ذلك ما روى عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول وأهوى بيده الى العراق يخرج منه قوم يقرءون
القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام مروق السهم من الرميّه (٣)

(١) رواه مسلم كتاب الزكاة باب ٤٨ ج ٢ ص ٧٤٨

(٢) هميان الزاد ج ٤ ص ١٨٥

(٣) صحيح البخارى كتاب الاستتابة ج ٨ ص ٥٣

هذا نفس الحديث فأخطأ سهل بن حنيف في تأويله هذا الحديث
بمن لم يرضى الحكومه وانما هو في الصفرية " (١) وهو كثيرا ما يرد
أقوالهم وينكر عليهم ويذمهم " (٢) .

الصوفية :

أما التصوف والصوفية وتفسيرها فقد انحى عليهم باللائمة
وذمهم ولم يقدرهم وأعلن أنه لا يقبل شهادتهم ويتقرب الى الله
ببغضهم والبراءة منهم وأن تفاسيرهم لم يأذن الشرع بها بل يضعف
الأقوال بمقدار قربها من تفسير الصوفية ولعلى أكتفى بعد هذه
المقدمة بسوق النصوص .

قال في تفسير قوله تعالى " ومما رزقناهم ينفقون " (٣) :

" وقيل المعنى ومما خصصناهم به من أنوار معرفة الله جل وعلا
يفيضون وهذا القول الذى قبله (٤) أظنهما للصوفية أو لمن يتصوف
وليس تفسير الصوفية عندى مقبولا اذا خالف الظاهر وكان تكلفا
أو خالف أسلوب العربيه ولا أعذر من يصغر به ولا أقبل شهادته
وأقرب الى الله تعالى ببغضه والبراءة منه ، فانه لو كان فى نفسه
حقا لكن جعله معنى للآيه أو للحديث خطأ لأنه خروج عن الظاهر
وأساليب العرب الذين يتخاطبون بها وتكلف من التكلف الذى يبغضه
الله " (٥) .

(١) هميان الزاد ج ٤ ص ١٨٥

(٢) انظر مثلا هميان الزاد ج ١ ص ٢٠٤ وتيسير التفسير ج ١ ص ٢٥٣

(٣) سورة البقرة من الآيه ٣

(٤) هكذا وردت فى الطبعتين ولعله بالعطف اى والذى قبله .

(٥) هميان الزاد ج ١ ص ٢١٦

وفى تفسير قوله تعالى " كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل " (١) أنكر تفسيرها بـ " أن هذا (٢) رزقناه فى الجنة هو الذى يرزقنا الله فى الدنيا من المعارف والطاعات أى جزاؤها فهو يتفاوت بتفاوتها فى اللذة ووجه الشبه والشرف والمزيه وعلو الطبقة " أنكر هذا التفسير وقال " وتفسيرها بهذا قريب من تفاسير الصوفيه وبمقدار قربها منها يضعف لأن تفاسيرهم لم يأذن الشرع بها وبها خرجوا عنه اذا اعتقدوا أنها معان نزل القرآن على ارادتها أعادنا الله - جل وعلا - والله أعلم " (٣) .

وفى تفسيره قوله تعالى " فأخرجهما مما كانا فيه " (٤) قال " وقيل المعنى أخرجهما من رفعة المنزل الى سفالة الذنب وهذا ضعيف قريب من تفسير الصوفيه لا يتبادر من اللغة العربية ولا يرد فيها " (٥) .

حكم اتباع هذه المذاهب :

رد الشيخ اطفيش حديث على رضى الله عنه السابق عن الخوارج انهم " يقرأون القرآن ليس قرأءتكم الى قرأءتهم ولا صلاتكم الى صلاتهم بشىء ولا صيامكم الى صيامهم بشىء " رد تأويله بأنهم الذين خرجوا على على رضى الله عنه لأن عباد أهل السنه وقرأءهم أكثر عبادة وقرأءة فقال " فان عباد قومنا - يعنى أهل السنه - فيما نرى من اجتهادهم

-
- (١) سورة البقرة من الآيه ٢٥
 - (٢) هكذا أوردت ولعلها أن هذا الذى ...
 - (٣) هميان الزاد ج ١ ص ٣٧٢
 - (٤) سورة البقرة من الآيه ٣٦
 - (٥) هميان الزاد ج ١ ص ٤٧٢

فى كتب القوم اكثر عباده وقراءة وهم المعروفون بذلك اكثر وليس
نافع لهم مع بغضهم المسلمين واعتقادهم الرؤيه وغيرها مما يقـدح
فى توحيدهم واسلامهم" (١) .

هذا رأيه فى أهل السنه الذين يصفهم بقومنا ، ويعد مذهبهم
من المذاهب المعتمره (٢) ، ورأيه فى غيرهم من المذاهب الأخرى أشد ،
وهؤلاء وأولئك أصحاب كبائر لانهم اترفوا ما يقـدح فى توحيدهم
واسلامهم مع بغضهم للمسلمين واعتقادهم بالرؤيه فما موقفه من
أصحاب هذه المذاهب وهم أصحاب الكبائر .

خلاصة رأيه أن حكمهم " حكم المؤمن فى أنه يناكح ويوارث
ويغسل ويصلى عليه ويدفن فى مقابر المسلمين ، وهو كالمشرك فى الذم
واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته وألا تقبل له شهادة" (٣)

رأى فى ذلك :

والى هنا يقف القلم فى دراسة هذين التفسيرين وهما ما أعرف
من تفاسير الاباضيه فى العصر الحديث لذا اعتمدتهما كمثال لمنهج
الاباضيه فى تفسير القرآن وان كان اعتبار مفسر واحد لا يدل دلالة
قاطعة على منهج مذهبه الا أنه ولا شك فى ذلك يعطى الخطوط
العريضه التى تقوم عليها أسس مذهبه لن نزع أن :-

- ١- الاكثار من ايراد الاسرائيليات .
- ٢- الاهتمام بالمسائل النحويه والبلاغيه واللغويه .
- ٣- الاطناب فى المبهمات .

(١) المرجع السابق ج ٤ ص ١٨٥

(٢) هميان الزاد ج ٨ ص ٣١٣

(٣) المرجع السابق ج ١ ص ٣٩٤

٤ - العناية بتوجيه القراءات .

لن نزع أن هذه الأسس هي أسس المنهج الاباضى فى التفسير
ولكننا نجزم بأن من أسسهم .

١ - تأويل ما يخالف عقيدتهم من آيات القرآن .

٢ - تأويل ما يخالف عقيدتهم من السنه وتقديم ما رواه علماءهم

على ما سواه وينبنى عليه موقفهم من تفسير الآيه وكذا

رأيهم الفقهى .

٣ - تأثرهم بالمعتزله وهو وان لم يكن تأثرا فهو موافقة لهم

فى كثير من الآراء فى العقيدة كالقول بخلق القرآن وانكار

الرؤيه وتقديم العقل ونحو ذلك .

٤ - الولايه والبراءة وأثرها فى عقيدتهم وتفسيرهم بين واضح .

٥ - موقفهم من الصحابة رضوان الله عليهم وذم بعضهم والتهم

عليهم .

٦ - اشادتهم بمذاهبهم وذم ما سواه من المذاهب الأخرى ،

واعقادهم أنهم هم أهل الحق وما سواهم كافر كفر نعمه .

نجزم أن هذه الأسس فى منهجه هي من أسس المنهج الاباضى ذلكم

أن هذه الأسس متفرعه عن العقيدة وعقيدة الرجل التى يصرح بها هي الاباضية .

أما مناقشة آرائهم والرد على ما يخالف عقيدة أهل السنه

منها فاني أحيل القارئ الى قراءة رأى أهل السنه فى كل ما يعرض

له من تفاسير ضاله سواء كان فى المنهج الاباضى أو فى غيره اذا

جعلت منهج أهل السنه فى أول المناهج ليكون ميزانا حقا يوزن به

ما يرد من أقوال وآراء لمذاهب أخرى تاليه .

وان كان لى من وقفه فاني أقف متسائلا لم يرفض الاباضيه كل هذا

الرفض تسميتهم بالخواج ما داموا يدافعون عن الخواج و—بررون
أفعالهم ويتأولون ما ورد في حقهم من أحاديث بل ان الشيخ
اطفيش نفسه يعد أحيانا الفرقة الاباضيه من الخواج فيقول مثلا
" واختلفوا الخواج وهم الذين خرجوا عن ضلاله على فقالت الاباضية
الوهبيه وسائر الاباضيه ... " (١) .

لا أدري لم يرفض بعضهم هذا الوصف بشده ويقرره آخرون
في مواضع أخرى .

ووقفه أخرى حديثي عن الاباضيه ومنهجهم في التفسير فأقول
اذا كان الاباضيه يعدون من الكبائر الاصرار على ترك السنه كاحفاء
الشارب وجعل طرف العمامه تحت الحلق (| |) بلا استخفاف بهذه
السنه يعدون هذا كفر نفاق (٢) ثم يحكمون على من كفر كفر نفاق ، ان
الله لا يغفر له وأنه خالد في النار ولا يشفع له أبدا فان هذا
وحده كاف على بطلان مذهبهم وانحراف عقيدتهم لأن الله سبحانه
أرحم مما يزعمون وهو الرحمن الرحيم .

الحكم عليهم :

وأختم حديثي عنهم ببيان أقوال أهل السنه فيهم وقد أوجزه
ابن قدامه فقال : " والخارجون عن قبضة الامام أصناف أربعة ثم قال
" الثالث الخواج الذين يكفرون بالذنب ويكفرون عثمان وعليًا وطلحه
والزبير وكثرا من الصحابه ويستحلون دماء المسلمين وأموالهم الا من
خرج معهم فظاهر قول الفقهاء من أصحابنا المتأخرين أنهم بغاة

(١) هميان الزاد ج١ ص ١٩٥

(٢) هميان الزاد ج١ ص ٢٠١

حكمهم حكمهم وهذا قول ابي حنيفة والشافعي وجمهور الفقهاء وكثير من أهل الحديث .

ومالك يرى استتابتهم فان تابوا والا قتلوا على افسادهم لا على كفرهم وذهبت طائفة من أهل الحديث الى أنهم كفار مرتدون حكمهم حكم المرتدين وتباح دماؤهم وأموالهم فان تحيروا فى مكان وكانت لهم منعه وشوكة صاروا أهل حرب كسائر الكفار وان كانوا فى قبضة الامام استتابهم كاستتابة المرتدين فان تابوا والا ضربت أعناقهم وكانت أموالهم فيئا لا يرثهم ورثتهم المسلمين .

ثم قال " وأكثر الفقهاء على أنهم بغاة ولا يرون تكفيرهم ، قال ابن المنذر لا أعلم أحدا وافق أهل الحديث على تكفيرهم وجعلهم كالمرتدين وذكر ابن عبد البر عن على " رضى الله عنه أنه سئل عن أهل النهر أكفار هم ؟ قال من الكفر فروا . قيل فمنافقون ؟ قال ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا قيل فما هم قال قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصموا وبغوا علينا وقاتلونا فقاتلناهم" وهذا رأى عمر بن عبدالعزيز فيهم وكثير من العلماء" (١) . ومع هذا فقد رجح ابن قدامة جواز قتلهم ابتداءً والاجازة على جريحهم .

والذى أراه انهم لا يكفرون الا اذا استحلوا محرما كبدء قتال المسلمين أو تكفير مسلم أو استحلال ماله أو دمه من غير حله ، والله الهادى .

(١) المغنى : ابن قدامة ج ٨ ص ١٠٤ - ١٠٧ باختصار .

الباب الاول

الاتجاه العقائدى فى التفسير

الفصل الرابع

منهج الصوفيه فى تفسير القرآن الكريم

الصوفية :

أول ما يواجه الباحث عن الصوفية الاختلاف في أصل وسبب هذه التسمية والاقوال في ذلك كثيره .

أورد عبد الحلیم محمود طائفه منها نقلا عن القشیری فی رسالته مع مناقشة لكل رأى بايجاز فقال ان الآراء أصبحت معروفه بل لقد كانت معروفه من قديم الزمان وصاحب الرسالة القشیریه يستعرضها رأيا رأيا وينقضها جميعا .

١ - فأما قول من قال : انه من الصوف وتصوف اذا لبس الصوف كما يقال : تقمص اذا لبس القميص فذلك وجه ، ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف .

٢ - ومن قال انهم منسوبون الى صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنسبه الى الصفة لا تجىء على نحو الصوفى .

٣ - ومن قال انه من الصفاء فاشتقاق الصوفى من الصفاء بعيد فى مقتضى اللغة .

٤ - وقول من قال انه مشتق من الصف فكأنهم فى الصف الاول بقلوبهم من حيث المحاضره من الله تعالى : المعنى صحيح ولكن اللغة لا تقتضى هذه النسبه الى الصف .

وإذا كان صاحب الرسالة القشیریه ينتقد كل هذه الآراء فإنه اذن لا يرى الاشتقاق ويقول هذه التسميه غلبت على هذه الطائفه فيقال رجل صوفى وللجماعه صوفیه ومن يتوصل الى ذلك يقال له متصوف وللجماعه : المتصوفه .

وليس يشهد للاسم من حيث العربيه قياس ولا اشتقاق والا ظهر فيه أنه كاللقب" (١)

وحقيقته أننى لأرى من ثمره لاعمال الذهن وتضييع الوقت فى الربط بين الاسم والمسمى فليس من المحتم دائما - كما يقول عبد الحلیم- أن يكون المعنى الاصلی للاسم هو المراد مما وضع الاسم له اذ المعنى الاصلی قد يتطور ويتغير ويختلف وقد يقصد عكسه . . . حقيقة أن الباحثين كثيرا ما يجدون صلة وثيقة بين المعنى الاصلی للاسم وما وضع الاسم له أو بين الاسم والمسمى ولكن ذلك ليس منطردا^(١) وما يزيد الانقسام بين الاسم والمسمى خاصة فى عصرنا هذا ما اعترف به عبد الحلیم هذا حيث قال " على أنى أرى - كما يرى كثير غيرى وكما يثبت التاريخ - ان هذه الكلمة " تصوف " لم توضع فى الاصل للتصوف بمعناه العادى الذى نفهمه الان ، وانما وضعت فى المبدأ لتدل على نمط من العزوف عن الدنيا ، انها كانت علامة الزاهدين والمتنسكين فسمى بها هؤلاء الذين انصرفوا عن الدنيا".^(٢)

المراد بالتصوف :

وأكثر من اختلافهم ذاك اختلفوا فى معنى التصوف ولا أعد مبالغاً اذا ما قلت انهم ذكروا مئات المعانى للتصوف ونحن نحصر هنا أن نذكر أقوال المعاصرين أو ما يصرح المعاصرون بترجيحه فمن الاول ما ذكره الشيخ عبد الواحد يحى حيث قال " أما أصل هذه الكلمة " صوفى " فقد اختلف فيه اختلافا كبيرا ووضعت فروض متعددة وليس بعضها أولى من بعض وكلها غير مقبولة انها فى الحقيقة تسميه رمزيه واذا أردنا تفسيرها ينبغى لنا أن نرجع الى القيمة العددية لحروفها وانه لمن الرائع أن نلاحظ أن القيمة العددية لحروف " صوفى " تماثل القيمة العددية لحروف " الحكيم الالهى " فيكون الصوفى الحقيقى اذن هو

(١) المرجع السابق ص ٣٤

(٢) المرجع السابق ص ٣٥

الرجل الذى وصل الى الحكمة الالهيه انه (العارف بالـــــــــــــــــه)
اذ أن الله لا يعرف الا به " (١)

وانى لاجب لهذه العقليات التى تقيم عقائد ها على أوهام ومتى
كانت الاوهام أساسا تقام عليه العقائد ولسنا نوافق الدكتور عبد الحلیم
محمود على وصفه للقول السابق بأنه رأى لا يمكن أن ينقض بالأدله
المنطقيه وأنه ينفر منه آخرون من غير ما حجه وان كنا نوافق على
أنه " ولكنه لا يمكن أيضا أن يؤيد بالأدله المنطقيه ويستسيغـــــــــــــــــه
قوم دون برهان " (١) لانواقفه فى النصف الاول من عبارته ونحمد
الله أنه لم يطلب الرد عليه بالأدله الشرعيه اذ ننزه هذه الأدله عن
الخوض بها فى مثل هذه الاوهام أما الرد على الرجل بمثال منطقي
فنقول قياسا على قوله :- ان القيمة العدديه لحروف " صوفى " تماثل
القيمة العدديه لحروف " منزل الحكيم " (٢) فيكون الصوفى الحقيقى
اذن هو الرجل الذى أوصل نفسه الى منطقها ان كان حكيما زل بها وان
كان دونه كان أزل .

هذا هو الرد حسب منطقها وحسب مفهومها وما كنا لنستدل بمثل
هذه الأدله لولا أنه جرننا اليها جرا .

ولندع هذا التعريف ونورد هنا بعض التعاريف التى رأى الدكتور
عبد الحلیم أنها تتجه الوجهه الصحيحه فيما يتعلق بالمعنى الحقيقى
لهذا الموضوع فأورد من هذه الأقوال :-

١ - أبو سعيد الخزار المتوفى سنة ٢٦٨ هـ .

سئل عن الصوفى فقال " من صفى ربه قلبه فامتلاً قلبه نورا ومن
دخل فى عين اللذه بذكر الله " .

(١) قضية التصوف : ص ٣٢
(٢) كلمة " صوفى " الحكيم الالهى " " منزل الحكيم " مجموع القيمة العدديه
لكل منها ١٨٦

- ٢ - " الجنيد البغدادي " المتوفى سنة ٢٩٧ هـ
التصوف هو أن يميّتك الحق عنك ويحييك به (!!) .
- ٣ - أبوبكر الكتاني المتوفى سنة ٣٢٢ هـ
التصوف صفاء ومشاهدة .
- ٤ - جعفر الخلدي المتوفى سنة ٣٤٨ هـ
التصوف : طرح النفس في العبودية ، والخروج من البشريه
(!!) والنظر الى الحق بالكلية .
ونقد هذه الأقوال ونقاشها يخرج بنا عن الحدود التي رسمناها
في منهج البحث وأشرنا إليها كثيرا .

نشأة التصوف وتطوره :

- يقسم بعض الباحثين الأدوار التي مر بها التصوف من نشأته
الى عصرنا هذا الى أربعة أدوار .
- الدر الأول : الدور التمهيدى
ويبدأ بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وينتهي بنهاية القرن الثاني
الهجرى وهو دور الزهد .
- الدر الثانى : الدور الفلسفى
ويبدأ من أوائل القرن الثالث الهجرى وينتهى فى منتصف القرن
السابع وهو دور البلوغ والكمال .
- الدر الثالث : دور الانحطاط
ويبدأ من منتصف القرن السابع وينتهى فى منتصف القرن الثالث عشر .
- الدر الرابع : وهو دور التجديد
ويبدأ من منتصف القرن الثالث عشر حتى وقتنا الحاضر وهو دور
النهضة والانطلاق " (١)

(١) التصوف بين الحق والخلق محمد فهد شقفة ص ٤٠

وهذا التقسيم وان كان ليس دقيقا كل الدقه الا أنه يرسم
الخطوط العريضة التي أحاطت بالتصوف يمينه ويسره حتى يومنا هذا
وان كان مدلول التصوف فى كل دور يختلف عن مفهومه فى الدور الآخر
وقد نقلنا آنفا عبارة الدكتور عبد الحليم محمود ان اطلاق كلمة تصوف
فى الاصل غير اطلاقها الذى نفهمه الآن ، ذلكم أن المراد به فى
الدور الاول نمط من العزوف عن الدنيا وانه كان علامة الزاهديين
والمتنسكين الى أن أنتقل الى الدور الثانى حيث دخلت الفلسفة
التصوف فتحول الى التصوف الفلسفى فأصبح بعض الصوفية يدينون
بمسائل " فلسفيه لا تتفق ومبادئ الشريعة بما أثار عليهم جمهور
أهل السنه وجعلهم يحاربون التصوف الفلسفى ويؤيدون التصوف الذى
يدور حول الزهد والتقشف وتربيته النفس واصلاحها ، حتى كما
يقضون عليه فى نهاية القرن السابع الهجرى " (١) وبهذا دخل
التصوف الدور الثالث وهو دور الانحطاط حيث تحولت الصوفية شيئا
فشيئا عن الفلسفه والبحث فيما وراء الطبيعه الى جلسات الذكر
والمجاهده مع الغناء والرقص وتأسست التكايا ونشأت الطرق وكثر
المرتزقه والدجالون والمحتالون والمشعوذون وكثر التكلم بالكرامات وخوارق
العادات واشتد الأيمان بالأولياء فنصبت فوق قبورهم القباب وقيمت
لهم الموالد والأعياد ونسبت اليهم شتى المعجزات وكانت قبورهم تزار
لجلب الأولاد أو الشفاء من الامراض والعاهات أو جلب الحظ والاكثار
من الرزق . (٢)

(١) التفسير والمفسرون محمد حسين الذهبى ج ٣ ص ٥

(٢) التصوف بين الحق والخلق ص ٥٠ - ٥١

أما الدور الرابع الذى ذكره بعض الدارسين وهو دور النهضة والتجديد فلا أعتقد صحته ذلكم أن الصوفية قد لاقت فى العصور المتأخرة صحوة اسلامية كانت حربا عليها فنهضت فى الجزيرة العربية دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فهدمت القباب وابطلت الدور لها واقامة الموالد ونحوها حتى كاد التصوف أن يزول لولا طائفة لاتزال تبت سمومها المخدرة فى المجتمع .

وقامت ضد الصوفية دعوات أخرى ورجال آخرون فى مناطق شتى فى العالم الاسلامى فى مصر والشام والهند وغير ذلك لكن لم يكن لهذه الدعوات ما للدعوة الاسلامية فى الجزيرة العربية .

ولذا فلا تزال الصوفية فى تلك المناطق على تفاوت بينها تزاو شعائرها وتبت خرافاتها وأوهامها ولا أدرى لم يسمى بعض الباحثين هذه الفترة بالدور الرابع عصر النهضة والتجديد . الا أن كانوا يقصدون به تجديد الخرافات والبدع والمنكرات .

والا فكيف يزعم زاعم أن الرسول صلى الله عليه وسلم أوتى علم كل شىء (!!) حتى الروح والخمس التى فى آيه ان الله عنده علم الساعه (!!) وكيف يزعم أن للرسول صلى الله عليه وسلم أن يقطع أرض الجنة (!!) وكيف يصف الرسول صلى الله عليه وسلم أنه لم يقع ظله على الأرض ولا رؤى له ظل فى شمس ولا قمر لأنه كان نورا^(١) ! !

إذا كان قائل هذا القول من المنتسبين الى العلماء فلا عجب ان تنتشر بين عامتهم هذه المجالس والتكايا والغناء والرقص فيما يسمونه مجالس الذكر وان يكثر بينهم المرتزقه والمشعوذون والدجالون .

(١) حوار مع المالكي : عبد الله بن منيع ص ٢١ - ٢٢

ولا شك أن واجبا كبيرا يلقي اليوم على عاتق العلماء المسلمين
لتحرير هؤلاء العامة من اولئك الادعياء .

مقائد التصوف :

لن نذهب بعيدا في ايراد النصوص وبسطها لبيان ذلك ونقصر
الحديث على بيان جوهر التصوف وهل هناك أكثر بيانا للشئ ، من
بيان جوهره كيف وصاحب البيان من الصوفيه يقول الدكتور عبد الحلیم
محمود " وجوهر الطريق الصوفى هو ما سماه الصوفيه المقامات
والاحوال " . (١)

فما هي المقامات ؟ وما هي الأحوال ؟

قال " والمقامات هي المنازل الروحية التي يمر بها السالك الى
الله فيقف فيها فترة من الزمن مجاهدا في اطارها حتى يهبيء الله
سيحانه وتعالى له سلوك الطريق الى المنزل الثانى لكى يتدرج فى
السمو الروحى من شريف الى أشرف ومن سام الى أسمى وذلك مثلا
كمنزل " التوبه " الذى يهبيء الى منزل " الورع " ومنزل " الورع " يهبيء
الى منزل " الزهد " وهكذا حتى يصل الانسان الى منزل المحبسه
والى منزل الرضى " (٢)

" أما الاحوال فانها النسمات الروحية التي تهب على السالك فتنتعش
بها نفسه لحظات خاطفه ، ثم تمر تاركه عطرا تتشوق الروح للعودة الى
تنسم أريجيه وذلك مثل الانس بالله " (٢)

وقد اختلف الصوفيه فى المقامات والأحوال بين مجمل لها ومفصل
ولكن الملاحظ - كما يقول عبد الحلیم - أنه ليس اختلاف تناقض وتعارض وانما

(١) قضية التصوف : عبد الحلیم محمود ص ٤٨

(٢) قضية التصوف : عبد الحلیم محمود ص ٤٨ - ٤٩

هو اختلاف بسط وإيجاز (١) .

وللتفريق بين الاحوال والمقامات قال أحد أئمتهم :-

" فالأحوال مواهب والمقامات مكاسب والاحوال تأتي من عين الجواد والمقامات تحصل ببذل المجهود وصاحب المقام ممكن في مقامه وصاحب الحال مترق عن حاله " (٢)

منازل المقامات ::

للصوفى عند الصوفى منازل للسالكين ومقامات للطالبيين يرتقى فيها

منزله ومقاما مقاما هذه المنازل والمقامات هي :

التوبه :

فالتوبه أول منزل من منازل السالكين وأول مقام من مقام

الطالبيين . (٣)

الورع :

قالوا وإذا صدقت التوبه استلزمت لامحاله : الورع و

والورع هو أن يترك الانسان كل ما فيه شبهه . (٤)

الزهد :

قال أحد أئمتهم " والورع يقتضى الزهد " (٤)

التوكل :

وللتوكل درجات هي التوكل ، التسليم ، التفويض ، ومع ذلك فان كلمة

التوكل تطلق على كل درجاته وتستعمل في كل أنواعه . (٥)

(١) المرجع السابق ص ٤٩

(٢) الرسالة القشيرية ج ١ ص ٢٠٦

(٣) المرجع السابق ج ١ ص ٢٧٦

(٤) حقيقة التصوف ص ٦٢

(٥) حقيقة التصوف ص ٧٦ عبد الحليم محمود .

المحبه :

ولن يتأتى حب الله سبحانه دون أداء الفرائض والحب دون أداء
الفرائض زيف وكذب . (١)

الرضا :

قالوا وإذا كانت المحبة تبعها الرضا وذلك ان المحب راضى دائما
عن أعمال محبوبه . (٢)

وقالوا " والرضا آخر المقامات ثم يقتضى من بعد ذلك أحوال أرباب
القلوب ومطالعة الغيوب وتهذيب الأسرار لصفاء الأذكار وحقاءق
الأحوال " ؟! (٣)

من شروط التصوف :

ويكفى هنا ذكر شرط جوهرى للتصوف ذكره أحد علمائهم ننقله
هنا بنصه : " ولا بد فى التصوف من شرط جوهرى هو التأثير الروحى
أو بتعبير أدق " البركه " وهي لا تتأتى الا بواسطة " شيخ " ومن هنا
كانت السلسله ، وهل السلسله الا بركات تنتقل من شيخ الى مرید
يوشك أن يصبح شيخا فيؤثر بدوره فى مرید أو مریدين ؟ " (٤)

طبيعة التصوف :

وقد أشار اليها الدكتور عبد الحلیم محمود فقال عن طبيعة التصوف
" ان التصوف ليس عملا علميا ولا بحثا نظريا انه لا يتعلم بواسطة الكتب على
الطريقه المدرسية بل ان ما كتبه كبار مشايخ الصوفيه أنفسهم لا يستخدم

(١) المرجع السابق ص ٨٦

(٢) المرجع السابق ص ٨٩

(٣) المرجع السابق ص ٩٣ عن اللمع ص ٨٠ - ٨١

(٤) حقيقة التصوف عبد الحلیم محمود ص ١١٦

الآ كحافز مقو للتأمل والانسان لا يصير بمجرد قرآته متصوفا على أن ما كتبه كبار الصوفيه لا يفهمه الآ من كان أهلا لفهمه ولأجل أن يسير الانسان فى طريق التصوف لابد له من :

١- استعداد فطرى خاص لا يغنى عنه اجتهاد أو كسب .
٢- الانتساب الى " سلسله " صحيحه اذ أن " البركه " التى تحصل من الانتساب الى السلسه الصحيحه هى الشرط الاساسى الذى لا يصل الانسان بدونه الى أى درجه من درجات التصوف حتى البدائيه منها .

٣- ثم يأخذ المتصوف ، الطيب الفطره ، الذى باركه شيخه فى الجهاد الاكبر : التأمل الروحى ، وفى الذكر: أى استحضار الله فى كل ما يأتى وما يدع وفى تركيز الذهن فى الملاء الأعلى فيصل موفقا من درجه الى درجه حتى يصل الى أعلى الدرجات وهى حالة تسمو على حدود الوجود المؤقت فيصبح ربانيا ذلك هو الصوفى الحقيقى (١)

هذا ما قاله أحد علمائهم المعاصرين الذين حرصت كثيرا على أن اعتمد على ما كتبه فى بيان عقائد الصوفيه لمعاصرتهم لفترة البحث أولا ولكونه من الصوفيه ثانيا ولكونه من كبار علمائهم بل شيخ الأزهر ثالثا .

ولا أدرى من أين جاء أو جاء وا باشتراط هذه السلسله فى العباده ومتى كان التعبد فى الاسلام بواسطه وقد جاء بالقضاء على الواسطه بين العبد وربيه وما الفرق بينهم وبين " الذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الآ ليقربونا الى الله زلفى " (٢) .

(١) حقيقه التصوف عبد الحلیم محمود ص ١١٨

(٢) سورة الزمر من الآيه ٣

" وقال ربكم أدعوني أستجب لكم " فألغى كل واسطه بين العبد وربه ، إلا أنها عودة الى الجاهلية وشر منها نسأل الله لنا ولهم الهدايه .

أقسام التصوف :

ما سبق فى بيان أدوار الصوفيه يتبين أن التصوف ينقسم الى قسمين :

الأول : تصوف نظرى فلسفى وهو التصوف الذى يقوم على دراسات وأبحاث فلسفيه ، وقد تطور هذا النوع وأدى بأكثر أصحابه الى الالحاد .

والخروج عن الاسلام بما أوردوه من اصطلاحات وعبارات تخالف الاسلام من أصوله وهو الحاد فكرى .

الثانى : تصوف عملى وهو القائم على التقشف والزهد والتفانى فى الطاعة ، وقد أدى هذا القسم بطائفة كبيرة من المنتسبين اليه الى أمور شركيه من اتخاذ الأولياء وعبادة القبور واتخاذ التكايا وما يسمى مجالس الذكر فكثير فيهم المشعوذون والدجالون واتخذوا بعض الاصطلاحات والعبارات وضمنوها أسراراً ومكنونات لا يكشفها ولا يدرىها إلا أصحاب المقامات وفسروا على ضوءها آيات القرآن الكريم .

وعلى ضوء هذين القسمين انقسم التفسير عند الصوفيه الى اتجاهين :

١- تفسير صوفى نظرى .

٢- تفسير صوفى فيضى أو اشارى .

التفسير الصوفى النظرى :

وقد سلك هذا الاتجاه فى التفسير فلاسفة الصوفية
ويعد ابن عربى شيخ هذه الطريقة ^(١) وهى طريقه قصدها الشيخ محمد
حسين الذهبى حين قال " يابى الصوفى الا أن يحول القرآن عن
هدفه ومقصده الى ما يصدده هو ويرمى اليه وغرضه بهذا كله أن يروج
لتصوفه على حساب القرآن وأن يقيم نظرياته وأبحاثه على أساس من
كتاب الله وبهذا الصنيع يكون الصوفى قد خدم فلسفته التصوفية
ولم يعمل للقرآن شيئاً اللهم الا هذا التأويل الذى كله شر على
الدين والحاد فى آيات الله !!! ^(٢)

وإذا كان الذهبى - رحمه الله تعالى - يصرح بـ " هذا ولم
نسمع بأن أحداً ألف فى التفسير الصوفى النظرى كتاباً خاصاً يتبع
القرآن آية آية كما ألف مثل ذلك بالنسبة للتفسير الاشارى وكل ما
وجدناه من ذلك هو نصوص متفرقة اشتمل عليها التفسير المنسوب
الى ابن عربى وكتاب الفتوحات المكية له وكتاب الفصوص له أيضاً
كما يوجد بعض من ذلك فى كثير من كتب التفسير المختلفة المشارب ^(٣)
إذا كان الذهبى يصرح بهذا والفترة التى يدرسها فترة
طويله من نشأة التصوف الى عصرنا هذا وضمنها فترة انتشر فيها
التصوف وكثر فيها أربابه - فانى أقول ايضاً انى لم أجد فى هذا
العصر ايضاً أحداً كتب فى هذا الاتجاه من التفسير الصوفى وان كان

(١) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبى ج ٣ ص ٦
(٢) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبى ج ٣ ص ١٢
(٣) المرجع السابق ج ٣ ص ١٧

هناك من يقول به الا أنه لم يتعرض في دراسته له الى القرآن الكريم
والحمد لله ، فلنعرض عن هذا اللون من التفسير الصوفى .

التفسير الفيضى ((الاشارى) :

تعريفه : هو تأويل آيات القرآن الكريم بغير ظاهرها
بمقتضى اشارات خفيه تظهر لأرباب السلوك ويمكن الجمع بينها
وبين الظاهر المراد أيضا .

وقد ذكر الشيخ محمد حسين الذهبى وجهين للتفريق بين
التفسير الصوفى الاشارى والتفسير الصوفى النظرى هما :

أولا : أن التفسير الصوفى النظرى وينبنى على مقدمات علميه تنقذ
فى ذهن الصوفى أولا ثم ينزل القرآن عليها بعد ذلك .

وأما التفسير الاشارى فلا يرتكز على مقدمات علميه
بل يرتكز على رياضه روحيه يأخذ بها الصوفى نفسه
حتى يصل الى درجة تنكشف له فيها من سجد العبارات
هذه الاشارات القدسية وتنهل على قلبه من سحب الغيب
ما تحمله الآيات من المعارف السبحانيه .

ثانيا : أن التفسير الصوفى النظرى يرى صاحبه أنه كل ما تحتمله
الآيه من المعانى وليس وراءه معنى آخر يمكن أن تحمل الآيه
عليه هذا بحسب طاقته طبعا أما التفسير الاشارى فلا يرى الصوفى
أنه كل ما يراد من الآيه ويراد منها أولا وقيل كل شئ : ذلك هو
المعنى الظاهر الذى ينساق اليه الذهن قبل غيره " (١)

(١) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبى ج ٣ ص ١٨

موقف العلماء من هذا اللون في التفسير :

اختلف العلماء في قبول التفسير الاشارى أو رده . فمنهم من قبله ومنهم من اعتبره من صفات الكمال والعرفان ومنهم من رده ومنهم من اعتبره الحادا في آيات الله وخروجها به عن الحق . وليس لنا أن نطلب من الرافضين لهذا التفسير دليلا ذلكم أن الاصل عدم قبول هذا النوع من التفسير لأن تفسير القرآن الكريم لا يكون الا بالقرآن أو بالسنة أو بالمتبادر من عموم لغة العرب لأن القرآن الكريم نزل بلسان عربى مبين فلا يصح تفسيره بخلاف ظاهرا للفظ الا بدليل يصرف المعنى المراد من ظاهر اللفظ الى معنى آخر .

أما من قال بهذا اللون من التفسير وما ل اليه فهو — و المطالب بالدليل .

أدلة المؤيدين :

ومن الأدلة التي استدلو بها :

- ١- ما رواه القريابى لسنده عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " لكل آية ظهر ووطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع ، وسبق ذكر القول الصحيح في هذا الحديث ونحوه .
- ٢- ما رواه البخارى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال : كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد فى نفسه فقال لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله فقال عمر انه من حيث علمتم فدعاه ذات يوم فأدخله معهم فما رؤيت أنه دعانى يومئذ الا ليربهم . قال ما تقولون فى قول الله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح

فقال بعضهم أمرنا نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لى أكدك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت لا قال فما تقول ؟ قلت هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه له قال اذا جاء نصر الله والفتح وذلك علامة اجلك فسيح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فقال عمر ما أعلم منها الا ما تقول (١)

٣- ما أخرجه ابن ابي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس أنه قال " ان القرآن ذو شجون وفنون وظهور ويطون لا تنقضى عجائبه ولا تبلغ غايته فمن أوغل فيه برفق نجا ومن أخبر فيه بعنف هوى أخبار وأمثال وحلال وحرام وناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه وظهر ووطن فظهره التلاوة ووطنه التأويل فجالسوا به العلماء وجانبوا به السفهاء .

وما روى عن أبي الدرداء أنه قال " لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يجعل للقرآن وجوها .

وما روى عن ابن مسعود انه قال " من أراد علم الأولين والآخريين فليثور القرآن "

قالوا : وهذا الذى قاله هؤلاء الصحابه رضوان الله عليهم لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر . (٢)

ونختم حديثنا عن التفسير الاشارى بايراد أقوال بعض العلماء فى ذلك فمنهم : -

(١) رواه البخارى باب التفسير ج ٦ ص ٢٢١

(٢) انظر التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبى ج ٣ ص ٢٠

الزركشى فى برهانه :

قال الزركشى فى البرهان " كلام الصوفيه فى تفسير القرآن
قيل انه ليس بتفسير وانما هو معان ومواجيد يجدونها عند
التلاوة " (١)

ابن الصلاح فى فتاويه :

وقال ابن الصلاح فى فتاويه وقد سئل عن كلام الصوفيه فى
القرآن : - " وجدت عن الامام ابى الحسن الواحدى المفسر أنه
قال : صنف أبو عبد الرحمن السلمى حقائق التفسير فان كان قد اعتقد
أن ذلك تفسير فقد كفر . قال ابن الصلاح وأنا أقول الظن بمن
يوثق به منهم أنه اذا قال شيئا من أمثال ذلك أنه لم يذكره تفسيرا
ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمه المذكوره من القرآن العظيم فانه
لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنيه وانما ذلك منهم تنظير
لما ورد به القرآن فان النظر يذكر بالنظير . . ثم قال . . ومع
ذلك فياليتهم لم يتساهلوا فى مثل ذلك لما فيه من الابهام والالباس " (٢)

النسفى والتفتازانى :

قال النسفى فى العقائد " النصوص على ظواهرها والعدول عنها
الى معان يدعيها أهل الباطل : الحاد " وعلق التفتازانى فى شرحه
للعقائد على هذا بقوله :-

" سميت الملاحده باطنيه لادعائهم أن النصوص ليست على ظاهرها
بل لها معان لا يعرفها الا المعلم وقصد هم بذلك نفي الشريعة بالكليه

(١) البرهان فى علوم القرآن : بدر الدين الزركشى ج ٢ ص ١٧٠

(٢) فتاوى ابن الصلاح ص ٢٩

قال : - وأما ما يذهب اليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها ومع ذلك ففيها اشارات خفيه الى دقائق تنكشف لأرباب السلوك يمكن التوفيق بينها وبين الظواهر المراده فهو من كمال الايمان ومحض العرفان " (١)

الغزالي في الاحياء :

وقال الغزالي في احياء علوم الدين : - " وأما الشطح فنعنى به صنفين من الكلام أحدثه بعض الصوفيه .
(أحدهما) الدعاوى الطويله العريضه فى العشق مع الله تعالى والوصول المغنى عن الاعمال الظاهره حتى ينتهى قوم الى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهد بالرويه والمشافهه بالخطاب فيقولون قيل لنا كذا وقلنا كذا . . . وهذا فن من الكلام عظيم ضرره فى العوام حتى ترك جماعه من أهل الفلاحه فلاحتهم وأظهروا مثل هذه الدعاوى فان هذا الكلام يستلذه الطبع اذ فيه البطالة من الاعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والاحوال .

فلا تعجز الاغبياء عن دعوى ذلك لانفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطه مزخرفه ومهما أنكر عليهم ذلك لم يعجزوا عن أن يقولوا هذا انكار مصدره العلم والجدل والعلم حجاب والجدل عمل النفس وهذا الحديث لا يلوح الا من الباطن بمكاشفة نور الحق . فهذا ومثله مما قد استطار فى البلاد شرره وعظم فى العوام ضرره حتى من نطق بشيء منه فقتله أفضل فى دين الله من احياء عشره . . .

(١) العقائد النسفيه وشرحها : سعد الدين التفتازانى

الصنف الثاني من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائقه
وفيها عبارات هائلة وليس وراءها طائل وذلك أما أن تكون غير مفهومة
عند قائلها بل يصدرها عن خبط في عقله وتشويش في خياله لقلّة
احاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الأكثر ، وأما أن تكون
مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وإيرادها بعبارة تدل على
ضميره لقله ممارسته للعلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعانى
بالألفاظ الرشيقه ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام الا أنه يشوش
القلوب ويدهش العقول ويحير الأذهان أو يحمل على أن يفهم منها
معانى ما أريدت بها ويكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وطبعه . .
الى أن قال " وأما الطامات فيدخلها ما ذكرناه في الشطح
وأمر آخر يخصها وهو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة الى
أمر باطنه لا يسبق منها الى الأفهام فائده كدأب الباطنيه فى
التأويلات فهذا أيضا حرام وضرره عظيم فان الألفاظ اذا صرفت
عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع من غير
ضروره تدعوا اليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقه
بالألفاظ وسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه
وسلم فان ما يسبق منه الى الفهم لا يوثق به والباطن لا ضبط له
بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى وهذا أيضا من
البدع الشائعه العظيمة الضرر وانما قصد أصحابها الاغراب لان النفوس
مائلة الى الغريب ومستلذذه له وبهذا الطريق توصل الباطنيه الى
هدم جميع الشريعه بتأويل ظواهرها وتنزيلها على رأيهم " . . . ومثال
تأويل أهل الطامات قول بعضهم فى تأويل قوله تعالى - اذهب الى
فرعون انه طغى - أنه اشاره الى قلبه وقال هو المراد بفرعون

وهو الطاغى على كل انسان وفى قوله تعالى - وأن الق عصاك -
أى كل ما يتوكأ عليه ويعتمده مما سوى الله عز وجل فينبغى
أن يلقىه الى أن قال " ومن يستجيز من أهل الطامات مثل
هذه التأويلات مع علمه بأنها غير مراده بالالفاظ ويزعم أنه يقصد
بها دعوة الخلق الى الخالق يضاهاى من يستجيز الاختراع والوضع
على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هو فى نفسه حق ولكن لم
ينطق به الشرع بل الشرفى تأويل هذه الالفاظ أطم
وأعظم لأنها مبطله للثقه بالالفاظ وقاطعه طريق الاستفادة والفهم
من القرآن بالكلية " (١)

هذا ما قاله الامام الغزالى رحمه الله تعالى وانما أطلت فى نقل
نصوه لما فيها من الدقه والشمول بحيث لم يبق لاحد منهم حجه
فيما ادعاه .

ولا أحب فى ختام حديثى هذا عن موقف العلماء من التفسير
الاشارى الا أن أجعل فى ختامه رأى عالم أو عالمين من العلماء
المعاصرين فى التفسير الاشارى فاكتفى بنقل رأى الذهبى
والزرقانى ففيهما الكفايه والسداد .

رأى الذهبى :

بعد أن نقل الذهبى رأى ابن الصلاح والتفتازانى وابن عطاء
الله السكندرى قال " فهؤلاء العلماء حسنوا ظنهم بالقوم فحملوا أقوالهم
الغريبه التى قالوها فى القرآن على أنها ذكر لنظير ما ورد به القرآن أو على
أنها اشارات خفيفه ومعان الهاميه تنهل على قلوب العارفين وتزهوهم

(١) احياء علوم الدين : الغزالى ج ١ ص ٤٢ - ٤٤ باختصار .

عن ارادة التفسير الحقيقى لكتاب الله بمثل هذه الشروح الغريبه التى نقلت عنهم وهذا عمل حسن وصنيع جميل من هؤلاء العلماء وقد تابعناهم عليه حملا لحال المؤمن على الصلاح . . . ولكن لم يلبث أن تبدد حسن ظننا بالقوم على أثر تلك مقاله التى قرأناها لابن عربى فى فتوحاته وفيها يصرح بأن مقالات الصوفيه فى كتاب الله ليست الا تفسيراً حقيقياً لمعانى القرآن وشرحا لمراد الله من الفاظه وآياته ويذكر لنا أن تسميتها اشارة ليس الا من قبيل التقيه والمدارة لعلماء الرسوم أهل الظاهر وفى هذه مقاله يحمل حملة شعواء على أهل الرسوم - على حد تعبيره - الذين ينكرون عليه وعلى غيره ممن الصوفيه " (١)

رأى الزرقانى :

أما الشيخ عبد العظيم الزرقانى فيقول عن التفسير الأشارى .
" ولعلك تلاحظ معي أن بعض الناس قد فتنوا بالاقبال على دراسة تلك الاشارات والخواطر فدخل فى روعهم أن الكتاب والسنة بل الاسلام كله ما هي الاسوانح وواردات على هذا النحو من التأويلات والتوجيهات وزعموا أن الأمر ما هو الا تخييلات وأن المطلوب منهم هو الشطح مع الخيال أينما شطح فلم يتقيدوا بتكاليف الشريعة ولم يحترموا قوانين اللغة العربيه فى فهم أبلغ النصوص العربيه كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فواجب النصح لخواننا المسلمين يقتضينا أن نحذرهم الوقوع فى هذه الشباك ونشير عليهم أن ينفذوا أيديهم من أمثال تلك التفاسير الاشاريه الملتويه ولا يعولوا على

(١) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبى ج ٣ ص ٣٥ - ٣٦

اشباهها مما ورد فى كلام القوم بالكتب الصوفيه لانها كلها أذواق ومواجيد خارجه عن حدود الضبط والتقيد وكثيرا ما يختلط فيها الخيال بالحقيقه والحق بالباطل واذا تجردت من ذلك فقلما يظهر منها مراد القائل واذا ظهر فقد يكون من الكفریات الفاحشه التى نستبعد صدورها من العلماء والمتصوفه بل من صادقى عامة المسلمين... فالاحرى بالفطن العاقل أن ينأى بنفسه عن هذه المزالق وأن يفر بدينه من هذه الشبهات وأمامه فى الكتاب والسنة وشروحها على قوانين الشريعه واللغه رياض وجنات " استبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير " (١)

شروط قبول التفسير الاشارى :-

ثم ان العلماء الذين قبلوا هذا النوع من التفسير وضعوا لــــه

شروطا أربعه هى :-

- ١ - الايتنافى وظاهر النظم القرآنى الكريم
- ٢ - أن يكون له شاهد شرعى يؤيده ؛
- ٣ - الا يكون له معارض شرعى أو عقلى .
- ٤ - أن لا يدعى أن التفسير الاشارى هو المراد وحده دون الظاهر بل لابد من الاعتراف والتسليم بالمعنى الظاهر أولاً اذ لا يطمع فى الوصول الى الباطن قبل أحكام الظاهر ومن ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن ادعى البلوغ الى صدر البيت قبل أن يجاوز الباب " (٢)

(١) مناهل العرفان : عبد العظيم الزرقانى ج ١ ص ٥٥٧-٥٥٨ باختصار

(٢) الاحياء : الغزالى : ج ١ ص ٢٩٨ الاتقان : السيوطى ج ٢ ص ١٨٥

ثم ان المراد بالقبول هنا عدم رفضه لا وجوب اتباعه والأخذ به . أما عدم رفضه فلعدم منافاته لظاهر القرآن ولوجود الشاهد الذى يعضده من الشرع وكل ما كان كذلك لا يرفض . أما عدم وجوب الأخذ به لأن النص القرآنى لم يوضع للدلالة عليه بل هو من قبيل الوجدانيات التى لا تقوم على دليل ولا تستند الى برهان والتى لا تنضبط بلغة ولا تتقيد بقانون .

أهم المؤلفات فى التفسير الاشارى :

انقسم المفسرون السابقون فى تفاسيرهم من ناحية التفسير الاشارى الى أقسام خمسة :

الأول : من أعرض كل الاعراض عن هذا اللون من التفسير ولا تجد له فيه ذكرا ، وأمثلة هذا النوع كثيرة .

الثانى : من التزم فى اكثر تفسيره التفسير بالظاهر مع اشارات قليلة الى التفسير الاشارى ومثاله تفسير النيسابورى .

الثالث : من جعل غالب همه فى التفسير الاشارى لكن يضيف اليه بقلة التفسير الظاهر كتفسير سهل التستري .

الرابع : من جعل همه كله فى التفسير الاشارى ولا يشير مطالقا الى التفسير الظاهر كتفسير أبى عبد الرحمن السلمى .

الخامس : من جمع بين التفسير الاشارى والتفسير الصوفى النظرى مع الاعراض كل الاعراض عن التفسير بالظاهر وذلك كتفسير أبى عربى .

هذه أقسام خمسة كان المفسرون عليها قديما . واذا عدت الى الحاضر لم تكد تجد أحدا من الأنواع الثلاثة الأخيرة - على حد علمى - أما اللون الأول فهو الموجود وبكثرة . وأما اللون الثانى فموجود ولكن أقل كثرة من سابقه .

ومما زاد القلة قلة أن بعض أقطاب التصوف في العصر الحديث ألفوا في التفسير ، ولا يكاد القارىء يجد أى دلالة لا من قريب ولا من بعيد على انتمائهم الصوفى فى التفسير بينما تنضح بل تفيض كتبهم الاخرى برموزهم واصطلاحاتهم .

وفى مقابل هؤلاء وجد فى تفاسير بعض غير الصوفيين بل ومن المعروفين بمحاربة بدع الصوفية وجد فى تفاسيرهم هذا اللون من التفسير وهو وان كان بقله الا أنهم عرفوا به وذلك كـ بعض تفاسير محمد عبده فى تفسير المنار . وهم وان كانوا لا يشيرون لا من قريب ولا من بعيد الى انتماء هذا النوع من التفسير لديهم الى اللون الصوفى الا أن العلاقة بينهما واضحة فكلاهما يصرف ظاهر الآيه عن معناه الحقيقى الى معنى باطنى لا صلة له لفظيه أو معنويه بها فهو صرف للفظ عن ظاهره من غير سبب سواء سـمى تفسيراً رمزياً أو اشارياً أو تمثيلاً .

ولعلى بعد هذا أذكر بعض المؤلفات الصوفيه التى تضمنت تفسيراً اشارياً فمن ذلك :

١- بيان السعادة فى مقامات العباده (فى مجلدين كبيرين) تأليف سلطان محمد بن حيدر الجنازى .

٢- أسرار القرآن .

السيد محمد ماضى أبوالعزائم

٣- ضياء الأكوان فى تفسير القرآن .

صدر منه جزءان ، تأليف أحمد سعد العقاد

وستتناول بعض هذه التفاسير بشيء من التفصيل ان شاء الله .

أولاً : بيان السعادة في مقامات العبادة :

المؤلف :

أما اسم مؤلفه كما جاء في تفسيره فهو سلطان محمد بن حيدر محمد بن سلطان محمد بن دوست محمد بن نور محمد بن الحاج محمد بن الحاج قاسم على البير ختي الجنابذي الخراساني ، كان حيا سنة ١٣١١ ولم أجد له ترجمه .

التفسير :

وهو تفسير " بيان السعادة في مقامات العبادة " ويقع في مجلدين كبيرين ، فرغ منه مؤلفه في الرابع عشر من شهر الصفر المظفر من شهور السنة الحادية عشره بعد الثلاثائه بعد الألف من الهجرة النبويه ، و تم طبعه في الرابع عشر من شهر رمضان المبارك سنة ١٣١٤ (١)

منهجه في التفسير :

لا أريد هنا أن أدرس منهج هذا التفسير دراسه مستوفيه الا من الجانب الصوفي ليس غير ، ولكن هذا لا يعني ان نغفل الاشارة الى ذكر أهم سمات هذا التفسير واتجاهاته .

فأقول أن صاحب التفسير مع أنه صوفي فهو شيعي متطرف من الشيعة الاماميه الاثنى عشرية نضرب مثلا من آرائه الشيعيه المتطرفه .

الأئمة هم ورثة علم محمد صلى الله عليه وسلم :

قال المؤلف في مقدمة تفسيره " ان علياً أول العشرة ووارث علم محمد صلى الله عليه وسلم وبعده الأحد عشر من ولده وان الحادي

(١) بيان السعادة في مقامات العبادة : محمد حيدر ج٢ الصفحة الأخيرة .

عشر منهم غائب قائم منتظر لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد
لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج ويملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت
ظلماً وجوراً وأن هؤلاء الاثنى عشر أئمة وشفعاؤه يوم القيامة" (١) .

وقال عن العتره " ان العتره مبيون^(٢) القرآن فالقرآن امام
صامت والعتره قرآن ناطق وكما أن محبة العالم من العتره وتعظيمه
والنظر اليه والجلوس عنده واستماع قوله والتدبير فى أفعاله وأحواله
وأخلاقه والتفكر فى شئونه والتسليم له ولتمشابهات ما مسه^(٢) وتخليصة
بيت القلب لنزوله بملكوته فيه بملاحظة أنه حبل الله الممدود الى
الناس ومن غير عناد معه من أعظم العبادات (٣) .

وعقد الفصل العاشر فى مقدمته لتأكيد هذه الأمور السابقة
وجاء فى هذا الفصل " الفصل العاشر فى أن علم القرآن بتمام
مراتبه منحصر فى محمد صلى الله عليه وسلم وأوصيائه الاثنى عشر وليس
لغيرهم الا بقدر مقامه . قد مضى أن بطون القرآن وحقايقه كثيرة
متعدده وان بطنه الاعلى وحقيقته العليا هو محمدية محمد وعلويته
على وهو مقام المشيّه التى هى فوق الامكان وكل نبي ووصى كان
لا يتجاوز مقامه الامكان سوى محمد وأوصيائه ومن لم يبلغ الى مقام
المشيّه لا يعلم ما فيه ولا يبين . من ذلك المقام شيئا " الى أن
قال " ولما كان مقام محمد صلى الله عليه وسلم وعلى عليه السلام وأولاده
المعصومين مقام المشيّه كان علم القرآن كله عندهم وكان على هو
من عنده علم الكتاب كما فى الآيه باضافة العلم الى الكتاب المفيد
للاستغراق" (٤) .

(١) بيان السعادة فى مقامات العباده : محمد حيدر ج ١ ص ٢

(٢) كذا وردت .

(٣) بيان السعادة : محمد حيدر ج ٢ ص ٢

(٤) بيان السعادة : محمد حيدر ج ١ ص ١٠

تحريف القرآن :

ذكرنا في المنهج الشيعي لتفسير القرآن استفادة الأخبار عن أئمتهم بوقوع التحريف في القرآن وهو ما يؤكد صاحب هذا التفسير محمد حيدر الخراساني إذ جاء في مقدمة تفسيره وفي الفصل الحادي عشر منها قوله: " الفصل الثالث عشر في وقوع الزيادة والنقيصة والتقديم والتأخير والتحريف والتغيير في القرآن الذي بين أظهرنا ^(١) الذي أمرنا بتلاوته وامثال أوامره ونواهيه . الخ . " أعلم أنه قد استفاضت الأخبار عن الأئمة الاطهار ^(ع) بوقوع الزيادة والنقيصة والتحريف والتغيير فيه بحيث لا يكاد لا يقع ^(٢) شك في صدور بعضها منهم وتأويل الجميع بأن الزيادة والنقيصة والتغيير إنما هي في مدركاتهم من القرآن لا في لفظ القرآن كلفة ، ولا يليق بالكاملين في مخاطباتهم العامه لأن الكامل يخاطب بما فيه حظ العوام والخواص ^(٣) وصراف لفظ من ظاهره من غير صارف وما توهموه صارفاً من كونه مجموعاً عندهم في زمن النبي وكانوا يحفظونه ويدرسونه وكانست الاصحاب مهتمين بحفظه عن التغيير والتبديل حتى أنهم ضبطوا قراءات القراء وكيفيات قراءاتهم ، فالجواب عنه : ان كونه مجموعاً غير مسلم فان القرآن نزل في مدة رسالته الى آخر عمره نجوماً . وقد استفاض الأخبار بنزول بعض السور وبعض الآيات في العام الأخير وما ورد من أنهم جمعوه بعد رحلته وأن علياً جلس في بيته مشتغلاً بجمع القرآن أكثر من أن يمكن انكاره وكونهم يحفظونه ويدرسونه

(١) لا أدري لم عدل المؤلف عن وصفه بين ايدينا ، الى بين أظهرنا وقد

ذم الله في كتابه الذين نبذوه وراء ظهورهم .

(٢) هكذا بالنفي وصحة سياق العبارة : لا يكاد يقع .

(٣) علق المؤلف على هذا بأنه عطف على كلفه .

مُسَلِّمٌ لَكِن كَانَ الْحَفْظُ وَالِدْرَسُ فِيمَا كَانَ بَائِدِيهِمْ وَاهْتِمَامُ الْأَصْحَابِ بِحَفْظِهِ وَحَفْظُ قَرَاءَاتِ الْقُرْآنِ وَكَيْفِيَّاتِ قَرَاءَاتِهِمْ كَانَ بَعْدَ جَمْعِهِ وَتَرْتِيبِهِ وَكَمَا كَانَ الدَّوَاعِي مُتَوَفِّرَةً فِي حَفْظِهِ كَذَلِكَ كَانَتْ مُتَوَفِّرَةً مِنَ الْمُنَافِقِينَ فِي تَغْيِيرِهِ وَمَا قِيلَ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ لَنَا حِينَئِذٍ اعْتِمَادٌ عَلَيْهِ وَالْحَالُ أَنَا مَأْمُورُونَ بِالْاعْتِمَادِ عَلَيْهِ وَاتِّبَاعِ أَحْكَامِهِ وَالتَّدْبِيرِ فِي آيَاتِهِ وَامْتِثَالِ أَمْرِهِ وَنَوَاهِيهِ وَاقَامَةِ حُدُودِهِ وَعَرْضِ الْأَخْبَارِ عَلَيْهِ لَا يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ فِي صَرْفِ مِثْلِ هَذِهِ الْأَخْبَارِ الْكَثِيرَةِ الدَّالَّةِ عَلَى التَّغْيِيرِ وَالتَّحْرِيفِ عَنْ ظَوَاهِرِهَا لِأَنَّ ، الْعِزَّةَ عَلَى هَذَا الْمَكْتُوبِ وَوَجُوبَ اتِّبَاعِهِ وَامْتِثَالِ أَمْرِهِ وَنَوَاهِيهِ وَاقَامَةِ حُدُودِهِ وَأَحْكَامِهِ إِنَّمَا هِيَ لِلْأَخْبَارِ الْكَثِيرَةِ الدَّالَّةِ عَلَى مَا ذَكَرَ لَا لِلْقَطْعِ بِأَنَّ مَا بَيْنَ الدَّفْتَيْنِ هُوَ الْكِتَابُ الْمَنْزُولُ عَلَى مُحَمَّدٍ (صَلَّى) مِنْ غَيْرِ نَقِيصَةٍ وَزِيَادَةٍ وَتَحْرِيفٍ فِيهِ " (١) .

نَزُولُ الْقُرْآنِ بِتَمَامِهِ فِي الْأُمَّةِ وَفِي أَعْدَائِهِمْ :

وَعَقَدَ الْمُؤَلِّفُ الْفَصْلَ الرَّابِعَ عَشَرَ فِي أَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِتَمَامِهِ فِي الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَشْرَ بُجُوهٍ وَنَزَلَ فِيهِمْ وَفِي أَعْدَائِهِمْ بِوَجْهِهِ وَنَزَلَ اثْنَلَاثًا ثَلَاثَ فِيهِمْ وَفِي أَعْدَائِهِمْ وَثَلَاثَ سَنِينَ وَأَمْثَالَ وَثَلَاثَ فَرَائِضَ وَأَحْكَامَ بِوَجْهِهِ" (٢)

هَذِهِ أُمُورٌ ثَلَاثَةٌ حَرَصْتُ عَلَى سِيَاقِهَا مُسْتَطَرِدًا لِأَنَّهَا مَا اجْتَمَعَتْ إِلَّا فِي مَطَرَفِي الشَّيْعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَشْرِيَّةٍ وَهُوَ مَا أَرَدْتُ اثْبَاتَهُ بِأَدْوِيَّةٍ بَدَأْتُ بِهَا لِهَذَا التَّفْسِيرِ ، وَمِنْ ثَمَّ نَنْطَلِقُ إِلَى مَرَادِنَا مِنْ هَذَا التَّفْسِيرِ وَهُوَ التَّفْسِيرُ الصُّوفِيُّ فِيهِ .

الْمَنْهَجُ الصُّوفِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ :

وَأَوَّلُ مَا يُوَاجِهُنَا فِي تَفْسِيرِهِ مِنْ انْتِمَائِهِ إِلَى التَّفْسِيرِ الْإِسْلَامِيِّ

(١) بَيَانُ السَّعَادَةِ : مُحَمَّدٌ حَيْدَرُ ج١ ص ١٢

(٢) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ ج١ ص ١٢

قوله فى مقدمة تفسيره " وقد كان يظهر لى بعض الأحيان من اشارات الكتاب وتلويحات الأخبار لطائف ما كنت أجدها فى كتاب ولا أسمعها من خطاب فأردت أن اثبتها فى وريقات وأجعلها نحو تفسير للكتاب " (١) .

وقد أغرق المؤلف تفسيره بكثرة التأويلات الصوفيه والشطحات والمواجيد والاشارات والاصطلاحات التى لا يكاد يعرف لها معنى بل هى أشبه ما تكون بالطلاسم .

لصّة خلق آدم :

ونبدأ ذكر الامثله على اشاراته ورموزه وتفسيره الصوفى بما فسر به الآيات القرآنيه فى خلق آدم وحواء عليها السلام حيث قال : " اعلم أن قصة خلق آدم (على) وحواء (على) من الطين وممن ضلعه الأيسر ومن أمر الملائكه بسجود آدم (٢) (على) واباء ابليس عن السجده واسكان آدم (على) وحواء (على) الجنه وهيهما عن أكل شجرة من أشجارها ووسوسه ابليس لهما وأكلهما من الشجرة المنهية وهبوطهما من المرموزات المذكوره فى كتب الأمم السالفة وتواريخهم كما ذكرنا سابقا . فالمراد بآدم فى العالم الصغير اللطيفه العاقله الآدميه الخليفه على الملائكه الارضيين وعلى الجنه والشياطين المطرودين عن وجه ارض النفس والطبع المسجوده للملائكه المخلوقه من الطين الساكنه فى جنة النفس الانسانية وهى أعلى عن مقام النفس الحيوانيه من المخلوق من ضلع جنبها الايسر الذى يلى

(١) بيان السعاده : محمد حيدر ج ١ ص ٣

(٢) كذا ولعل الصحيح بالسجود لآدم

النفس الحيوانيه زوجتها السماء بحواء لكدره لونها بقربها فى النفس
الحيوانيه ، والمراد بالشجرة المنهيه مرتبه النفس الانسانيه التى هى
جامعه لمقام الحيوانيه ، والمرتبه الآدميه والمراد بالحية واختفاء
ابليس بين لحييها القوه الواهمه فانها لكونها مظهر لابليل تسمى
بابليس فى العالم الصغير ووسوسته تزيينها ما لا حقيقة له للجنب
الأيسر من آدم المعبر عنه بحواء وهبوط آدم (على) وحواء (على)
عباره عن تنزلها الى مقام الحيوانيه وهبوط ابليس والحيه وذريتهما
عباره عن تنزلها عن مقام التبعية لآدم فان ابليس لما كان الواهمه
أحد مظاهره كان رفعتها رفعتة وشرافتها باستخدام آدم لها
شرافته ، وهبوط الواهمه كان هبوطا له ، واذا أريد بالشجرة النفس
الانسانيه ارتفع الاختلاف من الأخبار فان النفس الانسانيه شجرة
لها أنواع الثمار والحبوب وأصناف الأوصاف والخصال ، لأن الحبوب
والثمار وان لم تكن بوجوداتها العينيه الدانيه الموجوده فيها
لكن الكل بحقائقها موجوده فيها ، فتعيين تلك الشجره بشيء من
الحبوب والثمار أو العلوم والأوصاف بيان لبعض شئونها . روى فى
تفسير الامام (على) أنها شجره علم محمد (صلى) وآل محمد (صلى)
الذين آثرهم الله تعالى به دون ساير خلقه فقال الله تعالى (لا
تقربا هذه الشجرة) شجرة العلم فانها لمحمد (صلى) وآله (صلى)
دون غيرهم ولا يتناول منها بأمر الله الآهم ، ومنها ما كان يتناوله
النبي (صلى) وعلى (على) وفاطمه (على) والحسن (على) والحسين (على) بعد
اطعامهم المسكين واليتيم والأسير حتى لم يحسوا بجوع ولا عطش
ولا تعب ولا نصب وهى شجرة تميزت من بين ساير الاشجار بأن
كلا منها انما يحمل نوعا من الثمار وكانت هذه الشجره وجنسها
تحمل البر والعنب والتين والعناب وسائر أنواع الثمار والفواكه والاطعمه

فلذلك اختلف الحاكون فقال بعضهم برة وقال آخرون هي عنبه
وقال آخرون هي عنابه وهي الشجرة التي من تناول منها باذن الله
ألهم علم الأولين والآخريين من غير تعلم ومن تناول بغير اذن الله
خاب من مراده وعصى ربه (أقول آخر الحديث يدل على ما قالته
الصوفيه من أن السالك ما لم يتم سلوكه ولم ينته الى مقام الفناء
ولم يرجع الى الصحو بعد المحو باذن الله لم يجز له الاشتغال
بالكثرات ومقتضيات النفس زائدا على قدر الضرورة وشجرة علم محمد
(صلى) وآل محمد (صلى) اشارة الى مقام النفس الجامع لكمالات
الكثرة والوحده " (١)

وهذا النوع من التفسير عنده وعند الصوفيه لا يدرك بالقوة
البشرية ولا بالمدارك الشيطانية فلم يبق إلا الإلهام الإلهي حيث
يقول " ولما كان قصة آدم وخلقته وأمر الملائكة بسجده وابتلاء
ابليس عن السجود وهبوطه عن الجنة وبكائه في فراق الجنة
الخ من مرموزات الأوائل وقد كثر ذكره في كتب السلف خصوصا
كتب اليهود وتواريخهم ورد أخبارنا مختلفه في هذا الباب اختلافا
كثيرا مرموزا بها الى ما رمزه ومن أراد أن يحملها على ظاهرها
تحير فيها ومن رام أن يدرك المقصود بقوته البشرية والمدارك
الشيطانية منها طرد عنها ولم يدرك منها إلا خلاف مدلولها " (٢)

وهذا النوع من التفسير هو الذي سلكه الاستاذ الامام محمد
عبده في تفسيره فقال في تفسير الآيات السابقة في قصة آدم عليه
السلام : " وتقرير التمثيل في القصة على هذا المذهب هكذا ان
أخبار الله الملائكة بجعل الانسان خليفه في الأرض هو عبارته عن

(١) بيان السعاده : ج ١ ص ٤٥-٤٦

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ٤٢

تهيئة الأرض وقوى هذا العالم وأرواحه التي بها قوامه ونظامه لوجود نوع من المخلوقات يتصرف فيها فيكون به كمال الوجود فى هذه الأرض- وسؤال الملائكة عن جعل خليفه يفسد فى الأرض لأنه يعمل باختياره ويعطى استعدادا فى العلم والعمل لا حدّ لهما هو تصوير لما فيه استعداد الانسان لذلك وتمهيد لبيان أنه لا ينافى خلافته فى الأرض - وتعليم آدم الأسماء كلها بيان لاستعداد الانسان لعلم كل شىء فى هذه الأرض وانتفاعه به فى استعمارها - وعرض الاسماء على الملائكة وسؤالهم عنها وتفصلهم فى الجواب ، تصوير لكون الشعور الذى يصاحب كل روح من الأرواح المدبّرة للعوالم محدودا لا يتعدى وظيفته - وسجود الملائكة لآدم عبارة عن تسخير هذه الارواح والقوى له ينتفع بها فى ترقية الكون بمعرفة سنن الله تعالى فى ذلك - واباء ابليس واستكباره عن السجود تمثيل لعجز الانسان عن اخضاع روح الشر وابطال داعية خواطر السوء التى هى مثار التنازع والتخاصم والتعدى والافساد فى الأرض ولولا ذلك لجاء على الانسان زمن يكون فيه أفراده كالملائكة بل أعظم أو يخرجون عن كونهم من هذا النوع البشرى " (١) .

وهو أيضا نفس التأويل الذى أوّل به محمد عبده المراد بالملائكة بقوله " يشعر كل من فكر فى نفسه ووازن بين خواطره عندما يهيم بأمر فيه وجه للحق أو للخير ووجه للباطل أو للشر بأن فى نفسه تنازعا كأن الأمر قد عرض فيها على مجلس شورى فهذا يورد وذاك يدفع واحد يقول أفعل وآخر يقول لا تفعل حتى ينتصر أحد الطرفين ويترجح أحد الخاطرين فهذا الشىء الذى أودع فى

أنفسنا ونسميه قوة وفكرا - وهو فى الحقيقة معنى لا يدرك كنهه؛
وروح لا تكتنه حقيقتها - لا يبعد أن نسميه الله تعالى ملكا
أو يسمى أسبابه ملائكة أو ما شاء من الاسماء فان التسمية لا حجر
فيها على الناس فكيف يحجر فيها على صاحب الارادة المطلقـة
والسلطان النافذ والعلم الواسع " ثم قال " ولو أن نفسا مالت الى
قبول هذا التأويل لم تجد فى الدين ما يمنعها من ذلك والعمدة
على اطمئنان القلب وركون النفس الى ما أبصرت من الحق " وقد علق
تلميذه السيد رشيد رضا على هذا بقوله " ان غرض الاستاذ من هذا
التأويل الذى عبر عنه بالايماء وبالإشارة اقناع مكبرى الملائكة بوجودهم
بتعبير مألوف عندهم تقبله عقولهم " (١)

ولا أشك فى ضلال هذا النوع من التفسير الذى يصرف أخبار
القرآن عن ظاهرها وحقائقها الى أوهام يتخيلها ايماءات أو اشارات
مهما كان هدف قائلها ومهما كان مراده ما دامت المعانى التى
ساقها لا تمت الى النص بصله أصيله أو أدله قويه صريحه .

الانسان بين نشأى الجذب والسلوك :

وظهر تفسيره الصوفى الملىء باصطلاحات ورموز واشارات الصوفية
فى تفسيره لقوله تعالى " وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله
الذى أنتم به مؤمنون " (٢) . وقد ذكر فى سبب نزولها ما خلاصته
أن علياً رضى الله عنه حلف أن لا ينام بالليل ، وأن بلالا رضى الله عنه
حلف أن لا يفطر بالنهار أبداً وأما عثمان ابن مظعون فانه حلف

(١) تفسير المنار ج ١ ص ٢٦٨ - ٢٧٠

(٢) سورة المائدة الآيه ٨٨

أن لا ينكح أبدا . فلما علم الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك ،
" صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ما بال أقوام يحرمون
على أنفسهم الطيبات ، انى أنام الليل وأنكح وأفطر بالنهار فمن
رغب عن سنتى فليس منى فقام هؤلاء فقالوا يا رسول الله فقد حلفنا
على ذلك فأنزل الله آيات الحلف الآتية " (١)

وبما أن المؤلف امامى يعتقد بعصمة على رضى الله عنه فان فى
هذا الأمر اشكالان وضحهما ورد عليهما بقوله : - " أولا بأن أمثال هذه
المعاتبات ونسبة التحريم والاعتداء والتقوى ولغو الايمان غير مناسبه
لمقام علي على وثانيا بأن على اما كان عالما بأن تحريم الحلال ان كان
بالاستبداد والرأى كان من البدع والضلال وان كان بالنذر وشبهه
كما دل عليه الخبر كان مرجوحا غير مرضى لله تعالى ومع ذلك حرمه
على نفسه أو كان جاهلا بذلك وكلا الوجهين غير لائق بمقامه على . . .
والجواب الجلى لطالسى الآخره والسالكين الى الله الذين
بايعوه بالولايه وتابعوه بقدوم صدق واستشمووا نفحات نشأته حال
سلوكه أن يقال : - ان السالك الى الله يتم سلوكه باستجماعه بسين
نشأتى الجذب والسلوك بمعنى توسطه بين تفريط السلوك الصرف
وأفراط الجذب الصرف فانه ان كان فى نشأة السلوك فقط جمده طبعه
ببرودة السلوك حتى يقف عن السير ، وان كان من نشأة الجذب فقط
ففى بحرارة الجذب عن أفعاله وصفاته وذاته بحيث لا يبقى منه أثر
ولا خبر وهو وان كان فى روح وراحة لكنه ناقص كمال النقص من
حيث أن المطلوب منه حضوره بالعود لدى ربه مع جنوده وخدمته
واتباعه وحشمه وهو طرح الكل وتسارع بوحدته فالسالك الى الله

(١) بيان السعادة : محمد حيدر ج ١ ص ٢٥٠

تكميله مربوط بأن يكون فى الجذب والسلوك منكسرا برودة سلوكه بحرارة جذبه فالجذب والسلوك كالليل والنهار أو كالصيف والشتاء من حيث أنهما يريان المواليد بتضاد هما فهما مع كونهما متنازعين متآلفان متوافقان .

إذا علمت ذلك فاعلم أن السالك إذا وقع فى نشأة الجذب وشرب من شراب الشوق الزنجبيلى سكر وطرب ووجد بحيث لا يبقى فى نظره سوى الخدمه للمحبوب وكلما رآه منافيا للخدمه رآه ثقلا وهالا على نفسه ومكروها لمولاه فيصمم فى طرحه ويعزم على ترك الاشتغال به وهو من كمال الطاعه لا أنه ترك الطاعه كما يظن فلا ضير أن يكون أمير المؤمنين على حال سلوكه وقع فى تلك النشأه وحرم على نفسه كل ما يشغله عن الخدمه لكمال الاهتمام بالطاعه ولما لم يمكن تحصيل الكمال التام الا بالجمع بين النشاطين أسقاه محمد صلى من شراب السلوك لأنه كان مكمل مريبا له ولغيره ولذا قالوا لابد أن يكون للسالك شيخ والا فيوشك ان يقع فى الورطات المهلكة ولا منقصه فى أمثال هذه المعاتبات على الأحباب بل فيها من اللطف والترغيب فى الخدمه ما لا يخفى وعليه على كان عالما بأن الكمال لا يحصل الا بالنشأتين لكنه يرى حين الجذب أن كلما يشغله عن الخدمه فهو مكروه المحبوب ومرجوح عنده فخلف على ترك المرجوح ، أو يقال أن عليا على لما كان شريكا للرسول صلى الله عليه وسلم فى تكميل السالك لقوله أنت منى بمنزلة هارون من موسى وكان له شأن الدلاله ولمحمد صلى الله عليه وسلم شأن الارشاد والمرشد بنشأته النبويه شأنه تكميل السالك بحسب نشأة السلوك وان كان بنشأته الولويه ، وشأن الارشاد شأنه التكميل بحسب الجذب والدليل بنشأته الولويه شأنه التكميل

بحسب نشأة الجذب وان كان بنشأته النبويه وشأن الدلالة شأنه التكميل بحسب السلوك فالدليل بولايته يقرب السالك الى الحضور ويعلمه آداب الحضور وطريق العبودية من عدم الالتفات الى ما سوى المعبود وطرح جميع العوائق من طريقه والمرشد بنبوته يبعده عن الحضور ويقربه الى السلوك ويرغبه فيه فهما في فعلهما كالنشأتين متضادان متوافقان فأمر المؤمنين على لما رأى بلالا وعثمان مستعدين لنشأة الجذب رغبهما الى تلك النشأة بطرح المستلذات وترك المألوفات وشاركهما في ذلك ليستكمل بذلك شوقهما ويتم جنبهما ولما مضى مدة ورأى الرسول صلى الله عليه وسلم أن عودهما الى السلوك أوفق وانفع لهما رد هما الى نشأة السلوك وعاتبهما بالطف عبارته ولا يرد نقص على أمير المؤمنين على " (١)

مراتب السالك :

وضح المؤلف في تفسيره المراتب التي يمر بها السالك وذلك عند تفسيره لقوله تعالى " ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يجب المحسنين " (٢) فقال :- " اعلم أن للانسان من أول تخيره الى آخر مراتبه تطورات ونشآت وبحسب كل نشأة له أعمال وارادات وشرور وخيرات وللسالك الى الله من بد وسلوكه الى آخر مراتبه الغير المتناهيه مقامات ومراحل وأسفار ومنازل ، والتقوى تارة تطلق على التحفظ عن كل ما يضر الانسان في الحال أو في المال

(١) بيان السعادة : محمد حيدر ج ١ ص ٢٥٠ - ٢٥١

(٢) سورة المائدة الآية ٩٣

وهو معناها اللغوى وبهذا المعنى تكون قبل الاسلام وقبل الايمان ومعها وبعدهما ، وتارة تطلق على التحفظ عما يصرفه عن توجهه الى الايمان وبهذا المعنى تكون مع الاسلام وقبل الايمان ومع الايمان لكن فى مرتبة الاسلام فان ما لم يسلم لم يتصور توجهه واهتداه الى الايمان حتى يتصور صارف له عن الايمان وحفظ عن ذلك الصارف ، والتقوى بهذا المعنى عبارة عن تحفظ النفس عن جملة المخالفات الشرعية وتارة تطلق على ما يصرفه عن الطريق الموصل له الى غايته ويدخله فى الطريق الموصله الى الجحيم وبهذا المعنى لا تكون قبل الايمان لانه لم يكن ح (١) فى الطريق بل تكون مع الايمان الخاص الذى به يكون الوصول الى الطريق ، والايمان قد يطلق على الازعان وهو معناه اللغوى وقد يطلق على ما يحصل بالبيعه العامة وهو الايمان العام المسمى بالاسلام وقد يطلق على ما قد يحصل بالبيعه الخاصه الولوييه وهو الايمان الحقيقى وقد يطلق على شهود ما كان موقنا به وهو الايمان الشهودى " الى أن قال " والانسان من أول تميزه نشأته نشأة الحيوان لا يدري خيرا الا ما اقتضته القوى الحيوانيه ، ولا شرا الا ما سكرهته ، ولا يتصور له التقوى سوى التقوى اللغويه فاذا بلغ مقام المراهقه حصل له فى الجملة تمييز الخير والشرو الانسانيين وتعلق به زاجر الهى باطنى بحيث يستعد لقبول الامر والنهى من زاجر بشرى لكن لا يكلف لضعفه ويمرن بوجود الاستعداد والزاجر الباطنى ويتصور له التقوى بالمعنى الأول والثانى فى هذا المقام بمقدار تميزه الخير والشرا الانسانيين فاذا بلغ أوان التكليف وقوى التميز الاستعداد والزاجر الالهى تعلق به التكليف من الله بواسطة النذر ، ويقوله التكليف بالبيعه والميثاق

(١) كذا فى الكتاب .

يحصل له الاسلام ويتصور له التقوى أيضا بالمعنى الأول والثانى ولا يتصور له التقوى بالمعنى الثالث لعدم وصوله الى الطريق بعد ، وفى هذا المقام يكلفه المكلف الالهى بالتكاليف الغالبية وينبهيها على أن للانسان طريقا الى الغيب وله بحسب هذا الطريق تكاليف آخر ويدله على من يريه الطريق ويكلفه التكاليف الاخر اشارة أو تصريحاً أو يريه بنفسه الطريق فاذا ساعده التوفيق وتمسك بصاحب الطريق حتى قبله وكلفه بالبيعه والميثاق التكاليف القلبية صار مؤمناً بالايمان الخاص وتمسكاً بالطريق متقياً بالمعنى الثالث وسالكا الى الله ولله فى سلوكه مراحل ومقامات وزكاة وصوم وصلاة وترؤات وفناءات فى المرتبة الاولى ويرى من نفسه الفعل والترك وجملة صفاته فاذا ترقى وطرح بعض ما ليس له ويرى الفعل من الله ولا حول ولا قوة الا بالله صار فانياً من فعله باقياً بفعل الحق فاذا ترقى وطرح بعضاً آخر بحيث لا يرى من نفسه صفه صار فانياً من صفته باقياً بصفة الله فاذا ترقى وطرح الكل بحيث لا يرى نفسه فى البين صار فانياً من ذاته وفى هذا المقام ان أبقاه الله صار باقياً بعد الفناء ببقاء الله وتم له السلوك وصار جامعاً بين الفرد والجمع والوحد والكثرة وجعل العرفاء الشامخون بحسب الأمهات أسفار السالك وسيره أربعه وسموها أسفاراً أربعه السفر الأول السير من النفس الى حدود القلب وهو سيرة فى الاسلام وعلى غير الطريق ويسمونه السفر من الخلق الى الحق والثانى سيره من حدود القلب الى الله وهو سيرة فى الايمان وعلى الطريق وبدلالة الشيخ المرشد وفى هذا السير يحصل الفناءات الثلاثة ويسمونه السفر من الحق الى الحق والثالث سيره بعد الفناء فى المراتب الالهيه من غير ذات وشعور بذات ويسمونه

السفر بالحق فى الحق والرابع سيرة بالحق فى الخلق بعد صحوه
وبقائه بالله ويسمونه السفر بالحق فى الخلق اذا علمت ذلك فنقول
معنى الآيه أنه ليس على الذين بايعوا بالبيعه العامه النبويه
وقبول الدعوه الظاهره وأسلموا بقبول الأحكام الغالبية وتوجهوا من
ديار الاسلام التى هى صدورهم الى ديار الايمان التى هى قلوبهم
وعملوا الاعمال التى أخذوها من صاحب اسلامهم جناح فيما فعلوا
وحصلوا من الافعال والعلوم ولما كان المراد فى التقوى فى لسان الشارع
هو المعنى الثانى والثالث دون الأول لم يقل تعالى شأنه ليس على
الذين اتقوا وآمنوا فى تلك المرتبه واقتصر على الايمان والعمل الصالح
لكن نفى الجناح بشرط ان اتقوا صوارفهم عن التوجه الى الايمان
والترحل الى السفر الثانى والوصول الى الطريق وجمله المخالفات
الشرعيه صوارفه عن هذا التوجه وآمنوا بالبيعه الخاصه الولويه
وقبول الدعوى الباطنه وعملوا الصالحات التى أخذوها من صاحب
الطريق ثم اتقوا نسبة الأفعال والصفات الى أنفسهم وآمنوا شهودا بما
آمنوا به غيابا وفى هذا المقام يقع السالك فى ورطات الحلول والاتحاد
والالحاد وساير أنواع الزندقه من الثنويه وعبادة الشيطان والرياضه
بخلاف الشرايع الالهيه ومغلطة الأرواح الخبيثه بالارواح لطيبه
فانه مقام تحته مراتب غير متناهيه وورطات غير محصوره وأكثر ما فشا فى
القلندريه من العقايد والأعمال نشأ من هذا المقام والسالك فى
هذه المرتبه لا يرى صفه لنفسه ولا فعلا من نفسه ولذلك أسقط العمل
الصالح ولم يذكره ثم اتقوا من رؤيه ذواتهم وهذا هو الفناء التام والفناء
الذاتى وفى هذا المقام لا يكون لهم ذات بعد التقوى حتى يتصور لهم
ايمان أو عمل والسالك فى هذا السفر لانهايه لسيره ولا تعين لوجوده
ولا نفسيه له ويظهر منه الشطحيات التى لاتصح من غيره كما تظهر منه

فى المقام السابق أيضا وكما لا يرى السالك فى هذا المقام لنفسه عينا ولا أثرا لا يرى لغيره أيضا عينا ولا أثرا ومن هذا المقام نشأت الوحدة الممنوعة وما يترتب عليها من العقائد الباطلة والأعمال الكاسدة فان أدركته العناية وأفاق من فئائه وصار باقيا ببقاء الله صار محسنا بحسب الذات والصفات والأفعال ولذلك قال تعالى بعد ذكر التقوى وأحسنوا واسقط الايمان والعمل جميعا لانه بعد فئائه الذاتى وبقائه بالله صار ذاته وصفته وفعله حسنا واحسانا حقيقيا وأما قبل ذلك فانه لا يخلوا من شوب سوئه واساءته بقدر بقاء نسبة الوجود الى نفسه قبل فئائه وأيضا قبل الفناء بقدر نسبة الوجود الى نفسه يكون مبعوضا لامحبوبا على الاطلاق وبعد الفناء وقبل البقاء بالله لا موضوع له حتى يحكم عليه بالمحبوبية والمبعوضيه وبعد البقاء بالله يصير محبوبا على الاطلاق ولذلك قال والله يحب المحسنين فى آخر الآية (١)

مراتب الكمال :

وتحدث فى تفسيره عن مراتب كمال الانسان عند تفسيره لقوله تعالى مخاطبا ابراهيم عليه السلام " انى جاعلك للناس اماما " (٢) فقال " فالامامة آخر جميع مراتب كمالات الانسان فان أول كمالاته العبودية من أولى درجاتها وهي أولى درجات السلوك الى الطريق متدجرا فيه الى الوصول الى الطريق متدجرا فى السلوك على الطريق الى الله الى أن خرج من أنانيته ورقبه نفسه وذخل فى زمرة عباده واستكمل العبودية وصار عبدا خالصا فان أدركته العناية وابقاه الله بعد فئائه وأحياه

(١) بيان السعادة : محمد حيدر ج ١ ص ٢٥١ - ٢٥٢

(٢) سورة البقره من الآية ١٢٤

بحياته لتكميل خلقه فاما أن يوكله باصلاح قلبه الذى هو بيت الله حقيقة وباصلاح أهل مملكه نفسه من غير اذن له فى الرجوع الى خارج مملكته وهو مقام النبوه المفرده عن الرسالة أو يأذن له مع ذلك باصلاح المملكة الخارجه وهو الرسالة المفرده عن الخله أو يختاره مع ذلك لنفسه ممتازا به عن ساير رسله معيدا له كره أخرى غير العود الاول فأن العود الاول كان يطرح كل ما أخذ وهذا العود يعود معه جميع ما أعطاه الله وهو جميع ما سواه وهو الخله فان استكمل مقام الخله بان كان مقامه مع الحق هو مقامه مع الخلق مع التمكن فى ذلك اختاره للامامه وتفويض جملة الأمور اليه بحيث لا يسقط ورق من شجر الا باذن وكتاب وأجل منه وليس وراء هذه مقام ومرتبته وقد علم من هذا أن كل امام خليل رسول وكل رسول نبي وكل نبي عبد وليس بالعكس وأن الامامه بهذا المعنى هو الجمع بين المقام فى الخلق والمقام عند الحق من غير قصور فى شىء منهما مع التمكن فى ذلك^(١)

هذا ما قاله ذلك المفسر عن مقام الامامه ولئن كان وقوفى عند كثير من كلماته كثير وكثير فان أشده دهشه وأعظمه استغرابا عند قوله المنقول آنفا " . . . اختاره للامامه وتفويض جملة الامور اليه بحيث لا يسقط ورق من شجر الا باذن وكتاب وأجل منه " لا يد هشنى قوله " وليس وراء هذه مقام ورتبه لأنى أعتقد أنه ليس بعد مقام الألوهيه مقام والرجل خص مقام الامامه بأدق خصائص الألوهيه والعياد بالله فهل يعتقد أن المرء يترقى فى مقامات الكمال حتى يصل الى مقام الامامه بخصائص الألوهيه ، أو يعتقد أن مقام الامامه ومقام الألوهيه سياق ورمزين لمعنى واحد أو يعتقد غير هذا وذاك وكلها

(١) بيان السعادة : محمد حيدر ج ١ ص ٢٩

اعتقادات لاتخرج بحال من الأحوال عن الانحراف والالحاد فى آيات الله .

اصطلاحات ورموز :

وتفسيره ملىء باصطلاحات الصوفيه ورموزها ولو ذهبنا نذكر أمثله لخرجنا عن حد الاعتدال فى عرض المقصود الى الاطناب ونسلم من الخروج عنه بذكر بعضها فمن ذلك :-

القرية :

للقرية فى قوله تعالى " وما لكم لاتقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها " (١)

فسرها بقوله " ان كان النزول فى ضعفاء مکه فلا اختصاص لها بهم كما فى الخبر فالقرية مکه وكل قرية لا يجد الشيعه فيها وليا من الامام ومشايخهم ، وكل قرية وقع بها الائمة على بين منافقى الامه وقرية النفس الحيوانيه التى لا يجد الجنود الانسانيه فيها وليا ويطلبون الخروج منها الى قرية الصدور ومدينة القلب ويستلون الحضور عند امامهم أو مشايخهم على فى بيت القلب خاليا عن مزاحمة الاغيار بقولهم واجعل لنا من لدنك وليا واجعل بنا من لدنك نصيرا " (٢)

اليتيم :

فى قوله تعالى : " وآتوا اليتامى أموالهم " (٣) قال فى تفسيره : " اعلم أن اليتيم كالرحم روحانى وجسمانى فالجسمانى من انقطع من صغره

(١) من سورة النساء من الآيه ٢٥

(٢) بيان السعادة ج ١ ص ٢١١

(٣) سورة النساء من الآيه ٢

عن أبيه الجسماني ، والروحاني من انقطع عن امامه الذي هو أبوه
الروحاني كما ورد تصريحاً وإشارة . واليتيم عن الامام إماماً بغيبته عن شهود
حسه بموت وغيره أو بغيبته عن شهود بصيرته بعدم استعداد الحضور
وعدم حصول الفكر الذي هو مصطلح الصوفيه فان من لم يتمثل مثال
الشيخ في صدره ولم يشاهد صورته المثاليه بعين بصيرته كان
منقطعاً عن امامه وحقه الخدمه والمواساة والمحبة والنصيحة التي
يعطون الميثاق عليها هذا هو اليتيم الروحاني في العالم الكبير
وأما في العالم الصغير فالقوى الحيوانيه والبشريه مالم تبلغ في التبعية
للنفس الى مقام التمتع والالتذاز بشهود النفس لشيخها تكون يتامى
ومالها وحقها التلذذ بمشتمياتها ومقتضياتها في الحلال فان التلذذ
في الحلال جعل قسيماً لتزود المعاد في الأخبار" (١)

البروج والسراج والقمر :

وذلك في تفسيره ولقوله تعالى " تبارك الذي جعل في السماء
بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً " (٢)

فسر البروج بقوله " يجوز أن يراد بالبروج الكواكب السيارة
أو أن يراد اللطائف النبويه والولويه المحصوره كلياتها في اثني عشره
الغير المنتهى جزئياتها الى حدّ المحدوده بحسب الأمهات التي
مائة وأربعة وعشرين ألفاً أو مائه وعشرون ألفاً أو مائه ألف ، وأن يراد
الأنبياء (على) والأولياء (على) فانهم بتعلقهم بأبدانهم الأرضيه :
أركان الارض ، وتجرد هم الذاتى عن أرض الطبع أركان السماء وأن يراد
الجهات الفاعليه المحييه والمميتة والمفيضه للأرزاق أو المفيضه
للعلوم والمعبر عنها بإسرافيل وعزرائيل وميكائيل وجبرائيل" (٣)

(١) بيان السعادة : محمد حيدر ج ١ ص ١٩٠

(٢) سورة الفرقان من الآيه ٦١

(٣) بيان السعادة محمد حيدر ج ٢ ص ٨٢

وفسر سراجا وقمرا بقوله " والمراد بحسب التأويل من السراج لطيفه
الولاية فانها المضيئه بذاتها ومن القمر لطيفه النبوه والرساله فانها
كاسبه للنور من الولاية " (١)

التعليم والتلقين :

وقد بين كيفيه التعليم والتلقين عند الصوفيه عند تفسيره لقوله
تعالى " واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا " (٢)
فقال : " وقد بقى بين الصوفيه أن يكون التعليم والتلقين بتعاضد
نفسين متوافقتين يسمى أحد الشخصين هاديا والآخر دليلا والشيخ
الهادى له الهدايه وتولى أمور السالك فيما ينفعه ويجذبه والشيخ
الدليل ينصره لمدافعتة الأعداء ويخرجه عن الجهل والردى بدلا لته
طريق التوصل الى شيخ الهدى وفي الآيه اشارة الى أن السالك ينبغى
له أن يطلب دائما حضوره عند شيخه بحسب مقام نورانيته ومقام صدره
وهو معنى انتظار ظهور الشيخ فى عالم الصغير وأما ظهور الشيخ
بحسب بشريته على بشرية السالك فلا يصدق عليه أنه من لدن الله
وإذا ظهر الشيخ بحسب النورانيه كان وليا من لدن الله ونصيرا
من لدنه " (٣)

وبعد

هذه أمثله من تفسيره الصوفى رأينا فيها كيف جنح بصوفيته
فى تفسير القرآن الكريم من معانيها الظاهره الى رموز واصطلاحات
واشارات فجعل مثلا القرية قرية النفس واليتيم من لا امام له والبرج

(١) بيان السعادة : محمد حيدر ج ٢ ص ٨٧

(٢) سورة النساء : من الآيه ٧٥

(٣) بيان السعادة : محمد حيدر ج ١ ص ٢١١

الانبياء والأولياء أو الجهات الفاعليه المحييه والمميته والسراج الولاية والقمر النبوه والولى والنصير الشيخ الهادى والشيخ الدليل ، وغير ذلك من الأوهام التى جرفه اليها تصوفه والمعانى التى لا يدل عليه لفظ ظاهر ولا دليل صحيح .

ولا يفوتنى أن أذكر هنا انى انما ذكرت من تفسيره الجانب الصوفى اذ انى أكتب عن المنهج الصوفى عامه وليس عن تفسيره خاصة فان طلبت أبرز عقائده أجملتها بأنه شيعى امامى متطرف يعتقد ان عليا وارث علم محمد صلى الله عليه وسلم وبعده الأئمة الاحد عشر من ولده ، وأن العترة هم المبينون للقرآن الكريم وأن علم القرآن عندهم وما عداهم فعلمه قاصر ويعتقد بتحريف القرآن وتبديله ويقول بالرجعه وجواز نكاح المتعه ويمسح الرجلين فى الوضوء ، وأن الانبياء يورثون وينكر رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة ، وغير ذلك من عقائد الشيعة .

والتفسير يحتوى على خرافات وأوهام فى العقائد وفى القصص وفى الأخبار لا يجمعها سليم العقيدة ولا يدونها سليم الرأى ، لا أريد أن أعدد بعضها من غير اثبات لنصوصها ولو فصلت هذا وذاك طال بنا الحديث ودلفنا عن المراد ولعل فيما ذكرنا من تفسيره الصوفى وفاء ولو بعض وفاء بالموضوع .

ثانيا : ضياء الأكوان فى تفسير القرآن : أحمد سعد العقاد

المؤلف : قالوا فى تعريفه انه العارف بالله تعالى أحمد سعد

عثمان على العقاد .

ولد بمدينه الفيوم سنة ١٣٠٧ هـ وأنه من سلالة الأولياء والصالحين

فقد كان أجداده من الساده الصوفيه ولهم مؤلفات عديدة ومخطوطات

كثيرة فى كافة علوم التصوف والفقه والتفسير .

وقالوا ان العناية الالهيه أرادت به أن يلتقى بالعارف بالله
السيد محمد ماضى أبوالعزائم فوجهه نحو الاستقامة .

والتحق بالأزهر سنة ١٣٢٤ ولما انتهت دراسته فيه عينته وزارة
الأوقاف اماما وخطيبا فى أحد المساجد فاشتغل فيه بالتدريس للعامه .

وله عدد من المؤلفات منها ما طبع ومنها ما لم يزل مخطوطا

ومن الأول :

- ١- الدين النصيحة .
- ٢- كنوز العارفين فى ميراث الانبياء والصالحين .
- ٣- كتاب الهجرة النبويه .
- ٤- كتاب مواهب الانسان .
- ٥- الأنوار القدسيه فى شرح أسماء الله الحسنى .
- ٦- السعاده فى الدخول من باب التوبه .

ومن الثانى :

- ١- ريحانة العارفين فى حكمة أحكام الدين .
- ٢- الشرف الأعلى فى اسراء من (دنا فتدلى) .
- ٣- الانسان الكامل .
- ٤- مقامات أهل اليقين .
- ٥- الفقه على المذاهب الاربعه .

وفاته : توفى فى ١٦ صفر سنة ١٣٧٣ (١)

تفسيره :

وأما تفسيره " ضياء الأكوان فى تفسير القرآن " فقد صدر منه تفسير

(١) انظر ترجمته فى آخر الجزء الثانى من تفسيره ومناهج المفسرين : منيع

الجزء الأول - الجزء الثاني من القرآن الكريم ، وصدرت الطبعة الاولى سنة ١٣٩١ ولم أحصل الا على الجزء الثاني من التفسير ويحتوى على تفسير الجزء الثاني من القرآن الكريم .

وقد حدد المؤلف فى حقوق الجزء الأول منهجه لقوله " فقد عزمت بحول الله تعالى وقوته على كتابة تفسير للقرآن الكريم يكون سهلاً العبارة رقيق الاشارة يجمع بين جمال تفسيره وأسرار تأويله متحريراً فى ذلك الصحيح من الأقوال مجتنباً الحشو، والتطويل " (١)

وكتب الدكتور عبدالحليم محمود مقدمة للجزء الثاني جاء فيها " ولصاحب الفضيلة الشيخ أحمد - فى تفسيره - أنفاس مباركة ولمحات روحية طيبة نابغة من ممارسته للتصوف علماً وعملاً . وقد شاعت هذه الانفاس واللمحات فى تفسيره فزادته بهجة الى بهجه ونورا على نور " (٢)

وقد انتشرت هذه الأنفاس التى أشار اليها عبدالحليم فى هذا التفسير وتباعدت وتتبع عدد منها وجعلت لها عناوين هى من عبارات الصوفية أولاً ويدور عليها الحديث ثانياً ووردت بحروفها ثالثاً قصدت من ايرادها اثبات نهجه النهج الصوفى فى التفسير وهذه بعضها :-

التجلى :

فى تفسير قوله تعالى " ومن حيث خرجت قول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك " (٣) قال " ويعنى التوجه للكعبة

(١) عن كتاب مناهج المفسرين : منيع عبد الحليم محمود ص ٣٦٢
(٢) ضياء الاكوان فى تفسير القرآن : احمد سعد العقاد من مقدمة عبد الحليم محمود ص ٤٠

(٣) سورة البقرة من الآيه ١٤٩

حق وكأن الله تعالى يقول أنا الحق وتجلت بنور الحق على الكعبة
المكرمة . فالمعظم لها انما يعظم الحق والزائر لها انما يزور الحق
فبنور الروح ترى الحق متجليا فى رسول الله وفى كتاب الله وفى
الكعبة المكرمه تجليا خاصا كأهل المعرفة جعلنا الله ممن خضعوا
للحق وعرفوا الحق " (١) .

الصلاة :

وفى تفسير قوله تعالى " حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى
وقوموا لله قانتين " (٢) قال " وللعارفين مشاهد فصلاة الجسم بالحركات
الظاهرة وصلاة القلب بالحضور والخشيه وصلاة النفس بالخوف والأدب
وصلاة الروح بشهود الحق متجليا مشهودا بأنواره حيث أشار لذلك
رسول الله بقوله " وجعلت قرّة عيني فى الصلاة " فالمؤمن لا تقر عينه
ويشرح صدره الا بشهود موله قريبا حاضرا جميلا جليلا " (٣)

الحج :

وفى قوله تعالى " وأتموا الحج والعمرة لله " (٤) تحدث عن الحج
المعروف عند المسلمين ثم ذكر نوعا آخر من الحج هو الحج عند من
سماهم العارفين فقال " ولكن للعارفين حج آخر يحجونه متى -
اشتاقوا لحبيبيهم وهو حج الروح لا يتكلفون سفرا ولا انتقالا لأن مطلوبهم
فى أنفسهم وهو القلب الذى هو بيت الله العامر بأسرار الله وأنواره
وقد قال بعض العارفين عجبت لمن يحن ويرحل لبيت الخليل (٥)

(١) ضياء الأكوان ج ٢ ص ١٤-١٥

(٢) سورة البقرة الآية ٢٣٨

(٣) ضياء الأكوان ج ٢ ص ١٤٩

(٤) سورة البقرة من الآية ١٩٦

(٥) تقليل من شأن الكعبة المشرفة التى وضعها الله بالبيت الحرام ويقوله
سبحانه " فليعبدوا رب هذا البيت " فهل البيت بعد هذا بيت
الخليل أو بيت الله .

وهو الكعبه كيف لا يحن ويشاهد العجائب فى بيت بناه الربا
الجليل وهو القلب والغرض من القلب هو العامر بالايمان والحب
والتقوى والرحمه فهو كثر السعاده فكعبه الأشباح بمكة المكرمة وكعبه
الارواح معك وهو قلبك فاحرص على الطواف حول المعانى التى فىك
يتجلى لك خالقك وباريك متعنا الله بتلك المعانى" (١) .

أما نحن المسلمون فنحمد الله أن حمانا من هذه المعانى
الضالة التى تمس حرمة بيت الله وتقلل من شأن ركن من أركان الاسلام
لمصلحة شبهه من شبهات الشيطان .

شراب المعانى :

وأشار الى هذا عند تفسيره لقوله تعالى : " يسألونك عن الخمر
والميسر قل فىهما اثم كبير ومنافع للناس واثمها اكبر من نفعها" (٢)
فقال " فحرمها الله تحريما كليا لأنه علم من قلوبهم الاستعداد
لقبول الأمر وذوقهم لحلاوة المعانى الروحيه التى هى أذ عند
النفوس من كل شراب وهى الراح الطهور التى من شرب منها كأسا
هام فى الحبيب واطلع على السر العجيب" (٣) .

الذکر :

قال تعالى " فاذكرونى أذكركم" (٤) وفسرها المؤلف الذکر هنا
بقوله " والذکر له ثلاث حقائق ذاکر ومذکور وذکر . فالذکر هو
العبد الطائع ، والمذکور هو الرب النافع ، والذکر صفه تسکن فى

(١) ضياء الاكوان : احمد العقاد ج ٢ ص ٨٤

(٢) سورة البقرة الآية : ٢١٩

(٣) ضياء الاكوان : ج ٢ ص ١٠٦

(٤) سورة البقرة من الآية ١٥٢

قلب العبد فتوقظه وتنوره وتشرح صدره وتصله بربه " ثم ذكر صفة الذكر فقال : " والذكر اما باللسان ليذكر غيره أو بالقلب ليتذكر ما فيه من أسرار ربه وذكر القلب انفع للذاكر والكمال أن يجمع العبد بين ذكر القلب واللسان فينفع نفسه وينفع اخوانه ، أما ذكر اللسان فهو أن تقول الله الله بأدب وخشوع حتى يشرق عليك نور الاسم أو تذكر اخوانك بنعم الله وتشوقهم الى جماله حتى يصطلحوا عليه أما ذكر القلب فهو أن تفكر وتتذكر ما فيك من روح وعقل وحواس وايمان وجمال " (١) .

حقيقة الانسان :

تحدث بذلك عند تفسيره لقوله تعالى : " ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين " (٢) فقال " ولما كان الانسان مكونا من حقيقتين الأولى روحيه والثانية بشريه . فالروحيه تتنجس بالمعاصي والبشرية تتنجس بالجنايه والحيض والنفاس وجميع النجاسات والعبد لا يؤذن له بالدخول في الحضرة الالهيه الا اذا تطهر من النجاستين ، وتجمل بالطهارتين " ثم قال " فيعلم من ذلك أن سالك الطريق الى الله يجب عليه أن يعتنى بالظاهر والباطن حتى يتجمل بجمال أسمائه تعالى الظاهر والباطن ، ولهذا السر قال تعالى : " ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) يعنى يا أيها المؤمن لست معصوما من الوقوع فى النقائص فبادر بالتوبه وهى انغماسك فى بحر اسمه التواب فتخرج وعليك حلل الجمال والكمال ويمنحك الله الحب بسبب اعترافك بالنقص وذلك يكون بكثرة تكرار التوبه والتواب هو الذى يشعر

(١) ضياء الاكوان : احمد العقاد ج ٢ ص ١٨

(٢) سورة البقرة من الآيه ٢٢٢

بالنقص فى نفسه فيجعلهُ يتوب فى كل نفس فينال مقام المحبة فالنفس
عند العارفين معراج الى الكمال ، ثم قال : " فاعرف سبيل الوصول
الى مقام المحبه وحافظ على طهارة الضمير وطهارة الجسم فتمكن
من مقام المحبوبين " (١)

جنة الشهداء :

وان شئت ان تعرف بعد هذا رأيه فى ثواب التائبين قبل
ثواب الأخره فقد أورده عند تفسيره لقوله تعالى " والله يقبض ويبسط
واليه ترجعون " (٢) فقال " وقد ذاق العارفون حلاوة هذا السر
فرجعوا من الاكوان الى المكون ورجعوا من أنفسهم الى بارئها ومن
رجع الى الله بالتوبه فقد وصل الى الله وقامت قيامته ونصب له
الميزان ودخل جنة الشهداء وسيدخل جنة النعيم ان شاء الله بغير
حساب " (٣)

ايلام الحواس :

ذلكم أن المؤلف جرى على نهج الصوفيه فى اعتقادهم أن ايلام
الحواس يوصل العبد للصفات الملكيه وهذا ما زعمه عند تفسيره لقوله
تعالى " ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس
والثمرات وشر الصابرين " (٤)

فقال " والمراد بالجوع الصيام فانه يؤلم البشريه ويوصل العبد
للصفات الملكيه بل يرفعه الى الحظائر القدسيه " الى أن قال " ومن

(١) ضياء الاكوان : أحمد العقاد ج ٢ ص ١١٨-١١٩

(٢) سورة البقرة من الآيه ٢٤٥

(٣) ضياء الاكوان : ج ٢ ص ١٥٣

(٤) سورة البقرة الآيه ١٥٥

هذه الآيه عرف أهل الطريق أن الحس لا يأخذ العبد بشهادته
وحكمه فهو كثير الخطأ يرى : اللذه فى الأموال والأنفس والثمرات
والحق تعالى يراها فى المؤمن للحس والمخوف للنفس فالحس قاطع
الطريق الآخرة محبوب بمناظره وظواهره . فكل مؤلم فيه خير كما
قال الحكماء كل مردواً ومتى انكشفت تلك الحقائق يسجد العبد
شكراً لله على عنايته به فى البلاء وترتفع ستائر عن النتائج فتزول
المرارة وتحل محلها اللذه والبهجه والسرور " (١)

ومما لا شك فيه أن هذا ليس هو منهج الاسلام الذى اطلق
ميزانه بقوله : عجيباً لأمر المؤمن ان أمره كله خير وليس ذاك لأحد
إلا للمؤمن ان أصابته سراء شكر فكان خيراً له وان أصابته ضراء
صبر فكان خيراً له " (٢) واطلقه بقوله " وفى بضع أحدكم صدقه قالوا
يا رسول الله أىأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قال أرأيتم
لو وضعها فى حرام كان عليه وزر فكذلك اذا وضعها فى الحلال
كان له أجر " (٣) وأطلقه بقوه لأولئك النفر الذين قال أحدهم أما
أنا فانى أصلى الليل أبداً ، وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر
وقال ثالثهم أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً فأعلنها رسول الحق
" أما والله انى لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأصلى
وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى " (٤)

هذا هو منهج الاسلام فى ايلام الحواس وما أخال هؤلاء الذين
اعتقدوا أن ايلام الحواس يوصل العبد للصفات الملكيه ما أخالهم الا

(١) ضياء الاكوان : احمد العقاد ج٤ ص ٢٢-٢٣

(٢) رواه مسلم كتاب الزهد ج ١٨ ص ١٢٥

(٣) رواه مسلم كتاب الزكاة ج ٧ ص ٩٢

(٤) رواه البخارى كتاب النكاح ج ٦ ص ١١٦ ومسلم كتاب النكاح ج ٩ ص ١٧٦

رغبوا عن سنته عليه الصلاة والسلام ولذلك فهم يفرحون ويستبشرون
بالابتلاء ويسألون الله الحفظ اذا وقعت عليهم النعمة وهذا ما قالوه
فى الابتلاء .

الابتلاء :

وذلك عند قوله تعالى : " وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم
مصيبة قالوا انا لله وانا اليه رجعون " (١)

فقال " ولا بد أن يكون الاسترجاع بالقلب والروح لا باللسان
فقط فالمؤمن ان أتته النعمة تنبه وخاف أن تكون بليه ، وسأل الله
الحفظ وان أتته البليه فرح واستبشر لأن فى طيها عطية جعلنا الله
من أهل اليقظة (٢) والحضور (٣) .

الصيام :

والصيام الحقيقى كما يقول فى تفسير قوله تعالى " ثم أتموا
الصيام الى الليل " (٤) " والصيام الحقيقى يكون بسبع جوارح صوم البطن
عن الأكل والشرب وصوم الفرج عن النكاح وصوم اللسان عن كل ما لا
يرضى الله تعالى وصوم العين عن النظر الى المحرمات والأذن عن
التجسس على العورات واليد عن ايداء الخلق أو كتابة ما يسيء لأحد
والرجل عن السعى الى ما يغضب الله وهذا هو الصيام الكامل الذى
يجعل صاحبه تتفتح له أبواب الجنان وتغلق له أبواب النيران " (٥)

(١) سورة البقرة من الآيه ١٥٥-١٥٦

(٢) أهل اليقظه هم الذين يلتزمون حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن
المؤمن انه اذا أصابته سراء شكر واذا أصابته ضراء صبر ، ولم يقل فرح
ويستبشر كما يزعم هؤلاء

(٣) ضياء الاكوان : أحمد العقاد ج ٢ ص ٢٥

(٤) سورة البقرة من الآيه ١٨٧

(٥) ضياء الاكوان ج ٢ ص ٦٤

هدود الله :

أما المراد بقربها المنهى عنه في قوله تعالى من الآيه السابقه
" تلك حد ود الله فلا تقربوها " فخصه بأهل اليقين فقال: " يعنى
يأهل اليقين لا تقربوا الحد ود واجعلوا بينكم وبينها سدا من الخلال
حتى لا تقربوا منها ولقد كان بعض الصحابه يقول كنا نترك سبعين بابا من
الخلال مخافة أن نقع فى باب واحد من الحرام والعارفون بالله يرون
أن الدنو من المنكر أشد من الدنو من النار الملتهبة والوحوش المغفلة والحشرات
السامه " (١)

اتيان البيوت :

المبين فى قوله تعالى " وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله
لعلكم تفلحون " (٢)

فسره بقوله " وفى الآيه اشاره لاهل الذوق والفهم وهي أن العلوم
التي يجب أن يطلبها العبد أولا ويحرص عليها ويجتهد فى البحث عنها
هي العلوم الدينيه كعلم التوحيد وعلم الفقه وعلم التصوف أما بحث
الانسان عن علم الفلك وعلوم الحساب والرياضه والجغرافيا قبل أن يتمكن
من العلوم الدينيه فهو خطأ ومثاله كمن يأتى البيوت من ظهورها فكأن
الحق يقول ادخلوا الى حضرات القرب من باب السعادة والعنايه
وهو فهم العلوم الشرعيه ولا تعكسوا الأمر فتطلبوا علوم الدنيا فقط " (٣)

(١) المرجع السابق ج ٢ ص ٦٧

(٢) سورة البقره : من الآيه ١٨٩

(٣) ضياء الاكوان ج ٢ ص ٧٠

جهاد النفس :

وتحدث عن جهاد النفس فى تفسيره لقوله تعالى " فان انتهوا فان الله غفور رحيم " (١) قال " ومن أراد أن يذوق حلاوة الجهاد فى نفسه فعليه أن يسبل عليها سيوف العزم والمحاسبه ويقهرها فى قيود الشريعة حتى لا تلتفت الى منكر أو محرم وتحيا فيها المعانى اللطيفة فيكون صاحبها فتح الله له باب الملكوت ونصره على أعدى الأعداء وهى النفس فاذا حارب الكفارتعت له السعدتان سعادة النفس والآفاق فيتجلى له الحق ويأنس بالحق ويزول الباطل جعلنا الله من المجاهدين فى سبيله " (٢)

منى :

ومنى من المشاعر المقدسه فى الحج لكن المؤلف يفهم منه معنى آخر عند تفسيره لقوله تعالى " واذكروا الله فى أيام معدودات " (٣) فقال " لما أكرم الله الحجاج بالوقوف بعرفه ثم الذهاب الى منى وفيه الاشارة بأن الله تعالى أعطاهم المنى أو تجلى لهم بسر كرمه وحبه ونوره وظهوره لهذا قال لهم " واذكروا الله فى أيام معدودات " (٤)

أدب الدعاء :

وهى آداب خص بها العقل والقلب ، والروح بينها عند تفسيره لقوله تعالى " واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان " (٥)

(١) سورة البقره : الآيه ١٩٢

(٢) ضياء الأكوان ج ٢ ص ٧٢ - ٧٣

(٣) سورة البقره فى الآيه ٢٠٣

(٤) ضياء الاكوان : أحمد العقاد ج ٢ ص ٨٣

(٥) سورة البقره : من الآيه ١٨٦

فقال في بيانها : - " ونحن نؤمن أن هذا القرب كما يليق بنزاهة جنابه فالعقل نقول له تأدب واعتقد أن قرب الله هو احاطه بك وقهر لك تحت سلطانه فلا تخرج عن الحدود والقلب نقول له شاهد أنوار الله في آياته الداله على أنه أقرب الينا من كل قريب فالأشياء قامت به وهو قيومها وهي عدم والوجود منه فان جاءتك نعمة فهو الموصل لها اليك بالوسائل والأسباب ونقول للروح شاهدى أنوار تجليه وظهور معانيه فظهور المعانى يستر المباني ويجعلها أقرب للقلب من كل روحانى وجسمانى وقد وصل العارفون الى الله على معراج اسمه القريب فانهم خشعوا وتأدبوا وشاهدوه قريبا مجيبا " (١)

الأولياء :

وقد خص المؤلف في تفسيره الأولياء بخصائص وأولاهم عناية كبيرة وهذه بعض تلك المواضع .

شهادة الاولياء : يختلف الأولياء بالشهادة عن غيرهم فغيرهم يستشهد بالقتل في ميدان الجهاد أما الاولياء فاستشهدوا هم بالقتل بسيف المحبه وسهام مخالفة النفس وسيف طلب العلم نص على هذا عند تفسيره لقوله تعالى " ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون " (٢) حيث قال " والأولياء لهم قدم صدق في هذه الحياة فان منهم من قتل بسيف المحبه ومنهم من قتل بسهام مخالفة النفس ومنهم من قتل بسيف طلب العلم والسهر في تحصيله والتلذذ به ونسيان البشريه فيحييهم الله في برازخهم ويكتبهم عنده شهداء جعلنا ممن استنارت بصائرهم فسادوا تلك الحقائق . (٣)

(١) ضياء الاكوان : أحمد سعد العقاد ج ٢ ص ٦١

(٢) سورة البقره : الآية ١٥٤

(٣) ضياء الاكوان ج ٢ ص ٢١

زيارة الاولياء :

وهو لا يحث على زيارة الأولياء فحسب بل يوجب اعانة زوار الأولياء وتقديم المال والطعام للزائرين لهم وعدّ زوار الأولياء من أبناء السبيل الذين تدفع اليهم الزكاة المستحبه والواجبه (وسوى) بين المسافر الذى يطلب العلم والمسافر الذى يزور الأولياء قال بهذا عند تفسيره لقوله تعالى " ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكه والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل الآيه " (١) ففسر ابن السبيل بقوله " وابن السبيل هو المسافر الذى يطلب العلم أو يزور الأولياء أو ينظر فى آيات الله أو يتعرف باخوان المؤمنين فله حق على من نزل بهم أن يكرمه ويدخلوا عليه السرور ويعطوه مما أعطاهم الله " ثم قال " واذا دعا ابن السبيل لمن أكرمه استجاب الله دعاءه فهو من رتبة المهاجرين الذين تركوا الأوطان والخلان " (٢)

رياض الاولياء :

ولم يكتف بوجوب اعانة زوار الأولياء بل جعل رياض الاولياء من الاماكن الطاهره التى تستجاب فيها الدعوات فقال " والافضل أن يتحرى العبد أوقات الاجابه كوقت السحر والاماكن الطاهره كالمساجد ورياض الاولياء ويقدم التوبه والاستغفار ويتوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم ويرفع شكواه الى الله معتقدا فى نفسه أنه كالغريق ولا يأخذ بيده الا مولاه القادر " (٣) ومن المعلوم أن التوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجوز أيضا .

(١) سورة البقره : من الآيه ١٧٧

(٢) ضياء الاكوان : احمد العقاد ج ٢ ص ٤٩

(٣) ضياء الاكوان : احمد العقاد ج ٢ ص ٦١

ذنوب الأولياء :

ولكن والحق يقال لم يعتقد العصمة للأولياء ونص على هذا عند تفسيره لقوله تعالى " فتاب عليكم وعفا عنكم " (١) فقال " فاذا وقع من الولي ذنب فلا تعرض عنه فإنه يذنب ويتوب ومن اعتقد العصمة في الأولياء فقد أخطأ - فاقتد برسول الله صلى الله عليه وسلم فهو الامام المعصوم " (٢)

والى هنا نكتفى بما ذكرنا من تفسيره الصوفى ولعل فيه ان شاء الله كفايه لمرادنا .

رأيه في التفسير الصوفي الحديث :

استدل المتصوفة على صحة تفسيرهم بقوله تعالى " أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها " (٣) وقوله سبحانه " أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا " (٤) ويقول صلى الله عليه وسلم (لكل آية ظهر وبطن ولكل حرف حـد ولكل حد مطلع " (٥) واستدلوا بسحاده استدعاء عمر لابن عباس فى مجلسه مع أشياخ بدر رضى الله عنهم أجمعين وقد سبق بيان الحادثة . هذا هو أهم ما استدلوا به لصحة تفسيرهم وأن هذا دليل على سلامة تفاسيرهم وأن لها أصلا شرعيا .

-
- (١) سورة البقره من الآيه ١٨٢
 - (٢) ضياء الاكوان : أحمد العقاد ج ٢ ص ٦٤
 - (٣) سورة محمد : الآيه ٢٤
 - (٤) سورة النساء : من الآيه ٧٨
 - (٥) أخرجه الفريابى من رواية الحسن مرسلا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبق تخريج هذا الحديث عند بيان منهج أهل السنه فى التفسير .

ونحن لاننكر وجوب التدبير فى القرآن الكريم ولا ننكر ايضا
أن يكون لمعانى القرآن معان ظاهره متبادره للذهن ومعان أخرى
حق تحتاج الى تدبير وتمعن يؤتیه الله من يشاء من عباده وتتفاوت
فيه الدرجات لكننا نرفض كل الرفض أن يكون هذا النوع هو الذى
يزعمه الصوفیه من اشارات ورموز وطلاسم قوامها الوجد والذوق ،
تذهب صفاء القرآن الكريم ونقاءه .

ولا بد أن نبين هنا رأيا لم نكد نجد أحدا قال به الا الدكتور
السيد أحمد خليل الذى أجمل الاشاره اليه وليته زادها تفصيلا . (١)

أنه يجب أن نفرق بين نوعين من التفسير هما :

١ - التفسير الاشارى .

٢ - التفسير الرمزى .

أما الاول فحق وهو ينقسم الى قسمين :

تفسير اشارى معنوى .

وتفسير اشارى لفظى .

ونريد بالتفسير الاشارى المعنوى : التفسير المرتبط باشارة المعنى
العام للآيه أو السوره وهى الدلاله على معنى آخر يستبطن المعنى
الاجمالى فهما يؤتیه الله من يشاء من عباده لا يخالف نسا ولا يجافى
لفظا ولا يجاوز معنى حقا . ومن هذا النوع ما سبق ذكره من
استدعاء عمر لابن عباس رضى الله عنهم فى مجلسه مع شيوخ بدر رضى
الله عنهم وسؤال عمر لهم ما تقولون فى قوله تعالى : اذا جاء نصر
الله والفتح فقال بعضهم أمرنا نحمد الله ونسغفره اذا نصرنا
وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لى أكذاك تقول يابن عباس ؟

(١) دراسات فى القرآن : الدكتور السيد أحمد خليل ص ١٢٧ - ١٢٨

فقلت لا قال فما تقول ؟ قلت هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه له قال اذا جاء نصر الله والفتح وذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فقال عمر ما أعلم منها الا ما تقول " رواه البخارى .

ومن هذا النوع أيضا ما رواه ابن جرير الطبرى لما نزلت " اليوم أكملت لكم دينكم " (١) وذلك يوم الحج الاكبر بكى عمر فقال لله النبى صلى الله عليه وسلم ما يبكيك ؟ قال أبكاني أنا كنا فى زيادة من ديننا فاما اذ كمل فانه لم يكمل شىء الا نقص ؛ فقال صدقت " (٢) كل هذه المعانى معان باطنه لا تخالف المعنى الظاهر للآية ولا تنتهك نطاق لفظه ولا حدود معانيه فكان القبول لها حليفا .

ونريد بالتفسير الاشارى اللفظى : التفسير المرتبط باشارة لفظه خاصه يستدل بها على معنى آخر يستبطن معناها فى سياقها العام ومن هذا النوع من التفسير ما استدل به العز بن عبد السلام على صحة أنكحة الكفار من قوله تعالى " وأمراته حمالة الحطب " (٣) ومنه أيضا ما استدل به المفسرون من قوله تعالى " وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن " (٤) بأنه " عبر عنه بهذه العبارة اشاره الى جهة وجوب المؤن عليه لأن الوالدات انما ولدن للآباء ولذالك ينسب الولد للأب دون الأم " (٥)

(١) سورة المائدة من الآية ٣

(٢) تفسير الطبرى : ج ٩ ص ٥١٩

(٣) سورة تبت الآية ٤

(٤) سورة البقره : من الآية ٢٣٣

(٥) تفسير القاسمى : ج ٣ ص ٦١٠

هذا هو التفسير الاشارى السليم بقسميه فهم لا يعكس معنى ولا يخالف نصا ولا يجافى لفظا بل يستمد مقوماته من النص المائل أمامه من غير تحريف ولا تأويل خارج عن حدود الدين واللغة وهو الذى تدل عليه النصوص والأدلة التى استدلو بها لصحة التفسير الاشارى اذ هذا هو ما تدل اليه .

أما النوع الذى يجب أن نفرق بينه وبين التفسير الاشارى فهو التفسير الرمزي وهو التفسير الذى سلكه الصوفيون وهم يحسبون أنهم يسلكون الاول وما هم بسالكيه .

ذلكم أن التفسير الرمزي تفسير صوفي يعتمد فى سبيل الوصول الى المعرفة على منهج قوامه الوجد والذوق والترقي فى مقاماتهم حتى يصل المتصوف مقام العرفان فتفيض عليه - بزعمهم - مكنونات العلم وأسرار المعرفة بل يصل الى أبعد من هذا فتفوض جملة الأمور اليه بحيث لا يسقط ورق من شجر الأباذن وكتاب وأجل منه وليس وراء هذه مقام ومرتبته . (١)

ولأن تفاسيرهم لا تخضع لقاعدة ولا لأصل بل تختلف باختلاف مقام الصوفى ومواجهه وذوقه لذا تختلف تفسيراتهم اختلافا شديدا لا يمكن حده أو النظر فى أبعاده . (٢)

ولهذا جعل الصوفيه معجما خاصا باصطلاحات حتى هم أنفسهم لا يعرفون بعضها ويحذرون المرید من الشك فيما لا يفهمه من طلاسهم وهذا النوع هو الذى أرادہ الامام الغزالي فى الصنف الثانى من الشطح

(١) بيان السعادة : محمد حيدر ج ١ ص ٧٩

(٢) دراسات فى القرآن : د . السيد أحمد خليل ص ١٢٧

عند الصوفيه حيث قال عنه " كلمات غير مفهومه لها ظواهر رائعه وفيها عبارات هائله وليس وراءها طائل وتلك اما أن تكون غير مفهومه عند قائلها بل يصد رها عن خبط في عقله وتشويش في خياله لقلبة احاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الاكثر واما أن تكون مفهومه له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وايرادها بعبارته تدل على ضميره لقلبة ممارسته للعلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعاني بالالفاظ الرشيقه ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام الا أنه يشوش القلوب ويد هس العقول ويحير الازهان أو يحمل على أن يفهم منها معان ما أريدت ويكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وطبعه " (١)

هذه ناحيه من ناخيتين يؤدي اليهما التفسير الذي يقوم على الوجد والذوق .

أما الناحيه الثانيه فهو ما زعموه من الحب لله وتفريغ القلب من سواه والعشق والهيام وقسموا أنفسهم حسب تفاوتهم في هذا الى مراتب وأعلاها مرتبة الغناء وهي أن ينتهي سلوكه الى الله تعالى في الله يستغرق في بحر التوحيد والعرفان بحيث تضحل ذاته في ذاته وصفاته في صفاته ويغيب عن كل ما سواه ولا يرى في الوجود الا الله وهو الذي يسمونه الغناء في التوحيد " (٢)

وقد مر بنا أن الغزالي عد هذا النوع من شطح الصوفيه وانها " الدعوى الطويله العريضه في العشق مع الله تعالى والوصال المغنى عن الاعمال الظاهره حتى ينتهى قوم الى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهده بالرؤيه والمشافهه بالخطاب فيقولون قيل لنا كذا وقلنا كذا " (٣)

(١) احياء علوم الدين ج ١ ص ٤٢ - ٤٣
(٢) مصرع التصوف : برهان الدين البقاعي ص ٨١ عن التفتازاني في شرح المقاصد
(٣) احياء علوم الدين : الغزالي ج ١ ص ٤٣

وقد حرصت في التفسيرين الذين درساها في التصوف وهما :-
بيان السعادة في مقامات العبادة ، وضياء الأكوان في تفسير القرآن :
أن يكون أولهما من النوع الأول في التفسير الرمزي وهو التفسير الذي
يكثر فيه الألفاظ الغامضة والطلاسم والاصطلاحات ، وأن يكون ثانيهما
من النوع الثاني فيه وهو ما تكثر فيه عبارات العشق والشوق ، حيث
جعل الحج عند العارفين حج الروح الى القلب الذي هو بيت الله
العامر وليس الى بيت الخليل ؟ ! وزعم حلاوة المعاني راحا طهورا
من شربها هام في الحبيب وجعل الذكر ترديد الله الله حتى
يشرق عليك نور الاسم وجعل شهادة الأولياء بقتلهم بسيوف المحببه
وسهام مخالفة النفس ونحو ذلك .

وقد حان وقت صلاة الظهر وأنا في مكتبة أحدهم في بلد اسلامي
وعدت بعد أدائها والرجل لا يزال في مكانه وحين سألته لم لم يصل ؟
اكتفى بضحكة أحسبها ساخره وكأنه يقول كما وصفهم الغزالي في النص
السابق " انه قام بالوصال المغنى عن الأعمال الظاهره ، أما وصاله
فقد امتلأت كتبه بشنيع الاقوال فهو يزعم حب الآله فينادى الهه بقوله
" أحبيتك حبا لا يعد له حب مخلوق لك اللهم سوى مصطفاك وحده
الذي خلقته بالحب ومن الحب وفي الحب " ثم ندم على هذا الاستثناء
فاعماده : " لقد أحبيتك يا مولاي حبا لا يساويه حب أحد
قبلى ولن يدانيه حب أحد بعدى " (١)

وهو يزعم أنه رأى الله لافي صنعه بل في الحقيقه وعلى الحقيقه
فقال : الهى لم أرد أنى رأيتك فى صنعك وفى ابداعك وفيما أنشأته

فى ملكك وتنشئه فى ملكوتك فحسب فهذا ما تراه البهم والعجماوات
بل رأيتك فى الحقيقه : على الحقيقه " (١)

ذكرنى هذا بقول الغزالى عنهم وصال معنى عن الأعمال الظاهرة
وادعاء المشاهده بالرؤيه .

خلاصة الرأى أن المقبول هو التفسير الاشارى على المعنى
الذى ذكرته والمرفوض هو التفسير الرمزى الصوفى الذى لا يقوم
على قواعد صحيحه ولا أسس سليمه وانما قوامه الوجد والذوق
الذى ما أنزل الله به من سلطان .

(١) الحب : ابن الخطيب ص ٩٠



الجمهورية العربية السورية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم القرآن وعلومه

أبحاث التفسير في القرن الرابع عشر الهجري

رسالة لنيل درجة الدكتوراه

إعداد

فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي

إشراف

الدكتور / مصطفى مسلم محمد
أستاذ مشارك في كلية أصول الدين

(الجزء الثاني)



العام الجامعي
١٤٠٥ هـ - ١٤٠٤ هـ

الباب الثاني

الاتجاهات العلمية في التفسير

الفصل الاول

المنهج الفقهي في التفسير

أنزل الله سبحانه وتعالى هذا القرآن العظيم لحكم عظيمه غايتها
ونهايتها : -

١ - تصحيح العقيدة .

٢ - تقويم السلوك .

أما أولها فقامت به آيات العقائد وينته على قواعد سليمة
قوامها أركان الدين الاسلامي .

أما الثاني فتكفلت به آيات الأحكام على وجه اختاره الله
 لعباده ضلوا ان عملوا بسواه وكفروا ان حكموا بغيره .
وقد استحوذ هذان الركنان على جل أو ان شئت فقل كل آيات
القرآن الكريم وما عداهما من آيات القصص والأمثال والوعد والوعيد
لا يخرج كله عن تقرير عقيدة أو تقويم سلوك فهو داخل في دائرة
هذين الركنين لا يخرج عنهما بحال من الأحوال .

ولكونه عليه الصلاة والسلام هو المبين لما نزل فقد أولى هذين
الركنين جل اهتمامه وكبير عنايته فلا تكاد تمر مناسبة أو يقع انحراف
في العقيدة عن خطأ أو جهل أو عن عمد من المشركين الا وبين
عليه الصلاة والسلام العقيدة الصحيحة ونقاها من الشوائب كما ينقى
الثوب الأبيض من الدنس فتعود بيضاء نقيه بل هي المحجة البيضاء
التي لا يزيغ عنها الا هالك ولا تكاد تقع حادثه أو قضية من القضايا
الا وبين لهم صلى الله عليه وسلم حكم الله فيها بما يزول به الباطل
ويظهر به الحق ويدعن له المؤمنون ويحكمونه فيما بينهم ثم لا يجدوا
في أنفسهم حرجا مما قضى ويسلموا تسليما .

بل لم يكن صلى الله عليه وسلم في كل هذا أو ذاك ينتظر وقوع حادثة

أو سؤال سائل بل كان يشرح لهم جوانب العقيدة ويبسط لهم أحكام الشريعة على كل حال وفي كل آن ، قد يبين هذا من نفسه وقد تنزل به آيات القرآن فصار هذان منهلين ينهل منهما العلماء الاحكام الشرعية .

إذا فلم تكن السنه وحدها مختصه ببيان الأحكام ولم يكن القرآن الكريم كذلك بل هما معا المصدر الحق لاستمداد كل هذا .

ولا شك أن دلالة النصوص القرآنيه لا تظهر بصورة شاملة للحكم في كثير من الأحوال ، كما أنها لا تدل بصورة قطعيه على الأحكام فى بعض الأحوال .

كما أن السنه النبويه ليست على درجة واحدة فى الثبوت عن الرسول صلى الله عليه وسلم بل هى متفاوت بين الصحة والضعف ، فكان لزاماً لمن أراد استنباط الأحكام الشرعيه من أن يأخذ بالكتاب والسنه معا فكلاهما مبين للآخر بالخصوص والعموم أو الاطلاق والتقييد وغير ذلك ولا ينكر هذا الامكابر معاند .

ولهذه الاختلافات فى دلالة النصوص القرآنيه وتفاوت ثبوت بعض الأحاديث ، وللعلاقة الثابته بين الكتاب والسنه : لهذا كله أصبح المجال فى غالبه مجال اجتهاد واعمال ذهن ، واستنباط بل سمّه فقها .

وبهذا تكون نشأة الفقه مبكرة فى صدر الاسلام لكن تطور الاختلاف فى الفروع الى أن يكون لكل طريقه فى الاستنباط مذهب فقهي له قواعده وأصوله ومنهجه فى استخراج الأحكام انما حدث فى القرن الثانى الهجرى حيث نشأت المذاهب الفقهيه المعروفه والمعترف بسلامة أصولها وصحة قواعدها وهى : -

١- المذهب الحنفى

٢- المذهب المالكي .

٣- المذهب الشافعي .

٤- المذهب الحنبلي .

وقد ظهرت مذاهب أخرى لكنها اندثرت أو لم تكن كالمذاهب الأربعة من حيث سلامتها وكثرة اتباعها وصحة قواعدها وأمثلة هذا مدرسة الليث وابن أبي ليلى والأوزاعي والطبري ، وأبي داود الظاهري والجعفري والزيدي والأباضي . وغير ذلك .

وقد سعى اتباع كل مذهب فقهي إلى آيات الأحكام في القرآن الكريم . يفردونها بالتأليف يفسرونها حسب قواعد مذهبهم في استنباط الأحكام فخرجت تفاسير لآيات الأحكام لا تكاد تجد بينها وبين كتب الفقه كبير فارق ذلكم أن أصول الاستنباط وقواعده واحد . وخالط بعضها تعصب للمذهب مذموم وجاء بعضها الآخر محمودا .

فمن المؤلفات في ذلك :

من المذهب الحنفي ؛

تفسير أحكام القرآن لأبي بكر الرازي المعروف بالجصاص ويقع في

ثلاثة مجلدات .

ومن المذهب المالكي :

تفسير أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي ويقع في أربعة مجلدات ،

ومنه أيضا تفسير الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي ويقع في

عشرة مجلدات كبار .

ومن المذهب الشافعي :

كتاب أحكام القرآن جمعه أبو بكر البيهقي من نصوص الامام الشافعي

ويقع في مجلد واحد ، وأحكام القرآن للكنيا الهراسي ويقع في مجلدين

وكتاب الاكليل فى استنباط التنزيل لجلال الدين السيوطى فى مجلد
أما المذهب الحنبلى :

فلم أجد تفسيراً لآيات الأحكام على أصول هذا المذهب ولعل
تفسير زاد المسير لابن الجوزى وان لم يكن خاصاً بآيات الأحكام
الآن أنه حنبلى المذهب .

وهناك مؤلفات لتفسير آيات الأحكام لغير هذه المذاهب لا أرى
موجباً لذكرها . وما ذكرته من أمثلة للمؤلفات ليس كل ما كتب فيها
فقد اعتنى العلماء فى القديم ، بهذا اللون من التفسير ، وإذا ما
حولنا النظر الى العصر الحديث فلا نكاد نجد منها ما يتجاوز
أصابع اليد الواحدة ، وقد تبين لى من مطالعتى لهذه التفاسير
أن هناك فروقا بين المؤلفات الحديثة والمؤلفات القديمة أذكر منها :
أولا :

أن غالب المؤلفات الحديثه غير شامله لآيات الأحكام كلها بل
تقتصر على بعض الآيات من بعض السور ، ولعل سبب ذلك أن هذه
المؤلفات انما وضعت لطلبة الدراسات فى الكليات فكان ما يكتب
فيها حسب مناهج الدراسة فى هذه الكليات ، بخلاف المؤلفات فى
القديم . فهى شامله لآيات الأحكام الصريحه وغير الصريحه لأنه
لا يلتزم منها وضعه له غيره لا يحيد عنه .

ثانيا :

أن التفاسير فى العصر الحديث لا تلتزم مذهباً بعينه فهى
تفسر آيات القرآن الكريم حسب المتبادر منها من غير توجيه لها أو
صرف الى مذهب معين ، ولذا فلا تجد فيها التعصب للمذهب
الذى سرى فى بعض المؤلفات القديمه . بل ان مؤلفى العصر الحديث

يصرحون في مقدمة تفاسيرهم بأنهم لا يلتزمون مذهباً بعينه وإنما يتبعون ما يرون أنه الحق .

ثالثاً :

أن التفاسير في العصر الحديث لا تستطرد في الحديث عن فروع الفروع بل تكتفي ببيان مهمات الآيات المدروسة ودلالاتها من غير توسع يحول التفسير إلى كتاب فقهي موسع بكل أبعاده وجوانبه .

وهذا خلاف بعض التفاسير القديمة التي تذكر في تفسير الآيه ما لا يمت لها بصلة ولا مكان له إلا كتب الفقه المطوله .

رابعاً :

وهذا الفارق متولد عن الفارق الذي قبله وهو أن اقتصار المؤلفات الحديثه على ما ذكرنا وكونها تؤلف للدارسين جعلها أقل حجماً من المؤلفات القديمه إذ لا يتجاوز حجم أكبرها عن مجلدين بخلاف المؤلفات القديمه التي وصل بعضها إلى عشرة مجلدات كبار .

خامساً :

اختلاف الأسلوب بين العصرين ذلكم أن المؤلفين في القديم يكتبون بأسلوب علمي مركز تحتاج بعض العبارات فيه إلى شرح وبيان خلاف الأسلوب الحديث الذي يكتب به المتأخرون حيث يوفى العبارة حقها بل قد يزيد التوضيح إلى درجة الاطناب .

سادساً :

اعتنى بعض المؤلفين في العصر الحديث بالرد على ما يثار حول بعض القضايا الفقيهيه من شبهات كحد قطع يد السارق ورجم الزاني وتحريم الربا وتعدد الزوجات ونحو ذلك ولم يكن هذا موجوداً

بهذا الاهتمام عند الأولين .

ويعد . .

فان هذه المزايا وان كان ظاهرها أنها لصالح المؤلفين فى العصر الحديث فانها لا تعنى أن مؤلفاتهم هى الأفضل بل الأفضل لو كتب أحد المعاصرين تفسيراً شاملاً لآيات الأحكام كشمول السابقين لها ، غير ملتزم بمنهج دراسى ، وبأسلوب حديث ويعتنى فيه بالرد الواضح على ما يثار من شبهات ، أقول لو وجد هذا لكان عندى هو الأفضل أما والأمر على غير ذلك فلكل من هؤلاء وأولئك فضل لا ينكر .

وإذا ما أردنا أن ندرس تفسير آيات الأحكام فى العصر الحديث بشيء من التفصيل فانى أؤثر تفسيمها تفسيماً عقائدياً ذلكم أن اتباع المذاهب الأربعة فى الفقه كلهم ينص على أنه لا يتعصب لمذهب بعينه من المذاهب الأربعة فأراؤهم فى مجملها لا تخرج عن هذه المذاهب وربطتها مذهب أهل السنة .

أما الفقه الجعفرى فهو وان كان مذهباً غير معترف به عند العلماء المعترين الا أنا رأينا عدم اغفاله ونحن نكتب عن تفسير آيات الأحكام لتناول مفسرى الشيعة لها وتأويلهم لها حسب مذهبهم الشيعى ، وكذا الإباضيه تناول بعض مفسريهم آيات الأحكام ما يخالف المذهب الصحيح فرغبت الاشارة اليه وعلى هذا فسيكون تناولى للفقه على هذا الترتيب .

أولاً : فقه أهل السنة والجماعة .

ثانياً : فقه أهل الشيعة (الاماميه الاثنى عشرية) .

ثالثاً : فقه الإباضيه .

علما أن تناولى لفقہ أهل السنه سيكون على الاجمال ثم على
التفصيل . أما الاجمال فأعرض فيه لتفسير آيات الأحكام عند من
فسّر القرآن الكريم كاملا ، أما التفصيل فدراسه لتفاسير أفردت آيات
الأحكام ولم تتناول سواها .

وهذا فى فقہ أهل السنه أما من سواهم فعلى الاجمال دون
التفصيل وذلك أما لعدم حصولى على تفسير خاص بآيات الأحكام
عندهم أو لعدم وجود هذا النوع من التفاسير لديهم .

أولا : فقہ أهل السنه والجماعة :

من المسائل الفقهيہ ما وافقت فيه الشيعة والأباضيه أهل
السنه والجماعه تمام الموافقه أو خالفتم فيه مخالفة لا تذكر
ومن المسائل وهو محصور ومعدود ما كان الاختلاف فيه كبيرا
وقد يصل الى درجه التضاد ، هذا النوع الأخير من المسائل هو
ما توسع الحديث فيه هنا أما غيره فنذكره - ان ذكرناه - لبيان
طريقه تناول هؤلاء وأولئك لآيات الأحكام ليس الآ .
ونحن نذكر رأى كل فرقة فى مكانه ولذا تتكرر الأبحاث حسب
تكرر المذاهب فنتناول مثلا بحث نكاح المتعه عند أهل السنه عامة
ثم عند مفسرى آيات الأحكام آحادا ثم نتناوله بايراد آراء الشيعة
عند دراسة فقهم وهكذا .

أولا : غسل الرجلين فى الوضوء :

فى تفسير قوله تعالى " ياأيها الذين آمنوا اذا قمتم
الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم
وأرجلكم الى الكعبين" (١) الآية . اتفق أصحاب المذاهب الأربعة

(١) المائده آيه: ٦

أن فرض الرجلين الغسل وليس المسح ويسطوا في ذلك حججهم
ومنهم الشيخ الشنقيطى رحمه الله تعالى حيث قال في تفسيرها
" فى قوله " وأرجلكم ثلاث قرآءات واحده شاذه واثنان متواتران
أما الشاذه : فقرآءه الرفع وهى قرآءه الحسن . وأما المتواترتان
فقرآءه النصب وقرآءه الخفض . أما النصب فهى قرآءه نافع ، وابن
عامر الكسائى وعاصم فى رواية حفص من السبعه ، ويعقوب من الثلاثة
وأما الجر فهى قرآءه ابن كثير ، وحمزه ، وأبى عمرو وعاصم فى رواية
أبى بكر ، أما قرآءه النصب فلا اشكال فيها . لأن الأرجل فيها
معطوفه على الوجه وتقرير المعنى عليها :- فاغسلوا وجوهكم
وأيديكم الى المرافق وأرجلكم الى الكعبين وامسحوا برءوسكم وانما
أدخل مسح الرأس من المغسولات محافظة على الترتيب لأن الرأس
يمسح بين المغسولات . ومن هنا أخذ جماعة من العلماء وجوب
الترتيب فى أعضاء الوضوء حسبما فى الآية الكريمة .

وأما على قرآءه الجر : فى الآية الكريمة اجمال وهو أنها
يفهم منها الاكتفاء بمسح الرجلين فى الوضوء عن الغسل كالرأس
وهو خلاف الواقع للأحاديث الصحيحه الصريحه فى وجوب غسل
الرجلين فى الوضوء والتواعد بالنار لمن ترك ذلك كقوله صلى الله
عليه وسلم " ويل للأعقاب من النار " (١) .

اعلم أولا أن القرآءتين اذا ظهر تعارضهما فى آيه واحده لها
حكم الآيتين كما هو معروف عند العلماء ، واذا علمت ذلك فاعلم
أن قرآءه " وأرجلكم " بالنصب صريح فى وجوب غسل الرجلين فى

(١) صحيح البخارى كتاب الوضوء ج ١ ص ٤٩ ، ومسلم كتاب الطهاره ج ١

الوضوء . فهى تفهم أن قرآءة الخفض انما هى لمجاورة المخفوض مع أنها فى الأصل منصوبه بدليل قرآءة النصب والعرب تخفض الكلمة لمجاورتها للمخفوض مع أن اعرابها النصب أو الرفع .

وما ذكره بعضهم من أن الخفض بالمجاوره معدود فى اللحن الذى يتحمل لضرورة الشعر خاصه ، وأنه غير مسموع فى العطف وأنه لم يجز الآ عند أمن اللبس فهو مردود بأن أئمة اللغة العربية صرحوا بجوازه ومن صرح به الأخفش وأبوالبقاء ، وغير واحد ولم ينكره الا الزجاج وانكاره له مع ثبوته فى كلام العرب وفى القرآن العظيم - يدل على أنه لم يتبع المسأله تتبعا كافيا .

والتحقيق أن الخفض بالمجاوره أسلوب من أساليب اللغة العربية وأنه جاء فى القرآن لأنه بلسان عربى مبين . . . " ثم ذكر الشيخ الشنقيطى رحمه الله تعالى عددا من الأمثله من الشعر العربى فذكر بيتا لامرئ القيس ثم لذى الرمه ثم للنابعه ثم لامرئ القيس ثانية ثم لزهير ثم لشاعر لم يسمه . وأورد بعد ذلك أمثله لورود الخفض بالمجاوره فى القرآن الكريم . وقال بعد هذا كله " :

" وبهذا تعلم أن دعوى - كون الخفض بالمجاوره لحن لا يحتمل الا لضرورة الشعر - باطله ، والجواب عما ذكره من أنه لا يجوز الأعد من اللبس هو أن اللبس هنا يزيله التحديد بالكعبيين اذ لم يرد تحديد الممسوح وتزيله قرآءة النصب كما ذكرنا فان قيل قرآءة الجر الدالة على مسح الرجلين فى الوضوء هى المبينه لقرآءة النصب بأن تجعل قرآءة النصب عطفا على المحل لأن الرؤس مجرورة بالباء فى محل نصب على حد قول ابن مالك فى الخلاصة :

وجر ما يتبع ما جر ومن . . . راعى فى الاتباع المحل فحسن

وابن مالك وان كان أورد هذا في " اعمال المصدر " فحكمه
عام أى وكذلك الفعل والوصف كما أشار له فى الوصف بقوله :
وأجرر أو انصب تابع الذى انخفض . . . كمتغى جاه ومالا من نهض
(فالجواب) أن بيان قراءة النصب بقراءة الجر - كما ذكر - تأباه
السنة الصريحة الصحيحة الناطقة بخلافه ، ويتوعد مرتكبه بالويل من
النار بخلاف بيان قراءة الخفض بقراءة النصب ، فهو موافق لسنة رسول
الله صلى الله عليه وسلم الثابتة عنه قولاً وفعلًا . فقد أخرج الشيخان
فى صحيحيهما عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : تخلف عنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفرة سافرناها فأدركنا ، وقد أرهقتنا
الصلاة صلاة العصر ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على أرجلنا فننادى
بأعلى صوته " أسبغوا الوضوء ، ويل للأعقاب من النار " . وكذلك هو
فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه .

وفى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه
وسلم قال " أسبغوا الوضوء ويل للأعقاب من النار " وروى البيهقى
والحاكم باسناد صحيح عن عبد الله بن حارث بن جزء أنه سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول " ويل للأعقاب ويطون الأقدام من النار ، وروى
الامام أحمد وابن ماجه وابن جرير عن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى
الله عليه وسلم قال : " ويل للأعقاب من النار " وروى الامام أحمد عن
معيقب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال " ويل للأعقاب من النار " وروى
ابن جرير عن ابى أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ويل
للأعقاب من النار " قال فما بقى فى المسجد شريف ولا وضع الا نظرت
اليه يقلب عرقوبيه ينظر اليهما .

وثبت من أحاديث الوضوء عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان وعلى



وابن عباس ومعاوية وعبدالله بن زيد بن عاصم والمقداد بن معد يكرب " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غسل الرجلين في وضوءه اما مرة أو مرتين أو ثلاثا " على اختلاف رواياتهم .

وفى حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توطأ فغسل قدميه " ثم قال : " هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الآ به " (١) .

والأحاديث فى الباب كثيرة جدا وهى صحيحة "صريحة" فى وجوب غسل الرجلين فى الوضوء وعدم الاجتزاء بمسحها " (٢) .

ذلكم تفسير الشيخ الشنقيطى لهذه الآيه وقد قال بهذا أيضا الشيخ عبدالرحمن السعدى رحمه الله تعالى ولكن باختصار فقال معددا الأحكام التى تؤخذ من الآيه المذكوره " الثالث عشر : الأمر بغسل الرجلين الى الكعبين ، ويقال فيهما ما يقال فى اليدين (الرابع عشر فيها الرد على الرافضه ، على قرآءة الجمهور بالنصب ، وأنه لا يجوز مسحهما ما دامتا مكشوفتين (الخامس عشر) فيه الاشارة الى مسح الخفين ، على قرآءة (وأرجلكم) وتكون كل من القرآءتين محمولة على معنى فعلى قرآءة النصب فيها غسلهما ، ان كانتا مكشوفتين وعلى قرآءة الجر فيها مسحهما اذا كانتا مستورتين بالخف " (٣)

وكذا الدكتور محمد سيد طنطاوى فانه أورد ملخصا لتفسير القرطبى رحمه الله تعالى للآيه ثم أشار الى أن ابن كثير عقد فصلا أورد فيه كثيرا من الأحاديث التى وردت فى غسل الرجلين وجعل عنوانه " ذكر الأحاديث الواردة فى غسل الرجلين وأنه لا بد منه "

(١) رواه ابن ماجه عن ابن عمر رضى الله عنهما . كتاب الطهاره ج ١ ص ١٦٢

(٢) أضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن : محمد الأمين الشنقيطى ج ٢ ص ٧-١٣ باختصار .

(٣) تيسير الكريم الرحمن : عبدالرحمن السعدى ج ٢ ص ٢٥٢

وأورد بعض الأحاديث التي ساقها ابن كثير ثم استدل ببعض الأقوال الأخرى وختم نقوله هذه بقوله " هذا ومن كل ما تقدم نرى وجوب غسل الرجلين في الوضوء ، سواء أكانت القراءة بالنصب أم بالجر وقد بسطت بعض كتب الفقه والتفسير هذه المسألة بسطا موسعا فليرجع اليها من شاء " (١) .

وبهذا ترى أنه اكتفى بعرض آراء العلماء السابقين المعترين في تفسير الآية ، واكتفى بتأييد هذه الآراء .

ثانيا : صلاة الجمعة :

وقد أفاض الشيخ عطيه محمد سالم تلميذ الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تتمته لتفسير شيخه أفاض الحديث في أحكام صلاة الجمعة والآذان من قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع " الآية (٢) حتى فاق في فصوله التي عقدها كثيرا من كتب الفقه المتخصصه ومن بين هذه الفصول فصلا تحت عنوان " حكم صلاة الجمعة عند الفقهاء " قال فيه بعد ايراد الآية السابقة " وفيه الأمر بالسعى اذا نودى اليها ، والأمر يقتضى الوجوب ما لم يوجد له صارف ، ولا صارف له هنا فكان يكفي حكاية الاجماع على وجوبها ، كما حكاها بن المنذر وابن قدامه وغيرهما ونقله الشوكاني ، وهو قول الأئمة الأربعة رحمهم الله ولكن وجد من يقول ان الجمعة ليست بواجبه ولعله ظن في الآية صارفا للأمر عن الوجوب وهو ما جاء في آخر السياق في قوله تعالى " وذروا البيع ذلكم خير لكم " فقالوا : ان الأمر لتحصيل الخير المذكور ، وقد نقل عن بعض أتباع بعض الأئمة رحمهم الله ما يوهم

(١) تفسير سورة المائدة : الدكتور محمد سيد طنطاوى عن ٨٢

(٢) سورة الجمعة من الآية ٩

أنها ليست بفرض ، وهو مسطر في كتبهم ، مما قد يغتر به بعض البسطاء ، ولا سيما مع ضعف الواع وكثرة الشاغل في هذه الآونة ، مما يستوجب إيرادها وبيان رده من أقوال أصحابهم وأئمتهم رحمهم الله جميعا " (١) .

ثم أورد أقوال أصحاب المذاهب الأربعة وأئمتهم بما يثبت به قولهم جميعا بوجوبها ثم قال بعد ما أورده كله " فهذه نصوص المذاهب الأربعة في وجوب الجمع وفرضها على الأعيان فلم يبق لأحد بعد ذلك أدنى شبهة يلتبسها من أي مذهب ولا تتبع شواذه للتهاون بفرض الجمع لنيابة الظهر عنها .

ثم أعلم أن في الآيه قرينة على هذا الوجوب وأنه لا صارف للأمر عن وجوب السعي اليها ، وذلك أن مع الأمر بالسعي اليها الأمر بترك البيع والنهي عنه وإذا كان ترك البيع واجبا من أجلها فما وجب هو من أجله كان وجوبه هو أولى قال في المغنى : فأمر بالسعي ويقتضى الأمر الوجوب ولا يجب السعي إلا إلى الواجب ونهى عن البيع لئلا يشغل به عنها ، فلو لم تكن واجبه لما نهى عن البيع من أجلها ، وهو واضح كما ترى ، والأحاديث في الوعيد لتاركها بدون عذر مشهورة تؤكد الوجوب " (٢) ثم ذكر بعض الأحاديث في ذلك .

أما الشيخ جمال الدين القاسمي فقد أوجز العبارة في أحكام صلاة الجمعة ، ورد على من زعم فرضية الظهر بعدها فقال رحمه الله تعالى " وظاهره أنه لا يشرع بعدها صلاة ما ، غير أنه كان صلى الله عليه وسلم يتنفل بعدها في بيته ركعتين . وفي رواية أربعا . وأما اعتقاد

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : تنمة الشيخ عطيه محمد سالم ج ٨ ص ٢٨٧

(٢) المرجع السابق ج ٨ ص ٢٩٢

فرضية الظهر بعدها اذا تعددت فتعصب مذهبي لا برهان له " (١)

ثالثا : الخمس في الغنائم :

يرى فقهاء المذاهب الأربعة أن المراد بالغنيمه ما حواه المسلمون من أموال الكفار ، وذلك في قوله تعالى " واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذی القربى والیتامى والمساكين وابن السبيل " (٢)

فقال الشيخ الشنقيطى فى تفسيره لها " ظاهر هذه الآيه الكريمه أن كل شيء حواه المسلمون من أموال الكفار فانه يخمس حسبما نص عليه فى الآيه سواء أوجفوا عليه الخيل والركاب أولا ، ولكنه تعالى بين فى سورة الحشر أن ما أفاء الله على رسوله من غير ايجاف المسلمين عليه الخيل والركاب أنه لا يخمس ومصارفه التى بين أنه يصرف فيها كمصارف خمس الغنيمه المذكورة هنا وذلك فى قوله تعالى فى فى بنى النضير " وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب " الآيه (٣) ثم بين شمول الحكم لكل ما أفاء الله على رسوله من جميع القرى بقوله " ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول " الآيه (٤) .

اعلم أولا أن أكثر العلماء فرقوا بين الغنيمه والفيء فقالوا : الفيء هو ما يسره الله للمسلمين من أموال الكفار من غير انتزاعه منهم بالقهر وأما الغنيمه فهى ما انتزعه المسلمون من الكفار بالغلبة والقهر

(١) تفسير القاسمى : ج ١٦ ص ٥٨٠٤

(٢) سورة الانفال : من الآيه ٤١

(٣) سورة الحشر : من الآيه ٦

(٤) سورة الحشر : من الآيه ٧

وقال بعض العلماء ان الغنيمة والفيء واحد فجميع ما أخذ من الكفار على أى وجه كان غنيمه وفيئا وهذا قول قتاده رحمه الله وهو المعروف فى اللغة " (١)

هذا ما قاله رحمه الله تعالى فى الغنيمه أما تفسيره للخمس الذى يؤخذ من هذه الغنيمه فقال عنه " ظاهر الآيه أنه يجعل ستة أنصبا : نصيب لله جل وعلا ونصيب للرسول صلى الله عليه وسلم ونصيب لذى القربى ونصيب لليتامى ونصيب للمساكين ونصيب لابن السبيل . (ثم قال) والتحقيق أن نصيب الله جل وعلا ونصيب الرسول صلى الله عليه وسلم واحد ، ذكر اسمه جل وعلا استفتاح كلام للتعظيم (ثم استدل لهذا القول بعدة أدلة أعقبها بقوله) : فاذا عرفت أن التحقيق أن الخمس فى حياة النبي صلى الله عليه وسلم يقسم خمسة أسهم لأن اسم الله ذكر للتعظيم وافتتاح الكلام به مع أن كل شىء مملوك له جل وعلا فاعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصرف نصيبه الذى هو خمس الخمس فى مصالح المسلمين بدليل قوله فى الأحاديث التى ذكرناها آنفا " والخمس مردود عليكم " (٢) وهو الحق .. (ثم ذكر الأقوال فى نصيبه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته راجعة الى شىء واحد وهو صرفه فى مصالح المسلمين " (٣) .

أما نصيب ذوى القربى من الخمس فقد ذكر فيه ثلاث مسائل : الأولى : هل يسقط بوفاته أم لا ؟ وقال فيها " وقد ذكرنا أن الصحيح عدم السقوط خلافا لأبى حنيفة أما الثانية فعن المراد بذى القربى

(١) أضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطى : ج ٢ ص : ٣١٥ - ٣١٦ باختصار

(٢) الامام احمد : ج ٥ ص ٣١٦ النسائى كتاب قسم الفيء ٧ ص ١٣١

(٣) أضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطى ج ٢ ص ٣٢٠ - ٣٢٣ باختصار.

وقال عن ذلك " أما ذو القربى فهم بنو هاشم : وبنو المطلب
على أظهر الأقوال دليلا واليه ذهب الشافعي وأحمد بن حنبل
وأبو ثور ومجاهد وقتاده وابن جريج ومسلم بن خالد ، أما المسألة
الثالثة فهل يفضل ذكرهم على أنثاهم ؟ ورجح رحمه الله تعالى أنه
لا يفضل ذكرهم على انثاهم . (١)

ثم عقب على هذه الأبحاث في الخمس بقوله " وأما قول بعض أهل
البيت كعبد الله بن محمد بن علي وعلى بن الحسين رضي الله عنهم :
بأن الخمس كله لهم دون غيرهم وأن المراد باليتامى والمساكين يتاماهم
ومساكينهم ، وقول من زعم أنه بعد النبي صلى الله عليه وسلم يكون لقرابة
الخليفة الذي يوليه المسلمون ، فلا يخفى ضعفها والله تعالى أعلم (٢)

وخلاصة رأيه رحمه الله تعالى أن الخمس من الغنائم في الحروب
وأنة يقسم الى خمسة أسهم أما سهم الرسول صلى الله عليه وسلم بعد
وفاته فيصرف في مصالح المسلمين وسهم ذوى القربى فيصرف لبني
هاشم والمطلب أما أسهم اليتامى والمساكين وابن السبيل فليس المراد
بهم يتامى ومساكين أهل البيت بل هو عام ليتامى ومساكين المسلمين .
وهذا الذى قاله الشيخ الشنقيطى رحمه الله هو الذى قال
به أصحاب المذاهب الأربعة مع بعض الاختلافات الفرعية خلافا
للشيعه كما سيأتى بيانه ان شاء الله ، وهو أيضا ما قال به طائفة
المفسرين فى العصر الحديث .

ومنهم الشيخ جمال الدين القاسمى فقد بين هذا اجمالا وتفصيلا
قال فى اجماله " واعلموا أنما عنتم من شىء " أى قل أو كثر من الكفار

(١) أضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطى ج ٢ ص ٣٢٣-٣٢٦ باختصار .

(٢) أضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطى ج ٢ ص ٣٢٨

" فان لله " أى الذى منه النصر المتفرع عليه الغنيمه " خمسه " شكرا له على نصره واعطائه الغنيمه " وللرسول " أى الذى هو الأصل فى أسباب النصر " ولذى القربى " وهم بنو هاشم والمطلب " واليتامى " أى من مات آباؤهم ولم يبلغوا ، لأنهم ضعفاء " والمساكين " لأنهم أيضا ضعفاء كاليتامى " وابن السبيل " وهو المسافر الذى قطع عليه الطريق ويريد الرجوع الى بلده ولا يجد ما يتبلغ به " (١)

هذا ما ذكره رحمه الله تعالى اجمالا ولا موجب لذكر تفصيله خشية الاطالة . ومن المفسرين أيضا الذين ذكروا ما ذكره الشيخ عبدالرحمن السعدى رحمه الله تعالى فقال " واعلموا أنما غنمتم من شىء " أى أخذتم من مال الكفار قهرا بحق ، قليلا كان أو كثيرا (ثم قال) وأما هذا الخمس فيقسم خمسة أسهم . سهم لله ولرسوله يصرف فى مصالح المسلمين العامه من غير تعيين لمصلحة ، لأن الله جعله لله ولرسوله والله ورسوله غنيان عنه فعلم أنه لعباد الله فإذا لم يعين الله له مصرفا دل على أن مصرفه للمصالح العامه . والخمس الثانى : لذى القربى وهم قرابة النبي صلى الله عليه و وسلم من بنى هاشم ، وبنى المطلب وازافة الله الى القرابة دليلا على أن العلة فيه مجرد القرابه فيستوى غنيهم وفقيرهم ، ذكرهم وأنتاهم . والخمس الثالث : لليتامى وهم الذين فقدت آباؤهم وهم صغار جعل الله لهم خمس الخمس رحمة بهم حيث كانوا عاجزين عن القيام بمصالحهم ، وقد فقد من يقوم بمصالحهم .

والخمس الرابع : للمساكين أى المحتاجين الفقراء من صغار وكبار

ذكور واناث .

(١) تفسير القاسمى : ج ٨ ص ٢٩٩٧

والخمس الخامس : لابن السبيل وهو الغريب المنقطع به في غير بلده .

وبعض المفسرين يقول ان خمس الغنيمه لا يخرج عن هذه ، الأضناف ولا يلزم أن يكونوا فيه على السواء بل ذلك تبع للمصلحة وهذا هو الأولى " (١)

وقد أجمل الغزالي خليل عيد رحمه الله تعالى المعنى العام للآيه فقال " يبين الله تعالى لعباده أن الأشياء التي غنموها من الكفار وحصلوا عليها بالقوة يجب أن تخمس أى تقسم الى خمسة أخماس وأن يكون خمسها لله ولرسوله ولأقرباء الرسول صلى الله عليه وسلم من بنى هاشم وبنى المطلب وللأيتام الذين فقدوا آباءهم وهم صغار لم يبلغوا الحلم وللمساكين الذين ليس عندهم ما يكفيهم ولأبناء السبيل المسافرين الذين يحتاجون الى ما يساعدهم في سفرهم . (٢)

ولن أطيل بذكر غير من ذكرت ، والخلاصة أن رأى فقهاء أهل السنة أن الخمس انما هو من غنائم الحرب وأنه للرسول وبصرف في مصالح المسلمين ولبنى هاشم وبنى المطلب من قرابته صلى الله عليه وسلم واليتامى والمساكين وابن السبيل من سائر أمتة عليه الصلاة والسلام .

رابعاً : ارث الأنبياء عليهم السلام :

والأنبياء لا يورثون وانما قال بأنهم يورثون بعض الرافضه ومما استدلوا به كما سيأتى بسط وجهه قوله تعالى عن زكريا عليه السلام " وانى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقرا فهب لى

(١) تيسير الكريم الرحمن : عبدالرحمن السعدى ج ٣ ص ١٦٩-١٧٠

(٢) تفسير سورة الأنفال : الغزالي خليل عيد ص ٩١

من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضا" (١) زاعمين
أن الارث هنا ارث مالى وقد بين الشيخ محمد الأمين الشنقيطى
الموروث هنا بقوله رحمه الله تعالى : -

معنى قوله " خفت الموالى " أى خفت أقاربي وبنى عمي وعصبتي
أن يضيعوا الدين بعدي ولا يقوموا لله بدينه حق القيام فارزقنى
ولدا يقوم بعدي بالدين حق القيام وبهذا التفسير تعلم أن معنى
قوله " يرثني " أنه ارث علم ونبوه ودعوة الى الله والقيام بدينه ، لا
ارث مال . ويدل لذلك أمران : -

(أحدهما) - قوله " ويرث من آل يعقوب " ومعلوم أن آل يعقوب
انقرضوا من زمان . فلا يورث عنهم الا العلم والنبوه والدين .

(والأمر الثانى) ما جاء من الأدله على أن الأنبياء صلوات
الله وسلامه عليهم لا يورث عنهم المال ، وانما يورث عنهم العلم والدين
فمن ذلك ما أخرجه الشيخان فى صحيحيهما عن أبى بكر الصديق رضى
الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال " لا نورث ما تركنا صدقة" (٢)
ومن ذلك أيضا ما رواه الشيخان أيضا عن عمر رضى الله عنه أنه قال
لعثمان وعبدالرحمن بن عوف والزبير وسعد وعلى والعباس رضى الله
عنهم : أنشدكم الله الذى باذنه تقوم السماء والأرض أتعلمون أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال " لا نورث ما تركناه صدقه " قالوا : نعم (٣)
ومن ذلك ما أخرجه الشيخان أيضا عن عائشة رضى الله عنها أن أزواج
النبي صلى الله عليه حين توفى أردن أن يبعثن عثمان الى أبى بكر

(١) سورة مريم : الآيتين ٥ و ٦

(٢) البخارى باب فرض الخمس ج ٤ ص ٤٢ ومسلم كتاب الجهاد ج ٣ ص ١٣٨

(٣) البخارى باب فرض الخمس ج ٤ ص ٤٣ ومسلم كتاب الجهاد ج ٣ ص ١٣٧٧-

يسألنه ميراثهن فقالت عائشة : أليس قال النبي صلى الله عليه وسلم
" ما تركنا صدقه " (١) ومن ذلك ما رواه الشيخان أيضا عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تقسم ورثتي ديناراً ما
تركت بعد نفقة نسائي ومثونه عاملي فهو صدقة " (١) وفي لفظ عند
أحمد : " لا تقسم ورثتي دينار ولا درهما " ومن ذلك أيضا ما
رواه الامام احمد والترمذي وصححه عن ابي هريره : أن فاطمه رضی
الله عنها قالت لأبي بكر رضی الله عنه : من يرثك اذا مت ؟ قال ولدى
وأهلى قالت فما لنا لا نرث النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول : " ان النبي لا يورث " ولكن أعول
من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوله وانفق على من كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ينفق .

فهذه الأحاديث وأمثالها ظاهرة في أن الأنبياء لا يورث عنهم
المال بل العلم والدين " (٣) .

ثم ذكر رحمه الله تعالى عددا من الأحاديث في عموم عدم
الارث المالى فى جميع الأنبياء وقال بعد ذلك " وبهذا الذى قررنا
تعلم أن قوله هنا " يرثنى ويرث من آل يعقوب " يعنى وراثة العلم
والدين لا المال . وكذلك قوله " وورث سليمان داود . (٤) الآية
فتلك الوراثة أيضا وراثه علم ودين والوراثة قد تطلق فى الكتاب
والسنه على وراثة العلم والدين كقوله تعالى " ثم أرثنا الكتاب
الذين اصطفينا من عبادنا .. " (٦) الآية وقوله " وان الذين أورثوا

(١) صحيح البخارى : باب فرض الخمس ج٤ ص ٤٥ صحيح مسلم كتاب الجهاد ج٣

ص ١٣٨٢ واحمد ج٢ ص ٢٤٢

(٢) مسند الامام احمد ج١ ص ١٠ وسنن الترمذى كتاب السير ج٤ ص ١٥٧ وقال حسن
غريب من هذا الوجه ، ولعله رحمه الله وهم حين قال والترمذى وصححه .

(٣) أضواء البيان : محمد الامين الشنقيطى ج٤ ص ٢٠٦-٢٠٧

(٤) سورة النمل : من الآية ١٦ (٥) سورة فاطر : من الآية : ٣٢

الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب" (١) وقوله " فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب . . . الآية (٢) الى غير ذلك من الآيات .

ومن السنه الواردة فى ذلك ما رواه أبو الدرداء رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " العلماء ورثة الأنبياء " وهو فى المسند والسنن " (٣) (٤) .

هذا بعض ما ذكره رحمه الله تعالى فى ارث الأنبياء وأكتفى به كمثال لتفسير هذه الآية عند علماء السنة والجماعة .

خامسا : نكاح المتعة :

أجمع فقهاء أهل السنه والجماعة بل سائر المذاهب على تحريم نكاح المتعه الا طائفة الشيعة بل صار القول بها سمه من سمات التشيع العديده .

واستدلوا بقوله تعالى " فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن " الآية (٥) وفسرها أهل السنه بما مثاله فى تفسير الشيخ الشنقيطى رحمه الله تعالى حيث قال : -

" يعنى كما أنكم تستمتعون بالمنكوحات فاعطوهن مهورهن فى مقابله ذلك وهذا المعنى تدل له آيات من كتاب الله كقوله تعالى " وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض " الآية فافضاء بعضهم الى بعض المصحح بأنه سبب لاستحقاق الصداق كاملا هو بعينه

(١) سورة الشورى : من الآية ١٤

(٢) سورة الاعراف : من الآية ١٦٩

(٣) أضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطى ج٤ ص ٢٠٨-٢٠٩

(٤) البخارى كتاب العلم (الترجمة) ج١ ص ١٠ وأحمد ج٥ ص ١٩٦ وأبو داود

كتاب العلم ج٣ ص ٣١٧ وابن ماجه : المقدم ج١ ص ٩٧-٩٨

(٥) سورة النساء : من الآية : ٢٤

(٦) سورة النساء : من الآية : ٢١

الاستمتاع المذكور هنا في قوله " فما استمتعتم به منهن " الآية وقوله " وآتوا النساء صدقاتهن نحله " (١) وقوله " ولا يحل لكم أن تأخذوا بما آتيتموهن شيئاً " الآية (٢) ، فالآية في عقد النكاح لا في نكاح المتعة كما قال به من لا يعلم معناها فان قيل التعبير بلفظ الأجر يدل على أن المقصود الأجره في نكاح المتعه لأن الصداق لا يسمى أجراً فالجواب أن القرآن جاء فيه تسمية الصداق أجراً في موضع لا نزاع فيه لأن الصداق لما كان في مقابلة الاستمتاع بالزوجة كما صرح به تعالى في قوله " وكيف تأخذونه " الآية صار له شبه قوى بأثمان المنافع فسمى أجراً ، وذلك الموضع هو قوله تعالى " فانكحوهن باذن أهلهن وآتوهن أجورهن " (٣) أي سهورهن بلا نزاع ، ومثله قوله تعالى " والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن أجورهن " الآية (٤) أي مهورهن فاتضح أن الآية في النكاح لا في نكاح المتعه فان قيل : كان بن عباس وأبي بن كعب وسعيد بن جبير والسدي يقرأون فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى ، وهنا يدل على أن الآية في نكاح المتعة ، فالجواب من ثلاثة أوجه (٥) :

الأول : أن قولهم الى أجل مسمى لم يثبت قرآناً لاجتماع الصحابة على عدم كتبه في المصاحف العثمانية ، وأكثر الأصوليين على أن ما قرأه الصحابي على أنه قرآن ولم يثبت كونه قرآناً لا يستدل به على

(١) سورة النساء : من الآية ٤

(٢) سورة البقرة : من الآية ٢٢٩

(٣) سورة النساء : من الآية ٢٥

(٤) المائدة الآية : ٥

(٥) لكنه رحمه الله تعالى ذكر أربعة أوجه .

شئ لأنه باطل من أصله لأنه لم ينقله الا على أنه قرآن فبطل كونه قرآنا ظهر بطلانه من أصله .

الثانى : أنا لو مشينا على أنه يحتج به كالاحتجاج بخبر(لآحاد) كما قال به قوم أو على أنه تفسير منهم للآيه بذلك فهو معارض بأقوى منه لأن جمهور العلماء على خلافه . ولأن الأحاديثالصحيحه الصريحه قاطعه بكثرة بتحريم نكاح المتعه وصرح صلى الله عليه وسلم بأن ذلك التحريم دائم الى يوم القيامه كما ثبت فى صحيح مسلم من حديث سبرة بن معبد الجهنى - رضى الله عنه - أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة فقال " يا أيها الناس انى قد كنت أذنت لكم فى الاستمتاع من النساء وان الله قد حرم ذلك الى يوم القيامه فمن كان عنده منهن شئ فليخل سبيله ، ولا تأخذوا مما آتيموهن شيئا " وفى رواية لمسلم فى حجة الوداع ^(١) ولا تعارض فى ذلك لامكان أنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك يوم فتح مكة ، وفى حجة الوداع ايضا والجمع واجب اذا أمكن ، كما تقرر فى علم الأصول وعلوم الحديث .

الثالث : أنا لو سلمنا تسليما جدليا أن الآيه تدل على اباحه نكاح المتعة فان اباحتها منسوخه كما صح نسخ ذلك فى الأحاديث المتفق عليها عنه صلى الله عليه وسلم وقد نسخ ذلك مرتين : الأولى يوم خيبر كما ثبت فى الصحيح والآخرة يوم فتح مكة كما ثبت فى الصحيح أيضا ...

الرابع : أنه تعالى صرح بأنه يجب حفظ الفرج عن غير الزوجة والسريه فى قوله تعالى " الا على أزواجهم أو ما ملكت أيماهم " ^(٢)

(١) صحيح مسلم كتاب النكاح ج٢ ص ١٠٢٥

(٢) سورة المؤمنون : من الآيه ٦ وسورة المعارج الآيه ٣٠

فى الموضوعين ثم صرح بأن المبتغى وراء ذلك من العادين بقوله
" فمن ابتغى وراء ذلك " الآية . ومعلوم أن المستمتع بها ليست
مملوكه ولا زوجه فمبتغياها اذن من العادين بنص القرآن أما كونها
غير مملوكه فواضح ، وأما كونها غير زوجه فلانتفاء لوازم الزوجيه عنها
كالميراث والعهده والطلاق والنفقه ولو كانت زوجه لورثت واعتدت ووقع
عليها الطلاق ووجبت لها النفقه كما هو ظاهر" (١) .

وخشية الاطالة فى هذا البحث ولما سيأتى من زيادة بيان
ان شاء الله نكتفى بما أوردناه هنا فى نكاح المتعه وفى غيره .
وهذا ما وعدنا بذكره مجملا لتفاسير شامله تناولت آيات
الأحكام . أما ما وعدنا بذكره مفصلا أو ببعض التفصيل فهى
دراسة تفاسير تناولت آيات الأحكام خاصة ولم تتناول سواها وهنا ،
مكان الوفاء بالوعد .
تفاسير آيات الأحكام :

وهذا النوع من التفسير كما أشرت سابقا لم يؤلف فيه الكثير
بل هى مؤلفات معدوده حصلت منها على ما يأتى : -

١- نيل المرام فى تفسير آيات الأحكام .

تأليف السيد محمّد صديق حسن ، وبين يدي طبعه ١٣٩٩ هـ ،
فى مجلد واحد صفحاته تقريبا ٥٧ . وتحقيق وتعليق على السيد
صبح المدنى .

٢- تفسير آيات الأحكام .

اشرف على طبعه وتنقيحه : محمد على السائس .

(١) أضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطى ج١ ص ٣٢٢ - ٣٢٤

٣- تفسير آيات الأحكام .

تأليف مناع القطان

٤- روائع البيان تفسير آيات الأحكام .

تأليف محمد على الصابوني

٥- قبس من التفسير الفقهي ، الدكتور الشافعي عبد الرحمن

السيد .

٦- دراسات في تفسير بعض آيات الأحكام الدكتور كمال جوده

أبوالمعاطي .

وسنعرض لها آحادا بشيء من التفصيل وعلى هذا الترتيب

أولا : نيل المرام في تفسير آيات الاحكام :

أولا - المؤلف : (١)

هو أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن

لطف الله الحسيني البخاري القنوجي .

ولد في " بريلي " ثم رحل صغيرا الى قنوج وتعلم به " دلهي "

في الهند ، وأنتهى به الترحال في " بهوبال " ، حيث تزوج ،

ملكته عرف بكثرة الكتابة فكان يكتب في اليوم الواحد عدة كراريس وممن

مؤلفاته :

الاذاعه لما كان ويكون بين يدي الساعه والدين الخالص

والعبرة بما جاء في الغزو والشهاده والهجره وفتح البيان في

مقاصد القرآن في عشرة مجلدات ، وغير ذلك وقد بلغت

مؤلفاته نيفا وستين مصنفا بالعربية والفارسيه والهنديه .

ولد سنة ١٢٤٨ وتوفي سنة ١٣٠٧

(١) اقتبست الترجمة من ترجمته المنشوره في مقدمة تفسيره هذا .

ثانياً : التفسير :

تناول رحمه الله تعالى فى تفسيره الآيات التى يحتاج الى معرفتها كل راغب فى معرفة الأحكام الشرعية القرآنية ، ويرى أنها مئة آية أو قريب من ذلك ولم يصح عنده القول بأنها خمس مئة آية قال " وان عدلنا عنه وجعلنا الآية كل جملة مفيدة يصح أن تسمى كلاماً فى عرف النحاة كانت اكثر من خمس مئة آية وهذا القرآن من شك فيه فليعد " (١)

ثم بين رحمه الله تعالى أنه لم يستقص فى تفسيره هذا نوعين من آيات الأحكام : -

أحد هما : ما مدلوله بالضرورة كقوله سبحانه وتعالى " وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة " للأمان من جهله إلا أن تشتمل الآية من ذلك على ما لا يعلم بالضرورة بل بالاستدلال فأذكرها لأجل القسم الاستدلالي منها كآية الوضوء والتيمم .
وثانيهما : ما اختلف المجتهدون فى صحة الاحتجاج على أمر معين وليس بقاطع الدلالة ولا واضحها ، فانه لا يجب على من لا يعتقد فيه دلالة أن يعرفه ، اذ لا ثمرة لايجاب معرفة الاستدلال به وذلك كالاستدلال على تحريم لحوم الخيل بقوله تعالى " لتركبوها وزيننه " (٢)
وهذا لا تجب معرفته الأعلى من يحتج به من المجتهدين اذ لا سبيل الى حصر كل ما يظن أو يجوز فيه استنباط الأحكام من خفى معانيه ، ولا طريق الى ذلك الا عدم الوجدان وهى من أضعف الطرق عند علماء البرهان " (٣)

(١) نيل المرام من تفسير آيات الأحكام : محمد صديق حسن ص : ١٣

(٢) سورة النحل : من الآية : ٨

(٣) نيل المرام من تفسير آيات الاحكام محمد صديق حسن ص ١٣- ١٤

ثم بعد أن بين ما لا يريد ذكره وضح ما يقصد ذكره بقوله " وليس القصد إلا ذكر ما يدل على الأحكام دلالة واضحة لتكون عناية طالب الأحكام به أكثر والا فليس يحسن من طالب العلم أن يهمل النظر في جميع كتاب الله تعالى مقدما للعناية فيه ، شاملا للطائف معانيه ، مستنبطا للأحكام والآداب من ظواهره وخوافيه فانه الأمان من الضلال والعمود الأعظم في جميع الأحوال (١) .

ثم أوجز منهجه فيما تناوله من هذه الآيات لقوله " وها أنا أفسر تلك الآيات المشار إليها بتفسير وجيز جامع لما له وعليه ، ولم آخذ فيها من الأقوال المختلفة إلا الأراجح ، ومن الدلائل المتنوعة إلا الأصح الأصرح ولعمري لا يوجد قط تفسير موجز بهذا النمط" (١)

نماذج من تفسيره :

والأمثلة على التزامه المنهج الذي رسمه لنفسه آنفا - كثيرة نقتبس منها بعض الأبحاث التي وقع فيها خلاف بين أهل السنة ومن عداهم حتى يتضح منها انتماؤه ، فمن ذلك :

غسل الرجلين في الوضوء :

قال تعالى " وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين " (٢) فجاء تفسيره لها بقوله " قرأنا نافع بنصب الأرجل ، وهى قرآءة الحسن البصرى والأعمش وقرأ بن كثير ، وأبو عمرو ، وحمزه بالجر ، فرآءه النصب تدل على أنه يجب غسل الرجلين ، لأنها معطوفة على الوجوه والأيدى ، والى هذا ذهب جمهور العلماء .

(١) نيل المرام من تفسير آيات الأحكام : محمد صديق حسن ص ١٣-١٤

(٢) سورة المائدة : من الآية ٦

والفصل بالمسوح بين المغسولات يفيد وجوب الترتيب في تطهير هذه الأعضاء ، وعليه الشافعى .

وقراءة الجر تدل على أنه يجوز الاقتصار على مسح الأرجل لأنها معطوفة على الرؤوس واليه ذهب ابن جرير الطبرى وهو مروى عن ابن عباس قال داود الظاهرى " يجب الجمع بين الأمرين على اقتضاء القراءتين " .

وقال ابن العربى " اتفقت الأمة على وجوب غسلهما وما علمت من رد ذلك الا الطبرى من فقهاء المسلمين ، والرافضة من غيرهم وتعلق الطبرى بقراءة الجر " .

ثم قال رحمه الله تعالى "

ولكن قد ثبت فى السنه المطهرة بالأحاديث الصحيحه من فعله صلى الله عليه وسلم وقوله غسل الرجلين فقط .

وثبت عنه أنه قال " ويل للأعقاب من النار " وهو فى الصحيحين وغيرهما فأفاد وجوب غسل الرجلين ، وأنه لا يجزىء مسحهما لأن شأن المسح أن يصيب ما أصاب ويخطىء ما أخطأ ، فلو كان مجزياً لما قال " ويل للأعقاب من النار " .

وقد ثبت أنه قال بعد أن توضأ وغسل رجليه " هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به " وقد ثبت فى صحيح مسلم وغيره أن رجلاً توضأ فترك على قدمه مثل موضع الظفر فقال له " ارجع فأحسن وضوءك " (١) (٢)

(١) نيل المرام من تفسير آيات الاحكام : محمد صديق حسن ص ٣١٤-٣١٥

(٢) صحيح مسلم كتاب الطهارة ج ١ ص ٢١٥

الخمسة من الغنائم :

وذلك من قوله تعالى " واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسة وللرسول ولذو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل " (١) . فقال رحمه الله تعالى في بيانها " قال القرطبي " اتفقوا على أن المراد بالغنيمه في هذه الآية ، مال الكفار اذا ظفر بهم المسلمون على وجه الغلبه والقهر " قال " ولا تقتضى اللغه هذا التخصيص ولكن عرف الشرع قيد اللفظ بهذا النوع " .

ثم قال " وقد حكى الاجماع جماعة من أهل العلم على أن أربعة أخماس الغنيمه للغانمين وممن حكى ذلك ابن المنذر وابن عبد البر والداودي والمازرى والقاضى عياض وابن العربى ،

والأحاديث الواردة فى قسمة الغنيمه من الغانمين وكيفيتها كثيرة جدا ، قال القرطبي " ولم يقل أحد - فيما أعلم - ان قوله تعالى " يسألونك عن الانفال " الآية ناسخ لقوله تعالى " واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسة " الآية بل قال الجمهور : ان قوله " أنما غنمتم من شيء " ناسخ وهم الذين لا يجوز عليهم التحريف ، ولا التبديل لكتاب الله " (٢) .

أما بيانه لكيفية قسمة الخمس فقال فيه : " قد اختلف العلماء فى كيفية قسمة الخمس على أقوال ستة :

الأول : قالت طائفة يقسم الخمس على ستة فيجعل السدس للكعبة وهو الذى لله ، والثانى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والثالث لذو القربى ، والرابع لليتامى ، والخامس للمساكين ،

(١) سورة الانفال : من الآية ٤١

(٢) نيل المرام من تفسير آيات الاحكام : محمد صديق حسن ص ٣٧٨-٣٧٩

والسادس لابن السبيل .

القول الثاني : قال أبو العاليه والربيع انها تقسم - أى الغنيمة - على خمسة ، فيعزل منها سهم واحد ويقسم أربعة على الغانمين ثم يضرب يده فى السهم الذى عزله فما قبضه من شئ جعله للكعبة ويقسم بقية السهم الذى عزله على خمسة للرسول ومن بعده فى الآيه .

القول الثالث : عن زين العابدين على بن الحسين أنه قال : ان الخمس لنا فقيل له : ان الله يقول : واليتامى والمساكين وابسن السبيل ؟ فقال : يتامانا ، ومساكيننا وأبناء سبيلنا .

القول الرابع : قول الشافعى : ان الخمس يقسم على خمسة ، وان سهم الله وسهم رسوله واحد يصرف فى مصالح المؤمنين ، والأربعة الأخماس على الأصناف الأربعة المذكورة فى الآيه .

القول الخامس : قول ابى حنيفه : انه يقسم الخمس على ثلاثة اليتامى والمساكين ، وابن السبيل وقد ارتفع حكم قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بموته كما ارتفع حكم سهمه ، قال ويبدأ من الخمس باصلاح القناطر ، وبناء المساجد وأرزاق القضاة والجنود وروى نحو هذا عن الشافعى .

القول السادس : قول مالك انه موكول الى نظر الامام واجتهاده ، فيأخذ منه بغير تقدير ويعطى منه الغزاه باجتهاده ، ويصرف الباقي فى مصالح المسلمين قال القرطبي : " وبه قال الخلفاء الأربعة وبه عملوا " وعليه يدل قوله صلى الله عليه وسلم " مالى مما أفاء الله عليكم الا الخمس ، والخمس مردود عليكم " فانه لم يقسمه أخماسا ولا أثلاثا وانما ذكر

ما فى الآيه من ذكره على وجه التنبيه عليهم لأنهم
من أهم من يدفع اليه " .

قال الزجاج محتجا لهذا القول : قال الله تعالى " يسألونك
ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى
والمساكين " (١) وجائز بالاجماع أن ينفق فى غير هذه الأصناف
إذا رأى ذلك " (٢) .

أما سهم " ذى القربى " فقال عنه " اختلف أهل العلم ، هل
ثبت وبقى سهمهم اليوم أم سقط بوفاته صلى الله عليه وسلم ، وصار
الكل مصروفا الى الثلاثة الباقية ؟ فذهب الجمهور - ومنهم مالك
والشافعى - الى الثبوت واستواء الفقراء والأغنياء للذكر مثل حظ
الانثيين وقال أبو حنيفة وأهل رأى بسقوط ذلك والتفصيل يطلب
من موطنه " (٣) .

نكاح المتعة :

والآيه مثار البحث هذا هى قوله تعالى " فما استمتعتم به
منهن فآتوهن أجورهن " (٤) وقد بحثها رحمه الله تعالى بحثا
شافيا كافيا فقال :

وقد اختلف أهل العلم فى معنى الآية فقال الحسن ومجاهد
وغيرهما المعنى فيما انتفعتم وتلذذتم بالجماع من النساء بالنكاح
الشرعى فآتوهن أجورهن أى مهورهن .

وقال الجمهور : ان المراد بهذه الآية نكاح المتعه الذى كان

(١) سورة البقرة : من الآية ٢١٥
(٢) نيل المرام من تفسير آيات الاحكام : محمد صديق حسن ص ٣٨٠-٣٨١
(٣) نيل المرام من تفسير آيات الاحكام : محمد صديق حسن ص ٣٨٢
(٤) سورة النساء : من الآية ٢٤

فى صدر الاسلام ، ويؤيد ذلك قرآءة أبى بن كعب وابن عباس وسعيد
ابن جبير : فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى فآتوهن أجورهن ؟
ثم نهى عنها النبى صلى الله عليه وسلم . كما صح ذلك من حديث على
عليه السلام قال " نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن نكاح المتعه وعن
لحوم الحمر الأهليه يوم خيبر " وهو فى الصحيحين ^(١) وغيرهما .

وفى صحيح مسلم من حديث سبرة بن معبد الجهنى عن النبى
صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم فتح مكه " يا أيها الناس انى قد كنت
أذنت لكم فى الاستمتاع من النساء والله قد حرم ذلك الى يوم
القيامة ، فمن كان عنده منهن شىء فليخل سبيلها ولا تأخذوا مما
آتيتموهن شيئاً " .

وفى لفظ لمسلم : أن ذلك كان فى حجة الوداع فهذا هو
الناسخ وقال سعيد بن جبير : نسختها آيه الميراث ، اذ المتعة
لا ميراث فيها .

وقال القاسم بن محمد وعائشه : تحريمها ونسخها فى القرآن ،
وذلك قوله تعالى " والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم
أو ما ملكت أيماهم فانهم غير ملومين " ^(٢) . وليست المنكوحه بالمتعة
من أزواجهم ولا مما ملكت أيماهم ، فان من شأن الزوجه أن ترث
وتورث وليست المتمتع بها كذلك .

وقد روى عن ابن عباس أنه قال بجواز المتعه وأنها باقيه لم
تنسخ . وروى عنه أنه رجع عن ذلك عند أن بلغه الناسخ . وقد
قال بجوازها جماعة من الروافض ولا اعتبار بأقوالهم وقد أتعب

(١) البخارى كتاب المغازى ج٥ ص ٧٨ ، صحيح مسلم كتاب النكاح ج٢ ص ١٠٧

(٢) سورة المؤمنون : الايتين ٥ و ٦

نفسه بعض المتأخرين بتكثير الكلام على هذه المسألة وتقوية ما قاله المجوزون لها وليس هذا المقام مقام بيان بطلان كلامه .

وقد طول الشوكاني رحمه الله البحث ودفع الشبهة الباطلة التي تمسك بها المجوزون لها في شرحه للمنتقى فليرجع اليه . وأشرنا اليه في مسك الختام شرح بلوغ المرام " (١) .

نكاح المشركات والكتابيات :

وذلك في قوله تعالى " ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن " (٢) فقال رحمه الله تعالى " في هذه الآية النهي عن نكاح المشركات وتزوجهن . قيل المراد بالمشركات الوثنيات وقيل انها تعم الكتابيات لأن أهل الكتاب مشركون " وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالـث : النصرى المسيح ابن الله " (٣) وقد اختلف أهل العلم في هذه الآية فقالت طائفة : ان الله حرم نكاح المشركات فيها والكتابيات من الجملة ثم جاءت آية المائدة (٤) فخصت الكتابيات من هذا العموم وهذا محكى عن ابن عباس ومالك وسفيان بن سعيد وعبدالرحمن بن عمر ، والأوزاعي ، وذهبت طائفة الى أن هذه الآية ناسخه لآية المائدة وأنه يحرم نكاح الكتابيات والمشركات - وهذا أحد قولى الشافعى -

(١) نيل المرام من تفسير آيات الأحكام : محمد صديق حسن ص ١٩٨-١٩٩

(٢) سورة البقرة من الآية ٢٢١

(٣) سورة التوبة : من الآية ٣ .

(٤) وهى قوله تعالى " اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اذا أتيتموهن أجورهن محصنين غير سافحين ولا متخذي أخدان . . الآية هـ

وبه قال جماعة من أهل العلم ويجاب عن قولهم ان هذه الآية ناسخة
لآية المائدة بأن سورة البقرة من أول ما نزل وسورة المائدة من آخر
ما نزل والقول الأول هو الراجح " (١) .

قطع يد السارق :

وذلك في قوله تعالى : " والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما
جزأءً بما كسبا " (٢) قال رحمه الله تعالى في تحديد موضع القطع : -
" والقطع معناه الإبانة والإزالة وجمع الأيدي لكراهة الجمع بين
اثنتين ، وقد بينت السنة المطهرة أن موضع القطع الرسغ ، وقال قوم :
يقطع من المرفق ، وقال الخوارج : من المنكب " (٣) .

وبعد

هذه أمثلة من تفسيره رحمه الله تعالى لآيات الأحكام ومنها يتضح
عدم تأويله لأى منها بما تقول به بعض الفرق كالشيعة والخوارج ونحوهم
بل التزم - أقوال علماء أهل السنة والجماعة بل لم يخرج فيها عن
المذاهب الأربعة من غير تعصب لأحدها .

وسبق أن ذكرنا بيانه رحمه الله تعالى أنه لم يتناول في تفسيره
الآيات الصريحة فى الدلالة على الأحكام الفقهية بل وترك من هذا
النوع الأخير ما هو متفق عليه أو معلوم بالضرورة كإقامة الصلاة وإيتاء
الزكاة .

وهو بحق كتاب فى آيات الأحكام جمع فيه صاحبه نفائس الأقوال
بعبارة قصيرة فحق له أن يكون من أصول المراجع فى ذلك .

(١) نيل المرام من تفسير آيات الأحكام : محمد صديق حسن ص ٨٢-٨٣

(٢) سورة المائدة : من الآية : ٣٨

(٣) نيل المرام من تفسير آيات الأحكام : محمد صديق حسن ص ٣٢٧

ثانيا : روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن :

أولا : المؤلف : (١)

هو الاستاذ محمد على بن جميل الصابوني ، ولد في مدينة

حلب عام ١٩٢٨ م .

تحصيله العلمي : تخرج من الثانوية الشرعيه وهي آخر مراحل

الدراسية في سوريا ، وأكمل دراسته في الأزهر فنال الشهادة

العاليه " الليسانس " سنة ١٩٥٢ م ونال شهادة الماجستير

في تخصص القضاء الشرعي سنة ١٩٥٤ م وكان موفدا من جهة

وزارة الأوقاف السورية لاتمام الدراسة العليا .

أعماله : اشتغل بالتدريس ثماني سنوات في الثانويات العامة

بحلب ثم انتدب للتدريس بمكة المكرمة في كلية الشريعة وقد

أمضى في التدريس بالكلية ما يزيد على عشرين عاما .

مؤلفاته : له عدة مؤلفات هي : -

١- من كنوز السنه (دراسات أدبيه ولغويه من الحديث

الشريف) .

٢- الموارد في الشريعة الاسلامية على ضوء الكتاب والسنه

٣- النبوة والأنبياء .

٤- روائع البيان في تفسير آيات الأحكام في القرآن .

٥- شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول صلى الله

عليه وسلم .

٦- مختصر تفسير ابن كثير في ثلاثة مجلدات .

٧- صفوة التفاسير في ثلاثة مجلدات .

٨- التبيان في علوم القرآن .

(١) هذه الترجمة أرسلها المؤلف الى الاستاذ محمد بن عبد العزيز السديس ، ونشرها في كتابه الدراسات القرآنية المعاصرة : ص ٢٦٩ - ٢٧٠ وقد أضفت اليها ما جد من مؤلفات ونحوها .

ثانيا : الكتاب :

هو : روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن جاء وصفه على الغلاف بأنه " تفسير خاص لآيات الأحكام مستمد من أوثق مصادر التفسير القديمة والحديثة بأسلوب مبتكر وطريقة جديدة مع عرض شامل لأدلة الفقهاء وبيان الحكمة التشريعية " ويقع هذا التفسير فى مجلدين متوسطى الحجم تبلغ صفحات المجلد الأول ٦٣١ صفحة (بدون فهرسه) والمجلد الثانى كذلك يقع فى ٦١٩ صفحة ، وانتهى المؤلف منه فى غرة رجب سنة ١٣٩١ هـ .

وصدرت طبعته الأولى فى نفس العام ، والطبعة الثانية سنة ١٣٩٧ هـ

طريقته فى التفسير :

وقد وضع الشيخ طريقته فى التفسير بقوله : " جمعت فيه الآيات الكريمة " آيات الأحكام خاصة " على شكل محاضرات علميه جامعـة تجمع بين القديم فى رصانته والحديث فى سهولته ، وسلكت فى هذه المحاضرات طريقة ربما تكون جديده ميسره وهى أنى عمدت الى التنظيم الدقيق مع التحرى العميق فتناولت الآيات التى كتبت عنها من عشرة وجوه على الشكل الآتى :

أولا : التحليل اللفظى مع الاستشهاد بأقوال المفسرين وعلماء اللغة .

ثانيا : المعنى الاجمالى للآيات الكريمة بشكل مقتضب .

ثالثا : سبب النزول ان كان للآيات الكريمة سبب .

رابعا : وجه الارتباط بين الآيات السابقه واللاحقه .

خامسا : البحث عن وجوه القراءات المتواتره .

سادسا : البحث عن وجوه الاعراب بايجاز .

سابعا : لطائف التفسير وتشمل (الأسرار والنكات البلاغية والدقائق العلمية) .

ثامنا : الأحكام الشرعية وأدلة الفقهاء ، مع الترجيح بين الأدلة .

تاسعا : ما ترشد اليه الآيات الكريمة بالاختصار .

عاشرا : خاتمة البحث وتشمل (حكمة التشريع) لآيات الأحكام المذكورة " (١)

ثم ويتواضع العلماء أنكر أن يكون ما جاء في هذا الكتاب بجهد فحسب بل هو خلاصة نتاج أدمغة فطاحل العلماء ثم شبه نفسه بقوله :
" وما مثلى الأكمل انسان رأى جواهر وآلىء ودررا ثمينه مبعثرة هنا وهناك فجمعها ونظمها فى عقد واحد ، أو كمثل شخص دخل حديقة غناء فيها أحاسن الأثمار والورود والأزهار ما يدهش الأبصار ، فامتدت يده برفق إليها فجعلها فى باقة واحدة ووضعها فى كأس فكانت بهجة للقلب وفتنة للعين " (١)

وقال : " وما كنت أسطر شيئا حتى أقرأ ما يزيد على خمسة عشر مرجعا من أمهات المراجع فى التفسير عدا عن مراجع اللغة والحديث ثم أكتب هذه المحاضرات مع التنبيه الى المصادر التى نقلت عنها بكل دقة وأمانة " (١)

وسنذكر أمثلة من تفسيره لأحكام خاصة ثم نذكر بعدها ما رأينا من ملاحظات .

نماذج من تفسيره :

خمس الغنائم :

قال تعالى " واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول

(١) روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن : محمد على الصابونى ج١ ص ١١-١٢

ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله
وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل
شىء قدير " .

وقد بسط العلماء أحكام الغنائم وكيفية تقسيم الخمس منها ،
مستنديين الى هذه الآية . وقد وضع الشيخ الصابوني هذه الأحكام
بالوجوه التي أشار إليها آنفا فقال تحت عنوان : التحليل اللفظي .
غنمتم : الغنيمه ما أخذ من الكفار قهرا بطريق القتال والغلبة
أما ما أخذ منهم بغير حرب أو قتال فهو " فىء " كما مر سابقا (١)
قال الشاعر :

وقد طوفت فى الآفاق حتى ... رضيت من الغنيمه بالاياب

خمسه : بضم الميم واسكانها لغتان وقد قرئء بهما ، والخمس أن
يقسم الشىء الى خمسة أجزاء ثم يؤخذ جزء واحد منه ، والواجب
الشرعى أن تخمس الغنائم فيصرف الخمس فيما ذكره الله ويوزع
الباقى وهو أربعة أخماس بين الغانمين قال القرطبي لما بين الله
تعالى حكم الخمس وسكت عن الباقي دل ذلك على أنه ملك للغانمين .

لذى القربى : هم قرابة الرسول صلى الله عليه وسلم وهم " بنوهاشم ،
وبنوالمطلب " على الصحيح من الأقوال كما سيأتى ان شاء الله .
اليتامى : هم أولاد المسلمين الذين هلك آباؤهم فى سن الصغر قبل
البلوغ لأنه لا يتم بعد البلوغ .

المساكين : هم أهل الفاقة والحاجه من المسلمين .

ابن السبيل : هو المنقطع فى سفره مع شدة حاجته وانما قيل " ابن
السبيل " لأنه لما انقطع فى سفره أصبح الطريق كأنه آبله " (١) .
... الخ .

(١) المرجع السابق : ج ١ ص ٦٠٠-٦٠١

وقال تحت عنوان : - المعنى الاجمالي .

" يقول الله جل ثناؤه ما معناه : اعلّموا أيها المؤمنون أن كل ما غنمتموه من الكفار المحاربين أيا كان قليلا أو كثيرا حق ثابت لكم . وحكمه : أن لله خمسة وللرسول ولذی القربى والیتامی والمساكين وابن السبيل . فاقسموه خمسة أقسام واجعلوا خمسہ لله ینفق فی مصالح الدین واقامة الشعائر وعمارة الكعبة وكسوتها ، ثم اعطوا الرسول صلى الله عليه وسلم منه كفايته لنفسه ولنسائه ثم اعطوا منه ذی القربى من أهله وعشيرته ، ثم المحتاجين من سائر المسلمين وهم الیتامی والمساكين وابن السبيل ثم بین سبحانه وتعالى أن هذا هو مقتضى الايمان وهو الاذعان والخضوع لأوامره وأحكامه وعدم الخلاف والنزاع فيما بينهم لأن الله عز وجل هو الذى قسم فأعطى كل ذی حق حقه كما راعى مصالح العباد جميعا فما على المؤمنین الا الرضى والتسليم لحکم الله العلی الكبير" (١) .

ومن بيانه فى المعنى الاجمالي هذا يظهر أنه يرجح القول أن الغنائم توزع الى خمسة أقسام وأن الخمس يوزع الى ستة أسهم لله ولرسوله ولذی القربى والیتامی والمساكين وابن السبيل ، خلافا لمن قال أن سهم الله سبحانه وتعالى وسهم رسوله واحد ثم ذكر وفقه الله تعالى لطائف تحت : لطائف التفسير .

نذكر منها قوله : " اللطيفه الأولى : التنكير فى قوله تعالى (من شىء) يفيد التقليل أى أى شىء كان سواء كان هذا الشىء قليلا أو كثيرا ، عظيما أو حقيرا حتى الخيط والمخيط (الابره) .

(١) المرجع السابق : ج ١ ص ٦٠١ - ٦٠٢

اللطفه الثانية : ذكر الله تعالى فى القسمة فى قوله تعالى (فان لله خمسة) لتعليمنا التبرك بذكر اسم الله المعظم ، واستفتاح الأمور باسمه تعالى ولا يقصد منه أن الخمس يقسم على ستة منها (الله) فان لله الدنيا والآخرة والله هو الغنى الحميد أو يراد منه انفاقه فى سبيل الله فيكون الكلام على (حذف مضاف)^(١) .

ومما ذكرنا فى المعنى الاجمالى علمنا أن المؤلف قسم الخمس الى ستة أسهم عدّ منها سهم الله سبحانه وتعالى وذكر أنه ينفق فى مصالح الدين واقامة الشعائر وعمارة الكعبة وكسوتها فهو اذا ، يؤيد أن الكلام على حذف مضاف وليس ذكر اسمه تعالى للتبرك .

ثم ذكر وفقه الله تعالى عددا من الأحكام المستفاده من الآية تحت عنوان : - الأحكام الشرعية .

نذكر منها : الحكم الثانى : كيف يوزع الخمس بين الغانمين ؟ وجاء فيه قوله " ذكرت الآية الكريمة أن خمس الغنائم يوزع لمن سماهم الله عز وجل فى كتابه العزيز وهم ستة (الله ، الرسول ، ذوالقربى ، اليتامى ، المساكين ، ابن السبيل) وسكتت عن الباقي فدل ذلك على أنه يوزع على الغانمين .

سهم الله :

أما سهم الله عز وجل فقد اختلف المفسرون فيه على قولين :
أ - انه يصرف على الكعبة لأن قوله " الله " اى لبيت الله فهو على حذف مضاف .

ب - وقال الجمهور ان قوله (لله) استفتاح كلام يقصد به التبرك فله الدنيا والآخرة وهو المالك لكل ما فى السموات والارض...

(١) المرجع السابق : ج ١ ص ٦٠١ - ٦٠٢

وعلى هذا الرأى يكون الخمس بين خمسة (الرسول ، ذى القربى ،
اليتامى ، المساكين ، ابن السبيل) .
سهم الرسول :

أما سهم الرسول صلى الله عليه وسلم فانه حق له صلى الله عليه وسلم
يأخذه من الغنيمه ويضعه حيث شاء لأهل بيته أوفى مصالح المسلمين
يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (ما لى مما أفاء الله عليكم إلاّ
الخنس والخمس مردود عليكم) .

وقال آخرون : أن لفظ (الرسول) فى الآيه استفتاح كلام كما
قالوا فى قوله " لله " وأن الخمس يقسم على أربعة أسهم (ذى القربى ،
واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل) .

سهم ذى القربى : والمراد قرابة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد
اختلف فى (ذى القربى) على ثلاثة أقوال : -

- ١- قيل انهم قريش جميعا .
- ٢- وقيل انهم بنو هاشم فقط .
- ٣- وقيل انهم (بنو هاشم وبنو المطلب ، هذا هو الرأى الصحيح
والراجح ، ومما يدل عليه ما رواه البخارى عن (مطعم بن جبير) من
بنى نوفل قال " مشيت أنا وعثمان بن عفان - من بنى عبد شمس - الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا : يا رسول الله أعطيت بنى المطلب
وتركتنا ونحن وهم بمنزلة واحدة . فقال : رسول الله صلى الله عليه
وسلم (انما بنو المطلب وبنو هاشم شىء واحد انهم لم يفارقونا فى
جاهليه ولا إسلام) فدل الحديث على أن المراد بذى القربى
(بنو المطلب وبنو هاشم) ويرى بعضهم أن القرابة لا يعطون الا أن ،
يكونوا فقراء وهذا الحكم ثابت للرسول صلى الله عليه وسلم ولذى قرياه

فى حياته وأما بعد وفاته فانه يرجع الى بيت مال المسلمين .

قال أبو حنيفة : يقسم الخمس على ثلاثة (اليتامى ، المساكين ، وابن السبيل) لأنه قد ارتفع سهم الرسول صلى الله عليه وسلم بموته ، كما ارتفع سهم أقربائه بموته وهذا منقول عن الشافعى أيضا ، قالوا : ويبدأ من الخمس باصلاح القناطر وبناء المساجد وأرزاق القضاة والجنود ، ويصرف فى مصالح المسلمين .

سهم اليتامى :

وهذا السهم يصرف على أطفال المسلمين الذين هلك أبائهم وهم فى سن الصغر . وأما بعد البلوغ فيزول عنهم وصف اليتيم .

سهم المساكين :

وهم أهل الفاقة والحاجة من ضعفاء المسلمين الذين لا يملكون من حطام الدنيا شيئا ويحتاجون الى مواساة ومساعدته .

سهم ابن السبيل :

وهو الغريب الذى انقطع فى سفره فانه يعطى من الخمس حتى ولو كان غنيا فى بلده ، ذلك لأننا نعتبر حالته التى هو عليها الآن .

مذهب المالكية :

وقد خالف المالكية هذه الأقوال المتقدمة جميعا ورأوا أن الخمس - خمس الغنيمه - يجعل فى بيت المال ينفق منه على ما ذكر فى الآية وعلى غيرهم بحسب ما يراه الامام من المصلحة وقالوا : ان ذكر هذه الأصناف فى الآية الكريمة انما هو على سبيل المثال لا على سبيل التملك وهو من باب اطلاق (الخاص وأريد به العام)^(١) ثم أدله هذا القول وعقب عليه بقوله " وهذا الرأى للمالكية سديد ووجيه " (١) .

(١) المرجع السابق : ج ١ ص ٦٠٤ - ٦٠٦

هذا غالب ما قاله فى الغنائم والخمس وانما اطلت فيما نقلت حتى اعطى صورة لطريقته فى تناول الآيه من جوانب عدة . ثم لما فى تفسيره من بيان واضح وسأختصر ان شاء الله ما سأذكره من أمثله لتفسيره بعد .

نكاح المتعه :

وشبهة من أباحه قوله تعالى " فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن " (١) . وتحت عنوان الأحكام الشرعية رد الشيخ الصابونى على من أباح نكاح المتعه ووضح الحكم الصحيح وذلك فى الحكم الخامس منها فقال :

" الحكم الخامس : حكم المتعه وآراء الفقهاء فيها ..

وقد أجمع العلماء وفقهاء الأمصار قاطبة على حرمة (نكاح المتعة) لم يخالف فيه إلا الروافض والشيعة ، وقولهم مردود لأنه يصادم النصوص الشرعية من الكتاب والسنة ويخالف اجماع علماء المسلمين والأئمة المجتهدين .

وقد كانت المتعه فى صدر الاسلام جائزه ثم نسخت واستقر على ذلك النهى والتحريم ، وما روى عن ابن عباس من القول بحلها فقد ثبت رجوعه عنه كما أخرج الترمذى عنه رضى الله عنه أنه قال : " انما كانت المتعه فى أول الاسلام . كان الرجل يقدم البلده ليسر له بها معرفه فيتزوج المرأة بقدر ما يرى أنه مقيم فتحفظ له متاعه وتصلح له شأنه " حتى نزلت الآية الكريمة الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم (٢) فكل فرج سواهما فهو حرام . (٣)

(١) سورة النساء : من الآية ٢٤

(٢) سورة المؤمنون : من الآية ٦ والمعارج : من الآية ٣٠

(٣) رواه الترمذى كتاب النكاح ج ٣ ص ٤٣٠

فقد ثبت رجوعه عن قوله وهو الصحيح ، وحكى أنه اندا أباحها
حالة الاضطرار ، والعنت في الأسفار فقد روى عن ابن جبير انه قال :
قلت لابن عباس : لقد سارت بفتياك الركبان . وقال فيها الشعراء
قال : وما قالوا ؟ قلت قالوا :

قد قلت للشيخ لما طال مجلسه . : يا صاح هل لك في فتوى ابن عباس
هل لك في رخصة الأطراف آنسه . : تكون مثواك حتى مصدر الناس
فقال : سبحان الله ما بهذا أفيتت ؟ . وما هي الآ كالميته ، الدم ولحم
الخنزير ولا تحل الا للمضطر .

ومن هنا قال الحازمي : انه صلى الله عليه وسلم لم يكن أباحها لهم
وهم في بيوتهم وأوطانهم ، وانما أباحها لهم في أوقات بحسب الضرورات
حتى حرمها عليهم في آخر الأمر تحريم تأبيد "

ثم ذكر الأدلة الشرعية والعقلية على تحريم المتعة ذكر منها خمسة
أدله ثم ختمها بقول الخطابي " تحريم المتعة كالأجماع الا عن بعض
الشيعة ولا يصح على قاعدتهم في الرجوع في المخالفات الي (علي)
رضي الله عنه فقد صح عنه أنها نسخت ، ونقل البيهقي عن (جعفر بن
محمد) أنه سئل عن المتعة فقال هي الزنى بعينه ، فبطل بذلك كل
مزاعم الشيعة " (١) .

الحجاب :

وقد أفاض الحديث - جزاءه الله خيرا - عن حجاب المرأة المسلمة
وأجاد ولئن كان لا يتسنى لنا أن نشم كل الورود التي قطفها كما قال في
مقدمة تفسيره فانه أيضا لا يسعنا الا أن نقف عند بعضها وقفة تبهج

(١) روائع البيان : محمد علي الصابوني ج ١ ص ٤٥٧ - ٤٥٩

النفس وتمتع النظر وتشنف الأسماع بسامى المعانى وقويم العبارات .
وكان مما قال فى تفسيره قوله تعالى " قل للمؤمنين يغضوا من
أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون
وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدین
زينتهن الا ما ظهر منها وليضرن بخمورهن على جيوبهن " الآية (١) .

قال تحت عنوان الأحكام الشرعية ، وتحت الحكم الثانى : -

" وأما عورة المرأة بالنسبة للرجل : فجميع بدنها عوره على
الصحيح وهو مذهب (الشافعية والحنابلة) وقد نص الامام أحمد
رحمه الله على ذلك فقال (وكل شىء من المرأة عورة حتى الظفر ،
وذهب (مالك وأبو حنيفة) الى أن بدن المرأة كله عوره ما عدا
(الوجه والكفين) ولكل أدله سنوضحها بايجاز ان شاء الله تعالى .

أدلة المالكية والأحناف :

استدل المالكية والأحناف على أن (الوجه والكفين) ليسا
بعورة بما يلى :

أولا : قوله تعالى (ولا يبدین زينتهن الا ما ظهر منها) فقد
استثنت الآية ما ظهر منها أى ما دعت الحاجة الى كشفه واطهاره
وهو الوجه والكفان . وقد نقل هذا عن بعض الصحابة والتابعين
فقد قال (سعيد بن جبیر) فى قوله تعالى (الا ما ظهر منها)
قال : الوجه والكف . وقال (عطاء) : الكفان والوجه ، وروى مثله
عن الضحاك .

ثانيا : واستدلوا بحديث عائشه ونصه (أن أسماء بنت أبى بكر) دخلت

(١) سورة النور : الآيتين : ٣٠ - ٣١

على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رفاق فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال لها (يا أسماء ان المرأة اذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها الا هذا وهذا) وأشار الى وجهه وكفيه .

ثالثا : وقالوا مما يدل على أن الوجه والكفين ليسا بعورة أن المرأة تكشف وجهها وكفيها في صلاتها وتكشفهما أيضا في الاحرام فلو كانا من العورة لما أبيع لها كشفها لأن ستر العوره واجب لا تصح صلاة الانسان اذا كان مكشوف العوره .

أدلة الشافعية والحنابلة :

١ - استدل الشافعية والحنابلة على أن الوجه والكفين عوره بالكتاب والسنة والمعقول :

أولا : أما الكتاب فقوله تعالى (ولا يبدن زينتهن) فقد حرمت الآيه الكريمة ابداء الزينه ، والزينه على قسمين : خلقيه ومكتسبه والوجه من الزينه ، الخلقية بل هو أصل الجمال ومصدر الفتنة والاغراء ، وأما الزينه المكتسبه فهي ما تحاوله المرأه في تحسين خلقتها كالثياب والحلي والكحل والخضاب . والآيه الكريمة منعت المرأه من ابداء الزينه مطلقا ، وحرمت عليها أن تكشف شيئا من أعضائها أمام الرجال أو تظهر زينتها أمامهم وتأولوا قوله تعالى : (الا ما ظهر منها) أن المراد ما ظهر بدون قصد ولا عمد مثل أن يكشف الريح عن نحرها أو ساقها أو شيء من جسدها ، ويصبح معنى الآيه على هذا التأويل (لا يبدن زينتهن أبدا وهن مؤاخذات على ابداء زينتهن الا ما ظهر منها بنفسه

وانكشف بغير قصد ولا عمد فلسن مؤاخذات عليه فيكون الوجه
والكف من الزينه التي يحرم ابدائها .

ثانيا : وأما السنه فما ورد من الأحاديث الصحيحه الكثيره التي تدل
على حرمة النظر منها :

أ - حديث جرير بن عبدالله (سألت رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن نظر الفجأة فقال : اصرف نظرك)^(١) .

ب - حديث علي " يا علي لا تتبع النظرة النظرة فانما لك
الأولى وليست لك الآخرة ."^(٢)

ج - حديث الخثعميه الذي رواه بن عباس رضى الله عنهما وفيه :

أن النبي صلى الله عليه وسلم أرف الفضل بن العباس يوم النحر
خلفه وكان رجلا حسن الشعر أبيض وسيما فجاءته امرأة من
خثعم تستفتيه فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه فجعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل الى الشق
الآخر . . .)^(٣) الحديث في حجة الوداع .

فجميع هذه النصوص تفيد حرمة النظر الى الأجنبية ، ولا شك أن
الوجه مما لا يجوز النظر اليه فهو اذا عورة "^(٤) .

قلت هذا ما رأيت ذكره من الأدلة التي أوردها ثم رجح رأي
الشافعيه والحنابله ورد على ما ذكر من أدلة المالكيه والحنفية ثم
قال بعد ذلك : -

-
- (١) مسلم : الآداب ج٣ ص ١٦٩٩ احمد ج٤ ص ٣٥٨ سنن ابى داود
كتاب النكاح ج٢ ص ٢٤٦ وسنن الترمذى كتاب الأدب ج٥ ص ١٠١
(٢) سند احمد : ج٥ ص ٣٥١ وسنن ابى داود كتاب النكاح ج٢ ص ٢٤٦
والترمذى : الأدب ج٥ ص ١٠١ الدارمى : الرقاق ج٢ ص ٢٩٨
(٣) صحيح البخارى كتاب الحج ج٢ ص ١٤٠ مسلم : كتاب الحج ج٢ ص ٩٣
(٤) روائع البيان : محمد على الصابونى ج٢ ص ١٥٤-١٥٦

" أقول : الأئمة الذين قالوا بأن (الوجه والكفين) ليسا بعوره
اشترطوا بالألا يكون عليهما شيء من الزينه وألا يكون هناك فتنه أما
ما يضعه النساء فى زماننا من الأصباغ والمساحيق على وجوههن وأكفهن
يقصد التجميل ويظهرن به أمام الرجال فى الطرقات فلا شك فى
تحريمه عند جميع الأئمة ، ثم ان قول بعضهم : ان الوجه والكفين
ليسا بعوره ليس معناه أنه يجب كشفهما أو أنه سنه وسترهما بدعه
فان ذلك ما لا يقول به مسلم وانما معناه أنه لا حرج فى كشفهما
عند الضرورة ، ويشترط أمن الفتنة . أما فى مثل هذا الزمان الذى
كثر فيه أعوان الشيطان وانتشر فيه الفسق والفجور ، فلا يقول أحد
بجواز كشفه لا من العلماء ولا من العقلاء ، اذ من يرى هذا الداء
والوباء الذى فشى فى الأمه وخاصة بين النساء بتقليدهن لنساء ،
الأجانب فانه يقطع بحرمة كشف الوجه لأن الفتنة مؤكده والفساد
محقق ، ودعاة السوء منتشرون ولا نجد المجتمع الراقى المهذب الذى
يتمسك بالآداب الفاضله ويستمتع لمثل قوله تعالى : " قل للمؤمنين
يغضوا من أبصارهم " ولا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (اصرف
بصرك) فالاحتياط فى مثل هذا العصر والزمان واجب . والله يهذى
من يشاء الى صراط مستقيم" (١) .

هذا ما قاله وفقه الله هنا وقال مثله أو أحسن منه تحت عنوان
بدعه كشف الوجه وجعله خاتمة لهذا البحث وقال مثل هذا فى سورة
الأحزاب وكله حرى به أن يقرأ ويدرك كيف لا وهى فتنة ترقب الشباب
وكيف لا وهم عماد الأمة ومستقبلها .

(١) المرجع السابق : ج٢ ص ١٥٧ - ١٥٨

قطع يد السارق :

قال تعالى : " السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم " (١) قال في بيان موضع قطع اليد : -

" دل قوله تعالى (فاقطعوا أيديهما) على وجوب قطع اليد في السرقة وقد أجمع الفقهاء على أن اليد التي تقطع هي (اليمنى) لقراءة بن مسعود (فاقطعوا ايمنها) .

ثم اختلفوا من أين تقطع اليد فقال فقهاء الأصابع تقطع من المفصل (مفصل الكف) لا من المرفق ولا من المنكب ، وقال الخواج تقطع الى المنكب ، وقال قوم : تقطع الأصابع فقط .

حجة الجمهور ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع يد السارق من الرسغ ، وكذلك ثبت عن (علي) و (عمر بن الخطاب) أنهما كانا يقطعان يد السارق من مفصل الرسغ فكان هو المعول عليه " (٢) .

وقال في حكمة هذا التشريع " وأعداء الانسانيه يستعظمون قتل القاتل و قطع يد السارق ويزعمون أن هؤلاء المجرمين ينبغي أن يحظوا بعطف المجتمع ، لأنهم مرضى بمرض نفساني ، وأن هذه العقوبات الصارمه لا تليق بمجتمع متحضر يسعى لحياة سعيدة كريمة انهم يرحمون المجرم من المجتمع ولا يرحمون المجتمع من المجرم الأثيم الذي سلب الناس أمنهم واستقرارهم وأقلق مضاجعهم ، وجعلهم مهددين بين كل لحظة ولحظة في الأنفس والأموال والأرواح .

(١) سورة المائدة : الآيه : ٣٨

(٢) روائع البيان : محمد علي الصابوني ج ١ ص ٥٥٥ - ٥٥٦

وقد كان من أثر هذه النظريات التي لا تستند على عقل ولا منطق سليم أن أصبح في كثير من البلاد (عصابات) للقتل وسفك الدماء وسلب الأموال ، وزادت الجرائم ، واختل الأمن ، ونفسد المجتمع ، وأصبحت السجون ممتلئة بالمجرمين وقطاع الطريق .

والعجيب أن هؤلاء الغربيين الذين يرون في الحدود الإسلامية شدة وقوة لا تليق بعصرنا المتحضر ، والذين يدعون إلى إلغاء عقوبة (القتل والزنى وقطع يد السارق) الخ ، هم أنفسهم يفعلون ما تشيب له الرؤوس ، وتنخلع لهوله الأفئدة ، فالحروب الهمجية التي يثيرونها ، والأعمال الوحشية التي يقومون بها من قتل الأبرياء والاعتداء على الأطفال والنساء ، وتهديم المنازل على من فيها ، لا تعتبر في نظرهم وحشية ، ولقد أحسن الشاعر حين صور منطق هؤلاء الغربيين بقوله :

قتل امرئ في غابة . . . جريمه لا تغتفر

وقتل شعب آمن . . . مسألة فيها نظر

نعم ان الاسلام شرع عقوبة قطع يد السارق وهي عقوبة صارمة ولكنه آمن الناس على أموالهم وأرواحهم ، وهذه اليد الخائنة التي قطعت انما هي عضوا أشل تأصل فيها الداء والمرض ، وليس من المصلحة أن نتركها حتى يسرى المرض الى جميع الجسد ، ولكن الرحمة ان نبتئها ليسلم سائر البدن ، ويد واحدة تقطع كقيلة بردع المجرمين ، وكف عدوانهم وتأمين الأمن والاستقرار للمجتمع . فأين تشريع هؤلاء من تشريع الحكيم العليم الذي صان به النفوس والأموال والأرواح ! ! " (١)

(١) المرجع السابق : ج ١ ص ٥٥٧ - ٥٥٨

هذا ما قاله وفقه الله في هذا الحد الشرعى وأحب أن اهمس
في أذنه - ومثله خبير بهذا - أن أولئك القوم ما نقموا هـذـه
الحدود لبشاعتها بزعمهم . وما نقموها لوحشيتها - كما يدعون .
وانما نقموها لأنهم ينقمون أصلها أعنى الدين الاسلامى كله وفى
التاريخ المعاصر شواهد على ما أقول كثيرة ان أردت أن أذكر منها
شاهدا واحدا ذكرت موقف الولايات المتحدة الامريكية وهى أم المكائد
والمشاكل فى العصر الحديث . من باكستان الاسلامية ، ما ان فكرت
أو اتجهت باكستان لصناعة القنبلة الذرية حتى وضعت أمامها
العراقيل والعقبات وحتى صاحت فى آذان جنودها احذروا القنبلة
الذرية الاسلامية . لم ترفع هذه الصيحة وهذا النداء وهذه السمة
ضد القنبلة النصرانية ولا ضد القنبلة الشيوعية ولا اليهودية ولا حتى
الهندوسية ولكن وقد كانت الدولة المعنية تحمل الصبغة الاسلامية
فان لجنة الشؤون الخارجية فى مجلس الشيوخ الامريكى توقف أية
مساعدة عسكرية أو تكنولوجية لباكستان ما لم يلتزم الرئيس الامريكى ،
بأن لا تحوز باكستان سلاحا نوويا أو تسعى لحيازة مثل هذه الأسلحة^(١)
ولا أقصد من هذا أن أقول لا تردوا على شبهاتهم فى الحدود
ونحوها لأن عداءهم أكبر من ذلك ولكنى قصدت القول لا تطمعوا
منهم باعتراف ولا تمنوا أنفسكم به وصدق الله العظيم " والله متم
نوره ولو كره الكافرون " ^(٢) .

وعد :

هذه أمثله لتفسير الشيخ محمد على الصابونى لآيات الأحكام فى

(١) جريدة الرياض العدد ٥٧٦٤ يوم الاربعاء ٣/٧/٤٠٤ هـ ص ٢١

(٢) سورة الصف : من الآية : ٨

القرآن الكريم ، التي التزم فيها منهجه الذي بينه وذكرناه في مقدمة تفسيره وفي مقدمة حديثنا عنه .

وقد اتسم تفسيره لها بمزبه قد لا تجدها في كثير من التفاسير مثل تفسيره فقد حرص على أن لا يورد الأحكام جافة من عطر تطبيقها في المجتمعات الاسلامية ، أو ازالة ما أصابها من دنس أصحاب الشبهات والشهوات فقل أن يتناول حكما شرعيا ، إلا وبَيَّن محاسنه ومزاياه ، ورد ما يلصق به من لدن خصومه كتشريع تعدد الزوجات والحجاب الذي أوردنا بعض ما قال فيه وأبدع ، ورد على دعاء الاختلاط وأصحاب الصور والتماثيل ، وألجم الناقلين على الحدود الاسلامية وقطع كيدهم .

وان كان لي من ملاحظات ان صحت تسميتها بذلك فهي أنه وفقه الله لم يتناول كثيرا من آيات الأحكام وبعضها هام جدا ولم يتناول كذلك آيات الميراث في سورة النساء ونحو ذلك .

وأذكر منها أيضا أنه تناول آيات القرآن على شكل محاضرات ولو تناولها على طريقة السلف أن يورد السورة ثم الآيات التي ، يريد دراستها مرتبه ويشير اليها في الفهارس على هذا النحو لا أفضل هذه الطريقة لكونها طريقة السلف فحسب ولكن لكونها أيسر على الباحث في حصوله على مراده .

وأذكر منها أيضا ضرورة التوسعة في بعض الأبحاث والاختصار في بعضها والاطناب المحبب في حكم التشريع التي يذكرها لبعض الأحكام الشرعية خاصة أنه قل أن تجد تفسيراً يعتنى بها على هذا النحو .

هذا ما أردت بيانه والله أسأل أن ينفع به ويتفسيره انه سميع مجيب

ثالثا : تفسير آيات الاحكام

أولا : المؤلف :

العجيب أن هذا الكتاب القيم لا يعرف له مؤلف وكثير من طلبه العلم يعبده للشيخ محمد على السائس ، وبين يدي طبعه صدرت سنة ١٣٥٦ - ١٩٣٧ م خالية من اسم مؤلفها ، وطبعة أخرى بين يدي صدرت سنة ١٣٧٣ كتب على غلافها : -

أشرف على تنقيحها وتصحيحها فضيلة الأستاذ الشيخ محمد على السائس ، ولعل هذا هو ما جعل الكتاب ينسب الى الشيخ بقى أن نقول أن الصحيح انها نسبة تنقيح وتصحيح وليست جمعا وتأليفا ، ولهذه النسبه نكتب تعريفا للشيخ محمد على السائس .

(١)

المنهج المصحح :

ولد في مدينة مطويس التابعه لمحافظة كفر الشيخ احدى محافظات الوجه البحرى لمصر فى يوم ١٦ أغسطس ١٨٩٩ ميلاديه (١٣١٩ هجرية) وتوفى عن عمر ٧٧ عاما فى فجر يوم الاربعاء الموافق ٢٤ نوفمبر ١٩٧٦ م (أول ذى الحجه ١٣٩٦ هـ) حفظ القرآن كله فى سن التاسعه والتحق بالأزهر وتدرج فيه حتى حصل على عالميه الأزهر فى سن ٢٨ وعين فى مدينة أسيوط ثم نقل الى كلية أصول الدين مدرسا وتدرج فى الرقى حتى أصبح عميدا لكلية أصول الدين ثم عميدا لكلية الشريعة سنة ١٩٥٧ م .

(١) زودنى بهذه الترجمة ابنه الدكتور سامى محمد على السائس الذى يعمل استاذا مساعدا فى مركز العلوم والرياضيات بالرياض ، وقد حرصت على أن أنشر هذه الترجمة كامله - رغم طولها نسبيا - لأننى لم أجد أحدا ترجم له من قبل .

نال الشهادة العالمية (عودت بالدكتوراه) ١٩٢٧ م الموافق ذى القعدة
١٣٤٥ هـ ثم نال تخصص القضاء الشرعى (ابريل ١٩٣٢م) الموافق
ذى الحجة ١٣٥٠ هـ ثم عضوية جماعة كبار العلماء (١٩٥٠م) وبعد
أن الغيت الجماعه نال عضوية مجمع البحوث الاسلاميه فى ١٩٦١/٢/٥ م
وكان عضوا فى المجلس الأعلى للأزهر من ١٩٥٤/٢/١٨ حتى توفى وكانت
تجدد له كل ثلاثة أعوام .

وعين عميدا لكلية أصول الدين سنة ١٩٥٤ م لمدة ثلاثة سنوات فعميدا
لكلية الشريعة الاسلاميه سنة ١٩٥٧م لمدة سنتين حيث أحيل على المعاش
فى ١٩٥٩/٣/١ قبل السنن القانونية وذلك لمعارضته لتغيير نظام التعليم
فى الأزهر .

وعين أمينا لمجمع البحوث الاسلاميه ثم أحيل على المعاش فى السنن
القانونية فى ١٩٦٤/٨/١٦ بعد بلوغه ٦٥ سنه .
أهم مؤلفاته (تاريخ التشريع الاسلامى) وبقية المؤلفات خاصة
بمناهج الدراسة فى كلية الشريعة ومن بحوثه (تحديد أوائل
الشهور العربية)

أشرف وناقش عددا كبيرا من الرسائل العلمية ومن أصحاب تلك
الرسائل الشيخ محمد حسين الذهبي ومنهم الدكتور يوسف القرضاوى .
وكانت له جلسات علمية مع بعض المشايخ بقاعة محمد عبده فى الأزهر
مع بعض المشايخ مثل الشيخ عبد الرحمن تاج والشيخ محمود شلتوت والشيخ
محمد أبوزهره والشيخ محمد د راز وغيرهم .

وحصل على عدد من الأوسمه منها الوسام الملكى فى عهد الملك فاروق
ووسام الشرف لجمهورية مصر من الطبقة الأولى فى عهد الثورة .
وتوفى عقب مناقشته لحدى رسائل الدكتوراه بثلاث ساعات رحمه الله
رحمه واسعه .

ثانيا : تفسير آيات الأحكام

قلت آنفا أن بين يدي طبعه صدرت سنة ١٣٥٦ وعليها ما يدل على صدورها عن الجامع الأزهر - كلية الشريعة الاسلامية ، وجاء عنوانها " مذكرة في تفسير آيات الأحكام " ثم صدرت طبعة أخرى بعد ذلك سنة ١٣٧٣ حذف منها كلمة " مذكره في " وبقي الاسم تفسير آيات الاحكام ، وأضيف اليها اسم من أشرف على التنقيح والتصحيح .

وأحسب أن هذه المذكره وضعها أحد المشايخ لتلاميذه في الأزهر ثم تناوبتها أيدي المشايخ من بعده بالحذف والاضافه والتنقيح والتغيير ونحو ذلك . فلم ينسبها أحد لنفسه فبقيت مجهولة المؤلف .

كما أن هناك فارق بين الطبعتين المذكورتين أن الأولى تزيد على الاخيريه بتفسير آيات الأحكام في سورتي العنكبوت والروم بينما حذفت من الاخيريه .

وسأعتمد في الاشارة الى النقول هنا على الطبعه الأخيريه المنقحه المصححه والله الهادي .

نماذج من تفسيره :

فرض الرجلين في الوضوء :

قال في ذلك عند تفسير قوله تعالى " وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين " (١) وقوله وأرجلكم بالنصب معطوف على وجوهكم فيجب غسل الأرجل الى الكعبين يؤيد ذلك عمل النبي صلى الله عليه وسلم وعمل أصحابه في حياته وبعد مماته فكان الحكم مجمعا عليه وأما قرآه الجبر فمحموله على الجوار كما في قوله في سورة هود " انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم " بجر الميم لمجاورة يوم المجروره ،

(١) سورة المائدة : من الآيه ٦

وفائدة الجر للجوار هنا في قوله وأرجلكم التنبيه على أنه ينبغي الاقتصاد في صب الماء على الأرجل وخص الأرجل بذلك لأنها مظنة الاسراف لما يعلق بها من الأدرا^(١)

خمس الغنائم :

والنص الوارد في ذلك كما مر بنا قوله تعالى " واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل " الآية^(٢)

قال المؤلف " هذه الآية بينت أن غنائم الحرب تخمس فيجعل خمس لله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وأربعة الأُخماس الباقية بينت السنه أنها تقسم على الجيش للرجل سهم وللفارس ثلاثة أسهم أو سهمان على اختلاف في الروايات "

وقال " وقد ذكرت الآية أن الخمس لسته :-

أولها : الله عز وجل وقد اختلف المفسرون فيه على قولين :-

١ - أن قوله " لله خمسه " مفتاح كلام لم يقصد به أن الخمس يقسم

على ستة منها الله ، لله الدنيا والآخرة ، بل يقسم الخمس

على خمسة للرسول ولذي القربى الخ ويكون الغرض من ذكر

الله تعليمنا التبرك بذكره وافتتاح الأمور باسمه أو يكون

معناه أن الخمس مصروف في وجوه القرب الى الله ثم بين

تلك الوجوه فقال للرسول ولذي القربى فأجمل أولا ثم فصل ...

٢ - أن المراد لبيت الله فسهم الله يصرف في الكعبه نقل عن أبي العالیه

والظاهر القول الأول لاجماع الحجه عليه .

(١) تفسير آيات الاحكام : تنقيح محمد على السائس ج ٢ ص ١٧٣

(٢) سورة الانفال : من الآية ٤١

ثانيها : رسول الله وقد ذكر بعضهم أنه افتتاح كلام كما قالوه في " الله " والغنيمة تقسم على أربعة ، وقال الأكثرون أن الغنيمة تقسم على خمسة أولها سهم الرسول يضعه حيث رأى .

ثالثها : ذو القربى : والمراد بها قرابة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد اختلف في ذوى القربى فقيل هم قرابة رسول الله من بنى هاشم وقيل هم قریش كلها ، وقيل هم بنو هاشم وبنو المطلب وهو الراجح

رابعها : اليتامى وهم أطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم

خامسها : المساكين وهم أهل الفاقة والحاجة من المسلمين .

سادسها : ابن السبيل وهو المجتاز سفرا قد انقطع به .

وقد خالفت المالكية هذه الأقوال المتقدمة جميعها ، ورأوا أن

خمس الغنيمه يجعل في بيت المال ينفق منه على من ذكره على غيرهم بحسب

ما يراه الامام وكأنهم رأوا أن ذكر هذه الأصناف على سبيل المثال وهو من

باب الخاص أريد به العام ، وأصحاب الأقوال المتقدمه رأوا أنه من باب

الخاص أريد به الخاص" (١) .

نكاح المتعه :

قال من قوله تعالى " ما ستمتعتم به منهن فأتوهن أجورهن فريضة

ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة " (٢) قال انها " أمر

بايتاء الأزواج مهورهن وأجاز الحط بعد الاتفاق برضا الزوجين - وعلى

ذلك تكون الآيه نزلت في النكاح المتعارف .

(١) تفسير آيات الأحكام : تنقيح محمد على السائيس ج ٣ ص ٦-٨

(٢) سورة النساء من الآيه : ٢٤

وقيل نزلت في المتعه وهي أن يستأجر الرجل المرأة بمال معلوم الى أجل معين ، وكان الرجل ينكح امرأة وقتا معلوما ليله أو ليلتين أو اسبوعا بثبوت أو غير ثبوت ويقضى منها وطرا ثم يتركها .

واتفق العلماء على أنها كانت جائزه ثم اختلفوا فذهب الجمهور الى أنها نسخت وذهب ابن عباس الى أنها لم تنسخ وهناك روايه عنه أنها نسخت وروى أنه رجع عن القول بها قبل موته .

والراجع أن الآيه ليست في المتعه لأن الله ذكر المحرمات في النكاح المتعارف ثم ذكر أنه أحل ما وراء ذلكم أى في هذا النكاح نفسه .

والراجع أن حكم المتعه الثابت بالسنة قد نسخ لما أخرجه مالك عن على أن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن متعة النساء وعن أكل لحوم الحمير الأنسيه .

وروى الربيع بن سبره الجهني عن أبيه قال غدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو قائم بين الركن والمقام مسندا ظهره الى الكعبه يقول " يا أيها الناس انى أمرتكم بالاستمتاع من هذه النساء" ألا وان الله قد حرمها عليكم الذى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شئ فليخل سبيلها لا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا .

وروى عن عمر لا أوتى برجل تزوج امرأة الى أجل الا رجعتها بالحجاره (١) ويدل على تحريم المتعه قوله تعالى " والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيماهم " (٢) والمستمتع بها ليست ملك يمين بالاتفاق ، وليست زوجه لانتفاء خصائص الزوجيه عنها لأنها لا ترثه ولا يلحق به ولدها . (٣)

(١) مصنف ابن أبى شيبه ج٤ ص ٢٩٣ وسنن ابن ماجه : ابواب النكاح ج ١ ص ٦٥

(٢) سورة المؤمنون : من الآيه ٦

(٣) تفسير آيات الأحكام : تنقيح محمد على السائيس ج ٢ ص ٧٦ - ٧٧

نكاح الكتابيات :

ذكر المؤلف في قوله تعالى " ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنن " الآيه (١) أنه " قد اختلف العلماء في هذه الآيه فذهب بعضهم الى أن لفظ المشركات يعم كل مشركه سواء أكانت وثنيه أم يهوديه أم نصرانيه ولم ينسخ أو يخص منها شىء فيكن جميعا قدم حرم على المسلم زواجهن .
وذهب بعضهم على أن المراد بالمشركات من لا كتاب لهن من المجوس والعرب دون الكتابيات ، وذهب بعضهم الى أن المراد المشركات عام في جميع من ذكرن الا أنه نسخ بقوله " والمحصنات من الذين أتوا الكتاب من قبلكم " (٢)

ثم ذكر المؤلف سبب الخلاف وأنه فرع عن التفريق بين الكافر والمشرك ثم علق على ما روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فرق بين طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه ، وزوجته اليهوديه ، وبين حذيفه بن اليمان وزوجته النصرانيه فقال " ورحم الله عمر بن الخطاب فقد كان ينظر الى مصالح المسلمين نساءهم ورجالهم وتسوسهم بالنظر والمصلحه ، وما أحوجنا الى مثل هذه السياسه فان كثيرا من الشباب المسلمين فى مصر رغبوا عن زواج المحصنات المسلمات الى زواج الكتابيات الأجنبية " (٣)

قطع اليد السارق :

ونص على ذلك قوله تعالى " والسارق والسارقه فاقطعوا أيديهما " (٤)
قال المؤلف " واليد تطلق على العضو المخصوص الى المنكب ، وعلى هذا العضو الى مفصل الكف كما فى قوله تعالى لموسى عليه السلام (وأدخل

(١) سورة البقره : من الآيه ٢٢١

(٢) سورة المائده : من الآيه ٥

(٣) تفسير آيات الأحكام : تنقيح محمد على السائيس ج ١ ص ١٢٧ - ١٢٨

(٤) سورة المائده : من الآيه : ٣٨

يدك فى جيبيك تخرج بيضاء من غير سوء" (١) والمراد ما كان الى مفصل الكف ولا خلاف بين السلف من الصدر الأول ولا بين فقهاء الأصارفى أن قطع يد السارق يكون الى مفصل الكف لا الى المرفق ولا الى المنكب، وقال الخواجه تقطع الى المنكب وقال قوم تقطع الأصابع فقط .

حجة الجمهور مارواه محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان عن أبى هريره رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع يد السارق من الرسغ وما روى عن على بن أبى طالب وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما أنهما كانا يقطعان يد السارق من مفصل الرسغ فكان هو المعول عليه" (٢)

رأى فى هذا التفسير :

وان كان لى من ملاحظات على هذا التفسير فهى ملاحظات بعضها أشرت اليه فى التفاسير التى قبله وبعضها خاص به .

أما الأول منها فكونه مؤلفا لطلاب يلتزم فيه المؤلف بالمنهج المقرر عليهم فيؤدى به هذا الالتزام الى الاختصار لا أقصد الاختصار المحمود بل الاختصار القاصر الذى يجعل صاحبه يعرض عن بيان بعض الأحكام جملة وعن بيان أدلة بعض الآراء الأخرى أحيانا أو ترجيح رأى لم تستوف أدلة ترجيحه ونحو ذلك .

أما الثانى فملا حظه خاصه وأحسبها ترجع الى تعاقب المؤلفين على هذا التفسير أو تعدد هم وهى ذلك الاضطراب فى بعض العبارات والأخطاء اللغويه فى بعضها . والله الموفق .

(١) سورة النمل : من الآيه ١٢

(٢) تفسير آيات الأحكام : محمد على السائس ج ٢ ص ١٩١

رابعاً : تفسير آيات الأحكام

أولاً : المؤلف : (١)

هو أبو محمد مناع خليل القطان .
ولد في شهر أكتوبر ١٩٢٥ م في قرية " شنشور " مركز أشمون من
محافظة المنوفية .

حياته العلمية :

بدأ حياته العلمية بحفظ القرآن الكريم في كتاب القرية ، والتحق
بمدرستها الابتدائية ثم التحق في شبين الكوم بالمعهد الديني ومن
أبرز مشايخه في تلك الفترة الشيخ عبد الرزاق عفيفي والشيخ عبد المتعال
سيف النصر والشيخ علي شلبي ، ثم التحق بكلية أصول الدين وتخرج
سنة ١٩٥١ م مع اجازة التدريس ، ومن أساتذته في هذه الفترة محمد
زيدان ، والدكتور محمد البهي والدكتور محمد يوسف موسى

تدريسه :

أعير للتدريس في المملكة العربية السعودية سنة ١٩٥٣ للتدريس
بالمعهد العلمي الى سنة ١٩٥٨ م ثم انتقل للتدريس في كلية الشريعة
 بالرياض سنة ١٣٧٨ وشارك في التدريس بالمعهد العالي للقضاء منذ
افتتاحه سنة ١٣٨٧ وعين مديراً للمعهد سنة ١٣٩٢ .

مؤلفاته :

له عدد من المؤلفات منها :-

- ١ - مباحث في علوم القرآن .
- ٢ - تفسير آيات الأحكام .

(١) انظر ترجمته في :

- ١ - الدراسات القرآنية المعاصرة : محمد بن عبد العزيز السديس
ص ١٦٥ - ١٦٦
- ٢ - علماء ومنكرون عرفتهم : محمد المجذوب ص ٤٢٥ - ٤٣٧

- ٣ - نظام الأسره فى الاسلام .
- ٤ - التشريع والفقہ فى الاسلام تاريخا ومنهجيا .
- ٥ - نظرية التملك فى الاسلام
- ٦ - الثقافه الاسلاميه .
- ٧ - الدعوه الى الاسلام .
- ٨ - الحديث والثقافه الاسلاميه .

ثانيا : التفسير

تفسير آيات الأحكام :-

ويقع فى جزئين : الأول منهما يحوى مقرر السنه الثالثه فى كلية الشريعه بالرياض وعدد صفحاته ١٨٧ والثانى يحوى مقرر السنه الرابعه فيها وعدد صفحاته ٢٢٠ بدون الفهارس
وصدرت الطبعه الأولى من التفسير عن المكتب الاسلامى سنه
١٣٨٤ .

طريقته فى التفسير :

ذكر المؤلف فى مقدمته الحامل له على تأليف هذا التفسير فقال
" وقد حملني على كتابته - حين عهد الى بتدريس مادة التفسير بكلية الشريعه بالرياض رغبة الطلاب فى تدوين الدرس واملائه ، حتى يتوفر عليهم الجهد فى البحث بأمهات الكتب وانى اذ أستجيب لرغبتهم أوصيهم بالاعتماد على المراجع والتدريب على منهج المفسرين فذلك سبيل العلم "

اذا فهو من التفاسير التى ألفت لفئة معينه أولا وعلى حسب منهج مرسوم سلفا لايزيد عنه ولا ينقص منه ثانيا لذا فقد بدأ فى التفسير من سورة الانعام وانتهى بسورة الاحزاب .

والمؤلف يذكر الآيه التي يريد تفسيرها ثم يذكر بعدها سبب نزولها ان كان له سبب ثم أحيانا يذكر صلة الآيه بما قبلها تحت عنوان الربط حيناً وتحت عنوان مكان هذه الآيات من السوره ، حيناً آخر وتحت عنوان صلة الآيه بما قبلها حيناً ثالثاً ثم المفردات والأعراب ويذكر فيه القراءات ان كان في الآيه قراءات ثم بعد ذلك ان كان بين العلماء اختلاف في تفسير الآيه عقد عنوان " الأحكام " وان لم يكن بينهم خلاف جعل العنوان " ما يستفاد من الآيات " ويختم بعض الآيات ببيان حكمة التشريع .

هذه هي عناصر تفسيره لآيات الأحكام قد تجتمع في آيه وهو قليل وقد لا تجتمع على ما أشرنا اليه

وهو في كل هذا يلتزم عقيدة أهل السنة والجماعة في آيات العقائد ان عرضت له ، ويلتزم المذاهب الصحيحه في آيات الأحكام معرضاً عن المذاهب الباطله منتقدا لها .

نصائح من تفسيره :-

فاية الجهاد في الاسلام :

يرى الشيخ مناع أن غاية القتال في الاسلام أن لا يوجد شرك بدفع المسلمين الى البلاء والشده ، وحتى لا يفتن مسلم عن دينه بضروب الإلحاد والفساد ودليله لهذا قوله تعالى " وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير وان تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير" (١) فقال في حديثه عن الأحكام في الآيه :-

(١) سورة الانفال : الآيتين ٣٩ - ٤٠

" حددت الآيه غاية القتال فى الاسلام وهى زوال الأديان الباطله جميعا من العالم ، حتى لا يبقى شرك ، ويكون التوحيد خالصا لله " وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله " وفى الصحيحين " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا اله الا الله ، فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها ، وحسابهم على الله عز وجل " (١) ومقتضى ذلك : فقال من امتنع عن الدخول فى الاسلام أما ترك قتال من يؤدى الجزيه ، فلتخصيص أهل الكتاب من العموم فى الآيه والحديث حيث أن المراد التعبير عن اعلاء كلمة الله ، واذعان المخالفين ، والغرض من دفع أو ضرب الجزيه اضطرارهم الى الاسلام ، فالمعنى المقصود : الأمر بالقتال حتى يسلموا ، أو يلتزموا ما يؤدى بهم الى الاسلام ، وبهذا يتبين أن القتال بأى دافع آخر ، كالوطنييه والقومييه ليس قتالا فى سبيل الله " (٢)

وأكد الشيخ مناع هذا المفهوم عند حديثه عن حكمة التشريع فى هذه الآيه حيث رد على طائفة من المسلمين بقوله " وهذه الآيه ترد على هؤلاء الذين يتملقون خصوم الاسلام ، بتحريف الكلم عن مواضعه فى رد دعوى انتصار الاسلام بالسيف ، حيث يقولون بحريية الأديان مستدلين بما جاء فى صدر الاسلام مثل قوله تعالى " لا اكراه فى الدين " البقره : ٢٥٦ وتظهر حكمة مشروعية القتال فى

(١) صحيح البخارى : كتاب الايمان ج ١ ص ١١ - ١٢ صحيح مسلم

كتاب الايمان ج ١ ص ٥٢

(٢) تفسير آيات الاحكام : مناع القطان ج ١ ص ٦٦ ، قلت : رد أبى عبيده بن الجراح رضى الله عنه الجزيه على أهل بعض بلاد الروم لما عجز عن الدفاع عنهم وقوله " ما كان لنا أن نأخذ أموالكم ولا نمنع بلادكم " يدل على أن أخذها مقابل حمايتهم ونشر الأمن فى بلادهم وما يلزم ذلك من مؤنه ، فلا يصح القول بأن أخذها لاضطرارهم الى الاسلام والا لكان هناك ما هو انجع من وسائل الاضطرار .

الاسلام اذا عرفنا أنه ضروره اجتماعيه لاقامة الحق واعلاء الدين ، والا لتغلب أهل الشر والفساد (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا " الحج : ٤٠ . وما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفك الدماء وما كان انتشار دينه على أشلاء اعدائه ، ولكنه رحمة الله المسداه لانقاذ الانسانيه من أضرار الشرك والشقاء ، ويلسمها الشافي لعلاج أمراضها ، حتى يحقق لها السعادة والأمن والرخاء تحت لواء شريعة الله ، فلا ضير على الاسلام أن يجبر^(١) الكفار على الدخول فيه لأنه يقدم لهم السعادة فى الدنيا ، والثواب فى الآخرة ، كما لا ضير على طبيب يجبر مريضا على تناول الدواء لأنه يقدم له ما فيه علاجه وعافيته " (٢)

خمس الغنائم :

فى الحكم الخامس من الأحكام التى ذكرها فى قوله تعالى " واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسة وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل " (٣) الايه قسم الشيخ مناع أقوال العلماء فى خمس الغنائم فقال " اختلف فى كيفية تقسيم الخمس - فقال بعضهم : ١ - يقسم الخمس على ستة ، لظاهر الآيه فالسدس الأول لله ، ويجعل للكعبه وورد عن أبى العالیه أثر ضعيف فى ذلك . ٢ - وزعم بعض أهل البيت أن الخمس كله لهم ، دون غيرهم وهذا زعم باطل .

(١) نص القرآن الكريم على أنه " لا اكراه فى الدين " فلا ينبغي أن نقول أنه لا ضير أن يجبر الكفار على الدخول فيه وأحب أن أشير الى وجوب التفريق بين الاجبار على الدخول فى الدين والاكراه على اقامة نظام اسلامى يظلل البشريه كلها ، فالأول محظور بنص القرآن والثانى واجب بنصوص الجهاد .

(٢) تفسير آيات الأحكام : مناع القطان ج ١ ص ٦٦ - ٦٧

(٣) سورة الانفال : من الآيه ٤١

٣ - وقال كثير من أهل العلم : يقسم الخمس على خمسة . وسهم الله وسهم رسوله واحد يصرف في مصالح المسلمين وذكر اسم الله في الآيه استفتاح كلام ، للتعظيم وبهذا قال أحمد والشافعي ، وأبو حنيفة ، الا أنهم اختلفوا في سهم رسول الله وسهم ذوى القربى بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم والمشهور : أن سهم الرسول باق للامام .

٤ - وقال جماعة ان خمس الغنيمه موكول الى نظر الامام واجتهاده ، فيأخذ منه من غير تقدير ويعطى القرابه باجتهاده ويصرف الباقي في مصالح المسلمين والمراد بذكر الله في الآيه بيان أن الخمس يصرف في وجوه القرب الى الله وتخصيص الوجوه المذكورة ، للتنبيه على فضلها ، وهو قول مالك ، وأيده ابن تيميه وقال عليه أكثر السلف ، وهو أصح الأقوال (١)

الدولة : دين وسياسه :

وعند تفسيره لقوله تعالى " وداود وسليمان اذ يحكما في الحرث اذ نفشت فيه غم القوم وكنا لحكمهم شاهدين " (٢)

أنكر الشيخ مناع على أولئك الذين فصلوا بين الدين والسياسه فعند من الأحكام لهذه الآيه أن " فيها جمع سلطه النبوه ، والحكم وسياسه الأمور وحماية الدولة في الشريعة ، فكيف يسوغ للمارقين عن شريعة الاسلام فصل الدين عن الدوله مع عموم رساله الاسلام ، وكما لها ؟ " (٣)

(١) تفسير آيات الأحكام : مناع القطان ج ١ ص ٧١

(٢) سورة الأنبياء : الآيه ٧٨

(٣) تفسير آيات الاحكام : مناع القطان : ج ٢ ص ٩

ثم قال فى المعنى الاجمالى لهذه الآيه " وبهذا جمع الله فى سلطة داود الدين والدوله أو النبوه والحكم ، وقد عرف الناس فى تاريخ الحضاره الغربيه ثورتها على الكنيسه ورجالها ، لأسباب ليست فى طبيعه الاسلام وحضارته ويأبى بيغاواتنا المستغريون ، الا أن ينهجوا نهج أساتذتهم فيقفوا من الاسلام ورجاله موقف أولئك من الكنيسه ورجالها حتى فصلوا بين الدين والدوله ، وعزلوا الاسلام عن تنظيم حياة المجتمع ، وسياسة شئون الأمه فأصبحت الشريعه المحمديه فى معظم ديار الاسلام طقوسا تعبديه ، يؤديها من يشاء فى المنزل أو المسجد ، أفلا ينظر هؤلاء الى داود فى نبوته وحكمه . وقد كانت رسالته قبل رساله محمد صلى الله عليه وسلم بعشرات القرون ، ليأخذوا من ذلك العظه والعبره ^(١) " .

حجاب المرأة :

فى قوله تعالى " مخاطبا نساء المؤمنين " ولا يبدن زينتهن الا ما ظهر منها " ^(٢) قال الشيخ مناع " والذى يدل عليه سياق الآيه النهى عن ابداء الزينه الا ما كان ظاهرا لا يمكن اخفاؤه ، أو ظهوره بدون قصد ، فيما لا بد منه للمرأة من حركه أو اصلاح شأن أو هبوب ريح أو نحو ذلك مما تدعوا اليه الضرورة لأن قوله تعالى " الا ما ظهر منها " يفيد أنه ظهر بنفسه من غير قصد ، وهذا بخلاف ما يتعمد الانسان اظهاره .

وعلى هذا فلا يصح أن يرجع الخلاف فى وجوب ستر الوجه والكفين أو عدم وجوب ذلك الى الآيه ، وانما يرجع الى اختلاف الأدله من السنه فيستدل من يرى عدم الوجوب بحديث خطبة العيد ، حيث يقول الرواى : فقامت امرأة من وسط النساء سفعاء الخدين ^(٣) ، ويحدث

(١) تفسير آيات الأحكام : مناع القطان ج ٢ ص ١٠

(٢) سورة النور : من الآيه : ٣١

(٣) صحيح مسلم كتاب العيدين ج ٢ ص ٦٠٣ مسند الامام أحمد ج ٣ ص ٣١٨ سنن الدارمي العيدين ج ١ ص ٣٧٧ والنسائي العيدين ج ٣ ص ١٨٦

المراه الخثعميه فى الحج التى جاءت تستفتى رسول الله صلى الله عليه
عليه وسلم وقد أردف خلفه الفضل بن عباس فأخذ يلتفت إليها وتنظر
إليه والرسول يحول وجهه من الشق الآخر ، ويعدم وجوب ستر ذلك فى
الصلاة والحج .

واستدل من يرى وجوب ستر الوجه والكفين ، بقول عائشه فى
حديث الافك حين استيقظت على استرجاع صفوان : فخرمت وجهى
بجلبابى ، ويقولها كان الركبان يمرون بنا ونحن مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم محرمات . فاذا جازوا بنا أسدلت احدانا جلبابا بها من رأسها
على وجهها ، والنهى عن انتقاب المراه المجرمه ، ولبس القفاز دليل على
أن النقاب والقفاز كانا معروفين فى النساء اللآتى لم يحرمن وذلك
يقتضى ستر وجوهن وأيديهن . وفرق بين لباس الصلاة والحجاب فالمرأة
لا يجوز لها أن تسلى مكشوفة الرأس ولو كانت فى بيتها لا يراها أحد . وفى
غير الصلاة يجوز لها ذلك فالحجاب شىء آخر فوق زينة الصلاة وان سمي
ذلك الفقهاء " باب ستر العوره فى الصلاة " .

هذا وقد اتفق الجميع على منع النساء أن يخرجن سافرات الوجوه
عند خوف الفتنه أو كثرة الفساق ونحن فى عصر تفنن فيه النساء فى تزيين
وجوههن وأيديهن بأنواع من الزينه ، والأصيفه ، وضعف الايمان ، وكثير
الفساد ، وأهدرت الفضيلة وعمت الفتنه فلا ينبغى لمسلم أن يشك فى
وجوب ستر الوجه والكفين قطعا لدا بر الشر ، ولو وقف الأمر عند الوجه
والكفين فى المجتمعات السافره لهان الخطب بل كشفت المرأة باسم
المدنيه --- والحريه فى ديار الاسلام عن الساق والخذ والرأس والصدر
والظهر وأظهرت تفاصيل ما سترته من جسدها بما يثير الفتنه ويجعل
العرى أهون شرا منه (١)

(١) تفسير آيات الأحكام : مناع القطان ج ٢ ص ١٠١ - ١٠٢

ويعد

هذه بعض الأمثلة من تفسير آيات الأحكام عند الشيخ مناع القطان
وانما لم نذكر بعض الأحكام الأخرى التي وقع الخلاف فيها بين أهل السنه
ومن عداهم لكون المؤلف لم يتناولها في تفسيره اذ بدأ تفسيره كما
أشرنا من سورة الأنعام وانتهى بسورة الأحزاب فلم يكن شاملا لسور القرآن
ولم يكن لأحكام السورة كلها متقصيا وهي كما قلنا فيمن سبقه ضربيه
الالتزام بالمنهج الدراسي اذ الكتاب مؤلف لطائفة من الطلاب وليس
تفسيرا شاملا . وفيما ذكرنا كفاية ان شاء الله للدلالة على اتجاه
المؤلف .

خامسا : قيس من التفسير الفقهي

أولا : المؤلف

هو الدكتور الشافعي عبد الرحمن السيد ، ولم أعثر له على ترجمه .

ثانيا : التفسير :

هو قيس من التفسير الفقهي (بحوث في بعض آيات القرآن الكريم) ومن عنوان الكتاب " قيس " و " بعض آيات " يتضح أن مادة الكتاب ما هي الا بحوث فقيهيه في بعض آيات الأحكام في القرآن الكريم .

وإذا ما القينا نظرة على هذا التفسير وجدنا عدد صفحاته تبلغ ٢٠٨ صفحه كما وخمسة د روس أو ان شئت فقل تفسير خمس آيات كيفاً والكتاب يذكرني بتفسير الجصاص وابن العربي والقرطبي في توسعهم في تفسير آيات الأحكام حتى كادت تختلط بكتب الفقه وأحسبه لو فسر آيات الأحكام كلها لجاء تفسيره هذا لا يقل عنها حجماً أيضاً .

وقد وضع الدكتور الشافعي في مقدمة تفسيره هذا منهجه في التفسير بقوله " ولما كان من الخطأ الذي يقع فيه البعض أن يقدم على بحث مسأله من المسائل أو تقرير حكم من الأحكام وفي ذهنه ترجيح مسبق لبعض الآراء على بعضها الآخر أو لديه حافز يغيره بالعمل على نصر فريق على آخر ربما كان هذا الحافز ولاءه لمذهب من المذاهب أو حاكم من الحكام .

فأننى سوف أعمل ما وسعنى من جهد لتجنب هذا الخطأ وسأعرض في تناولى لبعض آيات الأحكام بعض معاني مفرداتها من الناحية اللغويه والعربية (كذا) بقدر ما يتضح به المعنى ثم أجمل المعنى العام للآيه الكريمة وأربطها بما يسبقها مع ذكر سبب نزولها ان وجد .

وبعد ذلك أعرض لما تشتمل عليه من أحكام في مسألة أو مسائل على حسب ما يقتضيه المقام : وسأذكر ان شاء الله المسألة والآراء فيها وأدلة كل رأى والمناقشات التي وردت عليها ثم ان بدا لي ترجيح بعضها فعلت والا فحسبي أننى ذكرت الأدلة ومناقشاتهما من مصادرها المختلفه ثم صغتها في عبارة سهلة ميسره وترتيب حسن يعطى فكره شامله للموضوع كله " (١)

وقسم تفسيره الى خمسة د روس تناول في كل درس آيه من آيات الأحكام هن حسب ورودها عنده كما يلي

الدرس الأول في الحج

تفسير قوله تعالى " ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً " (٢) وجاء فيه ٥٢ صفحه .

الدرس الثانى : المحافظة على أموال السفهاء واليتامى

تفسير قوله تعالى " ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معرفاً " (٣) وجاء فى . ٥ صفحه .

الدرس الثالث : القتل الخطأ ، وما يتعلق به من أحكام

تفسير قوله تعالى " وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً الا خطأ " (٤) الآيه وجاء تفسيرها فى ٥٣ صفحه .

(١) قيس من التفسير الفقهى : الدكتور الشافعى عبد الرحمن السيد

ص — ٤

(٢) سورة آل عمران الآيتان ٩٦ - ٩٧

(٣) سورة النساء الآيتان ٥ - ٦

(٤) سورة النساء : من الآيه ٩٢

الدرس الرابع : بعض أحكام القتل العمد

تفسير قوله تعالى " ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما " (١)
وجاء تفسيرها في ٢٤ صفحة .

الدرس الخامس : تضر الصلاة في السفر

تفسير قوله تعالى " واذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ، ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا " (٢)

هذه هي الدروس الخمسة وهذه هي الآيات الخمس أو تزييد وكما أنه لا يسعنا أن نورد مثالا كاملا لتفسير آية فانه لا يسعنا الا أن نورد عرضا لتفسير درس من دروسه حتى نرى عمق الأبحاث الفقيهيه فيه والتي قد لا تجدها في كبير كتب الفقه ومثال ذلك .

الدرس الثاني : المحافظه على أموال السفهاء واليتامى

ذكر أولا نص الآيه ثم صلتها بما قبلها ثم معاني المفردات ثم المعنى العام للنص الكريم ، وكل هذه الأبحاث التفسيريه حقا لم تتجاوز تسع صفحات أما البقيه فعقد بحثا عنوانه " بعض المطالب التي يتضح من خلالها ما في النص الكريم من أحكام " ومن هذه المطالب :-

المطلب الأول (في الحجر على السفیه)

بين فيه معنى الحجر لغه واصطلاحا ومعنى السفه كذلك ثم آراء العلماء في الحجر على السفیه وبسط أدلة كل قول من الكتاب والسنة ثم بحث في من يضرب الحجر على السفیه ؟

(١) سورة النساء : الايه ٩٣

(٢) سورة النساء : من الآيه ١٠١

المطلب الثاني : فى تصرفات السفهه

تحدث عن تصرفاته قبل الحجر عليه ، ثم بعد الحجر عليه وقسم الأخر الى تصرفات فيما ليس بمال وتصرف بما كان ماليا وتصرف بما يفضى الى المالىه وبحث كل نوع على حده .

المطلب الثالث : الانفاق على السفهه

وفصل القول فيه وذكر أقوال العلماء وأدلتهم .

المطلب الرابع : كيفية اختبار اليتامى وشروط دفع أموالهم اليهم

فتحدث أولا عن كيفية اختبارهم ثم ثانيا عن شروط دفع المال اللى اليتيم فذكر أقوال العلماء فى الشرط الأول (بلوغ النكاح) وفصل القول فيه ثم فى الشرط الثانى (ايناس الرشد) ثم ذكر الخلاف فى شرط ثالث .

ثم تحدث عن تصرف المرأه فى مالها وذكر آراء العلماء وأدلتهم ثم عن الاشهاد على الدفع ثم تحذير للأولياء

المطلب الخامس : ما يحل للأولياء من مال اليتامى

ذكر فيه أقوال العلماء فى المخاطب بهذه الآيه " ومن كان غنيا فليستعفف " الآيه وأدلة كل قول ثم بحثا عنونه بالتكليف الفقهى لما يأكله الولى والقول بأنه أجبره ثم بحث ماوجه لهذا الرأى من نقد ثم القول بأنه قرص ثم القول بأنه رزق للأولياء ثم استنتاج .

ومن هذا العرض للأبحاث التى تناولها عند تفسير الآيه السالفه يتضح لنا مدى تعمقه فى الأبحاث الفقهييه حتى يحسبه القارىء كتابا فى الفقه قدم صاحبه لكل درس فيه بأيه وبعض تفسير لها .

ومعذره اذا كان عرضي لهذا التفسير من دون ذكر أمثله فما تركت ذلك الا خشية الاطاله وفيما عرضت بيان لمنهجه وفيه الكفايه والسداد ان شاء الله .

سادسا : دراسات فى تفسير بعض آيات الاحكام

أولا : المؤلف

هو الدكتور كمال جودة أبو المعاطي
مدرس الفقه المقارن ، بكلية الشريعة والقانون - فى جامعة
الأزهر ، وهو أيضا لم أجد له ترجمه .

ثانيا : التفسير

دراسات فى تفسير بعض آيات الأحكام

صدرت الطبعة التى بين يدي سنة ١٤٠٠ وعدد الصفحات ١٨١ صفحة
بدون الفهارس .

لخص المؤلف طريقته فيه بقوله " فهذه دراسات فى تفسير بعض
آيات الاحكام . وقد حاولت فى هذه الدراسات تفسير الآيات المختاره
بما قاله علماء التفسير القدامى منهم والمحدثون مرجحا ما رأيتة جديرا
بالترجيح ومضعفا ما كان جديرا بالتضعيف .

كما حاولت المحافظة على الأسلوب العلمى الرصين والممتاز لأعلام
المفسرين موضحا ما يحتاج الى توضيح ، وقد نسقت ذلك كله فى صورته ميسره
توفر على الدارس الكثير من العناء والجهد " (١)

وهذا التفسير قريب من سابقه فقد قسمه مؤلفه الى أربعة أبواب
تناول فى الباب الأول أربع آيات من سورة الانفال ، وفيها الباب الثانى
ثمانى آيات من سورة التوبه وفى الباب الثالث مثلها من سورة النحل وفى
الباب الرابع آيتين من سورة الاسراء وآيه من سورة الكهف .

(١) دراسات فى تفسير بعض آيات الأحكام : الدكتور كمال جودة أبو المعاطي

ومن هذا يظهر أنه غير شامل لسور القرآن بل ولا آيات الأحكام ففى السور التى تناولها وانما قصد صاحبه فيه الاختصار .

والمؤلف يقدم أحيانا تمهيدا للسورة التى يتناول آيات الأحكام منها ثم يتناول الآيه الأولى تحت عنوان الفصل الأول : أما الابحاث التى يعقد ها تحت هذه الفصول عادة فهى مبحث فى توضيح بعض المفردات ومبحث فى أسباب النزول ومبحث فى ما يستنبط من الآيه وأحيانا يربط الآيه بما قبلها وأحيانا يجمع معنى الآيه وعدة أبحاث فى دراسات فقيهه للآيه التى يتناولها .

مثال من تفسيره :

وهذه بعض الأمثلة من تفسيره :-

خمس الغنائم :

وذلك فى قوله تعالى " واعلموا أنما غنمتم من شىء " فأن لله خمس^(١)

الآيه

قال : - المبحث الأول فى توضيح بعض المفردات .

(واعلموا انما غنمتم) والغنيمه فى اللغه : ما ينال الرجل أو الجباعه

بسعي ، والمغنم والغنيمه بمعنى واحد ، يقال : غنم القوم غنما

ومغنما .

واعلم أن الاتفاق حاصل على أن المراد بقوله تعالى " غنمتم من شىء " "

مال الكفار اذا ظفربه المسلمون على وجه الغلبه والقهر ، ولا تقتضى

اللغه هذا التخصيص على ما بيناه ، ولكن عرف الشرع قيد اللفظ بهذا

النوع " (٢)

(١) سورة الانفال : من الآيه ١٤

(٢) دراسات فى تفسير بعض آيات الأحكام : د / كمال جودة أبو المعاطى ص ٢٠

المبحث الثاني فى كيفية قسمة الغنائم وقال فيه " اعلم أن هذه الآيه تقتضى أن يؤخذ خمسها وفى كيفية قسمة ذلك الخمس قولان :-
الاول : وهو المشهور أن ذلك الخمس يخمس فسهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم) وسهم لذوى قرباه من بنى هاشم وبنى المطلب ، دون بنى شمس وبنى نوفل . . . وثلاثة أسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل ، وأما بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فعند الشافعى - رحمه الله - أنه يقسم على خمسة أسهم سهم لرسول الله يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح . وسهم لذوى القربى أغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين ، والباقى للفرق الثلاثة وهم : اليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل ، وقال أبو حنيفة : انه بعد وفاة الرسول عليه السلام سهمه ساقط بسبب موته ، وكذلك سهم ذوى القربى ، وانما يعطون لفقيرهم فهم أسوة بسائر الفقراء ولا يعطى أغنياءهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل ، وقال مالك ، الأمر فى الخمس مفوض الى رأى الامام ان رأى قسمته على هؤلاء فعل ، وان رأى اعطاء بعضهم دون بعض فله ذلك .

واعلم أن ظاهر الآيه مطابق لقول الشافعى - رحمه الله -
وصريح فيه لا يجوز العدل عنه الا لدليل منفصل أقوى منها ، وكيف .. ؟
وقد قال فى آخر الآيه (ان كنتم آمنتم بالله) يعنى - ان كنتم آمنتم بالله فاحكموا بهذه القسمة ، وهو يدل على أنه متى لم يحصل الحكم بهذه القسمة لم يحصل الايمان بالله .

القول الثانى :

وهو قول أبى العالى ان خمس الغنيمة يقسم على ستة أقسام فواحد منها لله وواحد لرسول الله والثالث لذوى القربى والثلاثة الباقية لليتامى

وجمع الكافرين بيد ر واللّه عظيم القدره على كل شىء وقد نصرر
المؤمنين مع قلتهم وخذل الكافرين مع كثرتهم" (١)

وبهذا انتهى تفسيره للآيه

والمؤلف كثير النقل عن الرازى والقرطبي وابن العربى وأبى السعـود
والكتاب بحاجه لتوسعه بعض الابحاث وتنقيح بعضها واصلاح بعض
جمله من حيث اللغه ، وحبذا لو قام صاحبه بتفسير بقية آيان الأحكام
نفع الله به .

وبعد

هذه هى المؤلفات فى تفسير آيات الأحكام عند أهل السنه والجماعه
والتي أطلعت عليها .

وقد اجملت ملاحظته عليها فى أول هذا الفصل بما لأرى موجبا
لاعادته .

بقى أن أقول هنا ما قلته عن تفسير أهل السنه والجماعه لآيات
العقائد فكما قلت هناك ان الحاجه ماسه لتأليف تفسير يعنى بآيات
العقائد ويرد فيه على شبهات الخصوم وتأويلات الباطنيه الباطله
فان الحاجه هنا أيضا لا تقل عنها درجه فى كتابه تفسير لا يلتزم منهج
مدرسى يقيد صاحبه - بل ينظر فى مجتمعه فيفسر آياته بما يبرز
علاجها لأمراضه ، وينظر أخرى فينفي عنها التأويلات الزائفه للفرق
الضاله وينظر ثلثه فينشر أريجها بين المسلمين داعيا الى امثالها ودفع
وازالة ما يعوق تطبيقها فى المجتمعات الاسلاميه كافه . . واننا
لمنتظرون .

ثانيا : فقه الشيعة الامامية (الاثنى عشرية)

بعد بحث وتنقيب لم أعثر على تفسير آيات الأحكام في القرآن الكريم عند الشيعة الامامية (الاثنى عشرية) ، وقد سبق القول منى أنسى سأعرض فقههم من كتب غير مقتصره على آيات الأحكام بل هي تفاسير شامله لآيات القرآن الكريم .

كما أن المجال لا يتسع لعرض كل مواضع الخلاف بين فقه أهل السنه وفقههم وانما يذكر بعض مواضعه وذلك لأحد أمرين :
أولهما : خشية الاطاله فيما لو أردنا مواضع الخلاف كلها حتى ولو كان العرض مختصرا .

ثانيهما : ان بعض مواضع الخلاف لم يرد دليله في القرآن الكريم فلا تناوله الفريقان أو يتناوله أحدهما توسعا في أبحاث الآيه لافى تفسيرها ومثله لا يدخل في مجالنا هنا .

أما المواضع التي رأينا تناولها فهي المواضع التي عرضنا تفسيرها وأقوال العلماء فيها عند أهل السنه والجماعة وها نحن هنا نعيد هذه الابحاث لبيان الآراء الفقيهيه فيها عند الشيعة ليظهر رأى كل واللله الموفق .

فرض الرجلين في الوضوء :

وعرفنا فيما سبق أن فرض الرجلين عند أهل السنه غسلهما وأدلتهم في ذلك ، أما الشيعة فيرون أن فرضهما المسح وهذا محمد حسين الطباطبائي يقول في تفسير قوله تعالى " وامسحوا برؤسكم وأرجلكم الى الكعبين " (١) " وأما قوله وأرجلكم فقد قرئ بالجر وهو لا محاله

(١) سورة المائدة : من الآيه ٦

بالعطف على رؤسكم ، وربما قال القائل : ان الجر للاتباع ، كقوله :-
" وجعلنا من الماء كل شيء حي " (الانبياء . ٣٠) وهو خطأ فان الاتباع
على ما ذكره لغة رديئة لا يحمل عليها كلام الله تعالى وأما قوله :
" كل شيء حي " فانما الجعل هناك بمعنى الخلق ، وليس من
الاتباع في شيء .

على أن الاتباع - كما قيل - انما ثبت فيما ثبت في صورة اتصال التابع
والمتبع كما قيل في قولهم جحر ضب خرب ، بجر الخرب اتباعا لافى
مثل المورد مما يفضل العاطف بين الكلمتين .

وقرىءت وأرجلكم - بالنصب وأنت اذا تلقيت الكلام مخلى الذهن
غير مشوب الفهم لم يلبث دون ان تقضي أن " أرجلكم " معطوف على موضع
" رؤسكم " وهو النصب ، وفهمت من الكلام وجوب غسل الوجه واليدين
ومسح الرأس والرجلين ، ولم يخطر ببالك أن ترد " أرجلكم " الى
" وجوهكم " في أول الآيه مع انقطاع الحكم في قوله " فاغسلوا وجوهكم
وأيدكم الى المرافق " بحكم آخر وهو قوله " وامسحوا بوجوهكم " (١)
فان الطبع السليم يأبى عن حمل الكلام البليغ على ذلك ، وكيف يرضى
طبع متكلم يليغ أن يقول مثلا : قبلت وجه زيد ورأسه ومسحت بكتفه
ويده بنصب يد عطا على " وجه زيد " مع انقطاع الكلام الأول وصلاحيه
قوله " يده " لأن يعطف على محل المجرور المتصل به ، وهو أمر
جائز دائر كثير الورد في كلامهم .

وعلى ذلك وردت الروايات عن أئمة أهل البيت عليهم السلام وأما
الروايات من طرق أهل السنة فانها وان كانت غير ناظره الى تفسير لفظ
الآيه ، وانما تحكى عمل النبي صلى الله عليه وسلم وآله وسلم وفتوى

(١) هكذا وردت ولعلها سبق قلم اذ المراد والصحيح " وامسحوا برؤوسكم "

بعض الصحابه ، لكنها مختلفه : منها ما يوجب مسح الرجلين ومنها ما يوجب غسلهما .

وقد رجح الجمهور منهم أخبار الغسل على أخبار المسح ، ولا كلام لنا معهم فى هذا المقام لأنه بحث فقهى راجع الى علم الفقه خارج عن صناعة التفسير" (١)

الى أن قال : - " فالأخرى للقائل بوجوب غسل الرجلين فى الوضوء أن يقول كما قال بعض السلف كأنس والشعبى وغيرهما على ما نقل عنهم : أنه نزل جبرئيل بالمسح والسنة الغسل (كذا) ، ومعناه نسخ الكتاب بالسنة . وينتقل البحث بذلك عن المسألة التفسيرية الى المسألة الاصولية : هل يجوز نسخ الكتاب بالسنة أولا يجوز ، والبحث فيه من شأن الأصولى دون المفسر ، وليس قول المفسر بما هو مفسر : ان الخبر الكذائى (٢) مخالف للكتاب الا للدلالة على أنه غير ما يدل عليه ظاهر الكتاب دلالة معولا عليها فى الكشف عن المراد دون الفتيا بالحكم الشرعى الذى هو شأن الفقيه" (٣)

ومن الشيعة أيضا محمد جواد مغنیه حيث قال فى تفسيره لهـذـه الآيه " وأرجلكم الى الكعبين " ورد فى الأرجل قراءتان : أحدهما النصب والاخرى الخفض . وقال السنة : يجب غسل الأرجل . لامسحها لانها معطوفه على الأيدى ، على القراءتين . أما قراءه النصب فواضح اذ الأيدى منصوبه لفظا ومحلا . وأما على قراءة الجر فللجوار والاتباع أى الرؤوس مجروره والأرجل مجاورة لها ، فجرت الأرجل لعلاقة المجاورة تماما كقول العرب " جحر ضب خرب " مع العلم بأن خرب يجب رفعه

(١) الميزان فى تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائى ج ٥ ص ٢٢٢

(٢) نسبة الى (كذا) والمعنى الخبر الفلانى .

(٣) الميزان فى تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائى ج ٥ ص ٢٢٤

لأنه صفة للججر لا للضب ، ولكنه خفض لمجاورته للضب .

وقال الشيعة : يجب مسح الأرجل لأغسلها لأنها معطوفة على الرؤوس ، أما على قراءه الجرفواضح ، اذ الرؤوس مجروره بالياء ، وأما على قراءه النصب فمعطوفه على محل الرؤوس ، لأن كل مجرور لفظا منصوب محلا .

ثم قال الشيعة : ان العطف على الأيدي لا يجوز لأمرين :-

الأول : أنه خلاف الفصاحه لوجود الفاصل بين الأيدي والأرجل وهو قوله : " وامسحوا برؤوسكم " ولو كان الأرجل معطوفه على الأيدي لقال: (وأيديكم الى المرافق وأرجلكم الى الكعبين " ولم يفصل بين الأيدي والأرجل بمسح الرأس .

الثاني : أن العطف على الأيدي يستدعي أن يكون لكل قراءه معنى مغايرا للآخر ، اذا يكون المعنى على قراءه النصب الغسل ، وعلى قراءة الجرح المسح . . وهذا بخلاف العطف على الرؤوس فان المعنى يكون واحدا على القراءتين بالاضافه الى أن الجرح للجوار رديء لم يرد في كلام الله اطلاقا " . (١) (٢)

- (١) التفسير الكاشف : محمد جواد مغنبيه ج ٣ ص ٢٣
(٢) لوقال المؤلف لم يرد في كلام العرب ، أوفى اللغه ، لملكت زمام نفسي والزمته القاعده التي التزمتها وهي الاحاله الى رأى أهل السنه ، أما وقد نسب عدم الورد الى كلام الله فاننى أسمح لنفسى أن أورد قول الشنقيطى رحمه الله تعالى فى ذلك " ومن أمثله الخفض بالمجاوره فى القرآن فى النعت قوله تعالى " عذاب يوم محييط " بخفض محييط مع أنه نعت للعذاب . وقوله تعالى " عذاب يوم السيم " ومما يدل على أن النعت للعذاب ، وقد خفض للمجاورة كثرة ورود الألم فى القرآن نعتا للعذاب . وقوله : " بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ على قراءة من قرأ بخفض " محفوظ " كما قاله القرطبي " أضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن : محمد الامين الشنقيطى ج ٢ ص ١١ - ١٢

هذا مذهب الشيعة في فرض الرجلين في الوضوء ولا يخلو ما قاله الطباطبائي أولا ومغنيه ثانيا من بعض الأقوال التي يرد عليها فتبطل وتهوى لو تعقبناها لطل ، وانما بسطنا رأى أهل السنة قبل حتى يرجع اليه من لم يسعفه ذهنه بالدليل والحجه حتى يكون على المحجه وسنعمل كذلك فيما سيأتى من أبحاث ان شاء الله تعالى .

صلاة الجمعة :

قال تعالى " يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع " الآية (١)

قال محمد جواد مغنيه في تفسيرها " صلاة الجمعة فرض كتابا وسنة واجماعا وهى ركعتان مع خطبتين قبلها ، ويكتفى بها عن صلاة الظهر وتختص بالرجال دون النساء . ولا خلاف فى شىء من ذلك بين المسلمين وانما الخلاف بينهم : هل تجب صلاة الجمعة مطلقا من غير شرط، أو تجب مع وجود السلطان أو من يستنيبه لها ؟

قال الحنفية والاماميه : وجود السلطان أو نائبه شرط . ولكن اشترط الاماميه عداله السلطان والا كان وجوده كعدمه . واكتفى الحنفية بوجود السلطان وان لم يكن عادلا .

وقال الشافعية والمالكية والحنابلة : تجب مطلقا وجد السلطان أم لم يوجد ، وقال كثير من فقهاء الاماميه : اذا لم يوجد السلطان العادل أو نائبه ووجد فقيه عادل يخير بينها وبين الظهر" (٢)

(١) سورة الجمعة : من الآية ٩

(٢) التفسير الكاشف : محمد جواد مغنيه ج ٧

ومغنيه لم يوضح حالات وجوب الجمعة ووجود الامام والعلاقة بينهما حتى يتسنى له أن يقرن الامامية مع الحنفية وهو أتباعه حريصون كل الحرص على مثل هذا ، والحالات التي لا تخرج عنها الأقوال كلها أرى :-

- ١ - وجوب صلاة الجمعة وجد السلطان أم لم يوجد وهو رأى المالكية والشافعية والحنابلة .
- ٢ - وجوب صلاة الجمعة اذا وجد السلطان وهو رأى الحنفية .
- ٣ - وجوبها مع وجود الامام العدل . وقال به طائفة من الشيعة .
- ٤ - انها لا تجب الا مع وجود الامام المعصوم وقال به طائفة من الشيعة .

ومن هذا يظهر أن الشيعة كلهم يستترطون وجود الامام العادل وخصته طائفة بالامام المعصوم .

وعلى القول الاخير لا تجب الجمعة لعدم ظهور الامام المنتظر وعلى القول الثالث لا تجب لعدم وجود الامام العدل ، وان كانت نسبه الامام للعدل أمر يختلف فيه متى يكون عد لا يصلى معه ومتى يكون غير ذلك . وبهذا يظهر أن الشيعة على القولين لا توجب صلاة الجمعة في هذه العصور ، أما وقد صدر أمر الخميني في السنوات الأخيرة بأدائها فلعله يرى أحد أمرين .

- ١ - اما أنه الامام العادل ، فتجب لذلك عنده .
- ٢ - واما أن أمره أمر ندب لا ايجاب ويؤيد هذا قوله في كتابه تحرير الوسيلة * تجب صلاة الجمعة في هذه الأعصار مخيرا بينها وبين صلاة الظهر ، والجمعة أفضل ، والظهر أحوط وأحوط من ذلك الجمع بينهما ^(١) وقوله أيضا

(١) تحرير الوسيلة : الخميني ج ١ ص ٢٣١

" لا يحرم البيع يوم الجمعة بعد الأذان في أعصارنا مما لا تجب فيه تعيينا " (١) هذا ما ادعاه ودع عنك التعارض والتضارب في عبارته على قصرها فكيف تجب على التخيير وكيف تكون الأفضل ، ويكون الظهر الأحوط وعلى كل حال قصدت من هذا أن أقول ما خلاصته أن الشيعة في العصر الحديث إما أنهم يشترطون الإمام العادل وإما أنهم يشترطون الإمام المعصوم ومن الذين يشترطون الإمام العادل وينكرون شرط الإمام المعصوم محمد الصادق حيث يقول في تفسير الآيه :-

" لا توجد أية حجة تختص فريضه الجمعة بالمؤمنين زمن حضور المعصومين ولو كانت لضربت عرض الحائط لمخالفتها الكتاب والسنة الثابتة ومنها ما رواه الفريقان (يقصد السنة والشيعة) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه خطب لأول جمعه أقامها في المدينة المنورة فقال : (ان الله افترض عليكم الجمعة في مقامي هذا ، في يومي هذا ، في شهرى هذا ، في عامى هذا ، الى يوم القيامة فمن تركها استخفافا بها ، أو جهودا لها ، فلا جمع الله له شمله ، ولا بارك له فى أمره ، ألا وصلاة له ، ألا وزكاة له ، ألا وحج له ، ألا وصيام له ، ألا ولا بر له ، ألا ولا بركة له حتى يتوب ، فمن تاب تاب الله عليه " (٢) ولم يستثن - في من استثنى - المؤمنون زمن غيبة الإمام المعصوم رغم استثناء المجنون والصغير اللذين لم يشملهما قلم التكليف " (٣)

-
- (١) تجرير الوسيله : الخميني ج ١ ص ٢٤٠
(٢) نسبه المؤلف الى " الدر المنثور ج ٦ ص ٢١٨ وسائل الشيعة ج ٣ ص ٧ ج ٢٨ وابن ماجه ج ١ ص ٣٣٤ باب فرض الجمعة " اه الا أنسى
(٣) رأيت عند ابن ماجه وفيه " فى عامى هذا الى يوم القيامة فمن تركها فى حياتي أو بعدى وله امام عادل أو جائر استخفافا بها " الحديث والمؤلف لم يذكر هذا النص لأنه حجه عليه .
(٣) الفرقان فى تفسير القرآن : محمد الصادق ج ٢٨ ص ٣٤٠

وقال أيضا * ان السعي الى ذكر الله فيها ، والاجتماع فيه ، ليس
الا عند اجتماع الشرائط : عددا ومسافة ، وعدالة للامام ، وقدرة على
القاء الخطبه ، ثم مادونها هراء مختلق كاشتراط حضور المعصوم أو اذنه
الخاص فلا أثر له اسلاميا عندنا * (١)

اذا فصلاة الجمعة عند هواجبة اذا وجد الامام العدل ، بل تؤدى
حتى مع عدم وجود الامام العدل وغيره من شروطها ولكن بصورة أخرى غير
الصورة المعروفه لصلاة الجمعة فقال * وعند فقد الشرائط أو بعضها فأربع
ركعات بنية الجمعة * (١) والسبب في ذلك أنه * لا صلاة ظهرا يوم
الجمعه الا صلاة الجمعة ، هي ركعتان بعد خطبتين مع شرائطها ، وهي
أربع ركعات كصلاة الظهر لولا الشرائط أو امكانيتها يجهر في الأولين كما
في ركعتي الجمعة بنية الجمعة لا الظهر ، وكما في المعتبره المستفيضة * (١)

وعلق على جملته الأخيره في الهامش بقوله * منها موثقه سماعه قال
سألت أبا عبد الله (ع) عن الصلاة يوم الجمعة ، فقال : أما
مع الامام فركعتان وأما من يصلى وحده فهي أربع ركعات بمنزلة الظهر
(وسائل الشيعه ج ٣ ص ١٣-١٤) راجع كتابنا (على شاطئ الجمعة) (٢)

قلت وكل كلامه لتقرير ما جاء في هذا الأثر عن امامهم وخلصه
أقواله انه اذا وجد الامام العادل فصلاة الجمعة ركعتان واذا لم يوجد
فأربع ركعات بنية الجمعة ، ولا دليل عنده ولا عندهم الا رواياتهم
الباطله عند أهل السنة والجماعة .

(١) المرجع السابق : ج ٢٨ ص ٣٤٤ - ٣٤٥

(٢) الفرقان في تفسير القرآن : محمد الصادق ج ٢٨
هامش ص ٣٤٥

خمس الغنائم :

والمراد بالغنيمه وتوزيع الخمس منها موضع خلاف بين أهـل السنه والجماعه وبين الاثنى عشرية والنص الوارد فى ذلك قوله تعالى " واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسـه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل " الايه (١)
قال مغنيه من الشيعة فى تفسيرها :-

" وقد اختلف السنه والشيعة فى المعنى المراد من الغنيمه فى الآيه فقال السنه : هى ما يغنمه المسلمون من الكفار بقتال . وعلى قولهم هذا تكون مسألة الخمس عباره عن قضية لا واقع لها من الناحيه العمليه فى هذه الأيام ، تماما كمسألة العبيد والاماء ، اذ لادولـة اسلاميه تجاهد الكفار والمشركين فى هذا العصر (٢) .

وقال الشيعة : ان الغنيمه أعم مما يأخذها المسلمون من الكافرين بقتال وانها تشمل المعدن كالنفط والذهب وغيرهما ، وأيضا تشمل الكنز المدفون تحت الأرض واذا لم يعرف له صاحب ، وتشمل ما يخرجـه الانسان من البحر بالغوص كاللؤلؤ وما يفضل عن مؤنه الانسان وعياله مما اكتسبه فى سنته ، وتشمل المال الذى فيه حلال وحرام ، ولم يعلم شخص الحرام ولا مقداره ولا صاحبه ، وتشمل الأرض التى يشتريها الذمى من المسلم ، والتفصيل فى كتب الشيعة ، ومنها الجزء الثانى من كتابنا

(١) سورة الانفال : من الآيه ٤١

(٢) ما رأيت مثل مكر هذا : انه يلسع ولكن من القفى والا فهل يجهل أن عدم وقوع قضية من القضايا فى عصر من العصور لا يعنى عدم صحة تشريعها ؟ . أولا يعلم أن الشريعه الاسلاميه جاءت لكل عصر وليس العصر معين . ثم أنه ما عطل أحد من الشريعه مثل ما عطلت الشيعة بزعم غيبة الامام ؟ أفلا يصح أن يصرح سواهم بالحكم الشرعى مع عدم وجود داعيه ؟ ولكنه الهوى .

فقه الامام جعفر الصادق . . . وعلى قول الشيعة تكون مسألة الخمس
مسألة لها واقع من الناحية العملية (!)

وكما اختلف الشيعة والسنة فى معنى الغنيمة فقد اختلفوا فى
عدد أسهم الخمس وتقسيمها على مستحقيها ، قال الشيعة : يقسم
الخمس الى قسمين والأول منهما ثلاثة أسهم : سهم لله وسهم
لرسوله وسهم لذوى القربى ، وما كان لله فهو للرسول ، وما كان للرسول
فهو لقرباته ، وولي القرباه بعد النبي هو الامام المعصوم القائم مقام
النبي (!) فان وجد أعطي له ، والا وجب انفاقه فى المصالح
الدينية ، وأهمها الدعوه الى الاسلام ، والعمل على نشره واعزازه
أما القسم الثانى فهو ثلاثة أسهم : سهم لأيتام آل محمد صلى الله
عليه وسلم وسهم لمساكينهم وسهم لأبناء السبيل منهم خاصة ، لا يشاركهم
أحد فى ذلك ، لأن الله حرم عليهم الصدقات فعوضهم عنها بالخمس .
وقال الطبرى فى تفسيره وأبو حيان الأندلسي فى البحر المحيط :
" قال على بن أبى طالب عليه السلام : اليتامى والمساكين أيتامنا
ومساكيننا " . وقال الطبرى فى تفسيره أيضا : " أن على بن الحسين
رضى الله عنه قال لرجل من أهل الشام : أما قرأت فى الأنفال " واعلموا
أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسة وللرسول ، قرأ الآيه . قال الشامي
نعم وانكم لأنتم ؟ قال : نعم " (١)

أما مذهب السنة فنندع الكلام عنه الى عالمين كبيرين : أحدهما
من القدماء وهو الرازى ، والثانى من الجدد وهو المراغي " (٢)

(١) علق الشيخ محمود شاكر رحمه الله تعالى على اسناد هذا الأثر فقال
هذا اسناد هالك " تفسير الطبرى ج ١٣ ص ٥٥٤

(٢) التفسير الكاشف : محمد جواد مغنیه ج ٣ ص ٤٨٢ - ٤٨٣

ثم نقل نصا للرازي فيه ذكر أقوال أهل السنة ، ونصا آخر للمراغي ذكر مغنيه منه مايبين أن المراد بذوى القربى بنوهاشهم وبنوالمطلب ، ولم يذكر السطر الذى قبله ونص فيه المراغي على أن المراد باليتامى والمساكين وابن السبيل هم المحتاجون من سائر المسلمين (١) ، وانما اكتفى بما نقل لأمر فى نفسه يخفيه .

ومن الشيعة أيضا محمد حسين الطباطبائى فقال فى تفسيره للآيه :-
" وظاهر الآيه أنها مشتملة على تشريع مؤبد كما هو ظاهر التشريعات القرآنيه وأن الحكم متعلق بما يسمى غنما وغنيمه سواء كان غنيمه حربيه مأخوذة من الكفار أو غيرها مما يطلق عليه الغنيمه لغنة كأرباح المكاسب والغوص والملاحه والمستخرج من الكنوز والمعادن وان كان مورد نزول الآيه هو غنيمه الحرب فليس للمورد أن يخص .

وكذا ظاهر ما عد من موارد الصرف بقوله " لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل " انحصار الموارد فى هؤلاء الاصناف وأن لكل منهم سهما بمعنى استقلاله فى أخذ السهم كما يستفاد مثله من آية الزكاة من غير أن يكون الأصناف من قبيل التمثيل .
فهذا كله مما لا ريب فيه بالنظر الى المتبادر من ظاهر معنى الآيه وعليه وردت الاخبار من طرق الشيعة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام وقد اختلفت كلمات المفسرين من أهل السنة فى تفسير الآيه وسنتعرض لها فى البحث الروائى التالى ان شاء الله تعالى " (٢)

(١) انظر تفسير المراغي : أحمد مصطفى المراغي : ج ٤ ص ٥

(٢) الميزان فى تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائى

وإذا ما انتقلنا الى ما أشار اليه وجدناه يسوق هناك عددا من رواياتهم ومنها " في الكافي عن علي بن ابراهيم عن أبيه عن أبي عمير عن الحسين بن عثمان عن سماعه قال : سألت أبا الحسن عليه السلام عن الخمس فقال : في كل ما أفاد الناس من قليل أو كثير ، وفيه عن علي بن ابراهيم عن أبيه عن حماد بن عيسى عن بعض أصحابنا عن العبد الصالح قال : الخمس في خمسة أشياء من الغنائم والغنوص ومن الكنوز ومن المعادن والملاحاة يؤخذ من كل هذه الصنوف الخمس فيجعل لمن جعل الله له ويقسم أربعة أخماس بين من قاتل عليه وولى ذلك ويقسم بينهم الخمس على ستة أسهم : سهم لله ، وسهم لرسوله وسهم لذى القربى ، وسهم لليتامى ، وسهم للمساكين ، وسهم لأبناء السبيل ، فسهم الله وسهم رسوله لأولى الأمر من بعد رسول الله وراثه ، فله ثلاثة أسهم : سهمان وراثه ، وسهم مقسوم له من الله فله نصف الخمس كلا ونصف الخمس الثاني بين أهل بيته : فسهم لیتاماهم وسهم لمساكينهم ، وسهم لأبناء سبيلهم يقسم بينهم على الكتاب والسنة ما يستغنون به في سنتهم فان فضل منهم شيء فهو للوالى ، وان عجز أو نقص عن استغنائهم كان على الوالى أن ينفق من عنده ما يستغنون به ، وانما صار عليه أن يمونهم لأن له ما فضل عنهم . . .

وهؤلاء الذين جعل الله لهم الخمس هم قرابة النبي صلى الله عليه وآله الذين ذكرهم الله فقال " وأنذر عشيرتك الأقربين " وهم بنوعيد المطلب أنفسهم الذكر منهم والأنثى ليس فيهم من أهل بيوتات قريش ولا من العرب أحد ، ولا فيهم ولا منهم في هذا الخمس من مواليتهم ، وقد تحل صدقات الناس لمواليهم ، وهم والناس سواهم .

وقال أيضا " أقول والأخبار عن أئمة أهل البيت عليهم السلام متواتره في اختصاص الخمس بالله ورسوله والامام من أهل بيته وبتامى قرابته ومساكينهم وأبناء سبيلهم لا يتعداهم الى غيرهم ، وأنه يقسم ستة أسهم على ما مرفى الروايات ، وأنه لا يختص بغنائم الحرب بل يعم كل ما يسمى غنيمه لغة من أرباح المكاسب والكنوز والغوص والمعادن والملاحة وفي رواياتهم - كما تقدم - أن ذلك موهبة من الله لأهل البيت بما حرم عليهم من الزكوات والصدقات " (١)

إذا فالخلاف بينهم وبين أهل السنة في أن الغنائم هي عندهم تشمل أرباح التجارة والكنوز والغوص والمعادن والملاحة . أما عند أهل السنة والجماعة فهي غنائم الحرب مع الكفار ، أما الخمس فلاهـل البيت عند الشيعة وعند أهل السنة فسهم الله ورسوله لمصالح المسلمين وذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل من سائر المسلمين

نكاح المتعه :

وهذا هو أشهر الاختلافات الفقهية بين أهل السنة والجماعة وبين الشيعة الاثنى عشرية ذلك أن نكاح المتعه محرم عند أهل السنة اجماعا ومباح عند الشيعة بل كاد أن يكون شعارا لهم .

وموضع استدلالهم قوله تعالى " فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة " (٢) قال مغنيه في تفسيره لها " وقد كثر الكلام والنقاش حول هذه الآية : هل المراد بها الزواج الدائم فقط أو زواج المتعة فقط ، أو هما معا ، وعلى فرض ارادة المتعه ، فهل نسخت هذه الآية ونسخ معها زواج المتعه ؟

(١) تفسير الميزان في تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائي ج ٩ ص

١٠٣ - ١٠٤ باختصار .

(٢) سورة النساء : من الآية ٢٤

وفيما يلي يتضح الجواب عن جميع ما أثير أو يشار من التساؤلات حول زواج المتعه .

جاء في كتب الحديث والفقه والتفسير للسنة والشيعه أن المسلمين اتفقوا قولاً واحداً على أن الاسلام شرع متعة النساء وأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بها أصحابه ، من ذلك ما جاء في الجزء السابع من صحيح البخارى ، كتاب الترغيب فى النكاح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى جيش للمسلمين ، فقال لهم : قد أذن الله لكم أن تستمتعوا ، فاستمتعوا . . . وفى رواية ثانية للبخارى أيما رجل وامرأه توافقا فعشرة ما بينهما ثلاث ليال ، فان أحبا أن يتزايدا أو يتتاركا تتاركا . (١)

وفى صحيح مسلم ج ٢ باب " نكاح المتعه " ص ٦٢٣ طبعة ١٣٤٨ هـ عن جابر بن عبد الله الأنصارى أنه قال : استمتعنا على عهد رسول الله وأبى بكر وعمر وفى الصفحة نفسها حديث آخر عن جابر قال فيه : ثم نهانا عمر ومثله عن الجزء الثالث من مسند الامام أحمد بن حنبل

-
- (١) ما رأيت تدليسا مثل تدليس هذا الرجل ودسه . نص الحديث الذى بتره هنا بتره " أويتتاركا تتاركا ، فما أدري أشيء كان لنا خاصه أم للناس عامه قال أبو عبد الله وبينه على عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه منسوخ " صحيح البخارى كتاب النكاح باب (٣١) نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نكاح المتعه آخر . ج ٦ ص ١٢٩ .
- (٢) وهذا أيضا من النصوص المبتوره وبقيته الحديث عند مسلم ثم نهانا عنهما عمر فلم نعد لهما " صحيح مسلم بشرح النووى ج ٩ ص ١٨٤

ثم قال " وهذه الروايات موجودة في أكثر صحاح السنن
وتفاسيرهم وكتبهم الفقيهيه وعليه يكون النزاع في أنه : هل المراد
بقوله تعالى "فما استمتعتم به الخ" الزواج الدائم فقط أو زواج المتعه
أو هما معا ، يكون هذا النزاع عقيما لاجدوى منه ، لأن النتيجة
هي لا تختلف في شيء ، سواء أ قلنا : أن آية (فما
استمتعتم) عامة للمتعه ، أو قلنا : هي مختصة بالزواج الدائم ،
اذ المفروض أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بزواج المتعه
باتفاق المسلمين ، وأن كل ما أمر الرسول به فان الله يأمر
به أيضا ، لقوله تعالى " وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا
- ٧ - الحشر "

أجل بعد أن اتفق السنه والشيعة على أن الاسلام شرع المتعه
اختلفوا في نسخها وتحريمها بعد الجواز والتحليل ؟ .
قال السنه : حرمت بعد أن كانت حلالا . . وقال الشيعة : كانت
حلالا ، ولا تزال الى آخر يوم . . وديهة أن على السنه أن يثبتوا
النسخ والتحريم من الرسول صلى الله عليه وسلم . .
الى أن قال " والسنه يعترفون بأن عليهم عبء الاثبات دون الشيعة
ولذلك استدلوا على ثبوت النسخ بروايات عن النبي صلى الله عليه
وسلم ، ورد الشيعة هذه الروايات وناقشوها متنا وسندا ، وأثبتوا
بالمناطق السليم أنها موضوعة على الرسول الأعظم صلى الله عليه
وسلم بأدلة :

(منها) أن السنه يعترفون بأنها مضطربة متناقضة ، قال ابن
رشد في الجزء الثاني من البداية ، مسألة نكاح المتعه ما نصه
بالحرف : " في بعض الروايات أن النبي صلى الله عليه وسلم

حرم المتعه يوم خيبر وفي بعضها يوم الفتح وفي بعضها في غزوة تبوك وفي بعضها في حجة الوداع ، وفي بعضها في عمرة القضاء ، وفي بعضها عام أوطاس ، وهو اسم مكان في الحجاز ، ومحل غزوة من غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم - ثم قال ابن رشد : روى عن ابن عباس أنه قال : ما كانت المتعه الا رحمة من الله رحم بها أمة محمد صلى الله عليه وسلم ولولا نهى عمر عنها ما اضطر الى الزنا الا شقى " .

(ومنها) أى من رد ود الشيعة على روايات النسخ أنها ليست بحجة حتى ولو سلمت من التناقض لأنها من أخبار الآحاد . . والنسخ انما يثبت بآيه قرآنيه أو بخبر متواتر ، ولا يثبت بالخبر الواحد

(ومنها) ما جاء فى صحيح مسلم من أن المسلمين تمتعوا على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعهد أبى بكر ، وهذا ينفى نسخها فى عهد الرسول ، والا كان الخليفة الأول محللا لما حرم الله والرسول . . . وأصدق شىء فى الدلالة على عدم النسخ فى عهد صلى الله عليه وسلم قول عمر بالذات : " متعتان كانتا على عهد رسول الله أنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما " ومهما شككت فلا أشك ولن أشك فى أن عمر لو سكت عن هذا النهى لما اختلف اثنان من المسلمين فى جواز المتعه وحليتها الى يوم يبعثون

وتسأل : بعيد جدا أن يقول عمر هذا . . لأنه تحريم لما أحله

الله ، ورد على رسول الله الذى لا ينطق عن الهوى ؟ .

الجواب : أجل هو أبعد من بعيد ، لأنه كما قلت : رد على الله ورسوله . . . ولكن المسلمين اتفقوا على أن عمر قال ذلك ، وما رأيت واحدا منهم نفى نسبه اليه . . بل فى بعض الروايات أن عمر

نهى عن ثلاثة أشياء أمر بها النبي لاشيئين قال القوشجي في شرح
التجريد - وهو من علماء السنه - قال فى آخر مبحث الامام -
" أن عمر سعد المنبر وقال : أيها الناس ثلاث كن على عهد رسول
الله أنا انهى عنهن وأحرمهن وأعاقب عليهن : متعة النساء ، ومتعة
الحج ، وحي على خير العمل " وروى كل من الطبري
والرازي أن عليا قال : لولا أن عمر نهى عن المتعه مازنى الا شقى .
ومثله عن تفسير الثعلبي والسيوطي " (١) .

هذا ما قاله مغنيه ولقد عانيت ما عانيت من كبح جماح القلم
من الرد على مزاعمه ، لأنى آثرت اتصال حلقات كلامه حتى يتم
له اتمام أدلته الواهيه ثم أعود عليها باقضا لها عودا سريعا خشية
فوات ما فيه نفع وأنفه من الخوض فى الحديث مع مثله ولكم آسف
أن أقول مثل هذا لولا أنى وقد قرأت فى تفسيره ظهر لى ظهور
الشمس فى وسط النهار كيف يصوغ الفاظ ويبتسر النصوص ويدلس
على قراء كتابه بما لا يستغرب من مثله .

ونأخذ بعد هذا ما زعمه من ردد الشيعة على روايات أهل
السنه فى نسخ نكاح المتعه ووصفه لهذه الردود بأنها ناقشت الروايات
متنا وسندا ؟ ! واذا ما نظرنا للأمثله التى ذكرنا فانا لانرى فيها
نقدا لا لسند ولا لمتن حديث بعينه ؟ ! دع عنك ما زعمه أنهم
" أثبتوا بالمنطق السليم أنها موضوعة على الرسول الأعظم صلى الله
عليه وسلم .

ولا أدري كيف سوغ لنفسه مثل هذا القول ؟ وهو الذى لم يذكر
حديثا واحدا أثبت وضعه لا بالمنطق السليم ولا بمنطقه هو !! لأحجه
بأنه قد رواها البخارى ومسلم ؟ فمنزلتهما عنده لاتخفى ولكن أحجه
باستشهاده هو بأحاديثهما التى تنص على تشريع المتعه ، وهى نفسها

(١) التفسير الكاشف: محمد جواد مغنيه ج٢ ص٢٩٥-٢٩٨ باختصار .

تنص على أنها نسخت فأخذ ببعضه وأعرض عن بعض .

ثم وعجب بعد عجب أو يحسب نفسه يؤلف تفسيراً في سبعة مجلدات للعامه أم يستخف بقراء تفسيره ؟ ! لا أشك أن من يقرأ تفسيراً بحجم تفسيره أنه قد ارتقى من درجة العامي الذي لا يعلم شيئاً من شئون العلماء الى درجة من درجات العلم ومهما كانت هذه الدرجة من العلم فإنه لا يخفى على صاحبها أن ورود أحاديث كثيرة تنص على أن تحريم المتعه كان يوم خيبر وفي بعضها في غزوة تبوك وفي بعضها في حجة الوداع الى آخر هذه الأحاديث لا يعنى تناقضها وإنما يعنى تكرار التنبيه على تحريم المتعه عدد هذه المرات . ولكن الرجل يحسب أنه وهو يسوق عبارة ابن رشد قد عثر على حجة لـه فإذا هي عليه ولا أظنه يخفى عليه هذا ولكنه ما ذكرت ؟ !

أما ما ذكره من أن روايات النسخ ليست بحجة لأنها من أخبار الآحاد فانا نقول له أو تظن أنت أن اباحه المتعه ثبت بالتواتر حتى تطلب ناسخاً متواتراً ؟ ! ان زعمت أن الآيه تنص على ذلك فلا يسلم لك ذلك عاقل اذا الخلاف في المراد بها مشهور ، وأنت نفسك قلت في تفسيرك أن النزاع في المراد بالآيه عقيم لا جدوى منه ، قلت أن المفروض أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بزواج المتعه باتفاق المسلمين .

إذا فليست الآيه دليلاً قاطعاً لكم ولا لنا وإنما مرجعنا في ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولننظر بعد هذا في أحاديثه عليه الصلاة والسلام .

قال أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسى * كل ما نقل اباحه المتعه ، نقل تحريمها أيضاً ، وحصلت رواية التحريم عن غير من نقل

الاباحه زياده عليهم فان كانت اباحتها بنقل من نقل من حيث الاجماع
فتحريمها أيضا من حيث الاجماع لأن ما ثبت به الاباحه ثبت به
التحريم * (١)

ودونك أحاديثه الصحيحه عنه صلى الله عليه وسلم اقرأها
بتمامها وسترى ما نقول أما ان أغلقت عينا وفتحت عينا فأنت لم تـ
الحقيقه كامله ان كانت الحقيقه ضالتك .

وسأرشدك الى النص الذى نقلته أنت عن ابن رشد وقرأت فيه
كم مرة حرمت المتعه وجاءت النصوص لتحريمها .

أما ما ذكرت من أنه أبعد من بعيد أن يقول عمر (رضى الله
عنه) متعتان كانتا على عهد رسول الله أنا انهى عنهما وأعاقب
عليهما لأنه رد على الله ورسوله " فقد كنت أتمنى لك الثبات على
حسن الظن بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت لم تستثن
بقولك " ولكن المسلمين اتفقوا على أن عمر قال ذلك وما رأيت واحدا
منهم نفا نسبته اليه " كنت أتمنى أن قومت ميزان فهمك وبحثت
عن الفهم الصحيح الذى يناسب حسنا لظن فى صحابة الرسول صلى
الله عليه وسلم ان كنت تملكه وأن تشك فى فهمك ولا تشك فى عقيدة
هذا الصحابى وتساءل أهل الذكر ان كنت لاتعلم .

فأن سألت أجابوك " أن هذا غلط قبيح لأن عمر بن الخطاب
رضى الله عنه مع علمه وزهده لا يجوز أن يقول ما أحله رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنا أحرمه وأعاقب عليه ، وقد ثبت عنه فى أخبار كثيره

(١) رسالة تحريم نكاح المتعه : لأبى الفتح نصر بن ابراهيم

أنه يقفون فيها أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويطلب البينة على ما يدعى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعاقب من خالف شيئاً من سنته ويأمر بالمواظبه عليها والأخذ بها والمنع من تعديها ومجاوزتها ولو رام تحريم ما أحله رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقره الصحابة عليه ولم يقبلوه منه ولا عترضوا عليه فيه كما عترضوا فيما هو أيسر من ذلك وأخف ، فبطل الدليل ، وإنما أراد عمير رضی الله عنه بذلك أنها كانت مباحة في أول الإسلام فنسخت الإباحة وحرمت من جهة النبي صلى الله عليه وسلم .

فمعنى قوله : " ان من استحلها وفعلها بعد ما حرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسخها عاقبته على ذلك " وهذا واضح لا لبس فيه . . . فانه قد ثبت أن رجلاً فعل ذلك ولم يعلم بالنسخ فلذلك زجر عمر عنها لما يكون له من النظر في أمور الدين " (١)

ولقأوا لك أيضاً أن عمر بن الخطاب رضی الله عنه نهى عنها على المنبر وتوعد عليها وغلظ أمرها . . . وذلك بحضرة المهاجرين والأنصار فلم يعارضه أحد منهم ولا رد عليه قوله في ذلك . . . ولا يجوز لمثلهم المذاهبه في الدين ولا السكوت على استماع الخطأ لاسيما فيما هو راجع الى الشريعة وثابت في أحكامها على التأييد فلما سكتوا على ذلك ولم ينكصره منهم أحد علم أن ذلك هو الحق وأنه ثابت في الشريعة من نسخ المتعة وتحريمها كما ثبت عنده مزار ذلك كأن جميعهم قرروا تحريمها وتثبتوا نسخها فكانت حراماً على التأييد ، وقد روى ذلك عن جماعة من الصحابة سوى عمر فروى تحريمها عن علي بن أبي طالب

(١) رسالة تحريم نكاح المتعة : أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسى الشافعى ص ١٠٧ - ١٠٨

وعبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عباس ، لأنه رجع عن ابحاثها لما بان له الصواب في ذلك ونقل اليه تحريمها عن النبي صلى الله عليه وسلم . . . وهو مذهب التابعين والفقهاء والأئمة أجمعين ولو لم يقل بتحريم المتعه الا واحد من الصحابة رضوان الله عليهم اذا لم يكن له فيهم مخالف لوجب علينا الأخذ بقوله والمصير الى علمه لأنه لم يقل ذلك الا عن علم ثاقب ورأى صائب . . . وقد أجمعوا كلهم على ذلك فكان من خالف ذلك واستحل نكاح المتعه مخالفا للاجماع معاندا للحق والصواب" (١)

وبعد عذرا ان أطلت في الرد بعض الاطاله فما الرد عليه قصدت ولكن شبهة أردت ازلتها حتى تنجلي الحقيقه لمن التبس عليه الأمر. وخشية من أن احتاج الى اعتذار آخر مع اعتذاري هذا فانى :

أكتفى بالإشارة الى ذلك البحث الطويل عن نكاح المتعه الذى بسطه محمد حسين الطباطبائى فى تفسيره (٢) وذلك البحث الآخر الذى أورده أبو القاسم الموسوى الخوئى فى تفسيره (٣) أيضا أتترك هذين البحثين اكتفاء بما نقلته عن مغنيه فى تفسيره أولا ، ولطول هذين البحثين حتى ولو اختصرتهما ثانيا وبالله التوفيق

نكاح المشركات والكتائبات :

قال تعالى " والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتوهن أجورهن " الآية (٤) جاء فى تفسير محمد جواد مغنيه لها قوله :- " اتفق فقهاء المذاهب على أن المسلم لا يحل

(١) رسالة تحريم نكاح المتعه : أبو الفتح نصر المقدسى ص ٧٧-٧٨ باختصار

(٢) الميزان فى تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائى انظر ج ٤ ص

٢٧١ - ٣١٠

(٣) انظر البيان فى تفسير القرآن : أبو القاسم الخوئى ج ١ ص ٣١٣ - ٣٣٠

(٤) سورة المائدة آيه هـ

له أن يتزوج بمن لا تدين بشيء إطلاقاً ، ولا بمن تعبد الأوثان والنيران ، وما إليها ، واختلفوا في زواج الكتابية ، أى النصرانية واليهودية فقال أصحاب المذاهب الأربعة السنية : يجوز ، واستدلوا بهذه الآيه ، واختلف فقهاء الشيعة بين مجيز ومانع ومفصل بين الزواج الدائم والمنقطع ، فأجاز الثانى ومنع الاول .

ونحن مع القائلين بالجواز مطلقاً . ومستندنا : أولاً : الأدلة الدالة على اباحة الزواج بوجه عام . ثانياً : قوله تعالى : "والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب" ثالثاً : الروايات الكثيره عن أهل البيت رضى الله عنهم وذكرها صاحب الوسائل والجواهر ، ووصفها هذا بالمستفيضة أى بلغت حداً من الكثرة يقرب من التواتر ونقلنا بعضها فى الجزء الخامس من فقه الامام جعفر الصادق .

وتسأل وما أنت صانع بقوله تعالى " ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن " (١) وقوله " ولا تمسكوا بعصم الكوافر " (٢)

الجواب : المشركات غير الكتابيات بدليل عطف المشركين على أهل الكتاب فى الآيه الاولى من سورة البينه : " لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيم البينه " . أما قوله : " ولا تمسكوا بعصم الكوافر " فغير صريح فى الزواج لأن الامساك بالعصم كما يكمنى به عن الزواج يكمنى به عن غير الزواج أيضاً ، قال صاحب المسالك : " ان الآيه ليست صريحه فى ارادة النكاح ولا فيما هو أعم منه " (٣)

(١) سورة البقره : من الآيه ٢٢١

(٢) سورة الممتحنه : من الآيه ١٠

(٣) التفسير الكاشف : محمد جواد مغنبيه ج ٣ ص ١٩-٢٠

وهكذا انهى مغنيه تفسيره لهذه الآيه وان كان في جوابه
المختصر هذا ما لا يسلم وتشور فيه الاسئله لكنه مر عليها على عجل لا يمكنه
من استقصاء الأدله وابطال الاعتراضات ، وحسبنا أنه ذكر رأيه .

أما أبو القاسم الخوئي فقد تحدث في تفسيره عن بعض الآيات
التي قيل أنها ناسخه أو منسوخه وبين أنه لا تناسخ بينها ومن هذه
الآيات التي تناولها : قوله تعالى " ولا تنكحوا المشركات حتى
يؤمن " (١) قال في تفسيره : " أدعي أنها منسوخه بقوله تعالى :
" والمحصنات من الذين أتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتوهن أجورهن " (٢)
ذهب اليه ابن عباس ، ومالك بن أنس ، وسفيان بن سعيد ، وعبد الرحمن
بن عمر ، والأوزاعي ، وذهب عبد الله بن عمر الى أن الآيه الثانيه
منسوخه بالاولى فحرم نكاح الكتابيه ،

والحق : أنه لا نسخ في شيء من الآيتين فان المشركه التي
حرمت الآيه الاولى نكاحها ، ان كان المراد منها التي تعبد الأصنام
والأوثان - كما هو الظاهر - فان حرمة نكاحها لا تنافي اباحه نكاح
الكتابيه التي دلت عليها الآيه الثانيه لتكون احدهما ناسخه والثانيه
منسوخه ، وان كان المراد من المشركه ما هو أعم من الكتابيه - كما توهمه
القائلون بالنسخ - كانت الآيه الثانيه مخصصه للآيه الأولى ، ويكـون
حاصل معنى الآيتين جواز نكاح الكتابيه دون المشركه نعم المعروف بين
علماء الشيعة الاماميه أن نكاح الكتابيه لا يجوز الا بالمتعاه اما لتقييد
اطلاق آية الاباحه بالروايات الداله على تحريم النكاح الدائم ، واما
لدعوى ظهور الآيه الكريمه في المتعه دون العقد الدائم ، ونقل عن
الحسين والصدوقين جواز الدائم ايضا " (٣)

(١) سورة البقرة : من الآيه ٢٢١ (٢) سورة المائدة : من الآيه ٥

(٣) البيان في تفسير القرآن : أبو القاسم الخوئي ج ١ ص ٣٠٦ - ٣٠٧

وهذا محمد حسين الطباطبائي أيضا يقول بجواز نكاح الكتابيه في تفسيره لقوله تعالى " ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن " (١) بعد أن بين بيانا فيه طول أن لفظ المشركين في القرآن غير ظاهر الاطلاق على أهل الكتاب قال بعد ذلك " فقد ظهر من هذا البيان على طوله : ان ظاهر الاطلاق الآيه أعني قوله تعالى : ولا تنكحوا المشركات ، قصر التحريم على المشركات والمشركين من الوثنيين دون أهل الكتاب .

ومن هنا يظهر : فساد القول بأن الآيه ناسخه لآيه المائدة ، وهي قوله تعالى : " اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم " الآيه (٢) .

أو أن الآيه أعني قوله تعالى : " ولا تنكحوا المشركات ، وآية الممتحنه أعني قوله تعالى " ولا تمسكوا بعصم الكوافر " (٣) ناسختان لآيه المائدة ، وكذا القول بأن آية المائدة ناسخه لآيتي البقره والممتحنه . وجه الفساد :- أن هذه الآيه أعني آية البقره بظاهرها لا تشمل أهل الكتاب وآية المائدة لا تشمل الا الكتابيه فلان نسبة بين الآيتين بالتنافي حتى تكون آية البقره ناسخه لآية المائدة أو منسوخه بها ، وكذا آية الممتحنه ، وان أخذ فيها عنوان الكوافر وهو أعم من المشركات ويشمل أهل الكتاب ، فان الظاهر ان اطلاق الكافر يشمل الكتابي بحسب التسميه بحيث يوجب صدقه عليه انتفاء صدق المؤمن عليه كما يشهد به قوله تعالى " من كان عدوا لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكال فان الله

(١) سورة البقره : من الآيه ٢٢١

(٢) سورة المائدة : من الآيه ٥

(٣) سورة الممتحنه : من الآيه ١٠

عد وللكافرين" (١) الا أن ظاهر الآيه - كما سيأتى - ان شاء الله العزيز أن من آمن من الرجال وتحتة زوجة كافره يحرم عليه الامساك بعصمتها أى ابقائها على الزوجيه السابقه الا أن تؤمن فتمسك بعصمتها فلا دلالة لها على النكاح الابتدائى للكتابية .

ولو سلم دلالة الآيتين أعنى : آية البقره ، وآية الممتحنه على تحريم نكاح الكتابيه ابتدائيا لم تكونا بحسب السياق ناسختين لآيه المائده وذلك لأن آية المائده واردة مورد الامتنان والتخفيف ، على ما يعطيه التدبر فى سياقها ، فهى آبيه عن المنسوخيه بل التخفيف المفهوم منها هو الحاكم على التشديد المفهوم من آية البقره ، فلو بنى على النسخ كانت آية المائده هى الناسخه .

على أن سورة البقرة أول سورة نزلت بالمدينه بعد الهجره ، وسورة الممتحنه نزلت بالمدينه قبل فتح مكه ، وسورة المائده آخر سورة نزلت على رسول الله ناسخه غير منسوخه ولا معنى لنسخ السابق اللاحق" (٢)

الحجاب :

والحجاب كما قلنا متفق على وجوبه بين المسلمين ولكن اختلفوا فى حد وده وهذا محمد جواد مغنيه يقول فى تفسير قوله تعالى " ولا يبدن زنتهن الا ما ظهر منها" (٣) والمراد بالزينه هنا موضعها لان الزينه بما هى لا يحرم النظر اليها ، والمراد بالظاهر من موضع الزينه الوجه والكفان فقط ، وقد استدل الفقهاء بهذه الآيه على وجوب الحجاب ، وأن جميع بدن المرأه عوره الا ما استثنى منه أى الوجه والكفين ، فقد سئل الامام

(١) سورة البقرة : من الآيه ٩٨

(٢) الميزان فى تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائى ج ٢

ص ٢٠٣ - ٢٠٤

(٣) سورة التور : من الآيه ٣١

جعفر الصادق (ع) عن الذراعين :-

هل هما من الزينه التي قال الله عنها : ولا يبدن زينتهن ؟ فقال نعم وما دون الوجه والكف من الزينه . أى المحرمه وفي أحكام الآيات للجصاص أحد أئمة الأحناف : والمراد بما ظهر الوجه والكفان " وفى تفسير الرازى الشافعى : " اتفقوا على أن الوجه والكفين ليسا بعورة" (١)

وقال فى تفسير قوله تعالى " يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن " الآية (٢) " ان قوله تعالى : " يدنين عليهن من جلابيبهن " عام يشمل الستر والحجاب لجميع أجزاء البدن بما فيه الرأس والوجه ويؤيد هذا الشمول قوله سبحانه " ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين " فقد كانت المسلمات فى أول الاسلام يخرجن من بيوتهم سافرات متبذلات على عادة الجاهلييه فطلب سبحانه من نبيه الكريم فى هذه الآية أن يأمرهن بالستر والحجاب والأمر يدل على الوجوب فيكون الحجاب واجبا . . . أجل ، لقد خرج من هذا العموم الوجه والكفان لقوله تعالى " ولا يبدن زينتهن الا ما ظهر منها " (٣) (٤)

وأما محمد حسين الطباطبائى فقال فى تفسير آية الاحزاب :
وأما قوله " ولا يبدن زينتهن الا ما ظهر منها ، فالابداء الاظهار ، والمراد بنزينةن مواضع الزينه لان نفس ما يتزين به كالقرط والسوار ولا يحرم ابداءها فالمراد بابداء الزينه ابداء مواضعها من البدن .

(١) التفسير الكاشف : محمد جواد مغنيه ج ٥ ص ٤١٥

(٢) سورة الاحزاب : من الآية ٥٩

(٣) التفسير الكاشف : محمد جواد مغنيه ج ٦ ص ٢٤٠

(٤) سورة النور : ٣١

وقد استثني الله سبحانه منها ما ظهر ، وقد وردت الرواية
أن المراد بما ظهر منها الوجه والكفان والقدمان كما سيجي ان شاء
الله " (١)

وقد أورد الطباطبائي في البحث الروائي عدد من رواياتهم
في تحديد حجاب المرأة منها قوله " وفيه - الكافي - باسناده عن
مروك بن عبيد عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام قال :
قلت له : ما يحل أن يرى من المرأة اذا لم يكن محرما ؟ قال : الوجه
والكفان والقدمان .

أقول ورواه في الخصال عن بعض أصحابنا عنه عليه السلام ولفظه
الوجه والكفين والقدمين .

وفي قرب الاسناد للحميري عن علي بن جعفر عن أخيه موسى
بن جعفر عليه السلام قال : سألته عن الرجل ما يصلح له أن ينظر
اليه من المرأة التي لا تحل له ؟ قال : الوجه والكف وموضع السوار" (٢)

هذا ما قاله محمد حسين الطباطبائي وذاك ما قاله محمد جواد
مغنية ومن هذه النصوص عنهما يتضح أنهما يريان أن المستثنى من الزينة
التي لا يصلح أن ينظر اليها الرجل الأجنبية هما الوجه والكفين وزاد
الطباطبائي القدمين وقد سبق بيان آراء اصحاب المذاهب الأربعة أهل
السنه والجماعه بما يعفيني من مناقشة أدلتها والرد عليهما وما يثبت
الحق ان شاء الله فأنظروه عند حديثنا عن تفسير آيات الأحكام للشيخ
محمد علي الصابوني .

(١) الميزان في تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائي ج ١٥ ص ١١١

(٢) المرجع السابق : ج ١٥ ص ١١٦

ارث الأنبياء :

والشيعة خلاف أهل السنة والجماعة في أن الأنبياء عليهم السلام يورثون ويستدلون بما حكاه الله سبحانه وتعالى من دعاء زكريا عليه السلام " فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا " (١)

وقد أفاض محمد حسين الطباطبائي في تفسير هذه الآية على مذهب الشيعة فقال " والمراد بالوراثه وراثه ما تركه الميت من الأموال وأمتعة الحياه وهو المتبادر الى الذهن من الارث بلا ريب اما لكونه حقيقة في المال ونحوه مجازا في غيره كالارث المنسوب الى العلم وسائر الصفات والحالات المعنويه واما لكونه منصرفا الى المال ان كان حقيقة في الجميع فاللفظ على أى حال ظاهر في وراثه المال ويتعين بانضمامه الى الولي كون المراد به الولد ، ويزيد في ظهوره في ذلك قوله قبل " واني خفت الموالي من ورائي " (٢)

ثم بدأ السيد الطباطبائي يرد على بعض الأقوال التي فسرت الارث بآرث النبوه أو آرث العلم أو آرث التقوى ردّ على القول منها بقوله : " يدفعه ما عرفت آنفا أن الذي دعاه عليه السلام الى هذا الدعاء والمسأله هو ما شاهده من مريم ، ولا خبر في ذلك عن النبوه ولا أثر فأى رابطة بين أن يشاهد منها عبارة وكرامه فيعجبه ذلك وبين أن يطلب من ربه ولدا يرثه النبوه ؟ .

على أن النبوه مما لا يورث بالنسب وهو ظاهر ولو أصلح ذلك بأن المراد بالوراثه مجرد اتيان نبي بعد نبي أو ظهور نبي من ذرية نبي بنوع

(١) سورة مريم : ٦٠ ، ٥

(٢) الميزان في تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائي ج ١٤ ص ١١

من العناية مجازا ظهر الاشكال من جهة أخرى وهي عدم ملائمة ذلك قوله بعد : " واجعله رب رضيا ، اذ لا معنى لقول القائل : هب لي من لدنك ولدا نبيا واجعله رضيا ، ولو حمل على التأكيد كان من تأكيد الشيء بما هو دونه ، وكذا احتمال أن يكون المراد بالرضى المرضى عند الناس لمنافاته اطلاق المرضي كما تقدم مع عدم مناسبتة لداعيه كما مر " (١)

وقد استطرده بعد ذلك في رد أخرى على أقوال أخرى بما يطول نقله أو الإشارة اليه فيكفي منه ما نقلناه .

وأن أردت الحق في هذه المسألة فانظر بيانه فيما نقلناه من تفسير الشيخ الشنقيطي في أول هذا البحث .

قطع يد السارق :

وهذا أيضا من مسائل الخلاف في الأحكام الفقهية بين أهل السنة والجماعة وبين الشيعة ، فقد اتفقت المذاهب الأربعة الإسلامية على أن اليد تقطع من مفصل الكف ، أما الشيعة فلم يروا رأي آخر .

قال محمد جواد مغنیه في تفسير قوله تعالى " السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما " (٢) الآية : - " أما كيفية القطع فقد اتفقت المذاهب الأربعة على أن الكف اليميني من المفصل . وقال الامامية : تقطع أصابعه الأربعة من الكف اليميني وتترك الراحه والابهام " (٣)

أما الطباطبائي فقد اختصر الحديث هنا على غير عادته فيما نقلناه عنه من أحكام بل قد جاءت عبارته مجمله محتمله حيث قال " واليد مادون

(١) المرجع السابق : ج ١٤ ص ١١

(٢) سورة المائدة : من الآية : ٣٨

(٣) التفسير الكاشف : محمد جواد مغنیه ج ٣ ص ٥٥

المنكب والمراد بها فى الآيه اليمين بتفسير السنه ، ويصدق قطع اليد بفصل بعض أجزائها أو جميعها عن البدن بآله قطاعه " (١)

وكلامه هذا مجمل تدخل تحته كل الأقوال التى قيلت من أن القطع من الكتف أو من المرفق أو من الكف أو أربعة أصابع بل يدخل فيه ما لم يقل به أحد وهو قطع بعض الأصابع .

وأعيدك مرة أخرى الى تفسير أهل السنه والجماعه معدن الحق ومنهله لتعرف هناك صحيح القول من سقيمه أعادتا الله واياكم من سقمه .

تلك أمثله قليله من آراء الفقه الشيعى المسمى بالفقه الجعفرى اقتصرت فيما أوردت من الخلاف بين فقههم وفقه أهل السنه على ماورد فى القرآن الكريم بل بعض ما ورد أما باقى الخلاف وأكثره فى آيات أخرى وفى مواضع لم يرد دليلها من الكتاب ، وهى اختلافات كثيره جعلت الفقه الجعفرى فقها غير معترف به عند العلماء المعترين .

وأذكر فى هذه المناسبه واقعة جرت فى رابطة العالم الاسلامى حينما قدم مندوب ايران طلبا باعتراف الرابطة بالمذهب الجعفرى ومعه وثيقة من بعض الجهات العلميه ذات الوزن الكبير (!) تؤيده على دعواه وتجييه الى طلبه فان قبلوا طلبه دخلوا مأزقا وان رفضوه واجهوا حرجا فاقترحوا أن يتولى الأمر الشيخ محمد الامين الشنقيطى رحمه الله تعالى وكان حينذاك عضوا فى المجلس التأسيسى للرابطة ، فعقدت جلسه خاصة لذلك فقال رحمه الله فى هذا المجلس : لقد اجتمعنا للعمل على جمع شمل المسلمين والتأليف بينهم وترابطهم أمام خطر

(١) الميزان فى تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائى ج ٥ ص ٣٢٩

عد وهم ونحن الآن مجتمعون مع الشيعة في أصول هي :-

الاسلام دين الجميع ، والرسول محمد صلى الله عليه وسلم رسول
الجميع ، والقرآن كتاب الله ، والكعبة قبله الجميع ، والصلوات
الخمسة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام ، ومجتمعون على تحريم
المحرمات من قتل وشرب وزنا وسرقه ونحو ذلك ، وهذا القدر كاف
للاجتماع والترابط وهناك أمور نعلم جميعا أننا نختلف فيها وليس هذا
مشار بحثها ، فان رغب العضو الايراني بحثها واتباع الحق فيها
فليختر من علمائهم جماعة ونختار لهم جماعة ويبحثون ما اختلفنا فيه
ويعلن الحق ويلتزم به أو يسحب طلبه الآن ، فأقر الجميع قوله رحمه
الله تعالى وسحب العضو طلبه . (١)

وما أجمل أن نختم حديثنا عنهم وعن فقههم بهذا الحادثة .

(١) انظر ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى الملحقه في آخر الجزء

التاسع من تفسيره أضواء البيان ، ص ٥٠ - ٥١

ثالثا : الفقه الأباضى :

لا يكاد الباحث يجد من فارق كبير بين الفقه الأباضى وفقه المذاهب الأربعة عند أهل السنة والجماعة الا النادر والا مثل ما يقع بين مذهب وآخر منها .

وقد ذكر الشيخ أبو الربيع سليمان البارونى من الأباضيه بعض أوجه الخلاف بين أهل السنة والجماعة ، والأباضيه فى مسائل العقيدة وعقب على ما ذكر قائلًا " وما عدا ما تقدم فالخلاف فيه سواء فى العبادات والمعاملات شأنه شأن الخلافات الواقعه بسبب المذاهب الأربعة فما تجده سائغا عند الأباضيه والمالكيه قد تجده ممنوعا عند الحنفيه والشافعيه مثلا والعكس وهكذا فى أغلب المسائل" (١)

وقد نظرت فى بعض الخلافات ولم أجد من فارق اللهم الا المسح على الخفين اذ يرى أهل السنة والجماعة أنه متواتر عن الرسول صلى الله عليه وسلم والا أن الأباضيه لا يقولون به وما عدا هذا فيما اطلعت لا يكاد يذكر .

ولذا فاني أقتصر على بعض الأمثلة على تفسيرهم لبعض ماورد من آيات الأحكام .

وكما كانت دراستى عن منهج الأباضيه فى التفسير معتمده على تفسرين للشيخ محمد بن يوسف إطفيش . لعدم وجود سواهما فان الأمر كذلك هنا .

(١) مختصر تاريخ الأباضيه : أبو الربيع سليمان البارونى

الامثلة :

مسح الرجلين :

وفرضهما في الوضوء ورد في قوله تعالى " وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين " (١) قال الشيخ اطفيش في تفسيرها " وأرجلكم عطف على وجوه أو أيدي فهي مغسولة كما جاءت به السنه وعمل الصحابه وهو قول الجمهور وكما جاء الحد بقوله عز وجل " الى الكعبين " ولم يجىء في المسح الحد ، وساغ الفصل بين المتعاطفين بجمله غير معترضه وهي فاغسلوا للايماء الى تقليل صب الماء حتى كأنها تمسح كالرأس لأنها مظنة الاسراف في الماء الى الآن ، والى الترتيب وجوبا أو ندبا ولو كانت الواو لا تفيد له لكن يستفاد بذكرها بعد والترتيب يفاد بالذكر اذا لم يكن مانع كما يفاد بحرفه كالفاء قال صلى الله عليه وسلم في السعي أبدأ بما بدأ الله به ولولا قصد الترتيب لم يفصل بالرأس وليس واجبا عندنا وعند أبي حنيفة . . . ثم انها ان كانت تمسح فقد نسخ مسحها بالحديث قال عطاء والله ما علمت أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على القدمين عن عائشه رضي الله عنها لأن تقطعا أحب الى من تمسحا " (٢) .

ولعل هناك صلة بين شدة انكارهم المسح الرجلين في الوضوء ، وانكارهم لمسح الخفين . الا أن الشيخ اطفيش لم يتناول الأخير في تفسيره .

(١) سورة المائدة : من الايه ٦

(٢) تيسير التفسير : محمد بن يوسف اطفيش (الطبعه

نكاح الكتابيات :

أما نكاح الكتابية فانهم فرقوا بين الحربيه والذميه فحرموا الأولى منهم قال الشيخ في تفسير قوله تعالى " ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن " (١) " ولو كتابيات ذميات ، جروا على تحريم الكتابيات الذميات كغيرهن ثم نسخ تحريمهن بقوله تعالى " والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب " (٢) وبقيت الكتابيات المحاربات وسائر المشركات على التحريم ولو اقترنت الآيتان لقلت ان ذلك تخصيص للعموم ، كما شهر في المذهب وعند الشافعيه من أن ذلك من تخصيص العام ، ومن جواز تأخير دليل الخصوص في العموم ، لو كانت مقارنه بين العام والخاص ولك أن تقول لانسخ ولا تخصيص ، بل المشركات في الآيه غير الكتابيات لأنه كثر في القرآن مقابلة المشركات بالكتابيات كقوله تعالى " لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين " (٣) ولو كان أهل الكتاب أيضا مشركين لقوله سبحانه " عما يشركون " (٤) وأجاز بعض قومنا نكاح الحربيات الكتابيات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب وليس بشيء ، ونص ابن عباس على المنع وهو الصحيح " (٥)

وقد أكد هذا المنع في تفسيره لآية المائدة فقال " ولا تحلل الحربيه ولو حره عندنا وهو قول ابن عباس لبعدها شأنها ولأن التزوج بر وقد قال الله جل وعلا " انما ينهاكم الله " (٦) الخ وقال الله

(١) سورة البقرة : من الآيه ٢٢١

(٢) سورة المائدة : من الآيه ٥

(٣) سورة البينه من الآيه الاولى

(٤) سورة التوبه : من الآيه ٣١

(٥) تيسير التفسير : محمد بن يوسف اطفيش ج ١

ص ٣٣٥

(٦) سورة الممتحنه من الآيه : ٩

عز وجل " لاتجد قوما" (١) الخ وقال " ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة " (٢) وكيف يكون الود والرحمة للكافره ، ويستثنى من ذلك الحب الممنوع مقدار مخصوص للكتابه التي ليست محاربه فيجوز في حقها لها على متزوجها وذهب بعض الى أن هؤلاء الآيات تفيد الكراهه فقط وعن الشافعي كراهه تزوج الحره الكتابيه المحاربه ، وأباحها الشافعيه " (٣)

الاصباح على جنبه :

وعند الأباضية أنه يجب الكف عن الجماع قبل وقت الامساك بوقت كاف للغسل فان أصبح جنباً فقد أفطر وقد أشار الى ذلك اشارة سريعه الشيخ اطفيش عند تفسيره لقوله تعالى " وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الأسود من الفجر " (٤) فقال " (حتى) غاية للأكل والشرب لالهما وللجماع لقوله صلى الله عليه وسلم من أصبح جنباً أصبح مفطراً ، (٥) فيجب الكف عنه اذا لم يبق ما يتطهر فيه " (٦)

هذه بعض الأمثله على تفسير آيات الأحكام عند الشيخ محمد بن يوسف اطفيش وان كنت قد اكتفيت بالقليل فمرجع ذلك الى ضيق مجال الخلاف بيننا وبينهم في الأحكام الفقهييه وانما ينحصر الخلاف الكبير في بعض العقائد وقد سبق تناولنا لهذا الخلاف في موضع آخر ليس هذا محله .

(١) سورة المجادلة : من الآيه ٢٢

(٢) سورة الروم : من الآيه ٢١

(٣) تيسير التفسير : محمد يوسف اطفيش (الطبعة الاولى) ج ٢

ص ٢٥

(٤) سورة البقرة : من الآيه ١٨٧

(٥) ابن ماجه كتاب الصيام ج ١ ص ٥٢٠

(٦) تيسير التفسير : محمد بن يوسف اطفيش ج ١ ص ٢٧٣

وبنهاية حديثي عن تفسير آيات الأحكام عند الأباطية ينتهي
حديثنا عن تفسير آيات الأحكام في العصر الحديث .
ولا أحسبني بحاجة الى ابداء الرأي فيه فقد ذكرت رأيي في
كل منهج من هذه المناهج عند ذكره وتناول أمثلته ، وما لم أناقشه
من الآراء الفقيهيه عند الشيعة أو الأباطية فانما فعلت ذلك اكتفاء
بذكرى تفسير أهل السنة له في موضعه اذ هو المقياس الصحيح
وبالله التوفيق ..

الباب الثاني

الاتجاهات العلمية في التفسير

الفصل الثاني

المنهج الأثري في التفسير

المراد به :

نقصد بالمنهج الأثرى فى التفسير ما يعرف بالتفسير بالمأثور وقد اتفق أهل التفسير الآ فيما ندر على أن المراد به : -
ما جاء فى القرآن الكريم نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته وما نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما نقل عن أصحابه رضى الله عنهم من ذلك ، واختلفوا فيما نقل عن التابعين رحمهم الله تعالى هل هو من التفسير بالمأثور أو من التفسير بالرأى .
ومما لا شك فيه أن أصح طرق التفسير تفسير القرآن بالقرآن ثم تفسيره بالسنة ثم تفسيره بأقوال الصحابة والى هذه الدرجات ينقسم التفسير بالمأثور .

وقد أولى علماء التفسير من السلف التفسير بالمأثور بأنواعه السالفة عناية كبيرة فأوردوا فى تفاسيرهم الكثير والكثير منها وزادوا عليه أحيانا ببيان آرائهم بالترجيح فيما فيه احتمال .
وليس من الحق الاعتقاد بأن التصنيف فى التفسير بالمأثور عمل آلى ليس لصاحبه من عمل فيه الآ النقل ، بل ان هذا النوع من التفسير يحتاج الى جهد من المفسر وجهد من القارئ للتفسير لتحرى مذهب المفسر جهد من المفسر ليجمع حول الآية " ما يرى " انها متجهة اليه فيقصد الى " ما يتبادر الى ذهنه " من معناها وتحت هذا التأثير قد يقبل مرويا ويعنى به ولو لم يكن صحيحا ويرفض مرويا حين لا يرتاح اليه ، وجهد من القارئ لاستشفاف مذهب المفسر وآرائه وتحرى الآثار التى رفضها المفسر لعدم موافقتها له . ومن ثم كان انتفسير المأثور لصاحب الرأى من

أخطر التفاسير حيث أن المفسر بالرأى ينص على رأيه صريحا
بينما ذو الرأى المفسر بالمأثور يلبس آراءه ثوب المأثور فيخضع
به من لا يعرف صحيحه من ضعيفه .

ولا يقلل هذا بحال من الأحوال من قيمة التفسير بالمأثور
اذ المراد بثناء العلماء ما صح من التفسير بالمأثور وليس دونه .
وليس من شأننا هنا بحث هذا النوع من التفسير والتوسع
فيه . فذلك شأن آخر لا يعنينا هنا . ما دام الاتفاق على تقديمه
قائم وعلى فضله دائم ، فلننظر فى تفاسير القرن الرابع عشر
الهجرى ولننظر موقعها من هذا التفسير .

التفسير بالمأثور فى القرن الرابع عشر الهجرى :

مما يؤسف له ويحز فى النفس أنى لم أكد أجد من يعنى
بهذا النوع من التفسير ويوليه جل اهتمامه من مفسرى القرن الرابع
عشر الهجرى " وحاشا أن أسىء بهم الظن فأعتقد أنهم ينكرونه ،
وحاشا أن أسىء الظن بعلمهم فأظنهم لا يدركونه .

وان التمسست لهم عذرا بعد ذلك فلا أظنه الا أنهم اكتفوا
من التفسير بالمأثور بمعانيه عن ألفاظه ونصوصه فان عرضت لهم
آية من القرآن يفسرونها ذكروا التفسير من غير أن يذكروا الآية
المفسرة ، أو ذكروه من غير ذكر الحديث الصحيح فيه .

والذى يجعلنى أجزم جزما بقيمة هذا النوع من التفسير عند
مفسرى القرن الرابع عشر حرص بعضهم على وصف تفاسيرهم به بل
اشتقاق أسمائها منه فهذا الشيخ محمد الأمين الشنقيطى رحمه الله
تعالى يسمى تفسيره أضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن ، وأحسبه

اسما على مسمى .

بل تعلق بهذه التسمية من لم يلتزمها ولا يقصد التزامها فهذا الأستاذ عبدالكريم الخطيب يسمى تفسيره " التفسير القرآنى للقرآن " . وهو كما يقول فى مقدمة تفسيره لم يكتب فيه الا ما وقع فى مشاعره (!) من صور العجب والدهش والروعة عندما يرتل آيات الله ترتيلا . .

وتعلق بهذه التسمية من ادعاها لدس آراءً مختلقة وتلبسها هذا اللباس المحبب الى المؤمنين فهذا محمد الصادق من مفسرى الشيعة يسمى تفسيره " الفرقان فى تفسير القرآن بالقرآن والسنة " . بل وقد تعلق بهذه التسمية أحد الملحدين فى هذا العصر واتخذ من هذه التسمية ستارا لالحاده وكفره يحسب أنه يخدع بهذا المؤمنين فهذا محمد أبوزيد يسمى تفسيره بل الحاده " الهدايه والعرفان فى تفسير القرآن بالقرآن " .

قصدت من هذا بيان أن التفسير بالمأثور ليس شعارا يتخذ بل هو مضمون يلتزم ، وقصدت أن أبين منزلة هذا النوع من التفسير - أعنى التفسير بالمأثور - عند المعاصرين حتى التزمه أهل الحق وأدعاه أهل الضلال والالحاد .

ثم أنى نظرت فيما بين يدى من التفاسير فى القرن الرابع عشر فوجدت أكثرها اهتماما بالتفسير بالمأثور هما : -

١- أضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن .

للشيخ محمد الأمين الشنقيطى .

٢- الموجز فى تفسير القرآن الكريم " المصطفى " الجامع بين

صحيح المأثور وصريح المعقول "

تأليف المستشار محمد رشدي حمادي .

ولذا فاني آثرت أن أفرد كلا منهما بدراسة موجزة : -

أولا : أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن :

أما المؤلف : فهو الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ،

وقد سبقت ترجمته .

أما الكتاب :

فهو هو أضره مثلا مرة أخرى ولكن للتفسير بالمأثور

هنا . وما ذنبى اذا كان المؤلف رحمه الله تعالى التزم

مذهب أهل السنة والجماعة فضربته لهم مثلا ، وما ذنبى اذا

كان رحمه الله قد برع فى تفسير آيات الأحكام فاقبست من

تفسيره لها أمثلة للتفسير الصحيح ، وما ذنبى ثالثة اذا كان

رحمه الله قد برز على أقرانه فى التفسير بالمأثور فكان بحق

امام المفسرين فى القرن الرابع عشر .

فهل يشفع لى ان ذكرته وشكرته فى جانب أن أغمطه حقه

فى جانب آخر لا أظن هذا ولا يخطر لى ببال ، كيف وهو قد

صرح فى مقدمة تفسيره تصريحاً لا لبس فيه أن من أهم المقصود

بتأليفه أمران : -

أحدهما : بيان القرآن بالقرآن لاجماع العلماء على أن أشرف

أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله . اذ لا أحد

أعلم بمعنى كلام الله جل وعلا من الله جل وعلا " (١) .

ثم شرح الطريقة التى التزمها فى هذا النوع من التفسير

(١) أضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن : محمد الأمين الشنقيطي

بقوله " وقد التزمنا أنا لا نبين القرآن إلا بقراءه سبعيه ، سواء كانت قراءه أخرى فى الآيه المبينه نفسها ، أو آيه أخرى غيرها ، ولا نعتمد على البيان بالقراءات الشاذه وربما ذكرنا القراءه - إشاذه استشهادا للبيان بقراءه سبعيه ، وقراءه أبى جعفر ويعقوب وخلف ليست من الشاذ عندنا ولا عند المحققين من أهل العلم بالقراءات" (١) .

وذكر أن الأمر الثانى من مقصوده فى هذا التفسير بيان الأحكام الفقهيّة . فاذا كان مقصوده بيان القرآن وتفسير آيات الاحكام ، فهو بلا شك مثال صحيح لهذين المنهجين فى التفسير واذا كان قد التزم فيها بمذهب أهل السنة والجماعة لم يحد عنه فهو مثال أيضا يجب اعتباره .

أمثلة من تفسيره :

ذكرنا آنفا أن التفسير بالمأثور على ثلاثة طرق أصحابها تفسير القرآن بالقرآن ثم بالسنة ثم بأقوال الصحابة . وعلى هذه الطرق الثلاثة سيكون سيرنا باذن فى هذا التفسير المبارك .

أولا : تفسير القرآن بالقرآن :

وهذا النوع من التفسير هو الذى أبرزه المؤلف فى تفسيره وأعتنى به عناية كبيرة ، بل أفرده بدراسة قيمة فى مقدمة تفسيره لا أحسبك تجدها بهذا الجمع والترتيب عند سواه ولولا أنه ذكر من أنواع بيان القرآن بالقرآن أكثر من عشرين نوعا فى أكثر من عشرين صفحة لسقتها لك بحذا فيرها فهى الكنز عليك به من معدنه

(١) أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن : محمد الأمين الشنقيطى ج ١

وتعجب حين تقرأ له بعد أن عدد هذه الأنواع قوله :
" واعلم - وفقني الله واياك لما يحبه ويرضاه - أن هذا
الكتاب المبارك - يعنى تفسيره - تضمن أنواعا كثيرة جدا
من بيان القرآن بالقرآن غير ما ذكرنا تركنا ذكر غير هذا
منها خوف اطالة الترجمة ، والمقصود بما ذكرنا من الأمثلة
مطلق بيان كثرة الأنواع التي تضمنها واختلاف جهاتها -
وفى البعض تنبيه لطيف على الكل - والغرض أن يكون
الناظر فى الترجمة على بصيره مما يتضمنه الكتاب فى الجملة
قبل الوقوف على جميع ما فيه " (١) .

ولذا فلا تثريب على أن ذكرت بعض الأمثلة لبعض الأنواع
التي جاءت فى تفسيره رحمه الله تعالى فهى أنواع كثيرة
وأمثلة أكثر ، فمن ذلك :

بيان الاجمال :

وقد ذكر رحمه الله تعالى فى مقدمة تفسيره أن الاجمال
يكون بسبب الاشتراك سواء كان الاشتراك فى اسم أو فعل أو حرف .
ومن الاشتراك فى اسم قوله تعالى " وليطوفوا بالبيت العتيق (٢)
قال رحمه الله تعالى فى ذلك : " فى المراد بالعتيق هنا للعلماء
ثلاثة أقوال :

الأول : أن المراد به القديم ، لأنه أقدم مواضع التعبد .
الثانى : أن الله أعتقه من الجبابره .
الثالث : أن المراد بالعتق فيه الكرم ، والعرب تسمى القديم

(١) أضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطى ج١ ص ٢٦

(٢) سورة الحج : من الآية ٢٩

عتيقا وعاتقا ومنه قول حسان رضى الله عنه .
كالمسك تخلطه بماء سحابة . أو عاتق كدم الذبيح مدام
لأن مراده بالعاتق الخمر القديمه التى طال مكثها فى دنها
زمننا طويلا وتسمى الكرم عتقا ومنه قول كعب بن زهير .
قنواء فى حرتيها للبصير بها . عتق مبين وفى الخدين تسهيل
فقوله عتق مبين : أى كرم ظاهر ومنه قول المتنبى :
* ويبين عتق الخيل فى أصواتها *
أى كرمها ، والعتق من الجابره كالعتق من الرق ، وهو
معروفا .

وإذا علمت ذلك فاعلم : أنه قد دلت آية من كتاب الله
على أن العتيق فى الآية بمعنى : القديم الأول وهى قوله تعالى
" ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا " الآية مع أن المعنيين
الآخرين كلاهما حق ، ولكن القرآن دل على ما ذكرنا وخير ما
يفسر به القرآن بالقرآن " (١) .

وقد يكون الاجمال بسبب ابهام فى اسم جنس جمعا كان
أو مفردا أو اسم جمع أو صلة موصول أو معنى حرف .

ومثال الاجمال بسبب الابهام فى اسم جنس مجموع : قوله
تعالى " فتلقى آدم من ربه كلمات " (٢) قال رحمه الله تعالى فى
ذلك " لم يبين هنا ما هذه الكلمات ولكنه بينها فى سورة الأعراف
بقوله " فالأرنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن
من الخاسرين " (٣) (٤) .

(١) أضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطى ج٥ ص ٦٨٦-٦٨٧

(٢) سورة البقرة : من الآية ٣٧

(٣) سورة الأعراف : من الآية ٢٣

(٤) أضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطى ج١ ص ٦٣

ومثال الاجمال بسبب الابهام فى اسم جنس مفرد قوله تعالى :
" وتمت كلمة ربك الحسنی على بنی اسرائیل بما صبروا " الآية (١)
قال رحمه الله تعالى فى تفسيرها " لم يبين هنا هذه الكلمة الحسنی
التي تمت عليهم ولكنه بينها فى القصص بقوله : " ونريد أن نمس
على الذين استضعفوا فى الأرض ، ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين
ونمكن لهم فى الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا
يحذرون " (٢) (٣)

ومن أمثلة هذا النوع أعنى أن يكون الاجمال بسبب الابهام
فى اسم جنس مفردا ، قوله تعالى : " ولكن حقت كلمة العذاب على
الكافرين " (٤) قال رحمه الله تعالى " فقد بينها بقوله " ولكن حق
القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين " (٥) ونحوها من
الآيات " (٦)

ومثال الاجمال بسبب الابهام فى اسم جمع قوله تعالى :
" وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها"
الآية (٧) . قال رحمه الله تعالى فى تفسيرها " لم يبين هنا من هؤلاء
القوم ولكنه صرح فى سورة الشعراء بأن المراد بهم بنو اسرائيل لقوله :
فى القصة بعينها " كذلك وأورثناها بنی اسرائيل " (٨) الآية ، وأشار
الى ذلك هنا بقوله بعده " وتمت كلمة ربك الحسنی على بنى
اسرائيل " (٩) الآية " (١٠)

-
- (١) سورة الاعراف : من الآية ١٣٧
(٢) سورة القصص : الآيتين ٥-٦
(٣) أضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطى ج ٢ ص ٢٩٧
(٤) سورة الزمر : من الآية : ٧١ (٥) سورة السجدة : من الآية ١٣
(٦) أضواء البيان : للشنقيطى ج ١ ص ٨ (٧) سورة الاعراف : من الآية ١٣٧
(٨) سورة الشعراء : من الآية ٥٩ (٩) سورة الاعراف : من الآية ١٣٧
(١٠) أضواء البيان : محمد الشنقيطى ج ٢ ص ٢٩٧

ومثال الاجمال بسبب الابهام في صلة موصول قوله تعالى " صراط الذين أنعمت عليهم " (سورة الفاتحة : ٧) قال رحمه الله تعالى في تفسيرها " لم يبين هنا من هؤلاء الذين أنعم الله عليهم . وبين ذلك في موضع آخر بقوله " فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا " (١)

(٢) ومثال الاجمال بسبب الابهام في معنى حرف قوله تعالى " ومما رزقناهم ينفقون " وقال رحمه الله تعالى في تفسيرها " عبر في هذه الآية الكريمة بمن التبعيضية الدالة على أنه ينفق لوجه الله بعض ماله لا كله ، ولم يبين هنا القدر الذي ينبغي انفاقه ، والذي ينبغي امساكه ، ولكنه بين في مواضع آخر أن القدر الذي ينبغي انفاقه : هو الزائد على الحاجة وسد الخلة التي لا بد منها وذلك كقوله " ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو " (٣) والمراد بالعفو: الزائد على قدر الحاجة التي لا بد منها على أصح التفسيرات وهو مذهب الجمهور " (٤)

ومن أنواع البيان : بيان الاجمال الواقع بسبب اجتماع في مفسر الضمير ومن أمثله قوله تعالى " وانه على ذلك لشهيد " (٥)

قال رحمه الله تعالى " فان الضمير يحتمل أن يكون عائدا الى الانسان وأن يكون عائدا الى رب الانسان المذكور في قوله " ان الانسان لربه لكنود " (٥) . ولكن النظم الكريم يدل على عوده الى الانسان وان كان هو الاول في اللفظ بدليل قوله بعده " وانه لحب الخير لشديد " (٥) فانه للانسان بلا نزاع وتفرييق الضمائر بجعل الأول للرب والثاني للانسان لا يليق بالنظم الكريم " (٦)

ومن أنواع البيان : أن يذكر شيء في موضع ثم يقع سؤال عنه في موضع آخر كقوله تعالى " الحمد لله رب العالمين " (٧) . قال المؤلف

-
- (١) أضواء البيان الشنقيطي ج ١ ص ٣٥ والآيه من سورة النساء : ٦٩
 - (٢) سورة البقرة : من الآيه ٣
 - (٣) سورة البقرة : من الآيه ٢١٩
 - (٤) أضواء البيان : محمد الشنقيطي ج ١ ص ٣٨
 - (٥) سورة العاديات : الآيات ٦ - ٨
 - (٦) أضواء البيان الشنقيطي ج ١ ص ٩ - ١٠
 - (٧) سورة الفاتحة : الآيه الاولى .

رحمه الله تعالى " لم يبين هنا ما العالمون وبين ذلك في موضع آخر بقوله : " قال فرعون وما رب العالمين ؟ قال رب السموات والأرض ، وما بينهما " (١) الآية " (٢) .

ومن أمثله قوله تعالى " مالك يوم الدين " (٣) قال رحمه الله تعالى " لم يبينه هنا وبينه في قوله " وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا " الآية (٤) (٥) .

ومن أنواع البيان التي ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى أن يذكر أمر في موضع ، ثم يذكر في موضع آخر شيء يتعلق بذلك الأمر ، كأن يذكر له سبب أو مفعول أو ظرف مكان أو ظرف زمان أو متعلق . فمثال ذكر سببه قوله تعالى " ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة " (٦) ، قال المؤلف رحمه الله تعالى : " لم يبين هنا سبب قسوة قلوبهم ولكنه أشار الى ذلك في موضع آخر كقوله " فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية " (٧) ، وقوله " فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم " (٨) الآية " (٩) .

ومن أمثلة المتعلق قوله تعالى " فاذا انشقت السماء فكانت وردة " (١٠) الآية وقوله " وانشقت السماء فهي يومئذ واهية " (١١) وقوله " اذا السماء انشقت " (١٢) فقد ذكر لانشقاقها متعلقا في الفرقان في قوله " ويوم تشقق السماء بالغمام " (١٣) الآية " (١٤) .

-
- (١) سورة الشعراء : من الآيتين ٢٣-٢٤
(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ج : ١ ص : ٣٣
(٣) سورة الفاتحة : الآية ٤ (٨) سورة الحديد : من الآية ١٦
(٤) سورة الانفطار : الآيات ١٧-١٩ (٩) أضواء البيان : الشنقيطي ج ١ ص ١٦
(٥) أضواء البيان : الشنقيطي ج ١ ص ٣٤
(٦) سورة البقرة : من الآية ٧٤ (١٠) سورة الرحمن من الآية ٣٧
(٧) سورة المائدة : من الآية ١٣ (١١) سورة الحاقة : من الآية ١٦
(١٢) سورة الانشقاق : الآية الاولى (١٣) سورة الفرقان : الآية ٢٥
(١٤) أضواء البيان : محمد الشنقيطي ج ١ ص ١٥

هذه بعض الأمثلة الكثيرة جدا والتي وردت في تفسيره رحمه الله تعالى على أصح طرق التفسير ألا هو تفسير القرآن بالقرآن وهو النوع الأول من التفسير بالمأثور .

تفسير القرآن بالسنة :

أما تفسير القرآن بالسنة ومن أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم فقد أورد رحمه الله تعالى عددا كثيرا منها وهذه بعضها :-
فمن ذلك : تفسيره لقوله تعالى " غير المغضوب عليهم ولا الضالين " (١) ، قال : " قال جماهير من علماء التفسير " المغضوب عليهم " اليهود " الضالون " النصارى . وقد جاء الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث عدى بن حاتم رضى الله عنه " (٢) .

وقال في تفسير قوله تعالى " ثلاثة قروء " (٣) ، وأما الذين قالوا الأطهار فاحتجوا بقوله تعالى : " فطلقوهن لعدتهن " (٤) وقالوا عدتهن الأمور بطلاقهن لها الطهر لا الحيض كما هو صريح الآية .
ويزيده أيضا قوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عمر المتفق عليه " فان بداله ان يطلقها فليطلقها طاهرا قبل أن يمسه فتلك العدة كما أمره الله " (٥) قالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم صرح في هذا الحديث المتفق عليه بأن الطهر هو العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء ، مبينا أن ذلك هو معنى قوله تعالى " فطلقوهن لعدتهن " وهو نص من كتاب وسنة نبيه محل النزاع .

(١) سورة الفاتحة : من الآية ٧ (٤) سورة الطلاق : الآية الأولى .
(٢) أضواء البيان : محمد الشنقيطى ج ١ ص ٣٧
(٣) سورة البقرة : من الآية ٢٢٨ (٥) البخارى : التفسير ج ٦ ص ٦٧ مسلم : الطلاق ج ٢ ص ١٠٩٣

قال مقيده عفا الله عنه - الذى يظهر لى أن دليل هؤلاء
هذا فصل فى محل النزاع لأن مدار الخلاف هل القرء والحیضات
أو الاطهار؟ وهذه الآیه، وهذا الحديث، دلا على أنها الأطهار.
ولا يوجد فى كتاب الله، ولا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم شىء
يقاوم هذا الدليل، لا من جهة الصحة، ولا من جهة الصراحة فى
النزاع، لأنه حديث متفق عليه مذكور فى معرض بيان معنى آیه من
كتاب الله تعالى " (١) .

وفى تفسير قوله تعالى " أفغير الله تتقون " (٢) قال رحمه الله
تعالى " أنكر جل وعلا فى هذه الآیه الكريمة على من يتقى غيره لأنه
لا ينبغى أن يتقى الا من بيده النفع كله والضر كله لأن غيره لا
يستطيع أن ينفكك بشىء لم يردده الله لك ولا يستطيع أن يضرك
بشىء لم يكتبه الله عليك " الى أن قال " وقد ثبت فى الصحيح عنه
صلى الله عليه وسلم أنه قال " اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى
لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد " (٣)، وفى حديث ابن عباس
المشهور " واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشىء لم يضروك
الا بشىء كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف " (٤) . (٥)

وفى تفسير قوله تعالى " قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم " (٦)
الآيتين، قال " وهذا الذى دلت عليه الآيتان من الزجر عن النظر

(١) أضواء البيان : محمد الشنقيطى ج١ ص ١٣٠

(٢) سورة النحل : من الآیه ٥٢

(٣) البخارى : كتاب الأذان ج١ ص ٢٠٥ مسلم : كتاب الصلاة ج١ ص ٣٤٧

(٤) رواه الامام احمد فى سنده ج١ ص ٢٩٣ والترمذى فى سننه كتاب القيامه

باب ٥٩ ج٤ ص ٦٦٢

(٥) أضواء البيان : محمد الشنقيطى ج٣ ص ٢٥٦-٢٥٧

(٦) سورة النور : الآيتين : ٣٠ - ٣١

الى ما لا يحل جاء موضعا فى أحاديث كثيرة .
منها ما ثبت فى الصحيح عن أبى سعيد الخدرى رضى الله
عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال " اياكم والجلوس بالطرقات ، قالوا
يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها ، قال فاذا أبيتم الا
المجلس فأعطوا الطريق حقه ، قالوا وما حق الطريق يا رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال غض البصر ، وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر " انتهى .

هذا لفظ البخارى فى صحيحه " (١) وذكر رحمه الله تعالى عددا
من الأحاديث غير هذا .

والأمثلة فى تفسيره القرآن بالسنة كثيرة جدا منها ما هو
تفسير مبهم ، ومنها ما هو تخصيص للعام ومنها ما هو مقيد لمطلق
ومنها ما هو بيان لمعنى أو متعلقه ومنها ما هو بيان أحكام
زائده على ما جاء فى القرآن ومنها ما هو بيان للناسخ والمنسوخ
ومنها ما هو تأكيد لما جاء فى القرآن ، وغير ذلك .

تفسير القرآن بأقوال الصحابة :

والمؤلف رحمه الله تعالى كثيرا ما يستشهد بالتفسير الصحيح
لصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثيرا ما يذكر لتفاسيرهم ،
شواهد من آيات القرآن الكريم أو من سنة المصطفى صلى الله عليه
وسلم .

فى تفسير قوله تعالى " وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة

(١) أضواء البيان : محمد الشنقيطى ج ٦ ص ١٩٠ وانظر البخارى : كتاب
المظالم ج ٣ ص ١٠٣

مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها
الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون " (١)

قال رحمه الله تعالى " وقوله " فأذاقها الله لباس الجوع والخوف
بما كانوا يصنعون " وقع نظيره قطعاً لأهل مكة لما لجؤوا الكفر
والعناد ودعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال " اللهم
أشدد وطأتك على مضر ، واجعلها عليهم سنين كسنين يوسف " (٢)
فأصابتهم سنة أذهبت كل شيء حتى أكلوا الجيف والعلهز " وهو
وبر البعير يخلط بدمه اذا نحروه " وأصابهم الخوف الشديد بعد
الأمّن وذلك الخوف من جيوش رسول الله صلى الله عليه وسلم وغزواته
وبعوثه وسراياه ، وهذا الجوع والخوف أشار لهما القرآن على بعض
التفسيرات فقد فسر ابن مسعود آية " الدخان " بما يدل على
ذلك "

ثم ذكر رحمه الله تعالى بعض الروايات عن ابن مسعود رضى
الله عنه وعقب عليها قائلاً " وفي تفسير ابن مسعود رضى الله عنه
لهذه الآية الكريمة - ما يدل دلالة واضحة أن ما أذيقته هذه
القرية المذكورة فى " سورة النحل " من لباس الجوع أذيقه أهل مكة
حتى أكلوا العظام وصار الرجل منهم يتخيل له مثل الدخان من
شدة الجوع . وهذا التفسير من ابن مسعود رضى الله عنه له حكم
الرفع لما تقرر فى علم الحديث : من أن تفسير الصحابي المتعلق
بسبب النزول له حكم الرفع ، كما أشار له صاحب طلعة الأنوار بقوله .
تفسير صاحب له تعلق بالسبب الرفع له محقق

(١) سورة النحل : الآية ١١٢

(٢) البخارى كتاب التفسير ج٦ ص ٣٩ صحيح مسلم كتاب صفات المنافقين ج٤

وكما هو معروف عند أهل العلم " (١) .

وقال رحمه الله تعالى مثل هذا التوثيق لتفسير الصحابي عند تفسيره لقوله تعالى " فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله " (٢) فساق الحديث الذي رواه الشيخان وأبو داود والترمذي (٣) عن جابر رضى الله عنه قال " كانت اليهود تقول اذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول ، فنزلت " نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنسى شئتم " (٤) . ثم علق على ذلك قائلا " فظهر من هذا أن جابرا رضى الله عنه يرى أن معنى الآية فأتوهن فى القبل على أية حالة شئتم ولو كان من ورائها " (٥) ، ثم قال والمقرر فى علوم الحديث الخ النص السابق .

وفى تفسير قوله تعالى " وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء " (٦) الآية قال رحمه الله تعالى " لا يخفى ما يسبق الى الذهن فى هذه الآية الكريمة من عدم ظهور وجه الربط بين هذا الشرط وهذا الجزاء وعليه ففى الآية نوع اجمال والمعنى كما قالت أم المؤمنين عائشه رضى الله عنها أنه كان الرجل تكون عنده اليتيمه فى حجره فان كانت جميلة تزوجها من غير أن يقسط فى صداقها ، وان كانت دميمة رغب عن نكاحها وعضلها أن تنكح غيره لثلا يشاركه فى مالها فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا اليهن ويبلغوا بهن أعلى سنتهن فى

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ج١ ص ٣٤٠-٣٤٢

(٢) سورة البقرة من الآية : ٢٢٢

(٣) البخارى : كتاب التفسير ج٥ ص ١٦٠ مسلم : النكاح ج٢ ص ١٠٥٨ ،

سنن ابى داود : النكاح ج٢ ص ٢٤٩ والترمذى : التفسير ج٥ ص ٢١٥

(٤) سورة التبقرة : من الآية ٢٢٣

(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ج١ ص ١٢٤

(٦) سورة النساء : من الآية ٣

الصداق وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن
وهذا المعنى الذى ذهبت اليه أم المؤمنين عائشه رضی الله عنها
يبينه ويشهد له قوله تعالى " ويستفتونك فى النساء قل الله يفتكم
فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن
ما كتب لهن وترغبون أن تنكوهن " (١) . وقالت رضى الله عنها :
ان المراد بما يتلى عليكم فى الكتاب هو قوله تعالى " وان ختم
الآن تقسطوا فى اليتامى " الآية فتبين أنها يتامى النساء بدليل
تصريحه بذلك فى قوله " فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما
كتب لهن " الآية فظهر من هذا أن المعنى : وان ختم الآن ،
تقسطوا فى زواج اليتيمات فدعوهن ، وانكحوا ما طاب لكم من النساء
سواهن وجواب الشرط دليل واضح على ذلك ، لأن الربط بين الشرط
والجزء يقتضيه ، وهذا هو أظهر الأقوال لدلالة القرآن عليه (٢) .

وكذا فى تفسير قوله تعالى " ولن يجعل الله للكافرين على
المؤمنين سبيلا " (٣) قال رحمه الله تعالى " فى معنى هذه الآية
أوجه للعلماء منها : أن المعنى " ولن يجعل الله للكافرين على
المؤمنين يوم القيامة سبيلا وهذا مروى عن على بن أبى طالب وابن
عباس رضى الله عنهم ويشهد له قوله تعالى فى أول الآية " فالله
يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين " الآية وهو ظاهر (٤)
وفى تفسير قوله تعالى " وان كان رجل يورث كلاله " (٥) قال
رحمه الله تعالى " والتحقيق أن المراد بالكلاله عدم الأصول والفروع
. . . . وهذا قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه وأكثر الصحابه وهو

(١) سورة النساء : من الآية ١٢٧ (٤) أضواء البيان : الشنقيطى ج١ ص ٣٧

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ج١ ص ٢٦٦-٢٦٧

(٣) سورة النساء : من الآية ١٤١ (٥) سورة النساء : من الآية ١٢

الحق ان شاء الله تعالى " (١) .

هذه بعض الأمثلة لتفسير الصحابة رضی اللہ عنہم التي أوردها المؤلف رحمه الله تعالى في تفسيره والمطلع على تفسيره يدرك بحق اهتمامه رحمه الله تعالى بتحرى تفسير الصحابة - الصحيح منه - والقول به والاستشهاد لما يعضده من الآي والحديث .

ومن هذه الأمثلة التي سقناها من تفسيره القرآن بالقرآن وبالسنه وبأقوال الصحابة رضی اللہ عنہم يظهر أثر التفسير بالمأثور في تفسير أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن " بما يجعله في مقدمة التفاسير في العصر الحديث من غير منازع حسب ما اطلعت عليه من التفاسير .

ثانيا : الموجز في تفسير القرآن الكريم

" المصنفى : الجامع بين صحيح المأثور وصريح المعقول "

أما المؤلف : فهو الاستاذ محمد رشدي حمادي

ولم أجده له ترجمه .

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ج ١ ص ٢٧٥

أما الكتاب :

فهو : الموجز فى تفسير القرآن الكريم " المصفى : الجامع

بين صحيح المأثور وصريح المعقول .

وبين يدي الجزء الأول منه ويقع فى ٥٥١ صفحة بدون -

الفهارس . وفيه تفسير سور الفاتحة والبقرة وآل عمران . والجزء

الثانى ويقع فى ٦٧٥ صفحة كذلك وفيه تفسير سور النساء والمائدة والانعام

وهما ما حصلت عليه من هذا التفسير الذى ليس فيه ما يدل

على رقم الطبعة ولا تاريخها ، وطبع هذان الجزآن فى دار احياء

الكتب العربية .

منهجه فى التفسير :

قال المؤلف فى مقدمته للتفسير معرفا به " هو خلاصة التفاسير

المجمع عليها بين المفسرين من علماء الأمة الاسلاميه وقد خلا

من تأويلات المذاهب الشاذة ، والاسرائيليات والتفسير بالرأى ، التى

عمرت بها كتب التفاسير دون مبرر فضلا عن أنه تفسير واف لفهم

نصوص القرآن العظيم كما بينها الرسول الكريم وكما أجمع عليها

المفسرون طوال العصور من تفسيرات لا تخرج النصوص عن مابنيها

أو معانيها وليس لى فيه من فضل سوى الاقتباس والاختيار ولم

أضف اليه بدعا من المذاهب أو الآراء ، وعلى الله قصد السبيل^(١)

وسنذكر ان شاء الله - آخر - ما التزم به من هذه الأمور وما لم

يلتزم به .

(١) الموجز فى تفسير القرآن الكريم : محمد رشدى حمادى ج ١ ص ٣

أمثلة من تفسيره :

تفسير القرآن بالقرآن :-

ففى الفاتحة مثلا فسر يوم الدين من قوله تعالى " مالك
يوم الدين " (١) . بقوله " وبينه الله تعالى فى سورة الانفطار بقوله
" وما أراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين . يوم لا تملك
نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله (١٧-١٩) الانفطار " (٢) .
وفسر قوله تعالى " صراط الذين أنعمت عليهم " (١) بقوله :
" ويعنى الأنبياء والمؤمنين وقد بينه فى سورة النساء بقوله " من
النبيين والصديقين والشهداء والصالحين " ٦٩ النساء " (٣) .
وفسر قوله تعالى " غير المغضوب عليهم ولا الضالين " (١) بقوله
" وقال السهيلي وشاهد ذلك قوله تعالى فى اليهود " فبأءا بغضب
على غضب " (٤) وفى النصارى " قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا " (٥) (٦) .
ومن سورة البقرة مثلا فسر قوله تعالى " كان الناس أمة واحدة
فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين " (٧) الآية بقوله " ونحن ذاكرون لك
ان شاء الله ما يجلى المعنى فى الآية مقتفين أثر ابن العدل (٨) ،
والقرطبي فيما قالاه فى معنى " كان " وأنها للثبوت لا للمضى غير
أنا نقدم لك ما جاء فى كتاب الله من وصف الأمة بالواحدة والمعنى
من ذلك الوصف فى مواضعه المختلفة ليكون فى ذلك توضيح لما نقصد

-
- (١) سورة الفاتحة : الايتين ٤ و ٧
(٢) الموجز فى تفسير القرآن الكريم : محمد رشدى حمادى ج١ ص ٨
(٣) الموجز فى تفسير القرآن الكريم : ، ، ، ، ج١ ص ٩
(٤) سورة البقرة : من الآية ٩٠ (٥) سورة المائدة : من الآية ٧٧
(٦) الموجز فى تفسير القرآن الكريم : محمد رشدى حمادى ج١ ص ٩
(٧) سورة البقرة : من الآية : ٢١٣ (٨) هكذا ولعلمها (ابن العربي)

اليه وسند لنا فيما اليه نعمد والله الموفق .

ورد وصف الأمة بالواحدة فى قوله تعالى فى سورة الأنبياء
" ٢١ : ٩٢ - ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم باعدون (٩٣)
وتقطعوا أمرهم بينهم كل إلينا راجعون " جاءت هذه الآية الكريمة
" ان هذه أمتكم " الخ بعد ذكر جمع من الأنبياء صلوات الله
عليهم وذكر ما كان من شأنهم مع قومهم والخطاب فيها للأنبياء
كما يفسره قوله تعالى فى سورة المؤمنين بعد ما ذكر من أحوال
الأنبياء والمرسلين وما كان من أقوامهم معهم " ٢٣ : ٥١ يا أيها
الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم (٥٢)
وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون (٥٣) فتقطعوا أمرهم
بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون " وقد جاء لفظ (أمة)
بالنصب فى الآيتين على الحال والخبر قد تم فى قوله " وان هذه
أمتكم " أى هذا الجمع من الأنبياء والمرسلين أمتكم أى جماعتكم حال
أنها أمة واحدة أى ليس جمعا تربطه الروابط البعيدة كما يقال أمة
الهند على اختلاف مللها وتفرق كلمتها بل هى أمة تربطها رابطة
قريبة هى رابطة الاهتداء بنور الله والدعوة الى توحيدهِ والقيام على
شرعه وحمل الناس على اتباع أحكامه فهى مجتمعته على أمر واحد
لا تعدد فيه هو الحق والعدل فهى جديرة بأن تكون أمة واحدة
وان شئت قلت كما قالوا ان الأمة بمعنى الملّة فى الآيتين - يـراد
بذلك أن الله يخبر المرسلين بأن هذا الذى سبق فى الكلام من
السير فى الناس بهداية الله والمثابرة على ذلك وعدم المبالاة بما
يكون منهم من تكذيب أو تعذيب هذه هى ملتكم ودينكم وهو أمر

واحد لا تعدد فيه يأتي به السابق ويتبعه عليه اللاحق لا يختلف فيه نبي عن نبي ولا يناكر فيه مرسل مرسلا

هذا المعنى من الوحده هو الذى جاء فى قوله تعالى فى سورة هود " ١١ : ١١٨ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين " وفى قوله فى سورة الشورى " ٤٢ : ٨ - ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء فى رحمته والظالمون ما لهم من ولى ولا نصير " (١)

هذا بعض ما قاله المؤلف جزاه الله خيرا وقد أطال فى الحديث عن هذه الآيات ونحوها وصله بعضها ببعض .

ومن سورة آل عمران فى قوله تعالى " اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى الآيه " (٢) قال بعد بيان " واعلم أن نص القرآن دل على أنه تعالى حين رفعه ألقى شبهه على غيره قال تعالى " وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا (١٥٧) بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيم (١٥٨) النساء " (٣)

ومنه أيضا تفسير قوله تعالى " وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء " (٤) قال " وهذا هو الغيب الذى أمر المكلفون بالايمان به ومدحوا عليه فى مثل قوله

(١) الموجز فى تفسير القرآن الكريم : محمد رشدى حمادى ج ١ ص ١٨٧-١٨٨

(٢) سورة آل عمران : من الآيه ٥٥

(٣) الموجز فى تفسير القرآن الكريم : محمد رشدى حمادى ج ١ ص ٣٨٨

(٤) سورة آل عمران : من الآيه : ١٧٩

تعالى " ٢ : ١ - ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين-٢-
الذين يؤمنون بالغيب" والدليل على كون المراد أن من يجتبيهم من
رسله يطلعهم على ما شاء أن يبلغوه لعباده من خبر الغيب هو
مثل قوله تعالى " ٧٢ : ٢٦ - عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد
(٢٧) إلا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه
رصداً (٢٨) ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم" (١)
ومن سورة النساء قوله تعالى " والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس
ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قريناً فساء
قريناً" (٢) . قال في تفسيرها " في الكلام اضرار تقديره " ولا يؤمنون
بالله ولا باليوم الآخر " فقرينهم الشيطان " ومن يكن الشيطان له قريناً
فساء قريناً والقرين : المقارن أى صاحب والخليل والمعنى من قِيلَ
من الشيطان في الدنيا فقد قارنه ، أى أن الحامل لأولئك المتكبرين على
ما ذكر هو وسوسة الشيطان التي عبر عنها في آية البقرة بقوله " ٢ : ٢٦٨
الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء " فبين أن هؤلاء قرناء
الشيطان " (٣) .

ومن سورة المائدة في قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا أوفوا
بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم" (٤) قال " إلا ما
ما يتلى عليكم مما حرم أى يقرأ عليكم في القرآن والسنة من قوله تعالى
" حرمت عليكم الميتة " الآية ٣ من هذه السورة ، وقوله عليه الصلاة والسلام
" وكل ذى ناب من السباع حرام " وهو الذى استثناءه " (٥) .

(١) الموجز في تفسير القرآن الكريم : محمد رشدي حمادي ج ١ ص ٥٢٦

(٢) سورة النساء : من الآية ٣٨

(٣) الموجز في تفسير القرآن الكريم : محمد رشدي حمادي ج ٢ ص ٥٨

(٤) سورة المائدة : الآية الأولى

(٥) المرجع السابق : ج ٢ ص ٢٣٤

ومن سورة الأنعام فى قوله تعالى عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم " وكذلك نصف الآيات وليقولوا درست " (١) قال " أى قرأت ، الكتب وقيل " درست " أى درست أهل الكتاب وتعلمت منهم روى هذا عن ابن عباس وأولى القراءات بالصواب عند الطبرى قراءة من قرأ " وليقولوا درست " بتأويل قرأت وتعلمت لأن المشركين كذلك كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم وقد أخبر الله عن قلوبهم ذلك بقوله " ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين " (١٠٣) النحل " فهذا خبر من الله ينبيء عنهم أنهم كانوا يقولون : إنما يتعلم محمد ما يأتىكم به من غيره " (٢) .

هذه بعض الأمثلة على تفسيره القرآن بالقرآن أصح طرق التفسير بالمأثور بل أصح طرق التفسير على الإطلاق . .

تفسير القرآن بالسنة :

فمن ذلك مثلا تفسيره لقوله تعالى " ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم " (٣) ، قال " يقول لا تجعلوا الله بالحلف به - مانعا لكم من أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس ولكن اذا حلفت على أن لا تصلوا رحما ولا تتصدقوا ولا تصلحوا وعلى أشباه ذلك من أبواب البر - فكفروا وأتوا الذى هو خير وفى الحديث : " اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذى هو خير وكفر عن يمينك " (٤) (٥)

-
- (١) سورة الانعام : الآية ١٠٥
 - (٢) المرجع السابق : ج ٢ ص ٤٩٨
 - (٣) سورة البقرة : الآية ٢٢٤
 - (٤) صحيح البخارى كتاب الايمان ج ٧ ص ٢١٦ وصحح مسلم كتاب الايمان ج ١١ ص ١١
 - (٥) الموجز فى تفسير القرآن الكريم : محمد رشدى حمادى ج ١ ص ٢١٣

وفى قوله تعالى " الذين يأكلون الربا " (١) الآية قال " وفى الحديث
" الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر
بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد قمن زاد أو استزاد فقد أربى
الآخذ والمعطى فيه سواء " (٢) (٣)

وفى قوله تعالى عن امرأة عمران لما وضعت ابنتها مريم " وانى
سميتها مريم وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم " (٤) قال
" وفى صحيح البخارى عن ابى هريره رضى الله عنه أن النبى صلى
الله عليه وسلم قال " ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين
يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها " ثم يقول
أبو هريرة : واقرأوا ان شئتم : " وانى أعيذها بك وذريتها من
الشيطان الرجيم " (٥)

وفى تفسير قوله تعالى " الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم
أولئك لهم الأمن وهم مهتدون " (٦) قال " وفى الصحيحين عن ابن
مسعود لما نزلت : " الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم " شق
ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا أين لم يظلم
نفسه ؟ فقال رسول الله : ليس هو كما تظنون انما هو كما قال لقمان
لابنه " يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم " (٧) (٨)

ولولا خشية الاطالة لسقنا اكثر من ذلك من تفسيره القرآن بالسنة
وفيما ذكرنا كفايه ان شاء الله .

(١) سورة البقرة : من الآية ٢٧٥

(٢) رواه الامام احمد فى مسنده ومسلم فى صحيحه والنسائى فى سننه عن ابى سعيد
الخدري . (٣) الموجز فى تفسير القرآن : محمد رشدى حمادى ج ١ ص

٢٧١ (٤) سورة آل عمران : من الآية ٣٦

(٥) الموجز فى تفسير القرآن : محمد رشدى حمادى ج ١ ص ٣٧ صحيح البخارى :

التفسير ج ٥ ص ١٦٦ ومسلم : الفضائل : ج ٤ ص ١٨٣٨

(٦) سورة الانعام الآية : ٨٢ (٧) سورة لقمان : من الآية : ١٣

(٨) الموجز فى تفسير القرآن الكريم : محمد رشدى حمادى ج ٢ ص ٤٦٤

تفسير القرآن بأقوال الصحابة :

وهي الدرجة الثالثة من التفسير بالمأثور وقد أورد الأستاذ محمد رشدي حمادى كثيرا من هذا النوع من التفسير فى تفسيره نذكر منه :
فى تفسيره " مالك يوم الدين " (١) قال " وعن ابن عباس فى قوله تعالى " مالك يوم الدين " أى قاضى يوم الدين وهو يوم الحساب والقضاء فيه بين الخلائق أى يوم يدان فيه الناس بأعمالهم لا قاضى غيره " (٢)

وفى قوله تعالى " لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم " (٣) الآية قال " عن ابن عباس هو قول الرجل فى درج كلامه واستعجاله فى المحاوره لا والله وبلى والله دون قصد لليمين " (٤)

وفى قوله تعالى " والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء " (٥) قال " وفى كتاب أبى داود والنسائى عن ابن عباس قال فى قوله تعالى " والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء " الآية وذلك أن الرجل كان إذا طلق امرأته فهو أحق بها وإن طلقها ثلاثا فنسخ ذلك وقال : " الطلاق مرتان " الآية (٦)

وفى تفسير قوله تعالى " أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب " (٧) قال " وروى عن ابن عباس أيضا أنه قال : هذا مثل ضربه

-
- (١) سورة الفاتحة : من الآية ٤
 - (٢) المرجع السابق : ج ١ ص ٨
 - (٣) سورة البقرة : من الآية ٢٢٥
 - (٤) المرجع السابق : ج ١ ص ٢١٤
 - (٥) سورة البقرة : من الآية ٢٢٨
 - (٦) الموجز فى تفسير القرآن الكريم : محمد رشدي حمادى ج ١ ص ٢١٥
 - (٧) سورة البقرة : من الآية : ٢٦٦

الله للمرائين بالأعمال يبطلها يوم القيامة أحوج ما كان اليها كمثل رجل كانت له جنة وله أطفال لا ينفعونه فكبر وأصاب الجنة اعصار أى ريح عاصف فيه نار فاحترقت ففقدها أحوج ما يكون اليها " (١)

وفى تفسير قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم " (٢) قال " قال ابن عباس أمرهم بالانفاق من أطيب المال وأجوده وأنفسه ونهاهم عن التصدق بزالة المال ودنيئه وهو خبيثه فان الله طيب لا يقبل الا طيبا " (٣)

وبعد هذه الأمثلة أيضا من تفسيره للقرآن بأقوال الصحابي ، وبهذا يكون هذا التفسير محتويا على أنواع التفسير بالمأثور الثلاثة تفسير القرآن بالقرآن ، وتفسيره بالسنة ، وتفسيره بأقوال الصحابه .

رأى فى هذا التفسير :

والحق أن هذا التفسير مع حرصه على ايراد التفسير بالمأثور الا أنا نراه لم يلتزم تماما بما وعد به فى مقدمة تفسيره . فهو تفسير لم يخل من الاسرائيليات كما وعد صاحبه بل انه ينقل عن هذه الكتب مباشرة أعنى التوراة والانجيل وعن غيرها من مصادر الاسرائيليات وأحسب أن الذى أدى به الى ذلك توسعه فى التاريخ القديم منه توسعا يوقعه أحيانا فى الاسرائيليات وما لا قاعدة ترجى من تناوله .

(١) المرجع السابق : ج ١ ص ٢٦٦

(٢) سورة البقرة : من الآية ٢٦٧

(٣) المرجع السابق : ج ١ ص ٢٦٧

ومن المآخذ عليه أيضا تلك الأبحاث العلمية والفلكية التي ،
يتوسع فيها أحيانا توسعا مذموما في تفسير للقرآن ومن ذلك
مثلا : ذلك الحديث المسهب^(١) عن علم الفلك الذى تحدث فيه
عن علمى الفلك عند علماء المسلمين وتسلسل هذا العلم إلى نزول رجلين
على سطح القمر ثم حديث عن المجموعة الشمسية والمسافات بينها
ودرجات الحرارة فيها ثم حديث عن المجرات ثم حديث عن علم النجوم
وكان الأولى لمثل تفسيره أن لا يعرض فيه مثل هذه الأبحاث
خاصة أنه وعد فى المقدمة بأن تفسيره خلا من التفسير بالرأى فهل
هذه المعلومات خارجه عن الرأى ؟ ١

ومنها أيضا ذلك البحث الذى أحقه بالجزء الأول تحت عنوان
تفسير فواتح السور^(٢) أدرج فيه ماسماه بتفسير علمى لفواتح
سور القرآن ، وذكر فيه أيضا ما ينبغى تنزيه مثل هذا التفسير
عنه .

ومآخذ أخرى ، هى أقل شأنا مما ذكرنا ، ومع هذا فتبقى
لهذا التفسير محاسنه من التفسير بالمأثور ، ومن معالجه لشئون
الحكومة الاسلاميه ووجوب تعديل القوانين حتى توافق التشريع الاسلامى
وتكراره لذلك عند كل مناسبه ثم تشخيصه لداء العالم الاسلامى فى
العصور الحديثه ووصفه الدواء لكثير من مشاكله .

رأى فى تفاسير هذا اللون فى القرن الرابع عشر :
الحق أنى لم أجد مثل هذين التفسيرين عناية بالمأثور مع
الفارق الكبير بين عناية الأول منهما أعنى الشيخ محمد الأمين الشنقيطى
وعناية الثانى : أعنى المستشار محمد رشدى حمادى . فقد تفوق الأول
بلا نزاع فى هذا اللون من التفسير تفوقا لا يدانيه الثانى ، ومع هذا

(١) انظر تفسيره ج٢ ص ٤٨٠ (٢) انظر تفسيره ايضا ج١ ص ٥٤٧

يبقى للأستاذ محمد رشدي حمادي درجته المتقدمة في هذا اللون .

ومع هذا وذاك فلا يزال ميدان التفسير بالمأثور يعاني قلقة خائضى عبابه وكم كنت أتمنى أن يقوم من آتاه الله سعة في العلم بتأليف أو بجمع الآيات التي يفسر بعضها بعضا وأن يضم إليها الأحاديث الصحيحة المرفوعة الى الرسول صلى الله عليه وسلم مبينا درجة كل حديث ، ويرتب هذا كله حسب ترتيب المصحف وليس له فيما جمع الآ الربط بين آية وآية أو آية وحديث ، وله ايضا مع هذا تخريج الأحاديث ليس الآ . وأحسب أن العلماء والعامه بحاجة ماسة الى هذا التفسير وعسى أن يكون فرجا قريبا .

وان كان لى من رأى بعد هذا أقوله فى الموجود من التفاسير الحديثه فهو أنها أو غالبها لا تهتم بالتفسير بالمأثور حاشا أن أتهمهم بقصد هذا ، ولكن الأمر فيما أظن اعتقاد بعضهم أن الناس قد انصرفوا عن هذا اللون من التفسير ، وايراد بعضهم الآخر التفسير بالمأثور بالمعنى من غير ايراد الآيات أو الأحاديث بنصوصها وانشغال بعض ثالث الى مباحث أخرى على حساب التفسير بالمأثور وقد يكون هنا تعليقات أخرى .

والله الموفق .

الباب الثاني

الاتجاهات العلمية في التفسير

الفصل الثالث

المنهج العلمي التجريبي في التفسير

المراد به

بادئ ذي بدء يتبغى أن ننبه الى أمرين هامين فى هذه

المسألة :

أولهما : جواب لشبهه أو سؤال ماذا نعنى بالعلمى من قولنا التفسير العلمى ، هل يعنى هذا أن التفاسير الأخرى غير علمية ؟ ولا شك أن مدار الخلاف ومركزه فى المراد بالعلم هنا .

فالعلم كلمة شاملة تشمل شتى أنواع المعارف البشرية القديم منها والجديد ، ثم تجازبت هذا الاصطلاح أيدي العلماء كل يطلقه على ما تدور فلك أبحاثه عليه ، فقال الحكماء فى تعريفه أنه صورة الشئ الحاصلة فى العقل أو حصول الصورة فى العقل، أو تعلق النفس بالشئ على جهة انكشافه .

وقال المتكلمون انه صفة يتحلى بها الأمر لمن قامت به وزعم الماديون أنه ليس الا خصوص اليقينيات التى تستند الى الحس وحده ، وقال علماء التدوين أنه المسائل المضبوطة بجهة واحدة والغالب أن تكون تلك المسائل نظرية كلية وقد تكون ضرورية . وقد تكون جزئية (١) .

هذا ما قاله أولئك وليس سبيلنا هنا بيان تلك الاصطلاحات ونقدها وانما سبيلنا عرضها دون ما سواه لنقف منه على اطلاقات هذا اللفظ " العلم " .

واذا ما نظرت الى المراد به عند علماء الشرع وجدت الغزالي يوضح ذلك بقوله " قد كان العلم يطلق على العلم بالله تعالى وآياته وأفعاله فى عباده وخلقه . . . وقد تصرفوا فيه بالتخصيص حتى شهروه فى الأكثر بمن يشتغل بالمناظره مع

(١) انظر مناهل العرفان : عبد العظيم الزرقانى ج ١ ص ٥-٦

الخصوم فى المسائل الفقهية وغيرها ولكن ماورد من فضائل العلم والعلماء أكثره فى العلماء بالله تعالى وأحكامه وأفعاله وصفاته وقد صار الآن مطلقا على من لا يحيط من علوم الشرع بشىء سوى رسوم جدليه فى مسائل خلافية فيعد بذلك من فحول العلماء مع جهله بالتفسير والأخبار وعلوم المذهب وغيره وصار ذلك سببا مهلكا لخلق كثير من أهل الطلب للعلم . (١)

هذه بعض الاصطلاحات فى لفظة " علم " فهل هى أو أحدها المراد فى التفسير العلمى للقرآن .

نظرة واحدة الى كتب التفسير العلمى تفيدك أن ليست هذه الاصطلاحات أو أحدها هى المراد من " العلمى " أو " العلم " فلنبحث عن اصطلاح آخر ولنطوى صفحات التاريخ الى العصر الحديث .

اذ قد ظهر فى هذا العصر مدلول آخر للعلم نظمـس جوانبه فى وصفهم لهذا القرن أو العصر بأنه عصر العلم (والتطور والنهضة) الى آخره وانما يهمننا وصفه بعصر العلم وهم يقصدون بذلك أن العلم هو العلم الطبيعى القائم على دراسة ما فى الكون من مواد وعناصر وكائنات لها خصائصها الذاتية وأنظمتها التى تحكمها من كيمياء وطبيعة وميكانيكا وغير ذلك من علوم الطب والرياضة والفلك وما يتضمنه ذلك من حقائق كونيه ، وأن العمل فى اطار هذا المفهوم للعلم هو تطبيق العلم

(١) أحياء علوم الدين : أبو حامد الغزالي ج ١ ص ٣٩

عمليا باستعمال الأجهزة والأدوات والوسائل الأخرى الحديثة من مختبرات ومراصد وتجارب واستنباطات منطقية وغير ذلك" (١)

هذا ما قصدوه من وصف عصرهم بعصر العلم وهو ما تناولوه فيما سموه بالتفسير العلمى .

ونحن وان كنا نقول انه لا مشاحة فى الاصطلاح لكنـه ينبغى ان يكون فى الاصطلاح ما يميزه عن سواه حتى لا تلتبس الأمور وتتداخل الاسماء . ولذا فانى نظرت ونظر غيرى الى هذه العلوم التى تناولها المفسرون تحت عنوان التفسير العلمى - فوجدتها تجمعها التجربة والتجارب فهى علوم ماثلة للأعيان وخاضعة فى غالبها للتجربة اذا فلم لا نخصها بهذه الصفة فلنسم هذا اللون من التفسير " التفسير العلمى التجريبي للقرآن الكريم " حتى يتميز هذا اللون من التفسير العلمى عن الألوان العلمىة الأخرى من العقائد والفقه ونحوها وكلها علم لا شك فيه .

ثانيهما :

وهو متولد عن الأمر الأول . اذ يظهر من اطلاق التفسير العلمى على هذه العلوم فى العصر الحديث أن هذه التسمية " التفسير العلمى للقرآن الكريم " تسمية حديثة ، وانما قلنا التسمية ولم نقل التفسير العلمى نفسه لأننا نجزم بوجود هذا اللون فى وقت مبكر لكنه لم يكن مثل العصر الحديث كثرة ولا مقاربا له .

بل ان كتب التفسير فى العصر الحديث أفردته بمؤلفات

(١) القرآن واعجازه العلمى : محمد اسماعيل ابراهيم ص ٤٤ بتصرف .

خاصة .

وظهرت تفاسير تحمل في عنوانها " التفسير العلمي " أو "الاعجاز العلمي" ونحو ذلك ، فكان التفسير العلمي من خصائص العصر الحديث في التفسير وان وجد بقله فيما قبله .

تعريفه :

ومن الطريف أنك لا تكاد تجد في كتب التفسير العلمي وغيره من يذكر تعريفه وبيان المراد منه ولعله لظهوره يغفل أولئك تعريفه ولكنه على كل حال بحاجة الى تعريف يحدد مجاله فيعرف ما يدخل فيه وما لا يدخل .

ولم أجد من ذكر له تعريفا الا الأستاذ أمين الخولى من حيث قال :

" هو التفسير الذى يحكم الاصطلاحات العلمية فى عبارة القرآن ويجتهد فى استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها" (١)

ونقل هذا التعريف بحروفه الشيخ محمد حسين الذهبى فى كتابه التفسير والمفسرون (٢) وهو وان لم يشر الى مصدر التعريف فان كتاب الخولى من مصادره فتبادر الى الذهن أنه نقله عنه والله أعلم .

واختصر هذا التعريف الدكتور موسى شاهين لاشين فقال فى تعريفه " يقصد بالتفسير العلمي التفسير الذى يحكم الاصطلاحات العلمية فى عبارات القرآن ، ويحاول استخراج العلوم المختلفة من آياته " (٣) .

(١) التفسير معالم حياته ، منهجه اليوم : أمين الخولى ص ١٩-٢٠

(٢) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبى ج ٣ ص ١٤٠

(٣) اللآلىء الحسان فى علوم القرآن : موسى شاهين لاشين ص ٣٧٧

وهذا التعريف الذى ذكره الدكتور موسى هو نفس التعريف السابق مع بعض التغيير ، ولم يشر الدكتور أيضا الى مصدره ، وتأثر بهذا التعريف أيضا الأستاذ محمد الصباغ فقال فى تعريفه " انه تحكيم مصطلحات العلوم فى فهم الآية ، والربط بين الآيات الكريمة ومكتشفات العلوم التجريبية والفلكية والفلسفية " (١) .

ولعلك تقول بعد هذا تذكر هذه التعريفات ثم تقول انك لا تكاد تجد تعريفا ؟ ومخلصى وعذرى من هذا أن التعريفات الثلاثة الأخيرة مرجعها كلها الى التعريف الأول فهى اما ناقله له بحروفه واما ناقله له بتقديم وتأخير واما متأثره به وبألفاظه .

وتجد القاسم المشترك بين هذه التعريفات أنها تصف هذا اللون من التفسير بأنه " تحكيم " ١١ للمصطلحات العلمية فى عبارة القرآن ولا شك أن فى هذا التعبير شىء من القسوة .

وتجد أيضا أنها اتفقت على عبارة " المصطلحات العلمية " ولم يذكر أحدهم الحقائق أو النظريات أو المكتشفات أو المشاهدات العلمية . وهذا يؤيد اتحاد مصدر التعريف عندهم .

وتجدها أيضا تصف صاحب التفسير العلمى بأنه " يجتهد فى استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية " والذى اعتقده ان التفسير العلمى بمعناه المعروف لا يشمل ايراد الآراء الفلسفية ، كما لا يعم مختلف العلوم بل فى أنواع معينه منها كالطب والرياضيات والفلك وعلم الحيوان والنبات والكيمياء وعلم طبقات الأرض ونحو ذلك من

(١) لمحات فى علوم القرآن : محمد الصباغ ص ٢٠٣

العلوم التجريبية فلا يشمل مختلف العلوم على إطلاقها .
ولذا فاني أعتقد قصور هذا التعريف وقد انتقد هذا التعريف
أيضا الشيخ عبدالله الأهدل في رسالته " التفسير العلمي للقرآن
الكریم " فقال عن تعريف الخولى والذهبي " فقولهما : يحكم
الاصطلاحات العلمية في عبارة القرآن غير دقيق لأنه ما كل تفسير
على كذلك وتعبيرهما هذا " يحكم " يوحي بأن الآية المراد
تفسيرها لها معنى آخر ، غير المعنى العلمي الذى يراد منها أن
تدل عليه ، وهذا وان صدق على بعض التفسير المتمحل، والشطحات
العلمية فانه لا ينطق على البعض الآخر ، ثم قال : " وربما كان
التعريف الصحيح للتفسير العلمي أن يقال : " هو تفسير الآيات
الكونية الواردة في القرآن على ضوء معطيات العلم الحديث ، بغض
النظر عن صوابه وخطئه " ليشمل التفسير الصحيح والتفسير الخاطئ^(١)
والذى يظهر لى والله أعلم أن التعريف الأقرب الى أن يكون
جامعا مانعا أن يقال : - المراد بالتفسير العلمي : هو اجتهاد
المفسر فى كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم ومكتشفات العلم
التجريبى على وجه يظهر به اعجاز للقرآن يدل على مصدره ، -
وصلاحيته لكل زمان ومكان " .

ولا شك أن وصفه ب " اجتهاد المفسر " يدخل فيه التفسير
العلمي المقبول والمرفوض لأن المجتهد قد يخطئ وقد يصيب
وقولنا " الربط " ليشمل ما هو تفسير وما هو من قبيله كالاستناس
بالآية فى قضية من قضاياها ونحو ذلك وقولنا " العلم التجريبى " يخرج

(١) التفسير العلمي للقرآن الكريم : بحث ماجستير أعداه الشيخ عبد الله بن
عبدالله الأهدل (نسخة مسحوة على الاستنسل ص ١٥) .

بقية العلوم الكلامية والفلسفية ونحوها وقولنا " على وجه " لبيان
ثمرته وقولنا " يدل على مصدره " نقصد به أنه اذا ما ثبت هذا
التوافق بين نصوص القرآن الكريم وحقائق العلوم ولم يقع أى تعارض
بين نص قرآنى وحقيقة علمية مهما كانت جدتها وحدائتها فانه لا
يمكن أن يقول مثل هذه النصوص بشر قبل اكتشافها بقرون ولا بد
من أن يكون المتكلم بها هو موجد هذه الحقائق ومكونها وهو الله
سبحانه وتعالى ، وقولنا " صلاحيته لكل زمان ومكان " نقصد به
أنه صالح لكل عصر لا تأتى عليه الأيام ولا الحدثان بما يبطل شيئاً
منه فهو صالح لكل عصر وأوان .

هذا ما ظهر لى الآن من المعنى المراد به ، والله أعلم .

موقف العلماء السابقين من التفسير العلمى التجريبي :

مما لا شك فيه أن مثل هذا اللون فى تفسير القرآن الكريم
فى جدته وتجده سيكون له خصوم وسيكون له أنصار يلتمس كل
منهم دليلاً ينصر به رأيه ويؤيده به ثم يكر على دليل الخصم
فيبطله .

وقد كان هذا الأمر فى التفسير العلمى للقرآن الكريم منذ
لحطات بزوغه ونحن وان كنا لا نعرف هذا الحدث باليوم أو بالسنة
الآن أن العلماء اتفقوا على أن الامام الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ ،
من أوائل المتكلمين فى هذا النوع من التفسير ، وعلى هذا فيكون
ظهوره على وجه التقريب فى أواخر القرن الخامس الهجرى ، واتفقوا
أيضاً على أن الغزالي نفسه أكثر من استوفى بيان هذا القول الى
عهده . (١)

(١) انظر مثلاً : التفسير معالم حياته : أمين الخولى ص ٢٠ والتفسير والمفسرون
محمد حسين الذهبي ج ٣ ص ١٤٠ ولمحات فى علوم القرآن : محمد الصباغ ص ٢٠٣
والتفسير العلمى للقرآن الكريم : عبد الله الهادى ص ٨٥ اتجاهات التفسير فى
العصر الراهن : عبد المجيد المحتسب ص ٢٤٧ وغيرهم .

ومما لا شك فيه أن الامام الغزالي لم يكن وحيدا في الميدان
يجول ويصول فقد نزل معه أنصار ونازله خصوم وما زالت المعركة
الفكرية قائمة لم تهدأ لها ثائرة ولم تقعد لها قائمة ولم تطفأ لها
نار .

وما دام حديثنا هنا محصورا في العصر الحديث فانه لا يسعنا
ونحن ندخل معركة طال عمرها وسد الأفق غبارها إلا وأن يكون
لدينا علم ومعرفة بما قاله السابقون من الأنصار والخصوم حتى نبدأ
الطريق من أوله ونأتى البيوت من أبوابها .

وبما أن الامام الغزالي من أوائل المتكلمين في ذلك وهو أيضا
من المؤيدين والمروجين لهذا اللون من التفسير فانا نبدأ بذكر
آراء المؤيدين وبرأيه هو قبلهم ،

رأى المؤيدين :

ونذكر من هؤلاء المؤيدين لهذا التفسير العلمى عددا من
العلماء المسلمين الذين أظهروا تأييدهم له وأعلنوه وكانوا من
أوائل مطبقيه على نصوص القرآن الكريم ومن هؤلاء :

الامام الغزالي :

وقد بسط القول في هذا في كتابه احياء علوم الدين ، وجواهر
القرآن ، فقد عقد في أولهما الباب الرابع من كتاب آداب تلاوة
القرآن في : " فهم القرآن وتفسيره بالرأى من غير نقل " دلل فيه
على أن القرآن يشتمل على مجامع العلوم كلها . فقال مثلا :
" اعلم أن من زعم أن لا معنى للقرآن إلا ما ترجمه ظاهر التفسير
فهو مخبر عن جد نفسه وهو مصيب في الاخبار عن نفسه ولكنسه
مخطىء في الحكم برد الخلق كافة الى درجته التى هى حده ومحطه

بل الاخبار والآثار تدل على أن فى معانى القرآن متسعا لأرباب الفهم قال على رضى الله عنه إلا أن يؤتى الله عبدا فهما فى القرآن فان لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم وقال صلى الله عليه وسلم " ان للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا " (١)

ويروى أيضا عن ابن مسعود موقوفا عليه ، وهو من علماء التفسير ، فما معنى الظهر والبطن والحد والمطلع ، وقال على كرم الله وجهه لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب" فما معناه وتفسير ظاهرها فى غاية الاقتصار وقال ابو الدرداء لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها وقد قال بعض العلماء ولكل آية ستون ألف فهم وما بقى من فهمها اكثر وقال آخرون القرآن يحوى سبعة وسبعين ألف علم ومائتى علم اذ كل كلمة علم ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف اذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع ، وترديد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم عشرين مرة (٢) لا يكون إلا لتدبره باطن معانيها والآ فترجمتها وتفسيرها ظاهرا لا يحتاج مثله الى تكرير وقال ابن مسعود رضى الله عنه من أراد علم الأولين والآخريين فليتبدر القرآن " وذلك لا يحصل بمجرد تفسيره الظاهر ،

(١) سئل بن تيمية رحمه الله تعالى عن حد يث" للقرآن باطن وللباطن باطن الباطن الباطن الباطن ، فقال "أما الحد يث المذكور فمن الأحاديث المختلفة التي لم يروها أحد من أهل العلم ولا يوجد في شيء من كتب الحد يث ولكن يروى عن الحسن البصرى موقوفا أو مرسلا" أن لكل آية ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا" مجموع الفتاوى : لابن تيمية ج ٣ ص ٢٣١-٢٣٢ ، وانظر ما كتبه عن الظاهر والباطن فى منهج أهل السنة والجماعة .

(٢) رواه أبو ذؤيب الهروى فى معجمه من حد يث أبى هريرة بسند ضعيف" المغنى عن حمل الاسفار فى الاسفار فى تخريج ما فى الاحياء من الاخبار" للحافظ زين الدين العراقى ، ضمن احياء علوم الدين للإمام الغزالي ج ١ ص ٢٨٩

وبالجملة فالعلوم كلها داخله في أفعال الله عز وجل وصفاته
وفى القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته وهذه العلوم لا نهاية لها .
وفى القرآن اشارة الى مجامعها ، والمقامات فى التعمق فى تفصيله
راجع الى فهم القرآن ومجرد ظاهر التفسير لا يشير الى ذلك بل
كل ما أشكل فيه على النظر واختلف فيه الخلائق فى النظريات
والمعقولات ، وفى القرآن اليه رموز ودلالات عليه يختص اهل الفهم
بدرکها " (١)

ثم زاد ذلك بيانا وتفصيلا فى كتابه جواهر القرآن وقد اختصر
حديثه هذا الاستاذ أمين الخولى^(٢) واختصره أحسن منه الشيخ محمد
حسين الذهبى فقال رحمه الله تعالى " ثم اننا نتصفح كتابه
(جواهر القرآن) الذى ألفه بعد الأحياء كما يظهر لنا من
مقدمته ، فنجده يزيد هذا الذى قرره فى الأحياء بيانا وتفصيلا
فيعقد الفصل الرابع منه لكيفية انشعاب العلوم الدينية كلها وما
يتصل بها من القرآن عن تقسيمات وتفصيلات تولاهما لا نطيل بذكرها
ويكفى أن نقول انه قسم علوم القرآن الى قسمين :

الأول : علم الصدف والقشر وجعل من مشتملاته : علم اللغة ،
وعلم النحو ، وعلم القراءات ، وعلم مخارج الحروف ، وعلم التفسير
الظاهر .

والثانى : علم اللباب وجعل من مشتملاته : علم قصص الأولين ،
وعلم الكلام ، وعلم الفقه ، وعلم أصول الفقه ، والعلم بالله واليوم الآخر ،
والعلم بالصراط المستقيم وطريق السلوك .

(١) احياء علوم الدين : ابو حامد الغزالي ج ١ ص ٢٩٦

(٢) التفسير معالم حياته منهجه اليوم : امين الخولى ص ٢٠-٢١

ثم يعقد الفصل الخامس منه لكيفية انشعاب سائر العلوم من القرآن فيذكر علم الطب والنجوم وهيئة العالم وهيئة بدن الحيوان وتشريح أعضائه وعلم السحر ، وعلم الطلسمات وغير ذلك ثم يقول : " ووراء ما عدده علوم أخرى يعلم تراجمها ولا يخلوا العالم عمن يعرفها ، ولا حاجة الى ذكرها بل أقول : ظهر لنا بالبصيرة الواضحة التي لا يتماهى فيها أن فى الامكان والقوة أصنافا من العلوم بعد لم تخرج من الوجود وان كان فى قوة الآدمى الوصول اليها ، وعلوم كانت قد خرجت الى الوجود واندرست الآن فلن يوجد فى هذه الأمصار على بساط الأرض من يعرفها ، وعلوم آخر ليس قوة البشر أصلا ادراكها والاحاطة بها ويحظى بها بعض الملائكة المقربين فان الامكان فى حق الآدمى محدود والامكان فى حق الملك محدود الى غاية فى الكمال بالاضافة كما أنه فى حق البهيمة محدود الى غاية فى النقصان ^(١) وانما الله سبحانه هو الذى لا يتناهى العلم فى حقه " .

ثم يقول بعد ذلك (ثم هذه العلوم ما عددناها وما لم - نعدّها ليست أوائلها خارجة عن القرآن فان جميعها مغترفه من بحر واحد من بحار معرفة الله تعالى وهو بحر الأفعال ، وقد ذكرنا أنه بحر لا ساحل له وأن البحر - لو كان مدادا لكلماته لنفذ البحر قبل أن تنفذ ، فمن أفعال الله تعالى وهو بحر الأفعال ^(٢) مثلا - الشفاء والمرض كما قال الله تعالى حكاية عن ابراهيم (واذا مرضت فهو يشفين) ^(٣) وهذا الفعل الواحد لا يعرفه

(١) فيما نقله الشيخ الذهبي - رحمه الله تعالى - هنا سقط (سبق نظر) اصلته من مرجعه .

(٢) ان كان الضمير (هو) يرجع الى لفظ الجلاله فان (بحر الأفعال) ليست من اسمائه ولا من صفاته عند السلف . (٣) سورة الشعراء من الآية ٨٠ .

الا من عرف الطب بكماله اذ لا معنى للطب الا معرفة المرض بكماله
وعلاماته ومعرفة الشفاء وأسبابه . ومن أفعاله تقدير معرفة الشمس
والقمر ومنازلهما بحسبان ، وقد قال الله تعالى (الشمس والقمر
بحسبان) (١) وقال (وقد رناه منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) (٢)
وقال (وخسف القمر وجمع الشمس والقمر) (٣) وقال (يولج الليل في
النهار ويولج النهار في الليل) (٤) وقال (والشمس تجري لمستقر
لها ذلك تقدير العزيز العليم) (٥) ولا يعرف حقيقة سير الشمس
والقمر بحسبان وخسوفهما وولج الليل في النهار - وكيفية تكور
أحدهما على الآخر الآخر من عرف هيئات تركيب السموات والأرض وهو
علم برأسه . ولا يعرف كمال معنى قوله (يأبها الانسان ما غرك
بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك) (٦)
الا من عرف تشريح الأعضاء من الانسان ظاهرا وباطنا وعددها
 وأنواعها وحكمتها ومنافعها وقد أشار فى القرآن فى مواضع اليها
وهى من علوم الأولين والآخرين ، وفى القرآن مجامع علم الأولين
والآخرين . وكذلك لا يعرف كمال معنى قوله (سويته ونفخت
فيه من روحى) (٧) ما لم يعلم التسوية والنفخ والروح ، ووراءها
علوم غامضة يغفل عن طلبها أكثر الخلق وربما لا يفهمونها ان -
سمعوها من العالم بها ، ولو ذهبت أفصل ما تدل عليه آيات
القرآن من تفاصيل الأفعال لطال ، ولا تمكن الاشارة الا الى
مجامعها فتفكر فى القرآن والتمس غرائبه لتصادف فيه مجامع
علم الأولين والآخرين وجملة أوائله " (٨) .

-
- | | |
|--------------------------------|---|
| (١) سورة الرحمن من الآية ٥ | (٢) سورة يونس من الآية ٥ |
| (٣) سورة القيامة : الآيتين ٨-٩ | (٤) سورة الحج من الآية ٦١ |
| (٥) سورة يس من الآية ٣٨ | (٦) سورة الانفطار الآيات ٦-٧-٨ |
| (٧) سورة الحجر: من الآية ٢٩ | (٨) جواهر القرآن : لابي حامد الغزالي ص ٣٠ |

هذه بعض نصوص الامام الغزالي واذا ما تأمل متأمل فيها
وجد في نصوصه نحو قوله " وفي القرآن اشارة الى مجامعها " . . .
ففي القرآن اليه رموز وعلامات " ودلالات عليه " ثم هذه العلوم
ما عدناها وما لم نعدنا ليست أوائلها خارجة عن القرآن " ،
وأخيرا قوله " وفي القرآن مجامع علم الأولين والآخريين " .

وللمتأمل ان يسأل عن موقف الغزالي اذ ان هذه النصوص
الدالة على أن في القرآن رموز . . وعلامات . . ودلالات وأوائل . .
ومجامع العلوم لا تدل دلالة كاملة على موقف صاحبها وان كانت
صريحة في تأييد التفسير العلمي الا أنها تقصر عن تحديد مدى
هذا التأييد ولا يهمننا ، الأمر بقدر ما يهمننا أن هذه النصوص
للإمام الغزالي وهي من أقدم النصوص التي بين أيدينا من هذا
النوع تدل على أن قائلها قد وضع الأسس النظرية للتفسير العلمي
وبعبارة أخرى أصرح وأوضح ان الغزالي روح للتفسير العلمي
ومهد السبيل لمن أراد سلوكه وان كان هو لم يسلكه لكن جاء من
بعده وقريب منه من التزم هذا النوع التزاما بلغت درجته فيه أن
قل عن تفسيره فيه كل شيء الا التفسير ، ذلكم هو الفخر الرازي .

رأى الفخر الرازي (ت ٦٠٦) :

والرازي نفسه يحس أنه أكثر من هذا النوع من التفسير فيفترض
اعتراضا ويرد عليه فيقول في تفسير قوله تعالى " ان ربكم الله
الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام " الآية^(١) : - ربما جاء
بعض الجهال والحمقى وقال : انك اكثر في تفسير كتاب الله (تعالى)

(١) من سورة الأعراف : من الآية ٥٤

من علم الهيئة والنجوم وذلك على خلاف المعتاد فيقال لهذا المسكين : انك لو تأملت في كتاب الله (عز وجل) حق التأمل لعرفت فساد ما ذكرته ، وتقريره من وجوه : -

الأول : أن الله تعالى ملأ كتابه من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة بأحوال السموات والأرض وتعاقب الليل والنهار وكيفية أحوال الضياء والظلام ، وأحوال الشمس والقمر والنجوم وذكر هذه الأمور في أكثر السور وكررها وأعادها مرة بعد أخرى ، فلو لم يكن البحث عنها والتأمل في أحوالها جائزا لما ملأ الله كتابه منها .

والثاني : أنه تعالى قال : أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروع " (٢) فهو تعالى حث على التأمل في أنه كيف بناها ولا معنى لعلم الهيئة الا التأمل في أنه كيف بناها وكيف خلق كل واحد منها .

والثالث : أنه تعالى قال : لخلق السموات والأرض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون " (٣) فبين أن عجائب الخلقة وبدائع الفطره في أجرام السموات اكثر وأعظم وأكمل مما في أبدان الناس . . .

الرابع : أنه تعالى مدح المتفكرين في خلق السموات والأرض ، فقال " ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا " (٤) . ولو كان ذلك ممنوعا منه لما فعل .

(١) سورة الأعراف : من الآية ٥٤ (٢) سورة ق : الآية ٦

(٣) سورة غافر : الآية ٥٧ (٤) سورة آل عمران : الآية ١٩١

الخامس : أن من صنف كتابا شريفا مشتملا على دقائق العلوم العقلية والنقلية بحيث لا يساويه كتاب فى تلك الدقائق ، فالمعتقدون فى شرفه وفضيلته فريقان منهم من يعتقد كونه كذلك على سبيل الجملة من غير أن يقف على ما فيه الدقائق واللطائف على سبيل التفصيل والتعيين ومنهم من وقف على تلك الدقائق على سبيل التفصيل والتعيين ، واعتقاد الطائفة الاولى وان بلغ الى أقصى الدرجات فى القوة والكمال الآن اعتقاد الطائفة الثانية يكون أكمل وأقوى وأوفى ، وأيضا فكل من كان وقوفه على دقائق ذلك الكتاب ولطائفة اكثر كان اعتقاده فى عظمة ذلك المصنف وجلالته أكمل " (١) .

ولذلك فان الرازى وقد أبدى رأيه فى التفسير العلمى فانه أكثر من تطبيقه فى تفسيره وتناول شتى العلوم والمعارف مما يبوءه درجة متقدمة فى صفوف مؤيدى التفسير العلمى بل بين متطرفى أنصاره .

رأى الزركشى : (ت ٧٩٤)

ومن المؤيدين أيضا الامام بدر الدين الزركشى متأثرا فيما يبدو لى بموقف الامام الغزالى لاتحاد الأدلة وبعض العبارات ، فقد أورد الزركشى بعض الاقوال التى أوردها الغزالى كقول بعض العلماء : لكل آية ستون الف فهم وما بقى من فهمها اكثر وقول آخر القرآن يحوى سبعة وسبعين ألف علم ومائتى علم اذ لكل كلمة علم ثم يتضاعف ذلك أربعة اذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع..

(١) التفسير الكبير: الفخر الرازى ج ١٤ ص ١٢١

ثم عقب الزركشى على هذه الأقوال وغيرها بقوله : " وبالجملة فالعلوم كلها داخلة فى أفعال الله تعالى وصفاته وفى القرآن شرح ذاته وصفاته وأفعاله فهذه الأمور تدل على أن فهم معانى القرآن مجالا رحبا ، ومتسعا بالغا وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس ينتهى الإدراك فيه بالنقل ، والسمع لا بد منه فى ظاهر التفسير ، ليتقى به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط والغرائب التى لا تفهم الا باستماع فنون كثيرة . . . " (١)

بل ان الامام الزركشى رحمه الله تعالى عقد فصلا خاصا عنونه بقوله " فى القرآن علم الأولين والآخريين " وقال فيه " وفى القرآن علم الأولين والآخريين وما من شىء الا ويمكن استخراجه منه لمن فهمه الله تعالى . . . " (٢)

رأى السيوطى ت (٩١١) هـ

وذهب الامام السيوطى الى نحو ما ذهب اليه الامامان الغزالى والزركشى وزاد على أدلتها أدلة أخرى ، وقد أفرد النوع الخامس والستين من أنواع علوم القرآن فى العلوم المستنبطة من القرآن ودل لذلك بقوله تعالى " ما فرطنا فى الكتاب من شىء " (٣) وقال سبحانه " ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء " (٤) ، وقال صلى الله عليه وسلم ستكون فتن قيل وما المخرج منها قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم " أخرجه الترمذى وغيره ، وأخرج سعيد

(١) البرهان فى علوم القرآن : يد رالدين الزركشى ج ٢ ص ١٥٤-١٥٥

(٢) البرهان فى علوم القرآن : يد رالدين الزركشى ج ٢ ص ١٨١

(٣) سورة الأنعام : من الآية ٣٨

(٤) سورة النحل : من الآية ٨٩

ابن منصور عن ابن مسعود قال من أراد العلم فعليه بالقرآن فان فيه خبر الأولين والآخريين ، وقال البيهقي يعنى أصول العلم^(١) وقال أيضا " وأنا أقول قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شيء أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل - الآ وفي القرآن ما يدل عليها وفيه عجائب المخلوقات وملكوت السموات والأرض وما في الأفق الأعلى وتحت الثرى وبدء الخلق وأسماء مشاهير الرسل والملائكة وعيون أخبار الأمم السالفة . . . الى غير ذلك مما يحتاج شرحه الى مجلدات " ^(٢) .

رأى ابن أبي الفضل المرسي :

وأورد السيوطي رحمه الله تعالى لتأييد مذهبه نصا طويلا لابن أبي الفضل المرسي قال فيه عن القرآن الكريم " قد احتوى على علوم أخرى من علوم الأوائل مثل الطب والجدل والهيئة والهندسة والجبر والمقابلته والنجامة وغير ذلك " ^(٣) .

ثم ذهب يبين بعض مواضع ذلك فيذكر مدار كل علم ثم يذكر الآية التي جمعت ذلك حسب رأيه ، وزاد على هذا بأن ذكر أن في القرآن أصول الصنائع وأسماء الآلات التي تدعو الضرورة اليها كالخياطة والحدادة والنجارة والغزل والنسج والفلاحة والصيد والغوص والصياغة والزجاجه والفخار والملاحه الخ . وهو يذكر بعد كل مهنة ما يراه شاهدا لها من القرآن الكريم .

كان هذا عرضا لبعض آراء مؤيدي التفسير العلمي للقرآن الكريم

(١) الاتقان في علوم القرآن : للامام السيوطي ج ٢ ص ١٢٥-١٢٦

(٢) المرجع السابق : ج ٢ ص ١٢٩

(٣) الاتقان : الامام السيوطي ج ٢ ص ١٢٧

بل اشتماله على كل العلوم وشتى المعارف ، ولم يكن هذا مسلما لهم ولم يكن سالما عن المعارضه والرفض .

ولئن أبحث لنفسي بعض الاطناب في ذكر آراء المؤيدين فانى سأكبح من جماحها في ذكر آراء المعارضين ليس لتأييد فريق على فريق وانما لأن المعارض هنا هو الإمام الشاطبي الذي أشبع الحديث حتى لم يبق مكانا لمزيد .

آراء المعارضين :

رأى الشاطبي : ت (٧٩٠) هـ

بدأ الشاطبي رحمه الله تعالى حديثه ببيان العلوم التي كانت منتشرة بين العرب وقت نزول القرآن الكريم ، ثم بين موقف الشريعة من هذه العلوم بقوله : " فصحت الشريعة منها ما هو صحيح وزادت عليه وأبطلت ما هو باطل ، وبينت منافع ما ينفع من ذلك ومضار ما يضر منه " ^(١) وذكر من ذلك علم النجوم وعلم الأنواء وأوقات نزول المطر وعلم التاريخ وأخبار الأمم الماضيه ، ثم بين ما كان أكثره باطلا أو جميعه كعلم العيافه والزجر والكهانه وخط الرمل والضرب بالحصى والطيره ، ومن النوع الأول الطب والتفنن في علوم البلاغة وضرب الأمثال ^(٢) .

ثم قرر بعد هذا " أن كثيرا من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد فأضافوا اليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين من علوم الطبيعيات والتعاليم ^(٣) والمنطق وعلم الحروف وجميع ما ينظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها وهذا اذا عرضناه على

(١) الموافقات : للإمام الشاطبي ج ٢ ص ٧١-٧٦

(٢) " " " " ج ٢ ص ٧١-٧٢

(٣) أي الرياضيات من الهندسة وغيرها .

على ما تقدم لم يصح ، والى هذا فان السلف الصالح - من الصحابة والتابعين ومن يليهم - كانوا أعرف بالقرآن ويعلمونه وما أودع فيه ولم يبلغنا أنه تكلم أحد منهم فى شىء من هذا المدعى سوى ما تقدم وما ثبت فيه من أحكام التكليف وأحكام الآخرة وما يلى ذلك ولو كان لهم فى ذلك خوض ونظر لبلغنا منه ما يدلنا على أصل المسألة إلا أن ذلك لم يكن فدل على أنه غير موجود عندهم وذلك دليل على أن القرآن لم يقصد فيه تقرير لشيء مما زعموا " (١) .

وبين ذلك فى موضع آخر عند ذكر العلوم المضافة الى القرآن فبعد أن ذكر من العلوم ما هو كالاداة لفهمه والوسيلة لاستخراج فوائده قال " ولكن قد يدعى فيما ليس بوسيله أنه وسيله الى فهم القرآن وأنه مطلوب كطلب ما هو وسيله بالحقيقة ، فان علم العربية أو علم النسخ والمنسوخ ، وعلم الأسباب ، وعلم المكي والمدنى ، وعلم القراءات ، وعلم أصول الفقه ، معلوم عند جميع العلماء أنها معينه على فهم القرآن ، وأما غير ذلك فقد يعده بعض الناس وسيلة أيضا ولا يكون كذلك كما تقدم فى حكاية الرازى فى جعل علم الهيئة وسيلة الى فهم ، قوله تعالى " أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروع " (٢) وزعم ابن رشد الحكيم فى كتابه الذى سماه بـ " فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال " ان علوم الفلسفة مطلوبه اذ لا يفهم المقصود من الشريعة على الحقيقة إلا بها ولو قال قائل ان الأمر بالضد مما قال لما بعد فى المعارضة .

وشاهد ما بين الخصمين شأن السلف الصالح فى تلك العلوم هل

(١) الموافقات : الشاطبي ج ٢ ص ٧٩-٨٠

(٢) سورة ق : من الآية ٦

كانوا آخذين بها أم تاركين لها أو غافلين عنها ؟ مع القطع بتحققهم بفهم القرآن يشهد لهم بذلك النبي صلى الله عليه وسلم والجم الغفير ، فلينظر امرؤ اين يضع قدمه ؟ " (١) .

ثم ذكر الشاطبي رحمه الله تعالى الرد على أولئك بما خلاصته ان ما استدلوا به من الآيات فالمراد بها عند المفسرين ما يتعلق بحال التكليف والتعبد ، أو المراد بالكتاب فى قوله تعالى "ما فرطنا فى الكتاب من شىء" (٢) اللوح المحفوظ ولم يذكروا فيها ما يقتضى تضمنه لجميع العلوم النقلية والقليه . . وما ينقل عن على رضى الله عنه أو غيره فى هذا لا يثبت فليس بجائز أن يضاف الى القرآن ما لا يقتضيه كما أنه لا يصح أن ينكر منه ما يقتضيه" (٣) .

ذلك موجز رأى الشاطبي رحمه الله تعالى ورده على أنصار التفسير العلمى للقرآن الكريم .

رأى أبى حيان الأندلسى : ت (٧٤٥) هـ

ونقتصر فى بيان رأيه رحمه الله تعالى على ذكر مثل طريف ضربه مثلا لمن فسر القرآن بالرأى فقد انتقد فى تفسيره البحر المحيـط طريقة الرازى فى تفسيره وغيره ، بقوله : -

" ونظير ما ذكره الرازى وغيره أن النحوى مثلا يكون قد شرع فى كتاب فى النحو ، فشرع يتكلم فى الألف المنقلبه ، فذكر أن الألف فى الله أهى منقلبه من ياء أو واو ، ثم استطرد من ذلك الى الكلام فى الله تعالى فيما يجب له ويجوز عليه ويستحيل ، ثم استطرد من

(١) الموافقات : الشاطبي ج ٣ ص ٣٢٥-٣٢٦

(٢) سورة الانعام : من الآية ٣٨

(٣) الموافقات : الشاطبي ج ٢ ص ٨٠-٨١

ذلك الى اعجاز ما جاء به القرآن وصدق ما تضمنه ، ثم استطرد الى أن من مضمونه البعث والجزاء بالثواب وبالعقاب ، ثم المثابون فى الجنة لا ينقطع نعيمهم ، والمعاقبون فى النار لا ينقطع عذابهم فيينا هو فى علمه يبحث فى الألف المنقلبه اذا هو يتكلم فى الجنة والنار ، ومن هذا سبيله فى العلم فهو من التخليط والتخبيط فى أقصى الدرجة

وكان استاذنا العلامة أبو جعفر احمد بن ابراهيم بن الزبير الثقفى قدس الله تربته يقول ما معناه : متى رأيت الرجل ينتقل من فن الى فن فى البحث أو التصنيف فأعلم أن ذلك اما لقصور علمه بذلك الفن أو لتخليط ذهنه وعدم ادراكه حيث يظن أن - المتغايرات تماثلات ، وانما امعنت الكلام فى هذا الفصل لينتفع به من يقف عليه ، ولئلا يعتقد أنا لم نطلع على ما أودعه الناس فى كتبهم فى التفسير ، بل انما تركنا ذلك عمدا ، واقتصرنا على ما يليق بعلم التفسير . وأسأل الله التوفيق والصواب " (١) .

وذلكم رأيه لا أظنه بحاجة الى بيان ، يرفض هذا اللبس ويرفض القول به لا عجزا عنه وانما عمدا وقصدا لعدم الخروج عن حدود التفسير المقبول عنده

وحتى لا نبهت القوم حقهم ونحن نريد هنا الحديث عن موقف العلماء المعاصرين فيعتقد معتقد أن لا فرق بين المؤيدين القدامى والمعاصرين ، فعلينا أن نعلن هنا حقيقة فى حق العلماء السابقين الذين أجازوا مبدأ تفسير القرآن بالعلوم تلكم هى أننا لا نكاد

(١) البحر المحيط : أبو حيان الاندلسى ج ١ ص ٣٤١

نصادف فى آثارهم العلمية محاولات تطبيقية تلح على الربط بين النظرية العلمية والحقيقة القرآنية كما نجد فى آثار علمائنا المعاصرين ، ذلك أن شغلهم الشاغل فى ذلك الوقت كان الاقتباس مما نقل اليهم من التراث اليونانى والانتفاع بمقولاته الفلسفية والمنطقية فى تأكيد الحقيقة الدينية لتستقيم لهم قضية التوفيق بين العقل والنقل (١) .

أما فى العصر الحديث فان الذين يؤيدون هذا الاتجاه العلمى فى التفسير يزعمون أن القرآن يشير الى مستحدثات الاختراع وما يحقق بعض غوامض العلوم الطبيعية ولعل متحققا بهذه العلوم الحديثة لو تدبر القرآن وأحكم النظر فيه وكان بحيث لا تعوزه أداة الفهم ولا يلتوى عليه أمر من أموره لاستخراج منه اشارات كثيرة تومىء الى حقائق العلوم (٢) فلا يكاد يجدّ اختراع أو يظهر اكتشاف أو تنظر نظرية الا ويعيدون النظر والبحث فى آيات القرآن وكأنهم على موعد مؤكد مع آية قرآنية يطبقونها على هذا أو ذاك زاعمين أن القرآن نص على هذا قبل كذا وكذا من القرون .

بمعنى آخر أن السابقين جعلوا الحقيقة القرآنية أصلا ذكروا ما يؤيد هذه الحقيقة من نظريات أو حقائق علمية ، وأن المعاصرين جعلوا النظريات أو الحقائق العلمية أصلا يدعمونها ويفسرونها بآيات قرآنية قد تؤيدها صراحة أو يفهم منها ذلك وقد لا تدل على شىء من هذا فيتكلفون فى التوفيق بين هذا وذاك .

(١) الفكرالدينى فى مواجهة العصر: عفت محمد الشرقاوى ص ٤٢٢-٤٢٣

(٢) اعجاز القرآن والبلاغ النبوية : مصطفى صادق الرافعى ص ١٤٢

وحقيقة أخرى- خاصة - أنى لا أقصد فيما قلت هنا بـ "السابقين"
أو بـ " المعاصرين " العموم والشمول وإنما أردت غالبهم ، وما هم
بقليل .

موقف العلماء المعاصرين من التفسير العلمى التجريبي :

ولا زالت المعركة العلمية هذه مشتعلة بل زاد لهبها واشتعل
اوارها وتنوع وتطور سلاحها وتطرف المتطرفون واعتدل المعتدلون .
وقال أحد المتطرفين ولم يستثن أحدا " ان دراسة القرآن فى
العصور الخالية كانت تكلفيه ، وقرأة سطحية وعلوما لفظية فعكف
الناس على الألفاظ وكثر الحفاظ وقلّ المفكرون فجمدت القرائح وماتت
العلوم " (١) بل دعا العلماء الى التفطن لما ذكره وتفسير القرآن
نحو تفسيره " وان لم يفعلوا ذلك لم تعش الأمم الاسلاميه قرنا
واحدا بل تفتيتها الأمم الآجنية " (١) .

وقال متطرف آخر من الناحية الأخرى وهو وان تطرف فى الرفض
لكنه لم يتطرف فى عبارته كتطرف السابق . فقد اكتفى بأن وصف
التفسير العلمى بأنه (بدعة حمقاء) (٢) ووصفه بأنه " التفسير
الحرابوى " (٣) لأنه يعتقد أن صاحبه يغير تفسيره حسب تغير
العلوم وتجدد النظريات .

وإذا ما تأمل متأمل وتدبر فى أقوال متعصبى الفريقين لرأى
رأى العين أن الفريقين لا يتكلمون لغة واحدة ، ويصول كل منهم

(١) الجواهر فى تفسير القرآن الكريم : طنطاوى جوهرى ج ٢ ص ٢١١

(٢) الذكر الحكيم : محمد كامل حسين ص ١٨٢

(٣) المرجع السابق : ص ١٨٦

ويجول في غير ميدان الآخر ، ولو أزالوا عن أعينهم غشاوة التعصب لرأوا فيما بينهم جزيرة خضراء فيها الثمر الدانى والهواء العليل والماء القراح يمكن أن يلتقوا فيها ، ففيها متسع لآرائهم وفيها مجال لأقوالهم بحيث تكون كلمتهم واحده وموقفهم واحدا .

وإذا ما تأمل وتدبر مرة أخرى فانه سيجد أن العلماء وان كانوا ينقسمون الى ثلاثة أقسام :

١- متطرفين فى التأييد .

٢- ، ، ، ، الرفض .

٣- معتدلين .

فانه اذا تدبر سيجد أنهم ينقسمون حقيقة الى قسمين من حيث القبول والرد . فالقسم الأول والقسم الثالث كلاهما يقبل التفسير العلمى وان اختلفت درجتها فى القبول ، والقسم الثانى يرفضه ، ومن هذا التقسيم الأخير سيكون منطلقا لعرض آراء العلماء فى العصر الحديث فى ذلك ،

آراء القائلين بالتفسير العلمى التجريبي فى العصر الحديث :

وليس من السهل ولا من المقبول أن نبسط القول لكل قائل به ، بل نقصر من كلامه ونعتصر ما فيه الدلالة . فمن هؤلاء :

الجواهرى

وانما نبدأ به لكونه قد أصبح علما فى هذا اللون من التفسير لا يكاد يذكر هذا الا ويذكر ذاك . وان كنا سنعرض له بدراسة خاصة ولتفسيره . فانا نذكر هنا بعض عباراته لتأييد هذا اللون من التفسير ، فمن ذلك قوله مثلا : " يا أمة الاسلام آيات معدودات فى

الفرائض اجتذبت فرعا من علم الرياضيات فما بالكم أيها الناس بسبعمائة آية فيها عجائب الدنيا كلها ، الله أكبر جل العلم وجلت الحكمة . هذا زمان العلوم هذا زمان ظهور نور الاسلام هذا زمان رقيه ، ياليت شعرى لماذا لا نعمل فى آيات العلوم الكونية ما فعله آباؤنا فى آيات الميراث . ولكنى أقول الحمد لله الحمد لله انك تقرأ فى هذا التفسير خلاصات من العلوم ودراستها أفضل من دراسة علم الفرائض لأنه فرض كفايه . فأما هذه فانها لازدياد فى معرفة الله وهى فرض عين على كل قادر .

... ان هذه العلوم التى أدخلناها فى تفسير القرآن هى التى أغفلها الجهلاء المغرورون من صغار الفقهاء فى الاسلام فهذا زمان الانقلاب وظهور الحقائق والله يهدى من يشاء الى سواء الصراط " (١) .

ويقول أيضا " لماذا ألف علماء الاسلام عشرات الألوف من الكتب الاسلامية فى علم الفقه ، وعلم الفقه ليس له فى القرآن الآيات قلائل لا تصل مائة وخمسين آية . فلماذا كثر التأليف فى علم الفقه وقل جدا فى علوم الكائنات التى لا تخلو منها سورة بل هى تبلغ ٧٥٠ آية صريحه . وهناك آيات أخرى دلالتها تقرب من الصراحة فهل يجوز فى عقل أو شرع أن يبرع المسلمون فى علم آياته قليلة ويجهلون علما آياته كثيرة جدا ، ان آباءنا برعوا فى الفقه فلنبرع نحن الآن فى علم الكائنات لنقم به لترقى الأمة " (٢) .

رأى الاسكندرانى :

وهو أحمد بن محمد الاسكندرانى صاحب كتاب " كشف الأسرار

(١) الجواهر فى تفسير القرآن الكريم : طنطاوى جوهرى ج ٣ ص ١٩-٢٠

(٢) المرجع السابق : ج ٢٥ ص ٥٥-٥٦

النورانيه القرآنیه فيما يتعلق بالاجرام السماويه والأرضیه والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنيه " وهو تفسير لا يقل عن تفسير الجواهر السابق في توسعه العلمی ، وقد ألمح في مقدمته القصيرة للتفسير عن موضوع علم التفسير بقوله " فموضوع علم التفسير كلام الله تعالى الذى يتوصل به الى معرفة الأجرام السماويه والأرضیه والمولدات الثلاثة والتوحيد والاحكام الشرعيه ، وغايته معرفة جميع الأحكام المستنبطه من الآيات الشريفه القرآنیه ، فمنفعته عامه لعموم الاحتياج اليه وفائدته مطلوبه لترتب بقاء الأحكام عليه . فلذلك كانت معرفته من أقرب الوسائل الى الاعتراف بالخالق ذى الصفات العليه ولا شك أن لهذه الاجرام المشار اليها والآثار مؤثر وهو الاله الموجد للعقول والنفوس والأجسام الفلكية والعنصرية " (١)

رأى الكواكبى :

وعبدالرحمن الكواكبى يرى أن القرآن الكريم سبق علماء أوروبا وأمريكا بثلاثة عشر قرناً الى كثير من الاكتشافات التى تعزى اليهم فيقول : - " ان العلم كشف فى هذه القرون الأخيره حقائق وطبائع كثيره تعزى لكاشفيها ومخترعيها من علماء أوروبا وأمريكا ، والمدقق فى القرآن يجد أكثرها ورد به التصريح أو التلميح فى القرآن منذ ثلاثة عشر قرناً ، وما بقيت مستورة تحت غشاء من الخفاء الا لتكون عند ظهورها معجزة للقرآن شاهدة بأنه كلام رب لا يعلم الغيب سواه " (٢)

(١) كشف الأسرار النورانيه : احمد محمد الاسكندرانى ج ١ ص ٣

(٢) طبائع الاستبداد : عبدالرحمن الكواكبى ص ٤٤

رأى محمد مصطفى المراغى :

وأيد التفسير العلمى الشيخ محمد المراغى فقال فى مقدمته لكتاب الاسلام والطب الحديث فيقول " قرأت لسعادة الطبيب النطاسى عبدالعزيز اسماعيل باشا نتفا مما كان يكتب له بمجلة الأزهر تحت عنوان (الاسلام والطب الحديث) فأعجبني منه ما توخاه من التوفيق بين معانى بعض الآيات القرآنية الكريمة وبين مقررات الطب الحديث وحمدت له هذه النزعة العلمية التى لوتحلى بها كل مبرز فى فرع من فروع العلم لاجتمع لدينا ذخىر عظيم من هذه التطبيقات الثمينه تستفيد منه النابتة الحديثة زيادة معرفة باعجاز القرآن وايقان بأن الله ما فرط فى كتابه من شىء .

لست أريد من هذا أن أقول أن الكتاب الكرىم اشتمل على جميع العلوم جملة وتفصيلا بالأسلوب التعليمى المعروف وانما أريد أن أقول بأنه أتى بأصول عامة لكل ما يهم الانسان معرفته والعمل به ليلبغ درجة الكمال جسدا وروحا ، وترك الباب مفتوحا لأهل الذكر من المشتغلين بالعلوم المختلفة ليبينوا للناس جزئياتها بقدر ما أوتوا منها فى الزمان الذى هم عائشون فيه " (١) .

رأى محمد رشيد رضا :

أما الشيخ محمد رشيد رضا فيعد هذا نوعا من أنواع الاعجاز للقرآن فيقول " الوجه السابع اشتمال القرآن على تحقيق كثير من

(١) الاسلام والطب الحديث : عبدالعزيز اسماعيل مقدمة الشيخ محمد

المسائل العلمية والتاريخية التي لم تكن معروفة في عصر نزوله ثم عرفت بعد ذلك بما انكشف للباحثين والمحققين من طبيعة الكون وتاريخ البشر وسنن الله في الخلق" (١) ثم ذكر الأمثلة لذلك .

رأى محمد فريد وجدى :

وقال الاستاذ وجدى " من مطالب الأوساط من الدين أن يكون مرنا يتسع لما يجد من الآراء العلمية ولا يستعصى على ما يثبت أو يرجح من المذاهب الفلسفيه ولا ما يقوم الدليل عليه من الشؤون الكونية ، والواقع أنه قليل على الاسلام أن يوصف بالمرونة وسعة الصدر للآراء والمذاهب والكونيات لأنه دين انطلاق وتعقل وتفكير ومطالبة بالفهم وبالدليل واشعار بالتبعيه الشخصية ونهى عن التقليد " (٢) .

وقال فى موضع آخر " وخير ينبوع يستمد منه العلم كتاب الله عز وجل فهو الخضم الغطمم (٣) الذى لا ساحل له .. ثم قال : " هنا يتغالى بعضهم فيسألون : هل للتليفون والتلغراف والراديو الخ الخ من ذكر فى القرآن مصداقا لقوله تعالى (ما فرطنا فى الكتاب من شيء " (٤) ؟ هذا التغالى ناشىء من سوء فهم الآيه الكريمة . قال العلامة البيضاوى فى تفسيرها " المراد بالكتاب هنا اللوح المحفوظ فانه مشتمل على ما يجرى فى العالم من الجليل والدقيق ، أو القرآن فانه قد دون فيه ما يحتاج اليه من أمر

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٢١٠

(٢) الاسلام دين الهدايه والاصلاح : محمد فريد وجدى ص ٥١

(٣) قال فى لسان العرب (الغطم : البحر العظيم الكثير الماء .. والغطمطه : التطام الأمواج)

(٤) سورة الانعام : من الآيه ٣٨

الدين مفصلا أو مجملا "

فأنت ترى أن المفسرين لم يفهموا من هذه الآية ما يريد أن يفهمه الناس اليوم ، من أن القرآن يحوى كل شىء لفظا ومعنى ، وكل ما يكتشف من العلم فى سائر الوجود الى يوم القيامة اشارة وعبرة ، لذلك يتكلف المسئولون عن ورود المكتشفات الجديدة فى الكتاب أجوبة يصرفون فيها بعض الآيات عن معانيها ، لتتنطبق على ما يسألون عنه مما لا علاقة لها به البتة " (١) .

رأى جمال الدين القاسمى :

أما الشيخ جمال الدين القاسمى فقد عقد فى مقدمته لتفسيره فصلا بعنوان " فصل فى بيان دقائق المسائل العلمية الفلكية الواردة فى القرآن الكريم " جاء فيه بعد أن فسر بعض الآيات تفسيرا علميا " فالناس قديما فهموا أمثال هذه الآية بما يوافق علومهم ، حتى اذا كشف العلم الصحيح عن حقائق الأشياء ، علمنا أنهم كانوا واهمين ، وفهمنا معناها الصحيح ، فكان هذه الآيات جعلت فى القرآن معجزات للمتأخرين تظهر لهم كلما تقدمت علومهم (٢)

رأى مصطفى صادق الرافعى :

أما الرافعى فيقول عن اعجاز القرآن الكريم العلمى وتفسيره به ولعل متحققا بهذه العلوم الحديثه لو تدبر القرآن وأحكم النظر فيه وكان بحيث لا تعوزه أداة الفهم ولا يلتوى عليه أمر من أمره

(١) القرآن ينبوع العلوم والعرفان : على فكرى من تقرير الاستاذ محمد فريد
وجدى ص ٨-٩

(٢) محاسن التأويل : محمد جمال الدين القاسمى ج ١ ص ٣٢٧

لاستخرج منه اشارات كثيرة توميء الى حقائق العلوم وان لم تبسط
من أنبائها وتدل عليها وان لم تسمها بأسمائها" (١) .

رأى محمود شكرى الألوسى :

قال فى مقدمة كتابه " ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئه
الجديده القويمه البرهان " اعلم أن الشريعة الغراء لم ترد -
باستيعاب قواعد العلوم الرياضيه ، انما وردت بما يستوجب سعادة
المكلفين فى العاجل والآجل ، وبيان ما يتوصلون به الى الفوز بالنعيم
المقيم ، وربما اشارت لهذه الأغراض - الى ما يستنبط منه بعض
القواعد الرياضيه .

وقد ورد القرآن الكريم - فى بيان ذلك - بما خاطب به العرب
مما يعلمونه من علوم تلقوها خلفا عن سلف ، فقد كانت لهم علوم
ذكرناها فى الكتاب الذى ألفناه فى بيان أحوالهم" (٢) .

رأى عبد الحميد بن باديس :

وقال الشيخ عبد الحميد " من أساليب الهدايه القرآنيه الى -
العلوم الكونيه أن يعرض علينا القرآن صوراً من العالم العلوى
والسفلى فى بيان بديع جذاب يشوقنا الى التأمل فيها والتعمق
فى أسرارها ، وهنا (٣) يذكر لنا ما خبأه فى السموات والارض لنشتاق
اليه وننبعث فى البحث عنه ، واستجلاء حقائقه ومنافعه ، بدافع

(١) اعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعى ص ١٤٢

(٢) ما دل عليه القرآن : محمود شكرى الألوسى ص ١١

(٣) ورد هذا النص فى تفسيره لقوله تعالى " ألا يسجدوا لله الذى يخرج
الخبأ فى السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون" سورة النمل

غريزة حب الاستطلاع ، ومعرفة المجهول ، ويمثل هذا انبعث أسلافنا في خدمة العلم واستثمار ما في الكون الى أقصى ما استطاعوا ومهدوا بذلك السبيل لمن جاء بعدهم ولن نعز عزمهم إلا اذا فهمنا الدين فهمهم وخدمنا العلم خدمتهم" (١) .

وقال في موضع آخر " لنقف خاشعين متذكرين أمام معجزة القرآن العلمية ذلك الكتاب الذى جعله الله حجة لنبه صلى الله عليه وسلم وبرهانا لدينه على البشر مهما ترقوا فى العلم وتقدموا فى العرفان .. " (٢) .

رأى محمد أحمد الغمراوى :

أما الأستاذ الغمراوى فهو يرى أن الاعجاز العلمى هو الذى لا يتوقف تقديره والتسليم به على معرفة لغة لا تتيسر معرفتها لكل أحد ، ويرى أيضا أن الناحية العلمية هذه تشمل كل ما عدا الناحية البلاغية ، فتشمل الناحية النفسية والتشريعية والتاريخية والكونية ثم قال " هذه النواحي هى التى ينبغى أن يشمر المسلمون للكشف عنها واطهارها للناس فى هذا العصر الحديث ولن يستطيعوا ذلك على وجهه حتى يطلبوا العلوم كلها ليستعينوا بكل علم على تفهم ما اتصل به من آيات القرآن ويستعينوا بها جميعا على استظهار أسرار آيات القرآن التى اتصلت بالعلوم جميعا . ولا غرابة فى أن يتصل القرآن بالعلوم جميعا فما العلوم إلا نتاج تطلب الانسانية أسرار الفطره والقرآن ما هو إلا كتاب " الله فاطر الفطره فلا غرو وأن يتطابق القرآن والفطره وتتجاوب كلماتها وكلماته وان كانت كلماتها

(١) تفسير بن باديس فى مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير: عبد الحميد بن

باديس ص ٤٦٠ (٢) المرجع السابق ص ٦٠

وقائع وسننا وكلماته عبارات وإشارات تتضح وتنبههم طبق ما تقتضيه
حكمة الله في مخاطبة خلقه ، ليأخذ منها كل عصر على قدر ما
أوتى من العلم والفهم ، وكذلك دواليك على مر العصور . . .
الى أن قال " هذا النوع من الاعجاز يعجز الالحاد أن يجد
موضعاً للتشكيك فيه إلا أن يتبرأ من العقل فان الحقيقة العلمية
التي لم تعرفها الانسانيه إلا في القرن التاسع عشر أو العشرين مثلاً
والتي ذكرها القرآن لا بد أن تقوم عنده كل ذى عقل دليلاً محسوساً
على أن خالق هذه الحقيقة هو منزل القرآن " (١) .

رأى الدكتور عبد العزيز اسماعيل :

ويرى الطبيب عبد العزيز اسماعيل في كتابه الاسلام والطبيب
الحديث أن من اعجاز القرآن فصاحته ، وأن المتأخرين أمثالنا
فأكثرهم لا يقدر الفصاحة حق تقديرها لعدم تبحرهم فيها ، وأنه
لهذا كان من الضروري اظهار اعجاز القرآن مع نواح أخرى " فالقرآن
ليس بكتاب طب أو هندسة أو فلك ولكنه يشير أحيانا الى سنن
طبيعية ترجع الى هذه العلوم ، وما أنه صادر من واضع السنن
كلها كان جميع ما جاء فيه حقا لا شية فيه ، وان لم يكن ذلك
مدركا وقت نزوله إلا على طريق الاجمال أو التأويل لعدم استحبار
العلوم اذ ذاك . ولكن مع الترقى في العلوم قلما كان يعتمد الى
تأويله وكثير ما يجب أخذه على ظاهره في ذلك العهد " الى أن
قال منها " ويجب أن أنبه الى نقطة هامة وهي أن العلوم مهما

(١) الاسلام في عصر العلم : محمد أحمد الغمراوي ص ٢٥٢ - ٢٥٩

تقدمت فهي عرضه للزلل ، فينبغي أن لا يطبق على الآيات الكريمة إلا ما يكون قد ثبت ثبوتاً قطعياً ولم يقبل الشك فكثير من النظريات العلمية عرضة للتغيير والتبديل ، وهذه لا يجوز تطبيقها على الآيات حتى ولو اتفقت مع ظاهرها ، إنما يطبق منها ما يكون قد اجتاز دور النظريات وصار حقيقة ثابتة لا شك فيها " (١)

رأى حنفي أحمد :

وفي كتابه التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن يرى الأستاذ حنفي أحمد أن الحديث في القرآن عن الكائنات جاء كما جاء غيره من الأحاديث مناسبة لجميع الناس على اختلاف درجات عقولهم وأفهامهم ثم قال " ولكن المتأملين في هذا الحديث من أهل العلم والخبرة بالكائنات يرون في ألفاظه وعباراته فوق معانيها الظاهرة معاني أخرى دقيقة تنطوي على أصول وجوامع من العلم الواسع الدقيق عن الكائنات الذي لم يكن معروفاً للناس من قبل ولم يتعرفوا عليه إلا تدريجاً بعد انتشار العلم الحديث بينهم في القرنين الأخيرين ، وتتكشف هذه المعاني الدقيقة لهؤلاء المتأملين من أصحاب العقول الراجحة على ضوء علمهم الخاص أما من صريح النص حيناً وأما من إشارات ورموز فيه حيناً آخر " (٢)

رأى عبدالرزاق نوفل :

أما الأستاذ عبدالرزاق نوفل فكل كتبه حديث عن الإعجاز العلمي الآليل منها وجاء في أحد مؤلفاته قوله " ان من ضمن أوجه

(١) الاسلام والطب الحديث : الدكتور عبد العزيز اسماعيل ص ١٣-١٤

(٢) التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن : حنفي احمد ص ٥-٦

اعجازه التي تخرص ألسنة كل مكابر الاعجاز العلمي . فقد أثبت التقدم الفكري في العلوم في العصر الحديث أن القرآن كتاب علم قد جمع أصول كل العلوم والحكمة وكل مستحدث من العلم نجد أن القرآن قد وجه إليه النظر أو اشار إليه . . . " (١) .

رأى محمد متولى الشعراوى :

أما الشيخ محمد متولى الشعراوى فيرى أن القرآن الكريم مزق حواجز الغيب الثلاثة . . مزق حجاب الزمن الماضى وروى لنا بالتفصيل تاريخ الرسل وحوادث من سبقنا من الأمم . . ومزق حجاب المكان . وروى لنا ما يدور داخل نفوس الكفار والذين يحاربون الاسلام . . . ومزق حجاب المستقبل القريب وتنبأ بأحداث ستقع بعد شهر . . ثم قال " ثم بعد ذلك مزق القرآن حجاب المستقبل البعيد . . ليعطى الأجيال القادمة من اعجازه ما يجعلهم يصدقون القرآن ويسجدون لقائله وهو الله ، ولكن القرآن نزل في زمن لو أن هذه المعجزات المستقبله جاءت تفصيليه لكفر عدد من المؤمنين . . . وانصرف آخرون . . ذلك أن الكلام كان فوق طاقة العقول في ذلك الوقت ومن هنا وحتى لا يخرج المؤمن عن ايمانه . . ويستمر الاعجاز جاء القرآن بنهايات النظريات . . بقمة نواميس الكون اذا تليت على المؤمنين في ذلك الوقت . . مرت عليهم . . ولم ينتبهوا الى مدلولها الحقيقى العلمى . . واذا قيلت بعد ذلك على الأجيال القادمه . . عرفوا ما فيها من اعجاز . . وقالوا ان هذا الكلام لا يمكن أن يقوله شخص عاش منذ آلاف السنين اذن لابد أن هذا القرآن حق من عند الله . . وأن قائله هو الله الخالق" (١)

غايته يجب أن نواتر من الآيات القرآنية ما يتوافق مع الكشوف العلمية المستحدثه وما يرد العلم رغما عنه الى الموافقه على عظمة القرآن الكريم ،مقارنين كل آية بما يقابلها من التحقيق العلمى الحاضر " (١)

رأى محمد بن سعد الدبيل :

وعدد الأستاذ محمد الدبيل وجوه الاعجاز فى القرآن الكريم وعد منها الاعجاز العلمى وقال عنه: " وقد سلك القرآن الكريم فى هذا الوجه طريقة الاستدلال على خالق الكون ومنشئه استدلالا فطريا يتناسب مع جميع العقول والأفهام فتحدثت آياته عن كل ما يحيط بالانسان من عجائب هذا الكون تحدثت عن الأرض والسماء والليل والنهار ، والشمس والقمر ، وعن الجبال والبحار والرياح والنبات والحيوان وعن الانسان نفسه ذلك الآدمى الذى يسخر تلك المخلوقات فيما يزود به معاشه بقدرة الخالق الحكيم كما أشار القرآن الى حقائق أمارت اللثام عن الحكمة من وجودها وأشار الى حقائق تارة بالتميح وتارة بالتصريح ومرة بالاجمال وأخرى بالتفصيل " (٢)

رأى الشيخ عبد العزيز بن خلف آل خلف :

قال فى كتاب له شحنه بالتفسير العلمى " فقد أنزل الله القرآن العزيز تبيانا أى مبين ودليل على كل ما يمكن أن يقال له شىء من جميع ما فى السموات وما فى الأرض " (٣)

(١) المرجع السابق : ص ٤٦

(٢) النظم القرآنى فى سورة الرعد : محمد بن سعد الدبيل ص ٢٩

(٣) دليل المستفيد على كل مستحدث جديد : الشيخ عبد العزيز بن خلف بن عبد الله آل خلف ص ٦٨ ج ١

وقال " انه من الواجب على المسلمين الفرد منهم والجماعة وعلى أولى العلم أوجب أن يفتشوا في طياته حتى يظهر الدليل القطعى على كل صغير وكبير ونطبق معانيه المباركه على صيرورة تلك المستحدثات المصنوعه التي بهرت عقول الجاهلين كل فرد بمفرده حتى تكون صيرورتها معجزات متابعات من معجزات القرآن العزيز^(١) وقال " ان من الحق الذى لا ريب فيه أن القرآن العزيز قد حمل فى طياته للبشرية كل هدى وكل دليل بارز على كل أمر يحدث فى هذا الكون دینی أو دنیوی للنفع أو للضرر " (١) .

رأى الدكتور محمد عبد الله دراز :

قال الدكتور دراز فى كتابه مدخل الى القرآن الكريم تحت عنوان حقائق علميه " ولكن القرآن فى دعوته الى الايمان والفضيلة لا يسوق الدروس من التعاليم الدينيه والأحداث الجارية وحدها ، وانما يستخدم فى هذا الشأن الحقائق الكونية الدائمة ، ويدعو عقولنا الى تأمل قوانينها الثابته - لا بغرض دراستها وفهمها فى ذاتها فحسب وانما لانها تذكر بالخالق الحكيم القدير ونلاحظ أن هذه الحقائق التى يقدمها تتفق تماما مع آخر ما توصل اليه العلم الحديث " ثم ذكر رحمه الله تعالى أمثلة لذلك .

وعلق على ذلك بقوله " ولكن الحماس دفع بعض المفسرين المحدثين الى المبالغة فى استخدام هذه الطريقة التوفيقية لصالح القرآن بحيث اصبحت خطرا على الايمان ذاته لأنها اما ان تقلل

(١) المرجع السابق : ج ١ ص ٧٠

من الاعتماد على معنى النص باستنطاقه ما لا تحتمله ألفاظه وجملته ،
واما أن تعول أكثر مما يجب على آراء العلماء ، وحتى على افتراضاتهم
المتناقضة أو التي يصعب التحقق من صحتها .

ويعد أن نستبعد هذه المبالغات عن البحث نرى أن من
مقتضيات الايمان التي لا غنى عنها - أن نضاهى الحقائق الفوريه
التي نجدها فى القرآن مع نتائج العلماء المنهجيه البطيئة " (١)

رأى حسن البنا :

قسم - رحمه الله تعالى المقررات العلميه الى قسمين قسم
تظاهرت عليه الأدلة وتوافرت الحجج حتى كاد يلحق باليديهيات ،
وقسم لا زال فى طور البحث العلمى ، وكل الذى بين يدي العلماء
الكونيين منه فروض تؤيدها بعض القرائن التي لم ترق الى مرتبة
الأدلة القاطعة أو الحجج المقنعة فما كان من القسم الأول فلا شك
أن ما أشار اليه القرآن الكريم منه يوافق كل موافقه ويطابق كل
المطابقة ما عرفه العلماء الكونيون ، حتى أنه من الحق أن يقال ان
ذلك من اعجاز هذا الكتاب الذى جاء به أمى لم يتعلم فى مدرسة
ولم يلتحق بجامعة من الجامعات ومن أمثلة ذلك اشاراته الى أطوار
الجنين ، وتلقيح الرياح ، وتكون السحاب وصلته بالرياح الخ
وما كان من القسم الثانى فمن التجنى وظلم الحقيقه أن يوازن
بينه وبين ما جاء فى القرآن الكريم فلننتظر حتى يطمئن العلم الكونى
الى ما بين يديه " (٢)

(١) مدخل الى القرآن الكريم : الدكتور محمد عبد الله راز ص ١٧٦-١٧٧

(٢) مقدمه فى التفسير مع تفسير الفاتحه وأوائل سورة البقرة : حسن البنا ص ٢١

وبعد :

هذه اشارات لآراء بعض مؤيدى التفسير العلمى ولا شك أنى
اكثر من عددهم وان لم اكن اطلت فى بسط آراء كل منهم وعمدا
أكثر ، وقصدا أوجزت . وانما فعلت ما فعلت لأمر خمسة أمست
الكفاية فى بعضها قائمه وحجة أحسبها لى .

أول هذه الأمور أنى قصدت بيان مدى انتشار القول بالتفسير
العلمى فى العصر الحديث وأنه قد أصبح شائعا وأضحى مطروقا .

وثانيها أنى قصدت بيان توزعهم زما حتى كان فيهم من توفى
أوائل القرن الرابع عشر ومنهم من لا يزال حيا يرزق وكلهم مؤيد
له ، مدافع عنه ، لم يرجع آخرهم عن قول أولهم .

وثالثها أنى قصدت بيان انتشارهم مكانا ففيهم المصرى والشامى
والجزائرى والعراقى والسعودى وغيرهم .

ورابعها أنى قصدت تعدد مذاهبهم وعقائدهم . ففيهم السنى
وفيهم الشيعى وفيهم الصوفى وغيرهم .

وخامسها أنى قصدت تعدد تخصصهم العلمى . ففيهم القاضى
وفيهم الطبيب والمهندس والصيدلى والفلكى واللغوى والمعلم الأديب
وغيرهم .

وهذه مجتمعة رأيت أنها تشفع لى بل توجب على أن أذكر
الكثير من مؤيدى التفسير العلمى حتى أعطى الصورة الحقيقية
للواقع ، وهى مرادنا .

وأخيرا حقيقة يجب أن أنبه اليها أن هؤلاء المذكورين ليسوا
كلهم على درجة واحدة فى قبولهم للتفسير العلمى ، فان فيهم من

يؤيده كل التأييد ويقبله كل القبول لا يرد منه شيئا ويعتقد أن القرآن تبيان لكل شيء بمعنى أنه مبين لكل شيء بخصوصه ودقائقه وتفصيله ، وفيهم من يعتقد أن فيه تأييد كل الحقائق العلمية ، وفيهم أخيرا من يعتقد قبول التفسير العلمى على أضيق نطاق وعدم تطبيق الآيات القرآنية على كل ما جد أو يجد من النظريات الا اذا ارتقت الى درجة الحقيقة العلمية ووجد فى نصوص الآيات القرآنية ما يدل دلالة صريحة عليها ، بمعنى آخر لا يجوز التفسير العلمى عندهم الا بالربط بين حقيقة علمية وحقيقة قرآنية ، أما الحقيقة العلمية فواضحة وبينه أما - مرادهم بالحقيقة القرآنية فهى التى تكون الدلالة فيها واضحة بينه لا تكلف فيها ولا تحريف ولا صرف للألفاظ عن مدلولاتها أو تحميلها من المعانى ما لا تستوعبه ألفاظها .

وانما ساغ لى أن جمعهم وهم على هذا الاختلاف أن قبوله والاعتراف به يجمعهم ، وأنهم تناولوه - على تفاوت - فى تفاسيرهم فكان هذا رباطا بينهم وجامعا لأقوالهم .

أما الطائفة الأخرى منهم الذين رفضوه ، ورفضوا القول به ورفضوا قبوله ورفضوا تطبيقه .

أقوال المعارضين للتفسير العلمي التجريبي للقرآن الكريم :

وهم ولا شك وان كانوا الأقل إلا أنهم ليسوا بقله ، وفوق هذا منهم أعلام لرأيهم قيمته ومكانته ، وذكرنا لذلك العدد من المؤيدين يوجب علينا ذكر مثلهم أو ما يقاربه من المعارضين التماسا للحياد في العرض والعدالة في القسمة ، فمن هؤلاء : -

محمود شلتوت :

وهو من أبرز المعارضين للتفسير العلمي وأشهرهم. فقد ذكر في تفسيره ناحيتين يجب تنزيه التفسير عنهما وجعل تفسير القرآن على مقتضى النظريات العلمية الناحية الثانية منهما فقال :

" وأما الناحية الثانية : فان طائفة أخرى هي طائفة المثقفين الذين أخذوا بطرف من العلم الحديث ، وتلقنوا ، أو تلقفوا شيئا من النظريات العلمية والفلسفية والصحية وغيرها ، أخذوا يستندون الى ثقافتهم الحديثه ويفسرون آيات القرآن على مقتضاها .

نظروا في القرآن فوجدوا الله سبحانه وتعالى يقول " ما فرطنا في الكتاب من شيء " ^(١) فتأولوها على نحو زين لهم أن يفتحوا في القرآن فتحا جديدا ، ففسروه على أساس من النظريات العلمية المستحدثة ، وطبقوا آياته على ما وقعوا عليه من قواعد العلوم الكونية ، وظنوا أنهم بذلك يخدمون القرآن ، ويرفعون من شأن الاسلام ، ويدعون له أبلغ دعاية في الأوساط العلمية والثقافية .

نظروا في القرآن على هذا الأساس فأفسد ذلك عليهم أمر

(١) سورة الأنعام : من الآية ٣٨

علاقتهم بالقرآن وأفضى بهم الى صور من التفكير لا يريد لها القرآن ولا تتفق مع الغرض الذى من أجله أنزله الله ، فاذا مرت بهم آية فيها ذكر للمطر أو وصف للسحاب ، أو حديث عن الرعد أو البرق تهللوا واستبشروا وقالوا هذا هو القرآن يتحدث الى العلماء الكونيين ، ويصف لهم أحدث النظريات العلميه عن المطر والسحاب وكيف ينشأ وكيف تسوقه الرياح " .

ولم يزل الشيخ شلتوت يذكر بعض الأمثلة الخاطئه فى التفسير العلمى ثم عقب عليها ببيان جوانب الخطأ فى هذا الاتجاه بقوله : " هذه النظرة للقرآن خاطئه من غير شك لأن الله لم ينزل القرآن ليكون كتابا يتحدث فيه الى الناس عن نظريات العلوم ودقائق الفنون وأنواع المعارف .

وهى خاطئة من غير شك ، لأنها تحمل أصحابها والمغرمين بها على تأويل القرآن تأويلا متكلفا يتنافى مع الاعجاز ، ولا يسيغه الذوق السليم .

وهى خاطئة ، لأنها تعرض القرآن للدوران مع مسائل العلوم فى كل زمان ومكان ، والعلوم لا تعرف الثبات ولا القرار ولا الرأى الأخير ، فقد يصح اليوم فى نظر العلم ما يصبح غدا من الخرافات . فلو طبقنا القرآن على هذه المسائل العلميه المتقلبه ، لعرضناه للتقلب معها وتحمل تبعات الخطأ فيها ، ولأوقفنا أنفسنا بذلك موقفا حرجا للدفاع عنه .

فلندع للقرآن عظمته وجلالته ، ولنحفظ عليه قدسيته ومهابته ، ولنعلم أن ما تضمنه من الاشاره الى أسرار الخلق وظواهر الطبيعة

انما هو لقصد الحث على التأمل والبحث والنظر ، ليزداد الناس
ايانا مع ايمانهم .

وحسبنا أن القرآن لم يصادم - ولن يصادم - حقيقة من حقائق
العلوم تطمئن اليها العقول " (١) .

وها أنت ترى أن الشيخ شلتوت يرفض هذا اللون من التفسير
ويعده مما يجب أن ينزه عنه التفسير ، ويذكر جوانب الخطأ فيه
ويدعو الى أن ندع للقرآن عظمته وجلالته ، مع اعترافه أن القرآن لم
يصادم ولن يصادم حقيقة علمية ،

والذي اعتقده أن الشيخ شلتوت ما اتخذ هذا الموقف الأكرد
فعل لما شاهدته في عصره من جرأة كثير من المفسرين ونحوهم على آيات
القرآن يفسرونها بكل ما فيه مسحة من العصر العلمية ، معرضين
أو غافلين عن التفريق بين حقاها وباطلها مما أوقعهم وسيوقعهم
في حرج شديد حين ظهور بطلان ما اتكأوا عليه من النظريات ،
وهو بعد نظر منه رحمه الله .

أمين الخولي :

ولئن كان الشيخ شلتوت من أبرز المعارضين ومن أشهرهم فان
أمين الخولي هو أبرزهم وأشهرهم ان كان مقياس ذلك قوة الرفض
وضعفه ، فقد عقد أمين الخولي في رسالة له صغيرة عن التفسير
معالم حياته - منهجه اليوم عقد بحثا عنوانه (انكار التفسير العلمي)
ذكر فيه قدم الاتجاه الى التفسير العلمي وقدم المخالفه في صحته

(١) تفسير القرآن الكريم : محمود شلتوت الصفحات ١١ و ١٣ و ١٤

وعرض فيه أدلة الشاطبي وأقواله فى انكار هذا اللون من التفسير
ثم عقب على هذا بقوله : -

" واذا كان هذا هو الرأى القديم العهد ، فى فهم القرآن فهما
يجعله مصدر العلوم المختلفة ، ويأخذ كلمه باصطلاحات حادثه
بعده بأزمنة غير قصيره ، فانك لتضم الى هذا البيان من النظرات
الحديثه ما يؤيده ويعززه فمنها : -

١- الناحية اللغويه ، فى حياة الألفاظ وتدرج دلالتها ، لو
ملكنا منها ما لا بد لنا أن نملكه ، فى تحديد هذا التدرج
وتأريخ ظهور المعانى المختلفة للكلمة الواحده وعهد
استعمالها فيها لوجدنا من ذلك ما يحول بيننا وبين هذا
التوسع العجيب فى فهم ألفاظ القرآن ، وجعلها تدل على
معانى واطلاقات لم تعرف لها ولم تستعمل فيها ، أو ان
كانت تلك الألفاظ قد استعملت فى شىء منها ، فباصطلاح
حادث فى المله بعد نزول القرآن بأجيال .

٢- الناحية الأدبيه أو البلاغيه - ان شئت - والبلاغة فيما يقال
مطابقة الكلام لمقتضى الحال فهل كان القرآن على هذا
النحو المتوسع من التفسير العلمى ، كلاما يوجه الى من
خوطف به من الناس فى ذلك العهد مرادا به تلك المعانى
المذكورة مع أنها معان من العلم لم تعرفها الدنيا الا بعد
ما جازت آمادا فسيحه ، وجاهدت جهادا طويلا ارتقى به
عقلها وعلمها !! وهب هذه المعانى العلميه المدعاة
كانت هى المعانى المراده بالقرآن فهل فهمها أهل العربية
منه ان ذاك وأدركوها ؟ !

وإذا كانوا قد فهموها فما لنهضتهم العلميه فى علوم الحياة المختلفة
لم تبدأ بظهور القرآن ، ولم تقم على هذه الآيات الشارحة
لمختلف نظريات العلوم المفهمه لدقائقها ١١ وان كانت لم
تفهم منها ، ولم يدركها أصحاب اللغة الخلى من عبارتها
كما هو الواقع فعلا فكيف تكون معانى القرآن المراده ؟ وكيف
تكون تلك الألفاظ مفهومة لها وهل هذه هى المطابقة لمقتضى
الحال ١

٣- وهناك الناحية الدينيه ، أو الاعتقاديه وهى التى تبين مهمة
كتاب الدين وهل هو كتاب يتحدث الى عقول الناس وقواهم
العالمه عن مشكلات الكون وحقائق الوجود العلميه ؟؟ وكيف
يساير ذلك حياتهم ويكون أصلا ثابتا لها تختم به الرسالات
الساويه ، كما هو الشأن فى القرآن ، مع أن هؤلاء المتدينين
لا يقفون من معرفة هذه الحقائق عند غاية محدوده ، ولا ينتهون
منها عند مدى ما ؟؟ ١ فكيف تؤخذ جوامع الطب والفلك
والهندسة والكيمياء من القرآن على نحو ما سمعت آنفا ، وهى
جوامع لا يضبطها اليوم أحد الاّ تغير ضبطه لها بعد يسير
من الزمن أو كثير ، وما ضبطه منها القداماء قد تغير عليهم
فيما مضى ، ثم تغير تغيرا عظيما فيما تلا ١١
والحق البين أن كتاب الدين لا يعنى بهذا من حياة الناس
ولا يتولاه بالبيان ، ولا يكفيهم مؤنته حتى يلتمسوه عنده ،
ويعدوه مصدرا فيه .

وأما ما اتجهت اليه النوايا الطيبه من جعل الارتباط بين
كتاب الدين والحقائق العلميه المختلفة ، ناحية من نواحي بيان

صدقه أو اعجازه أو صلاحيته للبقاء . . الخ ، فربما كان ضرره
اكثر من نفعه على أنه ان كان لا بد لأصحاب هذه النوايا
ومن لف لفهم من أن يتجهوا اليه ، ليدفعوا مناقضة الدين
للعلم فلعله يكفى فى هذا ويفى ألا يكون فى كتاب الدين نص صريح
يصادم حقيقة علميه يكشف البحث أنها من نواميس الكون ونظم
وجوده ، وحسب كتاب الدين بهذا القدر صلاحية للحياة
ومسايرة للعلم و خلاصا من النقد " (١)

هذا ما يراه أمين الخولى وفيه ما يقبل وفيه ما يرد وما
توقفت عند نصوصه مثل وقوفى عند قوله " والحق البين أن كتاب
الدين لا يعنى بهذا من حياة الناس ولا يتولاه بالبيان الخ " .
اذ لا أدرى على أى أساس قال هذا وما هى المقدمات التى
كانت نتائجها الفصل بين الدين والعلم حتى ولن أقف طويلا
فى محاورته ، اذ الحديث آت بعد ان شاء الله .

محمد حسين الذهبى :

أما الشيخ الذهبى رحمه الله تعالى فهو كالخولى يعقد فصلا
عنوانه انكار التفسير العلمى ، بسط فيه رأى الشاطبى وأدلته وأطال
فى ذلك ، ثم تحدث الذهبى عن اختياره فى هذا الموضوع قال
فيه " أما أنا فاعتقأدى أن الحق مع الشاطبى رحمه الله لأن الأدلة
التى ساقها لتصحيح مدعاه أدلة قوية لا يعترىها ضعف ولا يتطرق
اليها خلل ولأن ما أجاب به على أدلة مخالفيه أجوبة سديده -
دامغه لا تثبت أمامها حججهم ولا يبقى معها مدعاهم .

(١) التفسير معالم حياته منهجه اليوم : أمين الخولى ص ٢٥-٢٦

وهناك أمور أخرى يتقوى بها اعتقادنا أن الحق في جانب الشاطبي ومن لف لفه " (١)

ثم ذكر الذهبي رحمه الله تعالى نفس الأمور الثلاثة التي ذكرها قبله أمين الخولى في انكار التفسير العلمى ، مع بعض الاختلاف فى بعض العبارات وان كانت المعانى فى كل واحده ، والأمور الثلاثة كما مر هى :

- ١- الناحية اللغويه .
- ٢- الناحية البلاغية .
- ٣- الناحية الاعتقادية .

ثم عقب على هذه الأمور الثلاثة نحو تعقيب الخولى فقال : -
" واذا كان أرباب هذا المسلك فى التفسير يستندون الى ما تناولته بعض آيات القرآن من حقائق الكون ومشاهده ، ودعوة الله لهم بالنظر فى كتاب الكون وآياته التى بثها فى الآفاق وفى أنفسهم ، اذا كانوا يستندون الى مثل هذا فى دعواهم أن القرآن قد جمع علوم الأولين والآخريين ، فهم مخطئون ولا شك وذلك لأن تناول القرآن لحقائق الكون ومشاهده ودعوته الى النظر فى ملكوت السموات والأرض وفى أنفسهم ، لا يراد منه الا رياضة وجدانات الناس ، وتوجيه عامتهم وخاصتهم الى مكان العظة والعبرة ، ولفتهم الى آيات قدرة الله ودلائل وحدانيته ، من جهة ما لهذه الآيات والمشاهد من روعة فى النفس وجلال فى القلب ، لا من جهة ما لها من دقائق النظريات وضوابط القوانين ، فليس القرآن كتاب فلسفة أو طب أو هندسة ...

(١) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبي ج٣ ص ١٥٧

وليعلم أصحاب هذه الفكرة أن القرآن غنيّ عن أن يعتزبمشل هذا التكلف الذي يوشك أن يخرج به عن هدفه الانساني الاجتماعي في اصلاح الحياة ورياضة النفس ، والرجوع بها الى الله تعالى .

وليعلم أصحاب هذه الفكرة أيضا أن من الخير لهم ولكتابهم أن لا ينحو بالقرآن هذا المنحى في تفسيرهم ، رغبة منهم في اظهار اعجاز القرآن وصلاحيته للتمشى مع التطور الزمني ، وحسبهم أن لا يكون في القرآن نص صريح يصادم حقيقة علميه ثابتة وحسب القرآن أنه يمكن التوفيق بينه وبين ما جد ويجد من نظريات وقوانين علمية تقوم على أساس من الحق ، وتستند الى أصل من الصحه " (١)

والذهبي كما ترى يرفض التفسير العلمي او تطبيق آيات القرآن عليه كل الرفض ، ويبدو لى أنه متأثر بهذا برجلين أولهما الامام الشاطبي رحمه الله تعالى فقد بسط رأيه وأدلته مؤيدا لها . وأما ثانيهما فأمين الخولى فقد أورد نفس حججه وأدلته التي زادها على أدلة الشاطبي .

محمد عزة دروزة :

رفض الأستاذ دروزه التفسير العلمي واستخراج النظريات العلمية والفنيه والكونيه من الكلمات والآيات القرآنيه عند تفسيره لقوله تعالى " بلى قادرين على أن نسوى بنانه " (٢) فقال " ولقد قرأنا مقالا أراد كاتبه أن يجعله صلة بين اختصاص البنان بالذكر وبين ما ظهر حديثا من علم بصمات الأصابع وما صار له من خطورة في اثبات

(١) التفسير والمفسرون : محمد حسسن الذهبي ج ٣ ص ١٥٩-١٦٠

(٢) سورة القيامة : الآية ٤

شخصيات الناس وتمشياً مع الفكرة التي سادت بعض الناس من النظريات العلمية والفنية والكونية من الكلمات والآيات القرآنية للتدليل على صدق القرآن وأعجازه ، ومعجزات الله المشار إليها فيه ، وفي هذا اعتقادنا تحميل لكلمات القرآن وآياته غير ما تتحمل واخراج له من نطاق قدسيته وغايته وتعريض له للجدل والنقاش .

ولقد نزل القرآن بلسان العرب على قوم يفهمونه وأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بشرحه وتبينه والنظريات الحديثه لم تكن معلومة ولا مكشوفه ، ولا يصح لمسلم مهما حسنت نيته أن يدعى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف جميع ما تضمنته آيات القرآن " (١)

عباس العقاد :

أما العقاد رحمه الله فقد رفض التفسير العلمي وجعل سبب رفضه تجدد العلوم الانسانيه وأنها لا تستقر على حال وقد تتقوض قاعدة علميه بعد أن رسخت ولهذا فهو يرفض أن يربط بين النص القرآني المحكم مع هذه النظريات .

قال رحمه الله تعالى " تتجدد العلوم الانسانيه مع الزمن على سنة التقدم ، فلا تزال بين ناقص يتم وغامض يتضح ، وموزع يتجمع ، وخطأ يقترب من الصواب ، وتخمين يترقى الى اليقين ، ولا يندر في القواعد العلميه أن تتقوض بعد رسوخ أو تتزعزع بعد ثبوت . . ويستأنف الباحثون تجاربهم فيها بعد أن حسبوها من الحقائق المفروغ منها عدة قرون .

(١) التفسير الحديث : محمد عزه دروزه ج٢ ص ٧

فلا يطلب من كتب العقيدة أن تطابق مسائل العلم . . كلما ظهرت مسألة منها لجيل من أجيال البشر ولا يطلب من معتقديها أن يستخرجوا من كتبهم تفصيلات تلك العلوم ، كما تعرض عليهم في معامل التجريبه والدراسه لأن هذه التفصيلات تتوقف على محاولات الانسان وجهوده ، كما تتوقف على حاجاته وأحوال زمانه .

قد أخطأ أناس في العصور الأخيره لأنهم أنكروا القول بدوران الأرض واستدارتها ، واعتمادا على ما فهموه من ألفاظ بعض الآيات^(١) ثم ذكر أمثلة أخرى نحو هذا من الأخطاء من التفسير العلمى وعقب عليها قائلا :- " وخلق بأشكال هؤلاء المعتسفين أن يحسبوا من الصديق الجاهل ، لأنهم يسيئون من حيث يقدرون الاحسان ويحملون على عقيدة اسلامية وزر أنفسهم وهم لا يشعرون .

كلا لا حاجة بالقرآن الكريم الى مثل هذا الادعاء لأنه كتاب عقيدة يخاطب الضمير ، وخير ما يطلب من كتاب العقيدة في مجال العلم أن يحث على التفكير ولا يتضمن حكما من الأحكام يشل حركة العقل في تفكيره أو يحول بينه وبين الاستزادة من العلوم ما استطاع حيثما استطاع . . وكلّ هذا مكفول للمسلم في كتابه ، كما لم يكفل قط في كتاب من كتب الأديان " ^(٢) .

عائشة عبدالرحمن :

حين ألف الدكتور مصطفى محمود كتابه محاولة لفهم عصرى للقرآن أصدرت بنت الشاطىء الدكتورة عائشة كتابها القرآن والتفسير

(١) الفلسفة القرآنيه : عباس محمود العقاد ص ١٥

(٢) المرجع السابق : ص ١٦ - ١٧

العصرى ردت فيه على الدكتور مصطفى .

ثم كتبت (مستخلصا) لكتابها هذا وألحقته بكتاب آخر لها هو القرآن وقضايا الانسان ، وزادت عليه ردودا حتى جاء أضعاف الكتاب الأصلي .

وقد تساءلت وأجابت على تساؤلها بقولها : " فماذا عسانا أن نضع ، لنرسخ الايمان فى ضمائر الشباب وعقولهم ، ممن يدرسون علوم العصر ويدخلون المشرحه والمعمل والمصنع ، ويتابعون جهود علماء الفضاء ورحلات القمر !

هل نأتيهم بقرآن غير هذا الذى نزل على نبي أمى فى بيئة بدوية ؟ أو نضحك على عقولهم ببدع من التأويلات تقدم لهم من القرآن كل علوم الدنيا وعصريات التكنولوجيا ! ؟

أبناء الجيل ليسوا من البلاهة والغفلة والسذاجة ، بحيث يجوز عليهم أن يقول لهم قائل اننا عرفنا الطائرات النفاثه ، اذ عذنا برب الفلق من " شر النفاثات فى العقد " واهتدينا الى أسرار الذرة ب " مثال ذرة " ! " (١)

الى أن قالت " وخطر على عقلية الجماهير أن نخايلها بهذه الألفاظ المضحمة من بدع التأويلات العصريه العلميه تمسخ عقليتهم ويختل بها منطقتهم وتخدر وعيهم بغرور السبق الى علوم العصر" (٢)

وقالت " الاسلام يتجه الى العقل فى ترسيخ الايمان ، وكتابة المحكم يفصل الآيات لقوم يعقلون ويعلمون يؤمنون ، ويضرب الأمثال

(١) القرآن وقضايا الانسان : عائشه عبد الرحمن ص ٤٢٦

(٢) المرجع السابق : ص ٤٢٨

لعلنا نتفكر ونفقه ونؤمن . وقد حرر القرآن الانسان من الأغلال
التي تعوق تحقيقه لآية انسانيته المكرمه أو تقيد مسعاه الطامح
الى ما سخر له الله : كل ما فى السموات وما فى الأرض .
بغير العقل ، لا يتميز حق من باطل ، ولا هدى من ضلال ،
وبغير العلم لا سبيل الى تسخير شىء مما فى الأرض أو فى السماء .
ولا حرج من الدين ، فى أن يقرأ أبنائنا نظرية التطور وأصل
الأنواع فى بحوث " دارون " والنظرية المادية فى اعلان " ماركس "
ومؤلفاته وشروح تلاميذه العلماء واضافتهم .
لكن المحذور أن يقرأوا النظرية مشوهة ممسوخة مدسوسة على
القرآن باسم العلم والعصريه والايمان .
وأبنائنا المسلمون يدرسون علوم العصر وأسرار الرياضيات
والتكنولوجيا فى موسكو ولندن وباريس وأدنبره وفيينا وبرلين وبيراج
ويطلبون العلم ولو كان فى الصين !
ويحظر عليهم دينهم ، أن يطلبوا أى علم ممن يدعى أنه
أحاط بكل شىء علما ووسع علمه السموات والأرض والدنيا والآخرة .
أذكر أن فقيها من علمائنا سأله سائل فى آية " وما فرطنا
فى الكتاب من شىء " (١) فهل يعلم من القرآن : كم رغيفا يخبز من
اردب قمح ؟ قال نعم ، واتصل تليفونيا بمخابز " الرمالى " فأعطاه
مديرها الجواب . قال السائل : لكن هذا ليس من القرآن ؟ ورد
شيخنا : بلى ، فى القرآن " فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا
تعلمون " (٢) وقد فعلت . . .

(١) سورة الأنعام : من الآية ٣٨

(٢) سورة النحل : من الآية ٤٣

ومن أهل الذكر نلتمس العلم ، ونطلب الدين فترجع فيه الى
الله والي الرسول في الكتاب والسنة وفقه الأئمة وبحوث العلماء" (١)
وهذا الموقف الذي وقفته من التفسير العلمي يبدو لي أنه
متأثر بموقف استاذها وزوجها أمين الخولي الذي تأثرت به بنت
الشاطيء كثيرا فلعل هذا من ذاك .

محمد كامل حسين :

وهو من أكثر المعارضين معارضة بل انه وصف التفسير العلمي
بأوصاف لم يسبق اليها ، فقال عنه خاصة الآيات الكونية " انه
دعوى لا دليل عليها ولا حاجة للمؤمنين بها وأن هذه الآيات
يجب أن تفهم على ما فهمه المسلمون الأولون حيث قالوا : هذا
شيء نؤمن به ولا نصوره تصويرا واقعيًا ، والذين يفسرون الآيات
الكونية تفسيرًا علميًا يدلون بذلك على ضعف ايمانهم ولو كانوا مؤمنين
حقًا ما كانت بهم حاجة الى شيء من ذلك يقوى به ايمانهم فليس
مقصودا بالآيات الكونية غير الوعظ ، والتفسير الحق هو الذي يقربها
من أذهاننا تقريبا يؤدي الى الموعظة والعبرة ، وكل تعمق
في تصويرها تصويرا واقعيًا هو بدعة حمقاء" (٢)

ولم يكتف بوصفه على عجل بأنه بدعة حمقاء بل جعل هذا ،
الوصف عنوان فصل هو " التفسير العلمي بدعة حمقاء " وقال " كنت
أحسب أن أمر هذه البدعة لا يعني به أحد ولا يقام له وزن حتى
اعتنقها طبيب كبير ، وقال بها قاض ممتاز ، ودافع عنها كيميائي

(١) القرآن وقضايا الانسان : عائشة عبدالرحمن ٤٢٨-٤٣٠

(٢) الذكر الحكيم : محمد كامل حسين ص ٥٩

معروف، وخيل الى الناس أن مفكرين وعلماء من هذا الطراز اذا قالوا:
ان العلم الحديث موجود فى القرآن فلا بد أن يكون قولهم حقا^(١)
ومما لا شك فيه أن فى عباراته وألفاظه ما لا يقبل، ولا يصح
لا نريد نقدها وليس هذا هدفنا ، وان كان مرادنا يتحقق باثبات
كونه من الراضين المعارضين .

شوقى ضيف :

فقد تحدث شوقى ضيف فى مقدمة كتابه " سورة الرحمن وسور
قصار " عن منهج ابن تيميه وابن قيم الجوزيه ثم عن منهج الشيخ
الامام محمد عبده الى أن قال " وقد تلت الشيخ الامام تفاسير كثيرة
منها ما اهتدى بهديه ومنها ما خاض فى مباحث علمية كنت ولا أزال
أرها تجنح عن الحاده اذ القرآن فوق كل علم ، ومن الخطأ أن
يتخذ ذريعه لاثبات نظريات علميه فى الطبيعه والعلوم الكونية والفلكية
وهو لم ينزل لبيان قواعد العلوم ولا لتفسير ظواهر الكون . وما ذكر
فيه من خلق السموات والأرض والأفلاك والكواكب انما يراد به بيان
حكمة الله وأن للوجود خالقا أعلى يدبره وينظم قوانينه ، ولا ريب فى
أن القرآن يدعو أتباعه دعوة عامه الى العلم والتعلم للعلوم الرياضية
والطبيعية والكونية ، ولكن هذا شىء والتحول بالقرآن الى كتاب تستنبط
منه النظريات العلميه شىء آخر لا يتصل برسالته ولا بدعوته . انه
دين لهداية البشرية يزخر بما لا يحصى من قيم روحيه واجتماعية
وانسانية ، وحسب المفسر أن يعنى ببيان ما فيه من هذه القيم ومن

(١) المرجع السابق : ص ١٨٢

أصول الدين الحنيف وتعاليمه التي أضاعت المشارق والمغارب أضواء
غامره " (١) .

الدكتور صبحى الصالح :

عدد الدكتور صبحى الصالح آفاق الدراسات القرآنية الحديثة
فعد الأفق الحديث الثانى : التوفيق العلمى وقال عنه " هذا الأفق
الثانى مدعاة الى الزلل لدى أكثر الذين خاضوا فيه من المعاصرين
لأن عمليه التوفيق تفترض غالبا محاولة للجمع بين موقفين يتوهـم
أنهما متعاديان ولا عداة ، أو يظن أنهما متلاقيان ولا لقاء ، أعنى
أنه لا ينبغى أن يحالف النجاح بصورة حتميه كل عمليه من عمليات
التوفيق " (٢) .

الى أن قال " وقد تولى كبر هذا التوفيق المحفوف بكثير من
الزلل طنطاوى جوهرى فى تفسيره الجواهر الذى قيل فيه : ان فيه
كل شيء ما عدا التفسير ! " (٣) .

ثم ذكر نضا للجوهرى فيه دفاع عن منهجه ، وعقب عليه بذكر
أمر أخذت على تفسير الجوهرى ثم قال " لذلك انتقد شيخ الأزهر
المرحوم محمود شلتوت هذه المحاولات التوفيقية الخاطئة التى تبعد
الناس عن هداية القرآن " (٤) . وساق بعد ذلك قول الشيخ محمود
شلتوت .

أحمد محمد جمال :

عارض الأستاذ أحمد محمد جمال تفسير الآيات تفسيراً علمياً

(١) سورة الرحمن وسور قصار : الدكتور شوقى ضيف ص ١٠
(٢) معالم الشريعة الإسلامية : الدكتور صبحى الصالح ص ٢٩١
(٣) المرجع السابق : ص ٢٩٢ (٤) المرجع السابق : ص ٢٩٣

والخوض بها فى ذلك فقال فى ذلك : " أجل . . القرآن الكريم هو كتاب الاسلام وحامل معجزاته الباهره . . من أنباء وقصص وغيوب غابره وحاضره وآتیه . . بعضها تحقق فعلا وبعضها يتحقق على مدار الزمن ، وتعاقب الأجيال .

ولكن " القرآن " مع ذلك ليس كتابا علميا . . أى ليس كتاب نظريات علمية ، وليس من شأنه أن يكون كذلك فالنظريات العلمية تتناقض وتصدق اليوم ، أو هكذا يبدو أنها صادقه ، ثم تكذب غدا . وحاشا القرآن . . ما تناقض قط فى أنبائه ، ولا فى قصصه ، ولا فى مبادئه التشريعيه والخليقيه . .

ويخطئ بعض المثقفين من المسلمين حين يحاولون تطبيق بعض اشارات القرآن أو بعض لفتاته المعجزة ، على الاكتشافات أو النظريات الحديثه وهم يظنون أنهم يرفعون بذلك شأن القرآن ، بينما يعرضونه بادعاءاتهم للتناقض والانتقاد والتعارض ، ويضعونه دون موضعه من التقديس والتصديق " (١) .

وقد عرض الأستاذ أحمد جمال بعض التفاسير العلميه الحديثه وناقشها بما يبطلها .

عبدالمجيد المحاسب :

أما الأستاذ عبدالمجيد فهو ينكر نزعة التفسير العلمى للقرآن الكريم ولا يسوغ اخضاع الآيات القرآنيه للعلوم الكونيه والطبيعيه البته ، ولا يوافق الذين يستخرجون النظريات العلميه من الآيات

(١) على مائدة القرآن مع المفسرين والكتاب : أحمد محمد جمال ٣٢٣

القرآنيه وعلل ذلك بـ " أن القرآن الكريم ليس كتاب علم مثل الكيمياء والذرة والهندسة والفلك والفيزياء وغير ذلك . وانما هو كتاب أنزله الله تعالى على رسوله محمد عليه الصلاة والسلام ليكون هدى ورحمة للناس " (١)

ثم ذكر أربعة أدلة لاتخاذها هذا الموقف من التفسير العلمى وقد فصل القول فى أدلته بعض التفصيل فقال ما خلاصته : -
أولها : أن جعل الارتباط بين القرآن وبين الحقائق العلمية المختلفة ناحية من نواحي بيان صدقه أو اعجازه أو صلاحيته للبقاء هو خلط بين علم التفسير وعلم اعجاز القرآن

ثانيها : من المعروف بداهة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يفهم القرآن جملة وتفصيلا ومن الطبيعى كذلك أن يفهم أصحاب - النبى صلى الله عليه وسلم القرآن فى جملته أى بالنسبة لظاهره وأحكامه وكل من يرجع الى كتب السنه يجد أنها قد أفردت للتفسير بابا من الأبواب التى اشتملت عليها ذكرت فيه كثيرا من التفسير المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا أمعنا النظر فى هذا التفسير المأثور فانا لا نجد فيه أى أصل من أصول العلوم المختلفة التى يتبجح بها أنصار وأصحاب الاتجاه العلمى فى تفسير القرآن .

ثالثها : أن القرآن اما أن يكون من عند الله أو من العرب أو من محمد ، ولا يمكن أن يكون من العجم لأن العرب عجزوا عن الاتيان بسوره من مثله فالأعجم بالضرورة أعجز ، فالقرآن ليس

(١) اتجاهات التفسير فى العصر الراهن : عبد المجيد المحتسب ص ٣١٤

من عند العرب ، أما محمد عليه السلام فلو كان القرآن من عنده
لكان أسلوب الحديث هو نفس أسلوب القرآن والمعروف أن القرآن
يختلف عن أسلوب الحديث اذن فالقرآن ليس من عند محمد ، واذا
لم يكن القرآن من عند محمد عليه السلام ولا من عند العرب فهو
من عند الله سبحانه وتعالى ،

هذه هي الطريقة الصحيحة لاثبات صدق القرآن وصلاحه للحياة
وليست طريقة اثبات ذلك نظريات علمية في القرآن الكريم .

رابعها : ان القرآن يشير كثيرا الى أشياء في الكون مثل الشمس
والقمر والأهله والنجوم والرياح . وحث الانسان على أن يتدبر
خلق السموات والأرض . . كل ذلك لتهيئة الانسان الى الايمان
عن طريق العقل بالخالق وليربط الايمان بالله عن طريق
الفطرة بالايمان بالله عن طريق العقل ولكن الله سبحانه
وتعالى لم يطلق العنان للعقل البشرى في بحث كل ما ورد
في القرآن الكريم لأن عقل الانسان قاصر . . وقد يضيع فى
مناهات اذا بحث بعض الموضوعات . . وقد يكون التقدم العلمى
فى أحوال كثيرة عاملا مساعدا على الوصول الى الايمان بالخالق
الواجب الوجود وقد يكون خلاف ذلك ولكن هذا شىء واخضاع
الآيات القرآنية للعلوم المختلفة شىء آخر وبخاصة النظريات
المتغيرة " (١)

هذه خلاصة الأدلة التى أوردها الأستاذ عبدالمجيد

المحتسب فى رده التفسير العلمى للقرآن الكريم

(١) اتجاهات التفسير فى العصر الراهن : عبدالمجيد المحتسب ص ٣١٤ -

والذى يظهر لى أن فى بعضها ضعف فى الاستدلال لا يقوى على الاحتجاج به وانما ذكرتها كوجهة نظر لأحد الباحثين أولاً ، ولأنها تقوى باضافتها الى حجج العلماء الآخرين وتقويها . أحسبها كذلك .

سيد قطب :

وكما ختمت آراء المؤيدين برأى حسن البنا رحمه الله تعالى ، وهو من هو فانى أختم آراء المعارضين برأى سيد قطب رحمه الله تعالى وهو من هو .

وقد أفاض رحمه الله تعالى الحديث فى نقد التفسير العلمى وعذرا ان أكثر من نقل جواهره وان كان لى من ملاحظات لیس على جواهره تلك وانما على تصنيفه مع الرافضين فسأرجؤه الى آخر نصوصه حتى يفهم عنى ما أردت قوله .

قال رحمه الله تعالى فى تفسير قوله تعالى " ويسألونك عن الأهلـه قل هى مواقيت للناس والحج " (١)

((لقد كان القرآن بصد د انشاء تصور خاص ، ونظام خاص ، ومجتمع خاص . . . كان بصد د انشاء أمة جديدة فى الأرض ، ذات دور خاص فى قيادة البشرية ، لتنشىء نموذجاً معيناً من المجتمعات غير مسبوق ، ولتعيش حياة نموذجية خاصة غير مسبوقه ، ولتقرقواعد هذه الحياه فى الأرض ، وتقود اليها الناس .

(١) سورة البقرة : من الآية ١٨٩

والاجابة " العلمية " عن هذا السؤال ربما كانت تمنح السائلين علما نظريا فى الفلك ، اذا هم استطاعوا ، بما كان لديهم من معلومات قليلة فى ذلك الحين ، أن يستوعبوا هذا العلم ، ولقد كان ذلك مشكوكا فيه كل الشك ، لأن العلم النظرى من هذا الطراز فى حاجة الى مقدمات طويلة ، كانت تعد بالقياس الى عقلية العالم كله فى ذلك الزمان معضلات .

من هنا عدل عن الاجابة التى لم تنتهياً لها البشرية ، ولا تفيدها كثيرا فى المهمة الاولى التى جاء القرآن من أجلها ، وليس مجالها على أية حال هو القرآن . اذ القرآن قد جاء لما هو أكبر من تلك المعلومات الجزئية . ولم يجىء ليكون كتاب علم فلكى أو كيمائى أو طبى . . كما يحاول بعض المتحمسين له أن يلتمسوا فيه هذه العلوم ، أو كما يحاول بعض الطاعنين فيه أن يتلمسوا مخالفاته لهذه العلوم !

ان كلتا المحاولتين دليل على سوء الادراك لطبيعة هذا الكتاب ووظيفته ومجال عمله . ان مجاله هو النفس الانسانية والحياة الانسانية . وان وظيفته أن ينشئ تصورا عاما للوجود وارتباطه بخالقه ، ولوضع الانسان فى هذا الوجود وارتباطه بربه ، وأن يقيم على أساس هذا التصور نظاما للحياة يسمح للانسان أن يستخدم كل طاقاته . . ومن بينها طاقته العقلية ، التى تقوم هي بعد تنشئتها على استقامة ، واطلاق المجال لها لتعمل - بالبحث العلمى - فى الحدود المتاحة للانسان - وبالتجريب والتطبيق ، وتصل الى ما تصل اليه من نتائج ، ليست نهائية ولا مطلقة بطبيعة الحال .

ان مادة القرآن التى يعمل فيها هى الانسان ذاته : تصوره واعتقاده ومشاعره ومفهوماته ، وسلوكه وأعماله ، وروابطه وعلاقاته . . أما العلوم المادية ، والابداع فى عالم المادة بشتى وسائله وصنوفه ، فهى موكولة الى عقل الانسان وتجاربه وكشوفه وفروضه ونظرياته . بما أنها أساس

خلافته فى الأرض ، وبما أنه مهياً لها بطبيعة تكوينه . . . والقرآن يصحح له فطرته كي لا تنحرف ولا تفسد ، ويصحح له النظام الذى يعيش فيه كي يسمح له باستخدام طاقاته الموهوبة له ، ويزوده بالتصور العام لطبيعة الكون وارتباطه بخالقه ، وتناسق تكوينه ، وطبيعة العلاقة القائمة بين أجزائه - وهو أى الانسان أحد أجزائه - ثم يدع له أن يعمل فى ادراك الجزئيات والانتفاع بها فى خلافته ولا يعطيه تفصيلات لأن معرفة هذه التفصيلات جزء من عمله الذاتى .

وانى لأعجب لسذاجة المتحمسين لهذا القرآن ، الذين يحاولون أن يضيفوا اليه ما ليس منه ، وأن يحملوا عليه ما لم يقصد اليه وأن يستخرجوا منه جزئيات فى علوم الطب والكيمياء والفلك وما اليها . . . كأنما ليعظموه بهذا ويكبروه !

ان القرآن كتاب كامل فى موضوعه ، وموضوعه أضخم من تلك العلوم كلها . . . لأنه هو الانسان ذاته الذى يكشف هذه المعلومات وينتفع بها . . . والبحث والتجريب والتطبيق من خواص العقل فى الانسان . والقرآن يعالج بناء هذا الانسان نفسه . بناء شخصيته وضميره وعقله وتفكيره . كما يعالج بناء المجتمع الانسانى الذى يسمح لهذا الانسان بأن يحسن استخدام هذه الطاقات المذخورة فيه . . . وبعد أن يوجد الانسان السليم التصور والتفكير والشعور ، ويوجد المجتمع الذى يسمح له بالنشاط ، يتركه القرآن يبحث ويجرب ، ويخطئ ويصيب ، فى مجال العلم والبحث والتجريب . وقد ضمن له موازين التصور والتدبر والتفكير الصحيح .

كذلك لا يجوز أن نعلق الحقائق النهائية التى يذكرها القرآن أحياناً عن الكون فى طريقه لانشاء التصور الصحيح لطبيعة الوجود وارتباطه بخالقه ، وطبيعة التناسق بين أجزائه . . . لا يجوز أن نعلق هذه الحقائق

النهائية التي يذكرها القرآن ، بفروض العقل البشرى ونظرياته ، ولا حتى بما يسميه " حقائق علمية " مما ينتهي اليه بطريق التجربة القاطعـــــــــــــــــه فى نظره .

ان الحقائق القرآنية حقائق نهائية قاطعة مطلقة . أما ما يصل اليه البحث الانساني - أيا كانت الأدوات المتاحة له - فهي حقائق غير نهائية ولا قاطعة ، وهى مقيدة بحدود تجارية وظروف هذه التجارب وأدواتها . . فمن الخطأ المنهجي - بحكم المنهج العلمى الانسانى ذاته - أن نعلق الحقائق النهائية القرآنية بحقائق غير نهائية . وهى كل ما يصل اليه العلم البشرى !

هذا بالقياس الى " الحقائق العلمية " . . والأمر أوضح بالقياس الى النظريات والفروض التى تسمى " علمية " . ومن هذه النظريات والفروض كل النظريات الفلكية ، وكل النظريات الخاصة بنشأة الانسان وأطواره ، وكل النظريات الخاصة بنفس الانسان وسلوكه . . وكل النظريات الخاصة بنشأة المجتمعات وأطوارها . . فهذه كلها ليست " حقائق علمية " حتى بالقياس الانسانى . وانما هى نظريات وفروض . كل قيمتها أنها تصلح لتفسير أكبر قدر من الظواهر الكونية أو الحيوية أو النفسية أو الاجتماعية . الى أن يظهر فرض آخر يفسر قدراً أكبر من الظواهر ، أو يفسر تلك الظواهر تفسير أدق ! ومن ثم فهى قابلة دائماً للتغيير والتعديل والنقص والاضافة ، بل قابلة لأن تنقلب رأساً على عقب ، بظهور أداة كشف جديدة أو بتفسير جديد لمجموعة الملاحظات القديمة !

وكل محاولة لتعليق الاشارات القرآنية العامة بما يصل اليه العلم من نظريات متجددة متغيرة - أو حتى بحقائق علمية ليست مطلقة كما أسلفنا - تحتوى أولاً على خطأ منهجى أساسى . كما أنها تنطوى على معان ثلاثة كلها لا يليق بجلال القرآن الكريم .

الأولى : هي الهزيمة الداخلية التي تخيل لبعض الناس أن العلم هو المهيمن والقرآن تابع . ومن هنا يحاولون تثبيت القرآن بالعلم . أو الاستدلال له من العلم . على حين أن القرآن كتاب كامل في موضوعه ونهائي في حقايقه . والعلم ما يزال في موضوعه ينقض اليوم ما أثبتته بالأمس ، وكل ما يصل اليه غير نهائي ولا مطلق ، لأنه مقيد بوسط الانسان وعقله وأدواته ، وكلها ليس من طبيعتها أن تعطى حقيقة واحدة نهائية مطلقة .

والثانية : سوء فهم طبيعة القرآن ووظيفته . وهي أنه حقيقة نهائية مطلقة تعالج بناء الانسان بناء يتفق - بقدر ما تسمح طبيعة الانسان النسبية - مع طبيعة هذا الوجود وناموسه الالهي . حتى لا يصطدم الانسان بالكون من حوله ، بل يصادقه ويعرف بعض أسراره ، ويستخدم بعض نواميسه في خلافته ، نواميسه التي تكشف له بالنظر والبحث والتجريب والتطبيق ، وفق ما يهديه اليه عقله الموهوب له ليعمل لاليتسلم المعلومات المادية جاهزة

والثالثة : هي التأويل المستمر - مع التمحل والتكلف - لنصوص القرآن كي نحملها ونلث بها وراء الفروض والنظريات التي لا تثبت ولا تستقر . وكل يوم يجد فيها جديد .

وكل أولئك لا يتفق وجلال القرآن ، كما أنه يحتوى على خطأ منهجى كما أسلفنا . .

ولكن هذا لا يعنى ألا ننتفع بما يكشفه العلم من نظريات - ومن حقايق- عن الكون والحياة والانسان في فهم القرآن . . كلا ! ان هذا ليس هو الذى عيننا بذلك البيان . ولقد قال الله سبحانه : " سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق " (١) . ومن مقتضى

هذه الاشارة أن نظل نتدبر كل ما يكشفه العلم فى الآفاق وفى الانفس من آيات الله . وأن نوسع بما يكشفه مدى المدلولات القرآنية فى تصورنا .

فكيف ؟ ودون أن نعلق النصوص القرآنية النهائية المطلقة بمدلولات ليست نهائية ولا مطلقة ؟ هنا ينفج المثال :

يقول القرآن الكريم مثلا : " وخلق كل شىء فقدره تقديرا " . . ثم تكشف الملاحظات العلمية أن هناك موافقات دقيقة وتناسقات ملحوظة بدقة فى هذا الكون . . الأرض بتهيئتها هذه وبعده الشمس عنها هذا البعد ، وبعده القمر عنها هذا البعد ، وحجم الشمس والقمر بالنسبة لحجمها ، وبسرعة حركتها هذه ، وبميل محورها هذا ، وتكوين سطحها هذا . . وبآلاف من الخصائص . . هى التى تصلح للحياة وتوائمها . . فليس شىء من هذا كله فلتة عارضة ولا مصادفة غير مقصودة . . هذه الملاحظات تفيدنا فى توسيع مدلول : " وخلق كل شىء فقدره تقديرا " ^(١) وتعميقه فى تصورنا . . فإلا بأس من تتبع مثل هذه الملاحظات لتوسيع هذا المدلول وتعميقه . . وهكذا . .

هذا جائز ومطلوب . . ولكن الذى لا يجوز ولا يصح علميا ، هذه الأمثلة الأخرى :

يقول القرآن الكريم : ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ^(٢) . . ثم توجد نظرية فى النشوء والارتقاء لوالاس ودارون تفترض أن الحياة بدأت خلية واحدة ، وأن هذه الخلية نشأت فى الماء ، وأنها تطورت حتى انتهت الى خلق الانسان . . فنحمل نحن هذا النص القرآنى ونلتهث وراء النظرية . لنقول : هذا هو الذى عناه القرآن !!

(١) سورة الفرقان آية ٢
(٢) سورة المؤمنون آية ١٢ وقد جاءت هذه الآية فى الاصل (خلق الانسان)

لا . . ان هذه النظرية أولا ليست نهائية . فقد دخل عليها من التعديل في أقل من قرن من الزمان ما يكاد يغيرها نهائيا وقد ظهر فيها من النقص المبني على معلومات ناقصة عن وحدات الوراثة التي تحتفظ لكل نوع بخصائصه ولا تسمح بانتقال نوع الى نوع آخر ، ما يكاد يبطلها . وهي معرضة غدا للنقض والبطلان . . بينما الحقيقة القرآنية نهائية . وليس من الضروري أن يكون هذا معناها . فهي تثبت فقط أصل نشأة الانسان ولا تذكر تفاصيل هذه النشأة ، وهي نهائية في النقطة التي تستهدفها وهي أصل النشأة الانسانية . . وكفى . . ولا زيادة . .

(١)

ويقول القرآن الكريم : " والشمس تجرى لمستقر لها " فيثبت حقيقة نهائية عن الشمس وهي أنها تجرى . . ويقول العلم : ان الشمس تجرى بالنسبة لما حولها من النجوم بسرعة قدرت بنحو ١٢ ميلا في الثانية . ولكنها في دورانها مع المجرة التي هي واحدة من نجومها تجرى جميعا بسرعة ١٧٠ ميلا في الثانية . . ولكن هذه الملاحظات الفلكية ليست هي عين مدلول الآية القرآنية . ان هذه تعطينا حقيقة نسبية غير نهائية قابلة للتعديل أو البطلان . . أما الآية القرآنية فتعطينا حقيقة نهائية - في أن الشمس تجرى - وكفى . . فلا نعلق هذه بتلك أبدا .

ويقول القرآن الكريم : " أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض . . كانتا رتقا ففتقناهما " . . ثم تظهر نظرية تقول : ان الارض كانت قطعة من الشمس فانفصلت عنها . . فنحمل النص القرآني ونلهث لنـدرك هذه النظرية العلمية . ونقول : هذا ما تعنيه الآية القرآنية !

لا . . ليس هذا هو الذي تعنيه ! فهذه نظرية ليست نهائية وهناك عدة نظريات عن نشأة الأرض في مثل مستواها من ناحية الاثبات العلمي ! أما الحقيقة القرآنية فهي نهائية ومطلقة وهي تحدد فقط

أن الأرض فصلت عن السماء . . . كيف ؟ ما هي السماء التي فصلت عنها ؟
هذا ما لا تتعرض له الآية . . . ومن ثم لا يجوز أن يقال عن أى فرض من الفروض
العلمية فى هذا الموضوع :-

انه المدلول النهائى المطابق للآية !

وحسبنا هذا الاستطراد بهذه المناسبة ، فقد أردنا به ايضاح
المنهج الصحيح فى الانتفاع بالكشوف العلمية فى توسيع مدلول الآيات
القرآنية وتعميقها ، دون تعليقها بنظرية خاصة أو بحقيقة علمية خاصة
تعليق تطابق وتصديق . . . وفرق بين هذا وذاك" (١).

ذلكم الرأى الواضح البين لسيد قطب رحمه الله تعالى سقناه
بطوله وبحروفه لما فيه من استيفاء واستقصاء وشمول ولئن سماه رحمه الله
" استطرادا " فانى لأسميه الا وفاءا وجلاءا للحق ، وانى أعترف أنى
قد حاولت أن أختصر هذا النص مع الوفاء بالمعنى فما استطعت ، وما
توقفت عند جملة أريد حذفها الا ورأيت تمام المعنى لا يقوم الا بها .

وقد وعدت قبل أن أسوق النص أن أوضح لم صنفته رحمه الله
تعالى مع المانعين للتفسير العلمى ولعل معترضا يقول كيف تضعه هنا
وهو يقول فى النص المنقول نفسه مستدركا : " ولكن هذا لا يعنى
ألا ننتفع بما يكشفه العلم من نظريات ومن حقائق عن الكون والحياة والانسان
فى فهم القرآن . . . "

وللاجابة على هذا أقول أنه رحمه الله البين أن مادة القرآن التى يعمل
فيها هى الانسان ذاته : تصوره واعتقاده . . الخ أما العلم
المادية . . فهى موكوله الى عقل الانسان وتجاربه وكشوفه . . الخ .

(١) فى ظلال القرآن : سيد قطب ج ١ ص ١٨١ - ١٨٤

وأقول أنه رحمه الله يعجب لسذاجة المتحمسين لهذا القرآن
ووصفهم بأنهم :

- ١ - يحاولون أن يضيفوا اليه ما ليس منه .
- ٢ - وان يحملوا عليه ما لم يقصد اليه .
- ٣ - وأن يستخرجوا منه جزئيات في علم الطب والكيمياء والفلك وما اليها
فاذا كان وصفهم بهذا فكيف يكون مؤيدا أو أن يقبل قولهم !!

وأقول أنه رحمه الله تعالى وصف حقائق القرآن بأنها نهائية ووصف
ما يصل اليه البحث الانساني بأنها حقائق غير نهائية ولا قاطعة ثم وصف
تعليق الحقائق النهائية القرآنية بحقائق غير نهائية بأنه خطأ منهجي .
هذا في " الحقائق العلمية " أما النظريات والفروض العلمية
فوصف كل محاوله لتعليق الاشارات القرآنية العامة بها اضافة الى الخطأ
المنهجي بأنها تنطوى على ثلاثة معان كلها لا تليق بجلال القرآن .

أولها : الهزيمة الداخلية . . الخ

ثانيها : سوء فهم طبيعة القرآن ووظيفته . . الخ

ثالثها : التأويل المستمر مع التحمل والتكلف لنصوص القرآن . . الخ

فاذا كان رحمه الله وصف تعليق الآيات القرآنية بالحقائق العلمية بأنه
خطأ منهجي ، ومجرد محاولة التعليق للاشارات القرآنية بالنظريات
والفروض العلمية بأنه خطأ منهجي أيضا وذكر فيه زيادة ماذكر . . فأين
التأييد أو القبول عنده للتفسير العلمي .

فان قلت انه أيد الانتفاع بالكشوف العلمية في توسيع مدلول الآيات
القرآنية وتعميقها .

قلت ان هذا لا يعد قبولا للتفسير العلمى كتفسير وانما وهذا
ما فهمته أن تذكر كسواهد لتوسيع المدلول وفرق بين هذا وذاك .
ويذكرنى موقفه منه بموقف ابن تيمية رحمه الله تعالى من الاسرائيليات
حيث ذكر أنها تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد . (١)

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية : ج ١٣ ص ٣٦٦

الرأى المختار :

قبل أن أذكر الرأى الذى أميل اليه يجب أن أذكر حقيقة
قد كنت أظنها لا تخفى الى أن رأيت أحد الباحثين يقع
فى خلافها .

تلكم هى التفريق بين " التفسير العلمى و " الاعجاز
العلمى "

أما أولهما فهو مشار البحث والمناقشة وأما ثانيهما فأحسبه
أمر مسلما لا جدل فيه ولا اشكال .

ذلكم أن كتابا أنزل قبل أربعة عشر قرنا من الزمن وعرض
لكثير من مظاهر هذا الوجود الكونية كخلق السموات والأرض
وخلق الانسان وسوق السحب وتراكمه ونزول المطر وجريان
الشمس والقمر وتحديث عن الكواكب والنجوم والشهب وأطوار
الجنين ، والنبات والبحار وغير ذلك كثير ، ومع ذلك
كله لم يسقط العلم كلمة من كلماته ولم يصادم جزئية
من جزئياته ، فاذا كان الامر كذلك فان هذا بحمد ذاته
يعتبر اعجازا علميا للقرآن .

هذه النتيجة المتولدة عن أن القرآن لم ولن يصادم حقيقة
علمية لم أربين علماء المسلمين من أنكرها لافى القديم ولا فى
الحديث ، وكل ما يثار من ضجه وما يسطر فى الصحف ما هو
الا عن التفسير العلمى لا عن الاعجاز العلمى .

فالاعجاز العلمي قاعدة صلبة يقف عليها المسلمون جميعا بكل ثقته وكل أمن ، لكن طائفة منهم قالت مادام الاعجاز العلمي متحققا في القرآن وثابتا فما علينا أن نطبقه بين آياته واحده واحده وبين الحقائق العلمية واحده واحده .

وامتنعت طائفة أخرى عن تطبيقه لا خوفا عليه من النقص وليس خشية على حقائقه ولكن لعدم الثقة في مداركنا نحن البشر فقد نحسب نظرية علمية حقيقة علمية فما تلبث قليلا الا وتتقوض بعد رسوخ وتزعزع بعد ثبوت وولات حين مناص نقع في الحرج الشديد فيكذب القرآن وهو الصادق فتكون البليه فالعيب والنقص في مداركنا وليس في حقائق القرآن .

اذا فالمسلمون جميعا يقولون بالاعجاز العلمي للقرآن ولكنهم يختلفون في التفسير العلمي . هذا ما أحببت الاشارة اليه وبيان ، وكنت أظن هذا من الوضوح بما لا يخفى حتى رأيت أحد الباحثين يعقد مبحثا في رسالته ويقسم العلماء الى قسمين الأول القائلين بالاعجاز العلمي للقرآن والثاني المانعين من القول بالاعجاز العلمي وساق نصوصا لهؤلاء يرفضون بها التفسير العلمي وحسبهم ينكرون بها الاعجاز العلمي .

واذا ما اتضح هذا ، وحق لي أن أقول بعده الرأي الذي أميل اليه في التفسير العلمي فأني أقول رأيا ما فطرته ولا ابتدعته وقاله قبلي كثيرون .

ذلكم أن الحق فيما أرى وسط بين مذهبين

فلا رفض ولا انكار للتفسير العلمي يمنع من :-

١ - ادراك وجوه جديده للاعجاز في القرآن من ناحية اثبات التوافق بين حقائقه النهائية القاطعه وبين ما يثبت في الحقائق العلمية التي لا يقبل ثبوتها أي نوع من الشك .

٢ - دفع مزاعم القائلين بأن هناك عداوة بين الدين والعلم

٣ - استمالة غير المسلمين الى الاسلام من هذا الطريق ببيان اعجازه العلمى لهم .

٤ - الحث على الانتفاع بقوى الكون ومواهبه

٥ - امتلاء النفس ايمانا بعظمة الله وقد رته حينما يقف الانسان فى تفسير كلام الله على خواص الأشياء ودقائق المخلوقات حسب ما تصورها علوم الكون (١) وحينما يرى الحقائق القرآنية ثابتة وصامدة تتكسر تحت أقدامها " النظريات " العلمية وتعانقها بسلام " الحقائق " العلمية .

لا رفض يمنع هذا ، ولا تسليم مطلق للتفسير العلمى لأن :-

١ - اعجاز القرآن ثابت وهو غني عن أن يسلك فى بيانه هذا المسلك المتكلف الذى قد يذهب بالاعجاز ، وهناك من ألوان الاعجاز غير هذا ما يشهد للقرآن بأنه كتاب الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم (٢) .

٢ - ان الدعوة القرآنية الى النظر فى الكون والعلوم هي دعوة لعامة الناس وخاصتهم الى موضع العبرة والعظة ليهتدى الناس بها الى خالقها وموحد ها وليس الى بيان دقائقها وكشف علومها .

٣ - أنه مدعاة الى الزلل لدى أكثر الذين خاضوا فيه من المعاصرين لأن عملية " التوفيق " تفترض غالبا محاولة للجمع بين موقفين يتوهم أنهما متعاديان ولا عداة ، أو يظن أنهما متلاقيان ولا لقاء ، أعنى أنه لا ينبغي أن يحالف النجاح بصورة حتمية كل عملية من عمليات " التوفيق " (٣)

(١) مناهل العرفان فى علوم القرآن : عبد العظيم الزرقانى ج ١ ص ٥٦٨-٥٦٩

(٢) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبى ج ٣ ص ١٥٩

(٣) معالم الشريعة الاسلامية : صبحى الصالح ص ٢٩٠

٤ - أن تناول القرآن بهذا المنهج وبذلك المدى يضطر المفسر الى مجاوزة الحدود التي تحتملها الفاظ النص القرآني الكريم ، لأنه يحس بالضرورة متابعة العلم في مجالاته المختلفة مع أن كثيرا من حقائق العلم مؤقته ومتغيره ولا تظهر كلها دفعة واحدة بل تتكشف يوما بعد يوم وحينئذ يكون التعجل في تلمس المطابقة بين القرآن والعلم تعجلا غير مشروع .^(١)

٥ - ان ما يكشف من العلوم انما هو نظريات وفروض كل قيمتها أنها تصلح لتفسير أكبر قدر من الظواهر الكونية أو الحيوية أو النفسية أو الاجتماعية الى أن يظهر فرض آخر يفسر قدرا أكبر من الظواهر ، أو يفسر تلك الظواهر تفسيراً أدق ، ومن ثم فهي قابلة دائما للتغيير والتعديل والنقص والاضافة بل قابله لأن تنقلب رأسا على عقب بظهور أدلة تكشف جديدة أو بتفسير جديد لمجموعة الملاحظات القديمة^(٢) ومن ثم فلا يصح أن نعلق الحقائق القرآنية النهائية بمثل تلك النظريات حتى لانقصف محرجين عند ثبوت بطلان تلك النظرية .

أقول لا رفض للتفسير العلمي مطلقا ولا تأييد وتسليم له مطلقين بل جميع بين حقيقتين حقيقة قرآنية ثابتة بالنص الذي لا يقبل الشك ، وحقيقة علمية ثابتة بالتجربة والمشاهدة القطعيين ، ومن هنا كان المسلمون كلهم متفقين كما أسلفنا على أن القرآن الكريم لم ولن يصادم حقيقة علمية ، وانما يقع التصادم عندما ندعي حقيقة علمية في الكون وهي ليست حقيقة علمية ، أو ندعي حقيقة قرآنية وهي ليست حقيقة قرآنية .^(٣)

(١) الفكر الديني في مواجهة العصر : عفت الشراوى ص ٤٤٣

(٢) في ظلال القرآن : سيد قطب ج ٢ ص ٩٧

(٣) معجزة القرآن : محمد متولى الشعراوى ص ٤٧

لهذا فلا بأس - فيما أرى - من إيراد حقائق علمية ثابتة لا تقبل الشك عند تناول النص القرآني ، مع ادراك معنى النص وفهمه فهما سليما خاليا من الشوائب والمؤثرات الخارجية ، أو الميل به والانحراف لموافقة تلك الحقيقة العلمية وهذا أيضا كله مشروط ب :-

١ - الا تغطي تلك المباحث على المقصود الأول من القرآن وهو الهداية والاعجاز.

٢ - ان تذكر تلك العلوم لاجل تعميق الشعور الديني لدى المسلم والدفاع عن العقيدة ضد أعدائها وبيان موافقة القرآن الكريم للحقائق العلمية الثابتة .

٣ - ان تذكر تلك الابحاث على وجه يدفع المسلمين الى النهضة ويلفتهم الى جلال القرآن ويحركهم الى الانتفاع بقوى هذا الكون الذي سخره الله لنا انتفاعا يعيد للأمة الاسلامية مجدها . (١)

٤ - أن لا تذكر هذه الأبحاث على أنها هي التفسير الذي لا يدل النص القرآني على سواه . بل تذكر لتوسيع المدلول ، وللاستشهاد بها على وجه لا يؤثر بطلانها فيما بعد على قداسة النص القرآني ذلك أن تفسير النص القرآني بنظرية قابلة للتغيير والابطال يثير الشكوك حول الحقائق القرآنية في أذهان الناس كلما تعرضت نظريته للرد أو البطلان . (٢)

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن : عبد العظيم الزرقاني ج ١ ص ٥٦٩ - ٥٧٠

(٢) مجلة كلية أصول الدين العدد الثاني ص ٥٨ مقال " نظرات في مدرسة التفسير الحديثه " للدكتور مصطفى مسلم .

أهم المؤلفات فيه :

لا أقصد أن أذكر تحت هذا العنوان شيئاً من التفاسير التي تناولت
- عرضاً - التفسير العلمي ، كما لا أقصد أن أذكر " كل " التفاسير التي
أفردته بمؤلفات خاصة .

فظهر أن مرادى هنا أن أذكر أهم المؤلفات في التفسير العلمى
فى العصر الحديث والتي أفردته بالدراسة دون ما سواه من العوان
التفسير أو أن تكون الألوان الأخرى لا تكاد توجد فى أبحاثها ، وعلى
هذا فانى سأقتصر على ما ذكرت مع تعريف موجز لكل منها . ثم أفرد
بعضها بدراسة خاصة كنموذج للتفسير العلمى فى العصر الحديث .

فمن أهم المؤلفات فى ذلك :-

١ - الجواهر فى تفسير القرآن الكريم :

المؤلف : طنطاوى جوهري .

٢ - كشف الأسرار النورانية القرآنية :

المؤلف : محمد بن أحمد الاسكندراني .

٣ - الكون والاعجاز العلمى للقرآن :

المؤلف : الدكتور منصور حسب النبى .

٤ - الاعجاز العددى للقرآن الكريم

المؤلف : عبدالرزاق نوفل

٥ - مع الطب فى القرآن الكريم

المؤلف : عبدالحميد دياب والدكتور أحمد قرقوز

وسنفرده هذه المؤلفات انشاء الله بدراسة خاصة لكل منها ،

لأهميتها فى هذا الموضوع أما البقية من التفاسير فهى :-

*

*

*

٦ - الاسلام فى عصر العلم

المؤلف : محمد أحمد الغمراوى .

ولد بمدينة زفتى بمحافظة الغربية فى مصر سنة ١٨٩٣ م
حفظ القرآن الكريم وتخرج من مدرسة المعلمين العليا سنة ١٩١٤ م ثم
عمل مدرسا بالمدارس الثانويه للجمعية الخيرية الاسلامية وابتعث بعد
ذلك الى انجلترا للتخصص فى الكيمياء والطبيعة وبعد عودته اختير استاذاً
للكيمياء فى كلية الصيدلة الى أن أحيل للمعاش وفى سنة ١٩٦٠ م دعى
الى المملكة العربية السعودية فأسس كلية الصيدلة بجامعة الرياض وعمل
بها استاذاً وعميداً ثلاث سنوات ثم عهدت اليه ادارة الازهر بالتدريس
فى كلية أصول الدين ثم درس طلبة الدراسات العليا بنفس الكلية ، وتوفى
رحمه الله تعالى سنة ١٩٧١ م .

الكتاب :

حينما كان المؤلف رحمه الله تعالى يدرس فى كلية أصول الدين
طبعت لجنة التأليف بعض محاضراته فيها بعنوان " فى سنن الله الكونية"
وكان له نشاط فى المجالات الاسلامية ومنها تلك السلاسل تحت عنوان
" دلالة القرآن على نفسه أنه من عند الله " و " السماء فى القرآن وفى
العلم " و " الجبال فى القرآن " وكان له مذكرات دونها طلابه فى كراستين
واحدة بعنوان " اسلاميات " والثانية بعنوان " سنن كونه " .

وقد دعا هذا أحد أصدقاء المؤلف وهو الدكتور أحمد عبد السلام
الكرداني الى القيام بجمع هذا الكنز العلمى وتنسيقه وترتيبه وطبعه فى
هذا الكتاب " الاسلام فى عصر العلم " وقد كان لهذا الكتاب أثره بين
علماء المسلمين فى العصر الحديث ^(١) ويقع الكتاب فى ٤٦٠ صفحة وفى مجلد
واحد .

(١) أخذت ترجمة المؤلف وبعض المعلومات الواردة هنا من الترجمة التى
كتبها الدكتور أحمد عبد السلام الكرداني فى مقدمة " الاسلام فى عصر
العلم " .

وقد قسمه جامعته الى أربعة أبواب هـى :-

تحدث المؤلف فى الباب الأول وعنوانه " الاسلام دين الفطرة " وفيه عشرة فصول تحدث عن الاسلام والفطرة ، والاسلام دين العزه ، ودين الكرامة ودين الوفاء وفى الفصل الخامس الاسلام والعلم والمدنية ، وفى السادس الاسلام وسنن العلم وفى السابع الطواف . نظره علمية ، وفى الثامن الاسلام وسنن الاجتماع ثم الاسلام والهجرة ثم الاستعمار والاسلام .

أما الباب الثانى فهو " محمد رسول الهدى " وفيه أربعة فصول وفى الباط الثالث القرآن المعجزة الخالدة وفيه تسعة فصول ، أما أهم الأبواب وأوسعها فهو

الباب الرابع " من الاعجاز العلمى للقرآن " وفيه ستة فصول تحدث فى الفصل الاول عن القرآن والعلم ، وفى الثانى " تفسير الآيات الكونية " وفى الثالث " الجبال فى القرآن " وفى الرابع " السماء فى القرآن " وفى الخامس " الظواهر الجوية فى القرآن " و " نظرة فى النبات " و " الطاقة " وفى السادس " مخترعات العصر والقرآن " .

هذا هو الكتاب وهذه هى أبحاثه ، ولولا أنى أخشى المطالبة بالبراهين لسقت أهم محاسنه وأهم المآخذ عليه ، ولو أوردت هذا وذاك لأخذ حيزا فى البحث طويلا .

٧ - القرآن والعلوم العصرية :

المؤلف : طنطاوى جوهري : ستأتى ترجمته ان شاء الله

عند الحديث عن تفسيره . الجواهر فى تفسير القرآن الكريم .

الكتاب :

هو رسالة صغيرة لا تتجاوز صفحاتها ٨٥ ورقة من الحجم المتوسط

بين يدي طبعها الثانية وصدرت سنة ١٣٧١ من مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي .

اختار المؤلف فيه بعض الآيات ، وفسرها تفسيراً علمياً فيذكر
" فصل في تفسير آية كذا " ثم يذكر تحت هذا الفصل شتى العلوم
والمعارف التي يحسبها تفسيراً للآية .

٨ - القرآن ينبوع العلوم والعرقان :

المؤلف : على فكرى

هو على فكرى ابن الدكتور محمد عبد الله ولد سنة ١٢٩٦ هـ فى
القاهرة وتوفى بها سنة ١٣٧٢ هـ ثم عمل مدرسا ثم كاتباً بوزارة المعارف ثم
نقل الى دار الكتب المصرية سنة ١٣٣٠ هـ تقريباً ، وله عدد من المؤلفات
منها :-

- ١ - الكتاب موضع الحديث " ينبوع العلوم والعرقان "
- ٢ - آداب الفتى
- ٣ - آداب الفتاه
- ٤ - عظة النساء
- ٥ - مسامرات البنات
- ٦ - المكاتبات الفكرية
- ٧ - دليل العملة والمعاملة
- ٨ - سعادة الزوجين
- ٩ - التربية الاجتماعيه
- ١٠ - سبيل النجاح
- ١١ - تربية البنين
- ١٢ - الانسان
- ١٣ - الآداب الاسلاميه
- ١٤ - تقويم الاخلاق
- ١٥ - السمير المهدب أربعة أجزاء
- ١٦ - المعاملات المادية والادبيه ٤ أجزاء
- ١٧ - أحسن القصص خمسة أجزاء (١)

هذه هى مؤلفاته وانما سقتها ليتضح أن المؤلف غير متخصص
فى التفسير وأن كتابته فى التفسير ككتابة كثير من المعاصرين كتابة مثقف
وليست كتابة مفسر .

الكتاب :

القرآن ينبوع العلوم والعرفان

ويقع الكتاب فى ثلاثة أجزاء متوسطة الحجم وصدرت الطبعة الأولى من

الكتاب سنة ١٣٦٥ .

وقد وضع فى مقدمته ما يحتوى عليه كتابه فقال بعد أن ذكر أن القرآن الكريم قد أشار بوضوح تام الى العلوم الكونية التى تدارسها العالم القديم والحديث قال " لهذا رأيت وجوباً علىّ - خدمة للدين والعلم والانسانية - أن أضع كتاباً جامعاً بقدر الامكان لما جاء فى كتاب الله العزيز من الآيات فى العلوم الاتية : -

الطب والصيدلة ، الصحة ، التاريخ الطبيعى ، الحيوان ، النبات ، المعادن ، الكيمياء ، علم طبقات الارض الجيولوجيا ، الطبيعىه " الهواء ، الماء ، النار ، الحرارة ، الصوت ، الضوء ، النور ، الكهرباء ، المغناطيسية ، اللاسلكى (الراديو) (التليفزيون) الفلك - الجغرافيا ، تقويم البلدان ، الملاحة البحرية ، السياحة والاسفار ، السباحة ، التاريخ الاثرى ، والتاريخ العام ، والفنون الحربية ، الصناعة والتجارة ، الحساب ، الهندسة ، العمارة والرى ، الكتابة وأدواتها والمكتبات .

هذا مع تفسير الآيات تفسيراً مقتصراً مفيداً يدل على معناها وأسميته " القرآن ينبوع العلوم والعرفان " ليكون فى اسمه ما يدل على ما فيه ، وأتبع الآيات بنبذه عن كل علم مع خلاصة وجيزه من تعاريفه الأولى " (١)

(١) القرآن ينبوع العلوم والعرفان : على فكرى ج ١ ص ١٥ - ١٦

" أما الآيات المتعلقة بالعلوم الشرعية والحكمية والفلسفية فلم أتعرض لها لأن لها كتباً خاصة بها وفيها ما يغني عن البحث في موضوعاتها" (١)

وقد قسم هذه الأبحاث المذكورة على أجزاء كتابه الثلاثة ، وقد جرى المؤلف على أن يفرد كل علم بمبحث خاص يفسر فيه الآيات التي يعتقد صلتها به تفسيراً علمياً ثم يورد نبذة مختصرة أو كلمة عامه عن العلم الذي يتحدث عنه عن أصله ونشأته وأبحاثه الجديدة منها والقديم . مما لا يعيننا استيفاءه هنا أو إيراد أمثله منه .

٩ - القرآن والعلوم الحديثة

المؤلف : محمود أبو الفيض المنوفى

وهي رسالة صغيرة الحجم في ٨٠ صفحة . الناشر عيسى البابى الحلبي .

١٠ - الإسلام والطب الحديث

المؤلف : الدكتور عبد العزيز اسماعيل ، ولد سنة ١٣٠٦ وتوفى سنة ١٣٦١ تعلم الطب في القاهرة ثم في إنجلترا وكان أستاذاً للدراسات العليا وله من المؤلفات غير هذا الكتاب ، رسالة في " الطب والقرآن " وعدد من المقالات في المجلات الطبية . (٢)

الكتاب :

ولقد نال الكتاب على صغر حجمه شهرة كبيرة عند من تناول هذا الموضوع ولعل هذه شهرته ترجع للمقدمة التي كتبها شيخ الأزهر محمد مصطفى المراغى وأشاد بها في الكتاب وأثنى عليه وعلى صاحبه .

(١) القرآن بينوع العلوم والفرقان : على فكرى ج ١ ص ١٥ - ١٦

(٢) الاعلام : الزركلى ج ٤ ص ١٥

ويقع الكتاب في ١٣٢ صفحة متوسط الحجم صدرت طبعته الثانية سنة ١٩٥٩ م .

١١ - ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمه البرهان .
المؤلف : محمود شكرى الألوسى

وهو حفيد شهاب الدين محمود الألوسى صاحب التفسير المعروف " روح المعانى "

ولد فى بغداد سنة ١٢٧٣ وتلقى العلم عن أبيه وعمه أبى البركات نعمان خير الدين الألوسى وغيرهما وتوفى فى بغداد سنة ١٣٤٢ وله عدد من المؤلفات أهمها :-

- ١ - غاية الأمانى فى الرد على النبهانى فى جزئين .
 - ٢ - فصل الخطاب فى شرح مسائل الجاهلية للامام محمد بن عبد الوهاب .
 - ٣ - الأدله العقلية على ختم رساله المحمدية .
- وغير ذلك من المؤلفات (١)

الكتاب : ويقع الكتاب فى ١٤٤ صفحة تقريبا صدرت طبعته الاولى سنة ١٣٨٠ هـ والثانية سنة ١٣٩١ هـ والناشر المكتب الاسلامى .

١٢- التفسير العلمى للآيات الكونية فى القرآن :-

المؤلف : حنفى أحمد

الكتاب : وهذا العنوان وضعه له مؤلفه فى الطبعة الثانية وكان قد صدر فى الطبعة الأولى بعنوان " معجزة القرآن فى وصف الكائنات " ويقع الكتاب فى طبعته الثالثة فى ٤٥٤ صفحة .

(١) انظر ترجمته فى مقدمة الكتاب نفسه ص ٨ - ٩

١٣ - شواهد العلم فى هدى القرآن " معجزات القرآن يشهد بها العلم الحديث " .

المؤلف : محمد سعدى المقدم

الكتاب : يقع فى جزئين أطلعت على الجزء الأول الذى صدرت

طبعته الأولى سنة ١٩٥٠ فى ١٥٢ صفحة .

ويحتوى الكتاب على أربعة أبواب ، الأول القرآن والثانى بدايئة

الخلق ، وهما فى الجزء الأول وباب يبحث فيما يختص بالأرض والرابع

فى نهاية الدنيا أو " يوم القيامة " وهما فى الجزء الثانى .

وقد شن المؤلف فى مقدمته حملة على الأزهر والأزهريين الذين

أهملوا الجديد وصاروا وراء القديم ! ! وحمل الأخطاء والشطط فى

كتابه على الأزهر لأنهم رفضوا مراجعته قبل الطبع .

بقي أن أقول أن تخصص المؤلف ماجستير فى الاقتصاد السياسى

وليس فيه تفسير للآيات بل هو أقوال لفلاسفة الغرب وعلمائهم .

١٤ - الاعجاز العلمى فى القرآن

المؤلف : أحمد عبدالسلام الكردانى

وهو نماذج مستقاة من الكتاب السابق الاسلام فى عصر العلم ،

للدكتور محمد أحمد الغمراوى .

١٥ - العلوم الطبيعية فى القرآن

المؤلف : يوسف مرّوه

الطبعة الأولى - بيروت ١٣٨٧ ويقع فى ٢٧٤ صفحة .

١٦ - القرآن ونهاية العالم

المؤلف : كتب على غلاقة :- الأسيوطى الفلكى يقدم : القرآن ونهاية

العالم ولا أعرف هذا المؤلف . وناشر الكتاب على السيد سليمان

صاحب دار الكتب الشرقية بالأزهر، بدون تاريخ ويقع فى ثمانين صفحة .

- ١٧ - رحلة عبر الغيب بين آيات القرآن وصفحات الأكوان .
المؤلف : عبد الكريم عثمان
الكتاب : متوسط الحجم ، يقع في ١٤١ صفحة .
- ١٨ - معجزات القرآن الكريم في العلم والسياسة والاجتماع " باللغتين العربية والانجليزية .
المؤلف : محمود مهدي الاستانبولي
الكتاب : كتاب موجز في موضوعه يذكر نص الآيه ثم اشارة الى معناها ومدلولها العلمي ثم ترجمة ذلك الى اللغة الانجليزية صدر الكتاب سنة ١٣٨٠ ويقع في ٧٦ صفحة .
- ١٩ - معجزة القرآن
المؤلفة : نعمت صدقي
صدرت الطبعة الثانية من دار الاعتصام بالقاهرة سنة ١٣٩٨ ويقع الكتاب في ١٩٥ صفحه .
- ٢٠ - القرآن واعجازه العلمي
المؤلف : محمد اسماعيل ابراهيم وعدد صفحاته ١٧٤ صفحه
- ٢١ - البرهان من القرآن
المؤلف : محمود أحمد مهدي عدد صفحاته ٣٦١ صفحه
- ٢٢ - القرآن والعلم الحديث
المؤلف عبد الرزاق نوفل . ستأتي ترجمته ان شاء الله .
الكتاب : طبع سنة ١٣٩٣ ببيروت ، عدد صفحاته ٢٢٥
- ٢٣ الرياضيات في القرآن الكريم
المؤلف : خليفه عبد السميع خليفه

الكتاب : صدرت الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ ، وجاء على غلافة أنه أول كتاب يتناول الاعجاز الرياضى وعلوم الحساب والجبر والهندسة وعلم الاحصاء والميكانيكا " وعدد صفحاته ١٨٤ صفحة .

٢٤ - معجزة القرن العشرين فى كشف سباعية وثلاثية أوامر القرآن الكريم .

المؤلف : ابن خليفة علىوى

الكتاب : الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ عدد صفحاته ١١٠ الناشر دار الايمان - دمشق .

٢٥ - الاعجاز الحسابى فى القرآن الكريم

المؤلف : رشاد خليفه

الكتاب : رسالة صغيرة فى ٢٦ صفحة .

٢٦ - تسعة عشر دلالات جديدة فى اعجاز القرآن

المؤلف : رشاد خليفه

الكتاب : نص محاضرة ألقاها المؤلف فى الكويت ، وتقع فى ٣٠ صفحة من الحجم الصغير .

٢٧ - معجزة القرآن العددية

المؤلف : صدقى البيك

الكتاب : نشرته مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ، بيروت وصنـدرت الطبعة الأولى سنة ١٤٠١ والكتاب له صلة وثيقة بالكتابين السابقين ومؤلفهما ، ومتمم لهما .

٢٨ - لفتات علمية من القرآن

المؤلف : يعقوب يوسف

الكتاب : نشرته الدار السعودية للنشر والتوزيع والطبعة الثانية

صدرت سنة ١٣٩٠ فى ١٠٠ صفحة

٢٩ - الاعجاز العلمى فى القرآن

المؤلف : حمزه سالم الصيرفي

الكتاب : صدرت طبعته الأولى سنة ١٣٩٩ وعدد صفحاته ٤٨ صفحه

٣٠ - القرآن الكريم والغلاف الجوى

المؤلف : محمد عفيفي الشيخ

الكتاب : صدر سنة ١٤٠٠ فى ١٣١ صفحة

٣١ - تفسير الآيات الكونية

المؤلف : الدكتور عبد الله شحاته

الناشر : دار الاعتصام الطبعه الأولى سنة ١٤٠٠ فى ٣١٦ صفحه .

٣٢ - القرآن والطب

المؤلف : أحمد محمود سليمان ، وعدد صفحاته ١٤٦ صفحه

٣٣ - آيات الله تعالى

المؤلف : محمد وفا الاميرى

الكتاب : فى جزئين الاول ٤٥٠ صفحه والثانى ٣١٥ صفحه الناشر

دار الرضوان حلب .

٣٤ - القرآن والطب

المؤلف : الدكتور الحاج محمد وصفى

الناشر : دار الكتب الحديثه بالقاهرة صدرت الطبعة الاولى سنة

١٣٨٠ فى ٢٢٠ صفحه .

٣٥ - الاعجاز الطبى فى القرآن

المؤلف : الدكتور السيد الجميلى

الناشر دار التراث العربى ، القاهرة ، صدرت الطبعة الثانية

سنة ١٤٠٠ فى ١٩٤ صفحه .

هذه بعض المؤلفات في التفسير العلمي التجريبي في العصر الحديث
ولئن كان المقام لا يسمح لنا بدراستها تفصيلا فإنه لا يعفينا من دراستين
أولهما : - ١ - دراسة في التفسير ذاته مستمدا من هذه التفاسير
بمجموعها .

٢ - دراسة تفاسير منها دراسة مستقلة .

يعبر عن أولاهما بدراسة نماذج للتفسير العلمي في العصر الحديث
ويعبر عن الثانية بدراسة نماذج من المؤلفات في التفسير العلمي
الحديث . وهذه أولى الدراستين .

نماذج للتفسير العلمي التجريبي في العصر الحديث :

وكما أنه ليس بمقدورنا أن نقدم دراسته لكل هذه المؤلفات فإنه ليس
بمقدورنا أن نقدم أمثلة لكل الآيات التي تناولوها بالتفسير العلمي . فلنذكر
بعضها منها ، ولنقدم قبله تفسير السلف لكل آية حتى نعرف موقع تفسيرهم
منه فمن ذلك :-

أولا : قوله تعالى : " وجعلنا من الماء كل شيء حي " .

ذهب السلف في المراد بالماء في هذه الآية الى قولين أولهما
أن المراد به الماء المعروف وثانيهما أن المراد به النطفة وعلى الأول
أن الماء سبب حياة كل شيء حي وعلى الثاني أن أصل كل شيء هو
النطفة قال الشوكاني رحمه الله تعالى في تفسيره " وجعلنا
من الماء كل شيء حي أي أحيينا بالماء الذي نزله من السماء كل
شيء فيشمل الحيوان والنبات ، والمعنى أن الماء سبب حياة كل شيء
وقيل المراد بالماء هنا النطفة وبه قال أكثر المفسرين " (١) وقال

(١) فتح القدير : الامام الشوكاني ج ٣ ص ٤٠٥

ابن كثير وجعلنا من الماء كل شىء حي أى أصل كل الأحياء . (٢)

أما التفسير العلمى الذى يقدمه الأستاذ أحمد محمد سليمان فليس بهذا ولا بذاك فهو يفسره بأن الماء هو أصل الحياه بمعنى أن المخلوقات كلها نشأت أو ما نشأت فى الماء وخلقها الله أول ما خلقها فى الماء فأول ما ظهر من الحيوانات ذات الخلية الواحدة لآتراها العين المرجدة ثم تبع ذلك حيوانات ذات خلايا عده وهكذا تطورت الحياه فى الماء خلال ملايين الأعوام ثم بدأت بعض الحيوانات تخرج من البحر الى البر ثم نشأت الزواحف التى اتخذت البر لها مسكنا ثم الطيور ثم ذوات الأربع، وذكر أن أول من قال بهذه النظرية هى التوراة أما القرآن فلم يقتصر على هذا (!!) بل أبان أن الماء هو أصل جميع الكائنات من حيوان ونبات مما يدل على هيمنه القرآن العلمية على ما سبقه من الكتب المقدسه، وهذا قوله بنصه بعد أن قدم لتفسيره بأن الشمس تسطع على البحار فيتبخر ماؤها فتنشأ السحب الثقال ثم يهطل المطر وتتكون البحيرات والأنهار قال بعد ذلك :-

" تلك قصة الماء التى يراها كل انسان فى كل مكان وزمان جعل الله منه النبات وأحيا به الانسان والحيوان ، أما فى غابر الزمان حينما كان الانسان لا يزال فى ضمير الكون سرا من الاسرار فانه بعد أن خلق الله الارض وبدأ يهيئها للعمران أودعها الحياه أول ما أودعها ماء البحار اذ خلق فى جوفها أبسط الكائنات من نبات وحيوانات .
وأول الحيوانات التى ظهرت فى الماء تلك التى تتكون من خلية واحده لآتراها العين المجرده ، ثم تبعت تلك الحيوانات حيوانات ذات خلايا عده : الحيوانات اللاقريه ثم الحيوانات الفقريه التى تنتمي اليها الاسماك .

ظلت الحيوانات حتى ذلك الحين في جوف البحار والمحيطات التي
أن ظهرت بعد ذلك الكائنات التي تجمع في معيشتها بين البر والماء
وهي الحيوانات البر مائية التي تنتمي اليها الضفادع

استمر هذا التطور الذي أخذ الملايين من الأعوام في مجراه ، حتى
نشأت الزواحف التي أخذت الأرض لها مسكنا دون الماء ، ثم تبعها في
سلسلة التطور الطير الذي اتخذ الأرض له مسرحا والهواء ، ثم ختمت
السلسلة بذوات الأربع فامتألت الأرض بالزواحف والطيور والحيوانات وكلها
قذفت باديء ذي بدء من بطن مياه البحار والمحيطات .

وأول من قال بهذه النظرية التوراه التي تكلمت عن نشأة الحيوانات
البرية في الاصحاح الاول من سفر التكوين كما ذكرت آنفا ، ومضمون ما قالت
التوراة :-

هو أن المياه أخرجت زحافات ، ثم خلق الله بعد ذلك الطير ثم تبع
ذلك ظهور الحيوانات الثدييه .

أما القرآن الكريم فلم يقتصر على هذا بل أبان أن الماء هو أصل
جميع الكائنات من حيوان ونبات مما يدل على هيمنة القرآن العلمية على
ما سبقه من الكتب المقدسه وعلى اعجاز هذه الآيه التي نزلت في وقت كان
العالم فيه غارقا في دياجير الظلمات .

وهذه الآيه الكريمه - استغفر الله - بل هذا الجزء من الآيه
لا يحمل اعجازا فقط - بل يحمل في ثناياه اعجازا فوق اعجاز ، فالماء هو
أصل الحياة أو هو الذي نشأت في جوفه الكائنات أول ما نشأت " (١)

(١) القرآن والطب : أحمد محمد سليمان ص ٦٨

هذا ما زعمه تفسيرا للآيه وما هو بتفسير حق وما هو بتفسير مقبول بل أحسبه يعارض أخبار القرآن الكريم العديده ، ونصوصه الكثيره .
انظر الى قوله مثلا عن الزواحف والطيور والحيوانات " وكلها قذفت بادىء ذى بدء من بطن مياه البحار والمحيطات " وقوله عن الماء هو الذى نشأت فى جوفه الكائنات أول ما نشأت .

كيف نسي أن الانسان وهو من الكائنات أنه شىء خلق من طين فى السماء وأمر الله الملائكة بالسجود له ثم أدخله الله الجنة ثم أنزله الى الأرض فأين هذا والزعم بأن نشأت المخلوقات كلها فى جوف الماء .

دع عنك مناقشته فى دعواه فى هذا التطور للمخلوقات كلها وترتيب ظهورها . الخ مما لا يقوم عليه دليل ولا يسنده برهان الا ما لا يعتد به ولا يؤخذ به فى تفسير كتاب الله .

وأحسب أن ما زعمه تفسيرا للآيه ما هو بتفسير بل هو مردود على قائله وليستغفر الله منه .

ثانيا : قوله تعالى : ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله " (١)

قال الشوكانى رحمه الله تعالى فى تفسيره " وقوله " قل هو أذى " أى قل هو شىء يتأذى به : أى برائحته ، والأذى كناية عن القذر ويطلق على القول المكروه ، ومنه قوله تعالى - لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى - (٢) ومنه قوله تعالى - ودع أذاهم - (٣)

(١) سورة البقرة الآيه ٢٢٢

(٢) سورة البقرة : من الآيه ٢٦٤

(٣) سورة الاحزاب : من الآيه ٤٨

(٤) فتح القدير : الشوكانى ج ١ ص ٢٢٥

وقال الامام الطبرى رحمه الله تعالى " القول فى تأويل قوله تعالى (قل هو أذى) يعنى تعالى ذكره بذلك قل لمن سألك من أصحابك يا محمد عن المحيض هو أذى والأذى هو ما يؤذى به من مكروه فيه وهو فى هذا الموضع يسمى أذى لنتن ريحه وقذره ونجاسته وهو جامع لمعان شتى من خلال الأذى غير واحده " (١)

أما أصحاب التفسير العلمى الحديث فبينوا أضرار الجماع وقت الحيض الطبيه فقال الأستاذ أحمد محمود سليمان فى تفسيرها :-
انه والله لتشريع حكيم يدعو اليه الطب الحديث والذوق السليم والخلق القويم : فالمحيض الذى يشمل العادة الشهرية والأنزفه الرحمية والدم الناتج عن الولادة والاجهاض فوق أنه كريه الرائحة منفر ، فأنه يحمل أذى كبيرا وشرا مستظيرا للزوجين على السواء .

انه يعرض الرجل لالتهاب مجرى البول اذا ماتسرب بعض دم الحيض الفاسد اليه حاملا معه جراثيم الأمراض ، ولا يقتصر اذاه للرجل على ذلك فلو فرض ووجد عند المرأة مثلا عدوى وراثية بالزهري فانها لاتظهر فى الأحوال العادية لان العدوى تكون كامنة ، أما دم الحيض فرىما وجد به بعض الجراثيم مما قد يتسبب عنه عدوى الرجل .

هذا هو ضرره للرجال : التهاب فى مجرى البول وتعرض لممرض الزهري من مرض قد يكون كامنا .

أما ضرره للنساء فأشد وأنكى ، فمقاومة المرأة للأمراض ومناعتها وقت الحيض تنقص الى حدها الأدنى ، فتكون أكثر تعرضا للعدوى اذا ما دخلت جراثيم الأمراض المهبل أو عنق الرحم ، وهو أمر كثير الحدوث وقت الجماع

(١) جامع البيان : الامام الطبرى ج ٢ ص ٢٢٥

أما فى غير أوقات الحيض فان هذه الجرائم يتغلب عليها الجسم بشدة مقاومة ، وبما أن الرحم يكون مدة الحيض محتقنا ، فاذا أضيف اليه ما تحدثه المباشرة من الاحتقان الشديد ، فقد يحدثان نزفا ولا سيما اذا كان به أورام أو التهابات .

أما بعد الولادة فان الرحم لا يكون فى حجمه الطبيعى ، ويستمر كذلك ستة أسابيع تقريبا ، وهى المدة التى قد يستمر فيها النزيف من الرحم عقب الولادة ، والتى تتطهر بعدها معظم النساء .

وقد تؤدى المباشرة فى أثناء الحيض الى التهاب فى الرحم يحدث عند السيدات حالات عصبية يستعصى علاجها ، ولذلك منعت المباشرة حتى تطهر المرأة فيعود اليها بهاؤها وجاذبيتها ، وتنتظم نفسيتها وتزول العوامل التى تضر بصحتها ، وحينئذ لا يوجد مانع من الجماع واتيان الرجل للمرأة من حيث أمرهما الله اتيانا طبيعيا ، اذ أن المباشرة من غير الموضع الطبيعى فيها ضرر كبير ، وهى تعتبر اثما يستوجب التوبة اذ أن هذه المباشرة قد يتسبب منها التهاب فى مجرى البول للرجل وفى البروستاتا ، غير ما يحدث عندها من جروح ، فوق أنها تفقد الرجولة وتورث التخنت وتهتد من قوى الرجل .

وقد حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحذيرا شديدا المباشرة فى أثناء الحيض ومن غير الطريق الطبيعى بقوله :

" ملعون من أتى امرأة وهى حائض ^(١) ، ملعون من أتى امرأة فى دبرها ^(٢) ، ملعون من عمل قوم لوط " ^(٣) ^(٤)

(١) لم أجده بهذا اللفظ .
(٢) رواه أحمد فى مسنده ج ٢ ص ٤٤٤ وأبو داود فى سننه كتاب النكاح ج ٢٤٩
(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط ورواه الحاكم (جامع الأصول ج ٣ ص ٥٥٠) وأحمد فى مسنده عن ابن عباس .
(٤) القرآن والطب : أحمد محمود سليمان ص ١١٥ - ١١٦

أما الدكتور عبد العزيز اسماعيل فقسم افرازات الجسم الى نوعين : نوع له فائدة في الجسم مثل الهضم أو التناسل أو افرازات داخلية تنظم أجهزة الجسم وأنسجته الخ . . وهو ضروري للحياة وليس فيه ضرر .

ونوع ليس له فائدة ، بل هو بالعكس يجب افرازه من الجسم الى الخارج ، وهو مكون من مواد سامة اذا بقيت في الجسم أضرت به ، وذلك مثل البول والبراز والعرق والحيض .

وقال أيضا فهذه الآيه الكريمة علمت الانسان قبل أن يعرف شيئا عن أنواع الافرازات أن المحيض أذى وأنه لا يفيد الجسم .

وأما الجزء الثاني من الآيه الكريمة " فاعتزلوا النساء في المحيض " فسببه أن الاعضاء التناسلية تكون في حالة احتقان ، والأعصاب تكون في حالة اضطراب ، بسبب افرازات الغدد الداخلية فالاختلاط الجنسي يضرها وربما منع نزول الحيض كما يحصل كثيرا من الاضطراب العصبي وقد يكون سببا في التهاب الأعضاء التناسلية .

وهذا هو السبب في أن الطبيب الاخصائي لا يكشف على مرضاه من النساء وقت المحيض" (١)

أما الدكتور الحاج محمد وصفي فقد أطلال في بيان أضرار وطء الحائض عند ما تناول الآيه المذكورة فتحدث أولا عن بلاغة القرآن الكريم في اختيار التعبير بكلمة أذى التي لم يجد رغم محاولته كلمة تقوم مقامها أو تحمّل حملها ثم تحدث عن حكم المحيض عند اليهود ثم عند النصارى ثم في الاسلام ثم عن توجيه النهي للرجال ثم عن دورة الحيض وآلامه ثم عن عرضه الحائض للأمراض ثم عن الوسط المهبلي وتغييره بالحيض ثم عن

(١) الاسلام والطب الحديث : الدكتور عبد العزيز اسماعيل ص ٣٩ - ٤٠

أذى وطء المرأة أثناء الحيض وأنه سبب لالتهاب المهبل وما ينشأ عنه من مرض يكفى أنه يسبب العقم ، وذكر من أضراره حمل البكتريا الى داخل المهبل وما تسببه من أمراض ، وذكر من أضراره أنه من أهم الأسباب المهيئة لتعفن الرحم الذى يسبب العقم والآلام الشديدة للمرأة . وتحدث عن منابع العدوى ثم تحدث عن الأضرار التى تصيب الرجل ، ثم ذكر حكمتين للمنع أولهما تقوية الارادة وثانيهما أن الحيض لا انبات فيه (١)

أما الدكتور السيد الجميلى فزاد على ما ذكر من أضرار الجماع وقت الحيض أن مرض الجذام ينتقل وينجم عن المباشعه فى المحيض . (٢)

هذه اشارات لما قاله أصحاب التفسير العلمى التجريبي فى تفسير هذه الآيه ، واذا ما نظرنا نظرة مقارنه بينه وبين ما أورده اولاً من تفسير للطبرى وللشوكانى وبين نص الآيه أيضا .

لرأينا أن الآيه تنص نصا على أنه أذى ، لكنها لم تذكر ما هو هذا الأذى ونحن المسلمون يكفيننا اعتقادنا أن فى جماع الحائض أذى وأنه محرم ، واذا ما أردنا زيادة تعليل ليس لأجل تعليق الحكم عليها وانما للعلم والمعرفة ليس الا فلا بأس أن تقرأ للطبرى والشوكانى أن الأذى راعته الكريهه ، ولا بأس أن يذكر الأطباء أن الأذى هو أضراره الطبيه . وعلى هذا فلم يخترع أصحاب التفسير العلمى هنا طريقا بدعا وانما ألتقوا مع السلف فى التعليل وانما لم يتفقوا على عله .

(١) القرآن والطب : الدكتور الحاج محمد وصفى انظر الصفحات ٦٦ - ٨٢

(٢) الاعجاز الطبي فى القرآن : الدكتور السيد الجميلى ص ١٤٠

ثالثا : قوله تعالى : ألا انهم يثنون صد ورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور^(١)

قال الشوكاني رحمه الله تعالى في تفسيرها " يقال ثنى صدره عن الشيء : اذا ازورّ عنه وانحرف منه ، فيكون في الكلام كناية عن الاعراض لأن من أعرض عن الشيء ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه . وقيل معناه : يعطفون صد ورهم على ما فيها من الكفر والاعراض عن الحق ، فيكون في الكلام كناية عن الاخفاء لما يعتقدونه من الكفر كما كان دأب المنافقين والوجه الثاني أولى " الى أن قال " وجملة " يعلم ما يسرون وما يعلنون " مستأنفه لبيان أنه لا فائده لهم في الاستخفاء لأن الله سبحانه يعلم ما يسرونه في أنفسهم أو في ذات بينهم وما يظهره ، فالظاهر والباطن عنده سواء ، والسر والجهر سيان ، وجملة " انه عليم بذات الصدور " تعليل لما قبلها وتقرير له ، وذات الصدور هي الضمائر التي تشتمل عليها الصدور ، وقيل هي القلوب والمعنى : انه عليم بجميع الضمائر ، أو عليم بالقلوب وأحوالها في الأسرار والاطهار فلا يخفي عليه شيء من ذلك " ^(٢) .

وقد فسر الدكتور عبد العزيز اسماعيل هذه الآية تفسيراً علمياً حديثاً فقال " هذه الآية سهلة الفهم بعد ما تقدمت علوم النفس والتنويم المغناطيسي وغيرها ، وظهر جلياً أن كل فكرة يقابلها تغيير كيمائى في الخلايا المخية ، وكما أنه لا حركة في الأرجل دون أن يحصل انقباض العضلات ، كذلك لا يمكن أن يفكر الانسان دون أن تحصل تغييرات في خلايا المخ ، وليس هذا هو الذى يحصل فقط بل ان هذه التغييرات تبقى مسجلة في المخ الباطنى ، ومن الممكن ان يتذكرها الشخص بعد مدة طويلة تحت تأثيرات

(١) سورة هود : الآية ٥

(٢) فتح القدير : الامام الشوكاني ج ٢ ص ٤٨١ - ٤٨٢

مخصوصة كالا نفعالات العصبية أو التنويم المغناطيسي وغيرها نسيها
الشخص تمام النسيان .

وقد اكتشفت أخيرا أجهزه كهربائية يمكن بها معرفة حالة بعض
الخلايا المخيه اذا كانت فى حالة هدوء أو حالة انشغال ، وقد ترتقى
العلوم أكثر من ذلك ، هذا حال الانسان مع جهله .

والله سبحانه وتعالى يعلم ما يجول فى مخ الانسان وكل ما جال
فى مخه وهو أعلم بها من الانسان نفسه لأنه عرضه للنسيان " (١)

وقد استغربت وصف الدكتور عبد العزيز لهذه الآيه بأنها سهله
الفهم بعد ما تقدمت علوم النفس والتنويم المغناطيسى ؟ ! ذلكم أن الآيه
لم تكن صعبه الفهم قبل ذلك للذين يؤمنون بالغيب .

ثم انى لا أقبل أن يعلل علم الله سبحانه وتعالى بما فى صدر
الانسان بالتغييرات التى تحدث فى خلايا المخ عند التفكير . فالله
سبحانه وتعالى يعلم ذلك حتى ولو لم يحدث - ان كان يحدث - هذا
التغيير فى الخلايا ، بل الله سبحانه يعلم ما فى الصدور وما سيكون فى
الصدور أى قبل أن يفكر الانسان بالتفكير بالشئ ، فعلمه سبحانه علم
قبل ومع وبعد التفكير الانسانى وهو علم مستقل بذاته عن التغييرات فى
خلايا المخ فلا تزيد تلك علما ولا ينقصه عد منها علما .

ولذلك فان قول الدكتور اسماعيل آخرا والله سبحانه وتعالى يعلم
كل ما يجول . . . وكل ما جال . . . الخ بحاجه الى أن يزداد فيه " وكل
ما سيجول " لأن الأمرين السابقين مرتبطان حسب قوله بالتغييرات وعلم
الله كما قلنا لا تؤثر فيه هذه التغييرات فتقيده بمدلولاتها فكان علمه
سبحانه بكل شئ ، والله أعلم .

(١) الاسلام والطب الحديث : الدكتور عبد العزيز اسماعيل ص ٩٢ - ٩٣

رابعاً : قوله تعالى " كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم " (٢)

قال الشوكاني رحمه الله تعالى في تفسيرها " لترون الجحيم جواب قسم محذوف ، وفيه زيادة وعيد وتهديد : أي والله لترون الجحيم في الآخرة . قال الرازي : وليس هذا جواب لو ، لأن جواب لو يكون منفيًا ، وهذا مثبت ، ولأنه عطف عليه (ثم لتسألن) وهو مستقبل لا بد من وقوعه قال : وحذف جواب لو كثير والخطاب للكفار وقيل عام كقولـه - وان منكم الا واردها - . . . " الى أن قال " ثم كرر الوعيد والتهديد للتأكيد فقال " ثم لترونها عين اليقين " أي ثم لترون الجحيم الرؤية التي هي نفس اليقين وهي المشاهدة والمعانيه وقيل المعنى : لترون الجحيم بأبصاركم على البعد منكم ، ثم لترونها مشاهدة على القرب . وقيل المراد بالأول رؤيتها قبل دخولها والثاني رؤيتها حال دخولها ، وقيل هو اخبار عن دوام بقائهم في النار : أي هي رؤية دائمة متصله . وقيل المعنى لو تعلمون اليوم علم اليقين وأنتم في الدنيا لترون الجحيم بعيون قلوبكم ، وهو أن تتصوروا أمر القيامة وأهوالها " (٢)

قلت وها أنت ترى من الأقوال التي ساقها الشوكاني رحمه الله تعالى أن أحدا منهم لم يقل أن الرؤية للنار في الدنيا بالابصار وان قال أحد هم أنها في الدنيا بعيون القلوب ، ولم يقل بالعيون الباصرة . أما الاستاذ محمود القاسم ففسر الرؤية هنا بتفسير عجيب ذكر فيه أننا نعلم علم اليقين اذن فبإمكاننا رؤية الجحيم وان الرؤية في الدنيا رؤية بصرية ، وقد رد التفاسير التي فسرت الرؤية بالآخرة .

(١) سورة التكاثر : الآيتان ٥ - ٦

(٢) فتح القدير : الامام الشوكاني ج ٥ ص ٤٨٩

فقسم أولا الكتلة الكونية الى قسمين

- ١ - نجوم ملتهبه لها كل صفات جهنم الواردة في القرآن والحديث ،
- ٢ - وكواكب باردة يشملها قوله تعالى (وقودها الناس والحجارة) لأن الكواكب الباردة هي حجاره مختلفة الانواع مثل الأرض . وقال " اذن فالكتله الكونيه هي جهنم " .

ثم ذكر أنه يصح أن يوصف من رأى بعض الشئ بأنه رآه من باب اطلاق اسم الكل على الجزء فتقول لرفيقتك لقد رأيت البحر وأنت لم تر منه الا جزءا صغيرا .

ثم تسأل عن الجزء الذى نراه فى قوله تعالى " كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم " وكان جوابه لنفسه " يكفى لتحقق الآيه . . أن نرى واحدا من النجوم المتهبه التى هى من نوع جهنم ولها جميع صفاتها كالشمس مثلا ، مع العلم أن بالامكان رؤية نجوم أخرى مثلها أو أكبر وأشد حرا .

ثم تسأل مره أخرى هل الشمس من نوع جهنم ؟ وهل لها جميع صفاتها ؟ ثم أجاب بد راسة للشمس من حيث المظهر مع صور للشمس وسطحها ، ومن حيث طبيعتها ، ثم قرر النتيجة .

" للشمس من حيث مظهرها وطبيعتها جميع صفات جهنم الواردة فى القرآن والحديث " (١)

ثم قال " وبالتالى الكون (الدنيا) بكليته هو جهنم وهى موزعه حاليا على نجوم مضطربه وكواكب خنس وغبار وغازات والشمس جزء منها تمثلها ، وما علينا لنرى طبيعتها الجهنمية الا أن نضع عيننا على عدسة نظاره فلكيه خاصة نوجهها نحو الشمس " (١)

(١) براهين : محمود القاسم ص ١٥٧ وانظر الصفحات ١٣٢ - ١٥٦

ويعد فلن أطيل في الرد على هذا التفسير الا بما يستلزمه المقام فأقول أن جهنم من الأمور الغيبية التي لا يحق لنا أن نزيد في بيانها غير ما ورد به الشرع ولم يرد في الشرع بيان لمكان جهنم الآن وامكان رؤيتها لنا في الدنيا ، وقد التزم علماء السلف رحمهم الله تعالى هذا الامر فلم يشر أحد هم الى شيء من ذلك وهم الاعلم باللغة ومدلولاتها والاعلم بالشرع ومفاهيمه ، ومع هذا فلم ينسب لاحد هم أنه أشار الى الشمس أو غيرها زاعما أنها جهنم .

أما انطباق أوصاف جهنم على بعض الموجودات الكونية فلا يعنى هذا أن تلك الكتلة هي جهنم ولو صح هذا الزعم وصح هذا المقياس لجاءنا من يزعم أن الارض التي نعيش عليها هي الجنة في الآخرة ويشير الى مناطق لا تخلو منها الارض فيها الهواء العليل والظل الظليل والفواكه والثمار، ولن يعدم من النصوص ما يستدل بها كاستدلال ذاك فيقول مثلا : روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة " (١) وسيجد في الصحيحين ما بين بيتي ومنبري روضه من رياض الجنة " (٢)

لكن هذا وذاك لا يكفيان ولا يدلون على أن الارض هي الجنة مع النص المباشر على هذه الاجزاء من الارض ، بخلاف الشمس فلم يكن هناك أي نص مباشر للشمس يجعل بعض أجزاءها من النار فاذا كان الامر كذلك في الارض فأنى لرجل أن يزعم أن الشمس جزء من جهنم .

(١) رواه مسلم في صحيحه كتاب الجنة باب ما في الدنيا من انهار الجنة ج ٤ ص ٢١٨٣
(٢) رواه البخاري في كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة باب فضل ما بين القبر والمنبر ج ٢ ص ٥٥٧ ورواه مسلم في كتاب الحج باب ٩٢ ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة ج ٢ ص ١٠١٠ وزاد في احدى رواياته " ومنبري على حوضي " .

لا شك أن هذا التفسير لو لم يربط بينه وبين النصوص القرآنية لكان من الحديث في الأمور الغيبية بلا برهان فكيف والامر تجاوز هذا الى تفسير النصوص القرآنية به . أحسب هذا أمرا لا ينبغي من مسلم يلتزم بأحكام دينه حتى ولو كان ذا قصد سام في الدعوة الى الله ، فليس هذا بالطريق الحق والله الهادي .

خامسا : قوله تعالى " أحيى الانسان ألن نجمع عظامه ، بلى قادرين على أن نسوي بنانه " (١)

قال الشوكاني رحمه الله تعالى " على أن نسوي بنانه " " على أن نجمع بعضها الى بعض فنردّها كما كانت مع لطافتها وصغرها فكيف بكبار الاعضاء فنبه سبحانه بالبنان وهى الأصابع على بقية الاعضاء ، وأن الاقتدار على بعثها وارجاعها كما كانت أولى فى القدره من ارجاع الاصابع الصغيرة اللطيفة المشتملة على المفاصل والاظافر والعروق اللطاف والعظام الدقاق فهذا وجه تخصيصها بالذكر " (٢)

أما الاستاذ محمد اسماعيل ابراهيم فقال فى تفسيرها " تدل عبارة تسوية البنان على معنى لم يكشف العلم سره الا بعد نزول الآيه بأكثر من ألف سنة حينما عرف أن لكل بنان بصمه خاصة به تختلف فيها اتجاهات خطوطها اختلافا واضحا بين فرد وآخر ، وبين جميع البشر وقد استخدم الانسان هذه الاختلافات فى تحقيق الشخصية عن طريق البصمات وقد أفادت هذه الحقيقة فى التعرف على الاشخاص عن طريق بصماتهم فى حالة وقوع جرائم يترك الجناة فيها بصماتهم على أى شىء تناولوه " (٣)

(١) سورة القيامة : ٣ - ٤

(٢) فتح القدير : الامام الشوكاني ج ٥ ص ٣٣٦

(٣) القرآن واعجازه العلمى : محمد اسماعيل ابراهيم ص ١١١

قلت والذي يجمع بين تفسيرى السلف والعلم الحديث أن كلا منهما يؤكد أن تخصيص البنان بالذكر يدل على أن من أعاد خلقها فهو أقدر على إعادة خلق غيرها من بقية الاعضاء وان اختلف التعليل عند هؤلاء وهؤلاء فالشوكانى حسب العلة صغرها ولطافتها ودقة عظامها ومحمد اسماعيل عليها بأن لكل بنان بصره خاصة به من بين جميع البشر ، وفى الامر سعة لتعليل الكل . والله أعلم

سادسا : قوله تعالى :

" فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون " (١)

قال الطبرى رحمه الله تعالى فى قوله تعالى " كأنما يصعد فى السماء " وهذا مثل من الله تعالى ذكره ، ضربه لقلب هذا الكافر فى شدة تضيقه اياه عن وصوله اليه (أى الى الاسلام) مثل امتناعه من الصعود الى السماء وعجزه عنه ، لان ذلك ليس فى وسعه " (٢)

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى " وقال بن المبارك : عن ابن جريج ضيقا حرجا بلا اله الا الله ، حتى لاتستطيع أن تدخل قلبه كأنما يصعد فى السماء من شدة ذلك عليه ، وقال سعيد بن جبير يجعل صدره ضيقا حرجا قال : لا يجد فيه مسلكا الا صعد وقال السدى : (كأنما يصعد فى السماء) من ضيق صدره وقال عطاء الخراساني (كأنما يصعد فى السماء) يقول : مثله كمثل الذى لا يستطيع أن يصعد الى السماء

(١) سورة الانعام : الآيه ١٢٥

(٢) جامع البيان : الامام الطبرى ج ١٢ ص ١٠٩

وقال الحكم بن أبان عن عكرمه عن ابن عباس (كأنما يصعد في السماء)
يقول : فكما لا يستطيع ابن آدم أن يبلغ السماء فكذلك لا يستطيع أن يدخل
التوحيد والايمان قلبه حتى يدخله الله في قلبه " (١)

ذلكم تفسير السلف أما التفسير العلمي فقد مه الاستاذ محمد عفيفى
الشيخ فقال فى ذلك " الله سبحانه وتعالى يقرر أن الأرتفاع الى عنان
السماء يصحبه ضيق الصدر والشعور بالاختناق ، وقد اكتشف العلماء أخيرا
أن ذلك بسبب نقص الضغط الجوى وكميات الأوكسجين التى تستقبلها الرئتان ،
وهذه الحقيقة لم تتوصل اليها البشرية علميا الا بعد أن صعد الانسان فعلا
الى طبقات الجو العليا " (٢)

سابعا : قوله تعالى :-

" مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان " (٣)

قال ابن كثير رحمه الله تعالى " أى وجعل بينهما برزخا وهو الحاجز من
الأرض لئلا يبغي هذا على هذا وهذا على هذا فيفسد كل واحد منهما
الآخر ، ويزيله عن صفته التى هي مقصوده منه " (٤)

أما التفسير العلمى فيستدل الاستاذ يعقوب يوسف بما " نشرت بعثة
السيرجون امرى مع بعثة الجامعة المصرية وخفر السواحل لدراس أعماق البحر
الاحمر والمحيط الهندى فى جنوب عدن ، بعض الملاحظات التى تستدعى
النظر وما جاء (فى مجلة الفتح ٣٥٤) أن البعثة وجدت المياه فى خليج
العقبة تختلف فى خواصها وتركيبها الطبيعية والكيميائية عن المياه فى البحر الاحمر

(١) تفسير ابن كثير : ج ٢ ص ١٨٩

(٢) القرآن الكريم وعلوم الغلاف الجوى : محمد عفيفى الشيخ ص ٨٧

(٣) سورة الرحمن : الآيتين ١٩ - ٢٠

(٤) تفسير ابن كثير : ج ٤ ص ٢٩٠

وحققت البعثة (بواسطة قياس الاعماق) وجود حاجز مغمور عند مجمع البحرين يبلغ ارتفاعه أكثر من ألف متر وتبعد قمته نحو ثلاثمائة متر عن سطح البحر "

وذكر أيضا أن هذه النتيجة تماثل ما وصلت اليه السفينة " مباحث " أن مياه المحيط الهندي تختلف في خواصها عن مياه البحر الاحمر ويعلل ذلك بوجود الحاجز المغمور عند ملتقى كل بحرين ثم قال " هذه الحقيقة الرائعة التي تثبتها الأرقام الموجودة في خزائن كلية العلوم بالجامعة المصرية وفي خزائن جامعة كمبردج التي وصلت اليها (البعثة المذكورة) بعد أن زودت بأحدث الآلات العلمية وتدرعت بجنود من العلم - أنزلها الله في قرآنه منذ ١٣ قرنا" (١)

والذى يظهر لى أن ما ذكره الاستاذ يعقوب - أن صح - لا يسمى حاجزا مادام اتصال خليج العقبة بالبحر الاحمر من جهة والبحر الاحمر بالمحيط الهندي من جهة أخرى . ظاهرا للعيان وتعبره البواخر الضخمة فالذى تلج منه تلك فالماء أكثر ولوجا منها فأين الحاجز هنا ؟ !

(١) لفتات علمية من القرآن : يعقوب يوسف ص ٥٧

وقد استمعت لمحاضرة للشيخ عبدالمجيد الزنداني تناول فيها بيان هذا الحاجز وتحدث عنه بتفسير أوضح من تفسير الاستاذ يعقوب لــــه حيث قال في محاضراته : - " يقول الله تعالى " مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان ، فبأى آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان " (١) هذان البحرين اللذان التقياهما بحران مالحان بدليل قول الله تعالى " يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان " فالحديث فى الآيه اذن عن بحر مالح ومالح وليس عن بحر مالح وعذب بنص الآيه ، وما معنى هذا ؟ نعم وجدوا ان بين البحر الاحمر مثلا والمحيط الهندي حاجزا فى باب المنذب يحجز بين مياه البحر الاحمر ، ومياه المحيط الهندي ولو لا هذا الحاجز لطغت صفات مياه المحيط على مياه البحر لان البحر شىء يسير بجانب المحيط ، . . . لكن هناك صفات وخصائص خاصة بمياه البحر الاحمر وصفات وخصائص خاصة بمياه المحيط الهندي . هذا الحاجز بينهما لكى لا يطغى هذا على هذا ثم هذا الحاجز ليس ثابتا لكنه فى حالة ذهاب واياب واضطراب . ومرج فى لغة العرب معناها الذهاب والاياب والاضطراب والحاجز هذا بين البحرين ليس ثابتا لكنه فى حاله يمرج فيها فهو مرج يمرج ولذلك قال تعالى " مرج البحرين يلتقيان .. " وقد أمكن تصوير هذا الحاجز ، وكنت اذا قرأت هذه الآيه يأتى فى ذهنى الآيه الاخرى وهي قول الله سبحانه وتعالى " وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا " (٢)

(١) سورة الرحمن : ١٩ - ٢٢

(٢) سورة الفرقان : ٥٣

كثير من المفسرين يقولون هذه الايه مثل هذه الآيه . لكن استوقفتني الآيه عندما أردت أن أتأمل وأتعمق ، استوقفتني في الآيه " وهو الذى من البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج " هناك لم يذكر هذا عذب وهذا ملح ، قال البحرين " ثم قال " يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان " فدل على أنهما بخصائص متقاربه وأنهما مالحان ، ثم لما ذكر العذب والالح قال " وهو الذى من البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج "

قال : - " وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا " زياده " حجرا محجورا " على الآيه التى هناك ، هناك تقول " بينهما برزخ لايبغيان " لكن هنا تقول " وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا " . . القرآن لايقول لغوا كلام الله الحكيم : الحرف فيه له معنى . . . فما هذا المعنى ما هو هذا الشئ ؟ .

ذهبت أسأل اساتذة علوم البحار فى كلية علوم البحار فى جامعة الملك عبدالعزيز : - يا أخوه الله يقول بين الانهار والبحار برزخ وحجر؟ قالوا أما البرزخ موجود . فهناك برزخ يحجز بين ماء النهر وماء البحر هذه مسألة واضحة وصورها عندنا وسترون الصورة بأعينكم . البرزخ موجود قلنا : طيب ، وحجر ما هو الحجر ؟ الحجر فى لغة العرب هو الشئ الذى يمنع به أشياء ولذلك هذه أرض محجوره أى يسمح فيها لبعض الحيوانات أو لبعض الناس وتحجر عن غيرهم قالوا : هو هذا الموجود بين البحر والنهر هناك شئ اسمه المصب مياه المصب هذه المياه ندرسها دراسة مستقلة لان لها خصائص مستقلة لانها ليست من ماء البحر وليست من ماء النهر . . لها خصائص مشتركه بين ماء البحر وبين ماء النهر لاهى عذبه ولا هى مالحه وانما وسط . قالوا : - أبرز صفات مياه المصب أنها أغنى

المناطق فى العالم بالاسماك لكن أسماك مخصوصه بالمصب وماء المصب ومنطقة المصب أرض محجورة على مجموع اسماك البحر ومجموع اسماك النهر فممنوع الدخول من أسماك النهر ومن أسماك البحر . . محجوره على بعض الانواع فقط لا يعيش فيها الا أنواع مخصوصة فقط أما باقى الكائنات الحية فهى ممنوعه محجوره . . اذن فهذا معنى " وجعلنا بينهما برزخا وحجرا محجورا " (١)

وفى نهاية المحاضرة عرض الشيخ عبد المجيد صورا للبرزخ والحجر أخذت عن طريق سفن الفضاء وقال " هذا الازرق الخفيف هو الحجر هو المصب ، فهذا الحاجز هو الحاجز بين النهر والبحر . " وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا " البرزخ هذا الحاجز الذى يفصل بين المائين والحجر هو المصب " .

هذا ما قاله الشيخ عبد المجيد فى هذا الحاجز " البرزخ " ولا يرد عليه ما أوردناه على ما ذكره الاستاذ - يعقوب - الذى وصف الحاجز بأنه حاجز مغمور يبلغ ارتفاعه أكثر من الف متر وتبعد قمته نحو ثلاثمائة متر عن سطح البحر " حيث وصفه الشيخ عبد المجيد بأنه ليس ثابتا بل هو مارج مضطرب يذهب ويؤب يدخل ماء المحيط فى البحر من غير أن يختلط ثم يعود الى الورا وفى طريق عودته يدخل معه ماء البحر ومن غير أن يختلط أيضا ثم يعود الى الورا وهكذا من غير أن يحدث اختلاط بين المائين بقى أن أقول وفوق كل ذى علم عليم .

ثامنا : قوله تعالى :-

" مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون " (٢)

(١) محاضرة للشيخ عبد المجيد الزداني فى موسم حج ١٤٠٤ يعنون " آيات الله تعالى فى النفس والآفاق .
(٢) سورة العنكبوت : الايه ٤١

قال بن كثير رحمه الله تعالى " هذا مثل ضربة الله تعالى للمشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله يرجون نصرهم ورزقهم ويتمسكون بهم في الشدائد فهم في ذلك كببت العنكبوت في ضعفه ووهنه فليس في أيدي هؤلاء من آلهتهم الا كمن يتمسك بببت العنكبوت فانه لا يجدى عنه شيئاً " (١)

وأما التفسير العلمى فساقه الاستاذ يوسف مروه حيث يقول " كشف بعض علماء الحشرات الالمان عن أن بعض العناكب تنسج خيوطا دقيقة جدا اذ أنها تنسج بيتها من خيوط ، كل خيط منها مؤلف من أربعة خيوط أدق منه . وكل واحد من هذه الخيوط الاربعة مؤلف من الف خيط ، وكل واحد من الالف يخرج من قناة خاصة في جسم العنكبوت ، وهذا يعنى أن كل خيط ينقسم الى $4 \times 1000 = 4000$ خيطا وذكر بعض العلماء الالمان الباحثين في هذا الميدان أنه اذا ضم أربعة بلايين خيط (٤٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠) الى بعضها لم تكن أغلظ من شعرة واحدة من شعر لحيته ، مع العلم أن متوسط قطر شعر اللحية لا يتجاوز ٠.١ ملليمتر وبذلك فان قطر مقطع الخيط الذى تنسجه العنكبوت يساوى ١ على ٤٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ من المليمتر وان الكيفيه التى خلق الله بها فى جسم العنكبوت الف ثقب يخرج منها الف خيط فى آن واحد حيث يخرج الخيط الدقيق فيتجمع كل الف خيط فى خيط أغلظ ، ومن الخيوط الجديدة يتجمع كل أربعة سوية لتشكيل خيط أكبر ، وهكذا تتجمع الخيوط لتنشأ مسكنا ومصيده للعنكبوت ، لتدعو العاقل والعالم والمؤمن الى التفكير فى عظمة الخالق " (٢)

(١) تفسير ابن كثير : ج ٣ ص ٤٣١

(٢) العلوم الطبيعية فى القرآن : يوسف مروه ص ٢٠٩ - ٢١٠

ولا شك أن ما ذكره الاستاذ يوسف من عجائب خلق الله سبحانه وتعالى لكن هذا يجب أن لا يصرفنا عن التفكير فى مدلول الآيه فالآيه دللت على وهن بيت العنكبوت وليس على خيط العنكبوت حتى نذكر من دقته ووهنه ، ووصف البيت بالوهن وهو مجموع الخيوط أبلغ من وصف الخيط الواحد بالوهن وعلى كل فهذا ليس بتفسير للآيه وانما شاهد لها أما وهن بيت العنكبوت فظاهر بين لا يحتاج الى استدلال ولا الى فكتشفات . والله أعلم .

تاسعا : قوله تعالى :-

" هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها " (١)

قال بن كثير رحمه الله تعالى " ينبه تعالى على أنه خلق جميع الناس من آدم عليه السلام وأنه خلق منه زوجته حواء ثم انتشر الناس منهما " (٢)

وقال الشوكانى رحمه الله تعالى " قال جمهور المفسرين : المراد بالنفس الواحدة آدم وقوله " وجعل منها زوجها " معطوف على (خلقكم " أى هو الذى خلقكم من نفس آدم وجعل من هذه النفس زوجها وهي حواء خلقها من ضلع من أضلاعه وقيل المعنى (جعل منها) من جنسها كما فى قوله تعالى " جعل لكم من أنفسكم أزواجا " (٣) والا اول أولى " (٤)

أما الاستاذ عبد الرزاق نوفل رحمه الله تعالى فقد فسر الآيه هنا تفسيراً علمياً خاطئاً وفى مؤلفاته كثير من ذلك ، ففسر النفس الواحدة وزوجها بالالكترونات والبروتونات فقال " اعتبر اكتشاف الالكترون أكبر نصر علمى

(١) سورة الاعراف : من الآيه ١٨٩
(٢) تفسير بن كثير : ج ٢ ص ٢٩٤
(٣) سورة النحل : من الآيه ٢٢
(٤) فتح القدير : الامام الشوكانى ج ٢ ص ٢٧٤

فآليه تنص على " نفس واحده " فهل البروتونات والالكترونات نفس ؟ !
والخطاب فى الآيه " خلقكم " وفى النساء " ياايها الناس " وفى الانعام
" أنشأكم " والآيه تخاطب الناس أى البشر وتتحدث عن خلقهم ونشأتهم
فكيف يقول " كل شىء فى الوجود " ويقول " ان كل ما خلق الله انما
خلقه من نفس واحده " فمن أين جاء بهذا العموم ؟ !

ويقية الآيه التى لم يوردها الاستاذ عبد الرزاق كاملة تقول " فلما
تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا
صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاها صالحا جعلنا له شركاء فيما آتاها
فتعالى الله عما يشركون " فهل هذا ينطبق على البروتونات والالكترونات
المزعومة سبحانه ربى .

فلننزه القرآن الكريم عن مثل هذه التفسيرات الباطله التى لا يحتاج
بطلانها الى ثبوت بطلان النظرية العلمية بل أن الآيه القرآنية نفسها
تحمل فى عباراتها ما لا يدل على هذه النظريات فضلا عن تفسيرها به .

عاشرا : قوله تعالى :-

الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها (١)

قال بن كثير رحمه الله تعالى فى تفسيرها " روى عن ابن عباس ومجاهد
والحسن وقتاده وغير واحد أنهم قالوا لها عمد ولكن لا ترى وقال ابياس
ابن معاوية السماء على الارض مثل القبه يعنى بلا عمد ، وكذا روى عن
قتاده وهذا هو اللائق بالسياق والظاهر من قوله تعالى : (ويمسك
السماء أن تقع على الارض الا باذنه) (٢) فعلى هذا يكون قوله : (ترونها)

(١) سورة الرعد : من الآيه ٢

(٢) سورة الحج : من الآيه ٦٥

تأكيدا لنفى ذلك أى هي مرفوعة بغير عمد كما ترونها ، وهذا هو الاكمل فى القدره " (١)

أما التفسير العلمى فقد مه الاستاذ محمود أحمد مهدى (شيعى معاصر) ذكر فيه أن الاعمده التى تمسك هذه العوالم الضخمه هى : قانون الجاذبيه فقال : " وعن هذا الامساك تحدث العلماء أخيرا وبعد لأى وجهد من أن الذى يمسك هذه العوالم الضخمه كلها ، ويتحكم فيها قبضا وبسطا بارادة الله طبعاً ، هو : قانون الجاذبية . أجل انها الجاذبية التى اهتدى اليها العلماء والعلم ، ولكن بعد أن أشار اليها القرآن وبرهن بجلاء (بغير عمد ترونها) وما كانت تلك العمدة أو الاعمدة الا الجاذبيه التى تجذب الثقيل الى الأثقل ، والكبير الى الاكبر " (٢)

الحادى مشر : قال تعالى " والذى أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى " (٣)
قال الشوكانى رحمه الله تعالى فى تفسيره " والذى أخرج المرعى : صفة أخرى للرب أى أنبت العشب وما ترعاه النعم من النبات الاخضر (فجعله غثاء أحوى) أى فجعله بعد أن كان أخضر غثاء : أى هشيماً جافاً كالغثاء الذى يكون فوق السيل (أحوى) أى أسود بعد اخضراراه وذلك أن الكلاً اذا بيس اسود قال قتاده : الغثاء الشىء اليابس ، ويقال للبقل والحشيش اذا انحطم وييس غثاء وهشيم . . وقال الكسائى هو حال من المرعى أى أخرجه أحوى من شدة الخضرة والرئى (فجعله غثاء) بعد ذلك ، والأحوى مأخوذ من الحوه وهى سواد يضرب الى الخضرة

(١) تفسير ابن كثير : ج ٢ ص ٥٣٨

(٢) البرهان من القرآن : محمود أحمد مهدى ص ٧٥ - ٧٦

(٣) سورة الاعلى : الآيتين ٤ - ٥

قال فى الصحاح : والحوه سمرة الشفه ، ومنه قول ذى الرمـه

لمياء فى شفتيها حوة لعس وفى اللثات وفى أنيابها شنب" (١)

ومن هذا التفسير للامام الشوكانى رحمه الله تعالى يظهر أن المراد بالأحوى أى الأسود بعد اخضراره لان الكلاً اذا يبس اسود . لكن أصحاب التفسير العلمى أو أحد هم قدم تفسيراً آخر لم يسبق اليه فيما أعلم فقال الاسيوطى الفلكى فى تفسير تلك الآيه " الغثاء هو اليبس ، والأحوى من الحوة وهى فى لسان العرب سواد الى الخضره أو حمرة الى السواد ، وقد كثر فى كلام العرب حتى سماوا كل أسود أحوى . . اذن فتفسير (فجعله غثاءً أحوى) هو جعله بعد خضرته يابسا أسود . وهل هناك نبات اذا جف صار يابسا أسود . . . ؟ لا توجد - فيما نعلم - نباتات هكذا . اذن فكيف أخرج الله تبارك وتعالى المرعى ثم جعله يابسا أسود . . ؟ كيفومتى . . ؟

ألا ينطبق هذا كل الانطباق على الفحم الحجري الذى تكون معظمه فى حقبة الحياة القديمة حينما ظهرت النباتات غير المزهرة والسرخسيات بكثرة عظيمة ثم تراكمت فوقها فى بعض الجهات رواسب أخرى فتحولت الى فحم حجري مع طول الزمن وارتفاع الضغط والحراره .

نعم هذا هو الغثاء الاحوى الذى تكلم عنه القرآن الكريم وعلله فأصاب وأوجز . قال وأصاب فى وقت كانت فيه مثل هذه الحقائق غريبه على عقول البشر . قال هذا فسبق العلم بقرون عده . أفليس هذا اعجازاً؟ بلـى والله انه نعم الاعجاز" (٢)

(١) فتح القدير : الامام الشوكانى ج ٥ ص ٤٢٣ - ٤٢٤

(٢) القرآن ونهاية العالم : الاسيوطى الفلكى ص ٣٩

قلت والذي قاله الاسيوطى الفلكى نظرية علمية لم يرتق الى درجة
الحقيقة العلمية الثابتة التى يجوز جوازا ان يشار اليها اشارة فى تفسير
القرآن ، فعلىنا أن نجرد تفسير القرآن الكريم من هذه النظريات العلمية
التى ما تزال تتأرجح يمنه ويسره خشية أن تميل معها بعض القلوب
إذا مالت فلنتق الله ربنا ولنحترم كتابه ونزله منزله .

وليست هذه النظرية بالوحيدى وليس هذا هو التفسير العلمى الخاطىء
عند المسمى (الاسيوطى الفلكى) ففيه كثير وكثير من التفسيرات الجريئة
بنظريات لا تزال مهزوزة غير ثابتة .

وبعد

هذه بعض الامثلة اقتبستها من بعض التفاسير العلمية حاولت فيما
ذكرت منها أن أنواع الامثلة العلمية من علم الطب والنفوس والفلك وخلق
الانسان ، والبحار ، والحشرات ، أصل المخلوقات ، والنباتات
وغير ذلك .

وكما عدت مواضعها فقد عدت مصادرها فضربت أمثلة من عدد من
التفاسير العلمية فى العصر الحديث حتى أعطى صورة قدما استطعت
عن التفسير العلمى فى العصر الحديث أبحاثه ومصادره ، وفيه المقبول
وفيه المردود .

أما الدراسة فيما هو أعمق من ذلك وأوسع فهو شأن دراسة
متخصصة فى التفسير العلمى . لادراسة شاملة لعرض اتجاهات
التفسير فى العصر الحديث .

وهذا ولا شك لا يعفينا من ضرب أمثلة للمؤلفات فى التفسير العلمى فى
العصر الحديث ودراستها دراسة مستقلة لنعطى صورة عن قرب لهؤلاء
المفسرون بعد أن قدمنا - فيما أظن - صورة لهم مجتمعين عن بعد . وهذا
أوان ذلك .

أمثله من المؤلفات فى التفسير العلمى التجريبي :-

وعدنا سابقا أن نقدم دراسة موجزة لسته من المؤلفات فى التفسير العلمى التجريبي . وحن موعد ذلك هنا .

أولا : تفسير :

الجواهر فى تفسير القرآن الكريم

أولا : المؤلف :-

هو الشيخ طنطاوى جوهرى

ولد سنة ١٣٨٧ ، بكفر عوض الله حجازى فى " الشرقيه " تلقى العلم فى الازهر ثم فى المدرسة الحكومية ثم دار العلوم وتخرج منها سنة ١٣١٠ وعين بعد تخرجه مدرسا فى دار العلوم ، وقد طلب للقضاء فلم يقبل ، وكان رئيسا لجمعية المواسة الاسلامية بالقاهرة وتولى رياسة تحرير " مجلة الاخوان المسلمين " مدة وانقطع للتأليف فصنف كتبا كثيرة نحو ٣٠ مؤلفا منها :-

- ١ - الجواهر فى تفسير القرآن الكريم ، وهو موضوع بحثنا هنا
- ٢ - الأرواح
- ٣ - أصل العالم
- ٤ - أين الانسان ؟
- ٥ - التاج المرصع بجواهر القرآن والعلوم .
- ٦ - جمال العالم " دراسات فى الحيوان والطير والهوام والحشرات " .
- ٧ - جواهر العلوم
- ٨ - جواهر التقوى .
- ٩ - النظر فى الكون بهجة الحكماء وعبادة الأذكيا .
- ١٠ - الزهره فى نظام العالم
- ١١ - السر العجيب فى حكمة تعدد أزواج النبى
- ١٢ - سوانح الجوهرى
- ١٣ - ميزان الجواهر فى عجائب هذا الكون الباهر .

١٤- نظام العالم والامم .

١٥- النظام والاسلام . ١٦- القرآن والعلوم العصرية .

(١) وتوفى رحمه الله تعالى فى القاهرة سنة ١٣٥٨

وبالنظره السريعه لهذه المؤلفات ندر ك ميل طنطاوى الى العلوم الحديثه واهتمامه اهتماما كبيرا حتى غلب على تفسيره .

ثانيا : الكتاب : الجواهر فى تفسير القرآن الكريم :

يقع هذا التفسير فى خمسة وعشرين جزءا أضاف اليها مؤلفها الجزء السادس والعشرين على أنه ملحق لتفصيل ما أجمل فيه من العلوم الكونية والاحكام الشرعية واختلاف المذاهب فيها . وجاء فى آخر هذا الجزء (ثم طبع الجزء الأول من (ملحق الجواهر : تفسير القرآن) مما يدل على أن المؤلف سيضيف الى هذا الملحق جزءا آخر ، والذي يهمنى هنا أنه أتم التفسير وعليه فانا نستطيع القول أنه أول تفسير علمى كامل للقرآن الكريم ولا يزال حتى الآن لم يؤلف أحد مؤلفا مثله فى شموله لآيات القرآن الكريم كما أنه من أوائل ان لم يكن أول تفسير كامل للقرآن الكريم فى مصر فى القرن الرابع عشر الهجرى .

ولهاتين المزييتين اتجهت اليه الأنظار اتجاها بينا فلم أر فيما أعلم تفسيراً حديثاً تناولته الأقلام بالدراسة والنقد حتى كاد أن لا تخلو منه دراسة فى علوم القرآن ، حديثه ، مثل هذا التفسير الا تفسير المنار

(١) اقتبست هذه الترجمة من تقويم دار العلوم للأستاذ محمد عبد الجواد العدد الماسى بمناسبة مرور ٧٥ عاما على مدرسة دار العلوم ١٨٧٢ - ١٩٤٧ ، ومن الاعلام للزركلسى ج ٣ ص ٢٣٠ - ٢٣١

سبب تأليفه :

وقبل أن تعرف سبب تأليف هذا الكتاب ينبغي أن تنظر الى أصل القضية وهو سبب اتجاه مؤلفه هذا الاتجاه العلمى . وهو سبب هام جدا لم أرفيما قرأت من أشار اليه مع أن المؤلف نفسه يذكره نصا فى تفسيره لهذا ولأنه القاعده التى أحسب أنه يقوم عليها أصحاب التفسير العلمى التجريبي المتطرفون منهم خاصة فانى رأيت أن أنقل هذا النص بطوله فلعل فيه بيانا لسبب اتجاه صاحبه وغيره . . قال :-

كنت فى أول أمرى مجاورا بالجامع الأزهر ثم قامت الحوادث العربيه ودخل الانجليز بلادنا فانقطعت ثلاث سنين عن العلم وكنت فى أثناء ذلك أزاول الاعمال الزراعيه بيدي مع من يزرعون وقد اعترانى مرض طويلا فى المعده لازمنى وقد كان والدى فى مرض أيضا وفوق ذلك كله كنت أفكر فى هذه الدنيا وأقول ياليت شعرى ألها خالق . وهل الانبياء كلموه انى لاأصدق الا اذا عرفت أنا بنفسى ولاأتكل على أحد . ان هذه الطرق الحديديه تجرى عليها القطرات وليست من صنع المسلمين . فياليت شعرى ماذا يقول الفرنجه الذين صنعوها . هل لهذا العالم الهه ؟ أنا لاأصدق الا اذا عرف عقلى . ان هذا العالم ليس فيه شىء من النظام . انه مبعثر . انه مختل معتل . اننى أرى هذه البقرات وهؤلاء الرجال والنساء وهذه الحيات من الذرة توضع فى الأرض وهذا الماء الجارى فيها وهذه المحارث التى تشق الأرض كل ذلك غير متناسب ولا منتظم فالمرأة واقفة والرجل كذلك والمحراث ممتد مستطيل من الأرض الى أعلى كأنه زاوية والثوران رؤوسهما الى مام والرجال والنساء رؤوسهم الى أعلى والماء يجرى على الارض لايرفع رأسه مثلهما . فهذه الدنيا مضطربة مرتبكه مختله لا أرى فيها نظاما ولا احكاما ، واذا فقد النظام والأحكام

فلا اله خالق ان هي الا احوال متغيرة وأمور مبعثرة ولدها الاتفـاق
وأظهرتها المصادفات . فلما أحسست بهذه الخواطر رجعت الى نفسى
وقلت ان العلماء فى الدين يقولون اننا ننظر للعالم العلوى والسفلى
فها أنا ذا نظرت فلم أجد الا خلا ولم أزد الا شكاً فلم يبق عندى أمل
الا فى أمر واحد وهو أن أوجه قلبى الى من صنعنى فان كان موجوداً
أجابنى وهذا هو الأمر الذى أجعله نصب عينى ، حينئذ شمعت عن ساعدى
الجد وأخذت لأصوم بعض الأيام وأصلى بعض الليالى فكنت أجد فى ذلك
لذة وسروراً وتوجهت اليه سائلاً بقلب محترق . ولكم قلت يا خالق هذه
الدنيا ، أنا لم أخلق نفسى بل وجدت أنى هكذا وانى أوجه قلبى الى
ذلك الموجود الذى خلقنى واذا كان خالقاً لى فهو عظيم وكبير ورحيم
وأن لى جسماً وروحاً فلتتوجه الروح اليه ولتسأله أن أقف على الحقيقة .
يا الله أنت خلقتنى فعلمنى . أو اه . ومن لى بأن أقف على هذا الوجود
وسره فأكتب ما أقف عليه لمن بعدنا حتى اذا وجد فى الدنيا من احترق
فؤاده لمعرفة هذه الدنيا رأى أمامه ما جربت من الاعمال وما قاسيت من
الاحوال فيهتدى ولا يجد هذا العناء . وصرت أطلب ذلك فى الحقول
وعلى شطوط الأنهار . ولكم دعوت فى الخلوات وناجيت فى الصلوات فى
المنزل وعلى شطوط الانهار . وتارة أحضر تفسير القرآن للجلالين وأقرأ
تفسير الالفاظ الذى كتب هناك فأقول يارب هذه الظواهر لم أقف على
سرها أما اللفظ ففهمته فأين عجائب الدنيا . وبينما أنا كذلك اذ وقع
فى يدي كتاب جاء فيه حديث " لقد أنزلت على الليلة آية ويل لمن قرأها
ولم يتدبرها ويل له ويل له . ثم قرأ صلى الله عليه وسلم " ان فى خلق
السماوات والأرض الخ " (١) (٢) فقلت هذا حسن أمن هذا الباب كان
دخول الأنبياء فصرت أقف على شواطئ الأنهار وفى الحقول وأنظر الى
السحاب وأفكر فيه وهذا ابتداء العجب .

الى أن قال (ثم أخذت أطالع تفسير القرآن كل يوم ربعا وكان الجزء يتم فى ثمانية أيام وكنت أحفظ التفسير عن ظهر قلب حفظا عقليا ظنا منى أن فهمه حرام كما كان يقال الا بتوقيف من الشيخ ثم أخذت أدرس ذلك أشهر قليلة وأنا أدعو الله فاستجاب الدعاء ووصلت الى الأزهر ثانيا وزال خطر الانقطاع منه وأتممت العلوم التى كانت فيه على وجه التقريب ثم دخلت الى مدرسة (دار العلوم) وكانت زاخرة بكل ما أريده وجدت فيها كل ما كنت أصبو اليه وأنا فى الحقول وكنت أتعجب أن يكون هذا فى بلادنا وأنا عنه محجوب فوجدت أن النفوس الانسانية قد بحثت وفكرت ، ولقد كنت أعتقد أن الدروس التى أقرؤها عبادات وأنها خير العبادات حتى فن الرسم فكنت أرسم فى الدرس وأنا معتقد أنه عبادة لأنه مشحذ للذهن مقول للعلم للنظام الذى كنت أبحث عنه فى الحقل فلا أجده . كل ذلك بعد ما درست القرآن فى الأزهر الشريف على جلة الشيوخ الكبار ثم صرت مدرسا فى المدارس المصرية الابتدائية والتجهيزية والعالية وكذا (الجامعة المصرية) أيضا فى قليل من الزمن . وفى أثناء ذلك كنت أختلس من الوقت ما أقدر عليه وأؤلف كتباً فبلغت الرسائل والكتب ما يقرب من أربعين ونشرت بين المسلمين وذلك لأفى بعهدى الذى عاهدت الله عليه ولم يكن فى شىء من ذلك منى تكلف بل كان الوجدان هو الذى يسوقنى وهناك تجلت فى النفس أحوال تدعو الى النشر بين المسلمين لا محل لذكرها الآن . وها أنا ذا أكتب فى هذا التفسير ما يفتح به على . أقول وانى الآن أحمد الله عز وجل اذ وصلت فى التفسير الى هذه السورة وما كان ذلك من الميسور ولا بعضه ولكن الله هو الذى أعاننى وهو الذى سهل ذلك لى وان أقصى ما أردته فى هذه الحياة أن أتم هذا التفسير وأن ينشر وعند ذلك أعتقد أنى أديت ما أعتقد أنه واجب على دينا ووجدانا ، وهنالك

هناك أشعر باتمام المطلوب وأن ولوعى بنشر هذه الآراء كولوعى بمعرفتها
فأنا اليوم كنفسى من قبل يوم أن كنت صغيرا هنالك الاهتمام بالتعلم ،
وهنا الاهتمام بالنشر وهما فى النفس سواء ، بل أنى أجد القلب شديد
الاهتمام بثانبيهما أكثر منه بأوليهما . وها هو ذا أمانة فى يدك أيها
الذكى وستقرأ فيما كتبه الكاتبون من الأمة الاسلامية فى الشرق والغرب
فاجعل نصب عينيك هداية المسلمين " ولينصرن الله من ينصره ان الله
لقوى عزيز " الى أن قال

" ان الدين الاسلامى دين حكمة وشريعة . دين يأمر بجميع العلوم .
وها أنا ذا أديت ما على من النصح وتركت الأمر لمن بعدنا وسنفارق
الدنيا وسيقوم بهذا رجال ذوو عقول كبيره ونفوذ وشوكة بين المسلمين
وسيقبلون نظام الدنيا ويمثلونها حكما وعدلا " ولتعلمن نبأه بعد حين" (١)

هذا ما قاله فى تعلييل اتجاهه وهو اعتراف صريح منه بأن مبعثه
كان الشك والتفكير فى هذه الدنيا ألها خالق ؟ وهل الأنبياء كلموه ؟
واعترف بأنه لم يصدق الا اذا عرف بنفسه ولا يتكل على أحد ! ! وتسأى ل
عن رأى الفرنجه هل يقولون بأن لهذا العالم اله ؟ ثم اعترف أخرى
بأنه لا يصدق الا عرف عقله ! ! واستمر شكه هذا الى أن دخل مدرسة
دار العلوم وكانت زاخرة بكل ما يريد ه ووجد فيها كل ما يصبوا اليه ، ثم
أبدى عجه أن يكون هذا فى بلاده وهو عنه محجوب ووجد فى الرسم
مقويا للعلم معلما للنظام (نظام الكون) الذى بحث عنه فى الحقل فلم
يجده ؟ ! . وقد صرح فى موضع آخر بأنه أردا من تأليفه أن لا يشك
الناس فى أمر هذا الوجود كما شك (٢) .

(١) الجواهر : طنطاوى جوهرى ج ١١ ص ٧١ - ٧٤ باختصار .

(٢) الجواهر : طنطاوى جوهرى ج ١٧ ص ١٨٢

اذن فسيب اتجاهه الاتجاه العلمى طلبه علاج الشك فى قلبه ،
فهل هذا الشك هو الدافع له وحده . . . ودفع غيره كما دفعه الذى
طلب المانع لهذا الشك ، وهل الاتجاه الى العلوم التجريبية علاج
للشك أم هو زياده فى الطمأنينة القلبية لمن لم يشك .
أحسب هذا وذاك وغيرهما أموراً توزعت بين أصحاب التفسير العلمى
التجريبى للقرآن الكريم ، فمنهم من شك ومنهم من يطلب الطمأنينة
التي طلبها ابراهيم عليه السلام " قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن
قلبي " (١) وهؤلاء انقسموا الى قسمين أولهما طلب الطمأنينة فى
التطبيق بين آيات القرآن والحقائق العلمية ، ومنهم من أثر طلبها
من غير ربط بين هذه وتلك ، وفيهم المخطئ وفيهم المصيب واللله
عليم بذات الصدور .

وعودة الى الشيخ طنطاوى جوهرى لمعرفة سبب تأليفه لهذا التفسير
الكبير بحجمه وبعلمه ومعارفه وقد أشار الى ذلك فى مقدمة تفسيره
حيث قال " أما بعد فانى خلقت مغرماً بالعجائب الكونية ومعجباً
بالبدائع الطبيعية ومشوقاً الى ما فى السماء من جمال ، وما فى الارض من
بهاء وكمال ، وآيات بينات ، وغرائب باهرات ، شمس تدور ، ويدر يسير ،
ونجم يضىء ، وسحاب يذهب ويجىء ، وبرق يتألق ، وكهرباء تخترق ،
أو معدن بهى ، ونبات سنئ ، وطيير يطير ، ووحش يسير ، وأنعام
تسرى ، وحيوان يجرى " ، الى أن قال " ثم انى لما تأملت الأمة الاسلامية
وتعاليمها الدينية ، ألفت أكثر العقلاء ، وبعض أجلة العلماء ، عن تلك
المعاني معرضين وعن التفرج عليها ساهين لاهين ، فقليل منهم من فكر
فى خلق العوالم ، وما أودع فيها من الغرائب .

(١) سورة البقرة : من الآيه ٢٦٠

فأخذت أو لف كتبنا لذلك شتى ، كنظام العالم والأمم ، وجواهر العلوم والتاج المرصع ، وجمال العالم ، والنظام والاسلام ، ونهضة الأمة وحياتها ، وغير ذلك من الرسائل والكتب ، ومزجت فيها الآيات القرآنية بالعجائب الكونية ، وجعلت آيات الوحي مطابقة لعجائب الصنع وحكم الخلق ، وأشرفت الارض بنور ربها وتقبلها أجلة العلماء قبولاً حسناً ، وترجم منها الكثير الى اللغة الهندية المسماة بالأورديه والى لغة القازان بالبلاد الروسية والى لغة جاوه فى الأوقيانوسية ، ولكن كل ذلك لم يشف منى الغليل ، ولم يقم على بنائه من دليل فتوجهت الى ذى العزه والجلال أن يوفقى أن أفسر القرآن ، وأجعل هذه العلوم فى خلاله ، وأتفياً فى بساتين الوحي وظلاله ، ولكم طلبت منه جلاله بالدعوات فى الخلوات وابتهلت اليه وهو المجيب ، فاستجاب الدعاء * (١)

اذن فالدافع له توجيه أنظار الامة الاسلامية الى هذه العلوم ، ولم يشف غليله أن يفرد هذه العلوم بمؤلفات خاصة بل شفاه أن فسر القرآن وجعل هذه العلوم فى خلاله .

لهذا فانه يدعوبكل ما أوتى من قوه الى الأخذ بهذه العلوم والمعارف وادخالها فى تفسير القرآن الكريم وينعى على العلماء السابقين الذين وجهوا عنايتهم الى كتب الفقه وآيات الفقه وهن لا يتجاوزن مائة وخمسين آية وأعرضوا كما يقول عن علوم الكائنات التى لا تخلو منها سورة بل هى تبلغ ٧٥ آية . }٢

(١) الجواهر فى تفسير القرآن الكريم : طنطاوى جواهرى

وقد جاوز في دعوته حد الاعتدال وأفرط في تجاوزه حد المباح فذم وعم وقال ما لا يصح ان يقال ونسب آراءه ومفاهيمه قولا لله تعالى فقال مثلا " سيقول بعض المسلمين : لقد نظرنا في النبات وعرفنا الله فاذا متنا وسألنا الله نقول :- هكذا قد نظرنا وعرفناك ، وأنا أقول :- لكن الله يقول (!!) :- النظر التام يكون بالعلم والتام فأين علمكم التام بهذه المخلوقات ولو بطريق فرض الكفاية ؟ فيقول العالم المسلم : انى قرأت كتب قد مائنا كالمواقف وأمثالها فيقال له : كلا ، ثم كلا هذه كتب وضعت لزمن غير زمانكم ولأهم غير أممكم ، وليس لها مقصود الا الرد على المبتدعه الذين ماتوا فأنتم تجادلون مع الأموات ، ولكن المقصود ادراك العوالم لذاتها لا للجدال بها ، وليس يمكنكم ذلك الا باشاعة هذه العلوم في دياركم فيقرأ الصغار في المدارس من الأشياء ، ويقرأ الكبار نفس هذه العلوم ، والعامه تبع الخاصة " (١)

وقال فيما قال من حديثه الذي لا نقبله ولا نرتضيه وذلك في تفسيره لقوله تعالى " فلينظر الانسان الى طعامه " (٢) وما بعدها من الآيات قال " ألا تتعجب من هذه الآيات كيف ذكر الله فيها ما يأكله الانسان وما يأكله الحيوان وكأنه يشير بطرف خفي وحكمة الى باطن الامر فيقول :- أيها المسلمون : أنا أمرتكم بالنظر في النبات لأجل معرفتي وأنتم بذلك الأعلون ، . . ولو أنى اخترت لكم قراءة العلوم من طريق الحياة الدنيا لعشتم بها كما عاش الفرنجه وغلبيوكم ، ولكنكم أنتم الذين اخترتكم لحفظ أرضي ، وقد ملأت الأرض بعلوم النبات وغيره من علوم الطبيعة ، وأنتم خير أمة أخرجت للناس فلتقوموا بعد قراءة هذا التفسير وأمثاله (! !)

(١) الجواهر : طنطاوى جوهرى ج ٢٥ ص ٥٥

(٢) سورة عبس : الآية ٢٤

ولتأخذوا علوم الأمم المحيطة بكم ، وأنتم تقصدون بقرآنها الرقى السبي
وانى أرقىكم أسرع من غيركم ، ويكفى فى الترقى العلمى عشرون سنة
كما يقوله علماء السياسة والاجتماع عندكم فى أنا ذا أيها المسلمون ملأت
أوروبا وأمريكا واليابان بالعلم فقوموا من رقدتكم وخذوا هذه العلوم . هم
قرءوها للندى فأقرأوها أنتم لحبى وللغرام بى ولأجل لقاى ، بل أنتم
ستقرأونها وتعشقونى بها (!!!) " (١)

ونحن نرفض هذه الدعوة من الشيخ طنطاوى الى العلوم بهذه الأساليب
فلا يصح أن ينسب الى الله قولاً لم يقله حتى ولو كان يعده إشارة من
طرف خفى ، ولا يصح هذه العبارات أعنى عبارات الغرام والعشق فهى
اصطلاحات ما أنزل الله بها فى مقامه من سلطان .

وكثيراً ما يقارن طنطاوى جوهرى بين عناية العلماء بالفقه وآيات الفقه
وعدم اهتمامهم بالعلوم الكونية وآياته ويتساءل ، " لماذا ألف علماء
الاسلام عشرات الألوف من الكتب الاسلامية فى علم الفقه ، وعلم الفقه
ليس له فى القرآن الا آيات قلائل لاتصل مائة وخمسين آية ، فلماذا كثر
التأليف فى علم الفقه ، وقل جدا فى علوم الكائنات التى لاتخلو منها سورة بل
هى تبلغ ٧٥ آية صريحه . وهناك آيات أخرى دلالتها تقرب من
الصراحة ، فهل يجوز فى عقل أو شرع أن يبرع المسلمون فى علم آياته
قليله ، ويجهلون علماء آياته كثيره جدا ، ان أباؤنا برعوا فى الفقه فلنبرع
نحن الآن فى علم الكائنات ، لنقم به لترقى الأمة فهذا الذى ينظر نظراً
سطحياً لآيات النظر فى العالم نراه لم يكتف فى البيع والهبة والميراث والحج
والصلاة بالنظر السطحى ، بل نراه فى الوضوء الذى هو شرط من شروط
الصلاة لم يكتف بالنظر الظاهرى ، بل ازداد البحث فيه جدا فى مسائل

(١) الجواهر : طنطاوى جوهرى ج ٢٥ ص ٥٥

المجلدات المؤلفة في المذاهب الأربعة وغيرها ، أفلا ينظر المسلمون اليوم الى علوم الدين الحقه وهى علوم الكائنات ، علوم معرفة الله ، ان علم الفقه لحفظ الأمم ، وعلم الكائنات لمعرفة الله وحياة الأمم وما به الحياة مقدم على ما به حفظ الجياة اذ لا حفظ للحياة ولا عبادة لله الا بعد ثبوت الحياة " (١)

وتجاوز طنطاوى دعوته الى دراسة العلوم الكونية الى ذم قراءة كتب لام مضت وانقضت بعبارة أخرى كتب السلف يقول مثلا :

" وكتب التوحيد كتب أكثرها جدليه ، وليس ينقذ أمة الاسلام من جهالتها الا تأليف رسائل قصيره وطويله ونشرها بين العامة حتى يعرفوا ربهم ويخشوه ، ومن جمع ما كتبناه فى هذا التفسير استخرج منه رسائل تنشربين الناس بلا مشقة ، فليعدل المسلمون عما هم فيه من قراءة كتب لأم مضت وانقضت (!!) ونحن فى زمان أراد الله أن يظهر نور جماله الى الأمم الاسلامية فيشرق نوره على ربوعها ويكون ذلك مصداقا لقوله تعالى : " ليظهره على الدين كله " (٢) (٣)

أما علم الفرائض فقال ان دراستها فرض كفاية وان هذه العلوم فرض عين وقد أغفلها الجهلاء (!!) والمغررون (!!) من صغار الفقهاء فى الاسلام حيث قال " ياليت شعرى لماذا لانعمل فى آيات العلوم الكونية ما فعله آباؤنا فى آيات الميراث . ولكنى أقول الحمد لله الحمد لله انك تقرأ فى هذا التفسير خلاصات من العلوم ودراستها أفضل من دراسة علم الفرائض لأنه فرض كفاية ، فأما هذه فأنها للازدياد فى معرفة الله

(١) المرجع السابق : ج ٢٥ ص ٥٦

(٢) سورة التوبه : من الآيه ٣٣

(٣) الجواهر : طنطاوى جوهرى ج ٢٥ ص ٥٧

وهي فرض عين على كل قادر كما هو مقرر في باب الشكر للامام الغزالي وهي نفس علم التوحيد الحقيقي ، والمعرفة والشكر يكونان على كل امرئ بقدر طاقته ، ان هذه العلوم التي أدخلناها في تفسير القرآن هي التي أغفلها الجهلاء المغررون (!!) من صغار الفقهاء في الاسلام فهذا زمان الانقلاب وظهور الحقائق " (١)

وعباراته ونصومه في الحث على الاتجاه بالتفسير نحو طريقته كثيرة جدا ، (٢) وبأساليب متعددة ، وهو كثير الاشادة والثناء على تفسيره (٢) وكثيرا ما يكرر أن في تفسيره خلاص الأمة وشقاءها (٢) وأنه ينبغي بل يجب أن يسلك المفسرون هذا المسلك وينشروا هذه العلوم بين المسلمين حتى يفوزوا وينتصروا ان أرادوا الفوز وأرادوا النصر وتعجب اذا ما رأته يقرر أن كتابته لهذا التفسير فرض عين ويقرر أن قراءة كتابه اما فرض كفايه لمن يقرأون العلوم للمنافع الدنيوية ، واما فرض عين على كل من أمكنه (٣) الازدياد من العلم

ولهذا فلعجب أن يكون بعض هذا دافعا له الى سلوك منهج التفسير العلمي التجريبي في القرآن الكريم وأن يكون أحد بل أول مطبقيه تطبيقا كاملا على آيات القرآن الكريم كلها في هذا القرن الرابع عشر

تاريخ تفسيره :

نص في مقدمة تفسيره على بداية تناوله للتفسير بقوله " وكان ابتداء التفسير : اذ كنت مدرسا بمدسة دار العلوم فكنت ألقى بعض آيات على طلبتها وبعضها كان يكتب في مجلة الملاجيء العباسية ، وها أنذا اليوم أوالي التفسير مستعينا باللطيف الخبير " (٤)

(١) المرجع السابق : ج ٣ ص ١٩ - ٢٠

(٢) انظر مثلا مقدمة تفسيره ج ١ ص ٣ ج ٨ ص ١١٣

(٣) الجواهر : طنطاوي جوهرى ج ٨ ص ١٩١

(٤) الجواهر : طنطاوي جوهرى ج ١ ص ٣

- وهو اضافة الى كثرة توضيحه لأبحاثه العلمية بيورد صوراً كثيرة للأفلاك (١)
والكواكب (٢) والشمس (٣) والقمر (٤) والسديم (٥) والمياه (٦) والأشجار (٧) والأحجار (٨)
والحيوانات (٩) والحشرات (١٠) والأسماك (١١) والانسان (١٢) والنباتات (١٣) والجراثيم
والميكروبات (١٤) وأجزاء الانسان كالبصمات (١٥) والعين (١٦) والأذن (١٧) والجهاز
الهضمي (١٨) والديدان (١٩) والطيور (٢٠) ويضع الجداول العلمية الرياضية (٢١)
والكيميائية والفيزيائية (٢٢) والفلكية (٢٣) والخرائط الجغرافية (٢٤) والصناعات
والمخترعات الحديثة (٥)

- (١) انظر مثلاً : ج ١٢ ص ٢٣٩ - ٢٤٢
(٢) انظر مثلاً : ج ٤ ص ٧٤ - ٧٥
(٣) انظر مثلاً : ج ٤ ص ٧٨
(٤) انظر مثلاً : ج ١٧ ص ١٩٩ - ٢٠١
(٥) انظر مثلاً : ج ٦ ص ٣٦ - ٣٩ ج ٢٦ ص ٢٠٦ - ٢١٨
(٦) انظر مثلاً : ج ٩ ص ١٤٤ - ١٤٥ ج ١٦ ص ١٨٤ ج ٢١ ص ١٠٤ - ١١٣
(٧) انظر مثلاً : ج ١٧ ص ١٠٤ - ١٠٥ ج ٢٥ ص ١٦ - ١٧
(٨) انظر مثلاً : ج ١٩ ص ١٢٢ - ١٢٦
(٩) انظر مثلاً : ج ٢٦ ص ٤ - ٥
(١٠) انظر مثلاً : ج ٢٤ ص ٣٩ - ٥٣ ج ١١ ص ١١٦ - ١١٧ ج ١١ ص ١٢٣
ج ٩ ص ١٤٩ - ١٥٠ ج ١٥ ص ٣٦ - ٣٩ ج ٢٥ ص ١٣١ - ١٣٦
(١١) انظر مثلاً : ج ٢٤ ص ٣٥ - ٣٨ ج ١١ ص ١٥٣ - ١٥٤
(١٢) انظر مثلاً : ج ١١ ص ١٠٤ - ١٠٦ ج ١٧ ص ٢٣٤ - ٢٣٥
(١٣) انظر مثلاً : ج ١٥ ص ٢٠٧ - ٢١١ ج ١٧ ص ٢١١ ج ٢٥ ص ٧٠ - ٧١
(١٤) انظر مثلاً : ج ١٠ ص ١٥٥ ج ٢٢ ص ٥٨ - ٥٩
(١٥) انظر مثلاً : ج ١٩ ص ١٥٤ - ١٦٠
(١٦) انظر مثلاً : ج ٢٣ ص ٣٠ ج ٢ ص ٣٤
(١٧) انظر مثلاً : ج ٢ ص ٣١
(١٨) انظر مثلاً : ج ١٥ ص ٢٢٢ - ٢٢٣ ج ١٧ ص ٧٤ - ٧٥
(١٩) انظر مثلاً : ج ١١ ص ١١٨ ج ١٠ ص ١١٥ - ١١٧ - ١٢٤ ج ٢٥ ص ١٣٧
(٢٠) انظر مثلاً : ج ٢٤ ص ٢٣٥ - ٢٤٠ ج ١٥ ص ٤١ ج ١٣ ص ١٧٣ - ١٨١
(٢١) انظر مثلاً : ج ٢٣ ص ١٣٧ - ١٤٢
(٢٢) انظر مثلاً : ج ١٩ ص ٢٣٥ - ٢٣٧ ج ١٤ ص ١٣١ ج ١٣ ص ٢٤٣
(٢٣) انظر مثلاً : ج ١٢ ص ٢٣٩ ج ١٧ ص ٢٠٣ - ٢٠٥ ج ١٨ ص ١٩٥ - ١٩٧
(٢٤) انظر مثلاً : ج ١٢ ص ٦١ - ٦٨ ج ١٠ ص ١٠١ ج ١٦ ص ١٨١ ج ١٧ ص ١٧٣
(٢٥) انظر مثلاً : ج ١٥ ص ١٦٨ ج ١٧ ص ٥٣ ج ١٧ ص ١٦٩

أما ما يستشهد به من الآراء والأقوال فإضافة الى رؤاه وأحلامه فى اليقظة وال المنام وما بعده الهاما فهو يستشهد بأقوال علماء الشرق والغرب فى القديم والحديث وقد برز فى تفسيره بروزا واضحا باستشهادة بنصوص انجيل برنابا (١) ، وجمهورية أفلاطون (٢) ونصوص أخوان الصفا (٣) وألف ليله وليله (٤) وكليله ودمنه (٥) والعديد من الجرائد والمجلات الغربية والعربية (٦) .

ولا يخفى على ذى لب أمر الاستشهاد بمثل هذا فى تفسير القرآن الكريم وإضافة الى هذه الشواهد فهو يذكر شواهد أخرى عجيبة من التنويم المغناطيسى وتحضير الأرواح (٧) زد حساب الجمل (٨) وخوضه فى فواتح السور خوضا عجيبا (٩)

خلاصة الأمر الحق فى هذا التفسير قول من قال عنه فيه كل شىء الا التفسير . ولئن كنا أجملنا الإشارة الى هذه السمات فى تفسيره فانه يلزمنا لزوما أن نذكر أمثلة - بعض أمثلة - لهذا التفسير ، لانه ثبت فيها كل ما قلناه اذ لو فعلنا لاحتاج الأمر الى دراسة خاصة لهذا التفسير العجيب وانما مرادنا بعض الأمثلة التى تعطى صورة عامة لطريقته فى التفسير وما عد ذلك فقد أشرنا الى مواضعه فى الهوامش إشارة فيها الكفاية .

-
- (١) انظر مثلا ج ١ ص ٦١-٦٣ ج ٢ ص ١٢٢-١٢٤ ج ١ ص ٤٧
(٢) انظر مثلا : ج ١٧ ص ١٨٦ و ٢٤٣ ج ٨ ص ١٧٧ ج ٢٠ ص ٢٤٢-٢٤٤
(٣) انظر مثلا : ج ٢ / ٨٤ ج ٨ / ١٥٠-١٥١ ج ٢٠ ص ٣٠ ج ١٩ ص ٢٠٧-٢١٠
) ج ٢ ص ٨
(٤) انظر مثلا : ج ٢٠ ص ٢٣٣-٢٣٤
(٥) انظر مثلا : ج ١٧ ص ٢٤٠
(٦) انظر مثلا ج ٢٥ / ١٢٥ ، ١٨ / ٥٧ ج ٢٠ ص ١٩٥ ج ١٩ ص ٢٤١
(٧) انظر مثلا : ج ١ / ٨٤ ج ٨ / ١٨٢-١٨٣ ج ١٩ ص ٢٩ ج ١٩ ص ٢٢١-٢٢١
ج ٩ ص ١٠-١٢
(٨) انظر مثلا : ج ٢ ص ٥
(٩) انظر مثلا ج ٢ / ٥-١٤ ج ٢٣ ص ٢٠-٢٦ ج ٢٠ ص ٣٥-٣٨ ، ج ١٠ ص ٦١-٦٢
ج ١٣ ص ٤-٥

نماذج من تفسيره :

أمران كانا سبب توقفي فترة من الزمن عند هذا المبحث على وضوحه وظهوره .

أولها : أن كثرة الأبحاث في هذا التفسير التي كلها يصلح ان - يكون مثلا لطريقة صاحبه في تفسير القرآن الكريم ، سبب لحيرة من يريد أن يختار بعضها أيها يقدم وأيها يؤخر . أيقدم هذا لقصر أبحاثه ويدع ذاك لطولها أم يقدم هذا لما فيه من التطرف في التفسير ، أم يقدمه لما فيه من الرأي الغريب الشاذ أم يقدمه لما فيه من مخالفة الحق أو لما فيه من مخالفة النصوص الشرعية ، أو يغمض عينه عن هذه الجوانب السلبية في التفسير ويقلب الصفحات تلو الصفحات ملتصقا تفسيرا مقبولا عله يجد فيه شيئا ، أو يذكر شيئا من هذا وذاك فأبيها يترك ويأخذ من هذا وأين يجد ذاك قرر قراري في نهاية الأمر أن أذكر من التفسير ما له صلة في موضع البحث ذلكم أني أبحث هنا في التفسير العلمي التجريبي ولست أكتب عن منهج الجواهرى في التفسير فلأدع الجوانب العقدي والاجتماعية والأدبية ولأحصر صلتى به في الجانب العلمي ولأقتطف من هذا الجانب ما أراه المدى الذى وصل اليه في التزام هذا الجانب، أما الجانب الآخر فلها شأن آخر مع غير هذا البحث .

ومن هنا فاني أذكر من الأمثلة ما أراه متطرفا فيها في التزامه التفسير العلمي فهو الجانب الذى نبهته أولا وهى التى تكشف درجة المؤلف ومنزلته فى هذا اللون من التفسير ثانيا واني لأجزم أنه يتربع حتى الآن فى المركز الأول لا يكاد ينافسه أحد .

أما ثانيهما : فلقد ترددت قليلا في أن أذكر نصوصها بطولها أو أتصرف فيها بالاختصار والحذف ، خشيت أن يكون لتصرفي أثر في معانيها فأثرت أن أذكرها بطولها لتعطي الصورة الصادقة الكاملة حتى وان كان فيها اطاله وآثرت أيضا أن يكون الاختصار في الأمثلة في عددها لا في ذاتها .

علم تحضير الأرواح :

والمؤلف متأثر تأثرا بينا بما يسمى تحضير الأرواح . فكثيرا ما يورد في تفسيره محاورات لأرواح يزعمها محضره ، وهو حين يورد هذه الأقوال يوردها مسلما مصدقا لها . أما من لم تصح عنده هذه الخزعبلات . فهو عند الشيخ طنطاوي مقلد مع أنه يقرأ بأن هذا العلم قد اختلط فيه الحق بالباطل والصدق بالكذب ومع هذا يتأسف على تأخر المسلمين في هذا المضمار وكان الأولى بالأمة المسلمة - حسب زعمه - أن تكون السباقه في هذا المضمار المجده في تعلمه .

وحديثه عن الأرواح وتفسيره لقوله تعالى : - واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة " (١) الآيات ، طويل انقل منه الموضوع المراد على طوله حتى تكتمل الصورة قال في تفسيره لهذه الآية : -

وأما علم تحضير الأرواح فانه من هذه الآية استخراجه ، ان هذه الآية تتلى والمسلمون يؤمنون بها حتى ظهر علم تحضير الأرواح بأمریکا أولا ، ثم بسائر أوروبا ثانيا . فلاذكر نبذة منه لتعرف كيف كان مبدأ

(١) سورة البقرة: الآيات من الآية ٦٦ الى الآية ٧٤

هذا العلم وكيف كان انتشاره بين الأمم ، وفائدة هذا العلم أن من صحت عنده أحوال الأرواح وظهورها أيقن بالآخرة وبالحيياة بعد الموت ايقانا تاما . وأما من لم تصح عنده فانه مقلد كسائر الناس ، ولتعلم أن هذا العلم متشعب اختلط فيه الحق بالباطل والصدق بالكذب ، وصار الناس فيه طائفتين ، طائفة مكذبة ، وطائفة مصدقة ، ولكل حجج ليس هذا محلها ، ولكن بالاجمال أقول ان فى العلم التباسا كثيرا وشكوكا بسبب الأحوال الطارئة على المشتغلين به ، وكان الأولى بأمة الاسلام أن تكون السابقة فى مضماره المجدة فى تعلمه المتقدمة على سائر الأمم فى تحصيله لتهدى الناس الى سواء الصراط . أفلا يرى المسلم ما جاء فى هذه السورة فى قوله تعالى " واذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى ، قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ، ثم ادعهن يأتينك سعيًا واعلم أن الله عزيز حكيم " وفعل ابراهيم ذلك ، وقطع الطير ودعاها فأجابت فاطمأن ، وهل نحن أكثر ايمانًا من ابراهيم كلا ؟ فاذا كان ابراهيم يطلب اليقين بالمعينة فنحن أولى ، والأنبياء أعلم منا ، فكان يجب على المسلمين أن يكونوا هم البادئين بعلم احضار الأرواح لا أمريكا ، لأن الله ذكر لنا فى سورة البقرة هنا أنهم ضربوا القتل فحى وأخبر بمن قتله ، وهو الذى كان وارثا له فحرم الميراث ، واذا صح هذا فى نفس واحدة فجميع الأنفس يجب أن تكون كذلك ، وأنها حية بعد الموت وليس يمكن أن يكون هذا يقينا الا اذا رأيناه بأنفسنا فى زماننا بلا شك ، وأنى لنا ذلك الا بالكذب ، والنصب ، والتعب ، والسهر ليلا ونهارا فى العلم والعمل .

ولقد ألفت كتابا سميته (كتاب الأرواح) ضمنته : ما ورد الينا من أوروبا وأمريكا من كيفية احضارها ، وهكذا ما يقابل ذلك ، مما ورد في القرآن والحديث وكلام الصالحين ، فرأيت اتفاقا بين الأمتين فلأنقل لك الآن ما جاء في التوراة من احضار الأرواح مثل ما فى عصرنا تماما ، ثم أتبعه بنبذة مما فى كتاب الأرواح الذى ألفته فى تاريخ هذا العلم ولست أريد بذلك أن نقلد ما أقول ، ولكن أقول يجب أن يكون فى المسلمين جماعة صادقون مخلصون قاصدون وجه الله ، والدار الآخرة ، لا عرض الدنيا ينقطعون لهذا العلم ويحضرون الأرواح لأجل العلم والمعرفة ولا يتكلمون على أوروبا وأمريكا ويميزون الخبيث من الطيب . وطرق التحضير واضحة فى كتاب الأرواح المذكور)

ثم ذكر نضا استدل به على ما ذكر من التوراة الى أن قال :
أما ما جاء فى العصر الحاضر الذى يناسب مسألة القتل الذى ضربوه ببعض البقرة ، ومسألة ابراهيم الخليل وقوله لله عز وجل " ولكن ليطمئن قلبى " ومسألة صموئيل النبى مع طالوت المعبر عنه بلفظ شارل فى التوراة الذى ذكرنا قصته الآن فهناك . قلت فى كتاب الأرواح :

قال شيرمحمد : هل يذكر لى الأستاذ كيف كان بدء هذه الحركة فى العالم الحديث ؟ قلت : ان هذه الحركة بدأت مع الانسان على ظهر الأرض وعاشت مع الأمم دهورا وأحقابا ، فلما كانت هذه القرون الحاضرة وأظلمت الدنيا : واسود وجه الحقيقة وأخذ الناس يجهرون بالالحاد أرسل ربك لهم عجائب - وبث لهم من الأرض غرائب ، وانبعث لهم من عوامل الغيب ، وسطعت الحقائق

وأشرفت الأرض بنور ربها فى سنة ١٨٤٦م ذلك أنه سمع فى تلك السنة طرقات متوالية فى بيت رجل يسمى (فيكمان) من قرية (هيدسفيل) فى نواحي ولاية نيويورك وتوالى ذلك ليالى ذوات ، عدد ، فذعرت تلك الأسرة ، وقذف فى أفئدتهم الرعب ، فهجروا المكان بعد أشهر ، فسكنت الدار أسرة (جون فوكس) المؤلفة من الرجل وامرأته وابنتيه ، فعادت الطرقات وتواتت الضربات ، وهرع الجيران ليتقربوا عن تلك الأصوات المرزعجة ، ثم اهتموا الى سبيل الرشاد اذعلموا أن تلك أفعال ناجمة عن عقل ، فاصطلحوا مع مصدرها على لفظ نعم ولفظ لا بطرقتين وثلاث ، ففهموا أنها روح أصابها شر قد قتلها رجل فى هذا البيت والذى كشف ذلك (مدام فوكس) والقتيل الطارق يدعى (شارل ريان) قتل منذ أعوام عديدة فى ذلك البيت ، وكان فى حياته دواً قتلته من كان يبيت عنده لسلب ماله ، وكان عمره احدى وثلاثين سنة ، ثم شاع الخبر وذاع ، واستهزأ الناس بذلك وسخروا منها ، وقالوا : ان هذا لكذب مبين ، وانتقلت عائلة فوكس الى قرية (روستر) من الولايات المتحدة ، وشاع الخبر وذاع ، وثار علماء الدين والملحدون وسائر الشعب على المرأة وابنتيها ، وتعرضن للموت مرارا ، فعين القوم لجنة من العلماء لكشف الحقيقة ، فأعلنت أنه لا أثر للشعوذة ولا للاحتيال . فهاج الشعب وعين لجنة أخرى ، فقررت كالأولى ، وعينوا ثلاثة ، فأذعنت كسابقتها ، فهم الطغام باهلاك الابنتين ، وسبوا وشتموا علماء اللجان المذكورة ، ولكن الابنتين لم يصبهما ضرر ، وقامت الجرائد والمجلات تنشر مقالات الهزؤ والسخرية بهذا العمل ومن العجب أنه لم يمضى أربع سنين حتى فشا المذهب فى سائر

الولايات المتحدة حتى لم يكن يخلو بيت من وسيط أو وسيطة تخابر القوم على يده الأرواح ، وقد يجلسون حول منضدة ، ويتلون أحرف الهجاء ، وعند وصولهم الى الحرف المقصود تطرق المائدة برجلها ، ولم تمضى سنة ١٨٥٤م اى بعد الحادث بشان سنيين حتى أصبح أمر هذا الحادث من أعمال دار الندوة ومجلس الأعيان الملتئم فى مدينة وشنطون ، الى أن قال : وتعجب من القرآن كيف ذكر مسائل الحياة بعد الموت فى قصة الخليل كما ذكرناه ، وأنه أمر بتقطيع الطيور وخلط لحمها بعظمها وريشها ، ثم يدعوها فتحيا فى أواخر هذه السورة : وأنت تعلم أننا عن هذا عاجزون ، وهذه معجزات لنبي ، وذلك النبي أراد أن يطمئن قلبه بالمعينة بعد الايمان ، ولا جرم أن ايماننا أقل من ايمان الأنبياء : فنحن أولى بطلب المعينة ، وطريق الخليل فيها مقفل بابها علينا . فمن فضله تعالى ذكر هنا أن القليل قد حيى بضربه ببعض البقرة ، وهذا فتح باب لاحضار الأرواح فكأنه يقول فى مسألة ابراهيم : اطلبوا الحقائق لتطمئنوا ، وهنا يقول : اسلكوا السبل التى بها تستحضرونها ، ولا تنالون شيئا من هذا الا بجدكم وكدكم ، فالعلم لا ينال الا بالمشقة والنصب ، فاذا وجدتم أن طريق موسى فى احياء الموتى يصعب عليكم فالتمسوا غيره " وأن ليس للانسان الا ما سعى " هذا ما بدا لى فى هاتين الآيتين للخليل وموسى الذى سار على قدم جده فى النبوة ، فحيى الميت على يديه وفى السورة آيتان أخريان فى احياء الموتى وهما (ألم ترى الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت . فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم " والآية الأخرى نزلت فى العزيز اذ قال فى بيت المقدس " انى

يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام ثم نظر الطعام الذى كان معه والشراب فرآهما على حالهما لم يتغيرا وصار ينظر الى حماره وهو يحيا وتتصل العظام ببعضها وتكسى لحما فعلم " أن الله على كل شيء قدير " .

فالمسلم اذا قرأ هذه الآيات التى حكيت عن بنى اسرائيل يقول فى نفسه : أنا آمنت ، فان كان من العامة لم يطلب المزيد ، وان كان من الخاصة قال : أنا أطلب المعاينة والمشاهدة ، والمشاهدة باحدى طريقتين : الطريقة الأولى : ما سلكه المجاهدون الزاهدون ولكنها محفوفة بالخطر ، ومن شاهد منهم شيئاً لا يمكن لغيره التصديق به . الطريقة الثانية : طريقة استحضار الأرواح ، وهى عامة كما تقدم فى هذا المقام ، ولكن استحضار الأرواح أيضاً على ما يقولون صعب المنال ، ويقولون ان الأرواح النقية لا تخاطب إلا قلوباً نقية خالصة ، فرجع الأمر عند الصوفية وعند علماء العصر الحاضر من أوروبا الى أن المدار على الاخلاص والصدق ، وطلب الحقيقة والتوجه لله : فهذا هو الأصل عند الجميع . ولذلك ترى الذين يظنون أنهم استحضروا الأرواح متى غلب عليهم حب الدنيا تحضر اليهم أرواح كاذبة خاطئة على مقدارهمهم وتكلمهم بالكاذب والمواعيد العرقوبية كما أن المجاهد من الصوفية لا ينال الزلفى الا باحتقار العالم الفانى ، ولما كانت السورة التى نحن بصددها قد جاء فيها حياة العزيز بعد موته ، وكذلك حماره ومسئلة الطير وابراهيم الخليل ، ومسئلة الذين خرجوا من ديارهم فرارا من الطاعون فماتوا ثم أحياهم ، وعلم الله أننا نعجز عن

ذلك جعل قبل ذكر تلك الثلاثة فى السورة ما يرمز الى استحضار الأرواح فى مسألة البقرة كأنه يقول : اذا قرأتم ما جاء عن بنى اسرائيل فى احياء الموتى فى هذه السورة عند أواخرها فلا تيأسوا من ذلك فأنى قد بدأت بذكر استحضار الأرواح فاستحضروها بطرقها المعروفة و " اسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون " ولكن ليكن المحضر ذا قلب نقى خالص على قدم الانبياء والمرسلين كالعزيز وابراهيم وموسى : فهؤلاء لخلوص قلوبهم وعلو نفوسهم أريتهم بالمعينة ليطمئنوا ، وأنا أمرت نبيكم أن يقتدى بهم فقلت " فبهداهم اقتده " فاقتدوا بهم فى تعلم ما تطمئنون به وتوقنون ، ولكن قبل ذلك اقتدوا بالأنبياء فى طهارة القلوب وزوال الرجس من النفوس فان هذه الأمور انما تعرف بالتجربة والعمل ، لا بالقياس ولا بالنظر والحدس الفكرى . " (١)

هذا أهم ما قاله الشيخ طنطاوى جوهرى فى تفسير هذه - الآيات وأمثالها صرف معانيها الى تحضير الأرواح ، وفسرها تفسيرا لا يقبله ذو لب يعرف مرامى القرآن الكريم وأهدافه حتى قال الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير عن هذا التفسير " هو من أغرب ما يقال فى تفسير القرآن الكريم فهو أبعد ما يكون عن معناه وعن أهدافه وأغراضه ، كما أن تحضير الأرواح علم كاذب فلا يوافق الدين على الايمان به ولا يعترف بأخبار الأرواح التى تحضر عن طريقه فهى أرواح جنّ ، تكذب بادعاء أنها الأرواح المطلوب احضارها ومكالمتها ، وكيف يمكن أن تكون صادقة وهى تقول عن نفسها

(١) الجواهر : طنطاوى جوهرى : ج ١ ص ٨٤ - ٨٩

انها فى الجنه ، وقد تكون مشرکه أو منکره للدين فى حياتها ؛
وكيف يمكن استحضارها فى حين أن السلطان عليها لله الواحد
القهار .

وعلى الرغم من أن الشيخ رحمه الله كان رجلاً تقياً على ما
عرفته فيه ، وجربته منه ، فإنه كان ذا خيال خصيب ، وكان لهذا
يخضع القرآن لما يتخيله فى معانيه بأفكاره العريضة ذات الآفاق
البعيدة - وان جانبها الصواب ، غفر الله له ما قال عن حسن ظن
مما خالف فيه ما ينبغى فى تفسير كتاب الله المجيد " (١) .

ونحن لا نزيد قولاً ونقداً على ما قال الشيخ مصطفى الآ أن
تحضير الأرواح كان دعوة هدامه ذات صلة عميقة بالماسونية
والصهيونية العالمية ، وأقرأ ان شئت ما كتبه الدكتور محمد محمد
حسين رحمه الله تعالى ، عن الروحية فى كتابه الروحية الحديثة
دعوة هدامه فقد كشف فيه زيف هذه الدعوة وذكر فيه أن من
أهدافها القضاء على الدين الحق والغاء أثره " فالذين يدعون
استحضار أرواح الموتى يستحضرون روح المسلم وروح النصرانى
وروح اليهودى وروح البوذى وغير أولئك ، وهؤلاء من أهل الجاهلية
على تباين تحلهم من مختلف بقاع الأرض ويزعمون أنهم يعيشون
جميعاً فى سعادة وهناء ومعنى ذلك أن السعادة والهناء لا
تتوقف على الدين الذى يختاره الناس لأنفسهم فى حياتهم الأرضية ،
وذلك يؤدى الى الاستخفاف بالأديان كلها والى تكوين مفاهيم
دينيه جديده " (٢) .

(١) اتجاه التفسير فى العصر الحديث : مصطفى محمد الحديدي الطيرصه ٧

(٢) الروحية الحديثه : محمد محمد حسين ص ٦-٧

على أن الذى يهمنى فى موضع بحثنا أن الشيخ طنطاوى كان من المخدوعين بهذه الدعوة الزائفة التى راجت فى عصره رواجاً كبيراً فحشدها فى تفسيره ومع هذا ومع حسن ظننا به إلا أنه تجب الإشارة والتحذير من هذا الاتجاه .

قوامين بالقسط :

فى تفسير قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين " (١) .

أدخل الشيخ طنطاوى الاكتشافات العلمية الحديثة فى وسائل الاعتراف ، فى تفسير هذه الآية على نحو غريب لا أعلم أنه سبق إليه ، فقال :-

يقول الله تعالى " يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط الخ " يأمرنا أننا إذا قتلنا أو سرقنا أو زينا ووقفنا تحت آلات القتل نقره ، وإذا رأيت أبى واقفا وآلة الشنق منصوبة له أقول ان أبى قاتل ولا أخجل ولا أخاف كل ذلك يأمرنى به الله . يأمرنا الله بما لم يشهد أحد عمله إلا نادرا جدا وليس فى النوع الانسانى من يبادر الى ذلك إلا فى النادر ولكن الله سبحانه انما يريد أن يعيش الناس بسلام ووثام ويكونوا اخوانا لتحلو الحياة ويكون الصفاء .

فهل لك أن تسمع من العلم الحديث والكشف الغريب ما يجعل هذا الاقرار أمرا متداولاً . هل لك أن تقرأ ما رسمته الدول المعاصرة لنا وما كشفوه فى هذا المقام حتى تحكم أنهم

(١) سورة النساء : من الآية ١٣٥

إذا ساروا على هذا المنوال سنين أصبح ما يقوله الله الآن أمراً معتاداً ويقر الإنسان على نفسه وعلى أمه وعلى أبيه وعلى قريبه وعلى ملكه وعلى اللص الذى سرق معه بل يصيح الناس لا سرقة عندهم ولا قتل الا نادراً ويزول الكذب فى الشهادات وتصدق الأحكام .
فلأذكر لك ثلاث مسائل :

المسألة الأولى : الاقرار بمصل الصدق .

وأصل هذا المصل أن طبيياً يسمى الدكتور هاوس من المختصين بالتوليد وعادة الأطباء أنهم إذا رأوا امرأة تعسر وضعها حقنوها بهذا المصل المسمى (اسكوبلامين) فلاحظ أثناء الحقن والمرأة تضع وهى لا تحس بألم أنها تفشى أسراراً ما كانت تنطق بها عادة بل تلك الأسرار من أكبر الفضائح والعار فتوجه الى رجال الحكومة وأحضروا من السجنون نحو خمسمائة مسجون وحقنواهم بالمصل كما تحقن الوالدات واستنطقوهم فكانوا يجيبون اجابات صريحة ويخبرون بالحقائق كما هى ولم يجدوا فى جميع من سألوهم كلمة واحدة تخالف الصواب ولما أفاق أولئك الرجال دهشوا لما علموا أنهم أجابوا بالحقائق التى أنكروها قبلاً ، وقد قال العلماء فى ذلك ان استعماله سيفضى الى اخلاء السجنون من الأبرياء ، ولقد وضعوا الرجال المتهمين على موائد كما توضع المرضى وحقنواهم ثم سألوهم فى معارض حضرها رجال القضاء والطب فأسفرت عن النتائج عينها ويقولون انه فى بلاد الانجليز التى كشف فيها هذا المصل يقدم عشرة متهمين للمحاكمة فلا يحكم الا على واحد لثبوت التهمة ويبرأ الباقي ومتى حقنوا بهذا المصل ظهر المحق من المبتطل

وأيضاً يقبض على الثلث من المقبوض عليهم خطأ وبيروني فيما بعد
فهذا المصل ينفي التهمة ويخرجهم وليس هذا نافعاً لانكلا ترا
وحدها بل للعالم قاطبة متى انتشر في الكرة الأرضية .

المسألة الثانية :

ان الجناة يعرفون في العالم الانساني الآن بآثار الابهام ،
وذلك أن بلادنا المصرية جعلت ادارة خاصة لآثار الأصابع
وجعلتها أصنافاً وأنواعاً بحيث ان الانسان ليس يكون أثر ابهامه
له مشابه آخر في الشرق أو في الغرب ولذلك تراهم يأتون
بالمذنبين ويأمرونهم بوضع أصابعهم على الورقة وهي ملوثة بالحبر
فهذا الأثر يدل على صاحبه لا يشاركه فيه سواه . هكذا الأقدام
فان عرب البادية في بلادنا يعرفون الناس بآثارهم كالقدماء من
العرب الذين كانوا يقصون الأثر فكل امرئ له قدم بصفات خاصة
لا يشاركه سواه .

المسألة الثالثة :

لقد ظهر في أمريكا وفي أوروبا علم يقال له (السيكومتري) ،
أعنى علم قياس الأثر ، وقد استعملت هذه اللفظة سنة ١٨٤٢ وهي
مشتقة من لفظة يونانية (سيكي) أي النفس (ومترون) أي قياس ،
ومعناها اللفظي قياس النفس .

وقالوا في هذا العلم انه لا يقع ظل على حائط من دون أن
يترك أثراً فيه يمكن اظهاره بالوسائل الصناعية وكل غرفة تظن أنها
محجوبة عن العيون فيها آثار كل ما حصل فيها ولو من مئات
السنين بل كل حجر وشجر ومدر توجد عليه رسوم ما حصل عنده

من خير أو شر فكل حركة وكل فكرة تصدر من الناس ترسم على ما حولهم فكأن هناك صوراً لطيفة لا عدد لها ثابتة على جميع الأشياء لا تزول بمرور القرون والدهور .

الى أن قال : أنظر الى هذه المسائل الثلاث بعقلك وتفكر فيها أأنت ترى أن المسألة الأولى هي التي تحقق اقرار الانسان على نفسه وعلى أبويه وتكون الأمم أقرب الى السعادة منها الآن . وإذا كان هذا الكشف الحديث يعم العالم ويظهر صدقه أفليس ذلك يكون مما يجب علينا الأخذ به متى تحققنا أن ما يقوله الفرنجية حق لا خطأ فيه فلسنا نحن نأخذ بقولهم بل نجرب تجاربهم ونعمل بها بعد التحقيق وإذا كان النوع الانساني ليس عنده من الصدق والأمانة ما يحمله على الاقرار على النفس والأهل أفلا يكون أمثال هذا المصل (اذا صح ما يقال) من أوجب الواجبات على أمة الاسلام بل أقول فوق ذلك انه يجب على أمراء الاسلام والمجالس النيابية أن يظهروا رجالاً في العلوم ويمدوهم بقوتهم حتى يكشفوا ويخترعوا وينظروا وكفانا نوما فقد نامت عقول المسلمين آماداً طويلاً " (١) .

وهل هذا التفسير مقبول لا أشك أنه كسالفه وكثير ممن تفاسير الشيخ مرودة مرفوضة ، بل هو نفسه أورد اعتراضاً على هذا التفسير من قبل أحد العلماء وذهب في رده على هذا الاعتراض يقيسه على أمور الآخرة وأن الله سبحانه يشهد على الانسان يده ورجله ولسانه على ما فعل وما قال . فإذا كان الله قبل هذه

(١) الجواهر : طنطاوى جوهرى ج ٣ ص ٩٧ - ٩٨ - ٩٩

الشهادة من الجلود والجوارح فكيف لا تقبل ممن يحقن بالمصل ويشهد بالحق ؟ !

ولا شك أن هذا قياس مع الفارق ، ثم لو سلمنا جدلا فما دخل الأمر بالاعتراف والقول بالحق والقسط ، بوسائل استخراج اعترافه قسرا ، فرق بين الأمرين يجعل ما أورده مرفوضا منكرا في هذا المقام ، فضلا عن الخلاف في اعتراف المكره أو غير العاقل ، أما نقد هذا التفسير نقدا مفصلا فليس في طاقة بحثنا هذا فلنعطه حقه العرض والأمثلة فحسب .

الرواسي في الأرض :

وذلك من قوله تعالى " وجعلنا في الأرض رواسي أن تמיד بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون " (١) .

فقد أورد في تفسيرها أحدث النظريات العلمية في الجبال والبراكين وأسباب هيجان البراكين ، وقد تحدث قبل ذلك عن الآية التي قبلها ، وذكر أن فيها معجزتين أن السموات والأرض كانتا رتقا وأن الله جعل من الماء كل شيء حي . ثم تحدث عن المعجزة الثالثة في هذه الآية فقال : -

ثم أتى بمعجزة ثالثة فقال (وجعلنا في الأرض رواسي) أي جبالا ثوابت كراهة (أن تמיד) أي تميل (بهم) وتضطرب فانك ستري أن الأرض لها ستة أدوار تقدم ذكرها في سورة هود وهذه الأدوار الستة مقسمة الى ٢٦ طبقة والدور الأول منها كان عبارة عن الزمن الذي كون فيه على الكرة الأرضية النارية قشرة صوانية

(١) سورة الانبياء : الآية ٣١

صلبة . قدر زمنها بنحو ثلاثمائة مليون سنة . ومعلوم أن الأرض كانت نارا ملتهبة فبردت قشرتها وصارت صوانية وهى الغلاف الحقيقى لتلك الكرة النارية ولا تزال الأرض تخرج لنا من أنفاسها المتضايقة ونارها المتقدة فى جوفها كل وقت نارا بالبراكين التى شرحناها سابقا فى هذا التفسير فى سورة (آل عمران) فهذه البراكين أشبه بأفواه تتنفس بها الأرض لتخرج بعض النار من باطنها ثم يخرب ذلك البركان ويفتح بركان آخر . وهذه البراكين تخرج نارا ومواد ذائبة تدلنا على أصل أرضنا وما كانت عليه قبل الدهر . فهذه القشرة الصلبة لولاها لتفجرت ينابيع النار من سائر اطرافها كما كانت بعدما انفصلت من الشمس كثيرة التورات والفوران وهذه القشرة الصوانية البعيدة المغلفة للكرة النارية هى التى ثبتت منها هذه الجبال التى نراها فوق أرضنا كما يقوله علماء طبقات الأرض . فمن هنا ظهر أن هذه الجبال جعلت لحفظها من أن تميل لأن الطبقة الصوانية هى الحافظة لكرة النار التى تحتها والكرة الصوانية هذه نبتت لها أسنان طالت وامتدت حتى ارتفعت فوق الأرض فلو زالت هذه الجبال لبقى ما تحتها مفتوحا واذ ذاك ثور البراكين آفا مؤلفة وتضطرب الأرض اضطرابا عظيما وتزلزل زلزالا شديدا لأن البراكين وثورانها زلزلة فما بالك اذا كانت الجبال كلها لم تكن وخلت أماكنها ثم ان هذه الجبال قطعة من نفس القشرة غاية الأمر أنها ارتفعت فما هى اذن الا حافظة للكرة النارية التى لو تركت وشأنها لاضطربت فى أقرب من لمح البصر فأهلك الحرث والنسل . هذه هى المعجزة الأخرى للقرآن لأن السابقين ومن عاصروهم كانوا يؤمنون به فقط فظهور ذلك اليوم من

المعجزات القرآنية . ولقد أجمع العلماء قديما وحديثا أن الجبال على الأرض لا قيمة لها بالنسبة للكرة الأرضية فلو فرضنا أن هذه الكرة الأرضية كرة قطرها ذراع لم تكن الجبال فوقها الا كنحو نصف سبع شعيرة فوقها . ولو أن الأرض كرة قطرها متر واحد لم تزد الجبال عليها ملليمترا واحدا ونصفه فقط فما هذا الجـزاء الحقيق بالنسبة لتلك الكرة حتى أنه يمنع ميلها وسقوطها فكأن الناس يؤمنون بهذه الآية . وقد ظهرت هذه النبوة فعلا فى العلم الحديث ولم تظهر الا على يد من كفروا بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والمسلمون لا يعلمون الا من الفرنجة ، وأنا أكتب عنهم ومن كتبهم فصدق الله وجاءت المعجزات تترى فى هذا التفسير . فالله هو الذى فصل الأرض من الشمس وكانتا ملتحمتين والله هو الذى خلق الدواب فى البحر ، ثم ارتقت الى أن ارتفعت فى الهواء وان كان هذا المعنى فيه نظر ان حملنا الآية عليه والله هو الذى جعل الجبال حافظة للكرة الأرضية أن تهتز - وتضطرب لأنها نار والجبال متصلة بالطبقة الصوانية المحيطة بالنار فالله هو الحافظ لها . كل ذلك دال على وحدته . ولكن الأهم من ذلك أن القرآن ورد به ولم يعرفه الناس بل لم يفسر به القرآن على وجه علمى برهانى الا فى هذا العصر ، وانما كان يفسر قديما بمجرد الايمان ، فهذه هى المعجزة الثالثة . واعلم أن الكرة الأرضية بعد أن تمت أدوارها الستة المذكورة فى سورة (هود) وفى سورة (الأنعام) ومضى دور الطوفان العام ثم الدور الحالى ونظمت الأحوال على ما هى عليه الآن ظهرت فيها (الفجاج) وهى المسالك الواسعة وكما نظمها الله وأخرج زرعها

ونوع حيوانها حتى وصل النبات الآن على ما يقول (اسبنسر)
٣٢ . ألف نبات والحيوان أيضا مليوني نوع وخلق الانسان وأبدع
كل شيء فيها هكذا نظم السماء وجعلها سقفا محفوظا فحفظ
الشموس . في مداراتها بحيث لا تختلط ولا تختبط بل حفظها سالمة في
أماكنها الخاصة بها بوقعة الجاذبية بالاصطلاح العلمى . فالقمر
والشمس والكواكب الأخرى متجاذبات حافظات لمداراتها لا تخرج
عنها والا لاختل هذا العالم " (١) .

السموات السبع :

ورد لفظ السموات السبع فى القرآن الكريم عدة مرات فى عدة
سور . أما الجوهرى فله فهم آخر فى تحديد السموات بسبع
أورده عند تفسيره لقوله تعالى " ثم استوى الى السماء فسواهن
سبع سموات " (٢) ذهب الى أن السموات ليست سبعا وهو تفسير
عجيب من تفسيره لا يستغرب فقد أنكر أن يكون للعدد هنا
مفهوم . فالسموات ليست سبعا وورود سبع سموات لا يمنع أن
يكون العدد أكثر من سبع ، ثم أشار بهذا التفسير قائلا بهذا
فليرتق المسلمون وليتعلموا . وهذا نص تفسيره :

واعلم أن العدد ليس له مفهوم ، وبه قال أكابر المفسرين
والحكماء ، فاذا قال الله سبع سموات ، فليس ذلك بمانع أن يكون
العدد أكثر ، واذا عرفت أن هذا الجرم اللطيف العجيب الممتد
الى أمد ينقطع الفكر دونه ، ومجال لا يصل اليه الوهم فيه من
العجائب والبدائع والكواكب والمخلوقات ما لا يحصى ، فسواء أكان

(١) الجواهر : طنطاوى جوهرى ج ١٠ ص ١٩٨-١٩٩

(٢) سورة البقرة : من الآية ٢٩

سبعاً أم ألفاً ، فذلك كله من فعل الله دال على جماله وكماله وهو تجلياته وأنواره المشرقة المتلألئة الفائضة من مقام القدس الأعلى متنزلة في العوالم ، وكل كوكب من الكواكب الجارية له مدار خاص به ، وكل شمس من الشمس التي ذكرناها لها مدار خاص وسياراتها كذلك ، والله هو الفاعل المختار مفيض الخيرات والجمال والحسن والاشراق . قال الامام الغزالي : في كتاب (تهافت الفلاسفة) .

(اذا ثبت حدوث العالم ، فسواء أكان كرة أو مثنياً أو سدساً وسواء أكانت السموات وما تحتها ثلاث عشرة طبقة كما قالوا أو أقل أو أكثر ، فنسبة النظر فيه الى البحث الالهي كنسبة النظر الى طبقات البصلة وعددها وعدد حب الرمان ، فالمقصود كونها من فعل الله فقط كيفما كانت) .

أقول : اياك أن يصدك أيها الفطن لفظ سبع عن البحث والتنقيب ، فالعدد ليس بقيد وانظر الى هذا الجمال ، ولا تكن من الخائفين الجبناء الذين يظنون أن هذا ينافي القرآن ، أو تكون من المساكين الذين يلحدون ويكفرون لسماع مثل هذا اللفظ ، وذلك لسخافة عقولهم ، وقلة علمهم ، وهذان الفريقان من الذين قال الله فيهم (يضل به كثيراً) فقال صاحبي اذن أنت تؤيد المذهب الحديث ، فقلت له حاشا لله أن يؤيد حديثاً أو قديماً ، وانما القرآن طبقناه على المذهب القديم ، ثم ظهر بطلان ذلك المذهب وجاء الحديث ، فوجدناه أقرب اليه ، والآن فهو أعلى منهما وأعظم ، وما يدرينا أن يكون هناك مذاهب ستحدث في المستقبل ، فهل القرآن كرة طرحت بصوالجة ، يتلقفها رجل رجل كلا انما هذا التطبيق الذي ذكرته ليطمئن قلب المسلم ، وليعلم أن عمل الله

وصنعه لا ينافى كلامه، فالتطبيق للاطمئنان .

فقال : ولم كان المذهب الحديث أقرب الى القرآن ؟ قلت
أولا : جاء فى القرآن " ويخلق ما لا تعلمون " والمذهب الحديث
أرانا سعة مخلوقاته وأنها لا تدرك .
ثانيا : كان القدماء يقولون : الكواكب والأفلاك لا تفنى ، والرأى
الحديث يقول : أن الكواكب تتجدد وتفنى كالانسان والحيوان .
وقالوا انهم رصدوا كواكب لا تزال فى طور التكون ، وذكروا
منها نحو ستين ألفا وأن كواكب قد فنىت يقول الله (يوم تبدل
الأرض غير الأرض والسموات " ومنها ذلك الكواكب الذى بين
المشتري والمريخ ، وصار كواكب صغيرة جدا ، فهذا أقرب
الى القرآن لقوله تعالى " كل من عليها فان ويبقى وجه ربك
ذو الجلال والاکرام) .

فقال صاحبي : ما ملخص ما مضى ؟ فقلت

أولا : أن السماء يراها الناس واحدة .
ثانيا : أن الدين جعلها سبعة ، والفلاسفة جعلوها تسعة :
ثالثا : المسلمون القدماء جعلوا سبعة منها سموات ، والكرسى والعرش:
هما الفلكان الباقيان اتباعا للفلسفة القديمة ، وانجيل برنابا
تبعها ، فقال تسع سموات ، والمذهب القديم أبطل فبطل
تبعها له ما جاء فى انجيل برنابا وما جاء عن العلماء
الذين صدقوه من المسلمين .

رابعا : أن المذهب الحديث أبان أن عظمة الله فوق ما ذكره القدماء ،
وأصبح ما كان عند القدماء بالنسبة للعلم الحديث أشبه بذرة
بالنسبة للأرض والجبال والبحار ، بل أقل كثيرا جدا .

خامسا: العالم لا فراغ فيه ، فالسماوات موجودة فعلا ببراهين
القدماء والمحدثين .

سادسا: وهى سبع سموات وذلك حق لأنها طباق بعضها فوق
بعض .

سابعا: المذهب الحديث يثبت فناء العالم ، وفناء الكواكب ، وهو
موافق للقرآن فهو معجزة له .

ثامنا : أن ما قلناه ليس القصد منه أن يخضع القرآن للمباحث ،
فانه ربما يبطل المذهب الحديث كما بطل القديم ، فالقرآن
فوق الجميع ، وانما التطبيق ليأنس المؤمنون بالعلم ولا ينفروا
منه لمخالفته لألفاظ القرآن فى نظرهم .

فقال صاحبي قد أفدت افادة تامة ، ولم يبق عندى الا سؤال
واحد ، وهو لم عبر الله بسبع سموات ولم يعبر بسماء واحدة مع
أن الناس لم يروا غيرها ؟

قلت : اعلم أن الله لو ذكر سماء واحدة لوقفت عقول المسلمين
عليها ، ولم يبحثوا عن غيرها ، ولكنهم لما سمعوها أخذوا يقرءون
فلسفة اليونان ، ثم قرأنا الفلسفة الحديثة ، فعرفنا نعمة الله وحكمته ،
والتعبير بالسبع امتحان وابتلاء من الله لأنها تحير عقول الباحثين ،
فمن كان مريض النفس ، صغير العقل ، ضئيل الفكر جبن وجزع وخاف .
وقال : انى أخاف الله رب العالمين ، فلا يبحث فى العوالم ، ويظن
أن الله يغضب على من بحث من المؤمنين فى جمال جلاله ، ومن
قويت عزيمته ، وعلت همته ، وارتقت نفسه ، فانه يبحث ويعرف فعل
الله عز وجل ، ويقول فى نفسه : ان هذا فعل الله ، وأنا أقرأ
كلامه ، وكلاهما دال عليه وقوله لا يناقض فعله الا عند الجاهلين .

أما أنا فاني أبحث صنعته ، وبعد ذلك أطبقها على كلامه بهذا فليرتق المسلمون وليتعلموا ، فكم من ذكي مسلم قرأ العلوم الحديثة وكفر بالدين ظانا أنه نال من العلم ما جهله الأنبياء ، وكم من غبيّ مسلم اطلع على هذه المباحث فنفر منها لاعتقاده أنها تنافي الدين (والحق أقول) ان قليلا من الأذكياء المسلمين من يصدقون بالدين مع العلوم ، وأكثر المصدقين بالدين من الجهلاء وعلماء الدين . أما أكثر المتعلمين العصريين ، فانهم يقولون : الدين شيء والعلوم شيء . (١)

هذا ما قاله الجوهري والذي يظهر لي أن الذي دعاه الى انكار مدلول العدد " سبع " أنه أخطأ في التفريق بين السموات والأفلاك - وغريب منه هذا - وظن أن لا فرق بينهما ووجد أن القرآن ينص على لفظ سبع عدة مرات في آيات متعددة من سور متفرقة ورأى مرة أخرى أن علماء الهيئة الجديده يذكرون من الأفلاك ما هو أكثر من ذلك . فوجد نفسه مضطرا لالغاء مفهوم العدد في القرآن ؟ ! ولو تأمل في آيات القرآن الكريم التي بينت عدد السموات لوجدها تذكر ذلك بأساليب مختلفة " ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات " (٢) " تسبح له السموات السبع " (٣) " ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق " (٤) " قل من رب السموات السبع " (٥) " فقضاهن سبع سموات " (٦) " الله الذي خلق سبع سموات " (٧) " الذي خلق سبع سموات طباقا " (٨) " وبيننا فوقكم سبعا شدادا " (٩) " ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا " (١٠) .

(١) الجواهر: طنطاوى الجوهري ج ١ ص ٥٠-٥١
(٢) سورة البقرة من الآية ٢٩ (٣) سورة الاسراء من الآية ٤٤
(٤) سورة المؤمنين من الآية ١٧ (٥) سورة المؤمنون من الآية ٨٦
(٦) سورة فصلت من الآية ١٢ (٧) سورة الطلاق من الآية ١٢
(٨) سورة الملك من الآية ٣ (٩) سورة النبأ سورة ١٢
(١٠) سورة نوح من الآية ١٥

ان اتفاق ونص هذه الآيات القرآنية كلها على سبع لا يصح أبدا أن يقال فيه لا مدلول له . وعلى هذا فلا يصح أن يترك أو يؤل نص القرآن هذا التأويل الباطل لأن العلم الحديث عجز عن ادراك هذه السموات فما زال علم الفلك يحبو في الدرجات الدنيا فالحذر الحذر من صرف معانى القرآن الكريم عن معانيها لأجل نظريات ما زالت قاصرة أو من أجل فهم خاطئ . لمدلول آية ومدلول نظريه .

ثم ان الحديث هنا حديث عن أمر غيبي لا ندعه لمثل هذه المفاهيم القاصره ، والنظريات البدائية .

وما تحت الثرى :

فى تفسير قوله تعالى " له ما فى السموات وما فى الأرض ، وما بينهما وما تحت الثرى " (١) ذكر طنطاوى أن قوله تعالى وما تحت الثرى تحريض للمسلمين على دراسة علوم المصريين التى تظهر الآن تحت الثرى ، وأن الأمم الأوروبية اليوم تقرأ علما يسمى (علم الآثار المصرية) وقال غير هذا واليك نص تفسيره : -

" لما ذكر العرش والاستواء عليه أخذ يشرح العوالم التى استولى عليها فبدأ بأهمها وهى السموات بخلاف انزال القرآن فانه من عالم أعلى الى عالم أدنى كما تقدم ثم ثنى بالأرض لأنها أدنى منزلة ، فمقام تعداد الممالك غير بيان المكان الذى أنزل القرآن لأهله وقوله " وما بينهما " دخل فى ذلك عوالم السحاب والكهرياء وجميع العلم المسمى (الآثار العلويه) وهو من علوم الطبيعَة

(١) سورة طه : الآية : ٦

قدیما وحدیثا وقوله " وما تحت الثرى " یشیر لعلمین لم یعرفنا
الآ فی زماننا وهما علم طبقات الأرض المتقدم مرارا فی هذا التفسیر
وعلم الآثار المتقدم بعضه فی سورة یونس والآتی بعضه فی سورة سبأ
وأن قوله هناك " یعلم ما یلج فی الأرض وما یرج منها " یشیرالی ما
ظهر فی بلاد الیمن (١) الی تشتمل علی (سبأ) فقد ظهرت
هناك نقوش ومدائن لم تكن معروفة من قبل ، وظهر (سد العرم)
وسیأتی رسمه ، كل ذلك والمسلمون لا علم لهم بذلك مع أنه فی
بلادهم وعلی مقربة منهم . فالله هنا یقول (وما تحت الثرى) ،
لیحرص المسلمین علی دراسة علوم المصریین الی تظهر الآن تحت
الثرى المذكورین فی هذه السورة ، وأن سحرتهم شهدوا بصدق النبوة
الموسومة لأنهم وجدوا علما فوق علمهم وهو علم النبوة فجدير بعلموم
هؤلاء أن تدرس وتعلم لهذا كله قال (وما تحت الثرى) (١) .

واعلم أن الأمم الأورویة الیوم یقرؤون علما یسمى (علم الآثار
المصریة) فهو فن خاص وقد انتشرت الآثار هناك فی زماننا ویسمى
(بعلم الاجیتلوجی) " (١) .

ان هذا التفسیر مثل ما سبقه من تفاسیر لا یحتاج الأمر فیه
الی تتبعه بالنقد فكل من أوتی حظا من الفهم یدرك فیه بعض
هذه المعانی عن آیات القرآن الکریم كتفسیر لها ، .

تفسیر الفاتحة :

وأحیانا كثیرة یدخل الشیخ طنطاوی الجوهری فی تفسیر
السورة من العلوم ما لا یعقل ویحملها ما لا یحتمل لا أحسبه

(١) الجواهر : طنطاوی جوهری ج ٩ ص ٦٦

يورده كتفسير أو يقصده كذلك وانما استطرادا فى الحديث واستشهادا وهو ولا شك عندى أنه أمر غير محمود لكنه أقل خطرا من ايراد كفسير للآية .

ومن السور التى أدخل فيها الشيخ طنطازى جوهرى هذه العلوم أول سور القرآن الكريم أعنى سورة الفاتحة واليك بعض - أكرر بعض - ما أدخل فيها ، قال : -

" نزلت هذه السورة لتعليم العباد : كيف يتبركون باسم الله عز وجل فى سائر أحوالهم ، وكيف يحمدونه ويستعينون به ؟ فيتدىء القارئ قائلًا : أقرأ متبركا باسم الله الرحمن المنعم بجلال النعم : كالسماوات والأرض والصحة والعقل ، الرحيم المنعم بدقائقها ، كسواد العين ، وتلاصق شعرات أهدابها المانعات من دخول الغبار المؤذى لها ، مع أن النور يلمع من خلالها ، وينقل صور المرئيات الى حدقتها . فشبكيتها ، فالدماغ ، فهذه الدقة فى الصنع والحكمة فى الوضع التى أباحت لضوء الشمس والكواكب مثلا أن يلج ومنعت الغبار أن يدخل يعبر عنها بلفظ ، الرحيم تتيما للنعمة ، وتكميلا للهناء والسعادة .

ولما كان أكثر الناس لا يلحظون العجائب الكامنة فيهم ، ولا يعرف نفسه الا قليل منهم ، وهم أكابر الحكماء والأولياء ، وجب أن أبين فى هذا المقام بعض رحمة الله عز وجل فى العالم المشاهد : فمنها ما أشار اليه (العلامة الأستاذ ميلن ادوارد : أن حيوانا يسمى اكسلوكوب) يعيش منفردا فى فصل الربيع ، ومتى باض مات حالا ، فمن رحمة الله وجميل صنعه ، ورأفته بالخلق أن ألهم هذا الحيوان ان يبنى بيتا قبل أن يبيض على منوال ما كانت تفعله عاد

من اتخاذ البيوت بالحفر ، ولكن هذا فى خشب ، وأولئك فى صخره ، فيعمد ذلك الحيوان الى قطعة من الخشب ، فيحفر فيها حفرة مستطيلة ، ثم يجلب طلع الأزهار وبعض الأوراق السكرية ويحشو بها ذلك السرداب ، ثم يبيض على ذلك بيضة ، ثم يأتى بنشارة الخشب ويجعلها عجينة ، ويجعل منها سقفا لذلك السرداب ، والحكمة فى ذلك : أن هذه البيضة متى فقسست وخرجت الدودة كفاها ذلك الطعام سنة ، وهى المدة التى لا تستطيع تلك الدودة أن تحصل فيها قوتها ، ومتى أتم الحيوان ذلك صنع سردابا آخر فوقه على هذا المنوال ، وهكذا يضع جملة أدوار ، فانظر كيف شملت الرحمة ما خلق وما لم يخلق ، فان ذلك الطعام المخزون فى السرداب رحمة ألهمها ذلك الحيوان من الحشرات لولده الذى سيخلق .

(ومن هذه العجائب) ما شاهدته العلماء الباحثون فى أمر النحل والنمل والعنكبوت (فأما النحل) فتعجب كيف جعل الرحمن الرحيم له سبلا مذلة ، فانه متى فتح زهرة أول النهار ليمتص رحيقها المختوم ويرجع به الى الخلية فيضعه فيها ، يلهم أن لا يفتح زهرة فى ذلك اليوم ، الا ما كان من جنس تلك الزهرة لرحمة النحل ورحمة الناس ، أما رحمة النحل ، فانه لا يعوزه أن يحتال فى فتح زهرات أخرى من نوع آخر ، فيطول عناؤه ، وأما رحمة الناس : فان ما يعلق برجلى النحلة من حبوب طلع الذكور من النبات ، اذا وصل الى زهرة أنثى علق بها من ذلك الطلع بعضه فأثمر ذلك النبات لحصول الالتاق بهذه الرحمة العجيبة .

(وأما النمل) فمن عجائب الرحمة الخاصة به : أن الله خلق له حشرة تسمى (افس) باللسان الفرنجى ، يحاربها النمل

ويغلبها ، ومتى غلبها أخذ يستولدها ويربيها ويسيمها فى ورق الورد
ومتى أكلت وشبعت أقبل النمل عليها وامتنص منها مادة حلوة . فكأنه
بقرله يشرب لبنه .

(وأما العنكبوت) فانها ألهمت النسج البديع بهندسة فاقت
هندسة الانسان ، وعلل ذلك العلماء بقولهم : ان هندسته الهية
وهندسة الانسان بتعليم البشر ، فلذلك يغلط الانسان ، ولا يغلط
العنكبوت فى الهندسة . ولما كان بيت العنكبوت أضعف بيت ألهمها
الله أن تبحث عن صمغ وغراء من أماكنها وأشجارها وتلطخ بها
خيوطها التى نسجتها فتكسيها لزوجة ، فلذلك لا تمزقها الرياح
اذا فاجأتها ، ولا الأعاصير اذا ساورتها ، واذا مر بها الذباب
التقطته بمادتها اللزجة .

فانظر الى آثار رحمة الله : كيف كانت المادة الصمغية
صائنة بيت العنكبوت الضعيف من التمزيق اذا هبت الزعازع ، واهتاجت
الأعاصير مع أنها قد تقتلع الأشجار وتخرّب المساكن ، ثم تكون شبكة
صائد وحيلة محتال ، هذه هى الرحمة والحكمة . (١)
وهكذا ألهم الله الأنبياء وأوحى اليهم أن يعلموا العباد
كيف يتبركون باسم الله فى أول أعمالهم ، كالقراءة والأكل ذاكرين ربهم
ورحمته الواسعة التى عمت سائر العوالم ، فيمتلىء قلب العبد ايقانا
بالرحمة ، واستبشارا بالنعمة ، وفرحا برحمة الرحمن الرحيم " (٢) .

ولسنا نحن الذى نشعر بتحميله لهذه السوره وغيرها ما لا

(١) ستري عجائب وصورا شتى فى سورة النحل والنمل والعنكبوت (الجوهري)

(٢) الجواهر : طنطاوى جوهري ج ١ ص ٣ - ٥

تحتمل من المعانى بل هو نفسه يدرك ذلك فيوجه لنفسه سؤالا عن ذلك قائلا " لعلك تقول ما لى أراك تحمل الفاتحة ما لا تحتمل وتدخل فيها من العلوم ما لا يعقل " ويجيب على هذا السؤال بما خلاصته أنه لا يلزم أن يلحظ كل قارئ للقرآن تلك المعانى فيه وضرب لذلك مثلا : كفلاح ركب دابته ومعه ولده الصغير واتجه الى حقله فرأى مهندسا للرى وعالما للطبيعة وحكيما ، وذكر أن كل واحد من هؤلاء تختلف نظرتة الى الحقل علوا وانخفاضا ، وأن الأمر فى القرآن الكريم كذلك تختلف نظرات قرائه اليه ومداركهم فيه . (١)

ولا شك أن هذا جواب غير مقنع ذلكم أن القرآن الكريم أنزل لهداية الناس لا ليكون موسوعة علمية يحشر فيها كل ما هب ودب من النظريات والعلوم ويكفيه هنا وفى غيره من المواضع أن يشير اليها اشارة من غير استيعاب لها ، ويصرف اهتمامه الى مفهومها اللغوى ومدلولاتها الشرعية وحسبه وحسبنا هذا .

الحياة :

والحياة حياة النبات وحياة الحيوان تناولها الفلاسفة والعلماء فى القديم والحديث بحثوا ونقبوا عن سرها وعن أصلها وما زالت العلوم تتجدد وما زال السؤال قائما ما سر الحياة وما زالوا يعدونها لغزا .

وقد تعرض طنطاوى جوهرى لهذه الحياة ومادتها الأولى وذلك عند تفسيره لقوله تعالى " ومن آياته انك ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت " (٢) وقوله " اليه يرد علم الساعة

(١) المرجع السابق : ج ١ ص ١٦ - ١٧

(٢) سورة فصلت : من الآية ٢٩

وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع الا .
بعلمه " (١) حيث عقد فصولا طويلا بعناوين عديدة فمنها : -

كيف بدأت الحياة :

بدأت الحياة بمادة هلامية في قعر البحر كشفها العلماء
وسموها (بروتوبلازما) وهى مادة رخوة لزجة تصيب كل الأشكال
بسهولة ، ومتى تكاثفت كانت منها (حويصلات) جمع حويصلة ويقال
لها (القلالي) فالحويصلة الواحدة تنقسم الى قسمين وكل قسم الى
قسمين وتصبح هذه الحويصلات الجديدة متمتعة بحياة ونمو كالحويصلة
الأولى ، والأسهل أن نسميها بيضا جمع بيضة كبيضة الدجاجة
تسهيلا للفهم ، فكل نبات وكل حيوان وكل انسان فى الأصل بيضة
واحدة تنقسم الى قسمين كل منهما يصير بيضة وهكذا هاتان تنقسمان
ويطرد الانقسام ويصبح كل قسم بيضة كاملة تامة الحياة تتغذى بغذاء
خاص ، فكل نبات تراه وكل انسان تراه وأنا وأنت أجسامنا عبارة
عن بيضة انفلقت فصارت بيضتين كل منهما كالأولى وهكذا ، وفى
أثناء الانقسام صار لنا العين والأذن والقلب والشعر وصار للنبات
الزهر والورق والثمرات وصار للحيوان الناب والظلف والظفر والقرن
والأرجل وهكذا . هذه صورة الحياة على وجه الأرض .

صورة ارتقاء الحياة على الأرض :

ان الحياة على وجه الأرض سلسلة غير منقطعة كما قال الله
تعالى - ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت - فالنبات عبارة عن
البروتوبلازما وقد تكونت فصارت بيضة فاجتمعت البيضات فكان النبات

(١) سورة فصلت : من الآية ٤٧

والنبات يولد ويحيا ويموت ويتغذى ويتناسل وهو محتاج الى النور والحرارة والماء وتقتله المواد السامة ويتنفس وفي بعض أنواعه احساس ثم أن النبات من أعلاه متصل بالحيوان فان نوع الذوفيت يربط بين الحيوان بالنبات فهو على شكل النبات لتثبته بالأرض ولكنه حيوان ، ويليه الاخطبوط الهلامي وهو لا يمتاز عن النبات الا بإمكان التنقل وله معدة وبعض ظواهر الأعصاب وليس له نظر ولا شم ولا سمع . ويعد ذلك الديدان وهو أقوى وأقدر وأكمل أعضاء من الاخطبوط . ثم الحلزون والبزاق وذوات الأصداف التي ليس لها فقرات . ثم الحيوانات القشرية التي لها قشر كسرطان البحر . ثم عقرب البر وله سمع وبصر وله أعصاب عقدية . وتلك الأعصاب تكون حركة الغذاء ودورة الدم . ثم ذوات الفقرات كالسمك وله دماغ ونخاع شوكي . ثم الدبابات الأرضية . ثم الطيور وأنثاها تبيض . ثم ذوات الثدييين ومنها ذوات الكيس وهي تحمل فيها صغارها وهي توجد الآن في استراليا . وهكذا ترتقى الحيوانات حتى تصل الى قرد ثم الانسان .

فهذه هي السلسلة التي نظمها الله عز وجل من أدنى الى أعلى . فبينما تكون الحياة مادة رخوة في البحر اذا هي قد ارتقت في النبات من أدناه مرتقية الى أعلاه . وفي الحيوان الأدنى مما يلي النبات وترتقى فيه الى أعلاه حتى تصل الى الانسان . ومعنى هذا أن هذه العوالم أشبه بعقد منظم موضوعة خرزاته بنظام مهندم وليس معنى هذا أن كل خرزة ولدت الخرزة التي بعدها بل معناه ان الذي نظم هذا أحسن صنعه ولم يدع في العقد موضعا خاليا فأما كون هذه الخرزة قد انتجت ما بعدها فليس ذلك معلوما بل

قال به قوم ولم يقم الدليل عليه الآن ، وهذا لا يهم الباحث انما المهم النظام والجمال .

خلق الانسان :

وهنا وصلنا الى مقصودنا من تفسير الآيات ، فها أنت ذا اطلعت على نظام النبات اجمالا وكذا الحيوان وانظر قوله تعالى - وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه - ألسنت ترى أن الأكمام التي على الشجر والحمل الذي فى رحم المرأة عبارة عن تلك المادة الهلامية مضاعفة أضعافا مجتمعة ، فتأمل كيف كان اجتماع تلك البيضات التي لا عدد لها منتهيها بفوائد متحدة أى كيف كانت نتائج الأشكال النباتية ملائمة لنتائج الأشكال الحيوانية وأنها مناسبة لها غذاء ودواء . ثم كيف كان هذا الانسان اذ كان أرقاها يود أن يستولى عليها عقليا وعمليا ، فهو مغرم بمعرفة كل نبات وحيوان ويحوز كل منهما . اذن أنظر فى تركيبه فى بطن أمه . أنظر كيف كان خلقه تدريجيا لا طفرة . يقول الله تعالى - اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الانسان من علق - وانظر كيف رأى العلماء انه يكون دودة صغيرة وهى العلقة المذكورة ثم حلزونة ثم سمكة ثم ذبابة ثم قردا ثم يتوارى ذنبه ويصير انسانا . الدودة والحلزونة والسمكة والذبابة والقرد هى التى أشار لها الله تعالى فقال : - ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة - أى مسوّاه وغير مسوّاه ، فما قبل الانسانية هى غير المسوّاة ، والانسانية هى المسوّاة ، واعلم أن هذه الصورة التى رآها العلماء ليست يقينية بل هى تخمينية (انظر هذا المقام فى سورة آل عمران) .

وانما المهم فى هذا المقام أن نفكر فى أمر حياتنا فانها فى أول -

أمرها بيضة تصلح للنبات والحيوان ثم ترتقى فتصير حيوانا ثم تصير
انسانا .

هذا درس ألقاه الله الينا . يقول لنا : أنا لم أخلقكم
لأهينكم بل أنا أرقىكم . ففي أمد قصير ارتقيتم فى بطون أمهاتكم
درجات كثيرة وهى النباتية والحيوانية . فاذا عثتم على وجه الأرض
رأيتم الحيوان خاضعا لكم . ثم أنزلت عليكم علوما وقلت لكم ان لى
ملائكة ولى عرش وعالم أرواح وبعث الى آخره . فاذا متم فاعلموا
أن العوالم التى تصلون اليها عظيمة جدا لا تقاس بعالمكم . فالى
يرد علم الساعة لا غيرى لأنها عوالم لا تعقلونها لأنكم لم تروها
ولا تدركون زمانها اذ جعلته مجهولا عندكم لحكمة أردتها ونعمة
قصدها . ألا وأن خروجكم من أجسامكم الأرضية كخروج الثمر من
أكمامه والولد من بطن أمه . فكلاهما نتيجة لما خرج منه وقد انتهى
الى عوالم لم تعطر بباله فهل كان التفاح يشعر أنه يكون على موائد
الملوك أو كان الجنين فى بطن أمه يدور بخلده أنه يوما ما يكون
ذا ملك عظيم ويذهب ويجىء فى الأرض ويركب الخيل ويدبر الأمور .
هكذا حياتكم بعد موتكم تكون فى عالم نسبته الى أرضكم كنسبة الدنيا
الى بطن الأم .

هذا اذا كانت النفوس عظيمة . فأما النفوس الضعيفة فانها
تكون هناك عمياء أشبه بالطفل الأعمى الأصم فى الأرض فتكون السعة
هناك على مقدار درجات الأرواح العائشات هناك . والحمد لله رب
العالمين . (١)

وهل تفسيره هذا لسر الحياة وتسلسل خلق الانسان بحاجة
الى تعليق ، لا أظن الحقيقة التى تجسدت فيما تناولناه من تفاسيره

(١) الجواهر: طنطاوى جوهرى ج ١٩ ص ٩٨-١٠١

وأثبتت رفض هذه التفاسير كتفسير للقرآن أو مجرد ذكرها بهذه الافاضة عند الحديث عن آيات القرآن . لا أظنها بحاجة الى مزيد بيان ، اذا فالحق فى الموقف من هذه التفاسير ونحوها أحسبه بين واضح .

تصريف الرياح :

أما تصريف الرياح فى قوله تعالى " واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون " (١)

فقد زاده شرحا فى هذا الموضع اضافة الى ما أدخله من علوم فى الآيات السابقة التى تعرضت لذكر الرياح فقال فى تفسير هذه الآية :-

" قد مر الكلام على الرياح فى تفسير سورة الحجر ، وهو مفصل أيضا فى سورة الأعراف ، فترى هناك كيف كانت الرياح تمر بين استراليا والهند والصين ، ولا بد من ايضاح المقام هنا ليعجب المسلمون من عجائب تدبير الله تعالى .

(٢) أنظر أيها الذكى الى الشمس فى سيرها كما تراه فى الجدول ، وكيف انتقلت فى البروج ، وانظر آثارها ، آثارها هى الحرارة بالقرب ، والبرودة بالبعد ، فيا سبحان الله : حرارة بقربها وبرودة ببعدها يكون بهما نظام أرضنا . وكيف يتم النظام الا اذا كان ذلك بحساب ها أنت ذا رأيت الحساب ، فانظر الآن الى الأرض عند خط الاستواء ، ألم تر أن الشمس هناك شديدة الحرارة ، انها تلح دائما

(١) سورة الجاثية : الآية ٥

(٢) انظر الى الجدول فى الصفحة التالية .

جدول في الفصول

ويبان الزيادة والنقص في الليل والنهار من السرجات كل يوم مع بيان البروج وتدخُلها في الشهور القبطية وتدخل في الشهور القبطية في الشهور السريانية الممتدة الموافقة للشهور الرومية ، وذكر المنازل وطلوعها بالفجر محسوبة بالشهور القبطية ، وأعلم أن هذا الجدول يفهم للتاريخ على وجه التقريب عدد ساعات النهار والليل ودقاتها في كل فصل للسن ، فهو نتيجة إجمالية دهرية ، وأعلم أن كل مقدار تقصه النهار زاده ليله وبالعكس

الشمس والرياح في الليل والنهار	الشمس والرياح في النهار	الشمس القبطية للسرجة	الشمس الرومية للسرجة	عدد الأيام	شهور الروم القبطية بالسرجة	عدد الأيام	النوازل	ملازمها بالشمس
ينقص النهار نصف درجة	الميزان	١٤ من	٢٦ آب	٣١	أغست	٣١	السرطان	١٣ برمودة
تلك درجة	التقرب	١٥ من	٢٨ ابول	٣٠	سبتمبر	٣٠	الذئب	٦ بنفس
تسديس درجة	القوس	١٤ من	٢٨ تشرين الأول	٣١	اكتوبر	٣١	الذئب	١٩ بنفس
يزيد النهار تسديس درجة	الجدي	١٤ من	٢٧ تشرين الثاني	٣٠	نوفمبر	٣٠	الدبران	٢ بزونه
تلك درجة	العقرب	١٣ من	٢٧ كانون الأول	٣١	ديسمبر	٣١	المقصد	١٥ د
نصف درجة	الحوت	١٣ من	٢٦ كانون الثاني	٣١	يناير	٣١	الحصه	٢٨ د
يزيد النهار نصف درجة	الحمل	١٣ من	٢٥ شباط	٢٨	فبراير	٢٨	القراع	١١ أبيب
تلك درجة	الثور	١٤ من	٢٧ آذار	٣١	مارس	٣١	التزه	٢٤ د
تسديس درجة	الجوزاء	١٤ من	٢٦ نيسان	٣٠	ابريل	٣٠	الطرفه	٧ مسرى
ينقص النهار تسديس درجة	السرطان	١٦ من	٢٦ ايار	٣١	مايو	٣١	الجبهة	٢٠ مسرى
تلك درجة	الأسد	١٧ من	٢٥ حزيران	٣٠	يونيو	٣٠	الخرتان	٤ نسيه
نصف درجة	السنبه	١٩ من	٢٥ تموز	٣١	يوليو	٣١	العصره	١٢ توت
					الغواء		الغواء	٢٥ توت
					السمك		السمك	٨ بايه
					الغفر		الغفر	٢١ بايه
					الزيانان		الزيانان	٤ حاتور
					اللاكيل		اللاكيل	١٧ د
					القلب		القلب	٢٠ د
					الشوله		الشوله	١٢ كيك
					الغايه		الغايه	٦ د
					البلده		البلده	٩ طويه
					سد القايح		سد القايح	٢٣ د
					سد بلع		سد بلع	١٥ أستير
					سد السود		سد السود	١٨ د
					سد الأخبية		سد الأخبية	أول برمها
					الفرغ المقدم		الفرغ المقدم	١٤ د
					الفرغ المؤخر		الفرغ المؤخر	٢٧ د
					بطن الحوت		بطن الحوت	١٠ برمودة

الفصول الأربعة

الحرارة

القساه

الرياح

الشمس

على تلك المنطقة ، فماذا يحصل ؟ يحصل أن الهواء يسخن جداً ومتى سخن علا في الجو وهذا العلو لا يد أن يصل الى غاية منتهاه لشدة الحرارة هناك بحيث لا يكون للهواء في الأرض علو فوق علوه ، ومتى وصل الى نهاية العلو قابل الطبقة الباردة) ثم تحدث عن نشوء الرياح وحركاتها وأسماءها وصفاتها الى أن قال :-

ألا تعجب مما ترى في هواء جهة خط الاستواء ارتفع بالحرارة فوصل الى الطبقة الباردة فحل محله من أسفله هواء من الجنوب والشمال فسار هو الى الجهتين حتى وصل الى قرب مدار السرطان والجدى فثقل فهوى الى الأرض لأنه وجد الجو أبرد فقابلته الحرارة فارتفع واتجه الى خط الاستواء بعضه والى الدائرتين القطبيتين البعض الآخر ، ولما وصل الى الدائرتين القطبيتين عمل معه مثل ما حصل له في خط الاستواء ارتفع الى أعلى وحل محله البارد الآتى من القطبين ، وهكذا تجد قارة آسيا اذا كان الحر في الصيف اتاها النسيم من البحر على شواطئها الجنوبية فكثرت الأمطار. واذا كان الشتاء برد جوها فحل محله النسيم البحرى الذى هو أقل كثافة فهب النسيم من نفس القارة الى البحار ، وهكذا نسيم البر والبحر فى كل مكان بالليل والنهار على هذه القاعدة يذهب نسيم البحر الى البر نهارا ونسيم البر الى البحر ليلا ، وكل هذه الرياح على قاعدة واحدة حرارة وبرودة " (١) .

بعض آراء العلماء فى هذا التفسير :

قلنا أن المؤلف نفسه يستشعر أحيانا كثيرة توسعه فى تفسير الآية فيطرح على نفسه سؤالا عن هذا الأمر ثم يجيب عليه وأحيانا

(١) الجواهر : طنطاوى جوهرى ج ٢١ ص ٥٦-٥٩

يطرح هذا الاعتراض صد يقه الذى يدارسه التفسير ، وأحيانا يكون من أحد العلماء أو غيرهم الذين يحضرون مجلسا من مجالسه وكثيرا ما يورد هذه الاعتراضات فى تفسيره ويرد عليها .

وحساسيته المفرطة من نقد تفسيره أو اتجاهه العلمى تظهر كثيرا بين ثنايا تفسيره وتتحلى بصور متعددة ، فهو حينما ينقده العلماء السابقين الذى فرطوا بهذا العلم ، وأحيانا يذم علماء المسلمين الذين أولوا ١٥٠ آية هى آيات الفقه - بحسابه - عناية كبيرة ولا يولون الآيات الكونية وهى - ٧٥٠ - آية - بحسابه مثل هذه العناية وأحيانا تظهر حساسيته هذه - بدعوته الملحة لسلوك هذا المنهج العلمى فى التفسير وأنه بهذا يرتقى المسلمون وأنه بهذا يكون نصرهم وفلاحهم . وأحيانا يذكر بعض ما يراه فى منامه بل وخياله وما يسميه الهاما ، من ثناء على تفسيره وطريقته فيه ويؤرقه كثيرا ان يذم تفسيره أو يمنع .

وقد سطر فى تفسيره الرسالة التى بعثها الى عبدالعزيز بن سعود ملك نجد والحجاز حينذاك حين منع تفسيره فى البلاد السعوديه ، ومن هذه الرسالة يدرك قارئها مدى تأثره النفسى لهذا القرار والتماسه السماح بتداول تفسيره ، وخاطب فى رسالته هذه المراقبين الذى منعوا كتابه مستنكرا بأى كتاب أم بأية سنة يدخل تفسيرى للقرآن جميع أقطار الاسلام شرقا وغربا وأكثرهم فى قبضة المستعمرين من غير ديننا وتوصد الأبواب دونه فى الحرمين الشريفين وسائر بلاد الحجاز ونجد وتصدون عن قرآته عموم المملكة السعودية وحجاج بيت الله الحرام من سائر الأقطار مع أنهم يقرأونه فى بلادهم أليس أهل نجد والحجاز أمس بنا رحما وأقرب منا نسبا ؟ أفليس هذا الصد اذا لم يكن بدليل يكون تقطيعا للأرحام ؟ أليست

هذه العلوم هي التي أوجبها القرآن في آخر سورة التوبة ؟ أوليست تراث أجدادنا الفاتحين ؟" (١)

وليست هذه المشاعر التي أحس بها من نفسه، ولا الاعتراضات من جلسائه ولا مصادرة كتابه ومنعه هي نهاية المطاف، فقد توالت الردود على تفسيره ونقده في تطرفه في هذا السبيل . وسأذكر هنا بعض ردود وآراء المعتدلين في الرد الذين يحسنون به ظنا ويثنون عليه في دينه وغيرته لكن هذا لا يمنعهم من نقد تفسيره وقول ما يرونه حقا .

فمن هؤلاء الشيخ محمد حسين الذهبي رحمه الله تعالى الذين قال بعد أن أورد بعض الأمثلة من تفسيره " هذا هو تفسير الجواهر، وهذه نماذج منه وضعتها أمام القارئ ليقف على مقدار تسلط هذه النزعة التفسيرية على قلم مؤلفه وقلبه .

والكتاب - كما ترى - موسوعه علميه ضربت في كل فن من فنون العلم بسهم وافر، مما جعل هذا التفسير يوصف بما وصف به تفسير الفخر الرازي، فقليل عنه (فيه كل شيء) إلا التفسير) بل هو أحق من تفسير الفخر بهذا الوصف وأولى به، وإذا دل الكتاب على شيء فهو أن المؤلف رحمه الله كان كثيرا ما يسبح في ملكوت السموات والأرض بفكره، ويطوف في نواح شتى من العلم بعقله وقلبه ليجلي للناس آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم، ثم ليظهر لهم بعد هذا كله أن القرآن قد جاء متضمنا لكل ما جاء ويجيء به الإنسان من علوم ونظريات، ولكل ما اشتمل عليه الكون من دلائل وأحداث، تحقيقا لقول الله تعالى في كتابه " وما فرطنا في الكتاب من شيء" (٢)

(١) الجواهر: طنطاوى جوهري ج ٢٥ ص ٢٤٥

(٢) سورة الانعام : من الآية ٣٨

ولكن هذا خروج بالقرآن عن قصده وانحراف به عن هدفه" (١)
أما الشيخ مصطفى محمد الحديدي الطير فقد ذكر أيضا بعض الأمثلة
من تفسيره ثم عقب عليها قائلا " في وسعنا بعد أن عرفنا نماذج مما كتبه ،
أن نسمى كتابه هذا جواهر العلوم ، لاجواهر التفسير ، فهو فسي واد ،
وتفسير القرآن في واد آخر " (٢)

وقال أيضا " وعلى الرغم من أن الشيخ رحمه الله كان رجلا تقيا على
ما عرفته فيه وجربته منه فانه كان ذا خيال خصيب وكان لهذا يخضع القرآن
لما يتخيله في معانيه بأفكاره العريضة ذات الآفاق البعيدة وان جانبها
الصواب غفر الله له ما قال عن حسن ظن مما خالف فيه ما ينبغي في تفسير
كتاب الله المجيد " (٣)

أما الدكتور عبد المجيد المحتسب فقال " والحق يقال - ان الشيخ
طنطاوي جوهرى - مع مخالفتنا اياه في مناه و نزعته بيد و حسن النية فيما
ذهب اليه فقد وجد أن السبيل التي سلكها تبعت الأمه الاسلاميه بعثا
جديدا في ميدان التقدم العلمى " (٤)

ثم علق الدكتور على قرار منع الكتاب ومصادرته في الحجاز ونجد فقال
" والحق يقال أن المانعين لهذا التفسير لاحظوا جنوح صاحبه بل ولوعه
الشديد باخضاع الآيات القرآنية وقهرها لكي تحمل الكثير من مسائل العلوم
الكونية . وهذا تعسف ظاهر وميل بالقرآن عن مقصده الأسمى ألا وهو
هداية البشر لما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة ، وان دل هذا المنع
على شيء فانما يدل على الورع وصيانة القرآن عن أن ينحرف أحد بتفسيره" (٥)

(١) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبي ج ٣ ص ١٨٣
(٢) اتجاه التفسير في العصر الحديث : مصطفى محمد الحديدي الطير

(٣) المرجع السابق : ص ٧٥

(٤) (٥) اتجاهات التفسير في العصر الراهن ص ٢٧٦ - ٢٧٧

أما الدكتور محمد ابراهيم شريف فقال " ومع توافر حسن النيه لدى طنطاوى جوهرى - فيما ذهب اليه من هذا الاتجاه العلمى فى التفسير حيث رأى أن السبيل التى سلكها تبعت فى الأمة الاسلاميه بعثا جديدا فى ميدان التقدم العلمى ، كما تدل عليه نداءاته وخطاباته للأمة الاسلاميه وعلمائها وفيضها بالغيره والاشفاق والاخلاص - مع ذلك قوبل تفسيره فى الأوساط الاسلاميه فى مصر والبلاد العربيه بالمعارضة والانكار فقبل عنه ما قيل عن غيره من قديم ان فيه كل شىء الا التفسير حيث يذكر من الفصول المطوله فى العلوم المختلفه ما يصد قارئه عما أنزل الله لأجله القرآن ، ونظر اليه على أنه مخدر للأمة وملهاة لها عن طريق التقدم الحقيقى بما يقدم لها ما يطمئنها الى أنها سبقت عصرها فى كل ما يتناول به الغرب من علوم حديثه " (١)

وقال أيضا " لقد كان تفسير الجواهر أول محاوله كامله فى الاتجاه العلمى فى التفسير حديثا ، ولم تخل هذه المحاوله من تعجل واندفاع فى أحضان بعض النظريات الجديده التى لم تستحكم طاقات فتلها ، ولم يتأكد بعد أنها حقائق ثابتة لا تقبل الجدل " (٢)

وقال " ومن هنا كانت بعض التجاوزات فى هذا التفسير مما يخضع فيه جوهرى لخياله الخصب خاصة فيما يتعلق بالأمر الغيبية كعالم الجن والشياطين واستحضار الأرواح والتنويم الصناعى والوقوع فى أسر بعض النظريات العلميه القديمه والحديثه والتورط فى النقل عن مصادره غير موثوق صحتها وأليست لها قيمة علميه أو دينية ككتب الأدب والأساطير والفلسفات والمذاهب القديمه والأناجيل وقد أسهب طنطاوى فى ذلك كثيرا

(١) (٢) اتجاهات التجديد فى تفسير القرآن الكريم فى مصر : د / محمد ابراهيم الشريف ص ٢٠٩ و ٢١١

كما أسهب في بيان كثير من العلوم المختلفة التي تشير إليها الآيات الكونية والعلمية حتى جاوز حدود معانيها ، ولم يحاول الجمع بينها فحفي بذلك كثير من حقيقه ومقدار العلم المنزل فيها .

ولكن من الحق أن نقول ان طنطاوى في محاولته المبكره هذه قد وضع بعض الملاحظات الهامة والقواعد التي تحكم تفسيره في هذه الناحية ، كما وضع بعض القواعد المنهجية الخاصة به والتي تتيح لقارىء تفسيره التعرف على مضمون الآيات مع عدم التعرض لتفصيلات العلوم المرتبطه بها ، ومن حق هذا التفسير الذى هوجم كثيرا بحق وبغير حق أن نسجل هذه الملاحظات والقواعد (١)

ثم ذكر أن الملاحظات تأتي في شكل حوار مع صديق له يسأله ويجيبه بما يرفع ظنونه وشكوكه في مسلك التفسير واتجاهه العلمى .

وذكر أن أظهر ما اختص به هنا جانبان : الأول تفسيره لآيات القرآن الكريم تفسيراً لفظياً مختصراً باستطاعه القارىء للتفسير أن يتعرف على هذه المعانى دون متابعة البحوث المستفيضة ، والثانى أنه يقسم السورة الى أجزاء متعددة يتناولها جزءاً جزءاً (٢)

هذه بعض آراء العلماء المعاصرين فى هذا التفسير .

رأى فى هذا التفسير :

وان كان لى من رأى فى هذا التفسير فهو لا يخرج عن ما ذكرت من الآراء فيه لكن يجب أن أنبه الى ملاحظة تمر هنا وتمر فى مواضع أخرى

(١) المرجع السابق : ص ٧١٢

(٢) المرجع السابق : ص ٧١٣ - ٧١٥

أني وأولئك العلماء الأفاضل الذين ذكرت رأيهم في تفسير الجواهر —
كلنا ندرس ونحكم على التفسير لعلنا نرى رباطاً وشيخاً
بين ذكر حسن الظن بالمؤلف أو عدمه ذلكم أن حسن الظن قاصر على صاحبه
ونحن لانحكم على صاحبه إذ أمره إلى الله الذي يعلم السر وأخفى وإنما
نحكم على التفسير الذي لا أثر لصحته أو عدمها بحسن نية صاحبه أو سوءها
وهو أمر دقيق ، فكوني أحسن الظن بالمؤلف رحمه الله لا يعني أن أحسن
الظن بتفسيره وأحكم له بالسلامة والبراءة والعكس بالعكس وهو أمر لم يفت
على من ذكرت آراءهم لكني أحببت التنبيه إليه .

وعلى هذا فأني أرى بعض النظر عن حسن الظن بالمؤلف — مع
حسنه عندي — أن تفسيره خاطيء انحرف عن جادة الصواب في تفسير
القرآن الكريم ، انحرافاً لا يقبله ذو الذوق السليم فضلاً عن الخبير بشروط
التفسير .

ولا شك أن تحميل هذه الفصوص القرآنية مالا تحتل وادخال العلوم
والنظريات التي لم يستقر قرارها ، والصور الشمسية للبشر والحيوانات بين
شنايا صفحات التفسير ، وتلك الأوهام والخرافات التي يتخيلها في خياله
الواسع حتى يتمثل أشخاص الخيال ذات أجساد واقفه أمامه وينسلخ حيناً
من عالم الأجساد إلى ما يسميه عالم الأرواح ، وادخاله تلك المنامات
التي يراها في منامه ، أو تلك الأوهام التي يسميها الهاماً كل هذا وذاك
لا يقبل في تفسير القرآن الكريم .

فعلينا وإن أحسننا الظن به ان نعلن ونحذر من هذا التفسير وأمثاله
ولو كان كتبها مستقلة عن آيات القرآن الكريم لكان له وجه من القبول ، أما
والحالة هذه فاني لا أرى له وجهاً .

غفر الله للمؤلف ورحمه ، ووفق الله المسلمين لما فيه الحق والخير
في حياتهم الدنيا والآخرة انه سميع مجيب .
هذا ما أحببت قوله عن هذا التفسير وانما أطلت فيه لعدة أسباب
أهمها أنه أول تفسير علمي شامل لآيات القرآن الكريم في العصر الحديث
واضافة الى أنه من أوائل التفاسير عامه في هذا القرن ، وفوق هذا وذاك
هو أشهر وأوفى كتب التفسير العلمي فكان حقه وحق هذه الدراسة
الاستيفاء .

ومن هنا فأنى سألتزم الاختصار غايته في عرض الكتب التالية التي
اخترتها كنماذج للتفسير العلمي في العصر الحديث .

ثانيا : كشف الاسرار النورانية القرآنية

أولا : المؤلف :

هو محمد بن أحمد الاسكندراني ثم الدمشقي ، أحد علماء الطب
في دمشق ، عمل في العسكرية البحرية في مصر الى سنة ١٢٥٦ ثم رحل
الى دمشق حيث تولى رئاسة أطباء الجيش الى سنة ١٢٥٨ ، وعمل طبيا
للحكومة في مستشفى الغرباء ودائره البلدية مدة طويلة ، وتوفي في دمشق
سنة ١٣٠٦ ، ولم يولد له ،

وله من المؤلفات :-

- ١ - تبيان الأسرار الربانية بالنباتات والمعادن والخواص الحيوانية" طبع
- ٢ - الأزهار المجنيه في مداواة الهيبض الهندية" طبع
- ٣ - البراهين البينات في بيان حقائق الحيوانات " طبع معظمه
- ٤ - وهذا التفسير الذي ندرسه

ثانيا : الكتاب : كشف الأسرار النورانية القرآنية فيما يتعلق بالاجرام السماويه والأرضيه والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية " وطبع هذا الكتاب بالمطبعة الوهبيه بتاريخ ١٢٩٧/٢/٥ وذلك فى ثلاثة مجلدات .

سبب تأليفه :

ذكر المؤلف رحمه الله تعالى أنه فى سنة ١٢٩٠ اجتمع فى محفل حافل ببعض الأطباء (المسيحيين) فشرعوا يتحادثون فى كيفية تكوّن الأحجار الفحمية وفى أنها هل أشير اليها فى التوراة والانجيل أم لا بعد الأسئلة والأجوبه حكموا أنه لا يوجد لها ذكر فيها أصلا لاصريحا ولا اشارة ثم خصوه بالسؤال هل أشير اليها فى القرآن الشريف أم صرح بذكرها وان لم يشر اليها فكيف قال تعالى " ما فرطنا فى الكتاب من شىء" (١) وأن أشير اليها فيه ففي أى موضع ؟ فتصدر للجواب وتلطف فى الخطاب وتصفح ألوفاً من مسائل الفصحاء وتتبع كلام العلماء وطلبه من كتب التفسير والطب ، ثم ازدادت همته بعد وقوفه على حقيقة تكون الحجر المشار اليه فبين كيفية تكون الحيوانات والنباتات والأجرام السماوية والأرضية والجواهر المعدنية .

ثم وضح خطته فقال وأبرزت ذلك فى ثلاثة أبواب كأنها بساتين أزهاراً أو حدائق معارف تفجرت منها الأنهار " الى أن قال " وتشاورت مع أرباب المعارف وأهل الاشارات فانحط الرأى على أن من اللازم لما قصدته من بيان كيفية التكونات التى ذكرتها تأليف كتاب يشتمل على شرح الآيات القرآنية المتعلقة بذلك شرحا يكشف معناها وحقيقتها فاستنهضت جواد

(١) سورة الانعام : من الآيه ٣٨

الفكر كرا وفرا وغصت في ميادين تفسير الآيات مؤملا ظفرا ونصرا وشجعني على ذلك صدق النيه فيما هممت وخلص الطويه فيما عرضت فجمعت من كتب التفسير والطب ما تفرق ومن شتات المسائل ما تمزق وسلكت في هذا المختصر جزالة الألفاظ مع تمام المعانى "

الى أن قال " ورتبته على مقدمة فى الأحجار الفحمية وثلاثة أبواب فى الحيوانات والنباتات والأجرام الأرضية والسمويه ، وكل باب منها مشتمل على مسائل ومباحث وخاتمه " (١)

وإذا ما نظرت أجزاء الكتاب الثلاثه وجدت لها قد تقاسمت الأبواب الثلاثه : فتحدث فى الجزء الأول : الباب الأول : فى كيفية تكوّن الحيوانات وما يتعلق بذلك .

وأورد فى الجزء الثانى : الباب الثانى فى كيفية خلق السموات والأرض وأورد فى الجزء الثالث : الباب الثالث فى تفسير الآيات الشريفه المتضمنه لذكر النباتات وسنذكر مثلا من كل باب ان شاء الله تعالى .

نماذج من تفسيره :

من الباب الأول الخاص بالحديث عن الحيوانات تحدث عن دابة الأرض التى دلت على موت سليمان عليه السلام وذلك فى قوله تعالى " فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الأرض تأكل منسأته " (٢)

قال عن الدابه " وهذه الدابه هي السوس أى سوس الخشب من رتبة الحشرات فلا يمكننا أن نذكر فى شأنها كلاما عاما وعددها كثير جدا لأنه يدخل تحتها أكثر من خمسين ألف نوع وحياة الانسان لا تكفى لدراستها

(١) كشف الأسرار النورانيه : محمد بن أحمد الاسكندراني ج ١ ص ٣-٥

(٢) سورة سبأ : من الآيه ١٤

جيدا بمفردها وهي احدى الرتب المهمة بسبب تنوع أشكالها ولطافة ألوانها خصوصا الخصال والقوى الالهاميه الخاصة بكل نوع وتقسيمها الى أقسام ثانوية مؤسسه خصوصا على صفات متخذه من جهازها الغمى واحنحتها وأربطتها وقرونها وانقلاباتها ، منها الحشرات ذات الأجنحه الشبكيه والنمل الأبيض ينسب لهذا القسم ومنها الحشرات ذات المنقار وذات المنقاب أى الآله التى تنقب بها هذه الحشرات النباتات لاحداث العفص ومنها الحشرات ذات الأجنحه القشرية ، وأبدان هذه الحشرات لها ستة أرجل وتقرض أوراق الأشجار والأزهار والجدور والأزوار والحبوب وتحدث اتلافها ، ومنها ما يقرض الجوخ والأقمشه التى من الصوف والفراء ومنها دودة القز ومنها الحشرات الجناحيه النصف وهذه الحشرات دودة الصبغ ودودة البلوط والبق وحشرة الملك وسوس الخشب المسمى بالدابه وسوس القمح وجنس القمل والقمل والحشرات الماصه كالبرغوث ونحوه ومنها ما سبق الكلام عليه مثل النمل والدراريج والنحل وغير ذلك " (١)

ومن الباب الثانى الخاص بالحديث عن السموات والأرض ، تحدث عن الصواعق والكهربائية وذلك عند تفسيره لقوله تعالى :-
" ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء " (٢)

أسوقه بنصه لترى أن لاثمت صله بين ما قاله وبين التفسير ، ولئلا يحسب أنى حذف منه ما يصح تسميته بالتفسير قال :-

قال المفسرون نزلت هذه الآيه فى عامر بن الطفيل وأريد بن ربيعة أخى لبيد بن ربيعة أتيا النبى صلى الله عليه وسلم يخاصمانه ويجادلانه ويريدان الفتك به فقال أريد بن ربيعة أخو لبيد بن ربيعة أخبرنا عن ربنا

(١) كشف الاسرار النورانية : محمد الاسكندرانى ج ١ ص ٢٢٩

(٢) سورة الرعد : من الآيه ١٣

أمن النحاس هو أم من الحديد فردعهم النبي صلى الله عليه وسلم
ودعا على أريد بما يلحق بالحديد وعلى عامر بغدة ثم انه لما رجع أريد
أرسل الله عليه صاعقه فأحرقتة ورمى عامر بغدة كغدة البعير ومات فى
بيت سلولية * وهنا نذكر الآثار الجوية النارية * فنقول

(الآثار الجوية النارية) قد زاد بسبب هذه الآثار فى الأزمنة السالفة
اند هاش الناس وخوفهم . أما من التلف الذى يتبع ظهورها وأما من
الضوء الساطع الذى ينتشر منها وأما من عظمها المهول مع تد ميرها
الأشياء معا وطالما صدرت خرامات وتوهمات فاسدة فى منشأ الرعد والأضواء
الشمالية أى الفجر الكاذب والذى تقدم ذكره والاكتر النارية .

(والكهربائية الجوية والصاعقة واليرعد) * هذا السائل وجده
أرسطاطاليس فى قطعة كهرباء وسماه بهذه الاسم وهو نوعان كالمغناطيس
والجوىحتوى دائما على مقدار من هذا السائل يختلف قلة وكثرة فاذا كان
الهواء ساكنا والسماء مصحية كانت كهربائية الجوزجاجيه وتغير حالتها كل
مرتين فقبل طلوع الشمس بزمن قليل تكون فى غاية ضعفها ثم تتزايد بسرعة
وتصل الى غاية قوتها الأولى نحو الساعة الثامنة الفلكية أعنى قبل الظهر
بأربع ساعات فى الشهر الثالث من الربيع ثم تأخذ فى الضعف شيئا فشيئا
وبعد الزوال بساعتين يكون الاستشعار بها قليلا أعنى أنها تكون زائدة
فى الضعف جدا وفى الساعة الرابعة تقريبا تكون فى غاية ضعفها ثم فى
المساء بعد مغيب الشمس بساعة أو ساعتين تكون قوتها كهى فى الصباح
أعنى فى غاية قوتها ثم تأخذ فى التناقص أولا بسرعة ثم تبطىء حتى تصل
الى غاية ضعفها الثانى وهذان التغيران يشاهدان السنة كلها حتى
فى زمن الغيم غير أن قوتها تختلف باختلاف كثرة الغمام وسمكه وكهربائية
الصيف أقوى من كهربائية الشتاء بمرتين والغالب أنها فى جميع الأشهر

تزيد أو تنقص على طريقة النسبة المستقيمة لارتفاع الشمس على الأفق وثبتت من المشاهدات أن العواصف تكون أقوى وأكثر في زمن القمر الجديد والامتلاء منها في أوقات الربيع .

* (في النسبة الكهربائية) * وليس هناك نسبة بين كهربائية الجو وثقله وحرارته بخلاف رطوبته فان لها بها نسبة عظيمة لأن غايته ارتفاع الكهرباء تكونان في الوقت الذي يكون فيه الهواء متحملا لمقدار عظيم من الرطوبة ومتى تكاثف البخار المائي المتحمل له الجو وسقط على هيئة مطر أو ثلج أو برد فإنه يتكهرب بكهربائية تزيد جدا عن كهربائية الجو اذا كان الزمن هادئا وصحيا .

في بيان الكهربائية

ثم ان كهربائية الماء الجوى تارة تكون زجاجية وتارة راتنجية ككهرباء الهواء وتكون أيضا في الصيف أعظم منها في الشتاء * (تنبيه) * أعلم أن المغناطيس سيال واحد ولكن جعل الله تعالى فيه خاصيتين احدهما جنوبية والأخرى شمالية وجعل تعالى السيال الكهربائي متنوعا الى نوعين أحدهما زجاجي والآخر راتنجي على حسب تسلطه في أفراد المعادن وأيضا هو سار في السائلات الجوية ويكون على حسب تجمعه وقوته زجاجيا أو راتنجيا وذلك اذا سح المطر مرتين وتخلل بينهما زمن قليل فإنه قد يتفق أن أحدهما يتكهرب بكهربائية مخالفة لكهربائية الآخر وان كانا متساويين في الشدة ويندر جدا وجود أمطار غير مكهربة ولا يشاهد ذلك الا في الأمطار التي تحصل في المسافة التي تخلل بين سحتي مظر مختلفي الكهربية أو حينما يكون المطر خفيفا

فى بيان الضباب

الضباب الرطب يكون عموماً أقل كهربائية من الضباب البارد الجاف وزجاجية الثلج أكثر من راتنجيته ولم تعرف الى الآن الحالة الكهربائية للبرد بفتح الراء .

فى كهربائية الغمام

قد اعتبرت الغمامة الكثيفة الحاملة للعواصف جسماً واحداً يتراكم على سطحه مقدار مخصوص من السائل الكهربائى المنتشر فى الفضاء المعرض لتأثير هذه الغمامة ولعل ذلك هو الذى يحدث شكل هذه الكتل المتكونه من الأبخرة الحوصلية المائية فثبت بموجب ما ذكر أن الجو يكون دائماً مكهرباً ومثله فى ذلك الغمام وأنه يمكن أن كهربائية احدى سحبتي قربتين لبعضهما تكون مخالفة لكهربائية الأخرى .

فى تداخل السحاب فى بعضه

إذا كان الهواء مضطرباً ولم يكن لكتلته الا اتجاه واحد فأن السحب تنجذب بالريح وتتبع اتجاهه ولا يحصل بينها وبين بعضها ملاسة ولا معارضة ولا اختلاطاً أما إذا تقلب الجوبرياح متعارضة فانه يشاهد ان ذاك شرر كهربائى واضطراب وانزعاج متى تقاربت السحب لبعضها حتى تتجازب أى يدخل كل منها فى سلطنة جذب الأخرى فحينئذ يشقق البرق والسحابة العاصفة ويسمع الرعد وكثيراً ما يشاهد سير طبقات من السحب فى اتجاهات متعارضة أو أن تلك الطبقات تأتى من السماء من مواضع مختلفة وتنضم بعد ذلك فى محل واحد ومن هذا المحل تظهر العواصف وذلك عقب تأثير الغمام على بعضه بيسير .

* (فى الغمامة الصاعقية) *

قد يشاهد أحيانا على الأفق غمامة مظلمة مسودة تبقى واقفة جزءا من النهار وتكون السماء فى غير هذا الموضع نقيه مصحيه ثم يتجه الريح نحو تلك الغمامة الصاعقية وتتقدم نحو السميت حتى تصل اليه بسرعة وتغطى الكون ببرقع معتم وتسير مسبوقة بالرياح والبرق والرعد ومتبوعه بالأقطار الوابله والبرد بفتح الراء الذى ينشر ويتدحرج فى مرها .

* (فى كهربائية الأرض ونزول الصواعق) *

قد ثبت أن الأرض مكهربة كالهواء ولكن يقال هل كهربائيتها من نوع كهربائية الهواء أقول المقرر خلافه فان علماء الهيئة ذكروا أن كهربائية الهواء فى الغالب تكون زجاجية بخلاف كهربائية الأرض فانها راتنجية فاذا انقطعت الموازنه بين هذين السائلين وانجذب بموجب أسباب مخصوصة فى محل ما مقدار كبير من أى نوع كان من الكهرباء حصل فى الموضع المقابل لذلك المحل تراكم كهربائية مخالفة فى الاسم للأولى والغالب تولد العواصف من هذا الحادث فاذا كان فى شدة قوته فان الشرر المقذف من الغمام جهة الأرض أو من الارض جهة الغمام يحصل الموازنة بينهما ثانيا وهذا هو أصل الصاعقة الصاعدة والصاعقة النازلة التى هى مهولة مخفية بسبب ما يحدث عنها من الاتلاف والاهلاك المدهش الغريب كيف لا وهى صورة تتشكل بأشكال غريبة مخالفة لبعضها ولم تصل العلوم الى الآن لتوضيحها وبعد ذهاب الريح العاصف والصاعقة يظهر كأن الكون اكتسب قوة جديدة وتعظم قوة الحيوانات وتشتد وتزيد حيويتها ويحسن الانبات وتصير الروائح العطرية للأزهار أقبل وألطف وبالاختصار يظهر كأن الكائنات كلها حظيت بحياة جديدة قوية * وقد غلط من ظن أن أصوات النواقيس ولغظ طلق المدافع يشتت الصواعق اذ الغالب أن الحركة المنطبعة فى الهواء من اهتزازات الأجسام

الرنانة تجذب هذه الصاعقة اليها وانه كثيرا ما يحصل أن الصاعقة تصيب أبراج النواقيس وتهدمها زمن ضربها وتحرق السفينة زمن طلقها مدافعها وما يشتمت الصواعق القوية جدا المطر الغزير الذى هو موصل جيد للسائل الكهربائى فيحصل موازنة بين الأرض والجو ولم يعرف السائل الآن سبب لغط الصاعقة والرعد هل ذلك بمجرد قعقة منعكسة من الغمام أو تتابع أصوات متواصلة بينها وبين بعضها مسافة قصيرة أو أن ذلك من مصادمة الهواء الذى يتكون فيه وقت حصول الصاعقة خلو بسبب اتحاد كتلة عظيمة من السائل النارى حيث يحصل ذلك فى الطبقات المرتفعة من الجواء وأن ذلك من مصادمة الهواء لشرك كهربائى اجتاز فيه بسرعة قويه وحيث أن حالة اهتزازاته الرنينية وسعتها وشدتها تكون على حساب قوة هذا الاثر المهور والذى يظهر لى أن الأخير هو القريب للعقل" (١)

هذا هو كل ما قاله فى تفسيرها فهل تراه كذلك ؟!

الزوجه بهيج :

ومن الباب الثالث الخاص بذكر النباتات فسر قوله تعالى " وأنبثنا فيها من كل زوج بهيج " (٢) بقوله :-

قال تعالى وأنبثنا فيها من كل زوج بهيج اشارة الى ما تقطف ثماره ويثمر من غير زراعة فى كل سنة والى ما يزرع ويقطف فى كل سنة فكأنه تعالى خلق ما يقطف كل سنة ويزرع وما لا يزرع كل سنة ويقطف مع بقاء أصلهما ولو لا التأبير العام فى النبات لم يثمر فالله تعالى هو الذى قدر ذلك لذلك فجعل أعضاء التناسل منضوذة بالطلع فوق بعضه وجعل الأكام وقاية لها ونعمة للعباد * وقوله تعالى من كل زوج بهيج المراد بالبهيج الحسن فالأكام مركب كل منها من النوارى الزهر المسمى بالتويج والكأس وفيه مباحث .

(١) كشف الأسرار النورانية : محمد الاسكندرانى ج ٢ ص ١٣٥ - ١٣٨

(٢) سورة ق : من الآية ٧

* المبحث الأول فى الغلافات الزهرية * الأعضاء التى تقدم الكلام عليها محيطة بغلافين هما الزهر والتويج فالغلاف الزهرى يسمى بسيطا اذا لم يكن مكونا الا من غلاف زهرى واحد ويسمى مزدوجا اذا كان مكونا من الكأس والتويج ومتى كان الغلاف الزهرى بسيطا فالغلاف الذى يفقد هو التويج دائما لأن النباتين يسمون الغلاف الموجود بالكأس على أى حال كان لونه وشكله وقوامه وحيث أنه لا يوجد للنباتات ذات الفلقة الواحدة الا غلاف بسيط واحد يمكن أن يقال أن النباتات المذكورة عديمة النوار أى التويج ومع ذلك فقد يتفق أحيانا أن النباتات ذات الفلقة الواحدة يظهر أن لها غلافين زهرين لأن التقاسيم المكونه لغلافها تكون على هيئة حراشيف صغيره موضوعه صفين تنشأ من الجزء الظاهر للذئيب الزهرى

* المبحث الثانى فى التويج * التويج الغلاف الزهرى الأكثر قربا من أعضاء التناسل وقوامه رخو ولونه مختلف جدا وفى بعض الأحيان تكون له ألوان جميلة بهية ومكثه قليل للغاية جدا وغالبا يزول متى ابتسم الزهر * وفيه أمور (الأول) فى تركيب التويج * يتكون التويج من وريقات تويجيه وسبب تسميتها بالوريقات كثرة مشابهتها للأوراق وكل وريقة تويجية مكونه من جزئين وهما الظفر والصفحة فالأول يقابل ذئيب الورقة والثانى يقابل قرصها فالظفر هو الجزء السفلى المستضيق غالبا وهو الذى تلتصق بواسطته الوريقة التويجية فى الحامل الزهرى والصفحة هى الجزء العلوى المستعرض ذو الشكل المختلف وهو يعلو الظفر .

* (الثانى فى الوريقة التويجية العديمة الظفر) * أحيانا لا يوجد الظفر فى الوريقات التويجية فحينئذ تسمى وريقة التويج بعديمة الظفر أى بعديمة الذئيب وقد يكون الظفر طويلا أو قصيرا أو مسطحا أو قنويا ولا فائدة لنا فى تفسير هذه التسميات لأنها واضحة ولها أسماء مختلفه

أيضا تعرف بها الأوضاع المختلفة للوريقات التوجيهية وكذا شكلها فمثلا يمكن أن تكون قائمة أو منبسطة أو مائلة الى الداخل والى الخارج أو مقعرة أو على هيئة قلنسوة أو مهمازية أو غير ذلك .

* (الثالث فى ذى الوريقات الكثيرة) * عدد وريقات التوجيه يكون مختلفا جدا ولاجل بيانها تستعمل أسماء مخصوصة لها فيقال مثلا أن التوجيه ذو وريقتين أو ثلاثة أو أربعة وهكذا فيسمى بالتوجيه ذى الوريقات الكثيرة وقد يكون التوجيه ذو الوريقات الكثيرة منتظما أى مكونا من وريقات توجيهية متساوية موضوعه بانتظام حول أعضاء التناسل وفى هذه الحالة يكتسب أشكالا تخدم لتمييز بعض فصائل عن بعضها كما فى وريقات الفصيلة الوردية والقرنفلية والصليبية وقد يكون غير منتظم كوريقات توجيه القسم الفراشى من الفصيلة البقولية .

* (الرابع فى التوجيه الوردى) * يسمى التوجيه ورديا اذا كان مكونا عادة من ثلاث وريقات الى خمس أظافرها قصيرة جدا وضحيتها منبسطة على شكل وردة وهذا الوصف العام خاص بجميع النباتات التى تنسب الى الفصيلة الوردية .

* (الخامس فى التوجيه القرنفلى) * يسمى التوجيه بهذا الاسم اذا كان مركبا من خمس وريقات ذات أظافر طويلة ومغطاة نحو قاعدتها بالكأس وفى هذه الحالة تكون صفائح وريقات التوجيه منبسطة على هيئة وردة كما فى القرنفلى البستانى وجميع نباتات الفصيلة القرنفلية .

* (السادس فى التوجيه الصليبي) * يسمى التوجيه صليبيا اذا كان مكونا من أربع وريقات ظفرية موضوعه على هيئة الصليب كما فى الفصيلة الصليبية * (السابع فى التوجيه الكثير الوريقات غير المنتظم) * يكون التوجيه غير منتظم اذا كان مكونا من خمس وريقات غير متساوية لها أشكال مختلفة ويدخل

تحت التاج الفراشى وذلك التويج يقال أنه فراشى اذا كان مكونا من خمس وريقات غير منتظم شكلها شبيه بالفراش الذى تكون أجنحتها منبسطة وهذا النوع يشاهد فى الفصيلة البقولية ويسمى غير منتظم اذا كان كذلك ولم يمكن نسبه الى التويج الفراشى وفى التويج ذو الوريقات الكثيرة تسقط الوريقات التوجيهية كل واحدة على حدتها أو يقال أن سقوطها بهذه الكيفية هى الحالة الأغلبية " (١)

وهكذا يذكر أنواع التويج وذكر فى المبحث الثالث الكأس وهو الغلاف الظاهر للزهر وذكر فيه أبحاثا كثيرة متشعبة .

رأى فى هذا التفسير :

اذا ما ذهبنا نقارن هذا التفسير بالتفسير الذى سبقه وجدنا هذا الأخير يمتاز بأنه لا يدعو ولا يلح الى هذا الاتجاه فى التفسير وأمر آخر أهم من هذا انك تجد فى مواضع منه نكهة التفسير فتجد الروايات من السنه وتجد القراءات فى الآيه الواحدة وتجد أقوال المفسرين السابقين فى الآيه ، ومن الفروق أيضا أن هذا الأخير لا يعتد بتلك الخيالات والأوهام والمنامات الكثيرة الحق منها والباطل ولا يزعم الهاما ، ومنها خلو هذا التفسير من المصورات وللنباتات والحيوانات والبشر وغير ذلك. ومنها عدم اعتماده فلسفات الأمم الكافرة فى القديم والحديث ، ومنها أن هناك من الآيات ما يفسر تفسيراً لا تكاد تجد فيه ما تنكره

ومع هذا فان هذا التفسير مغرق فى الاتجاه العلمى ، واذا ما نظرت فى فهرس هذا الكتاب بأجزائه الثلاثة لا يظهر لك أنه كتاب فى التفسير الا يتمحل فاذا قلبت صفحاته ازددت شكاحتى تقع على أول كل بحث فتجد فيه ما يدل على أنه كتاب فى التفسير واليك شاهد المأقول فهرس لأحد الأبحاث .

(١) كشف الاسرار النورانية: محمد الاسكندر رانى ج ٣ ص ٤٢ - ٤٣

المقالة (السادسة عشر) فى قوله تعالى " والله يعلم ما تحمل كل

انثى وما تغيض الأرحام وما تزداد : - وفيه مسألتان .

فى كيفية القراءات ، المسألة الأولى فى الزيادة وفيها مباحث تسعة :-

الاول : فى ذكورة الجنين

الثانى : هل يمكن بالاختيار أن المتجامعين يولدان أحد النوعين .

الثالث : فى بيان علامات الحمل .

الرابع : فى العلامات العقلية فى ظواهر الحمل .

الخامس : فى انقطاع الحيض .

السادس : فى انتفاخ البطن .

السابع : فى بيان الحركات الذاتية للجنين .

الثامن : فى الحمل المضاعف .

التاسع : فى بيان الحبل على الحبل

المسألة الثانية : فى قوله تعالى وما تغيض الأرحام وفيه مباحث سبعة :-

الاول : فى سيلان الحيض

الثانى : فى اندفاع الطمث

الثالث : فى سير الطمث وكمية الدم

الرابع : فى أسباب الطمث ود وريته

الخامس : فى بيان مجلس الحيض

السادس : فى انقطاع الطمث فى سن اليأس

السابع : فى العلوق الفاسد وفيه أنواع :-

الأول فى البذور الكاذبة - الثانى فى بيان المضغ اللحمية

الثالث فى بيان المضغ الحوصلية .^(١)

(١) كشف الأسرار التورانية : محمد الاسكندراني ج ١ ص ٧

هذا مثال واحد لأحد أبحاثه يكاد القارىء يجزم أنه كتاب فى
طب النساء والولادة ، وهكذا أبحاثه الأخرى بحث فى الفلك وبحث فى
النبات وبحث فى المعادن ولا شك أنى كما رفضت طريقة الشيخ الجوهرى
فأنى أرفض أيضا طريقة هذا التفسير لما فيه من الاغراق المذموم فى المسائل
العلمية وطغيانها على المعانى المتعلقة بالآيه المباشرة من التفاسير
الصحيحة .

وانما أطلت فى هذا التفسير - قليلا - لأنى لم أجد أحدا كتب
عنه الا مجرد اشارة لاتتجاوز أسطرا فيما أعلم .

ثالثا : الكون والاعجاز العلمي للقرآن

أولا : المؤلف :

هو الدكتور منصور حسب النبي

استاذ ورئيس قسم الطبيعة بكلية البنات بجامعة عين شمس ، ولم أجد له ترجمه .

ثانيا : الكتاب : هو الكون والاعجاز العلمي للقرآن عدد صفحاته ٣٩١ وقد قسم المؤلف كتابه الى ستة أبواب تحدث في الباب الأول عن وجود الله ووحدانيته وفي الباب الثاني عن دستور الكون ويقصد به نظام الكون وتحدث في الباب الثالث عن المجموعة الشمسية وفي الرابع عن كوكب الأرض أما الباب الخامس فتحدث عن النجوم والمجرات وفي الباب السادس والأخير عن الكونيات .

وقد أبدى المؤلف عجبه في مقدمة كتابه من المهاجمين للتفسير العلمي حاليا بدعوى أن العلم يتغير ، وهذه مغالطه لأن العلم الصحيح لا يتغير لانه نتيجة لحقيقة ثابتة ثبوتا قطعيا . (١)

والذى اعتقده أن المؤلف أخطأ الفهم هنا فلا أجد ينكر أن (اعلم الصحيح) لا يتغير ، ولكن الى أن يصل الى هذه الدرجة لم يزل متغيرا متقلبا وهو فى هذه الحالة يسمى نظريه ، وفى حالة الاستقرار الصحيح يسمى حقيقة علمية . فهل يعتقد المؤلف أن العلم فى القرن العشرين وصل كله الى درجة الحقيقة العلمية ؟ !

لا أظن جوابه ايجابا اذ هو يخالف الواقع ، واذا ما أجاب بالسلب قلنا ان المهاجمين للتفسير العلمي يهاجمون الذين حشروا مؤلفاتهم بالعلم فى درجته المتقلبه (النظرية) وربطهم هذا المتأرجح يمينه ويسره بالقرآن الكريم الثابت الراسخ .

(١) الكون والاعجاز العلمي للقرآن : منصور حسب النبي ص ٨

وهو نفسه يتناول في تفسيره نظريات علمية لم تستقر فهل يرى أو يعتقد أن هذا هو العلم الصحيح .

أقرأ له عن حديثه عن المكان والزمان بين العلم والقرآن وتأمل فى لفظه " تعيين " التى يكررها وليست تقدير قال مثلا :- " ولقد استخدم العلماء بعض المواد المشعة كاليورانيوم والكربون (١٤) لتعيين عمر الأرض وعمر الحياة على الأرض كما استخدم العلماء ظاهرة تمدد الكون واتساعه المتواصل لتعيين عمر الكون " (١)

ثم انظر للجدول الذى وضعه للحوادث الكونية وزمنها ، مع اعترافه بأنه زمن تقريبي ، وأنه طبقا لتصورات العلم الحديث . ومن هذه التواريخ التى ذكرها ان انفجار كرة الكون الاولية (البيضة الكونية) بيغ بانج (!!) منذ ١٣ بليون سنة وسلسل الأحداث الى أن وصل الى تكون الأرض بكتلتها الحالية وأنه منذ ٥ بليون سنة أما ظهور الانسان فى هذا الجدول منذ فترة تتراوح بين ١١ و ٣٥ ألف سنة (٢)

العجيب حقا أن المؤلف يورد هذا عند تناوله لقوله تعالى " يسألونك عن الاهله قل هى مواقيت للناس والحج " (٣) وقوله سبحانه " وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون " (٤)

ومرة أخرى يقول في تفسير آخر " ويحتوى جوف الأرض على الحديد فلقد أثبتت جميع البحوث بأن لب الأرض مكون أساسا من الحديد والنيكل مصداقا لقوله تعالى " وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس " (٥)

(١) (٢) الكون والاعجاز العلمى للقرآن : د / منصور حسب النبى ص ٩٨-٩٩

(٣) سورة البقرة : من الآيه ١٨٩

(٤) سورة الحج : من الآيه ٤٧

(٥) سورة الحديد : من الآيه ٢٥

ولقد ثبت فعلا أن الحديد أحد العناصر التي توجد في الشمس بوفره وذلك بواسطة التحليل الطيفي الحديث وبهذا يتضح دقة التعبير في الآية الكريمة في فعل " أنزلنا " حيث نزل الحديد من الشمس الى الأرض" (١) والكتاب مليء بالشواهد على ما ذكرنا ومليء أيضا كتفسير الجواهر بالصور العلمية ، ويشترك مع ما سبق في الحكم . والله أعلم .

رابعاً : مع الطب في القرآن الكريم

أولاً : المؤلف

اشترك في تأليف هذا الكتاب الدكتور عبد الحميد دياب والدكتور أحمد قرقوز .

ثانياً : الكتاب مع الطب في القرآن الكريم

صدرت الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠ في ٢٠٨ صفحة .

والطريف أن هذا الكتاب أعده المؤلفان لنيل اجازة دكتور في الطب وليس في التفسير .

ومع أن المؤلفين ينصان نصاً " أننا راعينا في البحث عدم تحميل الآيات القرآنية أكثر مما تحمل . وتجنبنا تطويعها للمعطيات العلمية ، كما لم يكن البحث محاولة لتفسير الآيات القرآنية بنتائج العلوم الحديثه ، الا اذا كانت الآية قاطعه الدلالة ، وكانت المعطيات العلمية حقائق ثابتة أيضاً" (٢) الا أنهما أحياناً ينسيان هذا الالتزام فيفسران الآية بما لا تدل عليه دلالة قاطعه بغض النظر عن كونه حقيقة أو نظرية علمية نضرب لذلك مثلاً ما ذكره عند تفسير قوله تعالى " وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى ، من نطفة اذا تمنى " (٣)

(١) الكون والاعجاز العلمي للقرآن : د / منصور حسب النبي ص ١٧٤

(٢) مع الطب في القرآن الكريم : عبد الحميد دياب وأحمد قرقوز ص ١٢

(٣) سورة النجم : الآيتين ٤٥ - ٤٦

فقالا : " تحوى البيضة الملقحه التى سيتشكل منها الجنين ٢٢ زوج من الصبغيات الجسميه مع زوج من الصبغيات الجنسية ، وتأتى هذه الصبغيات من اجتماع بويضة الأنثى التى تحوى دائما (٢٢ صبغى جسمى + الصبغ الجنسي x)

ومن نطفة الرجل التى تحوى (٢٢ صبغى جسمى + صبغى جنسى اما x أو y) لان نصف نطاف الرجل تحوى الصبغى x ونصفها تحوى الصبغى y أما بويضة المرأة فدائما تحمل الصبغى الجنسي x فاذا اتحدت البيضة مع نطفه حاويه على الصبغى الجنسي x كان الجنين انثى ، واذا اتحدت مع نطفة حاويه على الصبغى الجنسي y كان الجنين ذكرا ، اى حسب المعادله :-

$$\text{نطفة (y) + بويضه (x) = (x y) ذكر}$$

$$\text{نطفة (x) + بويضة (x) = (x x) انثى}$$

فنطاف الرجل اذا هى المسئولة عن تحديد الجنس لأنها تحمل الاشكال المتغايره من الصبغيات الجنسية وهذا ما ذكره القرآن قبل أربعة عشر قرنا حين قال " وانه خلق الزوجين الذكر والانثى " (١) هذا ما قالاه والحق أنى لم أجد أى دلالة أو اشارة فى الآيه على هذا فضلا عن أن يكون له دلالة قاطعه ، كما ذكرنا آنفا .

ونذكر مثالا آخر نحو هذا ما قالاه عند تفسير قوله تعالى " وعنباً وقضباً " (٢)

قالا : " العنب فاكهة واسعة الانتشار فى العالم ، وتشكل جزءا أساسيا من راتب معظم السكان الغذائى ، وأهم ما يميز هذه الفاكهه الطيبه هو احتوائها على سكر العنب (غلوكوز) بنسبة عاليه حتى سمي باسمها ،

(١) مع الطب فى القرآن الكريم : دياب وقرقوز ص ٢٧

(٢) سورة عبس : الآيه ٢٨

وسكر العنب هو شكل بسيط للسكاكر ، تمتصه الأمعاء بسهولة كبيره ، ويدخل مباشرة فى عمليات الاستقلاب دون تغير أو تحول ، بل ان باقى السكاكر يلزمها أن تتحول الى سكر عنب فى الجسم حتى يمكنه الاستفادة منها فى تزويد الجسم بالطاقة والقدره ، ويشذ عن ذلك سكر الفواكه (فركتوز) الذى يمكنه ذلك " (١)

وهذا القول كسابقه لم أجد فى الآيه دلالة عليه الا من باب الدلاله التى يفهمها أولئك الذين لا ترد فى القرآن كلمه الشمس مثلا الا ويذكرون بعدها وعرضها ومحيطها وحرارتها ثم ينتقلون الى الكواكب السياره حولها وخصائص كل كوكب .

وأحيانا ينصرف المؤلفان عن المعنى الحق المتبادر من الآيه الواضح البين الى معنى آخر لا يدل عليه النص خذ مثلا قوله تعالى " وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا " (٢) كلنا نفهم مدلول هذه الآيه المتبادر وهو الحث على قراءة القرآن والتهجد به آخر الليل ، لكنهما قالا معنى آخر وهو أنه ترغيب بالنوم المبكر والاستيقاظ منذ الفجر ثم ذكر الفوائد الصحيه للقيام المبكر من النوم وأن من مزايه ارتفاع نسبة غاز الأوزون فى الجو عند الفجر (٣) وغير ذلك من فوائد الاستيقاظ المبكر ، ولم يتعرضا لقراءه القرآن أو العباده عامه فى هذا الوقت وهى المقصود الأول فى الآيه .

اضافة الى هذا اشتمل الكتاب على لوحات توضيحيه لاجزاء الانسان . ومع هذا فان فى الكتاب فى أكثره تفاسير علمية محموده التزاما فيها ما وعدا به فى مقدمة الكتاب التزاما يجعله فى مقدمة المؤلفات العلمية المعتدله فى التفسير .

(١) مع الطب فى القرآن الكريم : دياب وقرقوز ص ١٦١

(٢) سورة الاسراء : من الآيه ٧٨

(٣) مع الطب فى القرآن الكريم : دياب وقرقوز ص ١٠٨ - ١٠٩

خامسا : الاعجاز العددي للقرآن الكريم

للأستاذ عبدالرزاق نوفل

أولا : المؤلف

عبدالرزاق نوفل ، ولد سنة ١٣٣٧ تقريبا . وتوفي في شهر شعبان

سنة ١٤٠٤ هـ اثر نوبة قلبية مفاجئة في أعقاب مرضه بالمalaria .

وله عدد كبير من المؤلفات بلغت ٦٨ كتابا ومنها :-

- ١ - الله والعلم الحديث وهو أول كتاب صدر له عام ١٩٥٢
- ٢ - الاسلام والعلم الحديث .
- ٣ - القرآن والعلم الحديث
- ٤ - المسلمون والعلم الحديث
- ٥ - الاسلام دين ودنيا
- ٦ - محمد رسولا نبيا
- ٧ - كيف ولماذا
- ٨ - بين الدين والعلم
- ٩ - القرآن والمجتمع الحديث
- ١٠ - بين يدى الله
- ١١ - الرحمن الرحيم
- ١٢ - دين وفكر
- ١٣ - من الآيات العلمية
- ١٤ - الحياة الأخرى
- ١٥ - السماء وأهل السماء
- ١٦ - أسئلة حرجه
- ١٧ - يوم القيامة
- ١٨ - أسرار وعجب
- ١٩ - عالم الجن والملائكة
- ٢٠ - الدعوة الى الاسلام

وله غير هذه المؤلفات كثير ، وبنظره سريعه على عناوين هذه الكتب ندر

الاتجاه العلمى الراسخ عند صاحبها رحمه الله تعالى .

ومن الطريف أن الأستاذ عبدالرزاق نوفل رحمه الله تعالى يحذر من

تفسير القرآن الكريم بأكمله تفسيرا علميا ويعد هذا من أخطر ما يمكن على

التفسير وعلل ذلك بأنه لا يمكن للفرد مهما كانت طاقته ودرجة علمه القيام

بتفسير آيات القرآن كلها فكيف يلم الانسان منفردا بكل ما تضمنه القرآن من

علوم واعجاز ؟ الماما يجعله على درجة من العلم تفكّنه من القيام بهـذا العمل الضخم الجليل الخطير^(١) ولعله رحمه الله تعالى يرمز الى الشيخ طنطاوى جوهرى رحمه الله تعالى .

مع أن كتبه ما ذكرنا منها وما لم نذكر تطّح بال تفسير العلمى المحمود منه والمذموم ومؤلفاته مليئه بالتفسير بالنظريات العلمية التى لم يستقر قرارها بعد وسنعرض هنا لواحد من مؤلفاته .

ثانيا : الكتاب : هو الاعجاز العددى للقرآن الكريم

ويقع هذا الكتاب فى ثلاثة أجزاء ، ولم يكن المؤلف عند اصداره الجزء الأول يقدر اصدار جزء ثان ، وانما خطر له ذلك بعد صدور أوله . وتبلغ صفحات الكتاب بأجزائه الثلاثة ٥٢٤ صفحة من الحجم الوسط .

ودراسة الأعداد فى القرآن الكريم ظاهرة برزت فى العصر الحديث سريعا فكتب عن العدد ١٩ ثم أدخل ما يسمى بـ " الكمبيوتر " أى الحاسب الآلى وظهرت أعداد أخرى وأخرى .

ولن نعرض لهذه الدراسات المتشعبة حتى لا يتشتت الذهن هنا ونكتفى بذكر عنوان لمقاله نشرها الدكتور محمد أحمد أبو فراح عنوانها " بدعة الاعجاز الحسابى "

أما موضع بحثنا هنا أعنى كتاب الأستاذ عبد الرزاق نوفل فليس المقام هنا مقام دراسة موسعه بل هو اشاره سريعه ليس الا ، واذا كان الأمر كذلك فلن أشير الى مواضع الحسن فيه وانما الى الجانب الآخر الأول هو الأصل فى الدراسات القرآنية وأما الثانى فهو الجسم الغريب الذى يجب التنبيه والتحذير منه .

(١) بين الدين والعلم : عبد الرزاق نوفل ص ٦٥

خاصة اذا علمنا أن أرباب الاعجاز الحسابي يعترفون اعترافا صريحا الى أن هذا الجهاز (الكمبيوتر) قد يعطى أعدادا غير صحيحة أو ترتكب في الجدول أخطاء مطبعية ، وقد تأكد هذا لديهم في بعض السور وأعداد بعض الحروف (١)

وهناك سبب آخر أهم وأخطر وهو أن الدارس في هذا الفن يدفعه حرصه على اثبات هذا الاعجاز العددي الى التمحل والتكلف في سبيل الوصول الى اعداد متطابقة فيعد مرة ما لا يعد ويحذف أخرى من غير سبب ويتضح هذا بمثالين أذكرهما من موضع بحثنا كتاب الاعجاز العددي في القرآن .

خذ مثلا ما ذكره أنه تكرر ذكر ابليس في القرآن الكريم ١١ مرة فقط وينفس العدد أي ١١ مرة تكرر الأمر بالاستعاذه منه (٢)

وإذا نظرنا الى لفظ الاستعاذه وجدنا المؤلف لا يورد منه الا ما هو بلفظ (أعوذ) ولفظ فاستعد ، أما الالفاظ (عدت) (ويعوذون) (أعيذها) (معاذ الله) فانه لا يعد شيئا منها مع أن بعضها نصص بالاستعاذه من الشيطان (انى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) (٣) فان قلت أنه نص على ما هو أمر بالاستعاذه من ابليس قلت انه عد من الايات ما ليست أمرا بالاستعاذه منه " قالوا أتخذنا هزوا قال أعوذ باللله أن أكون من الجاهلين) (٤) (قال رب انى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم) (٥)

-
- (١) معجزة القرآن العددية : صدقى البيك ص ٢٣
 - (٢) الاعجاز العددي للقرآن الكريم: عبدالرزاق نوفل ج ٢ ص ١٥
 - (٣) سورة آل عمران : من الآيه ٣٦
 - (٤) سورة البقرة من الآية ٦٧
 - (٥) سورة هود من الآيه ٤٧

(١) قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا " (١) فأين الأمر بالاستعاذة هنا بل أين الاستعاذه من ابليس هنا ، فى الأول استعاذ بالله من الجهل وفى الثانية استعاذ به سبحانه من أن يسأل الله ما ليس له به علم وفى الثالثة استعاذت بالله من روح الله الذى تمثل لها بشرا سويا . وعلى هذا كله لا يستقيم له الأمر فيما ذكر ولهذا يبدا والتكلف واضحا بينا

(٢) خذ مثلا آخر قال ورد اليوم مفردا ٣٦٥ مره بعدد أيام السنه (٢) واذا ما نظرنا فيما جمع وجدناه لفظى " اليوم " و " يوما " وترك (يومكم " (يومهم) (يومئذ) لأنه لو فعل لاختلف الحساب والعد والأدهى من ذلك والأخطر أنه أدى به الى أمر لا يرتضى ولا يصح بحال من الاحوال .

فقد أراد أن يظهر اتفاق عدد ذكر الرسل والأنبياء وعدد ذكر اسمائهم فى القرآن فقال " بلغ عدد مرات ذكر الرسل ومشتقاتها فى القرآن الكريم ٣٦٨ مره . . ولما كان النبي قد تكرر ٧٥ مره والبشير تكرر ١٨ مره والنديز تكرر ٥٧ مره ومجموع ذلك ١٨٥ " ثم ذكر أنه باستعراض عدد مرات ذكر أسماء الرسل والأنبياء والمبشرين والمنذرين نجد أنهم تكررُوا بالاعداد التاليه

موسى ١٣٦ ابراهيم ٦٩ نوح ٤٣ يوسف ٢٧ لوط ٢٧

عيسى ٢٥ وهكذا الى أن ذكر " ناقة الله ٧ " ؟ !

وبهذا فقط تساوى مجموع ذكر الرسل والنبيين والمبشرين والمنذرين بعدد

(٣)

مرات ذكر اسمائهم تماما ؟ !

(١) سورة مريم : من الآيه ١٨

(٢) الاعجاز العددى للقرآن الكريم : عبد الرزاق نوفل ج ٣ ص ١٦٨ - ١٦٩

(٣) الاعجاز العددى فى القرآن الكريم : عبد الرزاق نوفل ج ٣ ص ١٤٩ - ١٥٣

ولا شك أن عده لناقة الله مع أسماء الأنبياء تحمل لا يقبل منه
ولا من غيره أبدا وما ألجأه الى ذلك في هذا الموضوع وفي مواضع أخرى
كثيره الا الفتنه بحب الجديد على العقول والأذهان .

بقي أن أقول ان هذا الاعجاز مازال بحرا مظلما فيه فجوات وفيه
مهلكات فالحذر الحذر من أن تقودنا العاطفه الى المهالك ، لست
أشك في سلامة قصد عبد الرزاق نوفل رحمه الله تعالى ولكن هذا
شيء والخطأ والصواب والتحذير منه شيء آخر غفر الله له ورحمته
جزاء نيته ولنحذر أن نقع في مثل هذه الأمور حتى تنبلح الحقيقه
ويشرق ضوءها وحينئذ فليتجه اليها المؤمنون فهي ضالتهم ومن اتبع
الأوهام وقع في المهالك .

رأبي في هذه المؤلفات :

أورد هنا خلاصة رأبي في هذه المؤلفات مجموعة ، أما الرأي الذى اخترته فى التفسير العلمى التجريبي عامة فقد سلف بيانه ، وانما قدمت على ما ذكرته من هذه التفاسير حتى يعرف القارىء موقفى من الرفض والقبول لكل ما أنقله من نصوصها .

وانما أذكر أخيرا رأبي فى هذه المؤلفات العلمية مجتمعه وهو رأى لا أطيل بيانه أكثر مما أطلت .

وينظره عجلى على هذه المؤلفات لمن أراد أن يتصفحها يدرك أننا بحاجة فى هذا العصر لمؤلف فى التفسير العلمى التجريبي تؤلفه مجموعة من العلماء فى الشريعة وفى التفسير وفى اللغة وفى العلوم الحديثه يجتمعون ويقررون ما يوافق الحقائق القرآنية ذات الدلالة الصريحه ويضمون اليها الحقائق العلمية الثابته التى قرّ قرارها وأمن ثبوت زيها وبطلانها يثبتونه لا على أنه تفسير وانما كشاهد وزيادة بيان لمعاني الآيه ومدلولاتها .

وانما لجأت الى هذا أنى نظرت الى هذه المؤلفات الموجودة فوجدتها اما لعالم فى الشريعة يخطىء فى العلوم الحديثه فيثبت ما لم يثبت ، واما لعالم فى العلوم الحديثه يجهل أصول التفسير ولا يدري من أمرها شيئا فيحمل الآيه ما تحتل ويوجهها الى ما لا تتجه اليه .

حذرا من هذا وخشية من ذاك اتجهت الى هذا الاقتراح ولعل الله يهيبه لهذه الأمة من يحققه انه سميع مجيب .

الباب الثالث

منهج المدرسة العقلية الاجتماعية الحديثة

في

التفسير

تمهيد :

كأنى بك تنظر الى مند هشا وتحديق بي متعجبا وألمح على شفتيك
سؤال بل أسئلة تراحت في الظهور فلم يتح الزحام لها سبيلا للخروج
فإنعكست بين ثنايا وجهك معلنة عن معناها ! قرأت منها فيما قرأت .

أليس الاسلام هو دين العقل ؟ هل جاء في الاسلام ما يخالف
العقل ؟ أو جاء العقل بما يبطل شيئا من الأسلام ؟ اذا فكيف تضع
للعقل منهجا في التفسير ؟ هل المناهج الاخرى مجردة من العقل ؟
أو ليس أصحاب بعضها هم العقلاء اذا فكيف يكون المنهج هنا هو
الموسوم بالعقل وهو هناك مجرد منه ؟ ! أسئلة كثيرة مدارها العقل
والتفسير ومنهج الاسلام فيهما قطعت استرسالى فى قرآنها لأريت على
كتف صاحبها قائلا على مهلك وعلى رسلك لا أظنك أول من شكك بين هذا
المنهج وصفته فلا يلزم اذا ما اتصفت طائفه بصفة اتصافها بها حقيقة
كما لا يلزم من تجرد اسمها من هذه الصفة خلوها منها ؟ ! فى
المؤلفات العلمية اذا لم يطابق العنوان محتوى الكتاب وصفوه - حد يثا -
بأنه من خداع العناوين قس على هذا ان شئت الملل والنحل والمذاهب
والمناهج فكثيرا من هذه وتلك لاصلة لها باسمائها . . خذ مثلا المعتزلة
فى العصر القديم يسمون أنفسهم أهل التوحيد ؟ !

وهل التوحيد الحقيقى يعترف بتعدد الخالقين وان كل انسان يخلق فعله؟!
أم هو الاعتراف بأن الله سبحانه وتعالى هو الخالق لكل شىء ؟ ! خذ
مثلا آخر الشيعة يزعمون حب علي ونصرته ؟ وهل يكون حب أحد بفعل
ما يكره ويذم بل بغير الاقتداء بفعله ؟ ! خذ مثلا الخوارج يصفون
أنفسهم بأنهم " الشراة " يزعمون أنهم اشتروا أنفسهم ابتغاء مرضاة الله
وهل شراؤها يكون بقتال علي رضى الله عنه وأرضاه ؟ !

وخذ مثلا النصارى يزعمون أنهم " مسيحيون " فهل المسيح قال
اتخذونى وأمي الهين ؟ ! حاشا وكلا اذا فليسوا هم بمسيحيين
وهل أضرب لك مثلا بالمبادئ والملل فى العصر الحديث ؟ كالبعثية
التي تنكر البعث وغيرها وغيرها .

اذا فلا يلزم من رفع الشعار الدلالة على الالتزام فكم من راية رفعها
أعداؤها ناهيك عن هذه الأزمنة التي تلونت المذاهب فيها تلون الحرياء
فلا تعرف المقبل منها من المديران لم يخصك الله بنور ايماني تتبين به
المحجة البيضاء فلا تزيغ عنها فتهلك .

ثم أريت على كتفك مرة أخرى لن تعرف المنهج العقلى ولن تعرفه
حقا حتى تعرف ونعرف مدلول العقل ومعناه ومداركه ومجالاته ومنزلته
فى الاسلام ومكانته لأريد أن أجعل البحث هنا مبحثا كلاميا جديلا
ولكنها مقدمة لا بد منها وباب لا بد من الولوج منه لنصل الى المراد فلنأت
البيوت اذن من أبوابها .

المراد به :

وما علينا أن يقول غيرنا فى تعريفه ما يقولون ، وكتاب الله بين
أيدينا الذى هو عصمة أمرنا وبه نجاتنا وبالعامل به فلاحنا فلنأخذ من معينه
ولنبحث فيه - وهو الكتاب الذى لا يخالفه العقل ولا ينقضه - عن معنى
العقل فيه ومدلوله وعمله . اذا فلنعرف العقل فى القرآن الكريم .

العقل فى القرآن

من المعلوم أن العقل ينقسم الى قسمين :

- ١ - عقل غريزى ، يهبه الله لمن يشاء من عباده فيسمى عاقلا ، ويسلبه
عمن يشاء فيسمى مجنوننا وتسقط عنه التكليف ، فهو اذا مناط للتكليف

والحق أن الناس تتفاوت درجاتهم في هذا العقل بين المعدم منه كالمجنون ثم المعتوه وهكذا إلى من به خفه إلى أن يصلوا إلى درجة العقلاء إذا فهم فيه متفاوتون خلافا للأشاعة والمعتزلة الذين قالوا أن العقل لا يختلف لأنه حجه عامه ترجع إليها الناس عند اختلافهم ولو تفاوتت العقول لما كان كذلك (١) ولا يمنع هذا الذي قالوه تفاوت عقول الناس لأن التكليف على قدر العقول والا فما معنى أن يجعل الإسلام شهادة المرأة نصف شهادة الرجل ان لم يكن هذا نقص فيه ، وما معنى أن يسقط التكليف عن المجنون وغير ذلك لكن الذي ينبغي أن نقوله ان هذا العقل هبه من الله ينعم بها على من يشاء من عباده .

٢ - عقل مكتسب والمراد به العلم والفهم بل هو عمل ونتاج العقل الغريزي ومتولد منه ولا ثمرة ولا فائده للعقل الغريزي ان لم يكن عقلا متحركا منتجا وهذا العقل هو الذي خصه القرآن الكريم بالخطاب قال الراغب في مفرداته " كل موضع ذم الله الكفار بعدم العقل فاشارة إلى الثاني دون الأول نحو " ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق (٢) إلى قوله (صم بكم عمي فهم لا يعقلون) (٢) ونحو ذلك من الآيات وكل موضع رفع التكليف عن العبد لعدم العقل فاشارة إلى الأول " (٣)

(١) شرح الكوكب المنير : لأبي البقاء محمد بن شهاب الدين الفتوحى ص ٢٥

(٢) سورة البقرة : الآية ١٧١

(٣) المفردات في غريب القرآن : الراغب الأصفهاني

فلننظر بعد هذا قول علماء التفسير ذلكم قوله تعالى " أفطمعون
أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد
ما عقلوه وهم يعلمون " (١) فانا سنجد هم يتفقون على أن معنى عقلوه
فهموه وضبطوه بعقولهم (٢) وهكذا سائر الآيات التي جاء بها ذكر العقل
نجدها كلها تدور حول معنى العلم والفهم والادراك والتدبير ، وبهذا
ندرك أن المقصود من العقل في القرآن الكريم هو العلم والفهم .
ومما يزيد الأمر وضوحاً أن أكثر آيات القرآن الكريم جاءت على وجهين
متقابلين (٣)

الوجه الاول

آيات تنعى على أولئك الذين لا يعملون عقولهم التي وهبها الله
اياهم وأنعم بها عليهم فعطلوها عن عملها الذي خلقها الله له . وانقادوا
لشهوواتهم ورجباتهم فأصبحوا كمن لا عقل له بل هم أضل .

الوجه الثانى

ويقابل ذلك النعي على أولئك دعوة من استعمل عقله الى أعماله
على الوجه الأمثل حسب ارشاد القرآن الكريم وتوجيهاته وتوجيه أعماله
وتفكيره وتدبره لما فيه الخير والصلاح والا صار وبالاً على صاحبه وعلى
مجتمعه .

(١) سورة البقرة : الآيه ٧٥

(٢) انظر تفسير بن كثير ج ١ ص ١١٨ وتفسير الشوكاني (فتح القدير)
ج ١ ص ١٠٢ وتفسير ابى السعود ج ١ ص ١١٦ وتفسير الخازن
ج ١ ص ٦٠ وتفسير القاسمى ج ٢ ص ١٦٦ والتفسير الوسيط
ص ١١٦

(٣) العقل مجالاته وآثاره فى ضوء الاسلام : رساله اعداها لنيل
درجة الماجستير الشيخ عبد الرحمن بن زيد الزيندى ص ٤٦

إذا فالمقصود فيما نرى بالعقل في القرآن الكريم العقل المكتسب
الناشئ عن حركة العقل الغريزي حركة يدرك بها الحق ويعمل به وينقاد
إليه ويفهم بها الباطل فيحذره ويجتنبه مسترشدا بهذا وذاك بدليل
الوحي وبدون هذه الحركة فإن العقل الغريزي لا أثر له إلا كونه حجة على
صاحبه يوم القيامة .

فالقرآن إذا إنما يستشير فينا تحريك العقل حتى يؤدي عمله وعمله
الفقه والتفكير والتذكر والتدبر ولهذا فإنا نرى القرآن الكريم يحث أحيانا
كثيره على نتاج العقل إذا هو المراد وهو المقصود ولذلك نرى شيخ
الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يقول " فالعقل لا يسمى به مجرد
العلم الذي لم يعمل به صاحبه ، ولا العمل بلا علم ، بل إنما يسمى
به العلم الذي يعمل به والعمل بالعلم . ولهذا قال أهل النار " لو كنا
نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير " (١) وقال تعالى (أفلم يسيروا
في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها " (٢) (٣)

لا أريد أن أقول إن هذا هو العقل بكل إطلاقاته فلا مشأه
في الاصطلاح ولكن أريد أن أقول هذا هو المراد بالعقل في القرآن
الكريم وهذا هو العقل الذي يخاطبه ويوجه إليه أوامره كتاب الله
ومن حرم منه فقد حرم أما من حرم الأول أعني العزيزي فهو غير مكلف
وبالتبع غير مخاطب . جعلنا الله وإياكم ممن يسمعون كلامه
فيعقلونه .

-
- (١) سورة الملك من الآية : ١٠
(٢) سورة الحج من الآية : ٤٦
(٣) رسالة في العقل والروح : لابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل المنيرية
ج ٢ ص ٣٤

مكانة العقل فى الاسلام :

وللعقل بعد هذا فى الاسلام منزلة كبيره ودرجة رفيعه ، يتبوأ فيها . ويتفياً ظلالها ، فليس ثمة عقيدة تحترم العقل الانسانى وتعتمد عليه فى ترسيخها كالعقيدة الاسلامية ، وليس ثمة كتاب خاطب العقل وغالى بقيمته وكرامته ككتاب الاسلام ، ونظرة الى آيات القرآن الكريم تلقى عبارات " لعلمكم تعقلون " " لقوم يتفكرون " " لقوم يفقهون " تتكرر عشرات المرات مؤكدة المنهج القرآنى الفريد فى الاقتناع العقلى للايمان كل هذا يؤكد ما للعقل من منزله كبرى فى الاسلام .

وإذا ما ذهبنا لتلمس مظاهر أخرى عديدة لتكريم الاسلام للعقل برزت لك جوانب مشرقه اذكر منها :-

أولاً : قيام الدعوة الى الايمان على الاقتناع العقلى

وتظهر سمات ذلك بأساليب شتى ، مثل :-

١ - الدعوة الى التفكير والتدبر فى كتابه " كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب " (١) ثم يستشير العقل الانسانى متحدياً له أن يأتى بمثل هذا القرآن حتى اذا ما عجز سلم مقنعاً بأنه من عند الله " قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات " (٢) " فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين " (٣)

ودعا العقل الى التدبر فى مخلوقات الله أولم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى وان كثيراً ممن الناس بلقاء ربهم لكافرون " (٤) ثم يستشير مرة أخرى أن يجد خلافاً

(١) سورة ص : آية ٢٩

(٢) سورة هود : آية ١٣

(٣) سورة الطور : آية ٣٤

(٤) سورة الروم : آية ٨

شيء منها حتى اذا ما عجز زاد تسليما واقتناعا " الذي خلق سبع سموات طبقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير " (١)

ودعاه الى التدبر في تشريعاته ففيها عبرة وفيها اعجاز " ولكم فـسى القصاص حياة يا اولى الالباب لعلكم تتقون " (٢)

ودعاه الى التدبر والنظر في احوال الامم الماضية وعاقبة معاصيهم التي اصرروا عليها " قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين " (٣)
" اولم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم يمكن لكم وارسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وانشأنا من بعدهم قرنا آخرين " (٤)

ودعاه الى التدبر والنظر والتأمل في هذه الحياه الدنيا ونعيمها الزائل " واضرب لهم مثل الحياه الدنيا كما انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيمًا تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا " (٥)
هذه بعض مظاهر التأمل التي دعا القرآن العقل اليها وهو حين يدعوه الى ذلك لا يريد منه أن يقف عند حدود التأمل والنظر فليس ذلك بميراد لذاته وانما ليعبر منه الى ثمرته وفائدته فيقوم به عقيدته ويرسى أركانها ويثبت قواعدها ثباتا لا تزعه هبات بل رياح الشهوات . وحينئذ يكون الفلاح وحينئذ يكون الايمان الحق ذلكم هو المراد وهو الهدف . لكنـه ليس هو نهاية المطاف .

-
- (١) سورة الملك : آية ٣ - ٤
(٢) سورة البقرة : آية ١٧٩
(٣) سورة الانعام : آية ١١
(٤) سورة الانعام : آية ٦
(٥) سورة الكهف : آية ٤٥

ثانياً :

وحين يصل القرآن بالعقل الى هذه الدرجة فانه لا يدعه هملاً بل وجه طاقته الى هدف آخر أوسع رقعه وأعظم نتيجة تلکم هي مراقبة الحياة الاجتماعية مراقبة اصلاح وتوجيه لما فيه فلاحها وسعادتها " ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون " (١)

وليست هذه المهمة لاصلاح المجتمع مسؤولية المجتمع كله فحسب بل هي مسؤوليه كل فرد فيه فلا قيمة للصلاح اذا اقتصر على اصلاح الذات ولم يتسع لاصلاح الآخرين مع قدره على ذلك " " واتقوا فتنه لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة " (٢) " لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون " (٣)

ثالثاً :

والقرآن حين يدعو الى الايمان ينعى على المقلدين الذين لا يعملون عقولهم ، ويتبعون نظريات واهيه وآراء زائغه لا لشيء الا لأنهم ألفوا آباءهم عليها " واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباءهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون " (٤) وحذر من هذا السلوك وأن يتبع الانسان ما ليس له به علم " ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلاً ولا " (٥)

(١) سورة آل عمران : آيه ١٠٤

(٢) سورة الانفال : آيه ٢٥

(٣) سورة المائدة : الايتين ٧٨ - ٧٩

(٤) سورة البقرة : الآيه ١٧٠

(٥) سورة الاسراء : الآيه ٣٦

رابعاً :

وكرمه ودعاه الى العلم وطلبه وقرن سبحانه ذكر أولى العلم بذكره عز وجل وذكر ملائكته " شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم " (١)

وجعل العلم مشاعاً لأنه غذاء العقل ولعن أولئك الذين يحتكرونه " ان الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم " (٢)

خامساً :

وكرمه فأسند اليه استنباط الأحكام فيما لا يوجد فيه نص من كتاب أو سنة أو إجماع .

سادساً :

وتوج تكريمه له بالأمر بالمحافظة عليه وتحريم كل ما يغطى فعله وأثره فضلاً عما يزيله فحرم شرب الخمر " انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه " (٣) وجعل فيه الدية كاملة على من تسبب في أزالته عن آخر (٤)

لكن الاسلام مع هذا التكريم كله وهذا الاهتمام حد للعقل حد ودا هي كل ما يستطيع تبينه وحذره من الولوج فيما لا يستطيع ادراكه خشية عليه وحرصاً على سلامته حتى لا يضل ويضل وكيف له وهو المخلوق أن يدرك

(١) سورة آل عمران : الآية ١٨

(٢) سورة البقرة الآيتين ١٥٩ - ١٦٠

(٣) سورة المائدة : من الآية ٩٠

(٤) انظر المغنى لابن قدامه : ج ٨ ص ٣٧

ذات الخالق بل أنى له أن يدرك كل المخلوقات ؟ ! فليؤ من بما استطاع
ادراكه وليبنى على ما أدرك ما لم يدرك : وما أعظمها من شفقه حين قال
عليه الصلاة والسلام " لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هنا ، خلق الله
الخلق فمن خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل آمنت بالله " (١)

وما أعظمه من توجيهه " يستلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي " (٢)
صرف الجواب عن ماهيتها لأنه ليس من شؤون العقل ولا من مداركه .

توجيهه وشفقه هما التوجيه السديد حتى لا يتيه العقل فى ما ليس
من دركه وليس من طاقته وهما لاشك تكريم وأى تكريم .

ولذا كان الصحابه رضى الله عنهم لا يخوضون فيما لا يستطيعون
دركه ومعرفته فهذا عمر رضى الله عنه يقرأ على المنبر " وفاكهة وأبا " (٣)
فقال هذه الفاكهه قد عرفناها فما الأب ؟ ثم رجع الى نفسه فقال ان هذا
لهو التكلف يا عمر (٤)

وليس هذا من عمر بالتسليم الأعمى كما يعبر عنه أو بمطلق التقليد
بل هو وقوف منه عند حد المعرفة الواجبه وأعراض عما زاد عنها مما هو
تكلف فهو وغيره يعرف أن " أبا " نبت يخرج من الأرض بدليل سياق
الآيات " فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا " الآيات (٣)

والأمله على وقوف السلف عند حدود المعرفة الواجبه وترك التكلف
فيما بعد ذلك كثيره

(١) رواه مسلم كتاب الايمان ج ١ ص ١١٩

(٢) سورة الاسراء : من الآية : ٨٥

(٣) سورة عبس : الآيات ٢٧ - ٣١

(٤) مجموع فتاوى بن تيمية : ج ١٣ ص ٣٧٢

وعلى هذا مضى المسلمون فى العصر الأول من الاسلام عرفوا ما للعقل
فدرسوه وما ليس له فاجتنبوه بل اجتنبوا من عرف بالأهواء والسؤال عن
المتشابه فهذا " صبيغ بن عسل " جعل يسأل عن متشابه القرآن فى
أجناد المسلمين حتى قدم مصر فبعث عمرو بن العاصى به الى عمر بن
الخطاب رضى الله عنهما فلما أتاه الرسول بالكتاب فقرأه قال أين الرجل ؟
أبصر لا يكون ذهب فتصبيك منى العقوبه الوجيعه فأتى به فقال عمر بسبيل
محدثه فضربه وأعادته الى أرضه وكتب الى أبى موسى الأشعري أن لا يجالسه
أحد من المسلمين قال أبو عثمان النهدي فلو جاءنا ونحن معه لتفرقنا
عنه (١)

ثم لم تزل هذه الأمور تتسع حتى تكلم معبد بن خالد الجهنى فى
القدر فقال " لا قدر والأمر أنف " (٢) وقد أخذ عن معبد هذا غيلان
الدمشقي (٣) الذى نشره بين المسلمين وقتل من أجله وقد أنكر عليهم
مذهبهم هذا من كان حيا من الصحابه كعبد الله بن عمر وجابر بن
عبد الله وأبو هريره وابن عباس وانس بن مالك وعبد الله بن أبى أوفى
وعقبه بن عامر الجهنى (٤)

وأساس مذهب القدرية انكار القدر وأن للانسان الحرية المطلقة فى
أفعاله لاسلطان لأحد على ارادته .
وفى مقابل هؤلاء نشأت فرقة أخرى تقول بأن الانسان مجبور على
الفعل لا اختيار له ولا قدره كالريشه فى الهواء وتعددت الفرق بعد هذا
وافترقت .

-
- (١) تهذيب تاريخ بن عساكر : هذبه عبد القادر بن أحمد الدومي المعروف
بابن بدران ج ٦ ص ٣٨٥
(٢) تبين كذب المفترى فيما نسب الى الامام أبى الحسن الأشعري :
لابن عساكر الدمشقي ص ١٠
(٣) تهذيب التهذيب : ابن حجر ج ١ ص ٢٣٦
(٤) الفرق بين الفرق : عبد القاهر البغدادي ص ١٥

ولم تزل العلوم العقلية بعد هذا تنمو وتتسع متوازنة مع توسع
الفتوحات الإسلامية ومع دخول الناس على اختلاف مشاربهم وتعدد منازعهم
وتنوع رغباتهم وحقائقهم في الإسلام اتسعت هذه العلوم فترجمت العلوم
إلى العربية وأقبلوا بصفة خاصة على الفلسفة اليونانية لحاجتهم إليها في
الجدل والمناظرة فتجاوز الحديث عن المنطق أدناه إلى الحديث عن
حدوده وقضاياها وأقيسته فظهرت في المؤلفات عبارات واصطلاحات ومدلولات
لم يكن لها سابق وجود فتحدثوا عن العرض والهيولى والجواهر والصور
والقياس والقضايا السالبة والموجبة .

ومن الطريف أن العقل نفسه لم يسلم من هذا التنازع فتنازعت فيه
طوائف طائفته وتمجده وترفع من مقامه إلى درجة تقديسه واعطائه أكثر من
حقه وعرف هؤلاء بالمعتزلة ولهذا أسماهم بعض المستشرقين بـ "العقليين" (١)
أو المدرسة العقلية الأولى .

وفي مقابل هؤلاء ذهبت طائفته إلى احتقار العقل وامتهانه واعتقدوا
في بعض البله والمجانين وزعموا أنهم أولياء وفضلوهم على متبعي طريقة
الرسول صلى الله عليه وسلم (٢)

ولكل من هؤلاء وأولئك شبهات وضلالات والحق وسط بينهما تجاوزه
الأولون فضلوا وقصر دونه الآخرون فضلوا واستقر السلف وما زالوا على عرشه
فاهتدوا وما زالوا مهتدين .

(١) ضحى الإسلام : أحمد أمين ج ٣ ص ٨٩

(٢) شرح العقيدة الطحاوية : علي بن علي بن أبي العز الحنفي

نشأة المدرسة العقلية الاجتماعية الحديثة :

كانت هذه صورة عن بعد للموقف من العقل في ضحى الاسلام لكنها لم تلبث أن هدأت ان لم تكن خمدت تبعا للشعوب الاسلامية التي أنهكتها الحروب الصليبية وهجمات التتار والمآسى والنكبات التي مرّ بها العالم الاسلامى التي أسلمته الى فترة البيات وليس بياتا شتويا وانما بياتا طويلا أخذ فيها العالم الاسلامى الى الدعة وآثر السكون والخمول .

فتداعت عليه الأم كما تتداعى الأكله على قصعتها فأكلوا منه وشربوا وراحوا يفتسمون البلاد ويستخرجون ثرواتها وأهلها نائمون .

وأمتت البلاد الاسلامية كافة تحت سيطرة البلاد الأوروبية التي استغلت خيراتها وثرواتها وكان أن استيقظ نفر على هذا الضجيج الحضارى فكانوا تماما كنفر ناموا حقيقة ثم وقع على رؤوسهم وهم نائمون جلبه وضوضاء مفزعة فقامت طائفة مضطربه تقفز يمنه ويسره على غير هدى وتتكلم بكلام هو وليد دهشتها ورعبها وقامت طائفة أخرى بهدوء وسكينه فهللوا وكبروا وذكروا الله فأنزل الله على قلوبهم السكينة .

ولم تزل الطائفة الثالثة نائمة لم تشعر بشىء وأنى لهم ؟ ! تلكم الطوائف الثلاث هي واقع فى المسلمين - فيما أحسبه - فى نهضتهم الحديثه قامت طائفة كما قام الأولون مند هشين مبهورين فزعين مضطربين يدعون الى الحضارة الغربيه دعوة عمياء وينعقون بما لا يفهمون أو بما يفهمون ولا يعقلون ، وقام الآخرون فنظروا بعيون بصيره وقلوب مطمئه فاختاروا السبيل السوى ودعوا اليه . ولم تزل الطائفة النائمة تغط فى سبات عميق .

أما العدو والصائل فقد أعد للأمر عده فأكسى أصحاب الثقافة الدينية أصحاب القلوب المطمئة عن ميادين الإصلاح الاجتماعى وحصر وظائفهم فى المساجد الذين قل روادها عموما ، وسلم المضطربين الفزعين الوظائف الحكومية وأدوات التوجيه الاجتماعى فكانوا لا يسيرونها الا بوحى وتوجيه منه وكان المراد ؟ ! وأبقى على النائمى نومهم .

فكان للاستعمار - بل الاستهدام - ان صح التعبير السيطره على أجهزة التعليم فى كثير من البلاد الاسلامية فضلا عن جهود الدائمه لنشر التغريب واللا دينية بكل الوسائل الممكنه وأهموا الناس أن حالة العالم الاسلامى تماما كحالة أوروبا فى العصور الوسطى وأنه لن ينهض الا بما نهضت به أوروبا من فصل السلطة الدينيه عن السلطة المدنية ومن . . . ومن ومن وبذلك يتحقق له ما تحقق للأوروبيين .

ودهش علماء المسلمين دهشة وأى دهشة وأنى يسمع لهم صوت وسط هذا الضجيج وأنى يسمع لهم صوت وأفواههم مكممه ونادوا بقدر ما يستطيعون وذهبوا يردون على تلك الأفكار والمذاهب بأساليب وطرق شتى . وحاولت فئة منهم التقريب والتوفيق بين العلم والدين وبنيت للناس أن الدين الاسلامى الحق لا يجارب العلم الصحيح ولا ينافى العقل الصريح وبينت للناس أن الاسلام دين العقل . . . والحريه . . . والفكر وذهبت تبين لهم ذلك المنهج وتقيم الدين الاسلامى على العقل - الذى لا يقر أرباب الثقافة الغربية غيره حكما - وبينت أن ليس فى الاسلام ما لا يقره العقل وحاولت أن تفسر القرآن الكريم على هذا المنهج وهذا الأساس فكانت بحق المدرسة العقلية الاجتماعيه .

وكان لهذه المدرسة رجال وكان لها مفسرون لهم نشاط واسع فى نشر هذه الثقافة ومكافحة الاستعمار ومقاومة الهجوم على الدين عامه والدين الاسلامى خاصة والقائه تبعة التخلف الحضارى عليه .

وكان من رجال هذه المدرسة المؤسسين لها جمال الدين الأفغانى وتلميذه ومحمد عبده وتلاميذه محمد مصطفى المراغى ومحمد رشيد رضا وغير هؤلاء كثير .

وسميت حركتهم هذه بالنهضة الاصلاحية وكان لها جوانب اصلاحية محموده وكان لها بجانب هذا شطحات ما كانوا ليقعوا فيها لولا تطرفهم فى تحكيم العقل فى كل الأمور حتى جاوزوا الحق والصواب فى أمور لا تخفى .
والمتمعن فى طريقتهم فى التفسير يجد أسسا واضحة بينه يقوم عليها تفسيرهم ويرتكز وهذا أوان بيان هذه الأسس .

منهج المدرسة العقلية الاجتماعية فى التفسير :

يقوم منهج التفسير لدى المدرسة العقلية الاجتماعية على أسس متعددة ولكن كان لا يسعنا أن نطيل الحديث فى بيانها فانه لا يسعنا أن نوجزه ايجازا مخلا فليكن أمرنا فيه وسطا بين هذا وذاك والأسس التى استطعت أن أضيظها هى :-

الاساس الأول :

الوحده الموضوعيه فى القرآن الكريم

وقد أيد كثير من علماء السلف الوحده الموضوعيه فى القرآن الكريم ومنهم ابن العربى الذى قال " ارتباط أى القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعانى منتظمة المبانى علم عظيم " (١)
وقال ولى الدين الملوى رادا على من أنكر الوحده الموضوعية " قد وهم من قال لا يطلب للآى الكريمه مناسبه " الى أن قال " والذى ينبغى فى كل آيه أن يبحث أول كل شىء عن كونها مكمله لما قبلها أو مستقلة ثم المستقلة ما وجه مناسبتها فى ذلك علم جم وهكذا فى السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له " (٢)

(١) الاتقان فى علوم القرآن : السيوطى ج ٢ ص ١٠٨ والبرهان : للزركشى ج ١ ص ٣٦

(٢) الاتقان : السيوطى ج ٢ ص ١٠٨

ومال رجال المدرسة العقلية الاجتماعية الى هذا الرأى فقالوا بالوحده الموضوعيه فى سور القرآن الكريم وعدوه أساسا فى فهم القرآن الكريم فقال محمد رشيد رضا " من نظر فى ترتيب السور كلها فى المصحف يرى أنه قد روعى فى ترتيبها الطول والتوسط والقصر فى الجملة ومن حكمته أن فى ذلك عونا على تلاوته وحفظه فالناس يبذرون بقراءته من أوله فيكون الانتقال من السبع الطوال الى المئين فالمئتانى فالمفصل أنفى للمل وأدعى الى النشاط ، ويبذرون بحفظه من آخره لأن ذلك أسهل على الأطفال ، ولكن فى كل قسم من الطول والمئين والمفصل تقدما لسور قصيره على سور أطول منها ، ومن حكمة ذلك أنه قد روعى التناسب فى معانى السور ————— التناسب فى الصور أى مقدار الطول والقصر " (١)

ثم تحدث رحمه الله تعالى عن التناسب بين سور البقره وآل عمران والنساء والمائده والأنعام ، أما الفاتحة فلم يراع مناسبتها لما بعدها وحده اذ هى فاتحة القرآن كله فقال عن المناسبة بين هذه السور " سورة البقره أجمع سور القرآن لأصول الاسلام وفروعه ففيها بيان التوحيد والبعث والرسالة العامة والخاصة وأركان الاسلام العمليه وبيان الخلق والتكوين وبيان أحوال أهل الكتاب والمشركين والمنافقين فى دعوة القرآن ومحاجة الجميع وبيان أحكام المعاملات المالية والقتال والزوجية ، والسور الطوال التى بعدها متممه لما فيها فالثلاث الأولى منها مفصله لكل ما يتعلق بأهل الكتاب ، ولكن البقرة أطالت فى محاجة اليهود خاصة ، وسورة آل عمران أطالت فى محاجة النصارى فى نصها الأول ، وسورة النساء حاجتهم فى أواخرها واشتملت فى اثنائها على بيان شئون المنافقين مما أجمل فى سورة البقرة ، ثم أتت سورة المائدة محاجة اليهود والنصارى

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٧ ص ٢٨٧

فيما يشتركان فيه وفيما ينفرد كل منهما به ، ولما كان أمر العقائد هو الأهم المقدم في الدين وكان شأن أهل الكتاب فيه أعظم من شأن المشركين قد مت السور المشتملة على حاجتهم بالتفصيل وناسب أن يجيء بعد ها ما فيه محاجه المشركين بالتفصيل وتلك سورة الأنعام لم تستوف ذلك سورة مثلها فهى متممه لشرح ما فى سورة البقرة مما يتعلق بالعقائد وجاءت سورة الأعراف بعد ها متممه لما فيها ومبينه لسنن الله تعالى فى الأنبياء المرسلين وشئون أممهم معهم وهى حجة على المشركين وأهل الكتاب جميعا ولكن سورة الأنعام فصلت الكلام فى ابراهيم الذى ينتمى اليه العرب وأهل الكتاب فى النسب والدين ، وسورة الأعراف فصلت الكلام فى موسى الذى ينتمى اليه أهل الكتاب ويتبع شريعته جميع أنبيائهم حتى عيسى المسيح عليه الصلاة والسلام .

ولما تم بهذه السورة تفصيل ما أجمل فى سورة البقرة من العقائد فى الالهيات والنبوات والبعث ناسب أن يذكر بعد ها ما يتم ما أجمل فيها من الأحكام ولا سيما أحكام القتال والمنافقين ، وكان قد فصل بعض التفصيل فى سورة النساء فكانت سورتا الانفال والتوبه هما المفصلتين لذلك وبهما يتم ثلث القرآن (١)

وقال أيضا بهذا القول من رجال المدرسة العقلية الاجتماعية محمود شلتوت رحمه الله تعالى فقال " ان جميع ما فى القرآن وان اختلفت أماكنه وتعددت سوره وأحكامه فهو وحدة عامة لا يصح تفريقه فى العمل ولا الأخذ ببعضه دون البعض " (٢)

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٧ ص ٢٨٨ - ٢٨٩

(٢) الاسلام عقيدة وشريعة : محمود شلتوت ص ٤٨٧

ولتأكيد الوحدة الموضوعية بين سور القرآن الكريم نرى رجال المدرسة العقلية الاجتماعية يوازنون بين التفاسير فيختارون منها ما يرونه ملتئما مع السياق ولهذا فلربما استعرضوا آراء المفسرين السابقين في تفسير آية أو كلمه قرآنية ورفضوها لمخالفتها لهذا الأساس فالامام محمد عبده رحمه الله تعالى يقول مثلا عند تفسيره لقوله تعالى " ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير" (١) يستعرض آراء المفسرين ثم يقول بعد ذلك " هذا تقرير ما جرى عليه المفسرون في الآيات وإذا وازنا بين سياق آية " ما ننسخ " وآية " وإذا بدلنا آية مكان آية " (٢) نجد أن الأولى ختمت بقوله تعالى " ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير" (١) والثانية بقوله " والله اعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مغتر" (٢) ونحن نعلم شدة العناية في أسلوب القرآن بمراعاة هذه المناسبات فذكر العلم والتزليل ودعوى الافتراء في الآيه الثانية يقتضى أن يراد بالآيات فيها آيات الأحكام وأما ذكر القدره والتقرير بها في الآيه الاولى فلا يناسب موضوع الأحكام ونسخها وانما يناسب هذا ذكر العلم والحكمة فلو قال " ألم تعلم أن الله عليم حكيم " لكان لنا أن نقول انه أراد نسخ آيات الأحكام لما اقتضته الحكمة من انتهاء الزمن أو الحال التي كانت فيها تلك الأحكام موافقة للمصلحه وقد تحير العلماء في فهم الانساء على الوجه الذي ذكروه حتى قال بعضهم ان معنى " ننسها " نتركها على ما هي عليه من غير نسخ وأنت ترى أن هذا وان صح لغة لا يلتئم مع تفسيرها اذ لا معنى للاتيان بخير منها مع تركها على حالها غير منسوخة (قال) (٣) والمعنى الصحيح الذى يلتئم مع السياق الى آخره أن الآيه

(١) سورة البقرة : الآيه : ١٠٦

(٢) سورة النحل : من الآية : ١٠١

(٣) أى الاستاذ الامام محمد عبده

هنا هي ما يؤيد الله تعالى به الأنبياء من الدلائل على نبوتهم أى
(ما ننسخ من آية) نقيمها دليلا على نبوة نبي من الأنبياء أى نزيلها
ونترك تأييد نبي آخر بها أو نفسها الناس لطول العهد بمن جاء بها
فاننا بما لنا من قدره الكاملة والتصرف فى الملك نأتى بخير منها فى قوة
الاقناع واثبات النبوه أو مثلها فى ذلك ومن كان هذا شأنه فى قدرته وسعة
ملكه فلا يتقيد بأية مخصوصه يمنحها جميع أنبيائه " (١)

وانطلاقا من هذا الأساس لدى رجال المدرسة العقلية الاجتماعية
فانا نرى الأستاذ محمد عبده يرفض تحديد فجر بعينه أو ليال عشر
بعينها من قوله تعالى " والفجر وليال عشر " (٢) بل هما مطلقان والعله
فى ذلك الوحدة الموضوعية فى آيات القرآن الكريم قال " كثر خلاف المفسرين
والرواة فى معنى كل من الفجر وليال عشر الى آخر ما اقسام به وقد يفسر
الواحد منهم الفجر بمعنى ثم يأتى فى الليالى العشر بما لا يلائمه وغالب
ذلك يجرى على خلاف ما عودنا الله فى نسق كتابه الكريم وقد جرت سنة
الكتاب بأنه اذا أريد تعيين يوم أو وقت ذكره بعينه : كيوم القيامة فى
" لا اقسام بيوم القيامة " (٣) وكاليوم الموعود فى سورة " والسما ذات البروج "
وكليلة القدر فى سورتها فاذا أطلق الزمن ولم يقيد كان المراد ما يعمله
معنى الاسم كما سبق فى قوله : والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس " (٤)
فالفجر هنا - على هذا هو جنس ذلك الوقت المعروف الذى يظهر فيه
بياض النهار فى جلد الليل الأسود ، وينبعث الضياء لمطاردة الظلام
وهو وقت تنفس الصبح وهو معهود فى كل يوم فصيح أن يعرف بالألف واللام " (٥)
وقال نحو هذا فى " ليال عشر " .

-
- (١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٤١٦ - ٤١٧
(٢) سورة الفجر : الايتين ١ ، ٢ ، (٣) سورة القيامة : الاية الاولى
(٤) سورة التكويد : الايتين ١٧ - ١٨
(٥) تفسير جزء عم : محمد عبده ص ٧٦

واستنادا الى هذا الأساس أيضا ينفى عن تفسير الآية القرآنية كل
ملا يتفق عنده مع مفهوم الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم فتراه ينفى
عن قوله تعالى " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى
الشیطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته
والله عليم حكيم " (١) الآيات ينفى الأستاذ الامام عن تفسير هذه الآيات
قصة الغرانيق التي يلصقها بعضهم فى تفسير الآيه فقال " ما أقرب
هذه الآيات فى مغازيها الى قوله تعالى فى سورة آل عمران " هو الذى
أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما
الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله
وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند
ربنا وما يذكر الا أولوا الالباب " (٢) وقد قال بعد ذلك " ان الذين كفروا
لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك هم وقود النار " (٣)
ثم قال " قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد " (٤)
الخ الآيات ، وكأن احدى الطائفتين من القرآن شرح للأخرى فالذين
فى قلوبهم زيغ هم الذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم ، والراسخون
فى العلم هم الذين أتوا العلم وهؤلاء هم الذين يعلمون أنه الحق من
ربهم فيقولون آمنا به كل من عند ربنا فتخبت له قلوبهم وان الله ليهديهم
الى صراط مستقيم وأولئك هم الذين يفتتنون بالتأويل ، ويشغلون بقال
وقيل بما يلقي اليهم الشيطان ويصرفهم عن مرامى البيان ويميل بهم عن
محجة الفرقان وما يتكئون عليه من الأموال والأولاد لن يغنى عنهم من الله

(١) سورة الحج الآيه : ٥٢

(٢) سورة آل عمران : الآيه ٧

(٣) سورة آل عمران الآيه ١٠

(٤) سورة آل عمران الآيه ١٢

شيئا فستوافيهم آجالهم ، وتستقبلهم أعمالهم ، فان لم يوافيهم الأجل على فراشهم فسيغلبون في هراشهم (١) وهذه سنة جميع الأنبياء مع أممهم وسبيل الحق مع الباطل من يوم رفع الله الانسان الى منزلة يميز فيها بين سعادته وشقائه ، وبين ما يحفظه وما يذهب ببقائه ، وكما لا مدخل لقصة الغرائق في آيات آل عمران لا مدخل لها في آيات سورة الحج " (٢)

وبهذا الأساس أيضا فسر الأستاذ عبدالقادر المغربي " المرسلات " بالرياح قائلا " وقلما ذكر القرآن اطلاق الرياح الا عبر عنه بفعل أرسل ففي سورة فاطر " والله الذي أرسل الرياح " (٣) وفي الحجر " وأرسلنا الرياح لواقح " (٤) وفي الأحزاب " فأرسلنا عليهم ريحا " (٥) وفي الأعراف " وهو الذي يرسل الرياح " (٦) وفي الروم " ومن آياته أن يرسل الرياح " (٧) وفي آيات أخرى غيرها فقله تعالى هنا " والمرسلات " من هذا القبيل " (٨) ويتضح مدى التزامهم لهذا الأساس حين نراهم يذمون رواة أسباب النزول الذين عمدوا الى الآيات ذوات أسباب النزول ليفردوها عن بقية الآيات ويتناولوها بالتفسير والشرح من هذا الجانب وهم بهذا - كما يقول الاستاذ محمد رشيد رضا - يمزقون الطائفة الملتزمة من الكلام الالهي يجعلون القرآن عشرين متفرقه بما يفككون الآيات ويفصلون بعضها من بعض

-
- (٢) الاثارة الثالثة : محمد عبده ص ١٨٢ - ١٨٤ ضمن تفسير الفاتحة وست سور من خواتيم القرآن رشيد رضا .
- (٣) سورة فاطر : من الآيه ٩
- (٤) سورة الحجر : من الآيه ٢٢
- (٥) سورة فصلت : من الآيه ١٦
- (٦) سورة الاعراف من الآيه ٥٧
- (٧) سورة الروم : من الآيه ٤٦
- (٨) تفسير جزء تبارك : عبدالقادر المغربي ص ١٢٦
- (١) الهراش : المواثبة والمخاصمه

وبما يفصلون بين الجمل الموثقه فى الآيه الواحده فيجعلون لكل جملة سببا مستقلا كما يجعلون لكل آية من الآيات الواردة فى مسألة واحدة سببا مستقلا " (١)

تلکم أمثله يظهر منها التزامهم للقول بالوحدة الموضوعية فى القرآن الكريم التزاما يجعله أساسا من الأساس البارزه فى منهجهم .

الأساس الثانى :

الوحده الموضوعيه فى السوره القرآنيه وهو كالأساس الذى قبله من الأساس الواضحه فى منهج المدرسه العقلية الاجتماعيه فى التفسير وقد وقف العلماء السابقون منه موقفهم من سابقه أيضا بين منكر ومؤيد .

طائفة قالت بالتناسب بين آيات القرآن الكريم وتناسقها ومنهم الشيخ ولي الدين الملوى الذى قال " قد وهم من قال لا يطلب للآى الكريمه مناسبة لأنها على حسب الوقائع المفرقه وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمه ترتيبا وتأصيلا فالمصحف على وفق ما فى اللوح المحفوظ مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف كما أنزل جملة الى بيت العزه ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر والذى ينبغى فى كل آيه أن يبحث أول كل شىء عن كونها مكمله لما قبلها أو مستقله ثم المستقلة ماوجه مناسبتها لما قبلها ففى ذلك علم جم وهكذا فى السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقته له " (٢) وقال بالمناسبه أيضا الامام الشاطبي (٣) والامام السيوطى (٤) وغيرهم .

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٢ ص ١١

(٢) الاتقان للسيوطى ج ٢ ص ١٠٨

(٣) انظر الموافقات : الشاطبي ج ٤ ص ٤١٤ - ٤١٥

(٤) انظر الاتقان : السيوطى ج ٢ ص ١١٠

وذهبت طائفة أخرى الى أن القرآن الكريم لم يأت على نسق الكتب الموضوعية اذ ليست له مقدمه وليست فيه مباحث موضوعية . . مرتبه . . لها مقاصد وأغراض في فصول وأبواب وانما كان القرآن مشتملا على عدة سور كل سورة منه احتوت على آيات متعددة كل آية في غرض . فهذه للوعظ وتلك للزجر ، وهذه قصه وأخرى لحكم من الأحكام ، وأخرى لوصف الجنة أو النار (١)

وقد عاب الامام عز الدين بن عبد السلام ذلك وعد طالبه متكلفا حيث قال " المناسبة علم حسن لكن يشترط في حسن ارتباطه الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره فان وقع على أسباب مختلفه لم يقع فيسه ارتباط ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه الا بربط ركيك يمان عن مثله حسن الحديث فضلا عن أحسنه فان القرآن نزل في نيف وعشرين سنه في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض " (٢)

وكما قال رجال المدرسة العقلية الاجتماعية بالوحدة الموضوعية في القرآن الكريم قالوا بالوحدة الموضوعية في السورة القرآنية فقال الشيخ عبد العزيز جاويش " قد يغفل المفسر عما بين آيات القرآن من الارتباط والتناسب وما قد يفيد بعضها بعضا من البيان أو التقييد فيأخذها بالتأويل مفككه العرى مبدده النظم حتى اذا استعصى عليه أمرها ونبأ عقله عن فهمها لا يزال يركب في تأويلها صعاب المراكب ويلتمس بلوغ معانيها بتسليم الجبال وقطع السباب وقلمت اقدامهم من العثار أو استطاعوا ابراز ما فيها من الآثار " (٣)

(١) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم : محمد محمود حجازي ص ١٣

(٢) الاتقان : السيوطي ج ٢ ص ١٠٨

(٣) اسرار القرآن : عبد العزيز جاويش ص ١١٢

وكما ردوا من التفاسير التفسير الذي يخالف الوحدة الموضوعية في القرآن فانهم يردون هنا ما يخالف الوحدة الموضوعية في السورة أو هدفها العام حتى جعلوا هذا الأخير أساساً في فهم آياتها ولذلك فانا نرى - مثلاً - الأستاذ الامام محمد عبده يرفض تفسير الرزق في قوله تعالى " كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا " (١) بأنه كان يجد عندها فاكهه الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف . ويؤكد هذا الرفض بقوله " والله لم يقل ذلك ولا قاله رسوله صلى الله عليه وسلم ولا هو مما يعرف بالرأى ولم يثبت تاريخ يعتد به ، والروايات عن مفسري السلف متعارضة وفي أسانيدها ما فيها " ثم أورد التفسير الذي يراه موافقاً للهدف العام للسورة فقال " وأنت ترى أنه لا دليل في الآية على أن الرزق كان من خوارق العادات واسناد المؤمنين الأمر إلى الله في مثل هذا المقام معهود في القديم والحديث " ثم قال " أما ما سئقت القصة لأجله وهو الذي يجب أن نبحث فيه ونستخرج العبر من قوادمه وخوافيه فهو تقرير نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ودحض شبه أهل الكتاب الذين احتكروا فضل الله وجعلوه خاصاً بشعب إسرائيل وشبه المشركين الذين كانوا ينكرون نبوته لأنه بشر ، وبيان ذلك أن المقصد الأول من مقاصد الوحي هو تقرير عقيدة الألوهية وأهم مسائلها مسألة الوحدةانية وتقرير عقيدة البعث والجزاء وعقيدة الوحي والأنبياء وقد افتتحت السورة بذكر التوحيد وانزال الكتاب ثم كانت الآيات من أولها إلى هذه القصة أو قبيل هذه القصة في الألوهية والجزاء وبعد البعث بالتفصيل وإزالة الشبهات والأوهام في ذلك ثم بين أن الإيمان بالله وادعاء حبه ورجاء النجاة في الآخرة والفوز بالسعادة فيها إنما تكون باتباع رسوله ووفى على ذلك بهذه القصة التي تزيل شبهة المشركين وأهل الكتاب في رسالته وتردها على وجوههم .

(١) سورة آل عمران : من الآية ٣٧

رد عليهم بما يعرفونه من أن آدم أبو البشر وان الله اصطفاه . . . ومن
اصطفاه نوح . . . ومن اصطفاه ابراهيم . . . فاذا كان الأمر له في اصطفاء
من يشاء من عباده وبذلك اصطفى هؤلاء على عالمي زمانهم فما المانع له من
اصطفاء محمد صلى الله عليه وسلم بعد ذلك العالمين كما اصطفى
أولئك " (١)

وكما رد الامام محمد عبده قصة الغرانيق التي يوردها بعض المفسرين
في تفسيرهم لقوله تعالى " وما أرسلنا من قبلك من رسول الا اذا تمنى
القي الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله
آياته والله عليم حكيم " (٢) كما رد قصة الغرانيق لالتزامه الوحدة
الموضوعية في القرآن الكريم فان أنكرها أيضا لالتزامه الوحدة الموضوعية
في السورة القرآنية فقال " والآن أرجع الى تفسير الآيات على الوجه
الذي تحتمله ألفاظها وتدل عليه عباراتها والله أعلم " ثم استعرض هذه
الآيات قائلا " ذكر الله لنبيه حالامن أحوال الأنبياء والمرسلين قبله
ليبين لهم سنته فيهم وذلك بعد أن قال " وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم
قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى
فأملت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير " (٣) الى آخر الآيات ثم قال
" يا أيها الناس انما أنا لكم نذير مبين فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم
مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم
وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى . . . " (٤) . . . الخ

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٣ ص ٢٩٣ - ٢٩٤

(٢) سورة الحج : م الآيه ٥٢

(٣) سورة الحج : الآيات ٤١ - ٤٤

(٤) سورة الحج : الآيات ٤٩ - ٥٢

فالقصة السابق كان فى تكذيب الامم لأنبيائهم ثم تبعه الأمر الالهى لأن يقول
النبي صلى الله عليه وسلم لقومه انى لم أرسل اليكم الا لأنذركم بعاقبة
ما أنتم عليه ولأبشر المؤمنين بالنعيم وأما الذين يسعون فى الآيات
والأدلة التى أقيمها على الهدى وطرق السعادة ليحولوا عنها الأنظار
ويحجبوها عن الأبصار ويفسدوا أثرها الذى اقيمت لأجله ويعاجزوا بذلك
النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أى يسابقوهم ليعجزوهم ويسكتوهم
عن القول وذلك بلعبهم بالألفاظ وتحويلهم عن مقصد قائلها - كما يقع
عادة من أهل الجدل والمماحكة - هؤلاء الضالون المضلون هم أصحاب
الجحيم وأعقب ذلك بما يفيد أن ما ابتلى به النبي صلى الله عليه وسلم
من المعاجزه فى الآيات قد ابتلى به الأنبياء السابقون فلم يبعث نبي
فى أمة الا كان له خصوم يؤذونه بالتأويل والتحريف ويضادون أمانيه
ويحولون بينه وبين ما يبتغى بما يلقون فى سبيله من العثرات فعلى هذا
المعنى الذى يتفق مع ما لقيه الانبياء جميعا يجب أن تفسر الآية^(١)
ثم ذكر تفسيرين للآية يتفقان مع القول بالوحدة الموضوعيه فى السورة
القرآنيه وفى السور القرآنيه .

وقد برزت ظاهرة فى تفاسير أصحاب المدرسة العقلية الاجتماعية
الا وهى اهتمامهم ببيان الغرض العام فى السورة حتى يكون محور ارتكاز
فى التفسير .

الأساس الثالث :

تحكيم العقل فى التفسير

لا ينكر صاحب لب ما للعقل من قيمة وما له من مكانة كبيره فى الحياة عامة
ولا ينكر صاحب فهم وعلم ما له من قيمة ومكانه فى الاسلام أيضا تشهد لذلك
النصوص العديدة والآثار البارزة والعلامات البينة كلها تدل عليه وتشير اليه .

(١) الاثارة الثالثة : الامام محمد عبده ص ١٧٨ - ١٨٠

دعا الاسلام الى استعمال العقل فى مواضع عديدة " كذلك يحيى الله
الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون " (١) " كذلك يبين الله لكم آياته
لعلكم تعقلون " (٢) وغير هذا كثير (٣)

وذم الاسلام بعض الأفعال لمخالفتها العقل " ان الذين ينادونك
من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون " (٤) " تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى
ذلك بأنهم قوم لا يعقلون " (٥) " اف لكم ولما تعبدون من دون الله
أفلا تعقلون " (٦) وغير هذا كثير (٧)

وذكر الاسلام من أسباب دخول النار عدم الاهتداء بالعقل " وقالوا
لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير " (٨)

هذه بعض أمثله على مكانة العقل فى الاسلام بعضها يرسى له مكانة
سامية ودرجة عالية - ومع هذا التكريم فقد كرمه مرة أخرى تكريماً عدها
بعض من لا علم له ولا معرفة امتهاناً وعدها ذو العقول والألباب لا تقل عن
سابقها من المكارم تلك المكرمة أنه حد له حد ودا لا يتجاوزها ورسم له
مراسم لا يتعداها لالشىء الا لأنه سيضل فيها ويتيه ولا لشيء الا لأنها
فوق مداركه وفوق قدراته وطاقاته ومن الخير له كل الخير أن يقف دونهما
لا يخوض فيها وفى هذا ولا شك تكريم له وأى تكريم .

-
- (١) سورة البقرة : من الآية ٧٣
 - (٢) سورة البقرة : من الآية ٢٤٢
 - (٣) مثلاً آل عمران : الاية ١١٨ والنحل الاية ١٢
 - (٤) سورة الحجرات : من الآية ٤
 - (٥) سورة الحشر: من الآية ١٤
 - (٦) سورة الانبياء : من الآية ٦٧
 - (٧) مثلاً سورة البقرة : الاية ٤٤ والاية ٧٦ وآل عمران الاية ٦٥ والانعام
الاية ٣٢
 - (٨) سورة الملك : من الآية ١٠

وكما مر بنا فقد نبتت في الاسلام نابتة أعطت العقل أكثر من حقه وزعمت أنه خلق ليعرف وهو قادر على أن يعرف كل شى المنظور وغير المنظور وجعلوه الحكم الذى يحكم فى كل شىء والنور الذى يجلو كل ظلمه حكموه فى ايمانهم وفى جميع شئونهم الخاصة والعامة (١) حتى قال عالمهم ومفسرهم الزمخشري رامزا للعقل بالسلطان " امش فى دينك تحت رايىة السلطان ولا تقنع بالرواية عن فلان وفلان فما الأسد المحتجب فى عرينه أعز من الرجل المحتج على قرينه . وما العنز الجرباء تحت الشمأل البليل أذل من المقلد عند صاحب الدليل " (٢)

وقد أدى بهم تحكيم العقل المجرد عن النص الى أن شطحوا بعقولهم شطحات وهفوا هفوات فى الكتاب والسنة بل فى جوانب كثيرة من العقيدة ما كانوا ليقعوا فيها لو اهدت وا الى سبيل الحق .

وقد امتطى هذه الصهوة رجال جاءوا من بعد هم فمال بهم وأدى بهم الى أمور خاطئه واعتقادات باطلة وأحكام زائفة وهم وان لم يوافقوهم كل الموافقه فهناك قواعد مشتركة وعقائد متماثلة تجمع بين هؤلاء وهؤلاء حتى أطلق على هؤلاء المتأخرين " معتزلة العصر الحديث " (٣) ولن نسميهم بالاعتزال بل نسميهم بالصفه المشتركة بينهم فليكونوا ولتكن مدرستهم المدرسة العقلية الحديثة وقد اتجهت المتأخره الى الاصلاح الاجتماعى فكان حق لها أن يلصق بها هذا الوصف فتكون المدرسة العقلية الاجتماعية .

(١) الفكر الاسلامى بين الأمس واليوم : محجوب بن ميلاد ص ١١٤

(٢) أطواق الذهب فى المواعظ والخطب : الزمخشري مقالته

٣٧ ص ٢٨

(٣) اليقظه الاسلاميه فى مواجهة الاستعمار : أنور الجندى ص ١٣٢

كيف لا والأستاذ الامام محمد عبده يعد أصول الاسلام فيعد الأول والثانى منها النظر العقلي وتقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض حيث يقول "الأصل الأول للاسلام النظر العقلي لتحصيل العلم . فأول أساس وضع عليه الاسلام هو النظر العقلى . والنظر عنده هو وسيلة الايمان الصحيح فقد أقامك منه على سبيل الحجة وقاضاك الى العقل ومن قاضاك الى حاكم فقد أذعن الى سلطته فكيف يمكنه بعد ذلك أن يجور أو يثور عليه ؟" (١)

ولاشك أن وصف الاسلام بأنه " يذعن لسلطه العقل " تعبير مجانف للصواب ومخالف للحق فالاسلام عقيدة أوسع من أن تدعوا لوسيلة والعقل وسيلة أضيق من أن تحيط بالعقيدة ، تلكم صفات الله تعالى ما حقيقتها ؟ ! وهل يدرك العقل ذلك منها ؟ ! ان زعم ذلك زاعم فقد كذب وأفترى على العقل . وان فوض أمرها فقد اعتقد ما لا يدرك العقل فأنى للعقيدة الصحيحة الصادقة أن تدع لسلطه هي أضعف من ادراكها .

ولنعجل بالأصل الثانى من أصول الاسلام عند الأستاذ الامام قال :-
"الأصل الثانى للاسلام تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض "
الى أن قال " وبهذا الأصل الذى قام على الكتاب وصحيح السننه وعمل النبى صلى الله عليه وسلم مهدت بين يدي العقل كل سبيل فأزيلت من سبيله جميع العقبات واتسع له المجال الى غير حد " (٢)

(١) الاسلام والنصرانية : محمد عبده ص ٧٢ - ٧٣

(٢) الاسلام والنصرانية : محمد عبده ص ٧٤ - ٧٥

وقال أيضا مما يبين درجة العقل عنده " وتقرر بين المسلمين كافة
- الا من لاثقة بعقله ولا بدينه - ان من قضايا الدين ما لا يمكن
الاعتقاد به الا من طريق العقل كالعلم بوجود الله وبقدرته على
ارسال الرسل وعلمه بما يوحي به اليهم " (١)

وهذا الشيخ عبد العزيز جاويش يرفع العقل الى مرتبة تستطيع
أن تصل بالنفس الانسانية الى مراتب الكمال فى الأحكام - والتصورات
والنظم الاجتماعية وغيرها ليس بالوحي ولكن بالبحث والتنقيب والتجارب؟
يقول " ان من الممكن أن تصل العقول البشرية بالبحث والتنقيب والتجارب
الى ما تصبوا اليه النفس الانسانية من مراتب الكمال فى الأحكام والتصورات
والنظم الاجتماعية والمسائل العلمية والآداب الخلقية . . الخ " (٢)

اذا فاذا كانت العقول قادره على هذا فما الحكمة من ارسال
الرسول؟! لاتمام الحجة : لا لا يصح هذا لأن الحجة قائمة بقدره
العقل المزعومه ويبقى السؤال معلقا ما بقى هذا الزعم .

ويقول الشيخ جاويش أيضا " ان القرآن الذى هو كتاب دين الفطره
ما كان ليأتي بما ينافى الآراء القويمه أو تغم حكمته على العقول السليمه
ولم يكن ليكلف العقل الايمان بما لا يعقل أو يحمل الجسم بالاطاقة
له به أو أن يفترض على الانسان ما ليس من موسوعات فطرته اذا فوظيفته
فى البشر رسم أقرب الطرق الى الهداية وحفظ العباد عن مواطن الهلاك
التي يغشاها طلاب الحق والحقيقه لامن طريق الوحي بل من طرائق
التجارب . . . الخ " (٣)

(١) رسالة التوحيد : محمد عبده ص ٧

(٢) الاسلام دين الفطره والحرية : عبد العزيز جاويش ص ١٣٧

(٣) الاسلام دين الفطرة والحرية : عبد العزيز جاويش ص ١٤٥

وذلك الأستاذ محمد فريد وجدى يستدل بأحاديث باطله أو منكروه
أو ضعيفة سندا لعقيدته فى العقل وواصفا هذه الأحاديث وهى بهذه
الدرجة بأنها " قواعد الهيئة " ؟ ! فأورد حديث " الدين هو العقل
ولا دين لمن لا عقل له " (١) وحديث " يا أيها الناس اعقلوا من ربكم وتواصوا
بالعقل تعرفوا ما أمرتم وما نهيتم عنه واعلموا أنه ينجدكم عند ربكم " (٢) الخ
ثم عقب عليها قائلا " بهذه القواعد الإلهية نال العقل حرته وتخلص
من وثاق كان يئن منه ويتعثر فى أصفاده وصار هو المرشد الحقيقى
للإنسان وهى الوظيفة التى خلقه لأجلها الملك الديان " (٣)
إذا فهذه درجة الحكم العقلى لدى رجال المدرسة العقلية
الاجتماعية وطبقوه ودعوا لذلك فى تفسير القرآن الكريم وهذا الأستاذ محمد
فريد وجدى يقول فى تفسير بعض الآيات " كل هذه الآيات
تتناولها القاعدة الأصولية التى انفرد بها هذا الدين وهى أنه لو تعارض
نص وعقل ، أو علم صحيح أول النص وأخذ بحكم العقل أو العلم ، وقد
أول آباؤنا من هذه الآيات ما خالف عقولهم أو ناقض العلم الصحيح ، ونحن
نجرى على سنتهم فنؤول ما يخالف عقولنا منها .

-
- (١) قال الشيخ الألبانى فى كتابه " سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة "
" الدين هو العقل ومن لا دين له لا عقل له " باطل أخرجه
النسائى فى الكنى وعنه الدلابى فى الكنى والاسماء ج ٢ ص ١٠٤
وقال النسائى حديث باطل منكر " انظر سلسلة الاحاديث الضعيفة
والموضوعة ص ١٣
(٢) قال العراقى فى المغنى عن حمل الأسفار فى الأسفار " حديث
يا أيها الناس اعقلوا من ربكم وتواصوا بالعقل الحديث ، داود بن
المحبر أحد الضعفاء فى كتاب العقل ، من حديث أبى هريرة
وهو فى مسند الحرث بن أبى اسامه عن داود " انظر احياء
علوم الدين : للغزالي ج ١ ص ٨٩
(٣) المدينة والاسلام : محمد فريد وجدى ص ٥٢

جرى المسلمون على هذا السمت فكان تطورهم العلمى يمدهم
بالمعلومات وعلماءهم يؤولون الآيات حتى تأخى العلم والدين وسارا كفرسي
رهان لا يسبق أحدهما الآخر . . فلم ينقسم الناس الى فريقين فريق
للدين يقل كل يوم عددا ، وفريق للمدينه يزداد كل يوم مددا ولكن
كانوا في وحده لانقسام لها فبلغوا الى ما لا تبلغه أمة قبلهم من بسطتى
الدينيا والدين " (١)

لذا فهم يصرفون الآيات القرآنيه عن ظاهرها اذا صعب عليهم
فهمها أو التبست على عقولهم معانيها وأنكروا كثيرا من المعجزات أو أولوها
بما لا تكون به معجزه خارقه وردوا بعض الأحاديث الصحيحه وغير ذلك مما
سيأتى بيانه ان شاء الله .

وخذ مثلا لذلك تفسير الشيخ عبد القادر المغربى لقوله تعالى :-
" أمنت من فى السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هى تمور " (٢) حيث قال :
" من فى السماء هو الله تعالى ، لكن قام البرهان العقلي على أن الاله
الازلي خالق الكل وضابط الكل لا يتصور أن يكون مستقرا فى مكان ، فوجب
اذن صرف الآيه عن ظاهرها وحملها على معنى يلتحم مع ما أثبتته
العقل وقام عليه البرهان ، والقرآن يفسر بعضه بعضا فأية " وهو الله
فى السموات وفى الأرض " (٣) تنفى أن تكون ذات الله فى السموات وفى
الأرض اذ كيف يعقل أن تكون الذات الواحده فى مكانين فى آن واحد ؟
لاجرم ان يكون المراد بكونه تعالى فى السماء وفى الأرض ان مشيئته وحكمه
نافذ فيهما وسلطانه وقهره غالب عليهما " (٤)

(١) الاسلام دين الهداية والاصلاح : محمد فريد وجدى ص ٩٢

(٢) سورة الملك : الايه ١٦

(٣) سورة الانعام : من الآيه ٣

(٤) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربى ص ٩

ومن تفسير الشيخ عبد القادر أيضا تفسيره لقوله تعالى " فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم " (١) حيث قال " هذا هو خبر سيدنا يونس حسبما أخذناه من النصوص الصحيحة وليس فيـه ما يستبعد وقوعه اللهم الا التقام الحوت له ومكثه في بطنه حيناً من الزمن حياً يرزق ثم نبذه في ذلك الفضاء ، على أنه ان حق لاهل القرون الماضية أن يستبعدوا خبر صاحب الحوت فلا يحق لأبناء عصرنا ذلك الاستبعاد بعد أن رأوا بعينهم سبج الكثير منهم في بطون الغواصات أياما متطاوالت تحت البحار الطاميات وطيرانهم مثل ذلك في أجواء السموات فالله الذى خلق العقل البشرى ومهد له سبيل الوصول الى مثل هذه العجائب ألا يكون قادراً على أن ييسر حصول مثله لعبده يونس ببعض الأسباب التى لم تزل مجهولة لنا ؟ هذا ما نقوله للمتساءل المتعجب . . . أما نحن معشر المسلمين فنؤمّن بما ورد فى الكتاب مادام أنه غير محال فى العقل " (٢)

ومن التفسير العقلى التفسير بالرأى المجرد عن الدليل الصحيح وهذا الأستاذ محمد عبده يفسر قوله تعالى " وفرعون ذى الأوتاد " (٣) بقوله وفرعون هو حاكم مصر الذى كان فى عهد موسى عليه السلام وللمفسرين فى الأوتاد اختلاف كبير وأظهر أقوالهم ملاءمة للحقيقة أن الأوتاد : المبانى العظيمة الثابتة وما أجمل التعبير عما ترك المصريون من الأبنية الباقيه بالأوتاد فانها هى الأهرام ، ومنظرها فى عين الرأى منظر الوتد الضخم المغروز فى الأرض بل ان شكل هياكلهم العظيمة فى أقسامها شكل الأوتاد المقلوبه ، يبتدىء القسم عريضا وينتهى بأدق مما ابتدأ وهذه هى الأوتاد التى يصح نسبتها الى فرعون على أنها معهوده للمخاطبين " (٤)

(١) سورة القلم : الآية ٤٨ (٢) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربى ص ٢٩-٣٠

(٣) سورة الفجر : الآية ١٠ (٤) تفسير جزء عم : محمد عبده ص ٧٩

ويعلق الاستاذ الامام على تفسير الجلال السيوطى لقوله تعالى
" أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق " (١) بقوله " وقال مفسرنا
الجلال السيوطى ان الرعد ملك أو صوته ، والبرق سوطه يسوق به السحاب
كأن الملك جسم مادي لأن الصوت المسموع بالآذان من خصائص الأجسام ؟
وكأن السحاب حمار بليد لا يسير الا اذا زجر بالصراخ الشديد والضرب
التتابع " (١)

ولكنه يقول فى موضع آخر عن الملائكة " واذا ورد أنهم موكلون بالعوالم
الجسمانية كالنبات والبحار فأنا نستدل بذلك على أن فى الكون عالما
آخر أطف من هذا العالم المحسوس وأن له علاقه بنظامه وأحكامه ، والعقل
لا يحكم باستحالة هذا بل يحكم بإمكانه لذاته ويحكم بصدق الوحي الذى
أخبر به " (٢)

وهذا تلميذه الاستاذ محمد رشيد رضا يرى أن الامداد فى قوله
تعالى " اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة
مردفين " (٣) امداد روحانى لا مادي وقال " وما ادرى أين يضع بعض
العلماء عقولهم عند ما يفترون ببعض الظواهر وبعض الروايات الغريبة
التي يردها العقل ولا يثبتها ماله قيمة من النقل فاذا كان تأييد الله
للمؤمنين بالتأييدات الروحانية التي تضاعف القوة المعنوية ، وتسهله
لهم الأسباب الحسية كانهال المطر وما كان له من الفوائد لم يكن كافيا
لنصره اياهم على المشركين بقتل سبعين وأسر سبعين حتى كان الف
- وقيل الآف - من الملائكة يقاتلونهم معهم فيفلقون منهم الهام

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ١٧٤ والآيه من سورة البقره : ١٩

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ٢٥٤

(٣) سورة الانفال : الايه ٩

ويقطعون من أيديهم كل بنان ، فأى مزيه لأهل بدر فضلوا بها على سائر المؤمنين ممن غزوا بعدهم وأذلوا المشركين وقتلوا منهم الألووف ؟ " الى أن قال " ألا ان فى هذا من شأن تعظيم المشركين ورفع شأنهم وتكبير شجاعتهم وتصغير شأن أفضل أصحاب الرسول وأشجعهم ما لا يصدر عن عاقل الا وقد سلب عقله لتصحيح روايات باطله لا يصح لها سند ولم يرفع منها الا حديث مرسل عن ابن عباس ذكره الألووسي وغيره بغير سند ، وابن عباس لم يحضر غزوة بدر لأنه كان صغيرا فرواياته عنها حتى فى الصحيح مرسله وقد روى عن غير الصحابه حتى عن كعب الأحبار وأمثاله " (١)

وغريب من الشيخ محمد رشيد رضا أن يغمز مرويات عن ابن عباس رضى الله عنهما بأنها حتى فى الصحيح مرسله وهو العارف بالحدِيث وعلومه ولا أظنه يخفى عليه حكم مرسل الصحابى حتى أن ابن الصلاح لم يعده من أنواع المرسل قائلًا " ثم انا لم نعد فى أنواع المرسل ونحوه ما يسمى فى أصول الفقه " مرسل الصحابى " مثل ما يرويه ابن عباس وغيره من أحداث الصحابه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسمعه منه لأن ذلك فى حكم الموصول المسند لأن روايتهم عن الصحابه والجهاله بالصحابى وغير قاده لأن الصحابه كلهم عدول والله أعلم " (٢)

وغريب منه أيضا أن يغمز ابن عباس رضى الله عنهما بأنه روى عن غير الصحابه حتى عن كعب الأحبار وأمثاله " فهل يرى الشيخ رشيد بأن ابن عباس رضى الله عنهما يروى عن لا يثق بصدقه وأمانته ، بل وما دخل روايته عن كعب الأحبار بروايته عن غزوة بدر ، لا أرى هذا الا ضعفا فى الحججه .

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٩ ص ٥٦٦ - ٥٦٧

(٢) علوم الحديث : ابن الصلاح ص ٥٠ - ٥١

ومن تفسير الأستاذ محمد رشيد رضا بالرأى المجرد تفسيره للمسوخ
فى قوله تعالى " ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا
قردة خاسئين " (١) بقوله " أى فكانوا بحسب سنة الله فى طبع الانسان
وأخلاقه كالقردة المستذله المطرودة من حضرة الناس . والمعنى أن هذا
الاعتداء الصريح لحدود هذه الفريضة قد جرأهم على المعاصى والمنكرات
بلا خجل ولا حياء حتى صار كرام الناس يحتقرونهم ولا يرونهم أهلا
لمجالستهم ومعاملتهم " ثم قال " وذهب الجمهور أيضا الى أن معنى
" كونوا قردة " أن صورهم مسخت فكانوا قردة حقيقيين والآية ليست
نصا فيه ، ولم يبق الا النقل ولو صح لما كان فى الآية عبرة ولا موعظه
للعصاه لأنهم يعلمون بالمشاهدة أن الله لا يمسح كل عاص فيخرجهم
عن نوع الانسان اذ ليس ذلك من سننه فى خلقه وانما العبرة الكبرى
فى العلم بأن من سنن الله تعالى فى الذين خلوا من قبل أن من يفسق
عن أمر ربه ويتفكك الصراط الذى شرعه له ينزل عن مرتبة الانسان ويلتحق
بعجماءات الحيوان وسنة الله تعالى واحده فهو يعامل القرون الحاضرة
بمثل ما عامل به القرون الخالية " (٢)

ولا أظن هذا الذى قاله الشيخ رشيد رضا الا مغالطه فى أمر واضح
بين فليس هذا العقاب وهو الوحيد من نوعه فى الأمم السابقة عذبت أمه
بالطوفان وعذبت أخرى بالصيحة وعذبت ثالثة بحجارة من سجيل وعذبت
آخرون بالخسف وبالجراد والقمل والضفادع وغير ذلك والعصاه يعلمون
بالمشاهدة أن الله لا يعذب كل عاص بهذا العذاب فهل يعد هذا
مبطلا لحقيقة هذه العقوبات أو مبررا لتأويلها بل تحريفها عن معانيها
لمجرد كونهم لا يرونها سنة من سنن الله فى العصاه ؟!

(١) سورة البقره : الآية ٦٥

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٣٤٤

هذا بعض ما أدى بهم اليه تحكيم العقل المجرد عن النص وهي قضايا آحاديه تولدت حتى أصبح بعضها أساسا مستقلا بذاته في منهجهم في التفسير نذكر من هذه الأسس التي تولدت عن هذا الاصل لديهم انكار التقليد وذمه ، وموقفهم من التفسير بالمأثور ورد بعض الأحاديث الصحيحه ، والتحذير من الاسرائيليات وتأويل المعجزات والخوارق بما يبطلها ، وكذا تأويل بعض القصص القرآنية بالتمثيل وعدم وقوعها وموقفهم من بعض الغيبيات كالملائكة والجن وبعض علامات الساعة وأماراتها وموقفهم من السحر وغير ذلك كثير .

كلها أمور تولدت من هذا الأساس العميق المتأصل في منهجهم بل عمود منهجهم الأول ونحن هنا - في دراستنا هذه سنعرض لبعض هذه الأبحاث عرضا سريعا غرضنا منه جلاء الصورة وبيان أبعادها وحدودها ليس الا . وليس من شأننا دراسة هذا الأساس أو هذا المنهج دراسة نقديه موسعه فذلك شأن آخر وانما غرضنا عرض مناهج التفسير في العصر الحديث ولمن شاء أن يدرس كل منهج دراسة نقديه موسعه ففي كل منها ماده وفيره للدراسة ومعالم بارزه محموده ومذمومه .

الاساس الرابع :

انكار التقليد وذمه والتحذير منه

وهو أساس متولد - كما ذكرنا - من سابقه ويطلق التقليد ويراد به في عرف الفقهاء " قبول قول الغير من غير حجه " ولا يسمى الاخذ بالكتاب أو السنه أو الاجماع تقليدا لان ذلك هو الحجه في نفسه " (١)

(١) روضه الناظر وجنة المناظر : ابن قدامه المقدسي ص ٢٠٥

ولا يخفى أمر الاجتهاد والتقليد فى عمومهم وقد حدثت بين المسلمين حوادث تحزفي نفس المسلم من عبارات مؤيدى الاجتهاد أو انصار التقليد وما أدى التطرف بطائفه من هؤلاء وأخرى من اولئك الى أقوال وأفعال لا تحمد وليس بحثنا هنا بحثا أصوليا نعرض فيه أقوال هؤلاء وهؤلاء ولكنه بيان لموقف رجال المدرسه العقلية الاجتماعية فى التفسير .

وهو موقف تلحظه فى كل سطر بل فى كل كلمه من كلماتهم يرفضون التقليد وينكرونه ويذمون أصحابه وينعون عليهم فعلهم .

وهذا الاستاذ الإمام محمد عبده استاذ المدرسه ورائدها جعل تحرير الفكر من قيد التقليد أول أمر دعا اليه حيث قال " ثم لم البث بعد قطعه من الزمن ان سئمت الاستمرار على ما يألون واندفعت الى طلب شىء مما لا يعرفون فعثرت على ما لم يكونوا يعثرون عليه وناديت بأحسن ما وجدت ودعوت اليه وارتفع صوتى بالدعوه الى أمرين عظيمين الاول تحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريقة سلف الامه قبل ظهور الخلاف والرجوع فى كسب معارفه الى ينابيعها الاولى واعتباره من ضمن موازين العقل البشرى التى وضعها الله لترد من شططه وتقلل من خلطه وخبطه . . . وقد خالفت فى الدعوه اليه رأى الفئتين العظيمتين اللتين يتركب منهما جسم الامه - طلاب علوم الدين ومن على شاكلتهم وطلاب فنون هذا العصر ومن هوفى ناحيتهم " (١)

وهذا الاجتهاد الذى يدعو اليه الاستاذ الامام سهل المنال على الجمهور الاعظم وقد وضع ذلك بقوله " فرض الاسلام على كل ذى دين

(١) تاريخ الاستاذ الامام : محمد رشيد رضا ج ١ ص ١١

أن يأخذ بحظه من علم ما أودع الله في كتبه وما قرره من شرعه وجعل
الناس في ذلك سواء بعد استيفاء الشرط باعداد ما لا بد منه للفهم وهو
سهل المنال على الجمهور الاعظم من المتدينين لا تخص به طبقة من
الطبقات ولا يحتكر مزيته وقت من الاوقات " (١)

ولأنه سهل المنال فان تلميذه السيد رشيد رضا يعد ما اشترطه
العلماء في بلوغ رتبة الاجتهاد افتياتا على الله تعالى فقال " وان فى
اطلاق مقلدة المصنفين من خلف القرون الوسطى القول بايجاب تقليد
المجتهدين فى أمور الدين وتحريم الاخذ بالدليل فيه - لاشترائهم
فيه استعداد كل مستدل مستقل للتشريع - لافتياتا على دين الله
ونسخا لكتاب الله وشرعالم يأذن به الله خلاصته تحريم العلم وايجاب الجهل
وهذا منتهى الافساد للفطره والعقل وهو أقطع المدى لواصل الاسلام
وأفعل المعاول فى هدم قواعد الايمان وعلة العلل لانتشار البدع التى
ذهبت بهد ايه الدين واستبدلت بها الخرافات ودجل الدجالين " (٢)

ولهذا فانك ترى الحرص الشديد لدى رجال المدرسة العقلية
الاجتماعية على ذم التقليد والتشجيع على المقلدين وخلطوا بين التقليد
فى العقيدة والتقليد فى الاحكام وقلبوا الآيات فى تفسير قوله تعالى
" فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون " (٣) قال الاستاذ محمد عبده
" فما جرى عليه المقلدون من المسلمين من الاخذ بأراء بعض الفقهاء
فى العبادات والحلال والحرام هو عين ما أنكره كتاب الله تعالى على أهل
الكتاب وجعله منافيا للاسلام بل جعل مخالفتهم فيه هى عين الاسلام،
فليعتبر المعتبرون " (٤)

(١) رسالة التوحيد : محمد عبده ص ١٦٢ - ١٦٣

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ١١٤

(٣) سورة آل عمران : من الآية ٦٤

(٤) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٣ ص ٣٢٧

وخذ مثلا ما قاله في قوله تعالى " اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب" (١) : - " لولا أن حيل بين المقلدين وهداية القرآن لكان لهم في هذه الآيه اشد زلزال لجمودهم على أقوال الناس وآرائهم في الدين سواء كانوا من الاحياء أم الميتيين وسواء كان التقليد في العقائد والعبادات أم في أحكام الحلال والحرام اذ كل هذا مما يؤخذ عن الله ورسوله ليس لاحد فيه رأى ولا قول الا ما كان من الاحكام متعلقا بالقضاء وما يتنازع فيه للناس فلأولى الامر فيه الاجتهاد بشرطه اقامة للعدل " الى أن قال " في مثل هؤلاء المتبوعين والتابعين نزل قوله تعالى في سورة الاعراف " كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى اذا اذركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت أولاهم لا خراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون " (٢) فكل يؤخذ بعمله فاذا حمل الاول الآخر على رأيه ودعاه الى اتباعه فيسه أوفى رأى غيره الذى يقلده هو فيه من الاثمه المصلين وعليه اثمه واثم من أضلهم من غير أن ينقص من اثمهم شيئا اذ حرم الله عليه اتخاذ الانداد من دون الله فاتخذوهم " (٣)

وهذا الشيخ عبدالعزيز جاويش يرى أن الاجتهاد يلزم كل من قدر على فهم القرآن والكتب الصحاح ؟! حيث يقول " فكل من يعرف لغة القرآن لا ينبغي له بحال ما أن يقلد غيره تقليدا متى قدر على فهمه وفهم الكتب الصحاح فى السنه فلم ينسد ولن ينسد باب الاجتهاد برغم أنف من أرادوا أن يحجروا على العقول البشرية ويقيموا عليها أوصياء من الاولين حتى تسير كما ساروا وتقول بما قالوا " (٤)

(١) سورة البقره : الاية ١٦٦ (٢) سورة الاعراف : من الآيتين ٣٨ - ٣٩

(٣) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٢ ص ٧٩

(٤) الاسلام دين الفطره والحريه : عبدالعزيز جاويش ص ٧٠

هذه بعض نصوصهم وعباراتهم ولا شك أن الدعوة المتطرفة لا يتولد عنها الا نتائج متطرفة واحكاما لذلك . خذ مثلا الشيخ محمد مصطفى المراغى أمر بتشكيل لجنة تنظيم الاحوال الشخصية وأوصاهم بقوله " ضعوا من المواد ما يبد ولكم أنه يوافق الزمان والمكان وأنا لا يعوزنى بعد ذلك أن آتيكم بنص من المذاهب الاسلامية يطابق ما وضعتم " (١)

ان هذه العبارة أخطر من أن يعلق عليها بكلمه أو كلمتين فلنترك التعليق عليها لذوى الالباب ؟!

وخذا مثلا آخر اجتهد ؟! الشيخ محمد عبده فتبين له أنه " من العجيب أن فقهاء المذاهب الأربعة وربما غيرهم أيضا قالوا ان الصلاة بلا حضور ولا خشوع يحصل بها أداء الفرض ويسقط الطلب ما هذا الكلام انه لباطل كل آية تذكر فى القرآن تبطله " (٢) أتدرون ما نتيجة هذا الاجتهاد اسمعوها من أقرب الناس اليه يقول السيد رشيد رضا عن استاذة " وأصرح مع هذا بأنه كان كثيرا (!!) ما يجمع بين صلاتى الظهر والعصر والمغرب والعشاء حتى فى الحضر اذا لم يتييسر له صلاة الأولى بالخشوع والحضور الذى يعتقد وجوبه " (٣)

وخذ مثلا ثالثا من الشيخ محمد رشيد رضا فهو يرى اباحة التيمم للمسافر حتى مع وجود الماء حيث يقول " ألا ان من أعجب العجب غفلة جماهير الفقهاء عن هذه الرخصة الصريحة فى عبارة القرآن التى هى أظهر وأولى من قصر الصلاة وترك الصيام وأظهر فى رفع الحرج والعسر الثابت بالنص

(١) المجددون فى الاسلام: عبد المتعال الصعدي ص ٤٨ هـ والفتح المبين

فى طبقات الاصوليين عبد الله مصطفى المراغى ج ٣ ص ١٩٨

(٢) تاريخ الاستاذ الامام : السيد رشيد رضا ج ١ ص ٩٤١

(٣) المرجع السابق ج ١ ص ١٠٤٣

وعليه مدار الاحكام ، واحتمال ربط قوله تعالى " فلم تجدوا ماء " (١)
بقوله " وان كنتم مرضى أو على سفر " (١) بعيد ، بل ممنوع البتة كما
تقدم على أنهم لا يقولون به في المرضى لان اشتراط فقد الماء في حقهم
لا فائدة له لأن الاصحاء مثلهم فيه فيكون ذكرهم لغوا يتنزه عنه القرآن .
ونقول : - ان ذكر المسافرين كذلك فان المقيم اذا لم يجد الماء يتيمم
بالاجماع فلولا أن السفر سبب للرخصه كالمرضى لم يكن لذكره فائده ولذلك
علوه بما هو ضعيف متكلف وما ورد في سبب نزولها من فقد الماء في السفر
أو المكث مدة على غير ماء لا ينافي ذلك " (٢)

وهاك مثلاً رابعاً لاجتهاد الشيخ محمد عبده وتلميذه السيد رشيد
رضا وذلك في تفسير قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا
أضعافاً مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون " (٣) يرى السيد رشيد أن الربا
المحرم هو ما كان اضعافاً مضاعفة فيقول " والمراد بالربا فيها ربا الجاهلية
المعهود عند المخاطبين عند نزولها لا مطلق المعنى اللغوي الذي هو
الزيادة فما كل ما يسمى زياده محرم " (٤)

ومن قبله قال شيخه الاستاذ الامام " أن الناس تحدث لهم باختلاف
الزمان أمور ووقائع لم ينص عليها في هذه الكتب فهل نوقف سير العالم
لأجل كتبهم ؟ هذا لا يستطاع ولذلك اضطر العوام والحكام الى ترك
الاحكام الشرعية ولجأوا الى غيرها . ان أهل بخارى جوزوا الربا لضرورة
الوقت عندهم والمصريون قد ابتلوا بهذا فشدد الفقهاء على أغنياء البلاد
فصاروا يرون أن الدين ناقص فاضطر الناس الى الاستدانه من الاجانب

(١) سورة النساء : من الآيه ٤٣

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٥ ص ١٢١

(٣) سورة آل عمران : الآيه ١٣٠

(٤) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٤ ص ١٢٣

بأرباح فاحشه استنزفت ثروة البلاد وحولتها للأجانب ، والفقهاء هم المسئولون عند الله تعالى عن هذا وعن كل ما عليه الناس من مخالفة الشريعة لأنه كان يجب عليهم أن يعرفوا حالة العصر والزمان ويطبقوا عليه الاحكام بصورة يمكن للناس اتباعها (!!!) أى كأحكام الضرورات - لا أنهم يقتصرون على المحافظه على نقوش هذه الكتب ورسومها ويجعلونها كل شى ويتركون لاجلها كل شىء " (١)

هذه اشارات موجزه لبعض مواضع اجتهاد ائمتهم فى تفسير آيات الاحكام فى القرآن الكريم يظهر منها المدى الذى وصلوه فى دعوتهم الى الاجتهاد ونبذ التقليد وكلها وكل عباراتهم فى هذا السبيل تعلن اتخاذهم له أساسا هاما فى منهجهم فى التفسير .

الاساس الخامس :

التقليل من شأن التفسير بالمأثور :-

ومن المعلوم أن التفسير بالمأثور يشمل انواعا أربعة :

أولها : تفسير القرآن بالقرآن

ثانيها : تفسيره بالسنة النبوية

ثالثها : تفسيره بأقوال الصحابه رضى الله عنهم

رابعها : تفسيره بأقوال التابعين رحمهم الله تعالى

أما أولها فقد أشرنا الى قبولهم له وأنه أشرف أنواع التفسير وأصح طرقه

ونقصد بحد يثنا هنا النوع الثانى وانما قصرنا الحديث عليه دون الثالث

والرابع لان من رد التفسير بالنسبه النبويه فهو أسرع الى رد أقوال الصحابه

والتابعين رضى الله عنهم .

(١) تاريخ الاستاذ الامام : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٩٤٤

ومن المعلوم منزلة التفسير بالسنة النبوية ومكانتها لدى علماء السلف وأنها تأتي في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم بدليل الكتاب والسنة وقد درج علماء المدرسة العقلية الاجتماعية على التقليل من شأن التفسير بالمأثور والتشكيك فيه وعدم الاحتجاج به وإن كانوا يظهرن قبوله واعتباره .

وهذا السيد محمد رشيد رضا أمام المدرسه في علم الحديث يقول " وأما الروايات المأثوره عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وعلماء التابعين في التفسير فمنها ما هو ضروري أيضا لان ما صح من المرفوع لا يقدم عليه شيء ويليه ما صح من علماء الصحابه مما يتعلق بالمعاني اللغويه أو عمل عصرهم والصحيح من هذا وذاك قليل ، وأكثر التفسير بالمأثور قد سرى الى الرواة من زنادقه اليهود والفرس ومسلمة أهل الكتاب كما قال الحافظ ابن كثير " (١)

وقال الاستاذ رشيد أيضا " فالحق ان كل ما لا يعلم الا بالنقل عن المعصوم من أخبار الغيب الماضي والمستقبل وأمثاله لا يقبل في اثباته الا الحديث الصحيح المرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم وهذه قاعدة الامام ابن جرير التي يصرح بها كثيرا " (٢) ثم قال " وغرضنا من هذا كله أن أكثر ما روى في التفسير المأثور أو كثيره حجاب على القرآن وشاغل لتاليه عن مقاصده العاليه المزكيه للانفس المنوره للعقول ، فالمفضلون للتفسير المأثور لهم شاغل عن مقاصد القرآن بكثرة الروايات التي لا قيمة لها سندا ولا موضوعا " (٢) وقال أيضا " فكل حديث مشكل المتن أو مضطرب الرواية أو مخالف لسنة الله تعالى في الحق أو لاصول الدين أو نصوصه

(١) تفسير المنار : رشيد رضا ج ١ ص ٨، ٧ ، ولم يشر رشيد رضا الى المصدر ولم نقف لابن كثير رحمه الله تعالى على مثل هذا !

(٢) المرجع السابق : ج ١ ص ١٠

القطعيه أو للحسيات وأمثالها من القضايا اليقينه فهو مظنه لما ذكرنا في هذه التنبيهات" (١) ثم قال " فمن صدق روايه مما ذكر ولم يجد فيها اشكالا فالاصل فيها الصدق ومن ارتاب في كل شيء منها أو أورد عليه بعض المرتابين أو المشككين اشكالا في متونها فليحمله على ما ذكرنا من عدم الثقه بالروايه لاحتمال كونها من دسائس الاسرائيليات ، أو خطأ الروايه بالمعنى أو غير ذلك مما أشرنا اليه ، وإذا لم يكن شيء منها ثابتا بالتواتر القطعي فلا يصح أن يجعل شبهه على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم بالقطع ولا على غير ذلك من القطعيات" (١) وقال أيضا عن استاذة " لقد كان الاستاذ الامام يقول ان الاسلام الصحيح هو ما كان عليه أهل الصدر الأول قبل ظهور الفتن ولم يكن يثق الا بأقل القليل مما روى في الصحاح من أحاديث الفتن" (١)

وقال أيضا " وقد ثبت ان الصحابه رضی الله عنهم كان يروى بعضهم عن بعض وعن التابعين حتى عن كعب الاحبار وأمثاله ، والقاعده عند أهل السنه أن جميع الصحابه عدول فلا يخل جهل اسم راو منهم بصحة السند وهي قاعدة أغلبية لا مطرده فقد كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم منافقون . . ." (٢) وقال " ولا شك في أن أكثر الاحاديث قد روى بالمعنى كما هو معلوم واتفق عليه العلماء ويدل عليه اختلاف رواة الصحاح في الفاظ الحديث الواحد حتى المختصر منها وما دخل على بعض الأحاديث من المدرجات فعلى هذا كان يروى كل أحد ما فهمه وربما وقع في فهمه الخطأ لان هذه أمور غيبية . (٢)

(١) المرجع السابق : ج ٩ ص ٤٦٥ - ٤٦٧

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٩ ص ٤٦٥ - ٤٦٧

هذا بعض ما قاله امام هذه المدرسة في الحديث وعلومه ومن بعضه
ندرك مدى تشكيكه وقلة ثقته في التفسير بالمأثور بل السنه عموما لأن عباراته
أوسع من أن تخصص واذا كان هذا من الشيخ رشيد فلا عجب أن لا يثق
استاذة محمد عبده الا بأقل القليل مما روى في الصحاح من أحاديث
الفتن .

وأما الشيخ محمد مصطفى المراغى فيقول " وطاعة الرسول واجبه فى
حياته وبعد مماته فيما علم أنه دعا اليه دعوة عامه من السنن العملية
المبينه للكتاب ومن السنن القولية القطعية فى الروايه والدلاله . . " (١)

وقال الشيخ أحمد مصطفى المراغى فى بيان منهجه فى التفسير " ومن
ثم رأينا ألا نذكر روايه مأثوره ، الا اذا تلقاها العلم بالقبول ولم نر
فيها ما يتنافر مع قضايا الدين التى لا خلاف فيها بين أهله وقد وجدنا
أن ذلك اسلم لصادق المعرفة وأشرف لتفسير كتاب الله وأجذب لقلوب
المثقفين ثقافة علمية لا يقنعها الا الدليل والبرهان ونور المعرفة الصادقة " (٢)

ومن قبلهم قال الاستاذ الامام محمد عبده " ان الحديث الذى يصل
الينا من طريق الآحاد انما يحصل الظن عند من صح عنده أما من قامت
له الأدله على أنه غير صحيح فلا تقوم به عليه حجه وعلى أى حال فلنا ،
بل علينا أن نفوض الامر فى الحديث ولا نحكمه فى عقيدتنا وتأخذ
بنص الكتاب وبدليل العقل " (٣)

(١) الدروس الدينيه لسنة ١٣٥٧ هـ : محمد مصطفى المراغى ص ٢٤

(٢) تفسير المراغى : أحمد مصطفى المراغى ج ١ ص ١٩

(٣) تفسير جزء عم : محمد عبده ص ١٨١

كانت هذه بعض نصوصهم القولية وإذا ما نظرنا الى الجانب التطبيقي فانا نراهم حيناً يوردون ما يتعلق بالآية من السنة النبوية وحيناً ما يفسرها منها وحيناً ثالثاً يوردون التفسير المأثور من غير اشارة الى الحديث الذى ورد فيه وحيناً رابعاً يرفضون التفسير بالمأثور وان صح .

فمن الاول ما أورده الشيخ محمود شلتوت فى تفسير قوله تعالى " وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله " (١) " وإذا كان شخص الرسول قد غاب عن أعين الآخرين فهو حاضر فى قلوبهم ماثل فى أنفسهم ولم تنقطع اسوتهم به فمنزلة وجوده فيهم بعد مماته هي منزلة وجود الكتاب فيهم كلاهما متواتر يلقيه جيل من المؤمنين عن جيل وقد ورد فى الخبر أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه قال " تركت فيكم أمرين لن تضلوا بعدى ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتي " (٢) (٣)

ومنه ما أورده الشيخ محمد مصطفى المراغى فى تفسير قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون " (٤) فقال : - " وفى الحديث الشريف " من أحب أن يكون اكرم الناس فليتق الله " (٥) وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم " لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما بأسه بأس " (٦) (٧)

-
- (١) سورة آل عمران : من الآيه ١٠١
 - (٢) تفسير القرآن الكريم : محمود شلتوت ص ١٢٩
 - (٣) رواه الحاكم فى المستدرک ج ١ ص ٩٣ ورواه مالك فى الموطأ باب النهى عن القول بالقدر .
 - (٤) سورة البقرة : الايه ١٨٣
 - (٥) لم أجده ويشهد لمعناه قوله تعالى (ان أكرمكم عند الله أتقاكم" ١٣ الحجرات ومارواه البخارى سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الناس أكرم قال أكرمهم عند الله أتقاهم صحيح البخارى ج ٥ ص ٢١٦
 - (٦) الدروس الدينيه لعام ١٣٥٧ هـ محمد مصطفى المراغى ص ٩ و٨
 - (٧) رواه الترمذى كتاب صفة القيامه ج ٤ ص ٦٣٤ وابن ماجه كتاب الزهد ج ٢ ص ٥٥٣

وفي قوله تعالى " يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر " (١)
أورد الشيخ محمد مصطفى المراغى حديث " خذوا من الاعمال ما تطيقون فان
الله عز وجل لن يمل حتى تملوا " (٢) وفي حديث معاذ عند ما أطال
الصلاة أفتان أنت يا معاذ ؟ (٣) ان منكم منفرين فاذا ما صلى أحدكم
بالناس فليتجاوز فان منهم الكبير والضعيف وذا الحاجه " (٤) (٥)

ومن الثانى ما نقله السيد رشيد رضا فى تفسير قوله تعالى " وأوعدوا
لهم ما استطعتم من قوة " (٦) فقال " وقد روى مسلم فى صحيحه عن عقبة
بن عامر أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم وقد تلا هذه الآيه على المنبر
يقول " ألا ان القوة الرمي " قالها ثلاثا وهذا كما قال بعض المفسرين
من قبيل حديث الحج عرفه بمعنى أن كلا منهما أعظم الاركان فى
بابه . . " (٧)

وأورد أيضا تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم للظلم فى قوله تعالى
" الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون " (٨)
فيقول :- " روى أحمد والبخارى ومسلم والترمذى وغيرهم من حديث ابن مسعود
أن الآيه لما نزلت شق ذلك على الناس وقالوا يا رسول الله وأينا لم يظلم
نفسه ؟ فقال صلى الله عليه وسلم " انه ليس الذى تعنون الم تسمعوا
ما قال العبد الصالح " ان الشرك لظلم عظيم " (٩) انما هو الشرك " وروى تفسير
الظلم هنا بالشرك عن أبى بكر وعمر وابن عباس وأبى بن كعب وحذيفه وسلمان
الفارسى وغيرهم من الصحابه والتابعين رضى الله عنهم " (١٠)

-
- (١) سورة البقرة : ١٨٥
(٢) رواه البخارى كتاب الصيام ج ٢ ص ٢٤٤ ورواه مسلم كتاب الصيام ج ٢ ص ٨١١
(٣) رواه البخارى كتاب الاذان ج ١ ص ١٧٣ ومسلم كتاب الصلاة ج ١ ص ٣٣٩
والامام احمد فى مسنده ج ٣ ص ٢٩٩
(٤) رواه البخارى كتاب الاذان ج ١ ص ١٧٣ ومسلم كتاب الصلاة ج ١ ص ٣٤٠
(٥) الدروس الدينيه لعام ١٣٥٧ هـ - محمد مصطفى المراغى ص ٢٠
(٦) سورة الانفال : من الايه ٦٠
(٧) تفسير المنار: محمد رشيد رضا ج ١٠ ص ٦٩ وحديث مسلم ج ٣ ص ١٥٢ كتاب الاماره
(٨) سورة الانعام : الايه ٨٢ (٩) سورة لقمان : من الايه ١٣
(١٠) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٧ ص ٥٨٢

ومنه أيضا تفسير الاستاذ الامام محمد عبده المراد بالصلاة الوسطى
في قوله تعالى " حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين" (١)
بقوله " وللعلماء في ذلك ثمانية عشر قولاً أوردها الشوكاني (في نيل
الاطار) أصحابها رواية ما ذهب اليه الجمهور من كونها صلاة العصر
لحديث علي عند أحمد ومسلم وأبي داود مرفوعاً " شغلونا عن الصلاة
الوسطى صلاة العصر " (٢)

ومنه أيضا تفسير الشيخ أحمد مصطفى المراغى للحساب اليسير فى
قوله تعالى " فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا " (٣)
بما روى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت : - سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول " اللهم حاسبنى حسابا يسيرا قلت وما الحساب
اليسير ؟ قال ينظر فى كتابه ويتجاوز عن سيئاته فأما من نوقش الحساب
فقد هلك " (٤) (٥)

ومنه ما أورده الشيخ عبد القادر المغربى فى تفسير قوله تعالى " واذا
قيل لهم أركعوا لا يركعون " (٦) قال " ويروى أنه صلى الله عليه وسلم أمر
وفد ثقيف بالصلاة فقالوا " لانحنى ، فانها سبة لنا " فقال صلى الله عليه
وسلم " لا خير فى دين ليس فيه ركوع ولا سجود " (٧) على أن الاسلام انما
جاء لترويض النفوس العاتية وتذليل أنفتها " (٨)

-
- (١) سورة البقرة : الايه ٢٣٨
 - (٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٢ ص ٤٣٧
 - (٣) سورة الانشقاق : الاتين ٧ ، ٨
 - (٤) تفسير المراغى : أحمد مصطفى المراغى ج ٣٠ ص ٩١
 - (٥) رواه الامام أحمد فى مسنده ج ٦ ص ٤٨
 - (٦) سورة المرسلات : الايه ٤٨
 - (٧) رواه الامام أحمد ج ٤ ص ٢١٨ وأبو داود كتاب الخراج ج ٣ ص ١٦٣
وكلاهما رواه بلفظ " لا خير فى دين ليس فيه ركوع . "
 - (٨) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربى ص ١٣٥ - ١٣٦

ومن الثالث تفسير أحمد مصطفى المراغى لقوله تعالى " وألزمهم كلمة التقوى " (١) بقوله " وكلمة التقوى هي لا اله الا الله " (٢) وهو تفسير ورد فيما أخرجه الترمذى وابن جرير عن أبى بن كعب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " والزمهم كلمة التقوى " قال :- لا اله الا الله " لكن الشيخ المراغى لم يشر الى الحديث .

ومن الرابع وهو كثير في تفسيرهم حيث ردوا كثيرا من السنن النبوية الطاهرة التي تفسر بعض آيات القرآن الكريم أو تتعلق به لم يردوها لضعف سندها أو المخالفة ما هو معلوم من الشريعة وإنما فعلوا ذلك لأنها لا تتفق مع ما ذهبوا اليه في تفسير الآيه فردوا أحاديث صحيحه رواها البخارى ومسلم وغيرهما من أئمة الحديث .

فمن ذلك ما ورد في السنن عن الكوثر الذي أعطاه الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فقد روى البخارى رحمه الله عن أنس رضى الله عنه قال لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم الى السماء قال اتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوفا . فقلت ما هذا يا جبريل ؟ قال هذا الكوثر وأخرج أحمد (٣) ومسلم رحمهما الله تعالى عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر وعدنيه ربي عز وجل في الجنة (٤) قال السيوطى رحمه الله تعالى " له طرق لا تحصى " (٥)

-
- (١) سورة الفتح : من الآيه : ٢٦
(٢) تفسير المراغى : أحمد مصطفى المراغى ج ٢٦ ص ١٠٩
(٣) صحيح البخارى : كتاب التفسير (انا أعطيناك الكوثر) ج ٦ ص ٢١٩
(٤) مسند أحمد ج ٣ ص ٢٢٠ و ص ٢٣٦ ، وصحيح مسلم كتاب الصلاة باب من قال البسملة آيه من أول كل سورة سوى برآهه ج ٤ ص ١١٣
(٥) الاتقان فى علوم القرآن : الامام السيوطى ج ٢ ص ٢٠٤

هذا ما ورد في السنه في بيان المراد بالكوثر وهذه هي درجته فيها ،
ولكن الاستاذ الامام محمد عبده يقول بغير هذا وأقرأ معنى قوله " وأما
أن هناك نهرا في الجنة اسمه الكوثر وان الله أعطاه نبيه فلا يفهم من
معنى الآيه بل الذى يدل عليه سياق السوره وموضع نزولها هو الذى بيناه
من أحد القولين والأول - وهو النبوه وما في معناها - أرجح .

أما الاعتقاد بوجود هذا النهر في الجنة فموقوف على تواتر الاخبار
التي وردت به وقد ذهب جماعه الى أنها متواترة المعنى فيجب الاعتقاد
بوجود النهر على وجه عام دون تفصيل أو صافه لكثرة الخلاف فيها .

ولكن التواتر لا يصح أن يكون برأى جماعه أو برأى آخرين ، فحسب
التواتر هو ما تراه في القرآن : تعرفه طبقة عن طبقه يؤمن تواطؤ كل
منها على الكذب الى أن وصل اليك لا تنكره فرقة من فرق المسلمين قاطبه -
فهذا التواتر هو الذى يوجب اليقين وليس الامر كذلك فى أحاديث النهر
فانها - وان كثرت طرقها - لم تبلغ هذا المبلغ فلا يصدق عليها اسم المتواتر
خصوصا وانه يظن بالرواة سهولة التصديق فى مثل هذا الخبر لما فيه
من غرابة الكرامة وجمال الوصف فيسهل على كل راو الميل الى تصديق
ما يقال له . وهذا يخل بشرط التواتر ، لان أول شرط فيه أن لا يكون
فى الطبقات رائحة التشيع للمروى " (١)

ومن هذه الاقوال للاستاذ الامام يظهر موقفه من السنه وأنه يرد صحيحها
لا سباب واهيه لم يقل بها أحد من قبله لا من علماء الحديث ولا من سواهم
ومثل هذه الاسباب لا اعتبار لها وقد اعترف الاستاذ رشيد رضا بأن الاستاذ
الامام " كان مقصرا فى علوم الحديث من حيث الرواية والحفظ والجرح
والتعديل " (٢) ومربنا أيضا وصفه له بأنه كان لا يثق الا بأقل القليل مما
روى في الصحاح من أحاديث الفتن . (٣)

(١) تفسير جزء عم : محمد عبده ص ١٦٥ (٢) تاريخ الاتساذ الامام : محمد رشيد رضا
(٣) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٩ ص ٤٦٦ . ج ١ ص ٥

وتارة يرفضون التفسير بالمأثور بأسلوب آخر وهو الزعم بأنه — من الاسرائيليات حتى وان رواه البخارى ومسلم خذ مثلا تفسير الاستاذ محمد رشيد رضا لقوله تعالى " فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم " (١) حيث قال " ولا ثقة لنا بشىء مما روى فى هذا التبديل من الفاظ عبرانيه ولا عربيه فكله من الاسرائيليات الوضعيه كما قاله الاستاذ الامام هنالك وان خرج بعضه فى الصحيح والسنن موقوفا ومرفوعا كحديث أبى هريرة المرفوع فى الصحيحين وغيرهما " قيل لبنى اسرائيل " ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطه " (٢) فدخلوا يزحفون على استاهم وقالوا : حطه حبه فى شعره " وفى رواية شعيره ، ورواه البخارى فى تفسير السورتين (٣) من طريق همام بن منبه أخى وهب وهما صاحبا الغرائب فى الاسرائيليات ولم يصرح أبو هريره لسماع هذا من النبى صلى الله عليه وسلم فيحتمل أنه سمعه من كعب الاحبار اذ ثبت أنه روى عنه وهذا مدرك عدم اعتماده الاستاذ رحمه الله تعالى على مثل هذا من الاسرائيليات وان صح سنده (! !) ولكن قلما يوجد فى الصحيح المرفوع شىء يقتضى الطعن فى سندها " (٤)

وخذ مثلا آخر لهذا الاسلوب فى رد التفسير بالمأثور بما قاله السيد محمد رشيد رضا فى تفسير قوله تعالى " يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا " (٥)

(١) سورة الاعراف : من الآيه ١٦٢

(٢) سورة البقره : الايه ٥٨

(٣) يقصد سورتى : البقره والاعراف

(٤) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٩ ص ٣٤٨

(٥) سورة الانعام : من الآيه ١٥٨

قال " وأقوى الاحاديث الواردة في طلوع الشمس من مغربها مارواه البخارى في كتاب الرقاق " عن أبى هريره رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا " ١ . ه . . وأخرجه أيضا أحمد ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه وغيرهم " (١) ثم قال " هذا وان أبى هريره رضى الله عنه لم يصرح فى هذه الاحاديث بالسماع من النبى صلى الله عليه وسلم فيخشى أن يكون قد روى بعضها عن كعب الاحبار وأمثاله فتكون مرسله ولكن مجموع الروايات عنه وعن غيره تثبت هذه الآيه بالجمله فننظمها فى سلك المتشابهات ونحمل التعارض بين الروايات وما فى بعضها من مخالفة الادلة القطعية على ما أشرنا اليه من الاسباب كالروايه عن مثل كعب الاحبار من رواة الاسرائيليات . والله أعلم " (٢)

وخذ مثلا ثالثا وأخيرا لهذا الاسلوب ما قاله السيد رشيد رضا فى تفسير قوله تعالى " ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام " (٣) قال :- " وفى حديث أخرجه أحمد فى مسنده ومسلم فى صحيحه عن أبى هريره قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال " خلق الله عز وجل التربة يوم السبت . . الحديث " ثم قال " ان كل ما روى فى هذه المسأله من الأخبار والاثار مأخوذ من الاسرائيليات لم يصرح فيها حديث مرفوع وحديث أبى هريره هذا وهو أقواها مردود بمخالفة متنه لنص كتاب الله (! !) وأما سنده فلا يغرنك رواية مسلم له به (! !) فهو

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٨ ص ٢١٠ - ٢١١

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٨ ص ٢١٠ - ٢١١

(٣) سورة الاعراف : من الآيه ٥٤

قد رواه كغيره عن حجاج بن محمد الأعمى المصيصي عن ابن جريج وهو قد تغير في آخر عمره وثبت أنه حدث بعد اختلاط عقله كما في تهذيب التهذيب وغيره والظاهر (! !) ان هذا الحديث مما حدث به بعد اختلاطه " (١)

وهكذا ترى السيد محمد رشيد رضا يرد الاحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبارات " يحتمل " أنه سمعه من كعب الاحبار " فيخشى أن يكون قد روى بعضها عن كعب الاحبار " والظاهر ان هذا الحديث مما حدث به بعد اختلاطه " ولا أدري متى كانت هذه الاوهام سبباً لرد الحديث واذا لو فعلنا لذهبت البقية الباقية .

أما ثالث أساليب رفضهم للتفسير بالمأثور فهو وان لم يكن رفضاً مباشراً الا أنه اغفال له يجعله في درجة المرفوض فهذا الشيخ أحمد مصطفى المراغي مثلاً يفسر المغضوب عليهم والضالين في قوله تعالى " غير المغضوب عليهم ولا الضالين " (٢) بقوله :-

" والمغضوب عليهم هم الذين بلغهم الدين الحق الذي شرعه الله لعباده فرفضوه ونبذوه وراءهم ظهرياً وانصرفوا عن النظر في الأدلة تقليداً لما ورثوه عن الآباء والاجداد . . . والضالون هم الذين لم يعرفوا الحق أو لم يعرفوه على الوجه الصحيح وهؤلاء هم الذين لم تبلغهم رسالة أو بلغتهم على وجه لم يستبين لهم فيه الحق " (٣)

يقول هذا مع أن تفسير المغضوب عليهم والضالين باليهود والنصارى هو الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم وجميع الصحابة والتابعين وأتباعهم حتى قال ابن أبي حاتم لا أعلم في ذلك اختلافاً بين المفسرين " (٤)

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٨ ص ٤٤٩

(٢) سورة الفاتحة : من الآية السابعة .

(٣) تفسير المراغي : أحمد مصطفى المراغي ج ١ ص ٣٧

(٤) الاتقان : السيوطي ج ٢ ص ١٩٠

ومن هذا الاسلوب أيضا ما قاله الشيخ عبدالقادر المغربي في تفسير
" انا أعطيناك الكوثر " (١) : - أى أعطيناك يا محمد الخير الكثير . . الخ " (٢)

وقد تقدم بيان ما ورد فى الكوثر من الحديث الصحيح

ومنه أيضا تفسير الشيخ أحمد مصطفى المراغى لقوله تعالى " ان زلزلة
الساعة شىء عظيم " (٣) فقال : - " أى أن الزلزلة التى تكون حين قيام
الساعة قبل قيام الناس من أجداتهم . . الخ " (٤)

مع أنه ورد فيما أخرجه أحمد وسعيد بن منصور وعبد بن حميد
والنسائى والترمذى والحاكم وصحاحه عن عمران بن حصين قال لما نزلت
" يا أيها الناس " - الى قوله - " ولكن عذاب الله شديد " (٥) كان صلى
الله عليه وسلم فى سفر فقال " أتدرون أى يوم ذلك ؟ قالوا الله تعالى
ورسوله أعلم قال " ذلك يوم يقول الله تعالى لآدم عليه السلام ابعث بعث
النار الخ " قال الالوسى وحد يث البعث مذكور فى الصحيحين وغيرهما
لكن بلفظ آخر وفيه كالمذكور ما يؤيد كون هذه الزلزلة فى يوم القيامة" (٦)
هذه اشارات وتلميحات لبعض مواقفهم من التفسير بالمأثور

أحسبها تدل دلالة بينه على منهجهم فى هذا اللون من التفسير .

-
- (١) سورة الكوثر : الآيه الاولى
 - (٢) تفسير جزء تبارك : عبدالقادر المغربى ص ٨٩
 - (٣) سورة الحج : من الآيه الاولى .
 - (٤) تفسير المراغى : أحمد مصطفى المراغى ج ١٧ ص ٨٤
 - (٥) سورة الحج : الايتين : الاولى والثانية .
 - (٦) تفسير روح المعانى : لآبى الفضل شهابالدين محمود الالوسى
ج ١٧ ص ١١٠ - ١١١

الاساس السادس :

التحذير من التفسير بالاسرائيليات

خلاصة موقف السلف رحمهم الله تعالى من الاسرائيليات ذكره ابن تيميه رحمه الله تعالى حيث ذكر أن الاحاديث الاسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد ، وأنها على ثلاثة أقسام :

"أحدها" ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق . فذاك صحيح و"الثاني" ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه "والثالث" ما هو مسكوت عنه لامن هذا القبيل ولا من هذا القبيل .

فلا نؤمن به ولا نكذبه . وتجاوز حكايته لما تقدم - يقصد حديث "وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج - وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود الى أمر ديني" (١)

وقد شن رجال المدرسة العقلية الاجتماعية حملة شعواء على الاسرائيليات وحذروا من تناولها في تفسير القرآن الكريم وعابوا على المفسرين السابقين تداولهم لها واعتبروا هذا خطأ لا يغتفر .

وهذا الاساس عند هم متولد من الاساس السابق تحكيم العقل وتطرفهم فيه تولد عنه رفضهم الشديد للاسرائيليات وقد أدى بهم تطرفهم هذا الى تكذيب بعض الاسرائيليات التي وافقت ما جاء في شريعتنا ، وأدى بهم أيضا الى تكذيب بعض الأحاديث الصحيحة الثابتة خشية أو احتمال أو للظاهر يكون الصحابي الذي روى الحديث سمعه من كعب الاحبار؟! وأدى بهم أيضا الى أن تناولوا بعض الصحابة رضوان الله عليهم بالتجريح وشكوا في ايمان بعض التابعين الذين شهد لهم السلف الصالح بالعدالة وروى لهم البخاري ومسلم ، ونسبوا العلماء الذين وثقوهم الى الغفلة .

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية : جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد

ومع هذا الموقف الصلب والرفض الحاسم الجازم فان رجال المد رسه
العقلية الاجتماعية أوغال بهم أباح لنفسه ما حرم على غيره فقد أورد وا من
الاسرائيليات ونصوص التوراة والإنجيل كثيرا وكثيرا بل - وبالعجب -
فقد أورد وا ما يخالف النص القرآنى ؟ ! وأحسب هذا ولا شك نتيجة كل
دعوة متطرفه .

فلنرتب الاوراق ولنسق الشواهد على ما ذكرنا واحدا واحدا .
هذه أولا بعض النصوص لرجال المدرسة التى تبين حكم الاخبار
الاسرائيلية وهذا الأستاذ الامام محمد عبده يقول عند تفسيره لقوله تعالى
" وقولوا حطه نغفر لكم خطاياكم " (١) الآيه فقد ذكر الأستاذ الامام
بعض أقوال المفسرين ثم قال " ومنشأ هذه الاقوال الروايات الإسرائيلية ،
ولليهود فى هذا المقام كلام كثير وتأويلات خدع بها المفسرون ولا بجزير
حشوها فى تفسير كلام الله تعالى " (٢) وقال عن هذه التفاسير " كما ولعوا
بحشوها بالقصص والاسرائيليات التى تلقوها من أفواه اليهود وألقوها
بالقرآن لتكون بيانا له وتفسيرا وجعلوا ذلك ملحقا بالوحي والحق الذى
لا مريه فيه أنه لا يجوز الحاق شىء بالوحي غير ما تدل عليه ألفاظه
وأساليبه الا ما ثبت بالوحي عن المعصوم الذى جاء به ثبوتا لا يخالطه
الريب " (٣)

وقال الشيخ عبدالعزيز جاويش عن الاسرائيليات " هذا وليخذ المسلمون
قراءة ما جاء فى تفاسير القرآن فى هذا الموضوع من الاسرائيليات وما ابتدعه
أصحابها من التأويلات وغريب الروايات فأنها مضلة للعقول مبعده لها عما
قصده كتاب الله الحكيم " (٤)

-
- (١) سورة البقره - من الآيه ٥٨
(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٣٢٥
(٣) المرجع السابق : ج ١ ص ١٧٥
(٤) اسرار القرآن : عبدالعزيز جاويش ص ١٣٨

وأما الشيخ محمود شلتوت فوصفها بقوله " قيد هذا التراث العقول
والافكار بقيود جنت على الفكر الإسلامى فيما يختص بفهم القرآن والانتفاع
بهداية القرآن . . " (١)

أما الشيخ أحمد مصطفى المراغى فيصف رواة الاسرائيليات بأنهم
" ساقوا إلى المسلمين من الآراء فى تفسير كتابهم ما ينبذه العقل وينافيه
الدين وتكذبه المشاهده ويبعده كل البعد ما أثبتته العلم فى العصور
اللاحقة " (٢)

والأستاذ رشيد رضا هو أشد رجال المدرسة العقلية الاجتماعية
حربا على الاسرائيليات ورواتها وأقرأ قوله " كان من سوء حظ المسلمين
أن أكثر ما كتب فى التفسير يشغل قارئه عن هذه المقاصد العالیه
والهداية السامیه فمنها ما يشغله عن القرآن بمباحث الاعراب وقواعد
النحو . . وبعضها يلفته عنه بكثرة الروايات وما مزجت به من خرافات
الاسرائيليات . . . وأكثر التفسير المأثور قد سرى الى الزواه من زنادقة
اليهود والفرس ومسلمة أهل الكتاب " (٣)

وقد رد الاستاذ رشيد رضا بعض الاحاديث الصحيحة زاعما أنها
من الاسرائيليات ومن ذلك حديث البخارى الذى رواه عن أبى هريره
رضى الله عنه فى كتاب التفسير " قيل لبنى اسرائيل ادخلوا الباب
سجدا وقولوا حطه فدخلوا يزحفون على أستاهم فبدلوا وقالوا حبة فى
شعره " (٤) واختاره السيوطى فى التفسير فقال عنه السيد رشيد " ما اختاره
الجلال مروى فى الصحيح ولكنه لا يخلو من عله اسرائيلية " (٥)

-
- (١) تفسير القرآن الكريم : محمود شلتوت ص ٩ و ١٠
 - (٢) تفسير المراغى : أحمد مصطفى المراغى ج ١ ص ١٩
 - (٣) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٧-٨
 - (٤) صحيح البخارى : كتاب التفسير سورة البقرة ج ٦ ص ٢٣
 - (٥) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٣٢٥

وأدى به تطرفه الى أن ذم رواة الاسرائيليات الثقات كعكب الاحبار
ووهب بن منبه فقال عن وهب عند روايته أن موسى عليه السلام كان يقرع
لهم أقرب حجر فتنفجر منه عيون . . . " وهذا من الخرافات التي اختلقها
وهب ليس لها أصل عند اليهود ولا عند المسلمين " الى أن قال " وقد
عدوه مع أمثال هذه الخرافات ثقة في الرواية " (١)

وقال عن كعب الأحبار " بمثل هذه الروايات كان كعب الاحبار يغش
المسلمين ليفسد عليهم دينهم وسنتهم ، وخذع به الناس لاظهاره التقوى
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم " (٢)

وقال في موضع آخر " ولكن البلية في الرواية عن مثل كعب الأحبار وممن
روى عنه أبو هريره وابن عباس ومعظم التفسير المأثور مأخوذ عنه وعن ميذه
ومنهم المدلسون كقتاده وكذا غيره من كبار المفسرين كابن جريج " (٣)
وقال عن كعب أخيرا " كعب الاحبار الذي أجزم بكذبه بل لا أثق بايمانه " (٤)

وقال عن كعب ووهب " ان بطلي الاسرائيليات وينبوعي الخرافات كعكب
الاحبار ووهب بن منبه " (٥) وقال عنهما " ولو فطن الحافظ بن حجر
لدسائسهما وخطأ من عدلها من رجال الجرح والتعديل لخفاء تلبيسهم
عليهم لكان تحقيقه لهذا البحث أتم وأكمل " (٦) وقال " ثم ليعلم أن شر
رواة هذه الاسرائيليات أو أشدهم تلبيسا وخداعا للمسلمين هذان الرجلان :
كعب الاحبار ووهب بن منبه " (٧)

-
- (١) المرجع السابق : ج ٩ ص ٣٤٣
 - (٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٩ ص ٤٥٩
 - (٣) المرجع السابق : ج ٩ ص ٤٦٦
 - (٤) مجلة المنار : محمد رشيد رضا ج ٩ المجلد ٢٧ ص ٦٩٧
 - (٥) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٩ ص ٤٣٨
 - (٦) المرجع السابق : ج ٩ ص ٤٤٢
 - (٧) مجلة المنار : ج ١٠ مجلد ٢٧ ص ٧٨٣

وشاركه في الهجوم الشيخ أحمد مصطفى المراغى الذى وصف بعض الروايات بقوله " وما هي الاسرائيليات تلقفها المفسرون من أهل الكتاب الذين كانوا يكيدون للاسلام والعرب كروايات وهب بن منبه وهو فارسى الأصل . . ومثله روايات كعب الأخبار الاسرائيلى وقد كان كلاهما كثير الرواية للغرائب التى لا يعرف لها أصل معقول ولا منقول وقومهما كانوا يكيدون للمسلمين الذين فتحوا بلاد فارس واجلوا اليهود من الحجاز " (١)

هذا غيض من فيض من بحر ذمهم لكعب الأخبار ووهب بن منبه مع اعترافهم فى النصوص التى سقناها وفى غيرها بتعديل الجمهور وتوثيقهم لهما ، واعترافهم أيضا أن أبا هريره وابن عباس رضى الله عنهم وغيرهما من الصحابه قد رووا عن كعب الأخبار فهل يعتقد هؤلاء أن الصحابة رضى الله عنهم تروى عن كذاب وضاع ؟ لا يوثق بايمانه ؟ أليست روايتهم عنه تزكيه له أفلا نقبل اذا بتزكية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أما كعب فقد روى له مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى بل أن الجمهور على توثيقه ولذا لا تجد له ذكرا فى كتب الضعفاء والمتروكين وقد اتفقت كلمة نقاد الحديث على توثيقه . (٢)

وأما وهب فقد روى له البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وقال الذهبى فى ميزانه كان ثقة صادقا كثيرا النقل من كتب الاسرائيليات ، قال العجلي ثقة تابعي كان على قضاء صنعاء وقد ضعفه الفلاس وحده ووثقه جماعة (٣) وقال أبو زرعه والنسائى ثقة وذكره ابن حبان فى الثقات (٤)

-
- (١) تفسير المراغى : أحمد مصطفى المراغى ج ٩ ص ٢٤
(٢) مقالات الكوثري : محمد زاهد الكوثري ص ٣٢ - ٣٣
(٣) ميزان الاعتدال : محمد بن أحمد الذهبى ج ٤ ص ٣٥٢ - ٣٥٣
(٤) تهذيب التهذيب : ابن حجر العسقلانى ج ١١ ص ١٦٧

إذا فلا شك مطلقاً في خطأ رجال المدرسة العقلية الاجتماعية في ذم كعب الاحبار ووهب بن منبه . . ولكن مهلاً لا أقصد بهذا مطلقاً أن كل ما روى عنهما صحيح ولا أقول ان ليس فيه كذب ولا افتراء ١٢ ولكن لا يعنى وجود هذا أن ينسب إليهما ويحملا تبعته فكم حديث موضوع مفتري على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نسب ظلماً وزوراً الى أبي هريره أو ابن عباس أو غيرهما فهل يجرؤ أحد - الا معتد - على التشكيك فيهما وفي عدالتهما ، الامر هناك في كعب وفي وهب كما هو هنا في أبي هريره وابن عباس ، فقد يكون الكذب من غيرهما ، أو أنهما نقلاه على أنه مما في كتبهم وهما يعتقدان صحته ولم يعلما كذبه لخفاء الثابت والمحرف في كتب أهل الكتاب ، كما قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى " ان بعض الذي يخبر به كعب عن أهل الكتاب يكون كذباً لا أنه يتعمد الكذب والا فقد كان كعب من أخبار الاحبار " (١) قلت ومثل هذا يقال عن وهب .

عودة الى الموضوع في صلبه . ذلكم موقف رجال المدرسة العقلية الاجتماعية من رواية الاسرائيليات يظهر منه الرفض الشديد والمتطرف لها ولكنهم وسكل أسف لم يلتزموا بأنفسهم ما دعوا اليه وقد يما قال الشاعر:

لاتنه عن خلق وتأتي مثله * * * عار عليك اذا فعلت عظيم

بل لم يأت هؤلاء مثله فتجاوزوا المثل فزجوا بما لم ينج به المفسرون السابقون فرووا من الاسرائيليات ما رواه السابقون ، وزادوا عليهم برجوعهم بأنفسهم الى المصادر التي أخذ منها كعب ووهب؟ ولم يقل أحد منهم في نفسه ما قاله في كعب ووهب ، فأباحوا لانفسهم ما لم يبيحوه لسواهم ، ونقلوا من الاسرائيليات ما يخالف النص القرآني الكريم ولم ينقدوه أو يبطلوه بل وحرفوا معاني نصوص القرآن الكريم حتى توافق ما جاءوا به من الاسرائيليات .

(١) فتح الباري : ابن حجر العسقلاني ج ١٣ ص ٣٣٥

لست أقول ما قلت من غير تأمل وتفكر ولست القى الكلام على عواهنه
كما يقولون وليس هذا من قبيل استفزاز المشاعر ضد هم بل هو الحقيقة والواقع
ولنسق الامثله واحدا واحدا .

أما روايتهم لما ورد من الاسرائيليات من غير رد لها حسب منهجهم
الذى ذكروه فما أورده السيد رشيد رضا فى تفسيره حيث قال " روى نحو
هذا ابن جرير قال حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا
عبد الصمد ابن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول : وكل بالبقرتين اللتين
سارتا بالتابوت أربعة من الملائكة يسوقونها . . الخ " (١)

وقال فى تفسير قوله تعالى " فقلنا اضربوه ببعضها " (٢) " ويروون فى
هذا الضرب روايات كثيرة قيل أن المراد اضربوا المقتول بلسانها وقيل
بفخذها وقيل بذنبها . . " (٣)

ومنه أيضا ما ذكره الاستاذ أحمد مصطفى المراغى فى المائدة التى
أنزلت من السماء فقال " وللعلماء فى الطعام الذى نزل فى المائدة آراء :
ف قيل هو خبز وسمك وقيل خبز ولحم وقيل كان ينزل عليهم طعاما اين ما ذهبوا
كما كان ينزل المن على بنى اسرائيل كما رواه ابن جرير عن ابن عباس " (٤)

ومنه ما قاله أيضا فى تفسير قوله تعالى " ألم يروا الى الطير مسخرات فى
جو السماء ما يمسكهن الا الله " (٥) قال :- " . . وقد كان العلماء قد يما يعلمون
تخلخل الهواء فى الطبقات العاليه فى الجو وهي نظرية لم تدرس فى العلوم
الطبيعية الا حديثا فقد أشرع كعب الاحبار أنه قال ان الطير يرتفع فى
الجواثنى عشر ميلا ولا يرتفع فوق ذلك " (٦)

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٢ ص ٤٨٤

(٢) سورة البقره : من الآيه ٧٣

(٣) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٣٥١

(٤) تفسير المراغى : أحمد مصطفى المراغى ج ٧ ص ٥٩

(٥) سورة النحل : من الآيه ٧٩ (٦) تفسير المراغى : أحمد مصطفى المراغى ج ١٤ ص ١١٩

ومنه ما قاله الشيخ عبد القادر المغربي في تفسير قوله تعالى " انا أرسلنا نوحا الى قومه " (١) حيث قال " وجاء في كتب الاوائل أن في زمن " أنوش ابن شيث بن آدم " ابتدأت عبادة الأوثان ، وجعل الناس يسمون المخلوقات آلهة فكان أنوش يجمع أهل بيته وذويه للصلاة والتسبيح وعبادة الله وحده ، وفي زمن ادريس عليه السلام وهو " أخنوخ بن يارد ابن مهلائيل بن قينان بن أنوش - كثر النفاق وانغمس الناس في الاثام فأنزل عليه وحيا في سفر هو صحف ادريس المشهوره ولم يبق من ذلك السفر سوى فقره يقولون انها وجدت في أطواء بعض الكتب المقدسه " (٢)

هذا هو النوع الاول من وقوعهم في الاسرائيليات ينقلون منها ما نقله السابقون أما النوع الثاني وهو نقلهم ما يخالف النص القرآني من غير تكذيب له فمنه ما نقله الشيخ عبد القادر المغربي في تفسيره لسوره نوح عليه السلام حيث قال " وذكر في الاسفار القديمه ان نوحا ولد لسنه ١٨٢ من عمر أبيه " لامك " ولسنه ١٠٥٦ لجدته الأكبر آدم عليه السلام ومعنى نوح : الراحه والتعزيه . وكان عمر نوح ٥٠٠ سنه لما أخذ يلد أولاده ساما وحاما ويافث وكان عمره ٦٠٠ سنه لما حصل الطوفان " (٣)

أما مصدر المعارضه للقرآن الكريم فقد أبرزته مراقبه الثقافة بالازهر التي علقت على الطبعه التي بين يدي عند هذا الموضع بقولها " قوله تعالى في سورة العنكبوت " ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فأخذهم الطوفان " (٤) يفيد أن الطوفان حدث بعد أن أمضى نوح بين قومه ٩٥٠ سنه فالقرآن يخالف في ذلك ما نقله المؤلف عن الاسفار القديمه " (٥)

(١) سورة نوح : من الآيه الاولى .

(٢) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربي ص ٥٥

(٣) المرجع السابق : ص ٥٦ (٤) سورة العنكبوت : الآية ١٤

(٥) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربي هامش ص ٥٦

قلت ولا ينفع الشيخ قوله بعد هذا " هذا منخول ما جاء في الكتب القديمة من خبر نوح عليه السلام ونحن - معشر المسلمين - لا نصدقها ولا نكذبها بل نكل أمرها الى العلم الحديث فهو الذى يمحصها ويميز غشها من سمينها " (١)

وانما قلت لا ينفعه هذا لان منهجنا - معشر المسلمين ليس ما ذكر بل تكذيب ما خالف النص القرآنى لا التوقف أو تفويض أمره الى العلم الحديث؟! أما النوع الثالث من أنواع وقوعهم فى الاسرائيليات التى حذروا منها فهو رجوعهم بأنفسهم الى مصادر أهل الكتاب ونقلهم منها مباشرة لمجملات القرآن الكريم ومبهماتة بل وجعل هذه النصوص دليلا مرجحا وميزانا للمفاضلة بين أقوال المفسرين بل رد التفاسير التى تخالف هذه النصوص حتى قال أحدهم " ومنه نعلم أن كل ما خالفها - أى التوراة - من أقوال المفسرين فى معنى الطمس على أموالهم فهو من أباطيل الروايات الاسرائيلية التى كان من مقاصد كعب الاحبار له وأمثاله منها كما نرى صد اليهود عن الاسلام بما يرويه فى تفسير المسلمين للقرآن مخالفا لما هو متفق عليه عندهم " (٢)

وأمثلة هذا النوع كثيرة جدا فى تفاسيرهم ومنها ما قاله الاستاذ أحمد مصطفى المراغى فى تفسير " فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد " (٣) فقال " وجاء فى انجيل يوحنا " وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الاله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته " (٤)

-
- (١) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربي ص ٥٦
(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١١ ص ٤٧٤
(٣) سورة المائدة : من الآيه ١١٧
(٤) تفسير المراغى : احمد مصطفى المراغى ج ٧ ص ٦٤

ومنه أيضا قوله في تفسير قوله تعالى " قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظروا كيف تعملون " (١) قال " وقد جاء في الفصل السادس من سفر الخروج من التوراة فقال الرب لموسى الأثرى ما أصنع بفرعون أنه بيد قديره سيطلقكم ويبد قديره سيتردكم من أرضه . . . " (٢)

ومنه ما قاله الشيخ عبد القادر المغربي في تفسير قوله تعالى " وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا " (٣) الآيه قال " ويكفي في الاستشهاد على ذلك ما جاء في " رؤى دانيال " من أسفار العهد القديم " ورؤى يوحنا " من اسفار العهد الجديد ، وقال المفسرون من علماء أهل الكتاب " انه وان يكن يوجد في سفر دانيال حوادث غير اعتيادية فليس هذا بمستغرب لانه يعم الكتاب المقدس تقريبا " وقالوا في رؤى يوحنا " ان معناها عويص وهي مشحونه بمسائل محيره لا يمكن حلها قبل تامة الف سنه " (٤)

ومنه ما قاله الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير قوله تعالى " وقال لهم نبينهم ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينه من ربكم " (٥) الآيه قال " وهذا التابوت المعروف ، صندوق له قصة معروفه في كتب اليهود ففي أول الفصل الخامس والعشرين من سفر الخروج ما نصه :-
" وكلم الرب موسى قائلا كلم بنى اسرائيل الخ " (٦) ثم ذكر النص .

(١) سورة الاعراف : من الآيه ١٢٩

(٢) تفسير المراعى : أحمد مصطفى المراغى ج ٩ ص ٣٩

(٣) سورة المدثر : من الآيه ٣١

(٤) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربي ص ٩٥

(٥) سورة البقره : من الآيه ٢٤٨

(٦) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٢ ص ٤٨٠

وقال أيضا " وفي سفر تثنيه الاشتراع ان موسى لما كمل كتابة هذه التوراة أمر اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلا : خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب الهكم ليكون شاهدا عليكم (٣١ : ٢٤ - ٣٠) (١)

وقال أيضا في موضع آخر " وأما ما ورد في التوراة الحاضرة في شأن الألواح فمنه ما جاء في سفر الخروج من (٢٣ - ١٢) وقال الرب لموسى أصعد الى الجبل وكن هناك فأعطيك لوحى الحجارة والشريعة والوصية التى كتبتها لتعلمهم الكلمات العشر " وجاء في وصف اللوحين منه (٣٢ : ١٥) ثم انثنى موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة فى يده : لوحان مكتوبان على جانبيهما من هنا ومن هناك كانا مكتوبين " (٢)

أما النوع الرابع وهو النوع الأخطر من أنواع وقوعهم في الاسرائيليات فهو صرفهم معنى النص القرآنى ليوافق نصوص أهل الكتاب ونضرب لذلك مثلا بتفسير الشيخ محمد عبده وتلميذه السيد رشيد رضا لقوله تعالى " واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا اتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين " (٣) الآيات حين مال الشيخان الى أن المراد فى الآيات بيان نوع من التشريع الموجود عند بنى اسرائيل يتوصل به الى معرفة القاتل المجهول . ثم يربط بين هذا المعنى وبين ما جاء في التوراة فيقول " على أن هذا الحكم منصوص فى التوراة وهو أنه اذا قتل قتيلا لم يعرف قاتله فالواجب ان تذبح بقرة غير ذلول فى واد دائم السيلان ويغسل جميع شيوخ المدينة القريبه من المقتل أيديهم على العجلة التى كسر عنقها فى الوادى . . الخ (٤)

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٢ ص ٤٨٢

(٢) المرجع السابق : ج ٩ ص ١٨٥

(٣) سورة البقره : من الآيه ٦٧

(٤) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٣٤٧ - ٣٤٨

وقد أيد الشيخ رشيد رضا ما ذهب اليه شيخه بذكر النص الوارد فى التوراة المتعلق بقتل البقره ثم قال بعد هذا " فعلم من هذا أن الامر بذبح البقره كان لفصل النزاع في واقعة قتل " (١) ثم قال " والظاهر مما قد منا أن ذلك العمل كان وسيلة عند هم للفصل في الدماء عند التنازع فى القاتل اذا وجد القتيل قرب بلد ولم يعرف قاتله ليعرف الجانى من غيره . . . ومعنى احياء الموتى على هذا حفظ الدماء التى كانت عرضة لأن تسفك بسبب الخلاف في قتل تلك النفس أى يحييها بمثل هذه الاحكام وهذا الاحياء على حد قوله تعالى (٥ : ٣٢) ومن أحيائها فكأنما أحيانا الناس جميعا " وقوله " ولكم فى القصاص حياة " فالاحياء هنا معناه الاستبقاء كما هو المعنى فى الايتين ثم قال " ويريكم آياته " بما يفصل بها فى الخصومات ويزيل من أسباب الفتن والعداوات " (٢)

وبهذا يكون الشيخ محمد عبده وتلميذه حرفا معنى الآيه عن أن تكون قصة واقعه أحياء الله فيها القتل (كذلك يحيى الله الموتى) ليكون آيه للناس (ويريكم آياته) صرفا هذه الآيات عن هذا المعنى الى أنها وردت لبيان حكم كان فى بنى اسرائيل فعلوا هذا ليوافق ما جاء عن أهل الكتاب " والاسرائيليات " .

هذه بعض مواطن وقوعهم فيما حذروا منه فوقعوا في مثله أو أسوأ منه وقد ترددت فى اعتبار هذا من اسس منهجهم ما داموا لم يلتزموه لولا أنى رأيت أن القول الصريح مقدم على الفعل ، فى الاستدلال فأقولهم صريحه فى رفض الاسرائيليات فاعتبرته كذلك وان لم يلتزموه .

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٣٤٧ - ٣٤٨

(٢) المرجع السابق : ج ١ ص ٣٥١

الاساس السابع :

القرآن هو المصدر الاول فى التشريع

وتظهر أبعاد هذا الاساس لندى رجال المدرسه فى قول الاستاذ الامام محمد عبده " وأريد أن يكون القرآن أصلاً تحمل عليه المذاهب والآراء فى الدين لا أن تكون المذاهب أصلاً والقرآن هو الذى يحمل عليها ويرجع بالتأويل أو التحريف اليها كما جرى عليه المخذ ولون وتاه فيسه الضالون " (١)

ويؤكد هذا التأصيل تلميذه السيد رشيد رضا لقوله " ان القاعدة القطعية المعروفة عن أنزل عليه القرآن صلى الله عليه وسلم وعن خلفائه الراشدين (رضى الله عنهم) أن القرآن هو الأصل الأول لهذا الدين وأن حكم الله يلتمس فيه أولاً فان وجد فيه يؤخذ وعليه يعول ولا يحتاج معه الى مأخذ آخر وان لم يوجد التمس من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا أقر النبي صلى الله عليه وسلم معاذاً حين أرسله الى اليمن وبهذا كان يتوأسى الخلفاء والأئمة من الصحابه والتابعين " (٢)

وأيد هذا الشيخ محمود شلتوت قائلاً " ان مصادر التشريع فى الاسلام ثلاثه : القرآن والسنة والرأى وهي فى المصدريه على هذا الترتيب فما وجد فى القرآن أخذ منه ولا يطلب له مصدر سواه وما لم يوجد فيه بحث عنه فيما صحت روايته وثبت وروده عن الرسول صلى الله عليه وسلم " (٣)

ومع هذه النصوص نصوص أخرى تميز المراد من النصوص الأولى وتظهره ذلكم ان تلك النصوص السالفه قابله لهذا وذاك قابله لمن يجعل القرآن هو

(١) فاتحة الكتاب : محمد عبده ص ٤٦

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٥ ص ١٢٠

(٣) الاسلام عقيدته وشريعته : محمود شلتوت ص ٤٦٩

المصدر الأول ولا يقبل معه ما يبين مجمله ولا يخصص عمومه وقابله لمن جعل القرآن هو المصدر الأول من غير رد لما صح من السنه والذي يظهر أن رجال المدرسة العقلية الاجتماعيه كثيرا ما يميلون الى المـرراد الأول فينكرون من صحيح السنه ما لا يوافق تفسيرهم لآية فى القرآن الكريم وكأن التفسير الذى مالوا اليه قد قامت أركانه وصحت قوائمه وتبوأ منزلة هي أقوى درجه من صحيح السنه فردوا هذا الأخير لأجل فهمهم الخاطيء .

فهذا الامام محمد عبده ينكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد سحر فيقول " والذي يجب اعتقاده أن القرآن مقطوع به وأنه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم صلى الله عليه وسلم فهو الذى يجب الاعتقاد بما يثبت و عدم الاعتقاد بما ينفى ، وقد جاء ينفى السحر عنه عليه السلام حيث نسب القول باثبات حصوله الى المشركين وأعدائه ووبخهم على زعمهم هذا فان هو ليس بمسحور قطعاً .

وأما الحديث على فرض صحته - فهو آحاد والآحاد لا يؤخذ بها فى باب العقائد وعصمة النبي من تأثير السحر فى عقله عقيدة من العقائد لا يؤخذ فى نفيها عنه الا باليقين ، ولا يجوز أن يؤخذ فيها بالظن والمظنون " (١) الى أن قال : " وعلى أى حال قلنا بل علينا أن نفوض الامر فى الحديث ولا نحكمه فى عقيدتنا ونأخذ بنص الكتاب وبدليل العقل "

وقد كفانا مؤونه الرد على الاستاذ الامام الشيخ محمد حسين الذهبى رحمه الله تعالى حيث قال " وهذا الحديث الذى يردده الاستاذ الامام رواه البخارى وغيره من اصحاب الكتب الصحيحه وليس من وراء صحته ما يخل بمقام النبوه فان السحر الذى أصيب به النبي عليه الصلاة والسلام كان من

(١) تفسير جزء عم : محمد عبده ص ١٨٠ - ١٨١

قبيل الامراض التي تعرض للبدن بدون أن تؤثر على شيء من العقل " (١)
وقال " ثم ان الحديث رواية البخارى وغيره من كتب الصحيح ولكن الاستاذ
الامام ومن على طريقته لا يفرقون بين رواية البخارى وغيره . فلا مانع عندهم
من عدم صحة ما يرويه البخارى كما أنه لو صح في نظرهم فهو لا يعدو أن
يكون خبر آحاد لا يثبت به الا الظن . وهذا في نظرنا هدم للجانب
الأكبر من السنه التي هي بالنسبه للكتاب بمنزلة المبين من المبيِّن
وقد قالوا : ان البيان يلتصق بالمبين " (٢)

وخذ مثلاً لذلك - آخر - تفسير الشيخ أحمد مصطفى المراغى لقوله
تعالى " قل لا أجد فيما أوحى الى محرماً على طاعم يطعمه الا أن يكون
ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير - فإنه رجس - أو فسقاً أهل لغير الله
به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم " قال الشيخ المراغى
مكتفياً بالقرآن دون السنه " وما صح من الاحاديث فى النهى عن طعام غير
هذه الانواع الأربعة فهو اما مؤقت واما للكراهه فقط ومن الأول تحريم
الحمراء اهليه فقد روى ابن ابى شيبه والبخارى عن ابن عمر قال " نهى
النبي صلى الله عليه وسلم عن لحوم الحمراء اهلية يوم خيبر " ومن الثانى
ما رواه البخارى ومسلم عن أبى ثعلبه الخشنى أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم " نهى عن كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير " (٣)
لكن الشيخ المراغى جعل تحريم غير هذه الأربعة اما مؤقت واما
للكراهه ولم يتحدث عن ماورد بلفظ التحريم من غير عارضه تقيد به بزمان

(١) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبى ج ٣ ص ٢٤٠-٢٤١

(٢) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبى ج ٣ ص ٢٤١

(٣) تفسير المراغى : أحمد مصطفى المراغى ج ٨ ص ٥٨

أو مكان وقد كفاه مؤنة هذا الصنف الاستاذ محمد رشيد رضا حيث قال " وما ورد منه بلفظ التحريم فهو مروى بالمعنى ^(١) لا بلفظ الرسول صلى الله عليه وسلم وليس مراد من رد تلك الأحاديث بآية الأنعام من الصحابة وغيرهم أنه لا يقبل تحريم ما حرمه الرسول صلى الله عليه وسلم اذا لم يكن منصوصا فى القرآن بل معناه أنه لا يمكن أن يحرم النبى صلى الله عليه وسلم شيئا جاء نص القرآن المؤكد بحله ، واعتبر هذا بما أخرجه أحمد وأبو داود عن عيسى بن نميلة الغزارى عن أبيه قال : كنت عند ابن عمر فسئل عن أكل القنفذ فتلا هذه الآية (قل لا أجد فيما أوحى الى محرما) . . فقال شيخ عنده سمعت أبا هريرة يقول ذكر عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال " خبيثه من الخبائث " فقال ابن عمران كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله فهو كما قال أ . ه فقوله " ان كان " مشعر بشكك فيه وأنه ان فرض أنه قال وجب قبوله لأن الله أمر باتباعه ولكن بمعنى أنه خبيث غير محرم كالثوم والبصل على أن الحديث ضعيف " ^(٢)

وهذا الذى قاله محمد رشيد رضا غريب منه فهل خفى عليه - ولا أظنه - ان قول ابن عمر رضى الله عنهما " ان كان الخ رجوع منه رضى الله عنه عن فهمه الى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وغريب منه أيضا أن يجهل - ولا أظنه كذلك - حكم الخبائث فى الاسلام فيكفى أن يذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أن هذه خبيثه من الخبائث لنعرف من القرآن أنه عليه الصلاة والسلام يحل لنا الطيبات ويحرم علينا الخبائث . ليس لى أن أذكر أمثله أكثر من هذا فهى كثيرة فى تفاسيرهم وفيما ذكرت ما يكفى للمراد ان شاء الله تعالى .

(١) جراه غريبه من الشيخ محمد رشيد رضا على رد الاحاديث وبكل سهوله يزعم بصيغة العموم " وما ورد منه بلفظ التحريم فهو مروى بالمعنى " وهل

يصلح هذا لرد الاحاديث بدون تتبع ؟

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٨ ص ١٦٣

الاساس الثامن :

الشمول في القرآن الكريم

وهو أمر مسلم اذ الشمول فيه فرع عن الشمول في الرسالة الاسلاميه عامه فهى ليست لأمة دون الامم ولا لطائفة دون طائفة ولا لزمان دون زمان " قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا " (١) ولذا جاء القرآن الكريم أيضا وهو كتاب هذه الرسالة شاملا " وأوحى الى هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ " (٢) " ان هو الا ذكر للعالمين " (٣)

أدرك هذا رجال المدرسة العقلية الاجتماعية بالتزموه في تفسيرهم فقال استاذهم الامام محمد عبده " ان القرآن هاد ومرشد الى يوم القيامة وان معانيه عامه وشاملة فلا يعد ويوعد ويعظ ويرشد أشخاصا مخصوصين وانما نيظ وعده ووعيده وتبشيريه وانذاره بالعقائد والأخلاق والعبادات والاعمال التي توجد في الأمم والشعوب " (٤)

وقال تلميذه من بعده " فإن كان مات من كانوا سبب النزول فالقرآن حي لا يموت ينطق حكمه ويحكم سلطانه على الناس في كل زمان " (٥) ولعلنا ندرك من هذا النص الاخير أنهم يحرصون كثيرا على عدم تخصيص الآيات ذوات سبب النزول بالسبب بل يلتزمون القول بالشمول في غالب ذلك .

(١) سورة الاعراف : من الآيه ١٥٨

(٢) سورة الانعام : من الآيه ١٩

(٣) سورة يوسف : من الآيه ١٠٤

(٤) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ١٧٩

(٥) المرجع السابق : ج ١ ص ١٥٣

خذ مثلا لذلك ما قاله الاستاذ الامام محمد عبده في تفسير الاتقى والاشقى من قوله تعالى " فأندرتكم نارا تلتظى لا يصلاها الا الأشقى الذى كذب وتولى وشيجنبها الآتى " (١) الآيه قال " ويتفسير الاتقى والاشقى على النحو الذى سمعته تبطل تلك الاشكالات التى أوردها المفسرون فى الحصر وما أشكل عليهم الا تقيدهم بالعادة فى استعمال الفاظ كذب وتولى ، وتحكيم عادتهم واصطلاحاتهم التى وصفوها من عند أنفسهم لانفسهم فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ثم انهم يوردون ههنا أسبابا للنزول وان الآيات نزلت فى سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه لانه اشترى من أرقاء المسلمين ضعفاء واعتقهم من ماله لا يبتغى فى ذلك الا وجه الله ورووا غير ذلك ، وقالوا أن الاشقى هو أمية بن خلف وقيل غير ذلك ومتى وجد شيء من ذلك فى الصحيح لم يمنعنا من التصديق به مانع ولكن معنى الآيات لا يزال عاما - كما رأيت - والله أعلم " (٢)

ومن ذلك تفسير الشيخ محمد رشيد رضا لقوله تعالى " ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين " (٣) حيث قال :- " وهذه الآيات التى نحن بصدد تفسيرها الآن هى المبينة لحال الفرقة الرابعة وهى فرقة من الناس توجد فى كل آن وفى كل عصر وليست الآيات كما قيل فى أولئك النفر من المنافقين الذين كانوا فى عصر التنزيل ولذلك قال تعالى فى بيان حالهم " ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر " ولم يقل عنهم انهم يقولون مع ذلك " وآمنا بك يا محمد " وما كان القرآن ليعتبنى بأولئك النفر الذين لم يلبثوا أن انقضوا كل هذه العناية ويطيل فى بيان حالهم أكثر مما أطال فى الأصناف الثلاثة الذين هم سائر الناس " (٤)

(١) سورة الليل : الآيات ١٤ - ١٧

(٢) تفسير جزء عم : محمد عبده ص ١٠٦

(٣) سورة البقرة : الآيه ٨

(٤) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ١٤٩

ومثلا آخر تفسير الشيخ أحمد مصطفى المراغى للمغضوب عليهم
والضالين وذلك فى سورة الفاتحة " غير المغضوب عليهم ولا الضالين " (١)

فقد ورد فى السنة تخصيص هذا العموم بأن المغضوب عليهم هم
اليهود والضالين هم النصارى لكن الشيخ المراغى يميل الى العموم فيقول
فى تفسيرها " والمغضوب عليهم هم الذين بلغهم الدين الحق الذى شرعه
الله لعباده فرفضوه ونبذوه وراءهم ظهريا وانصرفوا عن النظر فى الأدلة
تقليدا لما ورثوه عن الآباء والأجداد . . والضالون هم الذين لم يعرفوا
الحق أو لم يعرفوه على الوجه الصحيح وهؤلاء هم الذين لم تبلغهم رسالة
أو بلغتهم على وجه لم يستبين لهم فيه الحق " (٢)

ومثل ذلك تفسير الشيخ عبدالقادر المغربى لقوله تعالى :-

"وأسروا قولكم أو اجهروا به " (٣) والخطاب فى قوله " وأسروا قولكم "
وان كان موجها الى الفريقين المصدقين والمكذابين - كان سببه صادرا عن
المكذبين وهم المشركون فانهم كانوا يوصي بعضهم بعضا بألا يجهروا بما
يدور بينهم لئلا يطلع عليه النبى صلى الله عليه وسلم " (٤)

وهذا أخيرا مثل من تفسير الشيخ محمد مصطفى المراغى على هذا
النحو فى قوله تهالى " يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا
أماناتكم وأنتم تعلمون " (٥) فقد ذكر سبب نزول الآية ثم قال " يصح أن يكون
هذا أو غيره سبب نزول الآية لكن الآية عامه تشمل كل خيانه لله ورسوله " (٦)

(١) سورة الفاتحة : من الآية ٧

(٢) تفسير المراغى : أحمد مصطفى المراغى ج ١ ص ٣٧

(٣) سورة الملك : من الآية ١٣

(٤) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربى ص ٧ ، ٨

(٥) سورة الانفال : الآية ٢٧

(٦) الدروس الدينية لعام ١٣٥٧ : محمد مصطفى المراغى ص ٢٩

ولعل فيما ذكرنا من أمثله ما فيه الكفاية لتقريره أساسا من أسس التفسير لدى رجال المدرسة العقلية الاجتماعية .
ونحن حين نقول بالشمول في القرآن والعموم في الرسالة الإسلامية فلا يعنى اطلاق ذلك فلا شك أن في القرآن آيات خاصة جاءت الأدلّه على خصوصها فلا ينبغي أن يطلق العموم في القرآن على هذا النحو خاصة اذا أورد التخفيض للآيه في السنه النبويه المطهره .
ولو كان منهجنا في الدراسة مناقشة المذاهب والآراء مناقشة واسعه لتبعنا هنا ما ذكرنا وغيره مما لم نذكر من تفاسيرهم وذكرنا مواقع التطرف ومواقع الاعتدال في كل

الأساس التاسع :

التحذير من الاطناب فيما ورد مبهما في القرآن الكريم والحديث عن هذا الأساس مرتبط بالحديث عن الأساس السادس وهو تحذيرهم من الاسرائيليات فكلاهما اعراض عن الحديث عن شيء من غير دليل صحيح وسند مقبول .

وهذا الأساس من الوضوح لدى رجال المدرسة العقلية الاجتماعية بمكان ، فقد رفعوا أصواتهم وكرروا نداءاتهم ودعوا الى تنقية التفاسير مما علق بها من أحاديث وضعها القصاص والوضاعون في بيان مبهم في القرآن الكريم ليدعموا به معتقدا زائفا أو دعوة باطله أو لغرض دنيوي أو لطلب مكانه ومنزله بين العامة فلجأوا الى ذلك الأسلوب الهجين .

وأول ما يواجه القارئ للقرآن الكريم مما استأثر الله تعالى بعلمه ما يسمى بـ " فواتح السور " وقد بين الشيخ محمود شلتوت ما هو خير للناس في فهم هذه الفواتح فقال : - ولعل من الخير للناس أن يوفروا على أنفسهم عناء البحث في معاني هذه الحرورف وأسرار ترتيبها

واختيارها على هذا النحو وأن يكفوا عن الخوض فيما لا سبيل الى علمه ولم يكلفهم الله به ، ولم يربط به شيئا من أحكامه أو تكاليفه " (١)

ومن أشهر المبهمات أيضا والتي توقف عندها عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثم قال لنفسه " ان هذا لهو التكلف يا عمر " ذلكم هو " أبا " من قوله تعالى " وفاكهه وأبا " (٢) وقد أعرض الأستاذ الامام محمد عبده عن الخوض في ذلك عند تفسيرها فقال " فالمطلوب منك في هذه الآيات هو أن تعلم أن الله يمن عليك بنعم أسداها اليك في نفسك وتقويم حياتك وجعلها متاعا لك ولأنعامك فاذا جاء في سردها لفظ لم تفهمه لم يكن من جد المؤمن أن ينقطع لطلب هذا المعنى بعد فهم المراد من ذكره بل الواجب على أهل الجدة والعزيمه أن يعتبروا بتعداد النعم وأن يجعلوا معظم همهم الشكر والعمل هكذا كان شأن الصحابه رضى الله عنهم ثم خلف من بعدهم خلف وقفوا عند الألفاظ وجعلوها شغلا شاغلا لا يهمهم الا التشدد بتصريفها وتأويلها وتحميلها مالا تحتمله ، وقد تركوا قلوبهم خاليه من الفكر والذكر ، وأعضاءهم معطله عن العمل الصالح والشكر " (٣)

وكما توقف عن القول في معنى أبا توقف عن القول فيما لا علم له به فتوقف عن القول بالحافظين من قوله تعالى " وان عليكم لحافظين كراما كاتبين " (٤) فأعلن ايمانه بذلك إجمالا ولم يبحث عما وراء ماورد فى النصوص الصحيحه فقال " ومن الغيب الذى يجب علينا الايمان به

(١) تفسير القرآن الكريم : محمود شلتوت ص ٦١

(٢) سورة عبس : الآية ٣١

(٣) تفسير جزء عم : محمد عبده ص ٢١

(٤) سورة الانفطار : الايتين ١٠ و ١١

ما أنبأنا به في كتابه من أن علينا حفظه يكتبون أعمالنا حسنات وسيئات ولكن ليس علينا أن نبحث عن حقيقة هؤلاء ومن أي شيء خلقوا وما هو عملهم في حفظهم وكتابتهم ، هل عندهم أوراق وأقلام ومداد كالمعهود عندنا - وهو ما يبعد فهمه - أو هناك ألواح ترسم فيها الأعمال ؟ وهل الحروف والصور التي ترسم هي على نحو ما نعهد أو انما هي أرواح تتجلى لها الأعمال فتبقى فيها بقاء المداد في القرطاس الى أن يبعث الله الناس ؟ كل ذلك لا تكلف العلم به وانما تكلف الايمان بصدق الخبر وتفويض الأمر في معناه الى الله والذي يجب علينا اعتقاده من جهة ما يدخل في عملنا هو أن أعمالنا تحفظ وتحصى لا يضيع منها نقير ولا قطمير" (١)

ونحو هذا تفسير تلميذه الشيخ محمد مصطفى المراغى لقوله تعالى " وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين" (٢) حيث قال " والآية تدل بظاهرها على أن الجنة مخلوقة الآن لأن الفعل الماضي يفهم هذا غير أنه من الجائز أن يكون من قبيل قوله تعالى " ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض" (٣) فلا يدل على خلقها الآن والبحث في هذا لافائدة له ولا طائل تحته" (٤)

وفي تفسير قوله تعالى " اذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور" (٥) يقول " وهل هذا الصوت صوت جهنم نفسها بمعنى أن المسواد التي تلتهب فيها يسمع لها هذا الصوت ؟ أو هو صوت أهلها الذين ألقوا ويلقون فيها ؟ لم يكلفنا الشرع تعيين أحد الأمرين كما لم يكلفنا أن نعرف

-
- (١) جزء عم : محمد عبده ص ٢٦
 - (٢) سورة آل عمران : الآية ١٣٢
 - (٣) سورة الزمر : من الآية ٦٨
 - (٤) الدروس الدينيه لعام ١٣٥٦ هـ : محمد مصطفى المراغى ص ٢١
 - (٥) سورة الملك : الآية ٧

جهنم والجنة وسائر شؤن عالم الغيب معرفة كنه وتحديد وانما كل ما على المؤمن أن يعتقد أنه تعالى أعد داراً للأشرار تسعرفيها النار وتفور ويسمع لها صوت على المعنى الذي يريده سبحانه وتعالى أما ما وراء ذلك من اعتقاد أن مواد جهنم وعناصرها وطبائعها وغلانها وحسيسها من جنس ما نعرفه في الدنيا أو لا - فهذا مما لم نكلفه رحمه بنا إذ القصد أن يؤدي علمنا بالنار إلى الخشية والازدجار وهذا يحصل بمجرد ما قصه الله علينا من أمرها وأن الداخل إليها يشعر من الألم بأقصى ما يعهده في دار الدنيا " (١)

وعودة إلى أستاذ هذه المدرسة وامامها الشيخ محمد عبده نذكر له توقفه عن الاطناب في شأن الميزان يوم القيامة وذلك عند تفسيره لقوله تعالى :- " فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية " (٢) قال " ومن عجيب ما قاله بعض المفسرين " انه ميزان بلسان وكفتين كاطباق السموات والأرض ولا يعلم ماهيته الا الله " !! فماذا بقى من ماهيته بعد لسانه وكفتيه حتى يفوض العلم فيه الى الله ؟ والكلام فيه جرأه على غيب الله بغير نص صريح متواتر عن المعصوم ولم يرد في الكتاب الا كلمة الميزان وقد ما يمكننا أن نفهم منها لنتفح بما نعتقد وما عدا ذلك فعلمه الى الله سبحانه عليك أيها المؤمن المطمئن الى ما يخبر الله به أن تؤمن أن الله يزن الأعمال ويميز لكل عمل مقداره ولا تسل كيف يزن ولا كيف يقدر فهو أعلم بغيبه والله يعلم وأنتم لا تعلمون " (٣)

هذه بعض الأمثلة على توقف رجال المدرسه العقلية الاجتماعية عن الاطناب فيما أبهمه القرآن الكريم مما لا طائل في معرفته .

(١) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربي ص ٧

(٢) سورة القارعه : الايتين ٦ و ٧

(٣) جزء عجم : محمد عبده ص ١٤٥ - ١٤٦

الأساس العاشر : الإصلاح الاجتماعي

وبلغت منزلة هذا الأساس ودرجته عند رجال المدرسة العقلية الاجتماعية ان أصبح كالأساس الثالث " تحكيم العقل " صفة من صفاتهم التي بها يعرفون واليها ينسبون حتى أضيف الى اسم المدرسة فعرفت بالمدرسة العقلية الاجتماعية .

ذلكم أن رجال المدرسة وهم يواجهون أو يعاصرون يقظة العالم الاسلامي الذي انبهرت طائفة منه بمعالم الحضارة الغربية اتجهوا كغيرهم من المصلحين الى تلمس السبيل الأمثل لاصلاح المجتمع الاسلامي وفق أحكام الشريعة الاسلامية بحيث تسبق هذه الأمة الغرب أو تلحق بها مع التزامها لمبادئ دينها .

وهي مهمة غير ميسرة تحف بها العقبات وتحيط بها المتاهات وتزيغ بها الأهواء وتلتبس بها السبل فان أحاط صاحبها نفسه بنور القرآن الكريم ولم يحد عن نوره يمنة أو يسره لم يزل على جادة الحق حتى ينجو وينجي والآهك وأهلك .

لا عجب أن يكون القرآن الكريم هو النبراس في دياجير الظلام فقد وصفه منزله عز شأنه بقوله " كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور " (١) .

ولا عجب أن يكون القرآن الكريم هو الهداية (ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم " (٢) .

ولا عجب أن يكون القرآن الكريم هو النور فقد أنزله الله كذلك " يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا

(١) سورة ابراهيم : الآية الأولى (٢) سورة الاسراء : من الآية ٩

مبينا " (١)

والتاريخ شاهد للقرآن بهذا . فليتأمل المتأمل في تاريخ المسلمين ، وينظر الى تلك الروح التي سرت في جسد الأمة الاسلامية في القرن الأول ما ان أشرقت أول شعاعه لهذا القرآن الكريم من غار حراء الآ والقلوب تأوى اليه والأفئدة تهفو اليه ، واذا بالفرد قد أصبح جماعة واذا بالجماعة قد أصبحت أمة ، واذا بالأمة قد أصبحت أمما حتى خاطب حاكمها سحابة في عنان السماء . أيتها السحابة أمطري حيث شئت فان خراجك سيأتي الى .

كانت هذه الأمة أمة مستذله قبل أن يسرى فيها نور القرآن كانت تقول " للبيت رب يحميه " وما أن أشرق فيها نوره حتى صارت جنود من يحميه بل لم تقف موقف الحماية فهبت لتاج كسرى الوثنى تلقيه ولتاج قيصر الرومي تحطمه وترميه حتى لا يقف حاجز لهذا النور فليس هو لأمة دون أمة ولا لأرض دون أرض اذن فليفسح له السبيل وليفتح له الطريق حتى تشرق الأرض بنور ربها . وهكذا كان .

أشرقه النور وانجلت الظلمات فصار الناس يرون الحق والسبيل السوى فيسلكونه ويرون الباطل وطريق الضلال فيجتنبونه . نعموا بالعدل وما ادراك ما هو ، فقد بسطه نبي هذه الأمة وما زالت كلمته تجلجل والله لو سرقت فاطمه بنت محمد لقطعت يدها وبسطه خلفه من بعده حتى قال خليفتهم والله لو عثرت شاة في العراق لخشيت أن يسألني الله عنها لِمَ لِمَ أمهدلر الطريق " قال ذلك في

(١) سورة النساء : من الآية ١٧٤

منتهى ادراك المسئولية على عاتقه .

ونعموا بالأمن فلا يضيع دم أحد هدرا حتى ولو اشترك أهل
صنعا في قتله ولا يضيع مال حتى تقطع يد لنصف دينار منه ولا
يضيع شرف حتى يجلد صاحب كلمة تخدشه أو ترجم نفس تنتهكـه
أو تقطع أيدى وأرجل معتد عليها ، ولن يهدر سن ولا عين ولا
جرح ولا شعرة حتى يقاد لصاحبها ويقتل .

أى أمن هذا ؟ وأى سلام ؟ انه أمن الايمان وسلامة الاسلام
الذى عجزت وتعجز أن تدانيه أية قوانين مستحدثه ، وأية أنظمة
وضعية .

إذا فلا عجب أن يكون ذلكم الكتاب الكريم شاملا لصالح الدنيا
وسعادة الآخرة ، ولا عجب أبدا أن يكون ملاذ المصلحين ودستور
الحاكمين ومنار المهتدين . اليه يأوى أولئك يستمدون منه قواعد
الاصلاح الاجتماعى وأسسـه واليه يأوى هؤلاء الحاكمون ويستمدون منه
أصول الحكم الاسلامى وارساء قواعد الدولة الاسلامية . ويأوى اليه
المهتدون ينعمون بفيء ظلاله وأمن جواره .

كنت أقول أن التاريخ شاهد على ما ذكرنا وأنه شاهد لا أشك
في شهادته أن الأمة الاسلامية تقوى بتمسكها به وتضعف بتركها له
أو اعراضها عنه .

سادت الدولة الاسلامية أرجاء واسعة من الأرض بسطت عليها
سلطتها وأرست دعائم حكمها العادل ثم ضعف تمسكها بالقرآن الكريم
وأحكامه ، فما لبثت أن بدأت تتهاوى وتسقط الواحدة تلو الأخرى
حتى أصبحت غثاء كغثاء السيل وحتى تداعت عليها الأمم كداعى
الأكلة على قصعتها .

حتى أفاق العالم الاسلامى من نومه واستيقظ من غفلته فاذا به مكبلا مقيدا ييغى الفكك . شممت طائفة من العلماء عن سواعدها داعية الى سبيل السلامه وما فيه النجاة والتفتوا الى القرآن الكريم يرسلون أنواره فى زوايا الظلمات حتى يكشفوا ما فيه هلاكهم فيحذروه وما فيه نجاتهم فيسلكوه .

أرسلوا هذا النور القرآنى الى عادات باطله صارت عقائد راسخة ، والى عقائد أصيله أصبحت فى عالم النسيان . نبهوا المسلمين الى عدوهم الحقيقى ليحذروه ، ودعوهم الى الاسلام وتحكيم مبادئه وترسيخ أصوله .

وكان من هؤلاء رجال المدرسة العقلية الاجتماعية الذين شاء الله أن يعيشوا أو كثير منهم تلك الفترة ، فقاموا حسب طاقتهم وجهدهم بهذه المهمة . فحاضوا فى شتى القضايا ووسطوا كثيرا من الاصلاحات ، وكان لهم شأن البشر حسنات وكان لهم غيرها .

اتجهوا الى تفسير القرآن الكريم يطبقونه على مجتمعمهم فان جاء ذكر عمل محمود أشادوا به ودعوا الى امثاله وان جاء ذكر عمل مذموم شنئوه وحذروا الناس منه . فكان هذا وهو كذلك هو المدخل الصحيح للمصلح الاجتماعى .

كانت القضايا الاجتماعية لا تكاد تحد ولا تعد بدءا من الحكومة الاسلامية والقواعد التى تقوم عليها ، ومرورا بالوحدة الاسلامية والحرية الفردية والحرية السياسية وحرية العقيدة ثم اصلاح العقائد من الخرافات والأوهام التى ألصقت بها الصاقا ثم اصلاح التعليم وما أدراك ما التعليم ، ثم اصلاح الاقتصاد عامة ونشر الاقتصاد الاسلامى خاصة ، ثم القضية التى يسمونها قضية المرأة مالها وما

عليها ما تطلبه وما يطلب منها شغلت الناس حيناً من الدهر
وما زالت . ثم قضايا التربيـه الاسلاميه والالتزام بمبادئه التـهذيبيـه
كالأمانة والصدق والصبر ، مما يهذب النفس الاسلاميه ويصبغها بمثله
ومبادئه ثم قضايا الخمر والزنا والسرقه وبيان آثارها وأضرارها فى
المجتمع .

ولا أظن القلم سيتوقف من قريب ان ذهبت أعداد - مجرد
تعداد - القضايا الاجتماعيه فى تلك الفتره حتى أنه لا يخلو تفسير
آيه من آيات القرآن الكريم من ألف مدخل ومدخل الى قضيه من
تلك القضايا .

وقد جدّ رجال المدرسه العقلية الاجتماعيه فى أن يلتزموا
عند تفسير كل آيه ما يتعلق بالاصلاح الاجتماعى ويتخذوا منها مدخلا
الى الاصلاح حتى وصف أستاذ هذه المدرسه ضمن أوصافه بالمصلح
الاجتماعى .

وليس علينا ونحن نعرض هنا التزامهم لهذا الجانب فى التفسير
أن نعرض لكل الجوانب الاصلاحية ولا لأكثرها . فلنعرض اذا لبعض
جوانب الاصلاح الاجتماعى مما يثبت سلوكهم اياه وعملهم به حتى
صار أساسا من أسس تفسيرهم بل صفة تطلق عليهم .

الحرية :

وحين نطلق - نحن المسلمين - لفظ الحرية فاننا لا نعنى بها
ذلك المفهوم الغربى بمعنى التجرد من الدين والمبادئ بل التحرر
من سلطان ورجال الكنيسه فى العصور الوسطى ، ومن سلطان
الاقطاعيين والفكر الأجوف والتقليد الأعمى . فتلك الحرية نتاج فكر

لا وجود له في الاسلام وبالتبع فليست تلك الحرية من مقاصد الاسلام .

فلقد بوأ الاسلام الحرية منزلة لا تدعوها الى الهجوم عليه لأنها نابعة منه وقائمة عليه . فكيف تثور الحرية على قاعدتها الراسخة ، تشعبت الحرية في الاسلام ورسخت فيه عروقها فصار ماؤها الذي تشربه وهواءها الذي تتنفسه خذ من تلك الشعب ان شئت .

الحرية في العليدة :

فقد أعلنها الاسلام صريحة " لا اكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي " (١) قال الشيخ محمد عبده في تفسيرها " لا اكراه في الدين . قاعدة كبرى من قواعد دين الاسلام وركن عظيم من أركان سياسته فهو لا يجيز اكراه أحد على الدخول فيه ولا يسمح لأحد أن يكره أحدا من أهله على الخروج منه . وانما نكون متمكين من اقامة هذا الركن وحفظ هذه القاعدة اذا كنا أصحاب قوة ومنعه ونحمي بها ديننا وأنفسنا ممن يحاول فتنتنا في ديننا اعتداءً علينا بما هو آمن أن نعتدى بمثله عليه اذا أمرنا أن ندعوا الى سبيل ربنا بالحكمة والموعظة الحسنة . . . فالجهاد من الدين بهذا الاعتبار أي أنه ليس من جوهره ومقاصده وانما هو سياج له وجنة فهو أمر سياسي لازم له للضرورة " (٢) .

وزاد الأستاذ محمد رشيد رضا الأمر وضوحاً بقوله " ولكن قد يرد علينا أننا قد أمرنا بالقتال . . " ثم يجيب على هذا بقوله

(١) سورة البقرة : من الآية ٢٥٦
(٢) تفسير المنار: محمد رشيد رضا ج٣ ص ٣٧

" ان الاكراه ممنوع وأن العمده فى دعوة الدين بيانه حتى يتبين
الرشد من الغى ، وأن الناس مخيرون بعد ذلك فى قبوله وتركه .
شرع القتال لتأمين الدعوة ولكف شر الكافرين عن المؤمنين لكيلا
يزعزعوا ضعيفهم قبل أن تتمكن الهداية من قلبه ويقهروا قلوبهم
بفتنته عن دينه كما كانوا يفعلون فى مكة جهرا . ولذلك قال
" وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله " (١) (٢) .

ومما يتصل بحرية العقيدة حرية الجدل الدينى ما دام جدالا
بالتى هى أحسن فقد قال الأستاذ محمد فريد وجدى فى تفسير
قوله تعالى " ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن الا
الذين ظلموا منهم " (٣) . ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالخصلة
التى هى أحسن الخصال كمقابلة خشونتهم باللين وشغبهم بالنصح
الا الذين ظلموا منهم بالافراط فى الاعتداء " (٤) .

وحرية من العبودية لغير الله :

فالأصل فى الانسان حرية من العبودية الا لله سبحانه
وتعالى ، وهذا يذكرنا بقول عمر رضى الله عنه مستنكرا " متى
استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا " .

ولذلك حث الاسلام على العتق وتحريم الأرقاء . قال الشيخ
محمد عبده فى تفسير قوله تعالى : - " فلا أقتحم العقبة وما أدراك
ما العقبة فك رقية " (٥) .

(١) سورة البقرة : من الآية ١٩٣

(٢) تفسير المنار: محمد رشيد رضا ج ٣ ص ٣٩

(٣) سورة العنكبوت : من الآية ٤٦

(٤) المصحف المفسر : محمد فريد وجدى ص ٥٣٧

(٥) سورة البلد : الآيات ١١-١٣

" وفك الرقبة عتقها أو المعاونة عليه وقد ورد في فضل العتق ما بلغ معناه حدّ التواتر فضلا عما ورد في الكتاب وهو يرشد الى ميل الاسلام الى الحرية وجفوته للأسر والعبودية " (١)

حرية سياسية :

فشرع الشورى قال السيد رشيد رضا في تفسير قوله تعالى :
" وشاورهم في الأمر " (٢) وشاورهم في الأمر العام الذى هو سياسة الأمة فى الحرب والسلم والخوف والأمن وغير ذلك من مصالحهم الدنيوية أى دم على المشاورة وواظب عليها كما فعلت قبل الحرب فى هذه الواقعة (غزوة أحد) وان اخطأوا الرأى فيها فان الخير كل الخير فى تربيتهم على المشاورة بالعمل دون العمل برأى الرئيس وان كان صوابا لما فى ذلك من النفع لهم فى مستقبل حكومتهم ان أقاموا هذا الركن العظيم "المشاورة" فان الجمهور أبعد عن الخطأ من الفرد فى الأكثر والخطر على الأمة فى تفويض أمرها الى الرجل الواحد أشد وأكبر قال الأستاذ الامام ليس من السهل أن يشاور الانسان ولا أن يشير واذا كان المستشارون كثارا كثر النزاع وتشعب الرأى ولهذه الصعوبة والوعورة أمر الله تعالى نبيه أن يقرر سنة المشاورة فى هذه الأمة بالعمل فكان " يستشير أصحابه بغاية اللطف ويصغى الى كل قول ويرجع عن رأيه الى رأيهم " (٣)

ويعلل عدم وضع الرسول صلى الله عليه وسلم قاعدة ونظاما

للشورى بحكم وأسباب منها :-

(١) تفسير جزء عم : محمد عبده ص ٨٩

(٢) سورة آل عمران : من الآية ١٥٩

(٣) تفسير المنار: محمد رشيد رضا ج ٤ ص ١٩٩-٢٠٠

أ - أن هذا الأمر يختلف باختلاف أحوال الأمة الاجتماعية فى الزمان والمكان .

ب - أن النبى صلى الله عليه وسلم لو وضع قواعد مؤقتة للشورى بحسب حاجة ذلك الزمن لاتخذها المسلمون دينا وحاولوا العمل بها فى كل زمان ومكان وما هى من أمر الدين .

ج - ومنها أنه لو وضع تلك القواعد من نفسه عليه الصلاة والسلام لكان غير عامل بالشورى وذلك محال فى حقه لأنه معصوم من مخالفة أمر الله ولو وضعها بمشاورة من معه من المسلمين لقرر فيها رأى الأكثرين منهم كما فعل فى الخروج الى أحد وقد تقدم أن رأى الأكثرين كان خطأ ومخالفا لرأيه صلى الله عليه وسلم ، اليس تركها للأمة تقرر فى كل زمان وما يؤهلها له استعدادها هو الأحكم ؟ " (١) .

كانت تلکم بعض جوانب الحرية فى الاسلام نبه اليها رجال المدرسة العقلية الاجتماعية ودعوا الى اصلاح الأوضاع الاجتماعية على ضوءها .

التحذير من البدع والمنكرات فى العقائد :

وهذا السبيل فى الاصلاح منتشر فى تفاسيرهم وبكثرة . كيف لا وقد كانت العقائد الاسلامية فى عصرهم يشوبها كثير من البدع والخرافات التى ابتدعها المبتدعون ما أنزل الله بها من سلطان .
انتشر بين المسلمين تقديس الأولياء والتمسح بعباداتهم ولزوم

(١) المرجع السابق : ج٤ ص ٢٠١ - ٢٠٢

المقابر ودعاء الأموات والذبح لغير الله بله العقائد المنحرفة
والممل الملحده .

وحذر رجال المدرسة الاجتماعية المسلمين مما وقع فيه أكثرهم
من البدع والمنكرات كتقديس الأولياء والذبح عند قورهم ودعائهم
لهم واستغاثتهم واستعانتهم بهم ففي قوله تعالى : " فلولا كان
من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد فى الأرض " . (١)
قال السيد رشيد " . . ان الصالحين المصلحين فى الأرض هم
الذين يحفظ الله بهم الأمم من الهلاك ما داموا يطاعون فيها
بحسب سنة الله . . وقد فهم الوعاظ والفقهاء من خلفنا الجاهل
خلاف ما كان يفهمه السلف الصالح من بركة الصالحين المتقدمين
وحفظ الله الأمم بهم فظنوا أن المراد بهم الذين يكثر من الصيام
والقيام وقراءة الأوراد والأحزاب . . كلا ان من أصحاب الأوراد من
يقوم ليلة بورد من تشريع مبتدع هو به عاص لله تعالى لعبادته
بغير ما شرعه فكان مما قال فيهم : " أم لهم شركاء شرعوا لهم
من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم " (٢) .
أى بهلاكهم وفى الحديث " رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع
ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر " (٣) . كم من مصل وهو مصداق
لحديث " من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله
إلا بعدا " (٤) . وكذا كان دراويش مهدي السودان وأمثالهم من

(١) سورة هود : من الآية : ١١٦

(٢) سورة الشورى : من الآية : ٢١

(٣) قال محمد رشيد رضا معلقا " رواه ابن ماجة بهذا اللفظ وأحمد
والحاكم بتقديم وتأخير .

(٤) قال محمد رشيد رضا معلقا " رواه احمد فى الزهد عن ابن مسعود
موقوفا وابن جرير عنه مرفوعا .

المسلمين الجاهلين لهداية القرآن ، فنكل بهم الافرنج بمساعدة الفاسقين من المسلمين واستولوا على بلادهم وقد علمنا من أخبار المهدي أنه كان على علم وبصيرة في صلاحه ولكن قواده لم يكونوا بعده مثله ، صلاح دراويشه لا بصيرة فيه ولا علم " (١) .

وهذا الشيخ أحمد مصطفى المراغى يستدل بقوله تعالى :

" ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين " (٢) . على " أن سماع هذا الوعيد وأشباهه يوجب على المؤمن أن يفكر طويلا ويتأمل فيما وصل اليه حال المسلمين اليوم وكيف أن علماءهم يجارون العامة في بدعهم وضلالاتهم وهم يعترفون ببعدها عن الدين . ولا يكون لهم وازع من نواهيه وقوارعه الشديدة وزواجره التي تخر لها الجبال سجدا " (٣)

وأكد هذا الشيخ محمد عبده بتفسيره الآيه نفسها بقوله :

" نقرأ هذا التشديد والوعيد ونسمعه من القارئين ولا نزدجر عن اتباع أهواء الناس ومجاراتهم على بدعهم وضلالتهم حتى أنك ترى الذين يشكون من هذه البدع والأهواء ويعترفون ببعدها عن الدين يجارون أهلها عليها ويمازجونهم فيها واذا قيل لهم في ذلك قالوا ماذا نعمل ؟ ما في اليد حيلة ، العامة عمى . آخر زمان . وأمثال هذه الكلمات هي جيوش الباطل تؤيده وتمكنه في الأرض حتى يحل بأهله البلاء ويكونوا من الهالكين " (٤) .

وقد علق الأستاذ محمد رشيد رضا على تفسير أستاذه هذا بقوله : " واعجب من هذا الذي ذكره الامام أنك ترى هؤلاء المعترفين

(١) تفسير المنار: محمد رشيد رضا ج١٢ ص ٢٤٤-٢٤٥
(٢) سورة البقرة: من الآية ١٤٥ (٣) تفسير المراغى: أحمد مصطفى المراغى ج٢ ص ١٢

(٤) تفسير المنار: محمد رشيد رضا ج٢ ص ١٨-١٩

بهذه البدع والأهواء ينكرون على منكرها ، ويسفهن رأيه ويعدونه
عابثا أو مجنونا اذ يحاول ما لا فائدة فيه عندهم فهم يعرفون
المنكر وينكرون المعروف ويدعون مع ذلك أنهم على شيء من العلم
والدين .

وأعجب من هذا الأعجب أن منهم من يرى أن ازالة هذه
المنكرات والبدع ومقاومة هذه الأهواء والفتن جناية على الدين
و يحتج على هذا بأن العامة تحسبها من الدين فاذا انكرها
العلماء عليهم تزول ثقتهم بالدين كله لا بها خاصة ؛ وبأنها
لا تخلوا من خير يقارنها كالذكر الذى يكون فى المواسم والاحتفالات
التي تسمى بالموالد وكلها بدع ومنكرات حتى ان الذكر الذى يكون
فيها ليس من المعروف فى الشرع ؛ والسبب الصحيح فى هذا كله
هو محاولة ارضاء الناس بمجاراتهم على أهوائهم وتأويلها لهم ،
ولولا ذلك لما سكت العالمون بكونها بدعا ومنكرات عليها ، انهم
انما سكتوا بالثمن (اشترى آيات الله ثمنا قليلا)^(١) وهم مع
ذلك يظهرون التعجب من جحود أهل الكتاب للنبي والقرآن وما
كانوا أشد منهم جحودا ، ولا أقوى جمودا . هذا ايماء الى
اتباع العلماء أهواء العامة بعد ما جاءهم من العلم وما نزل عليهم
فى الكتاب من الوعيد عليه ولو شرح شارح اتباعهم لأهواء السلاطين
والأمراء والوجهاء والأغنياء ، وكيف يفتونهم ويؤلفون الكتب لهم ،
ويخترعون الأحكام والحيل الشرعية لأجلهم وكيف حرموا على الأمة
العمل بالكتاب والسنة وألزموها كتبهم - لظهر لقارىء الشرح كيف أضع

(١) سورة التوبة : من الآية ٩

هؤلاء الناس دينهم فسلط الله عليهم من لم يكن له عليهم سبيل" (١)
وفى تفسير قوله تعالى " وقالوا لا تذرنا ألهتكم ولا تذرنا
وذا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا" (٢) يتحدث الأستاذ عبد القادر
المغربي عن نشأة الوثنية ثم يقول " ومن تأمل ما قلناه فى مناشىء
ظهور الوثنية فى البشر فهم السرفى كون الدين الاسلامى يحرم
اقامة الصور ونصب التماثيل وتشيد القبور وتخصيصها على رمم
العظماء وفى حديث على رضى الله عنه " أرسلنى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال لى لا تدع صنما الا طمسته ولا قبرا الا سويته" (٣)
فان الوثنيين كانوا يتخذون من موائل القبور والأصنام ذكرى لرجالهم
الصالحين وليست ذكراهم لهم ذكرى عظة واعتبار وانما هى ذكرى
استمداد أسرار واقتباس أنوار واستغراق واستحضار واستزاق واستمطار
والتماس منافع واستكفاء أضرار فسد دين الاسلام الذريعة بتحريم
هذه الموائل خشية أن تسترهب ضعفاء العقول وتستهو بهم ومن
مزالق الوثنية تقربهم وتدنيهم فلهذا الاسلام ما أعدله فيما شرع وحكم
وما أوضح نهجه فيما خط لنا من الهداية ورسم" (٤)
وفى قوله تعالى : " وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما
أغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شىء" (٥) الآية،
يقول السيد رشيد رضا " .. فاذا قيل لهم أن أصله الغلو فى
الصالحين ولا سيما الميتين منهم واعتقاد تصرفهم فى الكون ودعاؤهم

(١) تفسير المنار: محمد رشيد رضا ج ٢ ص ١٩

(٢) سورة نوح الآية : ٢٣

(٣) رواه احمد ومسلم وابوداود ولكن بلفظ " .. ان لا تدع تماثالا الا
طمسته ولا قبرا مشرفا الا سويته"

(٤) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربي ص ٦٢

(٥) سورة هود : من الآية ١٠١

فى طلب النفع ودفح الضر وأن مثله أو منه ما كان يحكى عن مسلمى بخارى ان شاه نقشبند هو الحامى لها فلن تستطيع الدولة الروسية الاستيلاء عليها . وما كان يحكى عن مسلمى المغرب الأقصى من حماية مولاى ادريس لفاس وسائر المغرب أن تستولى عليها فرانسفة انكروا على القائل أن هذا كذلك وقالوا انما هو توسل بجاه الأولياء عند الله وليس من المنكر أن يدفعوها بكرامتهم فكرامة الأموات ثابتة كالأحياء وقد بينا لهم جهلهم هذا بتبدل الأسماء ومخالفته لكتاب الله تعالى وسنة رسوله وسيرة السلف الصالح من الأمة فى فتوحاتهم وتأسيس ملكهم وحفظه وخصصنا اخواننا أهل المغرب الأقصى بالانذار منذ أنشئ المنار وأرشدناهم الى تنظيم قواتهم الدفاعية العسكرية وطلب الضباط له من الدولة العثمانية والى العلوم والفنون المرشدة الى القوة والثروة والنظام والا ذهبت بلادهم من أيديهم قطعاً فقال المغوون لهم من أهل الطرائق القدد بلسان حالهم أو مقالهم أن صاحب المنار معتزلى منكر لكرامات الأولياء وما هو بمعتزلى ولا أشعري بل هو قرآنى سنى . وها هى ذى فرانسفة استولت على بلادهم كما أنذرهم وظهر أن أكبر مشايخ الطريق نفوذا ودعوى للكرامات بالباطل كالتجانية كانوا وما زالوا من خدمة فرانسفه ومساعدتها على فتح البلاد واستعباد أهلها أو اخراجهم من دين الاسلام الى الالحاد أو النصرانية من حيث يدرون أو لا يدرون .

يجهل أمثال هؤلاء وغيرهم من الذين يظنون أن الشرك بالله تعالى خاص بعبادة الأصنام والأوثان أن أصل هذا الشرك هو الغلو فى تعظيم الصالحين والتبرك أو التوسل بأشخاصهم لابطال سنن الله . وأكبر مصائب الاسلام أن افتتان المسلمين بالصالحين الذين اتبعوا

فيه سنن من قبلهم شبرا بشبر وذراعا بذراع كما أخبر الصادق -
والمصدون صلى الله عليه وسلم قد كان سببا للاحاد فريق كبير من
الذين يتعلمون علوم العصر ومنها سنن الخلق والاجتماع ومروقتهم
من الدين باعتقادهم أن الاسلام دين خرافى هو الذى أضع ملك
المسلمين " (١)

وفى قوله تعالى " واعدوا الله ولا تشركوا به شيئا " (٢) يجملى
لنا السيد رشيد رضا تفسيراً استاذه محمد عبده فيقول " ثم ذكر أن
هذا الشركة قد فشا فى المسلمين اليوم وأورد شواهد على ذلك عن
المعتقدين الغالين فى البدوى " شيخ العرب " والدسوقى وغيرهما
لا تحتل التأويل ويين أن الذين يؤولون لأمثال هؤلاء انما يتكلمون
الاعتذار لهم لرحزحتهم عن شرك جلى واضح الى شرك أقل منه
جلاء ووضوحا ولكنه شرك ظاهر على كل حال وليس هو من الشرك
الخفى الذى وردت الأحاديث بالاستعاذة منه الذى لا يكاد يسلم
منه الا الصديقون " (٣)

الجانب التهذيبي :

وعنى أرباب المدرسة ببيان الفضيلة ودعوة المجتمع اليها والرذيلة
وتحذير المجتمع منها فى تفسير قوله تعالى " حافظوا على الصلوات
والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين " (٤) يطنب الأستاذ رشيد رضا فى
بيان حكم الصلاة فى الاسلام ثم يقول بعد هذا " رأيت هذه
الآيات العزيزة والأحاديث الناطقة بالعزيمة قد نال التأويل منها

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١٢ ص ٢٤٦-٢٤٧

(٢) سورة النساء : من الآية : ٣٦

(٣) تفسير المنار : محمد رشيد رضا : ج ٥ ص ٨٣

(٤) سورة البقرة الآية : ٢٣٨

نيله فى الزمن الماضى وأعرض جماهير المسلمين عنها فى الزمن الحاضر حتى كثر التاركون الغافلون والمارقون وقل عدد المصلين الساهين وندر المصلون المحافظون ذلك أن الاسلام عند هؤلاء المسلمين الذين يصفون أنفسهم بالمتدنيين قد خرج عن كونه عقيدة دينية الى كونه جنسية سياسية آية الاستمساك به والمحافظة عليه والدفاع عنه مدح كبراء حكامه وان كانوا لا يقيمون حدوده ولا ينفذون أحكامه بل رفعوا أنفسهم الى مرتبة التشريع العام واستبدال القوانين الوضعية بما نزل الله من الأحكام ..

ماذا كان من أثر ترك الصلاة والتهاون بالدين فى المدن والقرى والمزارع؟ كان من أثره فى المدن فشو الفواحش والمنكرات تجدد حانات الخمر ومواخير الفجور والرقص وبيوت القمار خاصة بخاصة الناس وعامتهم حتى فى ليالى رمضان ليالى الذكر والقرآن، وعبد الناس المال لا يبالون أجا من حرام أم من حلال وانقبضت الأيدى عن أعمال الخير وانبسبت فى أفعال الشر وزال التعاطف والتراحم وقلت الثقة من أفراد الأمة بعضهم ببعض فلا يكاد يثق المسلم الا بالأجنى وغير ذلك من فساد الأخلاق وقبح الفعال فى الأفراد وأكبر من ذلك انحلال الروابط المليية بل تقطع أكثرها ..

المحافظ على هذه الصلاة الفضلى ينتهى عن الفحشاء والمنكر .. المحافظ على هذه الصلاة لا يمنع الماعون .. المحافظ على هذه الصلاة لا يخلف ولا يلوى فى حق غيره عليه .. المحافظ على هذه الصلاة لا يضيع حقوق أهله وعياله ولا حقوق أقاربه وجيرانه ولا حقوق معامليه واخوانه .. المحافظ على هذه الصلاة يعظم الحق وأهله ويحتقر الباطل وجنده ..

المحافظ على هذه الصلاة لا تجزعه النوائب ولا تقل غرار عزمه
المصائب ولا تبطره النعم ولا تقطع رجاءه النقم .." (١) .

ويحث الامام محمد عبده على خلق الصبر فى تفسير قوله تعالى
" وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر " (٢) بقوله " والصبر خلق من
أمهات الأخلاق بل مساك كل خلق قالوا فى فضل الصبر انه ذكر
فى القرآن نحو سبعين مرة ، وليس لنا فائدة كبرى فى تحديد
العدد ولكن جاء فى الكتاب العزيز ذكر الصبر ومدح أهله وتبشيرهم
بالفوز والفلاح والصبر ملكة فى النفس يتيسر معها احتمال ما يشق
احتماله والرضى بما يكره فى سبيل الحق وهو خلق يتعلق به بل
يتوقف عليه كمال كل خلق وما أتى الناس من شىء مثل ما أتوا من
فقد الصبر أو ضعفه .." (٣) .

وعن الخصام والرشوة يقول السيد رشيد " وكم من ثروة نفدت وبيوت
خربت ونفوس أهينت وجماعة فرقت وما كان لذلك من سبب الا الخصام
والأدلاء بالمال الى الحكام ولو تأدب هؤلاء الناس بأداب الكتاب
الذى ينتسبون اليه لكان لهم من هدايته ما يحفظ حقوقهم ويمنع
تقاطعهم وعقوقهم ويحل فيهم التراحم والتلاحم محل التزاحم والتلاحم" (٤)

وفى بيان أحوال الأمم المقهورة يفسر السيد رشيد رضا قوله تعالى
" فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم " (٥) ذلك أن الأمم
إذا قهرها العدو ونكل بها يفسد بأسها ويغلب عليها الجبن والمهابة

(١) تفسير المنار: محمد رشيد رضا ج٢ ص ٤٤٠-٤٤٣ بتلخيص

(٢) سورة العصر من الآية : ٣

(٣) تفسير سورة العصر : محمد عبده ص ٢٣-٢٤

(٤) تفسير المنار: محمد رشيد رضا ج٢ ص ٢٠١

(٥) سورة البقرة : من الآية ٢٤٦

فاذا أراد الله تعالى احياءها بعد موتها ينفخ روح الشجاعة والاقدام فى خيارها وهم الأتلون فيعملون ما لا يعمله الأكثرون . . . قال الأستاذ الامام وفى الآيه من الفوائد الاجتماعية أن الأمم التى تفسد أخلاقها وتضعف قد تفكر فى المدافعة عند الحاجة إليها وتعزم على القيام بها اذا توفرت شرائطها التى يتخيلونها على حد قول الشاعر :

واذا ما خلا الجبان بأرض

طلب الطعان وحده والنزلا

ثم اذا توافرت الشروط يضعفون ويجنبون ويزعمون أنها غير كافية ليعذروا أنفسهم وما هم بمعذورين " (١) .

وفى ذم بخس الناس أشياءهم يقول السيد رشيد رضا فى تفسير قوله تعالى " ولا تبخسوا الناس أشياءهم " (٢) :- " وهذه النقيصة فاشية بين الأمم والشعوب فى هذا العصر . فنجد بعضهم يذم بعضا وينكر فضله كالأفراد وترى التجار فى عواصم أوروبا يغالون من الأسعار للغرباء ما يرخصون لأهل البلاد وترى بعض الغرباء يستحلون من نهب أموال المصريين بضروب الحيل والتلبيس ما لا يستحلون مثله فى معاملة أبناء جلدتهم وأما المصريون وأمثالهم من الشرقيين كما قال الشاعر :

لكن قومي وان كانوا ذوى عدد . . ليسوا من الشرفى شىء وان هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة . . ومن إساءة أهل سوء احسانا
وباليتهم يعاملون أنفسهم ومن تجمعهم معهم أقوى المقومات هذه

(١) تفسير المنار: محمد رشيد رضا ج ٢ ص ٤٢٤

(٢) سورة الاعراف : من الآيه ٨٥

المعاملة بل يكثر منهم من يبخسون أبناء قومهم وملتهم أشياء هم
ويهضمون حقوقهم ويعظمون الأجنبي ويعطونه فوق حقه وانما استدلتهم
للأجانب حكاهم فهم في جملتهم مبخوسون لا باخسون ومظلومون
لا ظالمون وهم على ذلك مذمومون لا محمودون ومكفورون لا مشكورون^(١)
ويتحدث الشيخ أحمد مصطفى المراغى فى تفسير قوله تعالى
" يسألونك عن الخمر والميسر قل فىهما اثم كبير ومنافع للناس
واثمهما أكبر من نفعهما "^(٢) الآية عن حكمهما ثم عن مضار كل
منهما فيذكر مضار الخمر الصحية بافساد المعدة وفقد شهوة الطعام
ومرض الكبد والكلى والسل حتى قال أحد الأطباء اقلوا لى نصف
الحانات أضمن لكم الاستغناء عن نصف المستشفيات . . ثم يتحدث
عن مضارها العقلية ومضارها المالية ثم عن مضارها فى المجتمع ووقوع
النزاع والخصام بين بعض السكارى ، وبينهم وبين من يعاشرهم ،
لأدنى بادرة تصدر من واحد منهم ويتحدث عن مضارها النفسية
من افشاء الأسرار ولا سيما اذا كان متصلا بالحكومات وسياسة الدول
وشؤونها العسكرية وعليها يعتمد الجواسيس فى نجاحهم فى مهامهم
التي ندبوا اليها ويتحدث عن مضارها الدينية ، وينتقل الى ذكر
مضار الميسر من أنه يورث العداوة والبغضاء ويصد عن ذكر الله
ويفسد الأخلاق ويخرب البيوت بغتة .

ويقول " واذا استمر انتشار الخمر والزنا فى هذه البلاد ولا سيما
الخمور التي تباع للفقراء فهى مواد سامة محرقة (سبيرتو) يضاف اليها
قليل من الماء والسكر فليس بالبعيد ان تنقرض الأمة بعد جيلين أو

(١) تفسير المنار: محمد رشيد رضا ج ٨ ص ٥٢٦

(٢) سورة البقرة من الآية : ٢١٩

أكثر كما انقرض هنود أمريكا لا يبقى منهم الا بعض الأجراء والخدم
فالسكر والزنا مقرضان يقرضان الأمم ، وقد شاع حديثا في مصر ما
هو أفتك بالأمة من الخمر ، وأقتل لها وهو بعض السموم التي
تستعمل حقنا تحت الجلد أو شما بالأنف كالمورفين والكوكايين
والهرويين " (١) .

والحديث عن الأخلاق في الاسلام حديث عن الأخلاق في أسمى
معانيها وما ذكرنا الا أمثلة قليلة لبعض الجوانب الأخلاقية التي
تناولوها في تفاسيرهم لاصلاح المجتمع .

الاصلاح الاقتصادي :

وحاول رجال هذه المدرسة اصلاح الاقتصاد في البلاد حسب
ما فهموه من نصوص القرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة فكان لهم
صولات وجولات على مستوى الدولة بين الساسة والقادة ، وعلى
مستوى العامة بين الفلاحين والعمال . وفيما أودعوه في كتبهم من
من بيان لمزايا الشريعة الاسلامية في ادارة الأموال والطريق السليمة
لذلك وقارنوا بين نظرة الاسلام والسياسة المالية عند اليهود
والنصارى والشيوعية والرأسمالية ، وبينوا أن منهج الاسلام هو منهج
السلام . " والحق أن الاسلام هو الدين الوسط الجامع بين مصالح
الروح والجسد للسيادة في الدنيا والسعادة في الآخرة فهو وسط
بين اليهودية المالية الدنيوية والنصرانية الروحية الزهدية ، وأن من
مقاصده الاصلاحية في الاجتماع البشري هداية الناس الى العدل
والفضل في أمر المال ليكتفي الناس شر طغيان الأغنياء وذلة الفقراء ،

ونصوص القرآن والسنة في هذا هي الغاية القصوى في الإصلاح وهي هادمة لمزاعم هؤلاء المفتاتين على الاسلام بالجهل والهوى .

غلا عبّاد المال من اليهود والأفرنج في جمعه واستغلاله واستعباد الألوفا وألوف الألوفا من العمال الفقراء به بجعله دولة بينهم وغلا خصومهم من الاشتراكيين في مقاومتهم ومحاولة جعل الناس فيه شرعا وجعله بينهم حقا شائعا فانتهى هذا الغلو بالشيوعية الروسية في عصرنا أن استعبدت أكثر من مئة ألف من البشر تسخرهم في تنفيذ مذهبها كالأنعام والدواب . .

ولا منقذ للأمم من هذه الفتنة وعواقبها الا بدين الاسلام - أعنى بالتدين به والعمل بأحكامه المالية وغيرها ولا يمكن التزامها بالعمل الا باذعان الدين وقد بدأ عقلاء الأفرنج يشعرون بالحاجة الى دين معقول يصلح بالتزامه فساد هذه المدنية المادية ولن يجدوا حاجتهم إلا في دين القرآن وسنة خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام وأخشى الا يهتدوا اليه الا بعد البطشة الكبرى والطامة العظمى وهي حرب التدمير المنتظرة من تنازع البلشفية والرأسمالية . واننى أذكر هنا أهم أصول الإصلاح الاسلامى فى المسألة المالية التى تبتدر فكرى وتبدهه فأقول "... (١)

ثم ذكر السيد رشيد رضا ما يراه من الأصول الاسلامية لاصلاح المسألة المالية فعد منها اقرار الملكية الشخصية وتحريم أكل أموال الناس بالباطل وتحريم الربا والقمار ومنع جعل المال دولة بين الأغنياء . . والحجر على السفهاء فى أموالهم حتى لا يضيعوها

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١١ ص ٢٩ - ٣١

وفرض الزكاة وفرض نفقة الزوجية والقرابة وايجاب كفاية المضطر من كل جنس ودين وجعل بذل المال كفارة لبعض الذنوب وندب صدقات التطوع والترغيب فيها وذم الاسراف والتبذير والبخل والشح واباحه الزينة بشرط اجتناب الاسراف ومدح القصد والاعتدال فى النفقة على النفس والعيال ثم قال بعد هذا " رأيت أمة من الأمم تقيم هذه الأركان ويوجد فيها فقر مدقع أو غرم موجع أو شقاء مفظع؟ " (١) .

وقال فى موضع آخر " فماذا جرى لنا نحن المسلمين بعد هذه الوصايا والحكم حتى صرنا أشد الأمم اسرافا وتبذيرا واضاعة للأموال وجهلا لطرق الاقتصاد فيها وتثميرها واقامة مصالح الأمة بهافى هذا الزمن الذى لم يسبق له نظير فى أزمنة التاريخ من حيث توقف قيام مصالح الأمم ومرافقها وعظمة شأنها على المال حتى ان الأمم الجاهلة بطرق الاقتصاد التى ليس فى أيديها مال كثير قد صارت مستذلة ومستعبدة للأمم الغنية بالبراعة فى الكسب والاحسان فى الاقتصاد " (٢) .

ثم يرجع السبب فى ذلك الى أولئك " الذين لبسوا علينا بلباس الصالحين فنفتوا فى الأمة سموم المبالغة فى التزهيد والحث على انفاق جميع ما تصل اليه اليد وانما كان يريد أكثرهم انفاق كسب الكاسبين عليهم وهم كسالى لا يكسبون لزعمهم أنهم بحب الله مشغولون " (٢) .

وجهود رجال المدرسة العقلية الاجتماعية فى اصلاح أحوال البلاد الاسلامية الاقتصادية لا تنكر الا أنه مع هذا وقع منهم ما نرفضه ولا نقره منهم فكان لهم رأى فى الربا المحرم وأن المراد به ما كان

(١) تفسير المنار: محمد رشيد رضا ج ١١ ص ٢٩ - ٣١

(٢) تفسير المنار: محمد رشيد رضا ج ٤ ص ٣٨٢ - ٣٨٣

أضعافا مضاعفة وقد بينا فيما سبق ما ذهب إليه الأستاذ الامام محمد عبده في ذلك ودعوته الى اباحة الربا للضرورة الاقتصادية وزعمه أن تحريم الربا كان السبب في انتقال أموال المسلمين الى الأجانب بأرباح فاحشة^(١)

نفسية المرأة :

أحسب أن المرأة مركز الدائرة في المجتمع ذلكم أنها الأم وهي البنت وهي الأخت وهي الزوجة وهي المربية والمعلمة .

وأحسب أنها في كل قاعدة تقف عليها لا تخلو من جواذب - تجذب اليها جذبا الرجل والشاب والطفل فلا عجب اذا أن يكون لها تأثير قوى في المجتمع ان صلحت أصلحت وان فسدت أفسدت ولذا حث الاسلام على الظفر بذات الدين وأنها خير متاع الدنيا . ولهذا أيضا جند الاستعمار جنوده لافساد المرأة فيما يسمى بتحريرها وتبني وأربابه هذه القضية وانخدعت بدعوته طائفة وتبنت فكرته أخرى ، وحاربتها البقية والباقيه وقليل ما هم .

وعاصر رجال المدرسة العقلية الاجتماعية الحديثة فترة طويلة هذه المرحلة وعاشوا بين متقابلين أولهما واقع المرأة عامة في تلك الفترة التي طغى عليها الجهل والخرافات وتخلت عن كثير مما أعطاهها الاسلام لا رغبة وانما اما جهلا واما مكرهة . وثانيهما الدعوات المتطرفة التي أعطتها اكثر من حقها وجرتها الى متهات لا تقوى جبلتها على خوضها ولا تدرك أبعادها تهلك أن سلكتها

(١) تاريخ الاستاذ الامام: محمد رشيد رضا ج١ ص ٩٤٤ وانظر آخر الاساس الرابع من هذا البحث .

وتضيع ان تبعتها .

وجاء المصلحون يريدون الاصلاح والتوفيق منهم من ثبت لم تهزه
الاعاصير ولم يجرفه الطوفان ومنهم من لم يخلو بين حين وآخر من
رأى غير سديد وقول غير حكيم ومدخلا غير سوى أولجه اياه حرصه
على أن يقبض بكلتا يديه كلا الفريقين فلم يستطع دركا ولم يستطع
ثباتا .

تناول رجال المدرسة الاجتماعية آيات من القرآن الكريم حاولوا
أن يصلحوا على ضوءها وأن يبحثوا من خلال تفسيرها ما يرون فيه
اصلاحا لأوضاع المرأة .

قال السيد رشيد رضا فى تفسير قوله تعالى " فمن حاجك فيه
من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا
ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم . ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين^(١)
قال " أقول وفى الآية ما ترى من الحكم بمشاركة النساء للرجال فى
الاجتماع للمباراة القومية والمناضلة الدينية وهو مبنى على اعتبار
المرأة كالرجل حتى فى الأمور العامة الا ما استثنى منها ككونها
لا تباشر الحرب بنفسها بل يكون حظها من الجهاد خدمة المحاربين
كمداوة الجرحى " ^(٢) ثم يقول " فأين هذا من حال نساءنا اليوم ومن
اعتقاد جمهورنا فيما ينبغى أن يكن عليه ؟ لا علم لهن بحقائق
الدين ولا بما بيننا وبين غيرنا من الخلاف والوفاق ولا مشاركة للرجال
فى عمل من الأعمال الدينية ولا الاجتماعية فهل فرض الاسلام على

(١) سورة آل عمران : الآية ٦١

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا : ج ٣ ص ٣٢٣

نساء الأغنياء لا سيما في المدن أن لا يعرفن غير التطرس والتطرز والتورن^(١) وعلى نساء الفقراء لا سيما القرى والبوادي أن يكن كالأتن الحاملة والبقر العاملة ؟ وهل حرم على هؤلاء وأولئك علم الدنيا والدين والاشترار في شيء من شؤون العالمين ؟ كلا ، بل فسق الرجال عن أمر ربهم فوضعوا النساء في هذا الموضع بحكم قوتهم فصغرت نفوسهن وهزلت آدابهن وضعفت ديانتهم ونحفت انسانيتهن وصرن كالدواجن في البيوت أو السوائم في الصحراء ليث المسلمون على هذا الجهل الفاضح أحقابا حتى قام فيهم اليوم من يعيرهم باحتقار النساء واستعبادهن ويطالبونهم بتحريرهن ومشاركتهم في العلم والأدب وشؤون الحياة منهم من يطالب بهذا اتباعا لهدى الاسلام وما جاء به من الاصلاح ومنهم من يطالب به تقليدا لمدنية أوروبا وقد استحسنت الدعوة الأولى بالقول دون العمل وأجيببت الدعوة الأخرى بالعمل على ذم الأكثرين لها بالقول فانشأ المسلمون يعلمون بناتهم القراءة والكتابة وبعض اللغات الأوروبية والعزف بالآلات اللهو وبعض أعمال اليد كالخياطة والتطريز ، ولكن هذا التعليم لا يصحبه شيء من التربية الدينية ولا من اصلاح الأخلاق والعادات بل هو من عوامل الانقلاب الاجتماعي الذي تجهل عاقبته^(٢) .

وفي قوله تعالى " فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضهم من بعض " ^(٣) . قال الشيخ أحمد مصطفى المراغي : - " ان هذا التشريع قد أصلح معاملة الرجل للمرأة واعترف لها بالكرامة وأنكر تلك المعاملة القاسية التي كانت

(١) التطرس التنوق في الطعام والشراب أي تحرى الأطيب منهما ، والتطرز في اللباس توخي الفاخر النفيس منه ، والتورن المبالغة في التطيب والتنعم " تعليق السيد رشيد رضا (٢) تفسير المنار: محمد رشيد رضا ج ٣ ص ٣٢٣-٣٢٤ (٣) سورة آل عمران من الآية ١٩٥

تعاملها بها بعض الأمم فقد كان بعضها يعدها كالبهيمة المسخرة لمصلحة الرجل وبعضها يعدها غير أهل للتكاليف الدينية اذ زعموا أنه ليس لها روح خالد فما زعمه الافرنج من أنهم السباقون الى الاعتراف بكرامة المرأة ومساواتها للرجل ليس مبنيا على أساس صحيح فالاسلام هو الذى سبق كل الشرائع فى هذا ولا تزال شرائعهم الدينية والمدنية تميز الرجل من المرأة . نعم أن المسلمين قصرُوا فى تعليم النساء وتربيتهن ولكن هذا لا يصلح حجة على الدين نفسه " (١) .

وقال الأستاذ محمد فريد وجدى " وما اختص به الاسلام الذهاب فى احترام الحقوق الطبيعية للمرأة الى حدود لم تدر فى خيال مشرع مدنى الى اليوم فالاسلام لم يكلف المرأة ، وهى زوجة بأى حق تؤديه للرجل غير حفظ عرضه وطاعته فى المعروف باعتبار أنه الرئيس الطبيعى للأسرة ..

والمرأة المسلمة لا تفقد بزواجها شيئا من استقلالها المالى فتظل على حريتها فى التصرف بمالها وأملاكها .. هذا الحق لم تنله المرأة الغربية الى اليوم فانها بزواجها تقع من - ناحية تصرفاتها الاقتصادية - تحت وصاية زوجها " (٢) .

ويرد الشيخ محمود شلتوت على خصوم الاسلام الذين اتخذوا التفاوت بين نصيبى الذكر والأنثى هكذا مطعنا على الاسلام من جهة أن فيه اهدارا لحق بنوة الأنثى المساوية تماما فى نسبتها الى المورث لبنوة الذكر . وقالوا : - ان هذا من فروع هضم الاسلام حق

(١) تفسير المراغى : أحمد مصطفى المراغى ج ٤ ص ١٦٦ .

(٢) الاسلام دين الهداية والاصلاح : محمد فريد وجدى : ص : ١٧٥ .

المرأة وهى انسان كالرجل وفاتهم أن الذكر تتعدد مطالبه وتكثر تبعاته فى الحياة فهو ينفق على نفسه وعلى زوجته وعلى أبنائه ومن أصول الشريعة أنه يدفع المهر لمن يريد أن يتزوجها أما الأنثى فانها لا تدفع مهرا ويلزم زوجها بنفقتها فى مآكلها ومشربها ومسكنها وخدمها وذلك فوق تبعاته العائلية التى لا يلحق الأنثى مثلها وهذا باب يتضح منه أن نصيب الأنثى فى الوضع الاسلامى أعظم وأكثر من نصيب الذكر" (١)

وفى تفسير قوله تعالى " ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات" (٢) يقول الشيخ محمود شلتوت " ومن هنا أخذ الفقهاء أن الشريفة مقدمة فى الزواج على غير الشريفة وأن حسنة السمعة مقدمة على سيئتها ، وفى هذا اىحاء قوى للنساء بأن يعملن جهدهن على تحسيين سمعتهن وتحليهن بالأخلاق الفاضلة التى ترغب فيهن الأزواج . . . ولقد كان لما اتخذته الفتاة لنفسها أو مكنها ولى أمرها من حرية واسعة فى هذه الأيام نصيب كبير فيما نرى من أزمة الزواج وأعراض الشباب عنه لما يعلمون عن الفتاة من أخلاق جعلت الزواج فى نظرهم بابا من أبواب الشقاء فعلى الفتاة وعلى ولى أمرها أن يتدبرا الأمر فان عليهما وحدهما تقع تبعه هذه المشكلة وعليهما أن يعملوا على حلها ان أرادا الخير والسعادة" (٣)

فان كنت قد أطلت وما أظنى الا وقد فعلت فانه يشفع لى

(١) تفسير القرآن الكريم : محمود شلتوت ص : ١٧٢

(٢) سورة النساء : من الآية ٢٥

(٣) تفسير القرآن الكريم : محمود شلتوت ص : ١٧٢

أن الموضوع هنا بحر واسع يزخر بالعديد من الأبحاث التي لا يكاد الباحث يفاضل بينها فيقدم أحدها أو يؤخر غيره .

ومع هذا فاني أعترف بأني قد اختصرت المقال هنا اختصارا أرجو أن لا يكون مخلا بالبحث .

ذلكم أن من القضايا التي ألمعنا اليها ما يحتاج بنفسه لمن أراد التفصيل فيه الى بحث مستقل . خذ مثلا المرأة وقضيتها من أى النواحي أتيتها وجدت الأبحاث حبلى بما دار حولها . ان شئت فمن ناحية المساواه بينها وبين الرجل وان شئت فمن ناحية حقوقها فى الاسلام وان شئت فمن ناحية تعدد الزوجات وان شئت فمن الطلاق وان شئت فمن جهة عملها ومجالاته وان شئت فمن ناحية التعليم وان شئت فمن ناحية الحجاب والسفور والاختلاط وان شئت وان شئت .

إذا فلا عتب اذا ما أطلقت الحديث عن هذا الأساس لدى رجال المدرسة العقلية الاجتماعية ولا عتب اذا ما اختصرت فيه أبحاثه حتى تذكر أنواعا من الاصلاح الاجتماعى .

لكن الذى أجزم به كل الجزم أن المدرسة العقلية الاجتماعية قد تناولت كثيرا من القضايا الاجتماعية وبذلت وسعها فى نشر ما تعتقد فيه صلاح المجتمع .

وقد أصابت الحق فى جوانب وأخطأته فى أخرى ، ونحن هنا نعرض المنهج عرضا ولا ننقده نقدا وإذا لو فعلنا لاحتاج هذا الأساس وحده لرسالة مستقلة ، ولعل لنا فى ذلك عذرا أو بعض عذر .
ويعد . .

هذه أبرز الأسس التى يقوم عليها المنهج المدرسة العقلية

الاجتماعية الحديثة في التفسير .

ولعلنا بعد هذا نعرض أهم مؤلفات رجال المدرسة في التفسير
ثم نختار بعضها كنموذج لتفاسيرهم بعد أن عرضنا منهجهم جميعا
فيه .

أهم مؤلفات المدرسة العقلية الاجتماعية في التفسير : -

وقد خلف رجال المدرسة عددا لا بأس به من المؤلفات فى
التفسير :

ويدرك المتأمل فى مؤلفاتهم فى التفسير بروز ظواهر فى تأليفها
أولها أن بعضهم كالأستاذ محمد عبده ومحمد مصطفى المراغى وابن
باديس لم يقصدوا التأليف قصدا ويكفى أن الأستاذ محمد رشيد رضا
قد كابد حتى وافق شيخه محمد عبده على تفسير القرآن ونشر تلميذه
محمد رشيد رضا له .

أما الشيخ محمد مصطفى المراغى فقد كان تفسيره دروسا
دينية يلقيها فى شهر رمضان أمام الملك فاروق الأول فى المسجد ،
وأما الشيخ عبدالحميد بن باديس فان تفسيره هو تلك
الافتتاحيات التى كان ينشرها الشيخ فى مجلة الشهاب فى الجزائر
جمعها من بعده بعض تلاميذه .

والظاهرة الثانية أنه لم يكمل التفسير من رجال المدرسة إلا
الشيخ أحمد مصطفى المراغى فى ١٠ مجلدات والأستاذ محمد فريد
وجدى فى مجلد واحد .

وثالثة الظواهر أن غالبهم لم يقصد تأليف تفسير شامل للقرآن
فقد كانوا يختارون آيات معينة أو سورا محدودة أو جزءا خاصا

للتفسير فلم يبدأ أحد منهم القرآن من أوله إلا الشيخ محمد عبده ولم يتمه ، وأحمد مصطفى المراغى ومحمد فريد وجدى ومحمود شلتوت ولم يتمه .

ومع بدو هذه الظواهر فى تلك المؤلفات إلا أنها لاقت صدى واسعاً بين المسلمين وبغض النظر عن ما لهذه التفسير وما عليها إلا أنها لاقت منزلة عند أرباب الثقافة فى العصر الحديث .

وسنذكر هنا أهم مؤلفاتهم اجمالاً ثم نفرد بعضها بدراسة خاصة أوسع كنموذج لمؤلفاتهم فى التفسير بعد أن تناولنا منهجهم فيه .

١ - تفسير القرآن الحكيم المعروف بـ " تفسير المنار " .

تأليف : السيد محمد رشيد رضا ، وسنفرد الحديث عنه ان شاء الله

٢ - تفسير جزء عم :

للاستاذ الامام : محمد عبده : عدد صفحاته ١٨٥ وقد طبع

عدة طبعات أولها فى القاهرة سنة ١٣٢٢

٣ - تفسير سورة العصر :

للاستاذ الامام محمد عبده : عدد صفحاته ٩٢ القطع الصغير ،

أما تفسير السوره فيخصه ٥٤ صفحة ، وأما باقيه فدرس عام فى

العلم الاسلامى والتعليم . وقد طبع أيضاً هذا التفسير عدة

طبعات أولها سنة ١٣٢١ .

وهذا التفسير وليد اقتراح بعض العلماء فى الجزائر على الأستاذ

الامام أيام كان عندهم أن يقرأ لهم درساً عاماً يستفيدون منه ويتحقق

به تلقيهم عنه ففسر لهم سورة العصر ثم نشرته مجلة المنار ، ثم طبع

مستقلاً .

٤ - فاتحة الكتاب :

للأستاذ الامام محمد عبده : وعدد صفحاته ٤٧ القطح الكبير
وطبع بالقاهرة سنة ١٣١٩ ثم طبع الطبعة الثانية سنة ١٣٨٢ ،
بالقاهرة ، وهي مفردة من تفسير المنار .

٥ - تفسير الفاتحة وست سور من خواتيم القرآن " العصر ، الكوثر ،
الكافرون ، الاخلاص ، المعوذتين . تأليف : السيد محمد رشيد رضا
وعدد صفحاته ٢٣٧ . أما تفسير الفاتحة فمن تفسير المنار ،
وأما تفسير سورة العصر فهو للأستاذ محمد عبده الذى أشرنا
اليه . وطبع ضمن هذا التفسير خمس آثارا للأستاذ الامام فى
التوسل والتوحيد ومشكلات التفسير - محاضرة فى العلم والتعليم
وصدرت الطبعة الثانية من دار المنار سنة ١٣٦٧ .

٦ - الدروس الدينية لسنة ١٣٥٧ :

للأستاذ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر وعدد صفحاته
٣١ ، ويحتوى على درسين ألقاها الشيخ المراغى أمام الملك
فاروق الأول . أولهما فى المسجد الزينبى وهو تفسير لقوله
تعالى " يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين
من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات " الآيات : الى قوله تعالى
" واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان "
الآية . وثانيهما فى مسجد البوصيرى بالاسكندرية أمام الملك أيضا
وفى تفسير قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول
اذا دعاكم لما يحييكم " الى آخر الآية ٢٩ من سورة الأنفال .
وقد طبع هذا التفسير بمطبعة الأزهر .

٧ - الدروس الدينية لسنة ١٣٦١ :

له أيضا . وعدد صفحاته ٢٨ ، ويحتوى على ثلاثة دروس :

الدرس الأول : تفسير قوله تعالى " من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها " الخ سورة الأنعام .

الدرس الثاني : فى تفسير قوله تعالى " خذ العفو وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين " الى قوله تعالى " لقوم يؤمنون " الآيات ١٩٩-٢٠٣ ، الأعراف .

الدرس الثالث : تفسير قوله تعالى " ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون " الى قوله تعالى " انه هو السميع العليم " الآيات ٣٠ - ٣٦ ، فصلت .

وطبع أيضا بمطبعة الأزهر .

٨ - تفسير سورة الحجرات :

له أيضا ..

وذلك فى ثلاثة دروس ألقاها الشيخ محمد المراغى شيخ الجامع

الأزهر فى شهر رمضان سنة ١٣٥٨ أمام الملك فاروق الأول ، وطبع بمطبعة الأزهر . ويقع فى ٣٠ صفحة .

٩ - الدروس الدينية : لسنة ١٣٥٦ هـ : له أيضا ، ويحتوى على أربعة دروس . أولها قوله تعالى " ليس البر أن تولوا وجوهكم " الآية ١٧٧ البقرة .

ثانيها " قوله تعالى " وسارعوا الى مغفرة من ربكم " الآية ١٣٣-

١٣٨ من سورة آل عمران .

ثالثها " " شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا " الآيتان

١٣-١٤ من سورة الشورى .

رابعها " قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم " الآيات ١٥١-١٥٣ الأنعام .

١٠- تفسير جزء تبارك :

الأستاذ عبدالقادر المغربي .

وطبع فى المطبعة الأميرية سنة ١٣٦٦ وقام بالتعليق عليها بتكليف من وزارة التربية والتعليم بالقاهرة الأستاذ على محمد حسب الله ، وراجع التفسير الشيخ عطيه صقر من علماء المراقبة العامة للثقافة بالأزهر ، ويقع هذا التفسير فى حوالى ١٣٦ صفحة من القطع الكبير ، وسيأتى ان شاء الله الحديث عنه .

١١- تفسير القرآن الكريم (الأجزاء العشرة الأولى) تأليف الشيخ محمود شلتوت

وطبع عدة مرات بين يدى الطبعة السادسة سنة ١٣٩٤ الناشر

دار الشروق ، ويقع فى ٦٥٩ صفحة .

١٢- المصحف المفسر :

للأستاذ محمد فريد وجدى .

وهو تفسير مختصر كامل للقرآن الكريم فى مجلد واحد كبير

الحجم تبلغ صفحاته ٨٢٧ صفحة ، وجاء التفسير مكتوبا على هامش

القرآن الكريم .

١٣- تفسير المراغى :

تأليف : الشيخ أحمد مصطفى المراغى .

وهو تفسير كامل للقرآن الكريم ، ويقع فى عشرة مجلدات ، وطبع

أيضا عدة طبعات وبين يدى الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٤ هـ .

١٤- تفسير جزء عم :

تأليف : محمد المبارك عبدالله .

مطبعة محمد على صبيح ، عدد صفحاته ٢٢٢ من الحجم الكبير،

١٥- تفسير بن باديس (مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير) :
وهو دروس فى التفسير ، ألقاها الامام عبدالحميد بن باديس
فى مجلد واحد ، عدد صفحاته ٧٢٤ ، بين يدى الطبعة
الثانية ، دار الفكر .

أولا : تفسير القرآن الحكيم :

المشهور بتفسير المنار . .

أولا : المؤلف :

هو محمد رشيد بن على بن رضا بن محمد شمس الدين بن
السيد بهاء الدين . ولد يوم الأربعاء ٢٧ جمادى الأولى ١٢٨٢
فى قرية قلمون جنوب طرابلس الشام ، والتحق بالمدرسة
الوطنية الاسلامية فيها . وبعد اغلاقها لم تنقطع صلته
بمنشئها أستاذه حسين الجسر ، والتحق بالمدارس الدينية
حتى نال الشهادة العالمية .

وقد تأثر الأستاذ محمد رشيد رضا بكتاب احياء علوم الدين
للغزالي وبمجلة العروة الوثقى التى كان يصدرها من باريس ،
جمال الدين الأفغانى ، ومحمد عبده .

وقد اتصل سيد رشيد بشيخه محمد عبده حينما كان الأخير
منفيا عن مصر . فالتقى به مرتين فى طرابلس كان نتيجهما
اعجاب السيد رشيد بالامام محمد عبده ورغبته فى الاتصال به .
وقد كان ذلك الاتصال بعد وصول محمد رشيد رضا الى
القاهرة يوم السبت ٢٣ رجب ١٣١٥ حيث زاره غداة وصوله
فى ضحوة الأحد . فكان أول حديث بينهما عن اصلاح الأزهر
وكان أول اقتراح له عليه ان يكتب تفسيراً للقرآن ينفخ فيه

من روحه التي وجد روحها ونورها في مقالات العروة الوثقى فلم يوافق الامام على الكتابه فاقترح عليه رشيد أن يقرأ درسا في التفسير واكثر عليه القول حتى وافق وبدأ الدرس في غرة المحرم سنة ١٣١٧ هـ وانتهى منه في منتصف المحرم سنة ١٣٢٣ عند تفسير قوله تعالى " وكان الله بكل شيء محيطا " من الآية ١٢٥ من النساء .

فواصل التفسير من بعده تلميذه محمد رشيد رضا حتى الآية ١٠١ من سورة يوسف ، حيث أتم تفسير سورة يوسف من بعده الاستاذ بهجت البيطار .

وكان من أغراض السيد رشيد التي دفعته الى الانتقال من الشام الى مصر رغبته في انشاء صحيفة فصدر العدد الأول من مجلة المنار في ٢٢ شوال سنة ١٣١٥ واستمرت في الصدور حتى الجزء الثاني من المجلد الخامس والثلاثين في ٢٩ / ربيع الثاني ١٣٥٤ هـ .

وقد جعل سيد رشيد رضا مجلته منبرا للاصلاح فكتب بها واستكتب علماء العصر وأدباءه ، وحذر من البدع والخرافات ودعا الى اصلاح التعليم ودعا الناس الى انشاء المدارس بأنفسهم لأن المدارس الحكومية في عهده خاضعة للاستعمار مع انتشار المدارس التنصيرية .

وكان ينشر في مجلته تفسير أستاذه الامام محمد عبده قبل أن يطبعه في كتاب خاص .

وكان له نشاط في الدعوة حيث أنشأ مدرسة لتخريج الدعاة وارسالهم الى أطراف العالم الاسلامي ، وكانت تعطى الطالب شهادة مرشد بعد ثلاث سنوات تؤهله للدعوة بين المسلمين واذا ما واصل ثلاث سنوات أخرى أصبح داعيا لغير المسلمين للدخول في الاسلام ، وكان

لهذه المدرسة أثر كبير في اعداد الدعاة .

أما السياسة فكان أستاذه محمد عبده ينهاه عن الخوض فيها ويحذره . ولما توفى الأستاذ دخل السيد رشيد ميدان السياسة جهارا فنقد الدولة العثمانية وأنشأ مع العثمانيين المقيمين فى القاهرة " جمعية الشورى العثمانية " وتولى رئاستها وبدأت ترسل منشوراتها السريه الى سائر أرجاء البلاد العثمانية فأقلق مضاجع السلطه الى أن وقع الانقلاب العثماني ، وكان رشيد من الساعين الى هذا الانقلاب بالخفاء . (١)

أما التأليف فقد كان فيه من المكثرين فاضافه الى نشاطه الكبير فى الصحافة فقد كان مهتما بالتأليف ومن أشهر مؤلفاته : -
١ - تاريخ الاستاذ الامام ، فى ثلاثة مجلدات وهو أوسع ترجمه للامام محمد عبده ، بل أوسع ترجمه لرجل واحد فى العصر الحديث فيما أعلم .

- | | |
|--|--|
| ٢- نداء للجنس اللطيف | ٣- الوحي المحمدى |
| ٤- المنار والأزهر | ٥- الوحدہ الاسلامیة |
| ٦- ذكرى المولد النبوى | ٧- الخلافة |
| ٨- الوهابيون والحجاز | ٩- السنه والشيعة أو الوهابييه والرافضه . |
| ١٠- مناسك الحج | ١١- تفسير المنار وهو موضوع حد يثنا هنا . |
| ١٢- الربا والمعاملات فى الاسلام ١٣- شبهات النصارى وحجج الاسلام . | |
| ١٤- تفسير الفاتحه وست سور من خواتيم القرآن . | |

(١) مجلة المنار: مجلد ٤ ص ٤٣

١٥- انجيل برنابا

١٦- المسلمون والقيط .

١٧- فتاوى السيد رشيد رضا

١٨- ترجمة القرآن

هذه أهم مؤلفات السيد رشيد رضا وله غيرها من المؤلفات كثير
زد على هذا المقالات والرسائل التي لا تقل عن هذه المؤلفات
قيمة وحجما .

وقد اشتهر السيد محمد رشيد رضا خاصة بعد وفاة الأستاذ محمد
عبده بميله الى التفسير بالمأثور والاهتمام بكتب السلف وطبعها في
مطبعة المنار حتى أثار عليه ذلك الخصوم وحتى سموه بـ " الوهابي "
وقد بذل جهدا كبيرا في الدفاع عن عقيدة السلف المتمثلة في دعوة
الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكتب مقالات عديدة في الدفاع عنها بل
تجاوز ذلك الى التأليف فأفرد لها بما سبق ذكره من المؤلفات عن
الوهابيين كما يسميهم خصومهم .

وفاته :

توفى السيد رشيد رضا يوم الخميس ٢٣ جمادى الأولى سنة
١٣٥٤ هـ ، وتوفى وهو يقرأ القرآن في السياره قبل وصوله الى مصر
الجديده عائدا من السويس مودعا الأمير سعود بن عبدالعزيز، ودفن
في قراقة المجاورين بجوار أستاذه محمد عبده .

ثانيا : التفسير : تفسير القرآن الحكيم " تفسير المنار "

قلنا أن السيد محمد رشيد رضا قد استطاع أن يقنع أستاذه
محمد عبده بأن يلقي دروسا في تفسير القرآن الكريم وأنه قد ابتداء
هذه الدروس في غرة المحرم سنة ١٣١٧ هـ ، وكان رشيد رضا يبادر -
بكتابة تفسير أستاذه ثم نشره في مجلة المنار التي يصدرها محمد رشيد
رضا نفسه ، ولهذا فقد عرف هذا التفسير بتفسير المنار .

ثم بدا له أن ينشره بطبعة مستقلة فبدأ بطبع الجزء الثاني منه وعلل ذلك بأن الجزء الأول منه كان مختصرا ولم يلتزم فيه ما التزمه فيما بعده من تفسير جميع عبارات الآيات وذكر نصوصها ممزوجة فيها ، فاقترح على أستاذه أن يعيد النظر فيه ويزيد ما يسنح له من زيادة أو ايضاح ففعل وزاد هو أيضا زيادات أخرى (١).

وقد صدر هذا التفسير في اثني عشر مجلدا متوسطة الحجم وقد وصل فيه التفسير الى نهاية الآية ٥٢ من سورة يوسف ، وكان السيد رشيد رضا قد توفي عند تفسير الآية ١٠١ من السورة نفسها وجاء من بعده الأستاذ محمد بهجت البيطار فضم تفسير السورة بعضه الى بعض وأكمل تفسيرها وأصدر ذلك كله في كتيب واحد باسم السيد محمد رشيد رضا وعنوانه : " تفسير سورة يوسف عليه السلام " وصدرت طبعته الأولى سنة ١٣٥٥ وتبلغ صفحاته ١٥٧ صفحة .

نماذج من التفسير :

وأبيها نذكر وأبيها ندع والتفسير ملئء بالأمثله في موضوعات شتى منها ما هو محمود ومنها ما هو سواه ونحن حين نورد ما نورد من أمثلة لا نقصد الأخير فصدا ولا ما قبله عمدا فليس حمد تفسيرهم ولا ذمه مرادنا ، وإنما هو العرض فان كان غالبه من هذا أو ذاك فما قصدناه . وإنما اخترنا مواضيع حرصنا على تنوعها وأوردنا فيها أمثلة حرصنا على بيانها . . فمن ذلك : -

أولا : الخوارق والمعجزات :

وأمر الخوارق قديم وما يزال الحديث عنها بين مثبت ومنكر وبين

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ١٦

مثبت لحجتيها ومنكر لها .

ولا شك أن المعجزات حجة للرسول لا ينكر هذا إلا خاضع لهوى أو جاهل . ولذلك توعد الله سبحانه من يكفر بعدهما بالعذاب الشديد فحين طلب الحواريون من عيسى عليه السلام أن ينزل الله عليهم مائدة من السماء أحس عليه السلام بعاقبتها فقال " اتقوا الله ان كنتم مؤمنين " وحين أصروا " قال الله انى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين " (١) .

ولأنها حجة وصفها موسى عليه السلام بأنها " شىء مبين " حين أراد أن يظهر حجته عند فرعون وقومه فقال لفرعون " قال أولو جئتك بشىء مبين ، قال فأت به ان كنت من الصادقين فألقى عصاه فاذا هى شعبان مبين ، ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين " (٢) .

ولكن المعجزة تلك أمر خارق للعادة وأمر كهذا يصيب العقل بالدهشة ويوقفه عند حد لا يستطيع معه اكتناه سرها ومعرفة حقائقها ودقائقها مما يوقف صاحبها عند مفترق طرق ، اما أن يعرف قصور العقل عن دركها وأن هذا أمر خارج عن قدرة البشر فيبحث عن منشئه حتى يصل الى الايمان بالله تعالى ، واما أن ييقى مصرا على أن العقل خلق ليعرف وأنه قادر على أن يعرف لا يعجزه شىء وما عجز عنه فليس لقصور فيه وانما فيما عجز عن دركه اما لعدم ثبوته أو بتأويله بما لا يكون به خارقا للعادة وبالتبع ليس مدهشا للعقل .

قالت طائفة بذاك ، وقالت طائفة بذا ، والتمست كل ما ترى لها

(١) انظر سورة المائدة: الآيات : ١١٢-١١٥

(٢) سورة الشعراء : ٣٠ - ٣٣

به متعلقا لتأويل أو انكار أو تقليل من شأنها .

بل عدّ السيد رشيد رضا - عفا الله عنه - مجرد ذكر القرآن الكريم لمعجزات الأنبياء السابقين سببا لأعراض العلماء والعقلاء (١) عن الدين الاسلامي والدخول فيه ؟ ! ولولا رواية القرآن لذلك لكان اقبال أحرار الافرنج عليه اكثر واهتدائهم به أعم وأوسع حيث يقول : " ولولا حكاية القرآن لآيات الله التي أيد بها موسى وعيسى عليهما السلام لكان اقبال أحرار الافرنج عليه اكثر واهتدائهم به أعم وأسرع لأن أساسه قد بنى على العقل والعلم وموافقة الفطرة البشرية وتزكية أنفس الأفراد وترقية مصالح الاجتماع " (١) .

ثم وصف هذه المعجزات وغيرها بقوله " وأما تلك العجائب الكونية فهي مثار شبهات وتأويلات كثيرة في روايتها وفي صحتها وفي دلالتها وأمثال هذه الأمور تقع من أناس كثيرين في كل زمان والمنقول منها عن صوفية الهند المسلمين أكثر من المنقول عن العهدين العتيق والجديد وعن مناقب القديسين وهي من منفردات العلماء عن الدين في هذا العصر " (١) .

ثم انظر حتى يتضح لك مذهبه الى قوله " وقد كان أكثر من آمن بتلك الآيات انما خضعت أعناقهم واستخذت أنفسهم لما لا يعقلون له سببا (!؟) وقد انطوت الفطرة على أن كل ما لا يعرف له سبب فالآتي به مظهر للخالق سبحانه ان لم يكن هو الخالق نفسه وكان أضعاف أضعافهم يخضع مثل هذا الخضوع نفسه للسحرة والمشعوذين والدجالين ولا يزالون كذلك " (٢) .

(١) تفسير المنار: محمد رشيد رضا ج ١١ ص ١٥٥ ، والوحي المحمدي له ص ٦٢

(٢) المرجع السابق ج ١١ ص ١٦٠ والوحي المحمدي: له ص ٧١

وخذ عبارة أوضح فى زعمه أنّ العقل لا يخضع للمعجزات، قال :
" ان الله تعالى جعل نبوة محمد ورسالته قائمة على قواعد العلم
والعقل فى ثبوتها وفى موضوعها لأن البشر قد بدأوا يدخلون فى
سن الرشد والاستقلال النوعى الذى لا يخضع عقل صاحبه فيه لاتباع
من تصدر عنهم أمور عجيبة مخالفة للنظام المألوف فى سنن الكون
بل لا يكمل ارتقاؤهم واستعدادهم بذلك بل هو من موانعه" (١) .

وحتى نجلو حقيقه رأيه فهو يجيز وقوع المعجزة عقلا ويجب
الايان بها على ظاهرها (٢) . ولكنها خاصة بما قبل رسالة محمد
صلى الله عليه وسلم أما فى عصره عليه الصلاة والسلام " فانتهى بذلك
زمن المعجزات ودخل الانسان بدين الاسلام فى سن الرشد فلم
تعد مدهشات الخوارق هى الجاذبه له الى الايمان وتقويم ما يعرض
للفطره من الميل عن الاعتدال فى الفكر والأخلاق والأعمال كما كان
فى سن الطفوليه (النوعية) بل أرشده الله تعالى بالوحى الأخير
(القرآن) الى استعمال عقله فى تحصيل الايمان بالله وبالوحى" (٢) .
هذا مجمل رأيه فى المعجزات وآان الآوان لذكر بعضها آحادا
وموقفه منها .

معجزات محمد صلى الله عليه وسلم :

أما معجزاته عليه الصلاة والسلام فقد أجمل الأستاذ رشيد
رضا رأيه فيها وأراحنا من تتبع أقواله عند كل واحدة منها، وذلك
حين دافع عن كتاب حياة محمد للأستاذ حسين هيكل وجاء فى

(١) تفسير المنار: محمد رشيد رضا ج ١ ص ١٥٩ والوحى المحمدى له ص ٦٩

(٢) المرجع السابق : ج ١ ص ٣١٤ - ٣١٥

دفاعه عنه " أهم ما ينكره الأزهريون والطريقيون على هيكل أو أكثر مسألة المعجزات أو خوارق العادات وقد حررتها في كتابي الوحي المحمدي من جميع مناحيها ومطاوبها في الفصل الثاني وفي المقصد الثاني من الفصل الخامس ، بما أثبت به أن القرآن وحده هو حجة الله القطعية على ثبوت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالذات ونبوة غيره من الأنبياء وآياتهم بشهادته ، لا يمكن في عصرنا اثبات آية الا بها وأن الخوارق الكونية شبهة عند علماء لا حجة لأنها موجودة في زماننا ككل زمان مضى (!) وأن المفتونين بها هم الخرافيون من جميع الملل وبينت سبب هذا الافتتان والفروق بين ما يدخل منها في عموم السنن الكونية والروحية وغيره " (١) .

احياء الموتى :

ومع أنه يعترف بجواز وقوع المعجزة عقلا ، ويخص ذلك بما قبل رسالة محمد صلى الله عليه وسلم الا أنه مع هذا كثيرا ما يؤول المعجزات للأنبياء السابقين بما لا تكون به معجزة أو بما لا تكون به أمرا خارقا ومن ذلك قوله تعالى : " واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أآتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين " الى قوله سبحانه " واذ قتلتم نفسا فادّأتم فيها والله يخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون " (٢) .

وخلاصة قصة هذه الآيات أنه كان في بنى اسرائيل رجل غنى وليس له ولد وكان له قريب وارث فقتله ليرثه ثم ألقاه في الطريق

(١) مجلة المنار: مجلد ٣٤ ج ١٠ ص ٧٩٣ في ٣ مايو ١٩٣٥ م .

(٢) سورة البقرة : الآيات : ٦٧ - ٧٣

وطالب قومه باخراج قاتله فاحتكموا الى موسى عليه السلام فأمرهم موسى أن يذبحوا بقرة - كما ورد فى القرآن - ثم ذبحوها وأمرهم موسى أن يضربوه ببعضها فضربوه فقام وأخبر بقاتله ثم مات فكانت حياته آية لموسى عليه السلام وحجة على المعاد .

لكن الشيخ رشيد رضا حمل القصة تبعا لأستاذة الامام محمد عبده على أنها نوع من التشريع الذى كان موجودا فى زمن بنى اسرائيل لأجل الوصول الى معرفة القاتل المجهول فى هذه الحادثة وأمثالها لا على أنها وردت فى حادث معين فيه معجزة لموسى عليه السلام ، ودليلهم فى هذا ما ورد فى التوراة حيث قال ، الأستاذ الامام " على أن هذا الحكم منصوص فى التوراة وهو أنه اذا قتل قتيل لم يعرف قاتله فالواجب أن تذبح بقرة غير ذلول فى واد دائم السيلان ويغسل جميع شيوخ المدينة القريبه من المقتل أيديهم على العجلة التى كسر عنقها فى الوادى ثم يقولون أن ، أيدينا لم تسفك هذا الدم اغفر لشعبك اسرائيل ويتمون دعوات يبرأ بها من يدخل فى هذا العمل من دم القتل ومن لم يفعل يتبين أنه القاتل ويراد بذلك حقن الدماء فيحتمل أن يكون هذا الحكم هو من بقايا تلك القصة أو كانت هى السبب فيه وما هذه بالقصة الوحيدة التى صححها القرآن ولا هذا الحكم بالحكم الأول الذى حرفوه أو أضعوه وأظهره الله تعالى " (١) .

وأيده بهذا رأى السيد محمد رشيد رضا بقوله : " وأقول أن ما أشار اليه الأستاذ من حكم التوراة المتعلق بقتل البقره هو فى

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٣٤٧-٣٤٨

أول الفصل الحادى والعشرين من سفر تثنيه الاشتراع" (١) ثم ساق السيد رشيد نصه وقال بعده " والظاهر مما قدمنا ان ذلك العمل كان وسيلة عندهم للفصل فى الدماء عند التنازع فى القاتل اذا وجد القاتل قرب بلد ولم يعرف قاتله ليعرف الجانى من غيره ، فمن غسل يده وفعل ما رسم لذلك فى الشريعة برىء من الدم ومن لم يفعل ثبتت عليه الجناية " (٢) .

وكدت أجد تأويلا لهذه النصوص بأنهما لا ينكران الحادثة وإنما أثبتا أنه الحكم الشرعى عند بنى اسرائيل ولعله من بقايا تلك القصة أو الحادثة . كدت ألتمس لهما هذا لولا أن الأستاذ رشيد طبق الحكم المزعوم على الآية نفسها فأخرجها من كونها السبب فى الحكم الى كونها الحكم نفسه حيث قال " ومعنى احياء الموتى على هذا حفظ الدماء التى كانت عرضة لأن تسفك بسبب الخلاف فى قتل تلك النفس أى يحييها بمثل هذه الأحكام " الى أن قال " ويريكم آياته " بما يفصل بها فى الخصومات ويزيل من أسباب الفتن والعداوات فهو كقوله تعالى " انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله " (٣) . وأكثر ما يستعمل مثل هذا التعبير فى آيات الله فى خلقه الدالة على صدق رسله (٤)

ومن هذا يظهر أنهما يقولان بأن الآيات مسوقة لبيان حكم شرعى لا لبيان حادث تاريخى هو معجزة لموسى عليه السلام وقد ردّ عليهما ردّا حميدا فى هذا المقام الشيخ محمود شلتوت رحمه الله

(١) تفسير المنار: محمد رشيد رضا ج ١ ص ٣٤٧-٣٤٨

(٢) تفسير المنار: محمد رشيد رضا ج ١ ص ٣٥١

(٣) سورة النساء: من الآية ١٠٥

(٤) تفسير المنار: محمد رشيد رضا ج ١ ص ٣٥١

تعالى حيث قال " . . أن كلمة " أضربوه " واضحة في أن يضرب المقتول ببعض البقرة المذبوحه ، وليس في الكلام اشارة تتعلق بالقاتل الخفى ، ولا اشارة الى غسل أيدي أهل الحي من دماء البقره ، وقوله تعالى " ذلك يحيي الله الموتى " يدل على أن الأحياء المشبه به وهو الأحياء في هذا المقام - احياء حقيقي بعد موت تسلب فيه الروح ، وليس احياءاً حكيميا يحصل بمعرفة القاتل والاقتصاص منه حتى يكون بمثابة " ولكم فى القصاص حياة " كما يريد الشيخان ، ولو كان الأمر كما يقرران لما صح تقرير احياء الموتى للبعث والجزاء بهذا النوع من الأحياء الحكيمى المجازى ، ولو أن قائلًا قال ان الله يحيي النفوس الجاهله بالعلم وكذلك يحيى الموتى من قبورهم لما كان مثل هذا التشبيه والقياس سائغا ، وأن قوله تعالى " ويريكم آياته " لوضح فى الإراءه البصريه للآيات الكونيه لا فى الاراءه العقلية للاحكام الشرعية حتى يكون من قبيل " لتحكم بين الناس بما أراك الله " وان قوله بعد ذلك " ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة " ليدل على أنهم رأوا حالة ماذيه من شأنها أن تؤثر فى النفوس ، ومن شأن القلوب أن ترق لها وأن تتجرد من القسوه والعناد عندها ، ومع ذلك لقد قسوا واشتدت قسوتهم وكانت قلوبهم كالحجارة أو أشد وكل هذا لا يتفق وما يريدہ الشيخان من حمل الآيه على المعنى التشريعى فهذا الحمل تأويل منهما لكنه تأويل لا تساعد عليه اللغة وما هو المعهود من كلام العرب " (١)

فقد التمس الشيخ شلتوت لهما عذرا وما هو بعذر حيث قال " والذى حمل الأستاذ الامام على هذا فيما نظن هو رغبته فى التخلص من الاعتراض الذى ذكره بعض المستشرقين مع وجود النص التشريعى الذى أشار اليه الشيخ بمعناه ونقله الشيخ رشيد بنصه " (٢)

(١) تفسير القرآن الكريم : محمود شلتوت ص ٤٤ - ٤٥

(٢) تفسير القرآن الكريم : محمود شلتوت ص ٤٣ - ٤٤

قلت ولا أحسب هذا بعذر لهما - عفا الله عنهما - وليتعظ الأحياء
من بعدهما .

من معجزات عيسى عليه السلام :-

قال الله سبحانه وتعالى مثبتا معجزة لعيسى عليه السلام أظهرها
سبحانه على يديه * ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا
الى بنى اسرائيل أنى قد جئتم بأية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين
كهيفة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله * (١) وقال سبحانه
مثبتا وقوع هذه المعجزة منه عليه السلام بعد امكانها : - * اذ قال
الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح
القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا ، واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة
والانجيل ، واذ تخلق من الطين كهيفة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون
طيرا بأذنى * (٢) الآيه

فثبت بنص القرآن الكريم وقوع هذه المعجزة لعيسى عليه السلام
وحصولها منه ، ويرى الشيخ محمد عبده وتلميذه السيد رشيد فى تفسير
آية آل عمران أن هذا يدل على امكان وقوعها لعيسى عليه السلام
ولا يدل على وقوعها من غير رجوع الى آية المائدة وهما - أيضا - لا يستندان
فى نفيهما الوقوع الى نص من الكتاب أو السنة ، وانما الى عدم تناقض
النصارى لهذا (!!) خاصة فى الانجيل القانونية عندهم أما الانجيل
غير القانونية التى ورد فيها الأخبار بمجىء محمد صلى الله عليه وسلم
وكون عيسى عليه السلام يخلق من الطين كهيفة الطير باذن الله فينفخ
فيه فيكون طيرا باذن الله ونحو ذلك فلا قيمة لهذه الانجيل !! وانما
المستند الى تلك التى لم يرد فيها شىء من ذلك .

(١) سورة آل عمران : الايتين ٤٨ - ٤٩

(٢) سورة المائدة : من الآيه ١١٠

ولندع الشيخ عبده يوضح لنا ذلك حيث يقول في تفسير آية آل عمران
" وغاية ما يفهم منها أن الله تعالى جعل فيه هذا السر ولكن لم يقل
أنه خلق بالفعل ولم يرد عن المعصوم أن شيئاً من ذلك وقع" (١) ثم يقول
" فان قصارى ما تدل عليه العبارة أنه خص بذلك وأمر بأن يحتج به والحكمه
في اخبار النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اقامة الحجة على منكري نبوته
كما تقدم واما وقوع ذلك كله أو بعضه بالفعل فهو يتوقف على نقل يحتج به
في مثل ذلك" (١)

ويوضح لنا تلميذه النقل الذي يحتج به في مثل ذلك فيقول :- " هذا
ما قاله الأستاذ الامام ومن الغريب أن بن جرير يروى عن بن اسحاق "أن عيسى
صلوات الله عليه جلس يوماً مع غلمان من الكتاب فأخذ طينا ثم قال أجعل
لكم من هذا الطين طائرا ، قالوا : وتستطيع ذلك ؟ قال : نعم باذن ربي
ثم هبأه حتى اذا جعله في هيئة الطير فنفخ فيه ثم قال كن طائرا باذن الله
فخرج يطير بين كفيه " فكأنه اتخذ آية الله على رسالته ألغوبه للصبيان
والحاصل أنه ليس عندنا نقل صحيح بوقوع خلق الطير بل ولا عند النصارى
الذين يتناقلون وقوع سائر الآيات المذكورة في الآيه الا ما فى انجيل الصبا
أو الطفوله من نحو ما قال ابن سحاق وهو من الأناجيل غير القانونيه
عندهم ، ولعل آية سورة المائدة أدنى الى الدلاله على الوقوع من هذه
الآيه وهى * اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى
والدتك اذ أيدتك بروح القدس . . الآيه (٢) فان جعل ذلك كله متعلق
النعمة يؤذن بوقوعه الا أن يقال أن جعل هذه الآيات مما يجرى على يديه
عند طلبه والحاجه الى تحديه به من أجل النعم وأعظمها ولكن هذا خلاف
الظاهر" (٣)

(١) تفسير المنار: محمد رشيد رضا ج ٣ ص ٢١١

(٢) سورة المائدة: الآيه ١١٠

(٣) تفسير المنار: محمد رشيد رضا ج ٣ ص ٢١١ - ٢١٢

الحمل بعيسى عليه السلام :

ووردت النصوص القرآنية التي تحدثت عن الحمل بعيسى عليه السلام في سورتي آل عمران ومريم وغيرهما ففي الأولى قال تعالى على لسان مريم عليها السلام حين بشرها الله بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم " قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون " (١) وقال تعالى فى سورة مريم " قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسنى بشر ولم أك بغيا ، قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا " (٢)

ولا شك أن حمل امرأة من غير أن يمسهها بشر أمر خارق للعادة آمن المسلمون به من غير تفصيل لكيفية نشؤ الحمل لأنه من الأمور الغيبية التي لا تثبت الا بالوحي ولم ينص الوحي على كيفية فتوقف السلف فى ذلك واسندوا علمه الى الله سبحانه وتعالى .

وقد حاول السيد رشيد رضا تقريب حمل مريم بعيسى عليهما السلام الى الأذهان بما تكون به هذه الواقعة أمر عادي لا اعجاز فيه وليس فيه آية للناس وهذا تفسير باطل نرفضه . فكيف اذا كان تأويله بما هو بعيد عن الحقائق متأثر بنظريات علميه ثبت بطلانها وزيفها ، حيث يقول :-

" وأقول اعلم أن الكافرين بآيات الله ينكرون الحمل بعيسى من غير أب جمودا على العادات ، وذهولا عن كيفية ابتداء خلق جميع المخلوقات . ولو كان لهم دليلا عقلى على استحالة ذلك لكانوا معذورين ولكن لا دليل لهم الا أن هذا غير معتاد ، وهم فى كل يوم يرون من شؤن الكون ما لم يكن معتادا

(١) سورة آل عمران الآيه ٤٧

(٢) سورة مريم : الآيتين ٢٠ - ٢١

من قبل ، فمنه ما يعرفون له سببا ويعبرون عنه بالاكتشاف والاختراع ، ومنه
مالا يعرفون له سببا ويعبرون عنه بفلتات الطبيعه ونحن معاشر المؤمنين
نقول أن تلك الأشياء المعبر عنها بالفلتات اما أن يكون لها سبب خفى
وحيث يجب أن تهدي هؤلاء الجامدين الى أن بعض الأشياء يجوز أن يأتى
من غير طريق الأسباب المعروفة ، فلا ينكروا كل ما يخالفها لاحتمال أن يكون
له سبب خفى لم يقف عليه ، ولا ينزل أمر عيسى فى الحمل به من غير
واسطة أب عن ذلك ، وأما أن تكون قد وجدت فى الواقع ونفس الأمر
خارقة لنظام الأسباب وحيث يجب أن يعترفوا بأن الأسباب الظاهرة
المعروفة ليست واجبه وجوبا عقليا مطردا واذا كان الامر كذلك امتنع
على العاقل أن ينكر شيئا ما ويعدده مستحيلا لأنه لا يعرف له سببا ، ولعل
أبناء العصور السابقة كانوا أقرب الى أن يعذروا بانكار غير المؤلف من
أبناء هذا العصر الذى ظهر فيه من أعمال الناس ما لو حدث به عقلاء
الغابرين لعدوه من خرافات الدجالين ، ونحن نرى علماء الغرب وفلاسفته
متفقين على امكان التولد الذاتى أى تولد الحيوان من غير حيوان أو من
الجماد ، وهم يبحثون ويحاولون أن يصلوا الى ذلك بتجاربههم ، واذا كان
تولد الحيوان من الجماد جائزا فتولد الحيوان من حيوان واحد أولى
بالجواز وأقرب الى الحصول نعم . . . انه خلاف الأصل وان كونه جائزا
لا يقتضى وقوعه بالفعل ، ونحن نستدل بوقوعه بالفعل بخبر الوحى
الذى قام الدليل على صدقه " (١)

الا أن تعدى السيد رشيد رضا حدود التفسير وتجاوزه لمنهج السلف
يظهر فى محاولته تقريب هذه الواقعة الى السنن المعروفة فى نظام الكائنات ،
وذلك بصرفها عن أن تكون خارقة وآية للناس الى أن تكون غير ذلك . حيث
يقول :- " ويمكن تقريب هذه الآيه الالهية من السنن المعروفة فى نظام
الكائنات بوجهين :-

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٣ ص ٣٠٨ - ٣٠٩

(أحدهما) ان الاعتقاد القوى الذى يستولى على القلب ويستحوذ على المجموع العصبى يحدث فى عالم المادة من الآثار ما يكون على خلاف المعتاد فكم من سليم أعتقد أنه مصاب بمرض كذا وليس فى بدنه شىء ممن جرائم هذا المرض فولد له اعتقاده تلك الجرائم الحية وصار مريضاً ، وكم من امرىء سقى الماء القراح أو نحوه فشربه معتقداً أنه سم نافع فمات مسموماً به ، والحوادث فى هذا الباب كثيرة أثبتتها التجارب وإذا اعتبرنا بها فى أمر ولادة المسيح نقول أن مريم لما بشرت بأن الله تعالى سيهب لها ولداً بمحض قدرته وهى على ما هى عليه من صحة الايمان وقوة اليقين انفعل مزاجها بهذا الاعتقاد انفعالا فعلم فى الرحم فعل التلقيح ، كما يفعل الاعتقاد القوى فى مزاج السليم فيمرض أو يموت ، وفى مزاج المريض فيبرأ ، وكان نفخ الروح الذى ورد فى سورة أخرى متمماً لهذا التأثير .

(الوجه الثانى) وهو أقرب الى الحق وان كان أخفى وأدق وبيانه يتوقف على مقدمة وجيزه فى تأثير الأرواح فى الأشباح ، وهى أن المخلوقات قسمان أجسام كثيفة وأرواح لطيفة ، وأن الطيف هو الذى يحدث فى الكثيف الحى ما نراه فيه من النمو والحركة والتوالد الذى يكون فيه من النمو أو يكون النمو منه فلولا الهواء لما عاشت هذه الأحياء والهواء روح ولذلك كان من أسمائه اذا تحرك الريح وأصلها روح بكسر الراء ولأجل الكسر قلبت الواو ياءً لتناسبه والماء الذى منه كل شىء حى مركب من روحين لطيفين وهو يكاد يكون فى حال التركيب وسطاً بين الكثيف واللطيف ولكنه أقرب الى الثانى ، والكهربائية من الأرواح وناهيك بفعلها فى الأشباح ، فهذه الموجودات اللطيفة التى سميناها أرواحاً هى التى تحدث معظم التغيير الذى نشاهده فى الكون حتى أننا قد رأينا فى هذا العصر من أسرارها ما لم يكن يخطر على بال أحد من قداماء فلاسفتنا ، ويعتقد علماءنا اليوم

أن ما سيظهر منها فى المستقبل أجل وأعظم ، فاذا كان الامر كذلك فى الأرواح التى لا دليل عندنا على أنها تترك وتريد فلم لا يجوز أن يكون تأثير الأرواح العاقلة المریده أعظم .

ثم قال " اذا تمهد هذا فنقول : أن الله المسخر للأرواح المنبثه فى الكائنات قد أرسل روحا من عنده الى مريم فتمثل لها بشرا ونفخ فيها فأحدث نفخته التلقيح فى رحمها فحملت بعبسى عليه السلام وهل حملت اليها تلك النفخه مادة أم لا ؟ الله أعلم " (١)

ولا شك أن التأويل الاول بأن مريم عليها السلام اعتقدت اعتقادا قويا فعل فى رحمها فعل التلقيح وأن تأثير الاعتقاد القوي اثبته التجارب الكثيره تأويل باطل بل هو مفتاح لبطريق سهل للبغياء الفاسدات وليزعمن اذا وقع منهن الحمل أنهن لم يرتكبن جريمة الزنا وانما وقع منهن هذا الاعتقاد ؟ ! وما الذى بأيدىنا حتى تثبت كذبهن اذا جعلنا هذا الاعتقاد سبيلا للحمل .

بل وأى فضل اختصت به مريم وابنها عليهما السلام بهذا الحمل وأى أمر عجب جعله الله آية للناس اذا كانت التجارب فى هذا كثيره ؟ ألا فليعلم بطلان هذا التأويل وانحرافه .

نقول هذا مع أن الشيخ رشيد رضا وصف الوجه الثانى بأنه أقرب الى الحق ولكنه لم يكتف به فكان حقا علينا بيانه .

رفع عبسى عليه السلام الى الله سبحانه وتعالى :

قال الله تعالى " اذا قال الله يا عبسى انى متوفيك ورافعك اليّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين ابتعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم اليّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون " (٢)

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٣ ص ٣٠٩ - ٣١٠

(٢) سورة آل عمران : الآية ٥٥

وجاء نفي قتله عليه السلام والاخبار برفعه الى الله سبحانه وتعالى
فى قوله تعالى " وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزحكيمًا " (١)

لذا فان المسلمين خلافا للنصارى يعتقدون بأن عيسى عليه السلام
لم يقتل ولم يصلب بل رفعه الله اليه .

فقد نفي الله سبحانه وتعالى فى الآيه الثانية قتل عيسى عليه
السلام وأثبت فى الآيه الاولى وفاته .

فهل يعنى هذا اثبات الوفاة بدون قتل ولا صلب ؟ أو أن المراد
بالوفاء فى الآيه الاولى معنى آخر ؟ ثم ما المراد بالرفع فى الآيتين هل
المراد به رفع جسمه عليه السلام أو رفع مكانته وتشريفه ؟ وهل يفهم
هذا الاخير من الآيتين ؟ وما الذى أوجب صرف الوفاة عن معناها
المتبادر الى معنى آخر ؟ وما الذى أوجب صرف الرفع عند الفريق الآخر
عن معناه الحسى الى معناه المعنوى ؟

كل هذا مما يرد فى هاتين الآيتين من التساؤل وكله يرجع الى الخلاف
فى المراد بكلمتى، الوفاة ، والرفع فلنذكر المراد بهما ومعناهما عند
السلف .

قال الامام الطبرى رحمه الله تعالى فى تفسيره :

ثم اختلف أهل التأويل فى معنى " الوفاة " التى ذكرها الله عز وجل
فى هذه الآيه فقال بعضهم " هي وفاة نوم " وكان معنى الكلام على مذهبهم :-
أنى منيمك ورافعك فى نومك " ثم قال :- " وقال آخرون : معنى ذلك أنى
قابضك من الارض ، فرافعك الى ، قالوا ومعنى " الوفاة " القبض كما يقال
توفيت من فلان ما لى عليه " بمعنى قبضته واستوفيته "

قالوا فمعنى قوله : * انى متوفيك ورافعك * أى قابضك من الارض حيا الى جوارى وآخذك الى ما عندى بغير موت ، ورافعك من بين المشركين وأهل الكفر بك " ثم قال " وقال آخرون : معنى ذلك : انى متوفيك وفاة موت " . وقال " وقال آخرون : معنى ذلك اذ قال الله يا عيسى انى رافعك الي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد انزالي اياك الى الدنيا وقال : هذا من المقدم الذى معناه التأخير ، والمؤخر الذى معناه التقديم قال أبو جعفر ^(١) وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول " معنى ذلك : - انى قابضك من الأرض ورافعك الي " لتواتر الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ينزل عيسى بن مريم فيقتل الدجال ، ثم يمكث فى الأرض مدة ذكرها اختلف الرواية فى مبلغها ثم يموت فيصلى عليه المسلمون ويدفنونه " ^(٢)

ومعنى هذا أن الطبرى يقول بأن عيسى عليه السلام لم يموت ولم يقتل ولم يصلب وانما قبضه الله اليه حيا ورفع اليه كذلك وقد تواترت الأخبار بنزوله بعد هذا الى الارض الخ .

فهو يستند فى تفسيره رحمه الله تعالى لهذه الآية الى القرآن الكريم والى السنة المتواترة والى دلالة اللغة العربية ومفهومها ولا يميل فى تفسيره الى هوى فى نفسه أو مداهنة لغيره وقال بهذا التفسير علماء السلف كلهم واتفقوا عليه واستدلوا بالأدلة والحجج القوية والبراهين الساطعة ولم يقل أحد منهم أن عيسى رفع ميتا حتى الذين فسروا الوفاة بالموت فانهم ذكروا أنه مات ثلاث ساعات وقيل فى رواية أخرى سبع ساعات ثم أحياه الله وفى مثل هذا القول ضعف ^(٣)

(١) يعنى الطبرى نفسه .

(٢) تفسير الطبرى ج ٦ ص ٤٥٥ - ٤٥٨

(٣) فتح القدير للشوكانى ج ١ ص ٣٤٥

وأسند السلف في تفسيرهم هذا الى ما يدل عليه القرآن الكريم والسنة المتواترة .

فمن القرآن قوله تعالى عن بنى اسرائيل * وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما * (١)

فأخبر الله سبحانه وتعالى أنهم ما قتلوه وما صلبوه وأخبر بأنه سبحانه رفع عيسى عليه السلام اليه . ومما لاشك فيه أن هدف بنى اسرائيل هو (وفاة) عيسى عليه السلام وهذا متحقق بقتلهم وصلبهم له أو موته ولا فائدة في نفي القتل والصلب وحصول الموت فتعين انتقاء الثلاثة القتل والصلب والموت واثبات رفعه عليه الصلاة والسلام الى الله سبحانه وتعالى .

وتأويل التوفي في قوله تعالى * اذ قال الله يا عيسى أنى متوفيك ورافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم الى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون * (٢) بما لا يدل على الموت بل يدل على معنى آخر تبقى معه الحياة وتدل عليه اللغة العربية كالنوم الذى يسمى بالوفاة فى اللغة قال تعالى * وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار * (٣) أو القبض أو الاستيفاء ونحو ذلك مما ذكرنا آنفا . وانما احتاج المفسرون الى تأويل الوفاة بما ذكر لأن الصحيح أن الله رفعه الى السماء من غير وفاة لما صح فى الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم من نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال (٤)

(١) سورة النساء الآيتين ١٥٧ - ١٥٨

(٢) سورة آل عمران الآية ٥٥

(٣) سورة الانعام من الآية ٦٠

(٤) فتح القدير ج ١ ص ٣٤٤

فقد تواتر في السنة النبوية الشريفة نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان وممن حكى التواتر هذا ابن جرير الطبري (١) كما نقلنا عنه آنفاً والشوكاني في تفسيره (٢) وابن كثير (٣) وابن حجر العسقلاني (٤) وابن عطية الغرناطي الاندلسي في تفسيره (٥) وأبو الوليد بن رشد (٦) والسفارييني (٧) والكتاني (٨) والشيخ محمد شفيع (٩) والشيخ مصطفى صبري (١٠) وأبو حيان الاندلسي في تفسيره (١١) والكوثري (١٢) (١٣)

-
- (١) تفسير الطبري ج ٦ ص ٤٥٨ .
 - (٢) فتح القدير ج ١ ص ٥٣٥
 - (٣) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٦١٥ - ٦٢١ وج ٤ ص ١٤٣
 - (٤) فتح الباري : ابن حجر العسقلاني ج ٦ ص ٤٩٣ - ٤٩٤
 - (٥) البحر المحيط : لابي حيان الاندلسي الغرناطي ج ٢ ص ٤٧٣
 - (٦) اكمال اكمال المعلم (شرح صحيح مسلم) لابي عبد الله محمد بن خليفه الوشتاني الأبي ج ١ ص ٢٦٥
 - (٧) لوامع الانوار البهية محمد بن أحمد السفارييني ج ٢ ص ٩٤ - ٩٥
 - (٨) نظم المتناثر من الحديث المتواتر لابي عبد الله محمد الكتاني ص ١٤٧
 - (٩) مقدمة التصريح بما تواتر في نزول المسيح كتبها الشيخ محمد شفيع ص ٥٦ .
 - (١٠) موقف العقل والعلم والعالم ج ٤ ص ٢٤٧ : مصطفى صبري .
 - (١١) النهر الماد من البحر : لأبي حيان الاندلسي ج ٢ ص ٤٧٣ بهامش تفسير البحر المحيط .
 - (١٢) نظره عابره في مراعم من ينكر نزول عيسى عليه السلام : محمد زاهد الكوثري ص ٣٦
 - (١٣) استفدت في نقل هذه الاشارات لحكاية التواتر من تحقيق شيخنا عبد الفتاح أبو غده لكتاب التصريح بما تواتر في نزول المسيح ص ٦٢-٦٥

وقد مهد السيد رشيد رضا لانكار رفع عيسى عليه السلام بالتشكيك في الاحاديث ليس في صحتها ولكن بأسلوب آخر هو أخطر وأكثر انحرافا عن جادة الحق والصواب فحينما التمس شيخه محمد عبده مخرجا من هذه الاحاديث بقوله " ولصاحب هذه الطريقة في حديث الرفع والنزول في آخر الزمان تخريجان أحدهما أنه حديث آحاد متعلق بأمر اعتقادي لأنه من أمور الغيب والامور الاعتقادية لا يؤخذ فيها الا بالقطعي لان المطلوب فيها هو اليقين وليس في الباب حديث متواتر ، وثانيهما تأويل نزوله وحكمه في الارض بغلبة روحه وسر رسالته على الناس " (١) حينما قال هذا عقب عليه تلميذه السيد رشيد بقوله " هذا ما قاله الاستاذ الامام في الدرس مع بسط وايضاح ، ولكن ظواهر الاحاديث الواردة في ذلك تأباه ولا هل هذا التأويل أن هذه الاحاديث قد نقلت بالمعنى كأكثر الاحاديث والناقل للمعنى ينقل ما فهمه " (١) ؟ !

وانما قلت أن هذا التأويل من السيد رشيد رضا أخطر وأكثر انحرافا ممن ينكر التواتر لان من أنكر التواتر اذا صح عنده التواتر عمل به واعتقد أما من زعم أن هذه الاحاديث نقلت بالمعنى فالتأويل الباطل هو مصيرها في كل ما خالف معتقده ورأيه سواء كان الدليل متواتر أو دونه وحجته أنها رويت بالمعنى .

واذا ما جئنا الى تفسير آية آل عمران السابقة وجدنا السيد رشيد رضا يقول في تفسيرها " والتوفى في اللغة أخذ الشيء وافيا تاما ومن ثم استعمل بمعنى الإماتة قال تعالى " الله يتوفى الأنفس حين موتها " (٢)

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٣ ص ٣١٧

(٢) سورة الزمر من الآيه ٤٢

وقال " قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم " (١) فالمتبادر (٢) فى الآية
انسي مميتك وجاعلك بعد الموت فى مكان رفيع عندى كما قال فى ادريس
عليه السلام * ورفعناه مكانا عليا * (٣) ثم قال " هذا ما يفهمه القارئ
الخالى الذهن من الروايات (٤) والاقوال لأنه هو المتبادر من العبارة
وقد أيدناه بالشواهد من الآيات ولكن المفسرين (٥) قد حولوا الكلام
عن ظاهره لينطبق على ما أعطتهم الروايات من كون عيسى رفع الى السماء
بجسده وهاك ما قاله الاستاذ الامام فى ذلك " ثم نقل تأويل الشيخ عبده
لهذه الآية بقوله " يقول بعض المفسرين " انى متوفيك " أى منومك وبعضهم
انى قابضك من الارض بروحك وجسدك " ورافعك الي " بيان لهذا التوفى
وبعضهم انى أنجيك من هؤلاء المعتدين فلا يتمكنون من قتلك وأميتك
حتف أنفك ثم أرفعك الي . ونسب هذا القول الى الجمهور وقال للعلماء
ههنا طريقتان أحدهما وهي المشهورة أنه رفع حيا بجسده وروحه وأنه
سينزل فى آخر الزمان فيحكم بين الناس بشريعتنا ثم يتوفاه الله تعالى
ولهم فى حياته الثانية على الأرض كلام طويل معروف وأجاب هؤلاء عما يرد
عليهم من مخالفة القرآن فى تقديم الرفع على التوفى بأن الواو لا تفيد
ترتيبا - أقول وفاتهم أن مخالفة الترتيب فى الذكر للترتيب فى الوجود
لا يأتى فى الكلام البليغ الا لنكته ولا نكته هنا لتقديم التوفى على الرفع

-
- (١) سورة السجده : الآية ١١
(٢) أهمل السيد رشيد المعانى الاخرى للوفاة الواردة فى القرآن فقد وردت بمعناها الاصلى الذى أشار اليه وهو أخذ الشئ وافيا تاما " يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت " ١١١ النحل ووردت بمعنى النوم وهو الذى يتوفاكم بالليل " ٦٠ الانعام ولم يذكر السيد الا معنى الموت ثم قال والمتبادر . الخ
(٣) تفسير المنار: محمد رشيد رضا ج ٣ ص ٣١٦ والايه فى سورة مريم: الايه ٥٧
(٤) مما يشترط فى مفسر القرآن أن لا يكون ذهنه خاليا من الروايات فكيف بالتواتر .
(٥) لم يثبتن أحدا منهم وهو اعتراف منه باحداثهم لما ذهبوا اليه وشذوذهم فيه .

اذ الرفع هو الالهم لما فيه من البشارة بالنجاة ورفع المكان . (قال
والطريقة الثانية أن الآية على ظاهرها وأن التوفي على معناه الظاهر
المتبادر وهو الامانة العادية وأن الرفع يكون بعده وهو رفع الروح ولا بدع
في اطلاق الخطاب على شخص واردة روحه فان الروح هي حقيقة الانسان
والجسد كالثوب المستعار فانه يزيد وينقص ويتغير والانسان انسان لان روحه
هي هي (قال) ولصاحب هذه الطريقة في حديث الرفع والنزول في آخر
الزمان تخريجان أحدهما أنه حديث آحاد متعلق بأمر اعتقادي لانه من
أمور الغيب والامور الاعتقادية لا يؤخذ فيها الا بالقطعي لأن المطلوب
فيها هو اليقين وليس في الباب حديث متواتر وثانيهما تأويل نزوله وحكمه
في الارض بغلبة روحه وسر رسالته على الناس وهو ما غلب في تعليمه من
الأمر بالرحمة والمحبة والسلم والاخذ بمقاصد الشريعة دون الوقوف عند
ظواهرها والتمسك بقشورها دون لبابها وهو حكمتها وما شرعت لاجلها
فالمسيح عليه السلام لم يأت لليهود بشريعة جديدة ولكنه جاءهم بما
يزحزحهم عن الجمود على ظواهر الفاظ شريعة موسى عليه السلام ويوقفهم
على فقها والمراد منها ويأمرهم بمراعاته وما يجذبهم الى عالم الارواح
بتحرى كمال الآداب أي ولما كان أصحاب الشريعة الاخيرة قد جمدوا
على ظواهر ألفاظها بل وألفاظ من كتب فيها معبرا عن رأيه وفهمه وكان
ذلك مزهقا لروحها ذاهبا يحكمتها كان لابد لهم من اصلاح عيسى
يبين لهم أسرار الشريعة وروح الدين وأدبه الحقيقي وكل ذلك
مطوى في القرآن الذي حجبوا عنه بالتقليد الذي هو آفة الحق
وعدو الدين في كل زمان فزمان عيسى على هذا التأويل هو الزمان
الذي يأخذ الناس فيه بروح الدين والشريعة الاسلامية لاصلاح
السائر من غير تقيد بالرسوم والظواهر" (1)

والسيد رشيد استند في صرف لفظ الرفع عن معناه الحقيقي الى
معناه المجازي الى ما حسبه من النصوص مساويا لقوله تعالى " ورافعك
الي " (١) " بل رفعه الله اليه " (٢) فاستدل بقوله تعالى " ورفعناه
مكانا عليا " (٣) ونحو ذلك .

وهذا خطأ ولا شك ، ذلکم أن رفع عيسى عليه السلام اقترن به الجار والمجرور "إلى"
و"إليه" ومرجع الضمير فيهما الى الله سبحانه وتعالى ، فالآيتان صريحتان في رفع عيسى عليه السلام

الى الله سبحانه وتعالى . ولم يرد فيما ذكره من آيات الرفع الأخرى
وما لم يذكره اقتران الرفع بالجار والمجرور " اليه "

ونستعيد تلك الآيات للتأكد " ورفعناه مكانا عليا " (٣) " ورفعنالك
ذكرك " (٤) " يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم
درجات " (٥)

" في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه " (٦) " نرفع درجات
من نشاء " (٧)

* منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات * (٨) * ولو شئنا لرفعناه
بها ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه * (٩)

(١) سورة الال عمران : من الآيه ٥٥

(٢) سورة النساء : من الآيه ٥٨

(٣) سورة مريم : من الآيه ٥٧

(٤) سورة الشرح : الآيه ٤

(٥) سورة المجادله : من الآيه ١١

(٦) سورة النور : من الآيه ٣٦

(٧) سورة الانعام : من الآيه ٨٣ ، وسورة يوسف من الآيه ٢٦

(٨) سورة البقرة : الآيه ٢٥٣

(٩) سورة الاعراف ١٢٦

* ورفع بعضكم فوق بعض درجات * (١) * ورفعنا بعضهم فوق
بعض درجات * (٢) وغير ذلك من الآيات ولم يقترن أى منها بـ " الي " أو " اليه " وحينما يقترن منها شى بهذا فان المعنى ولا شك يختلف
والا لكانت الزيادة عبثا يتنزه القرآن عنه ولم يكن اقترانها خاصا برفع
عيسى فقد وردت في آية أخرى قال سبحانه * اليه يصعد الكلم
الطيب والعمل الصالح يرفعه * (٣) وهذا ولا شك يعطى الرفع
قوة خاصة ومزية خاصة بأن الرفع اليه سبحانه وتعالى لا الى سواه وهو
في السماء .

فوجب حمل الرفع لعيسى عليه السلام على أنه رفع الى الله سبحانه
وتعالى في السماء ، وكيف وقد اقترن بهذا الرفع ما يؤيده مما تواتر
في سنة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم وهي المفسرة للقرآن التي
لا يصح تناوله بالتفسير مجردا منها .

ثم لو كان المراد من قوله تعالى " متوفيك " مميتك ومن قوله " رافعك "
رافع روحك كما زعموا " كان القول الثاني مستغنى عنه ، لان رفع روح عيسى
عليه السلام بعد موته الى ربه وهو نبي جليل من أنبياء الله معلوم
لا حاجة الى ذكره " (٤) فكان الاخبار برفع روحه بعد الاخبار بموته
زيادة يتنزه عنها القرآن الكريم .

هذه بعض الامثلة على موقف السيد رشيد رضا في تفسيره تفسير المنار
من العجرات والخوارق التي أخبر الله بها عن أنبيائه السابقين في
القرآن الكريم .

(١) سورة الانعام الاية ١٦٥

(٢) سورة الزخرف الاية ٣٣

(٣) سورة فاطر من الاية ١٠

(٤) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين / مصطفى صبري ج٤ ص ١٧٨

وهو في موقفه هذا يشارك رجال المدرسة العقلية الاجتماعية الحديثة
موقفهم من المعجزات وهو أمر خطير زل فيه رجال المدرسة نسأل الله
لنا ولهم السلامة من مواقع الزل .

مسألة الخلود في النار :

واضافة الى موقف السيد رشيد السابق من المعجزات فله موقف آخر
في مسألة خلود مرتكب الكبيره .

برز ذلك عند تفسيره لقوله تعالى " الذين يأكلون الربا لا يقومون
الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ، ذلك بأنهم قالوا انما
البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا ، فمن جاءه موعظه من ربه
فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ومن عاد فاولئك أصحاب النار هم
فيها خالدون " (١)

وقد أول الخلود المفسرون لتتفق الآية مع المقرر في العقائد والفقاه
من كون المعاصي لا توجب الخلود في النار فقال أكثرهم أن المراد ومن عاد
الى تحليل الربا واستباحته اعتقادا ، ورده بعضهم بأن الكلام في أكل
الربا وما ذكر عنهم من جعله كالبيع هو بيان لرأيهم فيه قبل النحریم فهو
ليس بمعنى استباحة المحرم فاذا كان الوعيد قاصرا على الاعتقاد بحله
لا يكون هناك وعيد على أكله بالفعل ، والحق أن القرآن فوق ما كتب
المتكلمون والفقهاء ، يجب ارجاع كل قول في الدين اليه ، ولا يجوز تأويل
شيء منه ليوافق كلام الناس ، وما الوعيد بالخلود هنا الا كالوعيد بالخلود
في آية قتل العمدة وليس هناك شبهة في اللفظ على ارادة الاستحلال ومن

(١) سورة البقرة : من الآيه ٢٧٥

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا : ج ٣ ص ٩٨

ومن العجيب أن يجعل الرازي الآية هنا حجة على القائلين بخلود مرتكب الكبيرة في النار انتصارا لأصحابه الأشاعرة ، وخير من هذا التأويل تأويل بعضهم للخلود بطول المكث ، أما نحن فنقول ما كل ما يسمى إيمانا يعصم صاحبه من الخلود في النار ، الإيمان إيمانان إيمان لا يعد والتسليم الاجمالي بالدين الذي نشأ فيه المرء أو نسب اليه ومجاراة أهله ولو بعدم معارضتهم فيما هم عليه ، وإيمان هو عبارة عن معرفة صحيحة بالدين عن يقين بالإيمان ، متمكنة في العقل بالبرهان ، مؤثرة في النفس بمقتضى الأذعان حاكمة على الإرادة المصرفة للجوارح في الأعمال بحيث يكون صاحبها خاضعا لسلطانها في كل حال ، إلا ما يخلو عنه الإنسان من غلبة جهالة أو نسيان ، وليس الربا من المعاصي التي تنسى أو تغلب النفس عليها خفة الجهالة والطيش كالحدة وثورة الشهوة ، أو يقع صاحبها منها في غمرة النسيان كالغيبية والنظرة ، فهذا هو الإيمان الذي يعصم صاحبه باذن الله ، من الخلود في سخط الله ، ولكنه لا يجتمع مع الأقدام على كبائر الأثم والفواحش عمدا إيثارا لحب المال واللذة على دين الله وما فيه من الحكم والمصالح .

وأما الإيمان الأول فهو صوري فقط فلا قيمة له عند الله تعالى لأنه تعالى لا ينظر إلى الصور والأقوال ولكن ينظر إلى القلوب والأعمال ، كما ورد في الحديث والشواهد على هذا الذي قررناه في كتاب الله تعالى كثيرة جدا وهو مذهب السلف الصالح وان جهله كثير ممن يدعون اتباع السنة حتى جرؤوا الناس على هدم الدين بناء على أن مدار السعادة على الاعتراف بالدين وان لم يعمل به ، حتى صار الناس يتبجحون بارتكاب الموبقات مع الاعتراف بأنها من كبائر ما حرم ، كما بلغنا عن بعض كبرائنا أنه قال اني لا أفكر أنني آكل الربا ولكنني مسلم أعترف بأنه حرام ،

وقد فاته أنه يلزمه بهذا القول الاعتراف بأنه من أهل هذا الوعيد وبأنه يرضى أن يكون محاربا لله ولرسوله ، وظالما لنفسه وللناس كما سيأتي فى آية أخرى ، فهل يعترف بالملزوم ، أم ينكر الوعيد المنصوص ، فيؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض ؟ نعوذ بالله من الخذلان " (١)

ولا شك أيضا أنه جانب الصواب فى هذا لأن النصوص الكثيرة دللت على أن أصحاب الكبائر لا يخلدون فى النار وإنما يخلد المشركون منهم قال تعالى " ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء " (٢) وقال سبحانه " قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ، انه هو الغفور الرحيم " (٣)

وقد وردت أحاديث كثيرة فى السنه فى بيان عدم خلود أصحاب الكبائر فى النار ماداموا غير مشركين وأنهم يخرجون منها قال الامام الشوكانى " والمصير الى هذا التأويل واجب للاحاديث المتواترة " (٤) وقال ابن كثير رحمه الله تعالى " وقد تواترت الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " أنه يخرج من النار من كان فى قلبه أدنى مثقال ذره من ايمان " (٥)

ولهذا أول السلف الخلود فى الآيه السالفة بأحد تأويلين :-

أولهما : أن المعنى ومن عاد الى القول بأن البيع مثل الربا فـ استحل ما حرم الله فيكفر فيستحق الخلود .

وثانيهما : تأويل الخلود بطول المكث .

وليس هذا مقام تقرير ذلك وإنما بيان مخالفته لرأى السلف وموافقته

للمدرسة العقلية القديمة المعتزلة فى خلود أصحاب الكبائر والله الهادى .

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٣ ص ٩٨ - ٩٩

(٢) سورة النساء : الآيه ٤٨ وأيضا الآيه ١١٦ . (٣) سورة الزمر : الآيه ٥٣

(٤) فتح القدير : الشوكانى ج ١ ص ٢٩٦ . (٥) تفسير ابن كثير : ج ١ ص ٥٧٢

أصل الانسان :

لاشك أن أصل الانسان من الامور الغيبية التي لا سبيل الى معرفتها
والقطع بها الا عن طريق الوحي .

والوحي عندنا نحن المسلمون لا يخرج عن آية شريفة أو سنة صحيحة
وما سواهما فضرب من خيال .

والآيات على خلق الانسان من طين متعددة بأساليب شتى نذكر
هنا بعضها :

قال الله تعالى * ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون ،
والجان خلقناه من قبل من نار السموم ، واذ قال ربك للملائكة اني خالق
بشرا من صلصال من حمأ مسنون ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا
له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس أبى أن يكون مع
الساجدين * (١)

وقال سبحانه * ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم
جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة
فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك
الله أحسن الخالقين ، ثم انكم بعد ذلك لميتون ، ثم انكم يوم القيامة
تبعثون * (٢)

وقال سبحانه * الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان
من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من
روحه * (٣)

(١) سورة الحجر : الآيات ٢٦ - ٣١

(٢) سورة المؤمنون : الآيات ١٢ - ١٦

(٣) سورة السجده : الايتين ٧ - ٨

وقال سبحانه * يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة
وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء * (١) وقال سبحانه
* ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون * (٢)

وهذه الآيات وغيرها تنص نصا على خلق آدم أبى البشر من تراب
ثم تناسل ذريته من بعد من ماء مهين ذلكم مجمل معتقد السلف .

ثم ظهرت على مسرح النظريات العلمية نظرية اعترف أصحابها أنها
نظرية وأبى آخرون الا أن يعدوها حقيقة علمية تلكم ما يعرف بـ " نظرية
داروين " فذهبوا للاستدلال لها كل مذهب ووقف آخرون حائرون بين
الدين الذى يعتقدون والنظرية التى يستمعون .

أحسب أنه عزعليهم أن يقع تصادم بين الدين والعلم بل
ما حسبه علما ثابتا . . فأخطأوا الطريق وظنوا أن سبيل التوفيق تأويل
الآيات القرآنية تأويلا يوافق هذه النظرية فلا يكون تصادم ولا يكون
تناقض .

أخطأوا الطريق مرتين مرة حين حسبوها حقيقة علمية مع أن صاحبها
" داروين " نفسه لم يجزم بها حيث قال " اسمح لى أن أضيف الى هذا
بأنى لست من قلة العقل بحيث اتصور بأن نجاحى يتعدى رسم دوائى
واسعه لبيان أصل الانواع " (٣)

ومرة حين عمدوا الى الآيات الصريحة يؤولونها ويصرفونها عن
معانيها لا لشيء الا لانها لم توافق تلكم النظرية .

(١) سورة النساء : من الآيه الأولى

(٢) سورة آل عمران : الايه ٥٩

(٣) على أطلال المذهب المادى : محمد فريد وجدى

والشيخ محمد عبده وتلميذه السيد رشيد رضا لم يرفضوا هذه النظرية والحق أيضا أنهما لم يعلمنا قبولها لكنهما فسرا الآيات القرآنية بما يفتح الباب على مصراعيه لمن يريد أن يقول بها وأنكرا مصادمة القرآن لها .

خذ مثلا تفسير الشيخ محمد عبده لقوله تعالى : -

" يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها
وبث منهما رجالا كثيرا ونساء " (١) " ليس المراد بالنفس الواحدة آدم بالنص
ولا بالظاهر فمن المفسرين من يقول أن كل نداء مثل هذا يراد به أهل
مكة أو قريش فإذا صح هنا جاز أن يفهم منه بنو قريش أن النفس الواحدة
هي قريش أو عدنان ، وإذا كان الخطاب للعرب عامة جاز أن يفهموا منه
أن المراد بالنفس الواحدة يعرب أو قحطان ، وإذا قلنا أن الخطاب لجميع
أهل الدعوة إلى الإسلام أي لجميع الأمم فلا شك أن كل أمة تفهم منه ما
تعتقد ، فالذين يعتقدون أن جميع البشر من سلالة آدم يفهمون أن المراد
بالنفس الواحدة آدم ، والذين يعتقدون أن لكل صنف من البشر أباً
يحملون النفس على ما يعتقدون والقرينة على أنه ليس المراد هنا
بالنفس الواحدة آدم قوله * وبث منهما رجالا كثيرا ونساء * بالتكثير
وكان المناسب على هذا الوجه أن يقول وبث منهما جميع الرجال والنساء ،
وكيف ينص على نفس معهودة والخطاب عام لجميع الشعوب وهذا العهد
ليس معروفاً عند جميعهم فمن الناس من لا يعرفون آدم ولا حواء ولم يسمعوا
بهما ، وهذا النسب المشهور عند ذرية نوح مثلا وهو مأخوذ عن العبرانيين
فإنهم هم الذين جعلوا للبشر تاريخاً متصلاً بآدم وحددوا له زمناً قريباً .
وأهل الصين ينسبون البشر إلى أب آخر ويذهبون بتاريخه إلى زمن أبعد
من الزمن الذي ذهب إليه العبرانيون ، والعلم والبحث في آثار البشر

(١) سورة النساء : من الآية الأولى .

مما يطعن في تاريخ العبرانيين ونحن المسلمين لا نكلف تصديق تاريخ اليهود وان عزوه الى موسى عليه السلام فانه لا ثقة عندنا بأنه من التوراة وانه بقي كما جاء به موسى" (١)

وبهذا أكد الشيخ أن آدم ليس أبو البشر كلهم وانما قلت أكد لأنه :-

- ١ - استدل بأن الآية لا تدل (بالنص ولا بالظاهر) على ذلك .
- ٢ - وأنه لو كان آدم أبا البشر كلهم لما قال * رجالا كثيرا ونساء * بل قال جميع الرجال والنساء .
- ٣ - وان من الناس من لا يعرفون آدم ولا حواء ولم يسمعوا بهما .
- ٤ - ان العلم والبحث في آثار البشر مما يطعن في تاريخ العبرانيين باعتقادهم أن آدم أبو البشر .

وبهذا أضاء الشيخ عبده النور الاخضر لمن يريد أن يقول بنظرية داروين بأن يجعل تطبيقها على آباء البشر الآخرين عدا آدم عليه السلام . فان ذهبت تعترض على هذا وتقول :- ورد في القرآن الكريم الخطاب * يا بني آدم * (٢) وورد في قوله صلى الله عليه وسلم " كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب" (٣) وما رواه أحمد في مسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " يا أيها الناس ألا ان ربكم واحد وأن أباكم واحد ألا لافضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر الا بالتقوى" (٤)

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٤ ص ٣٢٣ - ٣٢٤
(٢) انظر مثلا الآيات ٢٦ ، ٢٧ ، ٣١ ، ٣٥ ، ١٧٢ من سورة آل عمران و ٧٠ من الاسراء و ٦٠ من يس .
(٣) رواه البزار عن حذيقه بن اليمان .
(٤) رواه أحمد في مسنده ج ٥ ص ٤١١

إذا ما قلت هذا أجابك الشيخ محمد عبده " وما ورد في آيات أخرى من مخاطبة الناس بقوله " يابني آدم " لا ينافي هذا ولا يعد نصا قاطعا في كون جميع البشر من أبنائه إذ يكفي في صحة الخطاب أن يكون من وجه اليهم في زمن التنزيل من أولاد آدم وقد تقدم في تفسير قصة آدم في أوائل سورة البقرة أنه كان في الأرض قبله نوع من هذا الجنس فسدوا فيها وسفكوا الدماء ، وأقول زيادة في الإيضاح إذا كان جماهير المفسرين فسروا النفس الواحد هنا بآدم فهم لم يأخذوا ذلك من نص الآية ولا من ظاهرها بل من المسألة المسلمة عندهم (!!) وهي أن آدم أبو البشر " (١)

وأيد هذا الرأي السيد رشيد رضا بروايات واهية لو لم تكن حجة له لشنع على قائلها ورواتها حيث قال " وقد نقل عن الإمامية والصوفييه أنه كان قبل آدم المشهور عند أهل الكتاب وعندنا آدمون كثيرون قال في روح المعاني " ذكر صاحب جامع الأخبار من الإمامية في الفصل الخامس عشر خبرا طويلا نقل فيه أن الله تعالى خلق قبل أبينا آدم ثلاثين آدم بين كل آدم وآدم ألف سنة وأن الدنيا بقيت خرابا بعد خمسين الف سنه ثم عمرت خمسين الف سنه ثم خلق أبونا آدم عليه السلام ، وروى ابن بابويه في كتاب التوحيد عن الصادق في حديث طويل أيضا أنه قال لعلك ترى أن الله لم يخلق بشرا غيركم بل والله لقد خلق الف الف آدم أنتم في آخر أولئك الآدميين " ثم قال " ثم نقل عن زين العرب القول بكفر من يقول بتعدد آدم وهذا من جرأته وجرأة أمثاله الذين يتجهمون على تكفير المسلمين لأوهى الشبهات " (٢)

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٤ ص ٣٢٤ - ٣٢٥

(٢) المرجع السابق : ج ٤ ص ٣٢٥ - ٣٢٦

وأظهر السيد رشيد رضا الدافع له لسلوك هذا التفسير بقوله
(وليت شعري ماذا يقول الذين يذهبون الى أن المسألة قسطه بنض
القرآن فيمن يوقن بدلائل قامت عنده بأن البشر من عدة أصول ؟ هل
يقولون اذا أراد أن يكون مسلما وتعذر عليه ترك يقينه في المسألة انه
لا يصح ايمانه ولا يقبل اسلامه وان أيقن بأن القرآن كلام الله وأنه
لانص فيه يعارض يقينه " (١)

ولهذا فسر الشيخ رشيد رضا المراد بالنفس بقوله " هذا وأن المتبادر
من لفظ النفس بصرف النظر عن الروايات والتقاليد المسلمات - أنها هي
الماهية أو الحقيقة التي كان بها الانسان هو هذا الكائن الممتاز على
غيره من الكائنات أي خلقكم من جنس واحد وحقيقة واحدة ولا فرق في هذا
بين أن تكون هذه الحقيقة بدأت بآدم كما دل عليه أهل الكتاب وجمهور
المسلمين ، أو بدأت بغيره وانقرضوا كما قاله بعض الشيعة والصوفييه
أو بدأت بعدة أصول انبث منها عدة أصناف كما عليه بعض الباحثين
- ولا بين أن تكون هذه الاصول أو الاصل مما ارتقى عن بعض الحيوانات
أو خلق مستقلا على ما عليه الخلاف بين الناس في هذا العصر " (٢) ثم
قال " على كل حال وكل قول يصح أن جميع الناس هم من نفس واحدة
هي الانسانية التي كانوا بها ناسا وهي التي يتفق الذين يدعون الى
خير الناس وبرهم ودفن الأذى عنهم على كونها هي الحقيقة الجامعة لهم
فتراهم على اختلافهم في أصل الانسان يقولون عن جميع الأجناس والأصناف
أنهم اخوتنا في الانسانية فيعدون الإنسانية مناط الوحدة وداعية الألفة
والتعاطف بين البشر سواء اعتقدوا أن أباهم آدم عليه السلام أو القرد أو غير ذلك (٣)

(١) المرجع السابق : ج ٤ ص ٣٢٧

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٤ ص ٣٢٧

وبهذا يكون الشيخ محمد عبده وتلميذه السيد رشيد رضا قد فتحا الباب على مصراعيه لمن أراد أن يقول بنظرية داروين ولعل هذا يفسر تلك العبارات الكثيرة للشيخ محمد عبده وتلميذه السيد رشيد التي تتحدث عن تطور الانسان وأنه نشأ أول ما نشأ ساذجا سذاجة لا يبلغ بها تناول الشئون الرفيعة والمعاني العالية والمعارف السامية وأن العناية الالهية صارت بالانسان كما سارت به في أفرادها فكما ينشأ الفرد قاصرا في جميع قواه ضعيفا في جميع أعضائه كذلك نشأت الجمعية البشرية على ضرب من السذاجة ^(١) السالفة الذكر ، ونحو ذلك من العبارات والتأويلات وللقارىء أن يجعل ذلك في ذهنه حتى يجس به مسار تفسيرهم على ضوء هذه النظرية . والله الهادى .

الملائكة :

الايمان بالملائكة من أركان الايمان قال تعالى " آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله" ^(٢) وقال سبحانه " ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين " ^(٣) وقال سبحانه " ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا " ^(٤)

والسلف يؤمنون بهذا ويصفون الملائكة بما وصفهم به في كتابه وسنة رسوله لا يزيد من على ذلك لانه من أمور الغيب .

(١) انظر تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٢ ص ٢٩١ - ٢٩٢ ورسالة التوحيد للاستاذ محمد عبده ص ١٦٦ - ١٦٩ وتفسير المنار أيضا ج ١ ص ٣١٥
(٢) سورة البقرة من الآية ٢٨٥
(٣) سورة البقرة من الآية ١٧٧
(٤) سورة النساء من الآية ١٣٦

فيصفونهم بأنهم عباد مكرمون (١) وانهم يسبحون بحمد ربهم (٢) وأنهم
بأمره يعملون (٣) وأن لهم أجنحة مثنى وثلاث ورباع (٤) وأنهم قاديرون
على التشكل والظهور بمظهر البشر (٥) وأن منهم من هو موكل بالوحي (٦)
وموكل بالصور (٧) وموكل بالموت (٨) وموكل بحفظ العبد (٩) وموكل
بكتابة أعماله (١٠) ومنهم خزنة جهنم (١١) ومن خزنة الجنة (١٢) ومنهم
المبشرون للمؤمنين عند موتهم (١٣) ومنهم حملة العرش (١٤) ذلكم
مجملة اعتقاد السلف في الملائكة لا يثبتون شيئاً الا من طريق الوحي
ويفوضون علم ما سواه الى الله سبحانه وتعالى .

وقد ذكر الشيخ محمد عبده في تفسير المنار قولين للعلماء قال

عن أولهما :-

-
- (١) سورة الانبياء الآية : ٢٦
 - (٢) سورة الشورى الآية : ٥
 - (٣) سورة الانبياء الآية : ٢٦
 - (٤) سورة فاطر الآية الاولى
 - (٥) سورة الذاريات الآية ٢٥ ومريم الآية ١٧
 - (٦) سورة الشعراء الايات ١٩٣ - ١٩٥ والنحل ١٠٢
 - (٧) سورة الزمر الآية ٦٨
 - (٨) سورة السجدة الآية ١١
 - (٩) سورة الرعد الاية ١١ وسورة الانعام الآية ٦
 - (١٠) سورة الانفطار الايات ١٠ - ١١ - ١٢
 - (١١) سورة الزخرف الآية ٧٧
 - (١٢) سورة الزمر الآية ٧٣
 - (١٣) سورة فصلت الآية ٣٠ والانبياء الآية ١٠٣
 - (١٤) سورة غافر الآية ٧ وسورة الحاقة الآية ١٧

" أما الملائكة فيقول السلف فيهم أنهم خلق أخبرنا الله تعالى بوجودهم وبيعض عملهم فيجب علينا الايمان بهم ، ولا يتوقف ذلك على معرفة حقيقتهم فنفوض علمها الى الله تعالى ، فاذا ورد أن لهم أجنحة نؤمن بذلك ولكننا نقول أنها ليست أجنحة من الريش ونحوه كأجنحة الطيور اذ لو كانت كذلك لرأيناها واذا ورد أنهم موكلون بالعوالم الجسمانية كالنبات والبحار فأنا نستدل بذلك على أن فى الكون عالم آخر الطف من هذا العالم المحسوس ، وأن له علاقة بنظامه وأحكامه ، والعقل لا يحكم باستحالة هذا بل يحكم بإمكانه لذاته ، ويحكم بصدق الوحي الذى أخبر به "

أما الرأى الثانى فى الملائكة فقد ذكره الاستاذ الامام محمد عبده ناقلا فى أول الامر وحاكيا له لكنه لم يلبث أن أيده وحبذه ودافع عنه بل زعم أنه لا فرق بينه وبين رأى السلف ؟ حيث قال عن هذا الرأى : " وذهب بعض المفسرين مذها آخرا فى فهم معنى الملائكة وهو أن مجموع ما ورد فى الملائكة من كونهم موكلين بالاعمال من انماء نبات وخلق حيوان وحفظ انسان وغير ذلك فيه ايماء الى الخاصة بما هو أدق من ظاهر العبارة وهى أن هذا النمو فى النبات لم يكن الا بروح خاص نفخه الله فى البذرة فكانت به هذه الحياة النباتية المخصوصة وكذلك يقال فى الحيوان والانسان فكل أمر كلى قائم بنظام المخصوص تمت به الحكمة الالهية فى ايجاده فانما قوامه بروح الهى سمي فى لسان الشرع ملكا ومن لم يبال فى التسمية بالتوقيف يسمى هذه المعانى القوة الطبيعية اذا كان لا يعرف من عالم الامكان الا ما هو طبيعة أو قوة يظهر أثرها فى الطبيعة ، والامر الثابت الذى لانزاع فيه هو أن فى باطن الخلقة أمرا هو مناطها ، وبه قوامها ونظامها لا يمكن لعاقل أن ينكره وان أنكر غير المؤمن بالوحي

تسميته ملكا وزعم على أنه لا دليل على وجود الملائكة ، أو أنكر بعض
المؤمنين بالوحي تسميته قوة طبيعية أو ناموسا طبيعيا لأن هذه
الاسماء لم ترد في الشرع - فالحقيقة واحدة والعامل من لاتحجبه الاسماء
عن المسميات " (١)

ثم انجلى موقفه ورأيه أكثر عند ما لم يستبعد أن تكون الملائكة هي
تلك النوازع التي نحس بها عند ما نتردد بين فعل شيء أو تركه ، وهذا
لعمرى جرأة على علم الغيب قال " يشعر كل من فكر فى نفسه ووازن بين
خاطره عند ما يهم بأمر فيه وجه للحق أو للخير ، ووجه للباطل أو للشر
بأن فى نفسه تنازعا كأن الامر قد عرض فيها على مجلس شورى ، فهذا
يورد وذاك يدفع ، واحد يقول افعل وآخر يقول لاتفعل ، حتى ينتصر
أحد الطرفين ويترجح أحد الخاطرين فهذا الشيء الذى أودع فى
أنفسنا ونسميه قوة وفكرا - وهو فى الحقيقة معنى لا يدرك كنهه ، وروح
لاتكتنه حقيقتها - لا يبعد أن يسميه الله تعالى ملكا (أو يسمى
أسبابه ملائكة) أو ماشاء من الاسماء فان التسمية لا حجر فيها على
الناس فكيف يحجر فيها على صاحب الارادة المطلقة والسلطان النافذ
والعلم الواسع " (٢)

ثم بعد أن قرر هذا التأويل المنحرف للملائكة انتقل الى تطبيق
هذا فى آيات القرآن ولم يستبعد فى تفسيره لها ما ذكره آفا .
حيث قال فى تفسير قوله تعالى : - * واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين * (٣)

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٢٦٧ - ٢٦٨

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٢٦٨

(٣) سورة البقرة : الآية ٣٤

قال : - " فاذا صح الجرى على هذا التفسير فلا يستبعد أن تكون الإشارة في الآية الى أن الله تعالى لما خلق الأرض ودبرها بما شاء من القوى الروحانية التي بها قوامها ونظامها ، وجعل كل صنف من القوى مخصوصا بنوع من أنواع المخلوقات لا يتعداه ولا يتعدى ما حدد له من الأثر الذى خص به ، خلق بعد ذلك الانسان وأعطاه قوة يكون بها مستعدا للتصرف بجميع هذه القوى وتسخيرها فى عمارة الأرض ، وعبر عن تسخير هذه القوى له بالسجود الذى يفيد معنى الخضوع والتسخير ، وجعله بهذا الاستعداد الذى لا حد له والتصرف الذى لم يعط لغيره خليفة الله فى الأرض لأنه أكمل الموجودات فى هذه الأرض واستثنى من هذه القوى قوة واحدة عبر عنها بإبليس وهي القوة التى تعارض فى اتباع الحق وتصد عن عمل الخير وتنازع الانسان فى صرف قواه الى المنافع والمصالح التى تتم بها خلافته فيصل الى مراتب الكمال الوجودى التى خلق مستعدا للوصول اليها " (١)

وقد التمس السيد رشيد عذرا لشيخه الاستاذ محمد عبده بـ "أن غرض الاستاذ من هذا التأويل الذى عبر عنه بالايماء وبالإشارة اقناع منكبرى الملائكة بوجودهم بتعبير مألوف عندهم تقبله عقولهم ، وقد اهتدى به كثيرون ، وضل به آخرون فأنكروا عليه وزعموا أنه جعل الملائكة قوى لا تعقل" (٢) والحق أن الشيخ محمد عبده قد اقنع - فعلا - منكبرى الملائكة بتعبير مألوف عندهم لكن ليس بوجودهم وانما بوجود قوى لم يكونوا ينكرونها من قبل وليست هى مثار الجدل وما زالت القضية جارية فصار كمن أراد أن يقنع منكر وجود زيد فى الدار فلج به فى الجدل حتى أقنعه بوجود عمرو - الذى لم ينكره من قبل - وسماه زيدا وهما هو بزيد المراد .

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٢٦٩

(٢) المرجع السابق : ج ١ ص ٢٧٠

وكان الشيخ فى غنى عن كل هذا لو فوض حقيقتها الى الله سبحانه
واكتفى بالنصوص الواردة فى ذلك وقال آما به كل من عند ربنا
لكنه لا يرتضى هذا الموقف بل يعده قصورا عند قائلة حيث يقول " فان لم
تجد فى نفسك استعدادا لقبول أشعة هذه الحقائق وكنت ممن يؤمن
بالغيب ويفوض فى ادراك الحقيقة ويقول (آما به كل من عند ربنا)
فلا ترم طلاب العرفان بالريب ماداموا يصدقون بالكتاب الذى آمنت به ،
ويؤمنون بالرسول الذى صدقت برسالته وهم فى ايمانهم أعلى منك كعبا ،
وأرضى منك بربهم نفسا " (١)

وليس لنا أن نقول الا أن آما به كل من عند ربنا ، وأمرهم الى الله
وهو حسبنا ونعم الوكيل .

الجن :

وشأن الجن كشأن الملائكة من حيث الاعتقاد بوجودهم وصفاتهم
كلاهما أمرغيبى وقد دل القرآن الكريم على وجود الجن " وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون " (٢)

وذكر من صفاتهم أنهم خلقوا من نار^(٣) وأن الله أرسل اليهم رسلا^(٤)
وأن منهم مؤمن ومنهم كافر^(٥) وأن منهم شياطين^(٦) وأن الله يعاقب
العصاة منهم بالنار^(٧) وأن الله أعطاهم قوه لا توجد فى الانس^(٨) وأن
قد رتهم ناقصه^(٩) وأنهم لا يعلمون الغيب^(١٠) وأنهم يتزوجون^(١١) ويتناسلون^(١٢)
وانهم يروننا من حيث لانراهم^(١٣)

-
- (١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٢٧٣
(٢) سورة الذاريات : الايه ٥٦ . (٣) سورة الحجر : الايه ٢٧ والرحمن : ١٥
(٤) الانعام : الايه ١٣٠ . (٥) سورة الجن : الآيتين ١٢ ، ١٥
(٦) سورة الناس : الايه ١١٩
(٧) سورة النمل : الآيتين ٣٨-٣٩ (٨) سورة الرحمن : الايه ٣٣
(٩) سورة الجن : الايه ٧ ، ١٠ (١٠) سورة الرحمن : الايه ٧٤
(١١) سورة الكهف : الايه ٥٠ (١٢) سورة الاعراف : الايه ٢٧

ذلكم مجمل عقيدة السلف في أمر الجن لا يصفونهم بأكثر مما وصفهم به القرآن الكريم والسنة المطهرة لأنهم من أمور الغيب التي لا يصح القول فيه إلا بالوحي .

وقد أثبت الشيخ رشيد رضا وآمن بوجود الجن لكنه تأول ، وجودهم بأمر آخر لم يقل به أحد من السلف وليس له من دليل إلا الاحتمال وما هو بدليل .

فقال السيد رشيد رضا " وقد كان غير المسلمين يعدون من هذا القبيل - أي من قبيل الخرافات - حديث أبي موسى (الطاعون وخز أعدائكم من الجن وهو لكم شهادة" رواه الحاكم وصححه ، ثم صاروا بعد اكتشاف باشلس الطاعون يتعجبون منه بصدق كلمة " الجن " على ميكروب الطاعون كغيره . وقد ورد ان الجن أنواع منها ما هو من الحشرات وحشائش الأرض " (١) .

وشبه فعل جنة الشياطين في النفوس البشرية بفعل الجنه في الاجساد فقال " وفعل جنه الشياطين في أنفس البشر كفعل هذه الجنه التي يسميها الأطباء الميكروبات في أجسادهم وفي غيرها من أجسام الأحياء وتؤثر فيها من حيث لا ترى فتتقى " (٢) .

وبعبارة أصح مما ذكرنا صرح في موضع آخر " وقد قلنا في المنار غير مرة أنه يصح أن يقال أن الأجسام الحيه الخفيه التي عرفت في هذا العصر بواسطة النظارات المكبره وتسمى بالميكروبات يصح أن تكون نوعا من الجن وقد ثبت أنها علل لأكثر الأمراض

(١) تفسير المنار: محمد رشيد رضا ج ٧ ص ٣١٩

(٢) المرجع السابق : ج ٨ ص ٣٦٤

قلنا ذلك فى تأويل ما ورد من أن الطاعون من وخز الجن" (١)
وكان بودننا أن يتوقف الشيخ رشيد رضا رحمه الله تعالى
عن الخوض فى أن الميكروبات نوع من الجن من غير حجة الآحجة
الاحتمال الخالى من الدليل الشرعى الذى يعتمد عليه فى مثل
هذا ، وما نحسبه فعل هذا الآحرصا على تقريبها الى الأذهان
وقد أخطأ الطريق فى هذا فعفا الله عنا وعنه .

بعض الأحكام الفقهية :

ذكرنا أن من الأسس التى يقوم عليها منهج المدرسة العقلية
الاجتماعية الحديثة فى التفسير انكار التقليد وذمه والتحذير منه ،
وقد كان الاستاد محمد رشيد رضا من المتمسكين بهذا الأساس بل
ومن المتعصبين له ، ويادر الى تطبيقه بنفسه فى تفسير القرآن
الكريم ، وقد أدى به اجتهاده هذا الى أقوال وآراء جديدة
فى بابها أو آراء خاطئه نذكر من ذلك مثالين لا نزيد عليهما
خوف الاطالة :

أولا : التيمم :

قال تعالى " وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط
أو لا مستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا " (٢) .

وبالتأمل فى الآية تلحظ أنها نصت على أربع حالات وشروط

واحد ثم حكم واحد أيضا ، أما الحالات الأربع فهى : -

ان كنتم : ١- مرضى ٢- أو على سفر

٣- أو جاء أحد منكم من الغائط .

٤- أو لا مستم النساء .

(١) المرجع السابق : ج ٣ ص ٩٦

(٢) سورة النساء : الآية ٤٣

والشرط : (فلم تجدوا ماء) .

والحكم : (فتيموا صعيدا طيبا) .

وقد أجمع المسلمون على جواز التيمم عند فقد الماء أو الخوف من التلف ونحوه عند استعمال الماء للمريض والمقيم والسليم والمسافر وإنما نص على المرض لأنه مظنه للعجز عن الوصول إلى الماء وكذلك المسافر عدم الماء في حقه غالب^(١) ، ولذلك قال مالك رحمه الله تعالى " ذكر الله المرض والسفر في شرط التيمم اعتبارا بالأغلب فيمن لم يجد الماء بخلاف الحاضر فإن الغالب وجوده ، فلذلك لم ينص الله سبحانه عليه " (١) .

ذلكم مجمل ما اتفقوا عليه واستدلوا بأدلة كثيرة من السنة ليس هذا موضع إيرادها .

ولكن السيد رشيد رضا خالف جميع الفقهاء في هذا وجاء برأى لم يسبق إليه وتعجب من غفلة جماهير الفقهاء عن تفسيره هذا وبدأ أول ما بدأ فجعل الحالات ثلاثا بدلا من أربع فعدّها ان كنتم :

١- مرض ٢- أو على سفر ٣- أو لم تجدوا ماء

حيث قال " أي ففي هذه الحالات المرض والسفر وفقد الماء عقب الحدث الأصغر الموجب للوضوء والحدث الأكبر الموجب للغسل تيمموا صعيدا طيبا " (٢) .

وينى على هذا التقسيم أن كل حاله من هذه الحالات الثلاث

(١) فتح القدير : الامام الشوكاني ج ١ ص ٤٧١

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٥ ص ١١٩

المرض والسفر وفقد الماء ، هي عذر بحد ذاتها لباحة التيمم .
وهو بهذا يقلد شيخه الاستاذ محمد عبده الذى فسر الآية
بقوله " المعنى أن حكم المريض والمسافر اذا أراد الصلاة كحكم
المحدث حدثا أصغر أو ملامس النساء ولم يجد الماء فعلى كل
هؤلاء التيمم فقط . هذا ما يفهمه القارىء من الآية نفسها اذا لم
يكلف نفسه حملها على مذهب من وراء القرآن يجعلها بالتكلف
حجة له منطبقة عليه " (١) .

ولا شك أن الذى يفهمه القارىء من الآية ليس ما ذكره
الاستاذ الامام هذا اذا لم يستند الى بيان السنه لها ، ذلكم
أن الذى يفهم من ظاهر الآية ان التيمم مشروع للمريض والمسافر
ولمن جاء من الغائط ولمن لامس النساء بشرط فقد الماء ، وهذا
هو ما يدل عليه ظاهر الآية اذا لم نبينه بالسنه ولذلك فلا عجب
ان يطالع الشيخ محمد عبده خمسة وعشرين تفسيراً ولا يجد فيها
رأيه هذا ؟ ! حيث يقول " وقد طالعت فى تفسيرها خمسة وعشرين
تفسيراً فلم أجد فيها غناءً فيها ولا رأيت قولاً فيها يسلم من
التكلف - ثم رجعت الى المصحف وحده (٢) فوجدت المعنى واضحاً جلياً
فالقُرآن أفصح الكلام وأبلغه وأظهره وهو لا يحتاج عند من يعرف العربية
مفرداتها وأساليبها الى تكلفات فنون النحو (٣) وغيره من فنون اللغة عند
حافظى أحكامها من الكتب مع عدم تحصيل ملكة البلاغة " (٤)

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٥ ص ١١٩
(٢) لا أظنه يجهل أن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن الأخذ
ب (المصحف وحده) .
(٣) ولكنه يحتاج الى معرفة السنه فهى البيان الصحيح للقرآن الكريم .
(٤) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٥ ص ١١٩

وقد أرد السيد رشيد رضا أن يؤيد ما ذهب إليه مقلداً
شيخه محمد عبده بأسلوب جديد في التأييد فجعل ما فهمه من
الآية أمراً مسلماً واضحاً عنده وعند خصومه وإنما منعهم من القول
به مخالفة المذاهب المعروفة لا عدم اقتناعهم بما قاله هو وأستاذه
فقال " سيقول أدعياء العلم من المقلدين نعم أن الآية واضحة
المعنى كاملة البلاغة على الوجه الذي قررتم ولكنها تقتضى عليه
أن التيمم في السفر جائز ولو مع وجود الماء وهذا مخالف للمذاهب
المعروفة عندنا ، فكيف يعقل أن يخفى معناها هذا على أولئك
الفقهاء المحققين ويعقل أن يخالفوها من غير معارض لظاهرها
أرجعوها إليه ولنا أن نقول لمثل هؤلاء - وإن كان المقلد لا يحتاج
لأنه لا علم له - وكيف يعقل أن يكون أبلغ الكلام واسلمه من التكلف
والضعف معضلاً مشكلاً ؟ وأى الأمرين أولى بالترجيح : الطعن
ببلاغة القرآن وبيانه لحمله على كلام الفقهاء . أم تجويز الخطأ
على الفقهاء لأنهم لم يأخذوا بما دل عليه ظاهر الآية من غير
تكلف وهو الموافق الملتئم مع غيره من رخص السفر التي منها قصر
الصلاة وجمعها وإباحة الفطر في رمضان فهل يستنكر مع هذا
أن يرخص للمسافر في ترك الغسل والوضوء وهما دون الصلاة والصيام
في نظر الدين ؟ أليس من المجرب أن الوضوء والغسل يشقان على
المسافر الواجد للماء في هذا الزمان الذي سهلت فيه أسباب السفر
في قطارات السكك الحديدية والبواخر ؟ أفلا يتصور المنصف أن
المشقة فيهما أشد على المسافرين على ظهور الابل في مفاوز الحجاز
وجبالها ؟ هل يقول منصف أن صلاة الظهر أو العصر أربعاً في
السفر أسهل من الغسل أو الوضوء فيه ؟ ^(١) السفر مظنه : المشقة

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٥ ص ١١٩

يشق فيه غالبا كل ما يؤتى في حضر بسهولة وأشق ما يشق فيه الغسل والوضوء وان كان الماء حاضرا مستغنى عنه . وأضرب لهم مثلا هذه الجوارى المنشآت في البحر كالأعلام فان الماء فيها كثير دائما في كل باخرة منها حمامات أى بيوت مخصوصة للاغتسال بالماء الساخن والماء البارد ولكنها خاصة بالأغنياء الذين يسافرون بالدرجة الاولى والثانية وهؤلاء الأغنياء منهم من يصيبه دوار شديد يتعذر عليه معه الاغتسال . أو خفيف يشق معه الاغتسال ولا يتعذر فان كانت هذه السفن التى يوجد فيها من الماء المعدللاستحمام ما لم يكن يوجد مثله فى بيت أحد من أهل المدينة زمن التنزيل يشق فيها الاغتسال أو يتعذر فما قولك فى الاغتسال فى قطارات سكك الحديد أو قوافل الجمال والبغال " (١) .

ولا شك أن هذه مغالطة من الشيخ محمد رشيد رضا ذلكم أنه جعل السفر هو المبيح للتيمم لمن أصابه الدوار الشديد الذى يتعذر معه الاغتسال ومصدر المغالطة أنه تجاهل - ولا أظنه - يجهل - أن الدوار الشديد مرض أباح لصاحبه التيمم اذا كان استعمال الماء يزيده مشقة أو ضررا ، فالعذر هنا المرض وليس السفر ومن المجمع عليه عند الفقهاء أن المرض من مبيحات التيمم ولو مع وجود الماء اذا كان يلحقه ضرر باستعماله الماء أما المسافر الذى يجد الماء ولا يضره استعماله فليس له أن يتيمم ولهذا فلا يصح له أن يستدل بالمسافر المريض بالدوار الشديد الذى يضره استعمال الماء على اباحه التيمم لمجرد السفر .

(١) تفسير المنار: محمد رشيد رضا ج ٥ ص ١٢٠ - ١٢١

ومن العجيب أن الشيخ محمد عبده وتلميذه السيد رشيد رضا لم يستندا في تفسيرهما هذا الى سنة نبوية وانما الى الرأى المجرد من الدليل . بل والأسوأ من هذا أن السيد رشيد رضا وصف سائر الروايات المصرحة بالتيمم في السفر لفقد الماء بأنها منقولة بالمعنى (!) وأنها لا تنهض دليلاً وأن مفهومها مفهوم مخالفة وأنه غير معتبر عند الجمهور (!) مع اعترافه أن الجمهور قالوا بخلاف رأيه .

ولذلك فلا عجب أن يغفل (جماهير الفقهاء) عن هذا المفهوم ولكن السيد رشيد رضا يعجب من هذا فيقول : -

" ألا ان من أعجب العجب غفلة جماهير الفقهاء عن هذه الرخصة الصريحة في عبارة القرآن ، التي هي أظهر وأولى من قصر الصلاة وترك الصيام ، وأظهر في رفع الحرج والعسر الثابت بالنص وعليه مدار الأحكام واحتمال ربط قوله تعالى " فلم تجدوا ماء) بقوله (وان كنتم مرضى أو على سفر) بعيد بل ممنوع البتة كما تقدم على أنهم لا يقولون به في المرض لأن اشتراط فقد الماء في حقهم لا فائدة له لان الأصحاء مثلهم فيه فيكون ذكرهم لغوا يتنزه عنه القرآن ونقول : - ان ذكر المسافرين كذلك فان المقيم اذا لم يجد الماء يتيمم بالاجماع فلولا أن السفر سبب الرخصة كالمرض لم يكن لذكره فائدة ولذلك عللوه بما هو ضعيف متكلف وما ورد في سبب نزولها من فقد الماء في السفر أو المكث مدة على غير ماء لا ينافى ذلك . رووا " أنها نزلت في بعض أسفار النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد انقطع فيها عقد لعائشة فأقام النبي صلى الله عليه وسلم على التماسه والناس معه وليسوا على ماء

وليس معهم ماء فأغلظ أبوبكر على عائشة وقال حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء فنزلت الآية فلما صلوا بالتييم جاء أسيد بن حضير الى مضرب عائشة فجعل يقول ما أكثر بركتكم يا آل أبي بكر " رواه الستة وفي رواية " يرحمك الله تعالى يا عائشة ما نزل بك أمر تكرهينه الا جعل الله تعالى فيه للمسلمين فرجا . فهذه الرواية وهى من وقائع الأحوال لا حكم لها فى تغيير مدلول الآية ولا تنافى جعل الرخصة أوسع من الحال التى كانت سببا لها ، ألا ترى أنها شملت المرض ولم يذكر فى هذه الواقعة انه كان فيها مرضى شق عليهم استعمال الماء على تقدير وجوده وليس فيها دليل على أن كل الجيش كان فاقدا للماء ولا أن النبى صلى الله عليه وسلم جعل التيمم فيها خاصا بفاقدى الماء دون غيرهم ومثلها سائر الروايات المصرحة بالتييم فى السفر لفقد الماء التى هى عمدة الفقهاء على أنها منقولة بالمعنى وهى وقائع أحوال مجملة لا تنهض دليلا ومفهومها مفهوم مخالفة وهو غير معتبر عند الجمهور ولا سيما فى معارضة منطوق الآية (١) .

ومع أنه يكتب بقلمه أن الحديث يقول : " ليسوا على ماء وليس معهم ماء " مع هذا فانه يقول " وليس فيها دليل على أن كل الجيش كان فاقدا للماء ويصف هذه الرواية بأنها من وقائع الأحوال لا حكم لها فى تغيير مدلول الآية؟! ولا أظن الشيخ رشيد ينكر أن السنة تبين مدلول الآية وتبقى علامه الاستفهام معلقة ومعها التعجب فى عبارته السالفة ، دع عنك بعد هذا عباراته الأخرى التى لا أظنها تخفى أو يخفى جوابها .

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٥ ص

وبهذا يظهر ما أدى به اجتهاده الذى دعا اليه وهو
بهذا التأويل ونحوه يجعلنا أكثر حرصا على توفر شروط الاجتهاد
والدعوة الى تطبيقها عفا الله عنا وعنه وسائر المسلمين .

حكم الربا :

وحكمه فى الاسلام معلوم لا يخفى كالخمر يحرم قليله وكثيره
وليس هذا المقام مقام بسط الادلة والبراهين .

لكن السيد رشيد رضا يرى أن الربا المحرم هو ما كان فاحشا
ففسر قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة
واتقوا الله لعلكم تفلحون " (١) . بقوله " والمراد بالربا فيها ربا الجاهلية المعهود عند
المخاطبين عند نزولها لا مطلق المعنى اللغوى الذى هو الزيادة فما كل ما يسمى زيادة محرم " (٢)

والربا كما هو معلوم ينقسم الى قسمين : ربا الفضل ، وربا
النسيئة . ويرى الاستاذ رشيد أن ربا الفضل انما حرم لانه
ذريعه الى ربا النسيئة المحرم لذاته تماما كالنظر الى الأجنبية
بشهوة أو لمس يدها كذلك أو الخلوه بها ولو مع عدم الشهوة لأن
هذه الأشياء ليست محرمة لذاتها بل لسد الذريعة لئلا تكون
وسيلة الى الزنا المحرم لذاته . (٣)

ومع أنه يعلم أن النظر الى الأجنبية ولمسها والخلوة بها
محرم ولا ينكر هذا ، إلا أنه لا يقول به فى ربا الفضل بل ينكر
على ابن حجر قوله : " ان ماورد من الوعيد على الربا شامل لجميع
أنواعه " . ويعد السيد رشيد قول ابن حجر خطأ فان منها عنده - أى

(١) سورة آل عمران : الآية ١٣٠

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٤ ص ١٢٣

(٣) انظر تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٤ ص ١٢٦

عند ابن حجر - بيع قطعة من الحلوى كسوار بأكثر من وزنها دنانير
أو بيع كيل من التمر الجيد بكيل من وحفنه من التمر الرديء مع
تراضى المتبايعين وحاجة كل منهما الى ما أخذه ومثل هذا
لا يدخل فى نهى القرآن ولا فى وعيده ولا يصح أن يقاس عليه
كما لا يصح أن يقال ان خلوة الرجل بامرأة لا يشتهيها ولا
تشتهيه كالزنا فى حرمة ووعيده " (١) .

بل تجاوز هذا حين قامت البلاد المصرية وقعدت فى أيامه
لمسألة الربا واقترح كثيرون انشاء بنك اسلامى فكان العلاج الذى
قدمه من وجهين :

" أما الأول : فيوجه الى فريق المقلدين وهم أكثر المسلمين
فى هذا العصر فيقال لهم ان فى مذاهبكم التى تتقلدونها مخرجا
من هذه الضرورة التى تدعونها وذلك بالحيلة (١) التى أجازها
الامام الشافعى الذى ينتمى الى مذهب أكثر أهل هذا القطر
والامام أبو حنيفة الذى يتحاكمون على مذهب كاهن ومثلهم فى ذلك
أهل المملكة العثمانية التى أنشئت فيها مصارف (بنوك) الزراعة
بأمر السلطان وهى تقرض بالربا المعتدل (١) مع اجراء حيلة
المبايعة التى يسمونها المبايعة الشرعية .

" وأما الثانى : فيوجه الى أهل البصيره فى الدين الذين
يتبعون الدليل ويتحرون مقاصد الشرع فلا يبيحون لأنفسهم الخروج
عنها بحيلة ولا تأويل . فيقال لهم أن الاسلام كله مبنى على قاعدة
اليسر ورفع الحرج والعسر الثابتة بنص قوله تعالى (٢ : ١٨٥)

(١) انظر تفسير المنار: محمد رشيد رضا ج ٤ ص ١٢٦

يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) ، وقوله (٥ : ٦ ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج) وأن المحرمات في الاسلام قسمان : الأول : ما هو محرم لذاته لما فيه من الضرر وهو لا يباح الا للضرورة ومنه ربا النسيئة المتفق على تحريمه وهو مما لا تظهر الضرورة الى أكله أى الى أن يقرض الانسان غيره فيأكل ماله أضعافا مضاعفة كما تظهر في أكل الميتة وشرب الخمر أحيانا - والثانى : ما هو محرم لغيره كربا الفضل المحرم لئلا يكون ذريعة وسببا لربا النسيئة وهو يباح للضرورة بل وللحاجة" (١) .

والطريف أنك لا تجد فرقا بين ما حرم لذاته وما حرم لغيره الا الاختلاف فى لفظ الحكم فهو يقول عن الأول (لا يباح الا للضرورة) وقال عن الثانى (يباح للضرورة والحاجة) فأى فرق صار بينهما اذن وعلى أى أساس ساق هذا التقسيم لا أظنه ساقه الى هذا المأزق الا ضعف الحجة فى مواجهة الدليل الصحيح .

وليس بوسعى أن أذكر الحجج والأدلة الصحيحة فى هذا المقام حتى لا يتحول حديثنا الى بحث فقهى ، وانما اكتفى بهذا ولعل فيه بيان أو بعضه لمنهجه رحمه الله تعالى وتجاوزنا عنه - فى التفسير . .

ويعد :

هذه أمثله لتفسير المنار حاولت فيها التنوع والشمول ولم أحاول التعمق والتفصيل لعله يظهر صورة واضحة لمنهجه الذى سلكه .

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج٤ ص ١٢٩ - ١٣٠ .

ثانيا : تفسير جزء تبارك :

تأليف : عبدالقادر المغربي

أولا : المؤلف :

هو عبدالقادر بن مصطفى المغربي ، ولد في اللاذقية سنة ١٢٨٤ وانتقل مع والده الى طرابلس الشام ، ولزم الشيخ حسين الجسر علامة طرابلس ثم اتصل بالسيد جمال الدين الأفغانى وذلك عن طريق مجلة العروة الوثقى التى كان يصدرها الأفغانى فى باريس .

ودفعه الشوق الى رؤية الأفغانى فسافر اليه فى الآستانه سنة ١٣١٠ وظل فى جواره سنة واحدة حيث استدعاه محمد عبده الى مصر فعمل فى الصحافة .

وكانت أعنف فترة فى حياته خلال سنتى ١٩٠٦-١٩١١ م ، حيث قام بحمله على الحجاب ودعا الى سفور المرأة وقد وصف من أحوال نساء أوروبا وأمريكا ومخالطتهن للرجال ما يشعر باستحسانه له وتمنيه لنسائنا مثله حتى هاج عليه الشيخ (١) .

وهو يرجو من قاسم أمين أن يتحفنا بكتاب فى المرأة يكون ثالث القمرين (يعنى بهما كتابى تحرير المرأة ، والمرأة الجديدة) لقاسم أمين وشاهدا لصاحبه بالحسنين . (٢)

وأهم مؤلفاته :

١- كلمتان فى السفور والحجاب طبع سنة ١٩١٠ - ١٩١١ م .

(١) محاضرات عن عبدالقادر المغربي : محمد أسعد طلس ص ٥٢

(٢) المرجع السابق ص ٥٣

- ٢- محاضرات عن محمد صلى الله عليه وسلم والمرأة طبع سنة
١٣٤٧ هـ .
- ٣- جمال الدين الأفغانى (ذكريات وأحاديث) نشر فى سلسلة
أقرأ سنة ١٩٤٨ م .
- ٤- تفسير جزء تبارك . وسيأتى الحديث عنه .
- ٥- على هامش التفسير طبع سنة ١٣٦٨ هـ .
- ٦- النجم الآفل وهى ترجمة لرواية (غادة الكاميليا "
للاسكندر ، وضع فيها الشيخ أشعارا وأدوارا غنائية
حيث عرضت على الجماهير فى المسرح فى ٣ أكتوبر سنة ١٩٠٨ م
وقد رفض الشيخ طبعها ونشرها لأنه كان لا يحب أن يعرف
عنه أنه اهتم بالروايات والمسرحيات لما فى ذلك من الغرض من
سمعته ومكانته الدينية (١) .
- وقد توفى الشيخ عبدالقادر فى دمشق سنة ١٣٧٥ الموافق

١٩٥٦ م .

ثانيا : التفسير :

تفسير جزء تبارك :

ويقع هذا التفسير فى ١٣٦ صفحة من الحجم الكبير .
ويرى المؤلف ان جزءى عم وتبارك جديران بأن يفسر كل
منهما تفسيراً حسن الوضع صحيح الأسلوب يقرب من أذهان العامة
ولا يجافى عقول الخاصة ويقتصر فيه على ما يكشف الغموض عن
الآيات من جهة اللغة والاعراب ثم يشرح فيه المعنى المتبادر

(١) تفسير جزء تبارك : عبدالقادر المغربى ص ٣

شرحا وسطا مجردا عن التنطع بالمشاغبات وايراد الخلافات والخرافات
وقال " وقد وضع مولانا الاستاذ الشيخ محمد عبده رحمه الله
تفسيرا لجزء عم توخي فيه هذا النمط والاسلوب " (١)

قم ذكر أنه رغب في تأليف تفسير لجزء تبارك على مثال تفسير شيخه
وطريقته بيد أنه رأى أن يتوسع قليلا في التعليق والتفسير والاستشهاد
والتنظير - لاسيما في المباحث اللغوية أكثر مما فعله الاستاذ رحمه
الله . في تفسير جزء عم ، وعلل ذلك بمراعاة حال قراء جزء تبارك
ومقدرا أنهم سيكونون أكبر سنا وأتم استعدادا وأشد اهتماما بالتحصيل
من قراء جزء عم (١)

وقد التزم بما قال الا أنه ينقل كثيرا عن الاسفار القديمة ما يراه
بيانا للآيات ومنها ما يخالف النص القرآني ويتوسع في باب الآيات والتي
تعرض للاخلاق والآداب الاسلاميه الساميه في أدب الدعوه وغيرهها
وله عناية ببيان أسرار البلاغه القرآنية واسلوب التعبير القرآني وميل
الى التفسير العلمى اضافة الى الاسس التي بسطناها في منهج المدرسة
العقلية الاجتماعيه الحديثه وسنذكر هنا أمثله على عجل لهذا التفسير
أحاول فيها الايجاز والشمول .

تفسير القرآن بالقرآن :

ومن تفسير المؤلف القرآن بالقرآن تفسيره للمرسلات في قوله تعالى
" والمرسلات عرفا " (٢) فيقول " وقلما ذكر القرآن اطلاق الرياح الا عبر
عنه بفعل أرسل ففي سورة فاطر " (والله الذي أرسل الرياح) وفى
الحجر " وأرسلنا الرياح لواقح " وفى الاحزاب " فأرسلنا عليهم ريحا "

(١) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربي ص ٣

(٢) سورة المرسلات : الآية الاولى .

وفى الاعراف " وهو الذى يرسل الرياح " وفى الروم " ومن آياته أن يرسل الرياح " وفى آيات أخرى غيرها فقلوه تعالى هنا " والمرسلات " من هذا القبيل " (١)

عدم الاطناب فيما أبهم فى القرآن :

ومن ذلك تفسيره لقلوه تعالى " وزينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين " (٢) فقد توقف الشيخ عبد القادر عن الخوض فى دقائق التفصيل فقال " ونحن معشر المسلمين نعتقد بظاهر ما ورد فى القرآن الكريم من أن النجوم قد ينفصل عنها رجوم تتبع الشياطين واذا لم يفهم العلم الطبيعى هذه القضية فلذلك لانه لم تتوفر له أسباب الفهم اليوم ويكفينا فى صحة الايمان بها على ظاهرها أن العقل لا يجعلها من المحالات العقلية " (٣)

التفسير العلمى :

ويفسر أحيانا تفسيراً علمياً حديثاً فى قوله تعالى " ألم نجعل الأرض كفاتاً أحياءاً وأمواتاً " (٤) يقول " هذا الاكتشاف - يعنى الجاذبية - يفسرنا معنى ما قرره الكتاب الالهى من أن الارض كفات للأحياء - إذ يكونون على ظهرها فانها تجذبهم اليها وتضمهم الى صدرها كما تفعل الام الحتون فلا تدعهم يتفلتون وهم بذلك لا يشعرون " (٥)

(١) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربى ص ١٢٦

(٢) سورة الملك : من الآيه ٥

(٣) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربى ص ٦

(٤) سورة المرسلات الآيتين ٢٥ - ٢٦

(٥) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربى ص ١٣٠

وفى قوله تعالى " الذى خلق سبع سموات طباقا " (١) يقول " والسماوات السبع هي طرائق السيارات ومداراتها ولا ريب أن هذه المدارات أن هذه طبقات طبقة أدنى من طبقة وفلك فوق فلك ، وانما اقتصر الوحي من ذكر السموات على سبع مع أن العلم أثبت أنها أكثر من ذلك لأنه تعالى انما يخاطب القوم وقت البعثه بما عرفوا من أمر الافلاك وكواكبها (!!) وليس القصد من ذكرها تقرير حقائق فى علم الهيئة وسكوت الوحي عن ذكر ما زاد على سبع السموات لا ينفي وجود الزيادة (!!) وأما فلكا "أورانوس" و "نبتون" فلم يكونا اكتشافا بعد فى ذلك العهد فلو أحال الله البشر فى قرآنه على ما لم يمكنهم النظر فيه والاحاطه علما بأمره من النجوم الثوابت والفلكيين المذكورين - لكانت احواله عبثا وتكليفه محالا ، وقد أبى الله سبحانه وتعالى لنا ذلك فى منزل وحيه ومحكم شرعه تفضلا منه ورحمه " (٢)

ولا شك أن تفسيره هذا خاطىء ليس من ناحية زعمه أن القرآن الكريم خاطب القوم بما عرفوا فحسب وانما لأنه جزم ان المراد بالسموات هي تلك الكواكب السيارة فذهب يلتصق تعليلا لوصف القرآن الكريم لها بأنها سبع .

روايته للاسرائيليات :

ومع أنه يحرض فى تفسيره لجزء تبارك على الايجاز الا أنه يورد فيه الاسرائيليات من غير موجب .

(١) سورة الملك : من الآيه ٣

(٢) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربي ص ٥

ففى حديثه عن نوح عليه السلام يقول * وجاء فى كتب الاوائىل
أن فى زمن * أنوش بن شىث بن آدم * ابتدأت عبادة الاوئان وجعل
الناس يسمون المخلوقات آلهه فكان أنوش يجمع أهل بيته وذويه للصلاة
والتسبيح وعبادة الله وحده ، وفى زمن ادريس عليه السلام وهو
* أخنوخ بن يارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش - كثر النفاق وانغمس
الناس فى الآثام فأنزل الله عليه وحيا فى سفر هو صحف ادريس المشهورة
ولم يبق من ذلك السفر سوى فقرة يقولون أنها وجدت فى أطواء بعض
الكتب المقدسة * (١)

بل ويذكر الاستاذ المغربى من الاسرائيليات ما يخالف نص القرآن
ولا ينيه الى ذلك مجرد تنبيه وذلك قوله * ذكر فى الاسفار القديمة
أن نوحا ولد لسنة ١٨٢ من عمر أبيه * لامك * ولسنة ١٠٥٦ لجده
الاكبر آدم عليه السلام ومعنى نوح : الراحه والتعزية وكان عمر نوح
٥٠٠ سنة لما أخذ يلد أولاده ساما وحاما ويافت وكان عمره ٦٠٠ سنة
لما حصل الطوفان * (٢)

وهذا الذى نقله يخالف نص قوله تعالى * ولقد أرسلنا نوحا الى
قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فأخذهم الطوفان * (٣)

التحذير من البدع والمنكرات :

وفى سبيل الاصلاح الاجتماعى يحذر الشيخ عبد القادر المغربى
من البدع والمنكرات التى تنتشر فى المجتمع اذا ما جاءت مناسبة لذلك

(١) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربى ص ٥٥

(٢) المرجع السابق : ص ٥٦

(٣) سورة العنكبوت : الآيه ١٤

ففي قوله تعالى " وقالوا لا تدرن آلهتكم ولا تدرن ودا ولا سواعا
ولا يغوث ويعوق ونسرا " تحدث عن نشأة الوثنية ثم قال " ومن تأمل
ما قلناه في مناشيء ظهور الوثنية في البشر فهم السرفي كون الدين
الاسلامي يحرم اقامة الصور ونصب التماثيل وتشيد القبور وتخصيصها
على رمم العظماء وفي حديث علي رضي الله عنه " أرسلني رسول الله
الله صلى الله عليه وسلم وقال لي لا تدع صنما الا طمسته ولا قبرا
الا سويته " (١) فان الوثنيين كانوا يتخذون من مواثل القبور والاصنام
ذكرى لرجالهم الصالحين وليست ذكراهم لهم ذكرى عظه واعتبار وانما
هي ذكرى استمداد أسرار واقتباس أنوار واسغراق واستحضار واسترزاق
واستمطار والتماس منافع وستكفاء أضرار فسد دين الاسلام الزريعة
بتحريم هذه المواثل خشية أن تسترهب ضعفاء العقول وتستهويهم ومن
مزالق الوثنية تقربهم وتدنيهم فله الاسلام ما أعد له فيما شرع وحكم
وما أوضح نهجه فيما خط لنا من الهداية ورسم " (٢)

ولولا خشية الاطاله لسقنا أمثلة أكثر من هذا ولعل فيما ذكرنا
السداد ان شاء الله تعالى .

(١) رواه الامام أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه وأبو داود
في سننه ولكن بلفظ " . . . أن لا تدع تماثالا الا طمسته
ولا قبرا مشرفا الا سويته "

(٢) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربي ص ٦٢

رأى في هذا المنهج :

ليس من السهل أن أنقد هنا منهج المدرسة العقلية الاجتماعية الحديثه ذلكم أن مثل هذا لا يكفيه عشرات الصفحات ان أردت الوفاء .
ولئن كان لا يسعنا هذا فانه لا يسعنا أن نضرب عنه صفحا ونتركه هملا فليكن السداد والمقاربه ولن أسلك في بيان رأى هذا منهج النقد المستوفى فلن أذكر رأى السلف في التفسير العلقى ولا أرى المعاصرين الرجال المدرسة فيهم - الانصار والخصوم - ولن أذكر أثر هذه المدرسة في الفكر الاسلامى الحديث واذا لوفعلت لاحتاج الامر الى مجلدات ومما لا ريب فيه - عندى - ان هذه المدرسة العقلية الاجتماعية الحديثه قد أخذت في العصر الحديث من الاثر مالم تحدثه أى مدرسه أخرى نعرض لها حتى مدرسة التفسير العلمى التجريبي .

ذلكم أن المدرسة الأخيره تناولت جانبا واحدا من جوانب التفسير بل ومن جوانب الحياة عامه أما المدرسة موضوع حديثنا هذا فقد تغللت أبحاثها ومازجت جسد الامه الاسلاميه فلا تكاد تجد عضوا فيه - كدت أقول ولا خليه - الا وقد عرضت له وفيه منها أثر .

عرضت فيما عرضت لعقيدة الألوهيه والنبوه والوحي والمعجزات والبعث وأمارات الساعه والقضاء والقدر وأصل الانسان والملائكة والجن .

وعرضت للقرآن الكريم في تفسيره ومقاصده وشموله وترجمته وقصصه واعجازه وجد له وناسخه ومنسوخه والتفسير العلمى والاسرائيليات والتفسير بالمأثور والعقل .

وعرضت للفقه وأصوله وحذرت من التقليد وأنكرت على المقلدين واجتهدت في كثير من القضايا الفقهيّة وجاءت بما هو جديد .

وتناولت قضية المرأة وهي الوتر الحساس في هذا العصر من جوانب شتى في مكانتها ومنزلتها في المجتمع وعملها وتعدد الزوجات والطلاق وتعلمها وسائر ما يتعلق بها .

وتناولت وباشرت السياسة والحكومة الاسلامية والعلاقة مع الاستعمار في سائر البلاد الاسلامية ، وأمورا شتى يطول تعدادها .

لا شك أن حركة هذا بعض مجالها سيكون لاثرها رقعة واسعة في المجتمع الاسلامي وهكذا كان الامر ذلكم أن تلاميذ واتباع هذه المدرسة بما مكن لهم في المجتمع والدولة من مراتب عليا وما كان لهم من نشاط كبير والسمعة التي اكتسبوها فقد تهيئت لهم الفرص بل الفرص لبث ما يشاؤون في المجتمع ، ولا يعنى هذا ان البيئة التي استقروا فيها كانت خالية من المعارضه لكنها لم تكن من القدره بحيث يكون لها من اثر كبير تجاهها .

وعلى كل حال وكما هي سنن المجتمع ما ان تنجح أو تتجه الانظار الى مبدأ من المبادئ أو حركه من الحركات حتى تصبح هدفا مستهدفا من طوائف شتى وملل ونحل بعضها صادق وبعضها محتال .

وهكذا كان الأمر في هذه المدرسة سلكت منهجها طائفه ممن الناس مؤمنين مؤيديين مقتنعين ، واستغلت طائفة أخرى هذا القبول فبثوا باسمها والصقوا أنفسهم بها الصاقا مبادئ منحرفه وآراء زائغة لا لشيء الا ليكسبوا التأييد ويحظوا بالقبول .

وقامت طائفه أخرى تشيد بمبادئ المدرسة ورجالها لالشيء الالمنصب أو كسب جاه أو مكانه .

ورفضت طوائف أخرى هذه المدرسة وهم ملل شتى لا يقلون عن النوع الآخر اصنافا .

رفضتهم طائفه غيرة على الاسلام حقا ورأوا أن لهم آراء خاطئة ومفاهيم
قاصره فأرادوا أن يحذروا المسلمين من هذه الاخطاء وأن يعرف الناس
مكانة هؤلاء وينزلونهم منزلتهم .

ورفضتهم طائفه لأنهم رأوا فيهم أعلاما مسلمين - يسعون لنشر مبادئ
الاسلام فغاظهم هذا فذهبوا يشككون بهم ويذكرون مع الحقيقة
الف كذبه . . .

ورفضتهم طائفه عجزت عن الوصول الى درجتهم فرأت أن أقصر سبيل
هو النيل منهم .

والحق الذي لامرأ فيه أن هذه المدرسة العقلية الاجتماعية الحديثة
لها من المحاسن كثير ولها من المساوىء كثير فضلا عن العلاقات الغامضة
والحوادث المبهمة والاسرار والالغاز التي تحيط ببعض رجال هذه المدرسة
ولا زالت ولن تزال موضع أخذ ورد بين الأنصار والخصوم والمعتدلين .

وعلينا أن أردنا الخير والصلاح وما فيه الفلاح أن نأخذ من
حسنات هذا المنهج .

١ - الاسلوب الذى سلكوه فى بث أفكارهم . . بالحديث المباشر فى
المساجد والمجتمعات والمنتديات والمحاضرات وفى الصحف وفى
المؤلفات . .

٢ - الاسلوب الذى نهجوه فى صياغة الحديث فليس بالحديث المتكلف
الذى يرقى عن مدارك العامة ولا الاسلوب الذى يمجّه ويأنفّه
الخاصة .

٣ - توجيه الاهتمام للقضايا التى تهم المجتمع وتجلب انتباه سائر الفئات
والاجناس وتشد انتباههم ثم الولوع من هذا لبث مبادئ الاسلام
الصحيحه .

٤ - الاتصال والتعرف على مختلف الطبقات من الملوك والوزراء والامراء والعلماء والموظفين والفلاحين والاتصال بكل الفئات وتوجيه كلا منها حسب فلکها ومدارها الى الوجهه الاسلاميه الصحيحه .

٥ - للمدرسة جهود لا تنكر في الاصلاح الاجتماعى فى شتى نواحيه ولها أخطاء وانحرافات ولناخذ ما هو مقبول ولنوسع الحديث فيه ، ونحذر من سواء ونبينه للناس .

٦ - تفسير القرآن بالقرآن والاعراض عن الخوض في المبهمات والتحذير من الاسرائيليات والقول بالشمول فى القرآن الكريم وأنه المصدر الاول للتشريع كلها أسس سليمه فى التفسير فلنقوم هذه الاسس ولنلتزمها ولنحذر من الوقوع في مخالفتها كما وقع بعض رجال المدرسة أنفسهم وهم يدعون اليها . ولا شك أن هذه خطوه جيده للوصول الى الافضل .

٧ - بسط السيره النبويه والاخلاق المحمديه بأسلوب ميسر وسيله ناجحه لنشر المبادئ الاسلاميه بين المسلمين بمختلف طبقاتهم .

ليست هذه فحسب حسنات هذا المنهج الذى سلكه رجال المدرسه العقلية الاجتماعيه فحسب وانما هي مجرد الاشارة . وفى مقابلها جوانب أخرى أحسبها أخطاء يجب تفاديها والتحذير منها وعدم الوقوع فى براثنها فاني - اعتقدها - مهلكه ومنها :-

١ - ما يحيط بعض رجال هذه المدرسه من غموض وشبهات وقد اشترط سلفنا الصالح فيمن يفسر القرآن الكريم بأن يكون معروفا بالصالح والاستقامه وحسن السيره والسلوك وأن لا يكون موضع تهمه .

٢ - أن بعض رجال هذه المدرسه يفتقدون شروطا هامه فى المفسر فبعضهم يجهل السنه ولا يعرف من الاحاديث الا القليل بل وأحيانا

يرد من الاحاديث ما هو متفق على صحته لا لشيء من أصول معرفة

الحديث ودرجته وانما لمخالفته لفهمه الخاطيء

وبعضهم لا يعرف من اللغة ما يمكنه من تقرير المعنى الصحيح للآية

بل ينكر بعضهم اشتراط معرفة اللغة على المفسر .

٣ - أن بعض رجال المدرسة لم يلتزم الاصول التي يدعوا اليها في التفسير

فيظن فيما أبهم في القرآن ويروى بل ويكثر من رواية الاسرائيليات

ويورد من التفسير العلمى ما لم تثبت حقائقه .

٤ - من أخطأ رجال المدرسة أو غالبهم عدم اعتدادهم بالتفسير بالمأثور

وانزاله منزلته بعد القرآن الكريم وهو ولا شك خطأ لا يغتفر تولد منه

انحرافات جسام .

٥ - أما التزامهم لما سموه " الحكم العقلى " فقد أوقفهم في شـراك

انحرافات كثيره فى الوحي . . ومعجزات الانبياء عليهم السلام . .

وغير ذلك كثير .

٦ - أنهم فسروا كثيرا من الآيات تفسيراً تقربوا به الى روح العصر على

حساب الفهم الصحيح لمدلول الآيه كالقول بأصل الانسان والملائكة .

والجن . . والولاده من غير أب . . والحجارة السجيل .

٧ - أولوا القصص فى القرآن - أو بعضهم - تأويلات باطله تشبث بها

بعضهم وصارت سلماً سهلاً له لانكار الصدق فى قصص القرآن الكريم

وقالوا فى المرأة أقوالاً كانت مرقاة لدعاة تحريرها المزعوم . . وقالوا

فى تعدد الزوجات أقوالاً كانت مستند من دعا الى منعه قانوناً .

وبعد

فلا شك - كما أسلفت - أن لهذه المدرسة بل لهذا المنهج مساوئه

وله حسناته منها ما ذكرناه ومنها ما لا يخفى .

وعلينا أن نبين للناس ما لها وما عليها فما يزال في الناس طائفه
ومنهم علماء ؟! اذا ناقشته في قضية أو أمر أجابك بأن هذا قد قاله
فلان من رجال المدرسة يقول هذا بثقة وقوه وكأنه أسنده الى نبي
معصوم وهو يحسب بهذا أنه قد أقام الحجه عليك واذا لم تنقطع في الجدل
بعد هذا الاستدلال نظرا اليك شزرا وكأنك قد أتيت بأمر تكاد الجبال
أن تكون له هدا .

وهذا مما يزيد المصلحين عبثا الى عبثهم فلينزعوا هذا المفهوم
الضال أولا ثم ليثبوا النبت الصالح ثانيا .

وفق الله العاملين المصلحين الذين قالوا ربنا الله
ثم استقاموا .



الجمهورية العربية السورية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم القرآن وعلومه

٢٠١٥ - ٢٠١٤

أبحاث التفسير في القرن الرابع عشر الهجري

رسالة لنيل درجة الدكتوراه

إعداد

فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي

إشراف

الدكتور / مصطفى مسلم محمد

أستاذ مشارك في كلية أصول الدين

(الجزء الثالث)

العام الجامعي

١٤٠٥ هـ - ١٤٠٤ هـ



الباب الرابع

الاتجاه الأدبي في التفسير

تمهيد :

لا أخفي أبدا أنني قد كنت ممن التبت عليهم معالم هذا
الاتجاه في التفسير واختلطت عندهم خطوطه وحدوده

وحتى بعد أن قرأت فيه كثيراً من الكتب بل زادت به بعض هذه
المؤلفات لبسا إلى لبسه وغموضا إلى غموضه. وليس أدلّ على ذلك من
أن بعض المؤلفين ينكرون كل تأليف قديم فيه ويزعمونه اتجاها جديدا
بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى؟! وزعم آخرون أنه قديم قدم التفسير،
زد على هذا اختلافهم في مدلوله وتعريفه و... .

وما زلت أقرأ وأتأمل حتى ظهر لي ما أحسبه الحقيقة وقد ظهرت
لغيري من قبل . وحين تظهر الحقيقة فإنها توجب على صاحبها اظهارها
وإلا كانت حقيقة مكتومة ببوء صاحبها بإثم كتمانها

كنت أعتقد أن الاتجاه الأدبي في التفسير يشمل مناهج ثلاثة :-

أولها : المنهج البياني

ثانيها : المنهج الموضوعي

ثالثها : منهج التذوق الأدبي

كنت أحسبه كذلك فإذا به غير ما ظننت ، وقع الخلط بين أولها
وثانيها ما حدود المنهج البياني وما حدود المنهج الموضوعي
وهل بينهما من صلة أو هما اسمان لمسمى واحد؟!!

وإذا بالحقيقة غير ذلك كله فليست الموضوعية في التفسير منهجا؟!
حتى وإن وصفها كثيرون بذلك ، إذ هي ليست إلا أسلوبا من أساليب
التفسير ووسيلة من وسائله ومركبا من مركبه .

وأساليه محذرة ومعلومة قسمها العلماء إلى

١ - التفسير التحليلي

٢ - التفسير الإجمالي

٣ - التفسير المقارن

٤ - التفسير الموضوعي

أما التفسير التحليلي فهو أن يلتزم المفسر تسلسل النظم القرآني والسير معه سورة سورة وآية آية . وهو النمط الذي سلكه سائر المفسرين القدامى إلا القليل النادر .

وأما التفسير الاجمالي فهو أن يلتزم المفسر تسلسل النظم القرآني أيضا سورة سورة ، إلا أنه يقسم السورة إلى مجموعات من الآيات يتناول كل مجموعة بتفسير معانيها إجمالا ، مبرزاً مقاصدها موضحاً معانيها مظهرها مراميها ، ويجعل بعض "ألفاظ" الآيات رابطاً بين النص وبين تفسيره . فيورد بين الغين والأخرى لفظاً من ألفاظ النص القرآني لاشعار القارئ أو السامع بأنه لم يبعد في تفسيره عن سياق النص القرآني ولم يجانب ألفاظه وعباراته ومشعرها بما انتهى إليه في تفسيره من النص .

وأما التفسير المقارن فهو أن يعتمد المفسر إلى جملة من الآيات في موضع واحد في سورة واحدة ويورد أقوال المفسرين السابقين لها ويوازن بينها ويقارن ، وينقد الضعيف ويؤيد الصحيح .

وأما التفسير الموضوعي فهو أن يلتزم المفسر موضوعاً قرآنياً واحداً يجمع الآيات الواردة فيه ليتناولها بالتفسير مجتمعة ليصل بعد ذلك - حسب جهده - إلى حكم القرآن النهائي في موضوعه الذي يتناوله .

وإذا كانت هذه هي أساليب التفسير في القرآن الكريم وليست مناهجه - بدليل أنه يصح أن يتناول بكل أسلوب منها كل مناهج التفسير فليس

الأسلوب إلا مطية، وليس المنهج إلا طريقا . . للهدف
فيصح أن يسلك بالتفسير التحليلي منهج أهل السنة والجماعة
ويصح أن يسلك به منهج الشيعة بل يصح أن يسلك به الإتجاه العلمي
بمناهجه والعقلي وحتى الالحادي . وكل هذه الاتجاهات موجودة في تفاسير
العلماء السابقين . وهي من هذا الاسلوب في التفسير وكذا التفسير
الاجمالي والمقارن .

ويصح أن يسلك بالتفسير الموضوعي الإتجاه العقدي فيكتب عن
" آيات الإيمان بالله " وعن " آيات الإيمان بالكتب " وعن " آيات الإيمان
بالملائكة " وعن " آيات الإيمان بالرسول " وعن " آيات الإيمان بالآخرة "
وعن " آيات الحجة على المشركين بالله " ^(١) وعن " قضايا
العقيدة في ضوء سورة ق " ^(٢) وعن " سورة الواقعة ومنهجها
في العقائد " ^(٣) وعن " تصور الألوهية كما تعرضه سورة الأنعام " ^(٤)
وعن صراع المذهب والعقيدة في القرآن " ^(٥) وعن المصطلحات
الأربعة في القرآن الإله الرب العبادة الدين " ^(٦) وعن " مع
الإيمان في رحاب القرآن " ^(٧) وعن " الأنبياء في القرآن " ^(٨) وعن
" النبوة والأنبياء في ضوء القرآن الكريم " ^(٩) وعن " رسول الله في
القرآن الكريم " ^(١٠) وعن " نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن " ^(١١)

(١) وكلها مؤلفات للأستاذ عبد المنعم أحمد تعيلب

(٢) للأستاذ كمال محمد عيسى

(٣) للأستاذ محمود محمد غريب

(٤) للأستاذ ابراهيم الكيلاني

(٥) للأستاذ عبد الكريم غلاب

(٦) للأستاذ أبو الأعلى المودودي

(٧) للأستاذ محمد محمد خليفة

(٨) للأستاذ سعد صادق محمد

(٩) للأستاذ أبو الحسن الندوي

(١٠) للأستاذ حسن المظاوي

(١١) للأستاذ حسن ضياء الدين عتر

وعن " اليهود في القرآن الكريم" ^(١) وعن " المسيح في القرآن" ^(٢)
وعن " بنو اسرائيل في القرآن" ^(٣) وعن " رحلة الآخرة في
القرآن الكريم" ^(٤) وعن " القرآن والشيطان" ^(٥) وعن " أفعال العباد
في القرآن الكريم" ^(٦)

وكل هذا تفسير موضوعي وكله من المنهج العقدي في التفسير

ويصح أن يسلك بالتفسير الموضوعي الإتجاه العلمي بمنهجه
الفقهي ، والعلمي التجريبي ، أما الفقهي . فكله لا أستثنى منه شيئاً
من التفسير الموضوعي ذلكم أن صاحبه يتجه إلى آيات الأحكام في
القرآن الكريم فيفرد ها بالحدِيث ويقتصر عليها بالتفسير والبيان وهذا
أسس التفسير الموضوعي . وقد يقتصر على موضوع واحد فقهي

فيفسر الآيات التي تناولته فيكتب مثلاً عن " آيات الجهاد في القرآن
الكريم" ^(٧) وعن " المال في القرآن" ^(٨) وعن " أحكام الحجاب في القرآن" ^(٩)
وعن " تفسير آيات الربا" ^(١٠) وكلها تفسير موضوعي من المنهج
الفقهي .

ويصح أن يسلك بالتفسير الموضوعي الإتجاه العلمي بمنهجه العلمي
التجريبي فيتناول بالتفسير الآيات العلمية عامة وأطائفة معينة ذات موضوع

-
- (١) للأستاذ محمد عزة دروزه
 - (٢) للأستاذ عبد الكريم الخطيب
 - (٣) للأستاذ السيد رزق الطويل
 - (٤) للأستاذ عبد العزيز خطاب
 - (٥) للأستاذ فارس محمد ثابت
 - (٦) للأستاذ محمد المجذوب
 - (٧) للأستاذ كامل سلامة الدقوس
 - (٨) للأستاذ محمود غريب
 - (٩) للأستاذ أمين أحسن الإصلاح
 - (١٠) للأستاذ سيد قطب
-

واحد منها فيكتب في علم الفلك مثلا " ما دل عليه القرآن مما يعضد
الهيئة الجديدة " (١) أو التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن " (٢)
أو تفسير الآيات الكونية " (٣) وفي علم الطب مثلا " القرآن والطب " (٤)
أو " مع الطب في القرآن الكريم " (٥) وغير ذلك من العلوم التجريبيية
وكل هذا تفسير موضوعي من المنهج العلمي التجريبي .

ويصح أن يسلك بالتفسير الموضوعي الإتجاه الاجتماعي فيكتب عن " دستور
الأخلاق في القرآن " (٦) وعن " المجتمع الإسلامي كما تنظمه سورة النساء " (٧)
وعن " الفلسفة التربوية في القرآن " (٨) وعن " التربية في كتاب الله " (٩)
وعن " الأمة الإسلامية كما يريد ها القرآن " (١٠) وعن " القرآن
والمبادئ الإنسانية " (١١) وعن " وصايا لقمان في القرآن " (١٢)
الكريم " وعن " فقه الكلمة ومسئوليتها في القرآن والسنة " (١٣) وعن " منزلة
الأم في القرآن الكريم " (١٤) وعن " الأم في القرآن الكريم " وعن " المرأة
من خلال الآيات القرآنية " (١٦) وعن القرآن والمرأة " (١٧) وعن
" القرآن والمجتمع " (١٨) وعن " منهج القرآن في تطوير المجتمع " (١٨) وكل

-
- (١) للأستاذ محمود شكري الألوسي
 - (٢) للأستاذ حنفي أحمد
 - (٣) للأستاذ عبد الله شحاتة
 - (٤) للأستاذ محمد وصفي
 - (٥) للأستاذين عبد الحميد دياب وأحمد قرقوز
 - (٦) للأستاذ محمد عبد الله دراز
 - (٧) للأستاذ محمد محمد المدني
 - (٨) للأستاذ محمد فاضل الجمالي
 - (٩) للأستاذ محمود عبد الوهاب
 - (١٠) للأستاذ محمد الصادق عرجون
 - (١١) للأستاذ محمد عبد الله السمان
 - (١٢) للأستاذ محمد محمود مصطفى عمير
 - (١٣) للأستاذ محمد عبد الرحمن عوض
 - (١٤) للأستاذ عبد المعز خطاب
 - (١٥) للأستاذ أحمد عبد الهادي
 - (١٦) للأستاذ عصمة الدين كركر
 - (١٧) للأستاذ محمود شلتوت
 - (١٨) للأستاذ محمد البهي

هذا تفسير موضوعي من منهج الإصلاح الإجتماعي
فهل يصح أن تسلك هذه المؤلفات كلها على مختلف مواضعها
واتجاهاتها في منهج واحد من مناهج التفسير؟ لا أحسب
هذا يقبله ذو علم

فلا شك إذاً أن التفسير الموضوعي ليس منهجاً مستقلاً عما سواه
من المناهج بل لا يصح أن يوصف بالمنهجية وشأنه كذلك . فهو ليس إلا
وسيلة من وسائل التفسير يتناول بواسطته كل المناهج التفسيرية .
ولذا فلا يصح أن يعد منهجاً وإنما هو أسلوب من أساليب التفسير ،
وحيث ينحسر هذا الجزء من المناهج الثلاثة التي حسبها تُكوّن الإتجاه
الأدبي في التفسير ويبقى المنهجان : -

١ - المنهج البياني

٢ - منهج التذوق الأدبي

يزول اللبس وتظهر المعالم وتنجلي الحقيقة . ولست أزم لنفسي
كشفها ، ولست ممن يضع في إحدى أذنيه قطناً وفي الأخرى عجيناً
- كما يقولون - فلا يسمع رأياً ولا يقبل قولاً وقد يكشف له حقائق كانت
عن بصره مستورة أو يجلو غشاوة في بصره كانت تعميّه ، وما زلت أطلب
الحقيقة فهي ضالتي واحسبني - والحمد لله - قد وصلت إليها .

وعلى هذا فسأقتصر في حديثي عن هذا الإتجاه على المنهجين

السابقين

١ - المنهج البياني

٢ - منهج التذوق الأدبي

الباب الرابع
الإتجاه الأدبي في التفسير
الفصل الأول
المنهج البياني في التفسير

في أمة كانت تقيم للشعر أسواقا وللخطابة ندوات وتعد الشعر ديوانا
وسجلا للمفاخر نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين .

كانت أمة تمسك بزمام البلاغة والفصاحة لا تجارى عرفت بحسن الأداء
وجمال المنطق وسلاسة التعبير وما يزال الناس بعد أربعة عشر قرنا
من الزمان يرددون قصائد هم ويحفظون خطبهم وهم يعدونها مثالا
للبلابة والفصاحة فقد نزل عليهم القرآن الكريم وهم في ذروة من
البلاغة وقمه من الفصاحة فكانوا ملوكها وأساطينها .

وأشد ما تكون المعجزة إعجازا إذا نزلت في قوم برعوا في موضوعها
وقد كانت معجزة القرآن الكريم كذلك .

وعلى قدر قوة هذه المعجزة كانت الصدمة للقوم - بعد عجزهم -
قوية فمنهم من بادر من فوره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مدعنا
مسلمًا ، ومنهم من عاند واستكبر ولم يع ما يقول قال وقالوا شعر وقال
وقالوا سحر وقال وقالوا كهانه وهو وهم يعرفون أنه ليس بهذا ولا
بذلك .

وكما طوعت لهم أنفسهم أن يقولوا بهذا - يخذعون أنفسهم - طوعت
لهم أن يقولوا - " إنما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ " (١) ولم يكونوا صادقين وإنما كانوا
يلتمسون لأنفسهم عذرا بعجزهم عن مجاراته ويدروءن عن أنفسهم معرفة
الإفحام فأخطأوا السبيل وهم لا يعون لهول الصدمة لم يجعلوا هذا
البشر المزعوم منهم فهم يعرفون قصورهم عن ذلك هذا القول فتنبهوه
إلى رجل هل تدرون من هو؟ ! إذاً ستسخرون!! لرجل كان حدادا
منهمكاً في مطرقته وسندانه عامي الفؤاد لا يعلم الكتاب الا أمانى

(١) سورة النحل : الآيه ١٠٣

أعجمي اللسان لا تعد و قرآءته أن تكون رطانة لا يعرفها محمد صلى
الله عليه وسلم ولا أحد من قومه . ولكن ذلك كله لم يكن ليحول بينه
وبين لقب " الأستاذيه " الذي منحوه إياه على رغم أنف الحاسدين . ! هكذا
ضاقت بهم دائرة الجد فما وسعهم إلا فضاء الهزل وهكذا مضوا في
هزلهم حتى خرجوا عن وقار العقل فكان مثلهم كمثل من يقول إن العلم
يستقى من الجهل وإن الإنسان يتعلم كلامه من البيغاء ! وكفى
بهذا هزيمة وفضيحة لقائله (لسانُ الذي يُلحدون إليه أعجميٌّ وهذا
لسان عربي مبين . (١) (٢)

ومع هذا فإننا نسمع حيناً في دياجير الظلام أصواتاً لم تستطع أن
تخرق طبقات الحق إلى ظلمة الباطل فلا تجد إلا الاعتراف والإذعان
فتقول : " والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن
أعلاه لمثمر وما يقول هذا يشـر . " لكنها لا تلبث وقد طغى عليها
العنادُ إلا أن تعود إلى ضلالها فتزعم الباطلَ كرة أخرى .

والإعترافات عديدة والعناد كثير لذا فلم يكلف رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن " يهدي من أحب " ومن لم يحب أيضاً إلى الإيمان وإنما كُلفَ
بأن يُسمع المشركين كلامَ الله " وإن أحد من المشركين استجارك فأجره
حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ، ذلك بأنهم قوم لا يعلمون " (٣) لم
يكلف بما بعد الإسماع لأن المانع بعده ليس " الإقناع " فقد حملته الآيات
وإنما هو العناد والعناد لا تنفع معه الحجة والبرهان ، وإذا لم يكن
نمَّ عـُـاد فقد حدثنا القرآن عن قوم " إذا تتلى عليهم آيات الرحمن

(١) سورة النحل : الآيه ١٠٣

(٢) النبأ العظيم : د / محمد عبد الله د راز ص ٦٤

(٣) سورة التوبة : الآيه ٦



خسروا سجداً وبكياً" (١)

وهذا أمر رضي الله عنه وهو من هو يقع في أسر البيان القرآني في وقت كان الشرر يتطاير من عينيه حين علم بإسلام أخته فذهب ليفتك بها فإذا به يقع في أسر بيان آيات من سورة طه لا يملك معها إلا الإذعان والإيمان - حيث لا عناد -

وهذا جبير بن مطعم رضي الله عنه يقع في أسر البيان القرآني حين سمع من فم الرسول صلى الله عليه وسلم قوله تعالى " أم خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ " (٢) حتى إعترف " كاد قلبي أن يطير " وآمن " وذلك أول ما قرأ الإسلام في قلبي " (٣) لأنه لم يكن ثم عناد .

ومما يؤء كد تأصل العناد في قلوب المشركين ضربهم الحصار حول القرآن الكريم حتى لا يسمعه - سماعاً - القادمون في موسم الحج ومع هذا فقد فتح مصعب بن عمير رضي الله عنه يثرب بآيات من القرآن مكث فيها يقرأ القرآن على أهلها فأمنوا ودعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الهجرة إليهم حتى قيل " فتحت الامصار بالسيوف وفتحت المدينة بالقرآن " (٤) وهل هناك من سلاح أقوى من سلاح البيان القرآني ؟ !

ليس الجديد في القرآن لغته لكن من الجديد فيه أنه أمة وحده في البلاغة العربية (وأنه في كل شأن يتناوله يختار له أشرف المواد وأمسها رحماً بالمعنى المراد وأجمعها للشوارد وأقبلها للامتزاج ويضع كل مقال ذرة في موضعها الذي هو أحق بها وهي أحق به بحيث لا يجد المعنى في لفظه إلا مرآته الناصعة وصورته الكاملة ولا يجد اللفظ في معناه إلا وطنه الأمين وقراره المكين . لا يوماً أو بعض

(١) سورة مريم : الآية ٥٨

(٢) سورة الطور : الآية ٣٥

(٣) الإتقان في علوم القرآن : السيوطي ج٢ ص ١٢٣

(٤) بيان إعجاز القرآن : لأبي سليمان الخطابي : ص : ٦٥

يوم بل على أن تذهب العصور وتجيء العصور فلا المكان يريد بساكنه
بدلاً . ولا الساكن يبغى عن منزله حِولاً . . . وعلى الجملة يجيئك من
هذا الأسلوب بما هو المثل الأعلى في صناعة البيان " (١)

خلاصة الأمر أن هذا البيان القرآني يجمع أموراً جمعتها النظم
الفريد العجيب الحسن المخالف لأساليب العرب ، والصور البيانية التي
تؤلف أبداع تأليف بين أفصح الألفاظ الجزلة وأصح المعاني الحسنة" (٢)

هذه الأمور هي التي اتجهت إليها همة طائفة من المفسرين وألوهها
اهتماماً وإتسعت الدراسات حولها وكثرت ولكن كان للعصر الحديث منها
نصيب كبير فإن جذورها تمتد إلى عصر نزول القرآن الكريم

وقد حسب بعض المؤرخين للمنهج البياني في التفسير خصوصاً صدر
الاسلام منه وتجاوزه إلى ما بعده حين ظهرت المصطلحات البلاغية في صدر
العصر العباسي وهم يحسبون أن معرفة البيان القرآني فرع عن
معرفة (المصطلحات البلاغية) وفاتهم أن قوم الفطرة قد درسوا القرآن
دراسة من يعرف مناحي البيان وإن فاتهم معرفة مصطلحاته التي ظهرت
من بعدهم فهم يعرفون مناحي الإيجاز والإطناب ومواضع الحقيقة
والمجاز وقد كفانا الجاحظ مؤنة الرد على من أنكرك ذلك فقال " فإن
زعم زاعم أنه لم يكن في كلامهم تفاضل ولا بينهم في ذلك تفاوت فلم يذكر
وا العي والبكى ، والحصر والمفحم ، والخطل ، والمسهب والمتشقق والمتفقق
والهّماز والثّرثار والمكثار والمهماز؟ ولم ذكروا الهجر والهذر والهذيان
والتخليط؟ وقالوا رجل تلفة وتلهاعة وفلان يتلهيع في خطبته . وقالوا
فلان يخطىء في جوابه ، ويحيل في كلامه ، ويناقض في خبره ولولا أن هذه

(١) النبأ العظيم : الدكتور محمد عبد الله دراز ص ٩٢

(٢) بيان اعجاز القرآن لأبي سليمان الخطابي ص ٦٥

الأمر قد كانت تكون في بعضهم دون بعض لما سمي ذلك البعض والبعض الآخر بهذه الأسماء " (١)

ولا شك أن هذه الأوصاف والمسميات التي ذكرها الجاحظ ترسم الجو البلاغي الذي تنفست فيه المعاني البليغة قبل أن ترسمها المصطلحات البلاغية المحدثثة وفي ذلك ما يدفنا إلى تلمس الأصول الأولى للتفسير البليغ للقرآن الكريم لدى الأوائل من سامعيه (٢)

وإذا ما فعلنا ذلك فإننا سنجد في تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم جملة من ذلك نذكر لها مثالا ببيان عليه الصلاة والسلام للخيط الأبيض والخيط الأسود في قوله تعالى " وكلوا أشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر " ببياض النهار وسواد الليل (٣) منتقلا بالمعنى من الحقيقة إلى المجاز .

وفي تفسير الصحابة رضوان الله عليهم نجد جذور ويزور التفسير البليغ للقرآن الكريم وأشهر من عرف عنه هذا اللون من التفسير حبر هذه الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما . ولذا فقد جرى بعض المؤرخين للتفسير على إعتبار ابن عباس رضي الله عنهما صاحب البرأى الخاص بتفسير القرآن تفسيراً لغوياً يرجع فيه إلى شعر العرب لمعرفة ما قد يغمض من الألفاظ والتراكيب . (٤)

وتاريخ التفسير يحدثنا مرارا عن لقاء نافع بن الأزرق بابن عباس رضي الله عنهما فيقول : بينا عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن فقال نافع بن الأزرق

-
- (١) البيان والتبيين : الجاحظ ج ١ ص ٩٠ - ٩١
(٢) انظر خطوات التفسير البليغ للقرآن الكريم : د / محمد رجب البيومي ص ١٢
(٣) صحيح البخارى ج ٥ ص ١٥٦ كتاب التفسير
(٤) خطوات التفسير البليغ : محمد رجب البيومي ص ١٤

لنجدة بن عويمر قم بنا إلى هذا الذي يجترى على تفسير القرآن بما لا علم له به فقاما إليه فقالا إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا وتأتينا بمصادقه من كلام العرب فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان . . . عربي مبین فقال ابن عباس سلاني عما بدا لكما" (١) فسأله نافع عن أكثر من مئة وثمان وثمانين مسأله أوردها السيوطي رحمه الله تعالى في الإتيان" (٢)

وإيراد السيوطي لهذه المسائل تحت عنوان " ما ينبغي للمفسر من معرفة باللغة" (٣) وتمهيد له بالمروي عن ابن عباس رضي الله عنهما " إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب وأن ابن عباس كان يُسأل عن القرآن فينشد فيه الشعر قال ابو عبيد يعني كان يستشهد به على التفسير" (٤) يلفتنا الى أن العناية بها اتجهت إلى الجانب الأدبي من حيث هي شاهد ودليل لمن يحتجون لقيمة الشعر على من قالوا بكرهته في الاسلام ولذا فلاعجب أن رأينا مسائل نافع بن الأزرق موضع عناية من علماء اللغة والأدب أكثر من اصحاب التفسير (٥)

(١) الإتيان في علوم القرآن : السيوطي ج ١ ص ١٢٠

(٢) انظر الإتيان : ص ١٢٠ الى ١٣٣ ج ١

(٣) الإتيان : ج ١ ص ١١٤

(٤) الإتيان : السيوطي ج ١ ص ١١٩ - ١٢٠

(٥) الاعجاز البياني للقرآن : بنت الشاطي

وليس ابن عباس رضي الله عنهما بالوحيد^(١) بينهما رضي
الله عنهم فقد شاركه في هذا جملة من الصحابة رضي الله عنهم
لكنه من أولهم وأشهرهم فذكرناه واقتصرنا عليه .
وقد ورث عن ابن عباس رضي الله عنهما تفسيره طائفة
من تلاميذه بما فيه من جذور التفسير البياني فجاء تفسير مجاهد
متأثرا بهذا اللون من التفسير وقد ذكر الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي
رحمه الله تعالى جملة من هذا وذاك في كتابه " معجم غريب القرآن "

(١) هذا لا يعني صحة نسبة هذه الأسئلة من نافع لابن عباس رضي
الله عنهم - كلها فلا شك أنه يصعب الإقتناع بأن مثل
نافع يسأل مثل هذه الأسئلة فلوجاز له أن يسأل مثلاً
عن " رثيا " " تتبيب " " حميم آن " وغيرها فإنه لا يصح -
أن يسأل - وهو من هوفى معرفة اللغة - عن
" عذاب أليم " " أطعموا البائس " " إضربوا كل بنان " وغيرها فكان
هذا ونحوه لا يعوض فهمه على مثل نافع ، زد على
هذا، أن الرواية تحكى إستشهاد ابن عباس بشعر بن أبي
ربيعه ، والحارث والمخزومي وغيرها ممن جاء بعد انتشار
الفاظ القرآن فلا يعقل أن يقتنع نافع بشعرهم ونحو هذا استدلاله
بشعر حسان رضي الله عنه وأميه بن أبي الصلت وعبد الله
بن رواحه رضي الله عنه وهم لا شك درسوا القرآن
وتأثروا بأسلوبه وعباراته فاقتبسوا منه في أشعارهم فلا
يستدل بنحو ذلك ، وإنما الحجة في نحو هذا لشعراء
العربية قبل انتشار آيات القرآن وتداولها بين الناس
لكن هذا كله - احتياط - لا يمنعنا من التسليم بجوهـر
المسألة أعني رجوع ابن عباس إلى الشعر العربي في التفسير
ولا يمنع أن يكون نافع سأل عن بعض هذه الأسئلة وزاد عليها
من بعده الرواة ما زادوا ويبقى ما بقي وهو كثير حجة على ما
أردنا إثباته من ثبوت جذور التفسير البياني لدى ابن عباس رضي الله
عنهما ، وقد اقتبست هذا الاحتياط العلمي من الدكتور محمد
رجب البيومي في كتابه خطوات التفسير البياني ص ١٨ - ١٩

كل هذا كان قبل عصر التدوين . ولعل هذه الخاصة فيه هي التي جعلت كثيرا من المؤرخين يتجاوزون هذه المرحلة ويعرضون عنها مبتدئين تاريخهم للتفسير البياني ببداية عصر التدوين

وأول ما يصادفنا في هذا العصر - عصر التدوين - كتاب " مجاز القرآن " لابي عبيدة معمر بن المثنى رحمه الله تعالى المتوفى سنة ٢١٠ . وينبغي أن أذكر هنا ما ذكره ابن تيمية رحمه الله تعالى عن المراد بالمجاز هنا حيث قال " أول من عرف أنه تكلم بلفظ المجاز أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه ولكن لم يعن بالمجاز ما هو قسم الحقيقة وإنما عنى بمجاز الآية ما يعبر به عن الآية" (١)

وذلك أنه حين يتعرض للنصوص القرآنية يشير إلى ما تدل عليه من حقيقة أو مثل أو تشبيه أو كناية وما يتضمن من ذكر أو حذف أو تقديس أو تأخير فوضع بذلك اللبنة الأولى في صرح الدراسات البلاغية للقرآن الكريم ، وقد يكون في ذلك بعض التجوز في التحديد ولكنه منهج مبدئي وله بذلك موضعه من التقدير (٢)

وجاء من بعده سيل من المؤلفين في هذا المضمار فألف الفراء كتابه معاني القرآن ومع أن الفراء هذا يقول " لو حُمِلَ إِلَى أبوعبيدة لضربته عشرين في كتاب المجاز" (٣) فإن كتابه المعاني جاء على نفس طريقه أبي عبيدة وإن غلب النحو على منهجه ودراسته الكتابين توحى بإتحاد المنحى لدى الرجلين في البدء بتفسير الآيات حسب ترتيبها في المصحف

(١) مجموع الفتاوى ابن تيمية جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم ج٧ ص ٨٨ وانظر ج ١٢ ص ٢٧٧

(٢) خطوات المنهج البياني : د / محمد رجب البيومي ص ٤٦

(٣) معجم الأدباء : ياقوت الحموي ج٩ ص ١٥٩

وأتبعه في إيراد المسائل البيانية من كناية وتشبيه ومثل واستعارة ومجاز^(١) واتبعه كظله في تذييل تفسيره بذكر الحديث والأمثلة الشعرية والنثرية لبيان المعنى وتوضيحه ولا يفوته أحيانا أن يورد بعض المأثور عن الصحابة والتابعين^(٢)

وجاء من بعدهم الجاحظ ت (٢٢٥) فألف كتابه " نظم القرآن " وهو كتاب مفقود لكن كتب الجاحظ نفسه والدارسين ممن بعده لا تخلو من الإشارات إليه وبيان غرضه وابن قتيبة ت (٢٧٦) ألف كتابه تأويل " مشكل القرآن " رد فيه على الطاعنين في بلاغته ، والجاحظ خطيب المعتزلة وابن قتيبة خطيب أهل السنة كما يقولون^(٣)

ودخل القرن الرابع الهجري الذي اختار أصحابه لهذا اللون ممن التفسير عنوان إعجاز القرآن^(٤) فألف فيه من أهله أبو الحسن علي بن عيسى الرماني ت (٣٨٦) كتابه " النكت في إعجاز القرآن " وألف أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي ت (٣٨٨) " بيان اعجاز القرآن "

وفي هذا القرن أيضا ألف قاضي المعتزلة أبو الحسن عبد الجبار الهمداني ت (٣١٥) كتابه (المعني في أبواب التوحيد والعدل) خصص إعجاز القرآن بجزء منه مستقل

ومن أهل هذا القرن أيضا أبو بكر الباقلاني ت ٤٠٣ وقد ألف كتاب " إعجاز القرآن "

-
- (١) خطوات التفسير البياني : د / محمد رجب البيومي ص ٥٩
 - (٢) إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق : د حفي شرف ص ٢٠
 - (٣) خطوات التفسير البياني : د / محمد رجب البيومي ص ٩٢
 - (٤) الاعجاز البياني للقرآن : د / عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطي) ص ١٨

وجاء القرن الخامس واظهر ما فيه وأشهر كتاب عبد القاهر الجرجاني
ت ٤٧١ " دلائل الإعجاز " ورسالته التي سماها " الرسالة الشافية " في إعجاز القرآن الكريم

وجاء القرن السادس وما أدراك ما القرن السادس أَلَّف فيه أبو القاسم
محمود بن عمر الزمخشري ت (٥٣٨) كتابه تفسير الكشاف وحسبك —
في هذا اللون من التفسير

وفي أواخر هذا القرن أَلَّف فخر الدين الرازي ت (٦٠٦) رسالته
" نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز "

وفي القرن السابع وضع أبو الأصبغ المصري ت ٦٥٤ كتابه " بديع القرآن "
وكتابه " الخواطر السوانح في أسرار الفواتح "

وفي القرن الثامن وضع الامام يحيى بن حمزة العلوي ت (٧٤٩) كتابه
" الطراز " أملاه على أصحابه بعد أن قرأوا تفسير الكشاف فطلبوا منه
أن يملئ عليهم في إعجاز القرآن كتابا فأمله عليهم

وفي القرن التاسع أَلَّف برهان الدين بن عمر البقاعي ت (٨٨٥) كتابه
" نظم الدرر في تناسب الآيات والسور "

وفي أواخر هذا القرن وأوائل القرن العاشر جاء الامام جلال الدين
السيوطي ت (٩١١) صاحب المؤلفات والمصنفات في هذا الموضوع وغيره
ومنها كتابه " تناسق الدرر في تناسب السور " وغيره كثير

ولا أعرف كتابا أو تفسيراً من هذا اللون في القرنين الحادي
عشر والثاني عشر أما القرن الثالث عشر فقد أَلَّف فيه شهاب الدين
السيد محمود الألوسي ت ١٢١٧ تفسيره " روح المعاني " حتى
عده بعض المعاصرين " إمتداداً لتفسير الكشاف للزمخشري في الاهتمام

بالمسائل البلاغية والنحوية" (١)

) هذه إشارة سريعة لم أقصد بها إستيفاء ولا شمولاً ولا إستقصاءً وإنما قصدت الإشارة إلى وجود الدراسات البيانية للقرآن الكريم عند الأقدمين وتسلسلها عبر القرون واتصالها بعضها ببعض من عصر نزول القرآن الكريم إلى القرن الرابع عشر الهجري

ولم أضرب الأمثلة إذ أن ضرب المثال في مثل هذا المقام يوجب إستيفاء جوانبه الفكرية ولو فعلت هذا وذاك لكان في كتاب ضخم وقد كفاني مؤنة ذلك أستاذان فاضلان تتبعا خطوات التفسير البياني حتى العصر الحديث هما الدكتور محمد رجب البيومي في خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم ، والدكتور حفني محمد شرف في كتابه "إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق"

ولعلي بعد هذا أجد مبرراً للولوج إلى ميدان القرن الرابع عشر الهجري حيث أسمع جلية لعلّي آتيكم منها بخبر

تطور التفسير البياني :

أشرقت شمس القرن الرابع عشر الهجري و طوقت بإشعتها الذهبية منارات الأزهر الشريف وفي ظلها وتحت فيئها يجلس عالم يلبس عمامة الأزهر وجلبابه وحوله عدد من تلا ميذه جثياً يطلبون العلم والمعرفة

ذلكم الشيخ محمد عبده يقرر لتلاميذه في بداية درسه القرآن الكريم الأمور التي يجب أن يلتزمها المفسر فتسارق النظر إلى أوراق تلميذه السيد رشيد رضا تستدرك ما فاتك من الدرس فتقرأ فيها :-

(١) إعجاز المرأة البياني، د/ حفني محمد شرف، ص: ٢٠٢

" للفسير مراتب : أدناها : - أن يبين بالإجمال ما يشرب القلب
عظمة الله وتنزيهه ، ويصرف النفس عن الشر ويجذبها إلى الخير
وهذه هي التي قلنا أنها متيسره لكل أحد " ولقد يسرنا
القرآن للذكر فهل من مُدّكر " (١)

وأما المرتبة العليا فهي لا تتم إلا بأمور : -

(أحدها) فهم حقائق الألفاظ المفردة التي أودعها القرآن -
بحيث يحقق المفسر ذلك من استعمالات أهل اللغة ، غير مكتف بقول
فلان وفهم فلان ، فإن كثيرا من الألفاظ كانت تستعمل في زمن التنزيل
لمعان ثم غلبت على غيرها بعد ذلك بزمن قريب أو بعيد
إلى أن قال . . . يجب على من يريد الفهم الصحيح أن يتتبع
الإصطلاحات التي حدثت في الملة ، ليفرق بينها وبين ما ورد في الكتاب
فكثيرا ما يفسر المفسرون كلمات القرآن بالإصطلاحات التي حدثت
في الملة بعد القرون الثلاثة الأولى ، فعلى المدقق أن يفسر القرآن
بحسب المعاني التي كانت مستعملة في عصر نزوله ، والأحسن أن يفهم
اللفظ من القرآن نفسه بأن يجمع ما تكرر في مواضع منه ، وينظر فيه ،
فربما إستعمل بمعان مختلفة كلفظ الهداية . . . ويحقق كيف يتفق معناه
مع جملة معنى الآيه فيعرف المعنى المطلوب من بين معانيه ، وقد قالوا
أن القرآن يفسر بعضه ببعض ، وأن أفضل قرينة تقوم على حقيقة
معنى اللفظ : موافقته لما سبق له من القول وإتفاقه مع جملة المعنى
وائتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملته .

(ثانيها) : الأساليب فينبغي أن يكون عنده من علمها ما يفهم به هذه

الأساليب الرفيعة . وذلك يحصل بممارسة الكلام البليغ ومزاولته مع التفتن

(١) سورة القمر الآيه : ١٧

لنكته ومحاسنه والعناية بالوقوف على مراد المتكلم منه نعم أننا لا نتسامى إلى فهم مراد الله تعالى كله على وجه الكمال والتمام، ولكن يمكننا فهم ما نهتدي به بقدر الطاقة ويحتاج في هذا إلى الإعراب وعلم الأساليب (المعاني والبيان) ولكن مجرد العلم بهذه الفنون وفهم مسائلها وحفظ أحكامها لا يفيد المطلوب . . .

(ثالثها) علم أحوال البشر

(رابعها) العلم بوجه هداية البشر كلهم بالقرآن . فيجب على المفسر القائم بهذا الفرض الكفائي : أن يعلم ما كان عليه الناس في عصر النبوة من العرب وغيرهم لأن القرآن ينادي بأن الناس كلهم كانوا في شقاء وضلال ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم بعث به لهدايتهم وإسعادهم وكيف يفهم المفسر ما قبّحته الآيات من عوائدهم على وجه الحقيقة أو ما يقرب منها إذا لم يكن عارفا بأحوالهم وما كانوا عليه ؟

(خامسها) العلم بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وما كانوا عليه من علم وعمل وتصرف في الشؤون دنيويها وأخرويها^(١)

ونجد أيضا تلميذه السيد رشيد رضا ينقل عن أستاذه في موضع آخر قوله " لا يتعظ الانسان بالقرآن فتطمئن نفسه بوعدده وتخشع لوعيده إلا اذا عرف معانيه وذاق حلاوة أساليبه . ولا يأتي هذا إلا بمزاولة الكلام العربي البليغ مع النظر في بعض النحو ، كنحو ابن هشام وبعض فنون البلاغة كبلاغة عبد القاهر وبعد ذلك يكون له ذوق فسي فهم اللغة يوء هله لفهم القرآن " (٢)

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٢١ - ٢٤ باختصار

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ١٨٢

وبهذا يتضح سبب تفضيل الأستاذ الإمام محمد عبده تفسير الكشاف حين سأله تلميذه رشيد رضا " أي التفسير أنفع لطلبة العلم؟ قال الكشاف. قلت :- ولكن فيه كثيرا من نزعات الاعتزال . قال :- تلك مسائل معروفة لا تخفى على طالب التفسير الواقف على أقوال الفسوق ومذاهب السنة فيها . وإنما فضله لدقته في تحديد المعاني ونكت البلاغ بالعبارة الدقيقة المختصرة" (١)

هذه بعض النصوص الكثيرة التي جاءت في تفسير المنار أحسبها نواة التفسير البياني للقرآن الكريم والأستاذ الإمام وان خط لنا أهم قواعد هذا المنهج إلا أنه كما يقول الدكتور كامل سعفان . لم يلتزمه فقد غلبه طابع الإصلاح الاجتماعي (٢)

وحيث ننفي الالتزام فإننا لا ننكر أنها وضعت بذور هذا الاتجاه في العصر الحديث ولكن جهودهم - كما يقول الدكتور عفت الشرقاوي لم تعد اللمحات العابرة التي تكشف عن نكتة بلاغية خفية، أو لمحة بيانية ذكية، فهي لم تكن تؤلف في جملتها منها أديبا واضحا يمكن أن ينسب إليها" (٣)

وحتى لا أغبط الرجل حقه وحتى لا أنكر جهده أذكر أمثله للتفسير البياني عنده تظهر جليا بذور هذا المنهج

خذ مثلا تفسيره لقوله تعالى " والفجر وليال عشر" (٤) تراه يقول " كثر خلاف المفسرين والرواة في معنى كل من الفجر وليال عشر إلى آخر ما أقسم به . وقد يفسر الواحد منهم الفجر بمعنى ، ثم يأتي في

(١) تاريخ الأستاذ الإمام : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٣٩٠
(٢) المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم : د / كامل علي سعفان ص ٤٣
(٣) الفكر الديني في مواجهة العصر : د / عفت محمد الشرقاوي ص ٣٠٢
(٤) سورة الفجر: الآيتين ١ ، ٢

الليالى العشر بما لا يلائمه وغالب ذلك يجرى على خلاف ما عودتنا
الله فى نسق كتابه الكريم . وقد جرت سنة الكتاب بأنه اذا أريد
تعيين يوم أو وقت ذكره بعينه . كيوم القيامة فى لا أقسم بيوم القيامة
وكاليوم الموعود فى سورة والسماء ذات البروج ، وكليمة القدر فى
سورتها فإذا أطلق الزمن ولم يقيد كان المراد ما يعمه معنى
الاسم ، كما سبق فى قوله " والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس^(١)
فالفجر هنا - على هذا - هو جنس ذلك الوقت المعروف الذى يظهر
فيه بياض النهار فى جلد الليل الأسود . وينبعث الضياء لمطاردة
الظلام ، وهو وقت تنفس الصبح ، وهو معهود فى كل يوم فصح أن يعرف
بالألف واللام والمراد - والله أعلم - من ليال عشر يتشابه حالها
مع حال الفجر ، وهى ما يكون ضوء القمر فيها مطاردا لظلام الليل
الى أن تغلبه الظلمة فكأنه وضع التناسب على شىء من التقابل ، فضوء
الصبح يهزم ظلمة الليل ثم يسطع النهار ولا يزال الضوء الى الليل .
وضوء الأهل فى عشر ليال من أول كل شهر يشق الظلام ثم لا يزال
الظلام يغالبه الى أن يغلبه فيسدل على الكون حجبه "^(٢)

ومثلا آخر فى تفسيره لقوله تعالى " فان مع العسر يسرا ان مع
العسر يسرا "^(٣) يقول :- "أل فى العسر للاستغراق ولكنه استغراق
المعهود عند المخاطبين من أفراد أو أنواعه . فهو العسر الذى
يعرض من الفقر والضعف وجهل الصديق وقوة العدو وقله الوسائل
الى المطلوب ونحو ذلك مما هو معهود ومعروف فهذه الأنواع من

(١) سورة التكويد : الآيتين ١٧ ، ١٨

(٢) تفسير جزء عم : الشيخ محمد عبده ص ٧٦ - ٧٧

(٣) سورة الشرح : الآيتين ٥ - ٦

العسر مهما اشتدت وكانت النفس حريصه على الخروج منها طالبة لكشف شدتها ، واستعملت من وسائل الفكر والنظر والعمل ما من شأنه أن يعد لذلك في معروف العقل ، واعتصمت بعد ذلك بالتوكُّل على الله حتى لا تضعفها الخيبة لأول مرة ولا يفسخ عزيمتها من تلاقيه عند الصدمه الأولى - فلا ريب أن النفس تخرج منها ظافره . . . الى أن قال . . . " وتنكير اليسر لأن الذي يأتي بعد العسر أي نوع من أنواعه لا يختص بيسر معين - والتعبير بالمعية لتوثيق الأمل بأنه لا بد منه كأنه معه " (١)

ومثلاً ثالثاً لكنه لتلميذه محمد رشيد رضا في تفسير كلمة " وما يشعرون " من قوله تعالى في وصف المنافقين " يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون " (٢) قال :- " أقول : قال الراغب بعد الذكر الشعر - بفتح الشين وسكون العين وفتحها - من مفرداته . وشعرت أصبت الشعر ، ومنه أستعير شعرت كذا أي علمت علماً هو في الدقة كإصابه الشعر ، ومنه يسمى الشاعر شاعراً لفطنته ودقة معرفته ، فالشعر في الأصل أسم للعلم الدقيق في قولهم : ليت شعري . وصار في التعارف اسماً للموزون المقفى من الكلام . أقول ويناسب هذا الشعار - بالكسر - للكساء الباطن الذي يمس شعراً الانسان ، والمعروف في كتب اللغة أن شعربه - كنصر وكرم - يشعر شعراً - بالكسر والفتح - وشعورا معناه علم به وفطن له وأدركه ، والفطنة تتعلق بالأمر الدقيقه وأطلق بعض المفسرين أن الشعور ادراك المشاعر أي الحواس

(١) تفسير جزء عم : الشيخ محمد عبده ص ١١٤ - ١١٦

(٢) سورة البقره : الآيه ٩

الخمس ، والتحقيق أنه ادراك مادق من حسبي وعقلي ، فلا تقول : شعرت بحلاوة العسل وبصوت الصاعقه وبألم كية النار ، وإنما تقول : أشعر بحرارة ما في بدني ، ومطلوحة أو مرارة في هذا الماء ، إذا كانت قليلاً وبهينمة وراء الجدار ، وما ورد في القرآن من هذا الحرف يدل على هذا المعنى ، أي إدراك ما فيه دقة وخفاء . فمعنى نفي الشعور عن المنافقين في مخادعتهم الله تعالى أنهم يجرون في كذبهم وتلبسهم ورياءهم على ما ألفوا وتعودوا ، فلا يحاسبون أنفسهم عليه ولا يراقبون الله فيه ، وما كلهم يؤمنون بوجود الله وإحاطه علمه ، ومن يؤمن بوجوده لم يترب (كذا) على خشيته ومراقبته ، ولا يفكر فيما يرضيه وفيما يغضبه ، فهو يعمل عمل المخادع له وما يشعر بذلك وأما مخادعتهم للمؤمنين فظاهرة لأنهم اتخذوهم اعداء وهم عاجزون عن اظهار عداوتهم فأعمالهم التي يقصدون بها إرضاء المؤمن كلها خداع ورياء " (١)

تلك أمثلة ثلاثة قلنا أنها مع أمثالها في تفسير محمد عبده وتلميذه السيد رشيد رضا تعدد - كما أسلفت القول - لمحات عابرة تكشف عن نكتة بلاغية خفية أو لمحة بيانية ذكية ولم تكن تؤلف في جملتها منها أدبياً متكاملًا يمكن نسبته إليها وتميزها به .

ولئن كان لا يسعنا هنا أن نذكر الفوارق بين منهج الأستاذ الامام والمنهج الأدبي الذي أستوى على سوقه من بعده حتى نستوفى عناصر هذا الأخير فإنه لا يمنعنا أن نذكر فارقا واحداً به يتضح مدى البون بين الطرفين .

ذلكم أن الامام نص في مقدمة تفسير المنار على الهدف الذي يرمى إليه من تفسيره فقال " والتفسير الذي نطلبه هو فهم الكتاب من

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ١٥١ - ١٥٢

حيث هودين يرشد الناس الى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا ،
وحياتهم الآخرة فان هذا هو المقصد الأعلى منه وما وراء هذا من
المباحث تابع له أو وسيلة لتحصيله" (١)

بينما يرى الأستاذ أمين الخولي أن " المقصد الأول للتفسير
اليوم أدبي محض صرف ، غير متأثر بأي اعتبار وراء ذلك . . وعليه
يتوقف تحقق كل غرض آخر يقصد اليه . . هذه هي نظرتنا إلى التفسير
اليوم وهذا غرضنا منه وعلى هذا الأساس نتقدم لبيان طريقة تناوله
ومنهج درسه" (٢)

وشتان بين منهج يتناول القرآن كقطعة أدبية كقصيدة شاعر أو خطبة
خطيب أو نثر كاتب وبين منهج يتناوله طالبا الهداية والرشد
أولا وما سواها . . ولست بحاجة إلى مزيد بيان للبون بينهما
ولعلي بعد هذا ألقى عن كاهلي عبء دمج المنهجين في
منهج واحد ، وأتحدث بعد هذا عن المنهج الأدبي المحض ! الصرف

قصه تأصيل هذا المنهج :

حين أذكر وأكرر أن المنهج البياني في التفسير خاص بالقرن
الرابع عشر الهجري فإنني لا أعني أبدا نفي الدراسات البيانية
في القرون الماضية كيف وقد ذكرت سلسلة منها فيما سلف من هذه
الورقات ؟ ! وإنما أعني أن الدراسات السابقة لم تصل في مقصد ها
إلى ما وصلت اليه في القرن الرابع عشر الهجري .

(١) تفسير فاتحة الكتاب : الشيخ محمد عبدصه وتفسير المنار : محمد

رشيد رضا ص ١٧

(٢) التفسير معالم حياته منهجه اليوم : أمين الخولي ص ٣٥

كان هدف الدراسات السابقه هو الهدف الذى ذكرته فى تفسير محمد عبده آنفا وأزيد على هذا ما لاحظته الدكتور حفنى محمد شرف بعد أن درس " إعجاز القرآن البيانى بين النظرية والتطبيق " وانتهى به المطاف إلى ملاحظة هامة دَوَّنها فى خاتمة رسالته حين قال :-

" والذى لاحظته اثناء هذا التطواف ، وتلك المقابلات أن أكثر علماء الاعجاز درسوا البلاغه العربيه وأرخوا لها وطوروا دراستها لأنهم كانوا مؤمنين بأن دراسة البلاغة وسيلة لغاية أسمى ، وهى إعجاز القرآن البيانى ، ويمكن التأكد من هذا بالرجوع إلى مقدمات مؤلفاتهم فى البلاغة التى كثيرا ما يصرحون فيها بهذه الملاحظة التى أشـرت إليها" (١)

بمعنى آخر أن الدراسات السابقه كانت وسيلة وليست غاية أما الدراسات هذه فى الفتره التى نريد جلاءها فهى غاية تدرس النص القرآنى وقصد ها الأول أدبى محض صرف غير متأثر بأى اعتبار وراء ذلك وعليه يتوقف تحقق كل غرض آخر يقصد اليه" (٢) ، ولهذا فلا فرق بين أن يقوم بهذه الدراسة مسلم أو غير مسلم كما يقولون هم بأنفسهم .

إذا قالد دراسات الحديثه أصلت الدراسة البيانيه للقرآن الكريم وأستمحكم هنا عذرا بتقديم الدكتور عائشه عبد الرحمن تلميذة المؤءصل- إن صحت التسميه - لهذا المنهج الأستاذ أمين الخولى أقدمها لتوضح لنا بداية هذا التأصيل وإن شئت فسَمها قصة هذا التأصيل .

(١) اعجاز القرآن البيانى بين النظرية والتطبيق : د / حفنى محمد شرف

تقول بنت الشاطي " لكل لغة روائع من آدابها ، تعتبرها النماذج العالية لذوقها الأصيل ، والمثل الرفيعة لفنّها القولبي وقد غبّرت الأجيال منّا تتجه إلى نصوص مختاره من شعر العربي ونثرها تضعها بين أيدي القراء أو تقدمها إلى التلاميذ والطلاب وشغلنا نحن أصحاب الدرس الأدبي ، أو شغلت الجماهير منا بالمعلقات والنقائض والمفضليات ، ومشهور الخمریات والحماسيات والمراثي والمدائح والغزليات ومأثور الرسائل والأُمالي والمقامات ، شغلنا بهذا ومثله عن الإتيان إلى القرآن الكريم الذي لا جدال في أنه كتاب العربي الأكبر ومعجزتها البيانيه الخالدة ، ومثلها العالي الذي يجب أن يتصل به كل ذي عرويه أراد أن يكسب ذوقها ويدرك حسها ومزاجها ويستشف أسرارها في التعبير والأداء ، مسلما كان أو غير مسلم .

ونحن في الجامعة نترك هذا الكنز الغالي لدرس التفسير ، وقيل فينا من حاول أن ينقله إلى مجال الدراسة الأدبية الخالصة التي قصرناها على دواوين الشعر ونثر مشهورى الكتاب ، وكان المنهج المتبع في درس التفسير - إلى نحو ربع قرن من الزمان - (١) تقليدياً أثرياً ، لا يتجاوز فهم النص القرآني على نحو ما كان يفعل المفسرون من قديم حتى جاء شيخنا الامام " الأستاذ أمين الخولي " فخرج به عن ذلك النمط التقليدي وتناوله ناصاً أدبياً على منهج أصله ، وتلقاه عنه تلامذته وأنا منهم . (٢) ولئن قرأنا ما كتبه التلميذ فمن الأولى أن نقرأ ما كتبه الأستاذ بنفسه ولئن كان في نصه طول ففيه إستيفاء وشمول لبيان المراد . قال مبينا المقصد الحقيقي للتفسير عند الامام محمد عبده ومعقبا عليه :- " فالمقصد الحقيقي عنده هو : الإتهداء بالقرآن وهو مقصد جليل

(١) كتبت بنت الشاطي هذا في شعبان سنة ١٣٨١ هـ
(٢) التفسير البياني للقرآن الكريم : د / عائشه عبد الرحمن "بنت الشاطي" ص ١٣

ولا شك . . . يحتاج المسلمون إلى تحقيقه . لكن ليس بدعا — من
الرأى أن ننظر في هذا المقصد لنقول : أنه ليس الغرض الأول من التفسير
وليس أول ما يُعنى به ويُقصد اليه . بل ان قبل ذلك كله مقصداً أسبق
وغرضاً أبعد . تنشعب عنه الأغراض المختلفة ، وتقوم عليه المقاصد المتعددة
ولا بد من الوفاء به قبل تحقيق أيّ مقصد آخر ، سواء أكان ذلك
المقصد الآخر ، علمياً أم عملياً ، دينياً أم دنيوياً . . . وذلك المقصد
الأسبق والغرض الأبعد هو النظر في القرآن من حيث هو كتاب العربية
الأكبر وأثرها الأدبي الأعظم ، فهو الكتاب الذي أخلد العربية
وحمل كيانها وخلد معها فصار فخرها ، وزينة تراثها ، وتلك صفة
للقرآن يعرفها العربي مهما يختلف به الدين أو يفترق به
الهوى ما دام شاعراً بعربيته مدركاً أن العروبة أصله في الناس وجنسه
بين الأجناس وسواء بعد ذلك أكان العربي مسيحياً أو وثنياً أم كان
طبيعياً دهنياً ، لا دينياً ، أم كان المسلم المتحنف ، فإنه سيعرف
بعرويته منزلة هذا الكتاب في العربية ، ومكانته في اللغة ، دون أن يقوم
ذلك على شيء من الإيمان بصفة دينية للكتاب أو تصديق خاص بعقيدته
فيه . . . وليس هذا شأن العرب فحسب ، بل أن الشعوب التي ليست عربية
الدم أصلاً ، و لكن وصلها التاريخ وسير الحياة بهذه العروبة فارتضت
الاسلام ديناً ، أو خالطت العرب فساطت دماءها بدماهم ، ثم
اتخذت العربية أصلاً من أصول حياتها الأدبية . . . حتى ربطتها
بالعربية هذه الأواصر الوثقى ، إلى أن صارت العربية عنصراً أساسياً
وجانباً جوهرياً من شخصيتها اللغوية الفنية ، قد صار لكتاب العربية
الأعظم وقرآنها الأكرم مكانه بين ما تعنى به ، من دراسة أدبية وآثار
فنية قولية ، فألزمها كل أولئك تناول هذا الكتاب بداسة أدبية ، تتفهم
بها أصول ما ورثت من تلك العروبة ان كانت عربية النجار ، أو كانت قد

اتصلت بتلك العرويه اتصالا حيويا قويا دفع شخصيتها
وسير وجودها ووجه حياتها فالعربي القح ، أو من ربطته بالعربيه
تلك الروابط يقرأ هذا الكتاب الجليل ويدرسه درسا أدبيا كما تدرس
الأمم المختلفه عيون آداب اللغات المختلفه ، وتلك الدراسة الأدبيه
لأثر عظيم كهذا القرآن هي ما يجب أن يقوم به الدارسون أولا وفاءً
بحق هذا الكتاب ولولم يقصدوا الإهتمام به أو الانتفاع بما حوى
وشمل (!!) بل هي ما يجب أن يقوم به الدارسون أولا ولولم تنطو
صدورهم على عقيدة مآء فيه ، وانطوت على نقيض ما يردده المسلمون
الذين يعدونه كتابهم المقدس ، فالقرآن كتاب الفن العربي الأقدس سوا
أنظر اليه الناظر على أنه كذلك في الدين أم لا .

وهذا الدرس الأدبي للقرآن في ذلك المستوى الفني ، دون نظـر
الى أي اعتبار ديني هو ما نعتده وتعتده معنا الأمم العربيه أصلا والعربيه
اختلاطا ، مقصداً أول وغرضاً أبعد يجب أن يسبق كل غرض ويتقدم
كل مقصد . . ثم لكل ذي غرض أو صاحب مقصد بعد الوفاء
بهذا الدرس الأدبي أن يعتمد إلى ذلك الكتاب فيأخذ منه ما يشاء
ويقتبس منه ما يريد ويرجع إليه فيما أحب من تشريع أو اعتقاد أو
أخلاق أو إصلاح إجتماعي أو غير ذلك . وليس شيء من هذه الأغراض
الثانيه يتحقق على وجهه إلا حين يعتمد على تلك الدراسة الأدبيه
لكتاب العربيه الأوحده دراسة صحيحه كامله مفهمه له ،
وهذه الدراسة هي ما نسميه اليوم تفسيراً ، لأنه لا يمكن بيان
غرض القرآن ولا فهم معناه الا بها .

فجمله القول : أن التفسير - فيما أفهمه - هو الدراسة الأدبيه
الصحيحه المنهج ، الكامله المناحي ، المتسقة التوزيع ، والمقصود
الأول للتفسير اليوم أدبي محض صرف ، غير متأثر بأى اعتبار ،

وراء ذلك . . وعليه يتوقف تحقق كل غرض آخر يقصد اليه . . .
هذه هي نظرتنا إلى التفسير اليوم وهذا غرضنا منه " (١)

وانما نقلت هذا النص بطوله لما فيه من بيان نظرة الأستاذ أمين الخولي إلى التفسير ولما فيه من بيان غرضه وكفى بهما من مطلب بسطه لنا صاحب المنهج ومؤصله .

وسأرجى ابداء رأي في نظرتي إلى التفسير وغرضه منه إلى آخر هذا الفصل حيث سأبين رأيي الخاص في المنهج كله أجمعه هناك حتى لا يتفرق

مراحله ومعالمه:

وحين نتحدث عن مراحله ومعالمه تلك فإننا لا نقصد بها المراحل التي مر بها التفسير البياني عبر تاريخ التفسير فهذا قد سبقت الإشارة إليه . ولكني أقصد ذكر المراحل التي يمر بها المفسر الواحد في العصر الحديث لتطبيق المنهج البياني في التفسير كما بسطها صاحبه

ولئن كان الأستاذ أمين الخولي لم يوردها سلسلة مرتبة فإنني بعد نظر تأمل قد حصرتها بأربع أو خمس مراحل هذا بيانها

المرحلة الأولى : التفسير الموضوعي

وهي المرحلة التي أشار إليها أمين على أنها النظر بين يدي الخطه حيث قال " والقرآن كما هو المعروف لم يرتب على الموضوعات والمسائل فيفرد كل شيء منها بباب أو فصل ، يجمع ما

(١) التفسير معالم حياته منهجه اليوم : أمين الخولي ص ٣٣ - ٣٥

ورد فيه عن هذا الموضوع أو تلك المسألة فليس على ترتيب كتب العقائد مع ما فيه من أصول العقيدة وليس على ترتيب كتب التشريع مع ما فيه من أصول التشريع . ولا هو كذلك على نسق كتب الاخلاق أو التاريخ ولا القصص ولا غير ذلك بل ليس على ترتيب بعض كتب الدين حين أفردت أحداث الحياة بأسفار عنونت كل سفر منها بحادث ، أو حين جرت على تسلسل حياة فرد خصت كل حين منها بقسم . كما لم يرتب على شيء من تاريخ ظهور آياته إنما جرى القرآن على غير هذا كله . فعرض لكثير من الموضوعات ولم يجمع منها واحدا بعينه فيلتقي أوله بآخره ويعثر به في مكان معين . . .

وانما نثر ذلك كله نثرا وفرقه تفريفاً فالحكم التشريعي في أكثر من موضع والأصل الاعتقادي قد عرض له غير مرة والقصة قد وزعت مناظرها ومشاهد ها في جملة أماكن ، وهكذا تقرأ في السورة الواحدة فنونا من القول وتمر بألوان من الأغراض المختلفه تعرض لها سورة أخرى فيتكامل العرضان ، وتتم الفكرة بتتبعها في مواطن متعددة وذلك لحكمة ومرمى (١)

ويؤكد الأستاذ أمين أن لهذا الواقع في موضوعات القرآن الكريم أثره في طريقه تناول القرآن بالتفسير وأن طريقة السلف في تفسيره مرتباً لا تمكن من الفهم الدقيق والادراك الصحيح لمعانيه وأغراضه ولا أظن الأستاذ أمين الخولي إلا مخطئاً في نظريته تلك إلى تفسير السلف ذلك أنهم حين يتناولون بالتفسير حكماً تشريعياً لا ينظرون إلى آياته التي حملته نظره منفصلة عن الآيات

(١) التفسير معالم حياته منهجه اليوم : أمين الخولي ص ٣٥ - ٣٦

الأخرى بل ولا عن ما هو خارج عن الآيات أعني السنة وغيرها
فلا تعد نظرتهم تلك نظرة قاصرة وخذ القصة مثلا حين يتناولها
السلفى يستكمل مناظرها ومشاهدتها من نصوص آيات أخرى في مواضع
متفرقة وكذا آيات العقائد لا ينظر الى آحادها نظرة مستقلة عن
سواها كل هذا يدل على كمال النظرة السلفية في تفسير الآية القرآنية
وأن لا أثر لسلوكهم التفسير المرتب على الفهم الدقيق أو الإدراك
الصحيح كما فهم الأستاذ أمين .

عودة الى الأستاذ أمين الخولي لنجمل رأيه في المرحلة الأولى
في التفسير البيانى أن التفسير لا يكون الا بأسلوب التفسير الموضوعي
الذى يجمع الآيات ذات الموضوع الواحد من أماكنها المتفرقة وينظر
إليها نظرة واحدة وبهذا يكون الفهم الصحيح . . . فالناظر
في سورة البقرة مثلا يجد من الحديث عن المؤمن وحالهم ما أحسب انه يفهم
الفهم الصحيح إذا ما قورن بما في سورة "المؤمنون" من الجزء
الثامن عشر ثم هو واجد في سورة البقرة عن المنافقين وحالهم
ما لا يفهم وجهه الا مع سورة "المنافقون" في الجزء الثامن والعشرين . .
وقصة آدم في البقرة إنما تفسر مع ما ورد عنها في سورة الأعراف
الحجر والكهف وغيرها" (١)

هذه هي الخطوة الأولى التي يجب أن يخطوها المفسر نفسيرا
بيانيا كما يراها الأستاذ أمين الخولي

المرحلة الثانية :

الترتيب الزمني للآيات ذات الموضوع الواحد وهي ذات صلة وعلاقته
قوية بالمرحلة السابقة حتى وكأنهما خطوة أو مرحلة واحدة .

(١) التفسير معالم حياته منهجه اليوم : أمين الخولي ص ٣٦

تلك المرحلة هي مراعاة الترتيب الزمني للآيات ذات الموضوع الواحد ويقصد بها أن المفسر بعد أن يجمع آيات موضوع بعينه يجب أن يخطو الخطوة الثانية فيرتب هذه الآيات حسب ترتيب نزولها وأكد هذا الأستاذ أمين الخولي حين قال : " وترتيب القرآن لم يراع شيئاً من تقدم الزمن وتأخره فيمكنه يتخلل مدنيه ويحيط به ومدنيه يتخلل مكيه ويحيط به . وهكذا ترى من النظر في ترتيب القرآن على سورة - أي ترتيب كان في المصاحف المختلفه - ما لا يساير حاجات مفسره المتفهم لــــه ، بل يقضي ما كان من أمر الترتيب :- بالنظر الجديد والترتيب الخاص لآي الموضوع بحيث يكشف هذا الترتيب لنا عن تلك النواحي التي عرفت أن المفسر المتفهم مضطراً إلى مراعاتها وتقديرها توصلنا إلى الفهم الصحيح والمعنى الدقيق " (١)

إذا فهو يرى وجوب ترتيب آي الموضوع الواحد ترتيباً خاصاً بحيث يكشف هذا الترتيب عن النواحي التي يحتاجها المفسر للوصول إلى الفهم الصحيح . ثم أجمل الأستاذ أمين القول في المرحلتين السابقتين بقوله :-

" فجملة القول أن ترتيب القرآن في المصحف قد ترك وحدة الموضوع لم يلتزمها مطلقاً ، وقد ترك الترتيب الزمني لظهور الآيات لم يحتفظ به أبداً ، وقد فرّق الحديث عن الشيء الواحد والموضوع الواحد في سياقات متعددة ، ومقامات مختلفة ظهرت في ظروف مختلفة وذلك كله يقضي في وضوح :-

بأن يفسر القرآن موضوعاً موضوعاً وأن تُجمَع آيهِ الخاصة بالموضوع الواحد جمعاً إحصائياً مستقصى

(١) التفسير معالم حياته منهجه اليوم : أمين الخولي ص ٣٦- ٣٧

ويعرف ترتيبها الزمني ومناسباتها وملاساتها الحافه بها
ثم ينظر فيها بعد ذلك لتفسر وتفهم فيكون ذلك التفسير أهدي
إلى المعنى وأوثق في تحديده " (١)
بقي أن أقول أن هذه الدعوة من الأستاذ أمين إلى الترتيب
التاريخي لآيات الموضوع الواحد كانت دعوة مثالية بعيدة عن
التطبيق الكامل بل أن الأستاذ أمين نفسه وتلاميذه من بعده لم يضع
أحد منهم خطة لهذا الترتيب ولم يُجَلِّ أحد منهم إلى ترتيب
بعينه يراه الأفضل بالرغم من أنهم يعتبرون هذه الخطوة لا بد منها
قبل القيام بالتفسير (٢)

المرحلة الثالثة : الدراسة

وتعتبر المرحلتان السابقتان تمهيدا وتوطئة للمرحلة الثالثة
إذ أن هذه الأخيرة هي جسد التفسير البياني وأن المرحلتين السابقتين
هما القاعدة لهذا الجسد

ويقسم الأستاذ أمين الخولي هذه الدراسة إلى صنفين هما :

١ - دراسة حول القرآن

٢ - دراسة في القرآن

أولا : دراسة ما حول القرآن

فقسمها أيضا إلى قسمين دراسة خاصة ودراسة عامة قال عن أولهما :
" والدراسة الخاصة هي ما لا بد لمعرفته ، مما حول كتاب جليل كهذا
الكتاب : ظهر في نحو عشرين عاما أو كذا وعشرين عاما ثم ظل مفرقا
سنين حتى جمع في آد وار مختلفة وأحوال مختلفة وكان جمعه وكتابته
عملا ساير الزمن طويلا ، وناله من ذلك ما ناله . ثم هناك قرآته ومسايرة
هذه القراءة للتطور اللغوي الذي تعرضت له اللغة العربية بفعل النهضه

(١) التفسير معالم حياته منهجه اليوم أمين الخولي ص ٣٧
(٢) إتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر دكتور محمد ابراهيم
شريف ص ٥٠٣

الجاده التي أثارته الدعوة الاسلاميه والدولة الاسلاميه . فقد كانت هذه القراءات عملاً إذا أثر واضح في حياة الكتاب وفهمه . وتلك الأبحاث من نزول ، وجمع ، وقراءه ، وما إليها - هي التي عرفت اصطلاحيا - منذ حوالي القرن السادس الهجري باسم علوم القرآن (١) بعد ما تناولها المفسرون المختلفون قبل ذلك بالبحث المجمع ، والبيان المتفاوت في الاستيفاء حسب عناية المفسر واهتمامه ، ومثل تلك الأبحاث جد لازمة في نظر دارسي الآثار الأدبية ولا بد منها لفهم النصوص المدروسة والاتصال بها اتصالاً مجدياً (٢) الى أن قال " وهي دراسات ضرورية لتناول التفسير . . حتى ما ينبغي مطلقاً أن يتقدم لدرس التفسير من لم ينل حظه من تلك الدراسة القريبة الخاصة حول القرآن ، ليستطيع فهمه فهماً أدبياً صحيحاً مسترشداً بتلك الملابس الهامة في فهم القرآن " (٢)

وخلاصة الأمر أن الأستاذ أمين الخولي يشترط للتفسير الأدبي دراسة خاصة حول القرآن الكريم نحو دراسة تاريخه ونزوله وجمعه وترتيبه وناسخه ومنسوخه وبعبارة أخرى يشترط على المفسر أن يكون عالماً بأصول العلوم المتصلة بالقرآن والمعروفة بعلوم القرآن ، ولسنا بحاجة إلى أن نؤكد أن المفسرين السابقين - أيضاً - لم يهملوا هذا الأمر وأولوه عنايتهم والأستاذ أمين نفسه يعترف بهذا وينقل قول السيوطي في مقدمة كتابه " الإتقان في علوم القرآن " أنه جعل هذا الكتاب مقدمة لتفسيره وأن أكثر المفسرين يُلَمُّون في مقدمة تفاسيرهم بشيء

(١) الصحيح أن هذا الإصطلاح عُرف في وقت أبكر من هذا فقد ألف محمد بن خلف بن المرزبان ت ٣٠٩ كتابه " الحاوي في علوم القرآن " وألف محمد بن القاسم الانباري ت ٣٢٨ كتاب " عجائب علوم القرآن " - وألف محمد بن علي الأدفوي ت ٣٨٨ كتاب " الاستغناء في علوم القرآن " التفسير معالم حياته منهجه اليوم : أمين الخولي ص ٣٨-٣٩

من القول في النزول والجمع والقرآيات ولكن الاستاذ أمين لم يذكر أن السيوطي نفسه اشترط على المفسر العلم بالقرآيات والعلم بأصول الدين بما في القرآن من الآيات الدالة بظواهرها على ما لا يجوز على الله تعالى واشترط العلم بالناسخ والمنسوخ والعلم بأسباب النزول والقصص ، وغير ذلك .^(١) وإذا فالأستاذ أمين مسبق بهذا الشرط وبهذه الدراسة الخاصة

وأما الدراسة العامة لما حول القرآن الكريم فقال عنه الأستاذ أمين " وأما ما حول القرآن من دراسة عامة فهو ما يتصل بالبيئة المادية والمعنوية التي ظهر فيها القرآن وعاش ، وفيها جُمع وكتَب وقُرى وحُفِظ وخاطب أهلها أول من خاطب وإليهم ألقى رسالته لينهضوا بأدائها ، وابلغها شعوب الدنيا . فروح القرآن عريضة ، ومزاجه عربي (! !) وأسلوبه عربي " قرآنا عربيا غير ذي عوج^(٢) والنفاذ الى مقاصده إنما يقوم على التمثل الكامل والإستشفاف التام لهذه الروح العربية وذلك المزاج العربي ، والذوق العربي ومن هنا لزمّت المعرفة الكاملة لهذه البيئة العربية المادية أرضها بجبالها وحرارها وصحاريها وقيعانها وسماؤها بسحبها ونجومها وأنوائها ، وجوهها بحره وبرده وعواصفه وأنسامه ، وطبيعتها بجدبها وخصبها وقحولها أو نمائها ونباتها وشجرها . . . إلخ فكل ما يتصل بتلك الحياة المادية العربية وسائل ضرورية لفهم هذا القرآن العربي المبين . . .

(١) انظر الاتقان في علوم القرآن : للسيوطي ج٢ ص ١٨١

(٢) سورة الزمر : من الآية : ٢٨

مع هذا ما يتصل بالبيئة المعنوية بكل ما تتسع له هذه الكلمة من ماضٍ سحيق ، وتاريخ معروف ونظام أسرته أو قبيله ، وحكومته في أى درجته كانت وعقيدة بأيّ لون تلوّنت ، وفنون مهما تنوع ، وأعمال مهما تختلف وتتشعب ، فكل ما تقوم به الحياة الانسانية لهذه العروبة . وسائل ضرورية كذلك لفهم هذا القرآن العربى المبين

وإذا جهدت الدراسة الأدبية فى أن تعرف عن تلك العريية والعرويه أكثر وأعمق وأدق ما يعرف تبتغى بذلك درس أدبها درسا صحيحا ، فإن هذا القرآن رأس هذا الأدب وقلبه الخافق ولن يدرس درسا أدبيا صادقا يفي بحاجة المتعرض لتفسيره إلا بعد أن تستكمل كل وسائل تلك المعرفة للبيئة العربية مادية ومعنوية .

أما ما دُنا نقرأ التشبيه العربى القرآنى ، أو التمثيل العربى القرآنى فإذا ما دته الأضواء العربيه ، والظواهر الجويه العربيه والحيّ أو الجماد المشهود فى بلاد العرب لا نعرف عنه شيئا وليس عندنا عنه صورة خاصة . فما يحق لنا - مع هذا - أن نقول أننا نفسر هذا القرآن أو نمهد لفهمه فهما أدبيا ، يُهيء للانتفاع به فى نواحٍ أخرى .

وما دنا نذكر الحجر ، والأحفاف ، والأيكه ، ومدّين ، ومواطنن شمود ومنازل عاد ، ونحن لا نعرف عن هذه الأماكن إلا تلك الإشارات الشارده ، فما ينبغى أن نقول أننا فهمنا وصف القرآن لها ولأهلها أو أننا أدركنا مراد القرآن من الحديث عنها وعنهم ، ثم لن تكون العبرة بهذا الحديث جليّه ولا الحكمة ولا الهداية المرجوه مفيدة مؤثرة^(١)

(١) التفسير معالم حياته منهجه اليوم : أمين الخولى ٣٩ - ٤١

خلاصة الأمر أن الأستاذ أمين يشترط أن يدرس المفسر دراسه عامه لما يتصل بالبيئه التي نزل بها القرآن سواء أكانت هذه البيئه ماديه كالظواهر الجوية والأرض بجبالها وأوديتها وحرارها والسماء ونجومها وأفلاكها أو كانت البيئه معنويه كتاريخ هذه الأمة في ماضيها ونظمها وأعرافها وعاداتها وتقاليدها

وقد سبقه إلى نحو هذا الأستاذ الإمام محمد عبده حيث اشترط على المفسر علم أحوال البشر في أطوارهم وأدوارهم واشترط العلم بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وما كانوا عليه من علم وعمَل وتصرف في الشؤون دنيويها وأخرويها . (١)

وحين أقول أن الأستاذ أمين سبق إلى موضوع كذا فليست أعني بحال من الأحوال سلب المنهجية الخاصة به . وإنما أعني إبراز وجوه الشبه بين منهجه والمنهج الأخرى ، وقد تتفق مناهج عدة في خطوة أو خطوات ثم تختلف ولا يعني هذا إتحداهما حين تشابهها أو إنفصامهما حين اختلفا بقدر ما يعني من وجوه التشابه ووجوه الاختلاف وهي صفة مشتركة بين كل المناهج بل والاتجاهات فسي التفسير

وأحسب أن الدراسة لما حول القرآن الكريم بشقيها العامه والخاصه ما هما إلا تمهيد وتوطئة لدراسة النص نفسه وهما — دراسة ما حول القرآن، ودراسة النص وإن كانا يشكلان مرحلة واحدة هي المرحلة الثالثة إلا أن أولهما تمهيد إشرط الأستاذ أمين إستيفاءه للتقدم إلى دراسة النص نفسه حيث قال بعد أن استعرض الدراسة لما حول القرآن بشقيها " تلك المامه بما حول القرآن

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٢٢ - ٢٤

من دراسة وهي في جملتها ترجع إما إلى تحقيق النص وضبطه
وبيان تاريخ حياته . . وإما إلى التعريف بالبيئة التي فيها
ظهر وعنها تحدث وبين مغانيها ومعانيها تـقـلب . . .
(١) وبعد إستيفاء ذلك يكون التقدم إلى دراسة القرآن نفسه"

ذلكم أن الشق الثاني من المرحلة الثالثة هو روح الدراسة
البيانية وأسسها وهذا أمين نفسه يبسط لنا مرة أخرى الحديث
عن هذه الخطوة الجديدة

دراسة القرآن نفسه

وحتى تظهر معالم الطريق في هذه المرحلة أحب أن أجمل الخطوات
في هذه الدراسة لتتطرق منها إلى التفاصيل .
فدراسة النص نفسه تنقسم كما يريد الأستاذ أمين إلى قسمين :-

١ - دراسة في المفردات . من ناحيتين

(١) من ناحية معناها اللغوي

(ب) من ناحية معناها القرآني

٢ - دراسة في المركبات

قال الأستاذ أمين الخولي في بسط النظر في المفردات :- "وهي
تبدأ بالنظر في المفردات . والمتأدب يجب أن يقدر عند ذلك تدرج دلالة
الألفاظ ، وتأثرها في هذا التدرج يتفاوت ما بين الأجيال ويفعل
الظواهر النفسية والاجتماعية ، وعوامل حضارة الأمة وما إلى ذلك مما
تعرضت له ألفاظ العربية في تلك الحركة الجياشة المتوثبة التي نمست
بها الدولة الإسلامية ، والنهضة الدينية والسياسية والثقافية التي خلفت
هذا الميراث الكبير من الحضارة وقد تداولت هذه اللغة العربية
في تلك النهضات أفواه أمم مختلفة الألوان والدماء والماضي والحاضر

(١) التفسير معالم حياته منهجه اليوم أمين الخولي ص ٤١

فتهيأت من كل ذلك خطوات تدريجية فسيحة متباعدة في حياة ألفاظ اللغة العربية حتى أصبح من الخطأ البين أن يعمد متأدب إلى فهم ألفاظ هذا النص القرآني الأدبي الجليل فهما لا يقوم على تقدير تام لهذا التدرج والتغيير الذي مَسَّ حياة الألفاظ ودلالاتها ، وعلى التنبيه إلى أنه إنما يريد ليفهم هذه الألفاظ في الوقت الذي ظهرت فيه وتليت أول ما تليت على من حول تاليها الأول عليه السلام " إلى أن قال " وإذا كان هذا هو الأصل الأول في فهم دلالة ألفاظ القرآن فمن لنا به مع أن معاجمنا لا تسعف عليه ولا تعين ؟" (١)

ثم تحول الأستاذ أمين لنقد معاجم اللغة وبيان أنها لا تفي بهذا الغرض الذي يدعو إليه فلسان العرب مثلاً تجاوزت فيه نصوص تباعدت عصور أصحابها وتمازجت فيه اللغويات بالدِينيات كما يقول . أما القاموس المحيط فهو عنده عسارات غير متمزجة لثقافات متغايرة متباينة من فلسفة عقلية إلى طبية عملية فأدبية لغوية ، فدِينية اعتقادية أو غيرها . ثم عَقَّب الأستاذ أمين على هذا بقوله " معاجمنا لا تسعف على شيء من تحقيق هذا الأصل الثابت في تدرج الألفاظ . . . فليس أمام مفسر القرآن حين يبتغي المعنى الأول لألفاظه إلا أن يقوم بعمل في ذلك مهما يكن مؤقفاً وقاصراً فإنه هو كل ما يمكن اليوم وإلى أن نملك قاموساً اشتقاقياً تدرج فيه دلالات الألفاظ وتتمايز فيه المعاني اللغوية على ترتيبها عن المعاني الاصطلاحية على ظهورها" (٢)

(١) التفسير معالم حياته منهجه اليوم : أمين الخولي ص ٤١-٤٢

(٢) المرجع السابق : ص ٤٢ - ٤٣

إذًا فالأستاذ الخولي يرى أن الخطوة الأولى في دراسة النص نفسه هي النظر في المفردات وذلك بوضع ترتيب زمني لتدرج دلالات الألفاظ ليعرف معنى اللفظة الواحدة وقت نزول القرآن الكريم ومعناها بعد أن تداولتها أفواه أمم مختلفة الألوان والدماء ليتم التمييز بين المعنى اللغوي والمعنى القرآني .

وهو أيضا يرى أنه لا يوجد معجم يفني بهذا الغرض حتى الآن ورتب على هذا أن يقوم المفسر الأدبي بتحمل عبء متابعة تدرج اللفظ وممن ثم اختيار ما يراه مناسبا للفظ القرآني وقت نزول القرآن الكريم من معاني أخرى .

ورتب الأستاذ الخولي على هذا أيضا أن ينظر المفسر الأدبي في الألفاظ القرآنية من ناحيتين :-

١ - النظر في المادة اللغوية للفظ الذي يريد تفسيره، لينحى فيها المعاني اللغوية عن غيرها ثم ينظر في تدرج المعاني اللغوية للمادة نظراً لترتيبها على الظن الغالب فتقدم الأسبق الأقدم منها على السابق حتى يطمئن - ما استطاع - إلى شيء في ذلك ينتهي منه إلى ترجيح معنى لغوي للكلمة كان هو المعروف حين سمعتها العرب في أي الكتاب . . والمفسر في هذا التمييز والنظر لم - ما أمكن - بمحدث الدراسة في أنسب اللغات وصلة ما بينها ، ليطمئن كذلك إلى أن الكلمة عربية أصيلة ، أو هي دخيلة ، وإن كانت فما بيئتها ؟ وما معناها الأول ؟ ثم هو محاذر كذلك من إندفاع معاجمنا في رد الكلمات إلى أصل عربي يشابهها في اللفظ ، مع التكلف في الإشتقاق والربط .

٢ - وإذا ما فرغ من البحث في معنى اللفظة اللغوية انتقل بعده إلى معناها الإستعمالي في القرآن يتتبع ورودها فيه كله ، لينظر في ذلك فيخرج منه برأي عن إستعمالها : هل كانت له وحدة اطردت في عصور القرآن المختلفة ومناسباته المتغيرة؟ وإن لم يكن الأمر كذلك فما معانيها المتعددة التي استعملها فيها القرآن؟ وبذا يهتدي بمعناها أو معانيها اللغوية إلى معناها أو معانيها الإستعمالية في القرآن ، وهو بما ينتهي إليه من كل أولئك يفسرها مطمئنا في موضعها من الآية التي جاءت فيها " (١)

وكما بين الأستاذ الخولى خُلُو الساحة من معجم للترتيب الزمني لتداول الألفاظ العربية أكد أيضا خلوها من معجم يعنى بمفردات القرآن ويتتبع الألفاظ فيه إلا ما وصفه بمحاولة الراغب الأصفهاني منذ قرابة ألف عام أن يعطينا مفردات القرآن في قاموس خاص بها ووصفه بأنه "عانى فيها شبيها بما وصفنا أو بشيء من أصل فكرته لم يتم التعقيب ^{ولكنه} اللغوي ولم يستوف التتبع القرآني وفاته مع ذلك كله فرق ما بين عصره و عصرنا في دراسة اللغات وصلاتها إلا أنه في كل حال نواة تخجل من بعده وبخاصة أهل هذا العصر الطموح فيوالمهم ألا يملكوا إلا هذا القاموس القرآني الناقص بل البدائي . وبالترام هذا المنهج الأدبي يرجى كمال هذا القاموس وقواميس أخرى تتطلبها حياة القرآن ، - كتاب العربية الأعظم " (١)

وهذا ولا شك عبء آخر على المفسر الأدبي للقرآن الكريم

يتطلب منه جهداً إلى جهده السابق على أن من الحق الواجب قوله هنا أن الأستاذ أمين لم يكن قد أشار إلى خطة لتصنيف القرآن موضوعياً وساق حديثه عن هذا مجرد نظرية وإذا كان قد سكت أيضاً عن طريقة ترتيب الآيات في الموضوع الواحد ولم يرشد إلى ترتيب معين وجاء حديثه أيضاً هنا مجرد نظريته فقد كان موقفه في دراسة المفردات غير ذلك حيث عالج تطبيقياً بعض الأحرف الهجائية على الطريقة التي أشار إليها في معجم ألفاظ القرآن الكريم وهو وإن لم يتمه إلا أنه مثلاً عملي لما يمكن أن يقوم به المفسر الأدبي بجهده الذاتي في غيبة المعجم المطلوب ولا شك أيضاً أنه مهد الطريق الوعر في هذا المقام لمن أراد أن يسلك سبيل المعجم التاريخي لألفاظ القرآن الكريم (١)

من هاتين الناحيتين الناحية اللغوية وناحية الاستعمال القرآني أوجب الأستاذ الخولي النظر في مفردات القرآن لينتقل المفسر الأدبي بعد هذه النظرة إلى النظر في المركبات .

٢ - دراسة في المركبات

والخطوة التالية للنظر في المفردات هي النظر في المركبات وقد وضع الأستاذ الخولي أصول هذه النظرة وما تحتاج إليه بقوله :-
" ثم بعد المفردات يكون نظر المفسر الأدبي في المركبات وهو في ذلك - ولا مِرْيَةَ - مستعين بالعلوم الأدبية من نحو وبلاغة . . إلخ ولكن لا على أن الصنعة النحوية عمل مقصود لذاته ، ولا لئلا يكون التفسير كما كان الحال قديماً . . بل على أنها أداة من أدوات بيان المعنى

(١) اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر : د / محمد

وتحديده ، والنظر في اتفاق معاني القراءات المختلفه للآيات
الواحدة وللتقاء الإستعمالات المتماثلة في القرآن كله . . ثم على أن
النظرة البلاغية في هذه المركبات ليست هي تلك النظرة الوصفية
التي تعنى بتطبيق إصطلاح بلاغي بعينه ، وترجيح أن ما في الآيه
منه هو كذا لا كذا ، أو إدرج الآيه في قسم من الأقسام البلاغية
دون قسم آخر! كلا بل على أن النظرة البلاغية هي النظرة الأدبية
الفنية التي تتمثل الجمال القولي في الأسلوب القرآني وتستبين معارف
هذا الجمال وتستجلي قسامته في ذوق بارع قد إستشف خصائص التراكيب
العربية منضماً إلى ذلك التأملات العميقة في التراكيب والأساليب القرآنية
لمعرفة مزاياها الخاصة بها بين آثار العربية ، بل لمعرفة فنون القول
القرآني وموضوعاته فنناً ، وموضوعاً موضوعاً ، معرفة تبين خصائص
القرآن في كل فن ومزاياه التي تجلو جماله" (١)

ولا شك أن هذا المنهج في التفسير بأصوله التي وضعها صاحبه -
منهج إن كان ممكناً فبمشقة وجهد ودراية قل أن توجد عند أحد
بل أن الأستاذ أمين نفسه شعر بهذا العبء حين قال :-
ولئن كان مثل هذا مما يطلب أو يوصف في قليل من الجمل أو الأسطر
فإن تحقيقه ليس بهذه السهولة والقرب ، وإنما يقوم على إصلاح أدبي
بلاغي أحسب أن الحياة الأدبية اليوم تحاوله وهي بالغة منه إن شاء
الله مبلغاً حسناً ، ومستفيدة به في التفسير الأدبي للقرآن كما تستفيد
هذه المحاولة الإصلاحية نفسها بمزاولتها للتفسير القرآني" (٢) وإذا كان

(١) التفسير معالم حياته منهجه اليوم : أمين الخولي ص ٤٤

(٢) المرجع السابق : ص ٤٤

الخولى يقول هذا فإنه تجب الإشارة إلى أن المنهج - كما يقول
الدكتور محمد إبراهيم شريف - بهذه الصورة من القيود والمتطلبات لم
يرَ النور في محاولة ما، من محاولات أتباعه ، وإنما وقعت محاولاتهم
موقعاً بعيداً عن الأمل الطموح بصورة أو بأخرى . . . (١)

زد على هذا أن الأستاذ أمين يوجب مراعاة أمر هام فى التفسير
الأدبي ينبغى على المفسر الاهتمام به هو :-

التفسير النفسى :

قال " لأن ما إستقر من تقدير صلة البلاغة بعلم النفس قد مهد
السبيل إلى القول بإعجاز النفسى للقرآن ، كما كشف عن وجه الحاجة
إلى تفسير نفساني للقرآن يقوم على الإحاطة المستطاعة بما عرف العلم
من اسرار حركات النفس البشريه فى الميادين التى تناولتها دعاوة القرآن
الدينية ، وجد له الاعتقادى ، ورياضته للوجدانات والقلوب واستلاله
لقديم ما إطمأنت إليه ، وتوارثته عن الأسلاف والأجيال وتزيينها بما
دعا اليه من إيمان ، ينقض مبرم هذا القديم ويهدم أصوله . . . وكيف تلتطف ،
القرآن لذلك كله ، وماذا استخدم من حقائق نفسية فى هذه المطالب
الوجدانية والمرامي القلبية ، وماذا أجدت رعاية ذلك كله فى انجاح
الدعوة وإعلاء الكلمة . فالتفسير النفسى يقوم على أساس وطيد
من صلة الفن القولى بالنفس الإنسانيه وان الفنون على اختلافها - ومن
بينها الأدب - ليست الا ترجمه لما تجده النفس " (٢)

وأكد الأستاذ الخولى على أهميه التفسير النفسى حين قال أن اللمحة

النفسية فى المعنى القرآنى ربما تكون أحسم لخلاف بعيد الغور
كثير الشعب بين المفسرين " (٢)

(١) إتجاهات التجديد فى تفسير القرآن الكريم فى مصر: د / محمد إبراهيم

شريف ص ٥٠٨
(٢) التفسير معالم حياته منهجه اليوم: أمين الخولى ص ٤

الى أن قال " فالملاحظة النفسية حين تعلل نسج الآية وصياغتها وتعرف بجو الآية وعالمها ، ترفع المعنى الذي يفهم منها إلى أفق باهر السناء . ويدون هذه الملاحظة يرتد المعنى ضئيلاً ساذجاً لا تكاد النفس تطمئن إليه ، ولا هو خليق بأن يكون من مقاصد القرآن^(١)"

تلكم هي الخطوط الرئيسية التي رسمها الأستاذ أمين الخولي للتفسير الأدبي للقرآن الكريم وإن أردنا أن نذكرها إجمالاً فهي :-

أولاً :- جمع الآيات ذات الموضوع الواحد بعضها إلى بعض وتدبرها جميعاً وتفسيرها كذلك .

ثانياً :- ترتيب آيات الموضوع الواحد ترتيباً زمنياً حسب تاريخ نزولها
ثالثاً :- دراسة خاصة حول النص تقوم على تاريخه ونزوله وجمعه وكتابه وقرآته ونحو ذلك من علوم القرآن .

رابعاً :- دراسة عامة للبيئة التي نزل بها هذا النص، البيئة المادية في الأرض والسما والجبال والسهول والأودية وبيئة معنوية في تاريخ هذه الأمة ونظمها واعرافها وعاداتها وتقاليدها .

خامساً :- دراسة النص القرآني في مفرداته وذلك بدراسة إستعمالات هذه المفردة لغوياً . ودراسة إستعمالها في القرآن الكريم في مواضع مختلفة ومدلولها في كل موضع .

سادساً :- دراسة النص القرآني في معانيه المركبة وذلك بالإستعانة بالعلوم الأدبية من نحو وبلاغة على أن النحو أداة من أدوات بيان المعنى وتحديد ه . وعلى أن البلاغة هي النظرة الأدبية الفنية التي تتمثل الجمال القولي

(١) التفسير معالم حياته منهجه اليوم أمين الخولي ص ٤٥

فى الاسلوب القرآنى ، مع التأمّلات العميقة فى
التراكيب والأساليب القرآنية لمعرفة مزايا كل منها
ولمعرفة فنون القول القرآنى وموضوعاته .

تلكم هى أبرز الخطوط التى رسمها الأستاذ أمين الخولى لمنهجه فى
التفسير حرصت كل الحرص على أن أسوقها بنصوصها التى خطها
صاحبها ودونها به ، حتى ولو أطلت الحديث وحتى لو أكثرت النقل
حتى أحاذر واتحاشى إختصار مخل أو فهم خاطئ أقع فيه أو فهمها ،
وأعرف سلفا أن خير من يتحدث عن منهج الخولى هو الخولى نفسه وكيف أعبّر
عنه وأتحدث عن منهجه وقلمه لَمَّا يجف بَعْدُ . فمعدرة إن كان فيما سقت
من نصوصه اطاله فما أردت إلا الوفاء وما أردت إلا الإصابه

على أنا وقد وصلنا إلى هذه المرحلة يجب أن نذكر أن الأستاذ
الخولى نفسه وهو الذى وضع هذه الخطوط لم يخرج لنا دراسة تطبيقية
كاملة لهذا المنهج وإن كان قد حاول ذلك مرارا ويعلن فى خاتمه بيانه
لمنهجه هذا أنه لن يكون من العاجزين مع إعترافه سلفا بالقصور عن
الكفاية الكاملة والقدرة الموفورة حيث يقول :- " مهما يكن لهذه المطالب من أثر
يثقل خطانا ويؤخر أثمار دراستنا ويشعرنا بالنقص ويعود علينا
باللائمه فان هذه هى الحقيقة ، وهذا هو الواجب ، وأولى لنا
أن نؤثر تقرير هذه الحقيقة على أن نكذب على أنفسنا وعلى الأجيال
فنزعم الكفاية الكاملة والقدرة الموفورة ، ولكن لم يكن لنا من الكمال إلا
الشعور بالنقص فذلك أجمل بنا من التزيّد الزائف . وليس الذى نبغيه
من هذا المنهج مستحيلا ولا بعيد التحقق ، فقد شعر أسلافنا
بجملته ، وقاموا ببعضه للقرآن ، ثم قام المحدثون به كله لكتبهم الأدبية
والدينية ، ولن نكون نحن بين هؤلاء وأولئك الضائعين العاجزين (١) ."

(١) التفسير معالم حياته منهجه اليوم ص ٤٦ - ٤٧

ولئن كان الأستاذ الخولى قد صرح مرارا أن الدافع له لتأصيل هذا المنهج والدعوه اليه هو إشارة القدماء حين قسموا العلوم الاسلاميه الى ثلاثة أقسام عدوا منها علما لانضج ولا إحترق وهو علم البيان والتفسير - إن كان الخولى عدَّ هذا منطلقا لقيامه بخدمة علم البيان وعلم التفسير في كليه الآداب بجامعة فؤاد الأول^(١) فلقد انتهى به الأمر بالتفسير في نهاية نظريته إلى أن أصبح علما لم يبدأ بعد - كما يقول د / محمد شريف - ولكن من الممكن له أن يبدأ بل أن ينمو وينضج إذا ما سار على ذلك الدرب الشاق^(٢) الذى شقه الأستاذ أمين وسار فيه خطوات.

الدراسات التطبيقية :-

كثير من الدراسات التى سعت إلى تطبيق هذا المنهج والأخذ بأصوله وقواعده ، وليس بوسعنا أن نذكرها كلها ولا أن نذكر أكثرها وإنما بوسعنا أن ندرس أهمها وأشهرها .
وهذا المقياس فليس فى هذا المنهج أهم من المحاولات التطبيقية التى قدمها أستاذ هذه المدرسة ويليه فيها تلميذان من أنجب تلاميذه هما الدكتور عائشه عبد الرحمن " بنت الشاطىء"^٣ والدكتور محمد أحمد خلف الله " ولعل فى تقديمي لهؤلاء الثلاثة الكفاية فى ضرب المثل لهذه الدراسات فى هذا المنهج وبالاستاذ نبتدىء

أمين الخولى :-

ترجمته :-

ولد سنة ١٨٩٥م بشوشى مركز أشمون بمحافظة المنوفيه وتخرج فى القسم العالى بمدسة القضاء الشرعي سنة ١٩٢٠م واختير مدرسا

(١) المرجع السابق ص ٣٣

(٢) اتجاهات التجديد فى تفسير القرآن الكريم فى مصدر / محمد

ابراهيم شريف ص ٥١٠

بها . وترأس تحرير مجلتها في سنتيها الأولى والثانية
وفي سنة ١٩٢٣م عُيِّنَ إماماً للمفوضية المصرية بروما ثم في
برلين ولهذا أَلَمَّ باللغتين الايطالية والألمانية وإطلع على
بحوث المستشرقين في الإسلاميات بهاتين اللغتين . وعاد إلى مصر
سنة ١٩٢٧م ليُدْرَسَ بقسم التخصص في مدرسه القضاء الشرعى وفى
العام التالي نقل الى كليه الآداب بالجامعة المصرية (جامعة
القاهرة الآن) مدرسا فأستاذاً مساعداً فأستاذاً فرئيساً لقسم
اللغة العربية واللغات الشرقية ثم أستاذاً للأدب المصري ثم وكيلاً
لكلية الآداب وظل فيها حتى سنة ١٩٥٣م حيث نقل مستشاراً
فنياً لدار الكتب المصرية ثم عين مديراً لإدارة الثقافة في وزاره التربية
والتعليم حتى بلغ سن التقاعد سنة ١٩٥٦م

وأنشأ الأستاذ أمين هو وتلاميذه سنة ١٩٤٣م مدرسة أدبية
هى " الأمان " نسبة إليه، رسالتها الفن والحياه . وهدفها
تحقيق أهداف نظرية وعملية . وأصدرت في سبيل تحقيق ذلك مجلة
الآداب سنة ١٩٥٦ حيث رأس الأستاذ أمين تحريرها . وعين
سنة ١٩٦١ عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

وكلف بعد تقاعده بأعمال عديدة فأنتدب مثلاً لتدريس الأخلاق
والفلسفة وتاريخ الملل والنحل في الأزهر في قسم التخصص شعبية
الأخلاق والتاريخ . وشعبة الوعظ وكذلك في كليه أصول الدين
ورأس قسم اللغة العربية في معهد الدراسات العليا للمدرسين ، وحاضر
في معهد الدراسات العربية العالية سنة ١٩٥٧ - ١٩٥٨م وفى
معهد الدراسات الإسلامية ، وحضر عدداً من المؤتمرات (١) وتوفي سنة ١٩٦٦م

(١) لخصت ما سبق من ترجمته الواردة في مقدمة كتابه (التفسير نشأته
تدرجه تطوره) بقلم إبراهيم خورشيد رئيس تحرير النسخة العربية
من دائره المعارف الاسلاميه

وله مقالات وبحوث في اللغة والأدب والبلاغة والنحو والتفسير نشرت في مجلات علميه وأدبيه ، وله تعليقات على كثير من مواد دائرة المعارف الاسلاميه في الأدب والفقه ومن أهمها ما كتبه في مواد التفسير وأصول الفقه والبلاغه ، وجمع أكثرها في كتاب أسمه " مناهج تجديد في النحو والبلاغه والأدب والتفسير " وطبع تعليقه على مادة " تفسير " مستقلا مرة بعنوان " التفسير معالم حياته منهجه اليوم " طبعته جماعه الكتاب سنه ١٩٤٤ م وممـره بعنوان " التفسير نشأته تدرجه تطوره " تحت سلسله " كتب دائره المعارف الاسلاميه " صدرت طبعته الأولى سنه ١٩٨٢ م في بيروت .

وله كتاب " من هدي القرآن " ويحتوى على ثلاثة مؤلفاته " القاده . . والرسل " و " في رمضان " و (وفي أموالهم " وله أيضا كتاب عن مالك بن أنس رحمه الله تعالى وهو العدد (١١) من سلسله أعلام العرب -

والذى يهمننا هنا من مؤلفاته ما كتبه من الدراسات القرآنيه تحت عنوان " من هدى القرآن "

تفسيره :-

أسلفنا القول أنك لا تكاد تجد فيما قدمه أستاذ أمين الخولى دراسة تطبيقية شاملة كاملة للمنهج الذى أصـلـه بل ظل الفارق بعيدا بين الواقع الذى سلكه والمثال الذى دعا إليه

لكن مع هذا فإنك واجد في تفسيره تدرجا يكاد يظهر واضحا في تقلص وإنكماش الفاصل بين الواقع والمثال .

يظهر هذا في دراسات أربع ندرسها هنا دراسة موجزة نبداً بأبعدها عن المثال وننتهى بأقربها إليه وبها تظهر المراحل التى مرت بها الأستاذ الخولى في دراسته التطبيقية .

وقدم الأستاذ أمين الخولي هذه الدراسات تحت عنوان (من هدى القرآن) واشتملت على مجموعات متعددة من الأبحاث ذات الموضوع الواحد كالسلام والاسلام ، والطغيان في العلم والمال والحكم ، وحكومه القرآن ، والحكم بما أنزل الله ، والفن والبيان في القرآن ، والقرآن والحياة ، والقسم القرآني ، والجندييه والسلم ، والقادة . . . الرسل ، وفي أموالهم ، وشخصيه محمد ، وفي رمضان وغير ذلك من الدراسات .

وإذا نظرنا إلى هذه الدراسات وغيرها مجتمعه وجدناها تحتفظ من المنهج بالخصائص التاليه :-

(١) أنها تدرس القرآن الكريم حسب الموضوعات وليس حسب

تسلسل السور في القرآن الكريم -

(٢) أنها تهدف إلى التدبير النفسي والاجتماعي في القرآن للحياه

الانسانية ، وترى أن هذا هو المجال الخاص للقرآن وهو

السبيل المفردة لتحقيق أهداف الرساله الاسلاميه

(٣) أنها تعتمد إلى معاني الآيات التي تؤد بها ألفاظ العربيه

كما كان يفهمها أهل العربيه في عهد نزول القرآن ولا تتجاوز

إلا لالتماس ما للفظ والنظم من إحياءات أدبيه وفنيه (١)

أما المراحل التي مرّ بها تفسيره كما أشرت إليه آنفا فهي أربع

نقدم مثالا من هذه الدراسات لكل مرحلة .

المرحلة الأولى :-

الجندييه والسلم . . . واقع ومثال .

(١) من هدى القرآن : أمين الخولي ص ١٠ - ١١

وكان أول حديث له عن السلام في يولييه سنة ١٩٣٧ ثم تتابعت الأحاديث وأكتفى هنا بالصورة التي قدمها الدكتور كامل علي سعفان لهذه الأحاديث علماً أن هذه الصورة ليست إلا خطوطاً رئيسة لأفكارها وحسبي وحسبه أنها تشير إلى طريقة الأستاذ في التفسير أو مرحلة مربها وهي خلاصة لهذا البحث قال :-

(إن في الانسان غريزة فطرية إذا ما و انتهت التربية الصحيحة كانت تلك الغريزة مصدر خير ونفع للانسان ، ومبعث آمال تقيه الخطر وتجنبه الضرر وتحمي وجوده وحضارته ، وإذا ما لاقت تربية سيئة لا تسلم معها الروح كانت مصدر شقاء وضرر ، ومبعث نقائص تخزي الإنسان ، وتعرض وجوده للدمار ، وتكتب عليه الهزيمة والخذلان) (تلك الغريزة فيما يقول قوم من النفسيين غريزة الخوف) (هذا الخوف الغريزي النافع بإعتد الله هو ما يعنيه الناس حين يقولون : من خاف سلم ، وهذا الخوف الأدبي المصلح هو ما يريد القرآن في مثل قوله تعالى " وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فإن الجنة هي المأوى " (١)

لكن هذه الفائدة المادية والأدبية ، وهذا الخير الفني الجسم والروح ينقلب شراً ذريعاً إذا ما جاوزت الغريزة إعتد لها فآلت إلى ذعر وهرب) . .

ومع غريزة الخوف غريزة السيطرة التي يعليها القرآن حين (يرد ف القوة بالعزة في مثل قوله " كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز" . . (٢) " ان ربك هو القوى العزيز" (٣) . . التي كثير مما ورد في ذلك . .

(١) سورة النازعات : ٤٠ - ٤١

(٢) سورة المجادلة : ٢١

(٣) سورة هود : ٦٦

فالإله في وصف القرآن : قوي عزيز غالب، له الغلبة ولرسوله
وله من الأسماء ما يناسب ذلك فهو القهار ، الجبار ، والمعز والمذل
والخافض والرافع، وما ماثل هذا
والعبد الرباني هو الذي يتحلى بمعاني صفات الله وأسمائه
ويسعى لاكتساب الممكن من ذلك) . . لكنه لم يترك الغريزة دون كبح
قوى وتنسيق فعال

إنه يروض هذه الغريزة ، حيث يتحدث عن القوة والعزة فيضع
معها في وصف الإله معاني السمو والخير وحسن التدبير وان الله
لهو العزيز الحكيم" (١) كذلك يضع إلى جانب العزة العلم وهو الذي على
وفقه تجرى الأشياء صحيحة سالمة، طبق قوانينها ، ومضبوط
نظمها " ذلك تقدير العزيز العليم " . (٢)

بل يضع إلى جانب العزة المغفرة ، وعدم المواقفة على الإساءة والذنب
" وهو العزيز الغفور" (٣)

وطالما يقرن العزة بالرحمة وفيض التلطف والترفق : " ينصر من يشاء ،
وهو العزيز الرحيم" (٤) كما يقرن القوة بالأمانة : " ياأبت استأجره
إن خير من استأجرت القوي الأمين" . . (٥) القوي بأبعد معاني القوة
نفسا وعقلا وجسما ، والأمين بأخطر معاني الأمانة وأكمل استعداد للمسئولية
- هو القوي الأمين الذي يشير إليه القرآن . . . ورجل القرآن الذي
يحقق القوة الجامعة ، ويمثل العزة التي يجمل مثلها لله ولرسوله

(١) سورة آل عمران : ٦٢

(٢) سورة الأنعام : ٩٦

(٣) سورة الملك : ٢

(٤) سورة الروم : ٥

(٥) سورة القصص : ٢٦

هو الرجل الذي بينى منه القرآن أمة هي خير ما أخرج للناس" . .
أمة تحقق السلام القائم على العدل " السلام الذي أصبح شعار
هذه الأمة ، يلقي الناس به إخوانهم في الغدو والرواح . . السلام
الذي (يأسوا خراج الانسانيه ويسعفها في صراع الغرائز ، وقاتل
الشهوات) . " السلام الذي سمى الله به نفسه وجعل الجنّة
(دار السلام) وأهل الجنه (تحيتهم فيها سلام) . . (١) (٢)
تلکم هو الصورة التفسيرية التي قدمها في " الجنديه والسلام"
وهي مرحلة لا نكاد نستبين بينها وبين المنهج الذي دعا إليه
من صلة

المرحلة الثانية : القادة . . . الرسل

وهي مجموعة أحاديث أذاعها بين عامي ١٩٤١ - ١٩٤٢م وجاءت
أحاديثه عنهم عليهم السلام في عدة حلقات تحدث عن " رسل
ورسالات " وعن " القادة الرسل " وعن " عزمات القادة " وعن شمائل
القادة " وعن " تبعات القادة " وعن قادة لا جبابرة"
نختار منها مثالا أولها " رسل ورسالات وقد ألقاه إذاعةً
في حلقتين ، قال في الأولى :-

" رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ،
وكان الله عزيزا حكيما " (٣) لقد جاءكم من هدى القرآن ما يمس مشكلات
كثارا من عقد الحياة العامله ، ورأيتموه يتولى التنسيق الاجتماعى
ماضيا إلى أغوار المصاعب ما سا أصولها البعيدة ، وفي القرآن من ذلك-

(١) سورة يونس : ١٠

(٢) المنهج البيانى فى تفسير القرآن الكريم : د / كامل على سعفان ص ١٦٤-١٦٦

(٣) سورة النساء : ١٦٥

كما سلف - كثير وكثير . . . والان يلتمس هدى القرآن في تقدير قيم الأشخاص والأشياء والأعمال ، ووزن البواعث والغايات التي ينبعث الناس بها في حياتهم ويصدرون عنها في تصرفهم ، ويرمون إليها في سلوكهم ويجعلونها هدفهم في سعيهم ، فقد اضطربت في ذلك الأهواء ، ولاذ الناس في تقديرهم وتأثرهم بأحكام ومذاهب أبت إلا أن تقيس كل ما في الوجود بالعروض والنقود ورأت ألا تقدر كل أجر إلا بالرطل والمتر ولم يرضها وراء ذلك جزاء ، ولا قبلت دونه ثمن ، وإطمأن من حولنا - وفيهم كثير من الخاسر - إلى متع من الحياه يشركهم فيها الحيوان الأعجم وقد يغلبهم عليها الإنسان الأول^(١) ساكن الغابه والمجهل ، فأفاضوا بذلك على دنياهم ، ودنيا غيرهم ، قسوة وقتاما ، وزادوها برودا وظلما . . . إذ حالوا بين أنفسهم وبين متع من الروح والنعيم ، ومباح من السنا والنور ، ولذائذ من الرضا والحبور ، وحينما أنكروا ذلك وحقوقه لم يحرموا أنفسهم منه فحسب بل شوشروه^(٢) على من يبتغيه ، وشوهوه على من يؤثره ففسدوا وأفسدوا ، وتأذوا وآذوا ، وعدَّبوا وعدَّبوا معهم غيرهم . . . والله المستعان " إلى أن قال :-

فيايتها القلوب الموء منه . . كيف تناول القرآن أصول التقدير وما هدى في بيان الغايات الكريمة ، وأي اللذائذ الراقية قد تخير لكرام الناس في حياتنا المشهودة ؟ إلتمسوا الجواب عن ذلك فيما علمه لرسله وهداهم إلى أن يقولوه لقومهم ، وأن يعلنوا أنه الغاية من أدائهم لرسالاتهم مع أنهم أولئك البشر الذين قرر القرآن بشريتهم

(١) وهل كان الانسان الأول كذلك ؟ !

(٢) بحثت في القواميس عن " ششر " أصل هذه الكلمه فلم أجد لها ذكرا

ولم يثبت لهم وراءها شيئاً فاستجدون في ذلك ما تريدون ، من هدي القرآن في هذه المشكلات الدقيقة . . . ستجدون حقيقة ثابتة مطردة في الأديان كلها وستعرفون المطلب الذي ابتغاه الرسل جميعاً من أديانهم رسالاتهم جميعاً ، ستسمعون نوحاً (ص) منذ الدهر الأول يقول لقومه (ويا قوم لا أسألكم عليه ما لا ، إن أجرى إلا على الله)^(١) (وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين)^(٢) (فإن توليتم فما سألتكم من أجر . إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين ")^(٣) إلى أن قال الأستاذ أمين

" واسمعوا كذلك في الرسالات الأولى هوذا يقول لقومه (يا قوم لا أسألكم عليه أجر إن أجرى إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون)^(٤) (وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين)^(٢) وهكذا قال صالح لقومه ، تلك المقالة ، وقالها لوط ، كما قالها شعيب ، عليهم السلام جميعاً ، فتقرأ في سورة الشعراء من قصص هؤلاء الأنبياء تلك النعمة السماوية المرددة (وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين)^(٢) تردد بضع مرات في سورة واحدة . . .^(٤) وان يقلها سالفوا الأنبياء مرة ومرة فقد قالها رسول القرآن (ص) مرارا في صور متفنه متعددة فحيناً ينفي إبتغاء الأجر بأن يهبهم ما يطلبه في مثل قوله (قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلا على الله ، وهو على كل شيء شهيد)^(٥) وحيناً ينفي الأجر بأن يطلب منهم ما هو خير لهم مما لا له هو في مثل (ما أسألكم عليه

(١) سورة هود : ٢٩

(٢) سورة الشعراء : ١٠٩ ، ١٢٧ ، ١٤٥ ، ١٦٤ ، ١٨٠

(٣) سورة يونس : ٧٢

(٤) سورة هود : ٥١

(٥) سورة سبأ : ٤٧

من أجزالا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا (١) (قل لا أسألكم عليه
أجزالا إلا المودة في القربى) (٢) أى برهم قرابتهم به ، وصلتهم
ما بينه وبينهم من رحم ، وأنا يؤمر أن يجهر بنفسي إبتغاء الأجر فى
مثل قوله (وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين) (٣) (قل
لا أسألكم عليه أجزا إن هو الا ذكرى للعالمين) (٤) (قل ما
أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ، إن هو إلا ذكر
للعالمين ، ولتعلمن نبأه بعد حين) (٥) وطورا ينفى هذا الطلب في صورته
الإستفهام المبعد له مثل قوله في غير موضع: (أم تسألهم أجزا فهم
من مغرم مثقلون) (٦) وهكذا يصف القرآن الرسل بهذا العزوف عن الأجر
فيقول (اتبعوا من لا يسألكم أجزا وهم مهتدون) (٧)

أيتها القلوب المؤمنة . . . تلك الرسالة التي أداها الأنبياء طوال
حياتهم ، ولقوا فيها من العنت والإيذاء ما لقوا ، واحتملوا بسببها
ما احتملوا ، وهى بعد ذلك عمل لا مال فيه ولا أجر من حطام الدنيا
عليه ، ثم هم آخر الأمر كما قال خاتمهم عليه السلام " نحن معاشر
الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة" (٨) وكذلك ترقى النفس البشرية فترقى لذتها
ويهنون عندها ما حبيب إلى النفس من زينة الدنيا ، وهكذا بسط القرآن
هديه

الى أن قال " وان ما أحدث عنه من اللذات الراقية . . . والتي اكتفى

(١) سورة الفرقان : ٥٧ وأولها (قل)

(٢) سورة الشورى : ٢٣

(٣) سورة يوسف : ١٠٤

(٤) سورة الانعام : ٩٠

(٥) سورة ص : ٨٦ - ٨٨

(٦) سورة الطور : ٤٠

(٧) سورة يس : ٢١

(٨) رواه البخارى ومسلم بلفظ " لا نورث ما تركناه صدقة " انظر ما نقلناه عن
الشيخ الشنقيطي رحمه الله تعالى ، فى الباب الثانى الفصل الاول عن
دراستنا لفقهاء أهل السنة والجماعة

بها رسل الله الكرام فيما أدا من رسالات . . . تلك اللذات الراقية ليست من بعيد الفلسفه ولا عسير الآمال وممتنع المطالب بل هي منزله قد أرتقى اليها الكرام جميعا وبلغها في الأمم السعيده ، رجال العلم ورواد الكشف وأهل الجهاد ، ولولاها ما أقدم رجل العلم على تجارب يجربها حتى في نفسه ، ولما جازف رجل الكشف يقتحم المجاهيل والمخاطر ولما حمل المجاهد يجالد المنيا ويعانق الفواتك المدمره . . . وما خطت الانسانيه خطوه واحده في سبيل رقيها إلا على يد أولئك الذين إستهوتهم اللذائذ الراقية فنسوا أنفسهم ، وسعدوا بخير من حولهم ، أولئك رسل الحضاره وتلك رسالاتهم" (١)

وواصل الأستاذ أمين حديثه هذا في الحلقة الثانيه حيث قال :- " . . . واذا ما عرفنا كيف نختار غايتنا الكريمه في هذه الحياه فقد بقي أن نعرف هدي القرآن في السير إلى تحقيق تلك الغايه المرجوه والوصول الى المقصد الجليل . . . كيف يخوض الناس الصعاب الى أهدافهم ؟ كيف يواجهون ما يعترضهم من عقبات ، ماذا يعدون لتذليلها والتغلب عليها ؟ تجد هدى القرآن عن هذا في حديث الرسل الكرام وما لقوا في سبيل تحقيق رسالاتهم وكيف واجهوا ذلك واحتملوه وماذا علمهم الله أن يفعلوا في هذا السبيل . . . فتقرأ في غير موضع أخبار تكذيبهم وسبهم في اقداع جرىء من مثل قول قومهم لواحد منهم : (إنّا لنراك في ضلال مبين) (٢) (إنّا لنراك في سفاهه) (٣) (وإنّا لنظنك ممن الكاذبين) (٣) (ساحراً ومجنون) (٤) الخ

(١) من هدى القرآن : القاده الرسل : أمين الخولى ص ١٤-١٩ باختصار

(٢) سوره الأعراف : ٦٠

(٣) سوره الاعراف : ٦٦

(٤) سوره الذاريات : ٥٢

بل نراهم يكيدون لهم بالقوه الباطشه الطائشه
" وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من أرضنا
أولتعـودن فى ملتنا " (١) " واذ يمكن ربك الذين
كفروا ليثبتوك " أى يعجزوك عن الحركة " أو يقتلوك
أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين (٢)
كان ذلك وما يشبهه من عنف أهوج نصيب الرسول
ممن يدعون فاذا القرآن يعالجه بتهوين وقعه
على الرسل واصلاح نفسيتهم وارشادهم الى ما يحفظ
طمأنينتهم . . . من مثل قوله " فلاتبتئس بما
كانوا يفعلون " (٣) " ولا يحزنك الذين يسارعون
فى الكفر إنهم لن يضروا الله شيئاً " (٤)
واسمعه إذ يأمر الرسول بالصبر على ما يقال
فيعينه على الصبر بأن يذكره بالقـدوة الصالحة
من أسلافه الأقوياء فيقول " فاصبر على ما يقولون ،
واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب " (٥) والأيد
القوة والاضطـلال بالاعياء والمشاق ويقول " فاصبر
كما صبر أولوا العزم من الرسل " (٦) واستمع
إذ يغريه بتسبيح الله ليعتز بعزته ويستمد القوه من قوته

(١) سورة ابراهيم : ١٣

(٢) سورة الانفال : ٣٠

(٣) سورة هود : ٣٦

(٤) سورة آل عمران : ١٧٦

(٥) سورة ص : ١٧

(٦) سورة الأحقاف : ٣٥

ويحتفظ بالمقاومة والإحتمال في قوله : (فأصبر على ما يقولون
وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب، ومن الليل
فسبحه وأد بار السجود" (١) "فأصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك
قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك
ترضى" (٢) والشاعر بقسمات الحسن القتي في نظم القرآن
والمدرک لاشارته النفسیه یقف عند ختمة الآية الأخيرة يترجى
الرضا ، وقوله " وسبح بحمد ربك . . . لعلك ترضى " یقف وقفة یتمثّل
فیهما ذلك المعنى النفسى الذى أدنا علیه هذا الحديث من تقبل
الألم والشعور فى ذلك باللذة إذ لا یكون هذا إلا حين یكون الرضا
النفسى ویظفر به الانسان فتكون العظيمة الروحیة
والمقاومة النبیله وجلال الترفع ولأصحاب هذه النفوس یكون
الأمر بالصبر" (٣)

وهذه الخلاصه لحديث الأستاذ الخولى عن " رسل و رسالات" من
سلسلة أحاديثه عن " القاده الرسل" تلمح فیهما أنها أقرب من
سابقتهما " المرحلة الأولى " إلى تمثّل منهجه والتزامه
ففرى فیهما هنا شيئاً من الموضوعیه فى التفسیر الّتی یدعو
الیها هذا المنهج ونرى فیهما ایضا ابراز الجانب النفسى
فى التفسیر وإن كان هـذا وذاك لم ینالا حظاً کبیراً -
كما یتطلب المنهج - لكنهما وردا على كل حال . وما
زالت هذه المرحلة بعیده عن التزام خط المنهج .

(١) سورة ق : ٣٩ - ٤٠

(٢) سورة طه : ١٣٠

(٣) من هدى القرآن : القاده . . الرسل أمين الخولى ص ٢٢ - ٢٤ باختصار

المرحلة الثالثة :

في رمضان

وهي مجموعة أحاديث أذاعها في شهر رمضان خلال ثمانية عشر عاما امتدت من سنة ١٣٦٠ إلى سنة ١٣٧٨ هـ وسأختار من هذه الاحاديث موضوعين أما أولهما فعنوانه صاحبه بـ " في رمضان " وثانيهما في حلقتي عنوانهما " عن فلسفة الجوع " ولعل فيما اخترت دلالة على ما أردت .

تحدث الخولى في الاولى عن " معنى حيٍّ - كما وصفه - لنزول القرآن في رمضان " بين فيه المراد بانزال القرآن في شهر رمضان الوارد فى قوله تعالى " شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان " ^(١) وذكر أن المفسرين منذ أولهم إلى اليوم يدورون حول أقوال بعينها التماسا لبيان كيف ان القرآن أنزل في شهر رمضان مع أنه انما نزل مفرقا في عشرين سنة أو أكثر عند المناسبات وليس في شهر رمضان فقط ، وذكر أن هؤلاء المفسرين تارة يقولون أن القرآن نزل جملة من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا فجعل في بيت العزة وكان ذلك في رمضان ، ورد الاستاذ الخولى هذا القول بأنه " ما كان القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان " بنزوله من سماء الى سماء حتى يفسر بذلك نزوله في رمضان " ^(٢) وذكر أنهم تارة أخرى يقولون أن القرآن نزل فى سائر الشهور لكن جبريل كان يعارض الرسول صلى الله عليه وسلم بالقرآن فى رمضان ويقابله معه فيه ، ورد هذا القول أيضا بقوله " لكن هل المقابلة هى النزول أو هى بعد النزول ؟ وهل يسهل تفسير النزول بالمقابلة أو المعارضة أو المدارس ؟ ما أظن " ^(٣) وقال انهم حينما يرون أن المراد أنزل بشأن رمضان

(١) سورة البقرة : ١٨٥

(٢) من هدى القرآن . . فى رمضان : أمين الخولى ص ١٢٦ - ١٢٧

قرآن أي جاءت عنه في القرآن آية الصيام ، ورد على هذا الرأي بأن هذا ليس مما يمتاز به رمضان ، كما أن آية الصيام لا يظهر وصفها خاصة بما ورد بعد من هدى وبينات من الهدى والفرقان بل هو وصف للقرآن كله . وذكر أنهم يفسرون المراد بالانزال بابتداء النزول ، ورد هذا القول أيضا بما فيه ضعف حيث شكك في معرفة البدء بالنزول حيث قال " وهل هذا البدء معين محدد فيشبه بمبادئ الدول والملل في انضباطها ؟ وأين كان هذا التاريخ بذلك البدء " (١) وفات على الاستاذ الخولى أن الذى حدد البدء ليس بشرا وإنما هو الله الذى أنزل القرآن فهو أعلم ببدء نزوله وتاريخ نزوله . وزاد الاستاذ الخولى ردا آخر حيث قال : " ثم قبل هذا وذاك لم عبر بالنزول عن بدء النزول وبأى شىء صرفوه الى ذلك ؟ وهم يرون أن فائدة وصف الشهر " بانزال القرآن فيه " هي التنبيه على علة تخصيصه بالصوم فيه " (١)

وعد هذا العرض للاقوال فى المراد بالنزول والردود عليها قال : " وهكذا لا تجد من هذه الاقوال التى دار حولها المفسرون جميعا فى فهم آية رمضان هذه - رأيا ترتاح اليه " ثم ساق رأيه فى المراد بالنزول :-

" أيها الشعاعون بروعة القرآن :- لقد قصرنا النزول على المعنى المادى فى الانتقال ، والهبوط ، والانحدار ، ونحوه وليس هذا كل معنى الكلمة ، وليس هذا كل ما استعمل فيه القرآن هذه الكلمة . . لقد استعملها القرآن فى حسيات ليس فيها انتقال ، ولا هبوط . فهو يقول " أنزلنا الحديد فيه بأس شديد " (٢)

(١) من هدى القرآن . . فى رمضان : امين الخولى ص ١٢٦ - ١٢٧

(٢) سورة الحديد : ٢٥

وليس هابطا من السماء ، وهو يقول " يا بني آدم قد أنزلنا عليك لباسا يوارى سوءآتكم وريشاً " (١) وليس يعنيني انحدار . . . هذا من الأعلى الى الأرض . . . بل يلاحظ انه حين يقصد هذا الانتقال المادى يذكر مبدأه ويصرح به فيقول " أنزل من السماء ماء " (٢) وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجاً " (٣) « أنزل علينا مائده من السماء » (٤) ولم يذكر هذا المبدأ فى آيه ومضان ونزول القرآن فيه !
ومن المفروغ منه أن الألفاظ لا تقتصر على معناها الحسنى أبداً بل تنتقل عنه انتقالات كثيرة الى اطلاقات معنوية . . . وهم أنفسهم قالوا : الانزال تقريب الشئ والهداية اليه ، وانزال الله نعمة ، ونعمه على الخلق اعطاءهم اياهما فقيم إذن هذا الوقوف عند معنى النزول المادى من سماء الى سماء أو الوصول إلى الأرض والابلاغ الى شخص
وكأن الأستاذ أحس بأن هناك اعتراضاً يقول : إذا كان المراد بالنزول : التقريب والهداية فلم خصه الله بشهر رمضان مع أن هداية القرآن غير مخصوصه به ؟ ! فذهب الأستاذ الخولى يلتمس ما حسبه مستمكا وما هو بمستمسك قال : - "القرآن نعمة وهداية ، تعطى للناس ، وتقرب اليهم ، وتيسر لهم ظروف ومناسبات مع رياضه خاصه ، أو عبادته خاصه فانزال القرآن فى رمضان يمكن أن يكون

-
- (١) سورة الاعراف : ٢٦
(٢) سورة الحج : ٦٣
(٣) سورة النبا : ١٤
(٤) سورة المائدة : ١١٤

بتقريبه إلى الناس ، وأنسهم به في شهر رمضان عند ما يرتاضون بالصوم ويدركون من الصوم ما رأينا من غايه تتساق مع الفكرة الجامعه في فهم الدين وفهم الحياه . . ففى كل رمضان اذ الناس يشعرون من الصوم بما يشعرون به ، يقرب القرآن إلى نفوسهم ، ويستبينون منه الهدى والبيانات من الهدى فى تفسير الحياه وتدبير الحياه . . والقرآن فى ذلك فرقان واضح ، يتميز به تاريخ الانسانيه عصر عن عصر قبله وهذا معنى الفرق والتميز فى كلمه الفرقان الذى فيه منه بينات على هذا الوجه يفهم أن نزول القرآن فى رمضان هو تقريبيه والاياس به فيزيد الاستشفاف لهداه ، وبيناته " (١)

ولا أحسب أن هذا التعليل الذى جاء به الأستاذ الخولى مقنعا إذ أن الهداية بالقرآن الكريم وتقريبه إلى الناس وأنسهم به ليس خاصا بشهر رمضان حتى يقصر عليه . زد على هذا أن النصوص كثيرة من الكتاب والسنة فى نزول القرآن الكريم فى شهر رمضان ، ولا يلزم إقتران النزول المادى بذكر المبدأ خذ مثلا " ولو شاء الله لأنزل ملائكه " (٢) " قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكه " (٣) " ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون " (٤) " حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء " (٥)

(١) من هدى القرآن : فى رمضان : أمين الخولى ص ١٢٧ - ١٢٨

(٢) سورة المؤمنون : ٢٤

(٣) سورة فصلت : ١٤

(٤) سورة الأنعام : ٨

(٥) سورة الأعراف : ٥٧

" وترى الأرض هامده فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت" (١) " فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت" (٢) والآيات الدالة على هذا كثيرة

وفى حديثين آخرين تناول الأستاذ الخولى معنى الجوع وصلته بالصيام وذلك تحت عنوان " عن فلسفه الجوع" ذكر فيه أن الجوع ليس طابع الصوم وقال فى الحلقة الثانية " حدثكم قبل عن الفقهاء وتعريفهم الصوم بالجوع وترك الأكل والشرب. الخ وادارتهم الشاهد العقلى لفرضية الصوم على فعل الجوع بالنفس ورد هم حكمه الصوم الى أثار الجوع أيضا ، كما رأينا الصوفية يفلسفون هذا الجوع فيسببون به كل خير كما ينسبون الى شهوة الطعام كل شر ، ويروون فى فضل الجوع ما يروون مما يعدونه حديثا ، ويذكرون مآثر العابدين فى الصوم ومدته ونريد هنا أن نعرض هذه الآراء على هدى القرآن لنرى الى أى مدى يؤولها أو يرفضها . . . فاستمع اليه حين يقول لقريش:- " فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف" (٣) فيعد نعمتى الإطعام والإيمان اللتين خلص بهما قريشا من نعمتى الجوع والخوف. وهو بمثابة هذا يعد نعم الجنة . دار النعيم المقيم . والسعادة الكبرى فيقول لآدم" ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنت لا تظمأ فيها ولا تضحى" (٤) فالجوع والعرى والظمأ والضحو - بالتعرض

(١) سورة الحج : ٥

(٢) سورة فصلت : ٣٩

(٣) سورة قريش : ٣ - ٤

(٤) سورة طه : ١١٨ - ١١٩

للسمس وحرها - كلها آلام يأمن منها من يكون فى الجنه
واذا نعم أهل الجنة بألا يجوعوا فقد شقى أهل الجحيم
فى وصف القرآن بألا يجدوا إلا ما لا يشبع فقال عنهم " ليس
لهم طعام إلا من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع" (١)
وعلى هذا ندرک أن الجوع والحرمان من الطعام
لون من العذاب القاسى فى تعبیر القرآن الأدبى ، وحسه
الغنى ، الذى نفرغ إليه - كما أتفقنا - لمعرفه نظرة القرآن
الى الجوع . . .

ولعلنا نستطيع أن نقول - بعد الذى أنسنا اليه من
هدى القرآن - ان ما اتجه اليه القوم من تلمس الآثـار
فى فضل الجوع وفلسفتهم لذلك الجوع على ما سمعناها منهم
ليس مما يرحب به هدى القرآن كثيرا وليس بكثير أن نقول :-
ان نظريه القوم فى الجوع ليست ذات أساس سليم وهى غريبه عن الروح
الاسلاميه . بل انها ليست فى شىء من روح القرآن فى
مثل قوله : " ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء
عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين" (٢)
أيها المهتدون بهدى القرآن :- أحسبكم تقدرون ما قصد اليه
هذان الحديثان عن فلسفه الجوع فى عمل الفقهاء ورياضة الصوفية ،
وأن هذا الجوع ليس أفضل العبادة ولا مخ الطاعة بل نقول فى طمأنينه :-
ان هذا الجوع ليس مخ الصوم نفسه ، وليس من الصواب أن يكون الجوع

(١) سورة الغاشية : ٦ - ٧

(٢) سورة هود : ٥٢

طابع الصوم الظاهر عند المتكلمين فى الحكمة وفضل الصوم
وحبذا الصوم إمساكا عن جميع الأهواء والأخطاء والعوائد
الواهمة والفاسدة ليكون الصوم رياضة مصلحه للنفوس، مجديه
على الفرد والجماعة مروضه على ما لا يسهل الارتياض عليه
فى سائر الأوقات لضعف أو إهمال أو عدم رقابه . . فىكون
رمضان وسيلة إلى التقوى التى رجاها القرآن وختم بها آية
هذا الغرض: " كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من
قبلكم لعلكم تتقون . . " (١) (٢)

وهآ أنت ترى الأستاذ يقترب أكثر من قبل إلى أسس منهجه
وإن كان الفاصل لا يزال بعيدا

تراه فى هذه المرحلة الثالثة يولى المفردات عناية خاصة
فينظر لكلمة النزول ويقارن بين ورودها فى الآية التى يتناولها
وبين ورودها فى آيات أخرى ثم يستنبط المعنى الذى هـداه
إليه عمله ويظهره وان خالف فيه كل من سبقه

وفى الجوع نظر نظرة موضوعيه وصل بها الى أن الجوع
ليس طابعا وليس هدفا بل هـولون من العذاب القاسى فى
تعبير القرآن الأدبى وحسه الفنى ويصل من هذا إلى أن الصوم
امسك عن جميع الأهواء والأخطاء والعوائد الواهمة والفاسده
ليكون الصوم رياضه مصلحه للنفوس مجديه على الفرد والجماعه . . . الخ

(١) سورة البقره : ١٨

(٢) من هدى القرآن . . . فى رمضان : أمين الخولى
ص ١٣٦ - ١٤٢ باختصار

المرحلة الرابعة:

في أموالهم . . مثالية لا مذهبية

وهي أحاديث إذاعة تباعدت سنوها - كما يقول الخولى -

من سنة ١٩٤٤ م إلى سنة ١٩٥٢ م

ولا يسعني بحال من الاحوال أن أستوفي عناصر المنهج من دراسه جاءت في حوالى ١٣٠ صفحه فى عرض سريع كهذا أقول هذا عذرا لقصور مؤكّد فإن قيلَ هذا مِنّى عذرا فإنى أقول .

أن الأستاذ الخولى قدم لأحاديثه هذه التى وصفها بأن فى ثناياها إشارات متعدده للمعالم الكبرى لهذا المنهج الأدبى فى تفسير القرآن - قدم لها بذكر طائفة من الآيات فى موضوع المال من نحو قوله تعالى : " وآتوهم من مال الله الذى آتاكم^(١)"

و " آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير^(٢)" و " لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شىء فإن الله به عليم^(٣)"

" يا أيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون^(٤)" وغير ذلك من الآيات لكنه لم يرتبها حسب نزولها كما هو الأصل فى المنهج الذى يدعو اليه .

ثم - وبعد ذلك نظر نظرة عامة عنوانها " لمحات عامة" وهى التزام منه للأساس الذى دعا إليه وهو الدراسة العامة لكن هذه اللمحات

(١) سورة النور : ٣٣

(٢) سورة الحديد : ٧

(٣) سورة آل عمران : ٩٢

(٤) سورة البقرة : ٢٥٤

العامه لم تأت من الزوايا التي دعا الى النظر منها تماماً
بين ما يريد في هذه اللمحات فقال " نريد لتذكّر
ما يشف به الحس القرآني الكريم في ذكر القرض الحسن ، إذ يسمى
هذا الإعطاء والنضال في سبيل الخير العام قرضاً حسناً وقرضاً لله
تعالى فلا يسميه منحاً ولا تفضلاً أو ما يشبه هذا ،

ثم عرض لبيان نظرة القرآن إلى هذا المال في أيدي الواجدين
وصفته التي يعطونها به للفاقدين وأنهم إنما يعطونه حين
يقرضونه إعطاء التارك المتجاوز غير المحدد لأجل الرد ولا الدائن
بما يقرض

ثم عرض الأستاذ الخولي لبيان غريزه حب التملك في الانسان
منذ الطفوله إلى الشيخوخه وآثارها الحسنه وآثارها السيئه
ثم بين هدى القرآن في حل تلك المشكله الكبرى ؟ وبين كيف
عالجها القرآن وأن علاجه لم يكن دخولا في مشكلاته الاقتصاديه
أو مذهبيات إجتماعيه يزيد بها الآراء رأيا والمذاهب مذهباً
ويدعنا في حيرة لا نعرف الأ صوب والأصلح ؟ ووصف العلاج
القرآني لهذه الفطره نفساني دقيق يمسه مساساً خبيراً رشيداً
فيجعل الدين والتأليه والمسئوليه الآخرة عوامل فعالة في إحياء
الضمير وتقوية الإحساس بالكرامة وبالخير وتأسيس الشعور بالمسئوليه
على المراقبة الداخليه والرضا النفسي

تلكم هي أبرز ملامح اللمحات العامه التي قدمها الأستاذ
الخولي أمام دراسته تلك .

لكنه عاد في الحلقة التاليه إلى " حب المال " وتحدث
فيها عن نظره القرآن اليه ، وأن القرآن لم يعتمد من ذلك على

تجاهل أو كبت يصادم الواقع من قوه هذه الرغبة فى
البشر فهو يقول " وتأكلون التُّراثَ أَكْلاً لَمًّا وتحبون المال حبًّا
جَمًّا " (١)

ثم بين أن أصحاب القرآن يدركون أن هذا الهيدى الخالد
قد عرف للبشرية حبها للتملك ، فأرضاهما لونا من الإرضاء يوفّر
ثقتها بما يوجهها إليه فى تعليه هذه الغريزة ولا تحس معه
بشك فيما يلقي إليها ، لأنها قد عرفتة مقدرًا للواقع خبيرًا
به لطيفًا فى تناوليه فلتصغ إلى ما سيلقى إليها من حديث
عن هذه الرغبة . . . الخ (٢)

وتحت عنوان " بين القصد والجور " أورد المؤلف قولــه
تعالى " ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر " (٣)

تحدث فيه أيضا عن هذه الفطرة " حب التملك " وعا تحتاجه من
مراقبة وملاحظة . لأنها حين تجنح إلى ما لا خير فيه تكون وبالاً على
الفرد والأمة ومضيعة لما هى وسيله إليه وسبب من العزة والغلبه
والكره والدولة فهى إذن بحاجة ماسه إلى التوجيه
السديد . . وهذه المراقبة ليست يسيره المئونه ولا سهله الممارسه

وقد إلتفت القرآن إلتفاتا قويا لهذه الغريزة . . . وهو يحــد
من شرها عند هذا الجموح فى مثل قوله " يا أيها الذين آمنوا لا
تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم
الخاسرون " (٤) كما يسوق للعبرة حال من أفسد أمره ماله وولده

(١) سورة الفجر : ١٩ - ٢٠

(٢) من هدى القرآن . . فى أموالهم : أمين الخولى ص ٢١٤

(٣) سورة الرعد : ٢٦

(٤) سورة المنافقون : ٩

فى قوله عن نوح عليه السلام " رب انهم عصونى ، واتبعوا من لــــم
يزده ماله وولده إلا خسارا" (١) وفى مثل قوله تعالى " ولا تطع كل
حلاف مهين هَمَّاز مَشَّاء بنميم ، مَنَّاع للخير معتد أثيم ، عَتَل بعد ذلك
زنيماً ، أن كان ذا مال وبنين " (٢) بمثل هذه الحالة من فساد
الحال بجموح نزعه التملك والتمول ينفى القرآن أن يكون المال والولد
وسيله إلى القربى والزلفى عند الله فيقول " وما أموالكم ولا أولادكم بالتى
تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا . . . الآيه (٣) . . .

وبهذا القصد والاعتدال ينهى القرآن عن الأعجاب والأغترار بالأموال
والأولاد . . . « فلاتعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله
ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون " (٤)

ففى هذه الآيات وما إليها لفت واضح إلى حال هذه النزعة
البشرية للتملك والإقتناء إذا جنحت إلى الشر ، ثم جعل الأستاذ
أمين هذا الأساس ميزانا يزن به أقوال المفسرين

ثم بيّن أن القرآن لفت إلى الرشاد والصواب فى السلوك الذى يريده

من أصحاب الاموال " لكن الرسول والذين آمنوا معه وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم
وأولئكَ لهم الخيرات وأولئكَ هم المفلحون الآيه " (٥) والذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار
سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون " (٦)

ولن يكون الانفاق بالليل والنهار ، وفى السر وفى العلن إلا من مال
كثير يجدُّ فى سبيل جمعه أولئكَ المنفقون . . .

بهذه الآيات وأمثالها لفت القرآن أقوى لفت إلى خيرية غريزه التملك

(١) سورة نوح : ٢١

(٢) سورة القلم : ١٠ - ١٣

(٣) سورة سبأ : ٣٧

(٤) سورة التوبة : ٥٥

(٥) سورة التوبة : ٨٨

(٦) سورة البقرة : ٢٧٤

المهذبه الموفقه . . . فالقرآن بعد مسلكه النفسى فى تقرير
هذه الحقيقه عن الفطره يشير إلى أنها فى حاجه الى رقابته
مرشدة وتوجيه سديد

ووضح فى " تحويل نفسى " أن القرآن حين يقصد الى تعليه غريزه
التملك وتوجيهها لم يعمد قط إلى هذا القمع الكابت فلم يجعل
المال لعنة ، ولا الغنى خطيئة ولا طرد الغنى من ملكوت الله ولا وجه الى
الزهد المنقطع عن الحياة " بل " فتح مسالك ومنافذ
للتحويل النفسى ببعض ما سمعنا من توجيه لا يظن و
ولا يبدد ويسرف . . . ولا يغتر ويسرف . . . ولا ينكر القيم ويجحد
اليقين ولا يحسب المال هو الدنيا والآخرة جميعا ولا ينسى
ما هو خير ثوابا وخير أملا . . . (١)

ثم تكلم الخولى عن " تعديل البيئه " فإذا كان أصحاب النفسيات
يقدرون فى تهذيب الغريزه تأثير التحويل النفسى ، والتبديل
النفسى ، والإستعانه بغريزة على غريزة فإنهم يقدرون - كذلك - فعل
المؤثرات الخارجيه فى هذا التهذيب ، ويقررون أن الإنسان يتأثر
بما حوله من نظم وأوضاع يخضع لها . . . وفى الحق أن القرآن
قد قدر الأثر النفسى للبيئه حينما قدر الوحدة الاجتماعيه
والصلة الوثيقه بين الفرد والجماعه . . . وفى الحق - أيضا - أن القول
عن عمل القرآن فى " تعديل البيئه " التعديل الخاص بتهذيب
غريزة التملك قول تتسع آفاقه وينبسط مداه حتى ليقطينا النظر فى
أصول النظام المالى

(١) من هدى القرآن . . فى أموالهم : أمين الخولى
ص ٢٢٤ و ٢٢٦

والقرآن حين يهذب غريزه التملك فى أصحاب القرآن يجمع
بين الواقعية . . . والمثالية . . .

فهو حين يحمى الملكيه الفرديه . . واقعى . . لا يفجأ الناس بتجريد هم
من أموالهم تجريداً يَفْتَرُ هَمَّتَهُمْ وَيُثْنِي عَزَائِمَهُمْ ، ويقعد همهم فلا
يبتكرون ، ولا يجددون . . ولا يذودون عن حماهم . . .

ثم هو حين يهز أسس هذه الملكيه الخاصة . . . يكون . . . مثالياً
. . . يكف من غلواء الأغنياء ، ويزلزل صلتهم بأموالهم ويجعلها
للناس جميعاً . . هم عليها أمناء مستخلفون . . وهى مال الله لا مالهم
بهذا التعديل الدينى الأساس ، السماوي الصبغة ، الإلهي
الروح يوقهم أخطار الجموح فى التملك والوصول إليه بأى وسيلة
وإهدار الخلق والفضيلة . . . (١)

و"استمع إليه حين يحدث كثيراً عن أداء هؤلاء الواجدين لما عليهم
من واجبات الزكاه فيستعمل فى ذلك كله كلمه من "الإيتاء" . . لا يغيرها
فى بضع وعشرين مره إستعمل فيها مادة واحدة هى "أتى" لـ
يغيرها على كثرة ما قال عن الزكاه فتراها فى صور متعدده: "أقاموا
الصلاه وآتوا الزكاه" (٢) "وأقيموا الصلاه وآتوا الزكاه" (٣) "واقام
الصلاه وايتاء الزكاه" (٤) "والمقيمون الصلاه والمؤتون
الزكاه" (٥) وتقرأ هذا فتسأل . . هل للكلمه حس فنى خاص

(١) المرجع السابق : ص ٢٢٧ - ٢٣١ باختصار

(٢) سورة الحج : ٤١

(٣) سورة البقره : ٤٣

(٤) سورة الانبياء : ٧٣

(٥) سورة النساء : ١٦٢

يجعل استعمالها موحيا بشعور نفسى يجده من ينصت لهذا
القرآن المعجز ؟

وإذا الجواب عن هذا السؤال : نعم ان المادة
ترجع فى أصل معناها جملة إلى الاستقامة فى السير والسرعة فى السير
والسرعة فى العطاء كما أن منها المجرى بسهولة ومن هنا تحس إحياء
التعبير القرآنى حينما يخصصها بالتعبير عن أداء الواجدين
لزكاة أموالهم حين يوءدونها لأصحاب الحق فيها . . ويوءدونها
من مال الله الذى آتاهم . . . وينفقون مما جعلهم مستخلفين
فيه فما أقوى أن يشعر التالى المتأمل من قريب وفى قوة أن الحرص
على استعمال هذه المادة فى أداء الزكاة إنما هو التعبير عن
إعطاء فى سرعة وإتجاه إلى الإعطاء يتم فى سهولة^(١)

وفى قوله تعالى " خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها"^(٢)
قال الخولى " نشعر فى مادة الأخذ بأنها التناول الجاد الحازم القوي
تحسه واضحا فى مثل قوله " وليأخذوا أسلحتهم"^(٣) . . " ليأخذوا
حذرهم"^(٣) " فيؤخذ بالنواصي والأقدام"^(٤) فنستشف هذا
الجد المتناول . . . وهذا يخرج الصدقة عن مفهوم الإمتنان
والفضل بل أن الاحسان فى عامته استعماله هو ضد الاساءة
" إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها"^(٦) وبوالديين
احسانا"^(٧) وذلك ينفر الحس القرآنى الدقيق

(١) من هدى القرآن : فى أموالهم : أمين الخولى ص ٢٤٠ - ٢٤١

(٢) سورة التوبة : ١٠٣

(٣) يوره النساء : ١٠٢

(٤) سورة الرحمن : ٤١

(٥) من هدى القرآن : فى أموالهم : أمين الخولى ص ٢٤٧

(٦) سورة الاسراء : ٧

(٧) سورة البقره : ٨٣

دائما من أن يستعمل في ذكر المال المصلح لحياة الجماعه
هذا الإحسان بمعنى الإعطاء المتفضل ، والبذل المنعم
والأداء المترفع المستعلي الذي يحز في القلوب ويهيج النفوس
ويفسد ما بين المؤمنين وإنما المؤمن إخوه" (١)

وبين الخولى عناية القرآن ب (الوسط " أى " الاتزان " فى
المال . . " والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا " (٢) " ولا تجعل
يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط " (٣)
وهذا الاتزان هو الأساس الأول والفكرة العامة في حل مشكلة المال
حلا يوقى الحياة ويلات الآراء الخاطئة (٤)

ذ لكم عرض سريع وسريع لما جاء به الأستاذ أمين الخولى
مما سماه التفسير الأدبي للقرآن الكريم وجعل موضوعه " فى
أموالهم " وعددناه المرحلة الرابعة من خطوات التفسير التى خطاها
الأستاذ الخولى في سبيل تطبيق المنهج الذى دعا إليه

وسبق القول **صنى** أن الأستاذ الخولى قدم لموضوعه هذا بآيات
في موضوع المال وأنه لم يرتبها حسب النزول وهذه مخالفة
للمنهج الذى يدعو اليه .

ثم قدم دراسة عامة لهذه الآيات لكنها - كما قلنا - دراسة
غير شاملة وغير وافية بما أوجبه الأستاذ للدراسة الأدبية

(١) من هدى القرآن . . فى أموالهم + أمين الخولى ص ٢٥٢

(٢) سورة الفرقان : ٦٧

(٣) سورة الاسراء : ٢٩

(٤) من هدى القرآن . . . فى أموالهم : أمين الخولى ص ٢٥٧ - ٢٥٩
باختصار

ثم نظر في هذه الآيات وغيرها نظرة شاملة . وَقَلَّ نَظَرُهُ
في مفرداتها - وهو تجاوز آخر لعناصر منهجه ثم نظر في معانيها
المركبة لا ينظر إليها آية آية بل نظر إليها جميعا
مفردا كل نظرة بحد يث

ولست أوافق الدكتور كامل علي سعفان في إلتماسه العذر
للأستاذ أمين الخولي في مخالفاته هذه وقصوره عن تطبيق منهجه
في أحاديثه تلك بأنها طبيعة أحاديث الإذاعة^(١) باعتبار
أن الأستاذ الخولي كان يبثها عبر الإذاعة عند كتابتها لا أوافق
لأنني أرى أن عناصر المنهج كلها ملائمة للإذاعة لا تنبؤ
عنها ولا تثقل بها . . . خاصة أنه أحيانا يتحدث عن
المفردات - مثلا - في موضع لكنه في مواضع أخرى يهملها . ولا أعرف
سببا لذلك والله أعلم . ومن الأستاذ إلى تلميذته .

عائشة عبد الرحمن " بنت الشاطي " :-

تلقت علوم الاسلام والعربية على مناهج الأزهر الشريف
على والدها وزملائه الشيوخ بالمعهد الديني الأزهرى بدمياط
وتقدمت من المنزل لامتحان كفاءة المعلمات سنة ١٩٢٩ م ثم الشهادة
العامه الابتدائية سنة ١٩٣١ م والكفاءة والثانوية سنة ١٩٣٢ م و
البكالوريا أدبى سنة ١٩٣٤ م دون أن تلتحق بأية مدرسة
لهذه المراحل

ثم تابعت الدراسة الجامعية في قسم اللغة العربية بكلية
الآداب جامعة القاهرة حتى نالت :

(١) المنهج البيانى فى تفسير القرآن الكريم : كامل سعفان ص ١٧٦

الليسانس الممتاز في اللغة العربية سنة ١٩٣٩ م
الماجستير في الآداب سنة ١٩٤١ م
الدكتوراه في الآداب ، تخصص نصوص سنة ١٩٥٠ م
وتدرجت في المناصب الجامعية من معيدة بقسم اللغة العربية
بآداب القاهرة سنة ١٩٣٩ م ومدرس مساعد بالقسم سنة ١٩٤٢ - ١٩٤٤ م
إلى مدرس أ . بجامعة عين شمس سنة ١٩٥٢ م وأستاذ مساعد سنة
١٩٥٧ م ثم أستاذ كرسي اللغة العربية وآدابها سنة ١٩٦٢ م حتى
استقرت أستاذة للتفسير والدراسات العليا بكلية الشريعة
جامعة القرويين سنة ١٩٧٠ م إلى اليوم

مؤلفاتها :

قدمت المؤلفات إلى المكتبة العربية نحو أربعين كتاباً منها :-

في الدراسات القرآنية والاسلامية :

- ١ - التفسير البياني للقرآن الكريم : في جزئين طبع خمس طبعات
- ٢ - الاعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق : طبعتان
- ٣ - مقال في الانسان (دراسة قرآنية)
- ٤ - القرآن والتفسير العصري سلسله إقرأ (٣٣٥)
- ٥ - القرآن وقضايا الانسان : ست طبعات
- ٦ - الشخصية الإسلامية (دراسة قرآنية) خمس طبعات
- ٧ - مع المصطفى عليه الصلاة والسلام أربع طبعات
- ٨ - تراجم سيدات بيت النبوه في (خمسة أجزاء) خمس عشرة طبعة
- ٩ - الاسرائيليات في الغزو الفكري .
- ١٠ - مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث (نص محقق)
- ١١ - محاسن الاصطلاح للسراج البلقيني (نص محقق)

في الدراسات اللغوية والأدبية والتاريخية لها عدد من المؤهلات
أذكر منها : -

- ١ - لغتنا والحياة
- ٢ - تراثنا بين ماضٍ وحاضر
- ٣ - الخنساء
- ٤ - ابو العلاء المعري
- ٥ - الحياة الانسانية عند أبي العلاء
- ٦ - مع أبي العلاء في رحلة حياته
- ٧ - قراءة جديدة في رسالة الغفران
- ٨ - الغفران دراسة نقدية
- ٩ - رساله الغفران لأبي العلاء (تحقيق)
- ١٠ - أرض المعجزات : ولها غير ذلك من المؤهلات والبحوث
واشرفت على عدد كبير من الرسائل العلمية في مختلف البلدان العربية
وشاركت في عدد من المؤتمرات (١)

تفسيرها :

تصف بنت الشاطيء الأصل في المنهج الذي تلقته عن أستاذها
بقولها : - " والأصل في منهج التفسير الأدبي - كما تلقيته عن أستاذي
- هو تناول الموضوعي الذي يفرغ لدراسة الموضوع الواحد فيه ،
فيجمع كل ما في القرآن عنه ويهتدي بمألوف استعماله للألفاظ والأساليب
بعد تحديد الدلالة اللغوية لكل ذلك . . . وهو منهج يختلف
تماما عن الطريقة المعروفة ، في تفسير القرآن سورة سورة ، يوء خذ

(١) أخذت هذه الترجمة من (بيان وتقرير عن الأستاذة الدكتورة عائشة
عبد الرحمن المرشحة من جامعة عين شمس لجائزة الملك فيصل العالمية
لخدمة الاسلام سنة ١٤٠٣ ، ولم تظفر بها .

اللفظ أو الآية فيه مقتطعا من سياقه العام في القرآن كله مما لا سبيل معه إلى الاهتداء إلى الدلالة القرآنية لألفاظه أو إستجلاء ظواهره الاسلوبية وخصائصه البيانية^(١)

وإذا ما أردنا أن نستقرئ تفسير الدكتور عائشة منهجاً فيه فإننا سنجد له معالم واضحة

أهمها أن الأستاذ الخولي جعل "المقصد الأول للتفسير أدبي محض صرف" كما نقلناه عنه وجاءت تلميذته لتؤكد هذا بقولها " أن الذين يُعَنون بدراسة نواحٍ أخرى فيه - أي في القرآن - وإلتماس مقاصد بعينها منه لا يستطيعون أن يبلغوا من تلك المقاصد شيئاً دون أن يفقهوا أسلوبه الفذ ويهتدوا إلى أسراره البيانية كي لا يغيب عنهم شيء من دلالاته فسواء أكان الدارس يريد أن يستخرج من القرآن أحكامه الفقهية أو يستبين موقفه من القضايا الاجتماعية أو اللغوية أو البلاغية أم كان يريد أن يفسر آيات الذكر الحكيم تفسيراً عاماً على النحو الذي ألفناه في كتب التفسير فهو مطالب بأن يتهياً أولاً لما يريد ويُعدُّ لمقصده عدته من فهم مفردات القرآن وأساليبه فهما يقوم على الدرس المنهجي الاستقرائي ولمح أسراره في التعبير"^(٢)

وتأتى بعد ذلك قواعد منهجها في التفسير وأهمها :-^(٣)

أولاً : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب :

وقررت هذا في مقدمة تفسيرها ورتبت عليه نظرتها إلى أسباب

(١) التفسير البياني للقرآن الكريم : د / عائشة عبد الرحمن ج ١ ص ١٨

(٢) المرجع السابق : ج ١ ص ١٥

(٣) استفدنا جمع هذه القواعد مما كتبه الدكتور كامل سعفان في كتابه " المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم " ص ١١٥ - ١١٩

النزول حيث قالت " أن المرويّات في أسباب النزول موضع اعتبار في فهم الظروف التي لا بسّت نزول الآيَة مع تقدّر أن الصحابة الذين عاصروا نزولها ورُوِيَتْ عنهم أقوال فيها ربطها كل منهم بما وهم أو فهم أنه السبب في نزولها وهذا هو معنى قول علماء القرآن : أن المرويّات في أسباب النزول يكثر فيها الوهم ، ونقدّر معه أن السببية فيها ليست بمعنى العلية التي لولاها لما نزلت الآيَة وأن العبرة في كل حال بعموم اللفظ المفهوم من صريح نصها لا بخصوص السبب الذي نزلت فيه " (١)

أما المرحلة التطبيقية عندها فهي تورد

سبب النزول ثم تعقب عليه بقاعدة الأصوليين هذه وتعلق عليه وخذ مثلا لذلك ما قالته في تفسير قوله تعالى " إن الانسان لفسى خسر إلا الذين آمنوا " (٢) قالت : " وللمفسرين في الانسان قولان : أنه لعموم الجنس أو أن (ال) للعهد مراداً بالانسان جماعةً من المشركين : الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد المطلب . . . ولا نقف عند ما اختلفوا فيه فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب الذي نزلت فيه الآيَة والسياق ظاهره لا يخص الانسان بفلان أو بآخر والتعميم فيه مستفاد صراحة من الاطلاق ثم إستثناء "الذين آمنوا وعملوا الصالحات" وهذا الإستثناء ينقطع إذا ما كان الانسان خاصا بالمعهودين الذين ذكروهم وليس فيهم من يخرج بالإستثناء مع الذين آمنوا وعملوا الصالحات " (٣)

(١) التفسير البياني للقرآن الكريم : د / عائشه عبد الرحمن ج ٢ ص ٩

(٢) سورة العنكبوت : ٢

(٣) التفسير البياني : د / عائشه عبد الرحمن ج ٢ ص ٨١

فهى كما ترى لا تكتفى بإيراد القاعدة الأصولية بل تحرر سبب رفضها ، ولكنها أحيانا تكتفى بإيراد القاعدة خذ مثلا لذلك ما قالته في ما ورد من سبب نزول قوله تعالى " أرأيت الذي يكذب بالدين " (١) قالت " وقالوا في أسباب النزول أنها نزلت في : أبي سفيان أو العاص بن وائل السهمي أو الوليد بن المغيرة ، أو أبي جهل وقال ابن عباس : " نزلت في منافق جمع . بين البخل والمراة " والعبرة على كل حال بعموم اللفظ " (٢)

وهذا الأخير هو أكثر عملها في أسباب النزول تكتفى بإيراد القاعدة

ثانيا : استقراء اللفظ القرآني في كل مواضع وروده :

وقد بسطت هذا الأصل في مقدمة تفسيرها حيث قالت عنه : " والمنهج المتبع هنا هو الذي خضعت له فيما قدّمْتُ من قبل ، بضوابط الصارمة التي تأخذنا باستقراء اللفظ القرآني في كل مواضع وروده للوصول إلى دلالته وإذ نضع معاجم العربية وكتب التفسير في خدمة هذا المنهج فإننا نحاول أن ندرك حسَّ العربية للألفاظ التي نتدبرها من النص القرآني عن طريق لمح الدلالة المشتركة في شتى وجوه استعمالها لكل لفظ وواضح أنه لا سبيل إلى دراسة أي نص في لغة ما دون فقه لألفاظه في لغته ، ثم يكون للنص بعد ذلك أن يحدد لكل لفظ دلالته الخاصة من شتى الدلالات المعجمية أو

(١) سورة الماعون : الايه آلاولى

(٢) التفسير البياني : د / عائشه عبد الرحمن ج٢ ص ١٨٥

يضيف إليها ملحظا ينفرد به " (١)
ثم توضح بعد ذلك أن القول بدلالة خاصة للكلمة القرآنية
لا يعني تخطئة سائر الدلالات المعجمية وإنما يعني أن لهذا
القرآن معجمه الخاص وبيانه المعجز فلا يعترض معترض بأن العربية
تعرف صيغاً ودلالات أخرى للكلمة .

وقد اعتنت الدكتورة عائشة عبد الرحمن بهذا الأصل عنايته
كبيرة فجاء تفسيرها محتويًا على معجم لألفاظ السور التي تناولتها
بالتفسير ، بل أن عنايتها تلك جاءت فيما اعتقد على حساب فكرة
الموضوع التي طال ما دعت إليها كما سيأتي بيانه إن شاء الله .

وهي حين تدرس كلمة قرآنية تبذل وسعها في إستقراء معانيها
في القرآن ومدلولاتها حتى تصل - حسب فهمها - إلى ما
ترى أنه الصواب ولا شك أنها قد تصيب وقد تخطئ .

تقول الدكتورة عائشة في معنى الساعة من قوله تعالى " يسألونك
عن الساعة أيَّانُ مُرْسَاهَا " (٢) :- " ولفظ ساعة في العربية يعنى
الجزء من الوقت ، وأضيف إليه حديثاً إستعمالها في جزء محدد منه
بستين دقيقة .

ويستعمل مُعَرَّفًا ب (ال) للعهد في الوقت الحاضر فيقال أزورك الساعة
أي الآن ، ثم غلب على الساعة إستعمالها في الآله الضابطة
للوقت ، بعد إختراعها

لكن للقرآن إستعماله الخاص للساعة ، فهو لا يستعملها نكرة إلا في
برهة من الوقت قصيرة دون تحديد لها بالدقائق والثواني :-

(١) التفسير البياني : د / عائشة عبد الرحمن ج-٢ ص ٧-٨

(٢) سورة النازعات : ٤٢

الروم ٥٥ " يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة"
النحل ٦١ " فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون"
ومعها الاعراف : ٣٤ وسبأ : ٣٠ ويونس : ٤٩
يونس : ٤٥ " ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار"
الاحقاف : ٣٥ : " كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا
إلا ساعة من نهار"

أما حين يستعمل القرآن " الساعة " معرفةً بأل ، فتلك - دائماً -
هي ساعة الآخرة ، ولم يتخلف هذا في أى موضع من
الموضع الأربعين التي : جاءت " الساعة " فيها في القرآن الكريم
والملاحظ البياني في هذا الاستعمال المضطرد أن هذه الساعة
تنفرد دون ساعات الزمان كله بأنها الحاسمة الفاصلة التي يتغير فيها
نظام الزمن وسير الكون ، لما يحدث فيها من حدث هائل خطير
وهو معنى يقوى ويتضح بإسناد القيام ، والإتيان والمجيء إلى هذه
الساعة المتميزة الحاسمة دلالة على بروزها وشخصها وفعاليتها .

الانعام ٣١ :- " حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة "

الانعام ٤٠ :- " أو أتكم الساعة "

يوسف ١٠٧ :- " أو تأتيهم الساعة بغتة " ومعها الحج ٥٥

والزخرف ٦٦ ومحمد ١٨

" ويوم تقوم الساعة " الروم ١٢ ، ١٤ ، ٥٥ ومعها المؤمنون ٤٦ ،

والجاثية ٢٧

سبأ : ٣ :- " وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة ، قل

بلى وربِّي لتأتينكم "

القمر ١ :- " إقربت الساعة وإنشق القمر "

الكهف ٣٦ : - " ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً وما أظن الساعة قائمة " فصلت : ٥٠ : - " ولئن أذقناه^{رحمة} ممناً^{من} بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة " (١)

وبمثل إستقراءها للفظ " ساعة " و " الساعة " في القرآن الكريم كان إستقراءها لإلفاظ أخرى كثيرة منها " يتيماً " ففى قوله تعالى " أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى " (٢) لكنها هنا زادت عن ذاك بإيراد أقوال المفسرين في المراد باليتيم قالت : - " ففى اليتيم والإيواء قال " الرازي " إنه من قولهم درة يتيمة ، والمعنى ألم يجدك واحداً فى قريش عديم النظر ، فأواك أي جعل لك من تأوي إليه وهو أبو طالب ، وقرىء : فأوى - بالتخفيف - أي رحم .

ويقول الزمخشري ، مُحَقَّقًا : " أن تفسير يتيماً هنا بالدرة اليتيمه من بدع التفاسير " وإنما اليتيم عنده فقدان الأب ، ومثله أبو حيان فى البحر ، والشيخ محمد عبده .

وقال " الراغب " فى المفردات : اليتيم - فى آية الضحى - إنقطاع الصبي من أبيه قبل بلوغه

وهذا هو الأصل فى اليتيم لغة ، ثم قيل لكل منفرد : يتيماً ومنه الدرة اليتيمه أي المنفرده "

ثم بعد أن ساقته الدكتورة هذه الأقوال للمفسرين قالت : - " ونحتكم إلى القرآن ، فنراه إستعمل اليتيم ، مفرداً ومثنى وجمعاً ثلاثاً وعشرين مرة كلها بمعنى اليتيم الذى هو فقدان الأب ويلحظ فيه اقتران اليتيم بالمسكنه فى عشرة مواضع : -

(١) التفسير البيانى : د / عائشه عبد الرحمن ج١ ص ١٤٤ - ١٤٥

(٢) سورة الضحى : ٦

البقره : ٨٣ ، ١٧٦ ، ٢١٥ والنساء : ٧ ، ٣٥ والانفال :
٤١ والحشر ٧ والدهر ٨ والفجر ١٧ والبلد ١٥
كما ذكر فيه من آثار اليتيم : الجور ، وأكل المال ، إن الذين
يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون
سعيراً " النساء : ١٠ ومعها الانعام ١٥٢ والاسراء ٣٤ والنساء : ٦٤٢
وعدم الاكرام : " كلا بل لا تكرمون اليتيم ، ولا تحاضون على
طعام المسكين " الفجر : ١٧ ، ١٨
والدعُّ : الذي هو الدفع العنيف مع جفوة :- " رأيت الذي
يكذب بالدين ، فذلك الذي يدعُّ اليتيم ، ولا يحضُّ على طعام المسكين
الماعون : ١ - ٣

والقهر ، في آية الضحى : ٩ "

ثم قالت الدكتورة عائشة بعد هذا :- " وأمام هذا التباعد
لا نملك إلا أن نستبعد تفسير اليتيم بغير ذاك الذي في القرآن وقد
وُلِدَ محمد يتيماً ثم تضاعف يتمه بموت أمه وجده ، لكنه تعالى
نَجَّاه من آثار اليتيم التي هي : بشواهد من آيات الكتاب الكريم
: الدع ، والقهر ، والإنكسار ، والجور ، مما كان مظنة أن يكسر
نفسه ، فلا يتطلع إلى بعيد الآفاق فذلك هو قوله تعالى " ألم يجدك
يتيماً فأوى " ترشياً بهذا الإيواء الإلهي - غير المقيد بمتعلق -
إلى ما بعده من نعمة الهداية بعد حيرة ، وتهيئة لحمل الرسالة
الكبرى " (١)

وهذا ترفض الدكتورة عائشة ما أوردته من تفسير للرازي لليتيم ،

وتقصره على فقدان الأب

(١) التفسير البياني : د / عائشة عبد الرحمن ج ١ ص ٤٣ - ٤٤

ومثلاً ثالثاً نظهر به مدى عناية الدكتور بإستقراء ألفاظ القرآن ومدى انتشاره في تفسيرها فهي تفعل ذلك حتى ولو لم يرد اللفظ في القرآن إلا مرة واحدة كيف! خذ مثلاً كلمة المقابر من قوله تعالى " ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر" (١) لم يأت قط في غير آية التكاثر ، وعلى حين جاءت " القبور" خمس مرات ، كما جاء القبر مفرداً في المخلفين الذين قعدوا عــــــن الخروج للجهاد مع الرسول .

" ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون " التوبه " ٨٤

وقد تجد الصنعة البلاغية في إستعمال المقابر هنا مجرد ملاءمه صوتية للتكاثر ، وقد يحس أهل هذه الصنعة ونحس معهم فيها نسق الإيقاع وإنسجام النغم لكن أهذا كل ما في الاستعمال القرآني للفظ المقابر في آية التكاثر؟

الذي أراه أن وراء هذا الملحظ البلاغي اللفظي ، ملحظاً بيانياً يتصل بالمعنى : فالمقابر جمع مقبره وهي مجتمع القبور..... واستعمالها هنا ملاءم معنوي لهذا التكاثر ، دال على مصير ما يتكالب عليه المتكاثرون من متاع دنيوى فان . . . هناك حيث مجتمع القبور ومحتشد الرمم ومساكن الموتى على اختلاف أعمارهم وطبقاتهم ودرجاتهم وأزمتهم وهذه الدلالة من السعة والعموم والشمول لا يمكن أن يقوم^{بها} لفظ " القبور" بما هي جمع لقبر . فبقدر ما بين قبر ومقبره من تفاوت يتجلى ايثار البيان القرآني "المقابر" على القبور" حين يتحدث عن غايه ما يتكاثر به المتكاثرون وحين يلفت إلى مصير هذه الحشود من ناس يلهيهم تكاثرهم عن الاعتبار بتلك المقابر التي هي مجتمع الموتى ومساكن الراحلين الفانين

فتأويل المفسرين - فيما قرأت - المقابر بالقبور ليس إلا أثراً لمنهجهم في تناول مفردات القرآن تناولاً لفظياً معجمياً مجرداً عن إحياء سياقه وسره البياني ، معزولاً عن الاستعمال القرآني الذي لم يجيء بالمقابر هنا لمجرد المشاكلة اللفظية والرنين الصوتي ، وإنما هي الملاءمة المعنوية أيضاً بين التكاثر والمقابر بما فيها من سعة وشمول وعموم وهو هو الإعجاز البياني لا يقوم فيه لفظ القبور مقام المقابر بما تلفت إليه من مصير للحشود والتكاثر ، وبما تضع أمام المتكاثرين من عبرة رادعة زاجرة حين تصدمهم بذكر المقابر إثر " ألهاكم التكاثر " (١)

وكون الدكتور عائشة تستنبط هذا مع أن اللفظة هذه لم ترد في القرآن إلا مرة واحدة يدل على مدى حرصها على جلاء معاني المفردات جلاءً لا ينظر صاحبها إلى اللفظة المفردة مجردة من مثيلاتها أو حتى من جملتها

ومثلاً أخيراً من عنايتها بالمفردات نذكره لتأكيد اهتمامها في ذلك ، ذلك تفسيرها لـ " السعي " في قوله تعالى " إِنَّ سَعِيكَ لَشَتَّى " (٢) أوردت المعنى اللغوي أولاً : - " والسعي في اللغة المشي ، لحظ فيه أن الساعي بيتغي عملاً أو يتجه إلى مقصد يدأب له فكان السعي بمعنى العمل مع القصد والدأب " ثم أوردت الاستعمال القرآني فقالت " وفي الاستعمال القرآني للمادة نجد الدلالة للسعي بمعنى : المشي والحركة على الحقيقة

(١) التفسير البياني : د / عائشة عبد الرحمن ج ١ ص ٢٠٧ - ٢٠٨

(٢) سورة الليل : ٤

أو التخييل والمجاز ، فى آيتى (طه) عن عصا موسى
ألقاها " فإذا هى حية تسعى " (١) وحبال السحرة وعصيمهم
ألقوها " يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى " (٢) وفى
آيتى التحريم والحديد ، فى نور المؤمنى " يسعى
بين أيديهم " يوم القيامة كما نجد دلالة السعى على العمل
مع الدأب فى آيات : -

" فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه "
الانبياء ٩٤ " ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن
فأولئك كان سعيهم مشكورا " الاسراء ١٩ " قل هل ننبئكم بالآخسرين
أعمالا ، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون
أنهم يحسنون صنعا " الكهف : ١٠٤

ودلالة القصد أوضح فى آيات : -

" ومن أظلم ممن ممنع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى
خرابها " البقره : ١١٤

" ويسعون فى الأرض فسادا " المائدة ٣٣ ، ٦٤

وواضح أنّ السعى فى آيه الليل هو من العمل الكسبى مع القصد
والدأب ومثله السعى فى آيات (الانسان ٢٢ ، النجم ٤٠ ، الغاشية ٩)^(٣)
ولا أظن الدكتور عائشة مصيبه فى تصنيفها آيه البقره السالفه
(١١٤) وآيتى المائدة (٦٤ ، ٣٣) على أن السعى فىهما بمعنى
القصد ذلكم ان الذين منعوا مساجد الله ان يذكر فيها اسمه

(١) سوره طه : ٢٠

(٢) سوره طه : ٦٦

(٣) التفسير البيانى : د / عائشه عبد الرحمن ج ٢ ص ١٠٤

وسعوا فى خرابها ، لم يقفوا عند درجه القصد وانما جازوا وزوها الى العمل وزادوا عليه الدأب. وقل مثل ذلك فى الذين يسعون فى الارض فسادا فانهم جازوا القصد الى العمل والدأب عليه فلا يصح أن يجعل هذا معنى للسعي هنا

ولعل حماسها الشديد لتقرير هذا الأساس فى التفسير أوقعها - من حيث لا تدري - فى أنواع ثلاثه من الاخطاء : -
أولها : القصور فى الاستقراء :

وذلك بأن تنظر فى بعض الآيات المشتركة فى لفظ واحد وتقرر المعنى على ضوءها ويفوتها أن تنظر فى آيات أخرى مشتمله على اللفظ ذاته ، ولو أدركت ذلك ونظرت فيه لاختلف الحكم الذى وصلت اليه أولا .

ومن الأمثلة على ذلك أنها فى تفسيرها لقوله تعالى " والضحى والليل إذا سجدى " (١) " ترددت فى تأويله " أقسم بالضحى وأقسم بالليل إذا سجدى " قالت " لأن القرآن الكريم لا يستعمل القسم مسنداً إلى الله سبحانه إلا مع لا النافية ، بإستقراء كل آيات القسم فى القرآن ، فكان لي من هذا الإستقراء ما يؤذن بأنه سبحانه فى غير حاجه الى القسم " (٢)

وإذا نظرنا فى آيات القسم هذه التى تقول الدكتورة عائشة أنها لم تجد القسم فيها مسنداً إلى الله إلا مع لا النافية وجدنا الأمر غير ذلك فهناك مواضع أقسم الله بها بنفسه من غير أن ينفىها بـ لا فمن ذلك قوله سبحانه : -

(١) سورة الضحى : ١ ، ٢
(٢) التفسير البيانى : د / عائشه عبد الرحمن ج ١ ص ٢٥

(١) " فوريك لنحشرنهم والشياطين "

(٢) وقوله " فوريك لنسالنهم أجمعين "

(٣) وقوله " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم "
 (٤) وقوله " فورب السماء والارض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون "

فهذه كلها أقسام مسنده إلى الربّ وهو الله سبحانه وتعالى

وغير منفية بـ لا وعلى هذا يظهر قصورها في الاستقراء .

ونذكر مثلا آخر على ذلك عندها أنها ممن يرفض القول بالترادف

اللغوي وترفض القسم بالحلف وتقول " وفي القاموس: حلف : أي أقسم

لكن التتبع للاستعمال القرآني يمنع هذا الترادف : فلقد جاءت مادة "حلف" في القرآن

الكريم في ثلاثه عشر موضعا كلها - بغير إستثناء - في

مقام الحنث باليمين وأكثرها مسند إلى المنافقين " (٥) ثم ساقست

المؤلفة الآيات تلك وقالت: " اما القسم فيغلب مجيئه في الأيمان

الصادق " (٥)

ولنا معها وقفه . . عند آيات من القرآن الكريم جاء فيها القسم

في مقام الحنث باليمين وهو خلاف ما توصلت اليه نذكر من هذه الآيات :-

قوله تعالى :- " اقساموا بالله جهداً أيماهم إنهم لمعكم حبطت

أعمالهم فأصبحوا خاسرين " (٦)

وقال سبحانه " وأقساموا بالله جهداً أيماهم لا يبعث الله من

يموت " (٧)

(١) سورة مريم : ٦٨

(٢) سورة الحجر : ٩٢

(٣) سورة النساء : ٦٥

(٤) سورة الذاريات : ٢٣

(٥) التفسير البياني : د / عائشه عبد الرحمن : ١ ص ١٧٣ - ١٧٤

(٦) سورة المائدة : ٥٣

(٧) سورة النحل : ٣٨

وقال سبحانه " ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة " (١)

وقال سبحانه " وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا " (٢)

وقال سبحانه " واقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها " (٣)

وقال سبحانه أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمته ادخلوا الجنة " (٤)

وقال سبحانه " أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال " (٥)

هذه بعض الآيات في " القسم " التي جاءت في مقام الحنث الصحيح أن الدكتور عائشة عدت هذا النوع وقالت " وحين يسند القسم في القرآن إلى المجرمين فإنهم في ظنهم غير حائثين " (٦)

لكن هل يصح القول أنهم يظنون أنهم كذلك في آية المائدة السابقة " واقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين " لا شك أنهم وهم يقسمون يعلمون أنهم حائثون لأن ما أقسموا عليه ليس في درجة الظن بل حقيقته بيّنه في قلوبهم .
وهل يصح ذلك أيضا في آية سورة إبراهيم " أو لم تكونوا أقسمتم

(١) سورة الروم : ٥٥

(٢) سورة فاطر : ٤٢

(٣) سورة الانعام : ١٠٩

(٤) سورة الاعراف : ٤٩

(٥) سورة ابراهيم : ٤٤

(٦) التفسير البياني : د / عائشه عبد الرحمن ج ١ ص ١٧٤

من قبل ما لكم من زوال" فهل كانوا يعتقدون حقيقةً الخلود؟ !
أم أنهم كانوا يقسمون وهم يعلمون كذبهم وحنثهم - عناداً واستكباراً
وبهذا الذي قلناه وغيره يظهر لنا أن الحلف والقسم على معنى
سواء من ناحية الحنث وعدمه ولا تصح هذه التفرقة التي توصلت
إليها الدكتورة عائشة .

وتخطىء الدكتورة عائشة - وكلنا يخطىء ويصيب - أحياناً
بعد أن تستقرىء آيات القرآن في لفظة واحدة لكنها والحماس يدفعها
لا تصيب البيان الصحيح لبعض الآيات وذلك كالمثال السابق مباشرة حيث
ظنت أن المجرمين في ظنهم غير حانثين بالقسم فبنت على ذلك ما بنت .

ومنه المثال الذي ذكرته قبل صفحات في استقراءها
لدلاله " السعى " في القرآن الكريم -

ومنه أيضاً ما قالت في معنى " مثقال " في قوله تعالى " فمن
يعمل مثقال ذرة خيراً يره " (١) فقد ذكرت أن " مثقال " وردت في
القرآن الكريم ثمانى مرات في اثنتين منها أضيف مثقال إلى حبة
من خردل . ثم رجحت أن المقصود بمثقال حبة من خردل هنا ليس
خفه الوزن وإنما ضآله الحجم . وفي المرات الست الباقية اضيف " مثقال "
إلى ذرة رجحت في اثنتين منها " ضآله الحجم " ثم قالت " على
حين تتعين دلاله " مثقال ذره " على خفة الوزن في الآيات الأربع (٢)
الباقية "

وحين ننظر في استقراءها هذا فإننا نجد لها جعلت المراد
بـ " مثقال " في قوله تعالى " ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم

(١) سورة الزلزلة : ٧

(٢) التفسير البياني : د / عائشة عبد الرحمن ج ١ ص ١٠٠ - ١٠١

(١) نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين
ضالّة الحجم وليس خفة الوزن ، ولا أدري ما الذي جعله
تحمله على ذلك مع أن الآيه تتحدث عن وضع الموازين لـوزن
الأعمال فكان هذا قرينه على أن المراد بالحبة من خردل الوزن ،
وليس الحجم ،

وفي مقابل هذا جزمتم الدكتورة عائشة بأن المراد بـ"مثقال"
في قوله تعالى " قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله ، لا يملكون
مثقال ذره في السموات ولا في الأرض" (٢) جزمتم بغير قرينة بأن المراد
خفه الوزن مع أنه قابل لضالّه الحجم أيضا

والامثله على اخطائها في الاستقراء كثيرة نكتفي بمـا
ذكرنا منها

ثانيها : تحديد المعنى قبل الاستقراء اللغوي :

وقد سبقني بإدراك هذا الدكتور كامل سعفان حيث قال " إن
الدكتورة عائشة تمضي في الإستقراء اللغوي بعد تحديد
المعنى فييد وعملا لا مبرر له " (٣)

والامثله أيضا على هذا كثيرة

في تفسير قوله تعالى " اذهب الى فرعون إنه طغى" (٤)
جَدَدَتْ معنى الطغيان أولاً ثم إتجهت إلى الإستقراء ثانيا فقالت :-
" والطغيانُ تجاوز الحد ، ويستعمل لغة في الماء يتجاوز الحد السي

(١) سورة الانبياء : ٤٧

(٢) سورة سبأ : ٢٢

(٣) المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم : د / كامل على سعفان ص ١٢١

(٤) سورة النازعات : ١٧

الخطر ، ومنه في القرآن : إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ " (١)
وفسروا الطاغية كذلك بالطوفان في قوله تعالى " فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلَكُوا
بِالطَّائِغَةِ " (٢)

على أن أكثر استعماله القرآني : في تجاوز الحد في العصيان
والكفر وهو المعنى القريب في آيات - ذكرت المؤلفه عددًا منها -
ثم قالت كما جاء بمعنى تجاوز الحد في التجبر والعتو والظلم في
آيات . . . " (٣)

وهي - كما ترى - حددت المعنى أولاً ثم استقرت الآيات ثانياً
ووصلت بها الى أن أكثر استعماله القرآني في تجاوز الحد وهو ما ذكرته
أولاً فبدا عملها لا مبرر له .

ومثلاً آخر تفسير الشد حيث قالت في " وإنه لحب الخير لشديد " (٤)
" الأصل في الشد قوة العقد والوثاق والإحكام مادياً كما في آية محمد ؤ
ومعنوياً في مثل آيات : - يونس ٨٨ . . . الدهر ٢٨ . . طه ٣١ . .
القصص ٣٥ . . . ص ٢٠ . . . كما يعبر القرآن عن بلوغ الرشد والقوة
بصيغة بلغ ، أو يبلغ أشده في مثل آيات الانعام : ١٥٢ الاسراء ٣٤
يوسف ٢٢ القصص ١٤ غافر ٦٧ الاحقاف ١٥ الكهف ٨٢ الحج ٥ .
أما صيغه شديد فجاءت في القرآن في نحو أربعين موضعاً " (٥)

(١) سورة الحاقه : ١١

(٢) سورة الحاقه : ٥

(٣) التفسير البياني : د / عائشه عبد الرحمن ج ١ ص ١٢٨

(٤) سورة العاديات : ٨

(٥) التفسير البياني : د عائشه عبد الرحمن ج ١ ص ١٦٢ - ١٦٣

وهى هنا - أيضا - كما ترى قدمت تحديد المعنى على الاستقراء وهو خلاف الاصل في هذا المنهج ، لكنها والحق يقال كثيرا ما تلتزم الأصل في ذلك .

ثالثها : إعتدادها الشديد باستقراءها :

وظهر هذا بصور متعددة وأنماط مختلفة منها :-

- ١ - أنها تتيه بما توصلت اليه من معنى لكلمة قرآنية على المفسرين وأنها لم تقرأ لأحد منهم مثل هذا ، وكثيرا ما تفعل هي ذلك .
- ٢ - تقلل وتستصغر بصيغ متعددة متنوعه من شأن المفسرين السابقين وما توصلوا إليه من آراء .
- ٣ - جزمها بصحة ما وصلت اليه وأنه هو المتعين وتخطئتها كل قول سواه .
- ٤ - أنها تضع نفسها في مقابل المفسرين فتذكر إجماعهم على معنى أو تسوق القول منسوبا إليهم بصيغة الجمع . ثم تذكر مقابل ذلك رأيها المخالف لما جاءوا به .

هذه أهم صور إعتدادها برأيها أذكرها هنا إجمالا وللتفصيل موضعه عند بيان رأيي في تفسيرها إجمالا وإنما ذكرته هنا لأن جهودها في استقراء ألفاظ القرآن هي مبعث ذلك وسببه بل أنا نجد في هذه المواضع التي تستقرى بها كلمة أو كلمات قرآنية .

هذه - فيما أرى - أهم الامور التي أوقعها فيها حماسها الشديد لتقرير

أساس " الإستقراء لالفاظ القرآن الكريم عند التفسير "

ولئن أطلت الحديث عن هذا الأساس فلأنه جوهر منهجها وأصله بل

عموده الذى يقوم عليه . ولعلي بعد هذا أذكر الاساس الثالث الذى يقوم

عليه تفسيرها .

ثالثاً : الاهتمام بدلالة السياق :-

وهي سمة قصرتها المؤلفة على منهجها الموضوعي وقطعت السبيل على المناهج الأخرى للاهتمام^(١) إلى تفسير القرآن إن لم تسلك منهجها وأنهم لم يبلغوا مبلغاً لذلك . . .

قالت " والأصل في منهج التفسير الأدبي كما تلقيته عن أستاذه هو التناول الموضوعي الذي يفرغ لدراسة الموضوع الواحد فيه ، فيجمع كل ما في القرآن عنه ويهتدي بمألوف إستعماله للألفاظ والأساليب بعد تحديد الدلالة اللغوية لكل ذاك وهو منهج يختلف تماماً عن الطريقة المعروفة في تفسير القرآن سورة سورة ، يؤخذ اللفظ أو الآية فيه مقتطعا من سياقه العام في القرآن كله مما لا سبيل معه إلى الاهتمام^(٢) إلى الدلالة القرآنية لألفاظه ، أو استجلاء ظواهره الأسلوبية وخصائصه البيانية . . . ويلتزم في دقة بالغة قول السلف الصالح " القرآن يفسر بعضه بعضاً " - وقد قالها المفسرون ثم لم يبلغوا منها مبلغاً - ويحرر مفهومه من كل العناصر الدخيلة والشوائب المقهمة على أصالته البيانية^(١)

وإذا نظرنا إلى الجانب التطبيقي عندها وجدنا مجموعة من الأمثلة منها " العقبة " في قوله تعالى " فلا اقتحم العقبة " ^(٢) قالت " لكن ما العقبة التي يتحدث عنها القرآن هنا ؟ أتعب المفسرون أنفسهم في تأويلها : ففي الطبري عن الحسن : عقبة والله شديدة ، مجاهدة الانسان نفسه وهوواه وعدوه

(١) التفسير البياني : د عائشة عبد الرحمن ج ١ ص ١٨

(٢) سورة البلد : ١١

الشیطان ، وقريب منه ما قاله الزمخشری ونقله الشيخ محمد عبده
وقيل العقبة جهنم أو جبل فيها . . . إلى أن قالت الدكتورة
. . . والواقع أننا في غير حاجة إلى شيء من هذا ومثله ، فالقرآن
نفسه قد تولى بيان " العقبة " حين أتبعها بالسؤال اللافت
: " وما أدراك ما العقبة ، فك رقبه ، أو إطعام في يوم
ذي مسغبة ، يتيما ذا مقربة ، أو مسكينا ذا متربة ، ثم كان
من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة " فهذا بيان
مفصل للعقبة التي يجب أن يقتحمها الإنسان بما تهيأ له من
وسائل المكابدة والنضال والإدراك والتمييز وهو كذلك بيان
لأوضاع ظالمة نشأت عن غرور القادرين وطغيان أصحاب المال في
" هذا البلد " فليس ما كان المجتمع المكي يعانيه من مآسي الرق
ومن التصدع الطبقي ومن البغي والإستبداد إلى حد
إنتهاك حرمة الرسول في البلد الحرام ليس هذا كله إلا أثرا لطغيان
هذا الإنسان الذي غرته قوته فأستعبد مخلوقين مثله وملاك رقابهم
بأغلال الإسترقاق المهين ، كما زين له جاهُ الشراء أن يباهي
بأنه أهلك مالا لبدا ، وعلى مقربة منه يتيم محتاج أو مسكين لا صق
بالتراب أو ضاع مريضة إستقرت على مر الأجيال وتوارثها
" هذا البلد " ولداً عن والد وطبقة في أثر طبقة ، وكان الانسان
جد يرا بأن يظوم طغيان المال وغرور القوة ، وأن يحتمل أعباء
البذل والإيثار من أجل خير الجماعة على ما في ذلك من
مشقة وعناء " (١)

(٢) ومثلا آخر " الكبد " في قوله تعالى " لقد خلقنا الانسان في كبد " (٢)

(١) التفسير البياني : د عائشه عبد الرحمن ج١ ص ١٩٢ - ١٩٣

(٢) سورة البلد : ٤

فهى تذكر أن المفسرين لم يختلفوا في أن معناها في آية
البلد هو : الشدة لكن أقوالهم شتى في تحديد هذه الشدة ، ثم
سأقت المؤلفه عددا من الأقوال وعقبت عليها بقولها : " ما نظن
المكابدة هنا تنصرف إلى ما ذكروه من مشاق الحمل والنمو والعيش
والموت والحساب كما نأبى أن يكون " الكبد " في الآية هو مرض
القلب وفساد الباطن كما قال الزمخشري "

ثم أبدت الدكتور^٢ رأيها " وإنما الكبد - فيما نرجح - هو ما هُيء
له الانسان بفطرته من احتمال المسئولية ومشقة الاختيار بين
الخير والشر "

وعلت ذلك ب " ووجه ارتباطه بالقسم قبله ، بحال أهل مكة
وما إختاروا لأنفسهم من إستحلال أذى الرسول وهو مقيم بالبلد الحرام
واضح ظاهر وهو أوضح ارتباطا بالآيات بعده
من ضلال الغرور بهذا الانسان الذى وهبه الله وسائل الإدراك
والتمييز وبين له معالم الطريقين : الخير والشر " (١)

وفي تفسير النازعات لم تطمئن الدكتور^٢ إلى ما اطمان اليه
أكثر المفسرين - كما تقول - من أنها الملائكة تنزع الأرواح وإختارت أنها
الخيال وما نطمئن اليه من تفسير النازعات بالخيال يوجه
الآيات بعدها في يسر وبلا تكلف فهى تنزع في عدوها وتغرق
فيه وهو الملحظ نفسه في السبح الذى يجمع له السابح قوته
وبهذا النزاع السابح تسبق إلى الغايه فتدبر من الأمر ما أجمعت
له في معاناة " (٢)

(١) التفسير البيانى : د عائشه عبد الرحمن ج ١ ص ١٨٥

(٢) المرجع السابق : ج ١ ص ١٠٩

رابعاً : القرآن هو القاعدة :

ففي التفسير تقول " نحتكم الى سياق النص في الكتاب المحكم ملتزمين ما يحتمله نصا وروحاً ونعرض عليه أقوال المفسرين فنقبل منها ما يقبله النص ، ونتحاشى ما أقحم على كتب التفسير من مدسوس الإسرائيليات والتأويلات المذهبية " (١)

وليس الأمر كذلك في التفسير فحسب بل في كل قاعدة لغوية أو بلاغية حيث تقول : " يكفي أن يأتي التعبير في القرآن - معجزة البيان - ليكون هو الشاهد والحجة والأصل الذي تعرض عليه كل قاعدة لغوية أو بلاغية لا أن نحكم فيه قواعد من صنع النحاة والبلاغيين وأكثرهم طارئون على العربية لم يكسبوها ذوقاً وسليقة وإن أجاد وهما علما وصنعة " !! (٢)

ولهذا فهي ترفض كثيراً من تأويلات المفسرين لتوافق قواعد النحو ولا يسعنا إلا أن تأتي ولو بمثال واحد لهذا

ففي تفسير قوله تعالى " ولسوف يعطيك ربك فترضى " (٣) قالت " وفي الصنعة الإعرابية : أثار بعض المفسرين هنا مشكلات ما أغنى البيان القرآني عنها : القاعدة النحوية عندهم أن اللام في (سوف) إن كانت للقسم لا تدخل على المضارع إلا مع نون التوكيد ، وإن كانت اللام للابتداء فإنها لا تدخل إلا على الجملة من المبتدأ والخبر . . .

(١) المرجع السابق : ج ١ ص ١٠

(٢) المرجع السابق : ج ١ ص ٤٢ وانظر ج ١ ص ١٠ - ١١

(٣) سورة الضحى : ٥

لا بد اذن من تكلف وإحتيال ، لتسوية الصنعة !
وقد رأى الزمخشري أنه " لا بد من تقدير مبتدأ محذوف وأن
يكون أصل العبارة : ولأنت سوف يعطيك ربك فتراضى . . . وكذلك
قال " أبو حيان " : أن اللام هنا لامٌ إبتداءً أكدت مضمون
الجملة على إضمار مبتدأ أي ولأنت سوف يعطيك .

وندرج جور الصنعة الإعرابية على هذا البيان العالي إذا
إحتكنا إلى حسّ العربية ، ووازننا بين وقع التعبير القرآني
ولسوف يعطيك ربك فتراضى ، ووقع ذلك التعبير الآخر المقدر . ولأنت
سوف يعطيك الذي قال عنه " الزمخشري " أنه الأصل !!

وأنى لبشر يعجزه أن يأتي بسورة من مثل هذا القرآن أن يقول
في آية منه ما يقول " الزمخشري " في آية الضحى لا بد من
تقدير كذا . . . لأن أصل التعبير كذا . ١. (١)

وكما قلت الأمثلة على هذا كثيرة والغرض البيان لا الاستقصاء
ولعله فيما ذكرنا إن شاء الله

خامسا :- ترك الاطناب عما أُنهم في القرآن الكريم :

وكثيرا ما تدم أولئك الذين يطنبون في بيان أمرٍ أغفله النص
القرآني ، إذ لو كان في ذكره فائدة أو ترتب عليه معنى لذكره
القرآن

ففي النعيم في قوله تعالى " ثم لتُسألنَّ يومئذ عن النعيم " (٢)
تقول " وقد اختلف المفسرون في هذا السؤال عن النعيم ، ممن يكون ؟

(١) التفسير البياني : د / عائشه عبد الرحمن ج ١ ص ٤١ - ٤٢

(٢) سورة التكاثر : ٨

ولمن يكون ؟ وأيّن يكون ؟ فمنهم من قال : ان السؤال يكون من
الملائكة ومنهم من قال أن السؤال من الله

واعجبا ! آثر القرآن أن يسكت عن ذكر السائل ، تركيزا للاهتمام
في السؤال نفسه ، ويأبى المفسرون إلا أن يختلفوا فيمن يكون
السائل ، مع أن صنيع القرآن صريح في الصرف عمدا عن مثل
هذا " (١)

وفي قوله تعالى " فأراه الآية الكبرى " (٢) قالت :- "ونؤثر
ألا نحدد الآية هنا ما دام القرآن نفسه لم يبر تعيينها في هذا
الموضع ، مكتفيا بوصفها بالكبرى وهي صيغة تشهد بمبلغ دلالة
الآية على صدق موسى وعلى قدرة ربه ، رب فرعون والناس جميعا" (٣)
وفي قوله تعالى " ما ودعك ربك وما قلى " (٤) قالت

ولا نرى أن نقف هنا عندما ورد في بعض كتب التفسير من تحديد
سبب الإبطاء في الوحي بتأويلات دخيله . . . وما نراها
وأشبابها مما يتعلق به النظم القرآني ، وإلا لما سكت عنها
كذلك لا نرى وجهها للوقوف عندما ذكر مفسرون في تحديد مدة الإبطاء
. . . إذ يغنيننا عن مثل هذا سكوت القرآن نفسه عن تحديد فترة الوحي
باليوم أو بالشهر ، ولو كان البيان القرآني يرى حاجة إلى هذا
التحديد ليزيد في اليقين النفسي أو يبلغ غايته من البيان لما أمسك
عن ذلك ، لأن مقتضى البيان أن يستوفي كل ما يدعو إليه المقام مما
يتصل بغايته ، فإذا أمسك هنا عن ذكر سبب الإبطاء وتحديد مدته

(١) التفسير البياني : د / عائشه عبد الرحمن ج ١ ص ٢١٨

(٢) سورة النازعات : ٢٠

(٣) التفسير البياني : د / عائشه عبد الرحمن ج ١ ص ١٣٠

(٤) سورة الضحى : ٣

فلأن الذي يعنيه من الموقف هو جوهر الموقف لا تفصيلاته الجزئية
... فالمهم هنا هو جوهر الموقف ولا شيء من جزئياته بذي جدوى
على المعنى وإلا لكان إهماله والسكوت عنه قصورا في حساب البلاغة
باعتراف أصحابها بأنفسهم ومعاد البيان المعجز أن يُظن به أى وجه
من القصور" (١)

لكن ما نأخذه عليها في هذا أنها وهي تعيب على هؤلاء
المفسرين خوضهم فيما أبهمه القرآن نراها أحيانا تورد أقوالهم
وتوازن بينها وتنقل نصوص أصحابها من مصادرها الأصلية ثم
بعد هذا كله تقول " والأليق بجلال الموقف أن يكتفى فيه بالرضى على
ما أراد له البيان القرآنى فوق كل تحديد ووراء كل وصف وتدعو إلى
عدم الخوض في مثل هذا وكان الأولى أن لا تورد هذه الأقوال التي
عابتها عليهم وتكتفي بالإشارة إليها وانظر مثلا لذلك ما أوردته
لهم في بيان ما أعطاه الله لنبيه في قوله تعالى " ولسوف يعطيك
ربك فترضى" (٢) " (٣)

سادسا : رفض التفسير العلمي التجريبي :-

لا أعرف احدا في العصر الحديث - فيما قرأت - رفض التفسير
العلمي بقدر رفض الدكتور عائشه له فهي تبدي حماسا شديدا
لرفضها في ذلك كتاب مستقل وفصول في كتاب ومقالات في
مجلات.

ويبدو أن موقفها هذا متأثر بموقف أستاذها أمين الخولي

(١) التفسير البياني : د / عائشه عبد الرحمن ج ١ ص ٣٦ - ٣٧

(٢) سورة الضحى : ٥

(٣) التفسير البياني : د / عائشه عبد الرحمن ج = ص ٣٩ - ٤١

الذى علمها هذا المنهج في التفسير في ضميرها وقلبها وعقلها
كما تقول في إهداء غالب مؤلفاتها
ولا يخفى أن رفض التفسير العلمي من أول ما يرد بناءً على أصول
منهجهم وهم يرفضونه لثلاثة أسباب

الاول : الناحية اللغوية في حياة الألفاظ وتدرج دلالتها لو ملكتنا منها
- ما لا بد ان نملكه - في تحديد هذا التدرج وتأريخ ظهور
المعاني المختلفة للكلمة الواحدة ، وعهد إستعمالها
فيها لوجدنا من ذلك ما يحول بيننا وبين هذا التوسع العجيب
في فهم ألفاظ القرآن وجعلها تدل على معانٍ واطلاقات لم
تُعرف لها ولم تُستعمل فيها

الثاني : الناحية الادبية أو البلاغية ، والبلاغة فيما يقال مطابقاً
الكلام لمقتضى الحال فهل كان القرآن على هذا النحو المتوسع
في التفسير العلمي كلاماً يوجه إلى من خوطب به من الناس في
ذلك العهد مراداً به تلك المعاني المذكورة مع أنها معان من
العلم لم تعرفها الدنيا إلا بعد ما جازت آماداً فسيحة . . .

الثالث : الناحية الدينية أو الاعتقادية : وهي التي تبين مهمة
كتاب الدين وهل هو كتاب يتحدث إلى عقول الناس وقواهم
العالمه عن مشكلات الكون وحقائق الوجود العلمي ؟
والحق البين أن كتاب الدين لا يعنى بهذا من حياة الناس
ولا يتولاه بالبيان ولا يكفيهم مؤنته حتى يلتمسوه عنده ويعدوه
مصدراً فيفه " (١)

(١) التفسير معالم حياته منهجه اليوم : امين الخولى ص ٢٥ - ٢٦

ولئن كان هذا قول الأستاذ فلقد وصفت التلميذة التفسير العلمي بأنه " خطر على عقلية الجماهير ، أن نخايلها بهذة الألفاظ المضخمة من بدع التأويلات العصرية العلمية ، تمسخ عقليتهم ويختل بها منطقتهم وتُحدَّر وعيهم بغرور السبق إلى علوم العصر" (١)

وانظر ما قالتها الدكتورة في تفسير قوله تعالى " خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ" (٢) فقد أوردت تفسير الزمخشري " أن في الآية تفخيماً لخلق الانسان ودلالة على عجيب فطرته" قالت " وقد نقله الرازي ثم أضاف اليه في تأويل " عَلَّمَ بِالْقَلَمِ " كون الانسان من علقه وهي أخص الأشياء ثم صيرورته عالما والعلم أشرف المراتب ثم أوردت الدكتورة عائشة قول أبي حيان وعقبت على هذه الأقوال بقولها " وكل هذا مما يمكن أن يقال ، وليس هو على أي حال بأبعد مما إبتدعه محدثون إتجهوا بهذه الآية إلى مجال البحث في علم الأجنة والتمسوا المراجع الأجنبية لعلماء الفسيولوجيا والبيولوجيا لفهم آية نزلت على النبي الأمي في قوم أميين لم يسمعوا قط ولا سمع عصرهم بعلم الأجنة ، وغير متصور أن يكون القرآن الكريم قدّم لهم من آيات ربوبية الخالق وقد رتبة ما لا سبيل لأحد منهم إلى تصويره فضلا عن فهمه وإدراكه

وإنما فهموا من العلق ما تعرفه لغتهم وبيئتهم وعصرهم والعربية قد إستعملت العلق ماديًا في كل ما يعلق وينشب: - كالدّم ، والمحور الذي تعلق عليه البكرة ، وعلقت المرأة حملت ، ومعنويًا في العلاقة

(١) القرآن وقضايا الانسان : د / عائشة عبد الرحمن ص ٤٢٨

(٢) سورة العلق : ٢

تنشعب بين إثنيين حبا أو بغضا وفي الضلة تربط بينهما
ولم يكونوا في حاجة إلى درس في علم الأجنّة أو مراجعته
كتاب في المكتبة الأمريكية التي ظهرت بعد هم بقرون ، ليفهموا آية
خلق هذا الانسان من علق في أرحام الأمهات وهم الذين أَلْفُوا
إستعمال : علقت المرأة ، بمعنى حملت

وإستعمال العلق هنا ، جمع علقه ، إيدان بما ذهبنا إليه
من إطلاق في عموم لفظ الانسان

ولا يشير السياق إلى أن القصد من " خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ " ^(١)
توجيه المصطفى ومن يؤمنون برسالته إلى النظر في علم الأجنّة
وإنما هي آية الله في هذا الانسان :- خلقه من علق وخصّه
بالعلم ، واحتمل أمانة التكليف فازد هاه الغرور وأطغاه الشعور
بؤهم الإستغناء عن خالقه فنسي أن إليه سبحانه الرجعى والمصير . ^(١)
وتصف الدكتور عائشه التفسير العلمى بأنه " بدعة " عند تناولها
بالتفسير لقوله تعالى " فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره " ^(٢) حيث
تقول : =

" وجاء محدثون ببدعة التفسير العلمى فذهبوا إلى أنها
الذرة التى إكتشف العلم سرها فى القرن العشرين !!
- ثم علقت على هذا قائلة " والواقع أن مثل هذا التحديد ليس مراد ،
القرآن ولا هو من مألوف بيانه . والعريية قد عرفت الذرّ فى كل
ما يُمثّل الضآلة والصغر وخفة الوزن تقول :- ذررت الملح والدقيق والفتات

(١) التفسير البيانى : د / عائشه عبد الرحمن ج ٢ ص ١٨-١٩

(٢) سورة الزلزله : ٧

نثرته باطراف الأصابع والذر الهباء يُرى في شعاع الشمس ويولغ
في وصف تناثر النمل الصغير المنبث فليل : - ذر وفي لسان
العرب نص صريح على أن "الذرة ليس لها وزن" لفرط صغرها وخفتها
ونوءثر أن نفهمها في شوء هذا الحس اللغوي وعلى هدي
البيان القرآني دون تكلف لتقدير الأوزان والأحجام والألوان
وما فهم العرب الذين بعث فيهم رسول " منهم من قوله تعالى
مثقال ذرة إلا أنه التناهي في الضآله والخفه والصغر حتى ليكون من الهباء
الذي لا وزن له وهو ما يتلاءم ماديا وفتيا مع جو الموقف ونسق السياق من
الزلزلة والإنفجار والتفتيت والتشتيت فهم يخرجون أثقالا
ويصدرون أشتاتا ويرون أعمالهم مثقال ذرة من خير أو شر" (١)

ولعل فيما ذكرناه ما يظهر حقيقة موقفها من التفسير العلمي
ترفضه كل الرفض وتذمه كل الذم لأنه يخالف قواعد وأصول
منهجها الأدبي ولا شك - أنها - وفقها الله - قد تطرفت في الرفض
دفعها الى ذلك - فيما أحسب - تطرف خصومها في التفسير العلمي
والحق وسط بينهما وبينهم - وقد أفردناه بدراسة خاصة في حديثنا
عن المنهج العلمي التجريبي ولا نرى موجبا لإعادته هنا
فليُنظر هناك .

سابعاً : التفسير الموضوعي

لا شك أن الأسس - أي أسس - ليست على درجة واحدة دائماً
فقد يكون بينها تباين في القيمة وان استوت في النوع وإذا نظرنا

(١) التفسير البياني : د / عائشه عبد الرحمن ج١ ص ١٠٢

الى أسس منهج التفسير البياني فانا ولا شك نرى أن أهم
هذه الأسس اثنان :

١ - الاستقراء للمفردات

٢ - التفسير الموضوعي

وللتناول الموضوعي عند الدكتورة عائشه منزله أيضا بل عدته في
مقدمة تفسيرها الأصل الذي يقوم عليه المنهج في التفسير فقالت:
" واصل في منهج التفسير الأدبي - كما تلقيته عن
أستاذي - هو تناول الموضوعي الذي يفرغ لدراسة الموضوع الواحد
فيه فيجمع كل ما في القرآن - عنه ويهتدى بمألوف استعماله
للألفاظ والأساليب بعد تحديد الدلالة اللغوية لكل ذلك
وأجبه بمحاولتي اليوم الى تطبيق المنهج في تفسير بعض
سور قصار ملحوظ فيها وحدة الموضوع فضلا عن كونها من السور
المكية حيث العناية بالأصول الكبرى للدعوة الإسلامية " (١)

لكن هل التزمت الدكتورة عائشه هذا الأصل الذي دعت اليه؟
سجل مخالفتها لهذا الدكتور عفت الشرقاوى ومن بعده الدكتور محمد
ابراهيم شريف فقال الأول ونقل عنه الثانى " ولقد نلاحظ أن
المؤلفة قد خالفت أستاذها فلم ترتبط بفكرة الموضوع التى
طال دعوتها اليها ، ولو فعلت لكان أمامها فسحة من الدراسات
المنتجة الخصبة ذلك أن التحديد الموضوعي يسعف على تنبئه
دقيق الى الدلالات المستخدمة في الموضوع ، وعلى كل حال فان
المؤلفة فسرت هذه السور القصار ، فلم تبعد كثيرا - عن التفسير
الموضوعي لأن الوحدة الموضوعية ملحوظة في كل سورة على

(١) التفسير البياني : د / عائشه عبد الرحمن ج ١ ص ١٨

حدة الى حد ما ، وفوق ذلك فان تفسير السور يفتح مجالات ،
أخرى أمام المفسر ، قد تختلف عن الدراسة الموضوعية
ومن ذلك مثلا مسألة المناسبة بين الآيات وملاحظة السياق في
السورة الواحدة " (١)

وكان من ذلك ما قدمته الدكتورة عائشة في تفسير سورة ،
العاديات حيث قالت : - وتبدأ بعرض صورة مثيرة لغارة عنيفة
مفاجئة ، تباغت القوم صباحا فلا ينتبهون اليها الا وقد توسطت
جمعهم فبعثرتهم وسط عاصفة من النقع المثار

وتقع هذه الصورة العنيفة بعد واو القسم لافتة الى ما عهد
القوم من مثل تلك الغارات المفاجئة المصيبة ، وما تحدث من بعثرة
وحيرة وارتباك ثم تأتي بعدها صورة أخرى لغيب غير مشهود ،
ولكنه واقع حتما . . ذلك هو البعث يفجأ على غير موعد فاذا هم
في حيرة وبعثرة وارتباك ، وقد لفظتهم القبور لليوم الآخر كالفراش
المبثوث ، واذا كل ما في صدورهم قد حصل لم تغلت منه خافية
مضمرة ، مطوية في أعماق الصدور ومستكن الضمير

وفي كل لفظ من الصورة ، (٢) بل في كل حرف منها سره البياني
الرائع فيما قصد اليه القرآن من احضار مشهد ليوم البعث شاخصا
مجسما ، وتأکید وقوعة ، والانداز بما ينتظر الانسان فيه من حساب
دقيق عسير" (٣)

هذا مثل من الأمثلة القليلة لتطبيق التناول الموضوعي في التفسير

عند الدكتورة عائشة

(١) اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث: د عفت محمد الشرقاوي
ص ٣١٧ " واتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر د : محمد
ابراهيم شريف ص ٥٩٧

(٢) كذا وردت ولعلها تريد " السورة "

(٣) التفسير البياني : د / عائشة عبد الرحمن ج ١ ص ١٥١

رأيي في تفسيرها :

ذكرت أثناء عرض أسس منهجها بعض المخالفات للمنهج أو الأخطاء التي أحسب أن الدكتور عائشه قد وقعت فيها ، ولعلني أذكر هنا الملاحظات العامة

فمنها ما سبق - أيضا - أن أشرت اليه والى صورة اجمالا ووعدت بضرب الأمثلة فيما بعد وهذا أو انفاذ الوعد ،

قلت هناك ان من عيوبها - وجل من لا عيب فيه - اعتدادها الشديد بأرائها وذكرت له أربع صور :

أولها :- أنها تتيه بما وصلت اليه من معنى لكلمة قرآنية على المفسرين

والأمثلة على هذا كثيره منها قولها " هذا ما نظمئن اليه في التفسير البياني للقسم بالضحي والليل اذا سجي ، ولا أعرف - فيما قرأت - أحدا من المفسرين التفت الى هذا الملحظ التفاتا واضحا متميزا ، وان يكن بعضهم قد استشرف له من بعيد ، لكن وسط حشد من تأويلات شتى ، لا تخلو من تكلف واغراب " (١)

وفي موضع آخر تقول " ولا أعرف أحدا من المفسرين أو البلاغيين التفت الى اطراد هذه الظاهرة الاسلوبية في القرآن مع وضوحها الى درجة العمد والاصرار " (٢) قالت هذا في طبعة تفسيرها الأولى ولما أعادت طبعه عدلت العبارة إلى " وقد شغل أكثر المفسرين والبلاغيين بتأويل الفاعل عن الالتفات الى اضطراد هذه الظاهرة الأسلوبية في هذا الموقف مع وضوحها الى درجة العمد والاصرار ،

(١) التفسير البياني : د / عائشه عبد الرحمن ج ١ ص ٢٦ - ٢٧
(٢) المرجع السابق : الطبعة الاولى ج ١ ص ٧٠ والطبعة الثالثة ج ١ ص ٨

وسرها البيانى دقيق جليل " (١)

وثانيها أنها تقل بصيغ شتى من شأن المفسرين السابقين وتفسيرهم
وتسوق عباراتها عنهم أحيانا بما يشبه السخرية بل لم أجد
كلمة " المفسرين " في كتابها الا وسياقها كذلك وهو أمر
خطير خطير

ولست بالأول ولا بالوحيد الذى أدرك ذلك منها فهذا الدكتور
محمد ابراهيم شريف يقول " ما كان هناك من مبرر لحملتها السافرة
على قدامى المفسرين واعتدادها الشديد بما تحقق من نتائج ووصفها
المفسرين بالدأب على افساد البيان القرآنى " (٢) ومن قبله الدكتور
عفت الشرقاوى قال " ولكن ما يلفت النظر في منهج المؤلف حملتها
السافرة على قدامى المفسرين واعتدادها الشديد بما تحقق
من نتائج " (٣)

وتصف كثيرا نتاج المفسرين بصيغة الجمع بصفات تستغرب من
ذلك قولها " واكثر المفسرين على أن " يصدر الناس " هنا بمعنى
يخرجون من القبور وتفسير يصدر بـ " يخرج أو ينصرف بعيد
عن حس العربية . . . " (٤) وقالت " ولكن كثيرا من المفسرين ذكروا في
أشأت أقوالا بعيدة لا يعين عليها الحس اللغوى للمادة " (٥) وتقول
" ولشد ما تكلف المفسرون في تأويل الساهرة " (٦) وقالت
" وأيان : للبعد ولا أدرى لم فات جمهرة المفسرين أن يلحظوا
موقعها هنا على كثرة تعلقهم بما له اتصال بالصنعة النحوية " (٧)

- (١) المرجع السابق : الطبعة الأولى ج ١ ص ٧ والطبعة الثالثة ج ١ ص ٨٥
(٢) اتجاهات التجديد في التفسير القرآن الكريم في مصر : د / محمد
ابراهيم شريف ص ٦٠٧
(٣) اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث : دعت محمد الشرقاوى ص ٣١٧
(٤) الى (٧) انظر التفسير البيانى : عائشه عبد الرحمن الصفحات
حسب الترتيب ج ١ ص ٩٧ ، ٩٩ ، ١٢٥ ، ١٤٥

وقالت " وتدبر هذه الآيات يرينا مافي قول المفسرين من جور على
المعنى القوى المثير " (١) وقالت " لكن ما العقبة التي يتحدث عنها القرآن
هنا ؟ أتعب المفسرون أنفسهم في تأويلها . . . والواقع أننا في غير حاجة
الى شيء من هذا ومثله " (٢) وقالت " وليس بعجيب أن يفوت هذا السرر
البياني جمهرة المفسرين الذين كان جهدهم أن يجمعوا كل ما يمكن أن
أن يحتمله المدلول المعجمي للفظه وكل ما قيل في تأويله دون أن يلتفتوا
الى الايحاء الباهر للفظ " زرم " (٣) وقالت " فتأويل المفسرين - فيما
قرأت - المقابر بالقبور ليس الا أثرا لمنهجهم في تناول مفردات القرآن تناولا
لفظيا معجميا مجردا عن ايحاء سياقه وسره البياني معزولا عن الاستعمال
القرآني " (٤) وقالت " وليس النص القرآني في وضوح بيانه بمسئول عن هذا
الخلاف ، وانما يسأل عنه منهجهم في التفسير وهو منهج لا يرى بأسا
في تفسير الآيه الواحدة بالنقيضين كيلا تفوته الاحاطه بما قيل في الآيه " (٥)
وتقول بلهجة ساخرة " ثم يجيء المفسرون - غفر الله لهم - فيقولون . . .
وفاتهم النذير العالي الصادع . . . واعجبا آثر القرآن أن يسكت عن ذكر
السائل ويأبى المفسرون الا أن يختلفوا فيمن يكون السائل . . .
لكن كيف يمكن ادخال المؤمنين مع الكفار في سؤال واحد ؟ الجواب عند
المفسرين حاضر " (٦)

معذرة أن أطلت فما ذكرت الا القليل من عباراتها بل لم أجد ها في أي
موضع - فيما قرأت - تذكر المفسرين أو قولا لهم موضع الثناء والقبول اللهم
الا مرة واحدة قالتها في المقدمة . . . قالت هناك : " وما يجرؤ منصف على
أن يجحد فضل أحد من هؤلاء جميعا وهم الذين بذلوا في خدمة القرآن
جهودا جلية وتركوا آثارهم من بعدهم شاهدة بمقدار ما عانوا " (٧)

(١) الى (٥) انظر التفسير البياني : د - عائشة عبد الرحمن الصفحات حسب الترتيب

ج ١ ص ١٦٥ ، ١٩٢ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩

(٦) التفسير البياني : د عائشة عبد الرحمن ج ١ ص ٢١٨-٢١٩

(٧) المرجع السابق : ج ١ ص ١٧

لكن هل تشفع لها هذه الكلمة في المقدمة أن تقف هذه الوقفات الكثيرة في تفسيرها منهم وهل يشفع لها هذا أن تذكر أقوالهم دائما بصيغة الرفض والانكار و و . على كل حال - غفر الله لنا ولها - ولعلها تعيد النظر فيما قالت مادام في العمر بقية وفي الأجل فسحة .

ثالثها جزمها بصحة ما توصلت اليه وتعين القول به ورفض ما سواه . حتى وان كان لم يورده أحد من المفسرين من قبل وعلى هذا فكل من سبقها وسبق عصرها لم يصل الى الحق حتى قالتها واقرأ معي قولها " ولكن هذا المعنى المتعين ، هو الوحيد الذي لم يذكره المفسرون - فيما قرأت - وهم يعدون كل ما يمكن أن يقال في تفسير " النعيم " ويذكرون فيه ذلك الحشد المختلط الا نعيم الآخرة الذي يصر القرآن على تخصيص لفظ النعيم به ، والذي يجب أن يحتكم وحده في توجيه آية التكاثر " (١)

والحق أن المفسر القديم كان أكثر حيطة منها حين وضع في اعتباره أن التفسير قول على الله وخشي دائما القطع بقول لا يعلم أنه مراد الله من قوله فلم يكن يجرؤ على الجزم بتأويل واحد - يكون ما عداه خطأ - ما لم يرد في ذلك نص صريح وانما فهم أن النص الذي يقبل التأويل هو طائفة من الامكانات وقد يرجح بعضها مستعينا في ذلك بالسياق العام للنص ولكنه لم يجزم بمعنى واحد يخطئ ما سواه كما فعلت الباحثة " (٢) ولا يمكن - كما يقول الدكتور عفت الشرقاوى - أن يبلغ اعتزاز المفسر المنصف برأيه حدا يجعله يخطئ بصرامة وحدة آراء الآخرين أمام هذا النص ، الا اذا كان صاحب نحلة أو هوى خاص " (٣)

-
- (١) المرجع السابق : ج ١ ص ٢٢٣
(٢) اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر : د محمد ابراهيم شريف ص ٦٠٧
(٣) اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث : د عفت الشرقاوى ص ٣١٨

رابعها اعتدادها بنفسها الى درجة أنها تذكر أقوالهم مقابل قولها فتقول مثلا لا نستطيع أن نطمئن الى تفسير "النازعات" بما أطمأن اليه أكثر المفسرين" (١) وكان الاولى أن تذكر رأيها بغير هذه الصيغة ، وتقول في موضى آخر "ونتفق مع المفسرين في" (٢) وقالت () "ولا حاجة بنا بعد هذا الى الوقوف عندما قاله بعض المفسرين في" (٣)

وقالت " لكن المفسرين أجمعوا على الى أن تقول وعندى وتقول وحين تلوذ بكتاب العربية الأكبر ومعجزاتها البيانية الخالدة نهتدي الى هذا الملحظ الذي غاب عمّن قيدهم جمود المصطلح النحوي فطبقوه صنعة شكلية بعيدا عن ذوق العربية" (٤) وتقول أخيرا " واختلفوا كذلك في وأمام هذا الاختلاف تلوذ بالقرآن الكريم هذا المعنى المتعين هو الوحيد الذي لم يذكره المفسرون" (٥)

هذه صور أربع لا اعتدادها بتفسيرها وما توصلت اليه من آراء حبذا لو تخلصت منها الدكتورة عائشه حتى تظهر صورة تفسيرها أكثر جلاء وأكثر قبولا وما أجملها من صورة

وإذا ما أردنا أن نقيم هذا التفسير في هذا المنهج فإن هذا يذكرنا بملاحظة سبق ذكرها ألا وهي تخلف النتائج عن المقدمات أعني قصور المحاولات التطبيقية عن الأسس الموضوعية والقواعد المرسومة لهذا المنهج ذلكم أن هذا المنهج حتى ساعتنا هذه فيما قرأت - لم يشهد تطبيقا كاملا في إحدى محاولات التفسير ذلكم أن بعضها يأخذ بشق ويأخذ بعضها بالآخر .

(١) الى (٥) التفسير البياني : د عائشه عبد الرحمن وهي حسب الترتيب ج١ ص ١٠٨ ، ١١٣ ، ١٤٧ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣

" فعلى حين يركز بعضها على الموضوع ويختار كثيرا من آياته نجد ه يتعثر في المعجم والاستعمال وتفتر جهودة في هذه المجالات وعلى حين تنجح بعض المحاولات في الدراسة المعجمية والاستعمال القرآني والسياق تتعثر في الموضوع فلا تلتفت اليه أو تستغني عنه أصلا وهذا ما وقع فعلا من بنت الشاطي^١ فلم ترتبط بفكرة الموضوع الذي طالت دعوة أستاذها اليها وتحمست هي كثيرا في الترويج لها^(١)

لكنها والحق يقال جاءت بمنحى آخر في هذا فعند ما لم تلتزم موضوعا بعينه اختارت سورا قصارا لاحظت فيها وحدة الموضوع الى حد ما

فهى بذلك لم تخرج عن التفسير التقليدي بالتزامها للسورة اطارا لتفسيرها وهي أيضا لم تبعد كثيرا عن التفسير الموضوعي لمراعاتها وحدة الموضوع في كل سورة تناولتها بالتفسير

وبهذا يمكن أن نقول انها قد جمعت في محاولتها بين " التحديد الموضوعي^(٢) وبين التناول الأدبي التقليدي للسور التي فسرتها^(١)

ولا يفوتني في ختام حديثي عن هذا التفسير أن أبدى اعجابي بما بذلته الدكتورة عائشه وبكثير مما توصلت اليه من آراء

(١) اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر : د / محمد ابراهيم

شريف ص ٥٩٧ - ٥٩٨

(٢) نعنى به الموضوعية الجزئية ذلكم ان المواضيع في السور التي تناولتها الدكتورة لها إما يماثلها ويكملها في سور أخرى لكن الدكتورة اكتفت بما في سورة عما في السور الأخرى وليس هذا بالموضوعية الشاملة

قلت من قبل فجاءت بما يدعمها أو كشفت وجهها آخر في التفسير
له أصالة وذلك عن طريق تتبع الأسلوب القرآني ومفردات القرآن
حيث يجد القارئ حقا أن للقرآن الكريم قواعد وأن له استعمالات
يخفي أن لا تغيب عن ذهن مفسر للقرآن الكريم

وكم أتمنى أن تعاود الدكتورة عائشة النظر فيما قيل في
تفسيرها من مآخذ وسقطات وتواصل من بعد هذا التفسير
سدد الله الخطى وعفا عنا الزلل انه سميع مجيب

وقد كنت وعدت أن اتبع هذه الدراسة بدراسة أخرى بكتاب آخر
في هذا المنهج ^{ذِي} لَوْنٍ آخِرٍ وهذا أوان الوفاء

.....

الدكتور محمد أحمد خلف الله

الكتاب : الفن القصصي في القرآن

أولا : المؤلف

هو الدكتور محمد أحمد خلف الله ، أما حياته الشخصية فلا أعرف عنها شيئا ولم أجد لها ذكرا ، أما فكرة ونتاج قلمه فله عدد من المؤلفات والمقالات

وهو من الذين أرادوا الشهرة في فترة كان الالحاد أقصر طريق إليها فأصدر عددا من المؤلفات حشاها به حشوا

كان أولها - كما سيأتي - كتاب الفن القصصي في القرآن الكريم - زعم فيه أن قصص القرآن أساطير وأنها لا تلتزم الحقائق وغير واقعة وغير ذلك . . .

ومنها القرآن ومشكلات حياتنا المعاصرة ، وكتاب القرآن والدولة وكتاب هكذا يبني الاسلام وشارك في كتاب " محمد والقوى المضادة " وغير ذلك من كتب الدراسات الأدبية واللغوية والتراجم

ولا أريد أن أسترسل في الحديث عن الرجل فليس هذا مقام محاكمة أو كشف زيف فكره وإنما هو مقام التعريف الموجز والاشارة السريعة وكم وقفت مبتسما - ابتسامة أسي وأسف - وأنا أقرأ مقالة سطرها دكتور فاضل نقد فيها الكتاب الأخير للدكتور محمد أحمد خلف الله : " الأسس القرآنية للتقدم " ويبدو أن الدكتور الفاضل لا يعرف كثيرا الدكتور محمد أو أنه يحسن الظن أكثر من حد القبول ذلكم أنه يقف أمام عبارة من عبارات الدكتور خلف الله المألوفة ويعتقد أنها من أخطاء المطبعة!! العبارة تلك تقول " وهنا

سؤال يطرح نفسه : ألا يزال العقل البشرى مقيدا بسلطان الله
الواحد الأحد الذي يدعو الاسلام الى عبادة واتقيا
غضبه " ؟ " وينقل القارىء الى اجابة من تفسير المنار ولكنه قبل
أن ينقله الى هذه الاجابة يقول " " وأنا حين أنقل عن
هذا الكتاب انما أرجو أن يطمئن القارىء الى الأساس الذى
بنى عليه التوحيد ، وكيف كان تحريراً للعقل البشرى من
سلطة الآلهة بما فيهم الله " (١) ؟ !!

أرأيتم الحاداً كهذا ؟ ! لو نسب هذه الفكرة لنفسه لعد
هذا الحاداً وأى الحاد فكيف وهو يزعم أن هذا هو
الاساس الذى يبنى عليه التوحيد في الدين الاسلامي ؟ !!

قلت انى ابتمت أسى وأسف عند وصف الدكتور الفاضل
كاتب النقد لهذا بأن المطبعة وحدها قد تكون مسؤولة عن
هذا الارتباك الفكرى والأسلوبى الذى يجسد اتجاهها غير
اسلامى بالتأكيد (١) ولو قرأ بقية مؤلفاته لوجد فيها نحو
هذا وأشد منه

قصدت من هذا الذى أوردته أن المؤلف لا يزال حتى آخر ما صدر من
مؤلفاته بيت الحاد وما زال بعض المخدوعين يعده مفكراً
اسلامياً ؟ !

نسأل الله له الهداية وأن يفتح قلبه للحق وأن يجعله
سيفاً على الباطل فيما بقي من عمره

(١) مجلة الامه القطريه (العدد الخمسون صفر ١٤٠٥ ص ١٥ مقال ،
" الاسس القرآنية للتقدم وحوار حول بعض مقولاته " للدكتور محمد
أحمد العزب والنص المنقول عن كتاب " الاسس القرآنية للتقدم " ص ٣٦

الكتاب :

عانت مصر وعانى علماءها في القرن الرابع عشر الهجرى
معاناة شديدة من فئة جعلت سبيل الالحاد وسيلة لاشتهارها
وباعت دينها بدينها

عانت دعوة قاسم أمين حين أصدر كتابيه " تحرير المرأة " و " المرأه
الجديدة " وكانت ضجة ثم سكون كسكون المقابر !!

وكانت دعوى طه حسين " فى الشعر الجاهلي " مزمـارا من
مزامير المستشرقين وجاء من بعده علي عبد الرازق
وأظهر كتابه - الاسلام وأصول الحكم - ثم المدعو محمود أبو رية
واضواءه بل ظلماته على السنة المحمدية وفى عام
١٩٤٧ كتب محمد أحمد خلف الله كتابه " الفن القصصي
فى القرآن الكريم " وبعده بسنتين اثنتين أصدر ^{محمد} محمود أبو
زيد تفسيره " الهداية والعرفان فى تفسير القرآن بالقرآن "
بتنظيم عجيب وترتيب دقيق كأنه مرسوم توالت هذه المؤلفات
وتتابعت ما أن يسترد العلماء الصالحون أنفاسهم فى الرد على
ملحد حتى يكون الآخر قد نشر ونثر ما فى جعبته فيبدأ أولئك
المعركة من جديد وهكذا دواليك .

وبين ملحد وآخر يخرج من لا يقل عنهم خبثا بما يشغل المجاهدين
ويغت من عضدهم وهم كثير وكثير منهم المسلم نسبا ومنهم النصرانى
عقيدة ، ومنهم من تاب من بعد ومنهم من ينتظر
وهذا الكتاب اذا له قصة نحكيها قبل أن ندرسه

في سنة ١٩٤٧ م قدم محمد احمد خلف الله، الطالب في كلية الآداب بجامعة فؤاد الاول رسالة للحصول على الدكتوراة عنونها :-

" الفن القصصي في القرآن الكريم "

قرر فيها أن القرآن أساطير وأن ورود الخبر في القرآن الكريم لا يقتضي وقوعه ، ويخشى على القرآن من مقارنة أخباره بحقائق التاريخ ويقول ان التاريخ ليس من مقاصد القرآن أن التمسك به خطر أي خطر على النبي عليه السلام وعلى القرآن بل هو جد يربأ أن يدفع الناس الى الكفر بالقرآن كما كفروا من قبل بالتوراة وأن المعانى التاريخية ليست مما بلغ على أنه دين يتبع وليست من مقاصد القرآن في شيء ومن هنا أهمل القرآن مقومات التاريخ من زمان ومكان وترتيب للأحداث ^(١) ويقول إنا لا نتحرج من القول بأن القرآن أساطير لأننا في ذلك لا نقول قولاً يعارض نصاً من نصوص القرآن ^(٢) وقال وقال

وقامت الاحتجاجات وكتبت الرود ود ورفضت البرقيات للمسؤولين ورفضت رساله وطالب أولئك بتطبيق أحكام الردة على خلف الله ولكن

وكان ما كان . . . يقوم الفكيهة بعد الفينة من سولت له نفسه بالخروج على الاسلام في ناحيه من نواحيه الاعتقادية فيثور احتجاجاً عليه فئة من الغيورين على دينهم ويحميه منهم

(١) الفن القصصي في القرآن الكريم : د محمد احمد خلف الله ص ٤٢ ، ٤٤

(٢) المرجع السابق : ص ١٧٩ - ١٨٠

رجال من الوزراء وفي مستقبل قريب ينال الرجل مكافأة
خروجية أضعاف ما كان له من المراكز والمناصب . . . ويكون
هذا المصير غبطة لآخرين ا فتتكرر المهزلة في أيام أخرى
على مسائل أخرى مماثلة (١)

أما مصير الكتاب فقد طبع طبعته الأولى سنة ١٩٥٣ ثم توالى
طباعاته بعد ذلك سنة ١٩٥٧ سنة ١٩٦٥ سنة ١٩٧٢ وأنا
لله . وأنا اليه راجعون

منهجه:

نحمد الله ان المؤمن لف بين بنفسه سبب سلوكه الدراسة الأدبية
ومنهجه فيها

أما الأول فقال عنه " أما الاسباب التي جعلتني أعنى بالدراسة
الأدبية وأجعل من القرآن ميدان أبحاثي ، فترجع قبل كل شيء
الى نوع من الاستهواء عمل على اذاعتيه في نفسى درس أستاذنا
الخولي عن المنهج الأدبي في فهم القرآن وتفسيره فقد كانت
تلك اللفات تستقر في نفسى استقرارا يجعلني أتخيل تمثل هذا
المنهج والسير عليه في تفسير كتاب الله " (٢)

أما صله أمين الخولي بالرسالة بعد ذلك وحين قامت الاعتراضات
عليها فقد أعلنها بنفسه حين قال " فلولم يبق في مصر والشرق
أحد يقول انه حق لقلت وحدي وأنا أقذف في النار انه حق حق " (٣)

(١) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعبادة المرسلين : مصطفى

صبرى ج١ ص ٣١٨

(٢) الفن القصصي في القرآن الكريم : د محمد احمد خلف الله ص١

(٣) المرجع السابق : ص : ح

أما صلته بالرسالة وصاحبها قبل ذلك فقد بيّنها الاستاذ محمد سيد كيلاني حين تحدث عن الاستاذ أمين الخولي وقال " بأنه كان يدرس مادتي التفسير والبلاغة وظل أمره مستورا الى سنة ١٩٤٧ لا يدري أحد في خارج الكلية ما يلقيه امين لتلاميذه من أنواع الكفر والضلال " (١)

وأما الثاني - أعني منهجه في التفسير فقد عدد خطواته حيث قال :-

أولا : جمع النصوص :

إذا كانت معرفة نص ما تستلزم حتما وجوده كانت (٢) أولى الخطوات من غير شك هي الوقوف على النصوص وجمعها ، واني لا اعترف بأنني لم أجيد موضوعي (٣) هذا من حيث هذه الناحية عناء يذكر ذلك لأن القصص القرآني موجود في القرآن ومن هنا لم يكن عملي في هذه المرحلة الا الرجوع الى المصحف

ثانيا : الترتيب التاريخي للنصوص

وهذا الترتيب يدل الباحثين على التطور في الفنون والآداب ، ويستوى في ذلك عند هم التطور الداخلي ، والتطور الخارجي . ونقصد بالأول أن يدلنا هذا الترتيب على تطور ذوق الكاتب وأفكاره أو ميادينه التفصيلية ونشاطه النفسي . ونقصد بالثاني : دلالة النص على التطور العام لتاريخ الآداب والفنون من حيث صلته بالسابق واللاحق والذور الذي لعبه النص في الحياة الادبية ومجراها العام .

(١) ذيل الملل والنحل : محمد سيد كيلاني ص ٨٦-٨٧

(٢) لعل العبارة " فقد كانت " أو " فان أولى . . "

(٣) لعل العبارة " في موضوعي "

وانني لأُعترف هنا أيضا بأن هذه الخطوة - وان تكن أشق
من الأولى وأعسر - إلا أنني لم أبذل فيها جهدا يذكر ذلك
لأنني اعتمدت في هذا الترتيب التاريخي للقصة القرآني
على المصحف الملكي^(١) وان كنت أعلم انه ليس بالترتيب التاريخي
الدقيق . لكن ليس في الامكان أبدع مما كان

وعلى كل فقد أفادني هذا الترتيب التأريخي فيما يخص
القصة القرآني بدراسة التطور الداخلي لهذا القصة . .^(٢)

أما التطور الخارجي فقد حالت بيني وبينه عقبات منها أن الوقوف
على النصوص السابقة للقصة القرآني من أقاصيص الجاهليين لا سبيل
اليها ومنها أن صلة القصة القرآني باللاحق يتوقف أولا على
صلته بالمعاصر من أحاديث (الرسول صلى الله عليه وسلم)
وهذه من الأمور التي سأفرغ لها بعد بحثي هذا ان شاء الله

وقفت من هذه الخطوة اذا عند الفائدة التي نجنيها من التطور
الداخل - وحسبي هذا في هذا الموضوع

ثالثا : فهم النصوص

وهنا لا بد من التفرقة بين نوعين من الفهم :-
الأول : الحرفي : وهو الذي يقوم على دراسة معنى الألفاظ والتراكيب
والجمل ، كما يقوم على توضيح العلاقات الغامضة والاشارات التاريخية

(١) لا اعرف " المصحف الملكي هذا ، ولا " المكي " ايضا ان كان في العبارة
خطأ مطبعي
(٢) سبق أن ذكر الموء لف أنه يعني بالتطور الداخلي : تطور ذوق الكاتب
وأفكاره أو ميادينه الفنيه ونشاطه الحسى النفسى " فهل يطلب
هذا في كلام الله عز شأنه ؟ !

وكل تلك أمور تتوقف على حدّ كبير على ثقافة الدارس - تلك الثقافة التي شرطها بالنسبة لموضوعنا هذا المفسرون في المفسر والتي حدّد ميادينها الاصوليون في مقدمات كتبهم ،
وانى لا اعترف هنا بأنى قد وقفت على الكثير من هذه الأمور من كتب التفسير المختلفة وكان الجهد الذى أبذله يقوم على المقارنه والترجيح والوقوف عند بعض اللمسات التي تفتح آفاقا واسعة أو تصحيح أخطاء بعض الأقدمين .

الثاني : - الفهم الأدبى . وهو ذلك الفهم الذى يقوم على تحديد ما في النص من قيم عقلية وعاطفية وفنية ، فنقف على ما في النص من صور وآراء ونبحث عما خلف هذه الصور وهذه الآراء من أخرى لم يشعر صاحب النص بالحاجة الى التعبير عنها . اما لأنه كان يفهمها في نفسه ، واما لأن المعاصرين له كانوا يفهمونها عنه ، واعتقد أن هذا الصنيع في الفهم الأدبى كان جديدا بالنسبة لموضوعي هذا اللهم الا في القيل النادر

رابعاً : التقسيم والتبويب

ثم قال المؤلف " عند ما يصل الباحث الى هذا الحد من الفهم الأدبى يكون قد أقام من العلاقات ما تسمح له بأن يقسم بحثه أبواباً وفصولاً يقيم كل واحد منها على نوع من العلاقات التي يوحى بها المنهج أو القصد من الدراسة . فقد تجمع النصوص لما بينها من علاقات في الموضوع ، وقد تجمع لما بينها من علاقات في الصياغة وقد تجمع لما يتسلط عليها من مقاصد وأغراض

خامساً : الأصالة والتقليد

وهذه مسألة من أهم المسائل عند الدارسين لحياة العلوم والفنون وعند

من يريدون الفهم الدقيق العميق للمسائل العلمية والأدبية ذلك لأنها هي التي ستدلنا على المواد التي تكون منها النص وعلى كيفية تكوينه وعلى أي منها من عند الأديب وأيها سبق إليه لقد درست هذه المسائل وكانت لها نتائج قيمة . بعضها يخص اثبات التجديده في الحياة المكية الأدبية - وذلك كمسألة القصة الاسطورية ووجودها في القرآن الكريم ، وبعضها الآخر يخص القوة القادرة على تحويل المواد من تاريخية الى أدبية أو الى قصصية حتى لتصبح سحرا من السحر أو أشد تلك هي الخطوات المنهجية التي سرت عليها والتي انتهت بي الى هذا البحث" (١)

ولا شك ان هذه الخطوات التي قدمها المؤلف بنفسه هي قواعد التفسير البياني في القرآن الكريم كما وضعها أستاذة أمين الخولي اذا فلم يأت الدكتور خلف الله بما هو جديد في التأويل وان جاء بما هو جديد في الانتاج

ومادام الأمر كذلك فلا أظن الامر يحتاج الى أن أضرب أمثلة من تفسيره استخرج لها منهجه ، بل يحتاج الى التمثيل فحسب

أمثله من تفسيره

ليس من السهل على باحث مثلي أن يتجه الى دراسة موضوعية (ذات موضوع واحد) ثم يقتطف منها أمثلة (واقية) في سطور قليلة كيف يفعل هذا وصاحب الدراسة لا يقرر الفكرة الواحدة الا في فصل كامل ، لا ريب علي بعد هذا اذا ما جاء ضرب الأمثلة هنا مختصرا " كما وكيفا " فلم أوجه العناية لهذا الكتاب استيفاء دراسة ولا استيفاء نقد وان كنت أبذل وسعي في أن آتي بشيء من هذا وذاك واذا كان الأمر كذلك فاني أرى لزاما أن أبين مدلول كلمتين قبيل

(١) الفن القصصي في القرآن الكريم : د محمد احمد خلف الله ص ١٣-١٧ باختصار

أن الحج في ظلمات هذا الكتاب وصاحبه أما أولا هما فهى
" الحرية " وأما الثانية فكلما حملها زورا عنوان الكتاب " الفن "

اذكريانها هنا - وان كان مكان ذلك - آخر الدراسة كما
جرت عادتي بذلك لأن الأمر هنا يختلف . . . هنا ظلمة بل ظلمات
وهنا عد و متربص يتحين غفلة فكان حمل السلاح واجبا وتأخيره تقصيرا

اما الحرية - كما أرى - فكلمة ذات جانبين جانب أصيل وجانب
زائف ونحن في عصرنا هذا نعاني من جانبها الزائف

لا أريد بالجانب الزائف جانب استعمالها المشلول فحسب تمس
بعض المجالات والجرائد الذات الالهية فيقال . . . حرية وحين تمس
من بعيد بعض الذوات تقوم الدنيا ولا تقعد لا أريد هذا
الجانب فحسب بل أريد جانبا زائفا آخر هو الأصل فيها
ذلكم الفهم السيء " لمدلول " الحرية . فكم من جريمة ارتكبت
باسم الحرية وكم من ظلم ارتكب باسم الحرية وكم من رق
ارتكب باسم الحرية بألها من حرية ؟ !

مدلوله الحرية الصحيح لا يعني شيوعية امتلاكها وحوزها الا لمن
أقام شروطها والا فلا حريه . . .

الحريه الأصلية تحمل معها مبرراتها وحججها القوية التي تخوض بها
في عباب البحار لا تخاف دركا ولا تخشى غرقا أما الحرية الزائفة
فهى التي لا تقوم على سند ولا على برهان الا سند الهوى وانحراف الفكر
عن جادة الصواب

وعلى درجات هذه الحرية يتربع هذا الكتاب " الفن القصصي
في القرآن الكريم " لأنه لا يحمل من الأدلة الصحيحة والبراهين القوية
ما يؤهله للتحدث باسم الحرية الاصيله .

لست - والحمد لله - ممن يلقى ^{بالحق} التهمة جزافا ولكنى رأيت
شخصا ينظر في كتاب الله القرآن الكريم ثم بغير حجة ولا برهان
يجعله متهما ويحاكمه بغير حجة ولا برهان الى كتب محرفة
وتاريخ محرف ثم يحكم بغير حجة ولا برهان للتاني على الأول .

دعوا - جدلا - ثبوت سلامة القرآن وتحريف التوراة والانجيل
وسلموا كذلك - انهما على درجة واحدة - وحاشا - فكيف تأتي
له أن يحكم لهذا على ذاك أو لذاك على هذا ان لم يكن صاحب
هوى أو انحراف فكر ؟ !

كان عليه قبل أن يحاكم بينهما أن يأتي بالدلالة على صحة
وثبوت أحدهما وتحريف الآخر ثم بعد ذلك يجعل من الصحيح حكما
ومن المحرف متهما أما اذا ارتد اليه طرفه وهو حسيير ولم يستطع
اثبات هذا ولا ذاك فليحذر استعمال الحرية فانها ستكون حينئذ حادا
في ظهره

أما الكلمة الثانية والتي استعملها بغير حق فكلمة " الفن " فهي
عنوان كتابه وقد بين هذا من قبلي من رجوله الشهادة - سيد قطب
رحمه الله تعالى حيث قال " ويزيغ أناس فيزعمون أن هنالك خلقا
للحوادث أو تصرفا فيها يقصد به الى مجرد الفن - بمعنى التزييق الذي
لا يتقيد بواقع " ثم جلا رحمه الله تعالى الصواب فقال : " والقرآن
كتاب دعوة ، ودستور نظام ، ومنهج حياة ، لا كتاب رواية ولا تسلية
ولا تاريخ ، وفي سياق الدعوة يجيء القصص المختار بالقدر
وبالطريقة التي تناسب الجو والسياس ، وتحقق الجمال الفني
الصادق الذي لا يعتمد على الخلق والتزييق ، ولكن يعتمد على ابداع العرض
وقوة الحق ، وجمال الأداء " (١)

(١) في ظلال القرآن : سيد قطب ج١ ص ٥٥

إذا فالفن عند سيد رحمة الله تعالى هو ابداع العرض و قوة
الحق وجمال الأداء ومعناه عند ذاك التزويق الذي لا يتقيد بواقع
وفى الحقيقة أنا لا نجد في قواميس اللغة الا أن " الفن : واحد
الفنون وهي الانواع ، والأ فانيين : الأساليب وهي أجناس الكلام وطريقة" (١)
ولا نجزم أن اللغة مع هذا أو مع ذاك لكننا نجزم أن قدسية القرآن الكريم
تشكل أقوى سياج عند المؤمن يمنع وصف الفن فيه بالتزويق الذي
لا يتقيد بالواقع

لكن هذا المفهوم للفن هو الذي قصده الدكتور محمد أحمد خلف الله
بل ولم يجد كلمة تماثل الكذب والاختلاق والأسطورة ومخالفة
الواقع . . . الخ الا كلمة الفن فاخترها ليزيف بها كتابه ويدلس
بها

أقول هذا - أولا - حتى يدرك القارئ مدى شرعية " الحرية" العلمية
التي يُزعم امتلاكها خلف الله وأمثاله ويدرك أيضا مفهوم الفن عنده -
ليس عليه بعد هذا أن يخوض ويأى في لغو هذا الكتاب وباطله فالى
ذاك

الحرية الفنية:

ويقصد بها مسألة الخلق الفني أى أن للقاص أن يختار بعض
الأحداث التاريخية دون بعض وأن يهمل مقومات التاريخ
من زمان ومكان وترتيب للأحداث . . . والقرب أو البعد من الواقع
التاريخي وبعبارة أخرى تحرى الصدق والصحة أو المجاوزة عن هذا
التحرى ^(٢) يعني اختراع أو اختلاق الأحداث !!

(١) الصحاح : الجوهري ج٦ ص ٢١٧٧

(٢) الفن القصصي في القرآن الكريم : د محمد أحمد خلف الله ص ٤٧

وزعم أنه قام - حسب المنهج الأدبي في التفسير باستقراء قصص القرآن لمعرفة وجود هذه الظاهره " الحرية الفنية " فيه أم لا وتوصل الى أنها موجودة قال : - " يدلنا الاستقراء على أن ظواهر كثيرة من ظاهرات الحرية الفنية توجد في القرآن الكريم " (١)

ويعدد الدكتور خلف الله ما يحسبه أدلة لذلك ومنها : -
"اهمال القرآن حين يقص لمقومات التاريخ من زمان ومكان" (١)

ونحن لا ننكر أن القرآن كثيرا ما يهمل في قصصه الزمان والمكان لكننا نرفض كل الرفض ان يكون اهمال ذلك لاختلاق القصة فليس بين هذا وذاك هذا التلازم الا عند من عدم الحجة .

وقل مثل ذلك فيما زعمه من أدلة أخرى عدّ منها " اختيار القرآن لبعض الاحداث دون بعض فلم يعن القرآن بتصوير الأحداث الدائرة حول شخص أو الحاصلة في أمة تصويرا تاما كاملا " (٢)

والغريب في هذا أن الدكتور خلف الله نفسه يعترف بأن القرآن كان يكتفي باختيار ما يساعده على الوصول الى أغراضه - أي ما يلفت الذهن الى مكان العظة وموطن الهداياه " (٢)
وما دام المؤلف يعرف أن هذا غرض القرآن من القصة فكيف يرتب على اهمال القرآن لا حاجه الى الغرض به - أن هذا من الحرية الفنية التي تدل على اختراع القصة أو الحدث ؟ !

ومما عده كذلك اهمال القرآن الترتيب الزمني أو الطبيعي في ايراد الأحداث وتصويرها " (٢) وما قلناه هناك نقوله هنا .

(١) المرجع السابق : ص ٥١

(٢) المرجع السابق : ص ٥١

وعدّ منها اسناد القرآن بعض الاحداث لأناس بأعينهم ———
في موطن ثم اسناده نفس الأحداث لغير الأشخاص في موطن آخر
وضرب مثلاً " ومن ذلك قوله تعالى في سورة الأعراف " قال الممّلا
من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم " (١) اذ نراه في سورة
الشعراء مقولاً على لسان فرعون نفسه " قال للملاء حوله ان هذا لساحر
عليم " (٢) وكذلك نجد في قصة ابراهيم من سورة هود ان البشرى بالغلام
كانت لامراته بينما نجد البشرى لابراهيم في سورة الحجر وفي
سورة الذاريات " (٣)

وما رأيت من يجادل في عقيم مثله !! فما المانع في القصة أن
يكون فرعون وقومه قد تبادلوا هذا القول في مجلسهم وقالوا به
جميعاً وهم في هرجهم ومرجهم وما المانع في أن يكون فرعون
قال ذلك وردده ملوؤه من بعده وهل نسبة قول الى شخص أو
طائفة تدل على اختصاصهم به دون سواهم خذ مثلاً أوسع
حدثنا القرآن عن مواقف الأمم من أنبيائها " كذلك ما أتى الذين
من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم
قوم طاغون " (٤) فاذا كانت الأمم تتفق على قول واحد ألا يتفق ملاء
وملكهم على قول واحد يردده كل واحد منهم ، أي اختلاف أو أي اختلاق
في هذا . كبرت كلمة تخرج من افواههم .

(١) سورة الاعراف : ١٩

(٢) سورة الشعراء : ٤٣ (والمؤسف أن المؤلف أخطأ في الآيتين فكتب
(لساحر عظيم) !!

(٣) الفن القصصي في القرآن الكريم : د محمد أحمد خلف الله ص ٥٢

(٤) سورة الذاريات : ٥٢ - ٥٣

ولا مانع أيضا أن تكون الملائكة قد بشرت ابراهيم وامرأته
معا باسحاق ، أو أن تكون بشرت أحدهما أولا ثم الآخر ثانيًا
ثم جاء القرآن يخبر ببشراهم لابراهيم في سورة ولا مرأته في
سورة أخرى وهل يعد هذا دليلا على الاختلاق ؟!

واستدل أيضا لدعواه الزائفه بانطاق القرآن في قصصه الشخصي
الواحد في الموقف الواحد بعبارات مختلفة حين يكرر القصة
تصويره للموقف الواحد بعبارات مختلفة وضرب مثلا للأول تصوير
القرآن لموقف الاله من موسى حين روءيته النار فقد نودى في
سورة النمل " أن بورك في النار ومن حولها " (١) وفي
سورة القصص " أن يا موسى انى أنا الله رب العالمين " (٢) وفي
سورة طه " انى أنا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى " (٣) (٤)

يقول هذا وهو الذى لم يجف مداد قلمه حيث قال قبل سطور " ان
القرآن لم يعن بتصوير الاحداث الدائرة حول شخص أو الحاصله
في أمة تصويرا كاملا " (٥) اذا كان قال هذا قبل أسطر فكيف
يستغرب أن يذكر في سورة النمل بعض نداء الله سبحانه وتعالى
لنبيه موسى عليه السلام وفي طه بعضه الآخر وفي القصص
بعضه الآخر أيضا لم لا يكون هذا وأكثر منه هو حديث الله
سبحانه لموسى عليه السلام في ذلك الموقف ذكر في كل سورة بعضه !!

(١) سورة النمل : ٨

(٢) سورة القصص : ٣٠

(٣) سورة طه : ١٢

(٤) الفن القصصي : د / محمد أحمد خلف الله ص ٥٢ - ٥٣

(٥) المرجع السابق : ص ٥١

وضرب مثلاً للتأني بقول الله تعالى لموسى عليه السلام "خذها ولا تخف" (١) ومرة أخرى "يا موسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون" (٢) ولا شك أن القول في هذا كالقول فيما سبقه، لو كان يفقهه؟! وضرب مثلاً آخر بتغيير القرآن بالرجفه مرة وبالصيحة أخرى والطاغية في غيرهما وتعبيرة في انشقاق الحجر عن الماء في قصة موسى فانفجرت مرة وانبجست أخرى (٣)

والغريب أن هذا الذى يعده هذا الدكتور تناقضا واختلافاً؟! يعده العلماء حقا وجها من وجوه الاعجاز في القرآن الكريم هو التكرار في القصص القرآني حيث تتكرر القصة الواحدة بالفاظ وأساليب متعددة تحقق في كل مقام أسلوبا يتسق مع أسلوب القصة ونظمها من غير تناف ولا تجاف بل ان بينها من التناسق والترابط ما دعا علماء البلاغه الى التحلق جثوا على الركب للتزود من هذه الأساليب الباهرة والتسلح بها في ميادينهم و الحديث عن هذه الشبهات والترهات التي قذفها الدكتور خلف الله طويل لا تخرج كلها عن دائرة قصور الفهم ان أحسنا به الظن كل هذه الشبهات التي جاء بها أراد بها تقرير الحرية الفنية في القرآن الكريم وفهم أن وجود الحرية الفنية يعنى الاختلاق للأحداث والوقائع

(١) سورة طه : ٢١

(٢) سورة النمل : ١٠

(٣) الفن القصصي : د / محمد أحمد خلف الله ص ٥٣

أبي

والذى يدعو به - في - لكل هذا الحرص على اثبات الحرية الفنية في القرآن بهذا المفهوم الخاص عنده أن كل ما الصق به بالقرآن من شبهات واتهامات باطلة لا يثبت الا بهذا والا لما أصبح له من مستمسك

حيث رتب على الحرية الفنية في القرآن أمورا عديدة لا ،
يسعنا أن نذكرها مفصلة وهى اجمالا :

١ - ان القرآن أساطير

تماما كما قال المشركون " وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا " (١)

٢ - ان القرآن يجارى المعتقدات الجاهلية والتقاليد العربية وليس على الحقيقة العقلية والواقع العملى (٢)

٣ - ان القرآن يجارى عقائد أهل الكتاب؟!
فمن ذلك التردد (!!) في بيان عدد أهل الكهف لأن القرآن لم يرد ذكر الحقيقة وإنما أراد مجارة اليهود لأن اليهود اختلفوا فى أمر العدد فنزل القرآن بهذه الأقوال حتى يكون التصديق من المشركين بأن محمدا عليه السلام نبي ومثله عدد السنين التى لبثوها فى الكهف وغير ذلك من الأحداث (٣)

٤ - أن أخبار القرآن قابلة للنسخ (٤)

٥ - أن فى القرآن أخطاء تاريخية (٥)

٦ - انكار الوحدة القصصية فى القرآن الكريم

(١) سورة الفرقان : ٥

(٢) الفن القصصي : د / محمد أحمد خلف الله ص ٥٧

(٣) المرجع السابق : ص ٥٤ - ٥٥

(٤) المرجع السابق : ص ٦٠

(٥) المرجع السابق : ص ٦١

ولأن القصص عنده متضاربة مختلفة فإنه لا ينظر للقصة المتكررة
فى القرآن على أنها قصة واحدة بل " على أنها أقاصيص
مستقلة وليست من قبيل الأجزاء فهي عرض أدبي للحادث تختلف
ألوانه باختلاف أغراضه (٢)

خلاصة الأمر أن المؤلف أراد أن يرد على شبهات المستشرقين
والملاحدة فسلم لهم كل ما قالوا وزاد عليه وزعم أن هذا كله
لا يمس من قيمة القرآن ولا من مكانته لان القرآن كتاب هداية
وارشاد لا كتاب تأريخ وعلى هذا فله أن يسلك الحرية الفنية
فيخترع من الاحداث ما يخترع وكأن القرآن كلام بشر عجز عن الاقناع والحجة
بالواقع فجنح الى الخيال وعجزت مداركهم عن الحق فمالوا
الى الاختلاق سبحانه هذا بهتان عظيم

ولا شك أن هذا أمر خطير يكشف ضعف عقيدة صاحبها وأنه أراد
أن يعرف فجاء بما لا يعرف وباع دينه بدنياه ، أدعو الله
سبحانه أن يهديه ويمن عليه بالتوبة والعودة الى الاسلام

وكما قلت فلست أقصد من هذا الحديث عن هذا الكتاب الدراسة
المستوعبية له ولكنى قصدت بيان نوع من التفاسير الأدبية
التي سلك صاحبها الاستقراء لنوع من آيات القرآن الكريم هي آيات
القصص فأخطأ الطريق وضل السبيل

رأى في هذا المنهج

كأى منهج في التفسير لا شك أن لهذا اللون من التفسير محاسنه وله عيوبه . ولئن ذكرنا في بعض أسسه وقواعده ما قد نحسبه خلافاً فإنه بحسابنا يغني عن إعادته كرة أخرى في هذا الموضوع

ومع هذا فاني مورد هنا ما لم أوردته هناك وسأرتبها هنا حسب ترتيبها المنهجي فمن ذلك مثلاً

أولاً التفسير الموضوعي :

ولنا في دعوة الأستاذ أمين إلى التفسير الموضوعي أكثر من وقفه . . . أولها أن التفسير الأدبي وهو يدعو إلى سلوك سبيل التفسير الموضوعي لا يقدم خطة مثالية لسلوكه وإنما يكتفي بإبراز محاسن التفسير الموضوعي دون أن يخطو إلى رسم خطوات السير فيه

وإذا نظرنا إلى الدراسات الأدبية التطبيقية لهذا المنهج وجدناها تسلك التفسير الموضوعي حقيقة أو اعتقاداً ووجدناها أيضاً لا تلتزم موضوعاً واحداً بعينه فيكتب أحدهم مثلاً عن قصص القرآن وآخر عن جدله وآخر عن أمثاله وأقسامه وآخر عن الأموال وعن القيادة . . . الرسل أو عن السلام في الإسلام أو عن الدولة ونظام الحكم في الإسلام وغير ذلك من الموضوعات ولا شك أن هذا التفاوت والتباين في والتعدد في الموضوعات يخدم المفسر الفرد في اختيار ما يلائم رغبته فيختار من هذا البحر من الموضوعات ما يناسب رغبته لكن وهنا المحك كيف ستختار أو تكتب هيئة أو منظمة أو لجنة تسعى

لتفسير القرآن الكريم كله - اكرر كله - تفسيراً موضوعياً . . . الملاءمة الشخصية والمناسبة للرغبة الفردية مفقودة فيها وهي مجموعة أفراد؟! ولا يبقى من سبيل الا سبيل واحد هو حصر الموضوعات التي تناولها القرآن الكريم وجاء بالحلول الصحيحة لها نهنا يتسع الباب ولا أظن أن في قدرة أنسان أو لجنة أو هيئة أن تحصر كل هذه الموضوعات والقضايا التي عالجهها القرآن الكريم لأن من الآيات وهي محدودة معدودة ما يعالج قضايا وموضوعات شتى . . . فتبقى كالدواء الواحد الذي يعالج به ألف مرض ومرض أو تبقى كالميزان الذي يوزن به ألف موزون وموزون فهل يستطيع هؤلاء أن يحصروا تلك الموضوعات التي عالجهها تلك الآيات المحدودة وإذا ما تجاوزوا هل سيفعلون في آيات أخرى ثم أخرى ثم أخرى لست أقول هذا تعجيزاً ولا تثبيطاً عن سلوك التفسير الموضوعي لكني أردت أن أبين .

ان لا ننتظر تفسيراً موضوعياً كاملاً للقرآن الكريم لأنه - في اعتقادي - ليس في قدرة أحد حصر كل الموضوعات التي عالجهها القرآن في هذه الحياة .

وأردت أيضاً أن أبين ان دعاة المنهج الأدبي في التفسير لم يرسموا عريضة ولا دقيقة لحصر هذه الموضوعات ولو من ناحية أبوابها العامة الواسعة الشاملة . وهذا ولا شك يعد قصوراً في تأسيس المنهج أحببت الإشارة اليه لتلافيه ما أمكن

هذا من ناحية المنهجية في التفسير الموضوعي وموقف دعاة التفسير الأدبي منها وإذا ما نظرنا نظرة أخرى هي أعمق من الأولى وتساءلنا عن الدافع لدعاة التفسير الأدبي الى التزام التفسير

الموضوعي وجدنا أنهم يفعلون ذلك لأمر عددت منها ثلاثه
أولها : اعتقادهم ان طريقة السلف في تفسيره مرتبا لا تمكن من
الفهم الدقيق والادراك الصحيح لمعانيه وأغراضه

وسبق لي ايراد هذا الاعتقاد عندهم وردت عليه هناك باجاز
ثانيها : أن دعاة التفسير الأدبي أرادوا أن يتلافوا بالتفسير
الموضوعي التلون المذهبي في التفسير أو الانحراف به من تفسير
الى مباحث في الفقه أو الاسرائيليات أو النحو أو العلوم التجريبية
أو غير ذلك مما انتشر في التفاسير القديمة

وثالثها : أراد دعاة المنهج الأدبي من الدعوة الى التفسير
الموضوعي والتحذير من تناول المتفرق للموضوع الواحد مما يشتت
الذهن فيه ولا يوءدى الى الفهم الكامل لعلاج القرآن الكريم واستحضارة
كاملا

هذه في اعتقادي أهم ثلاثة أمور أرادوا بدعوتهم للتفسير
الموضوعي أن لا يقع فيها المفسر فهل أصابوا الحق في ذلك ؟ !

أما أولها فسبق بيان الرد عليهم فيما وضعوا فيه تفاسير السلف
فقد بينت هناك أن السلف وان لم يتناولوا التفسير الموضوعي تطبيقا
فانهم قد استفادوا منه نظريا فلا يفسر أحدهم آية الا ويستحضر أن في
ذهنه أو في مقاله الآيات الأخرى المشابهة ويزيدون أيضا
انهم يستحضرون معها ما هو خارج عن كلماتها أعني بذلك السنة
النبوية وهذا هو مضمون التفسير الموضوعي

أما ثانیها فانی أعتقد أن التفسير الموضوعي والالتزام به ليس
من التلون المذهبي والانحراف في
هو الذي يمنع التفسير عن الحق الى الضلال والذي يمنع من ذلك . انما هو
شيء بعيد عن القواعد المنهجية والأطر المحبوكة وانما يكمن في سويداء

القلب

والواقع - كما يقول الدكتور الفاضل محمد ابراهيم شريف -
ان التفسير القرآني حديثا لم يشهد ما خرج به عن حده وطبيعته
الا من أشهر محاولات الاتجاه الادبي تمسكا والتزاما وعصمة
بالموضوعية ولم يشهد تاريخ التفسير على طوله ما يزيزل يقين الاطمئنان
الى معطيات النص القرآني التاريخية مثلما شهد من هذة
المحاولة . . . (١)

ونحمد الله ان هذة المحاولة لم يجف مداد ^{على} قلبي بعد من الحديث
عنها تلکم هي " الفن القصصي في القرآن الكريم " للدكتور محمد أحمد
خلف الله

أما ثالثها فلقد وقع دعاة التفسير الأدبي فيما قروا منه ووقعوا
في نفس الحضرة التي حذروا منها

فاذا كان دعاة المنهج الأدبي قد حذروا من التفسير المرتبب
لأنه يوءدى الى التناول المفرق للموضوع الواحد حسب وروده في
السور مما يشقت الذهن - فانهم قد تناولوا بالتفسير موضوعات
ذات شعب شتت تناولهم لتلك الشعب الذهن أكثر مما شتته أولئك

وتفصيل ذلك وبيانه يطول ولعل في ضرب المثال ما يغني
عن كثير من المقال واذا كان الأمر كذلك فانا نضرب المثل بالدراسة
الموضوعية لـ " الظلم في القرآن الكريم " قد بيد و ظاهر أنه
موضوع منفصل بذاته لكنه كغيره من الموضوعات بينه وبينها
تداخل وترابط لا تصل الى الحق فيه الا عبر مسالك و ممرات
الموضوعات الاخرى

فدراسة الظلم توجب بيان الشرك وهو في أبواب العقائد لأن الشرك

(١) اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر : د / محمد ابراهيم
شريف ص ٥١٧

ظلم عظيم - ولنفسك عليك حق ولجسدك عليك حق وارهاتهما
بالتكاليف ظلم فدخلت من هنا العبادات . . . ولزوجك ولولـدك
ولجارك عليك حق والتقصير فيها ظلم فدخلت من ذلك المعاملات
كما لا تنفصل عنها معان أخرى كعمل السوء والافتراء
وتعدى حدود الله والانحراف عن الصراط المستقيم
ومنع مساجد الله من ان يذكر فيها اسمه وكنتم الشهادة والكذب على
الله والتكذيب بآياته والاعراض عنها واتباع الهوى وأكل الربا
وأخذ مال الآخرين بغير حق وأكل أموال اليتامى وترك الحكم
بما أنزل الله وتولى الكفار وخيانة الامانة واتهام البرىء
و وغير ذلك كثير

كل هذه معان تدخل تحت الظلم ولا تتم دراسته الا ببيانها
وبهذا يظهر جليا أن موضوع الظلم ليس مستقلا بذاته وليس منفصلا
عن الموضوعات الأخرى وانما هو موضوع متصل مترابط معها اتحدت
في داخله كل هذه الموضوعات وان كانت صبغته الخارجية
ذات موضوع واحد

ومن هنا فان المفسر الموضوعي يخطئ حين يتصور أنه
بدراسة الظلم في القرآن الكريم انما يتناول موضوعا واحدا حقيقة
بل الحق أنه يتناول موضوعات عدة ومن هنا أيضا يخطئ صاحب
المنهج الأدبي ان يعتقد أنه بالدعوة الى التفسير الموضوعي
قد تحاشى تشتت الذهن - المزعوم - هناك بل وقع فيما حذر منه
وبهذا نعتقد بأن الدعوة الى هذا اللون من التفسير - لهذا
الهدف - قد أصبحت غير ذات جدوى

ثانيا : - الترتيب الزمني :-

يرى دعاة المنهج الأدبي في التفسير أن ترتيب آيات القرآن الكريم حسب تاريخ نزولها أمر ضروري للتفسير وخطوة لا بد منها قبل الاقدام عليه . ولي في هذا ملاحظتان أذكرهما هنا الأولي : أن لا أحد ينكر مالمعرفة ترتيب النزول من منزله كبيرة ودرجة عالية في التفسير اذ يترتب على ذلك أمور قد تقلب الحكم رأسا على عقب كيف لا والناسخ والمنسوخ انما يعرف بهذا وسواه كذلك لكن وما أصعب لكن هذه . . . هل اتفق السلف أو الخلف على ترتيب معين لنزول آيات القرآن الكريم ؟ قد نعرف تقدم آيات وتأخر أخرى لكننا لا نعرف يقينا ترتيبا كاملا لها . واذا كنا نجزم بذلك جزما فان بناء المنهج الأدبي على أساس علم يقينا فقده أمر يحتاج الى اعادة نظر

الثانيه : - أن أحدا من دعاة المنهج البياني أو الأدبي في التفسير لم يحل الى ترتيب معين لا في القديم ولا في الحديث ولم أر أحدا منهم قدم محاولة لهذا الترتيب ، ولئن كان اهمالهم للخطة في التفسير الموضوعي قد يلتمس له عذربأن النص موجود لكنه يحتاج الى جهود وجهود فان الأمر هنا يختلف اذ أن الجهود فيه مهما توافرت فانها تفتقد السند والأدلة التي تأخذ بيدها الى الصواب والا كانت كجهود من ينفخ في رما

ثالثا : النظر في المفردات وتدريج دلالة الألفاظ

يعتبر دعاة المنهج البياني في التفسير تدريج دلالة الألفاظ الأصل الأول في فهم دلالة ألفاظ القرآن وهم يقصدون من هذا الوصول الى معناها في الوقت الذي تليت فيه أول ما تليت وتفسيرها به ولنا في هذا وقفات

الاولى : أن العربي لا يفهم بعربيته كل ألفاظ القرآن الكريم
ذلكم أن القرآن الكريم خالق لمعناه في كثير من الأحيان وليست
انعكاسا للعقل العربي أو الظروف التأريخيه المحدوده (١) فمن الألفاظ
القرآنية ما يطابق كل المطابقه مدلولها في وقت نزولها ومنها
ما لا يطابقه كذلك فهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقف - وهو العربي
القح - حائرا في مدلول كلمة "أبًا" وهذا رجل عربي آخر
يفهم الخيط الأبيض والخيط الأسود انهما خيطان يلمسهما بيده
ويضعهما تحت وسادته وعلى مستوى الجماعة أولئك الصحابة
رضى الله عنهم لم يفهموا مدلول الظلم في احدى الآيات
حتى بينه المصطفى صلى الله عليه وسلم " انه ليس الذي تعنون . . . (٢)
ومن هذا وأمثلة أخرى كثيرة نذكر أن القرآن وان كان نزل بلسان عربي
مبين وان كان العرب الخالص يفهمون ويدركون مراميهم بمقتضى سليقتهم
العربية الا أن ألفاظه الكريمة ليست صماء خالصة بل ان فيها من
المعاني الجديدة ما يضيف على اللغة اشراقة أخرى من المدلول
الصحيح بحيث لا تنكرها اللغة ولا يعافها الذوق وهذه قد يقصر عنها
أحيانا معناها وقت نزولها فلا يكفي - وحده - لجلاء معناها الصحيح
فيحتاج مع ذلك الى النظر في المركبات واستكناه معنى هذه المفردة
على ضوءها . خلاصه الأمر أن الاستعمال القرآني للمفردة قد
يحمل معه معاني متجددة ليست مطابقة كل المطابقة مدلولها
الوضعى في وقت نزول القرآن الكريم

(١) اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر : د محمد ابراهيم

شريف ص ٥٢٨

(٢) رواه الامام احمد في مسنده رقم ٣٥٨٩ عن عبد الله بن مسعود رضي

الله عنه وقال أحمد شاکر اسناده صحيح (مسند الامام احمد ج٥

ص ٢٠٧ ، ومعناه رواه البخاري وغيره

الثانيه : - ان تتابع العلماء في تفسير القرآن الكريم يشهد أنهم لم يقفوا في ألفاظ اللغة على معنى واحد لا يتجدد ولو فعلوا لا نقطع مسار التفسير ولما تسلسل الى عصرنا هذا والى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولما أوردوا في الكلمه الواحدة معاني متعددة ولما حرص كل واحد منهم أن يسوق مع رأيه آراء العلماء الآخرين

وهذا اعتراف منطوق حيناً ومفهوم أن معاني الكلمات القرآنية غنية ومتجددة يضيف كل مفسر منهم ما يراه مناسباً ويروض ثقافته وتصوره للمعنى في حرية حتى يستخرج ما قد يستنبطه من معاني جديدة والا فلافائدة فيما جاء به الا التكرار والترديد

واذا كان الأمر كذلك فان التزام المنهج البياني لمدلول الكلمة ومعناها وقت نزول القرآن الكريم تعطيل لها عن معاني أخرى لهم تظهر بعد تحمل معناها مطابقة القرآن الكريم لمقتضى حال كل عصر من العصور معلنة اعجازاً مستمراً متجدداً لا ينقطع وداعية الى زيادة التأمل والتدبر في آيات الله .

وليس هناك ما يمنع أن تحتل ألفاظ القرآن الكريم وهي كلام الله سبحانه وتعالى الذي لا يشابهه كلام بشر معاني لم تظهر بعد ادخرها الله سبحانه وتعالى لأهل العصور التالية ليكون ما فيها من مفاهيم وحقائق اعجازاً لهم وأى اعجاز" (١)

الثالثه :- ان الدعوة الى معرفة مدلول الألفاظ وقت نزول القرآن لا شك تعين على معرفة رأى صائب لكن هل الوصول الى هذا من السهولة

(١) اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر: د / محمد ابراهيم شريف ص ٥٣٦

بمكان ؟ الحق انه ليس من السهل - ان كان ليس من المستحيل - الوصول الى معرفة معنى من المعانى التى فهمها الصحابة لكن الذى أراه يكاد يصل الى درجة المستحيل أن تعرف كل المعانى التى فهمها الصحابة من النص القرآنى الواحد فضلا عن النصوص كلها

لست أقول هذا تعجيزا ولا تثبيطا للهمم فالاستاذ أمين الخولى يعترف بهذا حين يقول " واذا كان هذا هو الاصل الأول في فهم دلالة ألفاظ القرآن فمن لنا به مع أن معاجمنا لا تسعف عليه ولا تعين فليس امام مفسر القرآن حين بيتغي المعنى الأول لالفاظة الا ان يقوم بعمل في ذلك مهما يكن مؤقتا وقاصرا فانه هو كل ما يمكن اليوم " (١)

لكن الحق الذى أراه في هذا ان لا يجعل الوصول الى هذا المعنى هو الاصل الأول في فهم الالفاظ القرآنية وانما يعتبر معينا للوصول الى رأى صائب لا يمنع من معانى أخرى صائبة يحملها كلام حكيم خبير انزل كتابه للأمم في عصر الرسول ولها في سائر العصور الى أن يرث الله الأرض من عليها

ولئن كانت مطابقة النص القرآني لمقتضى الحال وقت نزول القرآن أمرا مطلوباً فان مطابقتها لقتضى أحوال الامم والعصور التالية وهي مخاطبة به على حدّ سواء مع العصر الاول - امر ايضا مطلوب ومن الخير أن نسعى لبيان الاخير سعينا لبيان الأول .

رابعاً : قبول التفسير النفسى ورفض العلمى التجريبي :-

والحديث عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال حديث عن البلاغة في

(١) التفسير معالم حياته منهجه اليوم : امين الخولى ص ٤٢ - ٤٣

القرآن الكريم ومن هنا نطلق الاستاذ الخولي ليقرر أمرا آخر على هذا سقنا نصه في حديثنا عن أسس المنهج ومنه قوله " ان ما استقر من تفدير صلة البلاغة بعلم النفس قد مهد السبيل الى القول باعجاز القرآن النفسي للقرآن الخ (1)

ولأن أرباب المنهج البياني ينظرون الى مفردات القرآن من زاوية معانيها وقت نزوله فانهم يرفضون كل ما تفسر به من نظريات أو حقائق علمية حديثة لأنها لم تكن من مدلول المفردة حينذاك .

ومن هنا نرى ثغرة في منهجهم أو سمها ان شئت اضطرابا في المنهج كان الموقف الحق أن يرفضوا النظريات الحديثة لعلم النفس والنظريات العلمية الحديثة جميعا أو أن يقبلوها جميعا اذ كيف يسوغون تفسير النص القرآني الكريم بنظريات علم النفس الحديثة التي لم تكن من مدلول المفردة وقت نزول القرآن الكريم في نفس الوقت الذي يرفضون تفسيرها تفسيراً علمياً كذلك

خامسا : بين النظرية والتطبيق :

أبرز اسس المنهج البياني في التفسير هي النظر في المفردات ثم الدراسة الموضوعية

وذا نظرنا الى نتاج اتباع هذا المنهج واصحابه وجدنا بعضها يهتم بالموضوع وقد يجيد التطبيق لكنه يتعثر في أول درجات النظر في المفردات فلا يكاد يخطو فيها خطوة

(1) التفسير معالم حياته منهجه اليوم : امين الخولي ص ٤٥

وفي الجانب الآخر نجد دراسات نجحت في النظر في
المفردات لكنها اذا حاولت - ان حاولت - التفسير الموضوعي تعثرت فيه ولم
تكد تخطو خطوة واحدة !!

وهذا يكون المنهج البياني في التفسير حتى ساعتنا هذه
مجرد نظرية لم تطبق بعد تطبيقا كاملا واتي على هذا بشاهدين
الاول الدكتور عفت محمد الشرقاوي حيث قال " لكن الذي
لا نفهمه أن آثار الشيخ امين الخولي نفسه في التفسير لا تحتكم
الى هذا المنهج طويلا في استخراج الدلالة وهكذا ظل الفارق
بعيدا بين الواقع والمثال في آثارهم جميعا . . . " (١)

الثاني الدكتور محمد ابراهيم شريف الذي قال " تجدر الاشارة الى
أن المنهج بهذه الصورة من القيود والمتطلبات لم ير النور في محاولة
ما من محاولات أتباعه وانما وقعت محاولاتهم موقعا بعيدا عن
الأمل الطموح بصورة أو بأخرى . . . " (٢)

وقال أيضا ب " تخلف النتائج عن المقدمات العريضة في دعوة
المنهج الأدبي الموضوعي وقصور محاولاته ووقوعها
في منزلة أدنى بكثير من طموح أصحابها ، فلم تشهد الدعوة تطبيقا
كاملا في احدى محاولات التفسير " (٣)

بل قال ما هو أشد " وفي تصورنا الآن أن أمين الخولي اذا كان
قد بدأ نظريته التفسيرية ليجدد منهج التفسير القرآني فلقد
انتهى الأمر بالتفسير في نهاية نظريته الى أن أصبح علما لم يبدأ بعد
ولكن من الممكن له أن يبدأ بل أن ينمو وينضج اذا ما سار على ذلك
الدرب الشاق بكل صعوباته ومسئوليته " (٤)

(١) اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث عفت محمد الشرقاوي ص ٣١٠
(٢) (٣) (٤) اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر : د محمد ابراهيم
شريف الصفحات علي التوالي ٥٠٨ ، ٥٩٧ ، ٥١٠

بقي أمر ينبغي أن لا أغفله وان كان حقه أن أذكره في أول حديثي عن المنهج . . كان حقه كذلك لو أن الاستاذ أمين الخولي صرح به لكنه لأمر لا أدريه كتمه وأحسب هذا يخولني ذكره في الملاحظات على المنهج

ذلك الأمر هو جانب التأثير ومصدره عند أمين الخولي في تقرير هذا المنهج

حقيقة أن الاستاذ أمين الخولي تأثر - فيما أرى بثلاثه أشخاص الا اول والثاني منهما كان جانب التأثير بهما غير كبير جدا ولعله لهذا أشار أولمحيهما وهما

١ - الراغب الاصفهاني في كتابه " مفردات القرآن "

٢ - الاستاذ الامام محمد عبده في تفسير " المنار "

لكنه لم يذكر الثالث ولم يشر اليه من قريب ولا من بعيد مع أن كما يقول الدكتور السيد أحمد خليل - لا نكاد نظفر بجديد عنده يختلف عما دعا اليه " شلاير ما شر " (١)

ويقول الدكتور في موضع آخر عن القواعد التي أصلها شلاير ماشر الالمانى لتفسير أى نص :- "وقد كان لهذه القواعد والأصول مكانها البارز في حركة مجددة قام بها الأستاذ أمين الخولي في الجامعة دون أن يشير رحمه الله تعالى الى تأثير هذه القواعد واستفادته منها " (٢)

(١) دراسات في القرآن : الدكتور السيد أحمد خليل ص ١٤٥ - ١٤٦

(٢) المرجع السابق ص: ١٣

ومن المعلوم - كما أشرنا في ترجمته - أن الاستاذ أمين الخولي
عمل في المفوضية المصرية في برلين وأنه أَلَمَّ
باللغة الألمانية

ويبقى السؤال حائرا يبحث عن اجابة لِمَ لَمْ يذكر الاستاذ /
أمين الخولي تأثره بقواعد التفسير عند شلاير ماشر الألماني
الجنسية

ومع هذه الملاحظات على هذا المنهج فانه يبقى له وجه آخر مشرق
حيث خط سبيلنا بينا الى الحقيقة القرآنية وأرشد الى
اسلوب أدبي صحيح في تذوق أساليب القرآن

وأهم من هذا كله أنه كشف عن آفاق جديدة للاعجاز في
القرآن الكريم وجدد في الأدباء المعاصرين الحس الفني حيث الابداع
في العرض وقوة الحق وجمال الأداء وهو حس كادت أن تنطفئ ناره
في مجتمع الهته تيارات المادة في العصر الحديث

وفوق هذا كله قدم بعض أرباب المنهج البيكاني نماذج أصيله
لتفسير المفردات حيث التتبع للفظة في القرآن الكريم واستخراج معناها
من وحي السياق

وإذا ما ابتعد أصحاب هذا اللون في التفسير عن تلك المزالق
والمتاهات التي أشرنا الى بعضها فانه يؤمل لهذا المنهج ان يحتل
في العصر الحديث مكانة سامية . سدد الله الخطى وأصلح النوايا

انه سميع مجيب

الباب الرابع

الاتجاه الأدبي في التفسير

الفصل الثاني

منهج التذوق الأدبي في التفسير

المراد به :

لا أقصد بالتذوق الأدبي إطلاق العنان لكل قارئٍ لاعمال
ذهنه الذاتى لاستخراج معانى النص . . . لأن هذا
سيؤدى بنا - حتما - وعلى أحسن الأحوال الى أن نجد
من تفسير الآية الواحدة ما يساوى عدد القراء بل أكثر منهم .

ولكنى أقصد به الموازنة بين الذات . . . و . . . الموضوع
فلذات حقا فى جانب الاستغراق فى النص والشعور به
بحيث لا يصل الى الاستغراق الصوفى التام الذى يطغى على
النص وعلى جانب الجمال الاجتماعى فيه . . . وللموضوع حقه
فى التزام مدلوله اللغوى وحدوده الشرعية والتنبيه الدقيق
الى المعنى الصحيح السليم والتزام أبعاد معانيه ومدلولاته
بحيث لا يتجاوزها فيشطح .

ان الموازنه بين الذات والموضوع - فى رأى - هـى
التي تستقر بصاحبها فى ميدان التذوق الأدبى ويقدر الموازنه
يكون الاستقرار فيه . . فان طغت الذات على الموضوع خرج
عن نطاقه الى نطاق التفسير الصوفى الذى يعتمد على
الأوهام أكثر مما يعتمد على الحقائق . . . وجنح بصاحبه الى
الخيال الجارف الذى لا يعتمد على قواعد ثابتة ولا أصول
راسخه بل يمج ويضطرب كما تضطرب الريشه فى الهواء ومن
هنا نفذ الباطنيون الى الاحاد فى تفسير القرآن الكريم
حيث لا ارتباط بالنص ولا بمدلوله بل انسلاخ منه !!

وان طغى الموضوع على الذات خرج عن نطاق التذوق الأدبى
الى نطاق التفسير العلمى البحت وضاعت جوانب جذبات النفس

X وارتباطها بالنص وأصبح المفسر والنص كتلتين منفصلتين لا تمانح بينهما
ولا تجاذب وحينئذ يكاد المفسر أن يكون مجرد آله لا تفاعل بينهما
وبين معمولها . .

إذا فالتذوق الأدبي - عندي - يقوم على الموازنة بين الذات
والموضوع . . هو وسط بينهما

والتذوق للقرآن الكريم حركة نفسيه وانطباع ذاتي لا يملك الإنسان
له ردا ولا يستطيع له منعاً بل لا بد أن يظهر أثره في
خلجات سامعه وسكناته شاء ذلك أم أبى وقد أدرك المشركون
ذلك ولذلك سعوا الى حسم سماعه أولاً " وقال الذين كفروا لا تسمعوا
لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون " (١) وإنما فعلوا ذلك لادراكهم
أنهم لا يملكون دفعا للتأثير بل قد يأخذ منهم بالألباب ويؤدى
بهم الى ما لا يريدون وكل ما يملكونه أن يتداعوا الى عدم
سماعه واللغو فيه عند تلاوته حتى لا يصل الى شغاف قلوبهم
فان وصل فإنهم لا يملكون الا أن يقولوا - حقيقه - ان أعلاه لمثمر
وان أسفله لمغدق . . الخ وقد يكابرون ويعاندون ويزعمون
أنه سحر

حتى الجن كانت النزعة الانطباعية عندهم عند سماعهم له أن قالوا
" انا سمعنا قرآنا عجبا . . " (٢)

والنصارى عند سماعهم له تفيض أعينهم من الدمع وإذا سمعوا
ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع ممّا

(١) سورة فصلت : ٢٦

(٢) سورة الجن : الآيه الاولى

عرفوا من الحق يقولون ربنا آمننا فاكتبنا مع الشاهدين^(١)

والذين يخشون ربهم تقشعر جلودهم عند سماعه ثم تلبين
وتلين قلوبهم معها " الله نزل أحسن الحديث كتابا
متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم
ثم تلبين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ".^(٢) الآية

هذه وتلك ^{نص} بعش مظاهر التأثر بالقرآن الكريم وتذوق
نصوصه ظهرت بين الناس على اختلاف أنواعهم بل والجبن
أيضا واختلفت بين فيض الدمع وقشعريره الجلد ولين القلوب واظهار
علامات الدهش والعجب

ولكن هذه المظاهر لم تتجاوز التأثر الذاتي فلم يترجمها
أحد أحرفا على الورق يفيض بها ذوقه السامى ويسطرها
قلمه الطاهر معالم يهتدى بها من قصر باعه وقلت بضاعته
فلم يتذوق النص أو لم يستطع التعبير عنه

وحيث تظهر عبارة صادقة معبرة عن مظاهر تذوقه فان الألسن
حينئذ تتداولها وأن الرواة يتناقلونها كما يتناقل الصاغه
الجوهرة الثمينه حتى وان كانت العبارة قصيرة حتى وان كانت مجمله
وخذ مثلا عبارته قالها الوليد بن المغيرة حين استمع السبي

آيات من القرآن وهو الكافر ما ملك من أمره الا أن قال :-
" والله ان لقوله الذى يقول لحلاوه وان عليه لطلاوه وانه لثممر
أعلاه ومغدق أسفله وانه ليعلو وما يعلى - وانه ليحطم
ما تحته " ^(٣)

(١) سورة المائدة : ٨٣

(٢) سورة الزمر : ٢٣

(٣) انظر فتح القدير : الشوكانى ج ٥ ص ٣٢٩

تداول الرواة هذه العبارة لما فيها من تعبير صادق عن
التذوق للنص القرآنى وقدره التعبير عنه ، هذا والعبارة موجزة
ومعناها مجمل

كيف الأمر اذا وفق الله عز شأنه رجلا يخرج تفسيرا
شاملا للقرآن الكريم يحمل مثل هذه المعانى الساميه ويترجم
دقائق جذور التأثر من أصولها أحرفا نيرة على الورق
تحكى قمة من قمم التذوق الأدبى للنص القرآنى الكريم .

لا أنكر بادىء ذى بدء أنى وقفت طويلا وقفة شحيح
ضاع فى الترب خاتمه وقفت أدقق النظر وأرجع البصر
ملتسما أثرا يبصر أولا يكاد يبصر لمعالم هذا المنهج وآثار
السائرين فيه

لم أكد أجدر فى الجادة الا أثرا لقدمين هما لرجل واحد
تمشيان فيه بعزيمة وثبات وكأنهما تسيران على خط شق لهما
من قبل بل كأنهما تسيران على نور البصيرة والبصر

وعدت أسائل نفسى أيعد طريق يبس الا من قدمين
اثنتين من مناهج التفسير؟ وكان جوابها - وأحسبه حقا -
أن المناهج كلها تبدأ كذلك ثم يكترس الكوها وهى
من أول أمرها تعد منهجا

اذا فلا تثريب على ان أعتبرت تفسير سيد قطب رحمه
الله تعالى منهجا فى تفسير القرآن الكريم ، وحده

ولعل لمعترض أن يقول كيف تقدم النتيجة على المقدمه ؟
زعمك أن انفراد سيد قطب رحمه الله تعالى فى المنهج لا يمنع
من اعتباره منهجا زعمك هذا نتيجة لمقدمة تثبت انفراده رحمه

الله تعالى فهل - حقا - انفرد سيد قطب رحمه الله

تعالى في هذا المنهج ؟

وجواب هذا المعترض ليس بإيراد التفاسير كلها وعرضها حتى
أثبت به ما أقول فهذا أمر يطول ويشق . ولكنه بالشهود
وهم كثير

فهذا الدكتور محمد ابراهيم شريف يصف تفسير سيد قطب رحمه
الله تعالى " في ظلال القرآن " بأنه " يمثل تيارا برأسه يجمع فيه
بين الذاتية والذوقية، والفنية الجمالية" (١)

ويصفه في موضع آخر بالندرة من اعتبارات كثيره (٢)

ويصف الدكتور عدنان زرزور منحى سيد قطب رحمه الله
تعالى بأنه " منحى خاص" (٣)

أما الدكتور محمد المبارك فيعترف لسيد بأن له " فضل كبير
في السبق الى الكتابة والنشر في هذه الموضوعات على أسلوب
حديث" (٤)

بل أن الدكتور عفت الشرقاوى الذى تحاشى الحديث عن سيد
قطب - وهو يكتب عن " اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث"
لم يجد بديلا لسيد قطب وحين اضطر لذلك وصفه بـ " أحد الدارسين"
وكتب دراسة لكتابه " التصوير الفنى فى القرآن الكريم" فى عشر
صفحات (٦) ومع هذا تحاشى ذكره أيضا فى المصـادـر

(١) اتجاهات التجديد فى تفسير القرآن الكريم فى مصر: د محمد ابراهيم
شريف ص ٥٨٣

(٢) المرجع السابق: ص ٥٩٣

(٣) علوم القرآن : الدكتور عدنان زرزور ص ٤١٦

(٤) د راسه أدبيه لنصوص من القرآن : محمد المبارك ص ٨

(٥) اتجاهات التفسير فى مصر فى العصر الحديث: د / عفت محمد الشرقاوى

الطبعة الأولى سنة ١٩٧٢ م ص ٣٣٨

(٦) المرجع السابق انظر ص ٣٣٨ الى ٣٤٨

والمراجع فلم يذكر اسم كتابه حتى لا يضطر لذكر اسمه .

وهو مع هذا يذكر في نهاية حديثه عنه قوله " لا يعثر الباحث على نماذج كثيرة في جهود المفسرين المحدثين تتخذ التذوق وحده رائدا في التفسير كما رأينا في المحاولة السابقة " (١) ولا نظنه وجد نماذج ولو قليلة ولو كان قد وجد لما ذكر سيد قطب مثلا وإنما وجد دراسه وصفها بأنها مماثلة الى حد ما " (١)

ما قصدت من هذا أن أذكر موقف الدكتور عفت (٢) ولكنى قصدت مكانة سيد رحمه الله حيث لم يجد من حاول أن يتحاشى ذكره بد من الإشارة اليه اذ ليس في الساحة سواه .

وأصرح من هذا كله وأوضح ما كتبه الدكتور صلاح دحبور في رسالته التي قدمها لنيل درجة الدكتوراة عن " في ظلال القرآن " حيث وضع عنوانا " سيد قطب يؤسس مدرسة جديدة في التفسير " قال فيه " يعتبر الظلال لونا جديدا خاصا فريدا من التفسير ويعتبر نقلة جديدة بعيدة في التفسير وأن الظلال يعتبر مدرسة خاصة في التفسير يمكن أن نعتبر سيد قطب مفسرا موهوبا ومؤسسا لمدرسة متميزة فريدة في التفسير . . . لقد كان سيد قطب مجددا في الظلال حيث سار على منهج خاص " (٣)

ونحن نقول مثل قولهم أن سيد قطب رحمه الله تعالى صاحب مدرسه خاصه ومنهج خاص

ولهذا فلا تثريب على اذ لم أقدم كعادتي في كل منهج

-
- (١) المرجع السابق ص ٣٤٨
(٢) ولعل السبب في ذلك أن الشرقاوي ألف كتابه سنة ١٩٦٣ وكان سيد قطب - رحمه الله وقتها في سجن عيد الناصر
(٣) في ظلال القرآن دراسة وتحقيق : د صلاح عبد الفتاح دحبور ص ٢١٢ - ٢١٣

دراسه عامه للمنهج وأهم المؤلفات فيه ثم اختيار تفسير
أو تفسيري كنموذج للمنهج أقف عندهما وقفه أطول
لا تثريب على اذا كتبت عن " في ظلال القرآن " لسيد قطب
رحمه الله تعالى مباشرة لأنه يقف في الساحة وحده فهو
والمنهج - حتى الآن - وجهان لعملة واحده
فاذا برع من بعده أحد في المنهج شاركه فيه وتفرد سيد
بالأقدميه أما الآن فلسيد الأقدمية والانفراد .

في ظلال القرآن

أولا : المؤلف

ما زالت يدي تمسك بالقلم حيننا وتتركه حيننا ذلكم أني ترددت كثيرا
ووقفت طويلا
ووقفت حائرا بين داع يدعوني لكتابة ترجمة لسيد قطب رحمه الله
تعالى كما ترجمت لغيره عند تناول تفاسيرهم .
وبين داع يدعوني أن لا أكتب شيئا عنه ، وكيف أكتب في صفحة
أو صفحتين عن رجل كتب عنه العلماء في أكثر من عشرة كتب بعضها
في مجلدات ضخمة دع عنك التراجم والدراسات التي لا يكاد يخلو
منها مؤلف في العصر الحديث عن الدراسات الاسلاميه والقرآنيه
هل من اللائق لمثلي أن يكتب هذه الترجمة أمام هذه المؤلفات
والدراسات الأصيلة عنه . وما الجديد فيما يقول شخص لم ولن يخرج
عما قيل في هذه المؤلفات عنه رحمه الله تعالى
ما زلت بين هذا وذاك حتى قرقراري على وجوب الترجمة ولو
كانت موجزه وحتى ولو لم تأت بجديد وحتى ولو كانت أقل درجه

لأن ما سأذكره يكاد أن يكون القاسم المشترك بين هذه المؤلفات كلها وما يضير أن أشارك معهم فيه فى مقام كهذا . ولذا فقد اخترت أن اكتب هذه الترجمة الموجزة التى أحسبها سهما - مجرد سهم - يشير الى المؤلفات الضخمة عنه وحتى هذه المؤلفات لا أحسبها الا سهما - أيضا - لكنها سهم ضخيم يرشد الى رجل لا كالرجال .

اسمه ونشأته:

سيد بن الحاج قطب بن ابراهيم

ولد فى قريه من قرى الصعيد تتبع محافظه أسى - ووط اسمها " موشه " التى قدم اليها جده الخامس من الهند .

وكانت ولادته سنه ١٩٠٦م حيث نشأ فى أسرة ليست عظيمة الثراء وان كانت أقرب اليه ، وكان والده مضيفا ولذا كان له مكانة مرموقة بين أهل القرية

انتهى سيد قطب من الدراسة فى مدرسة القرية عام ١٩١٨م حيث انتقل للدراسة الى القاهره عام ١٩٢١م وانما تأخر الى هذا العام بسبب ثوره ١٩١٩م ضد الاحتلال البريطانى

فاستقر سيد قطب فى بيت خاله فى القاهره وفى عام ١٩٢٥م التحق بمدرسة المعلمين الأوليه ثم التحق عام ١٩٢٨م فى (تجهيزية دارالعلوم) وهى مدرسة خاصة بكلية دارالعلوم وتؤهل الطالب فيها للدخول فى الكلية ، ثم التحق بكلية دارالعلوم عام ١٩٣٠م وتخرج منها عام ١٩٣٣م وله من العمر ٢٧ سنة وحصل على شهادة الليسانس فى الآداب . مع دبلوم فى التربيته

بعد تخرجه زاول مهنة التدريس مدة ست سنوات انتقل بعدها

الى وزارة المعارف موظفا من سنة ١٩٤٠ الى ١٩٤٨ م حيث
أوفدته الوزارة الى أمريكا

وكانت رحلته تلك الى أمريكا - نقطة تحول لحياته الفكرية
حيث لم يكن ارساله اليها للدراسة للحصول على شهادة عالية
كما يحسب بعض من كتب عنه وانما كانت رحلة عملية ميدانية
يقوم فيها بزيارة الجامعات والمعاهد العلمية فى
امريكا ويطلع على مناهجها التعليمية ليعود فيطبقها على
مناهج التعليم فى بلاده . ولذا كانت رحلته تلك ذات مدة
مفتوحة وكان أمر انهاءها بيده وتنتهى بانتهاء دراساته
الميدانية

والأهم من هذا كله أن رحلته تلك ليست - حقا - للاطلاع
على تلك المناهج وانما للتخلص من سيد قطب وآراءه التى كان
يطالب بها ويلج عليها ولهذا فان سيده لم يوافق على الرحله
الابعد أن منح من الكتابة فى الصحف وأغلقت مجله (الفكر الجديد)
فلم يجد بدا من السفر

وعاد وقد وجد ذاته هناك ووجد الاجابة
على استفساراته وعن غاية الحياه وهدفها السامى النبيل . . .
ما يفتح الله للناس من رحمه فلا ممسك لها (١) . . . " ويمكرون ويمكر
الله والله خير الماكرين " (٢)

عاد وقد خبر الحياة الامريكية بل قل الحياة المادية
وسجل ملاحظاته تلك فى " أمريكا التى رأيت " الا ان مسودات هذا البحث

(١) سورة فاطر : ٢

(٢) سورة الانفال : ٣٠

عاد وهو أخطر على من أرسلوه من قبل فصار يكتب المقالات التي أقتت مضاجعهم وجرت عليه الكثير من المضايقات ولم يحسب لها حسابا فراح يعقد البحوث ويلقى المحاضرات ويعقد الندوات ويدير الجلسات وصار بيته مؤثلا للشباب وهوى للقلوب.

وقرن القول بالعمل فدعا الى قيام الكتلة الاسلامية كتله ثالثة لا شرقية ولا غربية ، وكان لسيد أتركبير فى قيام ثوره ٢٣ يوليو وكان موضع احترام رجالها وهو المدنى الوحيد الذى كان يحضر احيانا جلسات مجلس قيادة الثورة

وحين طلبوا منه أن يلقي محاضره فى نادى الضباط فى القاهره غص النادى بالحضور من مختلف الفئات وحرص على حضورها رئيس مجلس الثورة اللواء محمد نجيب بنفسه الا أن عذرا طارئا منعه من ذلك فحضرها نيابة عنه جمال عبد الناصر ولم يكتف بهذا بل أرسل رساله مع أنور السادات يعتذر فيها عن الحضور وقد تليت هذه الرساله على الحضور وقد وصف سيد قطب فيها بأنه رائد الثورة ومعلمها وراعيتها وقائد قادتها ورئيس رؤسائها . . . (١)

وليس بغريب أن يقول هذا محمد نجيب وهو الذى يعترف فى مذكراته التى أصدرها مؤخرا بعنوان " كنت رئيسا لمصر " اننى أعرف ان الاخوان كانوا أول من ساعدوا عبد الناصر فى تنظيم الضباط الأحرار . . . فى فتره لم أكن فيها قد عرفت عبد الناصر ولا التنظيم" (٢)

(١) سيد قطب الشهيد الحى : د صلاح عبد الفتاح الخالدى ص ١٤١
عن مجله (كلمه الحق) السنه الاولى العدد الثانى ١٣٨٧ ص ٣٧

(٢) كنت رئيسا لمصر : محمد نجيب ص ١٦٧

ولم يكن سيد رحمه الله تعالى فى محاضرتة تلك متملقا ولا متشدقا
للثورة . ولكنه أعلنها . . أن الثورة قد بدأت حقا وليس لنا أن
نثني عليها لأنها لم تعمل - بعد - شيئا يستحق أن يذكر فخرج
الملك ليس غاية الثورة بل الغاية منها العودة بالبلاد الى الاسلام . . .
وأعلن أنه يخشى من الثورة أكثر من ذى قبل " لقد كنت فى
عهد الملكيه مهيبا نفسى للسجن فى كل لحظة وما آمن
على نفسى فى هذا العهد أيضا فأنافى هذا العهد مهيب نفسى
للسجن ولغير السجن أكثر من ذى قبل " !!

وكان جمال عبد الناصر - كما قلنا - حاضرا فوقف وقال بصوته
الجهورى " أخى الكبير سيد والله لن يصلوا اليك الا على
أجسادنا جثا هامة ونعاهدك باسم الله بل نجدد عهدنا لك
أن تكون فداؤك حتى الموت " وكان من بين الحاضرين الأستاذ
أحمد عبد الغفور عطار الذى كتب وصفا كاملا لهذا الحفل (١)

وعرضت عليه الثورة مناصب عديدة رفضها كلها إلا منصب سكرتير
العام لهيئة التحرير (وما رضى به الا ليسعى للتخطيط للسياسة
العليا وكان يستحثهم الاسراع بتطبيق الشريعة الاسلامية
وكانوا يراوغون ويماطلون فاستقال بعد شهر وخلفه فى منصبه
جمال عبد الناصر نفسه (١)

وعند ما وقع الصدام بين الاخوان مع قادة الثورة سنة ١٩٥٤م كان سيد
قطب رحمه الله تعالى فى مقدمة المعتقلين وحكم عليه بالسجن خمسة عشر عاما
وتفرغ سيد رحمه الله تعالى فى سجنه للدعوة (!!) د عا

(١) سيد قطب الشهيد الحى: ص ٤٢ عن مجلة كلمه الحق التى نشر فيها الاستاذ
العطار هذا الوصف (النسخة الاولى العدد الثانى ١٣٨٧ ص ٣٧ - ٣٩)

بلسانه بين السجناء والجنود فكان يخطب فيهم العيدين والجمعه
رغم مخالفة ذلك للتعليمات ودعا بقلمه فسطر أروع كتب
وأفضلها وأشهرها - فى ظلال القرآن

ويشاء الله أن يكون هذا التفسير من أسباب خروجه من السجن
فقد كتب له القبول بين المسلمين وحين زار الرئيس العراقى
عبد السلام عارف مصر - وكان قد قرأ الظلال - توسط عند
الرئيس جمال عبد الناصر لا خراجه من السجن بطلب من علماء
العراق وصدر الأمر بالافراج عنه أواخر عام ١٩٦٤م وعرض عليه
عبد السلام عارف أن يسافر معه الى العراق ووعدته بمنصب كبير
لكنه - رحمه الله - آثر البقاء فى مصر

وخرج ليوصل الدعوة ولكنهم فى هذه المره لم يمهلوه فأعلنها
جمال ومن عاصمه من عواصم الالحاد ونحمد الله أنها لم تعلن من
عاصمة من عواصم الاسلام - أعلنها من موسكو . . . أن الاخوان المسلمين
قد دبروا مؤامرة للاستيلاء على الحكم بالقوه ؟ ! كان ذلك عام
١٩٦٥م فنشطت أجهزته فى القاء القبض على الاخوان المسلمين
وأصد قائلهم ومعارفهم وأقاربهم ونساءهم وأطفالهم (!!) واقامت
المذابح ونصبت المشانق ولم يترددوا فى الاعدام والحرق
والتعذيب فى أبشع ألوانه وأشكاله تحت آلات أعدت له دونها
محاكم التفتيش فى أوروبا

وَشَرَّفَ اللهُ آلَ قطب فسجن سيد وأخوه محمد وأخواتهما الثلاث
نفسه ولم يمنعهم منها من ذلك فهى الشقيقه الكبرى لسيده
وأمينه وحميده وسجنوا أبناء أخته نفسه حيث لقي أحد هما حتفه
تحت التعذيب وسجنوا أيضا أولاد أخواله ولاقى هؤلاء جميعا من

الأهوال ما لا يوصف... ولا أدري لم ترد على خاطري كلما
قرأت عن هذه الأسره كلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم لآل ياسر
" صبرا آل ياسر موعدكم الجنة " (۱)

كان سيد رحمه الله تعالى يحس هذه المره احساسا آخر كان يقول
" لقد عرفت أن الحكومه تريد رأسى هذه المره " (۲) وصدق
رحمه الله تعالى فقد صدر الحكم باعدامه مع اثنين من الاخوان المسلمين
هما محمد يوسف هواش وعبد الفتاح اسماعيل

وقامت الاحتجاجات والمظاهرات فى مختلف أرجاء العالم
الاسلامى و توسطت كثير من الشخصيات . . . لكن الأمر فى
هذه المره لا يقبل مثل هذا ولذا فلم يقبل وساطة عبد الرحمن عارف
كما قبل وساطة اخيه من قبل (۳)

ولولم يترك لنا التاريخ الا تلك الكلمات التى قالها سيـــــد
باستعلاء المؤمن من وعزة المؤمن من لكفى بها ، كلمات تخط ليس بالذهب
كما يقولون وانما بالنور نور الايمان الذى لا ينطفىء ولا يحجب
قال حين طلب منه أن يقدم التماسا الى جمال عبد الناصر
بالعفو عنه ووعدَ بالإجابة سلفا إن فعل " لماذا أسترحم؟
إن سجت بحق فأنا أرضى حكم الحق وإن سجت بباطل فأنا
أكبر من أن أسترحم الباطل "

وقال ان أصعب السبابه الذى يشهد لله بالوحدانيه
فى الصلاة ليرفض أن يكتب حرفا يقربه حكم طاغية

(۱) السيره النبويه : ابن هشام ج ۱ ص ۳۴۲
(۲) الشهيد سيد قطب : جماعة اصداقاً الشهيد سيد قطب عن مجله الاخبار
الاسلاميه الدوليه . الباكستان عدد شهر اكتوبر ۱۹۶۶ م ص ۵
(۳) الشهيد سيد قطب : جماعة اصداقاً الشهيد سيد قطب ص ۱۰۴

وقال حين طلب منه الاعتذار فيصد ر العفور عنه . . .
لن اعتذر عن العمل مع الله !!؟

وحين سئل عن صراحته في الاجابه على أسئلة المحكمه
قال : -

" لأن التوريه لا تجوز في العقيدته ، وأنه ليس للقائد أن يأخذ بالرخص^(١)
وأمام هذا كله صدر الحكم باعدامه أتدرون ما قال عند سماعه
للحكم قال . . الحمد لله لقد عملت خمسة عشر عاما من أجل
الحصول على هذه الشهاده . . .

أتدرون ماذا يعنى بالخمسه عشر عاما ؟! تلكم فتره انضمامه
الى جماعة الاخوان المسلمين فهو منذ أن انضم اليهم وهو يجعل
الشهادته نصب عينيه وأحسبها ان شاء الله قد نالها فهنئها
لله .

فقد نفذ فيه حكمهم قبل بزوغ فجر يوم الاثنين ٢٩ / ٨ / ١٩٦٦ م
الموافق ١٣ جمادى الأولى ١٣٨٦ هـ

مؤلفاته :

مؤلفاته كثيرة بارك الله فيها ونفع بها الاسلام والمسلمين وهى
ايضا مشهوره ومعروفه ولا أظن ذكرى لها هنا يزيد القارىء
معلومة أو معرفة توازى قيمة الاطالة في الحديث لكننى
مع هذا أذكر ما يتعلق منها بالقرآن الكريم وهى ثلاثة :

١ - التصوير الفنى فى القرآن

٢ - مشاهد القيامه فى القرآن

٣ - فى ظلال القرآن

(١) الحق أن التورية تجوز بل التصريح لمن أكره وقلبه مطمئن ولعل سيد
قطب رحمه الله فسر فى آخر كلمته ما أراد فى أولها

ثانيا : فى ظلال القرآن

لهذا التفسير مزايا داخلية ومزايا خارجية ؟ تسألون عنـ الخارجه فأقول انها مزايا شيقه أيضا وأعنى بها تلك الأطوار التى مربها هذا التفسير منذ أن سطرته أصابع صاحبه الى أن طبع طبعاته الشرعية الأخيره

وليس هذا مقام الكتابة عنه مفصلا حتى أتناول تلك المزايا وقد كفانا مؤنة ذلك الأستاذ صلاح الخالدى فى كتابه سيد قطب الشهيد الحى ويكفى أن أقول هنا أن هذا التفسير أول ما أشرقت شمسه وبرقت جواهره كان فى كتاب آخر سماه (التصوير الفنى فى القرآن) ثم بدا لصاحبه أن يعرض القرآن كله على ضوء ذلك

ثم ترجم هذه الأنيه ليس فى كتاب بل فى مجله كان يصدرها سعيد رمضان واسمها " المسلمون " فكتب مقالات شهرية تحت عنوان " فنى ظلال القرآن " ونشر فى المجله سبع حلقات تولدت عنده بعدها عزيمة أخرى أن يقوم بتأليف تفسير كامل على هذا النهج ويصدره فى كتاب مستقل فى ثلاثين جزءا يظهر كل جزء خلال شهرين ، وفى رحمه الله بوعد به بل كان أحيانا يصدر الجزء فى أقل من شهرين ويكفى أنه صدر ما بين اكتوبر ١٩٥٢ م وبين يناير ١٩٥٤ م (أى فى سنة وأربعه أشهر) ستة عشر جزءا بمعدل جزء فى كل شهر واحد

ودخل السجن وأصدر منه جزءين السابع عشر والثامن عشر ثم خرج من السجن وعاد اليه أخرى فأصدر بقية الاجزاء ولم يكتف بذلك بل عاد ينقح الأجزاء الأولى ويطبعتها منقحه فتضاعف حجمها اذا كان حجم الجزء منها يزيد

على ضعف حجمه في الطبعه الأولى ووصل في التنقيح الى
الجزء العاشر وأخرج من السجن فواصل العمل وقام
بتنقيح الاجزاء ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ودخل السجن ثالثة ولكن
الطغاه هذه المره لم يمهله بل أعد موه رحمه الله رحمة واسعه
وطبع الكتاب بعد ذلك عدة طبعات من أهمها الطبعة اللبنايية
فى ثمانية مجلدات ضخمة ثم تولت طباعته بعد ذلك دار الشروق فى
سته مجلدات وما زال يطبع كذلك

منهجه فى التفسير:

لا شك أن الحديث عن سيد قطب رحمه الله تعالى حديث تنصت
له القلوب قبل الآذان لا لأنه سيد قطب ولكن لأنه مثال الداعيه
الذى أبى أن يخضع لجبروت الطاغية فباع حياته ثمنا للدفاع عن
عقيدته نحسبه كذلك ولا نزكى على الله أحدا

أما الحديث عن تفسيره فلا تمله القلوب بل تميل اليه ولا تمله الأفتده
بل تهفو اليه ليس من ناحية واحدة فيه بل من شتى نواحيه
وحين تتحدث عن ناحيه واحده منها فانك تجد من لسانك اطنابا
ومن قلمك سيلانا ومن تلك الناحيه عطاء ومددا لا تكلف فيه ولا زياده
لست أقول^{له} هذا وقد جعلت حاجز^ك المحبة بينى وبين الواقع
ولكنى أقوله بلسان هذا الواقع فقد صدر عن هذا التفسير
كثير من الدراسات والأبحاث وما زال نبعها فيضا وما زال عطاؤها
متجددا

وما دام الأمر كذلك فلا تطمعن منى فى هذا المقام أن أصب لك
البحر فى كأس

ولا أكتمك حديثا أنى وقفت حائرا على شاطيء هذا التفسير

أى جواهره التقط وأيها أدع؟ عن أيّ درره أتحدث وعن أيها لا يسعنى الحديث؟ هل أتحدث عن الاهداف الاساسية أو الاغراض الرئيسيه فيه؟ أو أتحدث عن معالم الجمال فيه؟ أو أقصر حديثى عن التفسير الفكرى أو أبسطه فى الحديث عن التفسير الحركى العملى عنده؟ أو أتكلم عم سماته أو عن مميزاته أو عن واقعيتيه، أو عن عرضه البيانى المشرق أو عن طريقته الخاصه فى التفسير أو موضوعيته هذا قليل من المداخل الواسعه لدراسه تفسير " فى ظلال القرآن " (١). فهل ترون من حقى أن أكتب عن كل هذه المعالم؟ اذا فالأمر يحتاج لا أقول لبحث مستقل بل لأبحاث ومادام الأمر كذلك فلا بد من قصر الحديث على الجانب الذى يواجهه دراستنا هذه منها أعنى الحديث عن أسس منهجه فى التفسير دون سواه وعذركم أيها الأحبه ان دخلت فيها مباشرة فقد قدمت العذر

الأساس الأول : الأسلوب الادبى

أتى الله سبحانه وتعالى سيد قطب رحمه الله تعالى موهبة أدبية رائعة واسلوبا أدبيا ساميا . لا يشك فى ذلك اثنان وفى انه استخدم هذه الموهبة فى تفسيره خير استخدام ولعل هذا من أسباب القبول الذى لقيه الكتاب بين المسلمين فى عصرنا هذا

(١) للاستاذ صلاح دحبور دراسه واسعه قدمها لنيل درجه الدكتوراه عن " فى ظلال القرآن " دراسه وتقويم" وقد استفدنا منها كثيرا فى الرجوع الى الشواهد والامثله فى حديثنا هذا

وقد انفرد سيد رحمه الله تعالى بهذا الأسلوب
من بين كثير من المفسرين في القديم وفي الحديث
فلا تكاد - مهما بلغ جهدك - أن تجد أحدا يجاريه في أسلوبه
الأدبي المميز وانك لتشعر ان كنت ممن يتذوقون الأساليب
ان فيما يكتب سيد اشراقا وعذوبه وروحاً ، قلما تبدد وفيما
يكتبه الآخرون

ونحن نظلم تفسيره ونبخسه حقه ان اخترنا مثالا
لذلك موهمين أن ما اخترنا هو الأمثل فكل تفسيره بلغ الرتبة
وكلها كانت له تلك المنزلة وحين نختار مثلاً فليس لمزيد
فضل فيه وانما للتوضيح والبيان وضرب المثل فحسب.

واذا كان الأمر كذلك فهذا تفسيره لسورة الضحى
اقتطف لك منه ما يوقفك على ما ذكرت

قال رحمه الله تعالى " هذه السورة بموضوعها وتعبيرها
ومشاهدتها وظلالها ، وايقاعها ، لمسها من حنان ، ونسمه
من رحمه ، وطائف من ود ويد حانيه تمسح على
الآلام والمواجع ، وتنسم بالروح والرضى والأمل ، وتسكب السبرد
والطمأنينة واليقين

انها كلها خالصة للنبي - صلى الله عليه وسلم -
كلها نجاء له من ربه ، وتسريّة وتسليّة وترويح وتطمين
كلها أنسام من الرحمة وأنباء من الود ، وألطاف
من القربى ، وهد هدة للروح المتعصب ، والخاطر المقلق ،
والقلب الموجه .

ورد في روايات كثيرة أن الوحي فتر عن رسول الله

- صلى الله عليه وسلم - وأبطلأ عليه جبريل -
عليه السلام - فقال المشركون : ودع محمدا ربه! فأنزل
الله تعالى هذه السورة . .

والوحيى ولقاء جبريل والاتصال بالله ، كانت هى
زاد الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى مشقة الطريق
وسقياه فى هجير الجحود . وروحه فى لأواء التكذيب
وكان - صلى الله عليه وسلم - يحيا بها فى هذه الهاجرة
المحرقة التي يعانيتها فى النفوس النافرة الشاردة العقيمة
العنيدة . ويعانيتها فى المكر والكيد والأذى المصبوب
على الدعوة ، وعلى الايمان ، وعلى الهدى من طغاة المشركين .

فلما فتر الوحي انقطع عنه الزاد ، وانحبس عنه
الينبوع ، واستوحش قلبه من الحبيب . وبقي للهجرة وحده . بلا
زاد . وبلا رى . وبغير ما اعتاد من رائحة الحبيب الودود
وهو أمر أشد من الاحتمال من جميع الوجوه . .

عندئذ نزلت هذه السورة . نزل هذا الفيض من الود والحب
والرحمة والايناس والقربى والأمل والرضى والطمأنينة واليقين . . .
" ما ودعك ربك وما قلى . ولأآخره خير لك من الأولى . ولسوف
يعطيك ربك فترضى " . .

ما تركك ربك من قبل أبدا ، وما فلاك من قبل قط ، وما
أخلاك من رحمته ورعايته وايوائه . .

" ألم يجدك يتيما فأوى ؟ . ووجدك ضالا فهدى ؟ ووجدك
عائلا فأغنى ؟ "

ألا تجد مصداق هذا فى حياتك ؟ ألا تحس مس هذا فى

قلبك؟ ألا ترى أثر هذا في واقعك؟

لا . لا . لا . " ما ودعك ربك وما قلبي " . . وما انقطع عنك بـره
وما ينقطع أبدا . . . " وللآخرة خير لك من الأولى " . .
وهناك ما هو أكثر وأوفى : " ولسوف يعطيك ربك فترضى " .
ومع هذه الأنسام اللطيفة من حقيقة الأمر وروحـه . . .
الأنسام اللطيفة في العبارة والايقاع . . وفي الاطـار
الكونى الذى وضعت فيه هذه الحقيقة :

" والضحى . والليل اذا سجي " . .

" لقد أطلق التعبير جوا من الحنان اللطيف، والرحمة الوديعه
والرضى الشامل، والشجى الشفيف:

" ما ودعك ربك وما قلبي . وللآخرة خير لك من الأولى . ولسوف
يعطيك ربك فترضى " . . " ألم يجدك يتيما فآوى؟ ووجدك ضالا
فهدى؟ ووجدك عائلا فأغنى؟ " . . ذلك الحنان . و تلك
الرحمة . وذاك الرضى . وهذا الشجى : تنسرب كلها من
خلال النظم اللطيف العبارة ، الرقيق اللفظ، ومن هذه الموسيقى
السارية في التعبير . الموسيقى الرتيبه الحركات، الوثيدة
الخطوات ، الرقيقة الأصدا ، الشجية الايقاع . . فلما أراد
اطارا لهذا الحنان اللطيف، ولهذه الرحمة الوديعه، ولهذا
الرضى الشامل، ولهذا الشجى الشفيف، جعل الاطـار
من الضحى الرائق، ومن الليل الساجى . أصفى أنـين
من آونة الليل والنهار . وأشف أنين تسرى فيهما التأمـلات
وتتصل الروح بالوجود وخالق الوجود . وتحس بعبادة الكون
كله لمبدعه، وتوجهه لبارئـه بالتسبيح والفرح والصفاء

وصورهما في اللفظ المناسب. فالليل هو " الليل اذا سجي"
لا الليل على اطلاقه بوحشته وظلامه الليل الساجي
الذي يرق ويسكن ويصفو، وتغشاها سحابة رقيقة من الشجي الشفيف
والتأمل الودييع. كجو اليتيم والعيه. ثم ينكشف ويجلي مع
الضحى الرائق الصافي. فتلتئم ألوان الصورة مع ألوان الاطار ويتم
التناسق والاتساق .

ان هذا الابداع في كمال الجمال ليدل على الصنعه . صنعه
الله التي لا تماثلها صنعة، ولا يتلبس بها تقليد ! (١)

ومثل هذا الأسلوب تراه واضحا جليا عند تفسيره رحمه
الله لقوله سبحانه " وجوه يومئذ ناضره الى ربها ناظرة"
قال :-

ان هذا النص ليشير اشارة سريعة الى حالة تعجز الكلمات
عن تصويرها ، كما يعجز الادراك عن تصويرها بكل حقيقتها
ذلك حين يعد الموعودين السعداء بحالة من السعادة لا تشبهها
حالة . حتى لتتضاءل الى جوارها الجنة بكل ما فيها من ألوان
النعيم !

هذه الوجوه الناضرة . . نضرها أنها الى ربها ناظرة
الى ربها . . ؟ ! فأى مستوى من الرفعه هذا ؟ أى مستوى
من السعادة ؟

ان روح الانسان لتستمتع أحيانا بلمحه من جمال الابداع الالهى
فى الكون أو النفس ، تراها فى الليلة القمرء . أو الليل
الساجي . أو الفجر الوليد . أو الظل المديد . أو البحر
العباب . أو الصحراء المنسابة . أو الروض البهيج . أو الطلعه

(١) فى ظلال القرآن : ج ٦ ص ٣٩٢٥ - ٣٩٢٦

(٢) سوره القيامه : ٢٢ - ٢٣

البهية . أو القلب النبيل . أو الايمان الواثق . أو الصبر
الجميل . . الى آخر مطالع الجمال فى هذا الوجود . . .
فتغمرها النشوة ، وتفيض بالسعادة ، وترف بأجنحة من نور
فى عوالم مجنحة طليقة . وتتوارى عنها أشواك الحياة ، وما فيها
من ألم وقبح ، وثقله طين وعرامة لحم ودم ، وصراع شهوات وأهواء . . .
فكيف ؟ كيف بها وهى تنظر - لا الى جمال صنع الله - ولكن
الى جمال ذات الله ؟

ألا انه مقام يحتاج أولا الى مد من الله . ويحتاج ثانيا
الى تثبيت من الله . ليملك الانسان نفسه ، فيثبت ، ويستمتع
بالسعادة ، التى لا يحيط بها وصف ، ولا يتصور حقيقتها ادراك !

" وجوه يومئذ ناضرة . . الى ربها ناظرة " . .

وما لها لا تتنضر وهى الى جمال ربها تنظر ؟

ان الانسان لينظر الى شىء من صنع الله فى الأرض . من طلعة
بهية ، أو زهرة ندية ، أو جناح رفاف ، أو روح نبيل ، أو فعل
جميل . فاذا السعادة تفيض من قلبه على ملامحه ، فيبد وفيها الوضاعة
والنضارة . فكيف بها حين تنظر الى جمال الكمال . مطلقا
من كل ما فى الوجود من شواغل عن السعادة بالجمال ؟
فما تبلغ الكينونة الانسانية ذلك المقام ، الا وقد خلصت من
كل شائبه تصدها عن بلوغ ذلك المرتقى الذى يعز على الخيال !
كل شائبة لا فيما حولها فقط ، ولكن فيها هي ذاتها من
دواعي النقص والحاجة الى شىء ما سوى النظر الى الله . .

فأما كيف تنظر؟ وبأى جارحة تنظر؟ وبأى وسيله تنظر؟

فذلك حديث لا يخطر على قلب يمسسه طائف من الفرح الذي يطلقه
النص القرآنى ، في القلب الموء من ، والسعادة التي يفيضها
على الروح ، والتشوف والتطلع والانطلاق !

فما بال أناس يحرمون أرواحهم أن تعانق هذا النور
الفائض بالفرح والسعادة ؟ ويشغلونها بالجدل حول مطلق
لا تدركه العقول المقيدة بمألوفات العقل ومقرراته ؟ !

إن إرتقاء الكينونة الانسانية وانطلاقها من قيود هذه الكينونة
الأرضية المحدودة ، هو فقط محط الرجاء في التقائها بالحقيقة
الطليقة يومذاك . وقبل هذا الانطلاق سيعز عليها أن تتصور -
مجرد تصور - كيف يكون ذلك اللقاء (١)

وان شئت أن تحلق مع سيد قطب رحمه الله تعالى في سماء الابداع
الأدبي وفضاء الألفاظ العذبة فاستمع أو أقرأ تفسيره
لقوله تعالى " ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح " (٢)
حيث يقول : -

ومشهد النجوم في السماء جميل . ما في هذا شك . جميل
جمالا يأخذ بالقلوب . وهو جمال متجدد تتعدد ألوانه بتعدد
أوقاته ، ويختلف من صباح الى مساء ، ومن شروق الى غروب ، ومن
الليلة القمر الى الليلة الظلماء . ومن مشهد الصفاء الى
مشهد الضباب والسحاب . بل انه ليختلف من ساعة لساعة
ومن مرصد لمرصد . ومن زاوية لزاوية . . وكله جمال وكله يأخذ بالألباب

(١) في ظلال القرآن : ج ٦ ص ٣٧٧٠ - ٣٧٧١

(٢) سورة الملك : ٥

هذه النجمة الفريدة التي توصوص هناك ، وكأنها عين
جميله ، تلمع بالمحبة والنداء!

وهاتان النجمتان المنفردتان هناك ، وقد خلصتا من
الزحام تتناجيان!

وهذه المجموعات المتضامة المتناثرة هنا وهناك ، وكأنها
في حلقة سمر في مهرجان السماء . وهي تجتمع وتفترق كأنها
رفاق ليلة في مهرجان!

وهذا القمر الحالم الساهى ليلة . والزاهى المزهوليلة
والمنكسر الخفيضليلة . والوليد المتفتح للحياة ليلة . والفانى
الذى يدلف للفناء ليلة . . !

وهذا الفضاء الوسيع الذى لا يمل البصر امتداده ، ولا يبلغ
البصر آماده .

انه الجمال ، الجمال الذى يملك الانسان أن يعيشه
ويتملاه ، ولكن لا يجد له وصفا فيما يملك من الألفاظ والعبارات" (١)
وأقرأ ان شئت تفسيره لقوله تعالى " تبصرة وذكري لكل عبـد
منيب" (٢) حيث يقول " تبصرة تكشف الحجب ، وتنير البصيرة وتفتح القلوب
وتصل الأرواح بهذا الكون العجيب وما وراءه من ابداع وحكمة وترتيب
تبصرة ينتفع بها كل عبد منيب ، يرجع الى ربه من قريب

وهذه هى الوصلة بين القلب البشرى وايقاعات هذا الكون الهائل

(١) فى ظلال القرآن : ج ٦ ص ٣٦٣٣ - ٣٦٣٤

(٢) سورة ق : ٨

الجميل . هذه هي الوصلة التي تجعل للنظر في كتاب الكون والتعرف اليه أثرا في القلب البشري ، وقيمة في الحياة البشرية" (١) الخ .
بهذا الأسلوب الذي يأخذ بالألباب كان سيد يعرض معاني الآيات القرآنية وبهذه الألفاظ الأدبية والمعاني البليغة كان يفسرها حتى كان بحق التفسير الأدبي المميز .

الأساس الثاني : تذوق النص القرآني

ونقصد بهذا معنى دقيقا يشعر به كل من يواجه النصوص القرآنية ابتداء وينسكب في حسه بمجرد الاستماع لهذا القرآن وقد يستطيع ان يترجمه الى كلمات وقد لا يستطيع فييد وا على قسمات وجهه عجا ودهشة لروعة القرآن يسمى هذا تذوقا للنص ويسميه آخرون انطباعا ذاتيا

واسمع الى سيد قطب رحمه الله تعالى يقول " ان في هذا القرآن سرا خاصا يشعر به كل من يواجه نصوصه ابتداء . قيل أن يبحث عن مواضع الاعجاز فيها . انه يشعر بسلطان خاص في عبارات هذا القرآن . يشعر أن هنالك شيئا ما وراء المعاني التي يدركها العقل من التعبير . وأن هنالك عنصرا ما ينسكب في الحس بمجرد الاستماع لهذا القرآن . يدركه بعض الناس واضحا ويدركه بعض الناس غامضا . ولكنه على كل حال موجود . هذا العنصر الذي ينسكب في الحس يصعب تحديد مصدره : أهو العبارة ذاتها ؟ أهو المعنى الكامن فيها ؟ أهو الصور والظلال التي تشعها ؟ أهو الايقاع القرآني الخاص المتميز من ايقاع سائر القول المصوغ من اللغوه ؟

(١) في ظلال القرآن : ج ٦ ص ٣٣٥٩

أهـى هـذه العنـاصر كلـها مجتمعة ؟ أم انـها هـى وشـيء
آخـر وراـءهـا غـير محـدود ؟ !

ذلـك سر مودع فـى كل نص قرآنـى . يشـعر به كل من يواجـه
نصوص هـذا القرآن ابتداء . . ثم تأتـى وراـءه الأسرار المدركة بالتدبر
والنظر والتفكير فـى بناء القرآن كله " (١)

ولعلك تدرك مكانة هـذا السر عند سيد اذا علمت ان الأسرار
المدركة بالتدبر والنظر . . الخ تأتـى وراـه

ولقد اعترف رحمه الله تعالى فى موضع آخر أنه من المحال عليه
أن يترجم ايقاع القرآن الكريم فى حسه بالألفاظ والتعبيرات فيقول
" ان ايقاع هـذا القرآن المباشرفى حسى محال أن أترجمه فـى
ألفاظى وتعبيراتى ومن ثم أحس دائماً بالفجوة الهائلة بين ما
استشعره منه وما أترجمه للناس فى هذه الظلال ! (٢)

وهذا هو ما يطلق عليه الأدباء الصلة بين القيم الشعورية
والقيم التعبيرية فى العمل الأدبى أما كيف يعبر الأديب بالألفاظ
للدلالة على تجاربه الشعورية الكامنة فىرى سيد قطب رحمه
الله تعالى " أن الانفعال بالتجربة الشعورية يسبق التعبير
عنها . . . وفى بعض الحالات يكون هذا الانفعال من التوهج
والحرارة والاشراق بحيث يغمر احساس الأديب ويجعله فى شبه نشوة
أو فى نصف غيبوبة . وأغلب ما تصيب هذه الحالة الشعراء
. . . . وقد يتم الشاعر عمله فى هذه الحالات الفذة ثم يراجعـه فيعجب
لنفسه كيف واتته القدرة على صوغ هذه العبارات . وقد يقف أما م بعضها

(١) فى ظلال القرآن : ج ٦ ص ٣٣٩٩

(٢) فى ظلال القرآن ج ٤ ص ٢٠٣٨

معجبا متعجبا كما لو كان يشهد لها أول مرة لأنه لم
يتنبه لها كل التنبيه في أول مرة وقد عانيت
بنفسي حالات من هذا النوع كثيرة وأنا اكتب" التصوير
الفني في القرآن" وكذلك وأنا أكتب" في ظلال القرآن " فـ في
بعض الأحيان" (١)

ولكنه أحيانا ينفعل مع النص ويحس به يملاء مشاعره
ومع هذا لا يستطيع أن يعبر عنها تعبيرا كافيا خذ مثلا لذلك ما
قاله في تفسير قوله تعالى" تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض" (٢)
الآيات قال :- انهم جماعة خاصة ذات طبيعة خاصة وان كانوا
بشرا من البشر . . فمن هم؟ وما الرساله؟ ما طبيعتها؟
كيف تتم؟ لماذا كان هؤلاء وحدهم رسلا؟ وماذا؟
اسئلة طالما أشفقت أن أبحث لها عن جواب ! ان حسي ليفعم
بمشاعر ومعان لا أجد لها كفاء من العبارات ولكن لا بد من
تقريب المشاعر والمعاني بالعبارات" (٣)

كان رحمه الله تعالى يتفاعل مع النص القرآني تفاعلا
يجلولة كثيرا من المعاني ويوضح له حقيقة بعض الأحداث
والوقائع خذ مثلا لذلك ما قاله في تفسير قوله تعالى
" فاسجدوا لله واعبدوا" (٤) فقد سأل عن سبب سجود المشركين
عند سماعها وأجاب على ذلك :-

(١) النقد الأدبي : سيد قطب ص ٤٢ - ٤٣ باختصار

(٢) سورة البقره : ٢٥٣

(٣) في ظلال القرآن : ج ١ ص ٢٢٨

(٤) سورة النجم : ٦٢

لقد بقيت فترة أبحث عن السبب الممكن لهذا السجود . ويخطر
لي احتمال أنه لم يقع، وانما هي رواية ذكرت لتعليل
عودة المهاجرين من الحبشة بعد نحو شهرين أو ثلاثة
وهو أمر يحتاج الى التعليل .
وبينما أنا كذلك وقعت لي تلك التجربة الشعورية الخاصة
التي أشرت اليها من قبل . .

كنت بين رفقة نسمر حينما طرق أسمعنا صوت قارئ للقرآن
من قريب، يتلو سورة النجم . فانقطع بيننا الحديث
لنستمع وننصت للقرآن الكريم . وكان صوت القارئ مؤثرا وهو
يرتل القرآن ترتيلا حسنا

وشيئا فشيئا عشت معه فيما يتلوه . عشت مع قلب محمد - صلى
الله عليه وسلم - في رحلته الى الملاء الأعلى . عشت
معه وهو يشهد جبريل - عليه السلام - في صورته الملائكية
التي خلقه الله عليها . ذلك الحادث العجيب المدهش
حين يتدبره الانسان ويحاول تخيله ! وعشت معه وهو في رحلته
العلوية الطليقة . عند سدرة المنتهى . وجنة المأوى . عشت
معه بقدر ما يسعني خيالي وتحلق بي روائى ، وبقدر ما تطيق
مشاعري وأحاسيسي . . .

وتابعته في الاحساس بتهاافت أساطير المشركين حول الملائكة
وعبادتها وبنوتها وأنوثتها . . الى آخر هذه الأوهام
الخرفنة المضحكة، التي تتهاوى عند اللسنة الأولى
ووقفت أمام الكائن البشرى ينشأ من الأرض، وأمام الأجنه
في بطون الأمهات . وعلم الله يتابعها ويحيط بها

وارتجف كياني تحت وقع اللمسات المتتابعه في المقطع الأخير من السورة . . الغيب المحجوب لا يراه الا الله . والعمل المكتسوب لا يند ولا يغيب عن الحساب والجزاء . والمنتهى الى الله في نهاية كل طريق يسلكه العبيد والحشود الضاحكة والحشود الباكية . وحشود الموتى . وحشود الأحياء - والنطفة تهتدى في الظلمات الى طريقها ، وتخطو خطواتها وتبرز أسرارها فاذا هي ذكر أو أنثى . والنشأة الأخرى . ومصارع الغابرين . والمؤتفكة أهوى فغشاهما ما غشى !

واستمعت الى صوت النذير الأخير قبل الكارثة الداهمه " هذا نذير من النذر الأولى . أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة " ..

ثم جاءت الصيحة الأخيره . واهتز كياني كله أمام التيكيت الرعيب : " أفمن هذا الحديث تعجبون . وتضحكون ولا تبكون . وأنتم سامدون ؟

فلما سمعت : " فاسجدوا لله واعبدوا " . . كانت الرجفه قد سرت من قلبي حقاً الى أوصالي . واستحالت رجفة عضلية مادية ذات مظهر مادي . لم أملك مقاومته . فظل جسمي كله يختلج ، ولا أتمالك أن أثبته ، ولا أن أكفكف دموعاً هاتته ، لا أملك احتباسها مع الجهد والمحاولة !

وأدركت في هذه اللحظة أن حادث السجود صحيح ، وأن تعليقه قريب . انه كامن في ذلك السلطان العجيب لهذا القرآن ولهذه الايقاعات المزلزلة في سياق هذه السورة . ولم تكن هذه أول مرة أقرأ فيها سورة النجم أو أسمعها . ولكنها في هذه المرة كان لها هذا الوقع ، وكانت منى هذه الاستجابة . وذلك سر

القرآن . . فهناك لحظات خاصة موعودة غير مرقوبه تمس الآية أو السورة فيها موضع الاستجابة ، وتقع اللمسة التي تصل القلب بمصدر القوة فيها والتأثير . فيكون منها ما يكون !

لحظة كهذه مست قلوب الحاضرين يومها جميعا . ومحمد - صلى الله عليه وسلم - يقرأ هذه السورة يقرأها بكيانه كله . ويعيش في صورها التي عاشها من قبل بشخصه وتنصب كل هذه القوة الكامنة في السورة من خلال صوت محمد - صلى الله عليه وسلم - في أعصاب السامعين فيرتجفون ويسمعون : " فاسجدوا لله واعبدوا " ويسجد محمد والمسلمون
(١) فيسجدون

وقد يقرأ سيد رحمه الله تعالى النص ويكرر قرآءته مرات عديدة لكنه في كل هذه المرات لا يفهم النص كما يفهمه اذا تذاوقه واذا تفاعل معه واقرأ تفسيره لقوله تعالى " ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة " (٢) قال : " هذا النص الذي تلوته من قبل وسمعتة ما لا أستطيع عدة من المرات . وفي أثناء حفظي للقرآن وفي أثناء تلاوته وفي أثناء دراسته بعد ذلك في أكثر من ربع قرن من الزمان . . هذا النص حين واجهته في "الظلال" أحسست أني أدرك منه ما لم أدركه من قبل في المرات التي لا أملك عددا على مدى ذلك الزمان " (٣) ثم ذهب رحمه الله تعالى

(١) في ظلال القرآن : ج ٦ ص ٣٤٢٠ - ٣٤٢١

(٢) سورة التوبة : ١١١

(٣) في ظلال القرآن : ج ٣ ص ١٧١٦

يجلو هذه المفاهيم التي لم يكن ليصل اليها لو لم يتفاعل مع النص ويتذوقه التذوق الحق

وتذوق النص والتفاعل معه لا يكون نتاجه الفهم الدقيق للمعاني بل يظهر أثره على الجسد فقد يبكي ويسجد كما فعل في آخر سورة النجم وقد يقشعر جسده حين يقرأ قوله تعالى "حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يورد بأسنا عن القوم المجرمين" (١) قال رحمه الله تعالى " ما قرأت هذه الآية والآية الأخرى " أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله" (٢) ما قرأت هذه الآية أو تلك الا وشعرت بقشعريرة من تصور الهول الذي يبلغ بالرسول هذا المبلغ . ومن تصور الهول الكامن في هذه الهواجس والكرب المزلزل الذي يرح نفس الرسول هذه الرجفة وحالته النفسية في مثل هذه اللحظات ، وما يحس به من ألم لا يطاق " (٣)

وأخيرا اقرأ ما جاء في مقدمته لتفسير سورة الانعام قال رحمه الله تعالى" . . . وهذه السورة - مع ذلك - تعالج موضوعها الاساسى بصورة فريدة انها في كل لمحة منها وفي كل موقف وفي كل مشهد ، تمثل الروعة الباهرة الروعة التي تبده النفس ، وتشده الحس ، وتبهر النفس ايضا وهو

(١) سورة يوسف : ١١٠

(٢) سورة البقرة : ٢١٤

(٣) في ظلال القرآن : ج ٤ ص ٢٠٣٦

يلاحق مشاهدتها وايقاعها وموحياتها مبهورا ! نعم هذه حقيقة ! حقيقة أجدها في نفسي وحسي وأنا أتابع سياق السورة ومشاهدتها وايقاعاتها ... " السى أن قال " والحياة فى جو القرآن لا تعني مدارس القرآن وقرآته والاطلاع على علومه ... ان هذا ليس " جو القرآن " الذى نعنيه .. ان الذى نعنيه بالحياة فى جو القرآن أن يعيش الانسان فى جو وفى ظروف وفى حركة وفى معاناة وفى صراع وفى اهتمامات ... كالتى كان ينزل فيها هذا القرآن هذا هو الجو القرآنى الذى يمكن أن يعيش فيه الانسان فيتذوق هذا القرآن - فهو فى مثل هذا الجو نزل ، وفى مثل هذا الخضم عمل ... والذين لا يعيشون فى مثل هذا الجو معزولون عن القرآن مهما استغرقوا فى مدارسته وقرآته والاطلاع على علومه ... والمحاولة التى نبذلها لاقامة القنطرة بين المخلصين من هؤلاء وبين القراء ليست بالغة شيئا الا بعد أن يجتاز هؤلاء القنطرة ويصلوا الى المنطقة الأخرى ، ويحاولوا أن يعيشوا فى جو القرآن حقا بالعمل والحركة وعندئذ فقط سيتذوقون هذا القرآن ويتمتعون بهذه النعمة التى ينعم الله بها على من يشاء" (١)

عفوا أيها الأحبه .. هل ينكر أحد بعد ذلك أثر التذوق القرآنى فى التفسير؟ وهذا سيد قطب رحمه الله تعالى يعلن مرارا أنه قرأ كثيرا من الآيات لكنه لم يدرك فى كل قرآته السابقه ما

(١) فى ظلال القرآن : ج ٢ ص ١٠١٥ - ١٠١٧ باختصار

أدركه بعد ما عاش فى الجو القرآنى وتذوق القرآن
كان يتضح لسيد بعد ذلك كثير من المعانى وكثير من
الأحداث التى استعصى عليه فهمها من قبل وبهذا تتميز
تفسيره رحمه الله تعالى عن كثير من التفاسير المعاصرة
والقديمة التى كانت تعنى بالنص بالنص وحده من غير أن تعيش
فى جوهه ومن غير أن تتفاعل معه فيتولد العطاء
حقا ان هذا الأساس ميزة من مزايا تفسيره لا يعرف أثره
ولا يدرك ما يفتح من المعانى الا من قرأ فى ظلال القرآن فليقرأه
من لم يفعل

الأساس الثالث : الواقعية ... الحركية

يتميز " فى ظلال القرآن " أن صاحبه لم يكتبه مرة واحدة
بل كتبه مرة تحت ظلال المنبر ومرة تحت ظلال السيوف كتبه
مرة بمداد قلمه وأخرى بمداء قلبه ! !

قلت - فيما سبق - أن سيدا رحمه الله تعالى أصدر من الظلال
سنة عشر جزءا ومن السجن أصدر باقيه . . من أول أجزاءه التى
الجزء السابع والعشرين منها ثم وفقه الله الى ادراك سمه
من سمات هذا الدين وخصيصة من خصائصه واكتشف المنهج الحركى
للقرآن الكريم فالتزمه فى الأجزاء الأربعة الأخيرة . . ورأى أنه
لا بد من اعادة النظر فيما كتب وان ينطلق فى ذلك من
ادراكه الجديد وقد كان له ذلك من الجزء الأول الى نهاية الجزء
الثالث عشر وأوائل الرابع عشر ثم عاجله الطغاة

وما ظنكم - أيها الأحبه - فى قاعدة دعتة الى أن يعيد
كتابة تفسيره من أوله وأن يكتبه . . من جديد انها وربى

لقاعدة هامة ولأساس متين ، بل وكيف نسمح لأنفسنا باستكشاف منزلتها وسيد نفسه قد بين ذلك حيث يقول : -

" ونحن نوكد على هذه السمه في هذا القرآن . . سممه الواقعية الحركية . . . لأنها في نظرنا مفتاح التعامل مع هذا الكتاب وفهمه و فقهه وادراك مراميه واهدافه

انه لا بد من استصحاب الأحوال والملابس والظروف والحاجات والمقتضيات الواقعية العملية التي صاحبت نزول النص القرآني

لا بد من هذا الادراك وجهة النص وأبعاد مدلولاته ، ولروئية حيويته وهو يعمل في وسط حي ، ويواجه حالة واقعة ، كما يواجه أحياء يتحركون معه أو ضده . وهذه الروية ضرورية لفقه أحكامه وتذوقها ، كما هي ضرورية للانتفاع بتوجيهاته كلما تكررت تلك الظروف والملابس في فترة تاريخية تالية ، وعلى الأخص فيما يواجهنا اليوم ونحن نستأنف الدعوة الاسلامية .

نقول هذه المقالة ونحن على يقين أنه لن يرى هذه الروية اليوم الا الذين يتحركون فعلا بهذا الدين في مواجهة الجاهلية الحاضرة ، ومن ثم يواجهون أحوالاً وملابس وظروفاً وأحداثاً كالتى كان يواجهها صاحب الدعوة الأولى - صلوات الله وسلامه عليه - والعصبة المسلمة معه . . من الاعراض والتولي عن هذا الدين فى حقيقته الكبيرة الشاملة ، التى لا تتحقق الا بالدينونة الكاملة لله وحده فى كل شأن من شؤون الحياة الاعتقادية والأخلاقية والتعبدية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية . . وما يلقونه كذلك من الايذاء والمطارده والتعذيب والتقتيل كالذى كانت تلك العصبة المختارة الأولى تبثلى - فى سبيل الله - به . . .

ان هؤلاء الذين يتحركون بهذا الدين في مواجهة الجاهلية ويواجهون به ما كانت تواجهه الجماعة المسلمة الأولى . . . هم وحدهم الذين يرون تلك الرواية . . . وهم وحدهم الذين يفقهون هذا القرآن ، ويدركون الأبعاد الحقيقية لمدلولات نصوصه . على النحو الذي أسلفنا . . . وهم وحدهم الذين يملكون استنباط فقه الحركة الذي لا يغني عنه فقه الأوراق في مواجهة الحياة المتحركة التي لا تكف عن الحركة!" (١)

وكثيرا ما يؤكد رحمه الله تعالى على هذا المنهج في التعامل مع النص القرآني يقول "مرة أخرى نجد أن هذا القرآن لا يكشف عن أسراره الا للذين يخوضون به المعركة ويجاهدون به جهادا كبيرا . . . ان هؤلاء وحدهم هم الذين يعيشون في مثل الجو الذي تنزل فيه القرآن ، ومن ثم يتذوقونه ويدركونه لأنهم يجدون أنفسهم مخاطبين خطابا مباشرا به كما خطبت به الجماعة المسلمة الأولى . فتذوقته وأدركته وتحركت به" (٢)

ويؤكد رحمه الله تعالى أن القرآن كان دائما في المعركة سواء أكان ميدانها القلوب بين تصورات الجاهلية وتصورات الاسلام أو كان الجوال خارجي بين الجماعة المسلمة واعدائها ويؤكد أن تلك المعركة ما تزال قائمه فالنفس البشرية هي النفس البشرية واعداء الأمة المسلمة هم أعداؤها والقرآن حاضر وبين أنسه

(١) في ظلال القرآن : ج ٤ ص ٢١٢٢

(٢) في ظلال القرآن : ج ٤ ص ١٨٩٤

لا نجاة للنفس البشرية ولا للأمة المسلمة الا بادخال
هذا القرآن في المعركة ليخوضها حية كاملة كما خاضها أول مرة
وأنه لا فلاح ولا نجاح ما لم يستيقن المسلمون بهذه الحقيقة (١)

ويصف القرآن بأنه كائن حي متحرك يعمل ويتحرك في
وسط الجماعة المسلمة ويواجه حالات واقعة فيدفع هذه
ويقرر هذه ويدفع الجماعة المسلمة ويوجهها فهو في
عمل دائم . وفي حركته دائمة . . انه في ميدان
المعركة وفي ميدان الحياة . . وهو العنصر الدافع المحرك
الموجه في الميدان (٢)

وكما أن تذوق النص القرآني وتعاطف القلب معه له أثره
في فهمه فان الظروف والأحداث الواقعة تطلق الطاقة
المكونة في النص وهذا سيد رحمه الله تعالى يقرر هذا
بقوله " ان القرآن ليس كتابا للتلاوة ولا للثقافة وكفى . . .
انما هو رصيد من الحيوية الدافعة ، وايحاء متجدد في
المواقف والحوادث ! ونصوصه مهيأة للعمل في كل لحظة ،
متى وجد القلب الذي يتعاطف معه ويتجاوب ، ووجد الظرف
الذي يطلق الطاقة المكونة في تلك النصوص ذات السر العجيب" (٣)

وما قاله رحمه الله تعالى في التذوق وأثره وأنسه
يقراً النص عدة مرات فلا يعرف منه ما يعرف إذا تفاعل مع النص وتذوقه
فانه يقول هنا أيضا : - " وان الانسان ليقراً النص القرآني
مئات المرات ثم يقف الموقف ، أو يواجه الحادث ، فاذا النص القرآني

(١) في ظلال القرآن : ج ١ ص ١٨٠

(٢) في ظلال القرآن : ج ١ ص ٣٠٤ - ٣٠٥

(٣) في ظلال القرآن : ج ٥ ص ٢٨٣٦

جديد ، يوحى اليه بما لم يوح من قبل قط ويجيب على السؤال الحائر ، ويفتي في المشكلة المعقدة ، ويكشف الطريق الخافي ، ويرسم الاتجاه القاصد ، ويفيء بالقلب الى اليقين الجازم فى الأمر الذى يواجهه والى الاطمئنان العميق
(١)
وليس ذلك لغير القرآن فى قديم ولا حديث "
واذا كانت الواقعية . . الحركية سمة من سمات هذا القرآن لها الأثر الكبير فى تفسيره وجلاء معانيه فانها سمة من سمات الدين كله ، وهذا سيد قطب رحمه الله تعالى يجلولنا ذلك بقوله " والسمة الثانية فى منهج هذا الدين هي الواقعية الحركية فهو حركة ذات مراحل . كل مرحلة لها وسائل مكافئة لمقتضياتها وحاجاتها الواقعية وكل مرحلة تسلم الى المرحلة التى تليها . . . فهو لا يقابل الواقع بنظريات مجردة . كما أنه لا يقابل مراحل هذا الواقع بوسائل متجمدة . . . والذين يسوقون النصوص القرآنية للاستشهاد بها على منهج هذا الدين فى الجهاد ولا يراعون هذه السمة فيه ، ولا يدركون طبيعة المراحل التى مر بها هذا المنهج ، وعلاقة النصوص المختلفة بكل مرحلة منها الذين يصنعون هذا يخلطون خلطا شديدا ويلبسون منهج هذا الدين لبسا مضللا ويحملون النصوص ما لا تحتمله من المبادئ والقواعد النهائية ذلك أنهم يعتبرون كل نص منها كما لو كان نصا نهائيا ، يمثل القواعد النهائية فى هذا الدين . ويقولون - وهم مهزومون روحيا وعقليا تحت ضغط الواقع اليأس لذارى المسلمين الذين لم يبق لهم من الاسلام الا العنوان - : - ان الاسلام لا يجاهد الا للدفاع ! ويحسبون أنهم يسدون الى هذا الدين جميلا بتخليه

عن منهجه وهو ازالة الطواغيت كلها من الأرض جميعاً ،
وتعبيد الناس لله وحده واخراجهم من العبودية للعباد الى
العبودية لرب العباد ! لا بقهرهم على اعتناق عقيدته
ولكن بالتخلية بينهم وبين هذه العقيدة بعد تحطيم الانظمة
السياسية الحاكمة ، أو قهرها حتي تدفع الجزية وتعلن
استسلامها والتخلية بين جماهيرها وهذه العقيدة تعتنقها
أولا تعتنقها بكامل حريتها . . . (١)

ويبقى سؤال أو سوء الان . . عن الواقعية واقعية من ؟
والحركية في مواجهة من . . . ؟ ويجيب سيد
رحمه الله تعالى على هذا بقوله " واذا كان " البيان " يواجه
العقائد والتصورات ، فان " الحركة " تواجه العقبات المادية
الأخرى - وفي مقدمتها السلطان السياسي القائم
على العوامل الاعتقادية التصورية ، والعنصرية والطبقية
والاجتماعية والاقتصادية المعقدة المتشابكة . . . وهما معا
- البيان والحركة - يواجهان " الواقع البشري " بجمليته ،
بوسائل مكافئة لكل مكوناته . . . وهما معا

لا بد منهما لانطلاق حركته التحرير للانسان في الأرض . . .
" الانسان " كله في " الارض " كلها . . . وهذه نقطة هامة
لا بد من تقريرها مرة أخرى ! (٢)

ثم وجه سيد رحمه الله تعالى - دعوة أشعر من حيث لا أدري بأنه
يقتصرها من سويداً قلبه - دعانا فيها نحن معشر

(١) في ظلال القرآن : ج ٣ ص ١٤٣٢ - ١٤٣٣

(٢) في ظلال القرآن : ج ٣ ص ١٤٣٤

المسلمين المعاصرين إلى إزالة الفجوة العميقة بيننا وبين القرآن والتي أزالها الحاجب السميك بيننا وبين القرآن وسيظل هذا وذاك طالما نحن نتلوه أو نسمعه كأنه مجرد تراتيل تعبدية مهوومة لا علاقة لها بواقعيات الحياة البشرية اليومية التي تواجه الإنسان والتي تواجهه هذه الأمة بينما هذه الآيات نزلت لتواجه نفوسا ووقائع وأحداثا حية ، ذات كينونة واقعية حية ووجهت بالفعل تلك النفوس والوقائع والأحداث توجيهها واقعيًا حيا ، نشأ عنه وجود ذو خصائص في حياة الإنسان ، بصفة عامة وفي حياة الأمة المسلمة بوجه خاص

ومن هنا فإن سيدا رحمه الله دعا هذه الأمة أن تتعامل مع القرآن كما تعاملت معه الأمة التي خاض بها معركة كبرى حولت تأريخها وتأريخ البشرية كلها معها وأن القرآن يملك أن يوجه الحياة الحاضرة وكأنما هو يتنزل اللحظة لمواجهة في شؤونها الجارية وفي صراعها الراهن مع الجاهلية من حولها بنفس الحيوية ونفس الواقعية التي كانت له هناك يومذاك (١)

وأنظر إلى الجباه فأكار أقرأ في قسماتها سوءا . . . وأنظر إلى الشفاه فأكاد أسمع عن الواقعية . . والحركة هذه أقرأ هناك وأسمع هنا نقدا مختفيا في سوءا . . قرأنا ما كتبت عنهما في الصفحات السابقه لكننا نراك مرة تنقل نصا لسيد رحمه الله تعالى يجعل الواقعية

(١) في ظلال القرآن : ج ١ ص ٣٤٨ بتصريف

والحركية سمة من سمات الدين ونراك أنت تجعلها سمة
من سمات تفسيرة فهل هذا تناقض منك ؟ أو هل بينهما
من صلة ؟

وأقول جواباً نعم ان بينهما صلة ، صلة الفرع بالأصل
فالواقعية والحركية فى الدين ولدتا عند سيد قطب رحمه الله
تعالى التزامهما فى تفسيره فجاء تفسيره التزاماً
لمنهج الدين فيهما

وان شئت بعد هذا أن تلمسهما فى تفسيره فاعلم أنهما
أكثر ما يكونان فيه بل ان الواقعية عنده قد تولد عنها قواعد
أخرى برزت وعظمت حتى انفصلت

ومن أغراض القرآن الأساسية ومنهجه الحركى انطلق سيد
قطب رحمه الله تعالى لبناء منهجه الحركى التربوى
وصارت الحركية والعمل والتفاعل مع النص المحور الذى يدور
عليه تفسيره فلا ثمرة لترديد ألفاظ القرآن أو ترتيله تراتيل
مهوومة ما لم يتحول ذلك الى قوة دافعة والى طاقة محرقة
تقود الانسان وينقاد لها

ونظرة عجلية لتفسير سيد قطب رحمه الله تعالى تظهر بلا
شك أن وقفات سيد ونظراته وأفكاره ومناقشاته وعرضه وبيانه
كلها تتحقق فيها الواقعية الجديدة

وتبرز معالم هذه الحقيقة فى صور شتى ومواضع عديدة فلم
يتناول الا الأمور الجادة النافعة ورتب عليها آثار عملية نتاجها
الفوائد الجممة أما تلك الأمور التى لا يترتب عليها حكم أو فائدة فانه
يعرض عن الخوض فيها .

ولهذه القاعدة في التفسير عند سيد رحمه الله تعالى جاء تفسيره تحسبه - وقد استمدته من القرآن - علاجاً مفصلاً دقيقاً لقضايا العصر وكأنه إنما أنزل لهذا العصر ولعلاج أمراضه المختلفة .

ولعل مصدر الواقعية الجديدة قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء أن تبد لكم تسوءكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم " (١) وقد اهتم سيد رحمه الله تعالى بهذه الواقعية الجديدة في هذه الآية فأورد ست روايات في سبب نزولها ، وأحاديث ثلاثة في النهي عن كثرة الأسئلة وأربعة أقوال عن السلف في النهي عن ذلك ومنهج السلف الواقعي الجدوى في السوءال والاستفتاء والفتوى الذي لا يجيب الا على ما وقع من الأمور وترك ما لم يقع (٢) ولذلك وصفه الله تعالى " بأنه منهج واقعي جاد . يواجه وقائع الحياة بالأحكام المشتقة لها من أصول شريعة الله مواجهة عملية واقعية" (٣) وخذ مثلاً لتطبيقات سيد رحمه الله تعالى لهذا الأساس ففى تفسير قوله تعالى " اذ يوحى ربك الى الملائكة أن نرى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألنى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا قوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان " (٤) لم يتناول - رحمه الله تعالى - الا الآثار الدعوية والعملية لهذا النص وايحاءاته الاعتقادية والدلالات الحركية له ، وأعرض عن الخوض فى تفصيل كيفية اشتراك الملائكة فى المعركة وعن

(١) سورة المائدة : ١٠١

(٢) فى ظلال القرآن : ج ٢ ص ٩٨٦ - ٩٨٨

(٣) فى ظلال القرآن : ج ٢ ص ٩٨٧

(٤) سورة الانفال : ١٢

حصر قتلها من المشركين ، ولا كيف قتلهم الملائكة ، وهو ما خاض به بعض المفسرين ولم يخرجوا بنتيجة واقعية جادة ويصف سيد رحمه الله تعالى البحث في كيفية الافعال كلها بأنه ليس من الجد الذي هو طابع هذه العقيدة وطابع الحركة الواقعية بهذه العقيدة ولكن هذه المباحث صارت من مباحث الفرق الاسلامية ومباحث علم الكلام في العصور المتأخرة ، عند ما فرغ الناس من الاهتمامات الايجابية في هذا الدين ، وتسلبت الترف العقلي على الناس والعقول وان وقفة أمام الدلالة الهائلة لمعينة الله سبحانه للملائكة في المعركة ، واشتراك الملائكة فيها مع العصبة المسلمة لهي أنفع وأجدي" (١)

وفي تفسير قوله تعالى " تبصرة وذكرى لكل عبد منيب" (٢) بين - رحمه الله تعالى - المراد بالتبصرة بأنها - تبصرة تكشف الحجب وتنير البصيرة وتفتح القلوب، وتصل الأرواح بهذا، الكون العجيب، وما وراءه من ابداع وحكمة وترتيب . . . تبصرة ينتفع بها كل عبد منيب، يرجع الى ربه من قريب" ولم يقف رحمه الله تعالى عند هذا البيان بل بين قيمة هذه التبصرة ومكانتها وكيف أهملتها مناهج البحث التي تسمى " علمية" حيث يقول " وهذه هي الوصلة بين القلب البشري وايقاعات هذا الكون الهائل الجميل . هذه هي الوصلة التي تجعل

(١) في ظلال القرآن : ج ٣ ص ١٤٨٦

(٢) سورة ق : ٨

للنظر في كتاب الكون والتعرف اليه أثرا في
القلب البشرى ، وقيمة في الحياة البشرية هذه هي الصلة
التي يقيمها القرآن بين المعرفة والعلم وبين الانسان الذى
يعرف ويعلم . وهي التي تهملها مناهج البحث التي
يسمونها " علمية " فى هذا الزمان فتقطع ما وصل
الله من وشيجة بين الناس والكون الذى يعيشون فيه
وكل معرفة أو علم أو بحث يقف دون هذه الغاية الحية
الموجهة الموثرة في حياة البشر هي معرفة ناقصة ،
أو علم زائف ، أو بحث عقيم " (١)

ولهذا المنهج أثره في ترك سيد رحمه الله تعالى
تفسير بعض الأحكام التي لا وجود لها في واقع عصرنا
الحاضر بغض النظر عن وجودها قبله أو حدوثها بعده
فهو ينطلق من الواقع الجاد ، فلم يدخل في التفصيلات
الفقهية الخاصة بالغنائم والأنفال وأخذ الجزية
من الذميين من أهل الكتاب

وانطلاقا من هذا الأساس - أيضا - ترك الاطناب في كثير
مما لا طائل تحته وليس له ثمرة ، ولم يجهد نفسه
فى الكشف عما أبهمه القرآن . ولم يتوسع في التفسير
العلمي بحيث يتجاوز واقع النص ومدلوله ، وأعرض
عن الخوض فى الاسرائيليات ، ولم يتناول الاختلافات الفقهية
الدقيقة ، ولم يتعمق في المفردات واشتقاقاتها وأصولها ، ولم
يعتن باثارة المسائل اللغوية وكان وقافا عند حد ود علم الغيب

(١) في ظلال القرآن : ج ٦ ص ٣٣٥٩ - ٣٣٦٠

فلم يسمح لنفسه أن يخوض فيه وتلقى نصوصه بالقبول دون تأويل أو تحريف ، كل هذا نراه أثرا من التزامه للواقعية الجديدة مما لا أثر كبير له في بناء المجتمع المسلم فكان أن أعرض عنها وتناول ما له أثر جاد في واقع المسلمين وقد برزت هذه الأمور التي أشرت إليها - في تفسيره - حتى أصبحت أسسا من أسس منهجه في التفسير وهي أثر من آثار هذا الأساس ، ولذا سنعرض لكل منها ان شاء الله بحدِيث موجز استكمالا للإشارة إليها هنا

أما من ناحية الحركة وتطبيقاتها في تفسير القرآن الكريم فكثيرة منبثقة في أغلب صفحاته وسطوره لا يترك الدعوة إليها ما وجد الى ذلك سبيلا ولذلك أصبحت هذه سمات من سمات الظلال و أساسا من أسس منهجه في التفسير لم يكد يمر بآيه الا وجعلها منطلقا للدعوة الى الله سبحانه والى التحرك بالقرآن في مواجهة الأعداء والى بيان طبيعة المنهج الحركي للدعوة الاسلامية المتجددة في كل زمان ومكان . . فهو يرسم بوحى من القرآن منهج الدعوه ومعالم الطريق وصفات القيادة ويرسم الخطط ويوضح السبيل .

ويبدى اهتماما شديدا بذلك فلا يكاد يمر بآية أمرا كانت أو نهيا خبرا أو قصة أو غير ذلك . . الا وجعلها نبراسا في طريق الداعية ومعلما من معالم الطريق .

وقف وقفاته تلك أمام قصة بنى اسرائيل مع موسى عليه السلام وأول ما استوقفه فيها ورودها مفصلة أوسع تفصيل ومكررة في مواضع عديدة .. فذهب رحمه الله تعالى يستخرج بعض هذه المعالم ويرسم الخطط .

ان بنى اسرائيل هم أول من واجه الدعوة الاسلامية بالعداء والكيد والحرب فى المدينة وفى الجزيرة العربية كلها فلم يكن بد من كشفهم للجماعة المسلمة لتعرف من هم أعداءها ما طبيعتهم ؟ وما تاريخهم ؟ وما وسائلهم ؟ وما حقيقة المعركة التى تخوض معهم ؟ .

وقد علم الله أنهم سيكونون أعداء هذه الأمة فى تاريخها كلها كما كانوا أعداء هدى الله فى ماضيهم كله فعرض لهذه الأمة أمرهم كله مكشوفًا ووسائلهم كلها مكشوفة .

وأنهم أصحاب آخر دين قبل دين الله الأخير ووقع منهم الانحراف فى العقيدة والنقض المتكرر لميثاق الله معهم ، ووقع فى حياتهم آثار هذا النقض وهذا الانحراف كما وقع فى أخلاقهم وتقاليدهم فاقضى هذا أن تلم الأمة المسلمة - وهى وارثة الرسالات كلها وحاضنته العقيدة الربانية بجملتها - بتاريخ القوم وتقلبات هذا التاريخ وتعرف مزالق الطريق وعواقبها ممثلة فى حياة بنى اسرائيل وأخلاقهم لتضم هذه التجربة فى حقل العقيدة والحياة - الى حصيلة تجاربها وتنتفع بهذا الرصيد وتنتفع على مدار القرون .

وأن الأمة المسلمة التى سيمتد تاريخها حتى تقوم الساعة ستصادفها فترات تمثل فيها فترات من حياة بنى اسرائيل فجعل أمام أئمة هذه الأمة وقادتها ومجددى الدعوة فى أجيالها الكثيرة نماذج من العقابيل التى تلم بالأمم يعرفون منها كيف يعالجون الداء بعد معرفة طبيعته .

وهناك جوانب شتى لحكمة الله تعالى فى تفصيل قصة بنى اسرائيل لا يملك معها - كما يقول - المضي أكثر من هذه الاشارات السريعة ثم بين - رحمه الله تعالى - بعض الجوانب التى قد يلاقيها الداعية وضرب أمثلة منها مما لاقاه موسى عليه السلام مع قومه . . جربهم وقد

أخرجهم من أرض مصر وحررهم من الذل والهوان ، باسم الله
ويسلطان الله الذى فرق لهم البحر وأغرق لهم فرعون وجنده . فاذا هم
يمرون على قوم يعكفون على أصنام لهم ، فيقولون " يا موسى
اجعل لنا الهة كما لهم آلهة" (١) . . . وما يكاد يغيب عنهم
في ميقاته مع ربه حتى يتخذ السامرى من الحلبي
عجلا ذهبيا له خوار ، وجربهم وقد فجر لهم من
الصخر ينابيع فى جوف الصحراء وأنزل عليهم المن والسلوى طعاما
سائغا فاذا هم يشتهون ما اعتادوا من أطعمة مصر - أرض الذل
بالنسبة لهم - فيطلبون بقلها وقتاءها وفومها وعدسها ويصلها
ولا يصبرون عما ألفوا من طعام وحياة فى سبيل العزة والخلاص
والهدف الأسمى الذى يسوقهم موسى اليه وهم يتسكعون ! وجربهم
فى قصة البقرة التى أمروا بذبحها فتلكأوا وتسكعوا فى الطاعة
والتنفيذ " فذبحوها وما كادوا يفعلون" (٢) وجربهم وقد
عاد من ميقات ربه ومعهم الألواح وفيها ميثاق الله عليهم وعهده فأبوا
أن يعطوا الميثاق وأن يمضوا العهد مع ربهم حتى وجدوا الجبل
منتوقا فوق رؤسهم " وظنوا أنه واقع بهم" (٣)

واستمر سيد قطب رحمه الله تعالى فى هذا العرض الى أن وصل
الى قوله تعالى " قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهم ما
ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم
مؤمنين" (٤) قال رحمه الله تعالى " هنا تبرز قيمة الايمان بالله

(١) سورة الأعراف : ١٣٨

(٢) سورة البقرة : ٧١

(٣) سورة الأعراف : ١٧١

(٤) سورة المائدة : ٢٣

والخوف منه ، فهذان رجلان من الذين يخافون الله ، ينشئ^١ لهما الخوف من الله استهانة بالجبارين ! ويرزقهما شجاعة في وجه الخطر الموهوم ! وهذان هما يشهدان بقولتهما هذه بقيمة الايمان في ساعة الشدة ، بقيمة الخوف من الله في مواطن الوخب من الناس فالله سبحانه لا يجمع في قلب واحد بين مخافتين مخافته - جل جلاله - ومخافة الناس والذي يخاف الله لا يخاف أحدا بعده ، ولا يخاف شيئا سواه " ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون " قاعدة في علم القلوب وفي علم الحروب . أقدموا واقتحموا فمتى دخلتم على القوم في عقد ادهم انكسرت قلوبهم بقدر ما تقوى قلوبكم ، وشعروا بالهزيمة في ارواحهم وكتب لكم الغلب عليهم " (١)

أرايتم كيف ينظر سيد الى القصة ينظر اليها من زاوية الداعية فيبرز سمات الداعية ويضرب الأمثال لبعض العقبات التي تواجه الدعوة وأثر الايمان والخوف من الله في النصر ويقتصر من الآيات رحيقا يحقنه في شرايين القلوب فلا يملك صاحبها الا ويجد في نفسه عزيمة على الحركة واصرار على الثبات

ولو أردت أن أسود الصفحات بذكر الامثله لخشيت أن آتي على آخرها ولم أبلغ منه مبلغا فمن أراد ذلك فليحتمل أجزاء تفسير " في ظلال القرآن " الستة بين يديه وليقرأها كلها فإنه واجد في كل ورقه منها مبتغاه واذا كان الأمر كذلك فلا أحسبني قد أطلت . . . ولو فعلت . . فهل تعذرون .

(١) في ظلال القرآن : ج ٢ ص ٨٦٨ - ٨٧٠ باختصار

الاساس الرابع : التفسير الجمالي الفني :-

استغرقت الاهتمامات الأدبية فترة طويلة من حياة سيد قطب رحمه الله تعالى ولم يحصرها في نطاقها الضيق بل حاول تطبيقها في رحاب نصوص القرآن الكريم وكانت أول مؤلفاته في ذلك " التصوير الفني في القرآن " ثم " مشاهد القيامه في القرآن "

وحيث شرع في تفسيره " في ظلال القرآن " بعد ذلك لم تغب عن باله تلك الصور الجمالية في القرآن الكريم ووجد فيها وفي صحبتها المفتاح الذي اطلع به على كنوز من القرآن واهتدى به الى قواعد وسمات وآفاق وموضوعات الجمال الفني في القرآن الكريم

الفني ؟ ! ما الفن ؟ يرى سيد رحمه الله تعالى أن هناك ايضاحا واجبا ينبغي أن يقال بعد ما بدأت كلمة الفن يساء استخدامها أو يساء فهمها ، أو يساء تأويلها في مجال القرآن ويعترف بأنه حين اتخذها عنوانا لكتابه " التصوير الفني في القرآن " لم يكن لها في نفسه الا مدلول واحد هو جمال العرض، وتنسيق الأداء وبراعة الاخراج ، ولم يجل في خاطرة قط أن " الفني " بالقياس الى القرآن معناه المطلق أو المخترع أو القائم على مجرد الخيال (١)

وأكد هذا المفهوم في تفسيره في ظلال القرآن حين وصف الجمال الفني الصادق بأنه " الذي لا يعتمد على الخلق والتزييق ولكن يعتمد على ابداع العرض . . . وقوة الحق . . وجمال الأداء " (٢)

(١) التصوير الفني في القرآن : سيد قطب ص ٢٠٤ - ٢٠٥

(٢) في ظلال القرآن : ج ١ ص ٥٥

وكأنني بسائل يقول - في شبه اعتراض - أو ليس هذا الأساس هو الأساس الأول الذي تحدثت عنه في منهج سيد قطب رحمه الله تعالى ؟ وأقول لهذا السائل كلا إجمالاً أما إن شئت البيان فإن المراد بالجمال الفني هو تلك الصورة الرائعة التي ترسمها نصوص القرآن الكريم حتى لتحسب كل كلمة منه خطأ من خطوط الصورة أو ذلك المعنى السامي الذي تشوقه تلك النصوص أما الأساس الأول فهو حسن البيان والوصف لهذه الصورة القرآنية وحسن التعبير والبيان عن هذه المعاني السامية أما أن بينهما تداخلاً فنعم وأما أنهما معنى واحد فلا

وقد يكشف مفسر الصورة الجمالية الفنية في القرآن الكريم ويبرز أطرافها ويوضح خطوطها ومعالمها وظلالها وإشراقها لكنه قد يسوق ذلك كله بأسلوب أدبي يزين الصورة جمالاً إلى جمالها وقد لا يستطيع فتبقى الصورة جميلة زاهية وحدها . وقد تميز تفسير سيد قطب رحمه الله تعالى بالجمع بين هذا وذاك .

وإذ وضح الأمر فإن منزلة الجمال في القرآن تالية لمنزلة الكمال " فالجمال في تصميم هذا الكون مقصود كالكمال . بل إنهما اعتباراه لحقيقة واحده . فالكمال يبلغ درجة الجمال . ومن ثم يوجه القرآن النظر إلى جمال السماوات بعد أن وجهه النظر إلى كمالها " (١) الذي خلق سبع سماوات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير ولقد زينا السماء

(١) في ظلال القرآن : ج ٦ ص ٣٦٣٣

الدنيا بمصابيح (١)

وقد عنى سيد قطب بالعرض الجمالي الفني في القرآن الكريم فتوقف عند الجمال الفني في قوله تعالى " ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ، فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك . إنما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور" (٢) حيث قال رحمه الله تعالى :-

" انها لفظة كونية عجيبة من اللغات الدالة على مصدر هذا الكتاب . لفظة تطوف في الأرض كلها تتبع فيها الألوان والأصباغ في كل عوالمها . في الثمرات . وفي الجبال . وفي الناس وفي الدواب والأنعام . لفظة تجمع في كلمات قلائل ، بين الأحياء وغير الأحياء في هذه الأرض جميعا ، وتدع القلب مأخوذا بذلك المعرض الالهي الجميل الرائع الكبير الذي يشمل الأرض جميعا وتبدأ بانزال الماء من السماء ، واخراج الثمرات المختلفة الألوان . ولأن المعرض معرض أصباغ وشيات فانه لا يذكر هنا من الثمرات الا ألوانها " فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها" و ألوان الثمار معرض بديع للألوان يعجز عن ابداع جانب منه جميع الرسامين في جميع الأجيال فما من نوع من الثمار يماثل لونه لون نوع آخر . بل ما من ثمرة واحدة يماثل لونها لون أخواتها من النوع الواحد . فعند التدقيق في أي ثمرة أختين بيد وشيء من اختلاف اللون !

(١) سورة الملوك : ٣ - ٥

(٢) ص ٤٨٦ ص ٤٨٧

وينتقل من ألوان الثمار الى ألوان الجبال نقلة عجيبة
في ظاهرها ، ولكنها من ناحية دراسة الألوان
تبد و طبيعية . ففي ألوان الصخور شبه عجيب بألوان الثمار
وتنوعها وتعدد ها ، بل ان فيها أحيانا ما يكون على
شكل بعض الثمار وحجمها كذلك حتى ما تكاد تفرق من الثمار
صغيرها وكبيرها !

ومن الجبال جدد بيض وحممر مختلف ألوانها وغرابيب سود . .
والجدد الطرائق والشعاب . وهنا لفتة في النص صادقة
فالجدد البيض مختلف ألوانها فيما بينها . والجدد الحمر
مختلف ألوانها فيما بينها . مختلف في درجة اللون
والتظليل والألوان الأخرى المتداخلة فيه ، وهناك جدد غرابيب
سود ، حالكة شديدة السواد .

واللفتة الى ألوان الصخور وتعدد ها وتنوعها داخل
اللون الواحد ، بعد ذكرها الى جانب ألوان الثمار ، تهز القلب
هزا ، وتوقظ فيه حاسة الذوق الجمالي العالي ، التي تنظر
الى الجمال نظرة تجريدية فتراه في الصخرة كما تراه في
الثمرة ، على بعد ما بين طبيعة الصخرة وطبيعة الثمرة ، وعلى
بعد ما بين وظيفتيهما في تقدير الانسان . ولكن النظرة
الجمالية المجردة ترى الجمال وحدة عنصرا مشتركا بين هذة
وتلك ، يستحق النظر والالتفاف .

ثم ألوان الناس . وهى لا تقف عند الألوان المتميزة العامة
لأجناس البشر . فكل فرد بعد ذلك متميز اللون بين بنى جنسه . بل
متميز من توأمه الذى شاركه حملا واحدا فى بطن واحدة !

وكذلك ألوان الدواب والأنعام . والدواب أشمل والأنعام أخص
فالدابة كل حيوان . والأنعام هي الأبل والبقر والغنم
والماعز . عز ، خصصها من الدواب لقربها من الإنسان والألوان
والأصباغ فيها معرض كذلك جميل كمعرض الثمار ومعرض الصخور سواء .

هذا الكتاب الكوني الجميل الصفحات العجيب التكوين والتلوين
يفتحه القرآن ويقلب صفحاته ويقول ان العلماء الذين يتلونـه
ويدركونه ويتدبرونه هم الذين يخشون الله :

" انما يخشى الله من عباده العلماء " الى أن قال

رحمه الله تعالى :-

" ان عنصر الجمال بيد و مقصودا قصدا في تصميم هذا الكون وتنسيقه
ومن كمال هذا الجمال أن وظائف الأشياء تؤدى عن طريق جمالها
هذه الألوان العجيبة في الأزهار تجذب النحل والفراش مع
الرائحة الخاصة التي تفوح . ووظيفة النحل والفراش بالقياس الى
الزهرة هي القيام بنقل اللقاح ، لتنشأ الثمار . وهكذا تؤدى الزهرة
وظيفتها عن طريق جمالها ! . . . والجمال في الجنس هو الوسيلة لجذب
الجنس الآخر اليه . لأداء الوظيفة التي يقوم بها الجنسان . وهكذا تتم
الوظيفة عن طريق الجمال .

الجمال عنصر مقصود قصدا في تصميم هذا الكون وتنسيقه . ومن

ثم هذه اللفات في كتاب الله المنزل الى الجمال في
كتاب الله المعروف (1)

(1) في ظلال القرآن : ج ٥ ص ٢٩٤٢ - ٢٩٤٣

وقد يكون الجمال الفني في استخدام التصوير وتشخيص المعاني كوسيلة لبيانها ولا شك أن لهذا التصوير الفني أثره البين في جلاء المعنى الكلي المجرد المعنى الكلي المجرد يظل حائرا في التصور البشري ومائعا حتى يتم كل في صورة محسوسة ، ومهما أوتي العقل البشري من القدرة على التجريد فانه يظل في حاجة الى تمثيل المعنى المجرد في صور وأشكال وخصائص ونماذج ذلك شأنه مع المعاني المجردة التي تمثل المحدود فكيف بغير المحدود ؟

لذلك يضرب القرآن الأمثال للناس ويقرب الي حسهم معانيه الكبرى بوضعها في صور ومشاهد ومحسوسات ذات مقومات وخصائص وأشكال ^(١)

وان شئت مثلا لذلك فالامثلة كثيرة أفردها - رحمه الله تعالى - بكتابه " التصوير الفني " في القرآن " ثم سار عليها في الظلال وزادها صورا أخرى ومشاهد أخرى نذكر منها تصويرا لمشهد من مشاهد يوم القيامة

فمن ذلك تفسيره لقوله تعالى " واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد * من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد * يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وممن ورائه عذاب غليظ * ^(٢) حيث قال رحمه الله تعالى " والمشهد هنا عجيب انه مشهد الخيبة لكل جبار عنيد مشهد الخيبة في الأرض . ولكنه يقف هذا الموقف ومن ورائه تخايل جهنم وصورته

(١) في ظلال القرآن : ج٤ ص ٢٢٩٦ - ٢٢٩٧

(٢) سورة ابراهيم : ١٥ - ١٨

فيها هو يسقى من الصديد السائل من الجسوم يسقاه بعنف
فيتجرعه غصبا وكرها ولا يكاد يسيغه لقزازه ومرارته والتقذر
والتكثره باديان نكاد نلمحهما من خلال الكلمات
ويأتيه الموت بأسبابه المحيطة به من كل مكان ، ولكنه لا يموت
ليستكمل عذابه و من ورائه عذاب غليظ .

انه مشهد عجيب ، يرسم الجبار الخائب المهزوم ووراءه مصيره
يخايل له على هذا النحو المروع الفظيع وتشارك كلمة
"غليظ" في تقطيع المشهد ، تنسيقا له مع القوة الغاشمة التي كانوا
يهددون بها دعاة الحق والخير والصلاح واليقين " الى أن قال
في الآية التاليه :-

" مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في
يوم عاصف . لا يقدرون مما كسبوا على شيء " . ذلك هو الضلال البعيد^(١)

ومشهد الرماد تشتد به الريح في يوم عاصف مشهود معهم
يجسم به السياق معنى ضياع الأعمال سدى لا يقدر أصحابها على
الامساك بشيء منها ولا الانتفاع به أصلا يجسمه في هذا
المشهد العاصف المتحرك فيبلغ في تحريك المشاعر له ما لا يبلغه
التعبير الذهني المجرد عن ضياع الأعمال وذهابها بددا

هذا المشهد ينطوي على حقيقة ذاتية في أعمال الكفار
فالأعمال التي لا تقوم على قاعدة من الايمان ولا تمسكها العروة
الوثقى التي تصل العمل بالبائع ، وتصل الباعث بالله
... مفككة كالهباء والرماد لا قوام لها ولا نظام . فليس

(١) سورة ابراهيم : ١٥ - ١٨

المعول عليه هو العمل ، ولكن باعث العمل . فالعمل حركة آية لا يفترق فيها الانسان عن الآلة الا بالباعث والقصد والغاية وهكذا يلتقى المشهد المصور مع الحقيقة العميقة ، وهو يؤدي المعني في أسلوب مشوق موح مؤثر " (١) وقد يكون المشهد تصويرا لمعاني عقلية مجردة كالمن والأذى والرياء في الصدقات .
فمن ذلك تفسيره لقوله تعالى :-

" يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ، كالذي ينفق ماله رياء الناس ، ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ، فمثله كمثل صفوان عليه تراب ، فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين . ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنحة برية أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين ، فان لم يصبها وابل فطل ، والله بما تعملون بصير " (٢) حيث قال :-
هذا هو المشهد الأول

مشهد كامل من منظرين متقابلين وشكلا ووضعاً وثمره . وفي كل منظر جزئيات يتسق بعضها مع بعض من ناحية فن الرسم وفن العرض ، ويتسق كذلك مع ما يماثلة من المشاعر والمعاني التي رسم المنظر كله لتمثيلها وتشخيصها واحياؤها .
نحن في المنظر الأول أمام قلب صلد :

(١) في ظلال القرآن : ج ٤ ص ٢٠٩٣ - ٢٠٩٤

(٢) سورة البقرة : ٢٦٤ - ٢٦٥

" كالذى ينفق ماله رثاء الناس ولا يئو من بالله واليوم الآخر" . .
فهو لا يستشعر نداوة الايمان وبشاشته . ولكنه يغطي هذه الصلادة
بغشاء من الرياء

هذا القلب الصلد المغشى بالرياء يمثله " صفوان عليه تراب"
حجرا لا خصب فيه ولا ليونة ، يغطيه تراب خفيف يحجب صلادته
عن العين ، كما أن الرياء يحجب صلادة القلب الخالي من الايمان . .
" فأصابه وابل فتركه صلدا "

وذهب المطر الغزير بالتراب القليل ! فانكشف الحجر بجدبه
وقساوته ، ولم ينبت زرعة ، ولم يثمر ثمرة . . كذلك " اللب
الذى أنفق ماله رثاء الناس ، فلم يثمر خيرا ولم يعقب ثمرة !

أما المنظر الثاني المقابل له في المشهد . . . فقلب عامر
بالايمان ، ندى ببشاشته . ينفق ماله "ابتغاء مرضاة الله"
وينفقه عن ثقة ثابتة في الخير، نابعه من الايمان ، عميقة
الجدور في الضمير . . واذا كان القلب الصلد وعليه ستار من الرياء
يمثله صفوان صلد عليه غشاء من التراب ، فالقلب الموء من تمثله جنحة
جنحة خصبة عميقة التربة في مقابل حفنة التراب على الصفوان . جنحة
تقوم على ربوة في مقابل الحجر الذى تقوم عليه حفنة التراب ! ليكون
المنظر متناسق الأشكال ! فاذا جاء الوابل لم يذهب بالتربة
الخصبة هنا كما ذهب بغشاء التراب هناك . بل أحيها وأخصبها
ونماها

" فأصابها وابل فأتت أكلها ضعفين "

أحيها كما تحي الصدقة قلب الموء من فيزكو ويزداد صلة بالله ويزكو
ماله كذلك ويضاعف له الله ما يشاء وكما تزكو حياة الجماعة المسلمة
بالانفاق وتصلح وتنمو :

" فان لم يصبها وابل " " غزير " فطل من الرذاذ يكفي
في التربة الخصبة ويكفي منه القليل !

انه المشهد الكامل ، المتقابل المناظر ، المنسق الجزئيات بالمعروض
بطريقة معجزة التناسق والأداء ، الممثل بمناظره الشاخصة
لكل خالجة في القلب وكل خاطرة ، المصور للمشاعر والوجدانات
بما يقابلها من الحالات والمحسوسات ، الموحى للقلب باختيار
الطريق في يسر عجيب

ولما كان المشهد مجالا للبصر وللبصيرة من جانب ، ومرد الأمر فيه
كذلك الى رؤية الله ومعرفته بما وراء الظواهر ، جاء
التعقيب لمسة للقلوب :

" والله بما تعملون بصير "

فأما المشهد الثاني فتمثيل لنهاية المن والأذى ، كيف يمحق
آثار الصدقة محقا في وقت لا يملك صاحبها قوة ولا عوناً
ولا يستطيع لذلك المحق ردا تمثيل لهذه النهاية البائسة في
صورة موحية عنيفة الايحاء . كل ما فيها عاصف بعد أمن ورخاء .

" أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها
الأنهار ، له فيها من كل الثمرات ، وأصابه الكبر وله ذريئة
ضعفاء ، فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله
لكم الآيات لعلكم تتفكرون " (١)

هذه الصدقة في أصلها وفي آثارها تمثل في عالم
المحسوسات

"جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار ، له فيها
من كل الثمرات "

انها ظليلة وارفة مخصبة مثمرة. وكذلك الصدقة في طبيعتها
وفي آثارها . . كذلك هي في حياة المعطي وفي حياة الآخذ
وفي حياة الجماعة الانسانية . كذلك هي ذات روح وظل . وذات
خير وبركة ، وذات غذاء وري وذات زكاة ونماء !

فمن ذا الذي يود أن تكون له هذة الجنة - أو هذة الحسنة - ثم
يرسل عليها المن والأذى يحرقها محقا ، كما يحرق الاعصار فيه
نارا؟

ومتى؟ في أشد ساعاته عجزا عن انقاذها ، وحاجة الى
ظلمها ونعمائها !

" وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء . فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت"
" من ذا الذي يود هذا؟ ومن ذا الذي يفكر في ذلك المصير
ثم لا يتقيه ؟

" كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون "

وهكذا يقوم المشهد الحي الشاخص ، بما فيه أول الأمر من رضى ورفه ومتعة ،
وما فيه من نضارة وروح وجمال ثم بما يعصف به عصف من اعصار فيه نار
يقوم هذا المشهد العجيب بالايحاء الشعورى الرعيب الذى لا يبدع
مجالا للتردد فى الاختيار ، قبل أن تذهب فرصة الاختيار وقبل
أن يصيب الجنة الوارفة الظليلة المثمرة اعصار فيه نار !

وبعد فان التناسق الدقيق الجميل الملحوظ في تركيب كل مشهد
على حدة ، وفي طريقة عرضه وتنسيقه . . هذا التناسق لا يقف عند
المشاهد فرادى . بل انه ليمد رواقه فيشمل المشاهد متجمعة

من بدئها في هذا الدرس الى منتهاها . . انها جميعا
تعرض في محيط متجانس . محيط زراعي ! حبة أنبتت سبع
سنابل . صفوان عليه تراب فأصابه وابل . جنة بريوة فآتت أكلها
ضعفين + جنة من نخيل وأعناب . . . حتى الواابل والطل والاعصار
التي تكمل محيط الزراعة لم يخل منها محيط العرض الفني المثير .

وهي الحقيقة الكبيرة وراء العرض الفني المثير حقيقة الصلة
بين النفس البشرية والتربة الأرضية . حقيقة الأصل الواحد
وحقيقة الطبيعة والواحدة ، وحقيقة الحياة الثابتة في النفس وفي
التربة علمي السواء وحقيقة المحق الذي يصيب هذه الحياة
في النفس وفي التربة على السواء .
(١)

انه القرآن . . . كلمة الحق الجميلة . . من لدن حكيم خبير "

ومنها ما هو تصوير لمشاهد كونية للمتأمل فيها آية وأي آية
فمن ذلك تفسيره لقوله تعالى " والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس"
(٢) قال " فلفظ عسعس مؤلف من مقطعين : عس . عس . وهو يوحى
بجرسه بحياة في هذا الليل ، وهو يعس في الظلام بيده أو برجله
لا يرى ! وهو احياء عجيب واختيار للتعبير رائع . ومثلثه
" والصبح اذا تنفس " . . . بل هو أظهر حيوية . وأشد احياء
والصبح حي يتنفس . أنفاسه النور والحياء والحركة التي تدب في
كل حي وأكاد أجزم أن اللغة العربية بكل مآثوراتها التعبيرية
لا تحتوى نظيرا لهذا التعبير عن الصبح . وروية الفجر تكاد تشعـر
القلب المتفتح انه بالفعل يتنفس ! ثم يجيء هذا التعبير فيصور هـذه

(١) في ظلال القرآن : ج ١ ص ٣٠٨ - ٣١٠

(٢) سورة التكويسر : ١٧ - ١٨

الحقيقة التي يشعر بها القلب المتفتح . وكل متذوق لجمال التعبير والتصوير يدرك أن قوله تعالى " فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس ، والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس " (١) . . . ثروة شعورية وتعبيرية فوق ما يشير اليه من حقائق كونية ، ثروة جميلة بديعة رشيقة ، تضاف الي رصيد البشرية من المشاعر ، وهي تستقبل هذه الظواهر الكونية بالحس الشاعر " (٢)

ولنقف مع سيد قطب رحمه الله تعالى عند مشهد من مشاهد تجسيم أحوال النفوس كأنها مشهد محسوس ضربه الله مثلا للمنافقين " أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في أذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين ، يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ان الله على كل شيء قدير " (٣)

قال رحمه الله تعالى - انه مشهد عجيب ، حافل بالحركة مشوب بالاضطراب فيه تيه وضلال ، وفيه هول ورعب ، وفيه فزع وحيرة ، وفيه أضواء وأصداء ان الحركة التي تغمر المشهد كله : من الصيب الهائل الى الظلمات والرعد والبرق الى الحائرين المفزعين فيه ، الى الخطوات المروعة الوجلة التي تقف عند ما يختم الظلام ان هذه الحركة في المشهد لترسم - عن طريق التأثير الياحي حركة التية والاضطراب والقلق والأرجحة التي يعيش فيها أولئك المنافقون . . . بين لقاءهم للمؤمنين ، وعودتهم للشياطين ، بين ما

(١) سورة التكويد : ١٧ - ١٨

(٢) في ظلال القرآن : ج٦ ص ٣٨٤١ - ٣٨٤٢

(٣) سورة البقرة : ١٩ - ٢٠

يقولونه لحظة ثم ينكصون عنه فجأة . بين ما يطلبونه من هدى ونور وما يفيثون اليه من ضلال وظلام فهو مشهد حسي يرمز لحالة نفسية وبجسم صورة شعورية وهو طرف من طريقة القرآن العجيبة قبي تجسيم أحوال النفوس كأنها مشهد محسوس" (١)

قلت لكم ان هذه المشاهد كثيرة وان عرض سيد رحمه الله تعالى لها كثير أيضا وما ذكرت ليس ليس أوضحها وليس أجملها ولكنه منها على كل حال . . .

تلك مشاهد مركبة من صور ، وصور متعددة ، وقد يكون الجمال التعبيري والجمال الفني في مفردة خذ مثلا كلمة "أفضى" من قوله سبحانه وتعالى "وان أردتم استبدال زوج مكان زوج ، وآتيتن احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثمنا مبينا وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض . وأخذن منكم ميثاقا غليظا" (٢) وقف رحمه الله تعالى وقفة عند كلمة أفضى استلهم منها كل الصور والظلال والايحاءات التي تحتويها ولا يدركها الا القليل قال " ويدع الفعل " أفضى " بلا مفعول محدد . يدع اللفظ مطلقا يشع كل معانيه ، ويلقى كل ظلاله ، ويسكب كل ايحاءاته . ولا يقف عند حدود الجسد وافضاءاته . بل يشمل العواطف والمشاعر والوجدانات والتصورات والأسرار والهموم ، والتجاوب في كل صورة من صور التجاوب . يدع اللفظ يرسم عشرات الصور لتلك الحياة المشتركة أثناء الليل وأطراف النهار ، وعشرات الذكريات لتلك المؤسسة التي ضمتها فترة من الزمان . . . وفي كل اختلاجة حب افضاء ، وفي كل نظرة

(١) في ظلال القرآن : ج ١ ص ٤٦

(٢) سورة النساء : ٢٠ - ٢١

ود افضاء ، وفي كل لمسة جسم افضاء ، وفي كل اشتراك في ألم
أو أمل افضاء ، وفي كل تفكر في حاضر أو مستقبل افضاء ، وفي كل
شوق الي خلف افضاء ، وفي كل التقاء وفي وليد افضاء
كل هذا الحشد من التصورات والظلال والانداء والمشاعر والعواطف يرسمه
ذلك التعبير الموحى العجيب " وقد أفضى بعضكم الي بعض "
فيتضاءل الي جواره ذلك المعنى المادى الصغير ويخجل الرجل أن
يطلب بعض ما دفع ، وهو يستعرض في خياله وفي وجدانه ذلك الحشد
من صور الماضى ، وذكريات العشرة في لحظة الفراق الأسيف" (١)
أفلا يحق لنا - معشر الأحبة - وقد تغنى الأدباء ببلاغه
بشار بن برد حين قال - وهو الأعمى - يصف معركة

كأن مشار النقع فوق رؤوسنا وأسيا فنا ليل تهاوى كوكبه

أن نتغنى بادراك سيد لهذه المشاعر والصور بين الرجل وزوجته
وهو الرجل الذى لم يتزوج ؟! ان كثيرا من المتزوجين لا يدركون بعضها
فكيف أدركها كلها انه توفيق الله وفضله . . .

ومن ذلك تفسيره لكلمة "ككبوا" من قوله تعالى عن أصحاب الجحيم
" فككبوا فيها هم والغاؤون " (٢) قال رحمه الله تعالى :-

" . . . ككبوا . . . واننا لنكاد نسمع من جرس اللفظ صوت تدفعهم

وتكفئهم وتساقطهم بلا عناية ولا نظام ، وصوت الكركبه الناشء من
الكيبه ، كما ينهار الجرف فتتبعه الجروف . فهو لفظ مصور بجرسه
لمعناه " (٣)

(١) في ظلال القرآن : ج ١ ص ٦٠٦ - ٦٠٧

(٢) سورة الشعراء : ٩٤

(٣) في ظلال القرآن : ج ٥ ص ٢٦٠٥

ومنه تفسيره لكلمة " أنلزمكموها " من قوله تعالى على لسان
نوح عليه السلام مخاطبا قومه :- قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة
من ربي ، وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها
وأنتم لها كارهون ؟ " (١) قال رحمه الله تعالى فتحس
أن كلمة " أنلزمكموها " تصور جو الاكراه بادمج كل هذه الضمائر
في النطق وشد بعضها الى بعض كما يد مع الكارهون مع
ما يكرهون ويشدون اليه وهم نافرون ! وهكذا بيد ولون من التناسق
أعلى من البلاغة الظاهرية وأرفع من الفصاحة اللفظية . . . (٢)
والجمال الفني في القرآن ليس في تجسيم الأحداث وتشخيصها
بصورة مركبه أو مفردة فحسب ، ولكنه أيضا في انتقاء المشهد والتقاطه
من الزاوية الجمالية فيه . خذ مثلا لذلك تفسيره لقوله تعالى
" ان الله فالحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت
من الحي ذلكم الله فأني توفكون " (٣) وما بعدها
قال رحمه الله تعالى - " والجمال هو السمة البارزة
هنا الجمال الذي يبلغ حد الروعة الباهرة . . . المشاهد
منتقاة وملتقطة من الزاوية الجمالية والعبارات كذلك في بنائها
اللفظي الايقاعي ، وفي دلالتها والمدلولات ايضا - على كل ما
تزخر به الحقيقة الاصيلية في هذه العقيدة - تتناول هذه الحقيقة
من الزاوية الجمالية . . . فتبد والحقيقة ذاتها وكأنما تتلاءم في
بهاء ! " (٤)

(١) سورة هود : ٢٨

(٢) في ظلال القرآن : ج٤ ص ١٨٧٣ (الهامش)

(٣) سورة الانعام : ٩٥

(٤) في ظلال القرآن : ج٢ ص ١١٥٢

مشاهد وقوالب للجمال الفني صاغها سيد قطب رحمه الله تعالى
فجاءت شاهدة وأي شاهدة على سمو المعاني وبلاغة التعبير
ومهارة التصوير ودقة الألفاظ - رحمه الله رحمه واسعه ونفع بعلمه

الأساس الخامس : استحياء النص دون مقررات سابقة : =

ولا يقصد - ولا نقصد - بالمقررات السابقة السنة النبوية أو علوم
القرآن الكريم أو اللغة ونحو ذلك مما لا بد من توفره عند المفسر قبل
مزاولته التفسير وإنما يقصد بها رواسب الثقافات التي لا تستقي
من القرآن ذاته وقد وضع - رحمه الله تعالى - ذلك بما لا يحتاج إلى
بيان حيث قال : " ومنهجنا في استلهاام القرآن الكريم " إلا نواجهه
بمقررات سابقة اطلاقا . لا مقررات عقلية ولا مقررات شعورية
ومن رواسب الثقافات التي لم نستقها من القرآن ذاته - نحاكم اليها
نصوصه أو نستلهم معاني هذه النصوص وفق تلك المقررات السابقة . لقد
جاء النص القرآني - ابتداءً لينشئ المقررات الصحيحة التي يريد الله
أن تقوم عليها تصورات البشر ، وأن تقوم عليها حياتهم وأقل ما يستحقه
هذا التفضل من العلي الكبير وهذه الرعاية من الله ذي الجلال - وهو
الغني عن العالمين - أن يتلقوها وقد فرغوا لها قلوبهم وعقولهم - من
كل غبش وخيل ، ليقوم تصورهم الجديد نظيفا من كل رواسب الجاهيليات
- قد يمها وحد يثها على السواء مستمدا من تعليم الله وحده لا من
ظنون البشر، التي لا تغني من الحق شيئا

ليس هناك اذن مقررات سابقة تحاكم اليها كتاب تعالى انما
نحن نستمد مقرراتنا من هذا الكتاب ابتداءً . ونقيم على هذه المقررات
تصوراتنا ومقرراتنا وهذا - وحده - هو المنهج الصحيح في مواجهة
القرآن الكريم وفي استلهاامه خصائص التصور الاسلامي ومقوماته " (1)

(1) خصائص التصور الاسلامي ومقوماته : سيد قطب ص ١٤ - ١٥

ولذلك فانه رحمه الله تعالى ينكر على أولئك الذين يحسبون أن بعض أخبار القرآن وقصصه تمثيل وتخيل وعزا هذا الى أنهم يجيئون الى القرآن بتصورات مقررة سابقة في أذهانهم أخذوها من مصادر أخرى غير القرآن ثم يحاولون أن يفسروا القرآن وفق تلك التصورات السابقة المقررة في أذهانهم من قبل ومن ثم يرون الملائكة تمثيلا لقوة الخير والطاعة والشیاطين تمثيلا لقوة الشر والمعصية والرجوم تمثيلا للحفظ والصيانة . . الخ لأن في مقرراتهم السابقة- قبل ان يواجهوا القرآن أن هذه المسميات : الملائكة والشیاطين أو الجن لا يمكن أن يكون لها وجود مجسم على هذا النحو وأن تكون لها هذه التحركات الحسية والتأثيرات الواقعية من أين جاءوا بهذا ؟ من أين جاءوا بهذه المقررات التي يحاكمون اليها نصوص القرآن والحديث ؟ (١)

ثم بين رحمه الله تعالى الطريق الأمثل لفهم القرآن وتفسيره فقال " ان الطريق الأمثل في فهم القرآن وتفسيره وفي التصور الاسلامي وتكوينه أن ينفذ الانسان من ذهنه كل تصور سابق وأن يواجه القرآن بغير مقررات تصورية أو عقلية أو شعورية سابقة وأن يبنى مقرراته كلها حسب ما يصور القرآن والحديث حقائق هذا الوجود ومن ثم لا يحاكم القرآن الحديث لغير القرآن ولا ينفي شيئا يثبت القرآن ولا يؤوله ! ولا يثبت شيئا ينفيه القرآن أو يبطله

(١) في ظلال القرآن : ج ٦ ص ٣٧٣٠

وما عدا الميث والمفني في القرآن فله أن يقول فيه ما يهديه
اليه عقله وتجربته" (١)

وقد اعترف رحمه الله تعالى بأنه قد وقع في هذا الذي
يحذر الآن منه فيقول : " وما أبرئ نفسي أنى فيما سبق
من مؤلفاتي وفي الأجزاء الأولى من هذه الظلال قد انسقت
الشيء من هذا وأرجو أن أداركه في الطبعة
التالية اذا وفق الله وما أقرره هنا هو ما اعتقده الحق
بهداية من الله " (١)

وأكد رحمه الله تعالى على هذا الأساس حين جعله قاعدة
مأمونة في مواجهة النصوص القرآنية حيث يقول " ان هنالك قاعدة
مأمونة في مواجهة النصوص القرآنية انه لا يجوز لنا
أن نواجه النصوص القرآنية بمقررات عقلية سابقة . لا مقررات عامة
ولا مقررات في الموضوع الذي تعالجه النصوص . بل ينبغي
أن نواجه هذه النصوص لتلقى منها مقرراتنا . فمنها نتلقى
مقرراتنا الايمانية ومنها نكوّن قواعد منطقنا وتصوراتنا جميعا
فاذا قررت لنا أمرا فهو المقرر كما قررتة ! ذلك أن ما نسميه
(العقل) ونريد أن نحاكم اليه مقررات القرآن عن الأحداث الكونية
والتاريخية والانسانية والغيبية هو افراز واقعنا البشرى المحدود
وتجارينا البشرية المحدودة " (٢)

وتصوروا مهني - أيها الأحبه - رجلا كسيد قطب ، قضى روحا
من حياته في طلب العلم والتحصيل حتى جمع حصيلة علمية وفكرية

(١) في ظلال القرآن : ج ٦ ص ٣٧٣١

(٢) في ظلال القرآن : ج ٦ ص ٣٩٧٩

أطوار شتى من التعدد والتثنية للآلهة . ومن تأليه القوى الطبيعية وتأليه الأرواح وتأليه الشمس والكواكب
التي آخر ما تخبط فيه هذه " البحوث " التي تقوم ابتداءً على منهج موجه بعوامل تاريخية ونفسية وسياسية معينة ، يهدف إلى تحطيم قاعدة الأديان السماوية والوحى الإلهي والرسالات من عند الله وإثبات أن الأديان من صنع البشر ، وأنها من ثم تطورت بتطور الفكر البشري على مدار الزمان !

ويتزلق بعض من يكتبون عن الاسلام مدافعين فيتابعون تلك النظريات التي يقررها الباحثون في تاريخ الأديان - وفق ذلك المنهج الموجه - من حيث لا يشعرون ! وبينما هم يدافعون عن الاسلام متحمسين يحطمون أصل الاعتقاد الاسلامي الذي يقرره القرآن الكريم في وضوح حاسم . حين يقرر أن آدم - عليه السلام - هبط إلى الأرض بعقيدة الاسلام وأن نوحا - عليه السلام - واجه ذراري آدم الذين اجتالهم الشيطان عن الاسلام إلى الجاهلية الوثنية بذلك الاسلام نفسه . . . القائم على التوحيد المطلق . . . وأن الدورة تجددت بعد نوح فخرج الناس من الاسلام إلى الجاهلية ، وأن الرسل جميعاً أرسلوا بعد ذلك بالاسلام . . . القائم على التوحيد المطلق . وأنه لم يكن قط تطور في العقيدة السماوية في أصل الاعتقاد - وإنما كان الترقى والتركيب و التوسيع في الشرائع المصاحبة للعقيدة الواحدة - وأن ملاحظه ذلك التطور في العقائد الجاهلية لا يدل على أن الناس صاروا إلى التوحيد بناءً على تطور في أصل العقيدة . إنما يدل على أن عقيدة التوحيد على يد كل رسول كانت تترك رواسب في الاجيال التالية - حتى بعد انحراف الأجيال عنها - ترقى عقائد هم

الجاهلية ذاتها ، حتى تصير أقرب الى أصل التوحيد الرباني
أما عقيدة التوحيد في أصلها فهي أقدم في تاريخ البشرية
من العقائد الوثنية جميعا ! وقد وجدت هكذا كاملة
منذ وجدت ، لأنها ليست نابعة من أفكار البشر ومعلوماتهم
المتفرقة ، إنما هي آتية لهم من عند الله سبحانه وتعالى
فهي حق منذ اللحظة الأولى ، وهي كاملة منذ اللحظة الأولى .

هذا ما يقرره القرآن الكريم ، ويقوم عليه التصور الاسلامي - فلا
مجال - اذن - لباحث مسلم - وبخاصة اذا كان بدافس -
عن الاسلام ! - أن يعدل عن هذا الذي يقرره القرآن الكريم - في
وضوح حاسم ، الى شيء مما تخبط فيه نظريات علم الأديان المقارن -
تلك النظريات النابعة من منهج موجه كما أسلفنا ! (١)

ولأنه - رحمه الله تعالى - يسير على ما يقرره القرآن وما يوحى
به النص اليه فانه يجهر به ويعلنه لأنه ما من انسان
يعرف شيئا من الأدب يملك أن يقول : أنه يرى خيرا مما يرى الله -
ويعلن رحمه الله تعالى منهجه - إنما أنا أسير مع نص القرآن
وروحه فأجرح الى ذلك الرأي باحياء النص واتجاهه (٢)
وكفى به منهجا سليما ومعينا نقيًا

الأساس السادس :: الوحدة الموضوعية

جرى سيد و قطب رحمه الله تعالى على أن يقسم السورة الواحدة
الى مجموعات من الآيات يتناول كل مجموعته منها بدرس مستقل وللم

(١) في ظلال القرآن : ج ٤ ص ١٨٨٢ - ١٨٨٣

(٢) علوم القرآن : الدكتور عدنان زرزور ص ٤٢١

ينقص هذا من منزلة الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم بل اهتم
بها اهتماما واضحا في شتى جوانبها وأشكالها حتى
عدّ الدكتور عدنان زرزور " أول مفسر قري تاريخ القرآن الكريم
أبرز الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية المفردة طالت أم قصرت !
أبرزه بشكل عملي مكتوب أو طبقه أروع تطبيق وأعمقه في كتابه العظيم رحمه الله
والذين سبقوا سيدا من المفسرين منهم لم يلاحظها ولم يسلم بوجودها ومنهم
من ذهب الى القول بها ولكنه عجز عن ملاحظتها وتقديرها فيما كتبه للناس من
تفسير لكتاب الله تعالى ثم جاء سيد ليؤكد على هذه الوحدة المحورية
في السورة الواحدة وليضع أيدينا بعد ذلك برفق وسهولة
ولين على وجه الانتقال من موضوع الى موضوع " (١)

ونستطيع أن نستخلص الاقسام التالية للوحدة الموضوعية كما عرضها
سيد قطب رحمه الله تعالى :- (٢)

- ١ - التناسب بين السورة والسورة التالية لها
 - ٢ - التناسب بين دروس السورة الواحدة حسب تقسيماته رحمه
- الله تعالى
- ٣ - التناسب بين مقاطع الدرس الواحد من السورة
 - ٤ - التناسب بين آيات المقطع الواحد
 - ٥ - التناسب بين كلمات الآية الواحدة والجمل فيها .

تلك الأقسام ما هي الا معالم لوجوده الوحدة الموضوعية في تفسير

سيد قطب رحمه الله تعالى

(١) علوم القرآن الدكتور عدنان زرزور ص ٤٣١

(٢) انظر في ظلال القرآن دراسة وتقويم صلاح عبد الفتاح ص ٣٩٦

ويظهر هذا في الطريقة التي سلكها - رحمه الله -
تعالى - في التفسير فقد قدم لكل سورة بمقدمة يدرس فيها
آيات السورة كلها دراسة عامة يظهر فيها المحور الموضوعي
الذي يدور عليه الآيات والهدف الذي تسعى لتقريره وملامح
السورة وصورها وظلالها ومنهجها ، حتى يوقفك على
سورة ذات شخصية متميزة ووحدة موضوعية متناسقة فكل سورة - كما يقول -
من سور القرآن ذات شخصية متفردة وذات ملامح متميزة وذات منهج خاص
وذات أسلوب معين وذات مجال متخصص في علاج هذا الموضوع
الواحد . وهذه القضية الكبيرة انها كلها تتجمع على
الموضوع والغاية ثم تأخذ بعد ذلك سماتها المستقلة ، وطرائقها
المتتميزة ومجالها المتخصص في علاج هذا الموضوع وتحقيق
هذه الغاية . ان الشأن في سور القرآن - من هذه الوجهة
كالشأن في نماذج البشر التي جعلها الله متميزة كلهم
انسان ، وكلهم له خصائص الانسانية وكلهم له التكوين العضوي
والوظيفي الانساني ولكنهم بعد ذلك نماذج متنوعة
أشد التنوع نماذج فيها الأشباه القريبة الملامح ، وفيها الأغيار
التي لا تجمعها الا الخصائص الانسانية العامة ! (1)

خذ مثلا للوحدة الموضوعية في السورة القرآنية
الوحدة لي سورة البقرة . . . فهذه السورة تضم عدة موضوعات
ولكن المحور الذي يجمعها كلها محور واحد مزدوج يترابط الخطان
الرئيسيان فيه ترابطا شديدا . . . فهي من ناحية تدور حول موقف

(1) في ظلال القرآن : ج ٣ ص ١٢٤٣

بنى اسرائيل من الدعوة الاسلامية في المدينة ، و هي من
الناحية الأخرى تدور حول موقف الجماعة المسلمة في أول نشأتها . . . (١)
ثم بين رحمه الله تعالى مدى الارتباط بين محور السورة وموضوعاتها
من جهة ، وبين خط سير الدعوة أول العهد بالمدينة ، و حياة الجماعة
المسلمة و ملابساتها من جهة أخرى بالقاء الضوء على
مجمل هذه الملابس التي ظلت الدعوة الاسلامية وأصحابها يواجهونها
- مع اختلاف يسير - على مرّ العصور وكرّ الدهور - من أعدائها
و أوليائها على السواء وقال في ختام هذا البيان
ومن ثم يتناسق البدء والختام . وتتجمع موضوعات السورة بين صفتين
من صفات المؤمن وخصائص الايمان " (٢)

وأحيانا يوضح رحمه الله تعالى الوحدة الموضوعية في
جزء كامل من القرآن ، فيقول مثلا عن جزء عم " هذا الجزء كله
ذو طابع غالب . . . سورة مكية فيما عدا سورتي " البينه " و " النصر "
وكلها من قصار السور على تفاوت في القصر ، والأهم من هذا
هو طابعها الخاص الذي يجعلها وحدة - على وجه التقريب - في
موضوعها واتجاهها ، وإيقاعها ، وصورها وظلالها
وأسلوبها العام

الى أن قال " وفي الجزء كله تركيز على النشأة الأولى للانسان والأحياء
الأخرى في هذه الأرض من نبات وحيوان . وعلى مشاهد هذا الكون
وآياته في كتابه المفتوح وعلى مشاهد القيامة العنيفة الطامة الصاخة
القارعة الغاشية ومشاهد الحساب والجزاء من نعيم وعذاب في صور تقعر

(١) في ظلال القرآن : ج ١ ص ٢٨
(٢) انظر في ظلال القرآن : ج ١ ص ٢٨ - ٣٥

وتذهل وتزلزل كمشاهد القيامة الكونية في ضخامتها وهولها
واتخاذها جميعاً دلائل على الخلق والتدبير والنشأة
الأخرى وموازينها الحاسمة . مع التقريع بها والتخويف والتحذير
... وأحياناً تصاحبها صور من مصارع الغابرين من المكذبيين
والأمثلة على هذا هي الجزء كله " (١)

وأحياناً يوضح رحمه الله تعالى الوحدة الموضوعية
بين دروس من السورة مرة وبينها وبين السورة كلها مرة أخرى . فقد
تحدث عن ثلاثة دروس في سورة البقرة يحوى أولها الآيات
من ٢٥٣ الى ٢٥٧ والثاني من ٢٥٨ الى ٢٦٠ والثالث
من ٢٦١ الى ٢٧٤ ثم قال عن هذه الدروس الثلاثة : " كانت الدروس
الثلاثة الماضية في هذا الجزء تدور - في جملتها - حول انشاء
بعض قواعد التصور الايماني وايضاح هذا التصور ، وتعميق جذوره
في نواح شتى . وكان هذا محطاتي خط السورة الطويلة ، التي
تعالج - كما أسلفنا - اعداد الجماعة المسلمة للنهوض بتكاليف
دورها في قيادة البشرية

وربط الآيات من ٦٥ الى ٩٢ بسورتها آل عمران فقال هذا
الشوط من السورة ما يزال يجري مع الخط الأول الأساسي العريض
فيها خط المعركة بين أهل الكتاب والجماعة المسلمة معركة
العقيدة" (٢)

وقسم سورة الرعد الى شطرين ينتهي الأول منهما بالآية
١٨ ثم ربط بين الشطرين بقوله " بعد المشاهد الهائلة في آفاق
الكون وفي أعماق الغيب وفي أغوار النفس التي أستعرضها شطر

(١) في ظلال القرآن : ج٦ ص ٣٨٠٠ - ٣٨٠١

(٢) في ظلال القرآن : ج١ ص ٣٠٤

السورة الأولى ، يأخذ الشطر الثاني في لمسات وجدانية وعقلية وتصويرية دقيقة رفيقة حول قضية الوحي والرسالة وقضية التوحيد والشركاء ومسألة طلب الآيات واستعجال تأويل الوعيد . . . وهي جولة جديدة حول تلك القضايا في السورة " (١)

وسيد قطب رحمه الله تعالى - حريص على بيان الوحدة الموضوعية والربط بين الآيات والسور في كل موضع ولهذا ترى هذا اللون في تفسيره كثيرا كثيرا ، حتى تلك المواقف التي لا يتضح لذهنه موضع وحدتها ومصدر ربطها لا يتغافل عنه أو يدعي علما به فينمق العبارات التي يحاول أن يستبر بها عجزه بل يعترف رحمه الله تعالى بعجزه عن ادراكه ويطلب من القراء أن يرشدوه إلى مباحثه وأن يعلوه ما جهل

فقد وقف - رحمه الله تعالى - طويلا عند بيان مناسبة قوله تعالى " حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين " (٢) قبلها من الآيات التي تحدث عن بعض أحكام الأسرة في الإسلام كالزواج والمعاشرة والايلاء والطلاق والخلع والعدة والنفقة والمتعة والرضاعة والحضانة لم يدرك المناسبة حين كتب التفسير لأول مرة وفي الطبعة الأولى ولما وفقه الله إلى ذلك في الطبعات التالية كان يذكر عجزه ذاك ويحمد الله أن هداه لهذا فيقول معلقا :-

" كنت قد عييت فتره عن ادراك سر هذا السياق القرآني العجيب وقلت في الطبعة الأولى لهذا الجزء وفي الطبعة المكملة للأولى : أشهد أنني وقفت أمام هذه النقلة طويلا لا يفتح عيني في سرها ولا أريد أن أتمحل لها ، ولا أقنع كل القناعة بما جاء في بعض التفاسير عنها وقلت : " ولكنني - كما قلت

(١) في ظلال القرآن : ج٤ ص ٢٠٥٦

(٢) سورة البقرة : ٢٣٨

مخلصا - لا أستريح الراحة الكافية لما اهتديت اليه . فاذا
هديت الى شيء آخر فسأبينه في الطبعة التالية
وإذا هدى الله أحدا من القراء فليفضل مشكورا بما هداه الله
فالآن أطمئن الى هذا الفتح وأجد فيه الطريق
والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا
الله" (١)

انه بهذا مثال العالم المسلم الذي لا يقول فيما لا يعلم
ويسأل اذا جهل ويحمد الله اذا علم

وإذا عجز عن بيان ذلك في موضع حتى ولو لم يكن في
الظلال غيره فانه يصرح بقوله " وأنا ، اللحظة لا أجد في هذا
القول ما يريح أيضا . . . ولكنه لم يفتح عليّ بشيء آخر"
ولا ينسى وهو الموءمن الاستعانة بالله في مثل هذا الموضوع
فيقول " والله المستعان " (٢)

نعم يصرح بلم يفتح عليّ بشيء وقد صرح بها من قبله مالك
رحمه الله تعالى فقال لا أدري فما زادتة الا سماوا في
القلوب وما نقصته الا علوا في العلم !! وذهبت تلکم الكلمة
مشعل نور في دياجير ^{الرحمن} تحكي الورع الصادق عند علماء المسلمين .

وإذا كانت تلکم هي المرة الوحيدة التي لم يستطع فيها سيد
قطب رحمه الله تعالى بيان المناسبة بينها وبين الآيات
التي قبلها فان هذا يدل على توفيق الله تعالى له ببيان
المناسبة في كل المواضع الأخرى و يدل أيضا على عنايته
رحمه الله تعالى بالوحدة الموضوعية في القرآن الكريم

(١) في ظلال القرآن : ج ١ ص ٢٣٨

(٢) في ظلال القرآن : ج ٢ ص ٩٧٩

الاساس السابع : ترك الاطناب عما أبهم في القرآن الكريم

وما الذى يتصور غير ذلك من رجل يدخل التفسير دون مقررات

سابقة الا ما قرره الكتاب والسنة

فاذا كان القرآن نفسه أوجز الحديث عن أمر فمن أين يؤتى بدقائق تفصيله من غير سنة الرسول صلى الله عليه وسلم . لهذا فقد أعرض سيد رحمه الله تعالى عن الخوض فيما أبهمه القرآن الكريم ، ولم يرد بيانه فى السنة ، وكان هذا من منهجه

فقال فى تفسيره لقوله تعالى " ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير " (١) :- " وقد جرينا فى هذه الظلال على قاعدة ألا نزيد بشيء فى أمر الغيبات التى يقص الله علينا طرفا من خبرها ، وأن نقف عند حدود النص القرآنى لا نتعداه ، هو كافي بذاته لاثبات ما يعرض له من أمور فنحن نؤمن أن هناك خلقا اسمهم الشياطين ، وردت بعض صفاتهم فى القرآن ، وسبقت الإشارة اليها فى هذه الظلال ، ولا نزيد عليها شيئا ونحن نؤمن أن الله جعل من هذه المصابيح التى تزين السماء الدنيا رجوما للشياطين فى صورة شهب كما جاء فى سورة أخرى " وحفظنا من كل شيطان مارد " (٢) " الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب " (٣) كيف ؟ من أى حجم ؟ فى أى صورة ؟ كل ذلك لم يقل لنا الله عنه شيئا ، وليس

(١) سورة تبارك : ٥

(٢) سورة الصافات : ٧

(٣) سورة الصافات : ١٠

لنا مصدر آخر يجوز استقتاؤه في مثل هذا الشأن فلنعلم هذا وحده ولنوء من بوقوعه . وهذا هو المقصود ولو علم الله أن هناك خير في الزيادة أو الايضاح أو التفصيل لفصل سبحانه فما لنا نحن نحاول ما لم يعلم الله أن فيه خيرا ؟ : في مثل هذا الأمر أمر رجم الشياطين ؟ ! " (١)

و في قوله تعالى حكاية لقول الجن " وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا " (٢) قال : " أما أين يقف ذلك الحرس ؟ ومن هو ؟ وكيف يرمم الشياطين بالشهب ؟ فهذا كله مما لم يقل لنا عنه القرآن ولا الأثر شيئا ، وليس لنا مصدر سواهما نستقي منه عن هذا الغيب شيئا ، ولو علم الله أن في تفصيله خيرا لنا لفعل واذ لم يفعل فمحاولتنا نحن في هذا الاتجاه عبث ولا يضيف الى حياتنا ولا الى معرفتنا المثمرة شيئا ! " (٣)

وليس من الخير أيضا أن نطنب في بيان موقفه هذا وقد أتينا فيه بما يوفقنا على رأيه رحمه الله تعالى

الأساس الثامن : - التحذير من الاسرائيليات

ومثل موقفه ذاك كان موقفه من الاسرائيليات فقد كان رحمه الله تعالى - يرفض ايرادها في التفسير ويحذر منه ويعدّها أساطير لا سند لها صحيح .

(١) في ظلال القرآن : ج ٦ ص ٣٦٣٤

(٢) سورة الجن : ٨

(٣) في ظلال القرآن : ج ٦ ص ٣٧٣٠

وينبغي أن نذكر أن ما يسمى "بالكتاب المقدس" - سواءً - في ذلك العهد القديم "المحتوى على كتب اليهود أو" العهد الجديد "المحتوى على أناجيل النصارى - ليس هو الذى نزل من عند الله . فالتوراة التي أنزلها الله على موسى قد حرقت نسخها الأصلية على البابليين عند سبي اليهود . ولم تعد كتابتها الا بعد قرون عديدة - قبيل ميلاد المسيح بنحو خمسة قرون - وقد كتبها عزرا - وقد يكون هو عزير - وجمع فيها بقايا من التوراة . أما سائرها فهو مجرد تأليف وكذلك الأناجيل فهي جميعا لا تحوى الا ما حفظته ذاكرة تلامذة المسيح وتلاميذهم بعد نحو قرن من وفاة المسيح ^(١) - عليه السلام - ثم خلطت به حكايات كثيرة وأساطير ! ومن ثم لا يجوز أن يطلب عند تلك الكتب جميعها يقين في أمر من الأمور! " ^(٢)

وقال في موضع آخر " . . . ولو قد سلمت التوراة من التحريف والزيادات لكانت مرجعا يعتمد عليه في شيء من تلك الأحداث ولكن التوراه أحييت بالأساطير التي لا شك في كونها أساطير . وشحنت كذلك بالروايات التي لا شك في أنها مزيدة على الأصل الموحى به من الله ، فلم تعد التوراة مصدرا مستيقنا لما ورد فيها من القصص التاريخية واذن فلم يبق الا القرآن الذى حفظ من التحريف والتبديل هو المصدر الوحيد لما ورد فيه من القصص التاريخية " ^(٣)

(١) لا يقصد سيد رحمه الله تعالى بوفاة المسيح عليه السلام موته فقد توقف عن بيان كيفية وفاته وكيفية رفعه لأنه من علم الغيب كما يقول انظر ما قاله عن ذلك ج١ ص ٤٠٣ و ج٢ ص ٨٠١ - ٨٠٣

(٢) في ظلال القرآن : ج٤ ص ١٨٨١

(٣) في ظلال القرآن : ج٤ ص ٢٢٩٠

ولهذا فانك لا تكاد تجد في تفسيره رحمه الله تعالى
رواية اسرائيلية يوليها اهتمامه أو يتلقاها بالقبول بل
كان يعيب على كثير من المفسرين السابقين عنايتهم بها .

الأساس التاسع : - ترك الاختلافات الفقهية

فلم يقلب رحمه الله تعالى كتابه الى كتاب في الفقه
بل كان يحيل في المسائل الفرعية الى كتب الفقه وأنه لا مجال
لايرادها في الظلال .

فقال عن آيات المواريث في سورة النساء مثلا " هذه الآيات
الثلاث تتضمن أصول علم الفرائض - أي علم الميراث - أما التفريعات
فقد جاءت السنة ببعضها نصا ، واجتهد الفقهاء في بقيتها
على هذه الاصول . وليس هنا مجال الدخول في هذه التفريعات
والتطبيقات فمكانها كتب الفقه - فنكتفي - في ظلال القرآن - بتفسير
هذه النصوص والتعقيب على ما تتضمنه من أصول المنهج الاسلامي " (١)
وفي قوله تعالى " حرمت عليكم الميتة والدم الآية " (٢)
أجمل الحديث عن أحكامها ولم يتوسع في بيانه ثم قال
" والتفصيل يطلب في كتب الفقه المختصة " (٣)

وفي قوله تعالى " فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام " (٤) . . .
وقال : " وكون هذه الأيام الثلاثة متتابعة أو غير متتابعة فيه كذلك خلاف

(١) في ظلال القرآن : ج ١ ص ٥٩٠

(٢) سورة المائدة : ٣

(٣) في ظلال القرآن : ج ٢ ص ٨٤٠

(٤) سورة المائدة : ٨٩

عن القرآن وما استطردت الى غير ما يوحيه النص القرآني ذاته
من خاطرة روحية أو اجتماعية أو انسانية . وما أحفل القرآن بهذه
الايحاءات " (١)

ولا يعني هذا بحال من الاحوال أن سيداً غفل الحديث عن
مسائل اللغة والنحو والبلاغة فقد عرض فيه لهذا في عدة مواضع
لكنه يعرض لها ان عرض للاستدلال على معانى الآيات وما تحويها
من اشارات ولم يعرض لها كهدف وغاية بدليل أنه يورد عند وقفات
النحوية أو اللغوية أو البلاغية سر ورود الآية بهذا التركيب
البلاغي أو الصيغة النحوية

وخذ مثلاً ذلك تفسيره لقوله تعالى " عن ابني آدم عليه
السلام : - " واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قريا قربانا
فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال انما
يتقبل الله من المتقين " (٢) فقد وقف رحمه الله تعالى عند كلمة
" فتقبل " فقال : - " والفعل مبني للمجهول ليشير بناؤه هكذا الى

أن أمر القبول أو عدمه موكول الى قوة غيبية والى كيفية غيبية وهذه الصياغة تفيدنا
أمرين : الأول ألا نبحث عن كيفية هذا التقبل ولا نخوض فيه كما خاضت
كتب التفسير في روايات نرجح أنها مأخوذة عن أساطير " العهد
القديم " والثاني : الايحاء بأن الذى قبل قرباناً
لاجريرة له توجب الحفيظة عليه وتبييت قتله ، فالأمر لم يكن له يد فيه ، وانما
تولته قوة غيبية بكيفية غيبية ، تعلو على ادراك كليهما وعلى مشيئة

(١) فى ظلال القرآن : ج ١ ص ٦ الطبعة الاولى

(٢) سورة المائدة : ٢٧

فما كان هناك مبرر ليحرق الأخ على أخيه ، وليجيش خاطر القتل في نفسه" (١)

بهذا الأسلوب كان يعرض سيد رحمه الله تعالى للمسائل اللغوية يجعلها وسيلة لا غاية ولا يقف عندها الا بمقدار دلالتها على ما في الآية لا ما فيها مما هو خارج عن استعمال الآية

الاساس الحادى عشر : رفض التفسير العلمي

وعمداً آخرت هذا الأساس في منهجه لعل القارىء يستخرج منه بنفسه من استقراء الاسس السابقة

ما الذى تتوقعه من رجل يستوحى النص دون مقررات سابقة ويقف حيث يقف النص ويعرض عن الاطناب فيما أبهمه القرآن ويحذر من الاسرائيليات ويترك الخوض في الاختلافات الفقيهية ويجتنب الاغراق في المسائل اللغوية يفعل كل هذا محافظة على الوقوف عند مدلول النص وعند ما يقرره النص

من يستقرئ هذه الأسس عند سيد قطب رحمه الله تعالى يظهر له أن سيدا سيرفض التفسير العلمى

ولهذا فقد اعتبرته من الراضين للتفسير العلمى وأوردت نصوصاً مطوله من تفسيره رحمه الله تعالى في الفصل الثالث من الباب الثانى من هذه الدراسة

وبينت هناك أيضاً لم اعتبرته من الراضين اذافه الى هذا السبب الذى ذكرته هنا ولا أرى ثمرة لإعادة ما قلته هناك فانظر إليه فى محله .

(١) فى ظلال القرآن : ج ٢ ص ٨٧٥

هذه فيما أرى أهم الاسس التي يقوم عليها منهج سيد قطب رحمه الله تعالى في تفسيره " في ظلال القرآن " ولا أنكر أن هناك من الأسس ما يعد وجهاً آخر أو مماثلاً لما ذكرته من الأسس ولكني رأيت أن أدمج ما تماثل منها وحسبت أني لو أفردت كل واحد منها مستقلاً عن الآخر لعد هذا عليّ اطناباً مملاً وتفريقاً مخرلاً رأيت أن الافضل تحاشيه والبعد عنه

ملاحظات على هذا التفسير:

جل من لا عيب فيه وعلا ، ما كتب أحد من البشر كتاباً الا وبدأ فيه موضع نقص وموضع عيب ، ولو أعاد بنفسه النظر فيما كتب لوجد من ذلك شيئاً منها ما يعرف عذره فيسه ومنها ما لا يرى فيه عذراً

كتب سيد قطب رحمه الله تعالى تفسيره وطبعه الطبعة الاولى ولما أعاد النظر فيه كادت التعديلات أن تكون تفسيراً جديداً وجاءت بأكثر من ضعف حجم الكتاب أولاً

ولا شك أن لا ندعي عصمة لسيد قطب رحمه الله تعالى ولا لتفسيره ولكن هذا لا يبرر لنا أن ننفي بأفواهنا في هفواته الصغيرة حتى تبد وكبيرة فليست هذه من شيم المؤمنين وليست من أخلاقهم والله سبحانه وتعالى جعل للميزان كفتين كفه للحسنات وكفة للسيئات ويخطيء منا نحن البشر من لا يجعل للناس الا كفة واحدة يزن بها أعمالهم فانه حينئذ لن يصل الى الوزن الحق ، ويخطيء من ينظر الى كفة الحسنات وقد ثقلت وينظر الى كفة السيئات وقد خفت فيزم بالثانية ولا يحمد بالأولى أو ليست الحسنات يذهبن السيئات اذا فما باله كذلك

ولقد أشرت الى بعض محاسن تفسير سيد قطب رحمه الله
تعالى و أبرزت وجهها الناصع و ما لم أذكر أكثر مما ذكرت
ومن الحق أن أشير اشارة سريعة الى بعض المآخذ التي أخذت
على سيد قطب رحمه الله تعالى في تفسيره وكان حقها أن تهمل
ولا تذكر تطمسها محاسن تفسيره ومزاياه الكبرى كالشمس
تطلع فتخفي النجم . ولكننا ننظر بعين من يقول هذا ويقول ذاك
التماسا للحق

ففي التفسير بالمأثور نرى سيد قطب رحمه الله يولييه اهتماما
ويورد كثيرا من الأحاديث في تفسيره لكنه أحيانا يورد تفسيره خاليا
من أحاديث صريحة صحيحة وأحيانا يورد بعض الأحاديث الضعيفة
من غير بيان درجتها وينسبها أحيانا لغير كتب الرواية

ولتعلقه رحمه الله تعالى بالأسلوب الأدبي فقد كان - غفر الله
لنا وله - يقع أحيانا في أساليب أدبية بحثه لم تهذبها العقيدة
الصحيحة ولعل مرد ذلك أن ثقافة سيد رحمه الله تعالى كانت في
أولها ثقافة أدبية تحول بعدها الى الدراسة الشرعية وراح يستدرك
بالأخيرة ما أوقفه فيه الأولى وفات عليه في استدراكه هذا
عبارات ومنها قوله عن توكل المؤمن على ربه واطمئنا نه الى موقفه
وطريقه " انها كلمة المطمئن الى موقفه وطريقه . الماليء يديه من وليه
وناصره " (١) ومنها وصفه للبشرية بأنها " لن تجد السعادة
الاحين ترد الفطرة البشرية الى صانعها الكبير كما ترد الجهاز
الزهيد الى صانعه الصغير " (٢) ومنها وصفه للصلة بين العبد وربّه

(١) في ظلال القرآن : ج٤ ص ٢٠٩١

(٢) في ظلال القرآن : ج١ ص ١٥

" حين يرفع الله عباده الذين يؤثرونه ويحبونه الى مرتبة يتخرج القلم من وصفها لولا أن فضل الله وجود بها مرتبة الصداقة
الصداقة بين الرب والعبد . . . " (١) !! ونحو ذلك من العبارات التي لا نرتضيها ولا نظنه رحمه الله تعالى وغفر لنا وله الا وقد كتبها اثناء تأثره بالثقافة الأدبية وقبل أن تصقل فكرة الدراسة الشرعية وفات عليه استدراكها بعد ذلك

ومن الملاحظات ايضا تحديده وقت الامساك للصائم في قوله تعالى " كلوا وأشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر " (٢) بأنه قبل طلوع الشمس بقليل واننا نمسك الآن وفق المواعيد المعروفة في قطرنا هذا قبل أوان الامساك الشرعي ببعض الوقت ربما زيادة في الاحتياط " (٣) وهذا القول لم يقل به أحد من قبله

ومن الملاحظات ايضا أن التزامه لمنهج الواقعية في التفسير - كما أشرت اليه - قد أوقعه في موقف من الفقه غير سليم ففسي تفسيره مثلا لقوله تعالى " وأعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه
الآية " (٤) قال رحمه الله تعالى " ان موضوع الغنائم بجملة ما ليس واقعا اسلاميا يواجهنا اليوم أصلا فنحن اليوم لسنا امام قضية واقعة ، لسنا أمام دولة مسلمة وامامة مسلمة و أمة مسلمة تجاهد في سبيل الله ثم تقع لها غنائم تحتاج الى التصرف فيها . . .
. . . ليس هناك قضية غنائم ، لأنه ليس هناك قضية جهاد
والمنهج الاسلامي منهج واقعي ، لا يشتغل بقضايا ليست قائمة

(١) في ظلال القرآن : ج ٦ ص ٣٨٧٥

(٢) سورة البقرة : ١٨٧

(٣) في ظلال القرآن : ج ١ ص ١٧٥

(٤) سورة الانفال : ٤١

بالفعل ، ومن ثم لا يشتغل أصلاً بأحكام تتعلق بهذه القضايا التي لا وجود لها من ناحية الواقع ! انه منهج أكثر جدية وواقعية من أن يشتغل بالأحكام ! هذا ليس منهج هذا الدين ————— هذا منهج الفارغين الذين ينفقون أوقات الفراغ في البحوث النظرية وفي الأحكام الفقهية ، حيث لا مقابل لها من الواقع أصلاً بدلاً من أن ينفقوا هذه الجهود في إعادة انشاء المجتمع المسلم من أجل هذا الإدراك لجدية المنهج الحي الواقعي الحركي لهذا الدين لا تدخل هنا في تلك التفصيلات الفقهية الخاصة بالأنفال والغنائم حتى يحين وقتها عندما يشاء الله وينشأ المجتمع الاسلامي ، ويواجهه حالة جهاد فعلي ، تنشأ عنه غنائم تحتاج الى أحكام " (١)

وينبغي أن أبين أنه لا يريد بالفقه هنا كل الفقه بدليل أنه عرض لكثير من مسائل - وان كان في ايجاز - وانما يريد به المسائل الفقهية التي لا وجود لها في واقع المسلمين المعاصر .

ثم ان هذه المسائل التي عاب الخوض فيها لم يطلب الغاؤها وانما تأجيل الحديث عنها الى أن توجد الحاجة لها في أرض الواقع

وقد ظنه بعض الناس - لأجل هذا - ومنهم مغرض ينطوي على كيد ومكر ومنهم غيور على الحق لم يستوعب الأمر من أطرفه . ظن هو - أن سيد رحمه الله تعالى يسعى للقضاء على الفقه والى اهدار الجهود الكبيرة التي بذلها الفقهاء على مدار القرون .

(١) في ظلال القرآن : ج ٣ ص ١٥١٨ - ١٥١٩ باختصار

وعلى كل حال نحن لا نبريء سيد قطب رحمه الله تعالى ولكننا
لا نؤيد أولئك الذين نفخوا في زلته حتى بدت كالجبال

ونلتمس له عذرا بأن كلامه هذا صدر عن انفعال وحماس وتأثر
وأنه نفثه مصدر وزفرة مكلوم^(١) اطلع على واقع العالم
الاسلامي من زاوية لم ينظر منها أولئك فقال ما قال ، وكان
الأولى أن لا تصدر عنه مثل هذه العبارات أما وقد صدرت فانا
ندعو لنا وله بالرحمة والمغفرة ونلتمس له عذرا مادام لم يقل كفرا

ومن ناحية منهجية فانا نلاحظ على سيد قطب رحمه الله
تعالى الاستطراد في أبحاث لا رابطة قوية لها بالآية التي يفسرها
وكأنه رحمه الله تعالى - يلتمس منفذا ينفذ منه التي تشخيص
داء العالم الاسلامي المعاصر واطهار علاجه وكأنه يخشى أن يهرب
منه المريض قبل أن يسمع منه علاجه فلا يترك سائحة الا ويشحنها بكل
ما في نفسه من علاج حتى وان كان ايرادها في غير موضعها
تماما وحتى ان كان استطرادا وترتب على هذا ايضا أمر آخر
هو التكرار واعادة الحديث مرارا ونحسب سببها واحدا

ولعل سبب هذه الأخطاء جملة من سيد قطب رحمه الله تعالى
ما أشرت اليه آنفا أن الرجل كان أدبي الثقافة واتجه الى تفسير القرآن
الكريم من هذا المنطلق ومن هذا الواقع فكان في تفسيره ما كان
ومر حين اتجه رحمه الله الى استدراك ما فاته فسعى للدراسات الشرعية
وانطلق من واقعها الى تنقيح ما كتب وتقويم ما اعوج فكان له ذلك في
اكثره وبقي أقله وهو القليل لا يزال بحاجة الى هذا التنقيح لكنه لقلته
لا يكاد يذكر بجانب محاسنه . وغفر الله لنا وله انه سميع مجيب .

(١) في ظلال القرآن (دراسة وتقويم) صلاح عبد الفتاح د حبور ج ٢ ص ٣٧ - ١٠

الباب الخامس
الاتجاهات المعرفية

الفصل الأول

النهج الإلهادي في تفسير
القرآن الكريم

أعاذنا الله وإياكم منه - الإلحاد في اللغة الميل عن القصد
وألحد في الدين أي حاد عنه .^(١) ويخطئ بعض الناس فلا يكاد
يُذكر عنده الإلحاد إلا ويتبادر إلى ذهنه الكفر ، والحق - فيما
يظهر لي - أن بين الكفر والالحد خصوص وعموم فالإلحاد أعم من
الكفر إذ كل كفر إلحاد وليس كل إلحاد كفر .

فالتفسير الخاطيء لآية من آيات القرآن الكريم بحيث لا يخالف
معلوما من الدين بالضرورة ولا يهدم جانبا من جوانبه ينطبق عليه
وصف الميل والانحراف فيسمى لغة إلحادا لإلحاده وميله وإنحرافه
عن الصواب والحق في التفسير .

أما التفسير الذي يؤدي إلى إنكار أصل من أصول الدين
وصرفه إلى معان لا تدل عليها لغة ولا دين بل الدين ينكرها
ويرفضها فإن هذا يسمى مع الإلحاد كفرا لأنه ليس إلحادا عن
الصواب فحسب بل هو إنحراف عن الدين أيضا .

ومن هنا فإنه يجب التفريق بين التفسير الملحد والتفسير
الكافر .

وتاريخ الإلحاد والملحدين - أعاذنا الله وإياكم منه ومنهم -
تاريخ طويل ليس من شأني تتبعه ولا الحديث عنه إلا بقدر ما له
من علاقة بموضع حديثنا هنا .

وقد اطلعت على مقال كتبه الأستاذ محمد فريد وجدي عن
الإلحاد في العصر الحديث وقد جاء هذا في مقال عنونه بـ "مذهب
القرآن في المتشابهات" أوجز فيه تاريخ الالحد المعاصر، وحديثه

(١) انظر لسان العرب مادة لحد ج ٣ ص ٣٨٨-٣٨٩

هذا حديث العارف المطلع . ولذا أقتصر عليه هنا ، قال وهو يتحدث عن النهضة العلمية الحديثة : " في تلك الأثناء ولّد العلم الحديث وما زال يجاهد القوى التي كانت تساوره حتى تغلب عليها فدالت الدولة إليه في الأرض فنظر نظرة في الأديان وسرى عليها أسلوبه (١) فقفز بها جملة الى عالم الميثولوجيا (٢)

ثم أخذ يبحث في اشتقاق أصولها بعضها من بعض واتصال أساطيرها بعضها ببعض فجعل من ذلك مجموعة تُقرأ لا لتقدّس تقدّيسا ، ولكن ليعرف الباحثون منها الصور الذهنية التي كان يَسْتَعْبِدُ الإنسانُ لها نفسه ويقف على صيانتها جهوده غير مدخر في سبيلها روحه وماله .

وقد اتصل الشرق الإسلامي بالغرب منذ أكثر من مائة سنة فأخذ يرتشف من مناهله العلمية ويقتبس من مدنيته المادية ، فوقف فيما وقف عليه على هذه الميثولوجيا ووجد دينه ماثلا فيها ، فلم ينبس بكلمة لأنه يرى الأمر أكبر من أن يحاوله ، ولكنه استبطن الإلحاد وتمسك به متيقنا أنه مصير إخوانه كافة متى وصلوا إلى درجته العلمية وقد نبغ في البلاد الاسلامية كُتَّابٌ وشعراءٌ وقفوا على هذه البحوث العلمية فسحرتهم فأخذوا يهينون الأذهان لقبولها دسا في مقالاتهم وقصائدهم غير مصارحين بها غير أمثالهم تفاديا من أن يُقاطِعوا أو يُنفوا من الأرض" (٣) .

ذلكم ما صرح به الاستاذ محمد فريد وجدي وهو اعتراف خطير يلقي على عاتق العلماء المسلمين خاصة والمثقفين عامة وجوب تمحيص

(١) أي التجربة .
(٢) أي علم الأساطير .
(٣) جريدة الأهرام المصرية في ٣٠ / ٨ / ١٩٣٣ م ص ٣ مقال " مذهب القرآن في المتشابهات " للاستاذ محمد فريد وجدي .

مقالات وقصائد كتاب وشعراء تلك الفترة ، والحذر كل الحذر من الإندفاع ببريق شهرة أو انتشار صيت أو كثرة أتباع .

ولا يخفى أن كل كلمة - كدت أقول كل حرف - من كلمات الأستاذ وجدي المنقولة آنفا بحاجة إلى تعليق وتعليق وإستجلاء لمدلولاتها وكشف لمعانيها ولكن هذا ليس من شأني هنا وحسبي منه أنه يعطي صورة صادقة لنشأة الإلحاد في العصر الحديث، خاصة أنه من شخص مجرب خبير .

وقد عانى العالم الاسلامي في تلك الفترة وما زال يعاني من مستبطني الإلحاد الذين ينشرون إلحادهم على الملأ بإسم البحث العلمي والحرية العلمية .

وظاهرة هي التي تحز في نفس المسلم أكثر من سابقها تلكم أنه ما إعتدى أحد من المنتسبين إلى الاسلام على الاسلام إلا وتبوأ - بعد فترة قصيرة - منصبا كبيرا في الدولة وكأنه مكافأة له على إلحاده - مهما علت الصيحات ضده والإنتقادات والإعتراضات ضد أفكاره وآرائه ، لكن هذه الصيحات لا تلبث أن تهدأ وتسكن يعقبها تولي هذا الملحد ذلكم المنصب ، وكأنني ألمح هناك يداً تدفعه إلى الإلحاد ويدياً أخرى تدفع له الثمن وأيدياً أخرى تدافع عنه وتقاتل لست أزعم أنني الوحيد الذي أدرك هذه الظاهرة ولكنني الأخير فقد صرح بها كثير وتعدد مدركوها فقد كتب توفيق الحكيم مرة عن حادثة لأحد هؤلاء الملحدين فقال " وليست هذه الحركة هي الأولى من نوعها في مصر فقد سبق أن ألف الأستاذ علي عبدالرازق وزير الأوقاف الحالي كتابا عن الاسلام وأصول الحكم فقامت قيامة الأزهر واحتجت هيئة كبار العلماء وفصلته واستقال الوزراء الاحرار

الدستوريون من وزارة زيور باشا احتجاجا على الفصل وأقيل وزير العدل عن منصبه وكان عبدالعزيز فهمي باشا بهذا السبب .

وحدث مرة أخرى أن أَلَّفَ الدكتور طه حسين كتابا عن الشعر الجاهلي شك فيه في بعض المعتقدات فقامت قيامة البرلمان وأراد - مجلس النواب إخراجه من منصبه فهدد عدلي باشا رئيس مجلس الوزراء بالاستقالة حماية للبحث العلمي " (١) .

وشرح الشيخ مصطفى صبري بعبارة أوضح فقال : -

" يقوم الفينة بعد الفينة من سولت له نفسه بالخروج عن الاسلام في ناحية من نواحيه الاعتقادية فيثور احتجاجا عليه فئمة من الغيورين على دينهم ويحميه منهم رجال من الوزراء المستبطنين ما أظهره الخارج وإن لم يحمه حام عاجلا ففي المستقبل القريب أو البعيد ينال الرجل مكافأة خروجه بأضعاف ما كان له من المراكز والمناصب يوم خرج وثار عليه المستنكرون . . .

. . . ويكون هذا المصير غبطة لآخرين فتتكرر المهزلة في أيام أخرى على مسائل أخرى مماثلة " (٢) .

بل أن الاستاذ أمين الخولي يدعو أصحاب تلك الأفكار بالخروج بها ونشرها بين الناس وَيَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ بأن لهم النصر المؤكد حيث يقول " وأحسبني لا أجد في هذا المقام أصوب وأجدي من الحديث في هذه المقدمة عن ذلك الناموس الاجتماعي المُطَرَّد على الأجيال منذ قديم عهد الدنيا بالحياة ليربط صدقُ هذا القانون على قلوب

(١) عن موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين : مصطفى صبري ج ١ ص ٣٠٧-٣٠٨ عن جريدة أخبار اليوم العدد ١٥٥

(٢) موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين : مصطفى صبري ج ١

الذين يكتب الله عليهم اليوم وفي الغد القريب، أو البعيد، والأبعد أن يكونوا حملة فكرة تطويرية ودعوة تجديدية في أي ميدان من ميادين النشاط الانساني فلا يهتنون حين تجتمع الدنيا بكثرتها على محاربتهم ولا يشكون لحظة في النصر مهما تترىص قوى الجهل بهم . . وليعلموا أن هذا النصر المؤكد لا يُنال إلا بثمنه الباهظ الفادح من الصدق والصبر اللذين يلذ معهما الألم ويهون الصعب ويتراءى النور من القلوب في أشد حلقة الظلام ويقوى الايمان حين يستتبع الناس " (١) .

وعلى كل حال فقد كثر ولا حول ولا قوة إلا بالله - الإلحاد والملحدون في جوانب عديدة بدءاً من العقيدة في الله ومروراً - بالعقيدة في الأنبياء واليوم الآخر والقدر وفي أخبار القرآن وقصصه وتأويل آياته وفي السنة وحجيتها وفي الأحكام الشرعية الثابتة وفي السياسة والإجتماع وشتى النواحي وإلى ما لا نهاية . . ويقف المتأمل حائراً متسائلاً عن الدوافع التي جرفتهم إلى تيار الإلحاد ، وتتنازعه الأسباب كل يجره إليه فيستقر قراره على أن أهمها ولا شك : -

١- أولئك القوم الذين يدفعونه إلى الجهر بالفكرة وتبنيها ويعدونه بالدفاع عنه ويمنونه بالمناصب الكبيرة أو غيرها ونحن وإن كنا لا نستطيع أن نعدد أسماءهم في كل حركة فإن معرفة أهم عناصرهم تحملها تلك الدراسات عن كل حركة . فمثلاً عندما فصل علي عبدالرازق من وظيفته إستقال الوزراء " الأحرار " من وزارة زيورباشا

(١) مقدمة أمين الخولي ، لكتاب " الفن القصصي في القرآن الكريم " لمحمد احمد خلف الله ص " ل " .

وأقيل وزير العدل وعين بدلا منه عبدالعزيز فهمي باشا ، ثم ما لبث بعد فترة من هذا إلا ويعين علي عبدالرازق هذا وزيراً للأوقاف ؟ !

وكذا طه حسين لما أصدر كتابه في الشعر الجاهلي وأراد - مجلس النواب فصله من منصبه هدد عدلي باشا رئيس مجلس الوزراء بالاستقالة " حماية للبحث العلمي " وما لبث طه حسين إلا وقد تم تعيينه وزيراً للتعليم ؟ !

وغيرهما كثير مما لا يدع مجالاً للشك أن الأمر لم يأت صدفةً من غير أن يقف أحد خلفه يخطط له ويرسم الأهداف .

٢- ومن هذه الأسباب أيضا حب الشهرة وضعف الإيمان الذي يجعل الأول يطغى على الثاني فيجرفه فإذا ما تحققت هذه الشهرة له عاد إلى الإيمان وأعلن توبته فتكون عودته هذه أيضا زيادة في شهرته فيبقى مشهورا في خروجه وفي عودته .

مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أَتَهْمَ أُولَئِكَ الَّذِينَ عَادُوا إِلَى الْإِيمَانِ بِسُوءٍ فَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالسَّرَائِرِ . لكني أذكر واقعا وأحكي حقيقة نراها بأم أعيننا والله - وحده - ما تكن القلوب وما تخفي الصدور .

ومن هؤلاء الذين أعلنوا عودتهم محمد أبو زيد ، وخالد محمد خالد ، وكامل كيلاني ، واسماعيل مظهر ، ومصطفى محمود ، وغيرهم . لكن الملفت للنظر أن بعض هؤلاء وإن أعلن عودته بالكتابة الإسلامية المستقيمة لكنه لم يتبرا من إلحاده السابق ولم يكتب ما ينقضه به .

٣- ومن الأسباب أن يكون الكاتب نفسه غير مسلم أصلا ولكنّه يكتب لتشكيك المسلمين وزعزعة عقيدتهم بوحى من عقيدته الباطلة

أو اتجاهه الإلحادي الذي ينكر كل دين .

وبعض هؤلاء وهو يعيش في دولة مسلمة غالب شعبها مسلم وهو في أقلية يرى من صالحه وقد صعب عليه الدخول في الإسلام وشق أن خير وسيلة لتحقيق مآربه أن تنقلب الدولة إلى دولة علمانية هؤلاء ينظرون إلى دولة تركيا مثالا لدولتهم وإلى أتاتورك قدوة لهم ، وهم كثير .

٣- ومنهم من يكون عن اقتناع في الفكرة وضعف في البصيرة إبتلاه الله به . وقليل ما هم .

وهناك أسباب أخرى أقل من هذه شأنا . وما علينا أن نستقصي الأسباب أو أن نذكر لها عددا وشأننا معها هنا إلتماس حقيقة أولئك الذين يلحدون في آيات القرآن الكريم هل عرفوا التفسير الصحيح فأبوا إلا التعامي عنه وألقوه وراء ظهورهم لأمر في نفوسهم أم غاب عنهم فقالوا ما يحسبونه حقا من غير معرفة بأصول التفسير وشروطه وإستنادا إلى أدلة حسبوها مقبولة أم خبطوا خبط عشواء من غير علم شرعي ولا غيره فكان تفسيرهم هذيان مخرف لا نستطيع الحكم على أحد بأحد النوعين الأولين لكننا نستطيع أن نفرق بين هذه الأمور الثلاثة في ذاتها .

أما أصحاب المنهج الأول فهم طائفة درسوا علوم الشريعة وتخرجوا من كلياتها فهم علم^{على} ومعرفة - ولا شك - بشروط التفسير والمفسرين وعلى معرفة بعلوم الشريعة ، وحين عمدوا إلى التفسير جاءت مخالفتهم للحق مجردة من التماس العذر لهم بالجهل .

وكان منهجهم هذا المنهج الإلحادي في التفسير .

أما أصحاب المنهج الثاني فطائفة لم يطلبوا العلوم الشرعية ولم يدرسوها في مدارسها بل تقاذفتهم المدارس في نواح أخرى ليس منها علوم الشريعة ولما إشتد عودهم عزّ عليهم أن يطلبوا علوم الشريعة وهم الأساتذة وحسبوا - جهلا - أن علومها في متناول أيديهم وأنها لا تحتاج إلى أكثر من تقليب الفكر في نصوص الكتاب والسنة والتعبير عنها من زواياها الضيقة من غير أن يكون في محيط علمهم لزوم توسيع دائرة النظر في النص الشرعي ليشمل كافة آيات القرآن والأحاديث الصحيحة وأنه لا يصح أن نأخذ ببعضه ونترك بعضه وبوحي هذا الإعتقاد الخاطيء انطلقوا يفسرون آيات القرآن الكريم فوقعوا في الإلحاد من حيث لا يشعرون والمؤمن منهم من نُبّه إلى الحق فرجع إليه ولستغفر من ذنبه وأحسب أن هؤلاء لا يصح أن يقرنوا مع النوع الأول وقد رأيت أن خير وصف لمثل هؤلاء أن يسمى " منهج القاصرين " لأنهم قَصَرُوا في تحصيل شروط المفسر وعجزوا عنها وتناولوا التفسير من غير بابها فكانوا في قصورهم عن هذه الشروط كالقاصر في عدم إكتمال رشده ولست بهذا أبرئهم من الخطأ أو ألتمس لهم عذرا أو أبرر لهم معصية . وإنما أمرهم الى الله وهو أعلم بنا وبهم .

أما الصنف الثالث فلا منهج ، وأنى يكون لهم ذلك وهم يخبطون خبط عشواء ، وأنى يكون لمجنون منهج يسلكه وهو الذى يسير بوحي ساعته بل دقيقته التى يعيشتها لا صلة لها بماض ولا مستقبل وإن كان لها من صلة فعلى غير وجه الحق .

وكأنى بطائفة من القراء تقرأ ما أقول أو تسمعه فيرتسم السؤال عما أقصده بكلامي هذا وما أرمي إليه . وهو لا شك أمر محير وقفت

عنده حيناً من الزمن أقلب النظر فيه والبصر .

طائفة من الناس ليست من علماء الشريعة وليست من المتسبين إلى العلم كافة في شتى صنوفه ، اتجهت إلى تفسير القرآن لم تسلك سبيل هؤلاء ولم تسرف في درب هؤلاء ولا التزمت ما التزمه العقلاء الذين ليسوا من هؤلاء ولا من هؤلاء فزجوا بأنفسهم في تفسير القرآن الكريم فجاءوا بتفاسير لا تقوم على أسس شرعية ولا علمية وليس لها سند لا في القديم ولا في الحديث ولا صلة بين معاني ألفاظها ومعاني ألفاظ القرآن ولا مطابقة لغوية ولا معنوية ولا شكلية فجاءوا بهذيان كهذيان المحموم تسأله عن حاله فيجيبك بذكر اسم صديق له أو قريب أو بكلام غير مفهوم .

ولهذا فإني لن أصف طريقة هؤلاء بالمنهجية إذ لا منهج فاطلقت عليهم طريق اللامنهجية وقد هممت أن أسميه تفسير المجانين !!.

وعلى هذا فسأتناول المنهجين الأول والثاني والصنف الثالث

كلا على حده :

المنهج الإلحادي في تفسير القرآن الكريم :

ويتميز هذا اللون من التفسير - والحمد لله - بقلة بل ندرة المؤلفات الكاملة فيه إذ اقتصر أصحابه على تفسير آيات من هنا وهناك حسب الموضوع الذي يتطرقون إليه فيستشهدون بآيات من القرآن - ملحدين - بتأويلها .

ولئن كان ليس بوسعنا الكتابة عن كل التأويلات الباطلة لآيات منفردة من آيات القرآن الكريم على هذا النحو فإنه لا بد من ذكر أمثلة متنوعة لهذه التأويلات المنحرفة . صدرت عن طائفة من المنتسبين للعلم والعلماء .

ومن أكثر أصحاب التأويلات الباطلة والآراء الجديدة العجيبة التي يقف المسلم فيها حائرا يَعْضُ بِنَانَ الأَسْفِ والندم وهو يعلم علما يكاد يتيقنه أن صاحب هذه الآراء غير مقتنع ولكنه لأمر في نفسه امتطى سهوة هذه التأويلات ، وهي كثيرة متعددة يهمننا أن نذكر له تأويلا واحدا .

ذلكم الشيخ أحمد حسن الباقوري قد أولَّ قوله تعالى " ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون " (١) بأن الآية لا تتناول إلا من أنكر بقلبه وجحد بلسانه أما من عرف بقلبه أن هذا الحكم حكم الله وأقر بلسانه أنه حكم الله ثم أتى بما يضاده فإنه على ذلك حاكم بما أنزل الله (١) وإن كان تاركا له فلا يلزمه دخوله تحت هذه الآية وإعتباره كافرا ، ثم وصف هذا التفسير للآية بأنه ينفي عن الأمة حرجا لا قبل لها به ولا خيرة لها فيه ، إذ يستطيع القائلون به أن يتعلقوا بقضية العموم في الآية ، فيرموا بالكفر حكام

(١) سورة المائدة : من الآية ٤٤

أُمَّتَنَا الَّذِينَ يَسْتَمِدُّونَ الْقَوَانِينَ وَاللَّوَاخِ وَالْإِشْتِرَاعَاتِ مِنْ قَوَانِينِ
عَالَمِيَّةٍ لَا صِلَةَ لَهَا بِالْإِسْلَامِ " (١) .

وقال أيضا " أَنَّ حُكَّامَ الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْيَوْمِ هُمْ فِي حَالَةِ
الضَّرُورَةِ الَّتِي تَبِيحُ بَعْضَ الْمَحْظُورِ ، عَلَى أَنْ يَرْتَقِبُوا الْوَقْتَ الْمُنَاسِبَ
حِينَ تَكُونُ لِلْأُمَّةِ قُوَّةٌ تَحْمِي بِهَا تَقَالِيدَهَا وَشَرَائِعَهَا وَمَدَنِيَّتَهَا ،
وَالْإِسْلَامَ نَفْسَهُ سَلَكَ هَذَا الْمَسْلَكَ فَعَمِلَ أَوَّلًا عَلَى تَكْوِينِ الْعَقِيدَةِ
فِي الْأُمَّةِ ثُمَّ عَلَى تَكْوِينِ شَرِيعَتِهَا ، وَالْقُرْآنَ مَكِّيَّهُ وَمَدَنِيَّهُ يُعِيدُ ذَلِكَ " (٢) .
وبالمناسبة فإنه قال هذا الباطل وهو يتولى منصب وزير
الأوقاف ولعله أراد به أن يَدُقَّ مَسْمَارًا يَثْبِتُ بِهِ فِي مَنْصِبِهِ . ولذلك
فإن مجلة الدعوة المصرية ردت عليه حينذاك سنة ١٣٧٣هـ بقولها :
" كان الشيخ الباقوري في إجابته سياسياً ودبلوماسياً . . أكثر منه
عالمًا وفقهياً " وقد رَدَّ عليه أيضا رَدًّا مَفْحَمًا الأستاذ أحمد محمد
جمال في كتابه على مائدة القرآن (٣) فأقرأه إن شئت .

تعدد الزوجات :

وهي من أشهر القضايا والأحكام الشرعية التي كانت ولا تزال
ميدان حوار طويل ونقاش وجدل لا ينتهي ، ولم يزل المسلمون منذ
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمنون بتعدد الزوجات ،
ويجعلون من أنفسهم مثالا لتطبيقه .

- ١- إعفاة للنفس .
- ٢- زيادة في النسل .
- ٣- عدلاً بين الزوجات والأولاد .
- ٤- إعفاة لنساء المؤمنين .

(١) مجلة العربي : العدد ١٦٩ ص ٩٢ مقال لن يشاد الدين أحد الإغلبه :
للشيخ أحمد حسن الباقوري . (٢) على مائدة القرآن : أحمد محمد جمال ص ١٨٣
(٣) انظر على مائدة القرآن : أحمد محمد جمال ص ١٨١ - ١٩٨

لم يزل هذا معتقد المسلمين حتى نبتت فيهم طائفة تأثرت بطريق مباشر أو غير مباشر بالغرب ووجدوا من بين ما وجدوا من فروق مسألة تعدد الزوجات فطأطأ بعضهم رأسه خجلا كأن في الأمر عيباً خارقاً ثم إنعطف على النصوص يلتمس فيها مخرجاً ، ولم تبلغ به درجة الخجل أن ينكر ما هو معلوم من دلالة النص الصريحة ولكنه ذهب يلتمس تأويلاً يقيد به تعدد الزوجات فوجدوا في الآية نفسها قيد العدل في إباحة تعدد الزوجات فأوه سُلماً سهل المرتقى للتشدد في تطبيقه ومن ثم الدعوة إلى تقييد تعدد الزوجات بشروط ما أنزل الله بها من سلطان .

وعلى هذا فقد شكلت في مصر سنة ١٩٢٦م لجنة اقترحت تقييد تعدد الزوجات وقدمت المقترحات لمجلس النواب وبعد مناقشات أعيدت لوزارة العدل لدراستها ثم صدر القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩م منظماً لبعض شؤون الأسرة خالياً من مقترحات تقييد تعدد الزوجات إلى أن أصدرت وزارة الشؤون الاجتماعية في مصر سنة ١٩٤٥م مشروعاً بقانون لعرضه على البرلمان يقضي بتقييد تعدد الزوجات بإشتراط إذن القاضي الشرعي الذي في دائرة اختصاصه مكان الزواج ، واشتراط أن لا يأذن القاضي إلا بعد الفحص والتحقق من أن سلوكه وأحوال معيشته يؤمن معها القيام بحسن العشرة والإنفاق على أكثر من في عصمته ومن تجب نفقته عليهم من أصوله وفروعه ولم يكتب - والحمد لله - لهذا المشروع النجاح .

والذي يهمننا هنا أن مجلة " المجتمع الجديد " طرحت المشروع هذا على شيخ القضاة " عبدالعزيز فهمي باشا " وسألته رأيه والذي يهمننا منه أيضاً ، أنه جاء بتفسير جديد فهو لم يلتمس مخرجاً ينفذ

منه إلى تبرير هذا المشروع ولكنه جاء بالعجب العجاب وزعم أن الآية
" فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع" ^(١) تدل على تحريم
تعدد الزوجات وإقرأ ان شئت قوله " أن من يتأمل نصوص القرآن
الكريم من قوله تعالى : " فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث
ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة .. " ^(١) . ثم من قوله في موطن
آخر " ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم " ^(٢) . يجد
أن القرآن الكريم يحرم تعدد الزوجات (١) وكل ما في الأمر
أن صيغة هذا التحريم وردت على عادة القرآن في عبارات هي أقصى
ما يمكن من الاستدراج والتلطيف .

فإن الآية الأولى ، واضح لكل متذوق أنها هزء وسخرية ممن
يريد تعدد الزوجات وأن فيها إيكال الأمر لمن يعلم الله أنه
لا يستطيع القيام بالأمر فمخاطبة غير المستطيع بما هو من شأن
المستطيع تلك كلها سخرية بالمخاطب (١) : فانكحوا ما طاب
لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ،

الى أن زعم " ثم في ذلك الموطن الآخر عبر هذه الفكرة
تعبيراً هو من أشد ما يكون بيانا للواقع الذي يعلمه هو فقوال
" ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم " ^(٢) . و " لن "
كما يقرر النحاة هي أشد أدوات النفي للمستقبل إذ تنفيه نفيًا باتًا .
فالقرآن يسجل بصريح العبارة " (١) " أن الاستطاعة مستحيلة ،
أي أن العلة المتوهمه للتصريح بالتعدد لن تتحقق أبداً والمقرر
عند الفقهاء من عقليين وحرفيين أنه متى زالت العلة زال المعلول .

(١) سورة النساء : من الآية ٣

(٢) سورة النساء : من الآية ١٢٩

ثم صرح برأيه فقال " اذن فرأى الذي ألقى الله عليه هو
أني مأمور ديانة (إ) بأن أكون من معتنقي مذهب الإقتصار على
زوجة واحدة " .

وصرح بموقفه من المشروع ذاك وذهب الى أبعد مما ذهب
اليه المشروع فقال " ومن أجل هذا لا أوافق البتة على طريقة
المشروع تلك الطريقة التي يراد بها عدم تعدد الزوجات ولكن
بسبب ملتويه يُراد لها قطع أسباب الاعتراض ممن يظنون أن لهم
على خلاف نصوص القرآن الصريحة - حق الاعتراض . ومن أجل هذا
أرجو ألا تسير الحكومة في مثل هذا المشروع بل تأتي للأمر
فتعالجه من جذوره بأن تستصدر قانونا ينص دفعة واحدة على تحريم
تعدد الزوجات " (١) .

وإنني لمتيقن أن إنحراف هذا التفسير وإلحاده لا يخفى
على ذي أدنى معرفة وأدنى لبّ وأن صاحبه لن ينال من قرآءه
إلا الهزء والسخرية حتى أولئك الذين يؤيدون فكرته لا أظنهم إلا
ويقطعون بفساد تأويله .

وأمر تعدد الزوجات وإباحته أمر معلوم من الشريعة كدُت
أقول بالضرورة فلا حاجة بنا إلى تقرير ذلك وإن كان لنا من حاجة
فهى أن نكشف مغالطة الرجل فى إستدلالة بالآية فهو كاستدلال
من يستدل بقوله تعالى " لا تقربوا الصلاة " ويدع " وأنتم سكارى "
ولو أحسن الاستدلال وأحسن القصد وطلب الحقيقة لأكمل عبدالعزیز
فهى - هذا - الآية التي إستدل بها فأوردها كاملة هكذا -

(١) عن : على مائدة القرآن : أحمد محمد جمال ص ٢٠٨ ومجلة الكويت العدد ٨
رجب ١٤٠١ هـ ص ١١٠ عن مجلة المجتمع الجديد .

" ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان عفورا رحيمًا " (١) . فقوله سبحانه " فلا تميلوا كل الميل " وقوله " ان تصلحوا وتتقوا " وقوله " عفورا رحيمًا " كلها تبين المراد بالعدل والواجب منه بيانا لا يريدُه أو لا يريد أن يفهمه كذلك الاستاذ عبدالعزيز فهمي باشا ، ولهذا بتر الآية .

أما زعمه أن النحاة قد قرروا أن النفي بلن يفيد التأييد فهو إفتراء على النحاة وليس بمستغرب ممن يفترى على القرآن أن يفترى على النحاة ، فلم يقل النحاة أن النفي بلن [نفيًا باتًا] إلا الزمخشري قال ذلك ليؤكد النفي في قوله تعالى " لن ترانى " (٢) حتى يستدل بها على إنكار رؤية الله تعالى التي لا يؤمن بها المعتزلة ، وأما النحاة - سواء - فهم على ضد ذلك فقد قال ابن مالك .

ومن رأى النفي بلن مؤيداً ^{ورته} فقوله أردد وسواه فاعضداً (٣)

هذا ما نرى لزوم ذكره رداً على التأويل الباطل للشيخ عبدالعزيز فهمي باشا وفيما ذكرته الكفاية إن شاء الله أو بعضها .

وهذا الشيخ عبدالعزيز بن خلف آل خلف فسر سورة الزلزلة بتفسير لم يقل به أحد من قبله فقال مثلاً في تفسير قوله تعالى " يومئذ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بَأْن رِبِك أَوْحَى لَهَا " (٤) :- " اتفق

(١) سورة النساء : الآية ١٢٩

(٢) سورة الاعراف : من الآية ١٤٣

(٣) الكافية الشافية : لابن مالك ج ٣ ص ١٥١٥

(٤) سورة الزلزلة : الآيتين ٤ و ٥

المفسرون على أن الأرض تتحدث بما عُمِلَ عليها يوم القيامة فتشهد على كل أحد بعمله الذي عمله على ظهرها من خير وشر أما في الدنيا فقد تحدثت أيضا بما يعمله أهلها على ظهرها من خير أو شر في كل بقعة على وجه الأرض ، ونحن نسمع هذا في كل ساعة ولحظة ، فهذه أخبار أمريكا ، لندن ، مكة ، كذا كذا . فتلك حالة مصغرة من تحدثها يوم القيامة إنها لمعجزة ————— المعجزات الباهرة وقعت ملموسة مطابقة لمحسوس لفظا ومعنى وهو الراديو ومحطاته البرقيه وما في معنى ذلك من التلفون وأمثاله . . . كما قال تعالى " وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به " (١) فذلك يصدق على واقع ملموس من اذاعات العالم وهذه الجملة تعتبر معجزة مستقلة . فالآية الكريمة - يقصد آية الزلزله - والخبر الكريم يَصْدُقَانِ على حدوث هذا في الدنيا كما يَصْدُقَانِ على حدوثه في الآخرة لأن الآية والخبر لم يحددا بلفظ صريح أنه في الدنيا فقط ولا أنه في الآخرة فقط ، والجملة الأخيرة من كلام الله يعنى " وإذا جاءهم " الآية تنص على أن ذلك في الدنيا فقط فنحن الآن قد ظهرت لنا معجزة في الدنيا لا تتنافى مع وقوع ذلك في الآخرة وحدثت لأرضنا التي لم تتبدل ليوم القيامة كما قال تعالى " يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات " (٢) . فأرض الدنيا قد تحدثت فكيف بأرض الآخرة ونعلم علم اليقين بتحدثها في الآخرة ونلمس عين اليقين بتحدثها في الدنيا فلا منافاه ولا تناقض أنطقها في الدنيا الذي أنطق كل شيء وأذاع القوم إذاعة صحيحة صريحة مع أن - الراديو يدخل تحت عموم قوله تعالى " واثقوا فتنة لا تصيبن الذين

(١) سورة النساء : من الآية ٨٣

(٢) سورة ابراهيم : من الآية ٤٨

ظلموا منكم خاصة " (١) لأنها فتنة معنويه بلا إشكال وقد حصلت به البلوى للسواد الأعظم ولم يكن خاصا بل كان عاما ومن ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه " .

إلى أن قال في تفسير قوله تعالى " يومئذ يصدُرُ الناس أشتاتاَ ليروا أعمالهم " التي تتحدث عن عرض الأعمال يوم القيامة فقال المؤلف عنها " فقوله تعالى يصدر الناس يعنى يذهب الناس أشتاتا إلى أعمالهم بجد وإجتهد ونشاط يطلبون فيه مقاصد ومشارب متباينة من الأعمال الدنيويه التي لا حد لها وهذا يعتبر فى أرض العرب بلا إشكال أنه من حوادث آخر الزمان حيث كانت أرض العرب مسرحا للباديه الرُّحْل والمواشي من جميع الأصناف حياتهم بحياة البهائم غالبا وموتهم جوعا بموت البهائم وأن هذا الانقلاب الذي وعد الله به لكبير وعظيم وقعه ونتائجه ، فبعد ما ذكر الله الزلزلة ، وإخراج الأرض كنوزها ، وتحدث الأرض من أطرافها ، فإن الناس في ذلك الوقت يصدرون أشتاتا فى كل صباح ومساء لأعمالهم وأرزاقهم كما تصدر المواشي لأرزاقها فيما ترون فى وقت نزول القرآن ، ليروا- بالضم- يريهم أهل الأعمال أعمالهم- وبالفتح- ليروه بأعينهم أى ليروا عملهم ونتائجه (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) قال الخازن في تفسيره قال محمد بن كعب القرظى " فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره " من كافر يرى ثوابه في الدنيا فى نفسه وماله وأهله حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير (ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره " من مؤمن يرى

عقوبته في الدنيا في نفسه وماله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر . انتهى ، فهذا من التأويل الديني ولكنه أيضا هو في الدنيا ولا منافاة بين الجميع ولا مانع والحالة هذه من الاستنباط من كنوز القرآن والسنة وعدم التقيد بتفسير واحد أو تأويل واحد أو تقييده بأمر الدنيا أو أمور الآخرة ما لم يقيد نص صادق ثابت . . .

وهنا إستنباط يمكن أن يقال له حق في ذلك وهو قوله تعالى " يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم " هو ما حدث من التلفزيون فإن عمل العامل فيه يرى في كل بقعة توصل إليها التلفزيون وكذلك السينما فإنها تعرض على الانسان عمله ، وهذه معجزة من معجزات القرآن وإستنباط واقعي ملموس فإن السينما تعرض المرء بعمله على الناس وعلى نفسه بحركاته وسكناته ونطقه وغير ذلك فأى عمل عمله الانسان ولو مثقال ذرة من خير أو شر يراه ويراه غيره كاملا غير منقوص والله تعالى أعلم وأحكم " (١) .

ويظهر لي أن الذى دفع الشيخ عبدالعزيز إلى هذا التأويل حرصه على جذب الناس إلى الايمان وتقريب الأخبار إلى الأذهان ولكن أخطأ السبيل - وضل في التأويل غفر الله لنا وله .

ومن ذلك أيضا سلسلة من التفسير نشرها حسين صالح مسيلى في جريدة المدينة المنوره بعنوان " القرآن والعلم " حشاها حشوا بالتفاسير المنحرفة فمن ذلك تفسيره لقوله تعالى " ومن شر غاسق إذا وقب " (٢) . حيث قال " الغاسق : أنه حبل المطاط الذى فى

(١) دليل المستفيد على كل مستحدث جديد ج ١ ص ١٦٨-١٧٢

(٢) سورة الفلق : الآية ٣

أحشائه السلك الكهربائي الذي يحمل موجات من النار كالبحر المرتطم بالصخور نيرانا حمراء تشبه شفق الغسق المدلج الذي خلقتهُ الشمس وراءها والمتستر بالليل المكسوة أسلاكه والتي هي أشعة الشمس بسواد الليل وهذا الحبل المطاط المسمى " غاسق " في باطنه تلك القوى الكهربائية ذات التيارات النارية والنورية العظمى " (١) .

أما العاديات في قوله تعالى " والعاديات ضبحا " (٢) ففسرها مسيلى بقوله " قسم غيبي يدعو الناس لينظروا تلك العاديات فى الطرق الشاسعة وهم على ظهورها الطريجة الهادئة مطمئني النفوس رغم سرعة سيرها في طريقها النعقي وقد ملأت الجو ضجيجا ضابحا بأصوات محركاتها الصاخبه المصممة للأذان والمرجفة للأفئدة . . .

فالعاديات هي السيارات المنطلقة بعامل الوقود المشتعل فى أحشائها والتي توري به قدحا مضيئا في طريقها (فالموريات قدحا) .

أما " فالمغيرات صبحا " (٣) فزعم " ذلك القدح المضىء إشراقا جعلن به الصبح مغيرا فطلع كتيبا كسيفا لأن العاديات الموريات القدح قد إستغنين عنه وعن إشرافة نوره فهن مواصلات سيرهن سواء ظهر أم لم يظهر ولهذا داخلته الغيره لوجود منافس أرضى خطير (٤) وفي تفسيره كثير من نحو هذا التفسير نسأل الله لنا وله

الهدايه .

ومن هذا ما كتبه رجل دفعه حب التجديد المزيف الى أن يساير روح الالحاد كما قال الشيخ محمد حسين الذهبي رحمه الله

(١) مقال : القرآن والعلم للاستاذ حسين صالح مسيلى جريدة المدينة المنورة ، العدد ٤٩١ يوم الثلاثاء ١٨ صفر ١٣٩٩ هـ .

(٢) سورة العاديات : الآية الاولى (٣) سورة العاديات : الآية الثالثة .

(٤) مقال القرآن والعلم : حسين مسيلى جريدة المدينة المنورة العدد ١٥٠١ يوم الجمعة ٢٨ صفر ١٣٩٩ هـ .

وهوى

تعالى (١) فراح يتأول آيات الحدود بما يوافق هواه^أ أصحابه، فاتجه أول ما إتجه إلى حدّي السرقة والزنا مُعْرِضاً بوجهه عن إجماع المسلمين عليها فقال " فهل لنا أن نجتهد في الأمر الوارد في حدّ السرقة وهو قوله تعالى " فاقطعوا " والأمر الوارد في حدّ الزنا وهو قوله تعالى (فاجلدوا) فنجعلُ كلاً منها للإباحة لا للوجوب ويكون الأمر فيهما مثل الأمر في قوله تعالى " يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين " (٢) فلا يكن قطع يد السارق حداً مفروضاً لا يجوز العدول عنه في جميع حالات السرقة بل يكون القطع في السرقة هو أقصى عقوبة فيها ، ويجوز العدول عنه في بعض الحالات إلى عقوبة أخرى رادعة ويكون شأنه في ذلك شأن كل المباحات التي تخضع لتصرفات ولي الأمر وتقبل التأثير بظروف كل زمان ومكان ، وهكذا الأمر في حد الزنى سواء أكان رجماً أم جلداً (٣)(٤) .

ولا أحسب أن مثل هذا الزعم بحاجة إلى الرد عند من أوتى مسحه من علم فكيف عند أهل العلم ومع هذا فقد كفانا مؤنسة الرد عليه شيخان فاضلان أولهما الشيخ محمد الخضر حسين (٣) ، وثانيهما الشيخ محمد حسين الذهبي (٤) فجزاهما الله خيراً ، ولا نرى موجبا لنقل ردودهما الطويلة فالحق - أحسبه هنا - بين واضح .
ومن أصحاب هذا اللون المنحرف في التفسير المدعو الطاهر الحداد في كتابه " إمرأتنا في الشريعة والمجتمع " الذي نشره في

(١) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبي ج ٣ ص ١٩٣-١٩٤

(٢) سورة الاعراف : الآية ٣١

(٣) انظر بلاغة القرآن : الامام محمد الخضر حسين ص ١٠٦-١١٠

(٤) التفسير والمفسرون : الشيخ محمد حسين الذهبي ج ٣ ص ١٩٣-١٩٧

تونس وأحدث ضجة كالضجة التي أحدثها كتاب قاسم أمين " المرأة الجديدة " وكتابه " تحرير المرأة " في مصر .
والكتاب مليء بالتحريفات والتأويلات الباطلة وأنكر فيه ما هو معلوم من الدين بالضرورة وكاد الكتاب هذا أن يزهق لولا أن أخرجه للناس من جديد طائفة يسعون لنشر أفكاره وسيزهق ان شاء الله ويزهقون .

ومن تأويلاته الباطلة تأويله لقوله تعالى أمراً للمؤمنات " ولا يبدن زينتهن إلا ما ظهر منها " الآية (١) فقال " ولله هذا القرآن العظيم في إبهامه ما ظهر من الزينة دون أن يعين مواقعها من ذات المرأة إعتباراً منه لأعراف الناس في ذلك بتطور الحياة . من هذا يظهر أن الحجاب الذي نقره على المرأة كركن من أركان الاسلام (١) سواء في مكثها بالمنزل أو وضع النقاب على وجهها ليس من المسائل التي يسهل إثباتها في الاسلام بل ظاهر الآية يرشد إلى نفيه لما في ذلك من الحرج المضي " (٢) .

وتحدث عن آيات الميراث وميراث المرأة على الخصوص ثم عقب قائلاً : " وقد علل الفقهاء نقص ميراثها عن الرجل بكفالتها لها ، ولا شيء يجعلنا نعتقد خلود هذه الحالة دون تغيير " (٣) ؟
وقال " وفيما أرى أن الاسلام في جوهره لا يمانع في تقرير هذه المساواة من كامل وجوهها متى إنتهت أسباب التفوق وتوفرت الوسائل الموجبة " (٤) .

(١) سورة النور : من الآية ٣١

(٢) إمرأتنا في الشريعة والمجتمع : الطاهر الحداد ص ٣٤

(٣) المرجع السابق : ص ٤١ (٤) المرجع السابق : ص ٤٢

أما تعدد الزوجات فقال عنه " ليس لي أن أقول بتعدد الزوجات في الاسلام لأنني لم أر للاسلام أثرا فيه وإنما هو سيئة من سيئات الجاهلية الأولى (١) " .

وقد كفانا مؤنة الرد على هذه التأويلات الباطلة فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين رحمه الله تعالى الذي رد على هذا الكتاب ردا مفحما جعل عنوانه " كتاب يلحد في آيات الله " (٢) .

وهناك آخرون وآخرون باعوا دينهم بدنياهم فألحدوا في آياتٍ إبتغاء عرض يصيبونه أو منصب يتولونه فخسروا الدنيا والآخرة . ولا ن فكر أن منهم من دفعه الحرص على التجديد فانجرف وانحرف وأخطأ الطريق وضل السبيل وأمرهم لله الذي يعاملهم بنياتهم ولكل إمرئ ما نوى .

ولعلي بعد هذا أذكر نموذجا موسعا لأحد التفاسير الكاملة للقرآن الكريم والتي إمتلأت بالإلحاد والضلال .

الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن .

أولا : المؤلف :-

أحمد الله أني لم أجد له ترجمة ولا ذكرا بعد بحث وتنقيب شديدين حتى إسمه كان يقع فيه إختلاف لولا أن كتابه بين يديّ وعليه إسمه الذي إختاره .

وكل ما عرفت عنه ما ذكره الأستاذ جمال البنا عنه حيث قال :
إنه إلتحق مدة بالأزهر ومدة أخرى بدار الدعوة والإرشاد التي كان

(١) المرجع السابق : ص ٦٥

(٢) بلاغة القرآن : محمد الخضر حسين ص ١٣٢-١٤١

قد أسسها بالقاهرة الشيخ رشيد رضا وأصدر عددا من الأبحاث
إتسمت بالجرأة سواء كانت هذه الجرأة طلبا للشهرة أو إنعكاسا
لفكره واجتهاده فأصدر كتيباً باسم " الزواج المدني " أنكر فيه
التسري وملك اليمين وأخيراً في الفترة ما بين ١٣٤٧ - ١٣٤٩ هـ
(١٩٣٠ - ١٩٣١ م) أصدر كتابه " الهداية والعرفان في تفسير
القرآن بالقرآن ، والكتاب ليس لدينا لأنه صودر وأعدم في حينه" (١) .
هذا ما قاله الأستاذ جمال البنا ، أما اسم صاحب هذا
التفسير كما جاء على كتابه فهو " محمد أبوزيد " ومع الأسف أن
صاحبه يذكر أنه ألفه بعد بلوغه الأربعين من عمره ! فإذا كان
قد صدر سنة ١٣٤٩ تكون ولادته سنة ١٣٠٩ تقريباً .

ثانياً : الكتاب :

واسمه كما جاء على غلافه " الهداية والعرفان في تفسير القرآن
بالقرآن " .

ويقع في مجلد واحد ضمنه القرآن الكريم كاملاً وجعل تفسيره
في هوامشه . وهو تفسير مختصر جداً كثيراً ما يكتفى صاحبه بإحالة
لتفسير آية على آية أو آيات أخرى يذكر أرقامها .

وقد أحدث هذا التفسير عند صدوره ضجة كبرى وإنكاراً شديداً
من شيوخ الأزهر فألقت لجنة من العلماء لتنظر في هذا الكتاب
وتحكم عليه ورفعت اللجنة تقريرها إلى شيخ الأزهر ووصفوا المؤلف
بأنه " أفكٌ خراسٌ ، إشتهى أن يُعرف فلم يرَ وسيلةً أهون عليه
وأوفى بغيره من الإلحاد في الدين بتحريف كلام الله عن مواضعه ،

(١) الاصلان العظيمان الكتاب والسنة : جمال البنا ص ٩١

ليستفز الكثير من الناس إلى الحديث في شأنه وترديد سيرته" (١) .
و صدر الحكم بمصادرة الكتاب كما رُفِعَت دعوى على الرجل أمام
إحدى المحاكم فحكمت إبتدائيا بكفره وإرتداده وتَغَيَّرَ الحكم النهائي
بعد أن أعلن توبته وإنابته (٢) .

وقد أصدرت جمعية حياة الاسلام بدمنهور فى شهر ذى الحجة
سنة ١٣٤٩ - أى بعد صدور الكتاب بخمسة أشهر تقريبا - كتابا
بعنوان " تنوير الأذهان وتبصرة أهل الايمان فى الرد على كتاب
أبى زيد المسمى الهداية والعرفان فى تفسير القرآن بالقرآن" .

والكتاب كما ذكر كلُّ من كتب عنه مصادر والحمد لله ، وغالب
من كتب عنه بعد ذلك ، إنما اعتمد على التقارير التى كتبت عنه
مطالبةً بمصادرته وقد تمكنت والحمد لله - الذى لا يحمد على مكروه
سواه - من الحصول على نسخة من هذا التفسير .

منهجه فى التفسير :

بدأ المؤلف تفسيره بإتهام المفسرين بالدسّ والحشو فقال :
" وقد بلغ الدسُّ والحشو فى التفاسير أنك لا تجد أصلا من أصول
القرآن إلاّ وتجد بجانبه رواية موضوعة لهدمه وتبديله والمفسرون قد
وضعوا هذا فى كتبهم من حيث لا يشعرون ، وقد جعلوا الاصطلاحات
والمذاهب الفقهية والكلامية أصولا حَكَمُوهَا فى القرآن وأنزلوه عليها
حتى صار ميدانا للجدل وأصبح غير صالح للحياة بما حملوه من

(١) انظر التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبي ج ٣ ص ١٩٨ ، وقد نُشِرَ
قرار اللجنة الأزهرية التى أُلْفِتَ للردِّ على الكتاب فى العدد الثالث والرابع
من المجلد الثانى من مجلة نور الاسلام (الأزهر سنة ١٣٥٠) .

(٢) الاصلان العظيمان الكتاب والسنة : جمال البنا ص ٩١

الأثقال وبما وضعوا فيه من الجمود والعراويل ووسائل التفريق والشقاق فهدايته فقدت بالمجادلات في الالفاظ والمذاهب ، ومعانيه ومقاصده ضاعت بالروايات الناسخة والتفسيرات المتحجرة العقيمة ولم يخل تفسير من هذا لأن المفسرين يقلد بعضهم بعضاً" (١) .

ثم وَصَحَ طريقته في التفسير فقال " فهذا كله دعاني إلى تفسيري وأن تكون طريقتي فيه كشف معنى الآية وألفاظها بما ورد في موضوعها من الآيات والسور ، فيكون من ذلك العلم بكل مواضع القرآن ، ويكون القرآن هو الذى يفسر نفسه كما أخبر الله (١) ، ولا يحتاج إلى شيء من الخارج غير الواقع الذى ينطبق عليه ويؤيده من سنن الله في الكون ونظامه في الاجتماع .

وقد إخترت أن يكون على عدد الآيات في المصحف لتبقى الهداية بالترتيب الذى إختاره الله ، وليمكن الباحث عن معنى الآية أن يلاحظ سياقها فيقرأ ما سبقها وما لحقها من الآيات ، ليكون على علم تام وهداية واعظة " (٢) .

ثم زعم أن هذه الطريقة في التفسير هي سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وطريقته فقال " فهذه كانت سنة الرسول (صلى الله عليه وسلم) أي طريقته في القرآن وهي الحكمة المذكورة في قول الله (ويعلمكم الكتاب والحكمة) راجع ١٥١ البقرة .

فالكتاب هو القانون الجامع لمواد الأحكام وإن شئت فقل أن الكتاب دستور فيه كل شيء من أصول القوانين وهو المرجع لأهل

(١) الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن : محمد أبوزيد ص ب - ج

(٢) الهداية والعرفان : محمد أبوزيد ص ج - د

التشريع في كل عصر فيما يتجدد من الحوادث" (١).

وقد أدرك أن كتابه هذا سيجابه بالرفض والطعن فقال في مقدمة تفسيره هذا " ومن الغريب أن يكون لنا في القرآن هذه المزايا ونعرض عنه ولا نتمسك به ، ثم الأغرب أننا نتفرق فيه فإذا رأى بعضنا رأياً أو فهمَ فهماً إنقضَّ عليه المخالفون باللعن والطعن ولقد كان هذا التفرق من أعظم الأسباب التي خذلت المسلمين وجعلتهم مملوكين لغيرهم " (٢).

ثم أظهر هدفه السيء الذي يربأ المسلمون بالقرآن الكريم أن ينزلوه هذه المنزلة التي يريدونها هذا الملحد الذي قال " والواجب أن يفهم المسلمون أن القرآن شائع مشترك بين الناس وأن من آياته الدالة على أنه من عند الله إتساعه للأفهام وتحمله لاختلاف الآراء ، والأنظار في كل زمن وهذا معنى أنه متشابه أي أنه من تعدد المعنى يتشابه ويختلف على الناظرين " (٢).

ولا شك أن إباحة تناول تفسير القرآن الكريم لكل من هبَّ ودبَّ ممن أوتى علماً وممن لم يؤت علماً ومن الصالح والفساد هو الذي أدخل في تفسير القرآن الكريم ما ليس منه وما هذا التفسير الذي ألفه هذا الدعي للعلم وأهله إلا نتيجة لتجرؤ من ليسوا أهلاً لتفسير القرآن على تفسيره فهل يريد إلحاداً أكثر من إلحاده .

وقد نظرت في تفسيره بل في إلحاده فوجدت أنه يقوم على قواعد إلتمها في إلحاده استطعت أن أضبط منها : -

(١) المرجع السابق : ص د

(٢) المرجع السابق : ص ز

أولا : انكار التفسير بالسنة :

عنوان هذا التفسير الهداية والعرفان فى تفسير القرآن بالقرآن يشعر إذا أضيف إليه قرائن أخرى أن صاحبه لا يعتد بالتفسير ، بالسنة بله أقوال الصحابة والتابعين ،

يشعر بهذا قول المؤلف فى مقدمة تفسيره ما نقلناه آنفاً ومنه قوله " ويكون القرآن هو الذى يفسر نفسه كما أخبر الله ولا يحتاج إلى شيء من الخارج غير الواقع الذى ينطبق عليه ويؤيده من سنن الله فى الكون ونظامه فى الاجتماع " (١) .

فاذا ما إحتجبت عليه بقوله تعالى " وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم " (٢) . أُلحد فى تأويلها وزعم أن المراد بقوله تعالى " ما نزل إليهم " من الكتب السابقة فالقرآن جامع لها وداع إليها " (٣) . فإن إستشهدت بقوله تعالى " فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم " (٤) أجابك هذا الملحد بتأويله لهذه الآية حيث يقول " عن أمره " يفيدك أن المخالفة المحذورة هي التى تكون للأعراض عن أمره وأما التى تكون للرأى والمصلحة فلا مانع منها بل هي من حكمة الشورى " (٥) .

ومثل هذا لا يجهد الانسان نفسه فى جداله ما دام منطقته المغالطة واللغو الذى لا يستند إلى كتاب أو سنة .

(١) المرجع السابق : ص ج

(٢) سورة النحل : الآية ٤٤

(٣) الهداية والعرفان : محمد أبوزيد ص ٢١١

(٤) سورة النور : من الآية ٦٣

(٥) الهداية والعرفان : ص ٢٨١

لهذا فلا عجب أن يعرض عن تفسير القرآن بما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم بيان المغضوب عليهم والضالين في سورة الفاتحة بأنهم اليهود والنصارى لكن المؤلف هنا يقول " المغضوب عليهم " المعاندين الذين يكرهون الحق (الضالين) التايهين عن الحق " (١) .

وكذا الصلاة الوسطى في قوله تعالى " حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى " (٢) فقد روى أحمد ومسلم وأبو داود مرفوعاً " شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر " لكنه يقول في تفسيرها " الوسطى خيرها وأقومها مؤنث الأوسط " (٣) .

أما القوة في قوله تعالى " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة " (٤) فقد روى مسلم في صحيحه عن عقبة بن عامر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وقد تلا هذه الآية على المنبر يقول " ألا إن القوة الرمي " قالها ثلاثاً إلا أن هذا قال في تفسيره لها " قوة " لم يُعَرَّفْهَا لأنها تختلف باختلاف الزمان " (٥) .

وكلمة التقوى في قوله تعالى " وألزمهم كلمة التقوى " (٦) . ورد تفسيرها في السنن بأنها : لا إله إلا الله (٧) . وأعرض محمد أبو زيد عن هذا التفسير وقال : كلمة (التقوى) أي الكلمة التي تقيهم الوقوع في الشر والضرر والغرض أنهم كانوا حكماً فيما عملوا في مقابلة حرارة الخصوم وحميتهم الجاهلية " (٨) ؟ !

(١) المرجع السابق : ص ٢ (٢) سورة البقرة : من الآية ٢٣٨

(٣) الهداية والعرفان : ص ٣٢

(٤) سورة الانفال : من الآية ٦٠ والحديث رواه مسلم في صحيحه ج ٣ ص ١٥٢٢ كتاب الامارة .

(٥) الهداية والعرفان ص ١٤٢ (٦) سورة الفتح : من الآية ٢٦

(٧) مسند الامام احمد ج ٥ ص ١٣٨ والترمذي ج ٥ ص ٣٨٦ كتاب التفسير سورة الفتح

(٨) الهداية والعرفان : ص ٤٠٧

وكثيرة الأمثلة التي تثبت إعراضه عن التفسير بالمأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم للقرآن الكريم ، ولا شك أن القرآن نفسه - لو كان هذا يفقه - يعلن أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو المبين لــــه " وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون " (١) وقوله سبحانه " وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلمهم يتفكرون " (٢) .

ثانيا : انكار المعجزات :

وهذا هو البحر المتلاطم الأمواج في هذا التفسير إذ أنه بيدو للمتأمل أن صاحب هذا التفسير قد بذل جهده في إنكار المعجزات كلها وتأويلها تأويلا باطلا حتى لكأنه إنما ألفه لهذا الهدف دون سواه .

والنصوص في إنكار المعجزات في هذا التفسير كثيرة نذكر منها على سبيل المثال قوله " وبعد هذا تعلم أن الله ينادى الناس بأنهم لا ينبغي أن ينتظروا من الرسول آية على صدقه في دعوته غير ما في سيرته ورسالته " (٣) .

وقال في موضع آخر " واعلم أن آيات الله في نصر أنبيائه لا تناقض سنته في خلقه وكونه " (٤) .

وقال أيضا " أن كل الرسل رُميت آياتهم بأنها سحر وقد كانت كل آياتهم حججا وبراهين من سيرتهم ورسالتهم فلا يمكن أن يأتوا

(١) سورة النحل : من الآية ٦٤ (٣) الهداية والعرفان : ص ١٦١

(٢) " ، ، : " ٤٤ (٤) الهداية والعرفان : ص ٢٩٠

بدليل على صدقهم من غير الدعوة نفسها" (١) .

وقال أيضا " وأن آيتهم على صدق دعوتهم لا تخرج عن حسن سيرتهم وصلاح رسالتهم وأنهم لا يأتون بغير المعقول ولا بما يبدل سنة الله ونظامه في الكون " (٢) .

هذه بعض أقواله في انكار معجزات الانبياء إجمالا ثم أنكرها بعد ذلك آحادا وأولها تأويلا لا يقوم على دليل - من الكتاب أو من السنة أو من اللغة .

معجزات ابراهيم عليه السلام :

فمن ذلك مثلا أن قوم ابراهيم عليه السلام أوقدوا له نارا وألقوه فيها وقالوا حرقوه وانصروا آلهم فجاءت المعجزة الالهية " قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم " (٣) ومعنى الآية ظاهر واضح لكن محمد أبوزيد هذا أُلحد في تفسير الآية فقال " كوني بردا وسلاما : معناه نجاه من الوقوع فيها . . وترى في الآية وياقسي القصة أن الله نجاه بالهجرة وخيب تدبيرهم " (٤) .

وعلى هذا فعنده أن إبراهيم عليه السلام لم يُلقَ في النار ولم تكن بردا وسلاما على إبراهيم ، ولا أظنه يجهل أن من أنواع الایجاز إيجاز الحذف وهو حذف ما يُستغنى عنه بذكر ما يستلزمه ولا يستقر معناه في ذهن السامع إلا بتقديره ، والبلاغيون يضربون لذلك مثلا بقوله تعالى " وأسأل القرية " (٥) أي وأسأل أهل القرية ، والمحذوف في الآية موضع البحث هنا هي كلمة " فألقوه " لأن السياق

(١) المرجع السابق : ص ٢٩٧ (٤) الهداية والعرفان : ص ٢٥٦

(٢) " " : ص ٣٠٦ (٥) سورة يوسف : من الآية ٨٢

(٣) سورة الانبياء : من الآية ٦٩

يستلزمها قال تعالى " قالوا حَرَّقُوهُ وانصروا آلهمكم إِنْ كنتم فاعلين ، قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم " (١) والتقدير فألقوه فقلنا يا نار . . الآية ولا أظنه يجهل هذا إذ لو كان الأمر كذلك لإستقام تفسيره في غيرها من المعجزات ولكنه ذهب يؤولها بما ينكرها به كلها .

معجزة داود عليه السلام :

وقد سخر الله لداود عليه السلام الجبال يسبحن معه والطيور فقال عز شأنه " وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ " (٢) وقد أنكر محمد أبوزيد المعنى المتبادر من (يسبحن) وصرفه إلى معنى آخر لغير قرينه فقال " يسبحن - : - يعبر عما تظهره الجبال من المعادن التي كان يسخرها داود في صناعته الحربية " (٣) ولا أدري لم كان هذا مزية لداود عليه السلام مع أن الناس في القديم والحديث يستخرجون المعادن من الجبال فأى مزية لداود عليه السلام في هذا فإن أراد أن الجبال هي التي تظهره من غير كسب ابن آدم وجهده فهي معجزة لا تقل عن الأولى لكنه لا يريد هذا ولا ذاك .

معجزات سليمان عليه السلام :

وما دام حديثنا هنا في سورة الأنبياء عليهم السلام فلننظر إنكاره العجيب للمعجزة التي أوتيتها سليمان عليه السلام فقد جاء في هذه السورة قوله تعالى " ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره " (٤) قال تفسيرا عجيبا : " تجري بأمره : الآن تجري بأمر الدول الأوروبية وإشارتها

(١) سورة الأنبياء : الآيتين ٦٨-٦٩ (٢) سورة الأنبياء : الآية ٧٩

(٣) الهداية والعرفان : ص ٢٥٧ (٤) سورة الأنبياء : الآية ٨١

في التلغرافات والتليفونات الهوائية" (١) ولا تعليق على هذا التفسير لأن المغايره بين التفسير والمفسر لا تخفى ، إلاّ التعليق بأنه أراد أن ينكر هذه المعجزة بأية وسيلة .

وكذا تعليم الله سبحانه وتعالى لسليمان عليه السلام منطق الطير وتحدث سليمان عليه السلام بهذه النعمة وشكر الله عليها " وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُ الْفَضْلُ الْمَبِينُ " (٢) .

ولكن محمد أبوزيد ينكر أن يكون هذا فضلا لسليمان عليه السلام فيزعم أن : - " كل من يربي الطير ويؤلفه يُمكنهم أن يتعلموا مَنطِقَه وماذا يريد ويمكنهم أن يستعملوه في الرسائل وغيرها " (٣) وتنزلا مع مَنطِقَ هذا المُنكِرَ نقول أن من تعلم لغة طير واحد أو إستعمل نوعا من الطير في الرسائل لجهات معينة محدودة لا يصح أن يوصف بأنه تعلم منطق الطير على الإطلاق فيبقى هذا خاصا بسليمان عليه السلام ، لكن محمد أبوزيد يرفض هذا ولأجله صرف كل معنى يدل عليه . فالنملة التي تحدثت مع سليمان عليه السلام مع أنها ليست طيرا ، إلاّ أن محمد أبوزيد يقول " نملة : قبيلة من النمل : قبائل الوادي " (٤) وصرف لفظة النمل عن معناها الصحيح إلى أنها اسم قبيلة حتى لا يكون في الأمر عجا وبكون أمرا مألوفا لا يبعد عن ذهنه القاصر ، وكذا صرف حديث الهدهد مع سليمان عن حقيقته أو الهدهد نفسه عن أن يكون طائرا فقال " الهدهد : اسم طائر ، فهل يكون من ذوي الجناحين ويكون كلامه كناية عما يحمل من

(١) الهداية والعرفان : ص ٢٥٧ (٢) سورة النمل : الآية : ١٦

(٣) (٤) الهداية والعرفان : ص ٢٩٧

(١)
الرسائل، أم من الخياله : - السواري - أو : الطيارين الآخرين" ؟
ولا ندري ماذا يقصد بالطيارين الآخرين والمهم في كل هذه
التأويلات التي أوردتها أنه أراد أن يصرفها عن أن تكون معجزة
لسليمان عليه السلام .

ولم يترك هذا الرجل لسليمان عليه السلام أي أمر خارق للعادة
حتى إحضار عرش ملكة سبأ إليه صرفه عن معناه الحقيقي إلى معنى
آخر ففي قوله تعالى : - " قال يا أيها الملأ أياكم يأتيني بعرشها
قبل أن يأتوني مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم
من مقامك وإني عليه لقوي أمين ، قال الذي عنده علم من الكتاب ،
أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال
هذا من فضل ربي ليبلوني ءأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه
ومن كفر فإن ربي غني كريم" (٢) . فقال في تفسيرها " بعرشها :
بملكها : يريد أن يضع خطط الحرب ونظام الدخول في البلاد
فطلب الخريطة (١) التي فيها مملكة سبأ ليهاجمها ويربها أنه
جاد غير هازل (عفريت من الجن) أحد القواد ويظهر أنه لم
يفهم أن المسألة علمية جغرافية تحتاج إلى الذي عنده علم (من
الكتاب) من الكتابه والرسم والتخطيط (١) (قبل أن يرتد
إليك طرفك) الغرض أنه يأتي به حالا ، وقد أتى به ويحتمل أنه
رسمه في الحال أو كان عنده مرسوما . ولو كان عهد الفتوغرافيا
(١) قديما لصح أن يكون ذلك الرسم بها ، وترى أن سليمان يشكر
الله على ما في مملكته من العلماء العاملين في كل فن " (٣) .

(١) الهداية والعرفان : ص ٢٩٧ (٢) سورة النمل : الآيات ٣٨-٤٠

(٣) الهداية والعرفان : ص ٢٩٨ - ٢٩٩

ومن هذا ترى أن المؤلف صرف لفظ العرش عن مدلوله الحقيقي إلى معنى آخر وهو خارطة مملكة سبأ ، لكنه لم يُشِرْ من قريبٍ أو من بعيدٍ إلى معنى قول سليمان عليه السلام " نَكَّرُوا لَهَا عَرْشَهَا " الآية (١) هل أراد أن يُنَكِّرَ الخارطة ؟ وما الفائدة من تنكير الخارطة الذي إن دَلَّ على شيءٍ فإنما يدل على قصور في معرفة بلاد العدو وذلك صفة ضعف لا صفة قوة مع أنه لا صلة بين العرش والخارطة إلا عند ذوي المآرب، ومآربه لا تخفى لكنه سلك طريقاً مُهْلِكاً مكشوفاً للأنظار. معجزات موسى عليه السلام :

ومعجزات موسى عليه السلام أولها كما أول غيرها من المعجزات بما يبطلها فقال مثلاً عن قوله تعالى عن موسى عليه السلام " فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ، ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين " (٢) " مثال من قوة حجته وظهور برهانه " (٣) وهو يريد بهذا إنكارهاتين المعجزتين كما أنكر معجزاته الأخرى كضرب الحجر بعصاه وخروج عيون الماء وذلك في قوله تعالى " وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم " (٤) فزعم أنه : - " يصح أن يكون (الحجر) اسم مكان واضرب بعصاك الحجر معناه اطرقه واذهب إليه والغرض أن الله هداه إلى محل الماء وعيونه " (٥) وقال نحو هذا في معجزة أخرى لموسى عليه السلام نص عليها قوله تعالى فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم " (٦) حيث قال " اضرب بعصاك البحر اطرقه واذهب إليه) فانفلق فكان كل فرق

(١) سورة النمل : من الآية ٤١ (٢) سورة الاعراف: الآيتين ١٠٧-١٠٨

(٣) الهداية والعرفان : ص ١٢٦ (٤) سورة الاعراف: الآية ١٦٠

(٥) الهداية والعرفان : ص ١٣١ (٦) سورة الشعراء: الآية ٦٣

كالطود العظيم) هذا بيان لحالة البحر ، يصوره لك بأنه مناطق
بينها طرق ناشفه يابسه ، راجع ١٦٠ في الاعراف ثم راجع طه في
٧٧ و ٧٨ لتعرف كيف اهتدى إلى طريق بيبس مرَّ منه ^(١) ولا ندري
كيف يعلل مرور موسى عليه السلام ومن معه وغرق فرعون ومن معه
كيف كان هذا الطريق بيبسا عند مرور موسى عليه السلام ثم إنقلب
بحرا متلاطم الأمواج يفرق فيه فرعون ومن معه إن هذه وحدها
لمعجزة إلهيه في حفظ الله تعالى لنبي من أنبيائه حسبك بانفراج
البحر عن طريق بيبس بعد أن ضربه موسى عليه السلام إمتثالا لأمر
ربه .

معجزات عيسى عليه السلام :

وَأَوَّلَ أَمْرِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ كَلَّمَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ قَالَ تَعَالَى
عَنْ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ " وَيَكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ " ^(٢)
لكن محمد أبوزيد يَحْرَفُ التفسير فيقول " في المهد : في دور التمهيد
للحياة وهو دور الصبا - علامة على الجرأة وقوة الاستعداد في
الصغر (وكهلا) علامة على أنه لا يقل عزمه بالشيخوخة والكبر -
ويصح أن يكون المعنى يكلم الناس الصغير منهم والكبير علامة على
تواضعه ومباشرة دعوته بنفسه " ^(٣) .

فاذا ما قلت له لو كان يفقه أن قوله تعالى " فأشارت إليه
قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا " ^(٤) يدل على أنه تحدث
وهو صبي في المهد تحمله أمه إذا قلت هذا أجابك جهلا وسفاهة

(١) الهداية والعرفان : ص ٢٩٠ (٢) سورة آل عمران : الآية : ٤٦

(٣) الهداية والعرفان : ص ٤٤ (٤) سورة مريم : الآية ٢٩

" كان في المهد صبيا أى كان ذاك النهار ولدا صغيرا فكيفنا
يأمرنا وبينها و نحن كبار القوم فهذا ابن حرام" (١) ؟! وإنحرف فى
تفسير حمل أمه له حتى يلائم تفسيره هذا فقال فى (تحمله) على
ما يُحْمَلُ عليه المسافر ومنه تفهم أنها كانت فى سياحة طويلة" (٢) .
فجعل حمل مريم لعيسى عليهما السلام وإتيانها به قومها كذلك
حملا على ما يحمل عليه المسافر ؟! وهو صرف للألفاظ عن مدلولها
لا تعين عليه اللغة وسياق الكلام ولكنه الهوى .

وقد تعجب إذا قلت لك أنه ينكر أن يكون عيسى عليه السلام
قد ولد من غير أب لكنه يفعل هذا بطريق غير مباشر وإنما بطريق
التلميح الذي قد يبعد عند بعض الأذهان كما أنها إشارة ملموزة
عند آخرين حيث قال فى تفسير قوله تعالى " وأوحينا إلى أم موسى
أن أرضعيه " الآية (٣) : - أم موسى فيها ملحوظة ظريفة هي أن موسى
لم يذكر له أب ولكن قومه لم ينكروا أباه ، أو يقولوا فيه كما قالت
النصارى فى المسيح ابن الله ، بناء على أن المسيح نسب إلى أمه
ولم يذكر له أب . راجع مريم لتفهم المناسبة بينها وبين أم موسى
فى أن كل واحد منهما جاءت بمولود عظيم وكان لها الفضل فى
حسن تربيته والجهاد فى المحافظة عليه" (٤) فهذه المقارنه بين قوم
موسى وقوم عيسى ترمز إلى أن عيسى كموسى (عليهما السلام) له أب
ويتأكد هذا اذا نظرت تفسيره لقوله تعالى " فأرسلنا إليها روحنا
فتمثل لها بشرا سويا" (٥) قال " فتمثل يفهمك أنها رؤيا تمثيلية

(١) الهداية والعرفان : ص ٢٣٩ (٢) الهداية والعرفان : ص ٢٣٩

(٣) سورة القصص : الآية ٧ (٤) الهداية والعرفان : ص ٣٠٣

(٥) سورة مريم : الآية ١٧

وبشارة روحه " وفي قوله تعالى عن مريم عليها السلام " قالت أنسى
يكون لي غلام ولم يمسنى بشر ولم أك بغيا " (١) قال " استنكرت
لما طرأ على فكرها أن الولد يأتيها من غير السبب المعروف " وقال
في قوله تعالى : - " فحملته فانتبذت به مكانا قصيا " (٢) وما بعدها
" إختصار في التعبير لا يعوق دور الحمل الطبيعي والمقصود أن
مريم أصابها ما يصيب النساء - لجأت عند الوضع إلى جذع النخلة
لتستند عليه وتمنت لو ماتت قبل أن تذوق آلام الولادة فلم يكن عيسى
ابن الله ، ولم تخرج أمه ولا هو عن دائرة البشرية " (٣) إذا أضفت
التفسير السابق لآية القصص مع هذا التفسير لآيات مريم تبين لك
ما يرمز إليه رجل ينكر المعجزات . وعرفت أنه لا يعترف كما لا
يعترف اليهود بأن عيسى عليه السلام خلق من غير أب (٤)

أما معجزات عيسى عليه السلام بعد ذلك التي تحدث عنها
القرآن حكاية عن عيسى عليه السلام " أني قد جئتكم بآية من ربكم
أنني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا
بإذن الله وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله وأنبيئكم
بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم
مؤمنين " (٥) فإن هذا الرجل قد تخبط في تفسيرها فراح يضرب
القول جزافا فقال " كهيفة، يفيدك التمثيل لإخراج الناس من ثقل
الجهل وظلمائه إلى خفة العلم ونوره - ومعنى الأكمه من ليس عنده
نظر (والأبرص) المتلون بما يشوه الفطرة فهل عيسى يبرىء هذا
بمعنى أنه يكمل التكوين الجسماني بالأعمال الطيبة أم بمعنى أنه يكمل

(١) سورة مريم : الآية ٢٠ (٢) سورة مريم : الآية ٢٢
(٣) الهداياه والعرفان : ص ٢٣٩ (٤) بلاغة القرآن : محمد الخضر حسين ص ١٢٠
(٥) سورة آل عمران : الآية ٤٩

التكوين الروحي والفكري بالهدايه الدينيه . . . (في بيوتكم) يعلمهم
التدبير المنزلى " (١) ؟ !!

وأكد هذا عند تفسيره لهذا في آخر سورة المائده عند قوله
تعالى " مخاطبا عيسى عليه السلام " وإذ تخلق من الطين كهيئة
الطير بإذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذنى وتبرىء الأكمة والأبرص
بإذنى وإذ تخرج الموتى بإذنى وإذ كفت بني إسرائيل عنك إذ
جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين" (٢) .

فقال في تفسيرها " الموتى : معناهم مشترك بين موتى الأجساد
وموتى القلوب والنفوس ، وموتى الجهل والاستعباد ، وموتى الاتهام
والحكم بالاعدام . . من هذا تعرف أن عيسى نبي أرسله الله إلي
بني إسرائيل ليشفي مرض نفوسهم ويحيى موت قلوبهم فأيته فى
دعوته ، وسيرته وهدايته ، عاش ومات كخير من الأنبياء فى بشرته
فلم يكن خارقا لله (١١١) فى سنته ، ولا ممتازا بما يدعو إلى
ألوهيته وعبادته " (٣) .

وأحسب أن أمر الحاده فى تأويل هذه المعجزات بين بحيث
لا يحتاج مع بيانه إلى بيان، فحسبه الله، وكفى .

معجزات محمد صلى الله عليه وسلم :

ويكفى أن تعرف معجزة الإسراء به صلى الله عليه وسلم من مكة
إلى المسجد الأقصى ثم عودته إلى مكة فى نفس الليله كما اتفقت
النصوص الكثيرة على ذلك . وقد جاء محمد أبوزيد برأى جديد لم

(١) الهدايه والعرفان : ص ٤٥

(٢) سورة المائده : الآية ١١٠

(٣) الهدايه والعرفان : ص ٩٧

يقول به أحد قبله - فيما أعلم - فقد زعم أن " الاسراء يستعمل في هجرة الأنبياء " " المسجد الحرام الذي له حرمة يحترم بها عند جميع الناس " " المسجد الأقصى " الأبعد - مسجد المدينة - وقد بارك حوله فكان للنبي (صلى الله عليه وسلم) هناك ثمرة وقوة وكان بالاسراء الفتح والنصر فكان كل ذلك من آيات الله " (١).

إذا فالمراد بالاسراء عنده الهجرة - من مكة إلى المدينة ولا أدري كيف يفسر المسجد الأقصى بالأبعد ثم يزعم أنه مسجد المدينة مع انه لا مسجد هناك حينذاك، زد على هذا أن في القدس مسجداً هو أبعد من مسجد المدينة ومع أن هذه الآية مكية بإتفاق العلماء أي قبل الهجرة ولكن المؤلف لا يدرك فوائد معرفة ما نزل بمكة وما نزل بالمدينة وأثر ذلك في التفسير، وزد على هذا أيضاً أن الاسراء من مكة إلى بيت المقدس قد ورد في السنه ورواه جمع عظيم من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم وجاءت هذه الروايات في الصحاح، ولكنه لا يفسر القرآن بالسنه ولو فعل لما ضل وتاه وألحد في تفسيره .

تلكم بعض الأمثلة على مواقفه الملحده من المعجزات التي أظهرها الله على يد أنبيائه علامة على صدقهم أمام أقوامهم فأمن بها طوائف منهم وأنزل الله العقاب الشديد على من لم يؤمن بعد نزولها دليلاً على حجيتها، وأحسب هذا دليلاً كافياً على قوة الارتباط بين النبوة والمعجزة قال شيخ الأزهري محمد الخضر حسين عن منكري المعجزات " إنما ينكرها طائفة ممن انكروا بعثة

الرسول إذ قالوا ان الرسالة تتوقف على المعجزة والمعجزة خرق للعادة
وخرق العادة محال " (١) .

ولهذا فان شيخ الأزهر محمد الخضر حسين رحمه الله تعالى
كثيرا ما يربط وهو يرد على محمد أبوزيد - بينه وبين داعية
البهائية المسمى أبا الفضل في كتابه المسمى " الدرر " فيورد إلحاد
هذا ثم يورد إلحاد البهائي فلا تكاد تجد فرقا بينهما إلا في
الألفاظ ، ويزداد ظنك سوءا إذا علمت أن صدور الكتاب البهائي
قبل صدور تفسير محمد أبوزيد بوقت قصير نسبيا ، ويعد فلعل فيما
ذكرنا من موقفه من المعجزات بيان لحقيقته .

ثالثا : إنكار الغيبات :

ونكتفي من الحديث عن الغيبات بثلاثة من معالمه التي ضل
بها كثير من الناس " فتذكر تعريفه للملائكة والجن والشياطين .

الملائكة :

أما الملائكة فهم عنده رسل النظام وعالم السنن وسجودهم
للإنسان معناه أن الكون مسخر له (٢) أما حملهم للتأبوت
في قوله تعالى " وقال لهم نبيهم أن آية ملكه أن يأتيكم التابوت
فيه سكينه من ربكم وبقيه مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله
الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين " (٣) فقد فسر الحمل
بقوله " تحمله الملائكة " إشارة إلى أنه يأتي إليهم بسنن الله ونظامه

(١) بلاغة القرآن : محمد الخضر حسين ص ١١٤

(٢) الهداية والعرفان : ص ٧

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٤٨

أى بتغلبهم على العدو بقوة الحرب ونظامه - والملائكة كما قلنا فى
٣٤ رسل النظام والسنن فى الكون " (١)

الشياطين :

قال تعالى " قل أئندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا
ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذى استهوته الشياطين
فى الأرض" الآية (٢) . فقال محمد أبوزيد فى تفسير الشياطين
" الشياطين تطلق على الحيات والشعابين تستهوي من يتبعها
ليقتلها فيهوى معها وتضله بتعرجها " (٣) ؟ !

وفى قوله تعالى عن سليمان عليه السلام " فسخرنا له الريح
تجرى بأمره رخاءاً حيث أصاب ، والشياطين كل بناء وغواص" (٤)
فقال هذا فى تفسيرها " الشياطين : يطلقون على الصناع الماهرين
والأشقياء المجرمين " (٥)

أما وصف الشيطان وقبيله بأنهم يروننا من حيث لا نراهم
وذلك فى قوله تعالى " إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم" (٦)
فقال فى تفسيرها " من حيث لا ترونهم أى من الجهة التى لا ترونهم
فيها شياطين فيخدعونكم بأنهم من الأولياء الصالحين " (٧) فصرف
هذا، الرؤية عن أن تكون إلى الأعيان والأبدان إلى أن تكون نفيماً
للرؤية المعنوية وهى رؤيه حقيقتهم ومآربهم .

-
- (١) الهداية والعرقان : ص ٣٣ (٢) سورة الانعام : الآية ٧١
(٣) الهداية والعرقان : ص ١٠٥ وانظر ص ٣٧ حيث قال الشيطان يطلق على
الشعبان كالجان . (٤) سورة ص : الآية ٣٦ - ٣٧
(٥) الهداية والعرقان ج ص ٣٥٩
(٦) سورة الاعراف : الآية ٢٧
(٧) الهداية والعرقان : ص ١١٨

أما ابليس فعنده أنه " اسم لكل مستكبر على الحق ويتبعه لفظ الشيطان والجان وهو النوع المستعصي على الانسان تسخيره"^(١)

الجن :

قال تعالى في أول سورة الجن " قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا "^(٢)

وزعم محمد أبوزيد أنه " يطلق الجن والجنه على الزعماء والمستكبرين من السادة المتبوعين ، وَيَعْبَرُ عن الانس بسائر المقلدين والتابعين المستضعفين "^(٣) ولا أدري ماذا يسمى الانس المتبوعين والسادة .

لكنه جاء بتعريف آخر للجن في تفسير قوله تعالى " وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ من الجن والانس والطير فهم يوزعون "^(٤) . فقال " الجن يطلق على العالم الخفي والظاهر القوي وجن كل شيء أوله ومقدمته وجن الجيش قواده ورؤسائه "^(٥) .

وقال في تفسير قوله تعالى " والجان خلقناه من قبل من نار السموم "^(٦) : - " والجانّ النوع المتشرد صاحب الطبع الناري الذي إذا قاربتة يؤذيك ويغويك ولا تستطيع أن تمسكه وتعده ، والنوعان موجودان في كل أمة "^(٧) ؟ ! وتأمل قوله والنوعان" يقصد الانسان والجان " موجودان في كل أمة فقد وصف الانسان بأنه النوع الهادي ، والجان بأنه النوع المتشرد ثم وصفهما بأنهما

(١) الهداياه والعرفان : ص ٧ (٢) سورة الجن : الآية الأولى

(٣) الهداية والعرفان : ص ٤٥٨ (٤) ، ، النمل : الآية ١٧

(٥) ، ، : ص ٢٩٧ (٦) ، ، الحجر : الآية ٢٧

(٧) ، ، : ص ٢٠٤

موجودان فى كل أمة اذا أضفت هذه النصوص الى بعضها وعرفت موقف صاحبها من الملائكة والشياطين أدركت أنه يجعل الجن نوعا من أنواع البشر ويقابله النوع الثانى من أنواع البشر وهم الانس وهذان النوعان الجن والانس موجودان فى كل أمة من البشر، وهذا يعنى خلاف الحق الذى اتفقت عليه الأمة من أن الجن نوع مستتر بخلاف الانس وأن فيهم الصالح وفيهم الفاجر فيهم المؤمن وفيهم الكافر .

رابعا : إنكار بعض التشريعات المعلومة من الدين بالضرورة :

وإنما وصفته بأنه ينكر ولم أصفه بالاجتهاد لأن الاجتهاد له شروطه التى لا تتوفر فيه أولا ولأن الاجتهاد ليس فيما أجمع عليه المسلمون وما هو معلوم من الدين بالضرورة فلا يصح أن يجتهد إنسان فى حكم الصلاة المفروضة مثلا لأن أمره لا يحتاج إلى بذل الجهد وإستقصاء الذهن فى معرفته إذ هو معلوم من الدين بالضرورة كذلك الأمر فى حكم السرقة والزنا وتعدد الزوجات والربا ونحو ذلك وإنما يسمى من أنكر شيئا من ذلك منكرا لتشريعه لاجتهادا فى حكمه ، وعلى هذا فقد أنكر محمد أبوزيد عددا من الأحكام الشرعية المعلومة من الدين بالضرورة ومنها :

حد السرقة :

قال تعالى " والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما " الآية (١)
ولم يذكر القرآن ولا السنة ولم يرد عن أحد من الصحابة أو من التابعين إشتراط أن تتكرر السرقة من السارق حتى يقام عليه الحد

لكن محمد أبوزيد يشترط هذا إفتياتا على الشريعة فيقول " واعلم أن لفظ السارق والسارقة تعطى معنى التعود أي أن السرقة صفة من صفاتهم الملازمة لهم ويظهر لك من هذا المعنى أن من يسرق مرة أو مرتين ولا يستمر في السرقة ولم يتعود اللصوصية لا يعاقب بقطع يده لأن قطعها فيه تعجيز له ولا يكون ذلك إلا بعد اليأس من علاجه " (١) .

حد الزنا :

ونحو تفسيره هذا قال في تفسير قوله تعالى " الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة " الآية (٢) فزعم : " يطلق هذا الوصف على المرأة والرجل إذا كانا معروفين بالزنا وكان مسن عادتتهما وخلقهما فهما بذلك يستحقان الجلد " (٣)

وهذا الزعم الباطل في تأويل هذه الآية جاء من بعده في تفاسير كثير من المنهزمين الذين تأثروا بكلام أعداء الحق حين زعموا أن قطع يد السارق وجلد الزاني فضلا عن رجمه فيه قسوة وعنف وفيه تعطيل للفرد وتعجيز له وفيه تشويه لأفراد البشر وهم بهذا ينظرون إلى المجتمع من زاويته الضيقة زاوية الفرد ولو علم هؤلاء أن في قطع يد سارق حفظ لأرواح بله أيدي آخرين هم أكثر عددا، وأن في قطع يد سارق حفظ لأمن أمة، وأن في تشويه يد سارق جمال لأمة، وأن القسوة ليست في الجزاء والقصاص وإنما هي في الجريمة الأولى التي إستحق صاحبها العقاب ولكنهم لا يفقهون أو يفقهون ويمكرون .

(١) الهداية والعرفان : ص ٨٨

(٢) سورة النور : الآية ٢

(٣) الهداية والعرفان ص ٢٧٤

اما ان ارادوا الفقه الحق في تفسير الآيه فقد رد الشيخ محمد الخضر حسين على هذا وأمثاله بقوله " وهذا الذي قاله في اسم الفاعل من أنه يدل على التكرار والتعود من بهتانه الذي لا يقف عند حد ؟ فاسم الفاعل نحو السارق أو الزاني إنما يدل على ذات قامت بها السرقة أو الزنا ، ولا دلالة له على تجدد قيام الوصف بالذات ، ولا على تعودها عليه ، هذا ما يقوله علماء العربية في التقديم والحديث قال ابن مالك في كتاب التسهيل معرفة اسم الفاعل : - " اسم الفاعل هو الصفة الدالة على فاعل ، جارية في التذكير والتأنيث على المضارع من أفعالها لمعناه أو معنى الماضي " فقوله لمعناه أو معنى الماضي تنبيه على أنه لا يدل على مزيد مما يدل عليه الفعل ، وهذا وجه الفرق بينه وبين صيغ المبالغة كفعال ومفعال ومفعول ، فإن هذه الصيغ تدل على معنى زائد على حدوث الصفة لمن قامت به ، وهو قوتها فيه أو كثرة صدورها منه " إلى ان قال رحمه الله تعالى فعلماء العربية من كوفيين ومصريين مجمعون على أن اسم الفاعل لا يدل على أكثر مما يدل عليه الفعل ، وإذا كان علماء العربية الذين قضوا أعمارهم الطويلة في تقصي اللغة والتفقه في كلام العرب قد تظاهروا على أن اسم الفاعل لا يدل على مقدار من الوصف أكثر مما يدل عليه أصل المضارع والماضي أفستطيع المؤول أن ينقض بناءهم بكلمة لا تمت إلى البحث بسبب ، وإنما هي وليدة الهوى وإلانهماك في مخالفة أهل العلم " (١)

وانما رددت على هذا التأويل لهذا الرجل لأن هناك من انخدع بهذا التأويل فأخذ يردده ويكرره عن جهل حيناً وعن فسق أحياناً ، وإلا فالحق فيه كما هو الحق في كثير من التأويلات الأخرى بيّن واضح لا يحتاج إلى شرح وبيان كما لا يحتاج الحاد فيه إلى ابطال ونقد .

(١) بلاغة القرآن : الشيخ محمد الخضر حسين ص ١٢٦ - ١٢٧

الربا :

وحكم الربا ايضا معلوم من الدين بالضرورة ولئن قامت في المسلمين طائفة تبحث عن تأويل تبرره واقع المسلمين اليوم فتلتبس الضرورة الاقتصادية سببا لباحة الربا أو تخصص المراد بالربا المحرم بأنه الربا الفاحش فإن هذه التبريرات الباطلة لا تغني من الحق شيئا بعد أن اتفق المسلمون على تحريم الربا قليله وكثيره ، أما محمد أبو زيد فقد زعم أن الربا المحرم هو الربا الفاحش ولم يحدد المقدار الذي يكون به الربا فاحشا وإنما ترك هذا لتقديره كل أمة بعرفها ؟ ! وبهذا يكون الربا محرما في مكان ومباحا في آخر ؟ !

فقال في تفسير قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفه واتقوا الله لعلمكم تفلحون " (١) : - أي الربا الفاحش وبمعنى آخر الربح الزائد عن حده في رأس المال وتقدره كل أمة بعرفها " (٢)

وعلى زعمه هذا ان قدرته أمه بما زاد على ٢٠٪ وقد رته أخرى بما زاد عن ١٥٪ فان ربا ١٦٪ الى ٢٠٪ حرام عند طائفة من المسلمين مباح عند أخرى ثم أين موقع السنة التي حرمت الربا قليله وكثيره من هذا التفسير ؟ ! انك لن تجد لها أثرا كما لم تجدها في سائر تفسيره وحسبك بهذا إنحرافا في التفسير.

تعدد الزوجات :

وأما تعدد الزوجات فقد جاء محمد أبو زيد في شرط إباحته بما هو أعجب من كل ما سلف حيث اشترط شرطا لم يقل به أحد من قبله ولا من بعده حتى ساعتنا هذه فيما أعلم حيث اشترط في قوله تعالى " وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة " (٣) " اشترط في " النساء " ان يكن من نساء اليتامى فلا يجوز عنده

(١) سورة آل عمران الآية ١٣٠
(٢) الهداية والعرفان : ص ٥٣
(٣) سورة النساء : من الآية ٣

التعدد من غير النساء اليتامى ؟ قال " من النساء : - نساء اليتامى الذين فيهم الكلام لأن الزواج منهن يمنع الحرج في أموالهن ومن هذا تفهم أن تعدد الزوجات لا يجوز الا للضرورة التي يكون فيها التعدد مع العدل أقل ضررا على المجتمع من تركه ولتعلم أن التعدد لم يشرع إلا في هذه الآية بذ لك الشرط السابق واللاحق" (١)

ولنا مع هذا التفسير وقفات قصيره فلاسند له أولا في اشتراط أن تكون النساء من اليتامى يكذب هذا اطلاق العبارة في الآية، وتكذبه السنة النبوية وفعل الرسول صلى الله عليه وسلم وفعل أصحابه فقد عدَّ وعدَّ وا من غير يتامى النساء ولم يدُر بخلد أحد هم هذا الشرط ولم يقل به أحد منهم ولا من سائر علماء المسلمين من بعد هم .

ووقفه أخرى مع هذا التفسير من أين جاء بقيد " أنه لا يجوز إلا للضرورة" وليس في الآية مثل هذا القيد

ووقفه ثالثه ماذا يقصد بقوله أن التعدد لم يشرع إلا في هذه الآية ؟

أليست الآية الواحدة كافية في التشريع أم لا بد من تكراره حتى يكون مشروعا ؟ أم يريد التقليل من شأن التعدد ؟ وحسبنا قدوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . وأصحابه من بعده

التسري :

والآيه السابقه تنص على أن من خاف ألا يعدل فليتزوج واحده أو يتسرى بما ملكت يمينه قال تعالى " فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيما نكم ذلك أدنى ألا تعولوا " (٢)

لكن محمد أبوزيد ينكر التسري فيقول " في تفسير قوله تعالى " ومن لــــم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيما نكم مــــن

(١) الهدايه والعرفان : ص ٦١

(٢) سوره النساء : الآية ٣

فتياتكم المؤمنات" الآية^(١) وبدلاً من أن يستدل بها على اباحة التزوج مما ملكت الايمان عكس المعنى فقال " وفي هذه الآية رد على الذين يتخذون ملك اليمين من الخاد مات والوصيفات للتمتع بهن كالزوجات بحجة أنهم مشتراة بالمال أو أسيرات بالحرب فليس في الاسلام عرض امرأه يستباح بغير الزواج مملوكة كانت أو مالكة"^(٢)

وإذا قرأت قوله تعالى في وصف المؤمنين " والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين" قال^(٣) في تفسيرها " أو ما ملكت أيمانهم من الخدم فإن لهم ما ليس لغيرهم فقد يكون في الانسان فروج أى نقائص وعيوب يسيئه أن يراها الناس فيه ولكن لا يسيئه أن يراها خدامه ومن البلاغة في التعبير أن لفظ (أو) أفاد التنويع بين ما يباح للأزواج وما يباح لملك اليمين إذ يوجد من العيوب ما لا ينبغي كشفه على الخدم ويكفيك فاصلاً : الذوق والعرف الجاري مع الفطره"^(٤)

وهو هنا صرف الآية عن أن تكون للحث على حفظ الفروج حقيقة من الوقوع في الحرام إلى ان يكون المراد بالفروج النقائص والعيوب وأن المراد بحفظها منع كشفها لغير الأزواج والخدم ؟ !

وقد ضحكتُ وشرُّ البليِّ ما يضحك لقوله أن "أو" بلاغة في التعبير وتساءلت

هل يعرف هذا التعبير فضلاً عن بليغه ؟ ! ثم لا ندري كيف يستدل بأو العاطفه " ما ملكت ايمانهم" على " أزواجهم" على التنويع بين ما يباح كشفه للأزواج وما يباح كشفه لملك اليمين مع انه لم يذكر في الآية ما يباح للصفين فيما زعم .

(١) سورة النساء من الآية ٢٥

(٢) الهدايه والعرفان : ص ٦٤

(٣) المؤمنون الايتين ٦٠ ، ٥

والمعارج الآيتين ٢٩ - ٣٠

(٤) الهدايه والعرفان : ٤٥٥

وخلصه الأمر أنه يحرم التسري بل وملك اليمين أصلا ويفسر الفروج بالعيوب وهو أمر لا تعين عليه اللغة ولا يدل عليه الشرع

الطلاق :

وكما إشتراط في التعدد شرطا جديدا لم يقل به أحد من قبله فانه جاء أيضا هنا بشرط عجيب لا أعلم أحدا قال به من قبله أيضا وهو أن الطلاق لا يقع من الزوج لزوجته إلا اذا جاءت بما يخل بنظام العشرة الزوجية وعبارة لا يقع تدل على أنه فيما لو نطق بالطلاق من غير هذا السبب فإن زوجته لا تطلق وهاك نص عبارته " أن الطلاق وإن كان في يد الرجل لا يقع إلا بسبب يخل بنظام العشرة الزوجية" (١)

وفي تفسير قوله تعالى " والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهادة ، إلا أن أنفسهم فشهادة أحد هم أربع شهادات أنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنت الله عليه إن كان من الكاذبين " (٢)

قال " تسهيل على الرجل فانه يصعب عليه أن يعاشر أمراة وهو يعتقد عدم عفتها وتفهم من هذا أن ليس له أن يطلقها إلا بسبب يخل بالعشره الزوجيه وإلا ما إحتاج الى هذا الاشهاد" (٣) وهو يجهل أن هذه الشهاده من الزوج ليست لإيقاع الطلاق وإنما لإيقاع العقاب عليها ولذلك قال تعالى بعد هاتين الآيتين مباشرة " ويدرو عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات" الآية (٤) ولكنه لا يفقه هذا وأحد في تفسير الآية

(١) الهدايه والعرفان : ص ٤٤٥

(٢) سورة النور : الآيتين ٦ - ٧

(٣) الهدايه والعرفان : ص ٢٧٤

(٤) سورة النور : الآية ٨

مصارف الزكاة :

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى مصارف الزكاة فى قوله عز وجل " انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله . والله عليم حكيم " (١) ومحمد أبوزيد يفسر بعض هذه المصارف - كعادتـــه تفسيراً جيداً فيقول : " وفى الرقاب " فى خلاصها من الإستعباد ، وفى هذا الزمان تجد أكثر المسلمين رقابهم مملوكة للأجانب فيجب أن يتعاونوا على فك رقابهم ، وفى الصدقات حق لهذا التعاون . . والغارمين الذين يضطهدون فى سبيل الدين والوطن فيصيبهم من الغرامات ما يصيبهم ، وكل من يغرّم للمصلحة العامة فهو من الغارمين (وفى سبيل الله) منه نشر الدعوة باللسان والقلم لحرية العقيدة والوطن والقتال للدفاع عن الحرية والاستقلال والتربية والتعليم الباعثان على تكوين أمة معمّرة فى الكون ويتبع ذلك المستشفيات والملاجىء للمرضى والمحتاجين والمعامل والمصانع للعمال العاطلين . . (وابن السبيل) السائح المكتشف؟! واللقيط الذى يوجد فى الطريق ولا يعرف له عائل " (٢)

وهو فى تأويله هذا خلط حقاً بباطل وكلاهما معلوم لا يخفى ، أظنه لا يحتاج الى بيان .

زكاة الزروع :

ذكرنا رأيه فى الربا وأنه يقول باباحة الربا غير الفاحش وأن مقصد ار الفاحش متروك للأمة تقدره بحسب حالها ، ورأيه هنا فى زكاة الزروع لا يبعد

(١) سورة التوبة الآيه ٦٠

(٢) الهداية والعرفان : ص ١٥٠

عن هذا حيث يقول في تفسير قوله تعالى " وأتو حقه يوم حصاده " (١)
قال " زمن تحصيله وكما أمر المالكين بإيتاء هذا الحق أمر الحاكم العام
بأخذه والعمل على جبايته لبيت المال ، وقد ترك التقدير للأمم بحسب
الحاله " (٢) وكل من أوتى حظا من الفقه يعلم أن السنة لم تترك هذا
بل قد رزقاتها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ولكن محمد أبو زيد هذا
لا يعترف بالتفسير بالسنة .

خامسا : إهمال المدلول اللغوي :

ولأنه يأتي بما لم يقل به أحد من قبله فان اللغة لا تطاوعه فـى
كثير من أقواله فلا يبالي بذلك ولا يلقي له حسابا بل صرح في مقدمة تفسيره
بهذا حيث قال :- " وقد تغيرت معانى القرآن أيضا وتبدلت مقاصده بإعتماد
المفسرين على بعض كتب اللغة التى تفسر الألفاظ بلازمها ، وتقصرها على
بعض معانيها ، وقد سرى التقليد واستعمال الاصطلاحات في قواميس
اللغة كما سرى في غيرها حتى أنك لتجد كثيرا من الفاظ القرآن في تلك
القواميس مفسرة بما فسرت به في كتب فقه الأحكام فتكون بذلك بعيدة عن
فقه اللغة فيتغير معناها المراد في القرآن " (٣)

ولا عجب بعد أن يتحرر من يزعم نفسه مفسرا من السنة الصحيحة
واللغة أن يفسر الآيات بما يشاء فأى ضابط للتفسير بعدهما فليقل ما يشاء
وليقل غيره ما يشاء فلا ميزان توزن به الأقوال ولا ملاذ تلجأ اليه
الآراء وهذا ما يريد الملحدون وأعداء هذا الدين ويأبى الله الا أن يتم
نوره .

(١) سورة الانعام : من الآيه ١٤١

(٢) الهدايه والعرفان : ص ١١٣

(٣) المرجع السابق : ص : ج

ولقد ذكرنا فيما سلف أمثله يظهر فيها عدم التزامه المدلول اللغوي الصحيح للالفاظ في تفسيره المزعوم ومن ذلك مثلا معنى كلمة الفروج فى مثل قوله تعالى " والذين هم لفروجهم حافظون " (١) وقوله سبحانه " افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج " (٢) والفروج فى اللغة جمع فرج وهو الشق والفتق وما بين الرجلين وكنى به عن السوء وغلب عليها (٣) والسياق فى الكلام يحدد المعنى المراد الاصلى أم الكناية ففى الآيه الاولى هنا المراد بها " العوره " وفى الآيه الثانى على المعنى الاصلى .

وإذا ما نظرت بعد هذا فى تفسير محمد أبوزيد وجدته لا يفرق بين هذا وذاك فيذكر لهما معنى واحدا وزيادة على هذا فالمعنى الذى يذكره ليس هو المعنى الاصلى ولا الكناية به فقال فى تفسيره الاولى " فـروج أى نقائص وعيوب " (٤) ؟ ! وقال فى تفسير الآيه الثانية " فروج عيوب ونقائص " (٥) وهو دليل على جهله فى اللغة بل وعلى عدم اعتداده بها فى التفسير .

وخذ مثلا آخر اسم " الطير " لا يخفى معناه والمراد به فى قوله تعالى " وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين " (٦) لكنه يقول فى معناه " والطير يطلق على ذى الجناح وكلّ سريع السير من الخيـل والقطارات البخاريه والطيارات الهوائيه " (٧) (!!)

(١) سورة المعارج الآيه ٢٩

(٢) سورة ق : الآيه ٦

(٣) انظر المعجم الوسيط ج ٢ ص ٦٨٥

(٤) الهداية والعرفان ص ٤٥٥

(٥) الهداية والعرفان : ص ٤١٠

(٦) سورة الانبياء الآيه ٧٩

(٧) الهداية والعرفان : ص ٢٥٧

سادسا : تفسير القرآن بالقرآن :

وقد الصق المؤلف نفسه بهذا النوع من التفسير إصافاً، مكرراً وخبثاً فهو يعلم قيمة هذا النوع من التفسير لدى المسلمين فسمى تفسيره " الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن "

وقد جعلت الحديث عن هذا الأساس المزعوم هو الأخير لأنه آخر ما تجده في هذا التفسير ، وكيف يصح أن يسمى تفسيره تفسيراً بالقرآن وهو يعصي القرآن نفسه في أمره بالأخذ بالسنة في تفسيره ؟! هذا فيما لو صح ما يسميه تفسيراً للقرآن بالقرآن .

وإن شئتم أمثلة على ذلك سقت لكم منه كثيرا وكثيرا ولكن لا تطمعوا بفائدة منه في هذا فإشارته إلى ما يُفسَّرُ به ليس لآيه أو آيات إنما يشير لسورة أو سور كثيرة أي أنها إشارات مجملة وأذكر أمثله يتضح بها المراد .

في تفسير قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم " (١) قال في تفسيرها " اقرأ الطلاق " (٢) أي اقرأ سورة الطلاق ؟!

وفي تفسير قوله تعالى " ووصينا الانسان بوالديه حسنا " (٣) الاية يقول " اقرأ الاحقاف ولقمان " (٤)

وفي تفسير قوله تعالى " فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين " (٥) قال " جاثمين باركين اقرأ هود والحجر والشعراء " (٦)

-
- (١) سورة الانفال الآية ٢٩
 - (٢) الهداية والعرفان : ص ١٣٨
 - (٣) سورة العنكبوت الآية ٨
 - (٤) الهداية والعرفان ص ٣١٢
 - (٥) سورة العنكبوت الآية ٣٧
 - (٦) الهداية والعرفان ص ٣١٤

وفي تفسير قوله تعالى " فان أعرضوا فقل أذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود " (١) قال " ١٣ - ٥٤ اقرأ الأعراف والحاقة والواقعة والنمل " (٢)

وفي تفسير قوله تعالى " وأنته كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزاد وهم رهقاً " الآيات (٣) قال (٦ - ١٠ اقرأ الصافات وتدبرها آيه آيه ثم الأعراف إلى ٣٨ و ٣٩ وما بعدها إلى آخرها (! !) ثم سبأ وغافر وإبراهيم والأنعام ويس والشعراء ثم الإسراء والكهف والحجر والرحمن والنمل وفصلت والذاريات وأواخر الأحزاب ثم هود والسجدة والناس ثم الفاتحة ثم ١٤٦ و ١٦٥ - ١٦٧ في البقرة بعد هذا تفهم أنه يطلق الجن والجنه على الزعماء والمستكبرين من السادة المتبوعين ويعبر عن الأئمة بسائر الناس المقلدين والتابعين المستضعفين " (٤)

وإذا عرفت أن تفسيره مكتوب على هامش القرآن وأن هوامش كثيرة من الصفحات تكاد تكون بيضاء ، إلا من إحاله إلى قراءه سورة أو سور لمعرفة معنى كلمه أو آيه عرفت صغر حجم هذا التفسير ومع هذا فهو مليء بهذه الإنحرافات ، ولهذا فانه يخيل إلى أن صاحب هذا التفسير قد وزع أفكاره الإلحادية على آيات القرآن الكريم أولاً ثم للغش والتدليس نمق بعض الصفحات بمثل هذه الاحالات التي توهم تفسير القرآن بالقرآن ؟ ! وما هو بتفسير ولكنه إبتلاء وإمتحان للمؤمنين قَيَّضَ اللَّهُ لَهُ طَائِفَةً من العلماء كشفوا أعوارهم وأظهروا إلحاده فحكيم على صاحبه بالردّه ولم يصدر الحكم النهائي من المحكمة لإعلانه رجوعه وتوبته ، ويبقى الحكم دائماً وأبداً لله سبحانه وتعالى فهو الذي يعلم ظاهره وباطنه وما تخفى الصدور .

(١) سورة فصلت : الآيه ١٣

(٢) الهداية والعرفان : ص ٣٧٦

(٣) سورة الجن : الآيه ٦ - ١٠

(٤) الهداية والعرفان : ص ٤٥٨

ومما يؤسف له ويحز في النفس أن كثيرا من آراء هذا الرجل في تفسيره قد انتشرت بين بعض من أصابهم داء ضعف الايمان أو فقد ه وهم حين يقولون بها لا يشيرون اليه ولا يؤمنون ، وما لنا ولاشارتهم أو عدمها وآراءهم متماثلة ينكرون مثله المعجزات ويؤولونها بما يبطلها ويجهررون جهرا باشتراط تكرار السرقة والزنا حتى يقام على السارق والزاني الحد وإلا فلا حد ؟! وينكرون الملائكة والجن والشياطين وينكرون سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ويقولون بملاء أفواههم الإسلام هو القرآن وحده ويريدون منه بصريح عباراتهم عدم الاحتجاج بالسنة وانكارها ، وهم حين يقولون هذا وذاك يعيشون بيننا ولا يمنع ذلك كثيرا منا من أن يكون أكيه وجليسه بل وصديقه الملحذ وأى مؤمن يصادق ملحذا ؟! ولكنها الجاهلية التي غشت على كثير من الابصار غشاوة أعمتها عن التماس السبيل فذهبت تلتسمه يمنة ويسرة فتعثر هنا وتعثر هناك وقد تهلك ان لم يدركها الله بنور من عنده .

الباب الرابع : الاتجاهات المنحرفة

الفصل الثانى

منهج القاصرين فى تفسير القرآن الكريم

قلنا فى أول هذا الباب أنا نقصد بالقاصرين طائفه لم يطلبوا العلم الشرعى ولم يدرسوه فى مدارس بل تقاذفتهم المدارس فى نواح شتى ليس منها علوم الشريعة ثم برز هؤلاء فى تخصصهم أو فى كتابة المقالات الصحفيه والأبحاث الأدبيه ونحو ذلك وكان لهم نصيب من الشهرة فى ذلك لأبأس به فأرادوا أن يتجهوا الى رقعة أوسع منها فأروا أن الأنظار من مختلف المستويات ومختلف الاتجاهات تتجه الى رقعة الأبحاث الشرعيه ، والدراسات القرآنيه خاصه فتسللوا الى هذه الرقعه وبدأوا ينشرون تفاسيرهم لآيات قرآنيه وهم يحسبون أن علوم الشريعة لا تحتاج الى أكثر من تقليب النظر فى العبارات ثم ابداء الرأى من غير أن يكون لصاحبها الدرايه فى شروط التفسير ومن غير أن يدركوا شروط المفسر فأصبحوا ينظرون الى آيات القرآن الكريم كما ينظرون الى مقاله أدبيه سطرها أحد هم فراح الآخر يينقدها فوقعوا فى انحرافات فى التفسير مصدرها جهلهم بالقرآن نفسه فى آياته الأخرى التى قد تفسر ما يكتبون عنه أو تبينه ، وجهلهم بالسنة الشريفه التى قد يرد فيها تفسير لهذه الآيه التى يتناولونها وجهلهم باللغه وأنها لا تحتل ما قالوه وجهلهم بالعقيد ه وأصولها وغير ذلك من الأصول والقواعد التى لا يصح لقاصر عن تحصيلها أن يفسر القرآن الكريم ولكنهم لم يلتزموا فانحرف تفسيرهم .

والدواعى لهؤلاء لسلوك هذا المنهج فى التفسير كثيره لا تقل عما ذكرته فى أول هذا الباب من أسباب ومنهم من تحقق له ما أراد ومنهم من فشل فى ذلك فخرس الدارين .

وكما هيا الله للملحدين فى التفسير من رد عليهم فى تفاسيرهم وكشف حقيقتهم للناس فإن الله عز وجل هيا أيضا لهؤلاء من رد عليهم وكشف زيف آرائهم .

نماذج من هذا اللون فى التفسىر :

ويمتاز هذا اللون عن سابقه بكثرة الذين كتبوا فيه مقالات ودراسات ومؤلفات وأكثر ما يدخل تحته التفسىر العلمى وقد سبق أن أفردنا هذا بمنهج خاص لكن هذا المنهج قد تطرف فيه بعض من تناولوا التفسىر وخرجوا عن حدود التفسىر والمقبول الى منطقة التفسىر المردود فأصبح تفسىرهم باللون الالحادى ألصق وان كانت صبغته علميه .

ثم يليه فى الكثرة آيات الأحكام التى ولج اليها طائفة أرادوا أن يعدلوا فى الأحكام الشرعيه حسب ما يرونه ملائما للعصر حتى وان لم تطاوعهم الآيه فانهم يلونها ليا وكأنهم قد قرروا الحكم الذى يريدون قبل أن ينظروا فى الآيه ثم أرادوا أن يطبقوا الآيه بعد ذلك على الحكم الذى قرروه قبلا ولا شك أن هذا الحاد بالآيه الى غير مدلولها .

خذ مثلا عباس محمود العقاد - عفا الله عنا وعنہ - يقول فى قوله تعالى " والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم " (١) : - " من هو السارق ؟ . . هل هو من يسرق مرة واحدة أو من تعود السرقة ؟ . . فان كلمة الكاتب مثلا لا تطلق على كل من يكتسب ويقرأ وانما تطلق على من تعود الكتابه وأكثر منها والاشارة الى النكال والى عزة الله فى الآيه الكريمة قد تفيد معنى الاستشراء والاستفحال الذى يقضى بالنكال وأيا كان المقصود بالسارق فى الآيه الكريمة فالتوبه والاستصلاح تعفيان من اقامة الحد ، ويوكل الأمر فيهما الى الامام فى رأى جملة الفقهاء " (٢)

(١) سورة المائدة : من الآيه ٣٨

(٢) الفلسفه القرآنيه : عباس محمود العقاد ص ١٠١

ولئن كان سبق فى بحثنا هذا ايراد مثل هذا التفسير والرد عليه
فانى أحبذ أن أقف مع العقاد هنا وقفه فى ثلاثة مواضع من حديثه .

أما زعمه أن السارق تطلق على من تعود السرقة كالكاتب تطلق على
من تعود الكتابه فان هذا غير مسلم وسبق بيان ذلك ويكفى هنا أن أضرب
له مثلا واحدا ، له من الرواج ما يفهم غير ذوى المعرفة باللغه وخصائصها
لو طرق عليك الباب طارق فانك تهتف " من الطارق " حتى ولو لم يطرق
الباب الا مرة واحده . .

أما ان الإشارة الى عزة الله والى النكال فانه لا يدل على ما زعمه بل
الذى أحسبه أنه عكس ما ذكر والله أعلم .

بقى أمر توبة السارق والاستصلاح فقد ذكر أنهما تعفیان من اقامة
الحد ولكنه لم يفرق بين ما اذا رفع الأمر الى الامام أو قبل أن يرفع والذى
لا يخفى أنه اذا رفع أمر السارق الى الامام فلا يسقط الحد حتى ولو أعلن
توبته والا أصبح الأمر عبثا فأى سارق لن يعلن توبته ولو كذبا اذا كان
هذا يدرو قطع يده ثم يصبح الأمر عنده بردا وسلاما يسرق ثم يتوب ولا أظن
ذا لب يقبل هذا ؟!

وفى آيه أخرى يفسرها الأستاذ العقاد تفسيراً منحرفاً تلکم قوله تعالى
" والسابقون السابقون اولئك المقربون فى جنات النعيم ثلة من الأولين وقليل
من الآخريين على سرر موضونه متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدا ان
مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون" (١) الآيات .
حيث ذهب مذهب الفلاسفة فى القول بأن الجزاء الاخرى نعيمـــــــــــــــــا
وجحيما روحانى لاجسمانى .

ويعلل ورود هذا النعيم في هذه الآيات وأمثالها بصيغ لا تقبل الا أن يكون العقاب والثواب جسماني لا روحاني بقوله " فالحقيقة الاعتقادية لا بد أن تمتزج بتصوير المؤمنين بها لأن الخطاب فيها موجه الى ملايين من البشر منهم العارف والجاهل ومنهم الذكي والغبي ومنهم كبير النفس وصغيرها ورفيع الحس ووضيعه ومنهم من يطلب الكمال ومن لا يعرف كما لا يطمح اليه . . فلا بد من توضيح الحقيقة الاعتقادية بالمحسوسات في كثير من الاحوال وعلى هذا ينبغي أن يروض فكره كل من ينظر الى عقيدته الحياه الاخرى في القرآن الكريم . .

فالقران الكريم يفرض على المؤمنين عقيدته البعث والحساب ويدعوهم الى الايمان بالنعيم والعذاب . . والجنه هي مقر النعيم . . والنار هي مقر العذاب . . وفي القرآن أوصاف محسوسه للجنه كما وصفت في سورة الواقعة . . وفي القرآن أوصاف محسوسه للنار كما وصفت في سورة الفرقان ولكن في المتفق عليه بنص القرآن ونص الحديث النبوي الشريف أن هذه الموصوفات غير ما يرى ويعهد في هذه الحياه . . . والواقع ان المسلمين يفهمون من هذه الصفات معنى التنعيم ومعنى العذاب ولا يخل فهمهم لهذا أو لذاك بالغرض المقصود من وعد الله ووعيده بالثوبه والعقاب^(١) ثم ذهب يستدل لهذا الذي قرره بدليلين أحدهما فلسفي والثاني صوفي ، أما الاول فقال ، " فالامام فخر الدين الرازي مثلا يقول في تفسير الاتكاء على السرر المرفوعه : "معناه ان كل أحد يقابل كل أحد في زمان واحد ، ولا يفهم هذا الا فيما لا يكون فيه اختلاف جهات وعلى هذا فيكون معنى الكلام انهم ارواح ليس لهم أديار وظهور فيكون المراد من السابقين هم الذين أجسامهم ارواح نورانيه : جميع جهاتهم وجه ، كالنور الذي يقابل كل شيء"

(١) الفلسفه القرآنيه : عباس العقاد ص ١٨٣ - ١٨٤ باختصار

وهذا فهم فيلسوف باحث في الجواهر والأعراض ، وفي مطالب الأرواح والأجسام "

وأما الثانى وهو الفهم الصوفى فقال عنه " ويفهم المتصوفه أن نعيم الحياه الباقيه كله هو الوصول الى الله ولا يتطلعون الى جزاء غير هذا الجزاء سمعت رابعه العديه قارئا يتلو قوله تعالى " وفاكهه مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون" (١) فقالت نحن اذن صغار حتى نفرح بالفاكهه والطيير" وسمع الشبلى قوله تعالى " منكم من يريد الدنيا ، ومنكم من يريد الآخرة" (٢) فصاح صيحه عظيمه وقال " فأين الذين يريدون الله تعالى ؟ "

الى أن قال - العقاد - فوصف الحقائق بالمحسوسات - كما رأينا - تعبير يفهمه الخواص الذين يرتفعون بالفهم ومطالب النفس الباقيه عن مطالب الجهلاء ، ولكن هل التعبير بالمعاني المجرده والحقائق المثاليه مفهوم عند هؤلاء الجهلاء ؟ " (٣)

ثم ذكر أن الجهلاء هم أحوج الناس الى الايمان بالحساب ووصفهم ، بأنهم لا يعتقدون الا بما يحسون ويفقهون ، وأنه لا معدى اذن من احدى صورتين للعقائد اما ان تساق بأسلوب يحقق الحكمة من العقيدته عند جميع الناس خاصه وعامه ولا بد فيه من التعبير عن المعاني بالمحسوسات واما اسلوب يترك الخاصه لأنفسهم وينفى العامه عن حظيره الاعتقاد وهو لا يحقق الحكمة من العقيدته بحال .

ثم قال " فى ذلك الأسلوب لا خساره على أحد من الخاصه أو العامه وفى هذا الأسلوب لا فائده للخاصه ولا للعامه لأن الخاصه متروكون لأنفسهم

(١) سوره الواقعه : الآيتين ٢٠ - ٢١

(٢) سوره آل عمران : من الآيه ١٥٢

(٣) الفيلسوفه القرآنيه : عباس العقاد ص ١٨٥

يفهمون ما يفهمون بمعزل عن الوحي والرسالة (!) ولأن العامه
محجوبون عن الوحي والرسالة بكل حجاب" (١)

تلكم خلاصة ما قاله الأستاذ عباس محمود العقاد ولنا معه أيضا
وقفات .

الأولى : أنه استدل برأى الفلاسفة ومفاهيم الصوفيه ومن المعلوم
أن العقائد لا تؤخذ من هؤلاء ولا من هؤلاء وانما من الكتاب والسنة .
الثانية ان ما ذكره ونسبه للرازي انما هو أحد قولين أورد هما الرازي
ايرادا ورجح الثانى الذى لم يذكره العقاد وهو أن التقابل يعنى أنهم
متساوون فى المكانه والرتبه لا يرى أحد هم نفسه دون الآخر .

الثالثة : أن ما ذكره عن رابعه والشبلى ان صح عنهما فلا يدل على
فهمه هذا ذلكم أن الصوفيه حين يقولون مثل هذه المواجد ويلهجون
بالنعيم الروحى وهو الوصول الى الله تعالى لا ينكرون أن هناك مع هذا
نعيمًا محسوسًا وعقابًا كذلك وانما يتحدثون عن أمانيتهم وليس عن الواقع
وحده .

والوقفه الرابعه وهى الا خطر زعمه " أن الخاصة متروكون لأنفسهم
يفهمون ما يفهمون بمعزل عن الوحي والرسالة " وهو كلام خطير لا أظن
الأستاذ العقاد يقصد معناه بكل أبعاده والا لأدى الى انكار الدين من
أصله وترك - الخاصه - يقررون لأنفسهم من العقائد ما شاءوا وبعيدا
عن الوحي والرسالة وحينذاك يكون الهلاك . .

ولعل فى هذه الوقفات القصيره ما يظهر الحقيقه التى غابت عنه
فيما ادعاه من النص الذى سقناه له وحرصنا على استيفاء معانيه فجاء
طويلا .

(١) الفلسفه القرآنيه : عباس محمود العقاد ص ١٨٥ - ١٨٦

وغير العقاد كثيرون أولوا الآيات على غير مدلولها الصحيح من ذلك
- كما أشرنا - التفسير العلمى خاض فيه كثير من هؤلاء فجاءوا بتفاسير
منها ما هو مقبول ومنها ما هو مردود ومنها ما هو الحاد أو انحراف ومنها
ما هو كفر وضلال .

لن أذكر أمثله للمقبول والمردود فقد أفردناه بدراسه خاصة ومنهج
خاص هو المنهج العلمى فى التفسير وانما اشير الى ما فيه انحراف أو كفر
بل أشير الى بعضه .

فمن ذلك الاستاذ عبد الرزاق نوفل رحمه الله وغفر له وعفا عنا وعنـه
أكثر من التفسير العلمى أحسبه بدافع الحرص على هداية الناس وجذبهم
الى الاسلام وما علينا ونيتـه فأمرها الى الله وانما علينا أن نذكر مواضع
انحرافه فمن ذلك تفسيره للنفس الواحدـه فى قوله تعالى " هو الذى
خلقكم من نفس واحدـه وجعل منها زوجها ليسكن اليها" ^(١) ففسر النفس
الواحدة بالبروتون وزوجها الألكترون واقراً تفسيره قال : - وقد اعتبر
اكتشاف الألكترون أكبر نصر علمى أمكن العقل البشرى أن يصل اليه حتى
أنهم يطلقون على هذا العصر الذى نعيش فيه الآن العصر الالكترونى اذ يعتبر
أن هذا أروع وأهم اكتشاف تميز به عصر من العصور اذ أمكن الوصول الى
الجوهر الفرد وحدة الخلق التى منها خلق كل شىء فى الوجود : الانسان
والحيوان والماء والهواء . . الحي والجماد والأرض والسماء فوجد أنها
وحده تناهت فى الصغر الى درجة لا يقبل الفكر أن يتمثلها . . . وهذه
الحقيقة العلمية التى يتيه بها العصر الحديث قد جاء بها القرآن الكريم
منذ ١٤٠٠ سنة فى صراحه (!!) ووضوح اذ تقرر الآيه ١٨٩ من سورة
الأعراف أن كل ما خلق الله انما خلقه من نفس واحدـه وجعل منها زوجها:
" هو الذى خلقكم من نفس واحدـه وجعل منها زوجها" ^(١) أليست هذه

هى البروتونات والالكترونات . . الكهارب الواحده موجبہ وسالبہ
أى النفس الواحدہ . . الزوجيہ الجنس بين موجب وسالب" (١)
فهل يقبل ذولب أن يوصف هذا التفسير بأن الآيه تدل عليہ
بصراحه ووضوح ومع هذا يخفى على علماء المسلمين حتى القرن الرابع
عشر الهجرى ؟! اين الصراحه والوضوح ، وكان يكفى الأستاذ نوفل - عفى
الله عنه ان يكمل الآيه ليعرف مدلولها الصريح والواضح " هو الذى خلقكم
من نفس واحدہ وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا
خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من
الشاكرين فلما آتاها صالحا جعلنا له شركاء فيما آتاها فتعالى الله عما
يشركون" (٢)

وهذا الشاب أحمد شعبان محمد شاب مغمور لعله أراد أن يصبح مشهورا
فكتب ما زعمه " إعجاز علمي في سورة النور" تناول فيه قوله تعالى :-
" الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح . المصباح فى
زجاجه الزجاجه كأنها كوكب درى يوقد من شجره مباركه زيتونه لا شرقية
ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسه نار ، نور على نور ، يهدى
الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شىء عليم" (٣)
زعم أن فى هذه الآيه بيان لـ " نوع من أشعه" الليزر" يسير الجبال ويقطع
الأرض ويكلم به الموتى" ؟!! وقد بلغت هذه الدراسة ٣٠ صفحه قدمها
صاحبها الى اداره البحوث والنشر فى مجمع البحوث الاسلاميه وأحيلت
الى فضيله الشيخ محمد مصطفى الحديدي الطير فكتب تقريرا فى ٢٢

(١) القرآن والعلم الحديث : عبد الرازق نوفل ص ١٥٦ .

(٢) سورة الاعراف : الآيتين ١٨٩ - ١٩٠

(٣) سورة النور : الآيه ٣٥

صفحه ختمه بأن هذا البحث لا يصلح للطبع والنشر
ولأخفى أنى غيبت الشيخ مصطفى الطير على سعه صدره وطول نفسه
فى قراءه هذه الرساله كلها وكتابه نقدا شاملا لها مع أن كل صفحه فيها
مليئه بما يبرر منعها من الطبع والنشر ومع هذا فان الشيخ مصطفى قد قرأها
كامله وكتب نقدا شاملا وزودنى جزاء الله خيرا بنسخه من الرساله وصوره من
التقرير الذى كتبه وجاء فيه قوله "يشتمل هذا الكتاب على احدى وثلاثين
صفحه من القطع الكبير وقد حاول فيه أن يستخرج اشعه الليزر من الآيه
الخامسه والثلاثين من سورة النور" (١)

قال الموء لف عن الآيه ٣٥ المذكوره من سورة النور : " أحسست بوجود
تطابق بين هذه الآيه الكريمه وبين اجهزه الليزر عموما . كما لو كانت الآيه
تصميم (كذا) لجهاز من تلك الأجهزه " (٢)

أما تفسير الآيه فقال ما خلاصته "مشكاه هو (كذا) الكوه التى ليست
بنافذه وهى عباره عن جسم مفرغ من الداخل وليس له الافتحه واحده كشباك
أى أن هذه الفتحة لها سداده أقل سمكا من باقى الجسم ويعتمد تصميم
المشكاه على درجه الحراره داخلها وعلى مسارات الاشعه وانكساراتها
ويجب كذلك ان تكون على درجه عاليه من الصقل بالنسبه للسطح الداخلى
وذلك لاتخاذ الأشعه مساراتها المحدده حسب النظريات المعروفه (فيها)
بمعنى داخل هذه المشكاه (مصباح) يعنى مصباح صناعى يعمل
بماده زيت الزيتون من نوع محدد (المصباح) اشاره الى كلمه المصباح
السابقه وعلى حسب التصورات العلميه المتاحة لنا يتحدد تصميم المصباح

(١) الصفحه الأولى من التقرير الذى أعده الشيخ محمد مصطفى الحيدى
الطير عن هذه الرساله -

(٢) دراسه حول النور من كتاب الله : أحمد شعبان محمد ص ٢

مصطفى

فيكون هذا المصباح مماثلاً لدائره مصابيح الزئبق بحيث ترفع طاقه الزيت من خلال تيار كهربى ويكون الزيت بمعزل عن أى مواد أخرى مثل الهواء لكى لا يحترق الزيت فيكون فى أنبويه زجاجيه مفرغه فعند رفع طاقه الزيت يتحول من الحاله السائله الى الحاله الغازيه ويتسبب ذلك فى وجود ضغط داخل الانبويه ونستمر فى رفع طاقه بخار الزيت الذى يكون فى هذه الحاله متأنيا (كذا) حتى نصل به الى درجه الاشتعال فيصدر ضوءاً دون أن يحترق لعدم وجود أكسجين داخل الانبويه (فى زجاجه) أى أن هذا المصباح بداخل الزجاجه ويجب عمل تفريغ بين المصباح والزجاجه لتكون بمثابة عازل يمنع أجزاء المصباح وهى الدائره الكهربيه (كذا) الخارجيه عن أنبويه الزيت من التأكسد وبالتالى التلف وكذلك لتعمل كعازل لعزل الجسيمات الموجوده فى الضوء الخارج من الزيت وعدم السماح الا بمرور الموجبات فقط من خلال الزجاجه الى أن قال : - " يوقد من شجرة مباركه " . . . والبركه معناها الوفرة والكثرة أى أن الشئ المحدود يتكاثر بغير حدود ومن الممكن ان نصل الى أدنى هذه الحدود وذلك بالمقارنه عن طريق الآيات الآتيه : -

(انا أنزلناه فى ليله مباركه انا كنا منذرين) (٣ الدخان)

(انا انزلناه فى ليله القدر) (١ القدر)

فى الآيتين السابقتين وردت كلمه مباركه فى الآيه الأولى مرادفـه لكلمه القدر فى الآيه الثانيه وتعريف قيمه القدر " وما ادراك ما ليله القدر ليله القدر خير من ألف شهر " ٢ القدر قليله القدر خير من ألف شهر أى أنها خير من نظيرها ب ٦٠.٠٠٠ على اعتبار الليله نصف يوم فنصف

اليوم خير من $1000 \times 30 \times 2 = 60000$ نظيرها ، وبالمثل فان كلمه مباركه تعنى الخير لأكثر من ٦٠٠٠٠ نظير وهذا يعنى ان الاستفاده من هذه الشجره خير من ٦٠٠٠٠ شجره فى مكان آخر وشعاع النور الذى يخرج من هذه الشجره خير من ٦٠٠٠٠ شعاع يخرج من شجره أخرى لأن هذه الأشعه مركزه فى نقطه واحده وليست مشتته بعيدا عن بعضها

ثم وصف هذه الاشعه المركزه فى نقطه واحده بأنها " نور على نور" وعند ما تسير موجات نور على نور فى خطوات منتظمه فانها تستطيع أن تحقق آثارا مذهله والسبب هو أن طاقتها لا تشتت كما لا تنتشر الحزمه نحو الخارج وهو يدعوا الى تكثيف تركيزا لطاقه عند نقطه محده تماما وتوسع أيضا بدرجه عظيمه مدى مصدر الضوء" ثم ذكر بعض الانجازات المثيره لاشعه (نور على نور) ومنها أنه يمكن لهذا الشعاع أن يحدث ثقوبا فى لوح من الصلب سمكه $\frac{3}{8}$ بوصه على بعد عدّه أقدام وقال " ويستخدم هذا الشعاع (نور على نور لضبط المدى حيث تستخدم فى سلاح المدفعيه لتوجيه المدافع وكذلك الصواريخ وكذلك المساحون فى الفضاء الخارجى وستحل الأجهزه التى تصدر هذا الشعاع محلول أجهزه الرادار التقليديه واللاسلكى لملاحه سفن الفضاء والاتصالات ويستطيع هذا الشعاع ان يقطع المعادن والمواد الاخرى ويستخدم حاليا فى احكام ميكنه المعادن والمواد الهشه مثل التى بالماس وكذلك نستطيع أن نلحم المعادن ونستخدم كذلك فى صناعه دوائر ميكروالالكترونيه ومن ثم فان الاجهزه الضخمه التى تخرج هذا الشعاع التى تتركب فوق قمم الجبال العاليه يصفها على أنها وسيله للدفاع ضد الرؤوس النوويه للقذائف الموجهه الحربيه من عابرات القارات . . " (١) الخ

(١) المرجع السابق ص ٢٩ - ٣٠ باختصار

هذه خلاصه سريعه لهذا البحث عن "الليزر" الذي زعمه صاحبه تفسيراً للآيه
٣٥ من سوره النور وهل مثل هذا يحتاج الى نقد ؟! لا أحسبه كذلك
فأمر بطلانه ظاهر لا يخفى

ولا يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار الى دليل ومن المؤسف
ان تنشر مثل هذه الخرافات جريده "النور" المصريه في عدد ها ٤٢ بعنوان
" اعجاز علمي في سوره النور نوع من أشعه الليزر يسير الجبال ويقطع الأرض
ويكلم به الموتى ! وهذا المقال خلاصه لهذا البحث قد مها الكاتب نفسه
بقي أمر طريف أحببت الاشاره اليه لطرافته وأترك بيان العلاقه بينه
وبين البحث لعلماء النفس ذلكم أن عنوان الباحث كما هو أمامي شارع طنطا وى
الجوهري ؟! وهل لاسم الشارع أثر على اتجاه أهله أم لا .

وكما ان الالحاد يكون في التطرف - ايجابا - في ربط الحقائق والنظريات
العلميه بآيات القرآن الكريم فان الالحاد أيضا يكون في التطرف - سلبا -
في زعم مخالفة الآيه لحقائق علميه فهذا الأستاذ اسماعيل مظهر يكتب في
العدد الأسبوعى لمجله العصور الصادر في ٢٤ فبراير سنه ١٩٣٠م تحت
عنوان " استفتاء" وجاء في مقاله " جاء في القرآن الكريم (ولقد زينا السماء
الدنيا بمصابيح" ^(١) وقد دل العلم الصحيح على أن السماء غير مزينه بمصابيح
بل هي فضاء غير متناه ، تناثرت فيه كرات عظيمه هائله الأبعاد ، ومنها
ما يستمد ضوءه من غيره ، ومنها ما هو ملتهب كشمسنا فهل الاعتقاد بأنها
ليست مصابيح مخالف للدين ؟" ^(٢) ونقول لهذا انه مخالف للحواس أيضا
وليس للدين فحسب وأينا لم ينظر الى السماء في ليله مظلمه وقد أنتشرت

(١) سوره الملك الآيه هـ

(٢) ذيل الملل والنحل : محمد سيد كيلانى ص ١٠١

فيها النجوم واطل من بينها وجه القمر فلم تأخذ بلبه ، وكم تغنى فى هذا المنظر الشعراء وأبداع فيه الأدباء وكما اهتدى بهذا المنظر رجل تأمل وتفكر فى هذا الخلق البديع فلم يجد بدا من الازعان والاعتراف بأن هذا لا يكون الا من الخلاق العليم .

وليعلم هذا أن القرآن وهو يصف السماء والمصابيح فانما يخاطب أناسا ينظرون اليهما من موقعهما فتبدوا مطابقيه كل المطابقيه لهذا الوصف ولا أظنه يجهل أن اللوحات الجميله والمناظر البديعه لا يحسن النظر اليهما الا من بعد والا فلو قرب حدقه عينه حتى تكون داخل اللوحه أو قربه منها فانه لن يرى الا نتوءات وحفرا بل ويرى الألوان مشوهه فهل له وهو فى هذه الحاله أن يصف هذه اللوحه بما هى منه بريئه وليجرب هذا الرجل وأمثاله أن يقرب عينه من أرض حديقه جميله أو يضع حدقه عينه فى قلب ورده زاهيه الألوان وليصف ما يرى وليسمع رأى الناس فى وصفه انهم لمن يصفوه بأكثر من أحد وصفين اما الجنون أو المكابره وحسبك بهما وصفا لما زعمه فى الآيه .

والحاد آخر فى قوله تعالى " ففتحنا أبواب السماء بما منهمر " (١) قال فيه " وقد أثبت العلم أن السماء لا أبواب لها وأن الماء انما يتساقط على الأرض بعد أن يتكاثف سحابا وبعد أن يعلو متبخرا من مياه الأرض فهل هذا الاعتقاد تجديدى؟ وهل يجب أن نعتقد أن للسماء أبوابا من فوقها بحار، إذا فتحت إنهمر المطر ، وإذا أقفلت أمسك عن الانهار؟ (٢)

والرجل فى الحاده هذا يجهل اللغه والبلاغه أما اللغه فاعتقاده أن المراد بالسماء السماء حقيقه وانما المراد بها العلو والارتفاع وهو الجو هنا وهو

(١) سوره القمر : من الآيه ١١
(٢) ذيل الملل والنحل : محمد سيد الكيلانى ص ١٠١

مقر السحاب أما جهله البلاغه فان فى الآيه استعاره تمثليه بتشبيه تدفق
المطر من السحاب بانصباب انهار انفتحت لها أبواب السماء وشق لها أديم
الخصراء^(١) ولو علم اللغه والبلاغه لما قال ما قال

بقى أن أقول هنا أن اسماعيل مظهر هذا قد رجع الى حظيره الاسلام
مره أخرى والحمد لله^(٢) اذ هو قد خرج عنه فى أمور كثيره منها ما هو
صريح لا يشك فى أمره فيها . والحمد لله أولا واخرا

ولعلى أكتفى بهذا فى سياق الأمثله على التفاسير المنحرفه فى منهج
القاصرين فى تفسير القرآن الكريم وأذكر بعد هذا مثلا للمؤلفات فى
هذا المنهج .

القرآن ... محاوله لفهم عصرى

أولا المؤلف:

أما أسم الشهره فمصطفى محمود ، أما أسمه الكامل :-

فمصطفى كمال بن محمود حسين

ولد فى ١٩٢١/١٢/٢٧ فى قرية شبين الكوم ، بالمنوفيه فى مصر
ولكنه نشأ فى طنطا حيث أنتقل اليها مع أبويه وبدأ دراسته فى الكتاب فيها
بضعة أشهر ثم دخل المدرسه الابتدائيه ، وقد أهلتة درجاته العاليه فى
الثانويه للالتحاق بكلية الطب بالقاهره حتى أحرز شهاده الكليه عام ١٩٥٢م
وواصل دراسته حتى تم مرحله التخصص فى الأمراض الصدرية

مرحله الرفض :-

ووجد فى القاهره الجو المساعد لتنميه هواياته التى جمعت بين الفن
والعلم وقد كان ولعه بالقراءه فى سن مبكره حين شارف على الثالثه عشر

(١) انظر تفسير القاسمى : ج ١٥ ص ٥٥٩٨

(٢) ذيل الملل والنحل : محمد سيد كيلانى ص ١٠٨

حيث قرأ مؤلفات شبلى شميل واسماعيل مظهر وسلامه موسى الذين كانوا في ذهنه مرحلة الرفض ويحدد نطاق شكه فيقول أنه مقصور على موضوع النبوات والرسالات فقط أما ما يتعلق بوجود الخالق تبارك اسمه فقد ظل في قلبه وعقله فوق كل ريب

ويعلل بواعث تلك الشكوك بأنها رد فعل لما يراه من المظاهر الشاذة عند ضريح البدوي وغيره في طنطا

مؤلفاته:

وأول مؤلفاته هي مجموعته القصصية " أكل عيش " صدرت سنة ١٩٥٤ م لكن كتابه الثاني " الله والانسان " الأثر الأكبر في التأليف حيث قفز به من معالجة الواقع الانساني على صعيد الأحداث القصصية الى محاولته التشكيك في كبرى اليقينيّات وحشد في هذا الكتاب كل المشكلات التي خاضها فألقت به في صراع كاد يمزقه . . وقد أثار عليه هذا الكتاب بعض ذوى الغيرة الإسلامية فحاربوه حتى قام الأزهر بواجبه فصدرت نسخ الكتاب وقدم المؤلف الى محكمه أمن الدولة ودافع محامى المؤلف عنه فأعلن أن هذا الكتاب يسجل بداية متصوف لا تهجمات ملحد - ولسبب مجهول كان أعضاء المحكمة من أهل التصوف - فحكموا بمصادره الكتاب والكف عن ملاحقه مؤلفه

وبعد سكون الزوبعة رجع المؤلف الى نفسه يحاكمها ويحاكم كتابه وانتهى الى أنه عمل متهور لا يرضى عنه قلبه ولا عقله وكانت هذه المحاكمة بداية لمرحلة جاده في طلب الحقيقة . . واستحكمت صلته بالقرآن وشعره بالاتصال بأئمة المفسرين وكان أعظمهم تأثيرا سيد قطب في ظلال القرآن وأبن كثير في تفسيره

وأعلن الدكتور رفضه لكتابين من كتبه أولهما (الله والانسان " الذى صودر

ولن يطبع ثانيه ، وثانيهما " ابليس" اذ أعلن أنه لا يسمح باعاده طبعه

وكل طبعه له ظهرت بعد ، الأولى فمن غارات السارقين فى بيروت

وخص كتابه " لغز الموت" بالذكر واعتبره مدخله الى الايمان وقد كتبه فى

عام ١٩٥٨ - ١٩٥٩ ثم المستحيل الذى صدر سنة ١٩٦٠ م^(١)

وله عدد من المؤلفات يذكرها عادة مع تواريخ صدورها فى آخر كل كتاب

له . ومن هذه المؤلفات غير ما ذكرنا

- ١ - لغز الحياه دراسه كتبت سنة ١٩٦٧ م
- ٢ - اينشتين والنسبيه دراسه كتبت عام ١٩٦١ م
- ٣ - رحلتى من الشك الى الايمان دراسه كتبت عام ١٩٧٠ م
- ٤ - الطريق الى الكعبه رحله حج كتبت عام ١٩٧١ م
- ٥ - الله دراسه كتبت عام ١٩٧٢ م
- ٦ - التوراه دراسه كتبت عام ١٩٧٢ م
- ٧ - رأيت الله دراسه كتبت عام ١٩٧٣ م
- ٨ - الروح والجسد دراسه كتبت عام ١٩٧٣ م
- ٩ - حوار مع صديقى الملحد دراسه كتبت عام ١٩٧٤ م
- ١٠ - الماركسيه والاسلام دراسه كتبت عام ١٩٧٥ م
- ١١ - محمد دراسه كتبت عام ١٩٧٥ م
- ١٢ - السرا الأعظم دراسه كتبت عام ١٩٧٥ م
- ١٣ - من أسرار القرآن دراسه كتبت عام ١٩٧٦ م
- ١٤ - الوجود والعدم دراسه كتبت عام ١٩٧٦ م
- ١٥ - لماذا رفضت الماركسيه دراسه كتبت عام ١٩٧٦ م
- ١٦ - القرآن محاوله لفهم عصرى (وهو موضوع بحثنا هنا)

(١) لخصت هذه الترجمة من كتاب الاستاذ / محمد المجدوب علماء ومفكرون عرفتهم

هذه أهم مؤلفاته فيما نرى ولم ونذكر منها أسماء رواياته ومسرحياته
ورحلاته وقصصه التي صدرت في مجموعات أربع في بيروت سنة ١٩٧٢م يكفى
أن أقول أن عدد مؤلفاته كما يذكرها في آخر كتابه من أسرار القرآن مؤلفا
فضلا عن المجموعات الكاملة التي أشرت إليها آنفا ، وسأتحدث بعد هذا عن
تفسيره .

ثانيا : الكتاب :- القرآن محاوله لفهم عصرى

وتقع طبعه دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٦م لهذا الكتاب فى حوالى ٢٨٠
صفحه من الحجم المتوسط وطبع قبلها وبعدها عدة مرات .

والمهم فى الأمر أن الكتاب قد لاقى القبول عند كثير من " المثقفين وقرآء
مصطفى محمود كما لاقى الرفض عند كثير من المختصين بعلوم القرآن وقد توسط
بعض العلماء فقبلوا بعضه وأنكروا بعضه وردوه ، وأفرده بعضهم بمؤلفات
مستقلة

ومن الذين نقدوه بدراسه مستقلة

- ١ - الأستاذ عبد المتعال محمد الجبرى فى كتابه " شطحات مصطفى
محمود فى تفسيراته العصريه للقرآن الكريم ويقع فى حوالى ٢٥٠ صفحه
 - ٢ - الأستاذ مصطفى اسماعيل السج فى كتابه " رد على محاوله لفهم
عصرى للقرآن " ويقع فى ١٢٧ صفحه
 - ٣ - " الملحد " محمود محمد طه فى كتابه " القرآن ومصطفى محمود والفهم
العصرى والعجيب أن المؤلف من أشهر الملحدين فى هذا العصر
ومن الذين أدعوا الرساله ، ويقع كتابه فى ٢١٣ صفحه .
- ومن الذين نقدوه نقدا موسعا :-

١ - الدكتور عائشه عبد الرحمن " بنت الشاطي " في كتابيها :

١ - القرآن والتفسير العصري

٢ - القرآن وقضايا الانسان

٢ - الشيخ مصطفى محمد الحديدي الطير في كتابه " اتجـاه
التفسير في العصر الحديث منذ عهد الامام محمد عبده الى مشروع
التفسير الوسيط "

٣ - الأستاذ أحمد محمد جمال في كتابه " على مائده القرآن مع
المفسرين والكتاب "

٤ - الأستاذ توفيق علي وهبه في كتابه " شبهات وانحرافات في
التفكير الاسلامي المعاصر . "

وغير هؤلاء كثير نقدوه في كتبهم أو في مقالات نشرت في الجرائد
والمجلات .

والكتاب في أصله مجموعه مقالات نشرت في مجله " صباح الخير " في ديسمبر
١٩٦٩م وأوائل ١٩٧٠م بعنوان تفسير عصري للقرآن فلما قامت الاعتراضات
على تفسيره هذا جمعها في كتاب وزاد كلمه حسبها تبرر عمله هذا وسماه
محاولة لفهم عصري للقرآن

وأستنكرت طائفه كتابه هذا التفسير في مجله صباح الخير لجلال الموضوع
وهبوط المجله فلا تناسب بينهما

واستبشرت طائفه أخرى ليس لما أصاب فيه المؤلف وانما لما أخطأ فيه
وانحرف فهي تصفق اعجابا لكل تأويل باطل أو شرح منحرف لقضيه من
القضايا الاسلاميه ، وكأنما أسند اليها القيام بتحريف الاسلام فهي تدافع
عن كل ملحد وتشجع كل منحرف وتبرر كل خطيئه

وطائفه رفضت هذا التفسير لعدم تخصص المؤلف وعدم توفر شروط المفسر
فيه فاذا قيل لهم ان الاسلام ليس حكرا على أحد ألقموه حجرا وقالوا حقا

الاسلام ليس حكرا على أحد ولكن تفسير نصوصه ليس مباحا لكل أحد
كالدواء تماما العلاج به ليس حكرا على أحد لكن وصفه وتركيبه ليس مباحا
لكل أحد

وسأذكر بعد هذا أمثله من الانحرافات والشطحات التي ارتكبتها
الدكتور مصطفى محمود في محاولته هذه

نماذج من تفسيره:

يحتوى كتابه هذا على أربعة عشر بحثا جعل لكل منها عنوانا وختم
هذه الأبحاث بمناقشات . أما هذه الأبحاث اجمالا فهي :-

١ - المعمار القرآنى

٢ - مخير أم مسير

٣ - قصة الخلق

٤ - الجنه والجحيم

٥ - الحلال والحرام

٦ - العلم والعمل

٧ - أسماء الله

٨ - رب واحد ودين واحد

٩ - الغيب

١٠ - الساعه

١١ - البعث

١٢ - لا كهنوت

١٣ - لا اله الا الله

١٤ - لماذا . . اعجاز القرآن ؟

ولا يحتاج القول أن المؤلف لم يفسر القرآن على الطريقه المألوفه فى
تفسيره آيه آيه وسوره سوره بل جاء تفسيره عصريا يختار الموضوع سلفا

ثم يضع فيه من الآيات ما يختار ويتناولها فيه تفسيراً وشرحاً وحتى عناوين الأبحاث تبد وفيها العصريه

بقي أن أقول أن الكتاب مليء بالأمثله على الانحراف في التفسير فما الذي أذكر وما الذي أذع . أذكرها كلها وإذا لوفعلت لجاء في كتاب كامل وقد كفيت هذا ، أو أذكر بعضها ففيه مرادى هنا من ضرب المشكل للتفسير المنحرف للمفسر القاصر . وعلى هذا الأخير أكتب فعذرا إذا لم أستوف وأستوعب .

خلق الانسان :

من أهم القضايا التي خاض فيها الدكتور مصطفى في كتابه مسأله خلق الانسان بل خلق آدم وحواء عليهما السلام وهو أمر لا شك أنه غيبى لا سبيل الى ادراكه ومعرفته الا عن طريق الوحي وقد بسط القرآن الكريم الحديث عن ذلك في آيات شتى علينا أن نؤمن بها ولا نصرفها بما لا تحتمله ألفاظها حتى توافق نظريه علميه مازالت تتأرجح يمنه ويسره ان لم تكن قد سقطت .

وقد أفاض الدكتور الحديث عن هذه المسأله وأطال وأصاب فيه وأخطأ ورجع في طبعات الكتاب الأخيره (دار المعارف) عن أقوال سجلها في طبعاته الأولى (طبعه القايره) وهو أمر نشكره عليه وندعو الله أن يزيد ه ايماننا ورجوعنا الى الحق .

بدأ الدكتور حديثه بذكر قصه داروين وطوافه حول العالم وجمعته العينات من البر والبحر وملاحظاته وتأملاته ثم ذكر بعضاً من ملاحظات داروين أعقبها بتساؤل : - هل الحكايه أن الحيوانات أصلها واحد ثم تطور هذا الأصل وتباين وأختلف الى هذه الفصائل المتباينه بسبب تباين الظروف والبيئات . . الحيوانات التي دبت على الأرض طورت لنفسها أرجلا . . .

والتي نزلت الى البحر تحورت فيها الأرجل الى زعانف . . .
والتي طارت فى الجو تحورت فيها الأطراف الى أجنحه
اذا كان هذا الاستنتاج صحيحا فلا بد أن يكشف لنا تشابها فى بنيه
الجميع . . وهذا هو ما قاله المشروط بالفعل (١)

ثم ذكر أمثله لما كشفه المشروط عند داروين فى الشعبان يكشف عن أرجل
ضامره وفى الطيور يكشف أن أجنحتها هى الزوج الثانى من الأطراف
وفى الأسماك يكشف أن زعانفها الأربع هى أطرافها الأربع ، وهكذا الذى
أن قال . . لم يبق الا أن يكتب داروين نظريته فى أصل الأنواع بل
أن النظرية لتكتب نفسها فتقول أن الأنواع انحدرت كلها فى أصل واحد
تباين واختلف الى شجرة من الفصائل والأنواع نتيجة تباين الظروف والبيئات (٢)
ثم نفى أن يكون داروين قال ان الانسان انحدر من القرد وانما هى
نكته روجتها الصحف ، ووصف هذه النظرية بأنها فى أصلها المكتوب لا تقول
بأن أيا من الأجناس الموجوده خرج من الآخر وانما كل جنس هو
بذاته نهايه فرع مستقل من الشجره لم يخرج فرع من فرع

وقامت الزوبعه على داروين ومضت سنون وسنون من التمهيص واعاده النظر .
وعاش من نظريه داروين بعضها ومات بعضها . . .

ثم بين الدكتور مصطفى ما عاش منها وما مات فقال :-
" حكاية أن الأنواع انحدرت من أصل واحد وأنها تباينت الى شجره
من الفصائل والأنواع نتيجة تباين الظروف والبيئات كانت احتمالا مرجحا
أقرب الى الصحة تقوم عليه الشواهد . . فالوشيجه العائليه تربط كل الخلائق
بالفعل . . والتشريح يقول انها ترتبط بعضها ببعض بصله رحم وقربى

(١) القرآن محاوله لفهم عصرى : مصطفى محمود ص ٤٩

(٢) المرجع السابق : ص ٥٢

أما حكاية أن الترقى حدث بالحوافز الحياتيه وحدها وبدون يد هاديه فلم تعد مقنعه . . وسقطت من غربال الفكر المدقق المحقق" (١)

خلاصه الأمر أن الدكتور مصطفى يخالف هذه النظرية في جزئيه شكلية . . وانا أقول شكلية ليس في ناحيه العقيدته وانما من ناحيه النظرية نفسها - شكلية لأن داروين - حسب قول الدكتور مصطفى زعم أن عوامل التطور هي عوامل داخلية وقال الدكتور أنها بيد هاديه ترشد ها (٢) وما عدا هذه الجزئيه فلا أعترض على هذه النظرية

وبعد هذا العرض الطويل الذي أوردت خلاصته وصل الدكتور مصطفى الى مرحله الصاق هذه النظرية بالقرآن الكريم وهو يدرك أن العبارات والنصوص لا تطاوعه على ما أراد فمهد للأمر بأن قال :- القرآن له أسلوبه المختلف عن كل الأساليب . .

وهو حينما يشير الى مسأله علميه لا يعرضها كما يعرضها اينشتين بالمعادلات ولا كما يعرضها بيولوجى بروايه التفاصيل التشريحيه وانما يقدمها بالاشارة والرمز والمجاز والاستعاره واللمحه الخاطفه والعبارة التى تومض فى العقل كبرق خاطف . انه يلقي بكلمه قد يفوت فهمها وتفسيرها على معاصريها . . ولكنه يعلم أن التاريخ والمستقبل سوف يشرح هذه الكلمه ويثبتها تفصيلا" (٣)

ولا شك ان مثل هذا يوحى بأن الدكتور قد عجز عن أن يجد كلمه صريحه أو عبارة واضحه أو دلالة بينه على ما ذهب اليه فلم يجد بدا من أن يحمل ما فهمه على الاشارة والرمز والمجاز والاستعاره واللمحه الخاطفه . . وأى

(١) المرجع السابق : ص ٥٢

(٢) المرجع السابق : ص ٥٤

(٣) المرجع السابق : ص ٥٥

مانع لمن أراد أن يقول في القرآن ما يريد أن يقول أنه فهمه بهذه المصطلحات.

ان مثل هذه القضية في أهميتها لا تكفى مثل هذه الاشارات والرموز لاقامتها هذا ان سلم له أن في الآيات رمز وإشاره ولنربعد هذا ما حسبه رموزا وإشارات ، فقد قال في تفسير قوله تعالى : - " ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة أسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين " (١) قال : - " وفي هذه الآية يحدد أن خلق الانسان ثم على مراحل زمنية " خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة إسجدوا لآدم " والزمن بالمعنى الالهى طويل جدا " وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون " (٢) . . . فاذا قال الله خلقناكم ثم صورناكم . . . ثم اكتملت الصورة بتخليق آدم فقلنا للملائكة اسجدوا لآدم . . . معنى هذا أن آدم جاء عبر مراحل من التخليق والتصوير والتسويه استغرقت ملايين السنين بزماننا وأياما بزمن الله الأبدى . . .

" وقد خلقكم أطوارا " (٣) ومعناها أنه كانت هناك قبل آدم صور وصنوف من الخلائق جاء هو ذروه لها

" هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا " (٤) اشاره الى مرحله بئسده من الدهر لم يكن الانسان يساوى فيها شيئا يذكر ،

ويقول القرآن عن الله انه هو " الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى " (٥) أى انه هدى مسيره التطور حتى بلغت ذروتها فى آدم . . . " ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين " (٦) وهى اشاره صريحه بأن الانسان لم

(١) سورة الأعراف : الآية ١١

(٢) سورة الحج : الآية ٤٧

(٣) سورة نوح الآية ١٤

(٤) سورة الانسان : الآية الأولى

(٥) سورة طه الآية ٥

(٦) سورة المؤمنون الآية ١٢

يخلق من الطين ابتداءً . . وانما خلق من سلالات جاءت من الطين هناك مرحله متوسطه بين الانسان والطين . . هي سلالات عديده متلاحقه كانت تمهيدا لظهور نوع الانسان المتفوق . . ثم يحد ثنا القرآن عن تخلق الجنين فيحكي لنا أن خلق العظام سابق على خلق العضلات " فخلقنا المضغه عظاما فكسونا العظام لحما"^(١) ومعلوم في علم الأجنه أن نشأه العمود الفقري سابقه على نشأه العضلات"^(٢)

تلكم خلاصه ما قاله الدكتور في خلق الانسان ، وظاهر أن المؤلف يخلط بين الآيات التي تتحدث عن خلق آدم عليه السلام وبين الآيات التي تتحدث عن خلق الانسان . . كل انسان فالآيه التي استدل بها" وقد خلقكم أطوارا" انما هي من قول نوح عليه السلام يخاطب قومه ويحدثهم عن خلقهم لا عن خلق آدم عليه السلام ويعجب كيف لا يرجون لله وقارا وهو الذي خلقهم أطوارا وكان مقتضى خلقه لهم كذلك ان يوقروه عز وجل فلما لم يفعلوا عاتبهم وهذا هو الذي يدل عليه السياق ، ولا دلاله في الآيه على أن المراد بالأطوار صنوفا وصورا من الخلائق جاء آدم ذروه لها بل لم يرد ذكر آدم عليه السلام في هذه الآيات فكيف يرجع الضمير اليه

ونحو هذا تفسيره لقوله تعالى على لسان موسى عليه السلام" قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى"^(٣) حيث فسرها الدكتور مصطفى بقوله أي أنه هدى مسيره التطور حتى بلغت ذروتها في آدم ، وهو تفسير غريب فلا علاقه لهذه الآيه بحكاية التطور في خلق آدم وانما وردت لبيان قدره الله سبحانه وتعالى وحكمته خلقا وتقديرا أو خلقا وهدايه ولهذا الآيه قرائن أخرى كقوله عز وجل " سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى

(١) سورة المؤمنون : في الآيه ١٤

(٢) القرآن محاوله لفهم عصرى : مصطفى محمود ص ٥٨ - ٥٩ باختصار

(٣) سورة طه : ٥

والذى قد ربهدى" (١) وقوله سبحانه " ألم نجعل له عينين ولسانا وشفقتين
وهديناه النجدين" (٢) وقوله سبحانه " إنا هديناك السبيل إماما شاكرًا وإمامًا
كفورًا" (٣) ومع هذا فلا يصح أن يستدل بهذه الآيات على تطور خلق آدم .
حتى ولا على سبيل الرمز والاشارة كما يفعل الدكتور .

أما زعمه أن قوله تعالى " ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين" (٤) اشاره
صريحه بأن الانسان لم يخلق من الطين ابتداءً فغير صحيح بل هو مخالف
لصريح القرآن الكريم قال تعالى " الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق
الانسان من طين ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين" (٥) هذه هى الدلالة
الصريحه فى أن خلق الانسان بدأ من الطين اذا فلا يصح للدكتور مصطفى
ولا لغيره أن يزعم أن الانسان لم يخلق من الطين ابتداءً ، ثم يخطئ مره
أخرى حين يقول " وانما خلق من سلالات الخ والآيه تنص على " من سلاله
من طين" فكيف يعدد ما أفرده القرآن

وعلى كل حال فالدكتور مصطفى قد أخطأ مرات فيما ذكرنا وفيما لم نذكر
من أقواله فى خلق الانسان ولعله يعود مره أخرى فيستغفر الله ويتوب اليه

هبوط آدم :

ومما يتعلق بخلق آدم عليه السلام ويرد عند الحديث عن خلقه وسجود
الملائكه له هبوطه من السماء الى الأرض جزاءً معصيته

وقد أستدل بهذا بعض منكرى نظريه التطور المزعومه حين فرقوا بين خلق
آدم وسائر المخلوقات فقالوا ان آدم خلق فى السماء ثم عصى فأنزل الى الأرض

(١) سوره الأعلى : الآيات ١ - ٣

(٢) سوره البلد : الآيات ٨ - ١٠

(٣) سوره الانسان : الآيه ٣

(٤) سوره المؤمنون : الآيه ١٢

(٥) سوره السجده : الآيتين ٧ - ٨

وكان على من يقول بنظريه التطور أن ينكر خلق آدم في السماء وهبوطه
وكان هذا هو ما فعله الدكتور مصطفى حيث أنكر الهبوط فقال : -
" والذين لا يوافقوننا على القول بالتطور يسألون . . ماذا يكون معني
الاهباط من الجنة في النظره التفسيريه الجديده . . ومعني مشهد اسجاد
الملائكه

بأن الاهباط ورد في القرآن بمعني الانتقال من مكان الى مكان دون
مغادره الأرض. . في مخاطبه الله لقوم اسرائيل " اهبطوا مصرا فان لكم ما
سألتم" (١) وكذلك وردت الجنة بمعني البستان والحديقه على الأرض: " لقد كان
لسبأ في مسكنهم آيه جنتان عن يمين وشمال" (٢) وفي الأرض قطع متجاورات
وجنات من أعناب" (٣) ويكون المعني المقصود من الاهباط اذن هو الاهباط
المعنوي من مقام الرضا الى مقام المعصيه وانه قد تحقق بانتقال آدم عن
حياه سهله في البساتين يانعه وافره الخصب والرزق الى مكان جديب وهو على
الأرض ما يزال ودنما اهباط من سماوات

أما مشهد اسجاد الملائكه فقد حدث هو الآخر على الأرض من قبيل
التسخير كما سخر الله الجن لسليمان على الأرض. . أو من قبيل الكشف
والاطلاع على الملكوت كما أطلع نبيه محمدا على الملكوت والمعراج وهي
معجزات يختص بها الله أنبياءه وكلها دلالات كاشفه على مقام آدم العالني
عند ربه . . وقد كشف له هذه الأمور كشفا وهو على الأرض لم يزايلها

(١) سوره البقره : من الآيه ٦١

(٢) سوره سبأ : من الآيه ١٥

(٣) سوره الرعد : من الآيه ٤

انها الأرض لم يبرحها آدم منذ اختاره الله من أزكى فرع فى شجره
الحياه التى أنبتها نباتا من طين الأرض وهداها فى إنتقالها من سلاله
الى سلاله الى أن بلغ الذروه المختاره

وتؤيدنا فى ذلك آيات كثيره عن الأرض :- " فيها تحيون وفيها تموتون
ومنهما تخرجون" (١) " والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم
اخراجا " (٢) " منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تاره أخرى" (٣)
انها الأرض لم نبرحها والاهباط هو اهباط من الارض الى الأرض" (٤)

وهذه المزاعم الثلاث التى زعمها الدكتور مصطفى

١ - ان الجنه فى الأرض . .

٢ - ان الاهباط هو الاهباط من الأرض الى الأرض . .

٣ - سجود الملائكه حدث على الأرض وهو من قبيل التسخير

امور خطيره فيها من الجراه على النصوص الشرعيه ما يخشى على صاحبه
ولهذا ولعظم هذا القول وعظم الحكم عليه أسوق كلام أبى تيميه رحمه الله
تعالى حيث قال :-

" والجنه التى أسكنها آدم وزوجته عند سلف الأمه ، وأهل السنه
والجماعه هى جنه الخلد ومن قال أنها جنه فى الأرض بأرض الهند أو
بأرض جده أو غير ذلك فهو من المتفلسفه والملحدين أو من اخوانهم
المتكلمين المبتدعين فان هذا يقوله من يقوله من المتفلسفه والمعتزله .

والكتاب والسنه يرد هذا القول وسلف الأمه وأئمتها متفقون على بطلان

هذا القول . قال تعالى (واذ قلنا للملائكه أسجدوا لآدم فسجدوا الا

(١) سوره الأعراف : الآيه ٢٥

(٢) سوره نوح : الايتين ١٧ - ١٨

(٣) سوره طه : الآيه ٥٥

(٤) القرآن محاوله لفهم عصري : د / مصطفى محمود ص ٦٨-٦٩

ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين . وقلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة) الى قوله (قلنا اهبطوا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين) فقد أخبر أنه سبحانه أمرهم بالهبوط و أن بعضهم عدو لبعض ، ثم قال (ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين) وهذا يبين أنهم لم يكونوا فى الأرض وانما اهبطوا الى الأرض فانهم لو كانوا فى الأرض وانتقلوا الى أرض أخرى كانتقال قوم موسى من أرض السى أرض لكان مستقرهم ومتاعهم الى حين فى الأرض قبل الهبوط وبعده ، وكذلك قال فى الأعراف لما قال ابليس :- " أنا خير منه ، خلقتنى من نار وخلقته من طين ، قال :- اهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها) . فقوله :- " اهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها) يبين اختصاص السماء بالجنة بهذا الحكم فان الضمير فى قوله : (منها) عائد الى معلوم غير مذكور فى اللفظ - هذا بخلاف قوله : - (اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم) فانه لم يذكر هناك ما أهبطوا فيه وقال هنا :- (اهبطوا) لأن الهبوط يكون من علوالسى سفلى وعند أرض السراة حيث كان بنو اسرائيل حياى السراة المشرفة على المصر الذى يهبطون اليه . ومن هبط من جبل الى واد قيل له : هبط الى ان قال ابن تيمية رحمه الله تعالى " وقوله : - (ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال : اهبطوا) الايتين فقوله هنا بعد قوله : (اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين) يبين أنهم هبطوا الى الأرض من غيرها وقال : (فيها تحيون و فيها يموتون ومنها تخرجون) دليل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك بمكان فيه يحيون وفيه يموتون ومنه يخرجون وانما صاروا اليه لما أهبطوا من الجنة والنصوص فى ذلك كثيره وكذلك كلام السلف والأئمة " (١)

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية : جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد ج٤ ص٣٤٧ - ٣٤٩ باختصار

هذا جواب ابن تيميه رحمه الله تعالى لمنكر الهبوط ولمنكر ان تكون
جنه آدم هي جنه الخلد أما جوابه لمن أول سجود الملائكه بغير معناه
المتبادر فقال : " فمن قال انه لم يسجد له جميع الملائكه بل ملائكه الأرض فقد
رد القرآن بالكذب والبهتان وهذا القول ونحوه ليس من أقوال المسلمين
واليهود والنصارى وإنما هو من أقوال الملاحده المتفلسفه الذين يجعلون
"الملائكه" قوى النفس الصالحه " والشياطين " قوى النفس الخبيثه ويجعلون
سجود الملائكه طاعه القوى للعقل وامتناع الشياطين عصيان القوى الخبيثه
للعقل ونحو ذلك من المقالات التى يقولها أصحاب " رسائل اخوان الصفا "
وأمثالهم من القرامطه الباطنيه ومن سلك سبيلهم من ضلال المتكلمه والمتعبده
وقد يوجد نحو هذه الأقوال فى أقوال المفسرين التى لا اسناد لها
يعتمد عليه " (١)

وبعد هذا ما قاله الدكتور مصطفى وهذا ما قاله شيخ الاسلام ابن تيميه
وحسبك به

حد السارق :

وللدكتور مصطفى فى حد السارق ثلاثة مواقف أما أحدها فنشره فى
احدى المجلات بعد صدور الطبعه الأخيره من كتابه وكأنها أضافه جديده ،
وأما ثانيها فحذفه من الطبعه التى بين يدي وأما ثالثها فلا يزال ، لم
يرجع عنه

وللبيان فإن أولها زعم إشتهر عن الدكتور مصطفى وان كان قاله قبله كثير
من الملحدين والمنحرفين والجاهلين ذلكم هو الزعم بأن اليد لا تقطع
لمن يسرق مره واحده فلا بد أن تتكرر منه السرقة حتى يوصف بأنه " السارق "

(١) مجموع فتاوى ابن تيميه : عبد الرحمن بن قاسم ج٤ ص ٣٤٥-٣٤٦

فيصح حينئذ قطع يده،^(١) وهذا أمر سبق عرضه والرد عليه فلا داعى لاعادته هنا

أما ثانيها فما ذكره من أنه اذا تاب السارق وقال صادقا تبت ولن أسرق بعد الآن يعطى لولى الأمر مجالا لرفع الحد عنه، لكن الدكتور مصطفى حذف هذا فى الطبعة التى بين يدي لعله بعد أن قرأ ردود أهمل العلم عليه .

وثالثها زعمه ان "من سرق - للجوع أو للحاجة لا يصح شرعا اقامه الحد عليه حتى لو كان يسرق عن اصرار وعمد"^(٢) وهو حين يقول هذا لا يفرق بين مجاعه تعم المسلمين ومجاعه يزعمها كل سارق فيسقط عنه الحد ويكـون التشريع به باطلا؟! سبحانك هذا بهتان عظيم .

الجنه والجحيم:

وهذا الموضوع فى كتابه كغيره من المواضيع ملئء بالانحرافات فى التفسير والتأويلات البعيده والمتناقضه والسطحيه بل عد الدكتور من أسباب انصرافه عن القرآن فى شبابه ما قرأه عن أنهار العسل وأنهار الخمر فى الجنه وهو لا يحب العسل ولا يحب الخمر وعد هذا سذاجه (!!) وانسحب حكمه على القرآن ثم على الدين كله والسادج فى واقع الأمر لم يكن الا هو، كذا قال^(٣) وقد ظن خاطئا أن تأويل ما فى الجنه وما فى النار بأنه ضرب مثل ولون من التقريب وألوان من الرمز ثم تخبط فمره يقول ان النعيم والعذاب معنويان لا حسيان ومره عكس هذا ومره معنويان وحسيان ولا تدرى أيهما عقيدته

قال: "فماذا يقول القرآن فى الجنه؟" مثل الجنه التى وعد المتقون فيها

(١) انظر مجله صباح الغير العدد ١٠٩٣ فى ١٦ ديسمبر ١٩٧٦ مقال: قطع اليد فى القرآن مصطفى محمود

(٢) القرآن محاوله لفهم عصرى: د / مصطفى محمود ص ٢١٢

(٣) المرجع السابق: ص ٨١

أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر
لذه للشاربين وأنهار من عسل مصفى" (١)

والآيه تبدأ بأنها ضرب مثل " مثل الجنه التي وعد المتقون " وليست ايرادا
لأوصاف حرفيه . فهذا أمر مستحيل لأن الجنه والجحيم أمور غيبه بالنسبه
لنا لا يمكن تصويرها فى كلمات من قاموسنا فكل الغايه هى تقريب
تلك المعانى المستحيله بقدر الامكان وكل ما جاء عن الجنه والجحيم ما هو
الا الوان من ضرب المثل . . وألوان من التقريب وألوان من الرمز" (٢)

ويقول أيضا " الله لا يعذب للعذاب . . وانما يأتى العذاب واحترق
الصدر من احساس من هم فى أسافل الدرجات بالغيره والحسد والهوان
والخسران الأبدى الذى لا مخرج منه . . . وسوف يحرق هذا الاحساس
الصدور كما تحرقها النار وأكثر . . وسوف يكون هو النكال والتنكيل يتكلم
الواحد منا بنفسه بالدرجه التى وضع نفسه فيها التى انحدر اليها بأعماله
فى الدنيا" (٣)

وفى قوله تعالى عن المعذبين فى النار " كلما دخلت أمه لعنت أختها
حتى اذا إداركوا فيها جميعا قالت أوراها لآ ولا هم ربنا هوءلاء أضلوننا
فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون" (٤) قال
الدكتور مصطفى " انه حوار ومكالمه فى النار يجرى بين المعذبين ، وفى
مثل نارنا لا يمكن أن يجرى حوار بين اثنين يحترقان . . والمعنى الثانى
العميق فى الآيه و " لكل ضعف ولكن لا تعلمون" ان أماننا اثنين (كذا)

(١) سورة محمد : الآيه ١٥

(٢) القرآن محاوله لفهم عصرى : د / مصطفى محمود ص ٨١-٨٢

(٣) المرجع السابق ص ٨٧-٨٨

(٤) سورة الأعراف : من الآيه ٣٨

يتعذب الواحد منهما ضعف الآخر مع أنها في المكان نفسه : ومعنى هذا أن العذاب ^{يكون} في الشخص وليس في المكان ذاته . . . وهذا لا ينفي أن العذاب المذكور حسيا بل أنه من الممكن أن يكون معنويا وحسيا في نفس الوقت" (١)

لكنه يرجع الى القول بأن العذاب معنوي حين يفسر قوله تعالى "أقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا" (٢) فيقول : - " والحساب هنا بيد وأنه حساب النفس للنفس وتنكيل النفس بالنفس ومواجهه النفس للنفس ، لقد لزم كل واحد عمله كظله ولا خلاص وحق القول . . ونفذ العدل الأزلي" (٣)

ولعل الذي حمله على الاعتقاد بأن العذاب معنوي اعتقاده الآخر في بعث الأجساد يوم القيامة حيث يقول " وبالمثل ما يروى القرآن عن النار فهي نار لا كما نعرف من نار . . نار تنبت فيها شجره لها ثمر (شجره الزقوم) . . وفيها ماء حميم يشربه أهلها والمعدبون فيها يتكلمون ويتحاورون فأجسادهم لا يمكن أن تكون لها نفس كيمياء الأجساد كما نعلمها والا لتبخرت د خانا في لحظات ولما استطاعوا أن يتبادلوا كلمة

ومعنى هذا أننا سوف نبعث أجسادا ولكن لا كالأجساد . . . ربما كيانات لها ذات الهيئه والصوره ولكن من ماده مختلفه هي بالنسبه لنا غيب انها لن تكون الأجساد الترابيه التي نتكون منها الآن في حياتنا الأرضيه . . . ولهذا يمكن أن تتضاعف المتع حسيا ومعنويا بطريقه نجهلها كما تتضاعف درجات العذاب حسيا ومعنويا عما نعلم" (٤)

ويؤكد هذا رده على حجه لمن ينكر رويه الله يوم القيامة فيقول " وهي حجه

(١) القرآن محاوله لفهم عصرى : د مصطفى محمود ص ٨٨

(٢) سوره الاسراء : الايه ١٤

(٣) القرآن محاوله لفهم عصرى : ص ٩٦

(٤) المرجع السابق ص ٨٩

واهيه وتصور مادي دنيوى . . فهم يتصورون أن الروح سوف تبصر
بعين ماديه فى الآخرة وستكون لها حدقه وأجفان وستظل ملبسه
للزمان والمكان المعروف فى الدنيا . . . وهو أمر ينكره القرآن (!!) فيقول
عن النشأه الأخرى " وننشئكم فيما لا تعلمون (١) أى انه سوف ينشئنا
نشأه مختلفه تماما عن كل ما نعلم ولا غرابه فى أن يكون للروح بصر شامل
يدرك اللامحدود وأن ترى الله فى الآخرة" (٢)

والحقيقه انك لا تكاد تجد لهذا الرجل قاعده ينطلق منها الحوار فبينما
تراه فى أقصى الشرق لا تلبث أن تراه فى أقصى الغرب تراه أمامك مسلما
فى أمر فاذا بك ترى قفاه رافضا ثم يلتفت اليك مترددا حائرا يستدل أحيانا
بالآيات فى غير مدلولها ويبتر حينما الآيه بتر عن سياقها

ودعونا نأخذ من حديثه السالف الطويل آخره إستدل بقوله تعالى
" وننشئكم فيما لا تعلمون" على أن البعث يكون فى نشأه مختلفه عن أجسادنا
فى الدنيا !!

ولنقرأ الآيه كامله " نحن خلقناكم فلولا تصدقون ، أفريتم ما تمنون
أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على
أن نبدل أمثالكم وننشئكم فى ما لا تعلمون ولقد علمتم النشأه الأولى
فلولا تذكرون" (١)

فهذه الآيات رد على منكرى البعث بأنه قدر عليهم الموت وأنه قادر على
أن يأتى بآخرين من جنسهم بعد مهلكهم وأن يخلقهم هم فى صور أخرى
غير الصور التى كذبوا بالبعث وهم عليها صورا وأشكالا أخرى . قال الأستاذ
أحمد محمد جمال" أى ينشئهم خلقا آخر قرده مثلا - أو خنازير أو أى صنّف
من أصناف مخلوقاته . . فهو تبارك وتعالى - يهدد المنكرين للبعث بأنه

(١) سورة الواقعة : الآيات ٥٧ - ٦٢

(٢) محاوله لفهم عصرى للقرآن : د مصطفى محمود ص ١٣٧

قادر على تبدل خلقتهم الانسانيه وانشاءهم فى خلقه أخرى ويذكرهم
بالخلقه الأولى . . خلقتهم الطين أو خلقتهم من ماء مهين والذي بدأ الخلق
يعيده من غير شك" (١)

وقال القاسمى " قال الشهاب والظاهر أن قوله (وننشئكم) المراد به
إذا بدلناكم بغيركم ، لا فى الدار الآخرة كما توهم وهذا كقوله تعالى
" ان يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين" (٢) (٣)

تفسيره الباطنى :

ومع أن الدكتور مصطفى يحذر من التفسير الباطنى ويذمه ويذكر أمثله
من تفسير ميرزا حسين على الذى لقب نفسه "ببهاء الله" (٤) إلا أنه
مع هذا يفسر القرآن أحيانا تفسيراً باطنياً

فقال مثلاً فى تفسير قوله تعالى مخاطباً نبيه موسى عليه السلام " أنى
أنا ربك فأخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى" (٥) قال الدكتور " ويقول الله
لموسى : فأخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى" فلا يمكن الوقوف فى
حضرة الله إلا بخلع النفس والجسد وخلق شواغل النفس وشواغل الجسد
كشرط للوصول" ؟! (٦)

وهو حين يقول هذا لا يجهل أنه تفسير باطنى لبعض الصوفيه حيث كرر
هذا التفسير فى موضع آخر ودافع عنه فقال : - " وفى هذا يفسر بعض المتصوفه
كلام الله لموسى فى القرآن : - " فأخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى"
ان المقصود بالنعلين هما النفس والجسد . . هوى النفس وملذات الجسد . .

(١) على مائده القرآن مع المفسرين والكتاب: احمد محمد جمال ص ٤٧

(٢) سوره النساء: الآيه ١٣٣

(٣) محاسن التأويل : تفسير القاسمى ج ١٦ ص ٥٦٥٥

(٤) القرآن محاوله لفهم عصرى : ص ١٥٤ - ١٥٦

(٥) سوره طه: الآيه ١٢

(٦) القرآن محاوله لفهم عصرى : ص ١٠٨

فلا لقاء بالله الا بعد أن يخلع الانسان النعلين : نفسه وجسده بالموت أو بالزهد والله يصورها كنعلين لأنهما القدمان اللتان تخوض بهما الروح فى عالم المادة وعن طريقهما نزلت من سمواتها الى الأرض.

وقد يعترض معترض قائلًا . . . وما ضروره لصرف اللفظين عن معناها الظاهر والواقع أن هناك ضروره . . . فالحضرة الربانيه لا يكفى لدخولها خلع نعلين . . . وانما التجرد الكامل هو شرطها دائما وهو أقل ما يليق بالحضرة الجلاليه . . . ولا يتم التجرد الا بخلع شواغل النفس والجسد . . . فالمعنى هنا وارد والتأويل له ضروره (! !) وهو لا يناقض المدلول الظاهر للألفاظ (! !) ولهذا يبادر المتصوف بأن يخلع النعلين ليخطو أول خطوه فى الوادى المقدس^(١)

ونحمد الله أن الدكتور لم يستند فيما قال الى كتاب ولا الى سنه ولا الى لغه ولا الى قول سلف وانما الى قول المتصوفه وفعل المتصوفه فأراحنا من عناء الرد عليه .

ومن تفسيره الباطنى أيضا تفسيره للمشجره التى أكل منها آدم عليه السلام فى الجنه بأنها التلاقح الجنسى (! !) وأنها رمز للجنس والموت حيث قال " وأنا أرى أنها رمز للجنس والموت الذين تلازما فى قصه البيولوجيا حينما أخذت الكائنات الحيه بطريقه التلاقح الجنسى لتتكاثر فكتبت على نفسها طارئ الموت ولم تكن الكائنات قبل ذلك تموت بل تتجدد وتعود الى الشباب بالأقسام الذاتى . كان التلاقح الجنسى هو الشجره المحرمه التى أكلت منها الحياه فهوت من الخلود الى العدم"^(٢)

ومعلوم أن هذا التفسير صرف للفظ عن ظاهره من غير دليل فهو

تفسير باطنى

(١) المرجع السابق : ص ١٣٥ - ١٣٦

(٢) المرجع السابق : ص ٦٦

ومن تفسيره الباطنى تفسيره لهبوط آدم وحواء عليهما السلام الى الأرض بعد أن ذاقا الشجره بأن " المقصود من الالهباط اذن هو الالهباط المعنوى من مقام الرضا الى مقام المعصيه " (١)

هذه أمثله من تفسيره الباطنى الذى أنكره ووقع فيه فى مواطن كثيره من كتابه هذا .

صفات الله :

والمؤلف يقع كثيرا فى أسر الرغبة فى التعبير المتحرر الذى لا يلتزم صاحبه العقيدة الصحيحة فى جنب الله ولم تهذب عبارته مجالى الدراسات الاسلاميه ولا يعرف الالتزام الذى يقتضيه مقام الحديث عن الله — شأنه فيورد عبارات وأوصاف بقدر ما تبتعد عن العقيدة معنى تلتصق بالعصريه لفظا فقد غلب عليه الحرص على التجديد فى العبارات والصفات غلبة ابعدته عن المنهج الحق .

لن أسترسل فى هذا من غير أن أعلق بحد يفى مثلا يجلو غامضه بل أمثلة أولها قول الدكتور عن الله عز شأنه :- " والله هو العقل الكلى المحيط " (٢) ولا يخفى على أحد أن هذا وصف لم يصف الله به نفسه ولم يصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم فمن أين جاء به أيا كان مصدره من سواهما فمردود لأن عقيدة السلف أن لا يصفوا الله سبحانه وتعالى الا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لأنه من الغيب وهما مصدر المؤمن فى معرفه الغيب وجلاته

ومثالا آخر يشبه ادراك النملة لسليمان عليه السلام بادراك سليمان عليه السلام لله سبحانه وتعالى فيقول " وادراك نملة لسليمان أمر ممكن مثل

(١) المرجع السابق : ص ٦٨

(٢) المرجع السابق : ص ١١٠

ادراك سليمان لله^(١)

ومثالا ثالثا يقول " ومن التسابيح السنسكريتية أن يتلو اليوجى فى
خشوع كلمه " رهيم . . رهام " آلاف المرات (! !) وهى كلمات تقابل
رحيم رحمن . . عندنا وهى من أسماء الله بالسنسكريتية^(٢) ! ،
ومثالا رابعا وهو يرد على ميرزا حسين علي الذى أدعى النبوه
من غير معجزه فيقول " انها إختلاقات النبى الذى أراد أن يدخل منتدى
الأنبياء بلا مؤهلات . . ويتسلل إلى مائده الخالدين دون أن يمتحن
فأنكر المعجزه والغيب حتى لا يطالبه أحد بأوراق اعتماده فى السفاره
الالهيه التى أدعاه^(٣) " وهو بهذه العبارة أيا كان قصده جاء بما هو

ممجوج

ويمناسبه الحديث عن الممجوج من حديثه الذى حشا به كتابه سخريته
من الذى يدعوره أن يرزقه مئه جنيه ويرشده الى الطريقه التى يحل بها
مشكلته فقال " أما الذى يقول . . يارب أرزقنى مائه جنيه . . فهو رجل يمزح مزاحا
سخيفا . . فهذه أمور يمكن أن يسعى اليها بأسبابها الدنيويه
المعروفه وليس طريقها التصوف؟ ! وكشك سجاير على ناصيه عماد الدين
يحل المشكله^(٤)

وملاحظه هامه أنه فى تفسيره يذكر الله عز وجل ويذكر أنبيائه عليهم
الصلاه والسلام فلا يسبح الله ولا يصلى على أنبيائه وليس هكذا أدبنا
الاسلام .

(١) المرجع السابق : ص ١٦٦

(٢) المرجع السابق : ص ١٣٤

(٣) المرجع السابق : ص ١٥٥

(٤) المرجع السابق : ص ١٣٨

تصوفه :

وقد أخذ الدكتور من خرافات الصوفية نصيبا وافرا فمن اعتقادات بعض الصوفية أن التوجه الى الله بالدعاء هو مشاركة لله في ارادته وانه طلب لما لم يرد الله أن يفعله ويشيد الدكتور في كتابه هذا ويثني كثيرا على هؤلاء الصوفية فيصف عملهم هذا بالتجرد وبالآداب؟! فيقول " والمتصوف متجرد . . وهو قد نفى المطلب الدنيوي من باله لانه يريد مطلبا أعظم والمتصوف متأدب . . وهو يمرض فلا يسأل الله الشفاء حياء وأدبا ويقول . . كيف أجعل لنفسي ارادة الى جانب ارادة الله .. فأسأله ما لم يفعل . . وأنا الذي لا أعلم ما ينفعني مما يضرني . . كيف يعترض الذي لا يعلم على الذي يعلم . . ومن يدرينى أن مرضى وآلامى ليست الوسيلة الى خلاصي . . وهذه مبالغة غير مطلوبة من المسلم . . فالله يحب منا أن نسأله ولكن الصوفي من باب الخوف والآداب لا يطلب من الله الا ما يطلبه الله منه فيقول كما قال النبي ابراهيم : " رب اجعلنى مقيم الصلاة " (١) فهو يجعل من ارادة الله ارادته الخاصة ومسعاه . . حيا واحتراما لخالقه والحب هدف المتصوف الاسمى .

ليس لى فى الجنان والنار حظ . . أنا لا أبتغى بحبى بدىلا

والتناقض ظاهر فى حديث الدكتور فمع أنه يصفه بأنه " مبالغة غير مطلوبة من المسلم " الا أنه يثني على الصوفية ويمجد طريقهم هذا فكيف يثني على ما هو " غير مطلوب من المسلم " .

وتناقض آخر حيث يعترف أن " الله يحب منا أن نسأله " فكيف يكون الأدب والحياء فى ترك ما يحب الله أن نفعله بل اذا كان الله يحب أن

(١) سورة ابراهيم : من الآيه ٤٠

(٢) القرآن محاولة لفهم عصرى : د مصطفى محمود ص ١٣٨

نسأله فهو يريد أن نسأله لأنه سبحانه لا يحب ما لا يريد فإذا كانت ارادة الله أن نسأله فكيف يكون الأدب فى ارادة غير ارادة الله ؟! هذا اذا أردنا الجواب حسب منطقہ أما اذا أردنا الدليل الحق فكتاب الله وسنته مليئة بالأمر بالدعاء وأنه مخ العبادہ ؟! فهل يتأدبون مع الله .

وكثيرا ما يشيد ويثنى على الصوفيه فيصفهم بأنهم أهل الحضرة وأن علمهم لدنى . . من لدن الله وليسوا كالفقهاء علمهم علم نقلى من الكتب وانهم أهل السر والقرب والشهود وانهم الأولياء الصالحون حقا وانهم الاتقياء الاخفياء (١) وأثنى عليهم فى فصل " أسماء الله " ثناء كبيرا وعد الوصول الى أرقى درجاتهم أشق من الصعود الى القمر .

ورد عليه فى هذا الأستاذ أحمد محمد جمال بقوله " انهم هم السخفاء حقا . . لانهم يزعمون لأنفسهم أنهم أنبياء يتلقون علمهم اللدنى من الله مباشرة وأنهم لا يحتاجون الى القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم اللذين فيهما علم العقيدہ وعلم الشريعة إلا أنهم . هم الجهلاء والسفهاء . . ولكن لا يشعرون " (٢)

والذى يظهر لي أن الدكتور مصطفى وهو في طريق أوبته وتوبته لا يزال متأرجحا يمنه ويسره يبحث عن المكان الذى يستقر فيه ولذا بنيرزت ظاهرة فى تفسيره أكدها كل من كتب عنه فيما قرأت ظاهرة التناقض ولو عدت لما كتبت عنه فى الصفحات السابقه لوجدت بعضا منها وان دل هذا على شىء فانه يدل على أن فكره لا يزال يبحث عن الحقيقه التى فقدها فيحسبها حيناً هناك فيقررها ويحسبها حيناً هناك فيقررها وقد يكون مخطئا فى

(١) انظر مثلا الصفحات ١٣٨ - ١٤١

(٢) على مائدة القرآن مع المفسرين والكتاب : أحمد محمد جمال ص ٤٧٥

الحالتين فعليه ان أراد كتابة جاده أن يعيد النظر فيما كتب ويستقر على رأى فيما تناقض فيه ولا ينسى ما قرره فى موضع عند خوضه غمار قضية أخرى .

وبعد

ليس ما ذكرت هو كل مواضع انحرافه وليس ما ذكرت هو أهمها ففيمما لم أذكر أكثر وأخطر مما ذكرت وانما صرفنى عن بيانه أنى قد كفيت ذلك فان كان عند الدكتور رغبه فى الحق فقد بينه غيرى ممن هو أرفع منى درجة وأعلى مقاما ولا أظنه الا كذلك ان شاء الله يؤيد هذا رجوعه عن كثير من آرائه فى الطبقات الأولى .

وهو فى غير تخصصه - رجل مثقف (١) بمدلولها الحديث وهو الرجل الذى أخذ من كل علم بطرف لكن هل هذا بهذه الصفة يصلح لتفسير القرآن الكريم ؟! لندع أمر التفسير . رجل كمثل تخصص فى الأمراض الصدرية هل يحق له أن يعالج أمراض العين والأسنان والعظام وو الخ فضلا عن أن يكون مهندسا للطرق أو الانشاءات أو خبيرا زراعيًا أو عالما فى طبقات الأرض أو طيارا . . الخ ان مثل هذا لو فعل ذلك سيجب فى عمله جناية كبيرة سيفسه العين والأسنان ويتلف الزرع والثمار وسيعتبر دخيلا فى مهنته وسيلومه الناس صغيرهم وكبيرهم وجاهلهم ان لم توضع فى كفيه القيود ويدخل السجون .

وليعلم هذا وغيره أن أمر تفسير القرآن الكريم أخطر من كل هذه الأمور على صاحبه وعلى المجتمع ، أما اولئك الذين يزعمون أن تفسير القرآن الكريم والحديث عن الدين أمر مشاع للمسلمين كافة فهم مخطئون أو جاهلون

(١) قال بن منظور فى لسان العرب ج ٩ ص ١٩ رجل ثَقِفٌ وَثَقِيفٌ
وَثَقُفٌ : حاذق فهم .

ونحن نقول أن الدين ليس حكرا على أحد وأن تفسيره ليس مباحا لكل أحد ليس الدين حكرا على أحد فلا يجوز أن نمنع أحدا من الدخول فيه بل يلزمنا الاعتراف باسلامه متى أعلن ذلك ما لم يأت بأمر مخرج من الدين . أما الذين لهم حق تفسير القرآن فهم الذين توفرت فيهم شروط المفسر وآدابه فاذا ما توفرت فيهم هذه جاز لهم تفسير القرآن الكريم . أما قبل ذلك فلا وكان حقا ان يعاملوا كادعياء الطب . . الخ بل أشد .

ونحن لا ننكر أن الدكتور مصطفى حريص على صوغ المفاهيم الاسلامية فى عبارات ومعان حديثة تقرب الى الأذهان لكن هذا الهدف لا يبرر له خوض غمار التفسير من غير سلاح تماما كالشخص الجاهل فى الطب الذى ترتعد جوانبه اشفاقا وعظفا على المريض فيصف له دواء^{١٦} هو أجهل الناس به فليست شفقتة ونصحه بمبرر كاف لوصف الدواء والعلاج .

أما اسلوب العصر والعصرية الحديثة فقد جنت على الأمة الاسلامية جناية كبيرة فقد اتخذها دثارا كل من أراد أن يغير فى الدين ويدخل فيه مالىس منه !! فقطع يد السارق وتعدد الزوجات والربا ورجم الزانى المحصن وجلد شارب الخمر ووالخ كلها أمور لا تناسب العصر الحديث فلتغير ولتبدل فلا تقطع يد السارق حتى تتعدد سرقاته ويقيد تعدد الزوجات بشروط ثقله لا يستطيعها أحد بل ليختصر الأمر فيمنع التعدد أما الربا فالمراد به الربا الفاحش ؟ ! أما رجم الزانى المحصن فلم يرد فى الكتاب ؟ ! كلها أمور بزعمهم تتنافى مع العصر الحديث . . وبهذا يكون هذا الأسلوب مطية يركبها الناصح الجاهل والملحد الخبيث وهو أمر مازالت الأمة الاسلامية تعاني منه وقد صرحت بهذا المستشرقه الأمريكية مريم جميله حيث قالت :-

" ان البلاد الاسلامية قد وقعت فريسه مصطلحات خاطئة ومنها مصطلح العصرية وقد جنى هذا المصطلح على الاسلام جناية كبرى " (١)

(١) شطحات مصطفى محمود فى تفسيراته العصرية للقرآن الكريم: عبد المتعال الجبرى ص ١

أولئك الذين يبدون تعاطفهم مع الدكتور مصطفى محمود ويمسسون عباراته مساً خفيفاً وهم يعتقدون أن توبة مصطفى من الالحاد إلى الإيمان كافيته لالتماس كل عذر له في انحرافاتهِ وتأويلاته الباطلة وما هكذا تُورد الأبل يا سعد أما توبته فليس تفضلاً منه علينا فهي له في الدنيا والآخرة وله مناحق الدعوه الصالحه وحق الأخوه الاسلاميه بأن يثبتنا وإياه على الصراط المستقيم حتى نلقاه . وأما أن تكون توبته هذه مبرراً للتجاوز عن انحرافاتهِ فأمر مرفوض مرفوض .

مرفوض لأن صاحبه ما زال لم تتروض عباراته في ميدان الفكر الاسلامي ولم تنصهر ألفاظه في بوتقة العقيدة الاسلاميه ولم تنجبل عقائده في مجالى الاسلام ، فلا زال يستعمل عبارات والفاظ يحسب المسلم لها ألف حساب قبل أن يتفوه بها . ولئن كنا ندعوا الله أن يغفر له فان هذا لا يعفيه من الخطأ ولا يعفينا من التنبيه .

ومرفوض لأن صاحبه لا يزال يجهل كثيراً من أحكام الاسلام وعقائده التي تدور لتقريرها آيات القرآن الكريم فيبعد فهمه حيناً .

ومرفوض لأن صاحبه يجهل العلوم الواجب توفرها في المفسر فلا يعرف أسباب النزول ولا أول ما نزل وآخره ولا الناسخ والمنسوخ ولا المحكم والمتشابه ولا ما ورد تفسيره بالسنة ولا . . . ولا . . .

ومرفوض لأن صاحبه لا يعرف قواعد اللغة العربية ولا مدلولات ألفاظها اللهم الا ما يعرفه العامه في اللغة من المدلولات السائره في أحاديثهم ومندياتهم أما خصائص الأساليب التي يدرك بها الفرق بين عبارة وأخرى وغير ذلك من خصائص اللغة فلا يعرفها .

وبالجملة مرفوض لأن صاحبه حتى الآن لا تتوفر فيه شروط المفسر
ولا آدابه فاذا ما التزمها فان الحق له كل الحق في أن يفسر القرآن
مادام تفسيره يقوم على الاسس والقواعد ، أما والحالة هذه فلا وألف لا .

وانى أوجه له ولا مثاله النصح من قلب خالص صادق ان يدع تفسير
القرآن الكريم لاهله وان يتناول اذا أراد المشاركة ما قرره أولئك الاعلام
فى التفسير بالشرح والبسط وأسلوبه الخاص فى مخاطبة الطبقة العامة
وأن لا يبتدئه ابتداءً فهذا يكون له شرف المشاركة فى ميدان الدعوة
ان شاء الله وكفى به من شرف لا يدانيه شرف الشهره ولا شرف المادة
ان كان فيهما من شرف .

وأهمس فى أذنه وأذن غيره ممن يتناولون آيات القرآن الكريم بالتفسير
بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم " من قال فى القرآن بغير علم
فليتبوأ مقعده من النار" ^(١) وكفى به وعيدا لمن القى السمع وهو شهيد
والله أعلم .

هذا ما أردت قوله عن منهج القاصرين فى التفسير وهم وان كان
فيهم المغرض فان فيهم ذا النية الصالحة الصادقة لكنه أخطأ الطريق
فليعد هؤلاء الى الحق وليعلموا أن من قال فى القرآن برأيه فأصاب
فقد أخطأ ونسأل الله لنا ولهم السلامه .

(١) رواه الامام أحمد فى مسنده ج ١ ص ٢٣٣ ورواه الترمذى فى سننه

ج ٥ ص ١٩٩ كتاب تفسير القرآن وقال " حديث حسن صحيح "

الباب الخامس

الاتجاهات المنحرفة

الفصل الثالث

اللون اللامنهجي في التفسير

نحمد الله باديء ذى بدء أن أصحاب هذا اللون من التفسير أقل من القلة ، وما كنت لأعرض لهؤلاء لولا أنى حرصت على استقصاء اتجاهات التفسير وألوانه فى العصر الحديث

والذى لا أدريه حقا وما زال يحيرنى ويلج فى طلب الجواب هل هؤلاء أصحاب هذا اللون من التفسير مجانيين حقا ؟ أم أنهم عقلاء كتبوا كما يكتب أولئك ، وإذا كان الأمر كذلك فلماذا فعلوا هذا ؟ وهل يعتقد أحد منهم - حقا - أن تفسيره هذا سيلاقى القبول ولو من شخص واحد وإذا كان الجواب بالنفى فلماذا كتب ؟! هذه الاسئلة وغيرها تترى على ذهنى من غير أن أجد لها جوابا

أحب هنا أن أذكر مثلا واحدا لا أزيد عليه من تفاسيرهم ولا أود - أيضا - أن أذكر أكثر من مثال واحد لمؤلفاتهم

أما المثال من التفسير فتفسير حديث لسورة الاخلاص نشر فى جريده السياسه الكويتيه رد عليه مجلس المجمع الفقهي الاسلامى فى دورته السادسه ووصف هذا التفسير بأنه لا يدل على شىء سوى الاختلاط العقلى ويرى أنه من المختلين عقليا وأنه هذيان لا يبلغه هذيان المحمومين وأنه عبث بآيات الله فى كتابه

وما على أن أستطرد وقرار المجمع بين يدي فيه عرض للتفسير والجواب الكافى فلأنقله بحذافيره ففیه الغناء :-

"الحمد لله وحده والصلاه والسلام على من لا نبى بعده سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا . أما بعد : فان مجلس المجمع الفقهي الاسلامى فى دورته السادسه المنعقد بمقر الأمانه العامه لرابطه العالم الاسلامى بمكة المكرمه فى الفتره ما بين ٩-١٦/٤/١٤٠٣ الموافق ٢٣-٣٠/١/١٩٨٣ قد أطلع فى جلسته الثانيه صباح يوم الاثنين

١٠/٤/١٤٠٣ على ما نشرته جريدة السياسة الكويتية في عدد هــاذى
الرقم (٤٧٧٦) الصادر يوم الخميس ١٧ ذى الحجه ١٤٠١ الموافق
١٥/١٠/١٩٨١ من كلام غريب مستنكر تحت عنوان بارز خداع جبا فيه
(معنى التوحيد : تفسير منطوق لسوره الا خلاص وترجمته الانجليزيه) موقع
باسم شخص سمي :- (محمد أحمد الشمالى) يجترى فيه على التلاعب بمعانى
القرآن العظيم ويأتى فيه بلون عجيب من الخلط والأوهام والجهل
والتصورات الخياليه المتفككه والملتبكه لا تدل على شىء سوى الاختلاط
العقلى . ويعلن على المسلمين أنه تفسير لسوره الا خلاص!!

وقد أستهل هذا المفسر الجديد تفسيره هذا لسوره الا خلاص بقوله :
- قل : خبر مقدم بمعنى فرد لا أحد له فيقال مثلا : رجل قل !!) "هو
ضمير مبتدأ مؤخر خبره (قل) وهو أيضا فى مقام مفعول به للجمله الفعلية
التي تليه!! الله أحد : أى أن الله أَحَدَه بمعنى جعله واحدا
أو بمعنى جعله حدا ، أو بمعنى جعله حادا!!

وهكذا يسير هذا الرجل المختلط فى تفسير بقيه آيات سوره الا خلاص
الى أن يقول . ولم يكن له كفوا أحد ، (ما كان لهذا الشخص أكفأ
فى الماضى ولكن هذا لا يمنع ظهور أكفأ له فيما بعد والا لتعذر عليه
ذاته الظهور ثانياه على وجه الأرض بعد المره الأولى ، وانقطعت رسله) !!

هذا ويرى المجمع الفقهى انه ليس مستغربا أن يوجد فى المختلين
عقليا من يتصور نفسه عالما محققا متعمقا ، أو فيلسوفا مدققا فهذا مرض
من الأمراض، ولكن الغريب كل الغريب أن تنشر صحيفه عربيه مشهوره
فى بلد عربى اسلامى مثل هذا الهذيان الذى لا يبلغه هذيان
المحمومين تحت عنوان بارز بأن هذا هو معنى التوحيد المستفاد من
سوره الا خلاص تلك السوره القصيره العظيمه التي عبرت عن حقيقه التوحيد

بكلمات قليلة محكمه كانت وستبقى على مدى الحياه أعظم من الجبال
الشامخات بلاغه ورسوخا وتحديا لعواطف الأفكار الزائغه والتيارات الزائفه
والشرك والالحاد اللذين هما ضلال وانحطاط فى بعض العقول البشريه
بعوامل مختلفه

فاذا كان ذلك الهذيان تفسيراً منطوقاً لسوره الاخلاص العظيمه
فماذا ترك صاحبه للفرق الباطنيه الهدامه التى تتلاعب بآيات الله فى
كتابه العربى المبين كما تشاء لها غاياتها الخبيثه ضالا وتضللا ؟
فمثل هذا العمل هو اجرام وعبث بآيات الله ، ورده عن الاسلام ،
فكيف يسوغ لصحيفه عربيه صاحبها ينتسب للاسلام فى بلد اسلامى أن
تجعل من صفحاتها منبرا لأمثال ذلك ؟ وكيف تنجو هى والكاتب
المستهزىء بآيات القرآن العظيم من المسوء وليه التى تقتضيها نصوص
الدساتير وقوانين العقوبات والمطبوعات فى بلد ها وسائر البلاد
العربيه . ؟

ولذلك ولخطوره هذا السلوك غير المسوءول فى الصحافه والنشر
فيما يجترأ به على العقائد والمقدسات الاسلاميه

قرر مجلس المجمع الفقهي لفت أنظار المسوءولين الذين تقع على عاتق
سلطاتهم حمايه جميع تلك المقدسات من العبث بها واحاله هذا القرار الى
الأمانه العامه لرابطه العالم الاسلامى لتقوم بارساله الى المسوءولين
فى دوله الكويت وسواها ليقوموا بواجبهم فيما يوجبه عليهم دينهم
وحقوق شعوبهم عليهم نحو كتاب ربهم وسنه رسولهم صلى الله عليه وسلم
من صيانه حرمانه وحمايتها من أن تكون ألعويه فى يد من يشأ تضليل
الأفكار وتزييع الناشئه بسوء استعمال حريه النشر، والله ولى التوفيق وصلى
الله على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم" (١)

(١) جريده المدينه المنوره العدد ٦٠٨٨ فى ٢٣ صفر ١٤٠٤

أما مثال مؤلفاتهم في التفسير فنضرب له مثلا برسالة سماها
صاحبها " رساله الفتح " وهذا أو ان الحديث عنها :

رساله الفتح

أولا المؤلف :

يدعى صاحب هذه الرسالة عبد الرحمن فراج

ولم أجد له والحمد لله من ذكر فيما قرأت ، بل ان الرسالة نفسها
لم يكتب عنها الا الشيخ الفاضل مصطفى محمد الحديدي الطير
في كتابه " اتجاه التفسير في العصر الحديث منذ عهد الامام محمد عبده
الى مشروع التفسير الوسيط " ولم يذكر له اسما وعرض له في بحث عنوانه
" الأزهر وعنايته بقراءة القرآن وتيسير تفسيره " ألقاه في المؤتمرات
التاسع لمجمع البحوث الاسلاميه ونشر في مجله الأزهر في الجزء العاشر
السنة الخامسة والخمسون ولم يذكر فيه أيضا اسم المؤلف

وقد زودني جزاه الله خيرا بصورة من تقرير أعضاء لجنه فحص
الكتاب من مجمع البحوث الاسلاميه ومنه أخذت اسم المؤلف .

وانما ذكرت اسمه لأن ذكره لن يزيد شهره ولن يرفع من مقامه بل
سيظهر للناس مكانه ومكان تفسيره .

ثانيا : الكتاب : رساله الفتح

وتقع هذه الرسالة في ١٦٤ صفحة وطبعت بمطبعه (سعدي
وشندي) بسوق شريف عابدين وتناول المؤلف فيها تفسير نحو ٣٠٠
آيه من القرآن الكريم وطبعت سنة ١٩٦٩ تقريبا

والذي يلفت النظر أن صاحبها يوزعها مجانا كأن هناك من
يقف خلفه ويدفعه في هذا الطريق .

ولم أستطع بعد جهد الحصول على نسخه من هذه الرسالة وإنما حصلت على صورته من تقرير أعضاء لجنه فحص هذه الرسالة والتي شكلها رئيس لجنه القرآن والحديث فى مجمع البحوث الاسلاميه ومن أعضائها الشيخ الفاضل مصطفى محمد الحديدي الطير ، الذى كتب عنها أيضا فى كتابه وفى مجله الأزهر كما أشرت آنفا .

وحتما سيكون اعتمادى بعد الله على هذه المصادر الثلاثة وهى فى الحقيقه تكاد تكون مصدر واحد لوحدته كاتبها جميعا وهو الشيخ مصطفى الطير جزاه الله خيرا

أوثله من التفسير فى هذه الرسالة :

وهى ملاءى بالتفاسير الغريبه والآراء العجيبه التى لم يسبق اليها ولم تخطربىبال أحد من قبله ، وانكاره لما هو معلوم بالضروره من الدين والتاريخ واللغه

وقد مهد لما جاء به بزعم يبطل به كل الأسس التى سلكها من قبله حتى يصبح له الجو خاليا فيقول ما يريد أن يقول زعم : " أن عصابه الماسونيه التى ظهرت بعد الجيل الثالث من صدر الاسلام تعاهدوا فى الخفاء على تحريف معانى القرآن التى أرادوا تحريفها ، بعد فشلهم فى تحريف ألفاظه ، واتخذوا لها معنى يخرجها عن مواضعها ثم فسروا القرآن بالتفسيرات التى ظهرت بعد الجيل الثالث (عصر التدوين والتأليف) أيام خلافه العباسيين كما حرفسوا ألفاظ شعر الحضرة ونوا ، أحاديث مكذوبه ، وقاموا بخلق مصنفات ملفقه فى اللغه نسبت الى أصحابها زورا ، كالصاح والقاموس واللسان واستقام لسان العرب على هذا التحريف الذى حصل فى الخفاء ولم يشعروا به " (١)

(١) اتجاهات التفسير فى العصر الحديث: مصطفى محمد الحديدي الطير ص ١٢٢ وتقرير اللجنه ص ١ عن رساله الفتح ص ٥٨ ، ٥٩ ، ١٠٥

ومعذره ان لم أرد عليه فلست أكتب هذه الدراسه لبمن يحتاج الى معرفه الحق فى هذه الأمور من فاقدى العقل والفكر، ومن عداهم ممن أوتى أدنى حظ منهما لا يغيب عنه الحق فى هذا . ولذا فإننى سأورد النصوص مجردة من التعليق

تأويل روى الملك سبع بقرات سمان :

قال تعالى " وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات " (١)

فقال هذا فى تفسيرها : - " معنى بقره : - طائر وفى موضع آخر يقول " بقره : - واضحه " وقال : " فقد رأى العزيز فى المنام سبع طيور سمان يأكلهن سبع عجاف والتي سماها المحرفون بقره واستقام لسان العرب على المعنى المحرف بعد الجيل الثالث الاسلامى تلك الماشيه اسمها (المها) والمها لا تأكل المها أما الطير فبعضه يأكل الطير ثم قال " ان لسان العرب تداول المعانى المحرفه حتى نسبت الى لغته العرب ودونت فى كتب فقه اللغه مثل كتاب الصحاح لمن سموه بـ الجوهري ومثل كتاب لسان العرب لمن سموه بابن منظور " (٢)

وفى موضع آخر فسر البقره بالدجاجه و - لا تضحكوا مما تقرأون فان مجال التفسير غير مجال أحاديث السمر فشأنه أن أصاب صاحبه قبل والا سئل لصاحبه السلامه والهدايه ، قال فى تفسير قوله تعالى " ان الله يأمركم أن تذبحوا بقره " الآيه (٣) : - " بقره : أى دجاجه (لا فارض)

(١) سوره يوسف : من الآيه ٤٣

(٢) اتجاهات التفسير ص ١٢٤ وتقرير اللجنه ص ٣ عن رساله الفتح ص ١٠

(٣) سوره البقره : من الآيه ٦٧

لم ينقطع منها البيض (عوان بين ذلك) وسط بين الصغيره والمسنه
تبيض البيض (صفراء فاقع لونها تسر الناظرين) صفراء أسم الطائر
المسمى بالأوز والبط ومعنى (صفراء) تحدث مكاء : صغيرا ذا صوت
" (فاقع لونها تسر الناظرين) أبيض ناصع ينشغل خاطر من ينظر
اليها لصفاء لونها (لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمه لا شيء
فيها) تلك صفه الغراب فالغراب (بقره) ليستبدلول (مسلمه) يحجل
اذا سار" ثم قال " واصطاد كل اسرائيلي غرابا وقام بذبحه وقالوا
لموسى عندما سمعوا أمر المولى بذبح الغراب (الآن جئت بالحق) " (١)

والفجر وليال عشر:

وقال فى تفسير سوره الفجر " الواو فى (والفجر) واو العطف
والمعطوف عليه قوله تعالى (عالم الغيب والشهاده) من سوره الحشر (١.١.١)
والمولى لا يحلف لمخلوقاته التى خلقها ، والحلف لا يصدر الا من ضعيف
لقوى ومحال أن يحلف المولى وهو القوى العزيز ولا معنى للحلف
بالفجر . . وكان القارئ للقرآن فى أجيال صدر الاسلام يقرأ قوله
تعالى (عالم الغيب والشهاده) ثم يتلو الآيات التى تسبقها الواو التى
بدأت بها السور القصار" ثم قال :- (والفجر) فجر الدم من الشرايين ،
والأشعه بتفجير الذره (وليال عشر) أولى ليالى التحنيط (١.١.١)
(والشفع) شفع الليالى العشر عشرون ليله (الوتر) مثل الليالى العشر
- عشر ليال - (والليل اذا يسر) الدنيا هى الليل بمعنى الحجاب
وظلمه النفس (اذا يسر) اذا انقضت الدنيا وأشرق النور يوم البعث (هل
فى ذلك قسم لذى حجر) القسم هو الحظ والنصيب والعهد -
(لذى حجر) لذى تحجر وذى صمغ" ثم قال " وفى كل مده من ممدد
الحنيط الذى يتم عند الفراغه فى أربعين ليله يوضع الحجر ومعناه الصمغ (٢)

(١) اتجاهات التفسير ص ١٢٨ - ١٢٩ وتقرير اللجنة ص ٥ عن رساله الفتح

(٢) اتجاه التفسير ص ١٣٠ - ١٣١ وتقرير اللجنة ص ٥ - ٦ عن رساله الفتح

العجل الحنيد :

(١) فى تفسير قوله تعالى " فما لبث ان جاء بعجل حنيد " الآية
قال " (العجل الحنيد) هو اسحاق فهو الظل الذى جاء بعد أن كبر
أبواه وانقطع رجاءهما فى الذريه " (٢)
انكار الاسراء :

فى تفسير قوله تعالى " سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد
الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا " (٣) قال :
(أسرى) أوفى وأنى (المسجد) القرآن (. .) (الى المسجد
الأقصى) الى سدرة المنتهى ومعنى (الاقصى المنتهى) (!) (الذى
باركنا حوله) الحول هو خاتم أرواح القدس السبعة القرآن ثامن
أرواح القدس (لنريه من آياتنا) آيات الله التى رآها هم أرواح القدس
السبعة وهم : جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ، ومناة واللات والعزرى
رآهم فى سدرة المنتهى ليله أن أسرى به " وقال :- " أذن المولى
فوجد الرسول نفسه فى سدرة المنتهى مع أرواح القدس السبعة وقضى ليله
معهم ثم عاد الى مكة ولم يقابله ملائكة ولا مخلوق من مخلوقات الله
التى تلى روح القدس . ولم ينطق بكلمه واحده عن الاسراء . ولم يذهب
الرسول الى فلسطين ليله الاسراء ولم يقابل الأنبياء فلا خيال ولا خرافه
فى الاسلام وهذا الجامع الذى أقيم فى فلسطين كان قلعه
للجنود الرومان ليله أن أسرى بالرسول ولما تم الفتح إتخذها المسلمون
جامعه وصلى فيها عمر الذى تم الفتح فى عهده والمضلون بعد الجيل الثالث
الاسلامى سخروا من المسلمين فجعلوهم يذكرون أورشليم بالقدس ، ذوالجامع

(١) سورة هود من الآية ٦٩

(٢) اتجاه التفسير ص ١٣٥ وتقرير اللجنة ص ٨ عن رساله الفتح ص ٣٧

(٣) سورة الاسراء : من الآية الأولى

الذى أقيم فيها ببيت المقدس وسموه المسجد الأقصى ليعظموا شعائرهم وليسخروا من المؤمنين الذين لم يكشفوا سوء مكرهم" (١)

وأورد هنا تعليقا على هذه الترهات والأباطيل ليس كشافا لبطانها فهو أمر ظاهر كما أشرنا أولا ، وانما كشف لحقيقه صاحبها ألمح اليه الشيخ مصطفى الطير حيث قال " فهل لنا أن نعتقد أنه مأجور من اليهود ليصرف المسلمين عن حقوقهم فى بيت المقدس وفلسطين" (٢)

انكار الــــرق :

وفى تفسير قوله تعالى " ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم" (٣) قال - " ما كان لشخص نبأ أى أرتفع وعلا بدرجه مال أو جاه أو قوه أن يملك نفوس البشر ففرق ابن آدم فاحشه كبرى قصاصها القتل" (٤)

انكار حادثه الافك :

وقال عن حادثه الافك التى جاءت فى قوله تعالى " ان الذين جاءوا بالافك عصبه منكم" الآيه (٥) فقال : -

" (الافك) البهتان بتفسير القرآن بقول لغو (عصبه) عدّة فرقه الذين جاءوا بالافك عصبه من أهل الكتاب وهم اليهود و (الافك) مصنفات الافك (لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء) الشهداء الأربعة هم أجيال صدر الاسلام الثلاثة الأجيال الأولى وجيل الشهر الحرام هذا الجيل

(١) اتجاه التفسير ص ١٣٧-١٣٨ وتقرير اللجنة ص ٨-٩ عن رساله الفتح ص ٤١-٤٣

(٢) اتجاه التفسير فى العصر الحديث : مصطفى الطير ص ١٤١

(٣) سوره الانفال : من الآيه ٦٧

(٤) اتجاه التفسير ص ١٤٢ وتقرير اللجنة ص ١٠ عن رساله الفتح ص ٦٥

(٥) سوره النور : فى الآيه ١١

الذى تسيرون فى فلكه " وقال " الافك هو تحريف اليهود وتفسيرهم القرآن بقول لغو فتا سير القرآن الموجوده هى مصنفات الافك هلا جاءوا بشهداء أربعة من الأجيال الثلاثة الأولى تشهد بصحتها^(١)

بعض ما أنكره المؤلف:

وما أنكره المؤلف من الامور المعلومه الثابته كثير وكثير نذكره اجمالا حتى لا نثقل بطوله فمئها : -

أولا بـ أنكر وقوع غزوه فتح مکه وحرف معانى الآيات الوارده فى سورة

الفتح ص ٣٥٦

ثانيا : أنكر أنه كان للنبي صلى الله عليه وسلم عم اسمه ابو لهب

ص(١٢٣- ٢١٦)

ثالثا : أنكر أن ادريس عليه السلام كان نبيا (ص٢٣٥)

رابعا : أنكر تشريع تعدد الزوجات وقال أن دين الاسلام لا يحل

الزواج الا بواحد (ص٢٦٥)

خامسا بأنكر زواج النبي صلى الله عليه وسلم بغير عائشه رضى الله

عنها فقال " وظلت عائشه زوجه له دون شريكه حتى الختام "

وقال عن زينب بنت جحش رضى الله عنها " زينب بنت جحش

هى رساله روح القدس للقرآن " وقال عن زيد رضى الله

" والذى سموه زيدا هو المنافق والمشرک من بنى اسرائيل " (ص

٢٧٤)

سادسا : أنكر حق تطليق الرجل زوجته بلسانه وجعل ذلك محرما

(١) تقرير اللجنة ص ١٤ عن رساله الفتح ص ١٤٥

فى الاسلام فقال* وما أحل الله لمؤمن برسالة محمد أن

يطلق زوجته بلسانه" (ص ٣١٢)

سابعاً : أنكر حروب الردة وأن أحدا أدعى النبوه

ثامناً - أنكر وجود أبى هريره وابى ذر الغفارى رضى الله عنهما (ص ٩٧) (١)

هذه مع ما سبق بعض ما أنكره المؤلف مما هو معلوم بالضروره وثابت يقيناً ، والذى لا ريب فيه أن أمر هذا التفسير واضح لا يصنف فى غير اللون اللامنهجى وان شئت فسمه منهج المجانين .

ولا يعترف صاحبه بأصول التفسير فلا يفسر القرآن بالقرآن ولا بالسنة ولا بأقوال الصحابه .

ولا يعترف صاحبه باللغه فيصرف الألفاظ عن مدلولاتها الحقيقه والمجازيه من غير حجه .

ولا يعترف صاحبه بالتاريخ فينكر ما تواتر وروده واشتهر بثبوته واصبح جزءاً من التاريخ

ورجل مثل هذا فى آرائه ومثله فى تفسيره لا يشك أحد أدنى شك فى أن يكون أحد رجلين

اما رجل خبيث ذو هدف باطنى يريد ايقاع البلبله والاضطراب والتشكيك والدس وتعويد الأذهان على الاضطراب فى التفكير حتى يقبل بعد هذا تشكيك من له شبهه أو شبه دليل

واما رجل مجنون حقاً مخرف حقاً وليس بشرط أن يكون الجنون بالعتنه والخفه والطيش أو البلاهه والبلاده بل منه ما يسمى بجنون العظمه

(١) تقرير لجنة فحص الرساله : ص ١٥ - ١٦

أو الغرور فيصل بنفسه درجة يجعلها معيارا للعلوم فالحق ما توصل
اليه وكل الناس عاله على علمه وأحسب هذا شر أنواع الجنون

ولست أزعم لنفسي معرفه علم النفس وخصائصه ولكن والحاله هذه التي
أمامنا لا أرى أن يقدم مجنون بمعناه عندنا المشاهد في المستشفيات
النفسيه على مثل هذا العمل لا زهدا فيه ولكن عجزا عن التفكير
فيه أو ادراكه فضلا عن دافع الايمان حتى وهم في هذه الحاله .

وعلى كل حال فقد كان ما كان وخرج هذا التفسير ولا يقبل
ذو لب أن يقول مثل قوله ولا يقبله ذو دين فكان حقا اللون اللامنهجي
وان شئت فسمه منهج المجانين ، حفظ الله عقولنا وعقولكم وثبتها على المنهج
القوم .

ونحمد الله سبحانه على ندرة هذا اللون من التفسير ومعذره أن أخذت
وقتا وجهدا في هذا اللون فلا يصح لى عذر أن أتركه وهد في حصر
اتجاهات التفسير .

وبعد

هذه أهم الاتجاهات الإلحادية في التفسير في القرن الرابع عشر الهجري
وما كان لهذه التفاسير وما كان لأصحابها جرأه على نشرها أو التلفظ
بها لو كان الاسلام هو الحاكم في بلاد المسلمين
إذا لحسب العلماء ألف حساب وحساب قبل أن يبيعوا دينهم
بدنياهم فيقولوا في القرآن الكريم ما لا يصح قوله .

وإذا لحسب المثقفون ألف حساب وحساب كذلك قبل أن يجترأ
أحد منهم على تناول آيات القرآن بالتفسير من غير أن يكون من
أهل التفسير

الخاتمة :-

وبعد

هذه أهم الاتجاهات لتفسير القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجرى ، وتلك هي أسسها التي قامت عليها . لها ما لها وعليها ما عليها . ولا أجد حاجة لتكرار ممل - حتى ولو كان مختصرا - للأبحاث التي تناولتها فدون من أردا ذلك المقدمة فقد أجملت فيها ما تناولته من أبحاث ودونه الكتاب كله ففيه التفصيل ودونه الفهارس ففيها الدلالة وانما يهمنى ويهم غيرى فيما أرى أن أخص الخاتمة بالحديث عن النتائج التي توصلت اليها بعد هذه الدراسة وفيها أمور ما كنت أتصور حدوثها وقوفي عليها . وعلى كل حال فسأقدم النتائج بقدر من الاختصار الذى يعطي الثمرة ولا يئودى الى الملل

فمن النتائج :

أولا :

في العصر الاسلامي الأول لم يكن ثم الا فرقة اسلامية واحدة والا أمة اسلامية واحدة هي خير القرون وهي قدة المسلمين ولم يكن بينهم شقاق في العقيدة أو خلاف وكما ظهرت شرارة من هنا أو هناك هيأ الله لها من أمة المسلمين من يطفئها أو من يضرب صاحبها بدرته ضربة يعيد بها صاحبها إلى رشدة ، ولم يكن لهذه الحالات الشاذة أثر يذكر في التفسير سلبا أو ايجابا فلم يحوج الأمر المفسرين الى الرد عليهم أو على شبهاتهم الا النادر الذى لا يشكل منهجا

ومضى حين من الدهر نشأت فيه مذاهب و فرق أخرى هيأ

الله - سبحانه وتعالى - لهم من يرد عليهم في مؤلفات
مستقلة أو عند تفسير القرآن الكريم

ونظرة سريعة الى التفاسير في تلك الفترة يظهر فيها
حجم المعركة

فرق تولى من جانب تفاسيرها على قواعد أصولها
التي أنشأتها من قبل ، وتبث شكوكها وشبهاتها

وفرقة أخرى تكابد بين أمرين أمر تقرير عقيدتها
واستخراجها من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية وأمر
الرد على شبهات الخصوم وأوهامهم

قامت فرق المعتزلة والشيعة الإثني عشرية والباطنية
والزيدية والخوارج والاباضية والصوفية
والفلاسفة وأمثالهم يفسرون القرآن الكريم وفق أصولهم

وقام أهل السنة والجماعة يقررون عقائدهم ويردون على خصومهم
لهم يهملوا آية فيها تقرير لعقيدتهم الا وبينوه ولا على آية
فيها رد على خصومهم الا واظهروه

فعلوا ذلك اظهارا للحق وتبرئة لذمهم وذوا عن عقيدتهم
وأمر بالمعروف ونهيا عن المنكر فما زالوا ظاهريين

وقد كان الاتجاه العقائدي في التفسير في القرن الرابع
عشر أول أبحاث هذه الدراسة - وان أنس لا أنس - صدمة
تلقيتها وأنا أكتب عن تفاسير أهل السنة والجماعة

فقد عانيت كثيرا في الحصول على نصوص تقرر عقيدة
أهل السنة والجماعة بكل تصريح ووضوح بل تسوقها بإشارة عاجلة
وكأنها مقررة عند قارئ التفسير ومعلومة

وليتهم حيث يفعلون هذا يتجاوزونه الى الرد على شبهات الاعداء
وكيد الخصوم والتأويلات الباطله ليتهم يبرزون الرد
على الشيوعية والرأسمالية والاشتراكية أو القومية الترابية
أو اللسانية ليتهم يردون على البابية أو البهائية أو القاديانية
أو يردون على عصابات الانحلال الفكرى أو شبهات المستشرقين
أو انحرافات المنحرفين ، أو حتى ليتهم يردون على الفرق المعاصرة
كالشيعة التي جعلت همها كل همها في العصر الحديث
مواجهة أهل السنة والجماعة ومصادمتهم ليس في داخل بلاد
المسلمين فحسب بل حتى في الدول الأوروبية والأمريكية وكم سمعت
من الدعاة الى الاسلام في تلك الانحاء من نشاط أولئك ضدهم وكأن
هؤلاء يدعون الى الشيوعية والاحاد لا الى الدين الاسلامي

ليت أصحابنا ردوا على الشيعة هؤلاء أو ردوا على الاباضية
وبينوا لهم الحق أو ردوا على الصوفية التي عششت على
أنحاء كثيرة في العالم الاسلامي وقاد العوام فيها والجهل
بعض العلماء كما تقاد الشيا يذودون عن أفكارهم ويدافعون
عن أفعالهم ويبررون منكراتهم وهم يعلمون أنهم يقولون غير الحق . . . ؟

ليت أصحابنا ردوا على النصرانية وما تقوم به من نشاط
كبير لتنصير المسلمين في أرجاء العالم مستغلة أوضاع العالم
الإسلامي الاقتصادية والسياسية . . .

ليتهم ردوا على اليهودية ومنظماتها الصهيونية
والماسونية وأندية الروتاري وغيرها من وسائلهم الماكرة للاستيلاء
على قيادة العالم كله وتوجيهه أو جعله تحت سيطرتهم ان استطاعوا
ولن يستطيعوا بإذن الله

بحثت عن هذا كله أو عن بعضه في تفاسير أهل السنة
والجماعة في العصر الحديث فلم أجد فيها بغيته
ولا بعضها

وكل ما وجدته نصوصا من هنا أو هناك الصريح الواضح
منها قليل وما سواه التمس منه ما يشم منه رائحة ما أردت

يمرون غفر الله لهم ولمن سبقنا بالايمان - على الآية
وقد زعمتها - طائفه قديمة أو حديثة دليلا على مذهب
ضال أو فكرة خبيثة فلا يعرض أولئك للرد عليها .

يمرون غفر الله لهم على الآية تستدل بها فرقة على ما
يزعمونه حكما شرعيا خالفوا فيه الفهم الصحيح للنص وما
يؤيده من السنة والاجماع فلا يكلف أحد هم نفسه بيان
ذلك وكأنه لمن لا يخفي عليه الحق في ذلك .

ولعلي أتمس لهم عذرا^{أهم} أقررون التفسير الحق ويقدمونه ميزانا
أصيلا يوزن به كل قول سواه وكل شبهة وكل بدعة

لكني مع هذا لا أرى الحق - في هذا فالقضية أكبر من أن
نعمل الحديث عنها أو نوجزه والقضية أكبر من أن نجعل الحق
في أيدي الناس ويزنون به فما زال في الناس كثير
من لا يحسن استعمال الميزان وما زال في الناس من يعجز عن
استعماله وما زال في الناس من يطلب الطعام ويضع له على
المائدة وان لم نفعل نحن - أهل السنة والجماعة - فسيجد
من يقدم له هذا الطعام بكل سرور ولعلي قد بلغت .

عائيا :

وحين اتسعت العلوم الاسلامية عامة ، واتسعت العلوم القرآنية خاصة وأفرد من العلماء السابقين آيات الاحكام بتفاسير مستقلة لم يكن أحد هم يكتب التفسير لهذه الآيات بمعزل عن مجتمعه وقضياه ، بل كان يعطى صورة كادت أن تكون كاملة عن بيعة حتى المذهب الفقهي الذي ينتحله كان له أثره في تفسيره

ففسر كثير منهم آيات القرآن حسب مذاهبهم الفقهية فكان تفسير للمذهب الحنفي وتفسير للمذهب المالكي . . . وهكذا وإذا عطفنا النظر الى القرن الرابع عشر الهجري وجدنا الأمر جد مختلف فقد تخلى عن كثير من صفات التفاسير القديمة بحسناتها وعيوبها

كان على من أراد أن ينهج منهج تفسير آيات الاحكام أن ينظر الى ناحيتين . . ناحية عطاء النص وناحية حاجة المجتمع وواقعه ويوازن بينهما . . .

لا . . . لست أريد أن يهمل نصا لأنه غير واقع في المجتمع ولا أريد أن يوءجل البحث فيه الى أن يقع . . . لا أريده أن يفعل ذلك ما دام النص القرآني عليه صريح . . . لكني ايضا لا أريد منه أن يسترسل في بحث قد أشبعه العلماء من قبله . . . ولم يتركوا له فيه من عراش لا أريد منه أن يترك لهذا مباحث جدت من بعد في عصرنا هذا من غير أن يعطيها حقها من البحث

يخطيء أولئك الذين ينظرون الى آيات في القرآن الكريم وهم يحسبون أن الفقه ليس الا معرفة أحكام الطهارة والارث والوقف

والهبة وينسون انه هو نتاج دين شامل كامل ايضا
ان الفقه يشمل ما اسلفت ويشمل غيرها ويشمل ايضا كل المناهج
والانظمه في كل مجالات الحياة وما يجد فيها
يشمل النظام الاقتصادي الاسلامي بأوسع معانيه وايجاد
الحلول لمشاكل العالم المعاصر الاقتصادية ويشمل النظام
الاجتماعي والنظام الجنائي والنظام الدولي والنظام المدني
والنظام العسكري في أوسع مجالاته نظام العلاقات الدولية
والسفارات وأخلاقيات الدولة الإسلامية يشمل كل أشكال المعاملات
المالية في نظام البنوك المعاصر يبين حلالها وحرامها
وحقها من باطلها . وحين يقصر مفسر أو فقيه في
جانب منها فان القصور من جهده وليس من النصوص فليعتبر أولئك
الذين يصرفون جهودهم الى ما نضح واحترق من المسائل
الفقهية ويتركون عجزا أو تهاونا أو كسلا عن الأبحاث الأخرى
التي ما تزال بحاجة الى أن يخرجها العلماء للناس ويقولون
لهم بأعلى صوت هذا نظام دينكم فخذوا به

نظرت في كتب تفسير آيات الأحكام في العصر الحديث وهالني
ما رأيت . . . رأيتها تكرر ما قاله الجصاص وابن العربي والشافعي
والقرطبي وأنعم بهم من رجال وأنعم بها من كتب
لكنهم كتبوا لا بناء عصرهم وعالجوا قضاياهم وأشبعوا الموضوع درسا
. وبحثا حتى كادت كتب بعضهم أن تكون كتب فقه لا تفسير

ومع هذا كله فان كتبهم موجوده لم تفقد حتى أصولها ، ومنتشرة
في الأسواق أكثر من كتب . من نقل عنها فأى فائدة نرجوها
من جد يد لم يأت بجد يد !

وليت أصحابنا - غفر الله لنا ولهم - وهم يكتبون في التفسير
الفقهي ولا يعالجون قضايا مجتمعهم المعاصرة ليتهم عالجوا
بعض الاختلافات الفقهية بين أهل السنة والجماعة وبين الفرق الأخرى
ليتهم نقضوا ما يستدل به الشيعة في تفسيرهم لباحة نكاح المتعة
ليتهم أظهروا مواطن الخطأ في الاستدلال عند هؤلاء - ليتهم
ردوا على الذين يزعمون اباحه الربوا غير المضاعف ويبشون
الشبهات في تحريمه ويدعون اباحته ليتهم ردوا على الذين يرون أن
فرض الرجلين في الوضوء المسح - أو ردوا على تفسيرهم للخمسة
وتوزيعه ، أو ردوا على الذين يعطلون الجمعة أو الجماعة بمزاعم
باطلة ليتهم وليتهم . هل التمس لهم في هذا ما التمسته
أنفا لمفسري أهل السنة والجماعة في العقيدة من عذر ، وهل
ينفع العذر اذا رأيت فيه ما رأيت في ذلك !!

ونظرت أخرى في كتب التفسير الفقهي فوجدت أصحابها -
أوهكذا خيل الي - يكتبون لتلاميذهم ولا يكتبون لزملائهم
واخوانهم العلماء وظهر أثر ذلك فيما يكتبون
أما أنهم يكتبون لتلاميذهم فكل ما اطلعت عليه من كتب
التفسير الفقهي الا القليل منها ألفه أصحابه لتلاميذهم
في المعاهد والجامعات فكانوا لذلك يسرون وفق منهج
خاص لا يتجاوزونه يسرون معه وليس مع النصوص ومدى دلالتها
يسرون مع النص وينظرون الى الخلف الى المنهج المقرر خشية أن يكونوا
قد ابتعدوا عن حدوده ومنطقته فيعودون فجأة وتكاد تحس
بأن الموضوع مبتور وتكاد تحس بقوة النقلة تهزك ، وكانوا لذلك يقتصرون
على سور معينة هي تلك السور التي حددها المنهج وعلى
آيات معينة من السورة هي كذلك ،

لا شك أن مثل هذا الالتزام سيؤثر على عطاء المؤلف وعلى نتاجه ولذلك نرى صغر حجم المؤلفات في التفسير الفقهي في العصر الحديث عنها في القديم ، ليس لأنهم اكتفوا بما قاله السابقون وليس لأنهم اقتصروا على ما جدّ في الحديث ولكن لهذا الالتزام فحسب .

كلامي هذا - أيها الأحبة - يشير بأصابعه العشرة الى بعض المؤلفات في العصر الحديث ، وبعض أصابعه الى بعضها . . . لكني لا أجد تفسيراً فقهياً معاصراً لا يشير إليه اصبع منها

نحن أيها الأحبة بحاجة الى تفسير فقهي معاصر يعنى بالشمولية والاستيعاب ، فيجمع آيات الاحكام الفقهية كلها لا يتقيد بمنهج دراسي ، ثم يتناول هذه الآيات كلها بالتوضيح والبيان ، لا يقتصر في بيانها على الوجه الذي أشبع بحثاً ولكنه مع هذا يلتمس من مدلولاتها علاج المجتمعات الاسلامية المعاصره بشتى أشكالها وألوانها ويظهر فيما يظهر العلاج الاسلامي لكثير من قضايا العصر الشائكة ، لا يلتزم مذهبا بعينه - يلتوى النصوص لتوافقها - ولا يدخل النص بذهن مشبع بالقواعد يلتمس لها أدنى مبرر في النصوص؟!!

ينظر في النص فيستخرج منه دلالة الصريحة الواضحة مستندا الى الكتاب والسنة ثم ينظر بعد ذلك في الافكار والمذاهب الأخرى يرد عليها ويبطلها . . . مطلقا من النص القرآني الكريم - ما أحوج الأمة في عصرنا هذا الى هذا الدستور القرآني ولعلي بلغت .

ثالثاً :

ولا شك أن أفضل طرق التفسير تفسير القرآن بالقرآن فإن لم تجد فعليك بالسنة فإنها شارحه له مفسره وهذا ما اصطلح عليه بالتفسير بالمأثور وهذا النوع من التفسير كان هو السائد في صدر الاسلام لأنه أصح أنواعه .

ثم نشأ التفسير بالرأى المحمود وانبثق التفسير بالرأى المذموم ودخل في التفسير علوم شتى فتعددت مذاهبه وتعددت طرقه ومناهجه ، فقلت العناية والاهتمام بالتفسير بالمأثور وكاد أن يندرس في كثير من التفاسير القديمة والحديثة

وعجبت ثلاثة وأنا أنظر في كتب التفسير في العصر الحديث أبحث فيها عن تفسير أولى بالمأثور اهتماما كبيرا أو اقتص به فما وجدت ووجدت فيما وجدت تفاسير تتعامل مع التفسير المأثور كما تتعامل مع علوم أخرى حيناً تورده وحيناً تهمله أو تنساه أو تجهله وهل يجهل المفسر السنة !! هذا ما حدث !!

ووجدت فيما وجدت تفاسير تأتي بما يخالفه ووجدت فيما وجدت تفاسير تفسر بمعناه من غير أن تروييه ووجدت ووجدت أشكالاً وألواناً من التعامل مع التفسير بالمأثور - لكني لم أجده من يولييه حقه من الاهتمام ويلتزمه في كل موضع من مواضعه التي ورد فيها

حتى تلك التفاسير التي تحمل عناوين التفسير بالمأثور لا نراها تلتزمه حتى وان سميت بـ " التفسير القرآني " للقرآن بل جاوز هذا أحد هم فبث الحاده في تفسير سماه - كيدا ومكرا - " الهداية

والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن " وتعلق بهذه التسمية بعض أرباب المذاهب والفرق الضالة ليموهوا على الناس الحق فسموا تفسيرهم " الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة " وما حشاه صاحبه الا بالآراء المبتدعة والروايات الموضوعية !!

وأكثر من رأيه يهتم بهذا المنهج في التفسير الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى في تفسيره " أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن " فقد أولاه عناية واهتماما كبيرين وفاق بهما أقرانه ويليه بفارق كبير الأستاذ محمد رشدي حمادي في تفسيره " الموجز في تفسير القرآن الكريم المصفي : الجامع بين صحيح المأثور وصريح المعقول " كما وصفه صاحبه في عنوانه .

والأمة الإسلامية في العصر الحديث بحاجة الى تفسير يعنى بالتفسير بالمأثور . . . بالقرآن وبالسنة . . . يورد الآيات القرآنية ويورد بعدها ما يفسرها من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وينطلق بعدها لبسط ما تدل عليه من معان وما ترسمه من حقائق . . .

الأمة الإسلامية بحاجة الى هذا النوع من التفسير يورد فيه ما صح من الأحاديث ويبين درجته ، ويرد ما ضعف منها ، أو ما هو موضوع ويحذر من القول به فقد انتشرت في كتب التفسير أحاديث يرددها الناس ويحسبونها صحيحة ويقفون عندها لا يتجاوزونها وإذا جئت بتفسير آخر أصح منه نظر اليك من طرف أو صوب عليك بصره . . . وكأنك أتيت بالجرم الكبير الذي لا يغتفر

نحن - أمه الاسلام - بحاجة الى تفسير ينشر التفسير الحق ويظهره . . . ويورد التفسير الضعيف أو الموضوع ويرده ويبطله حتى لا تقوم قائمه الالحق وحتى ينمحي الباطل . . . هل بلغت

رابعاً :

قلت - فيما قلت - في النتيجة السابقة أن التفسير قد اتسع
بعد صدر الاسلام فدخلت فيه علوم شتى
وأقول ان من بين هذه العلوم ، العلوم التجريبية كالطب والفلك
وعلم طبقات الأرض وعلم وعلم الحيوان وعلم النبات ووالخ من تلك العلوم
فاهتم بعض العلماء آنذاك بهذه العلوم فأدخلها بعضهم في التفسير
واكثر منها فيه حتى قيل عنه فيه كل شيء الا التفسير

كان هذا في وقت لم تكن فيه تلك العلوم الا وليدة تحبوعلى
يديها وقد ميها ومرت قرون وترعرت فيه وشبت فقامت تثبت
على قدميها وتعدو وحتى حسبها بعضهم قد
نضجت واكتملت وانتهت الى أوج نشاطها وعز قوتها . . . فأرادوا
التقرب اليها والتزلف الي بلاطها بتفسير نصوص القرآن حسب
مدلولاتها . . . وما عرفوا أنها ما زالت تنمو وأنها ما زالت
تتغير وتتبدل

ويبلغ من عناية أبناء القرن الرابع عشر الهجري بهذه العلوم
واهتمامهم به أن كان أول تفسير كامل للقرآن الكريم يتم في
هذا القرن هو ذلك التفسير الذي حشاه صاحبه بكل النظريات والحقائق
العلمية صغيرها وكبيرها فلا يكاد يمر بكلمه فيها ذكر لآله
أو نبات أو حيوان أو خلق انسان أو ريح أو مطر أو سحاب
أو سماء أو أرض ونحو ذلك الا وأحال تفسيره الى بحث علمي بحت خاص
بما عرضت الاشارة اليه في الآيه وملاءه بالصورة الموضحة والتجارب
العلمية والشواهد من كلام أهله وخبرائه . . . وعلمائه الجديـد
منها والقديم حتى تشك وأنت تقرأ فيه فيما بين يديك فتطويـه

وتنظر الى غلافه فاذا هو فعلا كتاب الجواهر في تفسير القرآن
الكريم ويأخذك العجب والدهش بين مسماه وما تقرأ فيه ، فتسأل
أهل الذكر فيشيرون بالصمت بالصمت لتسمع كلمة جاءت
من عمق القرون السالفة تجلجل فيه كل شيء الا التفسير
فما زالت تلك الكلمة منذ قيلت تشق مسارها في التاريخ راسمة
أحرفها على كل من سلك هذا المسلك المتطرف في التفسير
حتي وان كان فيه تفسير . لأن هذا طغى عليه فأفسده فلم يعد تفسيراً
وكم أشفق على تلك الكلمة " فيه كل شيء الا التفسير"

فقد مكثت سنوات منذ قيلت معطلة لم تجد لها عملاً لكن العمل
المرهق جاءها جملة في هذا القرن حيث نشأت تفاسير
كثيرة فيها كل شيء الا التفسير فذهبت ترسم نفسها على الأغلفة
لا يراها الا أصحاب البصيرة وأهل العلم والذكر . . .

لست من أعداء التفسير العلمي كما تحسبون ولست من أنصاره
ومؤيديه كما تظنون أنا - أيها الأحبه - ان سألتكم عن موقفي
وسط بينهما . . . لست من أولئك الذين يرفضون التفسير العلمي
حتى حقائقه ولست من الذين يتحمسون له حتى نظرياتهم
وتصوراتهم

كما اشكو من أولئك الذين يقحمون التفسير العلمي التجريبي
فاني أتضايق من أولئك الذين يرفضونه كل الرفض

ليته ينفر منا طائفة من شتى أصحاب العلوم والمعارف يستفيد
من خبراتهم نفر من أهل العلم الشرعي يسألونهم عن حقائقه فيستشهد
بها هوؤلاء في التفسير ولا يفسرون بها النص

ويسألونهم عن نظرياتهم فلا يورود نهـا لا تفسير ولا استشهادا
لأنهـا مازالت متأرجحه لا تستقر و من يستمسك بمتأرجح فانهـ
لا بد متأرجح معه وان سقط سقط معه
أعرف أن هناك من سيرفض قولي وأعرف أن هناك من سيعدله
ويقوم ما يراه معوجبا ولعل فيهم من يقبله ويراه حقا
وهذا رأيي والله أعلم

خامس : -

أنزل الله سبحانه وتعالى هذا القرآن الكريم لحكم عظيمة
غايتها تصحيح العقائد وتقويم السلوك

وعلى المفسر أن يجعل هذا الأمر في ذهنه عند تفسيره
ثم عليه وهو طبيب عقول أن يكون كطبيب الأجساد ينظر في مريضه
ويشخص داءه ثم يصف له الدواء ، وعلى المفسر أن ينظر الى مجتمعه
فيحدد أمراضه ويظهر مواطن ضعفه وتفككه وانحلاله ثم يصف
له الدواء القرآني سواء كانت علله في العقيدة أو في
السلوك .

كم يسرني ذلك المفسر الذي أراه يفسر الآيه القرآنية ثم أراه
يضرب الامثلة من مجتمعه - في غير تشهيد - ويلتمس لها العلاج
القرآني وكم يسرني ذلك المفسر الذي يرى عادة ذميمة في
مجتمعة أو تحللا أو اهمالا لواجب أو انتشارا لبدعة
فلا يمر بآية هي علاج لهذا أو ذاك الا ويربط بينهما ويشير الى
علاجها ويأمر به

يهمل كثير من العلماء مسألة الربط أو التشخيص الدقيق
وهم يحسبون أن لدى مستمعهم - كلهم - القدرة على الاستنتاج

والتطبيق

تجدد المفسر مثلا يتحدث عن الربا وتحريمه ويشرح آياته مفردة مفردة ومواطن البلاغة ومحاسن التعبير ويبلغ في ذلك شأوا ثم ينتقل الى آية أخرى بعدها وهو يحسب أنه قد أشبع الموضوع حقه ، وما درى ذلك الرجل أنه أخذ جانبا وترك الآخر كان عليه - مثلا - أن يضرب أمثلة للربا من مجتمعة فيشير نضا الى البنوك الربوية ومعاملاتها ومواطن الخطأ فيها ومواضع الربا وآثار نكافئ في الاقتصاد كان عليه أن يعطى المثال المستقيم فيذكر البنوك الاسلامية وما يجب أن تتعامل به ولا ضير أن يذكر أسماءها وأنواع معاملاتها

ستقولون - أيها الصحاب - أنه خرج عن التفسير فأقول على فرض أنه خرج أليس خروجه هذا أفضل من خروجه عنه الى الاساليب البلاغية والمسائل اللغوية والتغنى بحسن التعبير والوقوف عند معالم الجمال ان صح تسمية كل ذلك خروجاً !!

ثم انى لا أعتبر هذا ولا ذاك خروجاً عن التفسير اذا ناسب المقام فاذا كان المقام مقام حديث مع العلماء والأدباء فليكن كذلك واذا كان حديثاً موجهاً للعامة أو للإصلاح الاجتماعى فليكن بأسلوب آخر وأهداف وطرق أخرى ، ليوجه همه الى تلکم القضايا الاجتماعيه ويبسطها للناس فلا يجعل التفسير بمعزل عن أنزل القرآن لإصلاحهم واصلاح عقائدهم

حين نزل القرآن الكريم أصلح كثيرا من البدع والمنكرات التي تحدث في مجتمع الجاهلية وخصها بالذكر فحرم وأد البنات والربا وشرب الخمر وعبادة الأوثان وما زال القرآن يقوم الاخلاق . . . حتى النداء من وراء الحجرات

فما بال أقوام منا يهملون جانب الإصلاح الاجتماعي
في تفسير القرآن الكريم ويظنون أنه - مخطئين - خروجاً
بالتفسير عن حده

ان الأمر هنا يختلف عن المناهج الأخرى الأمر هنا
يتطلب تفاسير عدة لا تفسيراً واحداً حيث يقوم من كل بلد من بلاد العالم
الاسلامي عالم عارف بأمراض مجتمعه يفسر القرآن فيعرض لها
ويحذر من خبيثها ويحمد حسنها

أقول هذا لأن العالم الاسلامي مترامي الأطراف . . . مختلف
العادات وقد ينتشر في مجتمع من المنكرات مالا وجود
له في مجتمع آخر فقد يوجد الربا في
بيئة ويستفحل ولا يكاد يوجد في أخرى وقد تنتشر حانات
الخمور و دور الرزيلة والملاهية وأندية القمار في بيئة ولا يعرفها
آخرون وقد ينتشر الاختلاط والتبرج والتعري والفسق والفجور
في مجتمع ولا يعرفه آخر وقد تنتشر بدعة التصوف وطقوسها
في بيئة دون بيئات وقد تشتهر بعض المحرمات وتصبح عادة
مألوفة في مجتمع تحتاج ان ينص العلماء عليها ويحذرون
منها كالشغار والنجش وبعض أنواع الربا والاسراف والتبذير و . . الخ
وهذا يوجب أن يقوم من كل مجتمع عالم يكتب علاجاً قرآنيًا
لامراض مجتمعه فما زالت المنكرات منتشرة وما زالت البدع سائدة
نسأل الله سبحانه والإصلاح والتوفيق

سادساً :-

قام في القرن الرابع عشر الهجري رجال علماء بذلوا وسعهم حسب
مفهومهم وحسب قدراتهم للإصلاح سياسياً واجتماعياً وكان لهم ولاء

جوانب مشرقة وكان لهم أخرى ونال هؤلاء الرجال منزلة كبيرة
في مجتمعاتهم بين العلماء والعامّة . ونفذ بعض المغرضين وذوى النحل
الباطل من هذه " الأخرى " فأمسوا يبيثون شكوكهم وأوهامهم
وبدعهم ومنكراتهم فإذا قام معترض عليهم قال لهم انكم تردون اليوم
ما كان يقرره فلان منذ ٤٢ عاماً ؟ (١) . فيطرق القوم وكأنه
قال لهم قول معصوم

وتقولون وما دخل هذا في التفسير ؟ ! فأقول ان بعض
هؤلاء كان لهم نشاط في التفسير منه ما أبدعوا فيه ومنه ما جانب
الصواب وقد أخشى - وقد حدث فعلا - أن يستدل رجل بالجانب
الذي وقع فيه الخطأ فيحسبه آخرون قد أتى بالحجة القاطعة
علينا اذا أن نقيم رجال التفسير فنظهم ما لهم ونظهم
ما عليهم اين كتب الرجال في القرن الرابع عشر ؟ أين كتب طبقات
المفسرين في القرن الرابع عشر ؟

حقا ان كثيرا منهم مازال حيا يرزق وحقا ان بعضهم قد انتشر
صيته ؟ ولكن أقولها عن تجربة اذا ما أردت ترجمة قصيدة
عن حياة أحد هم فضلا عن الجرح والتعديل فاني لا أجد له
رائحة

حبذا لو قام أحدنا بالكتابة عن مفسري القرن الرابع عشر
وليس عن اتجاهات التفسير فحسب .

يكتب تراجم لحياتهم العلمية و مؤهلاتهم للتفسير ومن تتوفر
فيه شروط المفسر منهم ومن لا تتوفر فيه ، ثم يكتب عماله في
التفسير وما عليه ويرد أو ينافس بعض أخطائه الظاهرة في التفسير

(١) قال هذا أمين الخولي دفاعا عن رسالة ملحة

وبذلك ننقي ساحة التفسير وساحة المفسرين من زغلهما
وزيفهما ونكشف للناس حقيقتها فلا يجروء مجترىء بعد ذلك
أن يستدل بهفوة ، ولا يطأطىء رأسه أحدنا مسلما باحتجاج
زائف

علما أن الأمر لا يقتصر على ذوى الهفوات من المفسرين بل
سلك بعضهم طريقا خاصا ونهجا الحاديا علانية يسعى لأن يرد
عليه فيشتهر ويرى - لضعف ايمانه أو عدمه - ان الالحاد هو
أقصر طريق الى الشهرة .

فعلينا أن نقف لتلك الزمرة بالمرصاد دفاعا عن كتاب الله
عز شأنه نقف لهم فلا نحقق مأربهم ولا ننشر كتبهم بشتى الوسائل
ونسعى أن يكون موقفنا منهم درسا رادعا لمن يقف خلفهم
أو ينتظر فرصة ليفعل فعلهم هل بلغت

سابعاً :

اختلاف أساليب التعبير عبر القرون ظاهرة واضحة لا شك
فيها وكم من قصيدة سمعناها فأدركنا من مفرداتها ونغمها
وجرسها أنها شعر جاهلي أو شعر اسلامي أو شعر
حديث أو حتى شعر أندلسي ونحو ذلك وقع هذا لأن لكل
مجتمع ما يناسبه من الألفاظ والعبارات

وهذا يوجب على المفسر أن يتحدث بأسلوب عصره فلا
يأتي - وهو يفسر - بغريب الألفاظ ولا يتكلف الحديث ولا يمعن
في عويص المعاني ولا يتشدد في التعبير

لا يعلو حديثه عن درك العامة ولا يهبط الى وضيع القول

عند العلماء فليحاول جهده في التعبير بحيث اذا سمعته
غير المتخصص أدرك أبعاده وشده أسلوبه واذا سمعته العالم
شده حسن التعبير وطلاوة الأسلوب . . . والموازنة هذه يهبها
الله لمن يشاء من عباده

أما التبسيط العميق للتفسير فانه يحيل التفسير الى كتاب
مدرسي يوضع للناشئة ان لم يكن وضع لهم أصلا - مثل هذا يبعد
كل البعد عن الاتيان بجديد في الفكر أو في التدبر أو في
التأمل

ولهذا لم يكن لهذه المؤلفات أثر في دراستنا هذه عن
مناهج التفسير الجادة

والاغراق في العبارات أيضا يقصر الفائدة منه على المختصين
والعلماء ويحرم سواهم من الانتفاع به ، والقرآن الكريم لم
ينزل لهؤلاء وحدهم ولا لهؤلاء دون سواهم بل نزل للجميع فليكن
التفسير للجميع أيضا

لا أريد من هذا أن أمتنع التفسير الموسعة العميقة الأبحاث
لكني أريد تبسيط أسلوبها حتى اذا ما أراد أن يسلكها غير العلماء
سلكها وكانت له كالمعلم يخاطبه ويوجهه ويسأله
ويجيئه بأسلوب لا يهبط الى ذلك ولا يعلو عن مداركهم
هل بلغت

ويعد

ليست هذه خلاصة البحث وليست كل ما أريد قوله فقد
بثت فيه وبين مناهجه ملاحظاتي في مواضعها ولكني أشرت الى

ما أشرت اليه للتأكيد ليس الا

أما الأساس السليم والمنهج القويم في التفسير الذي يجب أن نسلكه فيه فقد بينت أسسه وقواعده في حديثي عن منهج أهل السنة والجماعة ولا أظني في حاجة الى تكرار القول أني قد وضعت منهجهم أول المناهج ليكون ميزانا بيد القارئ يزن به كل ما يصادفه في طريقة فبه يأخذ وبه يرد

ولهذا فلا أرى موجبا لاعادة هذه الأسس مرة أخرى فهي ايضا الأسس الفضلى وهو أيضا المنهج الحق

لكن هذا لا يمنع من التحذير التحذير

التجديد في الأسلوب الملائم لآبناء العصر والذي أشرت اليه آنفا والتجديد في التحذير من العقائد الضالة والفرق المنحرفة المعاصرة والقديمة وبيان مواضع ضلالهم وانحرافهم والتجديد في تفسير آيات الاحكام ببيان ما جد من الأحكام الشرعية والمعاملات المالية والاقتصادية والعسكرية . . . الخ والتجديد في علاج القضايا الاجتماعية فقد جد في هذا العصر من المشكلات الاجتماعية ما يحتاج الى علاج وبيان

والتجديد في التحذير من التفاسير المنحرفة والضالة ومجاهدة أصحابها وبيان ضلالهم وكشف زيفهم للناس

كل هذا وسواء اكثر من معالم التجديد في التفسير الذي يطلبها أبناء القرن الجديد في التفسير وهذا يحمل علماءه أمانة القيام فانهم يوم القيامة مسئولون وعلى أعمالهم محاسبون ومجزيون وأوصي أخيرا أولي الأمر وذوى العلم والجامعات الاسلامية

وفيهم نفر من العلماء الصالحين أن يسعوا للقيام بتفسير يشترك
فيه نخبة مختارة من العلماء البارزين في مختلف التخصصات الشرعية
في العقيدة والفقه والتفسير والأدب
والاصلاح الاجتماعي والعلوم التجريبية الخ

يجتمع هؤلاء يتلون آيات الله فيما بينهم ويتناولونها بالتفسير
والبيان ثم تصاغ كلها بأسلوب ملائم يجمع فيه كل ما يحتاجه عصرنا
من اصلاح عقائد و فقهى واجتماعى وعلمى وأدبى يعنى فيه
بما أسلفنا الاشارة اليه تفصيلا والحمد لله الذى تتم بنعمته
الصالحات

آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن باللله
وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا
وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير، لا يكلف الله نفسا الا وسعها
لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا
ربنا ولا تحمل علينا اصرنا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا
ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا
فانصرنا على القوم الكافرين " (١)

(١) سورة البقرة : ٢٨٥ - ٢٨٦